[illegible]

٢

این نسخه شریف [illegible]

[illegible]

[illegible]

تحریراً فی شهر [illegible] سنه ۱۲[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

تقديم الايمان على الكفر

قوله كتاب الايمان والكفر قدم الايمان لانه الاصل والاهم والمقصود او لانه وجودى والكفر عدمى كما قيل ولم يذكروا سطة مع ذكرها فيما بعد اما لانه لا نقول بثبوتها لما مرّ من الوجه الاخير او لانه اراد بهما اصل الاقرار والانكار ولا واسطة بينهما وانما الواسطة باعتبار امر آخر وهو ان يراد بالايمان الكامل المقارن بالاعمال كما هو الشايع عند اهل البيت عليهم السلام او لانه اراد بهما المطلق والواسطة لا تخلو من احدهما والغرض من هذا الكتاب بيان اصل الانسان وكيفية خلقه والغرض منه وما يوجب كفره وايمانه وبيان مهلكاته ومنجياته والترهيب فى الثانية والترغيب فى الاولى ليعرف كيفية السلوك وطريق الوصول الى السعادة التى هى قرب الحق والورود اليه والتخلص من اهواء النفس واغواء الشيطان ولا يمكن ذلك الا بالمجاهدات نفسانية ورياضات بدنية وروحانية وبيانات صادقة قلبية وهمم رفيعة عالية والله ولى التوفيق والتسديد للطريق قوله باب طينة المؤمن والكافر فى النهاية طينة الرجل خلقه واصله يقال طانه الله على طينته اى خلقه على جبلته وفى المصباح الطين معروف والطينة اخص منه والطينة الخلقة يقال طانه الله على الخير جبله عليه وانما قدم باب الطينة لانه يذكر فيه احوال الانسان كما مرّ له الطينة واحوالها بمنزلة المادة وساير الاحوال بمنزلة الصورة قوله اخبرنا محمد بن يعقوب قال حدثنى لم يوجد فى النسخ والوجوب على تقدير وجوده ما ذكرناه فى اول الكتاب قوله ان الله عز وجل خلق النبيين اى اوجدهم او قدر وجودهم من طينة الجنة على تفاوت درجاتها وتفاوت درجاتهم واوصياءهم عليهم السلام خلقوا من طينة اعلاها كما يجيء واضافة الطينة اما بتقدير اللام او من او فى قوله قلوبهم وابدانهم بيان او بدل للنبيين ولعل المراد بالقلب هنا الجسم المعروف الذى يتعلق به الروح اولا فلا ينافى ما مرّ فى باب خلق ابدان الائمة من ان اجسادهم مخلوقة من طينة عليين وارواحهم مخلوقة من فوق ذلك وهو نور العظمة كما فى حديث آخر على انه لو اريد به الروح لا يمكن الجمع بحمل الطينة لها مجازا باعتبار القرب والتعلق او التخصيص بالنبيين وبويده خبر محمد بن مروان المذكور فى هذا الباب قوله وخلق المؤمنين آه اى خلق قلوب المؤمنين من طينة عليين وهى جنة عدن وخلق ابدانهم من دون ذلك بدرجة ولذلك صارت قلوبهم الطف والين من ابدانهم ووقع الاقتراب بالاصفياء والافتراق فى النبوة بينهم وبين النبيين قوله وخلق الكفار آه اى خلق الكفار قلوبهم وابدانهم من طينة جهنم على تفاوت دركاتهم باعتبار تفاوت احوالهم فى العتو والطغيان ولذلك صارت قلوبهم وقواهم فى الغلظة والكثافة مثل ابدانهم ولم يذكر هنا اتباعهم لان نوع الكفر يشملهم قوله فخلط بين الطينتين آه الظاهر انه خلق آدم منهما ثم هنا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن فى النبوة فانها لا تشمل جميع المؤمنين

معنى الطينة وتقديم بابها

تحقيق معنى القلب

يخرج

يخرج من المؤمن ما كان فيه من طينة سجين ويطهر منه ويخرج من الكافر ما كان فيه من طينة عليين وهذا معنى قول ابى عبد الله ثم نزع هذه من هذه وهذه من هذه ولولم يلد المؤمن الذى فيه شىء من طينة سجين كافرا ولا الكافر الذى فيه شىء من طينة عليين مؤمنا وقع النزع يوم القيمة لان طينة النار لا تدخل الجنة وطينة الجنة لا تدخل النار ويدل على هذا ما ذكرنا الصدوق ره فى آخر العلل فى حديث طويل ولولا التخليط لما صدر من المؤمن ذنب قطعا ولا من الكافر حسنة اصلا وفيه مصالح جمة منها اظهار قدرته باخراج الكافر من المؤمن وبالعكس دفعا لتوهم استنادهم الى الطبايع كما قال جل شانه يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومنها الظهور رحمته فى شفقة المؤمنين لغفران ذنوبهم ومنها تعيش المؤمنين فى دولة الكافرين اذ لو لم يكن رابطة الاختلاط ولم يكن لهم رافة واخلاق حسنة كانوا كلهم بمنزلة الشياطين فلم يتخلص مؤمن من بطشهم ومنها وقوع المؤمن بين الخوف والرجاء حيث لا يعلم ان الغالب فيه الخير او الشر ومنها رفع العجب عنه بفعل المعصية ومنها الرجوع الى الله عز وجل فى حفظ نفسه عنها قوله فقلوب المؤمنين تحن اى تميل قلوب المؤمنين الى عليين وقلوب الكافرين الى سجين يميل كل الى اصله لا يقال هذا الحديث ومثله يرفع الاختيار ويوجب الجبر والاضطرار لانا نقول لله اعلم ان الله جل شانه لما خلق الارواح كلها قابلة للخير والشر وعلم ان بعضها يعود الى الخير المحض وهو الايمان وبعضها يعود الى الشر المحض وهو الكفر باختيارها وامرها حين كونها مجردة صرفة بامر كما سيجيء ووقع معلومه مطابقا لعلمه خلق للاول مسكنا وهو البدن من طينة عليين وخلق للآخر مسكنا من طينة سجين كما خلق للمؤمن جنة وللكافر نارا وذلك ليستقر كل واحد فيما يناسبه ويعود كل جزء الى كله وكل فرع الى اصله ومن هنا ظهر ان الخلق من الطينتين تابع للايمان والكفر ومسبب عن العلم دون العكس فلا يستلزم الجبر ولا ينافى الاختيار الا ترى ان علمه تعالى لما علم بين النبيين والمؤمنين اتصالا من وجه وانفصالا من وجه آخر لان المؤمنين يوافقونهم فى العقايد ويخالفونهم احيانا فى الاعمال لعدم العصمة خلق قلوب المؤمنين من طينة النبيين وخلق ابدانهم دون ذلك لاختلاط درجتهم وشرفهم فوضع كلا فى درجته وانك اذا قربت لعبدك المطيع مقاما رفيعا ولعبدك العاصى بيتا وضيعا صح ذلك عقلا وشرعا ولا تصف العاقل بالظلم والجور اذ الظلم وضع الشىء فى غير موضعه فهو انما يلزم لو انعكس الامر او وقع التساوى وبما قررناه من فساد توهم ان الايمان والفضل والكمال واضدادها تابعة لطهارة الطينة وصفاتها وخباثة الطينة وظلمتها وهذا التوهم يوجب الجبر وبطلان الشرايع والتاديب والثواب والوعد والوعيد نعوذ بالله منه قوله خلق المؤمن من طينة الجنة آه قد اشرنا الى ان المراد بالطينة ظاهرها وان الله تعالى لما علم فى الازل من روح المؤمن طاعته ومن روح الكافر عصيانه خلق بدن كل واحد فى هذه النشاة مما يعود اليه فى النشاة الآخرة وقال بعض شراح نهج البلاغة الطينة اشارة الى اصولهم وهى الممتزجات المستقلة فى اطوار الخلقة كالنطفة

وما قبلها من موادها مثل النبات والغذاء وما بعدها من العلقة والمضغة والعظم والمزاج القابل للنفس المدبرة
وسيجي توضيح ذلك في حديث المزاح **قوله** وقال اذا اراد الله بعبد خيرا آه اى اراد بالخير توفيقه تعالى وهدايته الخاصة
لحسن استعداد العبد فالارادة على حقيقتها او ان اريد بالايمان وتوابعه من الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة
انه تعالى اراد خير جميع العباد بهذا المعنى ويمكن دفعه بان الارادة ح تعود الى اعتبار كونه عالما بما في العبد من الميل الى
الخيرات والعزم على امتثال الاوامر والاجتناب عن نواهيه فاذا علم منه ذلك توجه اليه لطفه فيطيب روحه وينقيه
عن القبائح ويطهر جسده وقواه عن القبائح فلا يسمع شيئا من الخير الا عرفه وصدق به وعمل به ان كان من العملات
شيئا من المنكر الا انكره وعرف قبحه وتركه وهكذا يفعل الله بعباده اذا علم صدق نياتهم وحسن استعدادهم **قوله** الطينات
ثلث الاولى طينة الانبياء والمؤمنين المقربين بهم والثانية طينة الكفرة والنواصب المنكرين المعاندين لهم والثالثة طينة
المستضعفين الذين لا يقرون بهم ولا يعاندونهم وهذا التقسيم باعتبار المخلوق منها فلا ينافي ما مر في باب خلق ابدان
الائمة من ان الطينات عشر لان ذلك باعتبار مبدا الخلق **قوله** والمؤمن من تلك الطينة اى قلبه او الاعم منه ومن البدن
لان المراد بتلك الطينة طينة الجنة وهي تشملها الا ان الانبياء خلقت قلوبهم وابدانهم من صفوتها وخالصها وامثالهم
ارواحهم من فوق ذلك كما مر وهم الاصل في الايجاد والمقصود دون اصالة في خلق هذا النوع ولهم فضلهم في العلم و
العمل والتقدم والتقرب التام بالحق والارشاد اليه والمؤمنون فرع الانبياء وتابعوهم في المقصد والايجاد والمؤمن
خلقت من طين لازب وهو ثقل طينة الانبياء سمي به لالتزاقه ولصلابته من الصفو المذكور واما قلوبهم فخلقت مما
خلق منه الانبياء كما مر وكما لم يفرق الله تعالى بين الانبياء وشيعتهم في الخلقة والطينة كذلك لا تفرق
بينهما في الدنيا والآخرة لان الفرع مع الاصل والتابع مع المتبوع **قوله** وقال طينة الناصب من حماء مسنون
الحماء الطين الاسود والمسنون المتغير المنتن وهو طين سجين وقد روي ان الله عز وجل خلق ارضا خبيثة
منتنة ثم فجر منها ماء اجاجا مالحا فاجرى ذلك الماء عليها سبعة ايام حتى طبقها وعمها ثم نضب ذلك الماء عنها
ثم اخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة الكفرة وائمتهم **قوله** واما المستضعفون فمن تراب اى خلقوا من تراب
غير ممزوج بماء عذب زلال كما مزجت به طينة الانبياء والمؤمنين ولا بماء آسن اجاج كما مزجت به طينة الكافرين
فلا يكونون من هؤلاء ولا من هؤلاء والله المشية فيهم ان شاء ادخلهم في رحمته وان شاء عذبهم بها **قوله** لا يتحول
مؤمن عن ايمانه آه بيان لحال الكامل الواحد من الاقسام الثلثة ولا ينافي ما قد يقع من التحول لان المتحول من الايمان لم
يكن مؤمنا في الحقيقة وانما اكتسب الايمان بما فيه من رائحة التأدب فلما زالت عاد الى ما كان عليه من الايمان وبالجملة
الايمان في الاول حسنة نشات من الخليط المذكور والكفر في الثاني سيئة نشات منه والخليط موسعي الى الشقاوة كل واحد

٣

من الفريقين لصفات الآخر لكنه غير مستقر غالبا **قوله** من اى شي خلق الله عز وجل طينة المؤمن اريد بالمؤمن من علم الله تعالى الايمان
عز وجل له لا ايمانه في عالم الارواح ومن كان كذلك فهو مؤمن في عالم الاشباح ايضا ولذلك خلق الله تعالى قلبه وبدنه من طينة
طينة طاهرة هي طينة الانبياء اما قلبه فمن صفوها واما بدنه فمن ثفلها فلا جرم ذلك لم يحل المؤمن بالكفر وقد عرفت ان اخلاق
من تلك الطينة تابع الايمان وسبب لكماله وهو لطف من الله عز وجل مبسوط على من يشاء من عباده **قوله** خلقنا من اعلى عليين
اى خلق قلوبنا وابداننا من اعلى امكنة الجنة وارفع درجاتها او من اعلى المراتب واشرفها واقربها من الله عز وجل على الكمال
وخلق قلوب شيعتنا وتابعينا في العلم والعمل مما خلقنا منه فلذلك تقبل الحق وتستقر فيه وخلق ابدانهم من دون ذلك لقصور
ما في قوتهم العملية وقواهم الجسمانية بالنسبة الى قوتنا وقوانا فوضع كلا في المقام اللائق به لا يقال خلق قلوب شيعتهم مما خلق
قلوبهم منه يقتضي المماثلة في القوة النظرية وليس كذلك لانا نقول استكمال القوة النظرية كما يكون من جهة التاثير من المبدا
يكون من جهة التاثير في القوى الجسمانية والادراكات والصفات الحاصلة للنفس المدبرة من هذه الجهة وفي نفس الشيعة
وان استكملت نقص ما في التاثير بالنسبة الى نفوسهم القدسية الكاملة من كل وجه والنقص فيه يوجب النقص في التاثر منه
وذلك يوجب عدم المساواة بينهما في القوة المذكورة **قوله** لانها خلقت مما خلقنا منه وهو ان تولد ها منه وفرعيتها له وربطها
به مقتضية لميلها اليهم وحبها لهم كما يحب الولد والده ويميل اليه **قوله** ثم تلا هذه الآية كلا ان كتاب الابرار لفي عليين
لعل المراد ان المكتوب للابرار وهم المؤمنون مطلقا من الافعال الخيرية والاعمال الصالحة لفي عليين وهو ديوان اعمال
الصالحين وصحائف افعال المتقين ثم قال تفخيما لشانه وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم اى مكتوب او معلم يعلم
من رآه انه فيه خير يشهده المقربون من الملائكة اى يحضرونه ويحفظونه او يشهدون لهم على ما فيه يوم القيمة والغرض من
تلاوة الآية هو الاشارة بتعظيم كتابهم الى تعظيم شانهم ويحتمل ان يراد بعليين الجنة او اشرف المراتب واقربها من الله تعالى
او السماء السابعة وح لا بد من اعتبار الحذف في قوله وما ادراك ما عليون اى ما كتاب عليين كما يحتمل ان يراد بكتاب الابرار
ما كتب وفرض لهم من الطينة وبعليين الجنة مع رعاية الحذف لكن كلا الاحتمالين بعيد والثاني ابعد **قوله** وخلق عدونا من سجين
عدوهم من الكفرة ولا يتهم اولا يتهم احدهم او دفعهم عن مرتبتهم والمراد بسجين هنا جهنم او واديها او حجر في الارض السابعة
او ابعد المراتب من الله تعالى ولما كان عدوهم على صنفين صنف هم المتقدمون في العداوة والشرور وصنف هم التابعون لهم
فيها وكانت اوزار الاولين اكثر واعظم وعقوبتهم اشد واعظم خلق ابدانهم وقلوبهم من افتح الدركات وخلق قلوب تابعيهم مما
خلق منه ابدانهم دون ذلك ليرجح كل واحد في مرتبته **قوله** كلا ان كتاب الفجار لفي سجين آه يظهر معناه بالنظر الى ما سبق
لانه يجري فيه على خلاف ما ذكر **قوله** اما الست فاعرض كان المراد بالست كيسان ولعله كيسان بن كليب من اصحاب علي
والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي عليهم السلام وهو ايضا لقب مختار بن ابي عبيدة المنسوب اليه الكيسانية والمراد

معرفته معرفة الروية ويعدم ابنه عبد الله عدم معرفته بها او يؤيده قوله الى ولد برآة على الظلم يمكن ان يكون كناية عن عدم
ايمانه اذ لو كان مومنا لعرفهم لانهم عليهم السلم كانوا يعرفون شيعتهم واسماؤهم واسماء اباءهم كما دلت عليه الروايات
المعتبرة قوله الى ولدة بالجبل قيل المراد بالجبل كردستان بين تبريز وبغداد وهمدان وغيرها قوله فارى لرجل السمت هو
السكينة والوقار وهيئة اهل الخير والصلاح تق سمت الرجل سمتا من باب قتل اذا كان ذا سكينة ووقار وهيئة حسنة
قوله وكثرت امانة في اموال الناس وعهودهم واسرارهم قوله ثم افتشه فافتشه من عداوتكم اي بغضا ونهي بداية الى النهاية
او على عداوتكم او من عداوتكم لان حرف الجر يجي بعضها بمعنى آخر كما صرح به ائمة العربية وعلى التقادير فيه مبالغة في عداوة
اما الاول فظاهر وكذا الثاني لان على للاستعلاء واما الثالث فلانه يفيد ان التفتيش مقارن لوجدان عداوة وانما
يكون ذلك لكمالها فيه قوله وذعارة عطف على قلة او سوء الخلق وهي الفساد والفسق وسوء الخلق والخبث والفزع من كل
كريهة والاضطراب منها قوله فكيف يكون ذلك ظن ان وليه طيب وعدوه خبيث فينبغي ان يكون الامر على عكس ما
وجد فلما وجد خلافه سال عن سببه قوله فخلطهما جميعا آه وبذلك تختلف احوالهم وصفاتهم في الدنيا كما اشار اليه
بقوله فما رأيت في اولئك وحاصله ان تنافي كل واحد من المؤمن والكافر من صفات الاخر امر عرضي حصل لهما باعتبار ما
الطينتين ومجاورتهما او رائحتهما لا الاكتساب طينة الجنة وانحرافه من طينة النار وبالعكس وان الاخلاق الذميمة لا تنافي
الايمان ولا تضر والاخلاق الحسنة لا تنفع مع الكفر وان كان ذلك موجبا لنقصهما فكل يعود الى ما خلق منه قوله
المؤمنون من طينة الانبياء قد عرفت ان طينة الانبياء من الجنة وانهم مخلوقون من صفوها وخالصها وان قلوب المؤمنين
مخلوقة منه وابدانهم من ثقلها وهو دون ذلك ولا يلزم منه الجبر والاضطرار لما مر قوله في اول ما خلق من يوم الجمعة
يدل على شرافتها ورجحانه الشروع في الامر العظيم فيه وعلى حدوث آدم بارادته تعالى والايات المتكاثرة والروايات
المتواترة من طرق العامة والخاصة صريحة فيه وهو مذهب اصحاب الشرايع كلهم ومذهب جم غفير من منكريها
خلافا للدهرية القائلين بقدم نوع الانسان وانه ليس ثم انسان اول وانما هو انسان من نطفة ونطفة من انسان لا الى
اول ولاصحاب الطبيعة القائلين بان آدم حدث من تاثير النجوم او العناصر او غيرها لله من المزخرفات قوله واخذ
كل سماء تربة يمكن ان يراد بالسماء الجنة مجازا لكونها من جنة السماء او حقيقة لان السماء كل عال مظل ولذلك تسمى السقف
والسحاب سماء وكل درجات الجنة سماء لعلوها وارتفاعها بالنسبة الى ما تحتها وح يراد بالارض السجين ودركاتها
فيوافق ساير الروايات وان يراد بها هذا المحسوس المتبادر ولا يبعد ان يكون فيها تراب من جنس تراب الارض او غيره
او نقله اليها للتشريف والتكريم قوله فعلق الطين آه فلقته فلقا من باب ضرب شققته فانفلق وفلقته بالتشديد
مبالغة وفلق الشيء تحرك وتفرق سريعا والمراد بالطين الجنس الشامل للقبضتين ولما فلقه فتح القبضة تحرك ماء وشمال

قوله فانسلت القبضة الاولى بيمينه وهي طينة الكافر والمومن وانسلكها بيمينه للتشريف لان اليمين اقوى و الاشمال بالقوة والرجل بالطبع وضع

والارض

في الارض وما في يمينه في السموات فقال الله تعالى او جبرئيل عم للذي بيمينه منك الرسل الذين ياتون بالدين لو الكتاب وينادون
جبرئيل عم ويسمعون منه والانبياء المخبرين عن الله تعالى وان لم يكونوا رسلا والاوصياء لهم والصديقون المعصومون
والمصدقون للانبياء والرسل كثيرا او المطابق اعمالهم لاقوالهم والمومنون المتصفون بالايمان الكامل والمقرون بالله
واليوم الاخر والسعداء الواصلون الى الله بمجاهدات النفسانية وفوق الروحانية ومن اريد كرامته في الدنيا بالهدايات وفي
الاخرة برفع الدرجات فوجب لهم ما قال كما قال من الوعد المذكور او من قوله عز شانه واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين
فيها وقال للذي بشماله منك الجبارون الذين يكرهون قلوب الخلايق وظهورهم واصنافهم بالجور والغلبة والمشركون بالله
تعالى والكافرون الجاحدون له او لشيء من احكامه وامور الضرورية والطواغيت المجاوزون عن الحد والمقدار في العصيان
الناعقون في طرق الشيطنة والضلالة والطغيان ومن اريد هوانه وشقوته في الدنيا بسلب التوفيق في الاولى وفي الاخرة
بالاخذ والنكال فوجب لهم ما قال كما قال من الامر المذكور او من قوله عز شانه فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير و
شهيق قوله ثم ان الطينتين خلطتا جميعا وذلك آه دل على ان الفلق والذرو وقعا اولا والتخليط وقع بعدهما وذلك اشارة
اليهما باعتبار المذكور والاية الاولى استشهاد للاول والثانية للثاني قوله فالحب طينة المؤمنين آه كانه بطن الاية وظهرها
حب الزرع ونواة التمر وكلاهما دل على كمال قدرة الصانع قوله من اجل انه نأى من كل خير وتباعد عنه العطف للتفسير وكان
نأى كانت واوا بوليه صاحب مفتاح اللغة ذكره في باب النون والواو قوله فالحي المؤمن آه كما ان الحي والميت يطلقان على
من اتصف بالروح الحيواني وعلى من زال عنه كك يطلقان على من اتصف نفسه الناطقة بكمالاتها من الايمان والاخلاق و
غيرها وعلى من لم يتصف نفسه بها بل هذا الاطلاق اولى عند ارباب العرفان واصحاب الايقان لان هذه حيوة باقية
وتلك حيوة فانية قوله بكلمة وهي امره او جبرئيل عم سمي بها لانه يكلم الناس عن الله تعالى ويبلغ امره اليهم قوله فكذلك
يخرج الله جل وعز المؤمن في الميلاد آه اي كما اخرج الله المؤمن والكافر وميز بينهما حين كونهما طينا كك يخرج المؤمن في الميلاد
من الظلمة بعد دخولهما الى النور ويخرج الكافر من النور الى الظلمة بعد دخوله في النور والميلاد اخص من المولد لان المولد
الموضع للولادة والوقت والميلاد الوقت لا غير والمراد بالظلمة ظلمة الكفر او ظلمة طينة سجين وبالنور الايمان ونور طينة
الجنة وبدخول المؤمن في ظلمة الكفر كونه في اصلاب الاباء الكفرة وارحام الامهات الكافرات الى ان اخرج الله تعالى منهما
في وقت ولادته فتخلص من ظلمة الكفر ودخل في نور الايمان وقس عليه دخول الكافر في نور الايمان واخراجه منه ونظيره
من هذا الحديث ان اخراج المؤمن من الكافر وبالعكس في وقتين وقت تفريق الطين ووقت الولادة لما في طينة كل احدهما من
شائبة طينة الاخر قوله وذلك قوله عز وجل اشارة الى كون المؤمن مؤمنا وكون الكافر كافرا قبل اخراجهما او استشهاد له
اي يدل على ذلك قوله عز وجل لينذر اي القران والرسول من كان حيا بروح الايمان ويحق القول اي كلمة العذاب على الكافرين

فان فی لفظ کان دلالة علی ثبوت الحیوة بالایمان واستمرارها فیجاب المانحی قبل الانذار وفی لفظ الکافرین اشعار بثبوت
الکفر واستمراره کما قبله قوله بل هو اکثر وفیه زیادة وقوع التکلیف الاول یفهم من الروایات ان التکلیف الاول وهو ما وقع
قبل التکلیف فی دار الدنیا بارسال الرسل وانزال الکتب المتعدد الاول کان فی عالم الارواح الصرف الثانی کان وقت تخمیر
الطینة قبل خلق آدم منها الثالث کان بعد خلق آدم حین اخرجهم من صلبه وهم ذریته یمینا وشمالا وکل من اطاع فی هذه
التکالیف الثلثة فهو یطیع فی تکلیف الدنیا وکل من عصی فیها فهو یعصی فیه وهنا تکلیف خامس یقع فی القیمة وهو مختص
بالاطفال والمجانین والشیوخ الذین ادرکوا النبی وهم لا یعقلون وغیرهم فی ذکری عکس قوله لو علم الناس کیف ابتدأ الخلق
خلق الله الارواح بعد توافقها فی فطرة الایمان علی مراتب متفاوتة فی الایمان والکمال والادراک وخلق الاجساد من مواد
مختلفة بحسب اختلاف الارواح فیما ذکر ووضع کل واحد منها فیما یلیق به ولو علم الناس کیفیة تلک المراتب وکیفیتها وتفاوتها
فی قبول الکمال ما اختلف اثنان ولا یعیر صاحب الکمال صاحب النقص وهذا الاثنانی تغیر من بدل فطرته الاصلیة و
غیر استعداده الذاتیة بسوء اعماله وقبح افعاله وترک السعی فیما خلق له وطلب منه ویلیق به وذم الشرع کلها من بعد القبیل
قوله قال کن ماء عذبا اه کلمة کن اشارة الی ارادة وجود ما فیه حکمته ومصلحته وقدرته علیه من غیر لفظ ولا صوت ولا
نداء ویفهم منه ان الماء العذب اصل المؤمن ومنه شرافته ولینته وان الماء الاجاج وهو بالضم الماء الملح الشدید الملوحة
اصل الکافر ومنه خساسته وغلظته وامتزاج المائین سبب لتحقق القدرة علی الخیر والشر والقوی القابلة للضدین و
تولد المؤمن من الکافر وبالعکس لما فی احدهما من اجزاء الاخر وصفاته ورائحته وقد مر شئ من سر الامتزاج آنفا ولعل
الجنة والنار من المائین اشاره الی ان انهار الجنة وطراوة اشجارها من الماء الاول ومیاه النار ونمو اشجارها کالزقوم من
الماء الثانی قال الله تعالی انها شجرة تخرج فی اصل الجحیم طلعها کانه رؤس الشیاطین قوله ثم اخذ طینا من ادیم الارض
المراد بالطین ما امتزج بالمائین وخمرهما کما سیجئ وبادیم الارض ما ظهر منها او بالارض ما یشمل ارض الجنة وارض النار و
الغرض من عرکه وذکر اخراج مادة کل من المؤمن والکافر من الاخری وتمیزها عنها واخراج کل واحد منهما من مادة کما
اشار الیه بقوله فاذا هم کالذر یدبون وجه التشبیه الصغر والحرکة فقال لاصحاب الیمین الی الجنة ای سیروا الی الجنة
متلبسین بسلام منها او برکات او سالمین من الموت والافات وقال لاصحاب الشمال الی النار ولا ابالی الاعتناء لعدم
بهم ثم امر نارا فاسعرت ای اتقدت واشتعلت فقال لاصحاب الشمال ادخلوها الی آخره والغرض من هذا التکلیف ابراز
المعلوم ولعلها لانطباق علمه به والمتمثل بالتکلیف فی هذا الدار هو المتمثل بهذا التکلیف والراد هو الراد والتطابق بین
الامتثالین وعدمها لازم کما اشار بقوله فثبتت الطاعة والمعصیة فلا یستطیع هؤلاء ان یکونوا من هؤلاء ولا
هؤلاء من هؤلاء ولیس عدم استطاعتهم نظرا الی ذواتهم بل بالاخر فلا ینافی تکلیفهم فی عالم الشهود لتکمیل الحجة علیهم

قوله

قوله واذ اخذ ربک من بنی آدم من ظهورهم ذریتهم من ظهورهم بدل من بنی آدم بدل البعض من الکل والمراد باخذ الذریة
من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا بعد نسل واشهادهم علی انفسهم فان مولود الکل کانت موجودة فی صلب
آدم علی ترتیب وجودهم فی هذه النشأة واخراجهم من ظهور بنی آدم اخراج من ظهر آدم وصلبه فلا ینافی ما
دل علی ان الاخراج من ظهر آدم وصلبه ویؤیده ما نقل عن ابن عباس من انه تعالی لما خلق آدم مسح ظهره فاخرج
منه کل نسمة هو خالقها الی یوم القیمة فقال الست بربکم قالوا بلی فنودی یومئذ جف القلم بما هو کائن الی
یوم القیمة وروی ان الذریة کانت فی صورة انسان علی مقدار الذرة وقال محمد بن جریر الطبری ان آدم لما
نزع من جنة ونام فی وادی النعمان وهو واد خلف جبل عرفات اخرج الله تعالی ما کان فی صلبه من ذریته الی
یوم القیمة فرآهم آدم ع فمن کان فی یمینه کان من اهل الجنة ومن کان فی یساره کان من اهل النار وقال جماعة
منهم صاحب الکشاف ان قوله الست بربکم وقالوا بلی شهدنا من باب التمثیل والتخییل ومعنی ذلک انه نصب لهم
الادلة علی ربوبیته ووحدانیته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التی رکبها فیهم وجعلها ممیزة بین الضلالة و
الهدی فکانه اشهدهم علی انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربکم وکانهم قالوا بلی انت ربنا شهدنا علی انفسنا واقررنا
بوحدانیتک وباب التمثیل واسع فی کلام الله ورسوله وکلام العرب وقال بعضهم ان اخذ الذریة یعود
الی احاطة اللوح المحفوظ بما یکون من وجود هذا النوع باشخاصه واستقصاءه بذلک عن قلم القضاء الالهی ونزل
تمکین بنی آدم من العلم بربوبیته بنصب الدلایل والاستعداد فیهم وتمکینهم من معرفتها والاقرار بها منزلة الاشهاد
والاعتراف تمثیلا وتخییلا لا اخراج ولا اشهادة ولا قول ولا اقرار ثم حقیقة والفرق بین هذین القولین
ان الاخراج علی سبیل الحقیقة والاشهاد والجواب من باب التمثیل فی الاول وکلیهما من باب التمثیل فی الثانی
والحق ان الاخراج والاشهاد والاقرار واخذ المیثاق بالمعانی المذکوره کلها واقعة لانه تعالی اخرجهم و خاطبهم
بقوله الست بربکم واجابوا بلی حقیقة ولا بعد فیه نظرا الی قدرته القاهرة وانه تعالی جعل فیهم قوة یقتدرون بها
علی معرفته وتوحیده نظرا فی آیاته وعلی الخروج عما فیهم من قوة الکمال والتکمیل الی الفعل فکان خلقهم علی هذا
الوجه مشابها بالاخراج والعهد والمیثاق فحسن اطلاق الاخراج والمیثاق علی هذا الوجه علی سبیل التمثیل و
هو العهد القدیم والعهد الاول بل لا یبعد اطلاق العهد القدیم علی علمه تعالی بما فیهم من تلک القوة ثم ان بعضهم
بعد الوجود العینی نقضوا المیثاق وابطلوا تلک القوة والفطرة وانکروا ما اقروا به بلسان تلک القوة بعوامل ازالتهم
النفسانیة والوساوس الشیطانیة هذا او تفسیرهم بدل ظاهر علی ان اخراج الذریة من الطینة التی هی مبدأ
خلق آدم ع وفی انطباقه علی ظاهر الآیة خفاء ویمکن ان یقال ان بنی آدم کانوا کامنین فی طینة آدم فکانهم اخرجهم

منها اخراجها من ظهور بنی آدم واخراجها من ظهر آدم ایضا ویقال للامیر ظهر وبطن وما ذکره عم تفسیر لبطنها والله یعلم
قوله ان الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة القابض جبرئیل عم ونسبته الی الله تعالی مجاز باعتبار انه
الامر والتراب مضاف الی التربة او التربة بدل من قبضه ولعل المراد بها التربة السماویة والارضیة بدلیل
ما سبق قوله فعرکها عرکا شدیدا عرک مالیدن قوله فخرجوا کالذر من یمینه وشماله تعلقت باصحاب الیمین و
الارواح المطیعة علی تفاوت درجاتهم فی الطاعة والعزم والانقیاد وباصحاب الشمال الارواح العاصیة
کذلک فوضع کل روح فی موضع یناسبه ولو لم یضع کذلک لوقع الجور وهو منزه عنه قوله وامرهم جمیعا ان تقعوا
فی النار آه من امتثل بامره فی ذلک الوقت فهو مؤمن حین کونه فی اصلاب الاباء والارحام الامهات وحین تولده
وحین کونه فی هذه النشاة وحین موته وبعده ابدا به بحزله وقاو عشق نبرد به بران زاد وبران بود وبران مرد قوله
ارسل الماء علی الطین لعل المراد بالماء الماء العذب والماء الاجاج فاما الطینة طین علیین وطین سجین کما مر قبل
تخصیص هذین العنصرین دون ذکر الباقیین لانهما الاصل فی تکوین الاعضاء المشاهدة التی تدور علیها صورة
للحقیقی الانسانیه المحسوسة قوله ثم فرقها فرقتین بیده ذهب اهل الحق الی انه تعالی لیس بجسم وانه لیس له ید بمعناها
وانه یجب صرف الید عن ظاهرها المحال علیه ثم اختلفوا بعد ذلک فمنهم من حمل الید علی صفة لا نعلمها وقالوا
الایمان بها واجب وصرف علم حقیقتها الی الله ومنهم من اولها بالقدرة فالمعنی انه ثم فرقها فرقتین بقدرته وکنی عن ذلک
بالید لانه بها نحن نفعل بخوطب الخلق بما یفهمونه واخرج المعقول الی المحسوس لیمکن المعنی فی النفس وهذا خلاف
یجری بینهم فی کل ما نسب الیه سبحانه مع استحالة ارادة الظاهر منه قوله فامر اهل الشمال ان یدخلوها آه یحتمل ان یراد
بالشمال والیمین شمال جبرئیل عم ویمینه والمراد باهلهما من خلق من الطینة التی کانت فی شماله ویمینه یعنی طینة
النار وطینة الجنة وان یراد بهما جهة العلو والسفل علی سبیل التمثیل لان العلو اشرف من السفل کما ان الیمین اشرف
من الشمال فاهل الشمال من ذهب الی جهة السفل واهل الیمین من ذهب الی جهة العلو وان یراد بهما اهل الاهانة واهل
الکرامة علی سبیل التشبیه فان من کان فی شمال الملک کان من اهل الاهانة ومن کان فی یمینه کان من اهل
الکرامة والمال واحد فان من کان فی شمال جبرئیل کانت حرکته الی جهة السفل وکان من اهل الاهانة ومن کان فی
یمینه کان بالعکس قوله فهابوها ولم یدخلوها فعاصوا بعد التعلق بالابدان الصغیرة او المثالیه کما عاصوا قبله فی
عالم الارواح الصرفة وکما یعصون بعد التعلق بهذه الابدان الکثیفه الجسمیة قوله وخلق منها آدم عم فاسکن النفس
فی صلبه فلذا یخرج منه المؤمن والکافر وقد یکون للمؤمن الاخلاق الذمیمة والاعمال الباطلة وللکافر الاخلاق
الحسنة والاعمال الصالحة لملابسة طینة کل منهما بالاخری واکتساب بالجهة قوله فلن تستطیع هؤلاء آه لا نزوا

فی علم الله تعالی وانطباق حالهم فی هذا العالم علی حالهم فی ذلک الوقت والعلم تابع المعلوم بمعنی انه لما کان هذا کان ذلک
دون العکس وهذا معنی عدم استطاعتهم علی البدل والتغیر ولا یلزم منه الجبر قوله ان کان للرحمن ولد فانا اول
العابدین لکونه اول من امتثل بامره بالدخول فی النار وبالاقرار فی الربوبیة ویکل حق وصدق فوجب ان یکون
اول من یعتقد له ولدا لو کان له ولد فلما لم یعتقد بانتفاء علم انه لیس له ولد ویفهم منه ان جزاء الشرط محذوف
وان المذکور تعلیل له قایم مقامه ای لو کان للرحمن ولد فانا اول من یعترف لانی اول العابدین قوله باب آخر منه
هذا الباب مثل السابق الا انه یذکر فیه شیئا من تفاصیل التکلیف الاول واختلاف الخلق وحکمة ذلک الاختلاف و
غیر ذلک مما یظهر بالتامل قوله فاخذ طینا من ادیم الارض ای طینا مختلفا بالمائین وبذلک التخمیر یتحقق القدرة علی
الخیر والشر فی الکل کما اشرنا الیه اذ لو وقع التخمیر من العذاب فقط لم یکن قدرة علی الشر ولو وقع من الاجاج
فقط لم یکن قدرة علی الخیر وبالجملة الحکمة فی ایجاد هذا النوع وامتحانهم بالتکالیف یقتضی التخمیر بالمائین قوله فعرکه
عرکا شدیدا فخرجوا کالذر یدبون یمینا وشمالا وحذف لدلالة سوق الکلام علیه قوله الی الجنة بسلام متعلق
یقال لابید بون وقد مر تفسیره قوله قالوا بلی شهدنا ان یقولوا بل تصدیق بالربوبیة وشهادة بالوحدانیة و
ان تقولوا مفعول له ای فعلنا ذلک من اخراجکم واشهادکم علی انفسکم واخذ المیثاق علیکم بالربوبیة کراهة ان
تقولوا یوم القیمة انا کنا عن هذا غافلین ولم ینبهنا علیه احد وتقولوا انما اشرک اباؤنا من قبل وکنا ذریة من
بعدهم فاقتدینا بهم اتبعنا آثارهم اذ لا عذر لهم فی الاعراض عن التوحید والتمسک بالتعلیل والاقتداء بالاباء
بعد تنبیههم علیه کما لا عذر لاباءهم فی الشرک قوله قالوا بلی ای قال النبیون کلهم بلی واما غیرهم فقال بعضهم
بلی فی الرسالة والولایة دون بعض کما دلت علیه الروایات فی هذا الکتاب وغیره قوله فثبت لهم النبوة دل علی
ان ثبوتهم قبل اخذ المیثاق علیهم برسالة محمد صلعم و لا یه امیر المؤمنین صلوات الله علیه کانت فی جزء
البدء وصارت فیما بعده بالاقرار قوله واخذ المیثاق علی اولی العزم هم خمسة نوح وابرهیم وموسی وعیسی
ومحمد صلعم لتاکد عزمهم فی امر الدین ولمجی کل لاحق بعزیمة نسخ کتاب سابقه وشریعته ولعل المراد بهم هنا الاربعة
الاول بقرینة اخذ المیثاق علیهم لرسالة خاتم الانبیاء قوله واعبد به طوعا وکرها کما قال الله جل شانه لیظهره
علی الدین کله ولو کره المشرکون وقال محیی الدین فی الفتوحات اذا ظهر المهدی علیه السلم یرفع المذاهب عن
الارض فلا یبقی الا الدین الخالص واعداؤه یدخلون فی دینه وتحت حکمه کرها خوفا من سیفه ولو لا ان السیف بیده
لامر الفقهاء بقتله ولکن الله یظهره بالسیف والکرم فیطیعون ویخافون ویقبلون حکمه من غیر ایمان ویضمرون خلافه
ویعتقدون فیه اذا حکم فیهم بغیر مذهبهم انه علی ضلال فی ذلک کلامه طویل اخذنا منه موضع الحاجة قوله
ولم یجد له عزما ولم یقر ای لم یجد آدم عهد المهدی عم قلبا ولم یقر به لسانا بل اقر به قلبا ولم یقر به لسانا للتوطئة وتاسفه

بضلالة اكثر اولاده وبما يرد عليهم من القتل والقهر لما بين الاب والاولاد من الروابط العظيمة المقتضية لتاسفه
بما يرد عليهم وان كان راضيا بقضاء الله وحكمه وعلى هذا كانه لم يكن له عزم تام على الاقرار به اذ لو كان له ذلك
العزم كما كان لاولى العزم من الرسل لاقر به كما اقروا واما قوله فنسى معناه فترك الاقرار به لسانا او فترك العزم
على الاقرار به وليس المراد به معناه الحقيقي فليتامل **قوله** يا رب ما اكثر ذريتي ولامر ما يجب في كثرتهم مع جمعها سببها
وماى امر ما صغر اى لاى امر اى امر خلقتهم قال يا آدم يا رب فما لي ارى بعض الذر اعظم من بعض اى اعظم مقدارا
واعظم قدرا ورتبة فقوله وبعضهم له نور الى آخره على الاول كالتاسيس وعلى الثاني كالتاكيد ومجمل في هذا الخبر
ان آدم عم لما راى اختلاف ذريته في غاية الكمال بحيث لا يكاد تشترك اثنان منهم في حال من الاحوال ولم يعلم سبب
ذلك الاختلاف سال عن سببه فاجاب عز شانه بانهم خلقتهم كذلك لاجل الابتلاء ثم عاد وقد بان خلقتهم كذلك
يوجب بينهم التنافر والتباعد والتباغض والتحاسد وان اتحادهم في جميع الاحوال يوجب رفع هذه المفاسد
وتحقق نظامهم والسؤال الاول نشا من روحه القدسية الالهية الناظرة في حقايق الاشياء وصفاتها
ومنافعها ومضارها والسؤال الثاني تكلف نشا من قوله الجسمانية وموادة الطبيعية بتوهمات دايرة وخيالات
باطلة اذ التساوي في الغنى والفقر واللون او المقدار او الشكل او العمر مثلا لا يوجب رفع المفاسد المذكورة بل
يوجب رفع الحكمة في التكليف والابتلاء وذلك نقص في العلم والتقدير والتدبير في ايجاد هذا النوع وابتلائهم
اذ الابتلاء في صورة الاختلاف اشد واعظم والامتثال بالتكاليف ح ارفع وافخم والثواب المترتب عليهما اجل و
اتم الا ترى ان صبر الفقير على الفقر مع مشاهدة الغنى في غيره اعظم من صبره مع مشاهدة الفقر في جميع بني
نوعه ولذلك قيل اذا عمت البلية طابت وان ابتلاء الغنى بالشكر مع تحقق الفقر في غيره اعظم من ابتلائه مع
تحقق الغنى في جميع بني نوعه اذ له على الشكر في الصورة الاولى بواعث شتى وفي عليه جميع الاحوال المتقابلة
قوله لكن خلقتهم اى كون بعضهم اعظم من بعض لاجل الابلوهم وفي بعض النسخ لذلك اى لان يعبدوني لا يشركوا بي
شيئا او لاجل الاختلاف خلقتهم كما قال لاجل شانهم لا يزالون مختلفين ولذلك خلقهم **قوله** تكلم فاذ روحك
روحي آه لعل المراد بالروح الاول النفس الناطقة الناظرة الى عالم الملكوت والملك وبالروح الثانية جبرئيل عم
لانه روح الله الامين ونسبته اليه تعالى ظاهرة ومن ح ابتدائية او وجود الله تعالى وفيضه على آدم وانما كان ذلك
روحا لانه مبدا لكل حيوة فهو الروح الكلية التي بها قوام كل حيوة وحيوة كل موجود ونسبته اليه ظاهرة و
من ح للابتداء او للتبعيض او ذاته المقدسة والمقصود انه تعالى خلق روحه من عنده ذاته المجودة بمجرد المشية بلا
توسط مادة كالتراب ونحوه من المواد الجسمانية والمراد بالكينونة الوجود وبالطبيعة المواد الجسمانية مثل
الحواس الظاهرة والباطنة التي جعلت في الانسان ليستعملها على القوانين العدلية ويسعد بها في السير الى حضرة القدس

وكونها

وكونها على خلاف وجوده تنتظاهر لتنزهه عن العالم الجسماني وفيه تنبيه على ان التكلم قد يكون صوابا اذا
كان المقتضى له هو الروح المجردة وقد لا يكون اذا كان المقتضى هو الطبايع الجسمانية فانها قد تقع في الغلط و
التوهم الفاسد وقد وقع في السؤال المذكور كلا الامرين **قوله** فلو كنت خلقتهم على مثال آه لعله عم علم تفاوت
الاعمار والارزاق بالالهام واما ما سواهما من الامور المذكورة فقد علمه بالمشاهدة **قوله** وجبلة واحدة الجبلة
بكسر الجيم وسكون الباء وشد اللام الخلقة ومنه قوله تعم والجبلة الاولين **قوله** قال الله عز وجل يا آدم بروحي نطقت
اضافة الروح اليه سبحانه للاختصاص باعتبار انه من عالم الامر وعالم المجردات الصرفة ومن شانها التحويل الى
طلب المجهولات فلذلك نطقت في هذا المقام عند رؤية الاختلاف العظيم في الذرية مع عدم العلم بسببه ولما التكليف
السؤال بان خلقتهم على مثال واحد الى ما ذكر انسب بنظامهم واقرب في رفع الفساد بينهم فتستند الى ضعف طبيعة و
معارضة قواه الجسمانية للقوة الروحانية وغلبتها عليها بتوهم ان الاتحاد في الامور المذكورة موجب للاتحاد
والالفة بينهم وهذا امر مطلوب والحكمة تقتضي رعايته وهذا التوهم فاسد لان التماثل في الطبيعة يوجب زوال
نظامهم وانقطاع نسلهم لان التماثل يوجب اشتغالهم بصنعة واحدة من الصنايع الجزئية التي لها مدخل في تحقق
النظام وبقاء النوع بخلاف الاختلاف فانه يوجب اشتغال كل واحد بما يناسبه ويستعد له من الصناعات
فتحقق النظام المشاهد وبقاء النوع والتماثل في الفقر والغنى وغيرهما لا يوجب عدم البغي والتحاسد والتباغض و
وغيرها من المفاسد وعلى تقدير ايجابه فهي حكم لا قدر لها في جنب حكم الاختلاف وهي ابتلاؤهم في مقام
التكليف الموجب لرفع مقاماتهم في دار الاخرة **قوله** وانا الخالق العليم تعريف الجزئين للحصر وفيه تنبيه على
انه لا ينبغي السؤال عنه في خلقه وايجاده للاشياء على ما هي عليه عند خفاء الحكمة بل يجب الاذعان بان كل
ما خلقه على اى وجه خلقه فهو احكم واتقن وافضل واحسن من غيره في ذلك الوجه لكونه خالقا عليما وصانعا حكيما
لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة البالغة فالقول بان في خلافه حكمة فاسد اما باعتبار ان هذه الحكمة حكمة وهمية لا
تحقق لها في نفس الامر او باعتبار انها حكمة ضعيفة لا قدر لها عند تلك الحكمة البالغة **قوله** بعلمي خالفت بين خلقهم
اى خالفت بين خلق ابدانهم وقلوبهم وطبايعهم وغيرها بسبب علمي بحالهم ومصالح الاختلاف قبل خلقهم و
والحاصل انه سبحانه لما علم ازلا تفاوتهم في الطاعة والعصيان والكمال والنقصان وخلق ابدانهم وصورهم واشكالهم
وقت الميثاق على قدر تفاوتهم وتفاوت مراتبهم فوضع كلا في موضعه وهو العدل الحكيم ويمضي في هذا العالم و
هو عالم الظهور بامره الذي هو الاختلاف المقدر في ذلك الوقت او امره التكويني على النحو المشاهد بمجرد مشيته
وارادته وهم صايرون الى ما دبر من عاقبة امورهم والى ما قدر لهم من الجنة والنار لا تبديل لخلق الله فمن حسنت احواله

فی ذلک الوقت حسنت احواله فی الدنیا ومن حسنت احواله فی الدنیا حسنت احواله فی الآخرة ومن قبحت احواله فی ذلک
الوقت قبحت احواله فی المواطنین الاخرین لاستبدل هولآء لاهولآء ولاهولآء الی هولآء **قوله** ومشیتی بمقتضی
امری ای امر الاختلاف او امر التکوین یمعنی فیهم بمجرد المشیة التابعة للحکم والمصالح کما اشرنا الیه **قوله** والتدبیر
وتقدیر خاص وهو التدبیر فی الامر ان ینظر الی ما یؤول الیه عاقبته وبالفارسیه صلاح اندیشیدن دو کار و
تقدیر اندازه کردن و اندازه چیزی نگاه داشتن و آفریدن و واجب کردن **قوله** انما خلقت الجن والانس لیعبدون
الی ان غایة خلق السموات والارض والدنیا والاخرة والجنة والنار هی خلق الثقلین وان غایة خلقهما هی الثواب والعقاب
والاکرام والاهانة وان ذلک موقف علی الطاعة والمعصیة وهما یتوقفان علی التکلیف والابتلاء بین ان التکلیف و
الابتلاء وکلاهما یتوقفان علی الاختلاف المذکور فقد ثبت ان الحکمة تقتضی للاختلاف فلیتأمل **قوله** من غیر فاقة
بی الیک والیهم لان الفاقة تابعة للعجز والنقص او مقتضیة لهما او قدس الحق منزه عنهما **قوله** لابلوک وابلوهم ای
وایاهم معاملة المختبر فهو من باب التمثیل لقصد الایضاح والتنویر وقوله ایکم احسن عملا معمول للبلوی باعتبار
تضمینه معنی العلم والنفع والضر فی الاختیار یعودان الی الغیر لا الیه سبحانه **قوله** والطاعة والمعصیة لسناد
الیه جعل شانه اسناد الی العلة البعیدة او المراد به جعل المعصیة معصیة والطاعة طاعة او المراد بالخلق التقدیر
قوله والجنة والنار دل علی انهما مخلوقتان لان ذهب الیه المحقق فی التجرید وهو مذهب الاکثر والایات والروایات
شواهد صدق علیه وذهب کثیر من المعتزلة الی انهما غیر مخلوقین وانما تخلقان یوم القیمة **قوله** وکذلک اردت
ای کون الغرض من خلقهم هو الابتلاء والاختیار اردت فی تقدیری وتدبیری لهم علی النحو المختلف او المکنات
وصفاتها یعنی ان الغرض فی تقدیری ممکنات وتدبیری فیها هو اختبار الثقلین **قوله** فجعلت منهم الشقی والسعید و
البصیر والاعمی السعید من عرف ربه وسلک سبیله حتی وصل الیه والوصول هو الغایة العظمی للسعادة بل
هو عینها ولا یحصل ذلک الا بمجاهدة علی القوة الشهویة والعصبیة وغلبته علیهما وبمنعهما من الاخلاق الرذیلة و
الشقی من لم یعرفه ولم ینکره او انکره او اعرفه ولم یسلک سبیله سواء وقف فیه او رجع عنه وجعله وراء ظهره
او مال عنه یمنة ویسرة فالسعید صنف واحد والشقی اصناف لاتحاد طریق الحق وکثرة طریق الباطل والظاهر
ان المراد بالبصیر والاعمی واجد نور الباصرة وفاقده ویمکن ان یراد بهما واجد نور البصیرة وفاقده **قوله** والجمیل والدمیم
الجمیل الحسن الوجه والهیئة وجمل الرجل بالضم والکسر فهو جمیل وامراة جمیلة والدهم الاسود والقبیح المنظر والدمیمة
من الدهمة وهی السواد ومنه الفرس الادهم اذا اشتد سواده حتی ذهب بیاضه **قوله** ومن به الزمانة ومن لا عاهة به
الزمانة الافة والعاهة فعله بفتح العین ومعناها وفی المصباح زمن زمنا وزمانة فهو زمن من باب تعب وهو مرض یدوم

زمانا

زمانا طویلا **قوله** فینظر الصحیح الی الذی به عاهة اه اختبر الصحیح بذی العاهة وبالعکس ولو کانوا کلهم اهل الصحة
فات الحکمة الاولی وهی الحمد وبالعکس علیه ولو کانوا کلهم اهل العاهة فات الحکمة الثانیه وهی الدعاء والصبر علی
البلیة والترغیب فیهما بل فات الحکمتان فی کلتا الصورتین ولیس المراد بالحمد الحمد القولی فقط بل المراد الحمد مطلقا
کان او فعلا بان یصرف لسانه فی انواع الثناء وقوته فی انحاء الطاعات وجوارحه فی اقسام العبادات وقلبه فی التفکر فی
الله وفی مظاهره وآثاره وکذلک اختبر الغنی بالفقیر وبالعکس لینظر الغنی الی الفقیر فیحمد الله ثم علی ما اعطاه وانعم
امنع منه الفقیر ویشکره بالظاهر والباطن وباداء الحقوق المالیة وینظر الفقیر الی الغنی فیدعوه ویسأله العطیة و
للاختلاف فی الغنی والفقر فایدة اخری هی انتظام امورهم فی التمدن والاجتماع اذ لو کان کلهم غنیا لما خدم بعضهم بعضا
ولو کان کلهم فقیرا لما حصل نفع فی مقابلة الخدمة فیفضی ذلک الی ترکها وعلی التقدیرین یلزم بطلان النظام وانقطاع
النوع وفساد اسباب الحیوة من الزراعة والخیاطة والحیاکة وغیرها من الصناعات الجزئیه وکذلک اختبر المؤمن بالکافر
وبالعکس لینظر المؤمن الی الکافر فیحمد الله علی ما هداه الیه ووفقه وینظر الکافر الی المؤمن وحسن ظاهره وباطنه فیرجع
عن الکفر ویتوب ولم یذکره لعدم الاعتناء بشانه ولما ذکر جملة من حکم الابتداء والاختیار علی سبیل التفصیل اشار
الی البواقی علی سبیل الاجمال بقوله فلذلک خلقتهم لابلوهم فی السراء والضراء الی آخره لان حلها لا کلها مندرج فیه
کما یظهر بالتامل **قوله** وانا الله الملک القادر اشار بلفظ الله الی انه کامل من جهة الذات والصفات الذاتیه والفعلیة و
للدلالة علی انه کل ماله من الصفات علی وجه الکمال فلا یکون خلقه علی وجه الاختلاف عبثا لان العبث نقص
والنقص علی الکامل من جمیع الجهات محال وبلفظ الملک الی انه مسلط علی جمیع الممکنات فلا یتعذر علیه العجز عن ایجاد
ما اراد فلو کانت الحکمة فی غیر الاختلاف لاراده بلا مانع ولما لم یرد علم انها فی الاختلاف وبلفظ القادر الی انه
لیس بموجب لایقدر علی ایجاد الضدین کالفقر والغنی والعجز والسقم وغیر ذلک وهذه حکم اخری لاختیار الاختلاف
والی ان فعله مسبوق بالارادة والفعل الارادی لا یکون الا لحکمة ومصلحة وهذا القدر کاف فی الاذعان بان الاختلاف
فی خلقه لا یخلو عن حکمة وان لم یعلم تفاصیلها **قوله** ولو ان امضی اه اشارة الی انه یجوز البداء فی بعض المقدرات والمدبرات و
وقد مر فی آخر کتاب التوحید تفسیر البداء ومواقع جوازه وهی ما لم یبلغ الامضاء والحتم مثلا اذا قدر صحة زید او سقمه
او غناه او فقره او طول عمره او قصره تقدیرا غیر حتمی مشروطا بالتصدیق او صلة الرحم او الدعاء او بعدمها جاز
البداء والتغییر **قوله** وانا الله الفعال لما یرید هو فعال لانه یفعل کل ما یرید علی وجه یرید بلا منازع ولا مدافع و
علی وجه احسن بحیث لو اجتمع العقلاء علی ان یزیدوا او ینقصوا لطلب الزیادة الحسن لما قدروا ومن توهم امکان الاحسن
فی بعض اجزاء العالم فهو غافل عن المصالح الکلیة والجزئیة وفیه تنبیه علی ان له الامضاء والتغییر والتقدم والتاخیر

لعل المبالغة في العقل قوله لا اسأل عما افعل لانه لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة والحكيم على الاطلاق لا يسأل عما يفعل
بخلاف غيره فانه يسئل عما يفعل هل هو موافق للحكمة ام لا قوله ان الله عز وجل خلق الخلق فخلق من احب تا آخره
لعل المراد بالخلق الخلق الجسماني بقرينة السياق ومحبته تعالى للعبد عبارة عن احسانه واكرامه وافضاله ولطفه
وهي تابعة لطاعة العبد اياه ثم المحبة سبب لزيادة القرب حتى يصير العبد بحيث لا ينظر الا اليه ولا يتكل الا عليه فيصير
فعله كفعله كما يدل عليه حديث التقرب بالنوافل ويجيء مشروطا ان شاء الله تعالى ومن ثمة انه اذا علم طاعة الارواح
الانسانية خلق لها ابدانا من طينة الجنة ليكون ذلك معينا لها في فعل الخيرات وهذا بداية التوفيق والاحسان ومن
بغضه انه اذا علم عصيانها خلق لها ابدانا من طينة النار وسلب عنها توفيقه فيبعثها ذلك الى المبالغة في الشرور وهذا
بداية الاضلال والخذلان قوله الم تر الى ظلك في الشمس شيئا وليس بشيء شبه الظلال بظلك في الشمس واشار الى وجه
التشبيه بانه شيء باعتبار وليس بشيء باعتبار آخر وقد ذكرنا سابقا ان التكليف الاول وقع مرتين مرة في عالم المجردات الصرف
وهو عالم الارواح ومرة في عالم المثال وهو عالم الذر المخرج من الطينة ويمكن ان يكون المراد بالظل هنا هو الاول ولكن
لما كان تصور عالم المجرد الصرف صعبا في اكثر الاذهان عبر عنه بالظل لقصد التفهيم والتسهيل مع المشاركة في عدم الكثافة
اذ لا كثافة في المجرد الصرف كما لا كثافة في الظل ويمكن ان يراد به عالم الذر المباين لعالم الاجسام الكثيفة وهو يحكي
عن هذا العالم وشبهه وليس منه فهو ظل بالنسبة اليه وهذا انسب بقوله ثم بعثهم في الظلال فانه يفيد ظاهرا ان
بعثهم فيه بعد خلقهم من طينة الجنة وطينة النار وحمله على الاول يحتاج الى تكلف بعيد فليتامل واعلم ان الارواح
المجردة الكاملة اعني ارواح خاتم الانبياء والاوصياء عليهم السلام خلقت قبل ارواح ساير البشر وطينتهم كما اشار
اليه امير المومنين صلوات الله عليه في بعض خطبه ان القدير اياك انا شجرة بها ودوحة انا ساقها واني من احمد بمنزلة
الضوء من الضوء كنا ظلالا تحت العرش قبل البشر وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر اشباحا خالية لا اجساما
نامية وفيه اشارة الى ان الكمالات التي حصلت لنفسه القدسية بواسطة كمالات نفس النبي صلى الله عليه وآله فشبه ذلك بصدور الضوء
من الضوء كشعلة مصباح اقتبست من مصباح آخر ومن العادة في عرف المجودين تمثيل الشريفة بالانوار والاضواء لكمال
المشابهة بينهما في حصول الهداية عنهما مع لطفها وصفائها والحكم انهم ارواحا مقدسة موجودة تحت عرش الحق او
علمه قبل جميع الخلايق وعبر عن نفوسهم الطاهرة بالاظلال على سبيل الاستعارة للتنبيه على انهم مرجع جميع الخلق
بعد وجودهم كان ظلالا قوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله اي ليقولن خلقنا الله والله خلقنا على اختلاف
في تقديم المحذوف وتاخيره والمشهور الاول يعني لو سألتهم عن ذلك لاضطروا الى الجواب المذكورة بمقتضى العهد
الميثاق قوله وما كانوا ليومنوا بما كذبوا به اي ما كانوا ليومنوا في هذه النشأة بعد بعث الرسول اليهم بما كذبوا به من قبل

هذه

١٠

هذه النشأة عند اخذ الميثاق اذ التصديق والتكذيب فيها تابعان للتصديق والتكذيب ثمة فمن صدق صدق
ومن كذب كذب لا تبديل لخلق الله قوله اني كنت اول من آمن بربي واول من اجاب آه لعله سبق من حيث الوجود لان
روحه خلقت قبل الارواح كلها واسبق من جهة الاقرار بالربوبية لانه اقر بها حين وجوده منفردا او اقر بها قبل الجميع
عند اخذ الميثاق ونظيره ما ذكرنا ان العطف في قوله واول من اجاب للتاسيس دون التفسير والتاكيد واما تأخيره
في هذه النشأة فلفوايد يعلمها الله تعالى وكان منها تعظيمه لان ساير الانبياء مقدمة له مخبرة لوجوده كالمقدمة للسلطان
ومنها تكميل الاديان السابقة كما قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ومنها تعظيم دينه من جهة نسخه للشرايع السابقة
ومنها تعظيم كتابه لذلك ومنها ان يكون شاهدا لتبليغ جميع الانبياء قوله تعريف النزق والخرق والطيش الاهتداء بتشديد الدال
رسيدن وفرا گرفتن والنزق والنزوق بر جهيدن وجستن نمودن وشتاب كردن وسبكى كردن والخرق بتشديد
بيرشدن وتندى نمودن والطيش بيرشدن وتندى نمودن وبخرف شدن بيرازنشانه وهذه متقاربة وكلها من
جهة الفساد في القوة الشهوية والغضبية قوله قال لا افعل حسن السمت فان السمت سمت الطريق وفي الفائق السمت اخذ
النهج ولزوم المحجة وسمت فلان الطريق يسمت ويسمت يعني من باب نصر وضرب ثم قالوا ما احسن سمته ثم قالوا
احسن سمته اي طريقته التي ينتهجها في تحري الخير والتزيي بزي الصالحين وفي المصباح السمت الطريق والقصد و
والسكينة والوقار والهيبة ولما جاء السمت بمعنى الطريق كان كلام السائل يوهم ان طريق من خالف حسن مستقيم وذلك
خطأ فلذلك نهاه عن ذلك القول وامره بما هو احسن منه لان اليتيم صفة لرجل يفرح بها من نظر اليه سواء
كان من اهل الحق والباطل قوله وقار اي سكينة نفسانية وطمانينة جسمانية قوله فكان اول من دخلها محمد صلى الله عليه وآله
كما انه اول من خلقت روحه واول من خرج من طينة اليمين وسعى الى الجنة وبالجملة هو كان اولا في المواطن كلها
وفيض الحق الى الجميع قوله لم تكلم النار منهم كلاه الكلم الجرح وفعله من باب ضرب قوله واصابهم الوهج الوهج بالتحريك
حر النار حصل فيهم ما اذا سألهم اجابوه ما موصولة والعايد محذوف اي اجابوه به والمراد به القوة
الاستعدادية للنفس الناطقة القابلة للكمالات والاعمال الخيرية والنطق بحيث اذا وقع السؤال اجابوا لما
المقال وهذا تفسير آخر غير ما ذكرناه سابقا من المعاني الثلثة ان اريد به وقوع السؤال والجواب تقديرا واما
ان اريد به وقوعهما تحقيقا كما يشعر به لفظه اذا فهو عين ما ذكرناه اولا فليتامل قوله باب فطرة الخلق على التوحيد
فطرة آفريدن وآفرينش ودين والمراد هنا المعنى الاول وفي الاخبار المذكورة المعنى الاخير وعبر عنه في بعضها بالتوحيد
وفي بعضها بالاسلام وفي بعضها بالحنفاء وفي بعضها بمعرفة الرب والخالق والمآل واحد قوله قلت فطرة الله
التي فطر الناس عليها قال التوحيد الفطرة بالكسر مصدر للنوع من الايجاد وهو ايجاد الانسان على نوع مخصوص من

الكمال وهو التوحيد ومعرفة الربوبية ماخوذا عليهم ميثاق العبودية والاستقامة على سنن العدل وذهب اليه
ايضا كثير من العامة وقال بعضهم الفطرة ما سبق من سعادة او شقاوة فمن علم الله تعالى سعادته ولد على فطرة
الاسلام ومن علم شقاوته ولد على فطرة الكفر تعلق بقوله تعالى لا تبديل لخلق الله وبحديث الغلام الذي قتله
الخضر عم طبع يوم طبع كافرا فانه يمنع من كونه ولد على فطرة الاسلام واجيب عن الاول بان معنى لا تبديل لا تغيير
يعني لا يكون بعضهم على فطرة الكفر وبعضهم على فطرة الاسلام بل كلهم على فطرة الاسلام ويؤيده ما في بعض
رواياتهم عنه صلعم ما من مولود الا يولد على هذه الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه فان المراد بهذه الفطرة فطرة الاسلام
وعن الثاني بان المراد بالطبع حالة ثانية طرأت وعلى التهيؤ للكفر غير الفطرة التي ولد عليها وقال بعضهم المراد بالفطرة
كونه خلقا قابلا للهداية ومتهيئا لها لما اوجد فيه من القوة القابلة لها لا فطرة الاسلام وصوابها موضوع في العقول
وانما يمنع العقول عن ادراكها تغيير الابوين او غيرهما واجيب عنه بان حمل الفطرة على الاسلام لا ياباه العقل وظاهر
الروايات من طرق الامة يدل عليه وحملها على خلاف الظاهر لا وجه له من غير مستند قوي والله اعلم قوله فطرهم الله
حين اخذ الميثاق على التوحيد على متعلق بفطر كما يشعر به عنوان الباب وآخره فيدل على ان الفطرة ما اخذ عليهم من
العهد بالربوبية والاقرار بها وهم ذر ثم الولادة تقع على ذلك حتى يقع التغيير من الابوين او من الخيال النفس
الامارة ومزاولة الشهوات ومتابعة الشيطان قوله وفيه المومن والكافر كلام آخر لبيان ما وقع في الميثاق من ايمان
بعض وكفر آخرين لان الميثاق كما وقع بالربوبية واقروا بها كذلك وقع بالنبوة والولاية فمنهم من آمن بهما ومنهم من كفر
ثم الكفر بهما يستلزم الكفر بالربوبية ايضا يدل على جميع ذلك ظاهر كثير من الروايات قوله فطرهم جميعا على التوحيد
اي على معرفة الربوبية والاقرار بالربوبية والوحدانية والكفر به وقع بعد ذلك باختلال النفس واضلال الشيطان
قوله قال الحنيفية من الفطرة التي فطر الناس عليها وهي دين الاسلام ومعرفة الرب والاقرار به ويؤيده قوله تعالى
غير مشركين به لوقوع الشرك به بعد الفطرة لا من غير بهم روى مسلم عن النبي صلعم قال قال الله تعالى اني خلقت عبادي
حنفاء كلهم وانهم اتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم ان يشركوا بي ما لم انزل
به سلطانا احتالتهم اي ذهبت بهم وساقتهم الى ما ارادت من احتيال الشيء ذهبت وساقته وقوله احتالهم عن دينهم
صريح في ان المراد بالحنيفية دين الاسلام والاقرار بالرب قوله لا تبديل لخلق الله بان يكون كلهم او بعضهم حين الخلق
مشركين به بل كان كلهم مسلمين مقرين به قوله قال اخرج من ظهر آدم ذريته الى آخر اولاد آدم مثل اولادهم واولادهم كانوا
في ظهر آدم والله سبحانه اخرجهم ما يتوالدون قرنا بعد قرن ونسلا بعد نسل فخرجوا كالذر في الصغر والحجم فعرفهم
نفسه واراهم بالرؤية العقلية الشبيهة بالرؤية العينية في الظهور ليحصل لهم الربط به ويعرفوه في دار الغربة ولولا ذلك

المعرفة

المعرفة الميثاقية لم يعرف احد ربه في هذه الدار التي هي دار الفراق ولو لم يكن رابطة تلك المعرفة وسابقة تلك
الرابطة لحصل الفراق الكامل ومع تحقق تلك الرابطة تحقق الفراق الكلي في اكثر الناس فكيف مع عدمها قوله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله كل مولود يولد على الفطرة يعني على المعرفة بان الله عز وجل خالقه الظاهر
بالنظر الى سياق الكلام ان التفسير من كلام ابي جعفر عم وهذه المعرفة مع الفطرة في الآية المذكورة اولا وذلك
على ضبط بهذه الفطرة المجبولة والتغيير انما يعرض من خارج كاضلال الابوين او غيرهما وقال بعض العامة
كما ان البهيمة تلد بهيمة سالمة من النقص والتغيير ولا يلحقها قطع الاذن والذنب والكي والمقابح وغيرها من المقابح
الا بعد الولادة فكذلك الولد يولد سالما عن الكفر حتى يدخل عليه التغيير من امر خارج ويحمله على ما سبق عليه
في الكتاب من شقاوة وقال صاحب النهاية معنى الحديث ان الولد يولد على نوع من الجبلة وهي فطرة وكونه متهيئا
لقبول الحق طبعا وطوعا لو خلته الشياطين الانس والجن ثم ذكر ولد البهيمة نظيرا له وقال صاحب المفتاح قوله عم
كل مولود يولد على الفطرة قيل معناه الفطرة الاسلامية والدين الحق وانما ابواه يهودانه وينصرانه اي ينقلانه من ذلك قبل
دينهما وهذا التفسير مشكل ان حمل اللفظ على حقيقته فقط لانه يلزم منه ان لا يتوارث المشركون مع اولادهم الصغار
اي يهودونهم وينصرونهم واللازم منتف بل الوجه حمله على حقيقته ومجازه معا اما حمله على مجازه فعلى ما قبل البلوغ و
ذلك ان اقامة الابوين على دينهما سبب جعل الولد تابعا لهما فلما كانت الاقامة سببا جعلت تهويدا وتنصيرا مجازا
ثم اسند الى الابوين توبيخا لهما وتقبيحا عليهما فكانه قال وانما ابواه باقامتهما على الشرك يجعلانه مشركا وفهم من
هذا انه لو اقام احدهما على الشرك واسلم الآخر لا يكون مشركا بل مسلما وقد جعل البيهقي هذا معنى الحديث فقال وقد
جعل رسول الله صلعم حكم الاولاد قبل ان يفصحوا بالكفر وقبل ان يختاروا لانفسهم حكم الآباء فيما يتعلق باحكام الدنيا
واما حمله على الحقيقة فعلى ما بعد البلوغ قوله ان نطفة المومن لتكون في صلب المشرك آه اي النطفة التي يخلق منها
المومن لا يصيبها شيء من شر الابوين يعني الكفر وغيره مما ينافي التوحيد والحكم عليه بالكفر والنجاسة بالتبعية قبل
البلوغ نظرا الى الظاهر لا ينافي ايمانه قوله قد اشفقت من دعوة ابي عبد الله عم على يقطين وما ولد الاشفاق الخوف
والواو للعطف على يقطين واو بمعنى مع وخوفه من سراية تلك الدعوة الى نفسه فبشره عم بانه ليس من اهلها لكونه
مومنا صالحا غير راض بفعل ابيه وما ورد من ان ظلم الرجل يجري على اعقابه مخصوص بما اذا رضي الولد بفعل ابيه
فيوخذ بظلمه وظلم ابيه جميعا قوله بمنزلة الحصاة في اللبنة اللبنة مثل الكلمة ما يبنى به وقوله يحيى المطر اشارة الى
التشبيه وهو ان ما يضر الكافر لا يضر المومن الذي فيه قوله الحلوان في المصباح حلوان بلد مشهور من سواد العراق
وهي آخر مدن العراق وبينها وبين بغداد خمس مراحل وهي من طرف العراق من الشرق والقادسية من طرفه من الغرب

قبل باسم ابيها وهو حلوان بن عمران بن الحارث بن قضاعه قوله شبي الحرث مرث لبرهاي سفيد واوجم مزرات
وسميت الشجرة المذكورة بها لحملها ما اكثرا كالسحاب وهذا الحديث كما يناسب ما قيل من ان المراد بالطينة الاصول
الممتزجات المنتقلة في اطوار الخلقة كالنطفة وما قبلها من موادها مثل النبات والغذاء وما بعدها من العلقة
والمضغة والعظم والمزاج الانساني القابل للنفس الناطقة المدبرة كذلك يناسب ما ذكرنا ان المراد بالطينة طينة الجنة
لان طينة الجنة اخمارها وتربيتها بهذه القطرة كالتربية بماء العذب الفرات المذكور سابقا وبالجملة خلقة من طينة الجنة
ومزجها بماء الفرات اولا وتربيتها بماء المزن ثانيا الطف منه ثم بالنسبة الى المؤمن لتحصيل له الوصول الى اعلى مراتب
القرب صبغة الله اي صبغنا الله صبغته وهي الاسلام ودين الحق وانما سمي بها لانه حلية الانسان كما ان
الصبغة حلية المصبوغ او للمشاكلة لوقوعه في مقابلة صبغة النصارى او لادهم في ماء اصفر وتفسير الصبغة
بما ذكر مذكور في كلام الاكابر من المفسرين وغيرهم فالحمل عليه اولى مما قيل ان المراد بها ابداع الممكنات واخراجها من
العدم الى الوجود واعطاء كل ما يليق به من الصفات والغايات وغيرها قوله ومن احسن من الله صبغة من باب الانكار
والمقصود ان صبغة الله احسن من كل صبغة لان اثر الفاعل القوي الكامل احسن من اثر غيره ولان كل صبغة غير
صبغته تعالى اثره زائلة بخلاف صبغته تعالى بالايمان فانها باقية ابدا فاعفر دائما قوله قال هي الايمان اريد الكفر
بالطاغوت الكفر بفلان وبالايمان بالله الايمان بعلي بن ابي طالب عم الا انه اضيف الى الله ما يضاف اليه تعظيما
له فلا يرد ان تفسير العروة الوثقى بالايمان بالله يوجب التكرار بعد قوله ويؤمن بالله قوله سألته عن قول الله عز
وجل انزل السكينة في قلوب المؤمنين قال هو الايمان انه عبر عن الايمان بالسكينة والروح لان الايمان يوجب
سكون القلب ووقاره وحيوته وقد روي ان القلب ليرجح اي يهتز ويتحرك فيما بين الصدر والحنجرة حتى يعقد
على الايمان فاذا اعقد على الايمان قر وفي رواية اخرى اطمان وقر ولا بد من بيان معنى الايمان لان فيه فوايد
كثيرة فنقول الايمان في اللغة القصد وفي الشرع قيل هو كلمتا الشهادتين وقيل الطاعات مطلقا وقيل الطاعات
المفروضة وقيل التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان وقيل التصديق بالجنان مع الشهادتين
وقيل التصديق بالله وبرسوله وجميع ما جاء به على الاجمال والولاية وهو الحق لدلالة الايات والروايات عليه
اما الايات فمنها وقلبه مطمئن بالايمان واولئك كتب في قلوبهم الايمان ولما لم يدخل الايمان في قلوبكم فان
اسناد الايمان الى القلوب في هذه الايات يدل على انه امر قلبي ومنها وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ومنها
يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص ومنها والذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فان اقتران الايمان بالمعاصي
في هذه الايات يدل على ان العمل غير معتبر في حقيقته ومنها يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله فان الامر بالاطاعة بعد

بثبوت

١٢

ثبوت الايمان يدل على ذلك ايضا واما الروايات فمنها تفسير السكينة التي في قلوب المؤمنين والروح بالايمان
واما تفسير كلمة التقوى بالايمان فلا يدل على انه كلمتا الشهادة لان اضافة الكلمة بيانية فيحمل التقوى بالايمان
فلا يدل على انه كلمتا الشهادة لانه اضافة الكلمة بيانية فيحمل التقوى على التصديق القلبي للتوافق بين الاحاديث ومنها
قول الصادق عم المؤمن مؤمنان فمؤمن صدق بعهد الله ووفى بشرطه ومؤمن كخامة الزرع يعوج احيانا ومنها قوله
عليه السلام يبتلى المؤمن على قدر ايمانه وحسن اعماله فمن صح ايمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه ومن سخف ايمانه
وضعف عمله قل بلاؤه ومنها قوله عم ان القلب ليكون الساعة من الليل والنهار ما فيه كفر ولا ايمان وقوله في الغلو
والاسلام ما عليه المناكح ومنها قول رسول الله صلعم يا معشر من اسلم بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تذموا
المسلمين ومنها قول امير المؤمنين عم ادنى ما يكون به العبد مؤمنا ان يعرفه الله نفسه فيقر له بالطاعة ويعرفه
نبيه فيقر له بالطاعة ويعرفه امامه وحجته في ارضه وشاهده على خلقه فيقر له بالطاعة قيل يا امير المؤمنين وان جهل جميع الاشياء الا ما وصفت
قال نعم اذا امر اطاع واذا نهي انتهى ولا ريب في ان هذه الاخبار تدل صريحا على ان الايمان هو التصديق وحده من
غير دخل العمل اللسان والجوارح فيه على ان كون الايمان عبارة عن التصديق المذكور لا يحتاج الى نقله عن معناه
اللغوي الذي هو التصديق مطلقا لان التصديق المخصوص فرد منه بخلاف ما اذا كان المراد منه غيره من
المعاني المذكورة اذا عرفت هذا فنقول الاخبار الدالة على ان الايمان هو العمل بالاركان والاقرار باللسان و
التصديق بالجنان مثل ما روي عن ابي الحسن الرضا عليه السلام وغيره محمولة على ان اضافة العمل الى الايمان
لاجل الكمال لا لانه جزء منه او شرط له او لاجل انه دليل عليه وليس له دليل اعظم منه فكان صار نفسه على سبيل
المبالغة يدل عليه ما روي عن ابي جعفر عم ان الايمان ما استقر في القلب وافضى به الى الله عز وجل وصدقه العمل
بالطاعة لله والتسليم لامر الله وما روي عن الصادق عم قال قال امير المؤمنين عليه السلام ان لاهل الدين علامات
يعرفون بها صدق الحديث واداء الامانة ووفاء بالعهد الى ان قال وما يقرب الى الله عز وجل زلفى وما روي عن
امير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه واله قال عشرون خصلة في المؤمن فان لم يكن فيه لم يكمل ايمانه ان من
اخلاق المؤمن يا علي الحاضرون الصلوة والمسارعون الى الزكوة والمطعمون المسكين الحديث وفي هذه الاخبار
دلالة على ان الايمان هو التصديق القلبي دلالة واضحة على ان العمل مصدق ومبين له ومظهر له وموجب لكماله
قوله عليهم فيما كسب قلوبهم صنع قال لا العمل المراد بالايمان هنا كسب الحق ومعرفة الرب وليس للعبد صنع فيه ولما
صنع في قبوله والتكليف انما وقع به وقد روي ان كل قلب سكت الحق فيه قبل او لم يقبل قوله باب الاخلاص الاخلاص
في العمل تطهيره من ملاحظة غيره وجه الله تعم ورضاه حتى عن الرجاء بالثواب والخوف من العقاب فضلا عن الرياء والسمعة

باب الاخلاص

وحب الجاه وامثال ذلك فان ذلك شرك خفي قل من يخلص منه لخفاء طرقه ولذلك قال صلعم دبيب الشرك في امتي اخفى من
دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء وهو اعظم سد للسالك من الوصول الى الحق والقرب منه
قال الله تعم فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وذلك اذا ارتفع سهل للسالك الوصول
اليه كما يرشد اليه ما روي من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه قوله حنيفا مسلما
الحنيف المسلم المنقاد وهو المايل الى الدين الحق وهو الدين الخالص ولذلك فسره عم بقوله خالصا لله مخلصا
عبادته عن ملاحظة غيره مطلقا ثم وصفه على سبيل التاكيد بقوله ليس فيه شيء من عبادة الاوثان اي الاوثان
المعروفة او الاعم منها فيشتمل عبادة الشياطين في اغوائها وعبادة النفس في اهوائها وقد نهى جل شانه عن عبادتهما
فقال الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان وقال افرايت من اتخذ الهه هويه قوله يا ايها الناس انما هو لله ان
كان هو راجع الى المقصد بقرينة المقام والهدى الطريقة الالهية والشريعة النبوية والحسنات والسيئات شاملة
لجميع ما تقدم ولذلك اقتصر بذكرها في قوله فما كان من حسنات فلله وهو ما اراده الله تعالى ووقع له وما كان
من سيئات فللشيطان وهو ما نهى الله عنه او امر به ولم يقع له وفيه ترغيب في مراقبة النفس في حركاتها وسكناتها
ليمنعها من السيئات ويحملها على الحسنات ويراعي الاخلاص والتقرب فيها بان يفعلها لوجه الله لا لغيره لئلا
تصير سيئات قوله طوبى اي الجنة او طيبها او شجرتها او العيش الطيب او الخير لمن اخلص لله العبادة والدعاء وقصده بها
لا غيره ولم يشغل قلبه عن الله وطاعته بما تراه عيناه من متاع الدنيا وزخارفها المشتهية وصورها البهية ولم ينس
ذكر الله بالقلب واللسان بما تسمع اذناه من الاصوات الداعية الى الدنيا والكلمات المحركة عليها ولم يحزن صدره بما اعطى
غيره من اسباب العيش وحرم هو والاتصاف بهذه الصفات العلية انما يتصور ان قطع عن نفسه العلايق الدنية
والله هو الموفق قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا قال الله تعالى تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي
خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وصف نفسه اولا بان التصرف في الممكنات منوط بيد قدرته الكاملة
وليس لاحد ان يمنعه من ذلك وثانيا بان قدرته نافذة في كل واحد منها وليس لشيء منها اباء عن نفاذها وثالثا
خلق الموة والحيوة اي قدرهما او اوجدهما وفيه دلالة على ان الموت امر وجودي والمراد بالموت الموت الطاري
على الحيوة او العدم الاصلي فانه قد يسمى موتا ايضا وتقديمه على الاول لانه ادعى الى حسن العمل واقوى في ترك
الدنيا ولذاتها بالاختيار لملاحظة ان الترك لابد منه بالاضطرار وعلى الثاني ظاهر لتقدمه بحسب التقدير
ثم علل الوصف الاخير بقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ليعاملكم معاملة المختبر مع صاحبه فهو تمثيل لحاله تعالى
بالشاهد المعلوم من الزيادة والتنوير والايضاح وقوله ايكم مفعول بيان لفعل البلوى باعتبار تضمنه معنى العلم ووجه

[illegible] بما اعطى [illegible]

التعليل

التعليل ان الموة داع الى حسن العمل لكمال الاحتياج اليه بعده والحيوة نعمة تقتضيه وتوجب الاهتمام به وان اريد
العدم الاصلي فالمعنى انه نقلكم منه والبسكم لباس الحيوة لذلك الاختبار ولما كان اتصافا بحسن العمل يتحقق بكثرة
العمل تارة وباصابته اخرى اشار الى نفي ارادة الاول بقوله وليس يعني اكثركم عملا يعني لم يرد جل شانه بقوله احسن عملا
اكثر عملا لان مجرد كثرة العمل من غير خلوصه وجودته ليس امرا يعتد به بل هو تضييع للعمر فيما لا ينفع والى ارادة الثاني
بقوله ولكن اصوبكم عملا لان صواب العمل وجودته وخلوصه من الشوايب الرديئة يوجب القرب منه تعالى
وله درجات متفاوتة يتفاوت القرب بحسبها فكلما كان اصوب كان من الرد ابعد ومن القبول اقرب ثم بين الاصابة
وحصرها في امرين بقوله انما الاصابة خشية الله والنية الصادقة والخشية تنبيها على ان قطع المسافة الى حظيرة
القدس لا يتصور بدونهما وذلك لان قطع المسافة العقلية يحتاج الى آلة واسباب ودفع موانع كقطع المسافة
الحسية فلا بد للساير الى الله تعالى من امرين احدهما العمل الصالح وهو بمنزلة المركوب يوصل راكبه الى غاية سيره
والعمل الصالح لا يحصل ولا يتقوم بدون نية صادقة حسنة وهو ان يقصد بالعمل وجه الله تعم والتقرب
اليه لا غيره اذ لو قصد غيره قيد مركوبه بقيد وثيق يمنعه من الحركة من موضعه فيبقى متحيرا بل قد يرجع قهقرى
الى اسفل السافلين باغارة قوم آخرين وثانيهما حفظ العمل الصالح عن الاحباط بارتكاب المحارم وذلك انما
يحصل بملكة الخشية والخوف من الله تعالى وهي حالة يحصل بملاحظة عظمة الحق وهيبته ومشاهدة جلال
كبريائه ولذة قربه وقبح مخالفته وشناعة معصيته وسوء عاقبتهما ولذلك قال الله تعم انما يخشى الله من عباده العلماء
ثم اشار الى ان اصابة العمل وخلوصه ليس بمجرد وقوعه كك بل باعتبار بقائه واستمراره ما دام العمر كك ايضا بقوله
الابقاء على العمل حتى يخلص اشد من العمل روى المص في باب الرياء باسناده عن علي بن اسباط عن بعض اصحابه
عن ابي جعفر عليه السلم انه قال الابقاء على العمل اشد من العمل قال وما الابقاء على العمل قال يصل الرجل بصلة وينفق
نفقة لله وحده لا شريك له فكتب له سرا ثم يذكرها فتمحى فكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء وفي
الصحاح يقال ابقيت على فلان اذا رعيت عليه ورحمته ويحتمل ان يكون المقصود هنا ان رعاية العمل وحفظه عند
الشروع فيه وبعده الى الفراغ منه وبعد الفراغ الى الخروج من الدنيا حتى يخلص ويصفو عن الشوايب الموجبة
لنقصانه او فساده اشد من العمل نفسه وذلك لان خلوصه وصفاءه لا يتحقق بمجرد قوله بقول الصوم مثلا قربة الى
الله واخطار معناه بالبال واستعمال الجوارح والاركان كالمنافق باظهار كلمتي الشهادتين ولحظ معناهما فيهما
بل لابد مع ذلك من تاثر القلب من العمل وانقياده الى الطاعة واقباله اليه جل شانه وانصرافه عن الدنيا وما فيها
حتى يرى الناس كالاباعر ولا يحصل ذلك الا بتحصيل الفضايل النفسانية والملكات الروحانية والاجتناب

١٣

من رذايلها فان النفس ما دامت عارية عن تلك الملكات والفضايل ومتصفا بالملكات الخبيثة والرذايل تنبعث الى الفعل
ونقصانه وتميل اليه وتظهره ولو بعد حين تحصيلا للغرض الملايم لها بحسب ما يغلب فيها من تلك الصفات الرذيلة
تحصيل هذه الامور مشكل جدا لا يتيسر الوصول اليها الا لذوى الفطرة السليمة والفكرة المستقيمة فقد ظهر مما قررنا
ان حفظ العمل من موجبات النقص والفساد اشد واصعب من نفس العمل ومنه يظهر سر ما رواه العامة والخاصة عنه
صلى الله عليه واله نية المؤمن خير من عمله ثم اشار الى تفسير العمل الخالص وخلاصة القول فيه بقوله والعمل الخالص
الذى لا تريد ان يمدحك عليه احد حين العمل وبعده الا الله ثم نبه بها ان الرياء وقصد المدحة والسمعة مناف للخلوص
وحقيقة الرياء ارادة مدح الناس على العمل والسرور به والتقرب اليهم باظهار الطاعة وطلب المنزلة فى قلوبهم والميل
الى اعظامهم له وتوقيرهم اياه واستجلاب تسخيرهم لقضاء حوائجه وقيامهم بمهماته وهو الشرك بالله العظيم قال رسول
الله صلى الله عليه واله من صلى صلوة يرائى بها فقد اشرك ثم قرأ قل انما انا بشر مثلكم يوحى الآية وفى قوله لا يريد اشارة
الى انه لو مدحه الناس على عمله من غير ارادته وسروره به لا يقدح ذلك فى خلوص عمله بل هو من جميل صنع الله ولطفه
كما ورد فى بعض وجيه عملك الصالح عليك ستره وعلى اظهاره وامثال ذلك فى الروايات كثيرة وان دخله سرور باطلاع
الناس ومدحهم فان كان سروره باعتبار ان الله سبحانه اظهر جميله فى شرفه عليهم لا بحمدهم وحصول المنزلة فى قلوبهم
او باعتبار انه استدل باظهاره جميله فى الدنيا على اظهاره جميله فى الآخرة على رؤس الاشهاد او باعتبار انهم يحبون
طاعة الله تعالى ويميل قلوبهم اليها فلا يقدح ذلك فى الخلوص وان كان باعتبار رفع منزلته عندهم وتعظيمهم اياه
الى غير ذلك من التسويلات النفسانية والتدليسات الشيطانية فهذا رياء وشرك محبط للعمل وناقل له من كفة الحسنات
الى كفة السيئات وهو ميزان الرجحان الى ميزان الخسران ولذلك ورد فى كثير من الروايات الامر باخفاء العمل واستتاره حفظا
عن الرياء المنافى للاخلاص المفسد له بالكلية وظاهر هذا التفسير يدل على ان قصد الثواب او الاخلاص من العقاب
لا ينافى الخلوص كما يدل عليه كثير من الروايات مثل قوله من ترك معصية لله مخافة الله عز وجل ارضاه يوم القيمة
وقوله قال الله تعالى لا يتكل العاملون على اعمالهم التى يعملونها لثوابى الحديث وذهب جماعة من العلماء الى انه ينافى
الاخلاص ويفسد العمل ودليلهم ضعيف والاحتياط طريق والنية افضل من العمل النية فى اللغة عزم القلب على
امر من الامور وفى العرف ارادة ايجاد الفعل على الوجه المأمور به شرعا وتلك الارادة اذا تحققت فيه سرت الى الالات
وتحركها الى افعالها وهى افضل الاعمال واذا ضم هذا مع قوله عم وافضل الاعمال احمزها وهو كذلك لان النية الخالصة
تتوقف على قلع القلوب عن حب الدنيا وردعه عن الميل الى ما سوى الله تعالى وهذا اشق والاشق افضل لما ثمّ
على ان المراد نية المؤمن وهى ادوم وثمرتها اعظم من الاعمال لان نيته ان لو بقى ابد الآبدين ان يكون مع الايمان بالله

والطاعة

١٤ والطاعة ومعه النية من لوازم الايمان ودائمة لا ينقطع بخلاف العمل فانه ينقطع ولو بقى الى ما شاء الله او ازيد وثمرتها
الخلود فى الجنة والذى يدل عليه ما روى عنه على صه الله عم انما خلد اهل النار فى النار لان نياتهم كانت فى الدنيا
ان لو بقوا فيها ان يعصوا الله فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قل كل يعمل على شاكلته قال بنيته فالعمل تابع للنية
فى الرد والقبول والكمال والنقصان وفرع لها وهذا وجه آخر لكونها افضل من العمل لان الاصل افضل من الفرع و
من اراد ان يعلم وجوها آخر لافضليتها فليرجع الى ما ذكره الشيخ فى الحديث السابع والثلثين من الاربعين قوله الا و
النية هى العمل لما كان نظام العمل وكماله ونقصانه وقبوله ورده تابعة للنية ومسببة عنها بالغ فى حمل العمل عليها
بحرف التنبيه وحرف التأكيد واسمية الجملة وتعريف الخبر باللام المفيد للحصر وضمير الفصل المؤكد له ويندفع به
ما عسى ان يتوهم من ان التفضيل انما يتعارف اذا كان المفضل من جنس المفضل عليه والنية ليست من جنس العمل قوله
وليس فيه لاحد سواه اى شغل بره عن غيره من المال والولد وغيرهما كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون قوله وكل قلب فيه شرك لعبادة النفس والشيطان
او شك لميله الى الدنيا وتوجهه لها وان كان فارغا عنها فهو ساقط عن الاعتبار او عن قرب الحق وانما ارادوا بالزهد
فى الدنيا وتركها التفرغ قلوبهم للآخرة وتفكر فى امورها وما يوجب النجاة والترقى فيها من ذكر الله وطاعته فى الظاهر
والباطن فلا فائدة فى تركها ظاهرا على اشتغال القلب بها وتوجهه لها وميله الى عبادة النفس والشيطان وقال بعض
الحكماء انه فى العذاب سواء حتى حصلت له الدنيا فهو بها مشغول بهموم وفقير زويت عنها فنفسه تتقطع عليها
حسرات فلا يجد اليها سبيلا والحاصل ان ترك الدنيا لتطهير القلب عن حبها وعن طاعة النفس والشيطان وتصفيته
عن غيره تعالى لينمو فيه بذر المحبة والذكر ويرتقى الى مقام القرب ولا يتحقق ذلك بالقلب الملوث بشهواتها كالبذر
فى ارض السبخة قوله ما اخلص عبد الايمان بالله لعل المراد بالعبد العبد العالم لان الاخلاص مرتبة عالية للعمل
لا يمكن حصوله بدون العلم بالمطالب وبالايمان الايمان الكامل وهو الاعتقاد بالجنان والاقرار باللسان و العمل
بالاركان وبالاخلاص تجريد جميع ذلك عن غير وجه الله تعالى وتطهير القلب عما سواه وان كان لا زما للفعل
فلو اخلص العبد لله مع قصد الفراغ من انفاق ماله او صلى فى الليل لله مع قصد حفظ متاعه او توضأ لله مع قصد
تبرده او اعطى السائل لله مع قصد تخلصه من ابرامه او عمل طاعة او ترك معصية لقصد الفوز بالثواب والنجاة
من العقاب فالظاهر ان هذه القصود تنافى الاخلاص كما ذهب اليه جمع كثير من العلماء او تنافى كماله كما ذهب اليه
طائفة وبالاربعين هذا العدد اذ فيه يبلغ الانسان الى كماله فى القوة العقلية والقوى الادراكية فيستعد استعدادا
تاما لان يزهده الله فى الدنيا ويوفقه لتركها او زهده فيها او صرف قلبه عنها او بصره داءها ودواءها اى قدر الضرورة

باب الشرايع

منها والزايد عليه اوشل القلب اليها وصرفه عنها والضار والنافع منها في الآخرة اعني المعصية والطاعة ولبث الحكمة
في قلبه اي جعلها مستقرة فيه بحيث يرى بها صور الحقايق الملكوتية وجمال الاسرار اللاهوتية ويجوز ان يقرا انبت بالنون
فيكون تمثيلا لزيادتها ونموها بالاخلاص بانبات الزرع ونموه بالماء لقصد الايضاح واطلق بها لسانه فيكلم
ما ينفعه وينفع غيره في الدنيا والآخرة نعم بعد في الصديقين وهذه الخواص الخمس المترتبة على الاخلاص لبعضها اسباب
قوله ثم تلا آه لعل الغرض من تلاوتها هو التنبيه على ان غير المخلص مندرج فيها والوعيد متوجه اليه لانك قد عرفت
ان قلبه ساقط لكونه ذا شرك اوشك وهما بدعة وافتراء على الله ورسوله والاية على تقدير نزولها في قوم مخصوص
لا تقتضي تخصيص الوعيد وهو الغضب والذلة لان المراد انه اجرى على قوم بصفة وجدت في غيرهم هي او نظيرها جرى
ذلك الامر في ذلك الغير ايضا ومن ثم قيل ان خصوص السبب لا يوجب تخصيص الحكم وعلى هذا فالآية بالنحو الحدث
وبحسب المفهوم فهي وان نزلت في اصحاب السامري لكن جرى حكمها في اصحاب الشرك والشك والبدعة والافتراء الى يوم
القيمة والله اعلم قوله وكذلك اي مثل جزاء من اتخذ العجل من الغضب والذلة نجزي المفترين لانهم انهم اتخذوا
العجل اذ العجل ما يعبد من دون الله وهم يعبدون اهواءهم ومفتريات نفوسهم قوله فلا ترى صاحب بدعة
اي فلا ترى صاحب كل بدعة الا ذليلا في الدنيا والآخرة لان الذلة مترتبة على اتخاذ العجل واتخاذ العجل
بدعة على الاطلاق وقوله مفتريا عطف على صاحب بدعة اي فلا ترى مفتريا على الله الا ذليلا ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون قوله باب الشرايع يذكر فيه الشرايع المعروفة واصحابها وهم اولو العزم
من الرسل وما اشترك بينهم من غير تغيير وما لا اشتراك اصلا او بدونه قوله التوحيد والاخلاص وخلع الانداد
الانداد جمع ند بالكسر وهو مثل الشيء يضاده في اموره ويناده اي يخالفه يريد بها ما كانوا يتخذون من دون الله
وهذه الثلثة بدل البعض من الكل ليفيد ان الاشتراك بينهم في هذه الاصول الثابتة في جميع الشرايع ولم ينكرها
احد من الانبياء ويرشد اليه قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا
به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه وانما خصها بالذكر
مع تحقق الاشتراك في غيرها مثل الصوم والصلوة والوضوء والجهاد للاهتمام بها ولعدم تغيرها او اختلافها
بوجه بخلاف غيرها لاختلاف الكيفيات فيه على ان عدم الحكم بالاشتراك لا يدل على الحكم بعدم الاشتراك ولم
يتعلق غرض بذكر جميع المشتركات قوله والفطرة الحنفية السمحة عطف على شرايع واشتراك بعض ما ذكر لا ينافيه
لعدم دلالته على الاختصاص على ان كيفية غير كيفيته ما في الشرايع السابقة فكانت بهذه المغايرة غير مشتركة
والمراد بها الملة المايلة من الباطل الى الحق او من الكفر الى الاسلام التي ليس فيها ضيق ولا حرج قوله لا رهبانية ولا سياحة

الرهابنة

15 الرهبانية التزام رياضات شديدة ومشقات عظيمة كالاختصاء واعتناق السلاسل ولبس المسوح وترك اللحم و
نحوها والسياحة مفارقة الاوطان والامصار والذهاب في الارض وسكون الجبال والمغارات والبراري و
قد كانت في شريعة عيسى عم استحسانا قوله واحل فيها الطيبات اي احل في هذه الفطرة الطيبات كالشحوم و
غيرها مما حرم عليهم او الاعم منه ومما طاب في الحكم مثل ما ذكر اسم الله عليه من الذبايح وما خلا من السحت
وغيرها وحرم فيها الخبائث مثل الخمور والاروات والابوال والدم والميتة ولحم الخنزير والكلب وغير ذلك
مما ينفر عنه الطبع وتنكره النفس وتستخبثه ووضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم الاصر الثقل
الذي حامله اي يحبسه في مكانه لفرط ثقله والمراد الاثم والوزر العظيم وقال صاحب الكشاف هو مثل لثقل
تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل لما كان في شرايعهم من الاشياء
الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع
النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنايم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطا كانت بنو اسرائيل
اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة و
اوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة انتهى هذا ان صح وثبت ان كونه مطلوبا في شرعهم كان اولى
بالارادة لانه اشبه بالاغلال قوله ثم افترض عليه فيها الصلوة اي افترض على محمد صلعم في الفطرة التي هي ملته
والظاهر ان ثم لمجرد التفاوت في المرتبة والمراد بالحلال ما عدا الحرام فيشمله الاحكام الاربعة وبالفرايض ما
عدا الفرايض المذكورة او ما له تقدير شرعي من المواريث او هي اعم منها او غيرها مما ليس له تقدير وبالوضوء الوضوء
على وجه مخصوص ووضوء السابقين على تقدير ثبوته كان على وجه آخر كصلوتهم وصيامهم قوله وفضله
بفاتحة الكتاب آه لعل المراد بخواتيم سورة البقرة آمن الرسول الى آخرها والمفصل سورة محمد الى آخر القرآن
وانما خص هذه الثلثة بالذكر للاهتمام بها وزيادة شرفها بالنسبة الى غيرها والا فقد فضله بجميع القرآن
الذي لم يؤت احد من الانبياء قوله واحل له المغنم والفيء المغنم الغنيمة الذي وهي ما اخذ من اموال الكفار
بحرب وقتال وهي غير مختصة بالرسول ومن يقوم مقامه بل بعضها وهو ما حواه العسكر بعد اخراج الخمس
للغانمين ومن حضر القتال وان لم يقاتل وبعضها كالارض المفتوحة عنوة للمسلمين قاطبة واحكام الكل
مذكورة مفصلة في كتب الاصول والفروع والفيء يطلق تارة على ما اخذ بحرب او بقتال وهو مرادف للغنيمة
فحكمه حكمها واخرى على ما اخذ مطلقا وهو بهذا المعنى يصدق ايضا على الانفال المختصة بالرسول ومن يقوم
مقامه وسر فى ذلك ان الفيء بمعنى الرجوع فاما ان يراد به الرجوع مطلقا فهو الثاني او يراد به الرجوع بعد قتال

فهو الاول ولم يقل احد بانه الرجوع بغير قتال وان اردت زيادة توضيح فارجع الى ما ذكرناه في باب النفى والانفال
من هذا الكتاب وفى تقديم له على المفعول وهو المغنم فعند اختصاصه صلى الله عليه وآله باحلالها وهو
لان الغنيمة كانت محرمة على الامم السابقة فكانوا يجمعونها فتنزل النار من السماء فتاكلها وكان ذلك
عظيمة عليهم حتى كان قد يقع فيها الرق فمع الطاعون بينهم فمن الله تعالى على هذه الامة باحلالها الحمد لله رب
العالمين قوله ونصرنا بالرعب مع قلة العدة وضعف العدة وكثرت الاعداء وشدة باسهم والرعب الفزع و
الخوف وكان الله تعالى قد اوقع بقدرته القاهرة في قلوب اعدائه الفزع والخوف منه حتى اذا كان بينه
وبينهم مسيرة هابوه وفزعوا عنه قال الله تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله الاية قوله وجعل
له الارض مسجدا وطهورا اي جعل له الصلوة فيها كالصلوة في المسجد للامم السابقة في الاجر او جوز له الصلوة
فيها دون الامم السابقة لاختصاص جواز صلوتهم في البيع والكنائس او جعل له الارض مسجد الجبهة لزيادة
الخشوع والتقرب وكان لهم السجود على غيرها وكذلك جعل له الارض طهورا تطهر اسفل القدم والنعل ومحل
الاستنجاء تقوم مقام الماء عند تعذره في التيمم والمراد بكونها طهورا انها بمنزلة الطهور في استباحة الصلوة
بها مثلا كاستباحتها بالماء ولو حمل الطهور على طاهره لدل على ما ذهب اليه السيد المرتضى من ان التيمم يرفع الحدث
الى وجود الماء كما هو مقتضى ظاهر هذه الصيغة قوله وارسله كافة الظاهر انه كافة حال مما بعدها ونظيره قوله
تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس اى الا للناس جميعا ومن لم يجوز تقديم الحال على ذي الحال المجرور قالوا هي
حال عن ضمير المنصوب في ارسله والتاء للمبالغة اى مانعا لهم عما يضرهم او صفة لمصدر محذوف اى ارسالة كافة
او مصدر كالكاذبة والعافية والكل تعسف ودليلهم على المنع مدخول كما بين في موضعه وفيه دلالة على ان
احدا من الانبياء غيره لم يرسل الى الجميع وحمله بالاضافة الى البعض غير ثابت قوله واعطاه الجزية والمشركين وقدم
الجزية عبارة عن المال الذي تقرره الحاكم على الكتابي اذا اقره على دينه وقدرها منوط بحكمه وهي فعلة من الجزاء
كانها جزت عن قتله واسره والفداء بالكسر والمد وبالفتح والقصر فكاك الاسير بالمال الذي قرره الحاكم عليه
يقال فداه بتقدير فداء قوله ثم كلف ما لم يكلف احد من الانبياء ثم هنا ليست مثلها لان هذا التكليف لعظم التكليفات
واشقها على النفوس البشرية ولا يصبر عليها الا من ايده الله تعالى بالنفس القدسية وقد نقل انه صلى الله عليه وآله
اقدم في حرب حين بعد انهزام اصحابه على اعدائهم الذين لم يعلم عددهم الا الله واظهر اسمه الشريف فقال انا
محمد بن عبد الله وهذا دل على كمال شجاعته صم قوله وانزل عليه سيف من السماء في غير غمد لعله اسمه ذو الفقار
وهو عند الصاحب ع وكونه في غير غمد تحريص له على القتال واشارة الى ان سيفه ينبغي ان لا يغمد قوله وقيل له قاتل

قال

١٦

قال القاضي قاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا فعل نفسك لا تضرك مخالفتهم وتقاعدهم
متقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود قوله فاصبر امره بالصبر من المصائب واذى
القوم ومشاق التبليغ والتكاليف كما صبر اولوا العزم من الرسل سموا بذلك لان جدهم وصبرهم كان اعلى
واكمل ولعزيمة كل واحد نسخ شريعة من قبله وترك كتابه لا لكراهته ولا لانكار الحقيقة بل ايمانا به وبصلاحه
في وقت دون آخر والنسخ مصالح يعلمها الله تم والعبد مامور بالتسليم وكان من جملتها ابتلاء الخلق و
اختبارهم في ترك ما كانوا متمسكين به والدنيا دار الابتلاء وكل ما يجرى على الخلق فيها من الصحة والسقم والغنى
والفقر والتكاليف وغيرها كان الغرض منه هو الابتلاء قوله بنى الاسلام على خمس آه لعل المراد بالاسلام هنا
جميع ما جاء به النبى صلى الله عليه وآله من الدين الحق المشار اليه في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقوله
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن
يقبل منه والامور الخمسة المذكورة اعظم اركانه واكمل اجزائه المعتبرة في قوامه والولاية اعظم الخمسة و
لم يناد بشئ منها مثل ما نودى للولاية لان النداء بها وقع مكررا غير محصور في مجمع عظيم في غدير خم بخلاف
غير الولاية فانه لم يقع التكرار فيه مثل التكرار فيها ولم يقع في مجمع مثل مجمعها والمؤمن والمسلم عند الاكثر
مترادفان وما اشتهر من ان بينهما عموما وخصوصا مطلقا فهو باعتبار معنى آخر سيجئ ان شاء الله تعالى
قوله او مبنى على حدود الايمان يدل مع عنوان الباب على ان الايمان والاسلام فيه متحدان ولعل المراد
بالايمان الفرد الكامل منه لما ذكرنا سابقا ان العمل غير داخل في حقيقة اصله على ان حدود الشئ خارجة عنه
فلا دلالة فيه على ان العمل جزء منه قوله فقال شهادة ان لا اله الا الله آه اي بالقلب واللسان كما تقتضيه الشهادة
وليس الكتمان مع القدرة على الاظهار لا يجوز والاظهار بدون الاعتقاد نفاق وقال بعض العامة خصوص
الشهادة غير معتبر فلو قال الله واحد ومحمد رسول الله كفى واعلم ان الواجبات بعد البلوغ الشهادتين اذ قد
قد لا يكون وقته وقتا لغيرها ولتقدمهما في جميع الاخبار الا ما شذ وليس ذلك الا للتاكد والاهتمام
قوله والاقرار بما جاء من عند الله اجمالا قبل العلم وتفصيلا بعده قوله والولاية لوليّنا اى ولاية وليّنا
اهل البيت قال في الصحاح الولاية بالفتح والكسر النصرة ويحتمل ان يراد بها الحكومة العامة والامامة على
الثانى لامية وعلى الاول من باب اضافة المصدر الى المفعول وهو انسب بما بعده ولعل المراد بالدخول
مع الصادقين الدخول فيما دخلوا من الاحكام وغيرها ومتابعتهم فيها وان لم يعلم وجه الحكمة اوصدقهم
وعصمتهم يقتضى وجود الحكمة في نفس الامر ووجوب التسليم بها قوله وتركوا هذه يعنى الولاية لما فيه من

من دواعي الترك مثل الحسد والبغض والعناد ما ليس في الارفع والظان بمعنى من المتهم او الفصيل مع احتمال ان
يكون منه ع قوله اما في الاسلام ثلثة آه الاثافي جمع الاثفية بالضم والكسر وهي الاحجار التي يوضع عليها القدر في
وتخصيص الثلثة بالذكر لزيادة العناية والاهتمام دون الحصر فلا ينافي ما سبق من انها خمسة وتشبيهها بالاثافي
للتنبيه على ان الاسلام لا يستقيم ولا يثبت بدونها كما ان القدر بدون الاثافي ثم اريد بالاسلام الدين كما و
هو الظاهر من احاديث الباب فالثلثة اجزاؤه اشرف وافضل من ساير اجزائه وان اريد به الايمان الكامل فكذلك على احتمال
وان اريد به الايمان بمعنى التصديق فهي خارجة عنه وسبب لثباته وبقائه اذ التصديق ادنى مراتب الايمان و
الاسلام واذا لم يؤيد بها تعلق تبرعه والتشبيه يؤيد الاخير اذ الاثافي خارجة عن القدر وسبب لبقائه والله اعلم
قوله لا تنفع واحدة منهن الا بصاحبتها يظهر ذلك بالنظر الى الاثافي وهو يدل على ان واحدة او اثنتين منها لا
ينفع بدون الاخرى ويؤيد ذلك ما روى عن ابي جعفر عم قال ان الله تبارك وتعالى قرن الزكوة بالصلوة فقال
اقيموا الصلوة واتوا الزكوة فمن اقام الصلوة ولم يؤت الزكوة فكانه لم يقم الصلوة وما روى عن ابي عبد الله عم قال
اول ما يحاسب به العبد الصلوة فاذا قبلت قبل ساير عمله واذا ردت عليه رد عليه ساير عمله والروايات الدالة
على ان شيعة علي عم من تبعه لا من يقول انا احبه ويخالفه كثيرة ويفهم من هذه الروايات وامثالها ان قبول
كل واحدة من الثلثة مشروط بالاخريين منها ولئن تنزلنا عن ذلك فلا ريب في ان كمالها مشروط بهما والله
المستعان قوله الولاية افضل آه يعني ان الولاية افضل من المذكورات لانها مفتاحهن بها يفتح ابواب معرفة تلك
المذكورات وحقايقها وشرايطها وادابها وموانعها ومصالحها ومفاسدها والوالي وهو الحاكم الامين المنصوب من
قبل الله تعالى هو الدليل عليهن لا غيره لظهور انهن امور متلقاة منه تعالى الى صاحب الوحي فلا بد ان تتبع
منه ويتمسك في معرفتها بذيله او بمن يقوم مقامه بامره لا بالاراء الفاسدة والعقول الناقصة الكاسدة التي
من شانها ان تزيد وتنقص وتخترع وتبتدع وليس لها حظ فضل فكيف ان تكون افضل من الولاية التي بها قوامها
وتحققها على الوجه المطلوب لله تعالى وبالجملة المحتاج اليه من حيث هو افضل من المحتاج ومنه يظهر ان الوالي افضل
من غيره والا لزم ان يكون الامير مامورا فقال الصلوة حكم عليه السلم بان الصلوة افضل من الزكوة والحج و
والصوم وقوله حجة الاثار تمسك بقول رسول الله صم الصلوة عمود دينكم استنطها او تقويرة وتقويها لقلة الثبات
واشعارا بان قوله فان قوله صلى الله عليه واله الصلوة عمود دينكم حيث شبه الدين بالفسطاط واثبت
العمود له على سبيل المكنية والتخييلية وحمل العمود على الصلوة من باب التشبيه البليغ دليل واضح على ان الصلوة افضل
مما سواها لان بفسادها يفسد الدين بالكلية ولا ينتفع به كما ان الفسطاط لا ينتفع به مع وجود الطنب والاوتاد

بانتفاء

بانتفاء العمود وقوله الصادق عم ما اعلم شيئا بعد المعرفة افضل من هذه الصلوة وقوله عليه السلم احب الاعمال
الى الله عز وجل الصلوة ايضا دليل واضح على ذلك ولعل المراد بالصلوة ههنا الصلوة المفروضة بدليل ان الصلوة افضل
من الزكوة التي هي افضل من الحج والحج افضل من عشرين صلوة نافلة ولما روي عن الصادق عم قال صلوة فريضة
خير من عشرين حجة الحديث لا يقال هذا ينافي ما روى ان الحج افضل من الصلوة والصيام لان المصلي يشتغل
عن اهله ساعة وان الصايم يشتغل عن اهله بياض يوم وان الحاج يشخص بدنه ويضحي نفسه وينفق ماله ويطلب
الغيبة عن اهله لا في مال يرجوه ولا الى تجارة وما روى عن النبي صم قال افضل الاعمال احمزها اي اشقها اذ
المشقة في الحج اكثر لانا نقول يمكن الجواب عن الاول المراد بالصلوة فيما نحن فيه الفريضة وفيما ذكر النافلة وتحقق
العلة المذكورة في الفريضة ايضا غير مسلم لان فعلها متوقف على معرفة اربعة الاف باب من المقدمات والمقارنات و ١٧
والواجبات والمندوبات والكيفيات والمحرمات والمكروهات والتروك القلبية واللسانية والاركانية
وتحصيلها لا يمكن بدون صرف العمر والمشقة الشديدة والاشتغال عن الاهل في ازمنة طويلة بخلاف الحج
فان مسائله وان كانت كثيرة لكن لا يبلغ كثرة مسائل الصلوة المفروضة ومن هذا يتبين ان الفريضة اشق
من الحج وبهذا يندفع الثاني ايضا وقد يجاب عنه بان ذلك فيما اذا كان المفضل والمفضل عليه من نوع واحد كالوتر
في الصيف والشتاء ونحوه وبتخصيصه بالصلوة وعن الاول بان الحج المشتمل على الصلوة افضل من الصلوة و
افضل من الحج متجردا عن الصلوة ومع قطع النظر عن ثوابها قوله قال الزكوة لانه قرنها بها حكم بان الزكوة افضل من
الحج والصوم ونبه عليه بان الصلوة افضل منهما وذكر الزكوة بعد الصلوة فهذا يدل على ان الزكوة ايضا افضل
منهما لان مقارنتهما دالة على اشتراكهما في الافضلية وتقاربهما في الرتبة الا انه لما بدأ بالصلوة قبل الزكوة
علم ان الصلوة افضل من الزكوة لان الاهم اولى بالتقديم لا لان العطف يقتضيه وقال رسول الله صلى الله
عليه واله الزكوة تذهب الذنوب هذا دليل آخر على ان الزكوة افضل من الحج فان قلت الحج ايضا يذهب بالذنوب
فلا دلالة فيه على ما ذكر فالاولى ان يجعل هذا مع السابق دليلا واحدا لان هذا المجموع لم يوجد في الحج
قلت يمكن ان يكون المقصود ان الزكوة علة لمحو الذنوب وذهابها ولم يثبت ان الحج علة مستقلة لمحوها لجواز
ان يكون محوها بعد الحج على سبيل التفضل دون الوجوب وهذا القدر كاف في التفضيل قوله ولله على الناس
حج البيت آه دليل على ان الحج افضل من الصوم والدلالة في قوله ومن كفر حيث عد ترك الحج كفرا دون الصوم
وترك ذكر العقاب المترتب عليه تقطيعا وتفخيما وذكر في موضعه ما يدل على كمال ضرره من غير عموما
وهو يشعر بان جزاء اعمالهم عائد اليهم ان خيرا فخير وان شرا فشر افضل ايضا تذكير العقاب على تركه وفي

قوله غفر له حيث لم يقل الحج يذهب الذنوب كما قال في الزكوة نوع اشعار بما ذكرناه سابقا وكان قوله وقال في
يوم عرفة ويوم المزدلفة قال اشارة الى الاحاديث الواردة في محو الذنوب بعد الحج قوله وقال رسول الله صلى الله عليه وآله الحج آه
هذا انما يدل على ان الحج افضل من الصوم لو كان عشرون نافلة افضل من الصوم او مساوية له ولا يبعد ان يجعل
هذا دليلا على افضليتها بالنسبة اليه قوله احصى فيه اسبوعه لعل المراد باحصاء الاسبوع ضبطها وحفظها عن
عن الزيادة والنقصان وباحسان ركعتيه فعلهما في وقتهما وبكمالهما مع الشرايط والكيفيات والترتيل قوله قلت بماذا
يتبعه قال الصوم لا يقال هذا السؤال ليس على ما ينبغي لانه اذا علم ان جميع الاعمال المذكورة في الحديث افضل من الصوم
فقد علم ان الصوم في الفضيلة بعدها لانا نقول المقصود من السؤال استعلام وجه تاخير الصوم في الفضيلة
الاعمال المذكورة كما اشار بقوله قلت وما بال الصوم آه ثم قوله ثم الصوم جنة من النار اشارة الى فضيلة الصوم
وسر ذلك ان اعظم اسباب النار هو الشهوات والصوم يكسرها وقوله ثم ان افضل الاشياء الى آخره اشارة الى ان
الصوم دون الاعمال المذكورة في الفضيلة وذلك لانه لما لم يكن لتلك الاعمال بدل كما كان للصوم علم ان الاهتمام
بها اعظم واكمل والثواب المترتب عليها افخم واجزل فلذلك اريد وقوعها بعينها قوله اما ذاتك فلك الطاعة
ان لفظ لك ذاتك او المراد بالسوير هنا ما يقوم مقامه او الاتم منه ومن سقوط راسا قوله وان الصوم اذا فاتك آه
اشار الى اقسام الفوت واحكامه اجمالا لان الفوت اما للعذر مثل المرض وغيره او للتقصير والتعمد في تركه
او للسفر والاثم اما القضاء في مقامه فقط او الكفارة فقط او جميعا او لا هذا ولا ذاك وتفصيله في كتب الفروع
فالصوم قد يكفي الصدقة مكانه ولا يجب قضاؤه بخلاف تلك الاربعة فانها لا يجزي مكانها الا قضاؤها بعينها
قوله ذروة الامر آه المراد بالامر الدين وطاعة الامام انقياده في كل ما امر ونهى وهي من حيث انها ارفع الطاعات
مرتبة واسناها منزلة كالذروة ومن حيث انها توصل الى المطلوب وهو قرب الحق كالسنام ومن حيث انها
للوصول الى جميع الخيرات الدنيوية والاخروية كالمفتاح ومن حيث ان بها يتحقق الدخول في الدين ومعرفة جوانبه
كالباب ومن حيث انها توجب المغفرة والرحمة والدرجات العالية رضا الرحمن والضمير في قوله بعد معرفته
راجع الى الامام والى الله تعالى قوله ان الله عز وجل يقول كانه استشهاد لما ذكر حيث ان طاعة الرسول وهو الامام
المقتدى به عين طاعة الله تعالى واتصاف طاعته تعالى بالامور المذكورة اظهر من ان يخفى قوله اولئك المحسن منهم
كانه اشارة الى من يطيع الرسول وهو المؤمن العارف بحق الامام والمقصود ان المحسن منه وهو من اطاع بعد معرفته
في اقواله واعماله وامره ونهيه يدخله الله الجنة قبل الحساب بفضل رحمته واما المسيء منهم فقد يناقش في الحساب
وقد يدخله الجنة بالرحمة او الشفاعة وقد يجري عليه الوعيد ويحتمل ان يكون اشارة الى من لم يعرف الولاية من المحسنين

وهو

وهو الذي لم ينكر الولاية كما لم يعرفها وعمل بالخيرات اعني المستضعف يدخله الجنة بفضل رحمته ويجي الى المستضعف
في المشية والله اعلم قوله اخبرني بدعائم الاسلام آه ان اريد به الدين كانت دعائمه داخلة فيه جزء منه وان اريد
به الايمان الكامل فكذلك على احتمال اقوى من احتمال خروجها وشرطيتها لقبوله او لكماله ولما كان السائل عالما
بان الاسلام دعائم لا يجوز لاحد التقصير في معرفتها وفي العمل بها حتى من قصر لم يكن له دين ولم يقبل منه عمل او
عرفها وعمل بها صح دينه وقبل منه عمله ولم يعلمها بخصوصها سال عن تعينها وتفصيلها فاجابه بانها اربعة الشهادتان
والاقرار بما جاء به الرسول اجمالا وتفصيلا والزكوة في الاموال والولاية لآل محمد صلى الله عليه وآله والاخبار في ذكر الدعائم عددا
مختلفة كما يظهر للناظر فيها ولكن هذا الاختلاف لا يضر اذ ليس فيما اشتمل على الاقل تصريح في نفي ما عداه قوله
ولم يضيق به وفي بعض النسخ لم يضرر به يعني لم يضيق او لم يضر به من اجل ما هو فيه تعليل لعدم الضيق او الضرر وقوله
لجهل شيء تعليل للضيق او الضرر وقوله جهله صفة لشيء وقوله من الامور عبارة عن غير الدعائم ثم من شعاير الاسلام
فليتامل قوله حق في الاموال الزكوة حق مرفوع عطفا على الشهادة او مجرور عطفا على ما جاء به والزكوة على التقدير
بدل لعنه ويحتمل ان يكون الزكوة مبتدأ وحق خبره او خبر مبتدأ محذوف والجملة عطف على الشهادة اي والزكوة
حق في الاموال او هي حق فيها قوله والولاية التي امر الله عز وجل بها في قوله انما وليكم الله الآية وفي قوله واولي الامر منكم
قوله هل في الولاية شيء دون شيء فضل تعرف لمن اخذ به لعل المراد هل في الولاية شيء يدل عليها من الكتاب او
السنة وهل فيها دون ذلك الشيء وغيره فضل ظاهر وكمال مخصوص تعرف الولاية اخذ بذلك الفضل وتمسك به
فاجاب عم نعم واشار اولا الى ما يدل عليها من الكتاب والسنة واوما اخيرا الى ذلك الفضل الدال عليها
البيان الشافي والعلم الوافي في بيان الشرايع والاحكام من ماخذها وهذا من اعظم فضايل الولاية وصفاتها
والله اعلم قوله مات ميتة جاهلية اي الميتة على صفة الكفر والبعد عن الحق وقد مر توصيفه سابقا قوله كان
رسول الله صلى الله عليه وآله والضمير كان في المواضع الخمسة راجع الى الامام ولما كان الحديث والآية يدلان على ان لابد
في كل عصر من امام مفترض الطاعة وكان هذا متفقا عليه بين الشيعة ومخالفيهم ذهب الشيعة الى ان الامام
في عصر النبي هو النبي وبعده علي ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين وهكذا واحد بعد واحد الى المهدي الموجود
الى قيام الساعة وذهبت الفرقة المخالفة الى ان الامام معوية عليه اللعنة ثم يزيد بن معوية عليهما اللعنة ثم سلاطين
الجور الى قيام الساعة فاشار عم الى الفريقين والى عدم المساواة بينهما وبين اماميهما بقوله ولا سواء ولا سواء
اي لا مساواة بين الفريقين ولا مساواة بين الامامين لان الفرقة الاولى هم الفرقة الناجية وامامهم معصوم
مفترض الطاعة من قبله عم والفرقة الثانية هم الفرقة الهالكة وامامهم غاصب ضال مضل ويحتمل ان يكون المراد

١٨

بالاول انه لا مساواة بين من قال بامامة على عم وبين من قال بامامة معوية او لا مساواة بين على عم وبين معوية

وبالثانى انه لا مساواة بين من قال بامامة الحسن والحسين عليهما السلم وبين من قال بامامة يزيد بن معوية عليهما العذاب او لا مساواة بين الحسن والحسين وبين يزيد بن معوية معرة ها وية **قوله** وكانت الشيعة قبل ان يكون ابو جعفر

وهم لا يعرفون الظاهر ان الواو للحال والظرف خبر كانت وجعلها زايدة لزيادة الربط وما بعدها خبرا وجعل كانت

تامة بعيد وكان فى تركى حتى كان ابو جعفر تامة **قوله** وهكذا يكون الامر اى مثل ما ذكر من كون واحد بعد واحد واما

ما يكون امر الامامة والخلافة والارض لا يكون موجودة الا بامام مفترض الطاعة بامره تعم يعرف الحلال والحرام

ويدعوا الناس الى سبيل الله ولو بقيت بغير امام لساخت باهلها **قوله** واحوج ما تكون الى ما انت عليه آه ما

مصدرية او عبارة عن الزمان يعنى اشد احتياجك الى وصف كنت عليه وهو القول بولاية ولى الله حين بلوغ

روحك الى حلقومك فان هذا الوصف ينفعك فى هذه الساعة نفعا بينا لحضوره لديك حتى تعرف وعا ينه

بشانك واستنقاذه لك من ابليس وجنوده وبشارته اياك بالدرجات العالية والمقامات الرفيعة فتستبشر وتقول

ح اظهار الفرح والسرور لقد كنت على امر حسن وهو الاقرار بالولاية ومتابعة ولى الامر وفيه بشارة عظيمة و

دلالة واضحة على ان المؤمن فى جميع ازمنة عمره محتاج الى الامام لانه نور قلبه وسبب هدايته سيما وقت الاحتضار

فان احتياجه اليه ح اشد واقوى **قوله** ان كنت لقصرت الخطبة فقد اعظمت المسئلة فى المغرب اقصرت الخطبة واعرضت

المسئلة اى جئت بهذه قصيرة موجزة وبهذه عريضة واسعة **قوله** فقال اعد على لعل امره بالاعادة للاستلذاذ

بذكره او ليسمع الحاضرون له ويتوجهوا الى استماع جوابه **قوله** واقام الصلوة حذفت التا للاختصار مثل المراد باقامتها

ادامتها وقيل فعلها على ما ينبغى وقيل فعلها فى افضل اوقاتها وقيل جاء على عرف القران فى التعبير عن فعل الصلوة

بلفظ الاقامة دون اخواتها وذلك لما اختصت به من كثرة ما يتوقف عليه من الشرايط والفرايض والسنن والفضايل

واقامتها ادامة فعلها مستوفاة جميع ذلك وانما لم يذكر الجهاد لانه لا يجب الا مع الامام فهو تابع للولاية مندرج فيها

قوله هذا الذى فرض الله عز وجل على العباد لا يسال آه لعل المراد ان فروض موكدة عينية وما عداها اما مندوب او

واجب كفاى والله تم يسال عباده يوم القيمة عن تلك الفروض لا عن هذا لكن من زاد زاده الله فى الاجر ان رسول الله

سن سنا حسنة جميلة من الادب والاخلاق والاعمال والعقودات والايقاعات والمواعظ والنصايح وغيرها

وينبغى للناس الاخذ بها بعد تلك الفرايض ليزداد بذلك اجرهم ومنزلتهم ولو لم ياخذوا بها وقع النقص فى سنتهم

ولم يقع الفساد فى دينهم **قوله** والورع والتواضع الورع من محارم الله والتواضع لاولياء الله مدخل عظيم فى قبول

العمل وبلوغه الى غاية الكمال ولذلك قال الله تعا انما يتقبل الله من المتقين للتنبيه على ان العمل بدون التقوى كان نسيا

عن

عن درجة الاعتبار والقبول **قوله** طلب التنزه اى البعد عن الخلق واصل التنزه البعد ومنه تنزيه الله عم اى تبعيده

عن النقايص او المراد بها بعد الخاطر عن الهم والحزن لكون مكان نزهتها فيه سعة وماء وكلاء وخضرة **قوله** ولدين الله

فى المصباح وان الاسلام دينا بالكسر تعبد به وتدين به كذلك فهو دين مثل ساد وسيد **قوله** فى السر والعلانية السر القلب

والعلانية اللسان والجوارح او الاعم **قوله** فاتق الله امره بالتقوى وهى التجنب عن المعاصى او التنزه عما يشغل القلب عن

الحق او بالتقية عمن ليس من اهل الدين **قوله** وكف لسانك الا من خير امره بكف اللسان الا من خير وترغيبه فى حفظه

عن كل ما يضره او لا ينفعه من الاقوال وفى تحويله بالخير من القران والحديث وغيرها من الامور النافعة و

خص اللسان من بين الاعضاء الظاهرة لان اشرفها واعمها نفعا واكثر مفاسد اكثر فيجب حفظه عما لا ينبغى خصوصا

عما يضره ثم اشار الى ان الهداية نعمة من الله تعالى فيجب معرفة قدرها واداء شكرها بصرف كل عضو فيما خلق لاجله **قوله**

ولا تكن ممن اذا اقبل آه هذا فى الحقيقة امر بحسن المعاشرة مع الخلق وبالتقية فى موضعها اى كن بحسن صفاتك ممن

يمدحه الناس فى حضوره وغيبته ولا تكن لشرارة ذاتك وقبح صفاتك ممن يذمونه فيهما وفيه دلالة على وجوب

التجنب عن المطاعن بقدر الامكان **قوله** ولا تحمل الناس على كاهلك آه الكاهل مقدم اعلى الظهر مما يلى العنق وهو

الثلث الاعلى وفيه ست فقرات وما بين الكتفين او موصل العنق فى الصلب والشعب هنا محل الصدع والشق

التفريق وهو المنع ومنه الشعبة وهى الطائفة من كل شئ والقطعة منه وقد نهاه عم عن فعل ما يوجب حمل

الناس على كاهله وقصدهم اضراره واهلاكه من تعرض اعراضهم وقصد اضرارهم وايذائهم وعدم المحاملة معهم

فان الناس معاملون بمثله او اشد بل ربما يحصل من تعاونهم ما يوجب هلاكه ولذلك عبر عنه عم بالعبارة

المذكورة المشعرة بالاهلاك او الضرر العظيم **قوله** وذروة سنامه الاضافة بيانية او لامية اذ السنام الذى هو

ذروة البعير ذروة ايضا هى ارفع اجزائه **قوله** اما اصله فالصلوة آه الامور الثلثة من فروع الاسلام حقيقة لكن

عد الصلوة اصله لان قيامه يتحقق بها ولذلك شبهت بالعمود فى الخبر السابق وعد الجهاد مع الاعداء الظاهرة

او الاعم منهم ومن النفس والشيطان ذروة سنامه لانه به غاية ارتفاعه كما ان بذروة الشئ غاية ارتفاع

ذلك الشئ وخص الزكوة بالذكر من بين فروعه المتكثرة لانها العمدة كالصلوة ثم ذكر من جملة ابواب الخير ثلثة لكثرة

منافعها اولها الصوم الواجب او الاعم وهو جنة تقى صاحبه عما يؤذيه او يهلكه من الشهوات ومن الشروط

لكمالها حفظ جميع الجوارح عما لا يليق به وثانيها الصدقة الواجبة او الاعم وهى تذهب بالخطيئة تكفر عنها الاثم

وثالثها قيام الرجل فى جوف الليل بذكر الله ولم يذكر فايدته كما ذكر لما قبله للدلالة على الكثرة والتعميم مع احتمال

ان يكون فايدته اذهاب الخطيئة ايضا بقرينة العطف **قوله** تتجافى جنوبهم عن المضاجع كناية عن القيام الى الصلوة

اليل والذكر قوله الاسلام يحقن به الدم آه ظاهر اخبار هذا الباب وتواليه ان الاسلام يصدق على مجرد الاقرار باللسان
من غير تصديق مطلقا سواء كان مع الاقرار بالولاية او لم يكن وعلى التصديق المجرد عن الولاية وان لم يكن معه
الاقرار باللسان وعلى كليهما مجردا عن الولاية او معها وان الايمان يصدق على التصديق بجميع ما جاء به النبي الداخل فيه
الولاية سواء كان معه عمل بما يقتضيه ذلك التصديق او لم يكن وان كان المقرون بالعمل هو الفرد الكامل من الايمان
هو الايمان عند اصحاب العصمة عليهم السلام كما يشعر به كثير من اخبارهم ونظير ما ذكرنا ان الايمان اخص من الاسلام
وان ما هو اثر الاسلام ولوازمه فهو ايضا اثر الايمان ولوازمه دون العكس وذكر من اثر الاسلام ثلثة امور الاول
انه يحقن به الدم ويحفظ به من القتل والثاني ان تعودون به الامانة وكان المراد ان اداءها الى اهل الاسلام او كذا
وانه مما يحكم به اهل الاسلام والاظهر الاخير والروايات الكثيرة ان اداء امانة الكافر وان كان حربيا واجب ايضا
واحتمال الارادة انه يحفظ به ماله كما يحقن به دمه او يحفظ به امانة الحربي لظهر والله اعلم والثالث انه تستحل به الفروج
والتناكح وهذا يدل على جواز التناكح بين اهل الاسلام مطلقا الآن في جواز تزويج المؤمنة بالمخالف قولين الاول
ذهب المفيد والمحقق الى جوازه والمشهور المنع لدلالة الاخبار عليه وفي بعضها تعليل بان المرأة تاخذ من ادب
زوجها وتقهرها على دينه لكن في بعضها ارسال وفي بعضها ضعف وفي بعضها جهالة والاحتياط ترك تعصبا من
الخلاف وحذرا من التهجم على استباحة الفروج وتطهير التناسل وذكر من اثر الايمان المختص به الثواب عليه و
هذا يدل على ان غير المؤمن لا ثبات في الاخرة ولا تدخل الجنة كما يدل عليه الايات والروايات المعتبرة ولعل
الفرق الناجية قوله الاقرار وعمل والاسلام اقرار بلا عمل لعل المراد بالاقرار الاقرار بالشهادتين وبالعمل عمل
القلب وهو التصديق بجميع ما جاء به النبي ويطلق العمل عليه ايضا كما سيجيء في الباب الثالث بعد هذا الباب فيدل
على ان الايمان مركب من الاقرار والتصديق كما ذهب اليه المحقق والطوسي واستدل على ان الاول وحده وهو الاقرار
باللسان ليس بايمان بقوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فقد اثبت الاقرار اللساني ونفى
الايمان فعلم ان الايمان ليس هو الاقرار اللساني وعلى ان الثاني وحده وهو التصديق ليس بايمان بقوله تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم اثبت الكفار الاستيقان الذهني وهو التصديق فلو كان الايمان نفس التصديق
لزم اجتماع الكفر والايمان في شخص واحد في آن واحد ولا شك انهما متقابلان ولا يمكن اجتماعهما كذا قيل وفيه
نظر اما اولا فلان التصديق لما كان مقرونا بالانكار كان غير معتبر لان التصريح بالنقيض مما كان مانعا من
القبول والاعتبار واما ثانيا فلان هذه الاية انما يدل على ان التصديق وحده ليس بايمان ولا يدل على ان
الاقرار باللسان جزء من الايمان لجواز ان يكون شرطا له وينتفي المشروط بانتفاء الشرط كما ان الكل ينتفي بانتفاء

الجزو

الجزو ومن ثم حمل المتكلمون القائلون بان الايمان نفس التصديق الاخبار الدالة على جزئية اعمال الجوارح للايمان
على انها للكمال بمعنى ان العمل ليس جزءا للايمان بحيث ينعدم الايمان بعدم العمل بل اضافة العمل اليه اضافة كمال
وكمال وكذا حملوا الاخبار الدالة على جزئية الاقرار باللسان على انه شرط في الايمان لا جزء منه وعلى هذا حملوا
الاخبار المختلفة الدال بعضها على ان الايمان نفس التصديق وبعضها على انه التصديق والعمل مثل الصلوة والزكوة
وغيرهما وبعضها على انه التصديق والاقرار ومعنى قوله عليه السلام والاسلام اقرار بلا عمل ان الاسلام اقرار
بالشهادتين وغيرهما بلا اعتبار عمل قلبي وهو التصديق معه بناء على ما ذكرنا من ان المراد بالعمل العمل القلبي
ثم ان هذا الخبر الخبرين بعده مناسبة ظاهرة لما مناسبته للاول منهما فظاهرة واما الثاني فلان ضم افعال
الجوارح الى الاقرار من غير ان يكون معه تصديق قلبي يصدق عليه انه اقرار بلا عمل اي بلا تصديق ولا يصدق
عليه انه اقرار وعمل فليتامل قوله قالت الاعراب امنا آه بلا اقرت الاعراب بالشهادتين قالوا امنا بهذا الاقرار
فقال الله تعالى لنبيه قل لم تؤمنوا بعد لان هذا الاقرار ليس بايمان ولكن قولوا اسلمنا اذ لستم بمؤمنين ولما يدخل
الايمان اي التصديق الخاص في قلوبكم ففيه دلالة على ان الاسلام نفس الاقرار اللساني والايمان نفس التصديق
قال بعض العامة الاسلام الشهادتان والايمان العمل ثم قرأ هذه الاية وفيه دلالة ولعل مراده بالعمل العمل
القلبي وهو التصديق كما ذكرناه قوله فلم يجبه كانه ترك الجواب للتقية ولئلا يذكره السائل لاهل المدينة ولذلك
اجابه عند خروجه منها قوله الاسلام هو الظاهر الذي عليه الناس اريد بالظاهر الاعمال الظاهرة وقوله شهادة ان
لا اله الا الله وما بعده بدل له للايضاح واريد بالشهادة الاقرار باللسان بالتوحيد والرسالة سواء كان معه
تصديق اولا وقد عرفت سابقا ان الاسلام يصدق على كل واحد منهما قوله الايمان معرفة هذا الامر
هذا اي الايمان معرفة الولاية والتصديق بها مع هذا الظاهر المذكور وقد يحتج به من يجعل الايمان مركبا من
التصديق والاعمال الظاهرة وفيه ان المقيد لا يدل على الجزئية لانها اعم منها على تقدير التسليم فلعلها نفس الايمان
الكامل والمناقشة في كون الاعمال جزءا له او شرطا سهل والفرق بين الضال والكافر ان الضال كافر في الحقيقة
الكافر لم يدخل في الدين والضال دخل فيه وترك اعظم اركانه وهو الولاية فضل عنه قوله فمن زعم انهم آمنوا
فقد كذب آه اي من يزعم انهم امنوا بجعل الايمان عبارة عن مجرد الاقرار بالشهادتين والاعمال الظاهرة فقد
كذب ومن يزعم انهم لم يسلموا تمسكا بقوله تعالى والاعراب اشد كفرا ونفاقا فقد كذب لان كل واحد منهما
زعم خلاف ما اخبر الكتاب وكل من كان كذلك فهو كاذب قوله ان الايمان يشارك الاسلام والاسلام
لا يشارك الايمان المشاركة وعدمها انما باعتبار المفهوم فان مفهوم الاسلام داخل في مفهوم الايمان دون العكس ٢٠

اوباعتبار الصدق فان كل مومن مسلم دون العكس اوباعتبار الدخول فان الداخل في الايمان داخل في الاسلام
دون العكس اوباعتبار الاحكام فان احكام الاسلام مثل حقن الدما واداء الامانة واستحلال الفروج ثابتة
للايمان دون العكس فان الحكم المترتب على الايمان مثل الثواب والندر للمومن واعتاقه لا يكون للاسلام
قوله مضمها الى فرها لك وبين لى حقيقتهما حتى نظر لى حقيقة المشاركة وعدمها قوله للاسلام شهادة ان لا
اله الا الله والتصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم اكتفى بذكر الشهادة على التوحيد عن التصديق به وبذكر التصديق بالرسالة
الشهادة عليها للقرينة والتعارف لان التوحيد والرسالة امران مقرونان فما يعتبر في احدهما يعتبر في الاخر
الشهادة قلما انفك عن التصديق والتصديق قلما انفك عن الشهادة وعلى هذا فمحصل الكلام ان الاسلام التصديق
بالله وبرسوله والشهادتان وهذا لا ينافي ما مر ان الاسلام الاقرار بلا عمل اى بلا تصديق لانا قد ذكرنا ان
الاسلام يطلق على مجرد الاقرار ايضا قوله والايمان الدعاة الهدى له بابا فتين وراه متودد و يستبدل بعقود
وواردات والمراد هنا الولاية وهي الصراط المستقيم وبما ثبت في القلوب من صفة الاسلام والتصديق بالله
وبرسوله وبما ظهر من العمل الشهادتان او الاعم منهما او من اقام الصلوة وايتاء الزكوة والصوم والحج واعتبار هذه
الايمان تقوم وحصول قوله والايمان ارفع من الاسلام بدرجة لاعتبار التصديق بالولاية في حقيقة الايمان دون
الاسلام وبه يستحق العبد الثواب والكرامة في دار المقامة قوله الايمان يشارك الاسلام في الظاهر لعل المراد
ان الايمان يشارك الاسلام في جميع الاعمال الظاهرة المعتبرة في الاسلام مثل الصلوة والزكوة وغيرها والاسلام
لا يشارك الايمان في جميع الامور الباطنة المعتبرة في الايمان لانه لا يشاركه في التصديق بالولاية وان اجتمعا
في الشهادتين والتصديق بالتوحيد والرسالة ومنه تبين ان الايمان كالنوع والاسلام كالجنس وقد يطلق الاسلام
ويراد به هذا النوع مجازا من باب اطلاق العام على الخاص ولعل قوله تم واخرجنا من كان فيها الاية من هذا الباب
فقول من زعم انهما مترادفان وتمسك بهذه الاية مدفوع قوله انهما افضل مبتدا او خبر والايمان والاسلام تفسير
لمرجع الضمير اوهما مبتدا وايهما افضل خبر قوله قلت فاوجدني من اوجد فلانا مطلوبه اظفره به اى اظفرني بالمطلوب
وبينه لى بمثال جزئي قوله قلت بمثل فال اصبت قل بدليل على كفر من استخف بالكعبة فان وجوب تعظيمها من ضروريات
الدين قوله الا ترى ان الكعبة افضل من المسجد فكما ان الكعبة افضل من المسجد لخصوصية معتبرة في الكعبة غير معتبرة
في المسجد حتى اختلف بهما حكمهما كذلك الايمان افضل من الاسلام لخصوصية معتبرة في الايمان غير معتبرة في الاسلام
فلذلك اختلف حكمهما قوله وان الكعبة تشرك المسجد والمسجد لا يشرك الكعبة فان مفهوم المسجد متحقق في الكعبة
ومفهوم الكعبة غير متحقق في المسجد فالكعبة مسجد والمسجد ليس بكعبة فالداخل في الكعبة داخل في المسجد والداخل في المسجد

ليس

٢١ ليس بداخل في الكعبة وهكذا حال ما نحن فيه اعني الاسلام والايمان وبالجملة التناسب بين المثل والممثل له ظاهر
لا ستره فيه فلذلك جاء عليه السلام بهذا التمثيل من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لقصد الايضاح والتقرير
قوله وافضى به الى الله عز وجل اشار به الى ان المراد بما استقر في القلب مجموع التصديق بالتوحيد والرسالة والولاية
لان هذا المجموع هو المفضي الى الله عز وجل لا كل واحد ولا كل اثنين منها وقوله وصدقه العمل مشعر بان العمل خارج
عن الايمان ودليل عليه لان الايمان هو التصديق امر قلبي يعلم بدليل خارجي مع ما فيه من ان الايمان لا
بلا عمل ليس بايمان قوله والاسلام ما ظهر من قول او فعل اي قول بالشهادتين او فعل بالطاعات مثل الصلوة والصوم
والحج وغيرها فيدل على ان الاسلام يطلق على مجرد الطاعات من دون الاقرار بالشهادتين والتصديق بهما قوله
فخرجوا بذلك من الكفر واضيفوا الى الايمان ولم يكونوا من اهل الايمان فما هم من هولاء ولا من هولاء ولا يجري
عليهم شيء من احكامهما وان كان يجرى احكامهم على اهل الايمان قوله وهما في القول والفعل يجتمعان اى الاسلام
والايمان يجتمعان في القول بالشهادتين والفعل بالطاعات الا انهما داخلان في حقيقة الاسلام خارجان عن حقيقة
الايمان على ما هو الحق عند جماعة من المتكلمين ولعل المقصود التنبيه على تساويهما في طلب الفضائل والاحكام و
الحدود كما سيصرح به قوله فقول الله عز وجل اصدق القول فهو يبطل قول كل من قال بان الاسلام يرادف الايمان
ومن يزعم ان الاعراب لم يسلموا ومن زعم انهم امنوا قوله قلت فهل للمومن فضل على المسلم اه كان قصده هل للمومن اختصاص
بشيء من الفضائل والاحكام الشرعية وحدودها لا يكون للمسلم مكانه فاجاب عليه السلام بانهما متساويان في ذلك ولا
يكون للمومن على المسلم فضل في شيء منه وانما الفضل للمومن في العمل والثواب وما يتقرب به الى الله تعالى من الطاعة
والانقياد لان الفضل مشروط بالايمان وهو مفقود في المسلم قوله قلت اليس الله عز وجل يقول من جاء بالحسنة فله
عشر امثالها اه لما حكم عليه السلام بان للمومن فضلا على المسلم في الاعمال ساله حمران على سبيل التقرير والاستفهام بانك
زعمت ان المومن والمسلم مجتمعون على الصلوة والزكوة والصوم والحج وغير ذلك من الطاعات ومكلفون جميعا بها
وقال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها والموصول للعموم فهذه الاية مع ما زعمت يقتضي ان يكون المومن
والمسلم متساويين في الفضل فكيف يكون للمومن فضل على المسلم في الاعمال فاجاب عليه السلام بانه اليس قال الله تعالى
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وهذا الجواب على فهمنا القاصر يحتمل وجهين الاول
القرض الحسن هو الايمان فالمومنون هم الذين يضاعف الله عز وجل لهم حسناتهم لا غيرهم فيعطيهم لكل حسنة
عشرة وربما يعطيهم لكل حسنة سبعين ضعفا فهذا فضل المومن على المسلم ويزيد الله في حسناته على قدر
ايمانه وحب كماله اضعافا كثيرة حتى انه يعطي بواحدة سبعمائة او ازيد ويفعل الله بالمومنين ما يشاء من الخير الذي

لا يعلمه الا هو كما قال ولدينا مزيد والثاني ان تساويهم في فضل واحد يعني على تقدير العموم الموصول لا يقتضي
ان لا يكون للمؤمن فضل على المسلم في الاعمال لان الله تعالى يضاعف له عمله اضعافا كثيرة فيعطيه لكل حسنة سبعين
ضعفا فهذا فضل المؤمن على المسلم الى آخر ما ذكر ولعل الاول بالمعنى اقرب والثاني بالعبارة انسب لا يقال ما ذكر
من الآيات والروايات على ان اعمال غير المؤمن يكون هباء منثورا ينافي الاحتمال الثاني فكيف التوفيق بينهما لانا نقول
لعل عمل غير المؤمن ينفعه في تخفيف العقوبة والله يعلم حقيقة كلامهم وليه قوله قلت ارايت من دخل في الاسلام اليس هو
داخلا في الايمان الاسلام عبارة عن التصديق بالتوحيد والرسالة او عن الاقرار بهما دينا او عن الاتيان بالاعمال
الظاهرة او عن المجموع او من الاثنين منهما وجوز السائل ان يكون ذلك نفس الايمان او ظن ذلك ولذلك قال على سبيل
الاستفهام او التقرير اليس هو اي الداخل في الاسلام داخلا في الايمان بان يكون الاسلام عين الايمان فقال
عليه السلام لا لان الايمان اما التصديق المذكور مع التصديق بالولاية او هذا مع الاقرار والعمل فالاسلام اما
جزء الايمان او حد من حدوده ومن البين ان جزء الشيء او حده غير ذلك الشيء فالداخل في الاسلام غير داخل في الايمان
وليس بمؤمن ولكنه اضيف الى الايمان بالدخول في جزئه او في حد حدوده وخرج بذلك من منزل الكفر و
بالجملة للناس ثلثة منازل الاول الكفر والثاني الاسلام والثالث الايمان وهذا قد خرج من منزل الكفر و
دخل في منزل الاسلام ولم يدخل في منزل الايمان بعد وانت خبير بان هذا السؤال لا يتوجه بعد العلم بما سبق
الكلام الا ان يقال ان السائل لم يعلمه كما هو حقه لكونه امرا معقولا دقيقا والمعاني الدقيقة قد لا يعرفها المخاطب
حق المعرفة الا بالتكرار والتنبيه بمثال محسوس فلذلك اورده عليهم السلام في الجواب محسوسا لقصد التفهيم والايضاح
فليتامل قوله قلت لا يجوز ذلك لان المسجد ليس بكعبة لا يقال هذا الا ما لا نحن فيه فان الاسلام جزء من الايمان
والداخل في الجنة داخل في الكل لانا نقول قصد السائل الداخل في الاسلام هل هو مؤمن ام لا كما اشرنا اليه سابقا بل
قوله ابصرت رجلا في الكعبة اكنت شاهدا انه قد دخل المسجد الحرام قلت نعم هذا الدليل على ان الكعبة جزء المسجد
[illegible] قال اكنت شاهدا انه قد دخل المسجد ولم يقل اكنت شاهدا انه في المسجد قوله لا يصل الى دخول
الكعبة لعل لفظ الدخول لان الوصول الى الكعبة لا يستلزم الدخول فيها وهو المقصود ههنا قوله والايمان هو الاقرار
باللسان وعقد في القلب وعمل بالاركان هذا تفسير للايمان الكامل الذي لا يكون الا للمؤمنين المتقين المتورعين المخلصين
وهو مركب من هذه الامور اعني الاقرار بالشهادتين والتصديق بالتوحيد والرسالة والولاية والامامة والعمل
بالاركان الظاهرة مثل السمع والبصر واللسان واليد والرجل باستعمال كل واحد منهما فيما خلق لاجله وقد شاع
اطلاق الايمان عليه عند ارباب العصمة عليهم السلام فكان غيره اعني العقد في القلب وان كان ايمانا في نفس الامر

نفعه

٢٢

لضعفه وقلته انه ليس بايمان كما يرشد اليه الحصر في قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون وعلى هذا الاضافات بينه وبين ما دل من الاخبار
على ان الايمان عقد القلب قوله والايمان بعضه من بعض اذ منازل الكمال متفاوتة والادنى منها معد لحصول
الاعلى وبذلك يبلغ الانسان من غاية الكمال وعلات الحقيقة الانسانية وعلى هذا فالمراد ان بعض افراد هذه
الايمان من بعض فان الادنى منه معد لحصول الاعلى وهكذا الى ان يحصل فرد هو اعلى مراتب الايمان المطلوب
من الانسان او المراد ان بعض اجزائه من بعض فان اصل التصديق يقتضي العمل والعمل يقتضي حصول تصديق
آخر هو اكمل وافضل وهذا التصديق يقتضي حصول عمل هو اكمل من الاول وهكذا يتبادلان الى ان يبلغ كل
من الظاهر والباطن الى غاية كمال الانسان وتحصيل نهاية مراتب الايمان قوله وهو دار وكذلك الاسلام
دار والكفر دار الداخل في الاولى من اتصف بالايمان ولوازمه وفي الثانية اتصف بالاسلام وآثاره وفي
الثالثة من اتصف بالكفر وخواصه ولا يكون احدهم داخلا في دار الآخر الا المؤمن فانه داخل في دار الاسلام
ايضا لان له ايضا صفة الاسلام وآثاره كما اشار اليه بقوله ولا يكون مؤمنا حتى يكون مسلما واما المسلم
فقد لا يكون مؤمنا وسر ذلك ان الاقرار بالتوحيد والرسالة مقدم على الاقرار بالولاية والعمل والمؤمن و
المسلم بسبب الاول يخرجان من دار الكفر ويدخلان في دار الاسلام ثم المسلم بسبب الاكتفاء بهذه يستقر في
الدار والمؤمن بسبب الثاني يترقى ويدخل في دار الايمان ومنه لاح ان الاسلام قبل الايمان وانه يشاركه فيما
هو سبب الخروج من دار الكفر لا فيما هو سبب للدخول في دار الايمان وبهذا التقرير يندفع المنافاة بين قوله
ههنا وهو يشارك الايمان وقوله سابقا والاسلام لا يشارك الايمان فليتامل قوله فاذا اتى العبد كبيرة من كبائر
المعاصي الخ لما كان العمل معتبرا في حقيقة الايمان الكامل كان الاتيان بالمعصية مطلقا موجبا لسقوط اسم
هذا الايمان عنه وهبوطه من دار الايمان الى دار الاسلام وثبوت اسم الاسلام عليه ويستمر هذا الى ان يتوب
ويستغفر فان تاب واستغفر عاد الى دار الايمان لزوال مانعه وهو المعصية بالتوبة والاستغفار ولا يخرجه
من دار الايمان الى دار الكفر الا الجحود للشارع والرسول وتحليل ما هو حرام وتحريم ما هو حلال من ضروريات
الدين او بعد العلم بحله وحرمته او مطلقا وجعله دينا له ولم يتبعه فعند ذلك يكون خارجا من دار الايمان و
الاسلام داخلا في دار الكفر وكان بمنزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة واحدث معاندا فيها حدثا فاخرج عن
الكعبة وعن الحرم فضربت عنقه وصار الى النار وهذا التمثيل يدل على ان المرتد يقتل وان القتل لا يدفع عنه
العقوبة الاخروية واستثنى منه الملي والمراة لقبول توبتهما فيرجعان بعدها الى الايمان قوله لو ان رجلا دخل الكعبة

فاولت منه بوله آه يعنى من هذا التمثيل ان المؤمن اذا صدر منه ذنب يوجب كفره خرج من الايمان والاسلام
ودخل فى الكفر واستحق القتل الا من استثنى قوله باب على بن محمد عن بعض اصحابه آه فى السند مع الارسال جهالة
والغرض من هذا الباب ان الايمان قبل الهجرة لضعف الدين وقلة ناصره كان مجرد التصديق بالتوحيد والرسالة
ثم صار بعدها القوته وكثرة ناصره وشيوع الاحكام فيه وصدور الوعيد عليها هذا مع التصديق بالولاية و
العمل وان الكفر يتحقق بانتفاء واحد منها وان المؤمن لا يعذب اصلا وان الايمان فى الشرايع الثانية كان
ايضا كذلك وان كثيرا من هذه الامة لزيغ قلوبهم وعدم رجوعهم الى المرشد بالحق اتبعوا المتشابهات والمنسوخات
ورفضوا المحكمات والناسخات وزعموا ان الايمان انما هو بالمعنى الاول وحده ولم يعلموا النسخ وحاله ذلك
وضم معه شئ آخر قوله ان ناسا تكلموا آه التنكير للتحقير او للتكثير او لهما وذلك اشارة الى تكلمهم وما بعده بيان
لوقوعه لان الله تعالى اخبره واعلم انه لا يجوز تاويل متشابهات القرآن والاحاديث عندنا بالرأى بل يجب صرفه
الى الراسخين فى العلم وهم اهل الذكر عليهم السلم ومن يتعرض له من اصحابنا فانما يتعرض لوجوهه على سبيل الاحتمال
من غير جزم باحدها الا ان يدل عليه دليل آخر قوله من ام الكتاب آه قيل ام الكتاب اصله الذى يرجع اليه عند
الاشكال اى هن اصول ما اشكل من الكتاب فيرد ما اشكل منه الى ما اتضح منه وقيل غير ذلك والزيغ الميل عن الحق
الى غيره والفتنة الضلال او الشك والتاويل صرف الكلام عن ظاهره الى خلافه والمتبعون للمتشابه ابتغاء الفتنة
منهم من يتبعه للقدح فى التشكيك فيه واضلال العوام كالزنادقة والقرامطة وغيرهم ومنهم من يتبعه ويعتقد
بظاهره كالمجسمة والمصورة ومنهم من يتبعه ويحمله على خلاف ظاهره برأيه كاهل السنة واما الفرقة الناجية
فيرجعون فى تاويله الى الله والى الراسخين فى العلم وقد جرت الحكمة البالغة على ان يمتحن الله عز وجل عباده فى
هذه النشاة بانحاء شتى ومما امتحنهم به انزال المتشابهات والله ولى التوفيق قوله فالمنسوخات من المتشابهات
والمحكمات من الناسخات النسخ فى اللغة الازالة والابطال وفى العرف ازالة حكم شرعى بدليل شرعى متاخر
والمتقدم منسوخ والمتاخر ناسخ والمحكم فى اللغة المتقن وفى العرف يطلق على ما له معنى لا يحتمل غيره وعلى
ما اتضح دلالته وعلى ما كان محفوظا من النسخ او التخصيص او منهما جميعا وعلى ما لا يحتمل من التاويل الا
وجها واحدا والمتشابه يقابله بكل واحد من هذه المعانى اذا عرفت هذا فنقول ان الظاهر ان الفاء للتفسير زيادة
تقطيع حالهم بانهم يتبعون المنسوخات والمتشابهات دون المحكمات والناسخات لان المنسوخات من باب
واحد المتشابهات فى التشابه اذ يشتبه عليهم ثباتها وبقاؤها والمحكمات من قبيل الناسخات فى الثبات والبقاء
فاذا اتبعوا المتشابهات اتبعوا المنسوخات لانهما من باب واحد ولذلك قالوا الايمان هو مجرد التصديق بالله

ورسوله

ورسوله ولم يعلموا انه كان كذلك قبل الهجرة ثم نسخ بعدها واضيف اليه الولاية والعمل ويحتمل ان يكون التفريع
لانه يفهم من الآية اتباعهم المنسوخات لكونها من باب المتشابهات وعدم اتباعهم المحكمات لكونها من
باب الناسخات التى لم يتبعوها وعلى هذا الاخير فى قوله عليه السلم والمحكمات من الناسخات كما زعمه بعض
من نظر اليه وقال كون المنسوخات من افراد المتشابهات واخص منها له وجه واما كون المحكمات من افراد
الناسخات واخص منها فلا وجه له بل الامر بالعكس ففيه قلب فليتامل قوله ان الله عز وجل بعث نوحا آه
كان المراد هنا امران الاول يعلم ضمنا وهو ان الله عز وجل بعث الانبياء وقرر الايمان والشرايع واوجب
على عباده الرجوع اليهم وعدم التعول فى الدين بارائهم الثانى ان الايمان فى بداية بعثة كل رسول كان مجردا
التصديق بالتوحيد والرسالة ومن مات عليه كان مؤمنا وجبت له الجنة ثم صار بعد وضع الاحكام
والوعيد على مخالفتها وكثرة الامم واستجابتهم هذا مع العمل حتى من ترك تلك الاحكام خرج من الايمان
واستحق الدخول فى النار وفيه رد على من زعم ان الايمان انما هو التصديق المذكور والله اعلم قوله فمن آمن
مخلصا اى من آمن بالله ونفى الشرك عنه وآمن برسوله وبما جاء به الرسول مخلصا معتقدا غير مشوب بالشك
ومات عليه ادخله الله الجنة بذلك ولا يعاقبه بترك الاعمال ولا ينافى ذلك وجوبها لان الواجب ما
يستحق تاركه وما لا انما يعاقب تاركه واستحقاق الذم لا يوجب العقوبة بل لا يوجب الذم ايضا قوله وذلك
ان الله ليس بظلام للعبيد الظاهر ان ذلك اشارة الى ادخاله فى الجنة بمجرد تلك الشهادة والاقرار وان لم يعمل
بيان ذلك انه مؤمن وعدم ادخال المؤمن فيها ظلم لاستحقاقه اياها والله ليس بظلام للعبيد بمنعهم عن
حقوقهم وفيه مبالغة فى نفى الظلم لا نفى مبالغة فى الظلم على الله لو ارید هذا لا يمكن ان يقال فيه نفى
للظلم بالكلية لان كل صفة له تعالى على وجه الكمال فلو كان له ظلم كان ظلمه على وجه الكمال فاذا انفى عنه
الظلم على هذا الوجه فقد نفى عنه الظلم راسا قوله وذلك ان الله لم يكن يعذب آه لعله اشارة الى
عدم تعذيبه بترك العمل لكونه مذكورا التزاما لان ادخاله الجنة بمجرد ذلك التصديق يستلزم عدم
التعذيب بترك العمل بيان ذلك ان الله تعالى لم يكن يعذب العبد بالمعاصى حتى يغلظ عليه فيها ويوجب
لمن عمل بها النار ولما لم يغلظ عليه فيها ولم يوعده بالنار بها فى ذلك الزمان لا يعذبه قوله فلما استجاب
لكل نبى من استجاب آه لعل المراد ان الايمان بعد استجابة الامم وكثرتهم ووضع الشرايع من الاوامر والنواهى
والحدود والتغليظ عليهم بالمعاصى ووعيدهم بالنار بفعلها صار عبارة عن ذلك التصديق والعمل حتى
من ترك واحدا منهما كان كافرا يعذب بالنار والشرعة والمنهاج متغايران لان الشرعة طريق الدين والمنهاج

٢٣

الطريق المستقيم والمراد بهما الاحكام والفرائض والحدود وغيرها من التكاليف التي وقع التغليظ بها والوعيد فيها
قوله ومن استخف بحقه واستحل ما حرم الله عليه دل على ان مخالفة الاحكام كفر يوجب الدخول في النار مع الاستحلال
والظاهر انه لا خلاف فيه بين الائمة وما ذلك الا لان الاقرار بها والعمل بها داخلان في الايمان واذا كان كذلك كان تاركهما
وان لم يستحل كافرا يعذب بالنار ايضا كما يدل عليه سياق العبارة الاتية قوله حيث استحلوا الحيتان اه اي استحلوا
صيدها او اكلها يوم السبت ظرف لاحتبسوها لا لاكلوها اي احتبسوها يوم السبت في مضيق سد الطريق عليها
ثم اصطادوها يوم الاحد واكلوها فعلوا ذلك حيلة وتحرزا من اصطيادها في يوم السبت ولم ينفعهم تلك الحيلة لان
احتباسها فيه هتك لحرمته فخرجوا بذلك من الايمان الى الكفر ولذلك غضب الله عليهم من غير ان يشركوا بالرحمن و
ان يشكوا في رسالة موسى وما جاء به ولذلك لم يصطادوا يوم السبت فسبب الغضب عليهم ودخولهم في النار ليس
الا تركهم حرمة السبت واحتباس الحيتان فيه فعلم ان الايمان ليس مجرد التصديق بل هو مع العمل لان المؤمن لا
ولا يدخل النار وفيه شيء لان استحلالهم الحيتان ينافي ظاهر عدم شكهم بما جاء به موسى ويمكن دفعه بان ما جاء به
موسى تحريم الحيتان يوم السبت وهم استحلوها يوم الاحد ولحق بهم ما لحق بسبب احتباسهم يوم السبت والله اعلم
قوله ولقد علمتم اه استشهاد لقوله غضب الله عليهم اوله ولما قبله قوله وان كان الذي جاء به النبيون جميعا ان
لا نشرك بالله شيئا الموصول اسم كان وان لا نشرك خبره او المجموع اسمه وخبره محذوف اي وان كان معه ما
جاء به النبيون وهو عدم الشرك فعلى الاول يفيد عدم ورود النسخ عليه والثاني يفيد ان من لم يتبع يدخل النار
وان كان معه عدم الشرك بالله قوله تشهد ان لا اله الا الله اه لعل المراد به التصديق بالتوحيد والرسالة
فقط او مع الاقرار باللسان لا مجرد الاقرار بقرينة قوله وهو ايمان التصديق والمراد بالاسلام ح هو الاقرار و
ما مر من ان الايمان اقرار وعمل والاسلام اقرار بلا عمل لما ذكرنا ان العمل عبارة عن التصديق قوله وهو ايمان
التصديق الايمان على نوعين احدهما هذا والاخر ايمان التصديق والعمل والثاني درجات متفاوتة كما و
كذا الاول لان له تفاوتا معنويا بالقوة والضعف اما بالذات او باعتبار الاعمال الخارجة عنه ثم التعذيب قبل
الهجرة بترك الاول فقط وبعدها بترك الاول والثاني قوله الا من اشرك بالرحمن اي من نفى التوحيد او الرسالة
بقرينة السياق قوله وذلك ان الله عز وجل انزل في سورة بني اسرائيل اه ذلك اشارة الى مفهوم الحصر ومنطوقه اعني
عدم التعذيب بغير الشرك والتعذيب به في مكة قبل الهجرة وقوله وقضى ربك الى قوله ولا تجعل مع الله
آخر بيان للاول وتصديق له حيث انه عز وجل انزل آيات فيها وذكر احكاما ولم يغلظ فيها ولم يوعد عليها
ولم يعاقب بها الا انه لا يعاقب قبل التغليظ والتشديد والوعيد وقوله ولا تجعل الى قوله حتى اذا اداركوا فيها جميعا

بيان

٢٤

بيان للثاني وتصديق له لانه صريح في انه يعذب بالشرك واوعد عليه قوله ولا تقف اه دل على تحريم القول
والعمل والاعتقاد ونحوها بما لم يعلم قال ابن عباس لا تقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر ولا علمت ولم تعلم
وقال بعض العلماء المراد بسؤال الجوارح اما سؤال نفسها او سؤال اصحابها كما يظهر من اولئك او جعلت بمنزلة
ذوي العقول او هم ذوو العقول مع الله تعالى وهو اظهر كما في كثير من الآيات والروايات قوله ولا تمش في الارض
مرحا اه اي لا تمش في الارض اشرا وبطرا واختيالا انك لن تخرق الارض شيئا فكيف وكذلك في المشي او بضرب تدسيك
عليها لتعرف قدرتك وقوتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وحدة عنقك فاوجه تفاخرك وعدم تواضعك
كل ذلك المذكور من النواهي كان سيئه ومعصية عند ربك مكروها مريدا تركه ولا يرضاه من بيان نات العبد
مبين ضعيف وعليه التواضع والتودد والوقار قوله ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا اي
مطرودا من طريق جنته مبعدا من نيل رحمته مدفوعا من احسانه ورافته وهذا شروع في ذكر آيات نزلت في
مكة دالة على الوعيد بالشرك والتعذيب به قوله وهذا مشرك اي هذا المذكور وهو الاشقى والملقى في جهنم مشرك
لا غيره ممن صدق بالتوحيد والرسالة وترك العمل في مكة لانه مؤمن بايمان التصديق الذي كان هو الايمان
في مكة والمؤمن لا يلقى في جهنم ولا يصلى نارا قوله جنود ابليس ذريته من الشياطين دون من اتبعه من الغاوين لان
الناسبين خرج من التاكيد قوله وقوله وما اضلنا الا المجرمون يعني المشركين حكاية عن اهل جهنم قالوا وهم فيها يختصمون
تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون وقوله مبتدأ ويعني خبره والجملة عطف
على جملة جنود ابليس ذريته واريد بالمجرمين المشركون الذين اقتدى بهم هؤلاء القائلون وقولهم امة محمد صلعم
اشارة الى ان التابع والمتبوع كليهما من امته لدفع ما عسى ان يقال من ان الآية في بيان اليهود والنصارى ووصف مشركيهم
القائلين بان عزير ابن الله والمسيح ابن الله ووصف تابعيهم لا في بيان حال المشركين من قوم محمد صلعم في مكة قوله وصدق
ذلك قول الله عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح كذب اصحاب الايكة كذبت قوم لوط ذلك اشارة الى قولهم هم امة
محمد صلعم والايكة غيضة بقرب مدين سكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعثه الى مدين ووجه التصديق في
ان الآية تسلية له صلى الله عليه واله بان قومه ان كذبوه فهو غير منفرد في التكذيب فان هؤلاء الرسل قد كذبهم
قومهم قبل قومه وفيه دلالة واضحة على ان المجرمين هم المشركون المكذبون من قومه دون اليهود والنصارى
قوله ليس هم اليهود اه تاكيد لقوله ليس فيهم من اليهود والنصارى احدا والاول نفي للمشرك وهذا نفي للاختصاص
قوله سيدخل الله اليهود اه اشارة الى انه لا يلزم من اختصاص الآية المذكورة بمشركي قوم صلى الله عليه واله ان
لا يدخل اليهود والنصارى النار اذ عدم فهم دخولهم فيها من هذه الآية لا يوجب عدم دخولهم فيها لانهم ايضا

يدخلون فيها بابا دلرا اخرى كما يدخل كل قوم بامامهم قوله وقولهم وما اضلنا الا المجرمون اذ دعونا الى سبيلهم اشاروا

بذلك الى سبب الاضلال وهو ان المجرمين دعونا الى سبيلهم وهو الشرك فاستحسناهم واتبعناهم ولما كان قولهم

هذا يدل صريحا وضمنا على نسبة الاضلال اليهم والمخاصمة بينهم وبراءة بعض من بعض والاعتذار من ضلالتهم

اشار الى انه اخبر بجميع ذلك قول الله عز وجل فيهم الى آخر ما ذكروا وادركوا اصله تداركوا فادغم ومعناه تلاحقوا اى

لحق اخرهم اولهم قوله فلما اذن الله لمحمد صلى الله عليه وآله في الخروج آه لما فرغ مما دل على ان الله تعالى لا يعذب قبل

الهجرة الا بالشرك وهو انكار التوحيد والرسالة شرع فيما دل على انه يعذب بعدها بالشرك وبترك الطاعات

وفعل المنهيات وهو مع انضمام ان المؤمن لا يعذب دل على ان العمل معتبر في تحقق الايمان بعدها وبالجملة المفهوم

من احاديث هذا الباب ان المؤمن لا يعذب وان الايمان قبل الهجرة مجرد التصديق وبعدها التصديق مع العمل

وبناء الاسلام بعدها على خمس دل على ان من ترك شيئا منها خرج من الاسلام ودخل في الكفر وانما قال بنى الاسلام

ولم يقل بنا الايمان لئلا يتوهم ان التارك داخل في الاسلام ثم ان تسمى كل واحد من هذه الخمسة ايمانا انما هي كما

المجموع على ما يظهر من الباب الاتي كان مصداق الايمان قبل الهجرة اقل من مصداقه بعدها والا فهو اكثر قوله ولا

يلعن الله مؤمنا وكذا لا يغضب ولعل المراد ان قاتل المؤمن متعمدا كافر خارج من الايمان والطاعات قوله قال الله

عز وجل آه استشهد لعدم لعن المؤمن وفي دلالته عليه خفاء لان تعلق اللعن بالكافرين لا يدل على عدم تعلقه بغيرهم

الا ان يقال تخصيصهم بالذكر يدل على ذلك او يقال المقصود من الآية بيان الملعونين وتعيينهم وتمييزهم عن غيرهم ويرشد

اليه قوله عم فقد بين ذلك من الملعونين في كتابه فاذا لم يذكر غير الكافرين علم ان اللعن لا يتعلق بالمؤمنين قوله

وكيف يكون في المشية كيف للانكار ردا على من زعم ان القاتل في مشية الله تعالى ان شاء عذبه واخزاه وان شاء

رحمه ونجاه اى كيف يكون هو في المشية وقد الحقه بالكافر في دخوله في النار ابدا وصرح بالغضب واللعنة عليه قوله

قد بين ذلك من الملعونين في كتابه ذلك اشارة الى قوله تعم وفاعل لعن ومن مفعوله واذا كان ذلك بيانا لما الملعونين

على انهم هم الكافرون فلا يكون المؤمن ملعونا قوله ذلك ان اكل مال اليتيم آه اليتيم معروف وقد يطلق على آل محمد صلى الله

عليه وآله بل على شيعتهم ايضا كما دل عليه بعض الروايات ولا يبعد التعميم هنا قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة

نهى الزاني عن نكاح المؤمنة نهي تحريم او تنزيه لعدم التناسب بينهما في الايمان ورخص له نكاح الزانية والمشركة لتحقق

التناسب بينهما في الكفر ولعل الغرض من النهي والترخيص هو الاشعار بخبث الزنا واهانة اهله والزجر عنه لانه الذي

بعده عن الايمان وقربه الى الكفر ولاستنكاف طبع المسلم ان تكون زوجته زانية او مشركة وبعثه ذلك على ترك

الزنا وحثه على هلا نظيره قوله فلم يسم الله الزاني مؤمنا ولا الزانية مؤمنة وجه التفريع انه قارن الزاني بالمشرك

والزجر

واخرجه من حكم المؤمن وقارن الزانية بالمشركة واخرجها من حكم اولئك لما منع بمفهوم الحصر الاول ان ينكح الزاني

مؤمنة لانتفاء الكفو وهو الايمان ويجوز بمنطوق الثاني ان ينكح الزاني والمشرك زانية لتحقق الكفو وهو

الكفر علم ان الزاني والزانية ليسا بمؤمنين او انه فهم ذلك من قوله تعم وحرم ذلك اى النكاح المذكور على المؤمنين

والتحريم يحتمل الوجهين قوله وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ليس يمتري آه اى قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يزني الزاني حين

يزني وهو مؤمن لا يشك اهل العلم من هذه الامة ان هذا قوله وفي هذا الحديث وامثاله دلالة على ان الزاني

حين الزنا والسارق حين السرقة ليسا مؤمنين قطعا حتى لو ماتا في تلك الحالة كانا مخلدين في النار كسائر

الكفار وهو يشكل بظاهره لما في الروايات الكثيرة من ان تارك العمل وفاعل المعصية فاسق تلحقه الشفاعة

فلا بد من تاويله واقرب التاويلات انه ليس بكامل الايمان وانه خلع عنه الايمان الكامل كخلع القميص فيكون

من باب نفي الشيء بنفي صفته نحو لا علم الا ما نفع وقيل انه ليس بمؤمن اذا كان مستحلا وهذا ليس مختصا بما ذكر

وكانه للتمثيل وقيل ليس بمؤمن من العقاب وهذا ايضا ليس بمختص وقيل المقصود نفي المدح اى لا يقال له مؤمن بل

يقال له زان او سارق وقيل انه لنفي البصيرة اى ليس ذا بصيرة ونقل عن ابن عباس انه لنفي النور اى ليس ذا نور وقيل

انه نفي لا خبر وهو بعيد لانه لا يساعده اللفظ ولا الرواية وقيل المقصود نفي الاستحضار اى ليس بمستحضر للايمان

وقيل المقصود نفي العقل اى ليس بعاقل لان المعصية مع استحضار العقوبة مرجوحة والحكم بالمرجوح خلاف

المعقول وقيل المقصود نفي الحياء والحياء شعبة من الايمان اى ليس يستحيي من الله سبحانه وقيل محمول على التشديد

كقوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقيل انه من المتشابهات وهذا جملة القول من العامة والخاصة قوله والذين

يرمون المحصنات آه رتب على قذف المحصنات ثلثة امور الاول ثمانون جلدة الثاني عدم قبول الشهادة مطلقا

كما يقتضيه وقوع النكرة في سياق النفي قال القاضي وقيل في القذف ولا يتوقف على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة

لان الواو لا يدل على الترتيب ولان حال القاذف قبل الجلد اسوء مما بعده الثالث انه فاسق خارج عن طاعة الله

تعالى ثم الظاهر ان الاستثناء متعلق بالاخيرين واما الجلد فهو حق الناس لا يسقط الا بالاستحلال عن

المقذوف والاصلاح المذكور بعد التوبة قيل هو تاكيد وتقرير لها وقيل هو البقاء عليها وقيل هو تسليم النفس

للحد او طلب العفو عن المقذوف قوله فبراه الله ما كان مقيما على الفرية دون ان يسمى بالايمان فبراه الله تصديقه

بان يكون الضمير راجعا اليه بقرينة المقام او اريد بالايمان المؤمن مجازا او اهل الايمان بحذف المضاف وفيه

دلالة على انه اذا تاب من الفرية والكذب نفسه صار عاد الى الايمان ويسمى مؤمنا قوله قال الله عز وجل آه بيان

لعدم تسمية الزاني مؤمنا وحاصله ان الله تعالى سماه في الآية المذكورة فاسقا وجعل الفاسق في قوله افمن كان

مؤمنا لمن كان فاسقا مقابلا للمؤمن فهو غير مؤمن وله وجه آخر وهو انه تعالى سماه فاسقا وسمى الفاسق كافرا
فهو كافر والكافر ليس مؤمنا اما الاول فلما مر واما الثاني فلقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الفاسقون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قوله قال الله عز وجل ان المنافقين هم الفاسقون
دليل على جعله منافقا او حصر الفاسق في المنافق يدل على ان كل فاسق منافق قوله وليست تشهد الجوارح على
مؤمن آه هذا صريح في ان شهادة الجوارح مختصة بالكافرين كما ذهب اليه بعض المفسرين ومال اليه الشيخ بهاء
الملة والدين في الحديث الخامس من الاربعين والظاهر ان شهادتها بطريق النطق والقادر الذي انطق اللسان
على النطق قادر على انطاقها واقدارها عليه ويحتمل ان يكون بلسان الحال فان كل عضو لما كان مباشر الفعل
من الافعال كان حضور ذلك العضو وما صدر عنه في علم الله بمنزلة الشهادة القولية بين يديه وهذا الاحتمال
بعيد جدا بل منافاه ظاهر الآية قوله ولا يظلمون فتيلا الفتيل ما يكون في شق النواة من الخيط وقيل ما نفتل بين
الاصبعين من الوسخ وهو كناية عن نفي الظلم مطلقا قوله وسورة النور انزلت بعد سورة النساء الظاهر انه لم يذكره
لبيان السابق اذ لا تعلق له به بل ذكره لبيان الواقع والاشعار بان سبيلا في آية النساء هو الجلد الذي في آية النور
لان القرآن بعضه يفسر بعضا والراسخون في العلم يعرفون به بالالهام الالهي وبتعريف نبوي قوله واللاتي يأتين الفاحشة
قيل المراد بالفاحشة الزنا وقيل المساحقة وبالامساك منعهن عنها او حبسهن في البيوت وجعلها سجنا عليهن و
لعل المضاف الى الموت محذوف اي ملك الموت والسبيل هو الجلد ولم يذكره استغناء بقوله الزانية والزاني
فاجلدوا قوله ولا تأخذكم بهما رأفة قال الفاضل الاردبيلي هي تدل على تحريم ترك الحد او البعض منه كما انه
او كيفا رحمة لهما بل مطلق الرحمة بان يقال مسكين ضربوه او حصل له عذاب كثير ونحو ذلك وبالجملة الرحمة
في دين الله اي طاعته وحكمه بخلاف مقتضاه حرام بل يفهم انها تسلب الايمان بالله واليوم الآخر يعني ان
المؤمن بهما لا يفعل ذلك وفي حضور طائفة عند اقامة الحد زيادة في التنكيل فان التفضيح تنكيل اكثر مما
ينكل التعذيب والطائفة قيل اقلها ثلثه وقيل اثنان وقيل اربعة وقيل واحد وقيل جمع يحصل به التشهير قوله
قيل لامير المؤمنين عليه السلام من شهد ان لا اله الا الله آه هذا القول يحتمل ان يكون استفهاما او اخبارا وقوله عليه السلام
فاين فرائض الله يدل على انها معتبرة في الايمان ولكن بعد الهجرة واما قبلها فلا كما مر قوله لو كان الايمان كلاما
ثم لم ينزل آه اي لو كان الايمان كلاما لسانيا وهو الاقرار بالشهادتين او قلبيا ايضا وهو التصديق فان الكلام
يطلق على المعقول ايضا لم ينزل هذه الاحكام التي وقع الوعيد والتغليظ فيها وتوجيه الشرطية ظاهر فان
مناط الكرامة والثواب والملامة والعقاب هو الايمان وعدمه فلو كان الايمان مجرد كلام لم ينزل هذه الاحكام

فان قلت

٣٦ فان قلت لعل الايمان وعدمه مناط لاصل الثواب والعقاب وتفاوت الدرجات ايضا للايمان فتتم الشرطية
اذ محصلها ان الايمان موجب لاستحقاق الثواب والدرجات العالية فلو كان كلاما فقط لم ينزل الاحكام
والحاصل ان كلامنا في الايمان الكامل وظاهر انه ليس بمجرد كلام بل الاعمال والاحكام معتبرة فيها قوله
فلم يضربوه الحدود ولم يقطع ايديهم التعذيب الضرب والقطع والاهانة بما يدل على ان الزاني والشارب
مثلا ليسا مؤمنين لان المؤمن عزيز لا يعذب ولا يهان قوله ثم قال فما بال من جحد الفرائض كان كافرا
لعل المراد ان جاحد الفرائض مثل الزكوة والصوم وغيرها كافر عندهم ايضا وما ذلك الا لانها معتبرة
في الايمان واذا كان كذلك كان تاركها ايضا كافرا كما يدل عليه ما روى عن ابي عبد الله عليه السلام ان الكفر كما
يطلق على كفر الجحود كذلك يطلق على ترك ما امر الله عز وجل به وما روى عنه عليه السلام في تفسير قوله تعالى انا
هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا قال اما آخذ فهو شاكر واما تارك فهو كافر والكفر بهذا المعنى ينافي
الايمان الكامل دون ايمان التصديق وما روي من ان المؤمن لا يدخل النار يراد به المؤمن الكامل ثم المفهوم
من هذا القول ان الفرائض معتبرة في الايمان الكامل واما انها من اجزائه او شرائطه او هي نفس ايمان فلا دلالة
فيه على شيء من ذلك ولكن المشهور الاول وعليه روايات منها الرواية الاولى من هذا الباب والثاني محتمل
والثالث مدلول بعض الاخبار كما يجيء في الباب الاربع من تسمية الصلوة ايمانا قوله فقال الايمان ان يطاع
الله فلا يعصى قد ذكرنا ان الايمان في عرف الائمة عليهم السلم هو الايمان الكامل الذي لا يستحق صاحبه الخزي
والخذلان وليس ذلك الا التصديق والطاعة لله تعالى في اوامره ونواهيه فكان ما عداه ليس بايمان حقيقة
وليس المقصود نفي الايمان عن غيره لان كثيرا من الآيات والروايات دالة على ان التصديق ايمان قوله باب في ان
الايمان مبثوث لجوارح البدن كلها اللام صلة لمبثوث او بمعنى في ظرف لغو ويؤيده وجود في بدل اللام
في بعض النسخ وهو الاظهر قوله الايمان بالله آه اراد به الايمان بالله والرسالة والولاية لان لكل واحد منها بدون
الآخر ليس بايمان ولا فضل له فضلا عن ان يكون افضل واشار بقوله الذي لا اله الا هو الى ان الايمان
بربع الشرك ليس بايمان وبقوله اعلى الاعمال درجة الى انه عمل وسيصرح به وكون درجته اعلى باعتبار انه
اعظم الاعمال وعلو درجته كل عمل بقدر عظمته وكون منزلته اشرف لتوقف قبول سائر الاعمال وصحتها
عليه وكون حظه ونصيبه اسنى وارفع باعتبار ان ثوابه وجزاءه اكمل واجزل قوله قلت الا تخبرني عن الايمان
آه لما كان الجواب المذكور مجملا لم يعرف منه حقيقة الايمان سأل السائل عنها وكانه اراد بالقول المركب
المعقول والملفوظ اعني الاقرار باطنا بالتصديق وظاهرا باللسان وبالعمل عمل سائر الجوارح اذ القول بالايمان

محض الاقرار باللسان بعيد لا يحمل كلام الشايل عليه فاجاب عم بان الايمان عمل كله اى كل افراده على ما هو
الظاهر من التفصيل الاتى مثل قوله نعم وقال الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم او كل اجزائه على ان يكون
الايمان مركبا من الجميع والحق ان الايمان الكامل مركب من الجميع وان كل واحد ايضا يسمى ايمانا لان انقياد كل
عضو واطاعته فيما امر الله ايمان كما سيجيء فعل كل عضو ايمان ومجموع الاعمال المختلفة من حيث المجموع ايضا
ايمان ويعبر عنه بالايمان الكامل وهو الذى ينجى صاحبه عن الخزى و العقاب فقوله عم والقول بعض ذلك
العمل معناه على الاول انه بعض افراد ذلك العمل الذى هو الايمان وعلى الاخير انه بعض اجزائه قوله فليتامل
بفرض من الله آه الظرف متعلق بقوله الايمان عمل كله او بقوله والقول بعض ذلك العمل او بهما وبين بالسوت
وواضح وصفان لفرض والضمير فى نوره وحجته راجع اليه والمراد بالنور العلم واضافته اليه باعتبار تعلقه به
او المراد به الدليل سمى به لانه يوصل الى المطلوب كالنور والاول اولى لان هذا المعنى يفهم من قوله ثابتة
حجته والتاسيس خير من التاكيد والظاهر ان يشهد و يدعوه حال عن فرض وان ضميرها واليه راجع الى الله تعالى
وضمير والبارز فى يدعوه للفرض والمراد بدعاء الكتاب ذلك الفرض اليه سبحانه نسبته اليه وبيانه انه منه
ويحتمل ان يكون حالا من الايمان وان يكون ضميرها ويدعوه راجع اليه وضمير واليه للعمل اى يشهد الكتاب
للايمان بانه عمل ويدعو الكتاب الايمان الى انه عمل هذا الذى ذكرناه من باب الاحتمال والله اعلم بحقيقة كلام وليه
قوله الايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل اشارة الى ان الايمان متكثرة وهى حالات للانسان
باعتبار قيامها به ودرجات باعتبار ترقيه من بعضها الى بعض ومنه يظهر سر ما روى من ان الايمان بعضه
من بعض وطبقات باعتبار تفاوت مراتبها فى نفسها وكون بعضها فوق بعض ومنازل باعتبار ان الانسان
ينزل فيها ويأوى اليها فمنه التام المنتهى تمامه كايمان الانبياء والاوصياء ومنه الناقص البين نقصانه وهو
وهو ادنى المراتب الذى دون الكفر ومنه الراجح الزائد رجحانه وهو على مراتب غير محصورة باعتبار التفاوت
فى الكمية والكيفية ولى هذه الاقسام اشار امير المؤمنين عم بقوله فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا فى
القلوب ومنه ما يكون عوارى بين القلوب والصدور الى اجل معلوم قسم الايمان الى قسمين لان الايمان
ان بلغ حد الكمال فهو القسم الاول والا فهو القسم الثانى واستعار لفظ العوارى باعتبار كونه فى
معرض الزوال كالعوارى وكنى بكونه بين القلوب والصدور عن كونه مترددا غير مستقر ولا متمكن فى
جوهر النفس والقسمان الاخيران هنا اعنى الناقص والراجح داخلان فى العوارى والله هو الموفق
للهداية ومنه البداية والنهاية قوله قلت ان الايمان ليتم وينقص ويزيد لا وجه لسواله بعد ما عرف ان الايمان

درجات

درجات ولانه عمل اذ لاريب فى ان العمل يقبل الزيادة والنقصان وكانه طلب زيادة التقرير والتوضيح لتعرف
حقيقة الحال او ظن ان المراد بالعمل عمل مخصوص ان نقص انتفى الايمان وان زاد لم يكن للزيادة مدخل فيه فاجاب
عم بقوله نعم تصديقا لذلك وتصحيحا بان جنس الاعمال انواعه متكثرة يزداد الاعمال باعتبارها وينقص قال
المحقق الطوسى الايمان فى اللغة التصديق وفى العرف التصديق المخصوص وهو التصديق بالله وبرسوله
وبما ثبت انه جاء به الرسول وهذا القدر من الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان اذ الانقص منه ليس بايمان و
الزايد لا يدخل فيه بل فى كماله ومن علامات الايمان بالصالحات وترك المنهيات وبهذا الاعتبار يتحقق فيه
الزيادة والنقصان قوله وقسم عليها وفرقها فيها هذه القسمة اما قسمة الكل على جزئياته او قسمة الكل على اجزائه
والاول قرب من الشكر بالمعنى اللغوى والثانى من الشكر بالمعنى العرفى قوله فمنها قلبه الذى به يعقل آه المراد بالقلب
الروح والعقل والنفس الناطقة بالاعتبارات وقد يطلق على القوة المميزة بين الحق والباطل وهو امير البدن
وحاكم على جوارحه وحواسه فاذا رجعت الجوارح الى امره ورايه وتدبيره فى افعالها حصلت السياسة البدنية
وتحققت ملكة العدالة وانتظمت الامور وان خالفته فسد النظام وذاع الشرور واستولى المرض حتى يزول
عنها استعداد الخير بالمرة قوله وزجر الذى الباه من قبله بكسر القاف اى من عنده والباه جماع كردن قوله ينطق
هذا الكتاب لها ويشهد به عليها الضمير فى به فى الموضعين للايمان او للفرض وفى لها وعليها للجارحة قوله
فاما ما فرض على القلب من الايمان فالاقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بان لا اله الا الله آه لعل
المراد بالاقرار الاقرار بما جاء به الرسول باطنا بالقلب لا ظاهرا باللسان لان المفروض انه من فعل القلب و
بالمعرفة التصديق بالتوحيد والرسالة و بالعقد رسوخ ذلك التصديق وثبوته او العطف للتفسير وبالرضا
الرضا بقضاء الله وهو من ثمرة المحبة فان من احب الله لا ينكر من صدر منه ويكون راضيا به وان كان شنيعا
مرا مخالفا للطبع ويكون الموت والحيوة والفناء والبقاء والفقر والغنى واقبال الدنيا وادبارها عنده سواء لا
يرجح احدهما على الاخر لصدوره من المحبوب وكل ما صدر من المحبوب فهو محبوب والتسليم فوق الرضا
لان العبد فى مقام الرضا يرى نفسه ويعد كل فعل عن شانه موافقا للطبع وفى مرتبة التسليم يسلم نفسه و
طبعه وما يوافقه ويخالفه اليه ومن هنا يظهر ان الايمان القلبى متفاوت قوة وضعفا على مراتب متكثرة وان ادناها
اصل المعرفة لان زواله يوجب الدخول فى الكفر بخلاف البواقى فان زوالها يوجب زوال الكمال وربما يشعر
ما نقلناه عن المحقق سابقا والظاهر ان قوله بان لا اله الا الله الى آخره متعلق بالاقرار والمعرفة والعقد وان قوله
والاقرار بما جاء من عند الله معطوف على ان لا اله الا الله فيكون الاولان بيانا للاولين والاخير بيانا للاخير

٢٧

في ذكر عدم المؤاخذة بالنية والخاطرات

قوله وقلبه مطمئن بالايمان آه حال مؤكدة لان الاكراه لا ينفك عنه غالبا ودليل على ان الايمان من الفروض القلبية
وعلى انه لا يزول بالاكراه واظهار نقيضه باللسان عند التقية وان الاقرار باللسان وغيره من الاعمال بدونه
ليس بايمان وقوله ان تبدوا آه اى تبدوا ما فى انفسكم من الايمان والكفر والعجب وغيرها من المعاصى القلبية او
تخفوها يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء بالفضل اذا كان من اهله ويعذب من يشاء بالعدل اذا كان من اهله وهذه
الاية دلت بعمومها على المؤاخذة والتعذيب بنية المعاصى والخاطرات النفسية ويمكن تخصيصها بالعقائد القلبية
والجنايات النفسية مثل الايمان والكفر والكبر والعجب واشباهها مما يظهر من ظاهر استثنائه والمعصوم هنا الادلة
الاخبار الكثيرة الاتية فى ابوابها على عدم المؤاخذة بالنية والخاطرات لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت فان ذكر الاكتساب فى طرف المعصية دليل على انه لا يعذب بها الا بعد المبالغة فى
الكسب والمبالغة لا يتحقق الا بعد الايجاد المنوى والاتيان بها بخلاف الطاعة فانها يثبت بها اصل الكسب
وهو يتحقق بالنية فيثبت بها كما يثبت بفعل المنوى وقيل ان نية المعصية معصية يعفى لعفوه ولكنه تعالى
يعفو عن المؤمنين ويكون المراد بقوله فيغفر لمن يشاء الموصول والله اعلم قوله وفرض على اللسان القول والتعبير عن
القلب آه دل على وجوب اقرار اللسان بالاعتقادات مثل الايمان وغيره ولا يدل على اشتراط قبول الايمان
القلبى به كما ظن نعم يشترط عدم الانكار باللسان لقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وينبغى ان يراد
بالقول القول الواجب مطلقا مثل اداء الشهادات والاقرار بحقوق الناس واظهار العقائد القلبية والقول
الحسن للناس مثل تعليم العلوم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وامثال ذلك وح ذكر التعبير بعده من باب ذكر
الخاص بعد العام لزيادة الاهتمام ومن ههنا ظهر ان عطف التعبير على القول ليس للتفسير وحمله على التفسير
مع انه خلاف الظاهر مختل لوجهين الاول ان الفروض اللسانية غير منحصرة فى التعبير بل هى اكثر من ان تحصى والثانى
انه لا يناسب قوله ثم استشهد لقوله تبارك اسمه وقولوا للناس حسنا اذ لا مدخل له فى التعبير عن القلب علاوة
ما قلنا فان هذا شاهد للقول وما بعده شاهد للتعبير وينبغى ايضا ان يراد بالاقرار فى قوله تعالى عم واقربه الاقرار
القلبى لاسناده الى القلب وهو ظاهر قوله وفرض على السمع ان يتنزه عن الاستماع ما حرم الله يندرج فيه جميع المحرمات
السمعية مثل الغناء والغيبة وصوت الاجنبية والمزامير ونحوها وكلام الكذب وذم الائمة عليهم السلام وانكار
حقوقهم واستهزاء المؤمنين وغيره قوله فقال فى ذلك وقد نزل عليكم فى الكتاب آه ذلك اشارة الى النهى عن استماع
ما حرم الله ولا اصغاء ما اسخط الله والمراد بالآيات الائمة عليهم السلام او الاعم يعنى اذا سمعتم الرجل يجحد الحق
ويكذب به ويقع فى الائمة ويستهزئ بهم فقوموا من عنده ولا تقاعدوه ولا تجالسوه حتى يخوض ويشرع فى حديث

غيره

غيره فح يجوز مجالسته لارشاده وغيره مما يجوز الجلوس معه ثم استثنى موضع النسيان اذ لا تكليف معه فقال
اما ينسينك الشيطان حرمة المجالسة فلا تقعد بعد الذكرى للحرمة مع القوم الظالمين وهم المذكورون و
الاظهار فى مقام الاضمار للتنصيص على ظلمهم وللتصريح بعلة الحرمة قوله فبشر عبادى الذين آه الاضافة
للتشريف والاشعار بانهم هم المستحقون بان يسمعوا عبادا واحسن القول ما فيه رضاء الله تعالى او رضاه
اكثر وما هو اشد على النفس واشق وهذه كلمة جامعة يندرج فيها القول فى اصول الدين وفروعه ولا صلاح
بين الناس وروى ان المراد به نقل الحديث باللفظ من غير زيادة ونقصان والتعميم احسن قوله والذين هم عن
اللغو معرضون اللغو الفحش وما لا خير فيه من الكلام ويكفى فى الاستشهاد وكون بعض افراده حراما والاعراض
عنه واجبا مثل الغناء والدف والصنج والطبل والطنبور والاكاذيب وغيرها قوله واذا مروا باللغو مروا
كراما اى مكرمين انفسهم عن استماع اللغو والكريم من الناس الشريف الذى يتنزه من امثال الامور المذكورة
٢٨ قوله فهذا ما فرض الله على السمع من الايمان ان لا يصغى الى ما لا يحل هذا اشارة الى المذكور من الواجبات و
المحرمات والظاهر ان من الايمان مبتدأ وان لا يصغى خبره واكتفى بذكر عدم الاصغاء الى ما لا يحل عن ذكر
الاصغاء الى ما يجب ولو جعل من بيانا لما بقى ان لا يصغى منفصلا لا محل له من الاعراب الا ان يجعل
بدلا لما وهو بعيد قوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم قال فى مجمع البيان يغضوا مجزوم لانه جواب شرط مقدر
تقديره قل للمؤمنين غضوا فانك ان تقل لهم يغضوا ثم قال ويجوز ان يكون مجزوما على تقدير ليغضوا وقيل
خبر بمعنى الامر والاوسط اوسط عند الفاضل الاردبيلى حيث قال ولعل اللام مقدر والتقدير ليغضوا
ثم ذكر الاول ورده من غير وجه وجيه ولم يذكر الثالث وقال صاحب الكشاف من للتبعيض والمراد غض البصر
عما يحرم والاقتصار على ما يحل وهو مذهب سيبويه وجوز الاخفش ان يكون زائدة وبعض اصحابنا رد الاخير
لضعف زيادة من فى الاثبات الا شاذا ورجح الاول لانه لا يجب الغض من جميع المحرمات لجواز النظر الى
شعور المحرمات وابدانها عدا العورة والى وجوه الاجنبيات وكفيها وقدميها فى احدى الروايتين وفى حال
النظر العلاج او تحمل الشهادة واقامتها والى المحظورة مع امكان النكاح بدونه والى وجوه الاماء المستعرضات
للبيع والفاضل الاردبيلى رجح الثانى ورد الاول بان التبعيض يفيد غض بعض البصر دون المحض لا بعض المبصر
وهو المطلوب والمعقول كما يفهم من قوله والمراد الى آخره اقول يمكن ان يراد بالتبعيض غض بعض البصر ما داخله
فى الجملة بحيث لا يرى المحرم لا تطبيقه راسا ويراد به على اى تقدير ترك النظر الى ما لا يحل قوله فنهاهم ان
ينظروا الى عوراتهم آه دل على ان الامر بالشىء نهى عن ضده اى نهاهم ان ينظر كل واحد الى عورة غيره ذكرا كان ام

انثى قبلا كان او دبرا اوان ينظر المرء الى فرج اخيه وكذا فرج اخته والعطف ويمكن ان يراد بعض البصر ترك
النظر الى كل ما لا يحل والمذكور احل افراده وهذا ناظر الى قوله يغضوا من ابصارهم وقوله ويحفظ فرجه ناظر
الى قوله تعم ويحفظوا فروجهم وتفسيرله والظاهر ان عطف يحفظ على ينظر غير صحيح لعدم اندراجه تحت النهى
وكانه عطف على نهاهم باضمار فعل اى وامره ان يحفظ فرجه فليتامل قوله من ان ينظر احد منهن الى فرج اختها
ويحفظ فرجها من ان ينظر اليها من متعلق بيغضض ويحفظن او بفعل مقدر بقرينة السابق اى نهاهن من ان
ينظر وهذا ناظر الى يغضضن وتفسيرله وقوله ويحفظ فرجها ناظر الى يحفظن وتفسيرله ولا يبعد تعميم الغض بحيث يشمل
كل ما لا يحل من النظر اليه والمذكور بعض افراده وتخصيص الحفظ بما ذكر الا ان التوافق بين القرينتين وهذه
الرواية وغيرها يدل على المذكور قوله فانها من النظر لما كان النظر الى العورة مع قبحه مثيرا للشهوة والفساد غالبا
حرم النظر اليها واوجب حفظها عنه دفعا للفساد قوله ثم نظم ما فرض على القلب واللسان والسمع والبصر في آية
اخرى فيه ان الفرض والقلبية واللسانية غير مذكورة في الاية الاولى والفروض الثلثة في الاية الثانية ويمكن
ان يقال يفهم ذلك من قوله تستترون ان يشهد عليكم ومن قوله ولا تقف ما ليس لك به علم فان استتار البحث
عبارة عن اضماره في القلب وعدم اظهاره للناس وعدم متابعة غير المعلوم عبارة عن عدم التصديق
به وعدم اظهار العلم به باللسان والله اعلم قوله وما كنتم تستترون آه قيل كنتم تستترون القبائح عند فعلكم
اياها وما كنتم عالمين ولا ظانين بشهادة الجوارح على انفسها فيدل على انهم مكلفون بالفروع ولولاه
لم يشهد على انفسها وقيل لعل المراد بها انكم ما كنتم لتستتروا وتدفعوا شهادتها على انفسها بعدم فعل القبائح
او في القيمة بان لا تشهد على انفسها قوله يعني بالجلود الفروج والافخاذ قيل هذا التفسير يدل على ان الافخاذ
عورة يحرم النظر اليها كما هو مذاهب بعض وان الفروج والافخاذ تشهد على فعلها وهو الزنا واللواطة و
اللمس قوله ان السمع والبصر والفؤاد آه قد فرض الله تعم على هذه الاعضاء فرايض يحتج بها عليك ويسألك عن
كل واحد يوم القيمة فيما صرفته اصرفته فيما خلق لاجله او في غيره فوجب ان لا يستعمل في محرم لانه يشهد عليك
وعلى نفسه بما فعل من خير او شر قوله الى ما حرم الله مثل القتل والضرب والنهب والسرقة وكتابة الكذب
والظلم ونحوها قوله وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم آه اذ ايصال الصدقة الى الفقراء وايصال الخير الى
الاقرباء والضرب والبطش والشد في الجهاد والطهور للصلوة بغسل اليدين ومسح الراس والرجلين من
فروض اليد واستشهد للطهور والجهاد بالاثنين ويفهم منه استعمال اليد في غسل الوجه وهو اما لان
الفرد الغالب او لان الفرد الواجب التخيري ايضا واجب وان كان التخصيص ببعض الافراد مستحبا قوله فضرب

الرقاب

الرقاب آه ضرب الرقاب عبارة عن القتل بضرب العنق واصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل واقيم
المصدر مقامه واضيف الى المفعول والاثخان اكثار القتل او الجراح بحيث لا يقدر على النهوض و
الوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به وشده كناية عن الاسر ومنا وفداء مفعول مطلق لفعل محذوف اى
فاما تمنون منا واما تفدون فداء واوزار الحرب الاثقال مثل السيف والسنان وغيرها والمروى وبه ذهب
الاصحاب ان الاسير ان اخذ والحرب قائمة تعين قتله اما بضرب عنقه او بقطع يده ورجله من خلاف و
تركه حتى ينزف ويموت وان اخذ بعد انقضاء الحرب تخير الامام بين المن والفداء والاسترقاق ولا
يجوز القتل والاسترقاق علم من السنة قوله وفرض عليهما المشي الى ما يرضى الله عز وجل مثل الحج والجهاد و
الزيارات وقضاء حوائج المؤمنين والذهاب الى الصلوة والقيام فيها ونحوها قوله اليوم نختم على افواههم
آه قيل هذا ينافي ما روي ان الناس في ذلك اليوم يحتجون لانفسهم ويسعى كل منهم في فكاك رقبته كما
قال سبحانه يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وانه سبحانه يلقي من يشاء حجته ويرشد اليه ايضا ما روي
في دعاء الوضوء اللهم لقني حجتي يوم القاك واجيب بان الختم مخصوص بالكفار كما قاله بعض المفسرين
او ان الختم يكون بعد الاحتجاج والجدال له كما في بعض الروايات وبالجملة المعلوم ان الختم يقع في ذلك اليوم
ويجوز ان يقع الختم في مقام آخر ويقع المجادلة في مقام آخر قوله وهذه فريضة جامعة على الوجه واليدين
والرجلين اى الركوع والسجود والعبادة وفعل الخيرات نصه على الاعضاء المذكورة غير مختصة باحدها اما
الركوع فلان للوجه فيه نصيبا من الفرض وهو الانحناء وللرجلين كذلك وهو القيام ولليدين كذلك وهو
وصولها الى الركبتين هذا في الفرايض واما افعالها المندوبة فكثيرة تعرف بالنظر في كتب الفروع واما السجود
ففرض الرجل وضع الركبتين والابهامين على الارض وفرض الوجه السجود على التراب ونحوه وفرض اليدين
وضع الكفين على الارض واما العبادة وفعل الخير فظاهرا ولكل عضو من الاعضاء فيها نصيب من الفرض
ولعل الترجي للتحقق لان حقيقته عليه عز شانه محال وانما جيء به لئلا يغتر العابد بفعله قوله وقال في
موضع آخر وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اى المساجد السبعة وهي الاعضاء المشهورة اعني
الجبهة والكفين والركبتين والابهامين لله تعالى اى خلقت لان يعبد بها الله فلا تشركوا معه غيره في
سجودكم عليها وهذا التفسير هو المشهور بين المفسرين والمذكور في حديث حماد عن ابي عبد الله عليه السلم
والمروي عن ابي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهما السلم حين ساله المعتصم عن هذه الاية وبه قال سعيد بن جبير
والزجاج والفراء ويؤيده قول النبي صلعم امرت ان اسجد على سبعة آراب اى اعضاء وعلى هذا الاعتبار يقول

٢٦

من قال المراد بها المساجد المعروفة ولا يقول من قال هي بقاع الارض كلها متمسكا بقوله صلى الله عليه وآله
جعلت لي الارض مسجدا وطهورا ولا يقول من قال هي المسجد الحرام والجمع باعتبار انه قبلة لجميع المساجد ولا
يقول من قال هي السجدات جمع مسجد بالفتح مصدر اي السجود لله فلا تجعل لغيره لان المعصومين اوفق
بمعرفة منازل القرآن ومراده من غيرهم نعم حمل الاية على الاعم وجعل المذكور هنا اظهر افراده واكملها ممكن قوله
وقال فيما فرض الله آه كان المراد وقال هذه الآية يعني ان المساجد لله فيما فرض الله على الجوارح السبعة من الطهور
والصلوة بها فهذه ايضا فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين كالسابقة ولعل ذلك في قوله ذلك
ان الله تعالى عز وجل الى الآخر اشارة الى كون القرآن دليلا على بث الايمان على الجوارح وتفصيل القول فيه ان
الايات المذكورة انما دلت على انه تعالى فرض على كل جارحة شيئا غير ما فرضه على الاخرى ولم يثبت بهذا القدر
من جهة القرآن ما ذكره اولا من انه تعالى فرض الايمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها فاشار هنا
الى اثبات ذلك بالقرآن وحاصله ان الآية وهي قوله عز وجل وما كان الله ليضيع ايمانكم دلت على ان الصلوة
ايمان ولا ريب ان الصلوة مركبة من افعال جميع الجوارح فقد ثبت ان الايمان مركب منها هذا ما خطر بالبال
على سبيل الاحتمال والله اعلم قوله وهو من اهل الجنة كامل الايمان من اهل الجنة قطعا وناقص الايمان قد يدخل
النار وهذا الحد وجه الجمع بين ما دل على ان المؤمن لا يدخل النار وما دل على انه يدخلها قوله ومن خان في
شيء او تعدى ما امر الله الظاهر ان الخيانة فعل المنهيات والتعدي ترك المأمورات قوله قد فهمت نقصان
الايمان وتمامه فمن اين جاءت زيادته لما ذكره اولا ان الايمان مفروض على الجوارح وانه يزيد وينقص و
علم السائل الاول صريحا من الايات المذكورة والثاني ضمنا او التزاما منها للعلم الضروري بان العمل يزيد وينقص
سأل عن الايات الدالة على الثاني صريحا او قصده من السؤال اني قد فهمت مما ذكر نقصان الايمان العملي و
تمامه باعتبار ان العمل يزيد وينقص فمن حادث زيادة الايمان والتصديق وآية انه يدل عليها وفرح استعلم
شايع عند البلغاء وعلى التقديرين لا يرد انه اذا علم نقصان الايمان وتمامه فقد علم زيادته لان في التام زيادة
ليست في الناقص قوله فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا على ايمانهم دل على ان الايمان سبب للايمان يعني ان الهدى
الحاصلة منه سبب لحصول الدرجة الفوقانية وكذا الكفر ومن ثم قيل الخير والشر يسريان قوله وزدناهم هدى
المراد به الهداية الخاصة المختصة بالاولياء وهي بصيرة قلبية زائدة على اصل التصديق بها يتزايد ويرتقي الى
مرتبة عين اليقين قوله ولو كان كله واحدا آه اي لو كان كل الايمان واحدا لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن
لاحد من المؤمنين فضل على الآخر لان الفضل انما هو بالايمان فلا فضل مع تساويهم فيه ولا سبوق النعم

في الايمان

في الايمان بمثل الهدايات الخاصة والتوفيقات وغيرها ولا يستوي الناس في الدخول في الجنة لاستوائهم في الايمان
الموجب لدخولها وبطل تفضيل بعضهم على بعض بالدرجات واللوازم كلها باطلة بالسنة والآيات ولكن تمام
الايمان باعتبار اصل التصديق والعمل بالواجبات وترك المنهيات دخل المؤمنون المتصفون به الجنة وبالزيادة في
الايمان لذلك مع العمل بالاعمال المندوبة والآداب المرغوبة والاخلاق المطلوبة تفاضل المؤمنون المتصفون
بها بالدرجات العالية والمقامات الرفيعة عند الله تعالى وبالنقصان في التصديق لعدم تمكنه واستقراره
في القلب او في التقصير في الاعمال الواجبة بترك الواجبات وفعل المنهيات دخل المفرطون في النار وقد ظهر
من ذلك ان المدعيه للايمان ثلثة اقسام تام وزايد وناقص وقد علم حكم كل واحد منها والله الموفق قوله عدة
من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه ومحمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى جميعا عن البرقي عن النضر
بن سويد الظاهر ان لفظ عن ابيه او جميعا زائدة بل لا محصل له لان البرقي ليس الا محمد بن خالد ويحيى الراوي
البرقي عن البرقي وقد يقال المراد بالبرقي خالد لان البرقي لقب لهذه القبيلة او نسبته الى مسكنهم قوله فقال
شهادة ان لا اله الا الله كانها كناية عن الشهادتين والمراد بها الاقرار اللساني وبما بعدها الاقرار القلبي
وفيه دلالة على ان الايمان مركب من الشهادة والتصديق وهذا نوع من الايمان الكامل وسماه بعض المحققين
بايمان التصديقيين ان كان مع الشهادة خلو النفس من غيره تعالى وتنزيهها عن هواها فان لا اله الا الله دل على
التوحيد وهو انما يتحقق في نفس الامر بالتنزه عن الشرك الجلي والخفي وانما قلنا هذا نوع من الايمان الكامل
لان له انواعا اخر منها مركب من التصديق وتخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل ومنها مركب من التصديق
واعمال الجوارح ومنها مركب من الجميع وهذا افضل الانواع قوله قال نعم الايمان لا يكون الا بعمل آه لعل المراد
ان الايمان لا يوجد او لا يكون ايمانا الا بالعمل والعمل بعض منه ولا يثبت الايمان في نفس الامر الا بعمل كما
ان الكل لا يوجد الا بالجزء ولا يكون كلا الا بالجزء والجزء بعض منه ولا يثبت الكل في نفس الامر الا بالجزء ومعنيه
ان الايمان مركب والعمل بعض اجزائه وهو الايمان الكامل والمراد ان الايمان وهو التصديق لا يكون الا
مقرونا بعمل والعمل من شيم اهل الايمان ومحاسنه التي تقتضي الايمان الاتيان بها ولا يثبت الايمان
عندنا او لا يستقر في نفس الامر الا بعمل لان التصديق امر قلبي لا يثبت الا بدليل وهو العمل او لا يستقر
الا به فلا يفيد انه مركب والاول انسب بظاهر صدر الحديث وعلى التقديرين لا يرد ان اول هذا الكلام
يدل على ان العمل جزء من الايمان وظاهر آخره على انه خارج منه دليل عليه على انه لو حمل على هذا لا يمكن
ان يقال ان المراد بالايمان الاول الايمان الكامل وبالثاني التصديق فيكون المعنى ان الايمان مطلقا

لا يتحقق ولا يعلم الا بالعمل والله اعلم قوله قال قلت له ما الاسلام قال دين الله اسمه الاسلام آه كما قال الله تعالى
ان الدين عند الله الاسلام وقال ومن يبتغ غير الاسلام دينا وهو دين الله قبل ان تكونوا وتوجدوا على هذا
الشكل المخصوص حيث كنتم في الاظلة او في العلم الازلي وبعد ان تكونوا فمن اقر بدين الله فهو مسلم ومن عمل
ذلك بما امر الله عز وجل به فهو مؤمن لا يقال الكلام ان ما هنا سوال عن الحقيقة لا عن الحكم فقوله من اقر بدين الله
فهو مسلم حيث وقع جوابا عن السوال المذكور وجب ان يكون حدا لان المقول في جوابه هو الحد فيلزم ان يكون
الاسلام مجرد الاقرار بما جاء به النبي صلعم وان لم يكن معه تصديق وليس الامر كذلك لقوله تعالى ورضيت لكم الاسلام
دينا والله سبحانه لا يرضى اقرار بدون تصديق بقلب والا لكان راضيا عن المنافقين واللازم باطل قطعا لانا نقول
لا يلزم من كونه تعالى لا يرضى الاسلام بدون التصديق ان يكون التصديق جزءا من الاسلام لاحتمال ان يكون شرطا
فيه والله تعالى لا يرضى عملا بدون شرطه والشرط خارج عن الماهية على انا لا نسلم ان ما يختص بالسوال عن
تمام الحقيقة لجواز ان يكون سوالا عن الذات سواء كان تمام الذاتيات او بعضها وقد جوز هذا بعض المحققين
الا ان الاول مشهور بين ارباب العقول ومما يؤيد ذلك ان الفصل والخاصة انما يسأل بها عنهما فلو خص
بتمام الحقيقة بقي بعض الذاتيات بلا دليل يسأل بها عنه ولو سلم فنقول انما اسقط التصديق في تعريف الاسلام
لان الاقرار غير مختص باللسان بل يشمل فعل القلب اعني التصديق لان التصديق نوع من الاقرار ولو سلم
فنقول المراد بالاقرار هو الفرد الكامل المقارن للتصديق اذ ما ليس بمقارن له كانه ليس باقرار واما عدم ذكر
الاقرار في الايمان فلانه يعلم بالمقايسة مع احتمال ان يكون المقصود ذكر ما يمتاز به كل واحد عن الاخر قوله
فقلت له ان الاسلام من استقبل قبلتنا وشهد شهادتنا ونسك نسكنا فنسك الله نسك من باب قتل
تطوع بقربة والنسك بضمتين اسم منه والناسك الذي يؤدي المناسك وهي الطاعات وسمي الذبيحة
النسيكة لان قربانها طاعة ويحتمل ان يراد بالنسك الاتيان بالحج اذا عرفت هذا فنقول ظاهر هذا الكلام
ان الاسلام الاقرار بالشهادتين وفعل الطاعات ومحبة اولياء الائمة عليهم السلام ومعاداة اعدائهم
سواء كان معه تصديق ام لا وان الناصب ليس بمسلم وان الايمان التصديق بالتوحيد والرسالة
والولاية فان كل ذلك مندرج في الايمان بالله والتصديق بكتاب الله وعدم المعصية بفعل الطاعات
وترك المنهيات فالايمان اخص من الاسلام قوله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله خص
الشهادتين بالذكر لانهما اعظم افراد الايمان على تقدير واعظم اجزائه على تقدير آخر ح ولانهما
على التصديق الذي هو الايمان في الاصل وليس المقصود حصر الايمان فيهما فلا ينافي سائر الاجزاء قوله

قال

٣١

قال لا يثبت له الايمان الا بالعمل والعمل منه لعل المراد ان الايمان عبارة عن التصديق والعمل ويطلق
على نفس العمل ايضا كالشهادتين والصلوة ونحوها وعلى هذا لا يثبت له الايمان الا بالعمل كما لا يثبت الكل
الا بالجزء والعمل منه اي بعض اجزائه على تقدير وبعض افراده على تقدير آخر وقد مر توجيه آخر قبيل
ذلك والله اعلم قوله قال سأل رجل العالم عم فقال ايها العالم آه هذا الخبر مذكور في صدر الباب مع تمام
اختلاف في السند وتغيير يسير في المتن وحذف في الآخر قوله ولسانه الذي ينطق به الكتاب ويشهد
به عليها الظاهر ان المراد بالكتاب القرآن والضمير في يشهد راجع اليه وفي به الى النطق او الى اللسان بعد
مضاف اعني اقواله وفي عليها الى اللسان واللسان مذكر ويؤنث كما صرح به في المغرب ونطق القرآن
باللسان خيرا وشرا وشهادته عليها يوم القيمة ظاهرة وقرأت الكتاب بضم الكاف وشد التاء وارادة الحفظة
بعيدة قوله فاما ما فرض على القلب من الايمان والاقرار والمعرفة كذا في النسخ والظاهر فالاقرار بالفاء ليكون جوابا
لاما ومواخذة المنافقين في صدد الباب ولعل الواو سهو من الناسخ او زائدة قوله احدا صمدا كما في اكثر النسخ منصوبا
وفي بعضها مرفوعان قوله وسأله رجل عن قول المرجئة في الكفر والايمان اهو صحيح ام فاسد وهم فرقة من فرق
الاسلام يعتقدون انه لا يضر مع الايمان معصية كما انه لا ينفع مع الكفر طاعة صادقين في المشبه كاذبين في
المشبه به وحاصل توهمهم في حقيقتها ان الايمان محض اقرار اللسان بالشهادتين وبما جاء به الرسول والكفر مقابله وهو
انكاره شيئا من ذلك وبذلك نبه ان الكافر عندنا كافر عند الله نعم وكذا المؤمن عندنا مؤمن عنده نعم وهو ظاهر
بناء على اصلهم والسائل سأل عن صحة ذلك وبطلانه فاجاب عليه السلام ببطلان اصلهم وذلك لان الايمان عبارة
من التصديق والاقرار والعمل والكفر انكار شيء من ذلك واذا كان كذلك كان الكافر عندنا بترك واحد من الامور المذكورة
كافرا عند الله نعم لجواز ان يكون مقرا عاملا غير مصدق والله سبحانه عالم بعدم تصديقه فهو مؤمن عندنا
تجري عليه احكام الايمان وكافر عند الله تعالى قوله والكفر اقرار اي الكفر اقرار من العبد على نفسه بعدم الايمان
فلو كلف بعد اقراره به على المقربه وهو عدم الايمان كما في سائر اقارير العقلاء على انفسهم بل الاقرار بعدم
الايمان اولى بعدم التكليف لان كل اقرار غيره يجوز العقل عدم تحقق المقربه في نفس الامر بخلاف الاقرار
بالكفر فانه عبارة عن انكار شيء من اجزاء الايمان وتركه وهو عين الكفر فلا يحتاج الى بينة قطعا بخلاف الايمان
فانه دعوى لثبوته له ولا يجوز ذلك ولا يثبت الا ببينة كما في سائر الدعاوي وبينته عمله المتعلق باللسان
والجوارح وبينته المتعلقة بالقلب وهي التصديق فاذا اتفق العمل والنية شاهدا عدل فالعبد عند الله مؤمن
وان اختلفا بان يشهد العمل دون النية فهو ليس بمؤمن عنده نعم ومؤمن عندنا لانا نحكم بظاهره على باطنه

فحكم بانه مؤمن مصدق حكماً ظنياً غالباً فقولهم بان كل مؤمن عندنا مؤمن عند الله باطل واما قولهم الكافر عندنا
كافر عند الله فهو صحيح اذ الكفر موجود بانتفاء كل جهة من هذه الجهات الثلث المعتبرة في الايمان وجوداً من
تصديق او قول باللسان او عمل بالجوارح يعني تحقق الكفر بانتفاء واحد من هذه الثلثة فمن انتفى منه واحد منها
وعلمنا ذلك فهو كافر عندنا كما هو كافر عند الله تعالى واما اذا لم يعلم كما اذا انتفت منه النية فقط فهو مؤمن
عندنا وكافر عند الله واحكام الايمان تجري عليه باعتبار القول والعمل دون النية لان علمنا بالنية متعسر و
قد ظهر مما ذكر ان المشهود له بالايمان والمجرى عليه احكام المؤمنين وهو كافر عند الله كثير وان من اجرى عليه الاحكام
مصيب لانه مكلف بالحكم على ظاهر قوله وعمله الدالين على النية وليس مكلفاً بالحكم على الباطن لعدم علمه به ولكن لما
كان تخلف المدلول عن اللفظ وما يجري مجراه كثيراً كان وجود القول والعمل بدون النية كثيراً ولذلك كان وجود
الكافر عند الله كثيراً قوله باب السبق الى الايمان سبق يسبق دستى فهو دل ويسبق كرفتن قوله قال ان الله سبق بين المؤمنين
آه اى قرر السبق وقدره بين المؤمنين في الايمان وتقديم البر كما يسبق بين الخيل يوم الرهان فمنهم في المقام
الادنى وهو مقام يتحقق فيه المسبوقية دون السابقية ومنهم في المقام الاعلى وهو مقام يتحقق فيه السابقية
دون المسبوقية وهو مقام خاتم الانبياء وبين المقامين مقامات غير محصورة يجتمع فيها السابقية والمسبوقية
باعتبارين والتشبيه من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لقصد الايضاح قوله فجعل كل امرئ منهم على درجة سبقه
المراد بجعله عليها اعطاؤه المنزلة في تلك الدرجة من الاجر والثواب والتقرب من غير ان ينقص شيئاً من حقوقه
فيها وفي الاختصار بنفي النقص دون الزيادة ايماء الى جوازها من باب التفضل وان لم يستحق قوله ولا يتقدم
مسبوق سابقاً كما ان المسبوق في المشبه به لا يتقدم سابقاً العدم وسعة ذلك واللزوم خلافه فالفرض كذلك
المسبوق في المشبه لا يتقدم سابقاً في الكمال والمنزلة والاجر والتقرب لانه تعالى عدل حكيم لا يجوز ان يضع كلاً
في موضع غيره قوله تفاضل بذلك اوائل هذه الامة واواخرها ذلك اشارة الى السبق والاوائل والاواخر اما بحسب
الدرجات او بحسب الوجود والازمان كالصحابة والتابعين الى يوم الدين فكما ان في عصرنا هذا بعض الناس ممن
يعلو الدرجة في الايمان والعلم وتخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل حتى ان من قدم المفضول على الفاضل
ودعم عليه عد دابر ضعيفاً وعقله خفيفاً كذلك في اوائل هذه الامة ومن هذا ظهر ان تقديم الجاهل على العالم كان
باطلاً ولعل الغرض الاصلي من هذا الحديث هو التنبيه عليه وان كان ظاهره اعم قوله ولم يكن للسابق الى الايمان
فضل على المسبوق للحق آخر هذه الامة اولها اى للحق آخر هذه الامة بحسب درجات الايمان اولها هذه الامة
بحسبها كالصحابة من المهاجرين والانصار وذلك لانه اذا سقط اعتبار السبق لزم لزم التساوي والاشتراك في

الدرجة

الدرجة قوله نعم ولتقدموهم آه نعم تصديق لمضمون الشرطية المذكورة وتمهيد لشرطية اخرى اخص من الاولى
وتصديق لمضمونها ايضاً اى اذا لم يكن لمن يسبق الى الايمان الفضل على من ابطأ عنه لتقدم آخر هذه الامة
بحسبها ما ذكر اول هذه الامة بحسبه فقوله لتقدموهم جزاء الشرط على تقدير جواز تقديمهم او دليل على
جزائه المحذوف على تقدير عدم جوازه وبناء الشرطية الاولى على عدم تكثر العمل في آخر هذه الامة وبناء
هذه الشرطية على اعتباره فيهم ووجه الشرطية ان السبق الى الايمان اذا لم يكن له مدخل في الترجيح لزم تقدم
الآخر مع الزيادة العمل وتكثره لاختصاصه بهذه المزية واعلم ان المراد بالايمان اما نفس التصديق او التصديق
مع العمل ولكل واحد منهما درجات ومنازل بعضها فوق بعض وآخرها غاية الكمال للبشر كمرتبة عين اليقين
او اعلى منها وصرف جميع الجوارح في جميع الاوقات في جميع ما خلقت له ثم المراد بالسابقة اليه اما السابقة
الى درجاته ومنازله وطلب الاعلى فالاعلى الى غايتها وهي بزيادة العلم والعمل او المسابقة الى الصلة وهي
السبق الزماني على سبيل المنع الخلو والاول في الموضعين اولى من الاخير نظراً الى ظاهر الحديث فمن اجتمع فيه ٣٢
المسابقة بالمعنيين كامير المؤمنين عليه السلام فهو الكامل مطلقاً والسابق على الاطلاق ومن انتفى عنه الامران
فهو الناقص اللاحق مطلقاً ومن له سبق الزماني الى الايمان مع انتفاء الزيادة عنهما او بالعكس فهو السابق و
اعلى درجة واما اذا تعارض الامران بان يكون لاحدهما سبق الزماني وللآخر زيادة العمل فظاهر هذا الخبر ان
السابق زماناً افضل واعلى درجة من الآخر وتخصيص ذلك بالصحابي محتمل لان السابق اعون للنبي من اللاحق
والتعميم اظهر والله اعلم قوله ولكن بدرجات الايمان آه لما كان الشرط في القضيتين وهو عدم الفضل للسابق
على المسبوق يستلزم لحوق المسبوق به او تقدمه عليه بالاعتبارين كما اشرنا اليه اشار هنا الى نفي التالي فيهما
باثبات نقيض الشرط بحكم الله تعالى اذ نقيضه وهو ثبوت الفضل للسابق يستلزم عدم اللحوق والتقدم وهو ظاهر
قوله لا نأخذ من المؤمنين آه كانه بيان للشرطية الثانية وتوجيه لمضمونها وحاصله انا نجد من آخر هذه الامة من هي
هو اكثر عملاً وعبادة من اولها فلو لم يكن للسابق الى الايمان والتصديق واعلى درجاته المبنية على اليقين والرضا
والعلم والحلم وتخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل فضل على المسبوق لكان للمسبوق بسبب كثرة العمل
ولصاقه بها مقدماً عليه ولكن هذا باطل لان الله عز وجل ابى ان يدرك آخر درجات الايمان اولها ويلحق
صاحب الآخر صاحب الاول وكذا ابى ان يتقدم في درجات الايمان من اخره الله او يؤخر فيها من قدم الله و
بل كل في درجته لا يتقدم ولا يتأخر فقوله ولكن ابى الله اشارة الى بطلان التالي تاكيد للمأمور وفيه سر لا يخفى
هو انه اذا كان اللاحق في الايمان مع كثرة العمل غير لاحق بالسابق اليه ولا متقدم عليه مع قلة عمله كان تقديم العالم

الاول المنتحل لاسم الخلافة مع تاخره فى الايمان على تقدير تسليم ايمانه وصح قوله عمر على العالم الربانى والمومن
الوحد الحق على بن ابى طالب عليه السلم مع تقدمه الى الايمان وسبقه الى اعلى مراتبه وكثرة عمله باتفاق الخاصة
والعامة باطلها بالضرورة قوله فلن اخبرنى عما ندب الله عز وجل اليه المبادل كلامه تم سابقا على ان يعالى طلب
منهم الاستباق الى الايمان ودعاهم اليه ساله الزبيرى عن موضع من القران يدل عليه قوله سابقوا الى مغفرة
اى سارعوا مسارعة السابقين فى المضمار الى سبب مغفرة من ربكم من الاعمال الصالحة الموافقة لمقتضى النواميس
الالهية والكمالات النفسانية واعظم تلك الاعمال هو الايمان الكامل البالغ الى النهاية المتوقف على جميع الكمالات
النفسانية قوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض قال الفاضل الاردبيلى كنى بالعرض عن مطلق المقدار وهو سعادة
ونقل على ذلك الاستشهاد فى مجمع البيان اوانه لما علم ان عرضه الذى هو اقل من الطول عرفا فى غير المساوى علم
ان طوله ايضا يكون اما اكثر او مثله وقال القاضى ذكر العرض للمبالغة وصفها بالسعة على طريق التمثيل لان دون الطول
وعن ابن عباس انها كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض وظاهر الاية وجوب المسارعة او رجحا
الى الطاعة الموجبة للدخول فى الجنة واعظمها الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الاخر والترقى الى مقاماته
العالية قوله اعدت للذين امنوا بالله ورسله ظاهر هذه الاية وغيرها من الايات والروايات ان الجنة مخلوقة الان
وكذا النار قال الفاضل المذكور وقال به الاصحاب وصرح به الشيخ المفيد فى بعض مسايله وقال ان الجنة مخلوقة
مسكونة سكنتها الملائكة وظاهر الاية انها فى السماء والظاهر ان المراد به انه يكون بعضها فى السماء ويكون البعض الاخر
فوقها او يكون ابوابها فيها او فوق الكل وما ذكره الحكماء غير مسموع شرعا وهو ظاهر كما قيل ان النار تحت الارض
فيكون الاية دليلا على بطلان ما قالوه انتهى كلامه اعلى الله مقامه وقال القاضى فيه دلالة على ان الجنة مخلوقة
وانها خارجة عن هذا العالم وذهب جماعة من المعتزلة الى انهما غير مخلوقتين وانهما تخلقان يوم القيمة قوله وقال
السابقون السابقون مبتدا وخبر اى السابقون الى ما دعاهم اليه من التوحيد والايمان والاخلاص والطاعة
هم السابقون الى المقامات العلية والدرجات الرفيعة اذا السابقون الى ذلك هم السابقون الذين عرفت حالهم
وبلغك وصفهم ويكون تعريف الخبر للمبالغة والاشارة الى ما هو معلوم لك وهذا بحسب الظاهر خبر وبحسب
المعنى حث على المسابقة الى ما ذكر قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قال المفسرون
السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او شهدوا بدرا او اسلموا قبل الهجرة ومن الانصار
اهل البيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين وقال الفاضل النيسابورى
الظاهر ان الاية عامة فى كل من سبق بالهجرة والنصرة وقال اكثر العلماء كلمة من للتبعيض وانما استحق السابقون

منهم

منهم هذا التعظيم لانهم امنوا فى عدد المسلمين قلة وفيهم ضعف فقوى الاسلام بسببهم وكثر عدد المسلمين
واقتدى بهم غيرهم وقيل للتبيين فيتناول المدح جميع الصحابة قوله والذين اتبعوهم باحسان قال صاحب
الكشاف والنيسابورى هم الذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القران وقال القاضى
هم اللاحقون بالسابقين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة ثم ذكر ما فضل الله عز وجل به اولياءه
بعد ما فرغ عن ذكر ايات دلت على الدعاء الى الاستباق ذكر ايات دلت على ما يترتب عليه من التفضيل واعلاء
الدرجة قوله تلك الرسل فى الكشاف تلك اشارة الى جماعة الرسل التى ذكرت قصصها فى السورة او التى ثبت
علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ورفع بعضهم فوق بعض درجات فى الكشاف تلك اشارة الى جماعة الرسل
اى ومنهم من رفعه على ساير الانبياء فكان بعد تفاوتهم فى الفضل افضل بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد
محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتى ما لم يوته احد من الايات المتكاثرة المرتقية الى الف اية او اكثر
ولو لم يوت الا القران وحده لكفى به فضلا منيفا على ساير ما اوتى الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر
دون ساير المعجزات وفى هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه
العلم الذى لا يشتبه والمتميز الذى لا يلتبس قوله هم درجات اى ذوو درجات متفاوتة بعضها فوق بعض
قوله ويوت كل ذى فضل فضله فوجب بحسب وعده الصادق ان يضع كل ذى فضل فى منزلته ودرجته
فدرجة الفاضل ارفع من درجة غيره درجة ودرجة الافضل اعلى من درجة المفضول ودرجة السابق الى
الايمان اشرف وارفع من درجة المسبوق وقد رد الله عز شانه بهذه الاية وامثالها على من علم انه سيزعم جواز
تفضيل المفضول على الافضل بل الجاهل على الفاضل ومن زعم ان الافضلية باعتبار الزيادة فى الثواب واعلاء
الدرجة فى الاخرة لا باعتبار السبق والكمال فى الايمان والزيادة فى العمل لله تعالى ولم يدر ان الزيادة فى
الثواب والدرجة انما هى بالاعتبار المذكور والا لزم الكذب بالوعد والوعيد وبطلان الكتاب
والشريعة نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا قوله وقال الذين امنوا وهاجروا الاية اى قال الذين
امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر ايمانا لا يشوبه شك وهاجروا الى رسول الله وفارقوا الاوطان
وتركوا الاقارب والجيران وطلبوا مرضات الله وجاهدوا فى سبيل الله بصرف اموالهم ورفع انفسهم الى
الله ودفع هواها اعظم درجة عند الله ممن لم يتصف بالصفات المذكورة لان انقطاعهم عن الحيوة
الدنيوية وبذل ارواحهم القدسية طلبا للحيوة الاخروية وصرف هممهم العالية لاعلاء كلمة الحق وتقوية
الدين فلذلك صاروا اعظم درجة عند رب العالمين والله لا يضيع اجر المحسنين ومن هذا ظهر ان على بن

ابى طالب اعظم درجة من جميع الصحابة لانه آمن وهاجر وجاهد حين قتلوا وفروا كما ظهر بالنظر فى حاله وحالهم فى حرب حنين واحد وخيبر وغيرها من الحروب قوله وقال فضل الله المجاهدين على القاعدين
اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة اجرا مفعول باشد لتفضل باعتبار تضمنه معنى الاعطاء كانه
قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما وكل واحدة من درجات منه ومغفرة ورحمة بدل من اجرا
ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر لان فضل بمعنى اجر كانه قيل واجرهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما
والبدل بحاله ويجوز ايض ان ينصب درجات بنزع الخافض اى درجات او على المصدر لانها تدل على
التفضيل فكانه قيل فضلهم تفضيلات كقولك ضربته اسواطا اى ضربات لان الاسواط تدل على
الضربات وح ينتصب اجرا على انه حال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار
فعلهما اى فغفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة كذا ذكره المفسرون وههنا نكتة لا باس ان نشير اليها الاولى النيشابورى
قال فى تفسيره استدلت الشيعة ههنا بان عليا عليه السلام افضل من غيره من الصحابة لانهم بالنسبة اليهم
مجاهدون بالاضافة اليه قاعدون لما اشتهر من وقايعه واقدامه وشجاعته وحمايته واجاب اهل السنة
بان جهاد ابى بكر بالدعوة الى الدين وهو الجهاد الاكبر حين كان الاسلام ضعيفا والاحتياج الى المدد شديدا
وانما جهاد على ع ظهر بالمدينة فى الغزوات وكان الاسلام فى ذلك الوقت قويا والحق ان الآية لا تدل الا على
تفضيل المجاهدين على القاعدين اما على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا انتهى اقول هذا المجيب اعترف
بان عليا عليه السلام فى الغزوات سابق على ابى بكر وغيره وسبقه ع فى العلم والعمل والزهد اشهر من ان ينكره احد
من المعاندين واما ما ذكره من جهاد ابى بكر فى الدين حين كان ضعيفا فلا اثر له اذ اى جهاد كان له لم يكن لعلى عليه
السلام مع ان دعوته ع الى الدين وارشاد الصحابة اجمعين وارجاع الثلثة الكاذبين كثيرا من الباطل الى الحق
المبين اشهر من ان يخفى واكثر من ان يحصى والثانى ان فاضلا من الشيعة كان فى مجلس حاكم من اهل السنة
وكان فيه ايض عالم ذو ذنب فذكر ذو ذنب ان عايشة كانت افضل من فاطمة عليها السلام فقال الحاكم لاكبر
الفاضل ما تقول فقال ايها الامير انا اقول فى شانها قال الله تعالى وقرا هذه الآية رمزا الى الحق واشارة الى
ارتدادها عن وجها على على ع فضحك الحاكم بعد فرقه وخاطب ذا الذنب فقال ما تقول فبهت الذى كفر
قوله وقال لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح آه اذ انفاق الاموال فى سبيل الله والمقاتلة قبل الفتح اعظم
واشرف واسبق واشق على النفس منهما من بعد الفتح لوقوعهما عند ضعف الاسلام وقوة الكفر وكثرة العدو
وشدة شوكتهم فلذلك صارا سببا لرفع درجات السابقين وعظمتها قوله والذين اوتوا العلم درجات قيل المراد

الرفع

الرفعة فى مجلس النبى صلى الله عليه وآله هو المناسب للمقام والمشهور الرفعة فى درجات ثواب الآخرة قوله وقال ولك بانهم لا
يصيبهم ظماء ذلك اشارة الى وجوب الجهاد المفهوم من الآية السابقة والمنع من التخلف عنه وما يتعلق بحث
عليه ويجرى مجرى المنع من التخلف والظماء شدة العطش والنصب الانصاد والتعب والمخمصة المجاعة الشديدة
والموطئ اما اسم مكان او مصدر والضمير فى يغيظ عايد الى الموطئ وفيه دلالة على ان من قصد طاعة الله كان
قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات تكتب فى ديوان عمله قوله وما تقدموا لانفسكم من خير آه
فيه حث على الخير وترغيب فيه والمراد به الانفاق او الاعم وقال فمن يعمل مثقال ذرة آه يدل على ان عمل الخير سبب
لعلو الدرجة ورفع المنزلة وعمل الشر خلاف ذلك ففيه ترغيب فى الخير وتبعيد عن الشر قوله ان الله عز وجل

٢٠
باب درجات الايمان

وضع الايمان على سبعة اسهم هذه الاسهم كلها من افعال القلب وصفات الانسان منها الاول البر وهو الاحسان
الى نفسه بفعل الواجبات وترك المنهيات والى الوالدين والاقربين والاخوان المؤمنين وقد روى عن ابى عبد الله
٣٤
عليه السلام انه قال ومن خالص الايمان البر بالاخوان الثانى الصدق وهو القول المطابق للواقع كما هو المشهور
وينشا من استقامة اللسان واعتداله فى البيان ويطلق ايض على فعل القلب والجوارح المطابقين للقوانين العدلية
والموازين الشرعية ومنه التصديق وهو من حصل له ملكة الصدق فى جميع هذه الامور ولا يصدر منه خلاف المطلوب
عقلا او نقلا كما صرح به المحقق الطوسى فى اوصاف الاشراف الثالث اليقين وهو الحالة التى تحصل للانسان عند
كمال قوته النظرية كما ان التقوى هى الحالة التى تحصل له عند كمال قوته العملية وبعبارة اخرى هو الاعتقاد الجازم
المطابق الثابت الذى لا يمكن زواله وهو فى الحقيقة مؤلف من علمين العلم بشئ والعلم بانه لا يمكن خلاف ذلك
العلم وله مراتب مذكورة فى القرآن علم اليقين وعين اليقين وقال تصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين والعلم
بمعاينة جرمها المفيض للنور عين اليقين والعلم بها بالوقوع فيها ومعرفة كيفيتها التى لا تظهر بالتعبير حق اليقين و
بالجملة علم اليقين يحصل بالبرهان وعين اليقين بالكشف وحق اليقين بالاتصال المعنوى الذى لا يدرك بالتعبير
الرابع الرضاء بقضاء الله فى النفس والمال والولد حلوا كان ام مرا الخامس الوفاء بعهد الله وهو ما عقده
على انفسهم من الشهادة بربوبيته حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او الاعم منه ومن الوفاء بالرسالة
والولاية والتكاليف وعهود الناس وشروطهم الجايزة السادس العلم بالاحكام الدينية والشرايع النبوية و
الاخلاق النفسية والحلم المراد به البصيرة القلبية فى امر الدين وهى التى توجب استيلاء الخوف والخشية
على القلب كما قال جل شانه انما يخشى الله من عباده العلماء السابع الحلم وهو هيئة حاصلة للنفس من الاعتدال
فى القوة الغضبية مانعة لها من الانفعال بسهولة عن الواردات المكروهة المؤذية التى من شانها تحريك النفس الى

قوله
الانتقام والتسلط والترفع والغلبه وبالحلم هو صفه يوجب سكون النفس وثباتها عند هيجان الغضب
نفو كامل العقل البلوغ ايمانه حد الكمال واحتمال الجميع سهامه وانما قوله ثم قال ولا تحملوا على صاحب السهم
سهمين كما ان القوة الجسمانيه تتفاوت فى افراد الانسان حتى يقدر احد يحمل من والاخر يحمل منين والثالث
يحمل الثلثه وهكذا تلك القوة الروحانيه فتكليف الادنى حين كونه ادنى بما كلف به الاعلى تكليف بما لا يطاق
والثواب والعقاب ليسا بمتساويين كما روى انما يداق الله العباد فى الحساب يوم القيمة على قدر ما اتاهم من
العقول فى الدنيا ثم على الاعلى ان ينقل الادنى الى درجته بالتعليم والوعظ والوعظ كما سيجى عن ابى عبد الله
قال اذا رايت من هو اسفل منك بدرجة فارفعه اليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره وعلى الادنى ان يتضرع
الى الله عز وجل فى المسئلة بان يكمله ويوفقه للترقى الى درجة اعلى من درجته كما مر فى كتاب العقل ومن هيهنا
ظهر ان القسمة المذكورة لا توجب الظلم لان المطلوب من كل احد ما يقتضيه قسمته ونصيبه وان كل ادمى فهم
قابل للدرجة الفوقانية اما فى نفس الامر او فى ظنه وتجويزه وان بناء الكمال على التدرج والتعلم والطلب منه
وفيه دلالة على التدرج والتعلم والطلب منه تعالى و فيه دلالة على ان الرجل بعد تحصيل اصل الايمان لو فرض
فى كماله لقصور فى القوة العقلية او القوة العملية لا يعد مقصرا ولا يواخذ عليه والله اعلم قوله فتبغضوهم
ببعض الحمل يبهضه بالضاد اى اثقله واعجزه وبالظاء اكثر قوله وهو بالحيرة الحيرة بالكسر بلد منه كان يسكنها
النعمان بن المنذر وهى على راس ميل من الكوفة قوله مغتمين بالغين المعجمة وفى بعض النسخ معتمين بالعين المهملة
اى داخلين وقت العتمة قوله وكان قرائتى فى الحاير الحاير المكان المطمئن والبستان كالحير وكربلا قوله
وانا بحال اى من الضعف والكلال قوله انهم لا يقولون ما نقول من الفضايل او من المسايل او من الاعمال الصالحة
التى يعول بها اصحاب العرفان ويعملها ارباب الايقان لا من اصول العقايد قوله ما نفعل لما رجح السائل التقدم
المذكورة عن الجهل المركب وهو القطع بالبراة منهم الى الجهل البسيط استفهم عما يلزمه من التوسط بين التولى و
التبرى او التولى بقوله ما نفعل على صيغة المتكلم والحاصل ان الاحتمالات ثلثه التولى والتبرى والسكوت
ولما بطل التبرى استفهم عن احد الاخيرين فاجاب ع بان اللازم عليكم هو التولى وفى بعض النسخ ما نفعل بالبنا
وهو ح من تتمة السابق وما نافيه والفاعل ضمير عايد الى الله تعم قوله فلا ينبغى ان يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب
السهمين كل من القوة العملية والقوة العقلية لشاتى مرتبة النقص او فى مرتبة الكمال او الاولى فى مرتبة النقص والثانية
فى مرتبة الكمال او بالعكس فالاحتمالات باعتبار القوتين اربعة ولا ينبغى ان يحمل الناقص على ما عليه الكامل
بل ينبغى ان يراعى التوسط فى كل مرتبه كما يظهر من المثل قوله ثم صليا العجزثم مكثا حتى اصبحا يمكن ان يراد بالفجر الفجر الصادق

والاصبح

وبالاصباح الدخول فى الصبح المتجلى الكامل النور وان يراد به النافلة مع الحذف اى حتى اصبحا وصليا الفريضة
قوله ادخله فى شئ اخرجه منه لا يخفى ان هذه العبارة ذات وجهين لان الشئ يحتمل الاسلام والتصلب فيه قوله
لو علم الناس كيف خلق الله تبارك وتعالى هذا الخلق لم يلم احد احدا عدم اللوم باعتبار قصور فى القوة النظرية
او فى القوة العملية ظاهر ولذلك لا يلام شارب الخمر مثلا لو ادعى عدم العلم بحرمته وامكن فى حقه ولا من
انكر شيئا مما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم اذا لم يبلغه بل اللازم ح هو الارشاد والتعليم برفق والحاق الناقص بالكامل كما
دل على التام من هذا الباب واما اذا كانت القوتان كاملتين بان علم مثلا وجوب شئ وقدر على فعله وتركه
فانه يلام قطعا ومنه يظهر الجمع بين الروايات الدالة على اللوم وعدمه فليتامل قوله ان الله تبارك وتعالى
خلق اجزاء بلغ بها تسعة واربعين جزءا كان المراد بها العقل وما يتبعه من قوة الاعمال والاخلاق كالتوكل و
الزهد والورع واليقين والرضا وغيرها من الصفات النفسانيه فانها تبلغ تسعة واربعين ثم جعل تلك الاجزاء
اعشارا بان جعل التوكل عشرة اجزاء وقوة العمل عشرة اجزاء وقوة البصر كك والحاصل انه قدر عمل البصر والسمع
واللسان واليد والرجل وعمل القلب اعنى التصديق والاخلاق اعشارا وبوئته قوله ثم فى جزء الكباو بعضهم
صلوة من بعض وبعضهم انفذ بصرا من بعض وهى الدرجات قوله فجعل الجزء عشرة اعشار ثم قسمه بين الخلق اى
جعل كل جزء عشرة اجزاء فبلغ المجموع اربعمائة وتسعين جزءا والمالك للجميع هو الكامل مطلقا والفاقد للجميع هو الناقص
مطلقا وما بينهما كامل وناقص بالاضافه والناس بعد تفاوتهم بهذه المراتب مشتركون فى اصل القوة التكليفيه
والقدرة واللوم باعتبار هذه القوة والقدرة وابطال استعدادهما وصرفهما فى غير الجهات المشروعة لا باعتبار
ما هو فوق طاقتهما قوله ان الايمان عشر درجات يجوز ان يراد بالايمان هنا التصديق والايمان الكامل المركب منه
ومن العمل والاجزاء الاصلية المذكورة التى جعل كل واحد عشرة اجزاء قوله واذا رايت من هو اسفل منك بدرجة
فارفعه اليك برفق يشبه لارباب الكمال واهل التحصيل والسلامة ان يرحموا اهل النقص وارباب الذنوب بالقائهم
واغاثتهم على الخروج منها بالرفق واللطف تدريجا لان ذلك داب الانبياء والعلماء العالمين بكيفية التعليم والتفهيم و
وفى قوله فارفعه اليك دلالة واضحة على ان القيام على الدرجة الاولى قوله ليس من باب الحتم والحصر بل هو قابل
للترقى الى الاعلى فالاعلى حتى يبلغ غاية ما يمكن له من الكمال لا يقال الخبر السابق دل على ان صاحب عشر جزء الى
المنتهى تقدير ان يكون مثل صاحب العشرين فكيف يؤمر صاحب العشرين بان يرفعه الى درجته برفق لانا نقول العلم
انه صاحب عشر بالفعل ولا استعداد له لكتساب عشر آخر على انه لو فرض اختصاصه بالعشر وعدم استعداده
للزايد فى نفس الامر فلا ريب فى ان صاحب العشرين لا يعلم ذلك بل ربما يظن انه قابل للترقى فهو مامور بجهد الاعتبار

باب نسبة الاسلام

رجاء المحقق مظنونة والله اعلم قوله من كسر مؤمنا فعليه جبره ان كان كثيرة باخراجه من الدين فعليه ان يدخله
فيه بالارشاد وان كان بكسر قلبه فعليه ان يرضيه قوله وبعضهم انفذ بصرا العقل المراد بالبصر البصر القلبي فهو
اشارة الى تفاوت الدرجات فى القوة النظرية وما قبله الى التفاوت الدرجات فى القوة العملية وكان قوله
وهى الدرجات اشارة الى الدرجات التى فى قوله تعالى هم درجات عند الله قوله باب نسبة الاسلام اى صفته
التى ينضح بها امره وحقيقته يق نسبته الى الشئ نسبا من باب طلب اى عزوته اليه وانتسب هو اليه اعترى
والاسم النسبة بالكسر ولما كانت نسبته شئ الى الشئ توضح امره وحاله ومايؤل هو اليه اراد بها هذا من باب
ذكر الملزوم وارادة اللازم قوله الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق
هو الاقرار والاقرار هو العمل والعمل هو الاداء اشار عم الى ان الاسلام وهو دين الله الذى اشار اليه جل
شانه بقوله ان الدين عند الله الاسلام يتوقف حصوله على ستة امور حتى انه ينتفى بانتفاء واحد منها الاول
التسليم وهو بذل العبد نفسه ورضاه بالاحكام الالهية والنوايب وان كانت مرة فى طبعه الثانى اليقين بالله
واليوم الاخر والثواب والعقاب وهو العلم بربح زوال الشك الثالث التصديق الذى هو الايمان الخالص الرابع
الاقرار بما يجب الاقرار به الخامس العمل بالجوارح السادس اداء ما افترض الله به بل ما ندب اليه الا انه جعل كل
لاحق على سابقه وكل واحد على الاسلام على سبيل القياس المفصول النتائج وان كانا متغايرين يتوقف
السابق على اللاحق لشدة الاتصال بينهما ثم هذه العبارة لا تخلو من لطف وهو انه جعل التصديق الذى هو
الايمان الخالص الحقيقى بين ثلثه وثلثه واشتراك الثلثه التى قبله فى انها من مقتضياته واسباب حصوله
واشتراك الثلثة التى بعده فى انها من لوازمه واثاره وثمراته وبالجملة جعل التصديق الذى هو الايمان وسطا
عدلا وجعل اول مراتبه من جهة الاسباب مراتبه الاسلام وثانيها التسليم وثالثها اليقين وجعل اول مراتبه
من جانب المسببات الاقرار وثانيها العمل وثالثها الاداء فليتامل قوله ان المؤمن لم يؤخذ دينه عن رايه ولكن
اتاه من ربه فاخذه هذا بمنزلة التاكيد لقوله ان الاسلام هو التسليم لان دين الحق لا يجوز اخذه من الراى
بل يجب اخذه من الرب بلا واسطة او بواسطة عالم ربانى ومن اخذه من الرب كان من اهل التسليم قوله
ان المؤمن يرى يقينه فى عمله والكافر يرى انكاره فى عمله يرى اما مجهول من الرؤية او معلوم من الاراءة
وما بعده على الاول مرفوع وعلى الثانى منصوب وهذا بمنزلة الدليل والتاكيد لما لزم من قوله عم واليقين
هو العمل وصرح فى ان العمل معتبر فى الايمان وان كل من كان عمله خبيثا غير واقع على القوانين الشرعية فهو
كافر او منافق وان كان مدعيا للايمان وان الايمان هو التصديق القلبى والعمل دليل عليه فكلما دل على

ان الايمان

٣٧

ان الايمان هو التصديق مع العمل او دل على ان العمل فلا بد من عمله على ان اضافة العمل اليه لاظهر كمال الايمان
جزء منه بحيث ينتفى الايمان بانتفائه لا يقال اذا كان الايمان نفس التصديق وجب ان لا يتفاوت اذ التصديق
لا يزيد ولا ينقص لانه علم والعلوم لا تتفاوت فوجب ان يكون ايمان احدنا مثل ايمان امير المؤمنين عليه السلم
وانه باطل قطعا لانا نقول لا نسلم ان العلوم لا تتفاوت وقد تقدم المتواتر من الخاصة ان التصديق الواحد يزيد
باعتبار كثرة الادلة وان كان هذا لا يخلو من شئ لان كثرة الادلة انما يفيد العلم بالشئ من جهات متعددة مع
لا تفاوت العلم ولو سلم فلا نم ان التفاوت مراتب الايمان وقع من جهة التصديق بل من جهة الاعمال التى انما
اليه لاجل الكمال والحاصل ان العمل غير داخل فى حقيقة الايمان لانه غير داخل فى حقيقته افراده والتفاوت
هو بين الافراد لا بين الحقيقة فليتامل قوله الاسلام عريان فلباسه الحياء شبه الاسلام بالرجل العريان فى النقص
والضعف واثبت اللباس له ترشيحا للتشبيه وشبه الحياء به لانه يمنع عن المعاصى ويحجب عن القبايح ويحسن
الصورة ويدفع العار كاللباس الفاخر الساتر وزينته الوفاء بعهد الربوبية والرسالة والولاية والائمة منه و
من عهود الناس ولا يبعد ان يراد به الاقرار والتسليم ومروته العمل الصالح وهو من اثارها اذ من شان المروة
هى كمال الرجولية الحث على فعل ما ينبغى فعله وعماده الورع من المنهيات والمكروهات بل عن المشتبهات ايضا لان
ذلك يوجب ثبات الاسلام وبقاؤه كما ان فعل المنهيات يوجب زواله وفناءه قوله ولكل شئ اساس آه الظ
انه كلام ابى عبد الله عليه السلم واشعار اساس الاسلام بحب اهل البيت عم اذ حبهم مبدأ الاسلام ودين الحق
واصله ولما يعتبر فيه ويبنى ويثبت قوله ان الله خلق الاسلام فجعل له عرصة آه شبه الاسلام بالدار فى
الرجوع اليه والسكون فيه والانس وجعل له عرصة وهى موضع واسع لا بناء فيه وجعل له نورا يرغب مالخى كما
ان للبيت نورا وجعل له حصنا يمنع من خروج المصلح عنه ودخول المفسد فيه كما ان للدار حصنا مانعا
من ذلك وجعل له ناصرا ينصره ويروجه ويدبر فى امره واصلاحه كما ان للدار ناصرا كذلك فاما عرصته فالقران
لان اهله يسرح فيه ويسير اليه وايضا لا يدخل فى الدين الا ما يدخل فى القران كما انه لا يدخل فى الدار الا ما
يدخل فى العرصة واما نوره فالحكمة لان بالحكمة وهى العلم نظير اوامر الدين ونواهيه واداته واسراره ولما
حصنه فالمعروف لان المعروف واقامته يوجب حفظه من خروج الحق عنه ودخول الباطل فيه وايضا حفظه و
يوجب حيوة الاسلام وتركه يوجب هلاكه فهو شبه الحصن واما انصاره فانا واهل بيتى وشيعتنا
لعل المراد بالشيعة من كان تابعا لهم فى العلم والعمل اذ لا يتصور النصرة بدونهما قوله ثم باسط لى الى اهل
الارض فنسبى لاهل الارض آه فان قلت كيف ذكر نسبه لاهل الارض والمؤمن بل الى يوم القيمة لم يكونوا

موجودين في ذلك الزمان ثمّ لعله نادى بقوله يا ايها الناس هذا محمد بن عبدالله رسول الله وخاتم النبيين فسمع
صوته من في اصلاب الرجال وارحام النساء الى يوم القيمة فاجاب من اجاب كما نادى خليل الرحمن للحج او اراد
بذكر نسبه لاهل الارض ذكره في القرآن فانهم يسمعونه بطنا بعد بطن وعصرا بعد عصر الى يوم القيمة فيحبهم شيعتهم
ويبغضهم عدوهم والله اعلم قوله وقورا عند الهزاهز الوقور فعول من الوقار وهو الحلم والرزانة والهز التحريك
يقال هزه هزا فاهتز من باب قتل اى حركه والهزاهز الفتن يهتز الناس فيها قوله صبورا عند البلاء البلاء اسم
لما يمتحن به من شر او خير ويقال بالفارسية زحمت ونعمت وكثر استعماله في الشر والصبر وهو حبس النفس على الامر
الشاق عليها وترك الاعتراض على المقدر وعدم اظهار الشكاية والاضطراب من اعظم خصال الايمان قوله شكورا
عند الرخاء الرخاء النعمة والخصب وسعة العيش والشكر الاعتراف بالنعمة ظاهرا او باطنا ومعرفة حق المنعم والا
تيان بطاعته وترك معصيته والشكور المبالغ فيه قوله قانعا بما رزقه الله لا يحمله الحرص على الحرام وجمع ما لا احتاج
اليه وتضييع العمر فيما لا يعنيه قوله لا يظلم الاعداء المقصود نفي الظلم مطلقا وانما خص الاعداء بالذكر لانهم مورد
الظلم اذ العداوة تبعث عليه غالبا قوله ولا يتحامل للاصدقاء اى لا يتحامل على الناس بمعنى لا يجور عليهم لاجل
الاصدقاء وطلب مرضاتهم وقيل لا يحمل الوزر لاجلهم كما اذا كان عندك شهادة على صديقك لغيره فلا تشهد له
رعاية للصداقة قوله بدنه منه في تعب والناس منه في راحة لقيامه بالعبادة ليلا ونهارا واشتغاله بالطاعات
سرا وجهارا حتى اسهرت لياليه واظمأت هواجره وكان همه بعد ذلك دفع الاذى عن الناس وايصال الخير اليهم
فهم في راحة بنيته والخوير قوله ان العلم خليل المؤمن اه اشارة الى ما هو الاصل لجميع ما ذكر لتوقف الخصال
المذكورة على هذه الامور والخلة بالضم الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله اى في باطنه والخليل
الصديق فعيل بمعنى فاعل وقد يكون بمعنى مفعول وانما كان العلم خليل المؤمن لانه ينفعه غاية النفع كالخليل
والمراد بالمؤمن النفس الناطقة المطيعة المنزلة الى هذا البدن لتحصيل معرفة الحق من جهة اثاره ومشاهدة عجائب
صنعه والتقرب منه قبل العود وبعده على الوجه الاكمل كما قال جل شانه سنريهم اياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى
يتبين لهم انه الحق ولما كان ذلك التحصيل لا يتم الا بالاعضاء والحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب
والحلم والعقل وغيرها خلقت لها هذه الامور وجعلت جنودها وهي سلطان على الجميع تامر كل واحد بما خلق له
وتنهاه عن غيره فتامر اللسان بالقول الصحيح وتامر البصر بالنظر الصحيح وتامر الشهوة بطلب ما ينفع البدن وتامر
الغضب بدفع ما يضره وقس عليه وكما ان للسلطان الظاهر وزيرا يشاوره في نظام امره ومملكته واميرا لجنوده
يقهر الاعداء بحسن تدبيره ويضبط امور عساكره كذلك لسلطان البدن وزير وامير فوزيره الحلم واميره العقل

اذ العقل

اذ العقل ينهي اليه ان مرسوم اليد مثلا الاخذ والاعطاء الصحيحين ومرسوم اللسان هو القول اللين و
الاقوال الصحيحة الموافقة للقوانين الشرعية ومرسوم الشهوة هو القدر الضروري من الطعام والشراب و
نحوهما ومرسوم الغضب هو دفع المانع منه ودفع العدو المفسد فيأمر الوزير وهو الحلم بان يعطي كل واحد
ما انهاه الامير اليه ويمنعه من التجاوز عنه فامير البدن اذا اجمع اليها نظام مملكته ونكت احواله وبعد عن
مولاه وهو من وصارت جنوده مسخرة له فتحصل له السعادة الابدية والتقرب بالحضرة الربوبية ولو
انعكس الامر وعصت الرعايا وغلبت الشهوة والغضب على الوزير والامير زالت سلطنته وخربت مملكته و
نكت احواله وبعد عن مولاه وهو من الخاسرين قوله والرفق اخوه والبر والده اى الرفق وهو اللين واللطف
بالصديق والعدو والجليس والرفيق بمنزلة الاخ في رفع الشدة والبر وهو الاحسان الى الخلق بمنزلة
الوالد في جلب النفع وطلب الخير له قوله الايمان له اركان اربعة المراد بالايمان اما التصديق الجازم الثابت
المطابق للواقع او هو مع العمل ولكماله او لثباته واستقراره اركان اربعة لو انتفى احدها بطل كماله وزال
استقراره الاول التوكل على الله وهو الاعتماد عليه والوثوق به في الرزق وغيره من الضروريات وقطع تعلق
القلب بغيره من الاسباب والمسببات وهو يوجب قوة الايمان وثباته اذ لو انتفى التوكل عليه وتعلق القلب بغيره
من الاسباب والمسببات والوسائط وتحركت الجوارح الى تحصيلها فرغ القلب عن ذكره وذهلت الجوارح عن
طاعته وهو يوجب ضعف الايمان الثاني تفويض الامر في دفع شر الاعداء وكيد الخصماء ومكايد النفس و
وساوس الشيطان او مطلقا الى الله كما فوض مؤمن آل فرعون امره الى الله فوقاه الله سيئات ما مكروا فاتقى
من استكفاه كفاه الله وفرغ هو لذكره وطاعته وهو يوجب قوة الايمان وثباته الثالث الرضاء بقضاء الله
في حصول الشدة والرخاء ونزول المصيبة والبلاء وهذه خصلة شريفة توجب كمال الايمان وثباته و
انتفاؤها يوجب السخط بالله وبقضائه وذلك يوجب نقص الايمان بل زواله غالبا الرابع التسليم لامر الله عز و
جل والانقياد له في الشرائع والاحكام والحدود وكل ما انزل على رسوله وهو في الحقيقة قبول قول الله و
قول الرسول والاوصياء وافعالهم ظاهرا وباطنا وتلقيها بالبشر والسرور وان كان ثقيلا على النفس وغير
موافق للطبع وهو اصل عظيم لرسوخ الايمان وكماله اذ لو انتفى استولى ضده وهو الشك على القلب والشك ينافي
اصل الايمان فضلا عن كماله قوله عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه اه قد مر هذا الحديث سندا
ومتنا في اوائل كتاب الحجة في باب معرفة الامام والرد اليه ذكرنا شرحه مفصلا قوله لا تكونون صالحين حتى
تعرفوا اه ذكر امورا اربعة كل سابق موقوف على اللاحق لظهور ان الصلاح وهو التحلي بالفضائل الظاهرة والباطنة

والتخلّي من الرذايل متوقف على معرفتها والمعرفة متوقفة على التصديق اذ هي بدونه نفاق واستهزاء والتصديق
موقوف على تسليم ابواب اربعة ولعلّ المراد بها الاقرار بالله والاقرار بالرسول والاقرار بما جاء به الرسول و
الاقرار بالائمة عليهم السلام بعده او المراد بها الرسول وعلي والحسن والحسين عليهم السلم او المراد بها الاربعة
المذكورة في الاية الاتية وهي التوبة والايمان والعمل الصالح والاهتداء وهو متابعة الامام ولكن هذا لا
يخلو من مناقشة قوله لا يصلح اولها الا باخرها فلا يصلح الاقرار بالله والتسليم له الا بالاقرار بالامام و
التسليم له قوله لا يقبل الا العمل الصالح وهو المشتمل على ما يعتبر في تحققه وصلاحه شرعا داخلا كان ام
خارجا ومن جملة ذلك التسليم للابواب الاربعة وهو شرط الله وعهوده ومن وفى الله بشروطه وعهودها
واتى بما وصف في عهده على وجه الكمال ووفاه وعمل بارشاد الرسول والهداة من بعده نال ما عنده من الثواب
الجزيل واستكمل وعده من الاجر الجميل كما قال عز وجل اوفوا بعهدي اوف بعهدكم اي اوفوا بما عاهدتكم
عليه من الامور المذكورة اوف بعهدكم من الثواب والجزاء قيل ان للوفاء عرضا عريضا اوله الاقرار بالشهادتين
واخره الاستغراق في التوحيد قوله ان الله عز وجل اخبر العباد بطرق الهدى كانه بيان الشروط والعهود
المذكورة او تاكيد لها او دليل عليها ولذا ترك العطف والمراد بطرق الهدى طرق الشرع الموصلة الى المطلوب
الهادية الى مقام القرب وبالمنار وهي جمع المنارة على غير قياس يعني موضع النور ومظاهر اعلام الهدى وهم الحجج
عليهم السلم لانهم محال انوار الله [illegible] وعلومه التي بمنزلة النور في الايصال الى المطلوب وباخبارهم كيفية
سلوكهم طرق الشرع الزامهم باقتفاء اثار الحجج واتباع اقوالهم واعمالهم وعقايدهم فقال عز وجل واني لغفار لمن
تاب عن الباطل ورجع الى الحق وامن بهم وعمل صالحا باتباعهم وارشادهم ثم اهتدى الى ولايتهم ومقام
قربهم او الى العلم بانه لا يتحقق المغفرة والعمل الصالح بدون التوبة والايمان المذكورين وقال عز وجل انما
يتقبل الله من المتقين الذين يتمسكون بما جاء به الرسول ويبين لهم الحجج ولا يجاوزونه ويقومون على امرهم
وينتهون عما نهاهم عنه فمن اتقى الله عز وجل فيما امره به من متابعة الحجج واقتفاء اثارهم لقي الله عز وجل
يوم القيمة مؤمنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله هيهات هيهات اي بعد التقوى واللقاء بالايمان فات قوم في الضلالة
وماتوا قبل ان يهتدوا الى الله والحج وظنوا انهم امنوا بالله والحال انهم اشركوا به من حيث لا يعلمون ان
اتباع الهوى وترك متابعة الحج شرك بالله العظيم ثم اوضح ذلك على سبيل الاقتباس من القران الكريم بقوله
انه من اتى البيوت بيوت الشرع من ابوابها وهي الحج اهتدى الى دين الله الموصل اليه ومن اخذ في غيرها
سلك طريق الردى اي الضلال والهلاك وسر ذلك ان الوصول الى الله متوقف على سلوك سبيله

الموقوف

١

المتوقف على العلم بالمبدء والمعاد والقوانين الشرعية المقررة بالوحي وشيء من ذلك لا يتيسر الا بارشاد معلم
رباني وهو النبي صلى الله عليه وآله ومن يقوم مقامه من الاوصياء والعلماء التابعين لهم فمن اخذ منهم فقد اهتدى ومن عدل
عنهم فقد سلك سبيل الردى وضل عن سبيل الحق ومثله كمثل من قصد جهة الشرق وهو سلك سبيل الغرب
فكلما بالغ في السير بعد عن المقصد وضل عن سبيله وهو الضلال البعيد ثم اكد ذلك بقوله وصل الله طاعة
ولي امره بطاعة رسوله وطاعة رسوله بطاعته في قوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
وهو يفيد التلازم فمن ترك طاعة ولاة الامر لم يطع الله ولا رسوله لان ترك اللازم يوجب ترك الملزوم
والحال ان الاقرار بطاعة ولاة الامر هو الاقرار بما نزل من عند الله وهي الاية الكريمة لان كل من اقر به فقد
٣٨ اقر بالاولين ايضا دون العكس فان كثيرا من الناس اقروا بالاولين دون الاخير فهم لم يقروا بما انزل من عند الله
ثم بالغ في الاقرار بولاة الامر وحث عليه بقوله خذوا زينتكم عند كل مسجد والزينة مطلق ما يتزين به
شرعا ومنه الاقرار والتصديق بولاية ولاة الامر لانه اعظم ما يتزين به الظاهر والباطن والتمسوا البيوت
التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه اي اطلبوها وهي بيوت النبوة والوصاية التي شرفها الله تعالى على بيوتات
ساير الانبياء والاوصياء ويذكر فيها اسم الله واياته كما اشار اليه بقوله فانه خبركم انهم اي الرسول وولاة
الامر رجال لا تلهيهم تجارة اي مطلق الاكتساب ولا بيع عن ذكر الله عز وجل واقام الصلوة وايتاء الزكوة
يخافون يوما اي عذابه او شره تتقلب فيه القلوب والابصار ظهرا لبطن او من جانب الى جانب كتقلب الحية
على الرمضاء وذلك لكثرة شدايده وعظم مصايبه قوله ان الله قد استخلص الرسل لامره اه الاستخلاص
رهانيدن خواستن ورهانيدن خواستن وپاك شدن خواستن وكان الله ضمنه معنى جمع النذير وال
المراد به علي بن ابي طالب وولاة الامر بعده اي جعل الرسل خالصين لامره فارغين عما عداه بالمجاهدات
النفسانية والتاييدات الربانية ثم جعلهم خالصين من باب التاكيد حال كونهم مصدقين لاجل ذلك
في نذره اي في وصف الاولياء وتعيين الاوصياء فقال ان من امة الا خلا فيها نذير فكيف يجوز ان لا
يكون في هذه الامة نذير منصوب من قبل الله تعالى ومن قبل رسوله وفيه رد على من جعل الكفرة صاحبين الخلافة
قابلين للنيابة تاه اي تحير في الدين وضل طريقه من جهل النذير واهتدى من ابصره وعقله قوله ان الله عز وجل
يقول فانها لا تعمى الابصار اه فيه تجهيل للاول وتمدح للثاني واشارة الى ان سبب الجهل ذهاب البصيرة
وابطال القوة العقلية التي بها يدرك الصور الحقة والاسرار الالهية وابطالها يتحقق تارة بعدم التفكر و
التدبر واخرى بمتابعة القوة الشهوية والغضبية حتى ينزل في الدرجة الحيوانية قوله كيف يهتدي من لم يبصر

يبصر من لم يبذل اشارة الى ان الهداية الى الدين بدون البصيرة والبصيرة بدون هداية الهادى وارشاد المنذر
محال ولذلك امر باتباع الرسول والائمة الهداة بعده فقال اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وآله واقتدوا بما
نزل من عند الله ومنه طاعة ولاة الامر واتبعوا آثار ائمة الهدى من العقايد والاقوال والافعال و
الاخلاق فانهم علامات الامانة والتقى لانهم يعرف الامانة اى الدين والتقوى ويعلم اركانهما وشرايطهما
وكيفية الوصول اليهما والتقوى ملكة تحدث من ملازمة المامورات واجتناب المنهيات والمشتبهات و
ثمرتها حفظ النفس عن الدنيا قوله واعلموا انه لو انكر رجل عيسى بن مريم آه المقصود ان من انكر واحدا من الائمة او
ازاله عن موضعه لم يؤمن بالله وذكر عيسى ع على سبيل التمثيل والا فالحكم مشترك وهذا هو ان منكر احدى
الرسل غير مؤمن بالله ثم ما ذهب اليه حذاق المتكلمين ودليلهم على ذلك هو السمع دون العقل اذ لا يمتنع فى
العقل ان يعرف الله من كذب رسوله لانهما معلومان لا ارتباط لاحدهما بالاخر عقلا لا يقال العقل دل
عليه لان منكر الرسول مقر بانه غير مرسل لهذا الرسول الذى هو الله سبحانه لانا نقول يصير النزاع لفظيا والكبرى
فيها مصادرة اما الاول فلان الخلاف يتوجه الى العارف بالشى المقر به من وجه وغير مقر به من وجه آخر جاهل
بمن عارفا لله الناشى لا واما الثانى فظاهر فليتامل قوله اقتصوا الطريق بالتماس المنار قص الاثر واقتصه اذا
تبعه اى اتبعوا الطريق واطلبوه بطلب اعلامه التى نصبت لمعرفته كيلا تضلوا قوله والتمسوا من وراء الحجب الآثار
اى اطلبوا آثار الائمة واخبارهم من وراء حجب شبهات الجاحدين او من ورائهم فقد امر بالرجوع اليهم عند
غيبتهم بخلاف السابق فانه امر به عند حضورهم ويحتمل ان يراد بالحجب الانبياء ففيه حث على اقتفاء آثارهم
وسلوك طريقتهم ولا يتحقق ذلك الا بارشاد الاوصياء قوله فقال من القوم آه سال عما يوجب تعيينهم من
الخصال والصفات فقالوا مؤمنون اى نحن او القوم مؤمنون ولما كان للايمان آثار ولوازم شريفة تدل
عليه سال عما يعلم منها من اجل ايمانهم فقالوا الصبر على المشاق عند البلاء والشكر للمنعم عند الرخاء والرضا
بالقضاء ولما كانت هذه الامور من آثار العلم والحكمة والحلم كانت من اعظم صفات الانبياء قال ع حلماء
علماء لان وجود الاثر يدل على وجود المؤثر وشبههم بالانبياء على وجه المبالغة لكمال التشابه والتقارب
ثم لما كانت هذه الصفات تقتضى الزهد فى الدنيا والتقوى اى الاتيان بالمامورات وترك المنهيات حثهم على
الاول بقوله ان كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تاكلون وخصهما بالنهى لانهما اعظم
مطالب الراغبين فى الدنيا وعلى الثانى بقوله واتقوا الله الذى اليه ترجعون وفيه وعد ووعيد جميعا
قوله وروى غيره ان ابن الكوا الظاهر ان ضمير غيره راجع الى الاصبغ بن نباتة وعبد الله بن الكوا من رجال

امير المومنين

امير المومنين عليه السلام خارجى ملعون قوله شرع الاسلام اى اظهره واوضحه او جعله شريعة للعقول
وطريقا لها لسالكه اليه قوله وسهل شرائعه لمن ورده الشرائع جمع الشريعة وهى طريق الماء والمراد بها
قواعده واركانه وخطاباته على سبيل الاستعارة وتسهيلها اظهارها وايضاحها وجعلها سهل
المأخذ بحيث يفهمها الفصيح والابكم ويدركها الغبى والفطن قوله واعز اركانه لمن حاربه لعل المراد باعزاز
اركانه اعزاز قواعده وقوانينه واحكامه وحدوده وحمايتها بنصره ورفعها باهله على من قصد محاربته وهدمه
واطفاء نوره واذلاله بتبيانه مغالبه من المشركين والجاحدين والجاهلين قوله وجعله عزا لمن تولاه فى الدنيا من
القتل والاسر والنهب بالعدوان وفى الآخرة من العذاب والنكال والخزى والخذلان وسلما لمن دخله السلم
لفظ السلم بالكسر وهو الصلح باعتبار عدم اذاه لمن دخل فيه وانقاد لحكمه فهو كالمسالم المصالح له وقد لا يحفظ
شبهه بالغالب من الشجعان باعتبار دستاته ومصالحته لمن تبعه وانقاد لامره واذلاله لمن خالفه وعانده
وفى معنى مسالمته معه جعله محقون الدم مستقرا فى بيته آمنا فى ماله ومحفوظا فى الآخرة من عقوبة المخالفة
وهدى لمن ائتم به فانه يهديه الى سعادة الدنيا والآخرة التى اعظمها قرب الحق وهو المطلوب من خلق الانسان
وزينة لمن تجلله اى جعله بردا او لباسا له من قولهم جلل مرساله فتجلل ولا ريب فى ان احكام الاسلام
بعضها يتعلق بالظاهر وبعضها يتعلق بالباطن ومن تلبس بها يزين ظاهره وباطنه فيصير انسانا كاملا له صورة
مزينة ظاهرا وباطنا وعذرا لمن انتحله العذر بالضم والضمتين والمعذرة اسم للمرتفع به اللوم والانتحال
اما بمعنى اخذ النحلة والدين او بمعنى ادعائه وانتسابه اليه مع عدم كونه له والاسلام على الاول عذر له
فى الدنيا والآخرة ويرفع اللوم عنه مطلقا وعلى الثانى عذر له فى الدنيا ويرفع عنه لومها مثل القتل والاسر و
النهب والاذى وغيرها وعروة لمن اعتصم به عروه دسته كوزه ودسته هر چيزى واعتصام در زدن لا حفظ
شبه الاسلام بالعروة لانه العروة الخيرات كلها فمن اعتصم به ملك جميعها ودفعها النفسه وحبلا لمن
استمسك به لان الاسلام حبل الله المتين بينه وبين خلقه فمن استمسك به خرج من حضيض النقص الى اوج
ومن حب الغرة والفراق الى منزل القرب والوصال والحبل يطلق على الرسن وعلى العهد والامان والكل
محتمل وبرهانا لمن تكلم به لان من علم حقيقته وعرف اسراره غلب به على من جحده وانكره عند المناظرة لذلك
كان العالم بالشرع كانه سيف قاطعا على الباطل واهله دائما ونورا لمن استضاء به شبهه بالنور واستعار لفظه
ورشحه بذكر الاستضاءة ووجه المشابهة انه يهدى النفس الناطقة المستضيئة به فى ظلمات الطبيعة
البشرية والغواشى النفسانية الى فناء القدس وطريق الجنة وشاهدا لمن خاصم به الشاهد اسم من البرهان لسانا

الجدل والخطابة مع احتمال ارادة انه برهان لمن احتج به وشاهد لمن جعله مؤيدا وفلجا لمن حاج به الفلج بالفتح
والسكون الظفر والفوز كالافلاج والاسم منه الفلج بالضم والسكون وهو الغلبة وجعله فلجا من باب المبالغة
لكونه ناما في الغلبة فكانه نفسها وعلما لمن وعاه اطلاق العلم على الاسلام من باب اطلاق السبب على المسبب لان
الاسلام سبب لحصول العلم لمن وعاه وحفظه وتوقف رعيه وحفظه على قدر من العلم لا ينافى ذلك لان
العلم به يزداد ويتكامل بالتدرج حتى يبلغ غاية الكمال وحديثا لمن روى اي خبرا جديدا مشتملا على المواعظ والنصائح
والقصص والاحكام والحدود وغيرها لمن روى واخبر وفيه حث على روايته وفي الثاني حث على درايته و
حكما لمن قضى اى وجعله حكما زاجرا عن القبائح باعثا على المحاسن لمن اراد القضاء والحكم وهو اهل الرد وحلما لمن
اطلاق الحلم على الاسلام مجاز من باب اطلاق اسم المسبب على السبب لان الاسلام سبب لحصول ملكة الحلم
لمن جرب الامور وتفكر في عواقبها وعرف قبح السفه الناشئ من طغيان القوة الغضبية وتجاوزها عن حد
الاعتدال ومن خفة النفس وحركتها الى ما لا يليق مثل القتل والضرب والبطش والشتم والترفع والتسلط
والغلبة وغيرها من المفاسد ولباسا لمن تدبر فان من تفكر فيه وتدبر في اوامره وزواجره وربط نفسه
بقوانينه ومعارفه حصلت له حالة متوسطة معتدلة محيطة بباطنه شبيهة باللباس في الاحاطة والتمول
والزينة وهي لباس العلم والمعرفة واطلق تلك الحالة على الاسلام اطلاقا للمسبب على السبب لان الاسلام
ومعارفه سببها وفهما لمن تفطن الفهم جودة التهيؤ الذهن لقبول ما يرد عليه ولما كان الاسلام و
الدخول فيه ورياضة النفس بقوانينه سببا لاتصاف الذهن ذلك التهيؤ وقبوله للانوار العقلية والاسرار
الربوبية اطلق عليه لفظ الفهم مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب ويقينا لمن عقل لما كان اليقين هو العلم
الاستدلالي مع زوال الشك وكان الاسلام والدخول فيه والتمسك بقوانينه سببا لحصوله اطلق عليه
لفظ اليقين مجازا على نحو ما مر وبصيرة لمن عزم اى من عزم على امر من الامور الدنيوية والاخروية وقصد فعله
فان في الاسلام بصيرة لكيفية فعله على الوجه الذي ينبغي وهو الاطلاق ايضا مثل ما مر واية لمن توسم اى
تفرس طرق الخير الموصلة الى الحق ومقاصده التي يرشد الى ساحة القدس فان الاسلام اية وعلامة لذلك
المتفرس المتوسم فاذا اهتدى بها سلك طريق الهدى وعبرة لمن اتعظ عبرة اعتبار كرمة وسدرة من تذكر فتذكر و
تذكر ذلك فان الاسلام عبرة للمعتبر وعظة للمتعظ لما فيه من اخبار الايام الخالية واحوال
القرون الماضية وكيفية تصرف الزمان بهم وجريان القضاء فيهم مثل قوم فرعون وعاد وثمود وقوم نوح
وصالح وهود وغيرهم ممن لا يحصى كثرة ونجاة لمن صدق فان الاسلام سبب لنجاة من صدق الرسول فيما

جا

جاء به ودخل فيه من القتل والاسر والنهب والاذى في الدنيا ومن العذاب والعقوبة في الاخرة والاطلاق
فيه وفيما سبق مثل ما مر وتؤدة لمن اصلح التؤدة بضم التاء وسكون الهمزة وفتحها الرزانة والتأني وذلك لان
لان من اصلح نفسه بقواعد الاسلام وتبع حكمه كان الاسلام سببا للتأنية ورزانته وزلفى لمن اقترب
زلفى تزيد له يعني ان الاسلام سبب القرب من الله لكل من اقترب اليه والحاصل ان كل من اقترب
فسبب قربه هو الاسلام باعتبار التمسك بذيله والعمل بقوانينه وثقة لمن توكل اى هو سبب ثقة و
اعتماد لمن توكل على الله لاشتماله على الوعد الصادق ومثل من يتوكل على الله فهو حسبه وغير ذلك وهو
يوجب زيادة استعداده للتوكل ورخاء لمن فوض هو رخاء سهل غير صعب لمن فوض فعله اليه ولم يتكلف
فان الاسلام ملة سمحة سهلة وقيل من ترك البحث والاستقصاء في الدلائل وتمسك باحكام الاسلام ودلائل
القران والسنة المتداولة بين اهله وفوض امره اليه الى الله كفاه جميع استراح بذلك التفويض ولا يبقى في
تعب وقيل المراد ان فيه الندب الى تفويض الامور الى الله وعلم ما لم يعلم منها وترك المكلف وذلك راحة
ورخاء وقيل بل المراد ان المسلم اذا احتمل السلامة وفوض امره الى الله كفاه جميع اموره واراحه من الاهتمام بها
وسبقة لمن احسن السبقة والسبق بتحريك وهو الخطر وهو ما يتراهن عليه المتسابقان اى الاسلام خطر
وحظ لمن احسن الى اهله او لمن احسن صحبته او ان احسن العمل فيه او الاتم من الجميع وبالجملة هو نصيب للمحسن و
كان غير المحسن ليس له نصيب فيه وخيرا لمن سارع الخير ما ينفع في الدنيا والاخرة والاسلام خير لمن سارع
لانه ينفعه فيهما وجنة لمن صبر استعار لفظ الجنة للاسلام لانه يحفظ من صبر على العمل بقواعده واحكامه
من العقوبة الدنيوية والاخروية كما ان الجنة تحفظ صاحبها عن شر الاعادي وعقوبتهم ولباسا لمن اتقى
فان من اتقى الله حق تقاته واجتنب عما يضره في الاخرة من محرماته ومكروهاته وترك واجباته حصلت له
حالة معتدلة محيطة بظاهره وسمى تلك الحالة الشبيهة باللباس في الاحاطة والتمول والزينة اسلاما مجازا
تسمية المسبب باسم السبب لان تلك الحالة حصلت بسبب الاسلام ومتابعته فالمراد باللباس هنا اللباس الظاهر
وهو لباس التقوى وفي السابق لباس الباطن المحيط بالنفس الناطقة الحاصل بتدبرها وتفكرها في معارف
الاسلام واسراره والله اعلم وظهيرا لمن رشد ظهيرا اى كمعين وهم ثبت ورشد ان راه رأت يا فتى ولما
كان الاسلام ظهيرا لمن رشد وسلك طريقا مستقيما وهو طريق الحق لان قواعده ترشد اليه وقوانينه
يدل عليه فهو يعينه ويمده الى ان يبلغ الى الغاية ويصل الى النهاية وكهفا لمن آمن كهف غارى كرد ركوه باشد
وپناهى كه دفع كند از شخص حوادث را يعني من آمن بالله ورسوله واليوم الاخر فقد دخل في الاسلام الذى هو

بمنزلة المكتفى فى دفع الضرر عنه اذ كل ضرر يعود الى احد فانما يعود اليه بمخالفة قانون من قوانينه وخروجه
منه وامنة لمن اسلم امنة ايمن داشتن وبى ترس شدن يعنى من اسلم الله ودخل فى الاسلام كان امنا من
غيره فالاسلام سبب لامنه فاطلاق الامنه على الاسلام للمبالغة فى التسبيبة وحجة لمن صدق يعنى
صدق النبى والعترة النبوية دخل فى الاسلام والاسلام سبب لرجائه المثوبات الدنيوية والاخروية
وغنى لمن قنع غنى آسوده داشتن وفايده دادن وبس كردن وقناعت بانداك چيزى اكتفا كردن ولعل المراد
من قنع بالقليل من المال واكتفى بالكفاف من الرزق فالاسلام مغنى له اما الان التمسك بقواعده والاعمال
بقوانينه يوجب وصول ذلك المقدر اليه كما قال عز شانه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا
يحتسب اولانه يحثه على القيام بها ويفيده الثبوت عليها لاشتماله على فوايد القناعة ومضادعيها ولعلهم
فذلك الحق سبيله الهدى هدى راه نمودن وبيان كردن وراه رات والقاء التفريع وذلك للتنبيه على علو المنزلة
يعنى ذلك الحق الثابت الذى لاياتيه الباطل من بين يديه وهو الاسلام سبيله اراءة الطريق الموصل الى
المطلوب اوسبيله السبيل المستقيم الموصل اليه اوسبيله بيان ما يحتاج اليه الانسان ومأثرته المجد
المأثرة بالسكون بعد الفتح قبل الضم المكرمة واحدة المآثر وهى المكارم من الاثر وهو النقل والرواية لانها
تنقل وتروى والمجد الكرم والشرف ورجل ماجد اى كريم شريف ولعل المقصود ان مكارمه عين الشرف
لاهله ومقتضيه له وصفة الحسنى اى الخصلة الحسنى مثل الدعوة الى الخير ونحوها فهو ابلج المنهاج الابلج
الواضح من بلج الحق اذا وضح وظهر ومنهاج الاسلام طريقه التى يصدق على من سلكها انه مسلم وهى
الاقرار بالله ورسوله والتصديق بما جاء به الرسول ووضوحها ظاهر مشرق المنار الاشراق بالفارسية
الاضاءة والمنار الاعمال الصالحة التى يتنور بها قلوب العارفين كالعبادات الخمس ونحوها وكونها مشرفة
ظاهر وقد يقرى بالفاء وكونها مشرفة عالية على غيرها من العبادات ايضا ظاهر ذكى المصباح الذكى المتوقد
المستنير يقال ذكت النار اذا اشتدت لهبها واستنار والمصباح چراغ والجمع المصابيح استعارة للفقه
والمعارف الاسلامية ورشحه بالذكاء ووصفه بالذكاء والاستنارة اما لان فى نفسه نور الحق مستنير
والملاق النور على العلم شايع اولظهوره من الادلة الاسلامية وهى الكتاب والسنة بل يمكن ان يراد به نفس
هذه الادلة وقيل اريد به علماء الاسلام وكنى بالذكاء عن صفاء عقولهم اوعن ظهور العلم منهم واقتداء
الخلق بهم رفيع الغاية كما جعل الاسلام مصباحا وللمصباح ذكاء كذلك جعل له غاية وللغاية رفعة ولعل
المراد بغايته الوصول الى الجنة ورفعته ظاهرة اذ لاغاية ارفع منه منزلة واعلى منه مرتبة اوالمراد بها الموت

المعروف

المعروف اوموت الشهوات وكل واحد رفيع لكونه سببا للوصول المذكور والتقرب بالحق يسير المضمار المضمار
الميدان ومضمار الاسلام الدنيا وهى يسير قليل لاهل السبق فيها الى الله تعالى وفى بعض النسخ بشير بالشين
المعجمة كانها تبشر السابق بما عنده تعالى جامع الحلبة الحلبة وزان كجدة وضربة خيل تجمع من كل اوب للسباق
ولاتخرج من وجه واحد يقال جاءت الفرس فى آخر الحلبة اعنى آخر الخيل وهى بمعنى حليبه ولهذا
تجمع على حلايب وقد شبه المسلمين بالحلبة واستعار لهم لفظها حيث اجتمعوا فى الاسلام للسباق الى
طاعة الرب وقد شاع اطلاقها على محلها تجوزا وهذا الاطلاق هو الاولى بالارادة هنا بالنظر الى ما
سياتى ولعلها هنا هو الغنيمة لانها محل لاجتماعهم فيها للسباق الى حضرة الله التى هى الجنة كاجتماع الخيل
فى الحلبة الى السبق وهو الرهن سريع السبقة سبقتها الجنة وسرعتها ظاهرة لان مضمارها وهى الدنيا
التى هى مدة العمر فى زمان التكليف يسير اليم النقمة اليم درد رساننده بمعنى مولم ونقمته النار والبلاء
ظاهر كامل العدة العدة بالضم والشد ما اعددته وهيأته من مال او سلاح او غير ذلك مما ينفعك يوما
والمراد بها هنا التقوى والورع وكمالها ظاهر كريم الفرسان المراد بالفرسان اهل الاحسان وعلماء الاسلام
وكونهم كرماء شرفاء ظاهر باعتبار اقتباس الانوار منهم وهدايتهم للضعفاء فالايمان منهاجه لما جعل
سابقا للاسلام منهاجا اى طريقا واضحا يوصل الى الرحمن عينه هنا بانه الايمان فهذا ناظر الى قوله ابلج
المنهاج وقس عليه ما بعده والصالحات مناره اى الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة علامات
الاسلام بها يعرف الاسلام والداخل فيه والفقه مصابيحه المراد بالفقه العلم باحكام الاسلام واسراره
او البصيرة القلبية فى امر الدين وهو شبيه بالمصباح فى انه يضى طريق الحق ويرى به وجه المطلوب ولذلك استعار
له لفظ المصباح والدنيا مضماره اذ هى محل للسابق الى الطاعات والسعى الى القربات وقد وصفها سابقا
بانها يسير للمتحرك الى السابق فيها والموت غايته اى الموت المعروف غايته القريبة التى هى سبب الوصول
الى الله تعالى اوموت الشهوات فانها ايضا غاية قريبة للاسلام موصلة اليه نعم وهذه الفقرة متعلقة
بقوله رفيع الغاية فكان الانسب ان يتقدم على قوله والدنيا مضماره ولعل التاخير هنا لاجل ان ذكر الغاية
بعد ذكر المضمار انسب بحسب الواقع والتقديم سابقا باعتبار الرفعة والشرف والغنيمة حلبته قد ذكرنا سابقا
ان الحلبة هى الخيول المجتمعة من كل اوب للسباق وانها تطلق على محلها ايضا وباعتبار هذا الاطلاق استعار
لفظ الحلبة للغنيمة فانها حلبة الاسلام ومحل اجتماع المسلمين للسباق الى حضرة الله التى هى الجنة كاجتماع
الخيل فى الحلبة للسباق الى الرهن والجنة سبقته السبقة ما يوضع بين اهل السباق وهى الثمرة المطلوبة منه

السابقة

٤١

واستعارها للجنة لكونها الثمرة المطلوبة من الاسلام والغاية المقصودة من الدين كما ان السبقة غاية سعي
المراهين والنار نقمته لما جعل سابقا للاسلام نقمة مولمة لمن خالفه فرهنا بان نقمته النار وهي اشد العقوبات
والتقوى عدة لانها تنفع صاحبها في وقت الحاجة والحسنون فرسانه استعار لفظ الفرسان للادباء
الاحسان وعلماء الدين وهم فرسان الاحسان والعلوم لملاحظة تشبيه الاحسان والعلوم بالفرس
الجواد فالايمان يستدل على الصالحات لدلالة المجمل على المفصل اذ يدخل في الايمان التصديق بما جاء به
النبي صلعم اجمالا ومنه الاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة وهو يقتضيها ويطلبها فيدل الايمان عليها
كدلالة السبب على المسبب وما وقع في بعض الروايات من ان الاعمال تدل على الايمان فهو باعتبار ان الاثر
يدل على المؤثر والمسبب على السبب وبالصالحات يعمر الفقه ولما شبه آنفا الفقه بالمصباح في الهداية
الى المطلوب وكان تعمير المصباح الحقيقي بالدهن كان تعمير الشبيه بالمصباح ايضا بما يشبه بالدهن وهو الاعمال
الصالحة ولذلك ورد ان العلم مقرون بالعمل فان عمل بقي والا ارتحل وبعبارة اخرى الفقه نور نفساني
والعمل نور جسماني وللظاهر تاثير في الباطن فالعمل يوجب ثبات الفقه وزيادته وهو المراد بتعميره و
بالفقه يرهب الموت لان الفقه بما بعد الموت والعلم اجمالا او تفصيلا بما يرد على الانسان بعده من
الخير والشر والحساب والميزان والصراط وغيرها من احوال البرزخ والقيمة واهوالها يوجب الخوف من الموت
لا من حيث هو موت بل من حيث انه لا يدري ما يفعل به بعده ويوجب ذلك كمال الاستعداد لما بعده والله
هو الموفق وبالموت تختم الدنيا لان الدنيا مضمار والموت غايته فاذا ورد ختمت الدنيا وانقطع السير فيها ثم
لا عود اليها وبالدنيا تجوز القيمة ومن ثم قيل من مات قامت قيمته وبالقيمة تزلف الجنة اي تقرب والجنة
حسرة اهل النار لما راوا من كمال نعيمها وحرمانهم فيها مع شدايد عقوبتهم بالنار والنار موعظة المتقين موعظ
بين داين وذلك لان المتقين يتعظون من النار وشدايدها ويتركون كل ما يوثم ويجتنبون من كل ما يوجب
الدخول فيها والتقوى سنخ الايمان السنخ من كل شيء اصله والجمع اسناخ مثل حمل واحمال وذلك لان المراد
بالايمان الايمان الكامل وقد مر ان كماله بالاعمال فله سنخان احدهما اليقين وهو الكمال في القوة النظرية
والثاني التقوى وهي الكمال في القوة العملية فاذا تحققا تحقق كمال الايمان فهما سنخاه **قوله** ان الله عز وجل باب صفة الايمان
جعل الايمان على اربع دعايم اي جعل بناءه عليها فهي اساسه لا حقيقته لان حقيقته التصديق لما مر سرارا
والدعامة معروفة وقد شبه الايمان بالبيت من الشعر ونحوه مما يكون اعتماده على الدعايم ولا يخفى ذلك
ان الايمان هو المقصد الاصلي وان الامور الاربعة مقصودة لحفظه وبقائه على الصبر واليقين والعدل والجهاد

قدم

٤٢

قدم الاهم فالاهم ولكل واحد منها مدخل عظيم في تحقق الايمان وثباته وبقائه والمراد بالصبر الثبات على احكام
الكتاب والسنة وحبس النفس عن الشهوات ومنعها عن الجزع عند المصيبات وهو كنز من كنوز الجنة وطريق
عظيم للدخول فيها وباعث قوي للبقاء على الايمان وباليقين العلم مع زوال الشك وعدم احتمال طريانه و
حاصله مشاهدة الغيوب بانوار القلوب وملاحظة الاسرار بمعاونة الافكار وبالعدل ملكة الاعتدال
في القوة النظرية والعملية والتوسط في القوة الشهوية والغضبية وهو مثمر لقوة الايمان وكماله وبالجهاد
المجاهدة النفسانية والبدنية والمراقبة الروحانية والجسمانية والله سبحانه اظهر الدين وطلب الايمان
وجعل عزهما وكمالهما في الجهاد فمن جاهد كمل ايمانه وشارك المجاهدين ومن قعد نقص ايمانه وشارك
المتخلفين والمنافقين فالصبر على ذلك على اربع شعب لما فرغ من دعايم الاسلام شرع في تفصيلها لان الصبر
من المباح ليس من دعايمه واليقين كثير من الاشياء ايضا ليس منها وكذا العدل والجهاد فذكر منها ما هو الايمان
وذكر لكل واحد منها اربع شعب وذكر اثار تلك الشعب وثمراتها والشعب جمع الشعبة والمراد بها هنا الاغصان
فقد شبه الصبر مثلا بالشجرة في كونه اصلا والشعب بالاغصان في كونها فروعا وما يترتب على الشعب بالاثمار في
كونه حاصلا على الشوق اي الشوق الى الجنة ونعيمها ودرجاتها وهو ميل النفس الى الشيء بعد تصوره وتصور
نفعه والصبر اصل له اذ هو لا يحصل بدون الصبر عن احكام الله ومكاره النفس وهو مع ذلك سبب لكمال
الصبر وثباته والاشفاق وهو الخوف من نار جهنم او من نار فراق لان الصابر يترقى الى ان يصل الى اعلى مراتب
القرب فيحصل له الخوف مما ذكر وهو سبب لبقاء الصبر وثباته والزهد اي الزهد في الدنيا وزهراتها وهو لا
يحصل بدون الصبر في الطاعات وزجر النفس عن المنهيات وهو مع ذلك لثبات الصبر والترقب اي ترقب
الموت وانتظاره وهو لا يحصل بدون الصبر لان الصابر هو الذي يطلب الحيوة الحقيقية التي تحصل بالموت
الترقب سبب لبقاء الصبر وكماله ثم اشار الى فوايد تلك الشعب وثمراتها بقوله فمن اشتاق الى الجنة سلا
عن الشهوات اي فارقها وطيب نفسه عن جميع مشتهياتها التي هي طرق النار لان من اشتاق الى شيء تجنب
عما يوصل الى ضده ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات لانها مودية الى النار وسبب لها ومن خاف من
السبب يفر من السبب فمن ادعى الاشفاق وارتكب الحرام فهو كاذب ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات
اذ منشأ صعوبتها هو الميل الى الدنيا وفنائها والشوق الى لذاتها وراحتها النفسانية والبدنية ومن ثم يكون
الفقر والبلاء عند الزهاد احسن من الفراغ والغناء ومن راقب الموت سارع الى الخيرات حذرا من ان يموت
قبل ان يدركها ولعلمه بانها سبب للحيوة الابدية التي هي الحيوة الحقيقية فيستعد لها بالتبادر الى الاعمال الصالحة

ولما فرغ من شعب الصبر وبيان فوايدها اشار الى شعب اليقين وفوايدها بقوله واليقين على اربع شعب
تبصرة الفطنة الفطنة جودة الذهن وتهيوه لادراك الاشياء واحوالها كما هي والاضافة من باب اضافة
المصدر الى مفعوله والمراد برؤيتها التوجه اليها والتامل فيها وفي مقتضياتها من العلوم والمعارف و
جعلها فاعلا للمصدر وارادة رؤيتها للاشياء وان كان محتملا في نفسه لكن ينافي قوله فمن ابصر الفطنة
وتاول الحكمة التاول بمعنى التاويل وهو تفسير ما يؤول اليه الشئ والحكمة العلم الذي يمنع الانسان من القبيح
مطلقا والمراد بتاولها الوصول الى غورها والتعرف بمنافع كل شئ ومضاره ومعرفة العبرة وهي ليس من الاعتبار
باثار الماضين واحوال الاولين فانهم عبرة لاولى الابصار ومحل الاعتبار بما كانوا فيه من نعيم الدنيا و
لذاتها والمباهاة بكثرة اسبابها وذهابها ثم مفارقتهم لذلك كله بالموت وبقاء الحسرة والندامة لهم حجابا
حايلا بينهم وبين الوصول الى حضرة جلال الله وسنة الاولين اي ومعرفة سنتهم وطريقتهم من خير
يوجب النجاة وشر يوجب الهلاك ثم اشار الى فوايد هذه الشعب والترتيب بينها بقوله فمن ابصر الفطنة
ونظر الى وجوه مقتضاها عرف الحكمة ومن تاول الحكمة وبلغ غورها عرف العبرة باحوال واحوال الماضين
ومن عرف العبرة عرف السنة اي سنة الاولين وطرزهم وطريقتهم ومن عرف السنة فكانما كان مع الاولين
في حيوتهم فيرى اعمالهم وما يتعقبها من العقوبات الدنيوية او بعد موتهم فيرى حسراتهم وعقوباتهم
الاخروية واهتدى بذلك الى الطريقة التي هي اقوم الطرايق وافضلها ونظر الى من نجا بما نجا من الاعمال
الصالحة والاخلاق المرضية ومن هلك بما هلك من الاعمال الباطلة والاخلاق الفاسدة وانما
اهلك الله من اهلك من الامم السابقة وغيرهم بمعصيته وانجى من انجى بطاعته من الاعمال ويظهر كل
ذلك لمن نظر في الايات والروايات وفيه ترغيب في الطاعة وزجر عن المعصية والعدل على اربع شعب
اوليها غامض الفهم وغمر العلم الاضافة فيهما اضافة الصفة الى الموصوف اي الفهم الغامض الذي ينفذ
في بواطن الاشياء والعلم الغامر اي الغاير الذي يطلع عليه اذهان الاذكياء ولو كان الغايص من الغوص
بدل الغامض كان له ايضا معنى صحيح والغايص الذي يدخل في المطلع الماء ليطلع على ما فيه من اللؤلؤ ونحوه و
لياخذه ولستعير للفهم الغايص الذي ينفذ في دقايق الاشياء ويطلع على اسرارها وحقايقها واخرجها وزهرة
الحكم وروضة الحلم اي نضارتهما وغضارتهما وحسنهما وكمالهما والتركيب من باب لجين الماء وجعله
من باب المكنية والتخيلية بعيد والمراد بزهرة الحكم الحكم الحق الموجب للالتيام وبروضة الحلم الحلم المكمل للنظام
ثم اشار الى ثمرات تلك الشعب وفوايدها المترتبة عليها بقوله فمن فهم بالفهم الغامض او الغايص فسر جميع العلم

الشرعي

الشرعي والقانون العقلي والنقلي لان هذا التفسير من شان الفهم المذكور وآثاره ومن علم عرف جميع شرايع
الحكم ومشاربه وموارده لان ذلك من اثار العلم الغامر ومن حلم لم يفرط في امره ولم يقصر فيه اصلا لان شان الحلم
الكامل هو التحرز من طرف الافراط والتفريط والاستقرار في الوسط وعاش في الناس حميدا اي محمود الاثر نطق
ثائرة الغضب عند مكاره النفس ونزول النحب فحمده الناس ونصره كما قيل الحلم يكسب المدح من الملوك و المحبة
من الملوك والجهاد على اربع شعب اوليها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اي الامر بالطاعة والنهي عن المعصية
بالشرايط والمراتب المذكورة في كتب الفروع وثالثها الصدق في المواطن اي مواطن جهاد النفس والعدو و الصادق
بالامر والنهي ومنه ان يكون قوله موافقا لفعله وفعله موافقا لقلبه وقلبه موافقا لرضا الله ثم ورابعها
شنان الفاسقين اي بغضهم وهو راجع الى انكارهم بالقلب ومقتضى الايمان وليس بداخل في النهي عن المنكر عند جماعة
ومن الاصحاب من ادخله فيه مجازا ولما فرغ عن شعب الجهاد اشار الى فوايدها بقوله فمن امر بالمعروف شد ظهر
المؤمن ومن نهى عن المنكر ارغم انف المنافق وامن كيده والمراد بشد ظهر المؤمن تقويته وامداده وبارغام انف
المنافق اهانته واذلاله وذلك لان الامر بالمعروف تحريص العبد على ما يقربه الى الله ثم باتباع شرايعه والنهي
عن المنكر زجره عما يبعده عنه ومن الندم عاجلا وآجلا ومن البين ان من اتصف بهذه الصفة يكون مقويا
ومرغما وامنا ومن صدق في المواطن كلها قضى الذي يجب عليه من القول الحق وغيره ودخل في زمرة الصادقين
الذين مدحهم الله في كتابه الكريم بقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم ومن شنا الفاسقين وابغضهم لفسقهم
٤٢
وغضب لله طلبا لمرضاته ومن غضب الله غضب الله له وارضاه في الدنيا والاخرة ثم من كان لله كان الله له
باب فضل الايمان على الاسلام
رضي الله عنه ورضي عنه فذلك الايمان ودعايمه وشعبه وثمرات شعبه والله الموفق للصواب قوله
ان الايمان افضل من الاسلام الاعتبار خصوصية في الايمان غير معتبرة في الاسلام وهي التصديق والاقرار
بالولاية وقد مر سابقا ما يوضحه فلا نعيده وان اليقين افضل من الايمان لان الايمان اما نفس التصديق او
هو مع العمل سواء حصل ذلك بالبرهان او بالتقليد كما في اكثر العوام وسواء احتمل النقيض اولا واليقين غاية
الكمال في القوة النظرية التي لا يحتمل النقيض سواء حصلت بالبرهان وهو علم اليقين او بالمجاهدات والرياضات
النفسانية والهدايات الخاصة بالاولياء وهو عين اليقين وحق اليقين وبالجملة هو اعلى مراتب العلم واشرفها
ولا ريب في انه افضل من الايمان وما من شئ اعظم اليقين اي ارفع درجة او اقل وجودا او من علامة قلته في الاكثر
الخلق صدور المعصية منهم اذ لا يصدر معصيته من اهل اليقين وانما يكون لهم ظن ضعيف يزول بادنى
وسوسة النفس والشيطان الا ترى ان الطبيب اذا اخبر احدهم بان الشئ الفلاني يضره او يوجب زيادة مرضه

او بطؤ بر يتبع قوله المفيد للظن ويترك ذلك الشيء حفظا لنفسه من الضرر الضعيف ولا يتبع قول الله تعالى
ولا قول رسوله بان هذه معصية مهلكة وليس ذلك الا لان ظنه بقولهما دون الظن بقول ذلك
الطبيب **قوله** الايمان فوق الاسلام بدرجة والتقوى فوق الايمان بدرجة واليقين فوق التقوى بدرجة
فاليقين افضل من التقوى والتقوى افضل من الايمان والايمان افضل من الاسلام فدل على ان كل مؤمن مسلم
دون العكس لاعتبار خصوصية في الايمان دون الاسلام كما مر وان كل مؤمن متق دون العكس لان المتقي
يؤثر ذكر من لم يزل ولا يزال على ذكر من لم يكن فكان وطاعة من لم يزل ولا يزال على خدمة من لم يكن فكان
ومحبة من لم يزل ولا يزال على محبة من لم يكن فكان وكل مؤمن ليس كذلك وايضا التقوى من الوقاية وهي
اللغة فرط الصيانة وفي العرف صيانة النفس عما يضرها في الاخرة وقصرها على ما ينفعها فيها ولها ثلث مراتب
الاولى التوقي من العذاب المخلد باظهار الشهادتين وهي ادناها والثانية التجنب عن كل ما يوثم من فعل او
ترك حتى الصغاير عند قوم وهو المتعارف في عرف الشرع باسم التقوى والثالثة التوقي عن كل ما يشغل
القلب عن الحق والرجوع اليه بالكلية وهو الخاص الخاص والمراد بالتقوى هنا احد المعنيين الاخيرين وكونه
فوق الايمان ظاهرا وكل مؤمن ليس له هذه المرتبة سواء اريد بالايمان التصديق فقط او هو مع العمل اما
التصديق فظاهر واما التصديق مع العمل فباعتبار ان التجنب عن الكل حتى عن المباحات والمكروهات و
المشتبهات معتبر في التقوى دون الايمان لانه يعول بالاضافة او باعتبار ان الملكة معتبرة فيها لا فيه فليتأمل
وعلى كل من اتصف باليقين متصف بالتقوى دون العكس اما الاول فظاهر بالتأمل فيما ذكرنا واما الثاني فلان
التقوى قد توجد بدون اليقين كما في بعض المقلدين وما قسم في شيء اقل من اليقين ثم حق اليقين اقل من عين اليقين
وعين اليقين اقل من علم اليقين **قوله** كما فضل الكعبة على المسجد الحرام فكما ان حرمة المسجد داخلة في حرمة الكعبة
دون العكس اما الاولى لكن حرمة الاسلام داخل في الايمان دون العكس فالايمان افضل من الاسلام **قوله**
يا ابا محمد الاسلام درجة لما كان الاسلام اول درجة من الدرجات المطلوبة قال الاسلام درجة ولم يقل الاسلام
على الكفر درجة كما قال والايمان على الاسلام درجة **قوله** فما اوتي الناس اقل من اليقين قال بعض الاكابر معناه
ما اوتي الناس شيئا قليلا من اليقين ويحتمل ان يكون معناه ان اليقين فهم اقل من كل شيء والاول يفيد نفي
اليقين بالمرة والثاني يفيد ثبوت قليل منه والاول انسب بقوله وانما تمسكتم بادنى الاسلام فاياكم ان
من ايديكم التلف والاقلات والانفلات التخلص من الشيء فجاءة وفيه ترغيب في امساك ما لهم من ادنى الاسلام
وحفظ وتحذير من الغفلة عنه وتفلته فان تفلته يوجب الدخول في الكفر ولعل المراد بالاسلام هنا الايمان

فخلا

فخلا انا من باب دعية الشيء باسم جزئه بقرينة ان المخاطب كان مؤمنا مع ان هذه التسمية لا تخلو من نكتة وهي
ان المؤمن اذا خرج من الايمان خرج من الاسلام ودخل في الكفر **قوله** قال قلت فاي شيء اليقين قال التوكل
على الله والتسليم لله والرضا بقضاء الله والتفويض الى الله تفسير اليقين بما ذكر من باب تفسير الشيء باثاره اذ اليقين
سبب للامور المذكورة وذلك لانه اذا حصل لاحد بالبرهان او الهداية الخاصة او الكشف بتصفية النفس
بالله ووحدانيته وعلمه وقدرته وتقديره للاشياء وتدبيره فيها وحكمته التي لا يفوتها شيء من المصالح ورأفته
بالعباد واحسانه اليهم ظاهرا او باطنا وتقديره كمالات الاعضاء الظاهرة والباطنة وتدبير منافعها بلا
استحقاق ولا مصلحة منهم ومن غيرهم وايصال الارزاق اليهم حيث لا شعور لهم بطرقها ولا قدرة لهم على تحصيلها
مع عدم جودة بوجه من الوجوه حصلت له حالات قلبية شريفة بعضها ارفع من بعض احدها العلم بان من كان
كذلك كان قادرا على مستقبل اموره ومهماته وايصال الارزاق وتحصيل مراداته وذلك يبعثه على التوكل عليه في
اموره والاعتماد عليه والوثوق به كما يثق الموكل على وكيله وليس معنى التوكل قطع نفسه عن اموره بلا لابد من ٤٢
التمسك بها والاعتماد على الله وثانيها العلم بعظمته وكبريائه واشتمال الحكم على مصالح وان لم يعلم خصوصياتها
وتفاصيلها وذلك يبعثه على التسليم لله في احكامه وغاية الانقياد والاخبات والخضوع والخشوع له و
ثالثها العلم بانه مستحق للمحبة له وتفريغ القلب عن غيره وجعله سرير المحبة وذلك يبعثه على الرضا بقضائه من
الصحة والسقم والغنا والفقر وغيرها من المصائب والنوائب الواردة على النفس والمال والولد بل يجد لذة ذلك
في نفسه كما هو شان المحب بالنظر الى فعل حبيبه وان كانت مرة في نفس الحال من جهته ورابعها العلم بكمال
قدرته وجريان حكمه مع ملاحظة العجز في نفسه وذلك يبعثه على تفويض امره ورده اليه وجعله الحاكم
فيه وسلب القدرة عن نفسه ومشاهدة اضمحلال قدرته في قدرة الله تعالى وهذا قريب من مرتبة الفناء في الله
لا هي لانه في هذه المرتبة لا يرى في نفسه وجودا ولا لقدرته اسما **قوله** قلت فما تفسير ذلك كان السائل
استبعد تفسير اليقين بالتوكل وما بعده لعلمه بانه غيره او استعلم عن حاله ووجه صحته لعدم تفطنه به فاجاب
بما اجاب لضيق المقام عن ذكره او لغير ذلك ومثل هذا الجواب شايع كما تقول العلم هو العمل فيقال كيف ذلك او
ما وجهه فتقول هكذا قالوا **قوله** الايمان فوق الاسلام بدرجة قد ذكرنا شرحه ولا باس ان نعيده لزيادة التوضيح
فنقول الاسلام هو الاقرار والايمان اما التصديق او التصديق مع الاقرار وعلى التقديرين فهو فوق الاسلام
بدرجة اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان التصديق القلبي افضل واعلى من الاقرار اللساني كما ان
القلب افضل من اللسان والتقوى فوق الايمان بدرجة لان التقوى هو التجنب عما يضر في الاخرة وان كان

صيره بصيرا واولئك مراتب كما تر وليت المراد هنا المرتبة الاولى لانها مرتبة الايمان بل المراد الاخيرين وهما
فوق الايمان واليقين فوق التقوى لان التقوى قد لا يكون في مرتبة اليقين نعم من اتقى وثبت قدمه فيها ترقى
الى درجة اليقين الى ان يبلغ اعلى مراتبه وهي مرتبة حق اليقين وهي التي اشار امير المؤمنين عم بقوله لو كشف الغطا

٢٧ باب حقيقة الايمان واليقين

ما ازددت يقينا قوله بينا رسول الله صلعم في بعض اسفاره اذ لقيه ركب قال بعض المحققين بينا هي بين الظرفية اشبعت
فتحتها فصارت الفا ويقع بعدها ح اذا الفجائية غالبا وعاملها محذوف يفسره الفعل الواقع بعد اذ وعند بعض
بعضهم يجعلها جزءا من مصدر مسبوك من الفعل اي بين اوقات مقره لقاء الركب والركب جمع الراكب الدابة مثل
صاحب وصحب قوله فقال ما انتم ما كما نكون سوالا عن حقيقة الشي كذلك يكون سوالا عن خواصه واثاره المترتبة
عليه وهو المراد هنا فلذلك اجابوا بها قوله فقالوا نحن مؤمنون اي متصفون بالايمان الكامل يا رسول الله ولما
ادعوا انهم من اهل الايمان سالهم رسول الله صلى الله عليه وآله عن خواص الايمان واثاره اللازمة له ليعلم هل
علموا الايمان ام لا وقال فما حقيقة ايمانكم اي ما الذي ينبئ عن كون ما تدعونه من الايمان حقا ثابتا فاجابوا
بافضل خواص الايمان واكمل اثاره التي لا ينفك عنه حقيقة الايمان الكامل وقالوا الرضا بقضاء الله في
جميع الاحوال والتفويض الى الله في جميع الامور والتسليم لامر الله والاخبات له في جميع الاحكام فقال
رسول الله صلعم في مدحهم لكون هذه الخصال المرضية من اثار العلم والحكمة وهما من اعظم صفات الانبيا علماء
حكماء كادوا ان يكونوا من الحكمة انبياء لان وجود الاثر دليل على وجود المؤثر وقد ذكرنا سابقا ان الحكمة ارفع
درجة من العلم وشبههم بالانبياء على وجه المبالغة لكمال التشابه والتقارب ولما كانت هذه الصفات تقتضي
الزهد في الدنيا والتقوى اي التحرز عما يوبق وتفريغ القلب عن غيره تعالى حثهم على الاول بقوله فان كنتم صادقين
فلا تبنوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تاكلون وانما حثهما بالنهي لانهما اعظم مطالب الراغبين في الدنيا وعلى
الثاني بقوله واتقوا الله الذي اليه ترجعون وفيه وعد ووعيد جميعا وقد مر تفسير التقوى وبيان مراتبها
قوله فنظر الى شاب في المسجد يحتمل ان يكون حارثة بن مالك الانصاري الاتي وهو يخفق اي يضطرب او ينام
حتى يسقط ذقنه على صدره وهو قاعد يقال خفق براسه اذا اخذته سنة من النعاس فمال راسه دون
سائر جسده وح قوله يهبط براسه كالتفسير له ومنشا هذا وما بعده من اصفرار اللون ونحافة الجسم و
غور العينين قلة الاكل وكثرة السهر والرياضة والعبادة والحزن من امر الاخرة فعجب رسول الله صلعم من قوله
لانه اخبر بشي نادر الوقوع موجب لحمده واستحسانه والرضا عنه والتعجب انفعال النفس لزيادة وصف
مدح او ذم في المتعجب منه ولما ادعى اليقين لنفسه فقاضاه صلى الله عليه وآله مصداقه اي ما يصدقه

وطلب

٤٥

وطلب منه شواهد تشهد له بحقيقة دعواه وقال ان لكل يقين حقيقة اي لكل فرد من افراده المخصوصة كما
يشعر به قوله فما حقيقة يقينك فان الاضافة تفيد الاختصاص والجزئية او لكل نوع من انواعه وهي علم
اليقين وعين اليقين وحق اليقين ولعل المراد بحقيقة اليقين غايته التي ينتهي اليها ويتصف بها وهي اثار
شريفة وصفات لطيفة واشارات منيفة دالة على حصولها وتحققها والسوال وقع عن تلك الاثار فلذلك
اجاب بها فقال ان يقيني يا رسول الله هو الذي احزنني في امر الاخرة او بالم الفراق وشوق اللقاء واسهر ليلي
بترك النوم مع التفكر والتضرع والعبادة واظمأ هواجري بالصيام وترك الشراب والطعام ونسبة الاسهار
الى الليل والاظماء الى الهواجر مجاز عقلي واظماء الهواجر كناية عن الصوم في حر النهار فان الصوم فيه اشق
وافضل وثوابه اكمل واجزل وعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها من نعيمها وزهراتها وعزفت بكون المثناة فاعلها
وكرهتها نفسي وانصرفت عنها وضم التاء محتمل اي منعت نفسي وصرفتها عنها حتى كاني انظر الى عرش ربي وقد
نصب للحساب وحشر الخلايق ولذلك وانا فيهم مثل لحال الغائب بحال الشاهد لزيادة الايضاح مع احتمال
ارادة الظاهر والاضافة للاختصاص كبيت الله وكانه قصد افادة حصول الظن بثبوت خبر كان لاسمه من
غير شبهة او قصد تشبيه النظر القلبي بالنظر العيني لقصد التوضيح وكاني انظر الى اهل الجنة يتنعمون في الجنة
ويتعارفون اي يعرفون بعضهم بعضا ويتكلمون على الارائك متكئون وكاني انظر الى اهل النار وهم فيها معذبون
مصطرخون اي صائحون مستغيثون وكاني الان اسمع زفير النار يدور في مسامعي جمع مسمع وهو آلة السمع او
جمع سمع على غير قياس كمشابه وملامح جمع شبه ولمح وينبغي ان يعلم ان السالك العارف المؤمن الزاهد وان كان
في الدنيا بجسده فهو في مشاهدة بعين بصيرته لاحوال الجنة ودرجاتها وسعادتها واهلها ولاحوال النار
ودركاتها وشقاوتها واهلها كالذين شاهدوا الجنة بعين حسهم وتنعموا فيها وكالذين شاهدوا النار في عذاب
اهلها وهي مرتبة عين اليقين او حق اليقين او مرتبة علم اليقين على احتمال بعيد والحق ان الجواب بمرتبة عين اليقين
انسب فقال رسول الله صلعم بعد ما سمع منه هذه الاثار والامارات التي شواهد صدق على وجود حقيقة
وغاية كماله فيه هذا عبد نور الله قلبه بالايمان اريد بالايمان الايمان الكامل وقد مر انه لا يتحقق الا بعد
استقامة جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة ولا ريب في ان الايمان بهذا المعنى نور الهي يتنور به الظاهر والباطن و
كل يهتدي به الى ما هو له وقد مر ايضا ان بين الظاهر والباطن مناسبة توجب تأثر كل منهما عن الاخر فنور الظاهر
سبب لنور الباطن وبالعكس على وجه لا يدور وانما اكتفى بذكر نور الباطن وهو نور القلب لانه المقصد الاعظم
والمطلوب الاهم لانه مقتضى للصفات المذكورة بلا واسطة فقال له الزم ما انت عليه دل على ان الكمالات

البشريه قد تزول بعدم المحافظة ولذلك قال العارفون الخايفون من زوالها ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب قوله فقال يا رسول الله مومن حقا اى كامل فى خصال الايمان وهو
من سار فى طرق الايمان باكتساب مكارم الاعمال والاخلاق حتى بلغ اعلاه وترقى بالمجاهدة والمواظبة من
حضيض نفسه الى ان بلغ ذروته ولما ادعى هذه المرتبه ونطق بدعوى حق الايمان تقاضاه بمصداق ذلك و
اماراته وطلب منه بيان اثاره وعلاماته فقال له رسول الله صلعم لكل شىء حقيقه اى لكل شىء من الاشياء الظاهرة
والباطنة حقيقة تمامه وكماله وغاية اليها انتهاؤه ومآله فما حقيقه قولك الظ فى دعوى ذلك الامر الباطن
الكامل وما غايته المترتبه عليه وما علاماته الدالة عليه فقال يا رسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فاسهرت
ليلى واظمات هواجرى وكانى انظر الى عرش ربى وقد وضع للحساب وكانى انظر الى اهل الجنة يتزاورون فى
اى يزور بعضهم بعضا فى الجنة وكانى اسمع عواء اهل النار فى النار اى صياحهم والعوى صوت السباع و كانه
بالذئب والكلب اخص والسالك اذا اجتهد فى زيادة العلم والعمل والاخلاق وقطع تعلقه عن المحسوسات ورسوم
العادات ومات مع الحيوة بلغ مرتبه عين اليقين وشاهد جمال الاسرار وانكشف له احوال الاخرة والجنة والنار
ثم اذا رجع الى نفسه ونظر الى عالم المحسوسات لامعين التعلق حفظ بساله بعض تلك الاحوال وانتقش فى نفسه
بعض هذه الاثار ولو شاهد الجنة يجد فى نفسه السرور والنشاط ولو شاهد النار يجد من نفسه الحزن و
الخوف وبالجملة تظهر له حالا مع الحيوة كما تظهر بعد الموت الا ان ظهورها بعد الموت لا ينفع بل يوجب الندامة
والحسرة بخلاف ظهورها قبله فانه يوجب السعادة التى هى قرب الحق والاعراض عن غيره بالكلية واعلم ان فى
هذه الرواية ورواية القسم بن يزيد دلالة واضحة على ان حارثة استشهد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله
وقال الفاضل الاسترابادى فى رجاله حارثة بن النعمان الانصارى كنيته ابو عبد الله شهد بدرا واحدا وما
بعدهما من المشاهد وذكر هو انه راى جبرئيل عم دفعتين على صورة دحية الكلبى اولهما حين خرج رسول الله
الى قريظة والثانى حين رجع من حنين وشهد مع امير المؤمنين عم القتال وتوفى فى زمن معوية ولا يخفى
المنافاة بينه وبين الرواية الا ان يكون هذا غيره قوله ان على كل حق حقيقة الحق وهو ضد الباطل كل ما
جاء به الرسول من الاحكام والاخلاق والشرايع وجميع ما امر به ودعا اليه فاخبر عم ان على كل حق ظاهر حقيقة
هو منتهى اليها ويراد بها ومنها كماله واليها ماله وقول بعض المحققين فى تقسيم ما جاء به الشارع الى شريعة وحقيقة
اشارة اليهما حيث اراد بالشريعة ظاهر ما ورد به النقل وبالحقيقة باطن ما بين العبد وبين الله عز وجل
فحكم الشريعة على الظ وحكم الحقيقة على الباطن كما روى عنه صلعم نحن نحكم بالظ والله يتولى السرائر فقد ظهر ان

الحق

٨

الحق كالشريعة اول الحقيقه وهى غايته وهو ظاهر وهى بطانته فكل عبادة ظاهره ان لم تصدر عن حقيقه
باطنه كاعمال المنافقين فهى باطلة وكل طاعة ان لم تنته الى حقيقة ثابته كافعال المرائين فهى عاطلة و
كذلك الاخلاق بها حقا وحقيقه كالتوكل فان حقه مع العام لضرورة عقد الايمان مع تعلقهم بالاسباب
وحقيقه ينتهى اليها الخاص بقطع الاسباب ويكون السر الى مسبب الاسباب وكالحياء فان له حقا مع الكل
وله حقيقه مع الخواص وكالتقوى فان اوله حق وهو تقوى الشرك يشمل عوام المومنين وله حقيقه وغاية
يبلغها خواص الاولياء وكذلك الايمان فان اوله حق وبه يخرج عن الكفر وهو يشمل عوام المومنين وله حقيقه
وغاية هى كمال يبلغها خواص المومنين الذين قال الله تع فى شانهم انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون وكذلك اليقين اوله حق واخره وباطنه حقيقه هى غايته وكماله
وبالجملة الحق فى كل شى بمنزلة القشر والحقيقه بمنزلة اللب ولا ينفع القشر بدون اللب وانما قال على كل حق
ولم يقل لكل حق للتنبيه بالاستعلاء على ان حقيقه كل شى باعتبار الحقيقه التى هو بها هو حتى لو لم يكن له ٤٦
حقيقة كاملة وغاية مرادة منه لم يكن حقا او باعتبار المجانسه مع قوله وعلى كل صواب نورا الصواب ضد
الخطاء اى على كل صواب جلى وخفى من قول او فعل او عقد برهان يحققه ودليل يصدقه كالايمان فى اليقين
فان لهما علامات دالة عليهما وبينات كاشفة عنهما حتى لمن ادعاهما ولم يكن له تلك العلامات والبينات كانت
دعواه باطله وانما سمى البرهان نورا لان البرهان آلة لظهور المعقولات كما ان النور آلة لظهور المحسوسات قوله
نبه بالفكر قلبك دل على ان القلب يغفل عن الحق والاخرة وما ينفع فيهما وانه لا بد من تنبيهه عن الغفلة وانما
بالفكر واختلف العبارة فى تفسيره والمرجع واحد قال الغزالى حقيقه الفكر طلب علم غير بديهى من مقدمات
موصلة اليه كما اذا تفكر ان الاخرة باقيه والدنيا فانية فانه يحصل له العلم بان الاخرة خير من الدنيا وهو يبعثه على
العمل للاخرة فالفكر سبب لهذا العلم وهذا العلم يقتضى حالة نفسانيه وهو التوجه الى الاخرة وهذه الحالة
تقتضى العمل لها وقس على هذا فالفكر موجب لتنور القلب وخروجه عن الغفله واصل لجميع الخيرات وقال المحقق
الطوسى التفكر سير الباطن من المبادى الى المقاصد وهو قريب من النظر ولا يرتقى احد من النقص الى الكمال الا
بهذا السير ومباديه الافاق والانفس بان يتفكر فى اجزاء العالم وذراته وفى الاجرام العلوية من الافلاك و
الكواكب وحركاتها واوضاعها ومقاديرها واختلافاتها ومقارناتها ومفارقاتها وتاثيراتها وتغيراتها و
فى الاجرام السفلية وترتيبها وتفاعلها وكيفياتها ومركباتها ومعدنياتها وحيواناتها وفى اجزاء الانسان واعضائه
من العظام والعضلات والعصبات والعروق وغيرها مما لا يحصى كثرة ويستدل بها وبما فيها من المصالح و

والحكم والمغر على كمال الصانع وعظمته وعلمه وقدرته وعدم ثبات ما سواه وبالجملة التفكر فيما ذكر ونحوه
من حيث الخلق والحكم والمصالح اثره العلم بوجود الصانع وقدرته ومن حيث تغيره وانقلابه وفنائه بعد
وجوده اثره الانقطاع عنه والتوجه بالكلية الى الخالق الحق ومن هذا القبيل التفكر في احوال الماضين وانقطاع
ايديهم عن الدنيا وما فيهم ورجوعهم الى دار الاخرة فانه يوجب انقطاع المتفكر عن غير الله اليه بالطاعة
والتقوى ولذلك امر بهما بعد الامر بالتفكر وقال وخاف عن الليل جنبك وهو كناية عن الامر بالقيام للعبادة
في ظلمات الليالي فان العبادة فيها افضل كما دلت عليه الايات والروايات واتق الله ربك بترك المحرمات والمشتبهات
قوله ان تفكر ساعة خير من قيام ليلة اي تفكر ساعة في عظمته والاثر وتواتر اياديه ونعمائه او في سكرات الموت
وما بعده من العقوبات او في محن الدنيا وعدم وفائها وما فيها من المصائب والبليات او في فناء اهلها وانقطاع
ايديهم عن التصرفات خير من قيام ليلة للعبادة فان كل ذلك تنور القلب وصفاء الذهن وترك الدنيا والميل الى
الاخرة وحلاوة الذكر والطاعة وكمال السعادة ومحبة الخالق واعراضه عن غيره واستعمال الاعضاء الظاهرة
والباطنة فيما خلقت له وربما يخطر في القلب تفكر ساعة حالة مانعة من المعاصي في مدة العمر فهو افضل عبادة ليله
لكثرة فوايده وعظمتها قلت كيف تفكر اراد يصاحبه بمنال الجزى فلذلك اي تم بر وقال بمر بحربه او بالدار التي ذهبت
اهلها فيقول تحسرا او عبرة ايها الدار وخالهم ابن ساكنوك ابن بانوك ما لك لا تتكلمين فانه اذا تفكر في ذلك يجد هم
انقطعوا عن الدنيا وثمراتها وزالت ايديهم عما كان لهم من اسبابها وزهراتها وانتقلوا عن دار الانس والاحبة
وحلوبيت الغربة والوحشة ما لهم من احبائهم ظهير ولا نصير ولا لهم من اموالهم قطمير ولا نقير واذا
وجدهم كك خطر بباله انه يصير مثلهم عن قريب ولا يكون له من ماله حق ولا نصيب فتبرد لذلك قبات
الدنيا في عينه ويحتقر زهراتها في نظره فيقدم الى صلاح امره ومثواه ولا يتبع اخرته بدنياه **قوله** افضل العبادات
ادمان التفكر في الله وفي قدرته افضلية العبادة باعتبار عظمة قدرها وكثرة مناضيها او اثارها وشرافة
لوازمها واسرارها ولا ريب ان ادمان التفكر في الله وفي قدرته اعظم العبادات قدرا واشرفها اثرا وانجحها رتبة
وارفعها منزلة ولذلك وقع الامر به في ايات متكاثرة وروايات متظافرة وله اثار شريفة ولوازم منيفة
كلها عبادات عظيمة كمعرفة الرب وعظمته وعلمه وقدرته واحتقار الدنيا وزهراتها ومعرفة الجنة ودرجاتها
ومعرفة النار ودركاتها والانقطاع عن غير الحق وتفريغ القلب له وبالجملة ادمان التفكر عبادة واصل لجميع العبادات
فهو افضلها وليس المراد التفكر في حقيقة ذاته وحقيقة قدرته وساير صفاته اذ معرفتهما خارجة عن قدرة البشر
ولا يصل اليها العقل والتفكر وكان التفكر فيها موديا الى الضلال المبين والالحاد في الدين بل المراد التفكر في صنع

الله

الله واثار قدرته فان التفكر فيها او في عظمتها يدل على عظمة الصانع الحق وكمال قدرته ومما يدل على ذلك
ما رواه محمد بن مسلم عن ابي جعفر عم قال اياكم والتفكر في الله ولكن اذا اردتم ان تنظروا الى عظمته فانظروا
الى عظم خلقه وما رواه الحسين بن مياح عن ابيه قال سمعت ابا عبد الله عم يقول من نظر في الله كيف هو هلك
وبالجملة التفكر على ضربين تفكر في الحق وتفكر في الخلق والعبد ممنوع عن الاول ومندوب الى الثاني قال الله
تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض الاية **قوله** انما العبادة التفكر في امر الله عز وجل الحصر اما بالنسبة الى
غير المتفكر او حقيقي لان العبادة كلها تابعة للتفكر فلا توجد عبادة بدونه فان من تفكر انصر الحق وطرقه الموصلة
اليه وهات الدنيا وما فيها عنده لما راى من كثرة انقلابها على اهلها وعدم الوفاء لهم فيحصل له كمال الميل الى
مولى الحق وغاية الخشوع والطاعة له والشوق الى لقائه لعلمه بان الوصول الى الدرجة العليا والبلوغ الى
السعادة العظمى والتخلص عن اهوال العقبى والتقرب الى مقام الزلفى انما يحصل بترك الدنيا والتزام العبادات
والتقوى فيصرف نفسه عن ميدان الطغيان ويجريها في مضمار الطاعة ومرضات الرحمن ويقدم لنفسه
ما ينفعه في دار الجنان والتوفيق من الله الملك المنان **قوله** التفكر يدعو الى البر والعمل به لان التفكر سراج
القلب يرى به المتفكر خيره وشره ومنافعه ومضاره وكل قلب لا تفكر فيه فهو مظلم لا يرى الى البر دليلا
ولا الى العمل سبيلا ومن التفكر ان يتفكر لاي شيء خلق ومن اين جاء والى اين يقصد ولاي شيء نزل في
هذا المنزل وفيما سعادته وشقاوته فان هذا التفكر اشد جاذب له الى البر والعمل به ومنه ان يتفكر في قوله
تعالى اولم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم الاية الى غيرها من الايات الدالة
على الترغيب في التفكر فان التفكر فيها اقوى زاجر له عن الدنيا واكمل داع الى البر والعمل به للاخرة اذ من تفكر
في احوال الماضين من احوال الرعايا والسلاطين واعمالهم واجسادهم واثارهم وتفكر في انهم بنوا ما لم
يسكنوا وجمعوا ما لم ياكلوا وسعوا فيما لم ينتفعوا وفي انهم كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام
كريم ونعمة كانوا فاكهين تبرء الدنيا وما فيها عنده واشرق قلبه بنور ربه حتى راى بعين البصيرة احوال
الاخرة ومقاماتها ورغبت نفسه عن قبات الدنيا وزهراتها ومال الى حضرة الحق والجلال واشتاق
الى كاس القرب والوصال وعلم ان ذلك لا يحصل الا بالبر والعمل فعلم ان التفكر يدعو اليهما نعم ما قيل
ولا ارى كالايام للمرء واعظا ۞ ولا كصرف الدهر للمرء هاديا ۞ لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقي ۞ اذا هو لم يجعل
الله واقيا ۞ واحسن فان المرء لابد ميت ۞ وانك تجزى بما كنت ساعيا ۞ ومنه ان يتفكر في معاني ايات
القران عند تلاوته فاذا بلغ ايات الصفات مثل العزيز والحكيم والقدوس يتامل في اسراره واذا بلغ ايات

٤٧

الافعال مثل خلق السموات والارض يتأمل في عظمة الخالق وكمال علمه وقدرته وعلى هذا فانه يحصل
له بذلك الانقطاع عن الدنيا وملكة الميل الى البر والعمل به قوله قال المكارم عشر المكرمة بزرگى وبزرگوارى
والمكارم بزرگواريها وبزرگيها وينبغي ان يعلم ان النفس الناطقة اذا تركت سلطنتها في ملك البدن وصارت
ماسورة في يد قواه حصلت لها اخلاق مهلكة مثل الكذب والخيانة والحرص والحسد والعجز والغضب
والبخل وقطع الرحم وامثال ذلك مما يعد في هذا الكتاب ثم تسري تلك الاخلاق الى الاعضاء الصادرة
فيصدر منها الضرب والقتل والنهب والبهتان ونحوها وبذلك يبعد عن رب العالمين ويستقر في اسفل
السافلين وان راعت سلطنتها فيه واسرت قواه واعطت كل واحدة ما فيه صلاحها عقلا وشرعا حصلت لها
اخلاق صالحة منجية مثل حسن الخلق والرفق والحكمة والعدالة والشجاعة وامثالها مما يعد في هذا الكتاب بعض
ويصدر بسببها من الاعضاء افعال حسنة فاضلة مثل الصدق واداء الامانة وغيرهما من الامور المذكورة وان
المكارم غير منحصرة فيما ذكر وان اطلاقها عليه مجاز من باب تسمية السبب باسم المسبب لان ما ذكر من الافعال
سبب لمكارم النفس فان استطعت ان يكون فيك فلتكن دل على انها كسبية تحصل بمشقة الاكتساب والمجاهدة
مع النفس الامارة ورياضتها وقد بالغ في ذلك بقوله فانها تكون في الرجل ولا تكون في ولده وتكون في
الولد ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في الحر للتنبيه على انها نعم عظيمة يمن الله بها على عباده
ممن لحقت به العناية الالهية وتوجهت اليه التوفيقات الربانية بحسن سياسته وكمال عزيمته وتمام
ارادته الى معالي الامور قيل وما هن قال صدق الباس اي الخوف او الخضوع او الشدة والفقر ومنه البائس
الفقير او القوة وصدق الخوف من المعصية بان يتركها ومن التقصير في العمل بان يسعى فيه كما ومن عدم الوصول
الى درجة الابرار بان يسعى في اكتساب الخيرات فلو ادعى الخوف في شيء من ذلك وبقي عليه ولم يسع في ازالته
فهو كاذب وصدق الخضوع بان يخضع لله تعالى لا لغيره فمن ادعى الخضوع لله تعالى وهو يخضع لغيره فهو كاذب وصدق
الفقر بان يترك عن نفسه هواها وتمنياتها وامالها والا فهو ليس بفقير وصدق القوة بان يصرفها في الطاعات
فمن صرفها في المعاصي فهو ضعيف عاجز وصدق اللسان بان لا يتكلم بما ليس فيه رضاه تعالى مثل الكذب واللغو
والفحش والغيبة ونحوها بل يتكلم بما فيه رضاه من الامور الدينية او الدنيوية واداء الامانة اي امانة الناس
برا كان او فاجرا او امانة الله ايضا مثل الامامة وفعل الطاعات وترك المنهيات والعهود وصلة الرحم اي
الاحسان الى الاقربين من ذوي النسب والاصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لاحوالهم في السر و
العلانية وان نا[illegible] فكانه بالاحسان اليه وصل ما بينهم وبينه من علاقة القرابة والصهر ويدخل فيها

صلوة

٤٨

صلوة اقربائه التوحيد واقراء الضيف اي المؤمن والمسلم مطلقا او الاعم منه ومن الكافر على احتمال الدلالة
بعض الروايات عليه واما الحربي ففيه تأمل والظاهر ان الاقراء بمعنى القرى المجرد يقال قريت الضيف اقريه
من باب رمى قرى بالكسر والقصر والاسم القراء بالفتح والمد واطعام السائل كذلك والاطعام كما يوجب
الثواب الجزيل في الاخرة كذلك يدفع الفقر والبلاء ويوجب زيادة الرزق في الدنيا ثم يتفاوت ذلك بحسب تفاوت
نية المطعم واحتياجه واستحقاق السائل وصلاحه والمكافات على الصنائع الصنائع جمع الصنيعة وهي
ما اصطنعته من خير وكل شيء ساوى شيئا حتى صار مثله فهو مكافئ له والمكافاة بين الناس من هذا ويقال
بالفارسية باداش دادن بمثل ونحوه ويراد مطلق المجازات الشامل للمساوي والازيد والانقص ثم المكافاة
من باب الاداب والاستحباب لجواز الاخذ من غير عوض للروايات منها رواية اسحق بن عمار قال قلت له الرجل
الفقير يهدي الي الهدية يتعرض لما عندي فاخذها ولا اعطيه شيئا قال نعم هي لك حلال ولكن لا تدع ان
تعطيه والتذمم للجار والتذمم للصاحب التفعل يجيء للتجنب مثل تأثم وتحرج اي تجنب الاثم والحرج و
منه التذمم وهو مجانبة الذم والتحرز منه والمقصود ان من مكارم الرجال ان يحفظ ذمام الجار والصاحب
ويطرح عن نفسه ذم الناس له ان لم يحفظه والذمام بالكسر الحرمة وما يذم به الرجل على اضاعته من العهد
والامان وغيرهما واقراء الحياء هو خلق غريزي او مكتسب يمنع من فعل القبيح وخلاف الاداب والتقصير في
الحقوق خوفا من اللوم والذم به ولا يوجد شيء من المكارم بدونه ولذلك هو رأسهن قوله ان الله عز وجل
خص رسله بمكارم الاخلاق الاخلاق جمع خلق وهو ملكة للنفس يصدر عنها الفعل بسهولة من غير روية
وفكر خلاف الحال وقد توهم ان الاخلاق كلها خلقية فيكون التكليف بها تكليفا بما لا يطاق وهذا التوهم
فاسد لان الاخلاق قد تتغير وتتبدل كما هو المشاهد في كثير من الناس فانهم يزاولون ويمارسون
خلقا من الاخلاق حتى يصير ملكة لا يقال مدخول الباء اما مقصود كما تقتضيه القاعدة او مقصود عليه
فعلى الاول لزم ان لا توجد المكارم في غير الرسل وهو ينافي ما بعده وعلى الثاني لزم ان لا يوجد في الرسل و
غير المكارم لانا نقول يمكن دفع الاول بان المكارم عرضا عريضا والمقصور على الرسل هو الطرف الاعلى
لا ينافيه وجود ما دونه على تفاوت المراتب في غيرهم او بان جملة المكارم مقصورة على الرسل جميعا
ولا توجد في غيرهم جميعا ولا ينافيه وجودها في بعض الاغيار ويمكن دفع الثاني بان الحصر اضافي بالنسبة
الى اضداد المكارم يعني ان الرسل مقصورون على المكارم ولا يتجاوزونها الى اضدادها بخلاف غيرهم
وهذا الظاهر على انه يمكن ان يكون المقصود انه تعالى خص رسله بانزال المكارم اليهم وتعزيرهم لها وعلى هذا لا توجه

شئ فامتحنوا انفسكم واختبروها فان كانت فيكم فاحمدوا الله لانها من اعظم نعمائه لديكم واعلموا ان
ذلك من خير عظيم افاضه عليكم وان لا تكن فيكم فاسألوا الله عن تيسير تلك الكمال وارغبوا اليه
والابتهال قال فذكرها عشرة غير العشرة المذكورة فى الحديث السابق لكونها غير منحصرة فيها اليقين
بالله واليوم الاخر وكتبه ورسله وهو العلم مع زوال الشك ومن علامة العمل بمقتضاه والقناعة
هى الرضا بالقليل وفيه راحة للدارين وفى الحديث القناعة كنز لا ينفد لان الانفاق معها لا ينقطع كما
عليه شئ من امور الدنيا قنع بما ودون رضى وفيه عز من قنع وذل من طمع لان القانع لا يذل له الطلب فله يزال
عزيزا والصبر على المصيبة وفعل الطاعة وترك المعصية والشكر فى جميع الاحوال باللسان والجنان و
الاركان والحلم بضبط النفس عن الانتقام عند صدور ما يؤذيه عن الغير وهو صفة لها بالاعتدال فى
القوة الغضبية وحسن الخلق مع الناس بالجميل والطلاقة والبشاشة والتودد والتلطف والاشفاق و
الاحتمال عليهم والسخاء اى بذل المال بسهولة على قدر الابد منه فى موضعه وهو فضيلة نفسانية منشأه
تحت الاعتدال فى القوة الشهوية وافضله ما وقع بغير سؤال كما يدل عليه قول امير المؤمنين عم السخاء ما كان
ابتداء فاما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم اى استنكاف ومجانبة عن الذم والغيرة اى الحمية فى الدين ولا
عما يعلو ونغير الطبع عما يخالفه والشجاعة وهى ملكة النفس حاصلة من الاعتدال فى القوة الغضبية ومتبنى
عليها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وامضاء الاحكام والحدود والجهاد مع النفس والشيطان والعدو
والمروة اى كمال الرجولية فى الدين ورعاية حال فقراء المسلمات والمسلمين وتفقد احوال اليتمى والارامل
والمساكين قال وروى بعضهم بعد هذه الخصال العشرة وزاد فيها الصدق اى صدق البأس وصدق
واداء الامانة الى الناس او مطلقا وهو اى الصدق مفعول روى وزاد على سبيل التنازع فلا يتوهم زيادة
بعد او زاد قوله انا الحجة كان غافلا له جوهر مجرد نورانى يدرك به المعقولات والمنقولات ويميز بين الحق
والباطل الحادى والمضل فيها الفهم من صفات العاقل وهو جودة تهيؤ الذهن لقبول ما يرد عليه من الحق
ويرسل من المبادى الى المطالب بسرعة فقيها الفقه العلم بالاحكام من الحلال والحرام وبالاخلاق وافات
النفوس وموانع القرب من الحق او بصيرة قلبية فى امر الدين تابعة للعلم والعمل مستلزمة للخوف والخشية
مداريا المداراة الملاطفة والملاينة مع الناس وترك مجادلتهم ومناقشتهم صدوقا وفيا اى دائم الصدق
والوفاء والصدق بكثر يحصل عن لزوم الاقوال المطابقة والوفاء بكثر ينشأ عن لزوم العهد والامانة و
البقاء عليه وهما فضيلتان داخلتان تحت العفة مثلا زمنان ولذلك قال امير المؤمنين عم ان الوفاء توم

الصدق ولما كان التوم هو الولد المقارن لولد الاخر فى بطن واحد شبه به الوفاء المقارنة الصدق
الفقه وفى هذا الحديث تحريص على محبة الموصوف بالصفات المذكورة فيه واختيار صاحبته فانه دليل على
سبيل الخيرات ومرشد الى طرق النجاة ولكن وجدانه متعسر فان الجاهل قد يدلس فلا بد للطالب من حزم و
لئلا يجد الجاهل مصاحبا ولا يقع فى ويل الخذلان لان بعد الايمان واعلم ان المكارم المذكورة فى هذا الحديث
اثنى عشرة كما فى السابق الا ان اليقين وحسن الخلق والمروة المذكورة فى السابق غير مذكورة فى السابق والورع
هو الكف عن المحرمات والمشتبهات بل عن المباحات ايضا والبر هو الاحسان بالوالدين والاقربين بل بالناس
اجمعين وقد يطلق على الاعمال الصالحة والخيرات كلها قوله فاحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق فانهما يوجبان
كمال الدين وقراره كما ان البخل وسوء الخلق يوجبان نقصانه وفراره فالدين كالمصاحب ان داهنته فر وان ادنيته
قوله الايمان اربعة اركان الرضا بقضاء الله والتوكل على الله وتفويض الامر الى الله والتسليم لامر الله الرضا
بقضاء الله سكون النفس تحت مجارى القدر وسرورها بما يرد عليها وان كان ثقيلا عليها لانه من الحبيب وكل شئ
من الحبيب فهو حبيب والتوكل جعل الغير وكيلا فى اموره وهو على قسمين احدهما ان يقصد رجوع الوكيل اليه
امضائها والاخر ان يقصد استقلاله فيه وهذا القسم هو التفويض فالتفويض قسم من التوكل وافضل افراده ثم
التفويض على قسمين احدهما ان يرى المفوض كل ما يفعله المفوض اليه موافقا لطبعه والاخر ان يجرد نفسه عن
ملاحظة الموافقة والمخالفة حتى كأنه فوض نفسه وطبعه ايضا اليه وهذا هو التسليم فالتسليم نوع من التفويض
واكمل افراده وانما كانت هذه الاربعة اركان الايمان اذ بانتفاء الرضا بقضاء الله يتحقق السخط عليه وهو يوجب
هدم بناء الايمان به وبانتفاء التوكل يتحقق الحرص فى الطلب وفوات كثير من الاعمال الصالحة المعتبرة فى الايمان
وهو يوجب هدمه وكذا انتفاء التفويض والتسليم يوجب تحقق تعلقات كثيرة منافية للايمان الكامل
وبالجملة هذه الامور من لوازم اليقين فانتفاؤها موجب لانتفائه المنافى للايمان قوله اربع من كن فيه كمل
اسلامه ولو كان من قرنه الى قدمه خطايا لم تنقصه اى اربع خصال والضمير المفعول فى لم تنقصه راجع الى
الاسلام اولى من الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر قد مر تفسيرها ولا يخفى ان ثبوتها يستلزم انتفاء
العصيان مطلقا كما لا يخفى على المتأمل قوله الا اخبركم بخيركم قلنا بلى يا رسول الله قال ان من خيركم لان
اول هذا الكلام ينافى آخره فى الجملة لان قوله خيركم يفيد انه الخير مطلقا وقوله من خيركم يفيد انه
من جملة خير الرجال وبعضهم لانا نقول لعل المراد بالاول الصنف وبالاخر كل فرد من هذا الصنف او نقول
الاخير قرينة على ان المراد بالاول الخير الاضافى بالنسبة الى من لم توجد فيه الصفات المذكورة دون الخير

وعلى الاطلاق النقى النقى السخى الكفين النقى المحترز عن كل ما يوثم خوفا من الله تعالى وتبعيد النفس عن المنقصة
والنقى النظيف الظاهر والباطن من الوسخ النفسانى والدنس الجسمانى والسخى الجواد المعطى واسناد الجود
والاعطاء الى الكفين لظهورهما منهما وفى ذكر الكفين مبالغة فى كمالهما النقى الطرفين اى الفرجين او الفرج
واللسان او الفرج والبطن وقيل الوالدين والبر بوالديه اى المحسن اليهما او المطيع لهما والرفيق بهما والمتحرى
لحاجتهما والمتوقى عن مكارههما ولا يلجى عياله الى غيره مع القدرة على انفاق ما يكفيهم يقال الجاته الى
كذا بالهمزة والتضعيف اى اضطررته واكرهته **قوله** فما حد التوكل قال اليقين فى المصباح اليقين العلم
الحاصل عن نظر واستدلال ولهذا لا يسمى علم الله يقينا وفى اوصاف الاشراف اليقين اعتقاد جازم مطابق
ثابت لا يمكن زواله وهو فى الحقيقة مولف من علمين العلم بالمعلوم والعلم بان خلاف ذلك العلم محال وله
مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين والقرآن ناطق بذلك والحد فى اللغة منتهى كل شئ ونهايته وفى
العرف التعريف ويمكن ارادة كلا المعنيين اما الاول فلان التوكل ينتهى الى اليقين وهو منتهاه واثره اذ
الانسان قبل التوكل يظن ان له مدخلا فى حصول مهماته فليس له يقينا بالله وصفاته الذاتية والفعلية
كما هو حقه وبعده يرى ان مهماته تحصل على الوجه الاحسن والاكمل فيحصل له يقين كما هو حقه فاليقين حده
ومنتهاه واما الثانى فلان اليقين اثر من آثار التوكل كما عرفت فتعريفه باليقين تعريف له باثر من آثاره
اما حمل الحد بمعنى التعريف وحمل اليقين سببا للتوكل فهو وان كان محتملا فى نفسه لكن لا يناسبه بعده
ان اليقين سبب لعدم الخوف من غير الله دون العكس قلت فما حد اليقين قال لا تخاف مع الله شيئا جعل
عدم الخوف من غير الله نهاية لليقين واثرا من آثاره او تعريفا له مبالغة للتنبيه لان الانسان اذا كملت قوته
النظرية باليقين بالله وصفاته العظام لا يخاف الا من الله كما قال عز شانه انما يخشى الله من عباده العلماء
ثم نقول حد الخوف استعمال الجوارح والاعضاء فيما خلقت له وصرفها عن غيرها ثم حد هذا تفريغ القلب عما
عداه بحيث لا ينظر الى شئ سواه ولا يرى فى الوجود الا اياه فهو منتهى كل غاية وغاية الغايات كما ورد فى بعض
الروايات **قوله** قال من صحة يقين المرء المسلم ان لا يرضى الناس بسخط الله ليس كل من يدعى اليقين له يقين
صادق مستمر بل لصحته وثبوته وكونه ملكة علامات ومن علامات صحته ان لا يرضى الناس ابدا بما يوجب سخط الله
وغضبه عليه كما فعل غير موقن فانه يقول ما يوافق طبع الناس ويعمل ما فيه رضاهم وان كان فيه سخط الرب
لئلا يفوت مقاصده المامولة منهم او لغيره ذلك من الاغراض الفاسدة فيترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
ويجالس الفاسقين والظالمين ويساهل معهم ويميل الى ما هو مستحسن فى طباعهم المعوجة ولا يعلم ان اقل

ما يفعل

ما يفعل الله تعالى بمن جعل رضاه فداء لرضا غيره وسخطه فداء لسخط خلقه بعد مقته هو ان يضرب على قلبه
ذل الحجاب وان يقلب قلب من طلب رضاه ببغضه اياه كما روى من ارضى الناس بسخط الله سخط الله عليه و
اسخط عليه الناس بخلاف الموقن فانه لما كانت ثقته بالحق واعتماده على لطفه واحسانه مع يقينه بان الخلق
مقهورون مضطرون وان قلوبهم بيده يتصرف فيها كما يشاء كان صليبا فى الدين قائما على اليقين يقول الحق و
يامر به وينهى عن الباطل ويزجر عنه مما فيه رضاء الناس وسخط الرب ولا يبالى ان ذلك يوجب سخطهم و
منعهم لعلمه بان حصول المقاصد ووصول الارزاق من عند الله تعالى ولا يلومهم على ما لم يوته الله
اى ولا يذمهم على ما لم يوت الله تعالى من الرزق وهو ما يحتاج اليه وينتفع به فى التعيش والبقاء واختصاصه
بالحلال او شموله للحرام ايضا خلاف مذكور فى موضعه والنهى عن الذم بوجوه الاول ان ذمهم ظلم لانهم
لم يمنعوه بل الله لم يوته ما طلبه منهم الثانى ان ذمهم ينتهى الى الله لانه انما يذم المانع من الاعطاء ولا معطى
ولا مانع الا الله فيرجع الذم اليه الثالث ان ذمه المانع من الخلق شرك لانه اعتقد انه مانع له فذمه
فاشرك فى المنع مع الله غيره الا ترى كيف رده عن هذا الشرك الى التوحيد وعن الجهل الى العلم وعن الشك الى
اليقين وعن الاضطراب الى الاطمينان بقوله فان الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهة كاره
امر الرزق ليس بيد احد حتى يسوقه اليه عند حرصه او يرده عند كراهة بل هو بيده تعالى يوصله الى العباد
على حيث ما تقتضيه المصلحة من الزيادة والنقصان ويحتمل ان يكون المراد ان الرزق لا يسوقه الى احد حرص حريص
ولا يرده عنه كراهة كاره فينبغى ان لا يذم الخلق بالرد والمنع ويؤيده ما روى من طرق العامة ان رزق الله لا
يسوقه اليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهة كاره فلو ان احدكم فر من رزقه كما يفر من الموت لادركه رزقه كما يدركه
الموت كما ورد هلكه المحسن كراهة ما لخ به فى الرزق كل احد لكونه بيده تعالى يوصله اليه قطعا الا اذا كره لان الحكيم
القادر اذا جعل الوجود موقوفا على الرزق يمتنع عليه ان يقطع الرزق مع تحقق الوجود بل وجب عليه ايصاله
وان لم يكن المرزوق عالما بطرقه ومنه ينشأ الاضطراب والهم والحزن ويحركه الى السؤال والذم والدافع له
هو اليقين والرضا عنه تعالى ولذلك حث على طلبهما للظفر بالروح فى القلب والتخلص من الاضطراب والراحة
فى البدن والتنزه من السؤال وخسايس الاكتساب بقوله ان الله بعدله وقسطه العطف للتفسير جعل الروح
والروحة اى راحة القلب وسكونه عن الاضطراب وراحة البدن وفراغه عن الاتعاب فى اليقين والرضا
فان الموقن بالله وبصفاته العليا والراضى عنه بالمنع والاعطاء يطمئن قلبه عن التردد والتلون ويفرغ عن
الاهتمام والحزن وينقطع من علقة الاسباب ويقوى توكله على رب الارباب فيتسرح عن تصادم الهموم و

٥٠

والاضطراب ويتخلص من تراكم الغموم والاكتساب ليقينه بان رزقه يصل اليه لانه ضمنه عادل حكيم ثم مكن
ذلك تاكيدا لقوله وجعل الهم والحزن الغم المتعلق للنفس او الغم في تحصيل المطلوب عند صعوبته خوفا من فوته
والحزن غم يصيب الانسان بعد فوات المحبوب في الشك والسخط لان الشك موجب تردد القلب واضطرابه
وتلونه واضطرابه بين تجاذب الاسباب وغفلته من تقدير رب الارباب وكل ذلك يوقعه في الهم والحزن
غم يصيب الانسان والحزن والغموم ولذلك قيل ما العيش الا في الرضا والصبر في حكم القضاء نامات س
عدم الرضا الا على مر القضاء قوله ان العمل الدائم القليل على اليقين بذلك العمل او مطلقا افضل من العمل الكثير
على غير يقين لابد من اعتبار الدوام في العمل الكثير ليكون نصا على ان الافضلية باعتبار اليقين ولعل السر فيه
ان اليقين يوجب التقوى وكمال الاخلاص والفضل يزداد بهما ولذلك قال امير المؤمنين صلوات الله عليه
لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل ما يتقبل وفيه ايماء الى قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ولاشارة الى ان
ان القبول من الاعمال لا يعد قليلا وكيف يعد قليلا ما يضاعف وينمو عند الله تعالى والى ان العمل على غير
يقين قد لا يكون مقبولا وقد سمع عم رجلا من الحرورية يتهجد ويقرأ فقال نوم على يقين خير من صلوة
في شك وذلك لان صلوة الشاك فيما يجب الاعتقاد فيه لا تنفعه عقلا ونقلا ونوم الموقن ينفعه قوله
لا يجد احد طعم الايمان فيه مكنية وتخييلية حيث شبه الايمان بالطعام في انه غذاء للروح به نموه و
يبلغ حد الكمال كما ان الطعام غذاء للبدن حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه اشار
الى ان الايمان بداية ونهاية وغاية فبدايته حق ونهايته حقيقة كما اشار اليه اجمالا بقوله سابقا على كل
حق حقيقة وان المؤمن ينبغي ان يتدرج في طرق الايمان باكتساب مكارم الاخلاق حتى يبلغ اعلاه ويترقى
بالمجاهدة والوفاء من حضيض النقصان الى ان يبلغ ذروته فلا يزعجه الهوى ولا تحركه الشهوة والمنى ويقبل بكلية
قلبه الى المولى ويتحقق ما قلنا قوله حتى يعلم الذكر الحقيقة لمنظ الغاية وهو حقيقة الموضوعة لها فجعلها حقيقة
الايمان المترقي اليها استعمال وظايفه وليس المراد بهذا العلم العلم السابق بقدر الله ونفوذ حكمه في ما قدره
وقضاه من عطاء ومنع وضر ونفع لان هذا اول الايمان وحقه الذي اشترك فيه المؤمنون كلهم بل المراد
والله اعلم علما يقينا بالمعلوم بالغا مرتبة عين اليقين حتى كانه يعاينه كما اخبر حارثة بحضرة النبي صلعم بانه مؤمن
حقا وادعى حقيقة الايمان فطالبه بامارات تلك الحقيقة التي ادعى بلوغها فقال عزفت نفسي عن الدنيا
الى اخر ما ذكرناه وما كان هذا الحديث الاثار وى ان افضل ايمان المرء ان يعلم ان الله معه حيث كان فلو كان
المراد الاعتقاد بان الله معهم ايما كانوا علما او احاطة لم يكن للتفضيل معنى وفايدة الاشتراك الكل فيه فلابد ان

ادبرا

ادبرا وبلوغ صاحب هذا الايمان غاية يفضل بها على غيره فكذا المراد هنا ان احدا لم يجد طعم الايمان وحقيقته حتى
ينتهي الى غاية يعلم بها يقينا كالعيان له ان ما اصابه من خير وشر ونفع وضر لم يكن ليخطيه اي يجاوزه الى غيره وما
اخطاه اي جاوزه الى غيره لم يكن قط ليصيبه ولا يعرف بلوغ العبد الى حقيقة هذا الايمان والعلم الا بظهور
امارات له ولغيره كما ان حارثة لما ادعى من حقيقة ايمانه فسلم له ويقف هو عند علمه ومن امارات
من بلغ حقيقة هذا اليقين والايمان انه يسكن عن طلب الدنيا وثمراتها وعن التشرف الى منافعها وزهراتها
وتعذيب القلب والخاطر بانتظارها وتمنيها لعلمه بان ما قسم له منها لا يجاوزه وما جاوزه الى غيره لا يصيبه فيطمئن
قلبه ويرضى بسابق قسمته له فلا يحرص في طلب المنافع ولا يتوجه قلبه اليها كانه يخاف فيها منع مانع ولا
يتحرك في اسبابها الا ان يتوجه اليه امر المولى كقوله فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه والظاهر متحرك و
الباطن ساكن مطمئن موقن بانه لابد من كون جميع ما قدر الله كونه وامضاه ومن لم يبلغ هذه المرتبة فعليه
الصبر على ما يكره فان فيه خيرا كثيرا لعله يوصله الى غاية مقام اليقين والرضا قال بعض الاكابر لله عباد لا يرون منون ٥١
لهم بالصبر على ما قدر وقضى بل يتلقون امر احكامه باليقين والمحبة والرضا قوله فانه معور بضم الميم وكون
العين وكسر الواو اي ذو عوار بفتح العين وضمها يعني فيه عيب وخلل يخاف منه القطع والهدم حرس امراء
اجله امراء مرفوع على الفاعلية واجله منصوب على المفعولية والعكس محتمل والمقصد الانكار لان اجل
المرء ليس بيده حتى يحرسه وهذا اليقين بالقدر فانه يسكن النفس في مثل هذه المواضع لعلمه يقينا بان كل ما
قدر وقوعه فهو واقع فلا ينفع الفرار منه وكل ما قدر عدم وقوعه فهو غير واقع فلا يضر عدم الفرار لا يقال
لعل تقدير عدم وقوع الحايط عليه مثلا مشروط بالفرار فيجب الفرار طلبا للمقدر وتحرزا عن الهلاك لانا
نقول الفرار وعدمه ايضا داخلان في التقدير ومن جملة المقدر فان كان المقدر هو الفرار وقع قطعا وان
كان عدمه لم يقع فان قلت لا معنى للتكليف بالفرار قلت التكليف به تكليف بالمقدر والتكليف بالمقدر ايضا
مقدر فهو واقع على انه يمكن ان يقال مناط التكليف به امكانه في ذاته اذ التكليف به مختص بغير الموقن لان
الموقن يتوكل على الله ويفوض امره اليه فيصونه عن كل مكروه كما قال عز وجل اليس الله بكاف عبده وكما قال
مؤمن آل فرعون وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا ولسر ذلك ان المو
الموقن المتوكل المفوض امره الى الله اذا بلغ ايمانه وايقانه وتوكله وتفويضه حد الكمال لا ينظر الى الاسباب
والوسايط في النفع والضر ولا يتعلق قلبه بها اصلا وانما كان نظره الى مسبب الاسباب وتعلق قلبه
وحده واما من لم يبلغ حد الكمال ولم يغلب عليه مشاهدة اليقين كآحاد المؤمنين فانه يخاطب بالفرار ايضا

يتيمين
لحق الوسايط هذا الذى ذكرنا من باب الاحتمال والله اعلم بحقيقة الحال قوله واما الجدار فكان لغلامين
قال القرطبى قيل اسمهما اَصْرَمْ واُصَيْرِمْ وقال عياض كان ابوهما الصالح جدهما السابع وكان اسمه كاشحا
ففيه ان الله تعم يحفظ الصالح فى نفسه وولده وان بعدوا كما يشعر بذلك قوله تعم ان وليى الله الذى
نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين وروى انه تعالى يحفظه فى سبعة من ذريته وانما كان اربع كلمات حث
بالاولى على التوحيد المطلق والتنزيه عن جميع ما يليق به تعم وبالثانية على ذكر الموت والاستعداد لما
بعده والتحزن لاحوال البرزخ وبالثالثة على تذكر احوال القيمة واهوالها سيما الحساب الذى لا يعلم مآل
احواله وهو يوجب زوال الفرح والسرور عن القلب وبالرابعة على اليقين بالقدر والخوف عن الله وحده
واقتصر بذكر هذه الخصال لان الاتصاف بها يوجب البلوغ الى غاية الكمال لا اله الا انا من ايقن بالموت
لم يضحك سنه التى معروف ويحتمل ان يراد به العمرا ى لم يضحك فى مدة عمره لان الضحك ينشا من الفرح
والسرور والموقن بالموت وشدايده وما بعده من القبر وسوال منكر ونكير فيه واهوال البرزخ والقيمة والجنة
والنار قلبه محزون ومغموم دايما لعدم علمه بما له حاله وبما يفعل به فى تلك المواطن فتقطع عنه اسباب السرور
بالكلية ومن ايقن بالحساب عن القليل والكثير لم يفرح قلبه لشدة الحزن والخوف من رجحان سياته على
حسناته ويوجب ذلك اشتغاله بمحاسبة النفس قبل ان يحاسب ومن ايقن بالقدر قيل المراد به المقدر كما ان المراد
بالقضا الخلق على وفق التقدير وقيل المراد به تعلق علم الله سبحانه وارادته بالكاينات قبل وجودها لم يخش الا الله
ومن علاماته تخلية الظاهر والباطن عن الرذايل وتحليتهما بالفضايل وعدم الرجوع فى جلب النفع ودفع الضر الا
الى الله قال عياض قيل الكنز كان لوحا من ذهب مكتوبا فى جانب منه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالقدر
ثم نصب عجبت لمن ايقن بالنار ثم ضحك وفى رواية لا اله الا انا محمد عبدى ورسولى وفى الشق الاخر انا الله
الذى لا اله الا انا وحدى لا شريك لى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريته على يديه والويل
لمن خلقته للشر واجريته على يديه وقيل المكتوب عجبت لمن آمن بالقدر كيف يحزن ولمن آمن بالرزق كيف يتعب
ولمن ايقن بالموت كيف يفرح ولمن ايقن بالحساب كيف يغفل ولمن راى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل كان الكنز مالا مدفونا انتهى قوله لا يجد عبد طعم الايمان اى لذته
وحقيقته حتى يعلم يقينا لا يعتريه شك ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه لان ما
ما اصابه علم الله ازلا بانه يصيبه فيستحيل ان لا يصيبه وما اخطاه علم الله بانه لا يصيبه فيستحيل ان يصيبه
كل ذلك لا استحالة ان يصير علمه جهلا هذا فيما لا اختيار للعبد فيه مثل العجز والسقم والحسن والقبح والطول

والقصر

والقصر الى غير ذلك ظاهر واما فى فعله الاختيارى مثل الصلوة وتركها او الشرب وتركه والقتل وعدمه الى
غير ذلك فكذلك لعلمه تعم فى الازل بكل ما يقع فلا بد من ان يقع لما ذكر ولكن علمه ليس علة لوقوعه بل تابع له
وقد مر توضيحه فى كتاب التوحيد وان الضار النافع هو الله عز وجل النفع والضر منه تعم بلا واسطة
والضر يعود الى النفع العظيم كحمى يوم مثلا فانها توجب ثوابا جزيلا واما الضر والنفع المستندان الى الغير ظاهر
فهما مستندان الى الله عز شانه باطنا لا اثر لقدرته عليهما فاذن ليس الضار النافع الا هو فاذن لا بد لكل احد
لا يطلب الخير الا منه والالتجاء فى دفع الضر الا اليه قوله ملكان يحفظانه آه بدل من حافظ وامره والقضاء
الامر او الحكم بوقوع الشى على النحو المقدر الحاصل ان مع وجود الحافظ لا يضره شى ومع عدمه لا ينفع شى
فليس لحمل الات الحرب مثل الدرع وغيره فايدة وهذا امر يقتضيه اليقين بالله وبقدرته فان المستغرق فى بحر اليقين
لا يرى غيره ولا يخاف احدا سواه فضلا عن ان يحترز منه ويحترز من شره واما غيره فلما لم يكن له هذه المرتبة
كان عليه التمسك بالاسباب والجريان على ظاهر الشريعة قوله كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم آه كان فيه تاكيد
لما سبق والقضاء مشترك بين الحكم والامر ويحتمل على احدهما بالقرينة وهو هنا يحتمل كلا المعنيين ولا
ينافى هذا الخبر ما مر ولا ما ذكرنا من طرق العامة واقوالهم لجواز ان يكون كل ذلك مكتوبا فيه قوله ان اهل
الارض لا يستطيعون لى شيا الا باذن الله فيه وفيما بعده اشارة الى الايمان بالقدرة والايقان به كما روى عنه
عم ولكل امر عاقبة سوف ياتيك ما قدر لك ومن كلامه عم الما خوف من الخيلة وان على من الله
جنة حصينة فاذا جاء يومى انفرجت عنى واسلمتنى اراد بيومى حضور الموت وبالانفراج زوال الاسباب
الحيوة المستلزم لعدمها وباسلام الجنة اسلامها الى المنية تشبيها للجنة بمن يحفظه ثم يسلمه الى القاتل ومن
كلامه المنظوم ❊ من اى يومى من الموت افر ❊ ايوم لم يقدر لم يوم قدر ❊ فيوم لم يقدر فلا ارهبه ❊ ويوم قد قدر
لا يغنى الحذر ❊ وهو فى ذلك ملاحظ لقوله تعم وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا موجلا فاذا
جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقد اشرنا سابقا الى ان الموقن بالله وقدرته لما كان متوسلا
بالله تاما بالعاجل الغاية كان الله يكفيه ويحصل له اسباب النفع ويدفع عنه اسباب الضر ومن توكل على
الله فهو حسبه واما غيره فلما لم يكن له مثل هذا التوسل والتوكل فربما كان تمسكه باسباب النفع سببا و
شرطا للحصول له وفراره من اسباب الضر باعثا لدفعه عنه قوله قال راس طاعة الله الصبر والرضاء عن الله
فيما احب او كره الراس العضو المعروف والاصل ومنه راس المال والاشرف قدرا ومنه رئيس القوم وكل
واحد هنا محتمل والاول من باب المكنية والتخييلية والصبر نوع من العفة الحاصلة من الاعتدال فى القوة

٥٢

الشهوية وهو قوة الانسان يقتدر بها على حبس نفسه على الامور الشاقة مثل البليات والمصيبات وفعل
الطاعات وترك المنهيات والرضا عن الله بقضائه فيما احبه العبد مثل الصحة في الجسم والسعة في الرزق
ونحوها او فيما كرهه مثل السقم والضيق وغيرها عبارة عن الاقبال الى الواردات من الحق وتلقيها بالقبول و
السرور بها لكونها تحفة وهدية منه تع لها منافع كثيرة والقضاء الامر والحكم والخلق على وفق التقدير الازلي
ومن ثمة قيل القضاء والقدر متلازمان لا ينفك احدهما عن الاخر اذ القدر بمنزلة الاساس والقضاء بمنزلة
البناء ووجه كون الصبر والرضا راس الطاعة ظاهر اذ بانتفاء الصبر في المصيبات والعبادات والمنهيات
يتحقق الجزع والشكوى عن الله وترك الطاعات وفعل المنهيات وكل ذلك يوجب انتفاء الطاعة وبانتفاء
الرضا يتحقق السخط وهو ايضا يوجب انتفاء الطاعة لان بناء الطاعة على المحبة وبناء السخط على البغض
وهما لا يجتمعان واعلم ان رضاء العبد وسروره فيما احبه سهل لانه موافق لطبعه واما رضاه فيما كرهه
فصعب لانه مخالف لطبعه وميله الى شيء والى ضده مشكل ومن ثمة ذهب جماعة من الناس ان الرضا بما
يستكرهه الطبع ويخالف هوى النفس كالبلايا والمصايب غير ممكن وغاية ما يمكن هي الصبر عليه والجواب
عنه ان الرضا ثمرة المحبة الكاملة ومحبة العبد للرب اذا بلغت حد الكمال يمكن ان يرجح ارادته على ارادة نفسه
بل يمكن ان لا يرى لنفسه مرادا غير مراده تع لاستغراقه في بحر المحبة او لان فعل المحبوب مثله محبوب
او لانه لا يجد في نفسه الالم لاشتغال قلبه به وغفلته عن نفسه فضلا عن الامور الموافقة لها كما
ان المجاهد لتوغله في الجهاد قد لا يجد الم الجراحة وبالجملة هو امر ممكن الا انه صعب نادر ثم الرضا بالشيء
لا ينافي الدعاء لرفعه خلافا لطائفة من المتصوفة المبتدعة حيث قالوا ان شرط الرضا ترك الدعاء لرفع البلاء
وطلب النعماء لان طلب رفع امر وارد منه تع وحصول غيره ينافي الرضا بما حكم به وهم في طرف الافراط والطائفة
الاولى في طرف التفريط والجواب عنه اولا بالنقض وهو ان دعاء الانبياء والاوصياء وحثهم عليه امر مشهور
وفي الكتب السماوية وغيرها مذكور لا ينكره احد من اهل الاسلام وثانيا بالمنع لانا لا نسلم ان الطلب المذكور
ينافي الرضا وانما المنافي له استكراه النفس بالواردات من عند الله تع والطلب لا يستلزم الاكراه وثالثا بالحل
وهو ان الدعاء عبادة امر الله تع بها غير مرة لتضمنها انكسار القلب وعجزه وتضرعه وتواضعه وخشوعه و
وما امر الله تع لا ينافي الرضا وهاهنا بحث مشهور وهو ان المعصية والكفر بقضيته والرضا بهما معصية و
كفر بعد من الفضائل وكيف يطلبه الشارع واجيب عنه بانه مستثنى لورود النهي عنه كما نقله الغزالي واجاب
هو بان المعصية من قضاء الله تع ولكن لها وجهان احدهما كونها من فعل العبد باختياره وسببا لمقته وثانيهما

كونها

٥٣ كونها بقضاء الله وتقديره عدم خلو العالم عنهما ولا بد من الرضا بهما على هذا الوجه دون الوجه الاول الذي هو
صدورهما من العبد واجيب عنه ايضا بان الرضا بالقضاء لا يستلزم الرضا بالمقضي ان كان فعله تع
او فعل العبد وهو خير فالرضا به مطلوب من دليل خارج وقد مر لهذا زيادة توضيح في كتاب العقل في حديث جنوده
ولا يرضى عبد عن الله فيما احب او كره الا كان خيرا له فيما احب او كره اسم كان راجع الى ما قضاه الله بقرينة المقام
اي كان ما قضاه الله خيرا للعبد فيما احبه وما كرهه لاشتماله على مصالح جلية جليلة او خفية كما قال سبحانه
عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم او الى رضاء العبد وهو خير له لانه يوجب اجرا عظيما وذلك كما ان الدواء مر في
مذاق المريض مكروه له الا انه خير له في الواقع فكما ان الحكيم يداوي المريض بما هو خير له وان كان مكروها له
كذلك الحكيم المطلق يفعل بعباده ما هو خير لهم قوله ان اعلم الناس بالله ارضاهم بقضاء الله عز وجل لان الرضا
بالقضاء تابع للعلم والمعرفة وانه قابل للشدة والضعف مثلهما والوجه فيه ان بناء الرضا على العلم بانه عدل
حكيم يفعل الاشياء على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة فكلما كان العلم بالله ازيد واتم كان الرضا بقضائه اكثر و
اعظم وايضا الرضا به ثمرة المحبة ومحبته تابعة للعلم به فكلما زاد العلم زادت المحبة وكلما زادت المحبة زاد الرضا
به لانه يرى ان المحبة اذا بلغت حد الكمال وجد المحب كلما صدر من الحبيب لذيذا موافقا لطبعه وان كان كريها
بالنسبة الى الغير سيما اذا علم ان الحبيب يجعل ذلك وسيلة الى البر والاحسان قوله ومن صبر ورضي عن الله فيما
قضى عليه اه دل بحسب المفهوم على ان من لم يصبر ولم يرض قد يقضي الله عليه ما هو شر له فلا بد من القول
بان المفهوم غير معتبر او القول بان ما قضاه شر له لفقده اجر الصبر والرضا او في نظره بخلاف الصابر و
الراضي فانه خير في نظرهما وفي الواقع قوله قال الله عز وجل ان من عبادي المؤمنين عبادا لا يصلح لهم امر دينهم الا
بالغنى والسعة والصحة في البدن فابلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن فيصلح عليهم امر دينهم الدنيا كلها وكل ما
فيها من خير وشر ونفع وضر وصحة وسقم وفقر وغنى الى غير ذلك محض الاختبار والامتحان فيختبر الغني بالغنى
ليرى انه يشكره ام يكفره ولعلمه بانه اصلح لدينه ويختبر الفقير بالفقر ليختبره بانه يصبر ام يشكو ولعلمه بانه اصلح
لدينه ووجوه الابتلاء والاختبار متكثرة وطرق الامتحان متعددة والله تع عالم بما يصلح كل احد بما هو اصلح
له فلو اختبر الغني بالفقر او العكس لفسد دينهما وعلى هذا او هو ما فات لنفسه زايد عليها اي يمقتها لها
ويعاتب عليها لتقصيرها في العبادة وتركها بالنوم وهذا مع كونه دافعا للعجب من اعظم العبادات ولو اخلى بينه
وبين ما يريد من عبادتي لدخله العجب وهو ابتهاج الانسان وسروره بتصور الكمال في نفسه واستعظامه
اياه لا من حيث انه من عطاياه تع ونعمائه عليه مع طلب زيادته والخوف من نقصه او زواله بل من حيث انه وصف

لا موجب لعلو قدره ورفع درجته وسمو مرتبته وخروجه عن حد النقص والتقصير مع الغفلة عن قياس نفسه
الى الغير بكونه اكمل وافضل منه وبهذا القيد ينفصل عن الكبر اذ لا بد فيه ان يرى لنفسه مرتبة وللغير مرتبة ثم يرى
مرتبته فوق مرتبته قوله لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب وفيه دلالة على انه تعالى
قد يبتلي العبد بالذنب ليدفع عنه العجب فلا يتكل العاملون على اعمالهم التي يعملونها للثواب وان كانت حسنة
تامة الاركان والافعال لانهم وان بالغوا واجتهدوا كانوا مقصرين غير بالغين كنه العبادة وحقيقتها
ولانه لا قدر لعبادتهم في جنب ثوابها وهو الجنة ونعيمها ودرجاتها وقرب الحق ولان مفسدات العبادة
كثيرة لا يتحقق العلم بخلوصها منها الا عند المعاينة وحضور الموت وفيه دلالة على انه يجوز العمل لقصد الثواب
ولا الى حسن الظن به فليطمئنوا كان يظن منه الغفران حين يستغفر وقبول العمل حين يعمل والتوبة اذا تاب والاجابة
اذا دعا والكفاية اذا استكفاه ونحو ذلك وبالجملة ينبغي ان يعمل ولا يتكل بحسن عمله وكثرته بل يحسن ظنه بالله في
قبول عمله ورفع درجته واحسانه واما من يحسن ظنه بالله بدون العمل فهو احمق ونظيره نظير من لم يزرع في
وقته ويتوقع الحصاد كما يتوقعه الزارعون قوله ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يستبطئه في رزقه المجرور في رزقه
بعوده الى الله او الى من اي من عرفه ينبغي ان لا ينسب اليه البطوء والبخل في ايصال الرزق كاليهود قالوا يد الله
مغلولة ولا يتهمه في قضائه بالظلم والجور او بنفيه او لا يشك فيه بل يستيقن بما اتهمه في قوله يعني شككت
في صلاته قوله عن عمرو بن نهيك بياع الهروي قال في المغرب ثوب هروي بالتحريك ومروي بالسكون منسوب
الى الهرات ومرو وهما قريتان معروفتان بخراسان وعن خواهر زاده هما على شط الفرات ولم يسمع ذلك لغيره
وفي الاشكال سوى هراة خراسان هراة اخرى هي بنواحي اصطخر من بلاد فارس كتبته يا محمد في الصديقين
عندي الصدق راست كفتن وراست شدن وراست داشتن والمراد هنا تقويم العبد ظاهره وباطنه وتقويم
الباطن يتحقق بتخليته عن الرذائل وتحليته بالفضائل وتقويم الظاهر يتحقق بفعل الطاعات وترك المنهيات
واليه يشير قوله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون
ولا ريب في ان الصدق بهذا المعنى قابل للزيادة والنقصان ومن بلغ حده فهو صديق ومفهومه في الصدق
على افراده ايضا متفاوت والصديق الاكمل هو الذي قطع منازل الناسوتية ورفع عوايق البشرية حتى شاهد
جمال الاسرار وجلال الحق واستغرق في توحيده بحيث لا يطلب الا اياه ويغفل عن مشاهدة ما سواه
اذا عمل برضائي واطاع امري لعل المراد ان كتب من اتصف بالخصال المذكورة وهي الصبر على البلاء والشكر على
النعماء والرضا بالقضاء في زمرة الصديقين مشروطا بالعمل بما فيه رضا الله تعالى واطاعة امره بالشرائع والاحكام

ولا يتحقق ذلك الا بالجد فيها من اهل العلم قوله عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عز وجل له قضاء الا كان خيرا له لانه اي
عظمت له ذلك واعتقادا عظيما لكونه مفضلا مشتملا على نفع عظيم وخير جزيل والاصل ان الانسان لا يتعجب
من الشيء الا اذا عظم موقعه عنده وخفي عليه سببه فاخبر عم بذلك ليعلم موقع القضاء ويرضى بعلو
منزلته وانما حملنا تعجبه عم على المجاز لانه لا يخفى عليه اسباب القضاء والتعجب بما خفي سببه ولم يعلم قوله
والمقاريض جمع المقراض بالكسر وهو آلة القرض تقول قرضت الشيء قرضا من باب ضرب اي قطعته
احق خلق الله ان يسلم لما قضى الله عز وجل من عرف الله عز وجل اي من عرف الله حق معرفته وعرف حكمته
وعدله ولطفه واحسانه فهو احق ان يسلم ما قضاه الله عليه من غير جزع لان التسليم له تابع للمعرفة فكلما
كانت المعرفة اكمل واكثر كان التسليم اولى واجدر ومن رضي بالقضاء اتى عليه القضاء وعظم الله اجره آه
تعظيم الاجر لجريان القضاء عليه ولرضاه به فله اجران كاملان واما الاحباط فيحتمل ان يكون المراد به احباط
اجر الرضا والاحباط اجر جريان القضاء ايضا ويؤيد الاول ما روي عن ابي عبد الله عم قال ثواب المؤمن
من ولده اذا مات الجنة صبر او لم يصبر قوله الزهد عشرة اجزاء اعلى درجة الزهد ادنى درجة الورع واعلى درجة الورع
ادنى درجة اليقين واعلى درجة اليقين ادنى درجة الرضا دل على ان الرضا فوق اليقين واليقين فوق الورع
والورع فوق الزهد ووجه الترتيب ان الدنيا راس كل خطيئة فلا بد للسالك من الزهد فيها اولا ثم بعد
الزهد يسهل له ترك المعصية لان المعصية كلها عائدة الى الدنيا فيحصل له مرتبة الورع فاذا حصلت له هذه
المرتبة قرب من الحق فيحصل له مرتبة عين اليقين او حق اليقين واليقين يوجب المحبة فيحصل له الرضا لان الرضا
لازم المحبة وتابع له ودل على ان الكل واحد منها عشرة اجزاء كل جزء يصدق عليه اسم الكل فكل جزء من الزهد مثلا
زهد فله افراد متفاوتة والظاهر ان كل جزء فوقاني مشتمل على جزء تحتاني مع زيادة فعلى هذا الجزء العاشر من الزهد
مثلا عبارة عن الزهد على وجه الكمال وانما قلنا الظاهر ذلك لاحتمال ان يكون العاشر جزء من الزهد الكامل كالنوع
وان شئت توضيح المقال فنقول على سبيل الاجمال ان كل خصلة من خصال الخيرات ليست لها مرتبة مشخصة لا تقبل
الزيادة والنقصان بل لها عرض عريض يمكن ان يفرض فيها درجات بعضها فوق بعض والعلم بتلك الدرجات
تفصيلا ويقينا ليس في وسعنا وانما هو عند اهله فقرضها وبين مراتبها على سبيل الاجمال وتفاوت مراتب بعض
الخصال على سبيل التفصيل واشار بذلك الى ان الرضا فوق الجميع ومن ثم كان مقام الرضا فوق جميع مقامات
السالكين لان الرضا ثمرة المحبة الكاملة اذ المحبة في الجملة تكون في كل مؤمن مع انتفاء فضيلة الرضا عن اكثرهم
والمحبة الكاملة ثمرة اليقين بالله وبكمال ذاته وصفاته وصدق مقاله وحسن فعاله بحيث يرى كل سبب من اسباب

المحبة مختصاً به واليقين ثمرة الورع وهو الاحتراز عن كل ما يوجب الاثم والورع ثمرة الزهد وهو الاعراض
عن الدنيا وزهراتها المانعة من السير الى الحق وبالجملة السالك اذا اخذ ما يعنيه وترك ما لا يعنيه وصل الى
مقام المشاهدة واذا وصل الى هذا المقام يستولى على قلبه المحبة التامة واذا حصلت له المحبة حصلت له فضيلة
الرضا فيرضى بكل ما صدر منه كما هو شان المحب مع محبوبه قوله كيف يكون المؤمن مؤمناً كيف للانكار والمقصود
نفي الكمال لم يقصد تحقير الحاكم وهو يسخط قسمه الواو للحال والقسم بالكسر الحصة والنصيب المقدر له الصلاة
حال له وتحقير منزلته عند الله تعم لان الله تعالى جعل ذلك قيماً له لرفع منزلته فتحقير القسم السبب لها تحقير لها
والحاكم عليه الله عطف على منزلته والله بدل عن الحاكم اى وتحقير الحاكم عليه وهو الله لان تحقير حكم الحاكم
تحقير له ويحتمل ان يكون الواو للحال والحاكم مبتدأ والله خبره والمقصود ان تحقير القسم والمنزلة مستلزم
لتحقير الله لانه الحاكم عليه وانه لا يجور في تقسيمه فكيف يحقر ما قدره له من القسم وانا الضامن لمن لم يهجس في
قلبه الا الرضا هجس القلب اى وقع وخطر ان يدعو الله فيستجاب له الرضا بالقسم شكر للنعمة والمنعم وهو
يوجب الزيادة فكيف اذا طلبها من الله فانه لا يرده قوله باى شئ يعلم المؤمن انه مؤمن لعل المراد بالمؤمن المؤمن
الكامل وله علامات اقواها التسليم لله فى حكمه وتلقيه بالقبول ظاهراً او باطناً والرضا بكل ما ورد عليه
مما يوجب السرور او السخط ويوافق الطبع او يخالفه قال المحقق الطوسى فى اوصاف الاشراف نقل ان واحداً
من اهل الرضا مضى له سبعون سنة ولم يقل ليت كان ذلك وليت لم يكن هذا وسئل ان اى اثر بلغك من
الرضا قال يلحق شائبة من الرضا وربح منه ومع ذلك لو جعلني الله صراط جهنم ومر على الخلايق كلهم و
دخلوا الجنة ثم ادخلني وحدى فى النار لم يخطر ببالي لم كان حظى هذا وحظ غيري ذلك قوله لم يكن رسول
الله صلعم يقول لشئ قد مضى لو كان غيره روى مسلم عن النبي صلعم قال وان اصابك شئ فلا تقل لو انى فعلت كذا
لم يصبنى كذا فان لو تفتح عمل الشيطان اقول ينبغى للمؤمن ان يطلب من طريق احله الله ما ينتفع به فى امر دنياه
وآخرته الذى يصون به دينه وعياله ومروته وعرضه ولا يعجز فى تحصيل ذلك ويتكل على القدر فينسب الى
التفريط شرعاً او عادة ومع الطلب فلا بد من الاستعانة بالله والالتجاء اليه وسلوك هاتين الطريقين يحصل
خير الدارين ثم ان اصابه شئ بعد ذلك ينبغى التسليم والرضا بقضاء الله وترك ان يقول لو انى فعلت كذا
لم يصبنى كذا فانه يجر الى وسوسة الشيطان وان التدبير يسبق القدر وقال الابى فى كتاب كمال الاكمال وفى
التاليف بلو وليت وهو كل اذا اريد بليت الندم والتاسف على عدم فعل ما لو فعله لم يصبه اى تمنى لو فعل
ذلك وقال عياض النهى من هذا القول مختص بالماضى لان النهى انما هو عن دعوى رد القدر بعد وقوعه و

اما

الامر فى ٣٤

باب التفويض الى الله والتوكل عليه ٣٠

اما المستقبل فيجوز فيه ذلك ومنه قوله صلعم لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك عند كل صلوة لانه مستقبل
لا اعتراض فيه على قدر مضى وانما اخبر فيه انه كان يفعل ما هو فى قدرته لولا المانع واما ما مضى وذهب فليس
فى القدرة والامكان فعله وقال الابى والذى عندى ان النهى على عمومه ولكنه نهى تنزيه وقال المازرى النهى
عن هذا القول فى الماضى فى ما جاء عنه صلعم لو استقبلت من امرى ما استدبرت ما سقت الهدى واجاب بان
الظاهر ان النهى انما هو عن الطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه فهو نهى تنزيه واما من يقول تاسفاً على فعل طاعة
فلا باس به وعليه يحمل اكثر ما جاء من استعمال ذلك فى الاحاديث قوله ما اعتصم بى عبد من عبادى دون احد
من خلقى الاعتصام بدون غيره عبارة عن الانقطاع عن الغير بالكلية والرجوع اليه والركون الى فضله و
هو معنى التوكل والتفويض والوكيل كما يدفع الضرر عن موكله يجلب النفع اليه ايضاً واقتصر على الاول لان دفع
الضرر اهم من جلب النفع على ان جلب النفع لدفع الضرر ايضاً اسيخت الارض من تحته السيخ بالفتح الصلب الشديد
فارسى معرب يستعمله العرب والعجم على معنى واحد وهو كناية عن تضيق الامر عليه لان صلابة الارض
يستلزم الضيق والضنك فى العيش لعدم خروج الزرع والنبات منها ولم ابال باى وادتها لك اشارة الى سلب
اللطف والتوفيق عنه وعدم المبالات بسيره فى وادى الضلالة او وقوعه فى وادى جهنم وهلاكه فيهما
قوله يتطرف تجاه وجهى تجاه الشئ بضم التاء وفتحها ما يواجهه واصله وجاه قلبت الواو تاء جوازاً ويجوز استعمال
الاصل فيقال وجاه لكنه قليل وقعد وتجاهه اى مستقبلين له قال فعل الاخرة فوعد صادق يحكم فيه
ملك قاهر او قال قادر التردد من الراوى حيث لم يحفظ انه سمع هذا اللفظ وذاك لا يقال قوله فوعد
صادق لا يدفع الحزن على الاخرة ولا ينفيه بل يؤكده لانا نقول لعل المراد ان الطالب للاخرة لا ينبغى ان
يحزن عليها الا ان الله صلعم وعدهم الاجر الجميل ووعده صادق وهو فى امضائه قادر قاهر لا يمنعه احداً
والمراد انه وعده بالمغفرة او وعده اهل العصمة بالدرجات العالية صادق مما نخوف من فتنة ابن الزبير
وما فيه الناس حيث خرج وادعى الخلافة وبايعه اهل مكة وغيرهم فى دولة بنى امية وسلطانهم وخوف
من ثوران نار الفتنة والحرب بينه وبينهم وقتل السادة العلوية وغيرهم قال فضحك لعل وجه الضحك تنشيط
نفس المخاطب وتصريحهم بالمها وان ذلك سهل ودفع سبب الحزن فى غاية السهولة وذلك بان يدعو الله و
يتضرع اليه فى دفع الفتنة ودفع الغوائل وبالحصول الرفاهية والامن ويتوكل عليه فى دفع المكاره وجلب
المنافع حتى فى هذه الدعاء والمسئلة قال فهل رايت احداً سال الله فلم يعطه هذا تاكيد لما سبق للحث على
الدعاء والسؤال فلذلك لم يقل شيئاً بعد ذلك وغاب قوله قال ان الغنى والعز يجولان اى يقطعان النواحى و

٥٥

ويران في الاطراف كالطير طلبا للسكن فاذا المعز موضع التوكل او طنا فالمتوكل في منى وحرز ايما اما الاول فلانه الله
يكفيه وياتي بمهماته فهو اغنى الاغنياء واما الثاني فلا منزله عن القيام المطلق وهو الالتجاء الى الخالق وتمسكه
بالعز الاوفر وهو الالتجاء الى الله تعالى ومعنى التوكل على الله هو الرجوع اليه والاعتماد عليه والثقة بكفايته ويمكن
ان يقال توكل العبد فيما ينبغي ان يفعله او يترك من امر الدنيا والاخرة هو الاعتماد على الله والثقة بكفايته والتمسك
بحوله وقوته وترقب التوفيق والاعانة منه دون الاعتماد على نفسه وحوله وقوته وقدرته وعلمه وما يظنه من
الاسباب الضرورية والعادية وغيرها كالالات ووظايفه وعلمه واسبابه في جلب المنافع ودفع المضار ومن ثم
اشتهر ان التمسك بالاسباب لا ينافي التوكل وفيما يجري عليه من خير سواء كان من قبل الله او من قبل غيره هو تفويض
نفسه وامره الى الله تعالى توقعا من ان يرد عليه ما هو خير له ومن المعلوم انه لا يرد عليه بعد ذلك الا ما هو خير له
في الدنيا والاخرة فعليه حينئذ القيام بمقام الرضا بالقضاء وهذا اقصى مراتب الكمال وقال المحقق الطوسي المراد
بالتوكل ان توكل العبد جميع ما يصدر عنه ويرد عليه الى الله تعالى لعلمه بانه اقوى واقدر ويضع ما قدر عليه
على وجه احسن واكمل ثم يرضى بما فعل وهو مع ذلك يسعى ويجتهد فيما وكله اليه ويعد نفسه وعمله وقدرته
وارادته من الاسباب والشروط المخصصة لمتعلق قدرته تعالى وارادته لما صنعه بالنسبة اليه ومن ذلك يظهر
سر لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين وان اردت زيادة التوضيح فارجع الى كلامنا في اوصاف الاشراف قوله
ايما عبد اقبل قبل ما يحب الله عز وجل اقبل الله قبل ما يحب يقال اقبل قبلك اي قصد قصدك وتوجه اليك و
جعلك قبالة وجهه وتلقاءه والمراد باقبال العبد نحو ما يحبه الله قصده والاتيان به طلبا لرضاه وباقبال الله
نحو ما يحبه العبد اعانته ما يسره قلبه ويقربه عينه ومن اعتصم بالله عصمه الله من الضياع والحاجة كما
اعتصم به موسى من آل فرعون بقوله وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فلجاء من شر فرعون وجنوده اليه
سبحانه واعتصم به فوقاه الله سيئات ما مكروا واعتصم به يونس في الظلمات بقوله لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين فلجاء من غضبه اليه واعتصم به فاقبل الله تعالى اليه بالقبول وعصمه ورفع عنه الكرب والغم
وكذلك لجاء اليه كثير من الانبياء والمرسلين والصلحاء والمتقين والفاسقين فاقبل الله اليهم بقضاء حوايجهم
وازاحة مكارههم ومن اقبل الله قبله ومن عصمه لم يبال لو سقطت السماء آه ان جعل لم يبال وحده جوابا للشرط
السابق كان جواب الشرط اللاحق قوله كان في حزب الله وان جعل جوابا للشرط اللاحق وجعل المجموع جوابا
للشرط السابق كان قوله كان في حزب الله استينافا بالمعوى من كل بلية اي بقيته من كل بلية في الدنيا و
الاخرة ان المتقين في مقام امين اي مامون من الافات والبلية فيهما قوله فقال التوكل على الله درجات منها

ان

ان توكل على الله في امورك كلها قد عرفت ان شرط التوكل فيها ليس رفع اليد عن اسبابها بل شرطه عدم الاعتماد عليها
والوثوق بها فلو طلب طالب الرزق مثلا رزقه من اسباب المشروعة كالتاجر من التجارة والزارع من الزراعة و
ليس اعتماده على عملهما بل على الله سبحانه وعلى ان الرزق عليه ان شاء رزقه بهما وان شاء رزقه من غيرهما حتى
لو فسد العمل لم يحزن لم يكن ذلك منافيا للتوكل وبالجملة قلب المتوكل وكذا لو حمل الخايف من العدو سلاحا
وقفل خارج من البيت بابا او شرب المريض دواء ولم يكن اعتمادهم على السلاح والقفل والدواء بل اعتمادهم عليه
عز وجل لم يكن هذا منافيا للتوكل وبالجملة قلب المتوكل متوجه الى الله ولا يتوجه الى الوسايط والاسباب باعتبار
ان العالم عالم الاسباب وان الله تعالى ابى ان يجري الامور الا باسبابها فهو ان ظن سببا او تعرض له ولم
يعتمد عليه بل على خالقه فان يترتب عليه الاثر شكر وان لم يترتب لم يسخط ورضي لعلمه بانه تعالى عالم بمصالح
الامور وان ما فعله كان محض الخير فهو متوكل مفوض امره الى الله تعالى لانه لا يالوك خيرا الالو التقصير واذا
عدي الى مفعولين تضمن معنى المنع اي لا يمنعك خيرا وفضله مقصرا في حقك قوله ومن اعطي التوكل اعطي
الكفاية نقل ان خليل الرحمن حين وضع في المنجنيق قال حسبي الله ونعم الوكيل فلما رمي لاقاه جبرئيل في الهوا آه
فقال الك حاجة قال اما اليك فلا قال ذلك ابقاء لتوكله الذي اظهره ولا فكفاه الله من النار ومن يتوكل
على الله فهو حسبه آه النشر على غير الترتيب اللف فالاول للاخر وهكذا الى الاول والشكر الاعتراف بالاحسان
والتحدث به والانقياد للمشكور وهو بالفعل اظهر منه بالقول قوله وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على
عرشي العزة والشدة والقوة والغلبة والسلطنة والملك والجلال والعظمة والمجد والشرف والكرم والوح
والارتفاع كناية عن الاستيلاء على جميع الممكنات والاستعلاء على جميع المخلوقات والاحاطة علما وقدرة
بها لكون العرش محيطا بجميعها لاقطعن امل كل مؤمن من الناس غيري باليأس ولاكسونه ثوب المذلة عند
الناس ولاخيبنه من قربي ولابعدنه من فضلي باليأس متعلق بقوله لاقطعن وفيه وعيد على من يامل
غيره تعالى في المقاصد بامور اربعة الاول اليأس من حصول مأموله غالبا والا باذنه تعالى بقرينة ما يجيء الثاني
احاطة المذلة به واضافة الثوب اليها من باب اضافة المشبه به الى المشبه والكسوة ترشيح التشبيه والثالث
تبعيده او ابعاده من قرب رحمته والرابع تبعيده من احسانه وافضاله وكل ذلك يوجب خسرانه في الدنيا والاخرة
ايؤمل غيري في الشدايد والشدايد بيدي ذكر اليد مجاز في بيان ان الشدايد تحت قدرته لا قدرة غيره وقد
جرت الحكمة على ان يختبر الله تعالى عبده في الدنيا بالشدايد ليرجع اليه ويتضرع بين يديه في دفعها فاذا رجع الى
غيره تعالى مع عدم كون الشدايد بيد ذلك الغير كان ذلك موجبا للتوبيخ والانكار ويقرع بالفكر باب غيري

تشبيه الفكر باليد مكنية واثبات القرع له تخييلية وذكر الباب ترشيح والمقصود منه صرف قلبه وفكره عند الحاجة
الى غيره تعم وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة اي ابواب الحاجات مغلقة ومفاتيحها بيده تعالى وهو استعارة
على سبيل التمثيل للتنبيه على ان قضاء الحاجة المرفوعة الى الخلق لا يتحقق الا باذنه ان شاء اذن به وان شاء لم يأذن
وبابي مفتوح لمن دعاني وهو ايضا استعارة لتشبيه الغايب بالحاضر وترغيب السائل بالرجوع اليه وتنبيه الغافل
على سهولة عرض المطلب عليه فمن ذا الذي املني لنوائبه فقطعته دونها اي قطعته عند النوائب وهجرته و
منعته من امله ورجائه ولم ادفع نوائبه بقوله وقطعت الصديق قطيعة اذا هجرته وقطعته عن حقه اذا
رجاني لعظيمة اي لمطالب عظيمة جعلت آمال عبادي عندي محفوظة لا اردها اليهم عند طلبهم كالوديعة
فلم يرضوا بحفظي حتى جعلوها عند غيري وطلبوها منه وملأت سمواتي ممن لا يمل من تسبيحي وهم الملائكة عليهم
السلام الذي لا يفترون من تسبيحه ولا يسأمون من تقديسه ولا يخافون في امره وامرتهم ان لا يغلقوا
الابواب بيني وبين عبادي كناية عن عدم منعهم لمن اراد الوصول اليهم والسؤال عنه وعرض المقاصد عليه
كما يمنع حجاب الملوك او من ايصال حوائج السائلين ومطالبهم اليهم فانه تعالى قد يامرهم بذلك كما دل عليه بعض
الروايات فلم يثقوا بقولي والدليل على عدم الوثوق رجوعهم الى الغير وجعلهم له موضعا للحاجات ومنشا
ذلك معارضة الوهم والخيال ولو رجعوا الى صرافة العقل وحكمه لوجد وا ان ذلك من اقبح الفعال الم يعلم
من طرقته نائبة من نوائبي اي انه مطلقا او لا وجه لتخصيص اتيانها بالليل انه لا يملك كشفها اي دفعها احد
غيري الا باذني دل ظاهرا على ان العبد يرجع الى غيره تعالى في كشف نوائبه فقد تكشف باذن الله تعم فهذا مخصص
لما دل على الياس وعدم القضاء على الاطلاق لا يقال العالم عالم الاسباب فكيف ذم من رجع الى الغير على
الترتيب لانا نقول الذم باعتبار ان قلبه تعلق به واعتمد عليه واما من لم يركن اليه ولم يثق به ولم يعتمد
فالظاهر انه ليس بمذموم والاولى مع ذلك ان يرجع الى الله فان شاء الله ان يكون قضاء حاجته بيد احد جعله
وسيلة له شاء او لم يشأ افتراني بداء بالعطاء قبل المسألة ثم اسأل فلا اجيب الاستفهام للانكار والتعجب فان
من تامل مثلا في وجوده وذاته وحالاته السابقة بعد انه تعالى شانه اكرمه ونعمه واحسن اليه بلا سابقة مسئلة
واستحقاق ما لا يقدر ما اللسان ولا يحيط به البيان وانه اخرجه من حد النقص الى حد الكمال بلا التماس احد
ولا معاونة مدد ولا شفاعة شفيع ثم لم يحصل له العلم بانه يعطيه في مستقبل الاحوال جميع ما يحتاج اليه ويصلح
جميع ما يرد عليه عند السؤال والتفويض والتوكل والرجوع اليه بالتضرع والابتهال ولم يثق انه تعم يقوم
بكفايته ورعايته واضطر الى ان يقرع باب غيره ويلجأ اليه ويظهر الفقر والعجز بين يديه كان ذلك محل التعجب

والانكار

والانكار وان هذا الشيء عجاب افلا يخشى المؤملون ان يؤملوا غيري الخشية امام العقوبة او من قطع الامال والاياس
عنها او من الابعاد عن مقام القرب او من ازالة النعماء عنه او من رفع الوجود والفيض والجود عنه وكيف يقطع
بي ملك انا قيمه اي قائم بسياسة اموره فيا بؤسا للقانطين من رحمتي البؤس والبأس والبأساء الشدة والفقر
والحزن وكانه كان غير متعين وقت نداء لعظمته فناداه واحضره ليروه ويتعجبوا منه ويحتمل ان يكون
منصوبا على المفعولية لفعل مقدر تقديره يا عبادي ابصروا بؤسا للقانطين ونحوه او على المصدر تقديره
يا عبادي بؤسا لهم وفيه وعيد عظيم لاهل القنوط من رحمته ولم يراقبني اي لم يخف عذابي او لم يحفظ حقوقي
قوله قال كان فيه الاعاجيب جمع الجمع كالاناعيم والعجب ما يوجب انفعال النفس لزيادة وصف في المتعجب منه
والعجب چيزى كه از و بغايت شگفت كيرند خفنا الله عز وجل خفه لو جئته ببر الثقلين لعذبك وارج الله
رجاء لو جئتنه بذنوب الثقلين لرحمك الخوف حالة نفسانية موجبة لتألمها بسبب توقع مكروه سببه ممكن
الوقوع او توقع فوات امر مرغوب فيه ولو كان وقوع سببه معلوما او مظنونا لظننا انها يسمى ذلك الطاع
المكروه ايضا كما يسمى خوفا والتألم فيه ازيد واما الخوف والتألم بسبب توقع مكروه علم قطعا عدم وقوع سببه من
اسبابه فذلك وسواس وما ليخوليا والرجاء بالمد حالة نفسانية موجبة لفرحها بسبب توقع حصول امر
مطلوب سببه متوقع او مظنون او معلوم ويسمى الاخير انتظار المطلوب ايضا والفرح فيه اشد ولما
الرجاء والفرح بسبب توقع مطلوب علم عدم وقوع سببه فذلك غرور وحماقة وسبب الخوف من الله عز
وجل معرفته ومعرفة جلاله وعظمته وكبريائه وغنائه عن الخلق وغضبه وقهره وكمال قدرته على الخلق
وعدم مبالاته بتعذيبهم واهلاكهم ومعرفة عيوب نفسه وتقصيره في الطاعات والاخلاق والاداب
مع التفكر في امر الاخرة وشدايدها وكلما ازدادت تلك المعارف زاد الخوف ويترتب على القلب والبدن و
الجوارح اذ بالخوف يميل القلب الى ترك الشهوات والندامة على الزلات والعزم على الخيرات ويخضع ويراقب
ويحاسب وينظر الى عاقبة الامور ويحترز عن الرذايل كالكبر والحسد والبغض ويذبل البدن ويصفر اللون
من الغم والسهر ويشتغل الجوارح بوظايفها ويحصل له بترك الشهوات العفة والزهد وبترك المحرمات
التقوى وبترك ما لا يعني الورع والصدق والاخلاص ودوام الذكر والفكر ويترقى منها الى مقام المحبة ثم
منه الى مقام الرضا وسبب الرجاء معرفته ومعرفة سعة رحمته وفضله ولطفه ورافته واحسانه على العباد
والوان نعمه عليهم ظاهرة وباطنة جلية وخفية ضرورية وغير ضرورية حين كونهم اجنة في بطون امهاتهم
بلا سبق استحقاق ولا تقدم ابتهال والتفكر في غناه عن عبادتهم وتعذيبهم مع عجزهم ومسكنتهم وفقرهم

باب الخوف والرجاء ٣٠

٥٧

٢

وحاجتهم اليه وذلهم بين يديه ومن استقرت فى قلبه هذه المعارف حصل الرجآء بنيل الثواب والمغفرة والرحمة
وثمرته الاتيان بما يوجب الوصول اليها كما ان ثمرة الخوف عن العقوبة ترك ما يوجب الورود عليها اليس من عبد
مومن الاوفى قلبه نوران نور خيفة ونور رجآء آه لان المومن لابد من تصور اسباب الخوف والرجآء وتجويز
وقوع مقتضى كل واحد منهما بدلا من الآخر وانهما اسبوه الى القرب كاهل الايقان او الى البعد كاهل الحرمان يجب
لا يرجح احدهما على الآخر اذ لو رجح الرجآء لزم الامن لا فى موضعه افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
ولو رجح الخوف لزم الياس الموجب للهلاك انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومنه ظهر القنوط وانزول الرجآء ان الموضع
ينبغى ان يكون امنا او بين مطلقا وقد ذهب اليه بعض العامة وقال عياض عبادة الله بين اصلين الرجآء والخوف و
يجب ان يغلب فى حال الصحة الخوف فاذا دنى الاجل او انقطع الاجل يجب ان يغلب الرجآء ليلقى الله على حالة
هى احب اليه اذ هو سبحانه الرحمن الرحيم ويحب الرجآء ولا يغلب الخوف خشية ان يقنط فيهلك وفيه ان الدليل
لو تم لدل على ترجيح الرجآء قبل الاجل ايضا ولم يقل به والتعليل لعدم غلبة الخوف عند الاجل دل على عدم غلبته
قبله وقد قال علماؤنا وقيل ينبغى ان يغلب الخوف ليكف عن المخالفات ويكثر من الطاعات فاذا دنت امارات الموت
ينبغى ان يغلب الرجآء لان ثمرة الخوف وهى الانكفاف والاكثار فى الطاعة تعذرت وهو قريب مما ذكر وقال
الابى فى كتاب كمال الاكمال مقامات الصالحين عند الاحتضار تختلف فعن بعضهم انه قال لابنه يا بنى حدثنى
عن الرخص لعلى القى الله وانا احسن الظن به وعن بعضهم انه رجى حين احتضر وقيل له تقدم على غفور رحيم فقال
اولا تقولون لى تقدم على شديد العقاب يعاقب على الكبيرة ويواخذ بالصغيرة وهذا اعجب مقامات الخوف
بعى شى وهو انه قال بعض الافاضل الخوف ليس من الفضائل والكمالات العقلية فى النشأة الآخرة وانما هو من الامور
النافعة للنفس فى الهرب عن المعاصى وفعل الطاعات ما دامت فى دار العمل ولما عند انقضاء الاجل والخروج من الدنيا
التى هى دار العمل فلا فائدة فيه واما الرجآء فانه باق ابدا الى يوم القيمة لا ينقطع لان كلما نال العبد من رحمة الله اكثر
كان ازدياد طمعه فيما عند الله اعظم واشد لان خزاين جوده وخيره ورحمته غير متناهية لا تبيد ولا تنقص فثبت
ان الخوف منقطع والرجآء ابدا لا ينقطع وفيه نظر لان الظاهر ان الخوف عن العقوبة او عن فوات الثواب او عن فوات
التفضل او عن فوات رفع المنزلة او عن ظهور السرائر على رؤس الاشهاد او عن زلة القدم على الصراط باق بعد الخروج من
الدنيا ثم بقاء الرجآء والطمع فيما عند الله كما حكم به يستلزم الخوف من عدم تحقق المطموع والله اعلم قوله يا عيسى خف
الله كانك تراه وان كنت لا تراه فانه يراك شبه الرؤية القلبية بالرؤية العينية قصدا للظهور والايضاح والاول
اشارة الى مقام المشاهدة وهى مرتبة عين اليقين او حق اليقين وهى اعلى مراتب السالكين وفى تلك المرتبة يصل

الطالب

الطالب بالمطلوب اتصالا معنويا بحيث لا يشاهد الا جمال الله وكماله والثانى اشارة الى مقام المراقبة وهى
من ثمرة الايمان ومرتبة عظيمة من مراتب السالكين روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال
اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقال جل شانه افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ان الله
كان عليكم رقيبا والمراقبة مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والمثمر لها هو العلم بان الله تعالى مطلع على
كل نفس بما كسبت وانه تعالى عالم بسرائر القلوب وخطراتها كما هو عالم بظواهر الاشيآء وجلياتها وهذا
العلم اذا استقر فى القلب ولم يبق فيه شبهة جذبه الى مراعاة الرقيب والمشغولون بها على صنفين منهم الصديقون
ومراقبتهم استغراق القلب بملاحظة العظمة والجلال وانكساره تحت الهيبة واستعمال الجوارح بوظايف الطاعات
بحيث لا يلتفت القلب الى الغير اصلا والجوارح الى المباحات فضلا عن المحظورات ومنهم الورعون وهم قوم لم تدهشهم
ملاحظة العظمة والجلال بل بقيت قلوبهم على الاعتدال متسعة للتلفت الى الاقوال والاعمال ومراقبتهم
النظر الى جميع حركاتهم وسكناتهم ولحظاتهم واختياراتهم وترصدها كل خاطر يسنح لهم فان كانت الهية
عملوا بمقتضاها وان كانت شيطانية رفضوها استحياء من الرقيب وان كانت مبهمة توقفوا حتى يظهر لهم سرها
وان كنت ترى انه لا يراك فقد كفرت رويته نعم نوع من العلم وهو العلم بالمبصرات ظاهرها وباطنها كما هو المنكر
له كافر بالله العظيم وان كنت تعلم انه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من اهون الناظرين عليك بحيث تترك
المعصية عند مشاهدة غيره خوفا من اللوم وحياء ولا تتركها عند مشاهدته مع علمك بانه شاهد حاضر وليس
ذلك الا لانه اهون عندك من ذلك الغير وهو لازم عليك وان لم تقصده وان تستغفر الله واقول يا رب فعلنا
كذلك لا للذلك بل للاجل انا آيسنا وترجو رحمتك ولا نامن غيرك قوله من خاف الله اخاف الله منه كل شى آه
ظاهره ان الله تعالى يلقى الخوف منه على الاشيآء مع احتمال ان يكون ذلك ان الخائف من الله نفسه قوية قدسية
مقربة للحضرة الالهية قادرة على التاثير فى الممكنات فلذلك تخاف منه كل شى حتى الوحوش والسباع والجان
كما نقل ذلك من كثير المقربين ومن لم يخف الله نفسه ضعيفة متصفة بالنقصان بعيدة عن التاثير فى عالم الامكان
فلذلك يخاف من كل شى ويتاثر منه ولما كانت القوة والضعف والتاثير والتاثر بسبب القرب من الله تعالى
وعدمه نسب الاخافة اليه قوله من عرف الله خاف الله دل على ان الخوف من الله لازم لمعرفته فكلما ازدادت زاد
ولذلك قال عز شانه انما يخشى الله من عباده العلمآء وذلك لان من عرف عظمته وغلبته على جميع الكائنات وقدرته
على جميع الممكنات بالاعدام والافناء من غير ان يسأله سائل او يمنعه مانع او يعود اليه ضرر رتهيب وخاف منه
وايضا من عرفه علم احتياجه اليه فى وجوده وبقائه وكمالاته فى جميع حالاته ومن البين ان الاحتياج اليه فى مثل

تلك الامور العظام يستلزم الخوف منه فيسبب الفيض والاكرام ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا اي تركها
بقول سيحى من النبي يحيى بن زكريا تعب اي ترك فمن ادعى الخوف ومال الى الدنيا غير تارك لها وناهض للعبادة فهو كاذب
لان الخوف يستلزم الاعراض عن الدنيا والتوجه الى العبادة **قوله** ويقولون نرجوا اي نرجوا رحمة الله ومغفرته
لدلالة الايات والروايات على سعة عفوه وجزيل رحمته ووفور مغفرته ولا يزالون كذلك حتى ياتيهم الموت
ولا تدارك بالندامة والعبادة فقال هولاء قوم ترجحوا في الاماني الترجح ميل كردن از طرفي بطرف ديكر
والاماني آروزها ودروغها وفي ترجيحها جمع الامنية وفي السببية او للظرفية او بمعنى على اي يميلون عن الحق
بسبب الاماني او فيها او عليها باعتبار انها تميل بهم كما تميل الارجوحة من فيها او عليها وهي بضم الهمزة مثال
يلعب عليه الصبيان وهو ان يوضع خشبة على تل ويقعد على طرفيها كذبوا في دعوى الرجاء ليسوا
براجين بل انهم انتحلوا اسم الرجاء وليس لهم معناه اصلا وعلل ذلك بقوله من رجا شيئا طلبه بالضرورة ولما نبه
سعة الرحمة لا يوجب صدقهم في الرجاء فان سعة الرحمة حق ولكن لا بد لمن يرجوها من العمل الخالص المعد
لحصولها وترك الوغول في المعاصي المفوت لهذا الاستعداد وهذا هو الرجاء الصادق الممدوح كرجاء من القى
البذر في الارض واتى باداب الزراعة رجحه في الحاصل واما من توغل في المعاصي فرجاؤه الرحمة غير ممدوح ولا
معقول كرجاء من لم يزرع ان ينبت الله له زرعا فان هذا احمق بذم بين العقلاء ولا تتبع هولاء وانظر الى الانبياء
فانهم مع كونهم اعلم بسعة الرحمة صرفوا اعمارهم في الطاعة لعلمهم بان توقع الاجر بدون الطاعة محض الغرور و
القول بانا نرجوا بدون العمل قول الزور وانظر ايضا الى من رجا امرا من السلطان فانه لا يعصيه بل يطلب منه
ذلك الامر ويخدمه خدمة بالغة طلبا للرضا ويكون خدمته بقدر قوة التوقع والرجاء ولما كان الرجاء الحقيقي
مستلزما للخوف من فواته وبالعكس ولذلك قيل الخوف والرجاء متلازمان كان رجاؤهم رحمته مستلزما لخوفهم
من فوتها ولذلك اشار الى ان دعواهم الخوف باطل ايضا على وجه العموم بقوله ومن خاف من شيء هرب منه بالضرورة
فلو كان لهم خوف من فوات الرحمة والالهربوا منه بترك المعاصي الموجبة لفواتها **قوله** ان قوما من موالي اي ناصر
وتابعك الظالمين بولايتك المحبين لك يلوذون بالمعاصي اي يرتكبون ويفعلونها ويقولون نرجوا الرحمة و
لانهم واسع الرحمة والمغفرة فقال كذبوا في دعوى الولاية والرجاء ليسوا لنا بموالٍ لان الموالاة ليست بمجرد القول
بل هي محبة في الباطن وتابعة في الظاهر لا انفكاك بينهما والحصر المفهوم من تقديم الظرف يفيد انهم موال الحزبهم
الشيطان اولئك ترجحت بهم الاماني الباء للتعدية اي امالتهم الاماني عن طريق الرشاد الى سبيل الفساد حيث رجوا
الرحمة مع انتفاء سببها وهو التمني المستعمل في المحال ولا الرجاء **قوله** من العبادة شدة الخوف من الله عز وجل الخوف مبدأ

عظمة

عظمة الخالق ووعيده واهوال الآخرة والتصديق بها ويجب قوة ذلك التصور والتصديق يكون قوة الخوف وشدته
وهي مطلوبة ما لم يبلغ حد القنوط وربما يشعر ذلك باعتبار زيادة الخوف على الرجاء ويمكن ان يقال شدة الخوف
تستلزم شدة الرجاء او يقال ذكر شدة الخوف على سبيل التمثيل كما يشعر به قوله من العبادة فان منها شدة الرجاء
بقول الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء لا يبعد ان يشير الى هولاء العلماء والى العلم الذي يورث الخوف و
الخشية فانا نرى كثيرا من اهل العلوم الدينية وغيرها لا يخشون من الله ويحبون حب الدنيا والاستكثار منها و
الامراء والسلاطين الجود للجاه والمال ويميلون معهم حيث مالوا وينالون الدنيا على اي وجه اتفق ويتبعون اهواء
النفس والشيطان فنقول المراد بهذا العالم العالم الرباني وهو الذي علم عظمة الله وجلاله وعزه وقهره لا على وجه
الاعتقاد فقط بل على وجه يحيط نور العلم ظاهر القلب وباطنه بحيث يمنعه من التوجه الى الدنيا وما فيها فضلا عن
الوسائط اليها ويزجره عن متابعة النفس الامارة في هواها ورذلها فان هذا العلم هو الذي يورث الخشية ويثمر التقوى
والورع وسائر الاخلاق النفسانية والعمل بعلم كتاب الله وسنة رسول الله والاعراض عن الدنيا واهلها وارشد
الى ما ذكرنا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا اعرفكم بالله واشدكم له خشية فانه كالمفسر للعلم والعالم الخاشي لله و
لهما هذا وقال المحقق الطوسي في اوصاف الاشراف ان الخوف والخشية وان كانا بمعنى واحد في اللغة الا ان
ثم فرق بين ارباب القلوب وهو ان الخوف تالم النفس من المكروه المنتظر والعقاب المتوقع بسبب احتمال فعل المنهيات
وترك الطاعات والخشية حالة نفسانية تنشأ من الشعور بعظمة الرب وهيبته وخوف الحجب عنه بسبب الوقوف
على نقصانه وتقصيره في اداء حق العبودية ورعاية الادب فهي خوف خاص واليه يرشد قوله تعالى ويخشون ربهم
ويخافون سوء الحساب والرهبة قريب من الخشية اقول ولعل المقصود من الخشية هنا المعنى اللغوي بدليل الاستشهاد
بالاية فلا تخشوا الناس واخشون دل على ان الخشية وهي شدة الخوف عبادة لان الله تعالى امر بها كالاية السابقة
الا ان الامر فيها وقع ضمنا ثم من خشي الله يخشاه الناس فكفاه الله من خشيتهم لما مر ومن يتق الله يجعل له مخرجا
التقوى على مراتب اولها التبري من الشرك والكفر وهي تحصل بالشهادتين وثانيها التجنب عما يوثم وثالثها
التنزه عما يشغل القلب عن الحق وبناء الكل على الخوف من العقوبة والبعد من الحق ولعل المراد هنا احدى الاخر
مع احتمال الاول بعيدا اي ومن يتق الله خوفا منه يجعل له مخرجا من شدائد الدنيا والآخرة كما نقل عن ابن عباس
او من ضيق المعاش كما يشعر به قوله تعالى ويرزقه من حيث لا يحتسب وكان السر في الاول ان شدائد الدارين من الحرص
على الدنيا واقتراف الذنوب والغفلة عن الحق والمتقي منزه عن جميع ذلك وفي الثاني ان فيضه تعالى وجوده عام لا بخل فيه
وانما المانع من قبول فيضه هو بعد العبد عنه وعدم استعداده له بالذنوب فاذا اتقى منها قرب منه تعالى واستحق قبول

٥٩

فيصير بلا تعب ولا كلفة فجمع بذلك خير الدنيا والآخرة وقال ابو عبد الله ثم ان حب الشرف والذكر اى حب الجاه والرياسة
والعزة بين الناس وحب الذكر والمدح والثناء منهم والشهرة فيهم لا يكونان فى قلب الخائف الراهب لان حب ذلك يهديان
من آثار الميل الى الدنيا واهلها وهما منزهان عنه وليس حبهما من الامراض النفسانية المهلكة والخوف والرهبة
النفس منهما ومن ثم قالوا الخوف نار يحرق الوساوس والهواجس وذكر الراهب بعد الخائف من باب ذكر الخاص بعد
العام لزيادة الاهتمام اذ الرهبة بمعنى الخشية وهى اخص من الخوف كما مر وايضا الراهب هو الخائف التارك للاشتغال
الدنيا وملاذها حتى خلائقها والمعتزل عن اهلها والمتحمل لمشاقها ومشاق التكاليف وغيرها قوله ان رجلا ركب البحر
اراد بالبحر السفينة مجازا من باب تسمية الحال باسم المحل بقرينة رجوع الضمير المستتر فى قوله فكفا به والباقى باهله
بمعنى مع الا انتهكها انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل والحرمة بالضم اسم من الاحترام مثل الفرقة من الافتراق و
الجمع حرمات فقال الفرق بفتح الفاء الفرق محركة الخوف يقال فرق فرقا من باب تعب اى خاف ويتعدى بالهمزة
فيقال افرقته وانما خافت من الله مع كونها مستكرهة لاجل التمكين فلذلك اضطربت لما لا يمكنه بقدر الامكان ونفهم
منه ان المستكره على الحرام وجب عليه الدفع على قدر القدرة ليتخلص من العقوبة فبينا هو كذلك اذ صاحت بين
ظرفية والالف للاشباع ومعمولها الفعل بتفسير الفعل الواقع بعد اذ الفجائية او خبر عن مصدره اى ضاد فى زمان بين
اوقات مشيه او بين اوقات مشيه مضاف الراهب والمضاد قد يكون بالفتح والراهب عابد النصارى وهو
المنقطع للعبادة وفى بعض النسخ اذ ضاحه بالضاد المعجمة وفى بعضها اذ جاءه والمشابه بنزديك كسى نشتن وتو نشستن آن
اى تعول لكنى وهو بالقصر فى الحجاز والمد للاشباع بدليل انه لا يوجد فى العربية كلمة على فاعيل وبخاله اللهم استجب
وقيل كذلك يكون وقيل كذا اقبلى وعن الحسن البصرى انه اسم من اسماء الله تعالى والموجود فى مشاهير الاصول المعتمدة
ان التشديد خطاء وقال بعضهم التشديد لغة وهو وهم قديم ووجه الوهم مذكور فى المصباح فتباعها الليل النهار
اى زمانا كثيرا وساعة طويلة فقال غفر لك ما مضى حيث دخلك الخوف دل على ان ترك كبيرة واحدة مع الاقتدار
عليها خوفا من الله وخالصا لوجهه موجب لغفران الذنوب كلها ولو كان حق الناس على احتمال الا ان الرجل كما قال قطع
الطريق مع احتمال ان يكون المغفرة للخوف مع التوبة الى الله والمراجعة الى الناس فى حقوقهم كما يفهم من قوله و
ليس هو الا التوبة والمراجعة قوله ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم لعل المراد بها مواضع العلوم والحقائق
وهى القوانين الشرعية او الحجج العاملون بها وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم كان المراد بها الغاية المطلوبة من الانسان
وهى الكمالات الموجبة للقرب وحملها على الاجل الموعود بعيد الا ان المؤمن يعمل بين مخافتين بين اجل قد مضى لا
يدرى ما الله صانع به وبين اجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه دل على ان الخوف كما يكون بالنسبة الى الآتى يكون

بالنسبة

٦٠

بالنسبة الى ما مضى ايضا وتخصيصه بما ياتى والطلاق الخوف على ما مضى يوجب تصميم العزم بالتوبة والاستغفار
والتدارك والاعتراف بالتقصير واشتغال القلب بذكر الرب والخوف مما ياتى من احتمال المعصية والاغترار
ونقصان الدرجة عن درجة الابرار وانقلاب القلب والغفلة وترك الطاعات يوجب الاجتهاد فى اكتساب
الخيرات والمبادرة الى تحصيل الكمالات والمحافظة لاوقات العبادات والخالى عن الخوف قاسى القلب فاسد العقل
فويل للقاسية قلوبهم اولئك فى ضلال مبين فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه بان ياخذ فى الدنيا من نفسه
فعل الطاعات والقربات وترك المنهيات والمهويات ورفض الدنيا واهلها ورسوم العادات لنفسه فى الآخرة ومن دنياه
لآخرته بان ينفق متاعها على الفقراء والمساكين وذوى الحاجة من المسلمين ولا ينسى نصيبه من الدنيا وهى مزرعة
الآخرة وفى الشيبة قبل الكبر لانه قد لا يصل الى الكبر فالتاخير يفوت المقصود او لان القدرة على العمل وتحمل
المشاق فى ايام الشباب اقوى او لان القوى فى ايامه قوية وكمال العمل تابع لقوتها او لان العمل اذا اعتاد ملكه
فى ايامه سهل عليه فى ايام الكبر او لانه ينبغى ان يكون سؤال القلب فى ايامه الى الطاعة والانقياد والاوامر والنواهى
ليكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات النافعة فى الآخرة على لوح صاف عن كدر الباطل ولو عكس وجعل
اوائل عمره واواخره الى المعاصى تسود مرآت نفسه بملكات ردية فلم يكد يصل بعد ذلك الاستضاءة بنور الحق
فكان من الاخسرين اعمالا وفى الحيوة قبل الممات لان العمل بعد الموت منقطع كما اشار اليه بقوله فوالذى نفس
محمد بيده ما بعد الدنيا مستعتب مستعتب مصدر على زنة المفعول بمعنى طلب الرضا او اسم فاعل على احتمال بعيد بمعنى
طالبه والعتب والعتاب التوبيخ واللوم والسخط للذنب والتقصير يقال عتب عليه عتبا من باب ضرب وقتل
وعاتبه معاتبة وعتابا اى وبخه ولامه وسخط عليه لذنبه وتقصيره والاعتاب الازالة لكون الهمزة للسلب
فهو بمعنى الرضا يقال اعتبه اعتابا اى ازال عنه العتاب وعاد الى مسرته ورضاه والاستعتاب طلب الاعتاب
والرضا بازالة ما عوتب عليه والمعنى ليس بعد الدنيا من استرضاء واقالة ذنب وقبول عذر كما فى قوله تعالى وان يستعتبوا
فما هم من المعتبين والمعتب بالفتح الثانى المرضى اى يطلبوا الرضا والسرور عنه نعم ويستقيلوه فلا يرضى عنهم ولا
يسرهم ولا يقيلهم لان محل الاستعتاب والاعتاب والاستقالة والاقالة انما هو الدنيا قبل حضور الموت
واما بعده فهو دار جزاء وما بعدها من دار الا الجنة او النار فمن اطاع ربه فى الدنيا فالجنة داره ومثواه ومن
عصاه فالنار منزله ومأواه والمقصود من هذا الحديث حث المكلف على اغتنام الفرصة فى زمن المهلة للاستعتاب
والاعتذار والتوبة والاستغفار والاستقالة عن سنة الغفلة والاجتهاد فى الاعمال والاستعداد لما
بعد الموت لئلا يقع بعده فى الندامة والحسرة فيعتذر فلا يقبل معذرته فيقول اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر

بل قد يمنع من الاعتماد فتقول الحسنوا الايكلون قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال الشيخ بهاء الملة والدين المراد
بمقام ربه واقفا اعلم موقفه الذي يوقف فيه العباد للحساب او هو مصدر بمعنى قيامه على احوالهم ومراقبته لهم
او المراد مقام الخائف عند ربه فسر الجنتان بجنة يستحقها العبد بعقائده الحقة واخرى باعماله الصالحة او احديهما
لفعل الحسنات والاخرى لترك السيئات او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او جنة روحانية واخرى
جسمانية وقال صاحب الكشاف الخطاب للثقلين فكانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي وجنة
للخائف الجني وجوز بعضهم ارادة الثاني والثالث المذكورين اولا ويجوز ان يراد جنة للخوف لانه عباده كما ترى و
جنة للارثه وهو فعل الطاعات وترك السيئات ويشعر به ما بعده وما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عرضت له فاحشة
او شهوة فاجتنبها من مخافة الله عز وجل حرم الله عليه النار وآمنه من الفزع الاكبر وانجز له ما وعده في كتابه
في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فانه رتب استحقاق الجنتين على الخوف والاجتناب يشعر بما ذكرنا
فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى اشارة الى ان الموصول في قوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي المأوى من علم ان الله يراه الى آخره وانه الذي في مقام المراقبة وانه الذي له جنتان وان
نهي النفس عن الهوى تابع للخوف وان الخوف تابع للعلم المذكور فلا خوف بدونه كما قال عز وجل انما يخشى الله من
عباده العلماء قوله لا يكون مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا الخ قد شاع اطلاق الايمان على ما يمنع من الدخول في النار
وهذا الايمان لا يكون الا مع الصفات المذكورة التي اولها الخوف من الله تعالى والاسباب على كثرتها اما امور مكروهة
لذاتها كشدائد الدنيا والآخرة كسكرة الموت وعذاب القبر وهول المطلع والموقف بين يديه عز وجل وكشف الستر
والمناقشة في الحساب والعبور على الصراط والدخول في النار وحرمان الجنة والحجاب منه تعالى وخوف الحجاب
اعلى رتبة وهو خوف العارفين وما قبله خوف العابدين والصالحين والزاهدين او امور مكروهة لانها تؤدي الى ما
هو مكروه لذاته كنقض التوبة والموت قبلها والتقصير في الطاعة والافراط في القوة الشهوية والغضبية وسوء الخاتمة و
الشقاوة في العلم الازلي والاغلب على المتقين خوف الخاتمة والاعظم خوف السابقة لكون الخاتمة تبعا لها قوله
ثم لا يصبح الا خائفا وان اصبح دخل في الصباح وهذا تأكيد لما سبق من قوله المؤمن بين مخافتين او الغرض منه افادة
استمرار الخوف دائما ولا يصلحه الا الخوف اذ به يتلافى ما فات ويتدارك ما هو آت كما مر قوله لا يتكل العاملون لي على [باب حسن الظن بالله عز وجل]
اعمالهم الخ اي لا يعتمدوا في دخول الجنة ونيل درجاتها على محض تلك الاعمال وان كانت صحيحة تامة الاركان في
نفسها او واقعة مع المبالغة في الاجتهاد لانها بالنسبة الى عظمة الحق وما يستحقه من العبادة ناقصة وقد نطقت
السنة الاولياء بانهم ما عبدوه حق عبادته فكيف غيرهم وبالنظر الى نعيم الجنات ورفع الدرجات وكرامة الرب

وجوار

وجوار القرب قاصرة غير قابلة لاقتضائها مع ان مفاسد الاعمال كثيرة لا تخلص منها الى آخر العمر الا افراد او لا انكار عليها
موجب للعجب المهلك غالبا وعلى هذا لا ينبغي للعاملين ان يتكلوا على محض اعمالهم ولا ينتفعوا بمجرد افعالهم بل ينبغي
لهم مع الاجتهاد فيها والاتيان بها تامة الاركان وتخليصها عن طريان المفاسد وشوائب النقصان ان يتقوا برحمة
ربهم في دخول الجنان ويرجوا فضله في الكرامة والاحسان ويطمئنوا الى حسن الظن به في قبول العمل وجبر النقصان
فان رحمته عند ذلك تدركهم ورضوانه يبلغهم في دار السلامة ومغفرته تلبسهم لباس العفو والكرامة وبهذا
التقرير ظهر ان الحكم من ترك العمل بحسن الظن به مقطوع وان قول من قال في حد الخبر دلالة على ان العمل ليس سببا
61 لدخول الجنة ممنوع كيف وقال جل شأنه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون والمحصل ان الاحسان بالعمل الصالح محل
آخر وهو مع الثقة بفضل الله ورحمته في قبوله سبب لدخولها ونيل درجاتها كما قال ان رحمة الله قريب من المحسنين
هذا وقد ذهب جماعة من العامة ان العمل ليس سببا لدخول الجنة واستدلوا على ذلك بما رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لن يدخل احدا منكم عمله الجنة وهذا بناء على اصلهم من ان الله تعالى يجوز ان يعذب المؤمن المطيع ويثيب الكافر واوردوا
على انفسهم ان ذلك منقوض بالآية المذكورة وان العمل اذا لم يكن سببا الخ فما الفائدة فيه فاجابوا عن الاول بان
معنى الآية ادخلوها باعمالكم برحمة من الله لا استحقاقا عليه وقال المازري معناها ان دخول الجنة بالعمل لكن بعد
له وفضله فيصح انه لم يدخل الجنة بمجرد العمل واجاب ابو عبد الله الآبي عن الثاني بان القائلين بان دخول الجنة انما هو
بنعمة الله لا يلغون اثر الاعمال بل يقولون انما هو في رفع الدرجات اقول يرد على الجواب الاول ان استفادة ذلك
من الآية تحكم وعلى تقدير التسليم لا يخلو من تناقض لان قولهم ادخلوها باعمالكم يفيد ان الاعمال سبب للدخول في
الجنة وقولهم لا استحقاقا عليه يفيد انها ليست سببا له وعلى الجواب المازري انه لا ينافي كون الاعمال سببا في الجملة
وعلى الجواب الآبي انه اذا جاز ان يكون الاعمال سببا لعلو الدرجات لم لا يجوز ان يكون سببا لدخول الجنة ولكن
حسن الظن بربه فليطلبوا هذا هو مطلوب ولهذا ذكره في هذا الباب واما ذكره في باب الرضا بالقضا فعلى سبيل التبعية
ويعلم ان الخوف يقتضي ترك المنهيات والرجاء يقتضي فعل الطاعات والمكلف بعد تصلبه بهما على السواء ينبغي ان
لا يتكل باعماله فان العابد كما مر وان البالغ كان مقصرا بعد بل ينبغي ان يحسن ظنه بالله في قبول عمله ورفع درجته
ويعتمد على فضله وكرمه ولا يسوء ظنه به فان حسن الظن ينبعث من المحبة وهي اعلى مقامات السالكين وسوء الظن منبعث
منه النفرة وهي من اعظم خصال الشياطين ومما ذكرنا يندفع توهم ان حسن الظن يوجب ترجيح الرجاء على الخوف
وهذا ينافي ما مر من اعتبار التساوي بينهما قوله والذي لا اله الا هو ما اعطي مؤمن قط الا بحسن ظنه بالله قال بعض
الافاضل معناه حسن ظنه بالغفران اذا ظنه حين يستغفر وبالقبول اذا ظنه حين يتوب وبالاجابة اذا ظنه

حين يدعوا وبالكفاية اذا طلبها حين يشتكي لان هذه صفات لا تظهر الا اذا احسن ظنه بالله تعالى وكذا التخيّر الظن
بقبول العمل عند فعله اياه فينبغي للمستغفر والتائب والداعي والعامل ان ياتوا بذلك موقنين بالاجابة بوعد الله
الصادق فان الله تعالى وعد بقبول التوبة الصادقة والاعمال الصالحة واما لو فعل هذه الاشياء وهو يظن ان لا يقبل
ولا يغفر فذلك قنوط من رحمة الله تعالى والقنوط كبيرة مهلكة واما الظن بالمغفرة مع الاصرار وظن الثواب مع ترك الاعمال
فذلك جهل وغرور يجر الى مذهب المرجئة والظن هو ترجيح احد الجانبين بسبب يقتضي الترجيح فاذا خلا عن سبب فانما
هو غرور وتمني المحال قوله قال احسن الظن بالله فان الله عز وجل يقول انا عند ظن عبدي المؤمن بي ان خيرا فخيرا
وان شرا فشرا اقول قد عرف معناه ومثله في كتب العامة روى مسلم عن النبي صلعم قال يقول الله عز وجل انا عند
ظن عبدي بي قال القاضي يحتمل انه تحذير العبد مما يقع في نفسه مثل قوله تعالى فاحذروه وقال الخطابي معناه انا عند
ظن عبدي بي في حسن عمله وسوء عمله ساء ظنه قوله قال سمعت ابا عبد الله عم يقول حسن الظن بالله ان لا ترجو الا الله
ولا تخاف الا ذنبك يعني حسن الظن ان ترجو الفوز بالسعادة الابدية من حول الله وقوته وترقب النعماء الاخروية
من فضله ورحمته لا من محض عملك ومجرد سعيك فان العمل وان كان في حد الكمال قاصر في جنب عزته ناقص في جنب
عظمته لا يوجب الوصول الى كمال قربه ونعمته وان تخاف من ذنبك فانه يؤديك الى مقام الوعيد لا من الله تعالى فانه
ليس بظلام للعبيد وفيه اشارة الى ان حسن الظن مركب من الرجاء والخوف وبه يشعر لفظ ايضا فلو تخلف احدهما عن
الآخر كان ذلك خروجا عن التوسط بالافراط او التفريط المذمومين عقلا ونقلا ويشير اليه ايضا قول امير المؤمنين
صلوات الله عليه العبد انما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وان احسن الناس ظنا بالله اشدهم خوفا لله
ومراده عم في قوله على قدر خوفه من ربه على قدر خوفه من عذاب ربه لاجل ذنبه فلا منافاة في هذا الخبر والمحل المستفاد
من هذين الخبرين ان حسن الظن والخوف متلازمان لانهما معلولان لعلة واحدة وهي معرفة الله سبحانه الا ان لكل واحد منهما
يستند الى صنف من المعرفة ونوع من الاعتبار يكون هو مبدأه اما حسن الظن يعني الرجاء فان العبد اذا عرف ربه ولا
حظ غناه عن العالمين وعن طاعتهم بحيث لا تزيد ذلك في ملكه مثقال ذرة واعتبر جميع اسباب نعمه عليهم ظاهرة وباطنة
جلية وخفية مما هو ضروري لهم كالآت التغذية والتنمية ونحوها مما لا يحصى وما لهم اليه حاجة ما كان لاحقا
ونحوها وما هو غير ضروري ولكن زينة لهم كتقوس الحاجبين واختلاف الوان العينين وغيرها وتفكر في صفات رحمته
ولطفه واحسانه وانعامه وفي آثار العناية الالهية اذا لم ترض ان يفوتهم تلك النعماء والمزايا في الحاجة والزينة كيف
ترضى بسياقتهم الى الهلاك الابدي بعد معرفته وتوحيده والاخلاص في عبادته يحصل له بعد تلك الاعتبارات و
الملاحظات حسن الظن به والرجاء الى رحمته وعفوه واما الخوف فانه اذا عرف الله تعالى ولاحظ صفات جلاله وعظمته

وبقا

وتعاليه وسطوته واستغنائه عن الخلق اجمعين وانه لو اهلك لم يبال ولم يمنعه مانع ولا يسأل عن سائل وتفكر في
سخطه وغضبه وعظم رتبة مخالفته ومعصيته وفي اخراج آدم من الجنة بسبب المخالفة السهلة مع كمال العزة
والشوق بين الملائكة وسجودهم له واخراج الشيطان من رحمته بسبب مخالفة امر واحد من اوامره وتكبره على آدم و
تفكر في الامم الماضية وكيفية اخذهم واهلاكهم بسبب المعصية فمنهم من اهلكهم بالصيحة ومنهم من اغرقهم ومنهم
من خسف بهم الارض ومنهم من مسخهم الى غير ذلك من انواع العذاب يحصل بتلك الاعتبارات والملاحظات خوف

باب الاعتراف بالتقصير

وخشية واحتراق وذبول وذلة وانكسار ثم ان الخوف لا يبقى خوفا الا بعد ان يعمق اثره على الاعضاء الباطنة
فيمنعها عن الرذائل كالكبر والحسد والحقد والبخل وسوء الخلق وغيرها وعلى الاعضاء الظاهرة فيكفها عن المعاصي
كما ان الرجاء لا يبقى رجاء حتى يوجب ميل الباطن الى الاخلاق الفاضلة وميل الظاهر الى الاعمال الصالحة فالجمع
بينهما يوجب استقامة الظاهر والباطن والصبر عند المعصية والطاعة قوله فان الله لا يعبد حق عبادته اي لا يعبد
الخلق حق عبادته كما وكيفا كيف وقد اعترف خاتم الانبياء وسيد الاوصياء بالتقصير وفيه تنبيه على حقارة عبادة
٦٣
في جنب عظمته واحسانه واستحقاقه لما هو اهله ليدوم شكرهم وجدهم في عباداتهم ولا يستكبروا ولا ييأسوا من
قوله يا جابر لا اخرجك الله من النقص والتقصير اي وفقك لان تعد عبادتك ناقصة ونفسك مقصرة اولان تعد
نفسك مقصرة فان النقص يخرج من الكبر والتقصير من العجب والكسل في العبادة مع ما فيهما من الاعتراف بالحاجة
والذل والعبودية لان من عرف تقصير نفسه ونقصها كان في مقام الذل والحاجة والانكسار ولا عبودية
اشرف منها قوله ثم قرب قربانا فلم يتقبل منه القربان اسم لما يتقرب به الى الله من ذبيحة وغيرها قيل قبوله عندهم
كان عبارة عن خروج النار واحراقه فقال لنفسه ما اتيت الا منك وما الذنب الا لك هذا الاعتراف من نوابع
العلم والحكمة لان العالم الحكيم يعلم ان فيضه تعالى عام لكل قابل وان الاعمال الصالحة مقبولة قطعا فاذا وجد عمله
غير مقبول علم ان ذلك لتقصير في عمله ونقص في نفسه ثم عدم تأثير عبادته مدة اربعين سنة في صفاء قلبه مع ما روي
من ان من عبد الله اربعين يوما خالصا لوجه الله تفجر في قلبه ينابيع الحكمة انما هو لفساد في قلبه مثل الرياء و
الحسد والفخر او العجب او غيرها ومنه يعلم ان العمل بدون تصفية القلب غير مقبول كما قال جل شأنه انما يتقبل الله من المتقين
فلا بد للعابد اذا اراد بلوغه حد الكمال من ان يطهر نفسه من المفاسد وينزه ظاهره وباطنه عن العلائق ويوجه
قلبه الى الله ويتفكر في معاني الكلمات التي يناجيه بها واسرار الآيات التي يتلوها ويعترف بالعجز والتقصير فانه
اذا كان كذلك في جميع الاوقات او في اكثرها بلغ مقبول الحق وادراك وصاله حتى يصير ادراكا لاسرار الحقائق
منها المراد والله ولي التوفيق فاوحى الله تبارك وتعالى اليه ظاهره نزول الوحي اليه ويحتمل نزوله الى نبي فبلغه

باب الطاعة والتقوى

قوله فقال كل عمل تريد به وجه الله عز وجل وهو عمل الدين والاخرة واما عمل الدنيا فلا ينبغى ان تعد نفسك فى بذل
الجد فيه مقصرة فان الناس كلهم فى اعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصرون اذ ليس احد وان اشتد فى طلب رضاء الله
تعالى حرصه وطال فى العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله سبحانه اهل من الطاعة له وكمال الاخلاص ودوام الذكر
وتوجه القلب اليه واداء حق شكر نعمه اذ هو بكل نعمة يستحق الطاعة والشكر ونعمه غير محصورة كما قال وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها فاذا قوبلت الطاعة بالنعم بقى اكثر نعمه غير مشكورة لا يقابل الا من الطاعة الا من عصمه الله
عز وجل وهم الانبياء والاوصياء لان عصمتهم ونورانية ذواتهم وصفاء صفاتهم وخلوص عقايدهم وعزيمة
قلوبهم وكمال نفوسهم ودوام ذكرهم اخرجتهم عن حد التقصير ومع ذلك اعترفوا به لاظهار العجز والنقصان
وان جاؤوا بما هو المطلوب من الانسان على نهاية ما يتصور من القدرة والامكان ويمكن ان يكون المراد بهم الملئكة
المقربين الذين لا يعصون الله ما امرهم وهم بامره يعملون لكن الاستثناء منقطع الا ان يراد بالناس العابد
والله اعلم قوله لا تذهب بكم المذاهب اى لا تذهبكم المذاهب الى سبيل الضلال وتمنى المحال فالباء للتعدية و
اسناد الاذهاب اليها مجاز عقلى لان فاعله النفس الامارة او الشيطان ولعل المراد بها الاعمال القبيحة والعقايد
الكاسدة والامانى الفاسدة التى من جملتها ان تفعلوا ما تريدون وتقولوا نحن متشيعون ونحن نحب اهل البيت و
نرجوا شفاعتهم فان ذلك لا ينفعكم كما اشار اليه بقوله فوالله ما شيعتنا الا من اطاع الله عز وجل بالقلب والجوارح
مع محبتنا الظهور ان معنى التشيع هو المتابعة لهم قولا وفعلا ولا يتحقق هذا المفهوم الا لمن اطاع كما اطاعوه
قوله ما من شىء يقربكم الجنة ويباعدكم من النار الا وقد امرتكم به المقرب من الجنة هو الاولى الكاملة والعقايد
الحقة والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة والمقرب من النار اضدادها الا وان الروح الامين جبرئيل عم
نفث فى روعى النفث النفخ ونفث الله الشىء فى القلب من باب ضرب القاه والروع بالضم الخاطر والقلب انه لن تموت
نفس موتها مفارقتها البدن ورفع يدها عن التصرف فيه بامر الله تعالى حتى يستكمل رزقها اى تاخذ رزقها
المقدر على وجه الكمال ضرورة ان بقاء تعلقها بالبدن متوقف على الرزق فمن المحال ان يبقى التعلق وينقطع الرزق
فاتقوا الله التقوى هى الاقتداء بالنبى صلعم والمتقى من يجعل بينه وبين ما يخاف منه وقاية تقيه منه ومنه اتقوا
النار ولو بشق تمرة فاصل التقوى الخوف من الله بملاحظة جلال الله وعظمته وقبح مخالفته وشدة عقوبته
ولما كانت التقوى هى الحاجزة عن تقحم الدنيا والوصول فيها وطلبها من حيث لا يجوز امرا ولا يهاد عطف عليها
ما هو من لوازمها فقال واجملوا فى الطلب من الجميل او الاجمال قال فى المصباح اجملت فى الطلب رفقت اى
احسنوا فى الطلب ولا يكن كدكم فيه كدا فاحشا ولا تذهب اليكم مذهبا باطلا اوارفقوا فيه واقصدوا

كدا فى

باب وجه الرزق

من رفق فى السير اى اقتصد ولا يحمل احدكم استبطاء شىء من الرزق ان يطلبه بغير حله اى لا يبعث احدكم
ذلك على طلبه بطريق غير مشروع فالمصدر المستفاد من ان يطلبه بنزع الخافض فانه لا يدرك ما عند الله
من الثواب الجزيل والاجر الجميل والرزق الحلال الا بطاعته فى الاوامر والنواهى فكان من سلك سبيل المعصية
ضل عن سبيل الجنة واستحق العقاب وحرم من الثواب فكذلك من طلب الرزق من غير حله حرم مما عنده تعم
من الرزق الحلال واستحق العقاب بكسب الحرام كما روى عن النبى صلعم ان الله تعم قسم الارزاق بين خلقه حلالا
ولم يقسمها حراما فمن اتقى الله وصبر اتاه رزقه من حله ومن هتك حجاب ستر الله عز وجل واخذه من
غير حله قص به من رزقه الحلال وحوسب عليه يوم القيمة واعلم ان الرزق عند المعتزلة كل ما صح الانتفاع
به بالتغذى وغيره وليس لاحد منعه فليس الحرام عندهم رزقا وهذا الحديث يدل عليه وعند الاشاعرة كل
ما ينتفع به ذو حيوة بالتغذى وغيره وان كان حراما وخص بعضهم بالاغذية والاشربة وللطرفين دلايل
ومؤيدات تركناها تحرزا عن الاطناب قوله فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه لعل المراد بالتقوى الامتثال
بالزواجر وبالطاعة الامتثال بالاوامر ويحتمل ان يراد بالتقوى تقوى القلوب وهى تخليته عن ما يفسده وتحليته
بما يصلحه والطاعة طاعة الظواهر بترك المنهيات وفعل المامورات وما كانوا يعرفون يا جابر فى عهد الائمة
الماضين عليهم السلام الا بالتواضع والتخشع المراد بالتواضع التذلل لله عند اوامره ونواهيه وتعلقه بالعبودية
بمعرفة عجزه بين يديه وكمال افتقاره اليه ولعباده المؤمنين تعظيمهم واجلالهم وتكريمهم والطهارة فى المثل
الى مجالستهم ومواكلتهم ولين القول عندهم وحسن المعاشرة معهم والابتداء بسلامهم والرفق بذوى حاجاتهم
والاقدام الى قضاء حوايجهم والمبادرة الى خدمتهم وغير ذلك مما يدل على صفته عندهم وعدم تكبره عليهم و
المراد بالخشوع التذلل لله مع الخوف منه كما صرح به بعض المحققين ثم قال وبذلك فسر فى قوله تعم والذين هم
فى صلوتهم خاشعون وقال صاحب المصباح خشع لعزيمة خضوعا ذل واستكان الخضوع قريب من الخشوع
الا ان الخشوع اكثر ما يستعمل فى الصوت والخضوع فى الاعناق اقول ثم شاع وصف القلب والجوارح به
كما روى عن النبى صلعم انه راى رجلا يعبث بلحيته فى صلوته فقال اما انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه والمراد بخشوع
القلب اشتغاله بذكر الله تعالى وتوجهه اليه واعراضه عما سواه واذا حصلت له هذه الفضيلة حمل الجوارح على
ما هو المطلوب منها مع الانكسار وتذلل وخوف على مخالفتها لغفلة او سهو او لغرض من الاغراض النفسانية و
الجوارح بذلك عبارة عن خشوعها والامانة وهى حالة نفسانية توجب سكون القلب وطمأنينته وعدم
ميله الى المكر والحيلة ومنه فلان مامون الغايلة اى المكر والحيلة ولعل المراد بها حفظ الودايع والعهد مع

٦٢

الله تم اوسع الناس ومن طرق العامة الامانة يعنى اى من شهر بها كثر معاملوه فاستغنى وكثرة ذكر الله باللسان
والقلب خصوصًا فى مقام الاوامر والنواهى والنوائب والصوم والصلوة على اركانهما وشرايطهما وفعلهما
كك دليل على كمال القوة النظرية والعملية والواو للعطف على ذكر الله او على الكثرة والبر بالوالدين بتعظيمهما
ولطاعتهما فى كل ما جاز شرعًا وعقلا والاحسان اليهما ودفع الاذى عنهما واداء دينهما وطلب الخير لهما
حيين وميتين والتعهد للجيران من الفقراء واهل المسكنة اى حفظ حالهم ورعاية احوالهم بايصال الخير اليهم
وترك اذيهم وتحمل الاذى منهم وعيادة مريضهم وتشييع جنايزهم وعدم المطلع الى عوراتهم والفقير والمسكين
من ليس له مال ولا كسب يفى بقوة السنة له ولعياله واختلفوا فى ان ايهما اسوء حالًا فقال الاصمعى والشافعى
وابن ادريس والشيخ الطوسى فى المبسوط والخلاف ان الفقير اسوء حالا وقال الفرا وابن السكيت وتغلب و
ابو حنيفه وابن الجنيد وسلار والشيخ الطوسى فى النهاية ان المسكنة اسوء حالا وللطرفين دلايل مذكورة
فى محلها والغارمين فى والايتام باداء ديونهم وتفقد احوالهم ورعاية حقوقهم والرفق بهم والعطف على الفقراء
او على الجيران والاخير الانسب لانهم وكانوا امناء عشايرهم فى جميع الاشياء والعشاير جمع العشير وهو المعاشر
ولما كانت الامانة غاية مطلوبة من جميع الجوارح والشئ غالبًا ما صادقا على جميع افعالها صار المقصود انهم كانوا
امناء لهم بجميع الاعضاء فى جميع الاحوال حسب الرجل ان تقول لما احب علاماته التركيب مثل حسبك درهم اى كاف نايب
وهو خبر لفظا واستفهام معنى للانكار والتوبيخ اى لا يكفيه ذلك ولا ينجيه من العقوبة بدون ان يكون فعالًا
مبالغا فى العمل ظاهرا وباطنا تابعا له عم قولا وعملا والمحبة والشفاعة وان كانتا نافعتين فى دفع الخلود عن النار
لكنهما لا توجبان عدم الدخول فيها كما نقل عن على عليه السلام فى حديثه انه قال المؤمن المشرف على نفسه لا
يدرى يعنى عند الموت ما يؤل اليه حاله بانه الخير بهما يحوفالم يتوبه الله باعمالنا ويخرجه من النار شفاعتنا
فاعملوا واطيعوا ولا تتكلوا يعنى على شفاعتنا ولا تستصغروا عقوبة الله فان من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا
الا بعد عذاب الله بثلثمائة سنة فاتقوا الله واعلموا ان ما عند الله قد عرفت ان المؤمن لا يخرج من خوف ورجاء
وان الخوف يقتضى ترك المنهيات وهو التقوى وان الرجاء يقتضى فعل الطاعات وانما قدم التقوى لان تخلية
النفس عن الرذايل اقدم من تحلية بالفضايل واكرمهم عليه اتقاهم كما قال عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقاكم
والمراد بالكرامة القرب منه تم والاستحقاق لقبول فيضه الدنيوية والاخروية مثل الجنة ودرجاتها وثمارها
وقطوفها الدانية وغير ذلك مما اعد الله لاولياء الابرار وظاهر ان الكرامة لا تحصل لاحد الا بالتقوى وهى ضبط
النفس عما يوجب البعد عنه تم من الرذايل النفسانية والجسمانية ومن كان لله مطيعا فهو لنا ولى اى من كان مطيعا

فهو

لله لا لغيره من النفس والشيطان فهو لنا ولى ذاتا او فعلا لا لغيره والولى فعيل بمعنى فاعل اى ناصر ومحب او
بمعنى مفعول كما فى قولهم المؤمن ولى الله ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو اى من حيث انه عاص فيرجع البغض
والعداوة الى فعله لا الى ذاته ولذلك تدركه الشفاعة وتنجيه من الخلود فى النار مع احتمال انهم ذاتا وفعلا بل
على ذلك ما روى عن ابى عبد الله عم قال ان الله خلق السعادة والشقاء قبل ان يخلق خلقه فمن خلقه الله
سعيدا لم يبغضه ابدا وان عمل شرا ابغض عمله ولم يبغضه وان كان شقيا لم يحبه ابدا وان عمل صالحا احب
عمله وابغضه لما يصير اليه فاذا احب الله شيئا لم يبغضه ابدا واذا ابغض شيئا لم يحبه ابدا وما تنال ولايتنا
الا بالعمل والورع اى الاتيان بالطاعات والاجتناب عن المنهيات قال بعض المحققين للورع اربع درجات الاولى
ورع التائبين وهو ما يخرج به الانسان عن الفسق وهو المصحح لقبول الشهادة الثانية ورع الصالحين وهو
الاجتناب عن الشبهات خوفا منها ومن الوقوع فى المحرمات الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال خوفا
من ان ينجر الى الحرام مثل ترك التحدث باحوال الناس لمخافة ان ينجر الى الغيبة الرابعة ورع السالكين وهو
الاعراض عما سواه تم خوفا من صرف ساعة من العمر فيما لا يفيد زيادة القرب منه تم وان علم انه لا ينجر الى الحرام
٦٤ قوله اذا كان يوم القيمة تقوم عنق من الناس العنق الرقبة والنون مضمومة للاتباع فى لغة الحجاز وساكنة فى لغة
تميم والمراد الجماعة من الناس فيقولون كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصى الله لا ريب فى ان النفوس
البشرية مايلة الى اللذات هاربة عن المشقات وان المعاصى لذات حاضرة والطاعات مشقات ظاهرة فالنفس
تريد المعاصى وتهرب عن الطاعة ولذلك ورد فى بعض الادعية اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين فانك ان
تكلنى الى نفسى اقرب من الشر وابعد من الخير فمن جاهد نفسه بتقديره وملك زمامها بلطف تدبيره حتى صرفها
عن مراتعها واستخرجها عن مقامها وحبسها فى مرابض العبادة ومرابط الطاعات وصبر على مجاهدتها ملك
غنيمة عظيمة هى راس مال الصابرين واقوات قلوب السالكين والمراد فى السير الى رب العالمين ولسبب
الدخول فى الجنة التى اعدت للمتقين واليه اشار امير المؤمنين عم ان الله جعل الطاعة غنيمة الاكياس عند
تفريط العجزة وانما جعل الطاعة غنيمة الاكياس وهم الذين لهم جودة القرايح لانهم ياخذونها بالجهاد
مع النفس الامارة كما ياخذ الغانمون الغنيمة بالجهاد مع الكفار بل جهادهم اعظم من جهاد الكفار كما قال صلعم
بعد رجوعه من بعض الغزوات رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وهو جهاد النفس واذا حصلت لهم
تلك الغنيمة وتمكنت فيهم هذه العزيمة امكن لهم الدخول فى الجنة قبل فراغ الناس من الحساب لان اولئك
هم المتقون الذين صبروا فى دار الدنيا وادوا حسابهم فيها وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير

حساب لان الحساب انما هو على من خلط عملا صالحا واخر سيئا واما المنغول فلا حساب عليهم كما لا
حساب على المشركين فانهم يدخلون النار بلا حساب قوله لا تقل عمل مع تقوى لكون كل عمل مبنى على التقوى
عظيما في ذاته وكثيرا نموه عند الله تعالى مع توقفه على كثير من الاعمال القلبية التي لا توجد الا بالمجاهدات المتعابية
ولا ينهدم ولا يلحق بانيه ضرره كما قال عز وجل افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس
بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ثم اكد ذلك واشار الى انه لا ينبغى ان يعد قليلا بقوله
وكيف يقل ما يتقبل لان العمل مع التقوى مقبول قطعا لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين قوله كونوا النمرقة
الوسطى النمرقة وسادة وهي بضم النون والراء وكسرهما وبغير هاء وجمعها نمارق ولعل المراد كونوا بين الناس كما
النمرقة الوسطى بين النمارق في الشرف والحسن لان النمرقة الوسطى اشرف النمارق واحسنها والمقصود كونوا امة
وسطا بين طرفى الافراط والتفريط او كونوا اهل النمرقة الوسطى كما هو شان اهل الشرف والمجد اما على حذف
مضاف وهو الاهل او على اراده تم من النمرقة مجازا من باب تسمية الحال باسم المحل او تسمية احد المتجاورين باسم
صاحبه ووجه التشبيه او الغرض منه هو قوله يرجع اليكم الغالى ويلحق بكم التالى وقيل كونوا ذوى النمرقة
الوسطى بحذف المضاف والنمرقة العليا للرسول وعترته المعصومين عليهم السلم والنمرقة الدنيا للعبيد الدنيا
وابنائها فامرهم بالوسطى لان من استقر عليها وتمسك بها اطمأن على الحق واستقر دينه على الهدى وامن
من الضلال والردى كما ان من اتكأ على النمرقة الوسطى استقر عليها ووثق بالراحة مطمئنا امنا من التعب
قوله قال قوم يقولون فينا ما لا نقوله في انفسنا فسر الغالى باخص صفاته التي بها تمايزه عن غيره وهو انه يقول
بان واحدا من الائمة اله او يجرى عليه ما هو اخص صفاته تعالى من غلا في الدين غلوا من باب قعد تصلب وتشدد
حتى جاوز الحد قال المرتاد يريد الخير فسر التالى بانه المرتاد اى الطالب من ارتاد الرجل الشىء اذا طلبه
المطلوب لهم من الخير والشر فقوله يريد الخير تخصيص وبيان للمعنى المراد هنا يبلغه الخير يوجر عليه من الابلاغ
او التبليغ وهو الايصال وفاعله معلوم بقرينة المقام اى من يوصله الى الخير المطلوب له يوجر عليه لهذا
وارشاده ويحكم لا تغتروا ويحكم لا تغتروا بالعين المهملة في الموضعين من الاغترار بالولاية والشفاعة وقد ذكرنا
سابقا ان الشفاعة قد لا تنال احدا الا بعد تلبثه في جهنم زمانا طويلا فلا ينبغى ترك العمل والاغترار بها
او بالقاف فيهما من الفتور في العمل والتكرير للتاكيد او باحدهما في الاول وبالاخر في الاخر قوله فقلت ما السمعى
فقال لعله استغفر الله امره بالاستغفار عن ذلك القول لانه ظلم وجاز حيث وضع الضعف في غير موضعه وفيه
مدح لمفضل بانه من اهل التقوى الا انه هو ناقلة وجماعة من اصحاب الرجال جرحوه عند الشيخ فانه في ارشاده

عق

عده من شيوخ اصحاب ابى عبد الله عم وخاصته وبطانته وثقاتها الفقهاء الصالحين فان قلت تضعيف
العمل وتقليله اعتراف بالتقصير وانه مطلوب من كل احد فكيف امره بالسكوت ونهاه عن ذلك وامره بالاستغفار
المشعر بانه خطيئته قلت الاقوال والافعال تختلف حكمها باختلاف النيات والمقصود وهو لم يقصد
بهذا القول ان عمله ضعيف قليل بالنظر الى عظمة الحق وما يستحقه من العبادة وانما قصد به ضعفه وقلته لذاته
وبينهما فرق ظاهر والاول هو الاعتراف بالتقصير دون الثانى ثم قال انى لى ان قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا
تقوى دل على ان العمل القليل مع التقوى كثير والعمل الكثير بلا تقوى قليل ويرتبن خطا المفضل حيث عد الكثير
قليلا قلت كيف يكون كثير بلا تقوى كانه ظن ان التقوى ما يبقى من النار وهو يصدق على الاعمال الصالحة
فيستبعد تحقق كثير منها بلا تقوى وحاصل الجواب ان التقوى فعل الطاعات وترك المحرمات وهو الذى يبقى
من النار وقد يتحقق كثير من الطاعات بدون التقوى عند فعل المحرمات ويوطى رحله كناية عن كثرة الضيافة
وقضاء حوائج المؤمنين بكثرة الواردين على منزله وذكره بعد الاطعام من باب ذكر العام بعد الخاص او الاطعام
مختص بالسائل وهذا باهل الدعوة قوله وانه من غير بشر اشار امير المؤمنين مع بقوله اللهم لك انس الانسين
باوليائك ولا ريب في ان المتقى من اوليائه اذ باطنه متوجه اليه وظاهره عاكف على الامتثال بين يديه ولما
كانت اولياؤه في الدنيا غرباء في ابنائها منفردين عنهم في سلوك سبيله ومستبهجين بمشاهدة انوار كبريائه كان
الله تعالى هو الانيس لهم ودهم برحمته بالقرب ومناجاته يتحولون ويفيض جوده مستفيضون وبالغفلة عنه يتضررون
ويتوحشون قوله فقال اوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد الوقاية الحفظ تقى وقاه الله السوء يقيه وقاية
اى حفظ واتقيت الله اتقاء اى حفظت نفسى من عذابه او عن مخالفته والتقوى اسم منه والتاء مبدلة من واو
والاصل وقوى من وقيت لكنه ابدل وازمت التاء في تصاريف الكلمة والورع الكف عن المحارم تقى ورع عن المحارم
يرع بكسرتين ورعا بفتحتين ورعة مثل عدة فهو ورع اى كثير الورع وورعته عن الامر تورعا كففته فتورع
اذا عرفت هذا فنقول اذا نظر العبد في العظمة الالهية وتفكر في الهيبة الربوبية حصل له خوف وخشية يوجب
حفظ نفسه عن المخالفة وميلها الى الطاعة وترك المعصية وتسمى ذلك الخوف او الحفظ او الميل او الجميع بالتقوى
وهى تقوى القلوب المذكورة في الايات والروايات وقد يسمى اثر ذلك هو فعل الطاعات وترك المنهيات بالتقوى ايضا
والفرق بينها بالمعنى الاول وبين الورع وهو ترك ما ينبغى تركه ظاهر واما الفرق بينها بالمعنى الثانى وبينه فخفاء فيه
يمكن رفعه بتخصيص التقوى بفعل الطاعات او بتعميم الترك في الورع بحيث يشمل ترك المباحات بل الاتم منها او يقال
ذكر الورع بعد التقوى من باب ذكر العام بعد الخاص ان كانت التقوى عبارة عن مجموع الفعل والترك او بالعكس ان

65

باب الورع

كانت عبارة عن كل واحد منها ثم نقول للورع خمسة اقسام ذكرها ارباب القلوب ولا باس ان نشير اليها وان
ذكرناها آنفا الان ذكرها لا تخ من فايدة اما الاول ورع العادلين وهو ترك الفسوق الثاني ورع الصالحين
وهو ترك ما يحتمل التحريم ولكن رخص في تناوله بناء على الظاهر كطعام الملوك وعمالهم وعطاياهم الثالث ورع
المتقين وهو ترك ما ليس في حليته شبهة خوفا من ان يودى الى المحرم او الشبهة الرابع ورع الصديقين وهو ترك
ما ليس في حليته شبهة ولا يخاف ان يودى الى حرام وشبهة لعدم تعلقه بالدين كالمباحات او لاتصاله بمن يكره
اتصاله به كما نقل ذو النون المصري لحقه جوع وهو محبوس فارسلت اليه امراة صالحة بطعام على يد السجان
فابى ان ياكل واعتذر بانه وصل اليه على يدي ظالم يعني ان القوة التي وصلت اليه الطعام لم تكن طيبة ومن
ذلك ما نقل ان بعض العرفاء كان لا يشرب الماء من الانهار التي حفرتها الامراء فالماء وان كان مباحا في نفسه
لكن راى ان النهر حفر باجرة دفعت من مال الحرام الخامس ورع المقربين وهو صرف القلب عن الاشتغال بما
سوى الله تعالى وينبغي ان يعلم ان الورع كما ذكره بعض اهل التحقيق قد يشتبه بالوسواس كمن وجد ثوبين احدهما
متحقق نجاسة والاخر لحقته وغسلت فيترك الصلوة بالمغسول لاحتمال مسته نجاسة وكمن قبل الحديد فيغسلها
ويقول ان الخروج عن عهدة التكليف يقيني يتوقف على غسلها لان من الجائز ان يكون بيد من مسه او بيد من
قبله نجاسة لا سيما العوام ومن لا يتحفظ ولا يعرف احكام الطهارة والنجاسة فان الظاهر ان الاجتناب منه من
الورع وقال بعض العامة كل هذا من باب الورع وانما الوسوسة مثل ما يتفق لبعض الناس من اكثار الماء للوضوء
واكثار الدلك ونحو ذلك والمراد بالاجتهاد المبالغة في الدين واحكامه والعمل بها من الجهد بالفتح وهو طلب الشيء
الموجب للوصول الى نهاية يقال جهد في الامر جهدا من باب نفع اذا طلبه حتى بلغ غايته قوله اتقوا الله وصونوا
دينكم بالورع اي اتقوا عذاب الله او مخالفته وصونوا دينكم عن الضياع والفساد بالورع وترك ما ينبغي الاجتناب
عنه ومنها المشتبهات وان بعد احتمال الحرمة فيها قال امير المؤمنين عم الورع جنة اي جنة من النار اذ من ترك
ملاذ الدنيا فاز بالعقبى ونجى من سهام النار وقال بعض اهل المعرفة رايت في المنام كان القيامة قد قامت والخلق
كلهم في الموقف فرايت طيرا ابيض ياخذ واحدا واحدا من الموقف ويدخلهم الجنة فقلت ما هذا الطير الذي من الله
تعالى به على عباده فنادى مناد ان هذا شيء يقال له الورع قوله فامر وزهدهم قال عليكم بالورع فانه لا ينال ما
عند الله الا بالورع اي لا ينال ما عند الله من الاسرار اللاهوتية والانوار الملكوتية واللوامع الغيبية والصور
العينية والمثوبات الاخروية واللذات الروحانية والدرجات العالية في الدار الباقية الا بالورع فان المتورع محاسب
نفسه دايما في حركاتها وسكناتها ونيتها في كل ما تامر به فاذا خلص من مهلكاتها تنور قلبه وانفتح له باب الملكوت

وظهر

وظهر له لوامع الانوار ولاحت له لوايح الاسرار مرة بعد اخرى فيشاهد امورا غيبية في صور مثالية وعند
ذلك يرغب في العزلة والخلوة والذكر والمواظبة على الطهارة التامة والجد من مهلكاتها في العبادة و
المراقبة والاعراض عن المشاغل الدنيوية الخسيسة بالكلية فيظهر الوجد والسكر والشوق والمحبة فيمحوه تارة
بعد اخرى ويجعله فانيا عن نفسه وهكذا حتى يتمكن ويخلص من التلوين وينزل عليه السكينة ويصير ورود
هذه الاحوال ملكة له واذا بلغ هذه المرتبة دخل في عالم الجبروت ولا يرى الا الحق الذي لا يموت ويتم له انقطاعه
وزال ما له ضد الله كالر وتمامه قوله لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه اي لا ينفع الاجتهاد في الاعمال المطلوبة ولا
المرغوبة بلا ورع عن المحرمات والمشتبهات المالية وغيرها فان احداث الباعث للكرامة لا ينفع مع الاتيان
بالمانع منها قوله ان اشد العبادة الورع اذ في كل عبادة جهاد مع النفس الامارة ولا ريب في ان تفاوت العبادة
في الشدة والفضيلة باعتبار تفاوت الجهاد مع النفس في الشدة والضعف ولا خفاء ان الجهاد معها في الورع
عن المحرمات اشد فاذن الورع اشد العبادة قوله انما اصحابي من اشتد ورعه وعمل لخالقه ورجا ثوابه في
ذكر الرجاء بعد العمل والورع تنبيه على انهما سبب لرجاء الثواب لا للثواب وعلى انه لا ينبغي لاحد ان يتكل بعمله 66
غاية ما في الباب انه يجعله وسيلة للرجاء وقد مر ان الرجاء بدونهما غرور وحمق وفيه دلالة على انه يكره ما
قاله ابو الصلاح لما فيه من الخشونة وسوء الادب قوله ابن آدم اجتنب ما حرمت عليك تكن من اورع الناس
الظاهر ان الموصول عام وح معنى التفضيل واضح قوله وحسن الجوار من حسن الجوار ايصال الخير الى الجار وتحمل
لاضراره ودفع الضرر عنه وعدم الاضرار له وعدم التطلع الى داره ونحو ذلك قوله وكونوا دعاة الى انفسكم
بغير السنتكم يعني باعمالكم واخلاقكم وورعكم فان الناظر اليها يطلب المتابعة لكم فان احدكم اذا طال الركوع والسجود
هتف ابليس من خلفه فقال يا ويله الهتف الصيحة والصراخ والويل الحزن والمشقة والهلاك من العذاب
وقد يراد به معنى التعجب واضافته الى ضمير الغايب دون ياء المتكلم كراهة ان يضيف الى نفسه ومعنى النداء فيه
يا حزنه ويا هلاكه احضر فهذا وقتك واوانك فكانه نادى الويل ان يحضره لما عرض له من الامر العظيم وهو
الندم على ترك السجود لآدم عم وخوف ما لحقه من اللعن والطرد وتيقنهم من قوله اطاع وعصيت وسجد وابيت
و ان تاسفه اولا على ترك طاعة الرب مطلقا واتيان ابن آدم بها وثانيا على تركه خصوص الامر بالسجود
اتيان ابن آدم به وان كانت السجدتان متغايرتان قوله فرحب به رحب به بالتشديد اي قال له مرحبا اي
اتيت او نزلت مكانا واسعا من الرحب بالضم السعة وبالفتح الواسع وهذا يقال للتعظيم والتكريم ليس منا ولا
كرامة اي ليس منا اهل البيت او ليس من خلص شيعتنا ولعل المراد بالكراهة هي الكون في دار المقامة مع الذين

انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كما يظهر من اخر الاية ودخول الجنة والفوز بنعيمها اخبر

وكان ذلك للمصر احد اورع منه قيل اراد بالاحد غير الشيعة من اهل الخلاف والتعميم محتمل وفيه حث بليغ لكل

احد على تحصيل نهاية الورع والله ولى التوفيق قوله اعينونا بالورع الائمة عليهم السلام يتكفلون بنجاة الشيعة

فكلما كان ذنوبهم اقل ورعهم اشد والحال كانت النجية والشفاعة عليهم اسهل فلذلك قالوا اعينونا بالورع

له عند الله فرجا فرجا في النسخ التي رايناها بالجيم والنصب والحاء محتمل وهو خبر كان واسمه ضمير يعود الى اللقاء والورع

ومن يطع الله ورسوله لاريب في ان اطاعتهما لا يتحقق بدون الورع وبذلك يتم الاستشهاد قوله الا

الرجل مؤمنا حتى تكون لجميع امرنا متبعا مريدا قد ذكرنا انفا ان المؤمن في عرف الائمة عليهم السلم هو المؤمن الكامل

وان الكمال له مراتب متفاوتة والذي يظهر هنا ان المراد به الفرد الاكمل وهو نادر جدا كما دل عليه ما روي

ابي عبد الله عم قال المؤمنة اعز من المؤمن والمؤمن اعز من الكبريت الاحمر فمن راى منكم الكبريت الاحمر كيدوا

اعداءنا ينعشكم الله الكيد المكر والاحتيال والمراد هنا الحرب وسميت كيدا لاحتيال الناس فيها والنعش

والاقامة يقال نعشه الله وانعشه اى رفعه واقامه كذا في المصباح وفيه رد على الجوهري حيث قال

الله ينعشه ولا يقال انعشه الله والمعنى حاربوا اعداءنا بالورع لتغلبوا عليهم يرفعكم الله كما يرفع درجات

وذلك العلبة انقطع السنه طعنهم بنسبة الخبث الى هذه الفرقة الناجية اوليرجعوا اليهم بمشاهدة حسن

ويؤيد هذا ما مر من قوله عم وكونوا دعاة الى انفسكم بغير السنتكم والله اعلم قوله فان ذلك داعية اى داعية

على الاقتداء بكم او مشاهدة الخير في الغير يدعو الطالب القابل المستعد الى الاقتداء به وهو مجرب

كما في كافيه لا للتانيث باعتبار المذكورات لان ذلك اشارة الى المذكور قوله ليس من شيعتنا من لا تحدث

بورعه في خدورها ان المراد بالشيعة خلصهم الذين هم من اهل الكرامة المذكورة سابقا والخدر بالكسر الستر والجمع

خدور ويطلق الخدر على البيت ان كانت فيه امراة والاخلاء واخدرت الجارية لزمت الخدر واخدرها اهلها

يتعدى ولا يتعدى وخدورها بالتثقيل ايضا وبالتخفيف اى ستروها وصانوها عن الامتهان والخروج

لقضاء حوائجها وفيه ان شهرة الصلاح بل الطهارة ليشتهر امر مطلوب ولكن بشرط ان لا يكون الاظهار

لقصد الرياء والسمعة بل الغرض صحيح مثل الاقتداء به والتحفظ عن نسبة الفسق اليه ونحوها قوله ما عبد الله

بشيء افضل من عفة بطن وفرج لا يبعد ان يراد بالبطن ما يشمل الفم ايضا ويؤيده ما روي من طرق العامة

اكثر ما يدخل النار الاجوفان الفم والفرج والعفة في اللغة الامتناع يقال عف عن الشيء يعف من باب ضرب

عفة بالكسر وعفافا بالفتح اذا امتنع منه فهو عفيف وفي العرف حالة نفسانية تمتنع بها عن غلبة الشهوة

لحالة

لحالة من الاخلاق الشريفة الحاصلة من الاعتدال في القوة الشهوية التي هي مبدا طلب الغذاء وشوق اللذات

بالماكل والمشارب والمناكح واعتدالها بان يقتصر في هذه الامور على قانون الشرع والعقل ولا يجاوز عن حكمها

وذلك بان يعف البطن والفم من الاكل والشرب عن الحرام والغيبة والنميمة والقذف والكذب وشهادة الزور

والبهتان واللغو والهذيان وغير ذلك من معاصي اللسان ويعف الفرج عن الزنا وما يشبهه ويحفظ النظر

واللمس وجميع ما حرم من مقدماته وعند ذلك يكون الشرع محفوظا والعقل غالبا وتلك القوة مغلوبة

لامره ونهيه واما اذا افرطت تلك القوة في طلب اللذات البطنية والفرجية وخرجت عن حكمها صار الشرع

متروكا مدروسا والعقل مغلوبا مقهورا وصار الامير مامورا والسلطان رعية كما في الاكثر فان عقولهم

صارت خادمة لشهواتهم مشغولة بفنون التدبيرات والحيل لتحصيل اللذات المذكورة ولو كان من الحرام

مما ذكر يظهر ان عفة البطن والفرج عبادة افضل العبادات لان كل ما يتصف به العبد ويوجب قرب الحق فهو

عبادة ولها مراتب متفاوتة في الفضل وافضلها العفة بكسر القوة الشهوية وكسرها مستلزم لكسر القوة الغضبية

لان القوة الغضبية معينة للقوة الشهوية في تحصيل مقتضاها برفع الموانع على وجه التسلط ومن البين

ان كسرها ايضا عبادة واصل لسائر العبادات فهي افضلها قوله ان افضل العبادة عفة البطن والفرج وهي الامتناع

عن المحرمات والمشتبهات بل عن الاكثار ايضا فان البطنة توجب جمود الفطنة ومتابعة الشهوة في الشهوات

الفساد الا من عصمه الله والحاصل من عفتهما كناية عن كسر القوة الشهوية بل الغضبية ايضا لما عرفت وهو افضل

العبادات اذ به يستقيم الظاهر والباطن وبه يرتفع الفساد فيهما وذلك لان شهوة البطن والفرج والقيام بمقتضاها

لا يحصل الا بالشره بالمال والحرص في الدنيا وجمع زخارفها وهذا لا يحصل الا بالجاه وحب الرياسة وهما لا يحصلان

الا بالخصومة مع الخلق وهي تورث الحسد والحقد والتعصب والعداوة والحقد والكبر وترك الفضائل الظاهرة

باب اجتناب المحارم

والباطنة توجب جميع المعاصي ومن هاهنا علم ان عفة البطن والفرج اصل لجميع العبادات وافضلها قوله وبلسانا

قال قال رسول الله صلعم اى باسناده السكوني او علي بن ابرهيم عن ابي عبد الله عم قال قال وقد وقع كلما

خافضة بعده من الامور الثلثة لطغيان القوة الشهوية والغضبية ومتابعة الاهواء النفسانية في الامة

الامن شد قيل هذا الحديث ليس في كتاب الشهيد الثاني قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان من تفسيره في باب

الخوف قال من علم الله عز وجل يراه ويسمع ما يقوله آه وهذا مقام المراقبة وهو يقتضي تجريد العمل وتحسينه

لان من عمل عملا وعلم ان عليه في عمله رقيبا لا يدع شيئا من وجوه الاجادة الا وياتي به كما هو شانه

في اعمال الناس بعضهم لبعض وينبغي ان يعلم ان للعبد في عبادته ثلثة مقامات الاول ان يفعلها مستوفاة

والشرايط وهذا هو الذي يسقط معه التكليف وهو مقام اكثر العابدين الثاني ان يفعلها كذلك وقد علم ان
المعبود جل شانه يراه ويشاهد وهو مستحضر القلب بذلك وهذا مقام المراقبة الثالث ان يفعلها كذلك وقد استغرق
في بحر المكاشفة حتى كانه يرى الله للعبود بالحق وهذا مقام المكاشفة ومقام الخاص الخاص كما قال رسول الله صلعم
جعلت قرة عيني في الصلوة والمقام الاول ادنى المقامات بحيث ولو لم يكن العابد من اهله هذا المقام لم يكن
عابدا بل مستهزءا اعاذنا الله من ذلك والثالث اشرف المقامات وفقنا الله واياكم لما يحبه ويرضاه قوله عين
سهرت في سبيل الله سبيل الله شامل لجميع الخيرات ومنها طلب العلم وهو السبيل الاعظم وعين فاضت من خشية
الله الخشية الخوف والفرق بينهما بان الخوف تالم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات و التقصير
في الطاعات والخشية خوف يحصل عند الشعور لعظمة الحق وهيبته والحجب عنه اصطلاح جديد بحسن عند
الاجتماع دون الانفراد وعين غضت عن محارم الله كناية عن ترك النظر الى ما لا يجوز قوله ما تقرب الى
المتقربون بمثل الورع عن محارمي هذا اول الاقسام المذكورة وهو ورع العدول فليس التفضيل بالنسبة الى
الاقسام التي بعده بل بالنسبة الى فعل الخيرات فدل على ان الاجتناب عن المنهيات من العقايد والاعمال
افضل من الاتيان بالطاعات مع اشتراكهما في تعظيم الرب اما لان التخلية افضل من التحلية كما هو المشهور او لان
مخالفته اعظم من موافقته او لان المعصية اكثر من الطاعات فاني ابيحهم جنات عدن اي اذللهم في دخولها
وانزلهم فيها وهي مقام عال من مقامات الجنة اعدها للورعين لا يدخلها غيرهم قوله قال ان اشد ما فرض الله
على خلقه ذكر الله كثيرا قال الله تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا و
على جنوبهم وقال واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال واصل الذكر
التذكر بالقلب ومنه اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي تذكروا ثم يطلق على الذكر اللساني حقيقة او من باب التسمية
الدال باسم المدلول ثم كثر استعماله فيه لظهوره حتى صار هو السابق الى الفهم فتعين ارادة الاول دون الثاني
فقط دافعا لتخصيصه الثاني واشارة الى اكمل افراده مع الايماء الى ان الذكر اللساني بدون الذكر القلبي ذكر
ثواب بر وقال بعض ارباب القلوب ذكر اللسان مع خلو القلب عنه لا يخلو من فايدة لانه يمنعه من التكلم باللغو و
يجعل لسانه معتادا بالخير وقد يلقي الشيطان اليه ان حركة اللسان بدون توجه القلب عبث ينبغي ان يتركه
فاللايق بحال الذاكر ان يحضر قلبه حتى يرغم الشيطان ولو لم يحضره فاللايق به ان لا يترك ذكر اللسان رغما لانفه
ايضا وان يحسب ان اللسان آلة للذكر كالقلب ولا يترك احدهما بترك الاخر فان لكل عضو عبادة واعلم
ان الذكر القلبي من اعظم علامات المحبة لان من احب احدا ذكره دايما او غالبا وان اصل الذكر عند الطاعة

والمعصية

والمعصية سبب لفعل الطاعة وترك المعصية وهما سببان لزيادة الذكر ورسوخه وهكذا متصاعدا
الى ان يستولي المذكور وهو الله سبحانه على القلب ويتجلى فيه فالذاكر حينئذ يحبه حبا شديدا ويغفل عن جميع ما
سواه حتى عن نفسه اذ الحب المفرط يمنع من مشاهدة غير المحبوب وهذا المقام يسمونه مقام الفناء في الله
والواصل الى هذا المقام لا يرى في الوجود الا هو وهذا معنى وحدة الوجود لا بمعنى انه تعالى متحد مع الكل لانه
محال وزندقة بل بمعنى ان الموجود في نظر الفاني هو لا غيره لانه تجاوز عن عالم الكثير وجعله وراء ظهره و
وحدة الوجود
غفل عنه فانهم قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي عمدنا وقصدنا الى ما عملوا من عمل
كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف واعانة المظلوم وغيرها فجعلناه هباء منثورا فلم يبق له اثر
والهباء غبار يرى في شعاع الشمس الطالع من الكوة من الحبوة وهو الغبار وفيه دلالة على حبط الاعمال
بالفسق سواء كان بكفر ام غيره وخصصه بعض المفسرين بالكفر وهو على تقدير الكفر ظاهر اذ لا عبرة بالفرع
بعد فقد الاصل وهو الايمان واما على تقدير غيره فلعل المراد به حبط ما يساويه مع بقاء الزايد وفي هذا
٦٨ المقام كلام طويل مذكور في موضعه والقباطي جمع القبطية بالكسر وهي ثياب بيض رقاق تعمل بمصر وفي
تشبيه اعمالهم بها تنبيه على ان رد اعمالهم ليس من اجل فسادها في نفسها بل لاجل ارتكابهم للحرام سواء كان حق
الله تعالى او حق الناس ولعل ذلك فيمن اخذه عادة والله اعلم قوله من ترك معصية لله اه المعصية تشمل ترك
الواجبات وفعل المنهيات ولم يذكر ان رضاء الله اكبر لان عقل البشر لا يصل الى كنه حقيقته ورضوان من الله
اكبر قوله من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير الناس الظاهر ان لفظ ما شامل للاعمال القلبية والبدنية و
المالية والخيرية تتفاوت بحسب تفاوت مراتب هذه الاعمال كما وكيفا والخير المطلق من وصل الى مرتبة العليا
منها قوله وفي رواية ابن محبوب عن ابي الصباح وزاد فيه واتقوا الله ربكم فيما افترض عليكم ليس في بعض النسخ قوله
وزاد فيه ولعل التقوى فيما افترض وهو الاتيان بالواجبات والاجتناب عن المنهيات تفسير للصبر قوله
قال الله تعالى ما تحبب الي عبدي باحب مما افترضت عليه مثله ما روي عن النبي صلعم ان يقول الله عز وجل ما تقرب
عبدي الي بشيء احب الي من اداء ما افترضت عليه ولعل السبب فيه انه تعالى عالم بالاسباب التي تقرب الى المحبة
وكرامته من بعد عنه بنفسه وهواه وعادته فجعل اكبرها الفرايض عظم حرمتها واوعد بالنار من ضيعها و
وطاعته فيه فيجب على العبد تعظيمه والمبادرة اليه والمبالغة في احكامه وتفريغ القلب عما يشغله عنه وجعل
اصغرها نوافل وجعل قبول النوافل موقوفا على اداء الفرايض ومتممة لها ولزيادة التقرب بها ومانعا من
التعرض لزهرات الدنيا ومباحاتها بعد الفرايض فينبغي للعبد ان لا يتهاون بها بالاشتغال بالنوافل وترك الاصل

باب استواء العمل

ويتمسك بالفرع فيفوته الفرع ايضا ولا يقبل منه بل ينبغي ان يهتم بالفرايض ثم بالنوافل لتكمل فرايضه وتزداد
محبته **قوله** اذا كان الرجل على عمل فليدم عليه سنة الخ لعل المراد بالعمل العمل المندوب مثل الدعا وساير
المرغبات بقرينة جواز التحول واما الفرايض فيجب دوامها على الوجه المقدر ولا يجوز تركها وفي الدوام
منافع جليلة هي ارتياض النفس في العبادة واعتيادها عليها وثبات القدم فيها وضبطها عن التقلب والاعتياد
به ورجاء القبول وان لم يكن ابتداء من اهله كما روى عن النبي صلعم ان العبد ليقول اللهم اغفر لي وهو معرض عنه
ثم يقول اللهم اغفر لي وهو معرض عنه ثم يقول اللهم اغفر لي فيقول سبحانه للملئكة الا ترون الى عبدي
سالني المغفرة وانا معرض عنه ثم سالني المغفرة وانا معرض عنه ثم سالني المغفرة علم عبدي انه لا يغفر الذنوب
الا انا اشهدكم اني قد غفرت له و توقع مضاعفة الاجر بوقوعها في الاوقات الشريفة التي يكون في السنة
مثل ليلة القدر وهي خير من الف شهر والعبادة فيها كذلك وفي قوله ثم يتحول عنه اي شاء الى غيره اشارة
الى ان له تركه مع بدل اما لا الى بدل فلا ينبغي لانه تعطيل في العبودية ولا يليق ذلك بحال العابد العامل لله
قوله احب الاعمال الى الله عز وجل ما داوم العبد وان قل وانما كان احب لان بدوام القليل تدوم الطاعة والعبادة و
العبودية وهو احسن من العبادة في زمان وتركها بعده بالكلية ولانه يربو ثواب القليل مع المداومة على ثواب الكثير
المنقطع كما يدل عليه قول امير المؤمنين عم قليل يدوم عليه ارجى من كثير مملول وقوله قليل يدوم عليه خير
من كثير مملول اي الذي يمل قلبه فان البركة فيه اكثر والثواب فيه ازيد والعبودية فيه ادوم وتاثيره في تنوير القلب
بتكراره اشد واحتمال كون رضاه سبحانه فيه اعظم كما رواه الصدوق باسناده عن امير المؤمنين عم قال ان الله
اخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئا من طاعته فربما وافق رضاه وانت لا تعلم **قوله** اني لاحب ان ادوم
على ربي وعلى مستوي استوت الاعمال اعتدلت وتساوت ولم يفضل بعضها على بعض ولعل المراد به تساوي
افراد كل نوع منه في الكم والكيف بحيث لا يكون بعضها اضعف من بعض وما روي من ان من ساوى يوماه فهو مغبون
فلعل المراد به الحث على الاكثار في الخير نظرا الى اليوم السابق لان العمل كالفسوق يجر بعضها الى بعض او المراد به
التساوي في القرب والمنزلة لان اضافة عمل الى عمل قبله وان تساويا لا بد ان يكون موجبة لزيادة القرب والمنزلة
والا يكون في العمل خلل وفي النية نقص وهو غبن فاحش فلا ينافي المساواة بالمعنى المذكور **قوله** يا ابن ادم تفرغ
لعبادتي املأ قلبك غنى التفرغ للعبادة والجد فيها وعدم ثقلها على النفس لا يحصل الا بتفريغ القلب عن شهوات
الدنيا وقطع التعلق بعلايقها والتحرز عن المعاصي وكسر القوة الشهوية والغضبية فاذا حصل ذلك حصل الشوق
الى الله والمحبة له واللذة بعبادته ومشاهدة الاسرار اللاهوتية والانوار الربوبية ورسوخ القلب في الصرف عن

الدنيا

69

الدنيا بحيث لا يؤذن بواحد منها الدنيا وما فيها وغنى القلب عبارة عن حصول هذه الامور له ومن ثم قيل سعادة
المرء معرفة الرب ودوام ذكره وخلوص العبادة له فان التمرن عليها يوصله الى مقام القرب والمحبة والاعراض عن
غيره **قوله** يا عبادي الصديقين تنعموا بعبادتي في الدنيا الخ الباء اما صلة او سببية لان العبادة غذاء روحاني
بها يربو الروح وتزداد قوته وسبب للرزق وسعته كما قال ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
قوله افضل الناس من عشق العبادة فعانقها الخ عشق يعشق عشقا من باب تعب والاسم العشق بالكسر وهو الافراط
في المحبة اي احبها حبا مفرطا من حيث انها وسيلة الى المحبوب الحقيقي وذريعة للوصول اليه والقرب منه وعانقها
تابع لحبه وفي قوله ثم ام على يسر دلالة على ان اليسر لا دلالة لا يباني حبها وتفريغ القلب عن غيرها الا لحبها وانما
المنافي له تعلق القلب به قيل ذكرت الحكماء في كتبهم الطبية ان العشق ضرب من الماليخوليا والجنون والامراض
السوداوية وقرروا في كتبهم الالهية انه من اعظم الكمالات واتم السعادات وربما يظن ان بين الكلامين تخالفا
وهو من واهي الظنون فان المذموم هو العشق الجسماني الحيواني الشهواني والممدوح هو الروحاني الانساني
النفساني والاول يزول ويفنى بمجرد الوصال والاتصال والثاني يبقى ويستمر ابد الاباد على كل حال **قوله**
فالحسن النية بالطاعة من الوجوه التي يطاع الله بها لعل المراد بتلك الوجوه الائمة عليهم السلم واحدا بعد واحد
لانهم الوجوه التي يطاع الله منها لارشادهم وهدايتهم وبالطاعة الطاعة المعلومة بتعليمهم او لطاعتهم والانقياد
لهم وبحسن النية تعلق القلب بها من صميمه بلا منازعة ولا مخاطرة كما قال جل شانه فلا وربك لا يؤمنون الى قوله
ويسلموا تسليما ويحتمل ان يراد بالوجوه وجوه العبادات وانواعها وبحسن النية تخليصها عن شوايب النقص اما
انك يا عيسى لا يكون مؤمنا حتى يعرف الناسخ من المنسوخ قال قلت جعلت فداك وما معرفة الناسخ من المنسوخ
دل على جواز الخطاب بالمجمل وهو ما لم يتضح دلالته او بالعام المراد به بعض افراده او بالمحتمل لوجهين وقد بينا
جوازه في اصول الفقه وقالت المعتزلة لا يجوز لانه تجهيل للمخاطب وهو قبيح من الحكيم ولا نسلم انه تجهيل
بل هو تقرير للحكم وتثبيت له في ذهن السامع حيث يطلبه والمفهوم بعد الطلب اعز من المساق بلا طلب وباعث
الثواب له لمقصد الامتثال بعد البيان غايته لا يجوز تاخير البيان عن وقت الحاجة **قوله** قال ان العبادة ثلثة
اي العبادة المترتبة عليها الثواب والكرامة في الجملة ثلثة اقسام وغيرها مثل عبادة الرائي ونحوها ليس بعبادة
فليس بداخل في المقسم قوم عبدوا الله الخ اي عبادة قوم عبدوا الله عز وجل خوفا من ناره حتى لو لم تكن النار لم
يعبدوه فتلك عبادة العبيد اذ العابد فيها شبيه بالعبد في فعله خوفا من السيد وتحرزا من عقوبته وعبادة
قوم عبدوه طلبا للثواب ونعيم الجنة فتلك عبادة الاجراء اذ حالهم في العبادة مثل حال الاجراء في المعاملة لو لم يكن

الاجر لم يعملوا وعبادة قوم عبدوه لحبهم له واستغراق قلوبهم في ذكره واعتقادهم بانه اهل للعبادة وغاية
الخشوع له فتلك عبادة الاحرار الذين لا ينظرون الا اليه او لا يعكفون الا عليه وتغفل قلوبهم بالكلية عن
الاغيار فضلا عن الجنة والنار وهي افضل العبادة لخلوصها من جميع الجهات وفي صنيعه المفضل دلالة على ان
العبادة على الوجهين السابقين ايضا عبادة صحيحة لها فضل في الجملة فيكون حجة على من قال ببطلان عبادة من قصد
التحرز عن العقاب او الفوز بالثواب قوله ما اقبح الفقر بعد الغنى اي وجود الفقر بعد الغنى او تعيش الغني بعيش الفقير
اقبح الخطيئة بعد المسكنة لضعف الهوى وقلة اسبابها واقبح من ذلك العابد لله ثم يدع عبادته وكان السر فيه ان كل
واحد منهم انتقل من المقام الاعلى الى المقام الادنى ومن البين ان مقام الطاعة ارفع من مقام الغنى والمسكنة فهو
الطاعة اقبح قوله من عمل بما افترض الله عليه فهو من اعبد الناس كان الموصول عام وجه التفضيل ما
قوله لا عمل الا بنية قال المحقق الطوسي في بعض رسائله النية هي القصد الى الفعل وهي واسطة بين العلم والعمل

باب النية

اذ ما لم يعلم الشيء لم يمكن قصده وما لم يقصده لم يصدر منه ثم لما كان غرض السالك العامل هو الوصول الى
مقصد معين كامل على الاطلاق وهو الله تعالى لا بد من اشتمالها على قصد التقرب به وعرفها العلامة في
القواعد بانها ارادة ايجاد الفعل على الوجه المامور شرعا واراد بالارادة ارادة الفاعل فخرجت ارادة الله افعالنا
وبالفعل ما يعم توطين النفس على الترك فدخلت نية الصوم والاحرام وامتثالها بالمامور به ما يرجح فعله شرعا
فدخل المندوب وخرج المباح اذا عرفت هذا فنقول استدل الاصحاب بمثل هذا الخبر وبقوله تعالى وما
امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين على انه لا بد في العبادات من النية حتى قال بعضهم النية بمنزلة
الروح والعبادة بمنزلة البدن وقال بعضهم النية بذر والعبادة زرع والاخلاص ماء ومثل هذا الخبر رواه مسلم
باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال انما الاعمال بالنية وانما لامرئ ما نوى قال القرطبي ذكر الائمة ان هذا
ثلث الايمان وقيل ربعه وان اصول الدين ثلثة احاديث او اربعة هذا احدها وقال المازري قال الشافعي هو
ثلث الاسلام وفيه سبعون بابا من الفقه واجمع المسلمون على صحته وقال الائمة ولكنه لم يتواتر وقال الآبي
تامل فيه فان ابن الصلاح قال لم يتواتر الا حديثان حديث انما الاعمال بالنيات وحديث من كذب علي متعمدا
وحكى الخطابي عن ائمتهم انه ينبغي لمن صنف كتابا ان يبدأ بهذا الحديث لبعث الطالبين على تصحيح النية نقول
النفي والاستثناء للحصر والحصر قد يكون مطلقا وقد يكون باعتبار امر خاص مثل ما زيد الا قائما فان الحصر فيه
بالنسبة الى القعود مثلا دون سائر الصفات والضابط في ذلك انه ان دلت قرينة على تخصيص الحصر باعتبار
امر معين فهو للحصر باعتبار ذلك الامر والا فهو للحصر المطلق وانظر الحصر في الحديث من اي النوعين هو ونعرف

ذلك

ذلك بعد ان تعرف انه لا بد من تقدير محذوف يتم به المعنى ويحتمل ان يكون لا عمل على وجه الصحة الا بها وهذا
هو الارجح لان الصحة اكثر لزوما للحقيقة من الكمال والحمل على الاكثر اولى ولان نفي الصحة اقرب الى نفي
الحقيقة واذا تعذر حمل اللفظ على الحقيقة وجب حمله على اقرب المجازات كما بيناه في اصول الفقه وعلى هذا
يفهم منه اشتراط النية في الاعمال كما ذهب اليه الاصحاب ثم الظاهر ان لفظ العمل يشمل عمل الجوارح والقلب و
تخصيصه بالاول لا وجه له ولا بد من تخصيص عمل الجوارح باخراج ما لا يحتاج الى النية كغسل الثوب
والبدن والظروف من النجاسات وتخصيص عمل القلب باخراج النية لئلا يتسلسل وفيه دلالة على ان المعتبر
في الالفاظ الايمان والنكاح وغيرهما من العقود والايقاعات النية دون الالفاظ وحدها الا ما خرج
بالدليل مثل ما ثبت من ان في الحلف تعتبر نية المدعي وفي الاقرار يحكم على الظاهر ولا يسمع دعوى عدم القصد
قوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله الحديث متفق عليه بين العامة والخاصة
وله وجوه الاول نية المؤمن اعتقاد الحق ولطاعة الرب او خلد في الدنيا وهي خير من عمله اذ ثمرتها الخلود
في الجنة بخلاف عمله فانه لا يوجب الخلود فيها ونية الكافر اعتقاد الباطل ومعصية الرب لو خلد فيها
وهي شر من عمله اذ ثمرتها الخلود في النار بخلاف عمله يدل على هذا الوجه حديث آخر في هذا الباب والاضافة
الى المؤمن والكافر فان الوصف مشعر بالعلية الثاني ان المؤمن ينوي خيرات كثيرة خارجة عن قدرته
وهو يثاب بها بدون عمل فنيته بهذا الاعتبار خير من عمله لان ثوابها اكثر من ثوابه كما يدل عليه الخبر الآتي
والكافر ينوي شرورا كثيرة لا يقدر على العمل بها فنيته شر من عمله ولا ينافي ذلك ما روي من ان العبد اذا
هم بشر لم يكتب عليه شيء حتى يعمل لان كون النية شرا لا ينافيه عدم كتب المنوي وعدم العقوبة على
الفعل على ان اكثر العامة والمتكلمين والمحدثين ومنهم القاضي البيضاوي ذهبوا الى انه يواخذ بهم سيئة اذا
بلغ مرتبة العزم والتصميم وتوطين النفس على الفعل لكن بسيئة العزم والتوطين النفس على الفعل لا بها معصية
لا بسيئة المعزوم عليه لانه لم يفعله فان فعله كتبت سيئة ثانية الثالث ان النية روح العمل والعمل بمنزلة
البدن لها فخيرية العمل وشريته تابعتان لخيرية النية وشريتها كما ان شرافة البدن وخباثته تابعتان لشرافة
الروح وخباثته فبهذا الاعتبار نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله الرابع ان نية المؤمن وقصده
اولا هو الله وثانيا العمل لانه يوصل اليه ونية الكافر وقصده غيره تعالى وعمله يوصله اليه وبهذا الاعتبار
صح ما ذكر وهذه الوجهات استفدناها من كلام المحقق الطوسي في بعض رسائله وان لم يكن صريحا
فيها الخامس ان خير ليس للتفضيل ومن تبعيضية صفة له يعني ان نية المؤمن عمل خير من جملة اعماله الدينية

٢٠

الكافر عمل شر من حيث اعماله وهو منقول عن السيد المرتضى وبه يندفع التنافي بين هذا الحديث وبين ما روى عنه صم
افضل الاعمال احمزها واما الوجوه السابقة فيرد على ظاهرها ان العمل اشق من النية فيكون خيرا منها لحكم
هذا المروي فكيف يكون النية خيرا منه والجواب ان العمل ليس اشق من النية بل الامر بالعكس لان النية ليست
مجرد التلفظ بلفظ مخصوص وحصول معناه في القلب بل حصولها متوقف على تنزيه الظاهر والباطن عن الرذائل
كلها وتوجه القلب الى المولى بالكلية واعراضه عن جميع ما سواه وتطهير العمل عن جميع ما يوجب نقصه وفساده
ولا ريب في ان النية على هذا الوجه اشق من العمل كما يدل عليه ما روى عن امير المؤمنين عم ان تصفية العمل اشد
من العمل وتخليص النية من الفساد اشد على العاملين من طول الجهاد الحديث طويل مذكور في كتاب الروضة
اخذنا منه موضع الحاجة ثم اشار الى قبول العمل ورده وخيره وشره تابعة للنية بقوله وكل عامل يعمل على نيته
ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا ومن طرق العامة ان الله لا ينظر الى صوركم وانما ينظر الى قلوبكم يعني الى نياتكم من باب
اطلاق المحل على الحال قوله كتب الله له من الاجر مثل ما كتب لو عمله يمكن ان يجعل تفسيرا لما مر من ان نية المؤمن
خير من عمله لان المؤمن ينوي خيرات كثيرة لا يساعده القدرة او الزمان على فعلها فيثاب بها فيكون الثواب
على النية اكثر من الثواب على العمل فيكون النية خيرا منه وهذا الوجه قريب الى ابن دريد اللغوي كما صرح به الشيخ
في الاربعين ولعل المراد انه يكتب له اجره مضاعفا كما يقتضيه لفظ المثل وان اجر النية من حيث هي مثل اجر العمل
من حيث هو لا انه مثل اجره مع النية فلا يلزم زيادة الشيء على نفسه او الغاء العمل واثابة المؤمن بنيته امر متفق عليه
بين الامة روى مسلم باسناده عن رسول الله صم قال من طلب الشهادة صادقا اعطيها ولو لم تصبه وباسناد آخر ان
قال من سال الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه قال المازري وفيهما دلالة على ان
المراد نوى شيئا من افعال البر ولم يفعله لعذر كان بمنزلة من عمله وعلى استحباب طلب الشهادة ونية الخير وقد
صرح بذلك جماعة من علمائهم حتى قال الابي لو لم ينوه كان حاله حال المنافق لا يفعل الخير ولا ينويه وقيل مر رجل
من بني اسرائيل سنة القحط على جبل من الرمل فقال لو كان حنطة لانفقته على الفقراء فاوحى الله الى رسول ذلك
العصر ان يقول له ان الله قبل صدقتك واعطاك اجر انفاقه لو كان حنطة قوله فعال لحسن النية بالطاعة لعل
المراد بحسن النية بطاعة الامام والاقبال عليها من صميم القلب او المراد به تزكية العبادة عن جميع النقايص وتصفيتها
عن غير وجه الله تعالى وجعلها حق العبادة لان العبادة بغير عبادة فيهم انه شرط لقبولها قوله قال كل يعمل على شاكلته
قال على نيته كان المراد نظرا الى ظاهر الاستشهاد ان كل احد ممتاز من يعمل على نيته فان كانت نيته الطاعة ابدا
فهو مطيع ابدا فيستحق الخلود في الجنة وان كانت بنيته المعصية ابدا فهو عاص ابدا فيستحق الخلود في النار قوله

الا

الا ان الكل عبادة شرة ثم تصير الى فترة فمن صارت شرة عبادته الى سنتي فقد اهتدى الشرة وزان الشدة الحدة
والرغبة والنشاط في العمل والفترة بفتح الفاء السكون الضعف والكسل فيه واصلها الانكسار يقال فتر عن العمل فترة
وفتورا اذا انكسر حدته ولعل المراد ان المبتدي في العبادة نشاطا تاما وارادة حادة ورغبة كاملة تبعث
النفس على الجد فيها وتحمل مشاقها فاذا دام ذلك تعتري النفس فتور وضعف من العبادة اما لملال الطبع وسامته
او لمنع من جهة الحق عز وجل ليختبر العابد ليرى عجزه فلا يعجب بعمل نفسه بل يرى تمكنه من العمل بحسن
توفيقه او ليختبر ما عنده من الصدق فان هو سكن ولم يتالم لذلك فلا يردها عليه فانه لا يعرف قدرها
وان هو توجع وتضرع وجزع فردها اليه وزاده ثم بين حال الشرة بقوله فمن صارت شرة عبادته الى سنتي
اي طريقتي وهي طريقة العدل والاقتصاد ولم يتجاوز عنها فقد اهتدى لان طريق الاقتصاد قلما يعتريه
الفتور واما المتجاوز عنه فانه في معرض الفتور لسامة النفس وملالها غالبا كما يظهر من باب الاتي هذا الذي
ذكرناه على سبيل الاحتمال والله اعلم بحقيقة الحال قوله كفى بالموت موعظة الموعظة هي الزاجرة عن الدنيا والركون
٧١ اليها والداعية الى الاخرة والقرب للحق واعظمها هو الموت اذ العاقل اذا تفكر فيه وفي غمراته وما يعقبه من
احوال البرزخ والقيمة واهوالها والحساب والعقاب وما فعله باهل الدنيا من قطع ايديهم عنها واخراجهم
منها طوعا او كرها هانت عنده الدنيا وما فيها واجتهد في الطاعة وتحرز عن المعصية قوله وكفى باليقين غنى الغنى
ما غنى عن غير الله تعالى وبرفع الحاجة اليه واليقين بالله واليوم الاخر وبحصول ما وعد الله من الجزاء و
الارزاق اقوى ما غنى عن غير الله سبحانه لانه نور موجب لوصول السالك الى الحق واتصاله به اتصالا
معنويا بحيث لا يشاهد غيره فضلا عن الاحتياج اليه قوله وكفى بالعبادة شغلا لان كل شغل غير العبادة فهو
لهو ولعب يوجب البعد عنه تعالى وتنقطع ثمرته بخلاف العبادة فانها توجب قربه تعالى وتدوم ثمرته وهو ترغيب
في العبادة وهي مرتبة عظيمة لا يعطيها الله تعالى الا من يحبه الا ترى ان الله تعالى حين اراد ان يلبس نبيه حلة الشرف
والكرامة نسب العبودية اليه فقال انزل على عبده الكتاب قوله لكل احد شرة ولكل شرة فترة فطوبى
لمن كان فترته الى خير لعل المراد ان الشرة قد تفضي الى التجاوز عن حد الاقتصاد ويوجب الكلال او الفتور
في الاعمال فطوبى لمن كانت فترته الى الخير وهو القصد لا الى الاعراض فالاقتصاد امر مطلوب قد وقع الحث
على التمسك به حيث مدح في الاول من انتهت شرته اليه وفي هذا الحديث من رجع عن شرته عند التجاوز باب الاقتصاد في العبادة
وقام عليه والحديث احتمالات اخر ذكرناها في آخر كتاب العلم قوله ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق
اسم الدين يقع على جميع ما تعبد الله به خلقه من توحيده وطاعته والانقياد لحكمه وهو جملة الاسلام كما

قال عم ان الدين عند الله الاسلام ووصفه بانه متين اى قوى شديد من متن الشئ بالضم متانة اشتد و
قوى فهو متين المتنبه على انه لا يقدر على تحمله الا المؤمنون وذلك كما قال عم فى وصف الصلوة وانها
لكبيرة الا على الخاشعين وهم المؤمنون العارفون والايغال السير الشديد يقال اوغل القوم وتوغلوا اذا
اسرعوا فى سيرهم فى و المنبت الرجل الذى انقطع به فى سفره وعطبت راحلته وهو مطاوع بته تبا من باب
ضرب وقتل اى قطعه يعنى سيروا فيه سيرا سريعا وابلغوا الغاية القصوى منه بالرفق ولا تحملوا على انفسكم
من العمل ما لا تطيق فتعطع كالذى لا يقطع طريقه ويهلك راحلته والمراد بالرفق الاقتصاد فى العبادة وترك
التعمق فيها لان التعمق فيها يوجب غالبا كراهة النفس لها وبغضها اياها والاعراض عنها وهو مذموم قطعا
ولقد احسن فى ايضاح المقصد بالاتيان بالتمثيل البديع لانه شبه النفس الناطقة فى السير الى الله تعالى بالمسافر وشبه
البدن وقواه بالمركوب لان النفس فى سيرها تحتاج اليهما كما ان المسافر اذا جد فى السير جدا وحمل على مركوبه اثقالا
كثيرة يهلك دابته قبل ان يقطع سبيله ويبلغ مقصده فيبقى متحيرا كذلك النفس اذا جدت فى طريق الاعمال وحملت
على مركوبها اعمالا كثيرة شاقة يمل البدن ولكل قواه وذلك يضعفهما او يهلكهما فيبقى متحيرا فوت الوصول الى المطلوب
فلابد للسالك من ترك الافراط والتفريط واختيار التوسط كما انه لابد ذلك لذلك المسافر وبالجملة العبادة خلاف
مقتضى الطبع فلابد ان يسلك فيها سبيل التدريج والمداراة ليكون له نشاط فى الاعمال والافعال وهذا فى الرغبات
واما المفروضات فلابد من ادائها وتعاهدها فى محلها وان كانت ثقيلة **قوله** قال لا تكرهوا الى انفسكم العبادة
زجر بهذا الكلام المبالغين فى الجد والاجتهاد وتحمل مشاق العبادات فربما كرهت النفس العبادة وذهب اجرها
وندبهم الى اخف العبادات على النفوس واسهلها ليعملها بخفة ونشاط وطواعية لا بجبر وكراهية فيكون ذلك
انشط لها فى العبادة لله والحظ فى حضور القلب مع الله واجماع الهم بين يديه فيقبل الله عليه ويوصلها اليه و
بالجملة احاديث الباب ظاهرة فى الامر بالرفق فى العبادة وترك طلب النهاية فيها اذ حيث لا يمكن او يشق نيلها فلا ينبغى
قيام جميع الليالى وصيام جميع الايام فان لنفسك عليك حقا ولعينك عليك حقا ولان العمل اذا قل ودام فى الاخير
القليل لطول الزمان كثير وخف على النفس تعهده بخلاف ما اذا كثر ولم ينضبط عادة فانه قد يؤدى فى الترك
فيحرم عن العبادة وهو مع ذلك مكروه لها وهذا هو مذموم جدا الا ترى ان اشرف العابدين وسيد المرسلين كان
ينام ويأكل ويشرب وينكح ويصاحب الناس ويصوم ويفطر ومع ذلك كان قادرا على اكثر من ذلك كل ذلك لتعليم
للامة وترحم لهم وتعطف عليهم ولذلك لم يكلفهم الله الا ما دون الطاقة بكثير نعم من استعين انه لا يفتر بكثرة
العبادة ولا يبغضها بطول مداومتها الا بعدان يكون ذلك راجحا بالنظر اليه كما ورد الامر بعبادات كثيرة المشاق

مثل صيام الدهر وبعض الصلوة ونحوها **قوله** فاعمل عمل من يرجو ان يموت هرما واحذر حذر من يخوف ان يموت
غدا اى اعمل فى الطاعات والخيرات برفق وتأن واخذ حظ من جميع انواعها كعمل من يرجو ان يكون اجله ممتدا
الى الهرم واحذر عن المنهيات كحذر من يخاف ان يموت غدا ولعل السر فيه ان العبادات اعمال ومنها تعب الاركان
واشغل عما سواها فامرها بالرفق والاقتصاد كيلا تكل بها الجوارح ولا تبغضها النفس ولا تفوت بسببها حق
من الحقوق واما الحذر من المعاصى والمنهيات فهو ترك واطراح ليس فيه كثير كد ولا ملالة ولا شغل عن
شئ فيترك ترك من يخاف ان يموت غدا على معصية الله نعم ولهذا قال عم اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم
واذا نهيتكم عن شئ فانتهوا وقيل الفرق ان فعل الطاعات نفل وفضل وترك المخالفات حتم وفرض **قوله** من سمع
شيئا من الثواب على شئ فصنعه آه الحديث حسن الطريق مضمونه مؤيد بالخبر بعده وان كان ضعيفا وبما
رواه الصدوق فى كتاب ثواب الاعمال عن ابيه على بن بابويه عن على بن موسى عن احمد بن محمد عن على بن الحكم
عن هشام عن صفوان عن ابى عبد الله عم قال من بلغه شئ من الثواب على شئ من الخير فعمله كان له اجر ذلك و
ان كان رسول الله صلعم لم يقله كان المراد ان من سمع رواية صادقة بحسب ظنه دالة على الثواب المترتب على فعل
شئ او تركه فصنع ذلك الشئ واتى به طلبا لذلك الثواب كان له اجر ذلك الشئ وان لم يكن المسموع على ما بلغه و
قال الشيخ فى الاربعين يحتمل ان يراد بالسماع الثواب مطلق بلوغه اليه سواء كان على سبيل الرواية والفتوى او
المذاكرة او نحو ذلك كما لو رآه فى شئ من كتب الحديث او الفقه مثلا ويؤيد هذا التعميم انه ورد فى حديث آخر عن الصادق
عم من بلغه شئ من الثواب ويمكن ان يراد السماع من لفظ الراوى او المفتى خاصة فانه هو الشائع الغالب فى الزمن
السالف واما الحمل على الحمل باحد الوجوه السبعة المشهورة فلا يخفى بعده وظاهر الاطلاق ان ظن الصدق الناقل
غير شرط فى ترتب الثواب فلو تساوى صدقه وكذبه فى نظر السامع وعمل بقوله فاز بالاجر نعم يشترط عدم ظن
كذبه بقيام بعض القرائن والظاهر ان تصريح الراوى بترتب الثواب غير شرط بل قوله ان العمل الفلانى مستحب او مكروه
كاف فى ترتب الثواب على فعله او تركه انتهى وانت خبير بان هذا الحديث على الاحتمال الاول يدل على انه يجوز العمل
باخبار الآحاد المعتبرة وعلى الاحتمال الذى ذكره الشيخ يدل ايضا على جواز العمل بالاخبار الضعيفة الدالة على
استحباب فعل عمل او تركه وهو الموافق لمذهب الاصحاب ويرد عليهم اشكال وهو ان الاستحباب حكم شرعى و
قد اتفقوا بان الحكم الشرعى لا يثبت بالحديث الضعيف فكيف يصح قولهم باستحباب الاعمال التى ورد بها اخبار
ضعيفة وحكمهم بترتب الثواب عليها ولهم فى التفصى عنه اقوال فقال الشيخ رحمه الله حكمهم باستحباب تلك
الاعمال وترتب الثواب عليها مستند فى الحقيقة الى الاحاديث الضعيفة بل الى هذا الحديث الحسن المشتهر المعتضد

بغيره من الاخبار و وجه عدم استنادهم الى هذا الحديث فى وجوب ما تضمن الخبر الضعيف وجوبه كالسنا دهم
اليه فى استحباب ما تضمن استحبابه ظاهر فان هذا الخبر لم يتضمن الا ترتب الثواب على العمل وهو لا يقتضى الامر
بالعمل وقيل اذا وجد حديث ضعيف فى فضيلة عمل ولم يكن هذا العمل مما يحتمل الحرمة و الكراهة فانه يجوز العمل به
ويستحب لان مامون الخطر ومرجو النفع اذ هو داير بين الاباحة والاستحباب فالاحتياط العمل به رجاء الثواب
واما اذا دار بين الاستحباب والحرمة فلا وجه لاستحباب العمل به وكذا اذا دار بين الكراهة الشديدة او فى العمل
به دفعا لضرر الوقوع فيها واما اذا كانت الكراهة ضعيف من الاستحباب فالاحتياط العمل وكذا اذا تساويا وقيل
معنى قولهم يجوز العمل بالحديث الضعيف فى فضايل الاعمال دون مسايل الحلال والحرام انه اذا ورد حديث صحيح
او حسن فى استحباب عمل وورد حديث ضعيف فى ان ثوابه كذا وكذا جاز العمل بهذا الحديث الضعيف والحكم
بترتب الثواب على ذلك الفعل وليس هذا الحكم احد الاحكام الخمسة التى لا تثبت بالاحاديث الضعيفة وقيل
معنى قولهم الاحكام لا تثبت بالاحاديث الضعيفة انها لا تستقل باثباتها الا انها لا تصير مقوية ومؤكدة
لما ثبت تلك الاحكام به ومعنى تجويزهم العمل بالحديث الضعيف فى فضايل الاعمال انه اذا دل على استحباب عمل
حديثان صحيح وضعيف مثلا جاز للمكلف حال العمل ملاحظة دلالة الضعيف ايضا عليه فيكون عاملا بهما فى
الجملة والشيخ رحمه الله رد هذه الاقوال الثلثة اما اولها فبان خطر الحرمة فى هذا الفعل الذى تضمن الحديث استحبابه
حاصل اذ لا يعد شرعا ما فعله المكلف لرجاء الثواب ولا يصير منشا لاستحقاق الثواب الا اذا فعله بقصد
القربة ولاحظ رجحان فعله شرعا فان الاعمال بالنيات وفعله على هذا الوجه مردد بين كونه سنة ورد الحديث
بها فى الجملة وبين كونه تشريعا وادخالا لما ليس من الدين فيه ولا ريب ان ترك السنة اولى من الوقوع فى البدعة
فليس الفعل المذكور دايرا فى وقت من الاوقات بين الاباحة والاستحباب ولا بين الكراهة والاستحباب
بل هو دايما داير بين الحرمة والاستحباب فتاركه متيقن للسلامة وفاعله متعرض للندامة واما ثانيها فبانه
مخالف منطوق عبارات القوم فانها صريحة فى استحباب الاتيان بالفعل اذا ورد فى استحبابه حديث ضعيف
غير قابل لهذا التاويل السخيف واما ثالثها فبانه مع بعده وسماجته يقتضى عدم صحة التخصيص بفضايل الاعمال
دون مسايل الحلال والحرام فان العمل بالحديث الضعيف بهذا المعنى لا نزاع بين اهل الاسلام فى جوازه فى جميع
الاحكام قوله الصبر راس الايمان فى الخبر الاتى الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد وفيه تشبيه المعقول باب الصبر
بالمحسوس للايضاح والوجه ما اشار اليه بقوله فاذا ذهب الراس ذهب الجسد كذلك اذا ذهب الصبر ذهب الايمان
وذلك لما ذكرنا سابقا من ان الانسان ما دام فى هذه النشاة كان موردا للمصايب والافات ومحلا للنوايب و

والعاهات ومتوجها اليه الاذى من نوعه فى المعاملات ومكلفا بفعل الطاعات وترك المنهيات والمشتهيات و
كل ذلك ثقيل على النفس شح فى مذاقها وهى تنفر منه نفارا وتتباعد منه فرارا فلا بد من ان يكون فيه قوة
ثابتة وملكة راسخة بها يقتدر على حبس النفس على هذه الامور الشاقة والوقوف به معها بحسن الادب وعدم
الاعتراض على القدر باظهار الشكوى وعدم مواخذة من اذاه الانتقام منه وتلك القوة او ما يترتب عليها
اعنى حبس النفس على تلك الامور ومقاومتها لهواها هى المسماة بالصبر ومن البين ان الايمان الكامل بل نفس المصدق
ايضا يبقى ببقائه ويفنى بفنائه فلذلك هو من الايمان بمنزلة الراس من الجسد وفى طرق العامة الصبر نصف الايمان
قال ابن الاثير اراد بالصبر الورع لان العبادة قسمان نسك وورع فالنسك ما امرت به الشريعة والورع ما نهت
عنه وانما ينتهى بالصبر فكان الصبر نصف الايمان اقول الايمان الكامل نصفه متعلق بالباطن ونصفه متعلق
بالظاهر وقوام الظاهر بالصبر فالصبر نصف الايمان قوله عن القسم بن محمد الاصفهانى قال عياض اصبهان بمعناه
بفتح الهمزة وحكاه البكرى بالكسر لا غير ان من صبر صبر قليلا ومن جزع جزع قليلا نصب قليلا اما على المصدر او على
الظرفية اى صبر صبرا قليلا او صبر زمانا قليلا وهو زمان العمر او زمان البلية فيه وفيه حث على الصبر لانه
يوجب مع قلة راحة طويلة ثم قال عليك بالصبر فى جميع امورك الجمع المضاف يفيد العموم خصوصا لفظ
الجميع فيدل على ان الانسان فى كل ما يصدر منه من الفعل والترك والعقد وكل ما يرد عليه من المصايب
والنوايب من قبله تعم او من قبل غيره يحتاج الى الصبر اذ لا يمكنه تحصيل ذلك بدون جهاده مع النفس والشيطان و
ثباته فى مقام المجاهدة بالصبر وحبس النفس عليه قال امير المومنين عم الصبر شجاعة واصبر على ما يقولون واهجرهم
هجرا جميلا امره بالصبر على تكذيبهم وبالهجر عن دعوتهم او عن مخاصمتهم وفيه ترغيب فى حمل النفس على الصبر و
المجاهدة لتخلص من عداوة الخلق والغضب عليهم وشهوة الدنيا والاشتغال بغيره تعالى والهجر الجميل هو ان
تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم وتكل امرهم الى الله كما قال وذرنى والمكذبين اولى النعمة اى دعنى واياهم
فانى اجازيهم فى الدنيا والاخرة واولى النعمة صناديد قريش وغيرهم وقال تبارك وتعالى ادفع بالتى هى احسن السيئة
قال عز وجل لا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن السيئة قال بعض المفسرين صبر الله نبيه
الاية رسول صلعم على سفاهة الكفار وعلمه ادب الجميل فى باب الدعا الى الدين بل فى مطلق امور التمدن ولا
زايدة لتاكيد نفى الاستواء والمعنى لا مساواة بين الحسنة والسيئة ابدا يعنى بكسارتهن يبكى وبدعهم كزكا
للايمان والكفر والحلم والغضب والطاعة والمعصية واللطف والعنف والعفو والاخذ ولما كان هنا مظنة
سوال وهو ان كيف تصنع بالخبيث والموذى قال ادفع بالتى هى احسن السيئة اى ادفع السيئة بالخصلة التى هى احسن

٢٣

منها وهي العفو واسم التفضيل مجرد عن معناه او اصل الفعل معتبر في المفضل عليه على سبيل الفرض والمعنى
ادفع السيئة بالحسنة التي هي احسن من العفو او المكافات وتلك الحسنة هي الاحسان في مقابلة الاساءة
ومعنى التفضيل على حاله لان كل واحد من العقوبة والمكافاة ايضا حسنة الا ان الاحسان احسن منهما
وهذا قريب مما ذكره صاحب الكشاف من ان لا غير مزيدة والمعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتان في انفسهما فخذ
بالحسنة التي هي احسن اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة مثاله رجل اساء اليك فالحسنتان ان تعفو
عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي اذا فعلت ذلك
صار عدوك مثل الولي الشفيق ثم مدح هذه الخصلة الكريمة وصاحب هذه السيرة الشريفة بقوله وما
يلقيها الا الذين صبروا اي لا يعمل بهذه السجية العظيمة وهي العفو عن الاساءة او مقابلتها بالاحسان
الا كل صبار على تجرع المكاره وما يلقيها الا ذو حظ عظيم من قوة جوهر النفس الناطقة بحيث لا تتأثر من
الواردات الخارجية وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل الثواب الجزيل ولقد نعلم انك يضيق صدرك كناية
عن الغم بما يقولون من الشرك والطعن فيك وفي القران والاستهزاء بك وبه فسبح بحمد ربك اي فنزه ربك
عما يقولون مما لا يليق به متلبسا بحمده في توفيقك له او فافزع الى الله فيما نالك من الغم بالتسبيح والتحميد فانهما
يكشفان الغم عنك وكن من الساجدين الشاكرين في توفيقك او رفع غمك او كن من المصلين فان في الصلوة قطع
العلايق عن الغير قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون قد للتحقيق وضمير انه للشان فانهم لا يكذبونك في الحقيقة
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون قيل يجحدون مكذبين بايات الله في الحقيقة فالباء للتضمين الجحود معنى التكذيب
ووضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بسبب الجحود ولقد كذبت رسل عظام او كثير من قبلك
فصبروا على ما كذبوا واوذوا اي على تكذيبهم وايذائهم مما صدر منهم وفيه تسلية له صلعم وترغيب في الصبر كما قال
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى اتاهم نصرنا بشارة بالنصر للصابرين كما قيل الصبر مفتاح الفرج ولقد
خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام فيه ايماء الى ترغيب الخلق بالصبر في جميع الامور وما مسنا من لغوب
اي تعب واعيا فاصبر على ما يقولون اي على ما يقوله اليهود من الكفر والتشبيه او على ما يقوله المشركون
من انكارهم البعث فان من خلق العالم بلا اعياء يقدر على حشر الخلايق والانتقام منهم وجعلنا منهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا دل على ان الصبر سبب للجعل المذكور واليه اشار ارسطاطاليس بقوله بالصبر على مضض السياسة
ينال شرف الرياسة فشكر الله عز وجل ذلك له شكر الله تعالى لعباده عبارة عن قبول العمل ومقابلته بالاحسان
والانعام في الدنيا والاخرة وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا اي مضت عليهم واتصلت بالانجاز

عدنا

عدنا اياهم بالنصر والتمكين بسبب صبرهم على الشدايد وهو قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
ودمرنا اي اهلكنا دمره تدميرا ودمر عليه بمعنى ما كان يصنع فرعون وقومه قيل هو القصور والعمارات
ويحتمل الاعم وما كانوا يعرشون قيل ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان او ما كانوا يعرشون من الجنات
ويحتمل الاعم يقال عرش يعرش عرشا اي بنى بناء من خشب واحصروهم من الدخول في المسجد الحرام او الاعم
منه ومن التبرز في البلدان واقعدوا لهم كل مرصد اي كل ممر وطريق لئلا يبسطوا في البلاد نصبه على الظرف
من رصد رصدا ومرصدا رقبه والمرصاد الطريق والمكان يوجد فيه العدو وجعل له ثواب صبره مع ما
ادخر له في الاخرة اي جعل له ثواب في صبره في الدنيا نصره وقتل عدوه وفي الاخرة بمزيد الزلفى والكرامة و
رفع الدرجات وهذا معنى شكره للصابرين ومن ثم روى النصر مع الصبر وقيل للصبر عاقبة محمودة الاثر ومن
صبر واحتسب اي احتسب صبره على اذى الاعدا واعتده فيما يدخر عند الله ويثاب عليه ونوى به وجه الله ثم
لا غيره والاحتساب بالعمل الاعتداد به وارتقاب الاجر من الله تعالى لم يخرج من الدنيا حتى تقر الله عينه
٧٤
في اعدائه اي يجعل الله عينه قارة باردة في قتل اعدائه وخذلانهم وهذا كناية عن السرور لان دمعة السرور
باردة مع ما يدخر له في الاخرة من الاجر الجميل والثواب الجزيل كما فعل ذلك لرسول الله صلعم نور قال سمعت ابا
عبد الله عم يقول ان الحر حر على جميع احواله الحر نقيض العبد والمراد به هنا من تخلى عن رق الشهوات الفانية
واللذات الجسمانية ومن سلاسل الزهرات الدنياوية وتوجهت نفسه القدسية الى مشاهدة الانوار الالهية
والاسرار الربوبية وهم الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الاية ويتحملون في نزول الصبر على
فقدان المالوف والمرغوب ويصبرون على اذى القوم وعدم وجدان المطعم وحال الانتقام متفاوت ويعود حال
اعلامهم الى ان لو صار البحر مدادا والاشجار اقلاما وعاش الخلايق خالدين يكتبون اشواقهم الى يوم التناد
لا يستطيعون احصاء ما لهم من الاشواق المدرجة في فوادهم ومن ثم قيل من صبر صبر الاحرار نال ما
الحمار ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال الله سبحانه انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب اذ نابته نائبة نابه امر ينوبه نوبا اصابه والنائبة النازلة والجمع نوائب صبر لها
لتوجه قلبه اللطيف الى جمال الله تعالى وجلاله ولا يخطر غير الحق بباله فضلا عن ان يكون مما يقاطعه ولو
خطر وقياما وذلك ان مرارته تحمل طلبا لرضاه وان تداكت الدك الدق وفي التفاعل مبالغة في الشدة والصولة
واستدل بالعسر يسرا النظم انه عطف على تقهر ولا يتم الا بتكلف لان ظاهره ان العسر مدفوع واليسر ماخوذ

ملائماً باب الوصل فلا ويمكن ان يكون عطفاً على قوله وان تلاكت فيكون غاية الصبر واشاره الى ما يترتب عليه
وفي بعض النسخ واستبدل بالبر عسرا وهو ولم يضر بحريته ان استعبد وقهر واسر يعني هذه الصفات
الشاقة الكريهة على النفوس البشرية لم تدفع حريته اي توجه قلبه الى الله وصبره في الله على تحمل ثقلها ولم يضره
ظلم الجب و وحشته وما نال له من الله عليه آه الظاهر ان قوله وما ناله عطف على ظلم الجب ولعل المراد بنوائب
الزمان وجور الاخوان وان قوله ان من الله عليه بتقدير اللام اي لان من الله عليه فيكون تعليلاً لقوله لم
في الموضعين وانما قلنا الظاهر ذلك لاحتمال ان يكون مبتدا وخبرا والجملة عطف على ما لم يضره او يكون قوله
وما ناله عطفاً عليه وما بعده بياناً لما بتقدير من او يكون الواو بمعنى مع وفاعل نال الرق يوسف عم والعاتي من
العتو وهو التجبر والتكبر والتجاوز عن الحد والمراد بارساله ارساله الى الخلق نبياً ورحم الامة برحمانه من العقوبة
الابدية بايمانهم به او عن القحط والجوع لحفظه ما زرعوا لسنة القحط وادخاره لهم والله اعلم وكذلك الصبر
يعقب خيرا اي كما ان صبر يوسف عم اعقب خيرا عظيماً له كذلك صبر كل احد يعقب خيرا له ومن ثم قيل اصبر تظفر
وقيل اي للايام تجربة للصبر عاقبته محموده الاثر وقل من جد في امر يطالبه فاستصحب الصبر الا فاز بالظفر وما صبروا
ووطنوا انفسكم على الصبر توجروا توطين النفس على الصبر كناية عن لزومه فان لزومه يوجب القيام في
الاخرة ودفع المكروهات واعقاب الخيرات في الدنيا قوله قال الجنة محفوفة بالمكاره والصبر آه الحديث
متفق عليه بين الخاصة والعامة روى مسلم عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلعم حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات هذا من بديع الكلام وجوامعه ومن التمثيل الحسن والحفاف الشيء وجوانبه والمعنى
انه لا يوصل الى الجنة الا بتخطي المكاره والصبر عليها ولا يوصل الى الجحيم الا بتخطي الشهوات والمرور عليها
والاطمينان بها ويدخل في المكاره الجد في العبادة والصبر على مشاقها وكظم الغيظ والصبر على الشهوات
ويدخل في الشهوات جميع المحرمات كالزنا وشرب الخمر والغيبة وامثالها واما المباحات فلا يدخل فيها
ولكن يكره الاكثار منها فانه يقسي القلب ويجر الى الرغبة في الدنيا فيجر الى المحرمات قوله اذا دخل المؤمن
قبره كانت الصلوة عن يمينه آه ظاهر اعلى تجسم الاعمال والاخلاق والروايات الدالة عليه وعلى تجسم
الاعتقادات ايضا كثيرة فلا ينبغي انكاره وحمله على التمثيل ولسان الحال وان امكن فان عجز عم عنه فانه دون
فالصبر كصاحبه صابر وكل شيء من الحرص قوله والخشي ان يكون قد وجلت الخشية الخوف والوجل والفزع
وخلاف الصبر عليك بتقوى الله والصبر امره بالصبر عند المصيبة والاجتناب عن الشكاية وغيرها
مما يوجب نقص الايمان وزواله وهما من اعظم الخصال ولذلك جمعهما الله تعالى في قوله وان تصبروا وتتقوا

فان

فان ذلك من عزم الامور تقدم عليه فلا بعد الموت او القيمة والصبر في الامور بمنزلة الراس في الجسد المراد
بالامور الامور المطلوبة شرعاً سواء كانت افعالاً او تروكاً او عقايد او اخلاقاً ولو فارقها الصبر لفسدت وتعلقة
الشيطان على العقل اذ لو لم يكن للعقل صبر في محاربته لانهزم في اول صولته واذا انهزم فسدت تلك الامور
كلها قوله ان تصبر تغتبط وان لا تصبر ينفذ الله مقادير راضياً كنت ام كارهاً الاغتباط مطاوع غبط
تقول غبطه ما نال اغبطه غبطاً وغبطه فاغتبط هو كقولك منعته فامتنع والغبط ان يتمنى حال
المغبوط لكونها في غاية الحسن والكمال من غير ان تريد زوالها عنه وليس بحسد وحال الصابر في غاية
الكمال كما نقل عن بعض الاكابر قال يقول الله تعالى لو ان ابن آدم مصدقي في اول المصائب لرأى بني العجائب
ولو اطلع الى في الثوايب لشاهد مني الغرايب ولكنه انصرف الى اشكاله فرأى اشغاله ثم الغبطة اما في الآخرة
بجزيل الاجر او في الدنيا بتبديل الضراء بالسراء وذلك لان شدة المصائب وتداخل بعضها في بعض دليل على
قرب الفرج كما قال امير المؤمنين عليه السلام اضيق ما يكون الحرج اقرب ما يكون الفرج ثم ان الله تعالى ينفذ
مقاديره على نحو ما اراد فان كنت راضياً صابراً كان لك اجر الراضي الشاكر وان كنت كارهاً ازدادة مصيبتك
فان فوات الاجر مصيبة اخرى والكراهة الموجبة لحزن القلب وتألمه مصيبة عظيمة ومن ثم قيل المصيبة للصابر
واحدة وللجازع اثنتان اقول بل له مصيبة اربعة الثلثة المذكورة وشماتة الاعداء ومن ثم قيل الصبر عند المصيبة
مصيبة على الشامت قوله قال امير المؤمنين صلوات الله الصبر صبران صبر عند المصيبة حسن جميل واحسن من
ذلك الصبر عند ما حرم الله عز وجل عليك سواء كان فعل القلب كالعجب والكبر وغيرهما من الاخلاق
الذميمة او فعل الجوارح كالزنا والغيبة وامثالها والصبر باعتبار المتعلق اقسام كثيرة متفاوتة منها
الصبر على الفقر بان يربط نفسه على رضاه تعالى ويرضى به ولا يقول ما يسخطه ومنها الصبر على الغنى بان
يصبر على اداء حقوق المالية ويترك البطر والفرح وعلى انفاق الازواج والاولاد والخدم من غير اقتار و
الاسراف ومنها الصبر على ما يأتي باختياره من فعل الطاعات وترك المنهيات بان يذكر الله تعالى عند كل
امر ونهي فيأتي بما فيه رضاه ومنها الصبر على ما يرد عليه من غير اختياره اصلاً كالمصائب والنوائب النازلة
من قبله تعالى بان يحبس نفسه عليه من غير اضطراب ولا شكاية ومنها الصبر على ما يرد عليه من غير اختياره وله
اختيار في الاتيان بمثله مثل الضرب العنيف وظلم عليه فان الاولى ان تصبروا وتعفو عنه ولا تعامله بمثله
كما قال تعالى مخاطباً لنبيه صلعم واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً قوله ولا الغنى الا بالغضب والنقل كان
ذكر الغضب على سبيل التمثيل او اريد بالاكتساب من غير حل فيشمل الطرق الغير المشروعة كلها وفي ذكر النقل

٢٥

معه اشارة الى ان اكثر الغنى مخلوف بالرذايل من التحلب بالغضب ونحوه والحفظ بالبخل وصبر على الذل وهو يقدر على العز بنيل الملك بسبب القتل والتجبر نظر الى قوله لاينال الملك **قوله** اصبر على الحق وان كان مرا وقد اشتهر ان الحق مر لكونه مما يتكرهه الطبع ويثقل عليه كالشىء المر وسره ان الحق وكل ما هو من اعمال الجنة شاقة على النفوس ومرة فى مذاقها لما فيها من مخالفة اهوائها وكسر اغراضها ومنع لذاتها ومن ثم روى افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفس واشتهر بحرع مرارة الدنيا حلاوة الاخرة بخلاف اعمال النار فانها سهلة على النفوس غير شاقة عليها لموافقة اهوائها وبلوغ مراداتها ولذاتها من التنعم باسباب الدنيا واستعمال اللهو والرفاهية **قوله** الصبر صبران صبر على البلاء حسن جميل وافضل الصبرين الورع من المحارم كان الصبر على الطاعة داخل فى الصبر على البلاء لان الطاعات ابتلاء ويمكن ادراجه فى الورع عن المحارم لان ترك الطاعة حرام فى الجملة والمراد بالصبر على البلاء بترك الشكاية الى الناس ورفض الجزع وضرب اليد على الفخذ ونحوه وامثال ذلك **قوله** كما بين السماء الى الارض التشبيه لبيان المقدار فى نفس الامر او لمجرد المبالغة فى العلو والرفعة كما بين تخوم الارض الى العرش التخوم جمع التخم كالفلوس جمع الفلس وهو منتهى الارض وفى المصباح قال ابن الاعرابى الواحد تخوم والجمع تخم مثل رسول ورسل ولعل المراد بالعرش الفلك الاعظم **قوله** قال امرنى ابو عبد الله عليه السلام ان آتى للمفضل واعزيه باسمعيل الخ قيل الفاضل اسمعيل بن ابى عبد الله عليه السلام مات والمفضل كان يحبه كثيرا ويقر بامامته بعد ابيه فارسله عليه السلام يونس بن يعقوب اليه بان يصبره ويعزيه على موته كانه عليه السلام صبر على موته فيندفع اعتقاده بامامته ويعتقد بامامة ابنه موسى عليه السلام **قوله** من ابتلا من المؤمنين بلاء فصبر الخ البلاء مطلق وكان المراد بالفرد العظيم بقرينة عظم الاجر مع احتمال حمله على الاطلاق **قوله** يا ايها الذين امنوا الخ قدم تفسيره فى باب اداء الفرائض حيث قال اصبروا على الفرائض وصابروا على المصائب ورابطوا على الائمة عليهم السلام والكل صحيح **قوله** لولا ان الصبر خلق قبل البلاء لتفطر المؤمن كما تتفطر البيضة على الضبط التفطر التشقق من الفطر وهو الشق ومن لطف الله على المؤمن بنزول البلاء عليه حين اتصافه بالصبر لثبات بالثواب الجزيل والاجر الجميل ولو نزل عليه وهو فارغ من الصبر لانكسر وفسد وفيه ايماء الى ان المؤمن هو الصابر وغير الصابر ليس بمؤمن لان الصبر رأس الايمان فاذا ذهب الصبر ذهب الايمان ويتحقق الصبر بمنع النفس من الجزع عند ورود المكروه ومنع الباطن من الاضطراب ومنع اللسان من الشكاية ومنع الجوارح من الحركات الغير المعتادة ولو تحقق مع هذه الامور التذاذ بالمكروه لكونه تحفة من الحبيب كان افضل افراده واكملها فى الجزاء ويمكن حمل قوله تعالى ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم

المهتدون

المهتدون على هذه المرتبة الشريفة لان اقرار بالاسترجاع انه ملك له تعالى ورضا منه وانه يهلك ويعود اليه فالعلم انه رضى متصرفا فى نفسه اشد رضاء التذ واكمل التذاذا وجعل الرحمة حصله ثانيا وعطفها على الصلوة يدل على انها غير الصلوة مع ان المشهور ان صلوته تعالى عبارة عن الرحمة ويمكن حملها على نوعين من جنس الرحمة والله اعلم **قوله** مروة الصبر فى حال الحاجة والفاقة والتعفف والغنى اكثر من مروة الاعطاء المروة كما قال لرجولية والفاقة للحاجة والتعفف ترك السؤال عن الناس والمراد بالغنى الغنى عنهم وفى بعض النسخ مرارة بدل المروة فى الموضعين ونقل عن بعض الافاضل انه حك نقطة الغين وهو المضبوط فى النسخ وجعله العنا بالعين المهملة وانما كانت مروة الصبر او مرارته فى الحالات المذكورة اكثر وازيد من مروة الاعطاء او مرارته لانها على النفس اشق وابعد منها انتظار الفرج من الله تعالى وفيه وجوه من العبادات الاول عبودية الرب بالاعراض عن الدنيا وزهراتها الثانى صدق التوحيد حيث يرى انه لا يفرج ما به من ضر الا هو الثالث تعلق امله به لا بغيره فانه لا كشف ضره اليه الى غيره الرابع عدم الشكاية منه الى احد وبالجملة اشرف الطاعات ان يوجه القلب همومه الى مولاه ولا يتعلق باحد سواه لعلمه بانه لا يقدر على العطاء والمنع والضر والنفع الا هو **قوله** ذلك صبر ليس فيه شكوى الى الناس ظاهره عموم الناس وهو الاولى والافضل ويمكن ان يراد بهم اعداء الله تعالى لان الشكاية الى المؤمن جائز كما دل عليه قول امير المؤمنين عليه افضل السلام من شكى الحاجة الى مؤمن فكانما شكاها الى الله ومن شكاها الى كافر فكانما شكى الله وذلك لان المؤمن حزب الله فالشكاية اليه شكاية الى الله والكافر عدو الله فالشكاية اليه شكاية عن الله والاول محمود والثانى مذموم عقلا ونقلا **قوله** من لا يعد الصبر لنوايب الدهر يعجز لان النايبة داء بدنى ومرض روحانى دواءها الصبر فمن لم يهيئا الصبر لها يعجز طبعه عن دفعها وعن حملها فيهلك بالجزع والهم ومن ثم قيل اذا وقع الانسان فى بلية دواءها الصبر فلم يصبر وجزع هلك **قوله** ابو على الاشعرى الظاهر انه احمد بن ادريس القمى الثقة وفى بعض النسخ ابو عبد الله الاشعرى وهو الحسين بن محمد بن عمران بن ابى بكر الاشعرى القمى الثقة انا صبر وشيعتنا اصبر منا صبر بالضم والتشديد جمع صابر كطلب جمع طالب وفيه دلالة على ان الصبر على الشىء لا يعلم الصابر حقيقته ما يصل اليه من محنة اعظم من الصبر عليه مع العلم بحقيقته الا يرى ان صبر من القى الى الجب على ما القيه من ظلمته ووحشته وغيرها مع عدم علمه بما يؤل اليه حاله اعظم من صبر من القى فيه مع علمه بسبب اخبار مخبر صادق كجبريل عليه السلام او بغيره بانه سيخرج ويملك سلطنة العباد كيوسف الصديق عليه السلام وهذا مما لا ينبغى انكاره ولكن كون الثواب المترتب على ذلك الصبر اعظم محل تأمل **قوله** الطاعم الشاكر له من الاجر كاجر الصائم المحتسب فى المصباح طعمته الطعم طعما بفتح الطاء

٧٦

فيه خبر الخطاب الى الخاص

وتنع على كل ما يساغ حتى الماء وذوق الشئ وفي التنزيل ومن لم يطعمه فانه منى وعلى هذا فالطاعم يصدق
على الآكل والشارب والاحتساب الاعتداد وفلان احتسب عملا اذا نوى به وجه الله لان له حينئذ ان يعتده
وفيه دلالة على ان الشكر على الاكل والشرب مثل الصوم في الاجر وقال المحقق الطوسي الشكر اشرف الاعمال
وافضلها واعلم ان الشكر مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية وله اركان ثلثة الاول معرفة المنعم وصفاته اللايقة
به ومعرفة النعمة من حيث انها نعمة ولا يتم تلك المعرفة الا بان يعرف ان النعم كلها جليها وخفيها من الله سبحانه
انه المنعم الحقيقي وان الاوساط كلها منقادون لحكمه مسخرون لامره الثاني الحال التي هي ثمرة تلك المعرفة وهي
الخضوع والتواضع والسرور بالنعم لا من حيث انها موافقة لغرض النفس فان في ذلك متابعة لهواها وقصر
همة في رضاها بل من حيث انها هدية دالة على عناية المنعم بك وعلامة ذلك ان لا تفرح من الدنيا الا بما يوجب
القرب منه الثالث العمل الذي هو ثمرة تلك الحال فان تلك الحال اذا حصلت في القلب حصل فيه نشاط للعمل
الموجب للقرب منه وهذا العمل يتعلق بالقلب واللسان والجوارح اما عمل القلب فالقصد الى تعظيمه وتحميده و
تمجيده والتفكر في صنايعه وافعاله وآثار لطفه والعزم على ايصال الخير والاحسان الى كافة خلقه واما عمل
اللسان فاظهار ذلك المقصد بالتحميد والتمجيد والتسبيح والتهليل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى غير ذلك
واما عمل الجوارح فاستعمال نعمه الظاهرة والباطنة في طاعته وعبادته والتوقي من الاستعانة بها في معصيته و
مخالفته كاستعمال العين في مطالعة مصنوعاته ومشاهدة كتابه وعلاماته واستعمال الاذن في سماع براهينه و
اياته وقس عليهما ساير الجوارح ومن ههنا ظهر ان الشكر من اشرف معارج السالكين واعلى مدارج العارفين ولا
يبلغ اليها الا من ترك الدنيا وراء ظهره وهم قليلون ولذلك قال سبحانه وقليل من عبادي الشكور والمعافى
الشاكر له اه المعافى اسم مفعول من عافاه الله اذا سلمه من الاسقام والبلايا والعافية اسم منه وهي ايضا مصدر
على فاعلة والمعطى الشاكر له من الاجر كاجر المحروم القانع المعطى ايضا اسم مفعول وضميره راجع الى الاعطاء سواء كان
من الله تعالى او من غيره والقانع من القناعة وهي الرضا بما آتاه الله تعالى او من القنوع وهو السؤال قال في المصباح قنع
يقنع قنوعا سال وفي التنزيل واطعموا القانع والمعتر والقانع السائل والمعتر الذي يطيف ولا يسأل وقنع
يقنع قنعا من باب تعب وقناعة رضيت به قوله ما فتح الله على عبد باب شكر فخزن عنه باب الزيادة مثله في نهج البلاغة
ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عليه باب الزيادة ويدل عليه ايضا الآية الكريمة ولئن شكرتم لازيدنكم
وقال بعض الاكابر من شكر القليل استحق الجزيل قوله اشكر من انعم عليك اما المقابلة بالمثل والثناء باللسان او غير
ذلك من انواع التعظيم قال بعض الاكابر اذا قصرت يدك عن المكافات فليطل لسانك بالشكر فانه لا زوال للنعماء اذا شكر

بالاعطاء

بالاعطاء او الاعتراف بها او معرفة قدرها والمدح والثناء للمنعم او الاتيان بالافعال والامتناع من الاعمال
الموافقة لاوامره ونواهيه ومن ثم قال صاحب بن عباد الشكر قيد النعمة ومفتاح الزيادة ولا بقاء لها
اذا كفرت بانكارها او استحقارها او بترك الامور المذكورة يدل على ذلك قوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابي
لشديد وزوال النعمة منه الشكر زيادة في النعم لان الشكر مع كونه نعمة اخرى سبب لتواتر النعم على الشاكر و
من ثم قال امير المؤمنين عم اذا وصلت اليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر واما من الغير اي
من تبديل النعمة بالنقمة وتغيرها وفي طرق العامة ومن يكفر بالله يلق الغير وهو بكسر الغين المعجمة وفتح
الياء اسم من غير الشئ فتغير اي يلق تغير الحال وانتقالها عن الصلاح الى الفساد وغير الدهر احداثه المغيرة
وهذا اللفظ خبر ومعناه نهي عن ارتكاب ما يزيل النعمة ويغيرها من كفرانها ومقابلتها بسائر المعاصي الموجبة
لتبدل النعمة وانكسار الحال قوله قال الذي انعم عليك بما فضلك اه الظاهر انه تفسير للنعمة للاشعار بان المراد
بها جميع ما انعم الله على عبده من الدين والعلم والمال وغيرها والتحدث بها او انها شكر والمظهر لها شاكر
كما انه تعالى شاكر باعتبار انه يظهر ما اودعه العبد من العبادة والاعمال الصالحة على الملئكة وخلص خلقه
والتحدث بها مع كونه عبادة مطلوبة قد يورث اقتداء الغير به واذاعة الشكر بين الخلق وهذا انما هو مع
الامن واما مع الخوف فالاقتصار على الشكر القلبي متعين ثم قال فحدث بدينه وما اعطاه الله وما انعم
به عليه الظاهر ان فاعل حدث رسول الله صلعم يعني ان حدث الناس باثار الرسالة من الاحكام الدينية و
٧٧ الاخلاق النفسية وغير ذلك مما اعطاه من نعم الدنيا والاخرة قوله قال كان رسول الله صلعم عند عايشة
ليلتها فقالت يا رسول الله لم تتعب نفسك اه كان عايشة توهمت ان ارتكاب الاشق انما يكون لدفع
المولم وطلب المغفرة من الذنوب فاجابها صلعم بقوله يا عايشة الا اكون عبدا شكورا يعني ان ارتكاب الاعمال
الشاقة لا يتعين ان يكون لذلك بل قد يكون من باب الشكر في مقابلة نعم الغير المحصورة ورفع الدرجات
واستلذاذ العبادات فان ما يجده قائم الليل من اللذة في العبادة لا يوازيها الدنيا وما فيها وقال بعض
اهل العرفان انا في لذة لو علمها الملوك لجادلونا عليها بالسيوف وكانه وجه ما يحكى عن كثير من السلف من
الجد والاكثار في العمل مع ان ظاهر كثير من الاخبار ان الراجح هو التوسط وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر اشارة الى قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر توجيهه
على ما استفدناه من كلام ابي الحسن الرضا عم وكلام الشيخ في الاربعين انه صلعم كان اعظم ذنبا من كل احد
عند مشركي مكة باعتبار انه كان يدعوهم الى اله واحد وهم كانوا يعبدون من دون الله ثلثمائة وستين صنما

وكانوا يقولون ان مكنه الله من بيته وحكمه من حرمه تبينا انه حق فلما فتح الله له مكة دخلوا في
دين الله افواجا واذعنوا بنبوته وتركوا عبادة الاصنام فنزلت الاية ومعناها انا فتحنا لك مكة ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر بعدها الى اوان الفتح بزعم المشركين مكة وهذا الجواب بالنظر الى الاية
احسن مما قيل من ان المراد ما تقدم من ذنب ابويك آدم وحوا وما تأخر من ذنب امتك او ما تقدم من ذنب
امتك وما تأخر منه ايضا لانه لا يصلح تعليل الفتح بغفران الذنب الا بتكلف بعيد كان يقال لما كان الفتح
متضمنا الجهاد صح بهذا الاعتبار جعله سببا لغفران الذنب المتقدم والمتأخر ولا يخفى بعده واما الجواب
المذكور فاستقامة التعليل تما لا ريب فيه طه ما انزلنا عليك القران لتشقى اى لتتعب والشقا شايع
بمعنى التعب والشدة والعسر قوله ثلث لا يبصر معهن شيئ الدعا عند الكرب له لان الدعا يدفع الكرب ويوجب
زواله والاستغفار يوجب محو الذنوب والسيآت وتبدلها بالحسنات والشكر على النعم يوجب عدم
الاستدراج بها وعدم زوالها وتبدلها بالنقم بخلاف كفرانها ومقابلتها بالمعاصى فانه يوجب زوالها او النعمة
يقع على ما يتمتع به في الدنيا وعلى العلم والعمل والاخلاق والمجاهدات النفسانية وكسر القوة الشهوية و الغضبية
وغيرها قوله معرفا بقلبه وحمد الله ظاهرا بلسانه اى بصورها وصدق بانها من الله وفيه اشعار بان الزيادة
وفوزيتها يترتب على الشكر القلبى واللسانى معا قوله قال شكر النعمة اجتناب المحارم وتمام الشكر قوله دل على ان
اجتناب المحارم شكر للنعمة نعم وان الحمد لله رب العالمين فرد كامل من الشكر لانه شكر لله على جميع كمالاته
الذاتية والفعلية مثل التربية والاحسان والانعام وغيرها قوله يحمد الله على كل نعمة عليه في اهل ومال
يحتمل الاجمال والتفصيل وقوله في ماله بدل عن قوله فيما انعم الله عليه وهو يدل على ان اداء الواجبات المالية
شكر لنعم المال ومنه اى من الشكر قوله تم سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين اى مطيقين يقال
اقرنت الشيئ اى اطقته وقويته عليه ويقال هذا عند الاستوا على الدابة وقوله رب ادخلنى مدخل صدق
واخرجنى مخرج صدق اى ادخلنى في القبر او في مكان او امر او الاعم او حالا مرضيا واخرجنى منه عند البعث
او الاعم منه ومما ذكر اخراجا معززا بالكرامة واجعلنى لى من لدنك سلطانا نصيرا اى حجة تنصرنى على من خالفنى
او ملكا ينصر الاسلام على الكفر قوله وكان الحمد افضل من تلك النعمة لعل المراد ان الحمد نعمة افضل من تلك النعمة وفيه
تنبيه على ان العبد لا يقدر على شكر النعمة حق الشكر او المراد ان الحمد باعتبار انه يوجب القرب منه تم والوصول
الى محل كرامته افضل من تلك النعمة لنقصان اثرها بالنسبة الى اثر الحمد قوله من انعم الله عليه آه المراد بنعمة فيها
معرفتها مضافة الى المنعم ومن عرفها كلك وان كانت صغيرة وعرف قدرها فقد ادى شكرها وهذا شكر قلبى وهو فرد

تم بيان قوله فقد ادى شكرها ع

من الشكر

٧٨

من الشكر وقيل نظر العبد الى من دونه لا الى من فوقه شكر لما انعم الله عليه وبالعكس كفران وذلك لان الانسان
اذا نظر الى من دونه عرف قدر نعم الله عليه وهذا شكر لجامع انه يفضى الى الشكر ايضا واذا نظر الى فوقه طلب
اللحاق به فازدرى ما انعم عليه واحتقرها وهو كفران قوله انه لياخذ الاناء فيضعه على فيه فيسمى آه دل على ان
الشرب ينبغى ان يكون ثلث مرات وان يكون التسمية في اول مرة والحمد بعد كل مرة وبعض الروايات دل
على ان التسمية في اول كل مرة قوله وقد خشيت ان يكون ذلك استدراجا في المصباح استدرجه اخذه
قليلا قليلا وفي الصحاح استدرجه خدعه واستدراج الله تعالى العبد انه كلما جدد خطيئة جدد له نعمة
وانسا الاستغفار او ان ياخذه قليلا ولا يباغته قوله كان رسول الله صلعم اذا ورد عليه امر يسره قال الحمد لله
على هذه النعمة واذا ورد عليه امر يغتم به قال الحمد لله على كل حال اى على حال النعمة والبلية والنعمة لان كل
ذلك مصلحته فينبغى الحمد عليها وفيه مع ذلك اشارة الى انه تعالى كامل في ذاته وصفاته مستحق للحمد احسن او لم يحسن والى
ان نظر الحامد ينبغى ان يكون اليه لا الى منافع نفسه فينبغى الشكر على البلاء كما ينبغى الشكر على النعماء
لان كل بلاء غير الكفر والمعصية خير للعبد قال الغزالى في كل بلاء خمسة انواع من الشكر الاول
يمكن ان يكون واقعا اشد منه كما ان موت دابته دافع لموت نفسه فينبغى الشكر على عدم ابتلائه بالاشد الثانى
ان البلاء اما كفارة للذنوب او سبب لرفع الدرجة فينبغى الشكر على ازالة تلك الذنوب ورفع الدرجة
الثالث ان البلاء مصيبة دنيوية فينبغى الشكر على انه ليس مصيبة دينية وقد نقل ان عيسى عم مر على
رجل اعمى مجذوم مبروص مفلوج فسمع منه شكر ربه ويقول الحمد لله الذى عافانى من بلاء ابتلى به اكثر
الخلق فقال له عم ما بقى من بلاء لم يصبك قال عافانى من بلاء هو اعظم البلايا وهو الكفر فمسه عم فشفاه
الله من تلك الامراض وحسن وجهه فصاحبه وهو يعبد معه الرابع ان البلاء كان مكتوبا في اللوح
المحفوظ وكان في طريقه لا محالة فينبغى الشكر على انه مضى ووقع خلف ظهره الخامس ان بلاء الدنيا
سبب لثواب الاخرة وزوال حب الدنيا عن القلب فينبغى الشكر عليهما قوله اذا نظرت الى المبتلى من غير
ان تسمعه لئلا يكسر قلبه ولا يحزنه والظاهر من المبتلى المبتلى بالبلايا المعروف ويمكن حمله على الاعم منه فيشمل
المبتلى بالمعصية لان المعصية بلاء عظيم الا ان قوله من غير ان تسمعه لا يلايمه قوله اذا رايت الرجل
قد ابتلى اى قد ابتلى بالفقر او السقم او غيرها اللهم انى لا اسخر اى لا استهزى ولا اسخر منه وبه كهرم حزنى مثله
قوله يا موسى اشكرنى حق شكرى فقال يا رب كيف اقول اديت حق فلان اذا قابلت احسانه باحسان
والمراد هنا طلب اداء شكر نعمته على وجه التفصيل وهو لا يمكن من وجوه الاول ان نعمه غير متناهية

لا يمكن احصاؤها تفصيلا فلا يمكن مقابلتها بالشكر الثاني ان كل ما نتعاطاه مستندا الى جوارحنا وقدرتنا
من الافعال فهي في الحقيقة نعمة وموهبة من الله تعالى وكذلك الطاعات وغيرها نعمة منه فتقابل نعمته بنعمته
الثالث ان الشكر ايضا نعمة منه فمقابلة كل نعمة بالشكر يوجب العجز وهو غير مقدور للعبد وقول موسى ع
يا رب كيف اشكرك حتى شكرك الى آخره يحتمل الوجهين الاخيرين وروي ان هذا الخاطر خطر لداود ع
ايضا فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك فاوحى الله تعالى
اذا عرفت هذا فقد شكرتني واما ما يقال في العرف من ان فلانا مؤد لحق الله فمعناه ان التكاليف التي هي حقوقه تعالى
له وذلك الاداء في الحقيقة من اعظم نعم الله تعالى على عبده قال الله عز وجل يمنون عليك ان اسلموا قل
لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين قوله اللهم ما اصبحت بي من نعمة
الاصباح الدخول في الصبح وقد يراد به الدخول في الاوقات مطلقا وما الموصولة مبتدا والعائد اليه
مستتر في الظرف والظرف وهو بي مستقر حال عن الموصول اي متلبسا بي ومن نعمة بيان له وسنذكر خبره
والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط بمعنى ان ما بي من نعمة سبب الحكم بكونه منه تعالى وفيه دلالة على ان الشكر
الشكر الاجمالي يقوم مقام الشكر المفصل قوله من صدق الله نجى تصديقه في تكاليفه عبارة عن الاقرار
بها والاتيان بمقتضاها وفي نعمائه عبارة عن معرفتها بالقلب ومقابلتها بالشكر والثناء قوله اشكرت فلانا
فيقول بل شكرتك يا رب فيقول لم تشكرني اذ لم تشكره لعل معناه ان الله تعالى لا يقبل شكر العبد على
احسانه اليه اذا كان العبد لا يشكر احسان الناس اليه ويكفر معروفهم لاتصال احد الامرين بالآخر و
الحاصل ان من لم يشكر الناس كان كمن لم يشكر الله وان شكره وقيل معناه ان من كان في طبعه وعادته كفران
نعم الناس وترك الشكر لهم كان من عادته كفران نعم الله وترك الشكر له ولا ينافي هذا الخبر ما روي عن
امير المؤمنين ع قال ولا يحمد حامد الا ربه حيث قصر الحمد والثناء على الله لان المراد انه سبحانه ولي كل نعمة
يستحق بها الحمد وان كل حمد يرجع اليه في الحقيقة كما صرح به جماعة من المحققين وقد يجاب بان الخبر
تحمل المشقة بحمل رزق الله اليك فالنهي عن الحمد لغير الله على اصل الرزق لان الرازق هو الله والترغيب
في الحمد له على تكلف من حمل الرزق وكلفة ايصاله باذن الله ليعطيه اجر مشقة الحمل والايصال والحمد
هناك شكر اي شكر للرزق وهو لله وشكر للحمل وهو للغير ويؤيده ما روي في طرق العامة ولا تحمدن
احدا على رزق الله وقيل النهي مختص بالخواص من اهل اليقين الذين شاهدوه رازقا وشغلوا عن رؤية الوسائط
فمنعهم من الاقبال عليها الا انهم يتولى جزاء الوسائط عنهم بنفسه والامر بالشكر مختص بغيرهم من لاحظ

والوسايط

باب حسن الخلق

٧٩

والوسايط كالاكثر لان فيه قضاء حق السبب ايضا والتعميم اولى لان الواسطة في الخير ايضا عزيز كما جاء
ويستحق الشكر مثله وقد شكر الله عبده مع كمال غناه عنه فقال نعم العبد انه اواب وقال انه كان صديقا
نبيا قوله ان اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا فان الايمان الكامل لا يتحقق الا بتحقق الباطن
بالمعارف الالهية والعلوم الربانية والفضائل النفسانية واشتغال الظواهر بالاعمال الحسنة المرضية وذلك
يتفاوت بحسب تفاوت الجذبات الربوبية فمن كان ذلك الشروق والعلوم والاشتغال والفضائل فيه
اتم كان ايمانه اكمل وظاهر ان من جملة تلك الفضائل هي حسن الخلق وهو انما يحصل من الاعتدال بين الافراط
والتفريط في القوة العقلية والشهوية والقوة الغضبية ويعرف ذلك بمخالطة الناس بالجميل والتودد و
الصدق والصلة واللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة والمراعاة والمواساة والرفق والحلم والصبر و
الاحتمال لهم والاشفاق عليهم وبالجملة حسن الخلق تابع لاستقامة جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة و
حالة نفسانية يتوقف حصولها على اشتباك الاخلاق النفسانية واشتباك بعضها عن بعض ومن ثم قيل
هو حسن الصورة الباطنة التي هي صورة الناطقة كما ان حسن الخلق حسن الصورة الظاهرة وتناسب الاجزاء
من الانف والعين والحاجب والفم وغيرها الا ان حسن هذه الصورة الظاهرة ليس بمقدورنا واختيارنا
بخلاف حسن الصورة الباطنة فانه من فيض الحق وقد يكون مكتسبا ولهذا تكررت الاحاديث على الحث به
وتحصيله في مواضع عديدة قوله ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيمة افضل من حسن الخلق دل على ان الثواب و
العقاب يتعلقان به كما يتعلقان بالاعمال الظاهرة بل قيل تعلقهما به اكثر من تعلقهما بها وعلى ان الاخلاق
توزن يوم القيمة ولعل المراد انها توزن بعد تجسمها في تلك النشاة وهو المشهور بين اهل الاسلام وعليه
الروايات المتكثرة وقيل وزنها كناية عن التسوية والعدل لان الاعراض لا يعقل وزنها وقال الشيخ العرض
في هذه النشاة قد يتجسم في الآخرة وبسط الكلام في توجيهه في الاربعين قوله اربع من كن فيه اي خصال
اربع فاربع خلف من موصوف وهو المصحح للابتداء بها وجملة الشرط بعده خبره وان كان من قرنه الى قدمه
ذنوبا مبالغة في كثرة ذنوبه او كناية عن تجسمها او عن صدورها من كل جارحة من جوارحه وحملها
على الصغائر يحتمل كحملها مطلقا قوله وهو الصدق واداء الامانة هذه الاربعة اعني صدق اللسان او
الاعضاء واداء امانة الخالق والخلق والحياء المانع مما يذم وحسن الخلق معهم مانعة من ارتكاب الذنوب
وماحية لما سبق منها كبيرة كانت او صغيرة واحتمال تخصيصها بالصغيرة بعيد قوله من ان تبيع الناس
بخلقك وان كان الناس يسوءه قيل لبعض الكرام قد اجترا عليك خدمك حتى انهم ما يجيبون نداءك

فقال ان مثلت بين ان يفسدوا ويفسد خلقي فوجدة فسادهم اهون علي من فسادي قوله اكثر ما يلج به
امتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق لان بالتقوى يستقيم الامر مع الله وبحسن الخلق يستقيم النظام مع الناس
وهما من اعظم الاسباب للدخول في الجنة لان صاحبهما طيب والجنة للطيبين قوله ان الخلق الحسن يميث
الخطيئة كما يميث الشمس الجليد الميث والموث الاذابة مثت الشي اميثه واموثه من بابي باع وقال
فانماث اذا دفته وخلطته بالماء واذبته والجليد هو الماء الجامد من البرد وذلك لان حسن الخلق لكونه
مستلزما الكثير من الفضائل الظاهرة والباطنة يطهر الظاهر والباطن من الاعمال القبيحة فانه يمنع اليد
من الضرب واللسان من الشتم والفحش والقلب من الحقد والحسد والكبر وقس على ذلك قوله البر وحسن الخلق
يعمران الديار ويزيدان في الاعمار لانهما من اعظم اسباب العشرة والخلطة والتعاون وذلك يوجب تعمير
الديار والبلاد واما انهما يزيدان الاعمار فبالخاصية او باعتبار دعاء كل لكل او باعتبار انهما يوجبان
رفع العداوة الموجبة للقتل والفساد قوله وان كان صاحبكم لحسن الخلق ان مخففة بدليل اللام في خبر
كان وليس للشرط واتيوبخ جزا بل هو ابتداء كلام فكانما رملت بها بل عليهم اي نصب عليهم من هلت
الدقيق في الجراب هيلا من باب ضرب صببته وقال ابو زيد هلت من التراب صببته بلا رفع اليدين
يقرب منه قول الازهري هلت التراب والرمل وغير ذلك اذا ارسلته يجري وبعضهم يقول انهلت
الرمل حركت اسفله فسال من اعلاه قوله ان الخلق منيحة يمنحها الله عز وجل خلقه المنيحة والمنحة العطية
والمنح الاعطاء فمنه سجية ومنه نية السجية الخلق والطبيعة والنية المكتسبة بقرينة المقابلة يقال
نويته انويه اي قصدته والاسم النية مثقله والتخفيف لغة وهذا صريح في ان الخلق منه طبيعي غريزي
خلقه الله في بدو الفطرة ومنه مكتسب بان يتمرن عليه حتى يصير كالغريزة فبطل قول من قال انه غريزي
لا مدخل للاكتساب فيه وصاحب النية يصبر على الطاعة تصبرا هو افضلهما يشير اليه قول امير المؤمنين
عليه السلام وعود نفسك الصبر على المكروه فنعم الخلق الصبر وفيه اشارة الى الصبر المكتسب والترغيب فيه
والمراد بالتصبر تحمل الصبر بكلفة ومشقة لكونه غير خلقي وهو محمود عند الخلائق ومشكور لدى الخلاق
وليس المراد به المها والصبر مع عدم اتصافه به اذ لا تحصل له قوله قال الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب
على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله لاشتراكهما في حفظ نظام الخلق ورعاية حقوق اهل الايمان
واصل الجهاد مع النفس والعدو يغدو عليه ويروح حال عن المجاهد اي يغدو المجاهد في سبيل الله
ويروح اي يذهب فيه اول النهار او مطلقا ويرجع او يذهب في آخره او مطلقا والمقصود ان ثواب العبد

وحسن

في حسن خلقه مثل ثواب هذا المجاهد الساعي في الجهاد المستمر فيه وفي المصباح غدا غدوا من باب قعد ذهب غدوة
وهي ما بين صلوة الصبح وطلوع الشمس ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق اي وقت كان وراح
يروح رواحا اي رجع كما في قوله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر اي ذهابها شهر ورجوعها شهر وقد
يتوهم بعض الناس ان الرواح لا يكون الا في آخر النهار وليس كذلك بل الرواح والغدو عند العرب يستعملان
في المسير اي وقت كان من ليل او نهار قاله الازهري وغيره وعليه قوله عليه السلام من راح الى الجمعة في اول النهار
فله كذا اي ذهب قوله ان الله تبارك وتعالى اعار اعداءه اخلاقا من اخلاق اوليائه اشار بالاعارة الى ان اخلاقهم الحسنة لا تبقى
بعد موتهم ولا تنفعهم فيما بعده وانما هي كالعارية فيهم لمصالح المؤمنين وحفظهم عن غائلتهم قوله
فان استطعت ان لا تخالط الناس الا كانت يدك العليا عليه فافعل كانه اريد باليد العليا المنعمة او المعطية
فان اليد العليا منفقة معطية واليد السفلى سائلة آخذة او اريد بها اليد اليمنى فان اليمنى اعلى من اليسرى
في القوة وهي على التقديرين من حسن الخلق كما يشعر به التعليل قوله حسن الخلق يسر اي سبب لليسر لان الناس
مجبولون بحسب الجبلة على التيسير بحسن الخلق ورعايته الا ما خرج بحديث ما هو في يدي احد من اهل المدينة في ٨٠
صفة الحديث وما نافيه قوله فنام لها النبي صلى الله عليه وسلم حسن الخلق من صفات الانبياء والاولياء واكملهم وافضلهم
هذه الفضيلة هو نبينا صلى الله عليه وسلم ولذلك وصفه الله تعالى بقوله انك لعلى خلق عظيم فان تنكيره مع وصفه بالعظيم يدل
على انه في علو قدره بحيث لا تصل اليه عقول البشر ولا تحوم حوله طاير الفكر والنظر فاخذه هدبة من ورائه ثوبه
هدبة الثوب مثال طرته والقطعة منه مثال غرفة وضم الدال للاتباع لغة قوله الموطؤن اكنافا هذا مثل
لان طبعه وحسن خلقه وحقيقته من التوطئة والتمهيد والتذليل وفراش وطيء اي تذلل ناعم لا يؤذي
جنب النائم والاكناف جمع الكنف بالتحريك وهو الجانب والناحية اراد الذين جوانبهم ونواحيهم وطيئة
يتمكن منها من يصاحبهم ولا يتأذى بخلاف سيء الخلق والمتكبر الذين يالفون ويؤلفون اي يانسون
بالناس ويحبونهم ويجتمعون معهم وفي المصباح الفته الفا من باب علم انست به واحببته والاسم الالفة
بالضم والالفة ايضا اسم من الائتلاف وهو الالتئام والاجتماع واسم الفاعل آلف مثل عالم والجمع الاف
مثل كفار ويوطأ رحالهم للزيارة او الضيافة او لقضاء الحاجة ورحل الرجل منزله وماواه واثاث بيته
فيه ترغيب في حسن الخلق لانه موجب لذلك كما قال امير المؤمنين عليه السلام اكرم الحسب حسن الخلق وانما كان اكرم لانه
اكثر فائدة واوفر عائدة قوله ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف لان عدم الالفة في اهل الدين يوجب تفرقهم
وتبددهم وتقاطعهم وتفرقهم فيه وتدابرهم وعداوتهم وكل ذلك يوجب زوال الخير عنهم كما هو المعلوم

باب حسن البشر

المتقاطعين قوله يا بنى عبد المطلب انكم لن تسعوا الناس باموالكم الوسع والسعة الجدة والطاقة اى لا تسع لهم اموالكم
لعطائهم ورفع احتياجهم فوسعوا اخلاقكم لصحبتهم كما اشار اليه بقوله فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر
اى فالقوهم باستنارة الوجه وبشاشته وانبساطه وهو من لوازم التواضع وحسن الخلق قوله الانفاق من
اقتار الاقتار والقتر التضيق فى الرزق يق اقتر الله رزقه وقتره ضيقه وقلله وذلك بان ينقص من كفافه
شيا ويعطيه من هو احوج منه او من لا شئ له او بان ينفق مع ضيقه فيكون ترغيبا فى الايثار كالاثر والبشر
لجميع العالم البشر بالكسر طلاقة الوجه وبشاشته وهو مطلوب اما للمومنين فلعلاقة الايمان ولزوم ودّهم واما
لغيره فلحفظ النفس ودفع الضرر عنها وعن المومنين كما قيل ودارهم ما دمت فى دارهم والانصاف فى نفسه
انصفت الرجل انصافا عاملته بالعدل والقسط والاسم النصفة بفتحتين لانك اعطيته من الحق ما تستحقه
لنفسك فالمراد به التسوية بين نفسه وبين غيره وعدم رجحان نفسه عليه فى شئ ماخوذ من النصف قوله
تلين جناحك اى تواضع لخلق الله وقد امر الله به سيد المرسلين فقال واخفض جناحك للمومنين وفيه
استعارة تمثيلية وتطيب كلامك ومنه ان تسمى اخاك باحسن اسمائه ولا تغلظ فى نحو قوله يكسبان المحبة
اى محبته تعم بمعنى او فاضة الرحمة والاحسان او محبة الخلق له ويويد الاول قوله ويبعدان من الله لان الظلم
ان ترتب على احد الضدين نقيض ما ترتب على الضد الآخر قوله حسن البشر يذهب بالسخيمة اى بالضغينة و
الموجدة والحقد قال امير المومنين عم البشاشة حبالة المودة اراد ان طلاقة الوجه وحسن البشر تصطاد القلوب
بها ولاحظ مشابهته الطلاقة بالحبالة ومشابهة القلوب بالصيد قوله ان الله عز وجل لم يبعث نبيا الا

باب الصدق واداء الامانة

بصدق الحديث صدق الحديث دائما تابع لملكة استقامة اللسان التابعة لاستقامة القلب ومن ثم قيل
اذا استقام القلب استقام اللسان واستقامة القلب تابعة لاستقامة الحقيقة الانسانية وتمام صورته
المعنوية وهذا مستلزم لفيضان النفس القدسية على تفاوت مراتبها واعلى مراتبها للانبياء والمرسلين وما
دونه لخواص المومنين ومن هذا يتحقق التناسب بينهما واداء الامانة الى البر والفاجر كما قال الله تع ان الله يامركم
ان تودوا الامانات الى اهلها وقد ابتلى به جم غفير من الناسكين وليس لاحد من الناس اعظم منه قوله من صدق
لسانه زكا عمله لان صدق اللسان تابع لطهارة القلب وهى مستلزمة لزكوة عمله وطهارته ونموه وبركته و
المدح عليه وايضا اللسان مورد لجميع الاعضاء الظاهرة والباطنة ومناول المدركات جميعها فصحته و
صدقه فى الحديث توجب صحة جميع الاعضاء وصدور الاعمال الصحيحة منها فلذلك يزكو عمله على الاطلاق
كما ان مرضه وهو الكذب يوجب مرض جميع الاعضاء وصدور افعال المرضى منها فلذلك لا تزكو شيا من اعماله

وايضا علة صدقه وهى الخوف من الله تع والفرار من اللوم فى وقت ما وهو وقت ان يسال عن اعماله الصالحة
واضطراره الى الجواب عنها يبعثه على تذكير الاعمال قوله قال لى ابو جعفر عم فى اول دخلة دخلت عليه
تعلموا الصدق قبل الحديث الظاهر ان القبل متعلق بتعلموا وفيه ترغيب فى التفكر فى الكلام ليعرف الصدق
ثم التكلم به ومثله قول امير المومنين عم لسان العاقل وراء قلبه وقلب الاحمق وراء لسانه يعنى ان العاقل
يعلم الصدق والكذب اولا ويتفكر فيما يقول لما هو الحق والصدق والاحمق يتكلم ويقول من غير تامل و
تفكر فيتكلم بالكذب والباطل كثيرا وانما قلنا الظاهر لاحتمال ان يكون بدلا من قوله فى اول دخلة او متعلق
بقال يعنى قال عم ابتداء قبل التكلم بكلام آخر تعلموا الصدق ولكنه بعيد لفظا ومعنى قوله ان الصادق اول
من يصدقه الله آه فالكاذب اول من يكذبه الله ثم نفسه وفيه ترغيب فى الصدق وتنفير عن الكذب
لان العاقل ينفر عن تكذيب المخاطب ويستنكف عنه كما قال موسى عم رب انى اخاف ان يكذبون فكيف
اذا كان المخاطب هو الله عز وجل قوله ان الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقا الصديق فعيل للمبالغة فى الصدق
٨١ وهو يطلق على فعل اللسان اذا طابق الواقع فلو قال ضرب زيد وهو لم يضرب او قال وجهت وجهى للذى فطر
السموات والارض وكان وجه قلبه الى غيره تع مثل الدنيا وغيرها فهو كاذب وعلى فعل القلب مثل النية
وصدقها بتجريدها عن غير وجه الله تع وهو الاخلاص والعزم على الخيرات مع عقد القلب عليها ان وجد ما لا
فلو كان بدون العقد كان كاذبا وعلى التوافق بين الظاهر والباطن فلو كان الظاهرة وقار لصدق بان يكون
لباطنه ايضا وقار وعلى كل مقام من مقامات الدين اذا حصلت حقيقته مثل الصوم والصلوة والحج والزهد
والتوكل والمحبة والخوف والرجاء والرضا والشوق وغيرها فان هذه الامور صادقة اذا حصلت حقيقتها
للمتصف بها وكاذبة اذا لم تحصل وعلى الوعد اذا وفى بها كما قال سبحانه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
ومن بلغ فى هذه الامور وغيرها حد الكمال لو في بما مثله فهو صديق قوله لا تنظروا الى طول ركوع الرجل وسجوده

باب الحياء

او اريد بطولهما الحقيقة او كثرة الصلوة وتخصيصهما بالذكر من بين الاعمال البدنية على سبيل التمثيل
للتنبيه على ابهام زيادة الفضيلة اذا لم يعتد بغيرهما اولى بعدم الاعتداد قوله الحياء من الايمان الحياء
وصف للنفس يوجب انقباضها عن القبيح وانزجارها عن خلاف الآداب خوفا من اللوم وانما جعل بعض
من الايمان الكامل المعتبر فيه الاعمال والحياء لكونه داعيا الى فعل المامورات وترك المنهيات جزء منه و
بعبارة اخرى الايمان تصديق واقرار وايتمار بالمامور به وانتهى عن المنهى عنه فاذا حصل الايتمار
والانتهاء بالحياء كان الحياء بعض الايمان وجزءا منه او المراد ان الحياء من شيم اهل الايمان ومكارم اخلاقهم

ومحاسنه التي ينبغي التخلق بها قوله اعني عي اللسان لا عي القلب العي بالكسر يطلق على معنيين احدهما في اللسان وهو لكنته وفهاهة توجب العجز عن البيان والافصاح بمراد الانسان وثانيهما في القلب توجب العجز عن ادراك الحق وابصار المعقولات فاشار عم الى انه ليس المراد به المعنى الثاني الذي ينقص الايمان به نقصانا فاحشا بل المراد به المعنى الاول الذي يوجب نقصان الدنيا وزيادة الاخرة والايمان والمعنى ان الحيا الذي يوجب نقصان الدنيا وزيادة الاخرة والايمان والمعنى ان الحياء الذي يوجب مراقبته تعم ومراعات اوامره ونواهيه واداب والعفاف عن كثير الدنيا او من المعاصي او عن السوال وعي اللسان وهو قصوره عن البيان او حفظه عن التكثر فيه والتناول للاقوال الباطلة والمباحثة من الايمان اي من قبيله في المنع عن القبائح او من افراده او من اجزائه او من شيم اهله ومحاسنه التي ينبغي التخلق بها قوله من رق وجهه دق علمه لعل المراد ان من ضعف حياؤه ضعف عمله لتوغله في القبائح وهو يوجب نقصان العلم او المراد ان من ضعف وجهه من السوال في العلوم لحياء الحق المانع منه ضعف علمه وفي هذا المعنى ما نقل من انه قيل لبعض الحكماء بم بلغت ما بلغت قال بعدم الاستحياء من السوال في استكشاف الامور وحل الاشكال قوله الحياء والايمان مقرونان في قرن آه القرن بالتحريك الحبل الذي يشد الاسيران به والمعنى ان الحياء والايمان مجموعان في حبل واحد فاذا ذهب احدهما ذهب الاخر وتبعه وفيه اشارة الى ان بينهما تلازما والى ان الحياء ليس جزء من الايمان ولا فردا منه فلا بد من القول به او حمل الايمان هنا على التصديق والقول بانه لا يستقر في القلب بدون الحياء قوله لا ايمان لمن لا حياء له لما عرفت من انهما مقرونان في حبل واحد اذا ذهب احدهما تبعه الاخر وان اريد بالايمان الايمان الكامل وجعل الحياء جزءا منه فالوجه ظاهر قوله الحياء حياآن آه قد ذكرنا في اول الباب ان انقباض النفس عن فعل الخير حياء مجازا كاستحياء المراة عن تعلم مسائل الحيض واحكام غسل الجنابة مثلا وان تقسيم الحياء اليه وهو حياء الحمق والى حياء العقل الموجب للانقباض عن القبيح لا يدل على انه حقيقة في كلا القسمين قوله العفو عمن ظلمك من صفات الكرام العفو عن الظالم والتجاوز عن المثني ومن صفات اللئام الانتقام وطلب التشفي والمغافرة لدفع الغيظ وهو آفة نفسانية تعتري الجهال والناقصين من اجل تاثر نفوسهم عن كل ما يخالف هواها وتصل من قطعك باليد واللسان ومراقبة احواله في كل زمان والاحسان الى من اساء اليك وهو الاحسن من الاحسان الى من احسن اليك واعطا من حرمك فاذا احسنت الى احد ولم يقابل احسانك باحسان او لم يشكرك او اساء اليك لا ترغب عن الاحسان اليه والى غيره بسبب الكفران فانه اذا لم يشكرك فقد شكرك غيره ولو لم يشكرك احد فان الله يحب المحسنين

باب العفو

كالنبي

كما نطق به القران المبين وكفا به شرفا وفضلا قوله فان العفو لا يزيد العبد الا عزا في الدنيا لان من عرف بالعفو ساد وعظم في القلوب فيزيد عزه او في الاخرة لانه يوجب زيادة الاجر ورفع الدرجة قوله الندامة على العفو افضل وايسر من الندامة على العقوبة اما انها ايسر فلان الفعل الواقع اذا ندم عليه لا يمكن عدم ايقاعه قطعا بخلاف غير الواقع اذا ندم على عدم ايقاعه فانه يمكن ايقاعه غالبا فالتدارك في الاول متعذر وفي الثاني ممكن وقد تنبه بهذا بعض الملوك فقال ينبغي ان يكون عفو الملك اكثر من عقوبته لانه ان عفى في مقام يقتضي العقوبة واخطا فندم عليه امكنه ان يتدارك ويعاقب وان عاقب في مقام يقتضي العفو واخطا فندم عليه لا يمكنه التدارك واما انها افضل مع ان الامر في الندامة على العفو راجع الى هواها ومقتضاها في القوة الشهوية والغضبية وفي الندامة على العقوبة راجعة الى الله والى خلاف مقتضاها المطلوب شرعا وعقلا فاما لان الندامة تابعة للعفو الذي هو افضل وتابع الافضل افضل ولا ينافيه افضلية الندامة على العقوبة نظرا الى ذاتها ففيه ترغيب في العفو وتنفير عن العقوبة او لان العفو اذا ندم دل ذلك على كمال استحقاق العقوبة بخلاف المعاقب اذا ندم فانه لا يدل ذلك على كمال استحقاق العفو فالندامة على العفو زيادة فضل ورجحان وهذا الوجه في غاية البعد او لانها ايسر وهذا اقرب الوجوه قوله قد اخذ كارة هي مقدار معلوم من الطعام وقدر ما يحمل على الظهر قوله اذهب فهي لك دل على ان العفو عن السارق واعطاء المسروق اياه افضل وهذا من صفات الكرام قوله اتي باليهودية التي سمت الشاة آه العفو عنها في هذه الصنيعة العظيمة الشديدة على النفوس دل على عظمة قدر العفو وعلو منزلته ومثله رواه مسلم عن انس ان امراة يهودية اتت رسول الله صلعم بشاة مسمومة فاكل منها فجئ بها الى رسول الله صلعم فسالها عن ذلك فقالت اردت ان اقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك او قال علي قالوا الا نقتلها قال لا وروى غير مسلم انها لما اعترفت قالت انما فعلت ذلك لاني ان كنت نبيا لم يضرك وان كان كاذبا ارحت الناس منك فمال انه شفاه في ذلك الوقت ولكن بقي فيه اثر ما فعلته بعد حين ولذلك قال العلماء ان الله سبحانه قد جمع له بذلك بين كرم النبوة وفضل الشهادة ولا ينافي ذلك قوله صلعم ما كان الله ليسلطك على ذلك لان المعنى ما كان الله ليسلطك على قتلي الان وقال وفي كفاية الله له صلعم امر السم المهلك لغيره معجزة وقال محيي الدين اختلفت الروايات هل قتلها ففي هذه انه لم يقتلها وفي رواية مسلم انه قتلها وفي رواية ابن عباس انه دفعها الى اولياء بشر وقد كان اكل من الشاة فمات فقتلوها وقال ابن سحنون اجمع المحدثون على انه قتلها وقال عياض وجه الجمع انه لم يقتلها اولا حين اطلع على ما فعلت من السم فلما مات بشر دفعها الى اوليائه فلم يقتلها اولا حين وقتلها في آخر وقال ٨٢

باب كظم الغيظ

ابو عبد الله الاب هذا الحج يشكل بان يقال كيف لم يقبلها اولا وقد نقضت العهد و آذت وقال الداودي انما
لم يقبلها لئلا ينقص من عذابها وليبقى اجره موفرا قوله العفو عمن ظلمه اى العفو عن ذنوبه والاعراض عن عقوبته
واصله الاعراض بصفحة وجهه قوله ما احب ان لى بذل نفسى حمر النعم ذل النفس بالكسر سهولتها وانقيادها وهى ذلول
وبالضم مذلتها وضعفها وهى ذليل والنعم المال الراعى وهو جمع لا واحد له من لفظه واكثر ما يقع على الابل
قال ابو عبيد النعم الجمال فقط و يونث ويذكر وجمعه نعمان مثل حمل وحملان وانعام ايضا وقيل النعم الابل خاصة
والانعام ذوات الخف والظلف وهى الابل والبقر والغنم وقيل تطلق الانعام على هذه الثلثة فاذا انفردت الابل
فهى نعم وان انفردت البقر والغنم لم تسم نعما والمعنى ان ذل النفس وانقيادها او مذلتها بكظم الغيظ احب او تطلعه
الى من حمر النعم املكها اذا تصدق بها والاخير اظهر لان ثمرة الاول ارفع من ان يحب الدنيا وما فيها وفيه حض بليغ
على كظم الغيظ وحمر النعم خيارها وما تجرعت جرعة احب الى من جرعة غيظ لا اكافى بها صاحبها الجرعة
من الماء كاللقمة من الطعام وهو ما يجرع مرة واحدة والجمع جرع مثل غرفة وغرف ويتجرع الغصص مستعار
منه واصله الشرب من عجلة وقيل الشرب قليلا قليلا واضافة الجرعة الى الغيظ من باب لجين الماء والغيظ صفة
للنفس عند احتدادها موجبة لتحركها نحو الانتقام والكلام تمثيل لا يقال الغيظ امر جبلى لا اختيار للعبد في
حصوله فكيف يكلف برفعه لانا نقول هو مكلف بتصفيه النفس على وجه لا يحركها اسباب الغيظ ... له
وان اثرت تلك الاسباب فيها الغيظ فهو مكلف بتاديب الغيظ بحيث لا يغلب على العقل والشرع وكلا
الامرين مقدور له قوله ما احب الله قوما الا ابتلاهم هم من ذلك ابتلاؤهم بادى الناس لهم وامرهم بكظم الغيظ
والصبر عليه ليزيد بذلك اجرهم قوله الصبر على اعداء النعم وهم الظلمة الذين يغترون سوى الناس لانهم اعداء نعم الله
التى افضلها واشرفها الايمان ومقتضاه من الاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة فانك لن تكافى من عصى الله
فيه بالاذى والاضرار والطغيان بافضل من ان تطيع الله فيه بكظم الغيظ والعفو عنه كما قال عز وجل
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وفى صيغة افضل دلالة على جواز المكافاة بشرط ان لا يتعدى كما
دل عليه الاية الكريمة ولكن العفو افضل قوله كظم الغيظ من العدو فى دولاتهم تقية حزم لمن اخذ به الحزم
ضبط الامر واتقانه والحذر من فواته واختلاله وذلك برعاية شرائط نظامه ودفع موانعه وامر من حمل
ذلك كظم الغيظ من العدو وعدم ارادة الانتقام منهم فى حال ظهور دولتهم لان مكافاتهم يوجب التعرض للهلكة
وايقاع النفس فى الهلكة والعناء وقوله ومماظتهم فى غير تقية ترك امر الله اى مشاردتهم ومنازعتهم تقول ما
ظلب الرجل ما اتطره ومظاظا اذا شاردته ونازعته فجاملوا الناس يسمن ذلك لكم عندهم المجامله بكظم الغيظ

والظهار

باب الحلم

واظهار الوداد والبشاشة ونحو ذلك والسمن كثرة اللحم والشحم سمن فلان يسمن من باب تعب وفى لغة
من باب قرب اذا كثر لحمه وشحمه ولعل المراد به هنا الشرافة والعظمة وفى بعض النسخ يسمن الله ذلك الى آخره و
يسمن من باب الافعال او التفعيل اى يجعل الله ذلك عندهم شريفا عظيما يورث المحبة لكم ولا تعادوهم
فتحملوهم على رقابكم فتذلوا لان اظهار المعادات واجراء احكام الغيظ والغضب مع العجز عن المقاومة والانتقام
يورث ضررا عظيما ومذلة فاحشة واما مع القدرة على الانتقام فالعفو احسن لانه من صفات الكرام قوله
ملأ الله قلبه يوم القيمة رضاه كناية عن كثرة افضاله واحسانه اليه فى ذلك اليوم فلا يرهقه قتر ولا ذلة له
قوله حشا الله قلبه امنا وايمانا يوم القيمة اى ايمانا بالله وامنا من خطر ويمكن ان يراد بالايمان النور الفائض
بالتجليات الربانية الذى لا يحتمله الا قلوب المقربين قوله فاحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق السخاء هو بذل
المقتنيات وصرفها فى اهل الحاجة وحسن الخلق مع خلق الله من اعظم اسباب كظم الغيظ فيما يجاز ان او كما ... من
منه ولا يبعد ان يكون السخاء شاملا لكظم الغيظ ايضا لانه من جملة افراده بوجه قوله من احب السبيل الى الله جرعتان
اشار رحمه الله الى الجرعة الاولى بقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والى الجرعة الثانية بقوله و بشر
الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون قوله ما من جرعة يتجرعها العبد احب الى
الله من جرعة غيظ يتجرعها عند ترددها فى قلبه اما بصبر واما بحلم المراد بترددها فى قلبه اقدام القلب تارة
الى تجرعها لما فيه من الاجر الجزيل والثواب الجميل واصلاح النفس وتارة الى ترك تجرعها لمقتضى ما فيه من
الشناعة والمرارة والاباء فى بعض الطبيعة وهو والحلم متغايران لان الصابر يصبر مع المشقة والحليم لا
يرعق نفسه مشقة ومن ثم قيل العادى لا يامن من الصابر كما يامن من الحليم قوله لا يكون الرجل عابدا حتى يكون
حليما الحلم الاناة والتثبت فى الامور وهو يحصل من الاعتدال فى القوة الغضبية ويمنع النفس من الانفعال
عن الواردات المكروهة المؤذية ومن آثاره عدم جزع النفس عند الامور الهائلة وعدم طيشها فى المواخذة و عدم
صدور حركات غير منتظمة منها وعدم اظهار المزية على الغير وعدم التهاون فى حفظ ما يجب حفظه شرعا
وعقلا وهو من علو الهمة والعبادة نفسانية كانت او بدنية لا عبرة بها ولا تكمل ولا يترتب عليها الاجر الكامل
بدونه وان الرجل كان اذا تعبد فى بنى اسرائيل لم يعد عابدا حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين السكوت معنى(؟) الا
من باب من ابواب الحكمة وله مدخل عظيم فى اكتساب الحلم ولذلك قال النبى صلعم علموا ويسروا واذا غضب احدكم
فليسكت ثلث مرات قوله لا يحدث امانته الاصدقاء كتمان السر والامانة ووضعهما فى صندوق الجنان و
عدم فتحه بمفتاح اللسان وعدم افشائهما لاوثق الاخوان من صفات المومن العاقل الكامل فى الايمان فانه

يعلم بنور البصيرة انه اذا لم يحفظ الامانة لم يامن من غيره الخيانة وان كان صديقا لان الصديق صديقا ومن ثم
قال امير المومنين عم حفظ ما في الوعاء بشد الوكاء ومعناه ان حفظ ما في الجنان اذا اريد ان لا يطلع غيره
انما هو بحفظ اللسان فانه الة لمعرفة الانسان ومفاسد الافشاء بعيدة عن الخفاء ولا تبرك حيا قد عرفت
ان انقباض النفس عن الحق وترك اقرار الوجه يسمى حيا مجازا ان ذكى خاف مما يقولون اما لعدم وجوده فيه
او لعدم علمه بكونه مقبولا لله تعالى او لامكان حصول العجب او لان الانسان وان بالغ بهو في حد النقص
او لان التزكية تزكية نعم لا تزكيتا البشر لا تزكوا انفسكم ولكن الله يزكي من يشاء قوله واستغفرالله مما
لا يعلمون قال امير المومنين عم اذا ذكى احد منهم خاف مما يقال فيه فيقول انا اعلم بنفسي من غيري وربي
اعلم مني بنفسي اللهم لا تواخذني بما يقولون واجعلني افضل مما يظنون واغفر لي مما لا يعلمون لا يغيره قول
من جهله فلا يعجبه قول الزور والافتراء والبهتان والغيبة والنميمة ولا يضطرب ولا يتحرك الى الانتقام و
المكافات بالمثل بل يتمسك بالصبر والحلم كما هو شان ارباب الايمان واصحاب الايقان قوله انه ليعجبني الرجل
ان يدركه حلمه عند غضبه فيمنع نفسه من التشفي والانتقام والاقدام على العقوبة ويحملها على العفو مع القدرة
على ذلك والعفو من صفات الله وصفات اوليائه ومن شق عليه فليتفكر في امر الخالق جل شانه فانه يرى ذلك
منه ويحلم له ويعتقد له صفات لا تليق به وهو منزه عنها وهو يعافيهم ويرزقهم ويعطيهم ويقضي حوائجهم
قوله ما اعز الله بجهل قط ولا اذل بحلم قط لان الجهل صفة توجب الذل في الدنيا والاخرة ومنه التسرع و
الاذى والمعاجلة في العفو والحلم صفة توجب العزة فيهما اما في الاخرة فظاهر لانه من جلايل الصفات
الموجبة لرفع الدرجات واما في الدنيا فظاهر ايضا لان الحليم عزيز عند الخلايق كلهم ولذلك قال
امير المومنين عم الحلم عشيرة يعني كما ان الرجل يمتنع بالعشيرة يمتنع بالحلم ويتوقر لاجله قوله كفى بالحلم ناصرا
المراد ان الحلم ناصر كاف للحليم لان الناس يحبونه ويميلون اليه ويعينونه في المكاره وقال اذا لم تكن حليما
فتحلم اي اذا لم تكن حليما في اصل الخلقة فاكتسب الحلم لان الحلم كساير الاخلاق قد يكون خلقيا وقد يكون كسبيا
او المراد تكلف الحلم واظهره فان ذلك قد يجر الى اكتساب الحلم والاتصاف به ويؤيده قول امير المومنين عم ان
لم تكن حليما فتحلم فانه قل من تشبه بقوم الا واوشك ان يكون منهم اراد عم ان الحلم احسن وان لم يكن فالتشبه بالحليم حسن
قوله ان الله يحب الحيي الحليم العفيف المتعفف يعني ان الله يحب من كان فيه حياء يمنعه عن القبايح وخلاف
الاداب وحلم يمنعه من الاضطراب عن توارد المكروهات وايذاء الخلق والاقدام على الانتقام وعفة في بطنه
ونفسه تبعثه على تحصيل الكفاف من الماكل والمناكح والمساكن والملابس وغيرها على الوجه المشروع وتعفف

بحث

باب ... الصمت وحفظ اللسان

يبعثه على الاكتفا بجوعه وضعفه وحفظ فقره وعدم السوال من غيره من بني نوعه كما روي عن النبي صلعم انه
قال من طلب الدنيا استعفافا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله يوم القيمة ووجهه كالقمر
ليلة البدر ويحتمل ان يراد بالتعفف التاكيد والمبالغة في العفة وتحمل النفس على ذلك مع كلفة وثمرة محبته
آجلا هي الكرامة الابدية وعاجلا هي اعانته على تلك الفضايل وامداده وتوفيقه على زيادتها ودوامها كما روي
عن النبي صلعم من يستعفف يعفه الله الحديث قوله قلت وقلت بالقاف فيهما وبعض النسخ بالفاء في الثاني يقال افال
الرجل في رايه وقيل اذا لم يصب فيه ودخل فايل الراي فان رد الحليم عليه ارتفع الملكان الحليم قد لاح عن عثرة
وخفة ما يوم الطبع لعدم عصمتها الا انه بهذا النادر لا يزول عنه اسم الحليم ولا يسلب عنه مدحة الحلم
قوله من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت الفقه العلم بالمنافع والمضار او بالبصيرة في امور الدين وكون الصمت
اي السكوت عما لا يعني من علاماته ظاهر لانه دال عليه كدلالة الاثر على المؤثر وكذلك الحلم اي التثبت في الامور
واما العلم فلعل المراد به اثاره اعني اثبات الحق وابطال الباطل وترويج الدين وحل المشكلات وهو بهذا المعنا
من اثار الفقه وعلاماته الدالة عليه فلا يرد ان العلم هو الفقه ولا يصح ان يكون الشي علامة لنفسه ان الصمت
باب من ابواب الحكمة لان الحكمة وهي معرفة الاحكام واحوال الموجودات والانقياد لله تعالى وفعل الخيرات
لا يحصل الا بالتفكر والتفكر لا يحصل ولا يتم الا بالصمت عن اللغو ان الصمت يكسب المحبة اي محبة الله تعالى او محبة
الخلق وذلك لان اكثر اسباب الكلام واعظم مقدمات المحاورة هو الجدال له والمنازعة والمخاصمة واللجاج
والغيبة والتهمة والفضول والتكذيب والمضحك والكذب والمزاح الكثير وما لا يعني وكل ذلك يوجب البغض
والعداوة ويبعد عن الخير فالصمت عن ذلك يورث المحبة ويقرب من الخير انه دليل على كل خير لان السكوت
عن الشر لكونه شرا دليل على الخير الذي هو ضده وايضا السكوت عنه لا عن سهو ولا غفلة بل عن صفاء فكرة
في عظمة الحق والاثره وتواتر الاية ونعمائه يوجب الارتقاء الى مقام العبودية وتحقيق والارتقاء بصيرة العيب
بركالعيان ويبلغ العبد لاجله الى ذروة الاحسان ويتصف بالاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة والى
اشار امير المومنين عم بقوله اذا كان في الرجل خلة رايعة فانتظر اخواتها الخلة الخصلة والرايعة المعجبة من راعني
الشي اعجبني حسنه يعني اذا كان في الرجل خصلة معجبة حسنة فانتظر امثالها من الخصال الحسنة فان بعضها يجذب
بعضا ولا يبعد ان يكون الصمت من هذا القبيل قوله انما شيعتنا الخرس لعلمهم بمفاسد اللسان يجتنبون
عنها وايضا لا يتكلمون في امور الدين الا ما سمعوه من اهله بخلاف العامة فانهم يتكلمون فيها بالقياس والاستحسان
والوجوه العقلية فلهم طرق واسعة قوله يا سالم احفظ لسانك تسلم اي تسلم من افات الدنيا والاخرة ومعاصي

اللسان وذل النفس فان من ارخى عنان اللسان جرى فى ميدان الطغيان وتكلم كثيرا بما لا يعنيه ومالا يضره

ويضر غيره وبذله ويدل على سفهه **قوله** وقال الرجل اوصنى الايصاء طلب شئ من غيره ليفعله على غيب منه

فقال احفظ لسانك تعز اذ بالصمت تكون الهيبة والعزة لان من راه يخيل اليه ان له شانا فيهيب منه ويعزه

بخلاف ارخاء اللسان فانه يشين القايل ويبدى مساوى الجاهل ويصغره فى اعين الناس ويذهب بعزه و

بهائه والعباد لكتاب حبل تقاد به الدابة وهو كناية عن التسلط والاضرار والاذلال **قوله** انل مما اتاك الله

اى اعط المحتاجين مما اعطاك الله تعم فاصنع للاخرق الاخرق الجاهل من الخرق بالضم وهو الجهل يعنى

انعم عليه بما ينفعه وفيه حث على ارشاد كل من لم يعلم امرا من مصالح الدين والدنيا فاصمت لسانك الا من خير

الظاهر ان المراد من الخير ما يورث ثوابا فى الاخرة او نفعا فى الدنيا بلا مضرة احد فيكون المباح مما ينبغى السكوت

عنه ويكون الامر لمطلق الطلب الشامل للوجوب والرجحان وبالجملة ينظر من يريد الكلام فان لم يره خيرا كلم

وان رآه او شك فيه سكت واختلف فى المباح هل يكتب ام لا نقل عن ابن عباس انه لا يكتب اذ لا يجازى عليه

والحق انه يكتب لقوله تعم ما يلفظ من قول الاية وكل صغير وكبير مستطر ولدلالة بعض الروايات عليه

ايضا وعدم المجازات لا يدل على عدم الكتابة اذ لعل الكتابة لغرض آخر مثل التحسر والتاسف فى تضييع العمر

فيما لا ينفع ولا يضر مع القدرة على فعل ما يوجب الثواب بدلالة اما يسرك ان يكون فيك خصلة من هذه

الخصال تحرك الى الجنة دل على ان خصلة واحدة اذا استحكمت فى مؤمن توجب الدخول فى الجنة ويمكن ان

يراد ان الخصلة الواحدة تجر الى اسباب الدخول فى الجنة من الخصال الاخر فان الخير بعضه يفضى الى بعض كالشر

قوله يا بنى ان كنت زعمت ان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب دل على ان السكوت افضل من النطق وهو

كذلك لان مفاسد النطق كثيرة لا يمكن التحرز عنها الا بالسكوت وفيه ترغيب فى السكوت وان زعم ان كلا منهما حسن

ومن ثم قال بعض الاكابر من نطق فاحسن قادر على ان يصمت فيحسن وليس من صمت فاحسن قادر على ان ينطق فيحسن

وهو ايضا يدل على ان السكوت افضل من النطق **قوله** امسك لسانك فانها صدقة الضمير راجع الى الامساك والتانيث

باعتبار الخبر وتشبيه الامساك بالصدقة باعتبار انه ينفع صاحبه فى الدنيا والاخرة وتدفع عنه البلايا ويوجب

قربه من الحق كالصدقة ثم قال ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه اشار بذلك الى ان الايمان

لا يتم الا باستقامة اللسان على الحق وخزنه على الباطل مثل الغيبة والنميمة والقذف والشتم والكذب والزور

ونحوها من الامور المضرة وذلك لان الايمان عبارة عن التصديق بالله ورسوله والاعتقاد بحقية ما وردت

به الشريعة من المامورات والمنهيات وغيرها وهو يستلزم استقامة اللسان وهى اقراره بالشهادتين ولوازمهما

ولـ...

٨٥

وامساكه عما لا ينبغى ومن المبين ان الملزوم لا يستقيم بدون استقامة اللازم وقد اشار اليه النبى صلعم بقوله لا

يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وايضا كل ما يتناوله اللسان من الاباطيل

والاكاذيب تدخل معهو ما منها فى القلب وهو ينافى دخول حقيقة الايمان فيه فلا يعرف حقيقته **قوله**

الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم قال يعنى كفوا السنتكم ظاهره ان المراد بالايدى الالسنة للتشابه بينهما فى القوة او

فى كونهما آلة مجادلة ويحتمل ان يكون كف الايدى مجازا مرسلا فى كف الالسنة لان كف الالسنة سبب لكف

الايدى من الضرب والقتل ونحوها **قوله** نجاة المؤمن من حفظ لسانه اى نجاته فى الدنيا والاخرة لان فى

كثرة الكلام وافشاء ما ينبغى اخفاؤه وبال الدنيا ونكال الاخرة **قوله** يا مبتغى العلم ان هذا اللسان مفتاح الخير

ومفتاح الشر فيه ترغيب فى التكلم بالخير وتنفير عن التكلم بالشر ولا يتحقق ذلك الا بالتامل والتفكر

اولا فيما يقول كما هو شان المؤمن العارف فانه يتامل ويتفكر فيما يراد النطق به فان رآه خيرا ابداه وان

رآه شرا داراه بخلاف الجاهل فانه يتكلم بما جرى على لسانه لا يدرى ما ذا له وما ذا عليه ثم حث على كتمان

ما ينبغى كتمانه بقوله فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك الورق بكسر الراء والاسكان للتخفيف النقرة

المضروبة ومنهم من يقول النقرة مضروبة كانت او غير مضروبة وقال الفارابى الورق المال من الدراهم ويجمع

على اوراق وروى مثل ذلك عن امير المؤمنين عم قال الكلام فى وثاقك ما لم تتكلم به فاذا تكلمت به صرت فى

وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة وقال بعض الاكابر لا تكلم بما يسلبك ما

تحت لسانك **قوله** ان الذين يكثرون الكلام قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون قساوة القلب شدته وصلابته

بحيث ينبو عن قبول الحق كالحجر الصلب يمر عليه الماء ولا يقف فيه وفيه دلالة على ان كثرة الكلام فى الامور

المباحة يوجب قساوة القلب واما الكلام فى الامور الباطلة فقليله كالكثير فى النهى عنه وايجاب

القساوة **قوله** ما من يوم الا وكل عضو من اعضاء الجسد يكفر اللسان اى يذل ويخضع له والتكفير هو ان

ينحنى الانسان ويطاطئ راسه قريبا من الركوع كما يفعل من يريد بعظم صاحبه ثم قال من باب الاستيناف

يقول نشدتك الله ان نعذب فيك نشد من باب نصر اى سالتك بالله واحلفك به كان هذا القول

بلسان المقال ويحتمل ان يكون بلسان الحال **قوله** ان لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه اشرفت عليه

اطلعت عليه فيقول كيف اصبحتم فيقولون بخير ان تركتنا بيت زبان كفت باسر كر جونيخوش كفتا

خوشم كر تو دم دركشى بيت ويقولون الله الله فينا اى احذر الله او اتق الله او خف الله فى حقنا والمراد

ويناشدونه اى يحلفونه بالله والمناشدة قسم دادن ويقولون انما نثاب ونعاقب بك الحصر اما

حقيقي او مجازي لو اضافي بالنسبة الى بواقي الجوارح فكان كل جارحة تخص هذا باللسان بالنسبة الى جوارح اخر
فلا يرد ان كل جارحة شاب ويعاقب بعملها ايضا قوله قال جاء رجل الى النبي صلعم كان الرجل كان معاذ بن جبل
لتصريح العامة به في روايتهم مثل هذا الحديث وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم
الحصاد بالفتح والكسر قطع الزرع والحصايد جمع الحصيدة وهي ما يحصد من الزرع شبه اللسان وما
يقطع به من الاقوال الباطلة بحداد النخل وما يقطع به من النبات قوله من لم يحسب كلامه من عمله
كثرت خطاياه وحضر عذابه لعل ذلك لان اللسان له تصرف في كل موجود وموهوم ومعدوم وله
يد في العقليات والخيالات والمسموعات والمشمومات والمبصرات والمذوقات والملموسات فمن
حسب ان الكلام ليس من عمله المترتب عليه الثواب والعقاب لم يبال بالكلام في اباطيل هذه الامور فيجتمع عليه من كل وجه خطيئة فتكثر خطاياه واما غير اللسان فخطاياه قليلة فان خطيئة السمع ليست
الا المسموعات وخطيئة البصر ليست الا المبصرات وقس عليهما ساير الجوارح ويقرب منه قول امير المؤمنين
عليه السلام من كثر كلامه كثر خطاؤه ومن كثر خطاؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه
مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار وهذا من باب القياس المفصول النتايج ينتج من كثر كلامه دخل
النار وروي في هذا المعنى من طرق العامة ايضا من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن
كثرت ذنوبه فالنار اولى به ولعل المراد بحضور العذاب حضور اسبابه او حضور نفسه لان حضور اسباب
الشيء دليل على حضور ذلك الشيء وقد صرح بعض اصحابنا بان عذاب المستحق له واقع بالفعل وان جهنم
لمحيطة به وانه داخل فيها ولكن الحجاب مانع من رؤيتها والحكمة تقتضيه قوله فتقول اي رب عذبتني بعذاب
لم تعذب به شيئا من الجوارح اي فتقول اللسان ذلك ولعل الاضافة في قوله من جوارحك للمجاورة
والملابسة او للاشارة الى ان ساير الجوارح تابعة له وهو رئيسها فيقال له خرجت منك كلمة او سوء
كانت تلك الكلمة من باب الفتيا او غيرها قوله ان كان في شيء شوم ففي اللسان الشوم والشر وشيء مشوم
اي غير مبارك وفيه تنبيه على كثرة شومه لان له تعلقا بكل خير وشر فميدان شره اوسع من ميدان
شر جميع الجوارح فمن اطلق عنانه في ميدانه اورده في مهاوي الهلاك ولا شوم اعظم من ذلك قوله
صمت قبل ذلك عشر سنين اي صمت عما لا ينبغي في تلك المدة ليصير الصمت ملكة له ثم كان يشتغل بالعبادة
والاجتهاد فيها لتقع العبادة صافية خالية عن المفاسد وفيه تنبيه على ان الصمت اصل عظيم في العبادة
وخلوصها وبقائها ومعرفة احكامها وصيرورتها مرقاة للعابد في الترقيات الى المقامات العالية قوله

ن

من راى موضع كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه اي يهمه او يقصده من عنيت به اي اهتممت واشتغلت
به او من عنيت فلانا اي قصدته وفيه تنبيه على ان المتكلم ينبغي ان يعد كلامه من عمله ويتدبر في صحته
وفساده وضره ونفعه فان راه صحيحا لا يترتب عليه شيء من المفاسد آجلا وعاجلا تكلم به وان راى
خلاف ذلك امسك عنه قوله على العاقل ان يكون عارفا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه على العاقل
ان يعرف حال اهل زمانه من الخير والشر والصلاح والفساد والحق والباطل ويميز بينهم ليعرف له
معنى الصحبة والعشرة وبعد وله محل الفرقة والعزلة ويتمكن من اجراء السياسة المدنية على القوانين النبوية
والحب لله والبغض في الله ويراعي الحزم والتقية في موضعهما وان يقبل على شانه فيصلح احواله ظاهرا او
باطنا بالسياسة البدنية ليتمكن من العروج في المعارج الروحانية وان يحفظ لسانه عن اللغو والزخرفات
الشيطانية قال امير المؤمنين عليه السلام اوام العقل نقص الكلام وذلك لان تفكره في الله يمنعه الاشتغال
بما لا يعنيه قوله لا يزال العبد المؤمن يكتب محسنا ما دام ساكتا لان سكوت المؤمن عما لا يعني احسان عظيم
على نفسه بل على غيره ايضا قوله ثلث من لم تكن فيه لم يتم له عمل العمل التام هو العمل الخالص الغير المشوب بشيء يوجب
فساده او نقصانه وهذه الثلث او لها ورع يحجزه عن معاصي الله اذ من لم يكن له ورع يصدر منه المعاصي كثيرا
فلا يكون عمله تاما بل مختلطا وثانيها خلق يداري به الناس اي يلاطفهم ويلاينهم ويحسن صحبتهم ويحتمل منهم
كيلا ينفروا عنه ومن لم يكن له هذا الخلق لم يتم له عمل او كثيرا ما يصدر منها المكاشفة والخشونة والمنافسة
والجدال والمقاتلة وهذه الامور توجب فساد عمله او نقصانه وثالثها حلم يرد به جهل الجاهل اي يكف النفس
بها النفس عما صدر من الجاهل من السفاهة والايذاء والاستخفاف والاضرار لا ترد بها جميع ذلك بالعفو عنه
قال بعض الحكما موضعان لا اعتذر من البغي فيهما اذا خاطبت جاهلا واذا سالت حاجة ومن لم يكن له
حلم يصدر منه مثل ما صدر من الجاهل فلا يكون عمله تاما ايضا قوله دار خلقي وان كانوا كفارا كما
دل عليه قوله تعالى وقولا له قولا لينا ومن جملة المداراة والملاطفة استجلاب طبايعهم الى الحق وتاييسهم
بالحكمة والموعظة الحسنة قليلا قليلا على سبيل التلطف لا دفعة لئلا تشمئز قلوبهم ولا تنفر
عنه طبايعهم ولو لم يكن تاييسهم به امرا متعوضا بالنسبة الى افهامهم او لقوة اعتقادهم الباطل يبعد
يحملهم عليه بالحيل والتدبير والمقدمات الخطابية حتى يرجعوا من الجهل المركب الى الجهل البسيط ثم
يداويه قوله اكتم مكتوم سري في سريرتك لعل المراد بالسريرة القلب والسر واحد الاسرار وهو ما يكتم
واسرار الحديث اخفاه والاضافة من باب جرد قطيفة للمبالغة ثم اشار الى بعض فوايد الكتمان و

باب المداراة

٨٦

وضده نقيضه للترغيب فيه بقوله ولا تنسب لي عندهم بالمها مكتوم سري فتترك عدوك وعدوي (في)
في ستي قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وفيه ترغيب (للعبد)
المداراة مع الاعداء والملاطفة والملاينة معهم سواء كانت العداوة في الدين او الدنيا مثل الحقد (و)
وغيرها لان المداراة من جملة التدبيرات في دفع العداوة ومن ثم قيل دفع الشر بالخير خير وبالشر شر (ونهي)
عن المكاشفة بالسب والمخاصمة والمجادلة معهم فان ذلك كثيرا ما يفضي الى المعاملة بالمثل وسب (الله)
اي لاوليائه كما دل عليه بعض الروايات وضياع الاموال وهلاك النفوس الى غير ذلك ومن المفاسد (الكلية)
والجزئية فيبدد به نظام العالم وصلاح بني آدم خصوصا صلاح اولياء الله تعالى هذا بحسب (الظاهر و)
اما بحسب الباطن فينبغي ان يتفكر فيما يدفع به عداوته وكيده بقدر الامكان على ما يقتضيه الحكم (بحيث)
لا يكون مهيجا للشر والعداوة وفيه دلالة على ان السبب للفعل كالفاعل له قوله مداراة الناس نصف (من)
الايمان والرفق بهم نصف العيش لعل الوجه ان الايمان عبارة عن توجه القلب الى الله تعالى وترك (التعرض)
لما عداه فاذا تحقق الاول تحقق نصف الايمان واذا تحقق الثاني بالمداراة تحقق نصفه الآخر اذ لو
لا المداراة لاشتغل القلب بوجوه مجادلتهم ومنافقتهم وايضا الايمان هو العقد والعمل والعمل (بهم)
بالمداراة والعيش يتحقق بوجود اسبابه ورفع موانعه ودفع الموانع يتحقق بالرفق ولين الجانب ورفض (العنف)
اذ لولا الرفق لتحقق موانع العيش من وجوه متكثرة وفسد نظامه فالرفق نصفه قوله لا يخرص دين (من)
الدين الا من لم يخش الزاجر لكون رسومه وعاداته خلاف رسومهم وعاداتهم من العنف والخشونة (والمكر)
والعذر لزجر نفسه بالآداب الشرعية والاخلاق العقلية فظنوا الزاجر لا عقل له ولا دينهم شيئا (و)
عقله ودينه ايضا ان صبر نفسه على ان يقال ان الزاجر لا عقل له ولا يزعجه هذا القول عن شيمته ولا يخرجه
عن سجيته وصبر اما مجردا او مزيدا بالتثقيل قال في المصباح صبرت صبرا من باب ضرب حبست النفس (عن)
الجزع وصبرت زيدا يستعمل لازما ومتعديا وصبرته بالتثقيل حملته على الصبر بوعد الاجر وقلت له
اصبر قوله ان قوما من الناس قلت مداراتهم للناس فالقوا من قريش اي اخرجوا او الحقوا نسبهم ولعل المراد
بالناس قريش وبحيال الاحم ثم اشاد مؤكدا بالقسم الى ان ذلك الالحاق باعتبار فوات حب انفسهم و(ما ثرها)
لا باعتبار فوات حب آبائهم وما ثر اسلافهم بقوله وايم الله ما كان باحسابهم باس الحب بعضهم ما (بعده)
من ماثره وماثر آبائه والمراد بها هنا ماثر الآباء وفيه تنبيه على ان المعتبر في شرف كل رجل انما هو (ماثر)
نفسه ومن ثم قال الحكماء من فاته ماثر نفسه لم ينتفع بماثر ابيه وايمن اسم استعمل في القسم والتزم رفعه كما

تحقيق لفظ ايم ومعناه

النزم

النزم رفع لعمر الله وهمزته عند البصريين وصل واشتقاقه من اليمن وهو البركة وعند الكوفيين قطع لانه
جمع يمين عندهم وقد يختصر منه فيقال وايم الله بحذف النون وفيها لغات كثيرة وفتح همزتها وكسرها ثم
اختصر ثانيا فقيل م الله بضم الميم وكسرها وقيل ايم الله اسم برأسه موضوع للقسم ولما ذكر حال اهل (ا)
اشار الى حال من اتصف بالمداراة بقوله وان قوما من غير قريش حسنت مداراتهم فالحقوا بالبيت الرفيع
وهو بيت الشرف والمجد والطاعة والتقوى ومنه قوله صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت ويحال ان يريد بيت (بيت)
النبي لانه منزه عن الكذب وقوله ابعوني تكونوا بيوتا اي تشرفوا وذلك لان البيت في عرف اللغة يعبر به (عن)
عن الشرف والمجد كما يقال البيت في بني فلان اي الشرف والمجد فيهم والى جميع ما ذكر اشار امير المؤمنين (ع)
بقوله رب بعيد اقرب من قريب وقريب ابعد من بعيد ثم قال من كف يده عن الناس فانما يكف منهم يد (منه)
واحدة ويكفون عن ايدي كثيرة هذا مثل ما قال امير المؤمنين ع ومن يقبض يده عن عشيرته فانما يقبض
عنهم يد واحدة ويقبض منهم عنه ايدي كثيرة ومن تلن حاشيته يعني جانبه يستدم من قومه المودة
قال السيد رضي الدين رضي الله عنه وما احسن هذا المعنى الذي اراده عليه السلام بقوله من يقبض فان الممسك
خيره يعني ماله عن عشيرته انما يمسك نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم واضطر الى مرافدتهم ومعاونتهم
قعدوا عن نصره وتثاقلوا عن صوته واستغاثته فمنع ترافد الايدي الكثيرة وتناهض الاقدام الجمة وقال
بعض الافاضل تقريره ان الانسان لما كان انتفاعه بالايدي الكثيرة اتم واولى بصلاح حاله من النفع القليل
له فقبض يده من النفع بها وجب عليه ان يستجلب بمد يده بالنفع مد ايدي الكثيرة الى نفعه والاكان سبب
طلبه لنفع ما من امساك يده الواحدة عنهم المستلزم لامساك ايديهم الكثيرة عنه مضيعا على نفعه منافع
عظيمة فيكون بحسب قصده لنفع ما مضيعا لما هو اعظم فيكون مناقضا لغرضه وذلك جهل وسفه
وقوله ومن تلن من تمام تاديب الاغنياء بما يعود اليهم نفعه من التواضع ولين الجانب للخلق واسند (جمهم)
الى التواضع بذكر ثمرته اللازمة عنه التي هي مطلوبة لكل عاقل وهي استدامة مروة الناس المستلزمة (لنفعهم)
ولعدم مضرتهم المستلزمين لصلاح المتواضع فيما يقصده ومثل ذلك ادب الله نبيه صلى الله عليه وسلم حيث قال
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وظاهر ان غايته المذكورة وثمرته المطلوبة لا تحصل عند جفاء
الخلق والتكبر كما اشار اليه بقوله ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك قوله لكل شيء قفل اي (فظ)
له مانع من ورود امر فاسد عليه وخروج امر صالح عنه من باب الاستعارة وتشبيه المعقول بالمحسوس
لقصد الايضاح وقفل الايمان الرفق وهو لين الجانب والرافة وترك العنف والجفاوة في الافعال و

٨٧

الاقوال على الخلق في جميع الاحوال سواء صدر منهم بالنسبة اليه خلاف الاداب اولم يصدر
وفيه تشبيه الايمان بالجوهر والقلب لخزانته والرفق بالقفل لانه يحفظه عن زواله عنه وخروجه
عنه وطريان ما يسدع عليه **قوله** ان الله تعالى رفيق يحب الرفق ثبت اطلاق الرفيق على الله تعالى من طرق
العامة ايضا روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على
العنف قال القرطبي الرفيق هو كثير الرفق والرفق يجيء بمعنى التسهيل وهو ضد العنف والتشديد والتعصيب
وبمعنى الارفاق وهو اعطاء ما يرتفق به وبمعنى التاني وعدم العجلة وصحت نسبته هذه المعاني الى الله
سبحانه لانه المسهل والمعطي وغير المعجل في عقوبة العصاة اقول للرفق معنى آخر يصح له تعالى ايضا وهو احكام
العمل قال في المصباح رفقت العمل من باب قتل احكمته ومعنى يحب الرفق انه يامر به ويحض عليه ويريد صدوره
منهم ويثيبهم له ولما اشار الى انه تعالى رفيق اشار الى بعض جزئيات رفقه فقال فمن رفقه بعباده تسليله
اضغانهم السل والتسليل اخراج الشيء برفق تقول سللت السيف اذا اخرجته من غمده والضغن
الحقد والعداوة والبغضاء تقول ضغن صدره ضغنا من باب تعب اي حقد والاسم الضغن والجمع
الاضغان مثل حمل واحمال ولعل المراد بتسليلها اخراجها بالرفق والتدريج عن قلوبهم وتوفيقهم على رفعها
باستعمال اسبابه وعدم تكليفهم به دفعة فان دفعها دفعة صعب عليهم ومضادتهم لحوائجهم وقلوبهم
بين الاهواء النفسانية والاخلاق الرذيلة مثل الطمع والحرص والاسف على فوات الدنيا والغضب والغيظ وحب
العزة وغيرها وبين القلوب العاقلة المقتضية للاخلاق الفاضلة مضادة تريد كل واحد الغلبة على الاخر
والله سبحانه لرفقه بهم امرهم برفعها واخراجها على سبيل التدريج لا دفعة لئلا يصعب ذلك عليهم ومن
رفقه بهم انه يدعهم على الامر يريد ازالتهم عنه رفقا بهم آه عروة الكوز اذنه والجمع عرى مثل مدية ومدى
وعروة الايمان لاحكامه واثاره وخولصه على التشبيه بالعروة التي يتمسك بها ويستوثق فان العبد باحكام
الايمان يحمله كما ان شارب الماء يحمل الكوز بعروته ولعل المراد انه تعالى يعلم ان صلاح العباد في امرين وانه لو
كلفهم بهما دفعة وفي زمان واحد ثقل ذلك عليهم وضعفوا عن تحملها فمن رفقه بهم ان يامرهم باحدهما
ويدعهم عليه حينا ثم اذا اراد ازالتهم نسخ الامر الاول بالامر الاخر ليفوزوا بالمصلحتين وهذا وجه آخر
للنسخ غير ما هو المعروف من اختصاص كل امر بوقت دون آخر والله اعلم **قوله** الرفق يمن والخرق شوم
اليمن البركة يمن الرجل على قومه ولقومه بالبناء للمفعول فهو ميمون ويمنه الله ييمنه يمنا من باب قتل
اذا جعله مباركا والخرق بالضم والسكون اسم ضد الرفق يقال خرق خرقا اذا عمل شيئا فلم يرفق فيه فهو اخرق

لكيلا يلقي عليهم عرى الايمان ومثاقله
جملة واحدة فيضعفوا فاذا اراد ذلك
نسخ الامر بالاخر فصار
منسوخا
متن

والاتى

والانثى خرقاء مثل احمر وحمراء وقد يفسر الخرق بالجهل لانه يناسبه والشوم ضد اليمن ورجل
مشوم اي شرير غير مبارك وانما كان الرفق يمنا لانه منشا لنظم النظام وسبب للخيرات وكذلك البركات
والخرق بعكس ذلك فهو غير مبارك **قوله** ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف اي يعطي على الرفق في الدنيا
من الثناء الجميل وفي الاخرة من الثواب الجزيل ما لا يعطي على العنف الجلي فاذا كان امر يسوغ الشرع ان يتوصل
اليه بالرفق والعنف فسلوك طريق الرفق اولى لما يحصل من الثناء على صاحبه وغير ذلك من منافع التي
لا تحصى **قوله** ان الرفق لم يوضع على شيء الا زانه ولم ينزع من شيء الا شانه زانه من باب سار وزينه بمعنى والاسم
الزينة والزين نقيض الشين وشانه من باب باع شينا عابه وهذا الحديث رواه مسلم بعينه عنه صلى الله عليه وسلم فهو
متفق عليه بين الامة **قوله** ان في الرفق الزيادة والبركة اي زيادة الرزق والبركة فيه او زيادة الخير لكونه ذريعة
الى منافع الدنيا والاخرة ومستلزم للخصال المرضية والكمالات السنية بخلاف الخرق فانه مع كونه نقصا
في ذاته وتابعا للجهالات جالب للشرور ومانع من الخير **قوله** ايما اهل بيت اعطوا حظهم من الرفق اي رفق
بعضهم ببعض او رفقهم بخلق الله فقد وسع الله عليهم في الرزق لان الرفق استجاذب له وسبب لرفقه
تعالى بهم في ايصال الرزق وتسهيل طرقه وفيه ترغيب في اكتساب الرفق كما ان قوله والرفق في تقدير المعيشة اي
التوسط بين التقتير والتبذير خير من السعة في المال بلا تقدير المعيشة ترغيب في اختيار التوسط في
المعيشة وهي مكسب للانسان الذي يعيش به واشار الى وجه ذلك بقوله والرفق لا يعجز عنه شيء اي الرفق
في تقدير المعيشة اي التوسط لا ينضعف ولا ينقص عنه شيء من المال لان القليل من المال يكفي مع التقدير
والقدر الضروري قد ضمنه الحكيم العدل ولابد من حصوله والتبذير لا يبقى معه شيء من المال كما هو المشاهد
المجرب ثم حث على الرفق مطلقا او على الرفق في تقدير المعيشة بقوله ان الله رفيق يحب الرفق لانه قوي
سبب لبقاء نظام الكل والجزء المطلوب عقلا وشرعا **قوله** فان كفر احدهم في غضبه الغضب كثيرا ما
يفضي الى الكفر بمعنى الارتداد والجحود واما الكفر بمعنى ترك المامور به فهو لازم له قطعا **قوله** الرفق نصف
العيش العيش الطيب يحصل بالكفاف والرفق الموجب للتودد والتالف فالرفق نصف العيش خصوصا
مع الخدمة والعبيد والاهل ومن الرفق بهم ان يعفو عن زلاتهم وان يكلفهم دون طاقتهم وان يطعمهم
ويلبسهم مما يطعم ويلبس **قوله** فاذا ركبتم الدواب العجف الفرس الاعجف الضعيف المهزول والانثى عجفاء
ويجمع على عجف كحمراء على حمر وعلى عجاف بالكسر على غير قياس لان افعل فعلاء لا يجمع على فعال وانما
خص العجف بالذكر لان رعاية حالها اهم فالحكم وهو قوله فانزلوها منازلها اي منازلها اللائقة بحالها

من حيث الماء والكلأ غير مختص بها الجريان في غير المهزول ايضا فان كانت الارض مجدبة فانجوا عنها الجدب الارض
وجدبها مجدبة لا عشب فيها ولا كلأ من الجدب وهو القحط ونجا ينجو بالجيم اذا اسرع في السير لتخلصوا منه
وفي رواية اخرى لهم فانجوا كما فيما نحن فيه وان كانت مخصبة فانزلوها وامنازلها الخصب بالكسر النماء و
البركة خلاف الجدب وهو اسم من اخصب المكان بالالف فهو مخصب واخصب الله الموضع اذا انبت
فيه العشب والكلأ قوله ومن رفقه تسليله اضغانكم ومضادة قلوبكم لعل المراد بمضادة القلوب ما يضاد
الحكمة والاخلاق الفاضلة وبالرفق في تسليلها الامر بازالتها تدريجا بالحكمة العملية والاداب الشرعية
لا دفعة فان ازالتها دفعة صعب والله سبحانه لرفقه بعباده لم يكلفهم بها قوله ولكن لم يرد تحويل العبد
الامر فيثقل عليه حتى يحول بالناسخ كراهة تثاقل الحق عليه لعل الكراهة علة لتحويله بالناسخ والحق الامر
المنسوخ ووجه التثاقل ان النفس يثقل عليها الامر المكرر وتنشط بالامر الجديد او علة لتحويله بالناسخ
دون جمعه معه مع ان في كلا الامرين صلاح العبد الا ان الرفق يقتضي النسخ لئلا يتثاقل الحق عليه
والله اعلم قوله من كان رفيقا في امره نال ما يريد من الناس لان رفقه بهم يوجب ميل القلوب اليه و

باب التواضع

التالف والتودد بينهم وله مدخل عظيم لنيل المقصود منهم قوله قال ارسل النجاشي النجاشي ملك الحبشة مخفف
عند الاكثر وعليه خلقان الثوب خلق الثوب بالضم اذا بلي وهو خلق بفتحتين والجمع خلقان في بعض
الثياب والاضافة من باب جرد قطيفة فاشفقنا منه اي خفنا يقال اشفق منه اذا خاف واشفق عليه
اذا عطف عليه عيون من عيون العين ديدبان والجاسوس التقوا بواد يقال له بدر كثير الاراك بدر موضع
بين مكه والمدينة وهو الى المدينة اقرب ويبعد منها على ثمانية وعشرين فرسخا وعن الشعبي انه اسم هناك
قال وسميت بدرا لان الماء كان لرجل من جهينة اسمه بدر والاراك شجر يستاك بقضبانه الواحدة اراكه
وقيل هي شجرة طويلة ناعمة كثيرة الورق والاغصان خوارة العود ولها ثمر في عناقيد يسمى البرير يملأ العنقود
الكف لكاني انظر اليه حيث كنت ارعى لسيدي هناك اي لكاني حاضر هناك انظر اليه وحيث تعليل
لكاني انظر اليه ان من حق الله على عباده ان يحدثوا لله تواضعا عند ما يحدث لهم من نعمة كما ينبغي التواضع
وهو اظهار الخشوع والخضوع والذل والافتقار عند ملاحظة عظمته وجلاله كذلك ينبغي التواضع له
عند التشرف بنعمة من نعمه الدنيوية والاخروية جسمانية كانت او روحانية والاول افضل من الثاني
لانه تعم استحق الاول بالذات والثاني بالغير ان الصدقة تزيد صاحبها كثرة اي كثرة اموال واعوان
في الدنيا وكثرة اجر في الاخرة ومن ثم قيل الصدقة ثمن نعيم الجنان واجر خدم الخلد من الولدان

وان

وان التواضع يزيد صاحبه رفعة اي التواضع لله وللمؤمنين يوجب رفع قدر صاحبه في الدنيا بميل
القلوب الى محبته وتعظيمه وتوقيره وشغل الالسنة بحسن ذكره وثنائه وتشهيره وفي الاخرة بعلو
المرتبة والاجر الجميل وسمو المنزلة والثواب الجزيل وان العفو يزيد صاحبه عزا لان من عرف
بالعفو ساد وعظم وعز في الدنيا والاخرة وقد روى نظيره في طرق العامة عن النبي صلعم انه قال
ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله قوله
فمن تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه دخل في التواضع لله الامتثال باوامره ونواهيه والادب و
والخشوع له عند ملاحظة عظمته واظهار ذل النفس والعجز عند مشاهدة نعمته ولعل المراد برفعهما
ووضعهما الدعاء بالرفع والوضع او اعلام سائر الملائكة بان فلانا رفيع القدر وفلانا وضيع القدر او
رفع روح المتواضع ووضع روح المتكبر عند الموت قوله بعس مخيض بعسل اي ممزوج بعسل والعس
بالضم القدح الكبير والجمع عساس ككتاب والمخيض فعيل بمعنى مفعول من مخضت اللبن مخضا
من باب قتل وفي لغة من باب ضرب ونفع اذا استخرجت زبده بوضع الماء فيه وتحريكه لا اشربه و
٨٩
لا احرمه دل على ان الاكتفاء بطعام واحد اولى من تناول الاطعمة الكثيرة الممزوجة وغيرها ومن اكثر ذكر
الموت احبه الله لان ذكر الموت يوجب ترك الدنيا والميل الى الاخرة والقيام بوظائف الطاعات و
تطهير الظاهر والباطن عن الاعمال والاخلاق الرذيلة وكل ذلك يثمر محبة الله تعالى قوله ومن اكثر
ذكر الله اظله الله في جنته اي من اكثر ذكر الله باللسان والجنان عند الطاعة والمعصية والبلية
ادخله الله في جنته واظله باشجارها او اوقع عليه ظل مرحمته في جنته او ادخله في كنفه وحمايته
فان الظل قد يكنى به عن الكنف والحماية كما يقال فلان في ظل فلان او اقبل الله عليه حتى كانه القى
ظله عليه على سبيل التمثيل والظل يطلق على الاقبال كما يقال اظلك شهر رمضان قوله ومعه مفاتيح
خزائن الارض ضمير قال راجع الى ابي جعفر عم وضمير معه الى الملك الرسول والمفتاح الذي يفتح به
المغلاق والمفتح مثله وجمع الاول مفاتيح وجمع الثاني مفاتح بغير ياء ويمكن حمل مفاتيح خزائن الارض
على الحقيقة وعلى استعارة لطيفة وذلك ان العجز وعدم التمكن والقدرة على استيلاء اهل الارض و
خزائنها لما كان مانعا من ذلك شبهه بالغلق المانع من الدخول في الدار وتناول ما فيها والقدرة
والتمكن لما كان رافعا لذلك المانع شبهه بالمفتاح قوله من التواضع ان ترضى بالمجلس دون المجلس
وان تقعد حيث شرفك صدره كما روى ذلك في وصف النبي صلعم وان تسلم على من تلقى اي على كل من تلقى وان

لم يكن من عادتك الا ما استثنى مثل الكتابى والسائر الا ان تامن من نفسك ان يدخل فيها شئ ومع ذلك فترك
السلم عليها ارجح لما يأتى فى باب التسليم على النساء وان تترك المرا وان كنت محقا اى وان تترك الجدال له والمنا زعة
مع الخلق والطعن فى قولهم ولو كانت فى الدرس والمسائل العلمية وان كنت محقا الا ان تريد الهداية والارشاد
مع لين القول فانه اقوى فى التأثير وفى المصباح ماريته امار يه ممارات ومراء جادلته ويقال ماريته ايضا اذا
طعنت فى قوله تزييفا للقول وتصغيرا للقائل ولا يكون المراء الا اعتراضا بخلاف الجدال فانه يكون ابتداء
واعتراضا ولا تحب ان تحمد على التقوى لان حب ذلك من اثار العجب والادلال والاعتقاد بخروج النفس
عن حد التقصير وكل ذلك مذموم مهلك وقد ذكر امير المؤمنين عم فى وصف المتقين المتواضعين انهم
لا يرضون من اعمالهم القليل لا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم متهمون ومن اعمالهم مشفقون اذا زكى
احد منهم خاف مما يقال له فيقول انا اعلم بنفسى من غيرى وربى اعلم منى بنفسى اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون
واجعلنى افضل مما يظنون اغفر لى ما لا يعلمون قوله انى قلبت عبادى ظهر البطن فى المصباح قلبته قلبا من
ضرب حولته وقلبت الرداء حولته وجعلت اعلاه اسفله وقلبت الشئ للابتياع قلبا ايضا تصفحته فرايت داخله
وبواطنه وقلبت الامر ظهر البطن اختبرته قوله مر على بن الحسين عليهما السلام على المجذمين فى بعض النسخ
المجذومين يقال رجل اجذم ومجذوم ومجذم اذا تهافتت اطرافه بالجذام وهو داء يحدث من غلبة السوداء
فيفسد مزاج الاعضاء وربما انتهى الى ان يأكلها او يأكل ما يوضع منها والغرض من هذا الحديث هو اظهار تواضعه
عليه السلم لله ثم كما يفهم من قوله وهو راكب حماره او للخلق المجذومين فكيف غيرهم كما يفهم من قوله
فى الاخرة وتغذى معهم والشوق بيك دركبيتن دركارى ويكو ساختن اوبق الشئ ابوق اى حسن
والظاهر انه على اكل معهم فى اناء واحد وفيه دلالة على جواز مصاحبة المجذوم ومعاشرته ومواكلته
ويؤيده ما رواه المص فى كتاب الروضة عن ابى عبد الله عم قال ان اعرابيا اتى رسول الله صم فقال
يا رسول الله انى اصيب الشاة والبقرة والناقة بالثمن اليسير وبها جرب فاكره شراءها مخافة ان يعدى
ذلك الجرب ابلى وغنمى فقال رسول الله صم يا اعرابى فمن اعدى الاول ثم قال رسول الله صم لا عدوى
ولا طيرة الحديث يعنى لا يتجاوز العلة صاحبها الى غيره ومثل هذه الرواية بعينها موجود من طرق العامة
ايضا وهو ينافى الرواية المشهورة عندنا وعندهم وهى فر من المجذوم فرارك من الاسد فقيل الجمع بينهما
ان حديث الفرار ليس للوجوب بل للجواز او الندب احتياطا خوفا مما يقع فى النفس من امر العدوى
وحديث الاكل والمجالسة للدلالة على الجواز سيما اذا لم يوجد فى النفس خوف العدو ومما يؤيد ذلك ما

روى من طرق العامة عن جابر انه صلى الله عليه وآله اكل مع المجذوم فقال كل ثقة بالله وتوكلا عليه
ومن طرقهم ايضا ان امراة سالت بعض ازواجه صم عن الفرار من المجذوم فقالت كلا والله وقد قال
رسول الله صم لا عدوى وقد كان لنا مولى اصابه ذلك فكان يأكل فى صحافى ويشرب من قداحى وينام
على فراشى وقال بعض العامة حديث ناسخ لحديث الفرار ورده بعضهم بان الاصل عدم النسخ على ان الحكم
بالنسخ يتوقف على العلم بتاخر الحديث الاكل وهو غير معلوم وقال بعضهم للجمع ان حديث الفرار على
تقدير وجوبه انما كان لخوف ان يقع فى العلة بمشية الله فيعتقد ان العدوى حق اقول يبقى احتمال
آخر لم يذكره احد وهو تخصيص حديث لا عدوى بحديث الفرار مع حمل الفرار على الوجوب واكل
المعصوم معه لا يدل على جواز ذلك لغيره لعلمه بان الله تم يحفظه عن تعدى العلة اليه ثم لو قيل بوجوب
الفرار فيمنع من المسجد والاختلاط بالناس والدخول على الحمام غير بعيد وقال عياض اذا كثر المجذومون
٩٠
فقال الاكثر يؤمرون ان يتفردوا فى موضع عن الناس ولا يمنعون من التصرف فى حوائجهم وقيل لا يلزمهم
الانفراد ولم يختلف فى القليل انهم لا يمنعون من التصرف فى حوائجهم وقيل لا يلزمهم الانفراد ولم يختلف
فى القليل انهم لا يمنعون من التصرف فى حوائجهم وقيل لا يلزمهم الانفراد ولم يختلف فى القليل انهم لا يمنعون
ولا يمنعون من صلوة الجمعة مع الناس ويمنعون من غيرها ولو تضرر اهل قرية من جذمائهم فى
الماء فان قدروا على ان يستنبطوا ماء لانفسهم فعلوا والا استنبطه لهم الاخرون او يمنعون من ضررهم
والاول اجهم احق بنصيبهم قوله اما والله لولا اهل المدينة لاحببت آه دل على ان من التواضع قيام الرجل
بنفسه على حوائج الاهل والعيال وان امكن بغيره وانه اذا لام اهل المدينة بذلك كان الاولى تركه
والحوالة على غيره مع الامكان قوله كان اقرب الناس من الله المتواضعون آه اى المتواضعون لله ولرسوله و
لاولى الامر وللمؤمنين الصالحين ولمن لا يعلم فسقه الموجب لاهانته الذين مع قصد وجه الله تعالى
فلو تواضع احد لغرض اشتهاره بهذه الفضيلة او لامر دنيوى كان يتواضع ابناء الدنيا لدنياهم وان لم
يكونوا ظالمين فهو من المرائين ومن ثم قال بعض الاكابر من التواضع ان يرى الرجل نفسه ادنى ممن دنياه
اقل ليظهر ان الدنيا لا قدر لها عنده وارفع من دنياه اكثر ليظهر ان لا قدر لها عنده وبسبب كثرة الدنيا
والمراد بقوله ارفع ترك التواضع دون التكبر لان التكبر مذموم مطلقا ثم الفرق بين المتواضع والمتكبر
ظم لان المتواضع فى مقام الذل والخشوع والعبودية والمتكبر فى مقام العلو والعتو والمضادة ومن البين
ان قرب احد المتقابلين بشئ يستلزم بعد الاخر عنه قوله فطاف بالبيت وهو طواف النساء ذكرا ولا

طواف البيت وذكر اخر الجزء الاخير منه للدلالة على انها اتت بجميع الافعال حتى الجزء الاخير فطاولت وتمخت
التطاول غلبه كردن بر يكديكر بدرازى والشموخ بلند شدن وتكبر كردن وفعله من باب منع والجبل الشامخ المرتفع
ومنه قيل شمخ بانفه اذا تكبر وتعظم وذلك ان كل واحد من تلك الجبال نظر الى عظم حجمه وزيادة عرضه وطول
مقداره اثر ذلك الجبل الموعود وتواضع الجودى نظر الى صغر حجمه وقلة عرضه وقصر مقداره وقطع الطمع من
ان يكون هو ذلك الجبل الموعود مع وجود الجبال الشامخات قيل هو جبل صغير كان في نجف امير المومنين عم
وقال صاحب القاموس هو جبل بالجزيرة استوت عليه سفينه نوح عم وفيه دلالة على ان للجبال نفوسا
والحمل على نحو من التخييل ونوع من التمثيل او على ان نعم واجد فيها نفوسا مدركة حين الخطاب بعيد على ان
الثانى لا ينافى القول بوجود النفوس لها والله اعلم فضربت السفينة بجوجوها الجبل اللام فى الجبل للعهد
اشارة الى الجبل الذى هو الجودى والجوجو كهدهد الصدر قال فقلت ان ابا الحسن عم عرض بنفسه التعريض
توجيه الكلام الى جانب وارادة جانب اخر تقول عرضت لفلان اذا قلت قولا وانت تعنيه فكانك اشرت
به الى جانب وتريد جانبا اخر لم تذكره فالتعريض خلاف التصريح وهو عم اشار الى تواضع الجودى وما
يلزم من تواضعه واراد به تواضع نفسه المقدسة باحتقارها فى ذبح الشاة فان فى ذبحها من الظهار العجز
والافتقار ما ليس فى ذبح البدنة قوله قال التواضع ان تعطى الناس ما تحب ان تعطاه اى تحب لهم ما تحب لنفسك
وتكره لهم ما تكره لنفسك وتجعل نفسك ميزانا بينك وبين غيرك فتريد لغيرك كل ما تريد لنفسك من
الخيرات الدنيوية والاخروية ولا تريد لغيرك كل لا ما تريد لنفسك من القبايح والشرور وذلك من اعظم
افراد التواضع وذل النفس وصرفها عن هواها قوله فقال التواضع درجات آه التواضع لله وللخلق درجات
باعتبار كمال النفس ونقصها وتوسطها منها ان يعرف المرء قدر نفسه بالنسبة الى ربه وخالقه ورازقه ومدبره
معيها فى مقام طاعته ويبعدها عن مقام معصيته ويذكره فى جميع الحالات بقلب سليم ذليل نقى منقاد لديه
بجميع ما فعل من البلاء والالاء وبالنسبة الى الخلق ويجعلها ميزانا بينه وبينهم فلا يجب ان يأتى الى احد الا
مثل ما يؤتى اليه فان راى سيئة منهم بالنسبة اليه دفعها بالحسنة وهى العفو والاحسان وبالنسبة الى

باب الحب فى الله والبغض فى الله

الرب بالموعظة البالغة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر على الوجه المقرر قوله من احب لله وابغض لله
واعطى لله فهو ممن كمل ايمانه حث على محبة الاخيار وبغض الاشرار واعطاء المستحق من المال المكتسب من
طريق الحلال والاخيار منهم من تقدست انفسهم بالطهارة الاصليه والتنزه الخلقيه عن الملكات الرذيله
وهم الانبياء والاوصياء عليهم السلم ومنهم من يطهر نفوسهم منها بالعلم بقبحها والوعيدات الالهيه وهم الذين يعرفون

لهم

لهم بالعلم والعمل ومحبة هؤلاء من توابع العلم والمعرفة ومحبته لله ثم وكمال الايمان والمحب من اولياء الله
ومن ادعى المحبة بدون علم ومعرفة فهو جاهل مغرور يكذبه ما روى ما اتخذ الله وليا جاهلا قط وينبغى
لمن ابغض فى الله ان يجتنب عن الغيبة كما صرح به الشهيد الثانى ره حيث قال ان البغض فى الله قد يؤدى
الى الغيبة وهو حرام وذلك بان يبغض على منكر قارفه انسان فيظهر بغضه ويذكر اسمه على غير وجه النهى
وكان الواجب ان يظهر بغضه عليه على ذلك الوجه وهذا مما يقع فيه الخواص ايضا فانهم يظنون ان البغض
اذا كان لله كان حسنا كيف كان وليس كذلك قوله قال من اوثق عرى الايمان آه العروة عروة الكوز
ونحوه والمراد بها هنا الاحكام والاخلاق والاداب اللازمة للايمان على سبيل المكنية والتخييلية اى
كل عروة يتمسك بها متمسك رجاء نجاة من مهلكة او ظفر بغنيمة ونعمة ومنزلة فاوثقها الحب فى الله والبغض
فى الله والاعطاء فى الله والمنع فى الله لان من تمسك بها تكامل ايمانه واستقام لسانه واستقر جنانه
وبه يتحقق التودد والتالف بين المؤمنين ويتم ويكمل نظام الدنيا والدين واما الحب لاجل المنفعة والاحسان
فهو وان كان فى غاية النقصان لتعلقه بالاخيار والاشرار ولكونه سريع الزوال وسقوط رتبته عن
الحب فى الله بهذا الاعتبار لكنه مستحسن عقلا ومطلوب شرعا لان له مدخلا ايضا فى تحقق التالف والتمدن
قوله ود المؤمن للمؤمن فى الله من اعظم شعب الايمان ود وتراوده من باب تعب ودا بفتح الواو وضمها احببته
والاسم المودة وفسرت الشعبة بالخصلة واصلها الطائفة والقطعة من الشئ وفى المصباح انشعبت اغصان
الشجرة تفرعت عن اصلها وتفرقت وفى هذه المسلة كثيرة الشعب آى التفاريع والشعبة من الشجرة الغصن
المتفرع منها والجمع الشعب مثل غرفة وغرف والشعبة من الشئ ما تشعب منه آى تفرع كغصن الشجرة وشعب الجبل
ما تفرق من رؤسها وعندى شعبة من كذا اى طائفة منه اذا عرفت هذا فنقول للايمان شعب كثيرة
كالصلوة والزكوة والصوم والعقايد العقليه الى غير ذلك من الاعمال والاخلاق والاداب الشرعيه و
من اعظم ذلك ود المؤمن للمؤمن لحسن صورته الظاهرة بالاعمال الشرعية وصورته الباطنه بالاخلاق
المرضيه وكلما كانت تلك الصور احسن واتم وجب ان يكون المودة اكمل واعظم ولذلك وجب ان يكون
المحبة للرسول وائمة الدين والاوصياء الراشدين صلوات الله عليهم اجمعين فى غاية الكمال ومن لوازم
محبتهم متابعة اقوالهم واعمالهم وعقايدهم وقوانينهم بقدر الامكان ثم بعد ذلك المحبة لاخوان الدين
وخلص المؤمنين والعلماء المتعلمين ومن اثار محبتهم رعاية حالهم وتفقد احوالهم واصلاح بالهم وقضاء
حوائجهم والاهتمام بامورهم ومن ادعى المحبة وليست له هذه الاثار فهو معدود من المنافقين والاشرار

91

قوله على منابر من نور النور الضوء وهو خلاف الظلمة والظاهر ان المراد بالمنابر معناها المعروف ويحتمل ان يراد
بها الدرجات العالية لانها كالمنابر بالنسبة الى الدرجات السافلة وان المراد بالنور الحقيقة اذ المحتاج
من الاعمال الصالحة وهى تتفاوت مراتبها نور يوم القيمة وقوله يعرفوا غاية لكونهم على منابر واضاءة نور
وجوههم قوله قال سالت اباعبد الله عم عن الحب والبغض امن الايمان هو اى عن حب على عليه السلم وبغض عدوه
عدوه او حب المؤمنين وبغض عدوهم او عن حب الخير والطاعة وبغض الشر والمعصية والحصر فى قوله وهل
الايمان الا الحب والبغض للمبالغة لان الايمان بالشىء لا يتحقق بدون حب ذلك الشىء وبغض ضده ولعل
المراد بالايمان فى الاخير على الاحتمال الاول على عم او الايمان به وبالكفر والفسوق والعصيان الثلثة الغاصبون
للخلافة او المراد بالكفر الانكار والجحود ظاهرا وباطنا وبالفسوق الانكار باطنا فقط وبالعصيان ترك بعض
السنة وعدم الامتثال بالاوامر والنواهى مع احتمال ان يراد بالايمان الايمان بالله وبرسوله ومحمد عليهم السلم
قوله فقال رسول صلى الله عليه وآله كلكم ما قلتم فضل وليس به ولكن اوثق عرى الايمان الحب فى الله ان الاعمال
الظاهرة بمنزلة الصورة والاعمال القلبية بمنزلة الروح ونظر الصحابة تعلق بحسن الصورة وكمالها ونظر النبى
تعلق بحسن الروح وكماله ولا شك فى ان الحب فى الله والبغض فى الله والتولى لاولياء الله والتبرى من اعداء الله
من صفات القلب واصل الايمان واوثق عراه ومنشا جميع الخيرات والكمالات وبه يتحقق العروج الى مقام القرب
لان الموصوف به لا يترك شيا من الخير غالبا ولا يقع فيما يقربه ويبغضه وبالجملة الاعمال القلبية هى المصححة
للاعمال الظاهرة والاعمال الظاهرة امارات ظنية على كمال فاعلها ومن ثم ورد فى الروايات ان الثواب والعقاب
على قدر العقول لا على قدر الاعمال الظاهرة فلا ينبغى الغلو فى تعظيم من حسنت اعماله الظاهرة اذ لعل الله تعالى
يعلم من قلبه وصفا مذموما لا ينفع معه تلك الاعمال ولا فى تحقير من ضعف فيه بعض تلك الاعمال ولعل
الله تعالى يعلم من قلبه وصفا محمودا يغفر له بسببه قوله فى ظل عرشه عن يمينه وكلتا يديه يمين ظاهره ان له جسمانيا
وان اشرف طرفيه يمينا والآخر يسارا يستقر فى الاول افضل الخلايق وفى الاخر دونهم فضلا
وكلا الطرفين يمين مبارك يامن من استقر فيهما ولا يبعد فيه كما ان لمر بيننا والاضافة للتشريف والتعظيم و
يحتمل ان يراد به الرحمة ولها افراد متفاوتة فاقواها يمين وادونها يسار وكلاهما مبارك يحفظ من اهوال القيمة
ومثل هذا الحديث رواه العامة عن النبى صلى الله عليه وآله وقال عياض ظاهره انه سبحانه يظلهم حقيقة من حر الشمس ووهج
الموقف وانفاس الخلايق وهو تاويل اكثرهم وقال بعضهم هو كناية عن كنهم وجعلهم فى كنفه وستره ومنه
قولهم السلطان ظل الله وقولهم فلان فى ظل فلان اى فى كنفه وعزته ولكن ان يكون الظل هنا كناية عن التنعم

والراحة

والراحة من قولهم عيش ظليل ويغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبى مرسل الغبط حسن الحال وهى اسم من
غبطته غبطا من باب ضرب اذا تمنيت مثل ما ناله من غير ان تريد زواله عنه لما اعجبك منه وعظم عندك
وهذا جائز فانه ليس بحسد فاذا تمنيت زواله فهو الحسد وغبط الرسول ذلك لا يوجب ان يكون منزله
دون منزلهم فان ذا المنزل الشريف قد يحبه منزل آخر دون منزله فى الشرافة قوله قام مناد فنادى يسمع الناس
فيقول اين المتحابون فى الله قال فيقوم عنق من الناس العنق الجماعة والظاهر ان المنادى غيره عم ويفهم من طريق
العامة ان المنادى هو سبحانه روى مسلم عن النبى صلى الله عليه وآله قال ان الله عز وجل يقول يوم القيمة اين المتحابون
بجلالى اليوم اظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى وقوله بجلالى اى بسبب تعظيم حقى وطاعتى وطلب رضاى
لا لغرض آخر دنيوى وهذا النداء تنويه واكرام قوله من علامات المؤمن علمه بالله ومن يحب ويبغض
اى علمه بمن ينبغى ان يحبه ومن ينبغى ان يبغضه فان المؤمن يكمل ايمانه بهذه العلوم ويهتدى الى خيره وشره و
نفعه وضره قوله ان الرجل ليحبكم وما يعرف ما انتم عليه فيدخله الله الجنة بحبكم دل على ان الشيعة يدخل الجنة
وكذا من احبه وان لم يكن من اهل المعرفة لكن بشرط ان لا يكون من اهل الانكار على الظاهر واما دخول غير العارف
فى النار قطعا بسبب البغض فلا ينافى دخوله فيها بسبب عدم المعرفة ايضا لانه قد يكون للدخول فيها اسباب متعددة
على ان عدم المعرفة المقرون بعدم الانكار لا يوجب الدخول فيها كما فى المستضعف لا سيما فى المحبة قوله والله يحبك
قيل اصل المحبة الميل وهو على الله سبحانه محال فمحبته للعبد رحمته وهدايته الى بساط قربه ورضاه عنه وارادته
ايصال الخير اليه وفعله فعل المحب وبغضه سلب رحمته عنه وطرده عن مقام قربه ووكوله الى نفسه ونظير
قوله والمرء مع من احب موجود فى طرق العامة ايضا روى مسلم ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله متى الساعة فقال
ما اعددت لها قال حب الله ورسوله قال انت مع من احببت وفيه فضل حب الله ورسوله وحب الصالحين و
ان محبهم معهم ولا يلزم من كونه معهم ان يكون مثلهم فى الدرجات واستحقاق الكرامات ونظير ذلك من
قولنا العبد زيد اذ خلات مع سيدك فى هذا المجلس فان لزيد مكانا فيه وللعبد مكانا آخر والظاهر ان مجرد المحبة
يقتضى ذلك وان لم يقترن مع العمل ويدل على ذلك حديث شاب كان يحب رسول الله صلى الله عليه وآله كثيرا فلما فقده النبى
اياما سال عنه فقال بعض الحاضرين انه مات وطعنه بانه كان مراهقا يتبع ادبار النساء فزجره صلى الله عليه وآله وقال
انه كان يحبنى حبا لو كان نخاسا غفر الله له قوله لو ان رجلا احب رجلا لله لاثابه الله وذلك لان حبه
وبغضه اياه راجعان الى حب طاعة الله وبغض معصيته وهما من جملة الاعمال القلبية الصالحة المقتضية
للثواب الجزيل قوله تذكرو رجب فى الله ورسوله وحب فى الدنيا والاول لحب الاخيار والعلماء والعباد و

٩٢

والزهاد والعلماء لاجل ارشادهم وهدايتهم وعبادتهم وصلاحهم وزهادتهم فانه لمحض التقرب من الله وطلب
رضاه والثاني كحب رجل لنيل الاحسان والجاه والمال منه فانه لاغراض دنيويه دائرة مثل الدنيا فليس بشيء
يعتد به قوله ان المسلمين ملتقيان فافضلهما اشدهما لصاحبه اي افضلهما ثوابا وقربة ومنزلة عند الله تعالى
اشدهما لصاحبه في الله لا في الدنيا فانه ليس بشيء يعتد به كما مر قوله فلا دين له اي على وجه الكمال او على نحو الحقيقة
ان كان مستحقا والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من المحبة على الدين قوله من زهد في الدنيا زهد في الشيء وعن الشيء
زهدا وزهادة اذا رغب عنه ولم يرده ومن فرق بين زهد فيه وعنه فقد اخطأ كذا في المغرب وقال صاحب

باب ذم الدنيا والزهد فيها

العدة ان النبي صلعم سال جبرئيل عم عن تفسير الزهد فقال جبرئيل عم ان الزاهد يحب من يحب خالقه ويبغض من
يبغض خالقه ويتحرج عن حلال الدنيا ولا يلتفت الى حرامها فان حلالها حساب وحرامها عقاب ويرحم
جميع المسلمين كما يرحم نفسه ويتحرج من الكلام فيما لا يعنيه كما يتحرج من الحرام ويتحرج من كثرة الاكل كما
يتحرج من الميتة التي قد اشتد نتنها ويتحرج من حطام الدنيا وزينتها كما يتجنب النار ان يغشاها وان
يقصر امله وكان بين عينيه اجله وروي عن امير المؤمنين عم ان الزهد قصر الامل وسعيه القلب وان لا يغتر
بالثناء ولا يغتم بالذم ولا ياكل الطعام ولا يشرب شرابا ولا يلبس ثوبا حتى يعلم ان اصله طيب وان
لا يلزم الكلام فيما لا يعنيه وان لا يحسد على الدنيا وان يحب العلم والعلماء وان لا يطلب الرفعة والزخرف
وقال بعض العلماء اصل الزهد اربعة اشياء الحلم في الغضب والجود في القلة والورع في الخلوة وصدق القول
عند من يخاف منه او يرجو وقال بعض الاكابر ان الزهد ثلثة احرف زاء وهاء ودال فالزاء ترك الزينة والهاء
ترك الهوى والدال ترك الدنيا وينبغي ان يعلم ان الزهد في الدنيا والصبر والشكر والتوبة والخوف والرجاء
والمحبة والتوكل والرضا وغيرها من الفضائل النفسانية والخصائل الروحانية صفات للنفس وحالات
لها حصولها تابع لحصول الحكمة اعني العلم بالدين ثم ان حصول هذه الامور ورسوخها سبب لبقاء الحكمة
واستمرارها وثباتها وزيادتها كما قال عم من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه من الاثبات بالثاء
المثلثة او بالنون فمن اعظم مكارم الصالحين واجل صفات العارفين الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله
كما ان من اشنع صفات المنافقين واقبح سمات الغافلين الرغبة في الدنيا والاعراض عما عند الله وعن
الاحوال الاخرة والاصل في الاول العلم بان الدنيا ولذاتها امتعة باطلة وامتعة زائلة والاصل في الثاني
الجهل بزوالها وفنائها وثبات الاخرة وبقائها قال الله تعالى في وصف الفريقين فخرج على قومه في زينته
قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم

ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فانظر كيف نسب الرغبة في الدنيا الى الجهال والزهد
الى العلماء وذم الاولين غاية الذم واثنى على الاخرين نهاية الثناء وقال لنبيه صلعم ولا تمدن عينيك الى ما
متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال في وصف الكفار الذين
يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة ويفهم منه وصف المؤمنين وهو انهم يستحبون الحيوة الاخرة على الحيوة الدنيا
وقال في وصف المؤمنين فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقد سئل رسول الله صلعم عن معنى هذا
الشرح فقال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك علامة قال نعم
التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد وهو
التجافي عن دار الغرور شرط الاسلام وعلامة نور القلب وانشراح الصدر ثم الكلام هنا في نفس الزهد وفيما
يرغب فيه اما الاول فدرجاته ثلثة الدرجة السفلى ان يزهد في الدنيا ويتركها وهو له مشقة ونفسه مائلة اليها
ولكن يجاهدها ويمنعها عن التوجه اليها وهذا شبيه بالمتزهد بل سماه بعض اهل التحقيق به والدرجة الوسطى
ان يتركها طوعا بلا مشقة لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كمن يترك درهما لدراهم كثيرة فانه لا يشق
عليه ذلك وان احتاج الى انتظار ما ولكن يرى هذا زهده ويظن انه ترك شيئا له قدر لاجل ما هو اعظم منه
والدرجة العليا ان يتركها طوعا ويزهد في زهده ولا يظن انه ترك شيئا لعلمه بان الدنيا لا شيء كمن ترك قذرة
لاجل جوهر ثمين فانه لا يرى ان ذلك معاوضة ولا يرى انه ترك شيئا فان الدنيا بالقياس الى الاخرة اخس من
قذرة بالقياس الى جوهر ثمين وهذا هو الزهد الحقيقي وسببه كمال المعرفة بخسة الدنيا وكمال الاخرة واما
الثاني فدرجاته ايضا ثلثة الدرجة السفلى ان يترك المحرمات الشرعيه والاعمال القبيحة والدرجة الوسطى ان
يترك مع ذلك الرذائل النفسانيه مثل الشهوة والغضب والكبر والحسد وحب الرياسة وامثالها والدرجة العليا
ان يترك جميع ما سوى الله جل شانه وهو في هذه الدرجة يزهد في نفسه ايضا ولا يرى في الوجود الا هو وهو
معنى الوحدة واما الثالث فدرجاته ايضا ثلثة الدرجة السفلى ان يكون الغرض من زهده هو النجاة من النار
ومن سائر الالام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطرات الصراط وبواقي الاهوال المتعلقة بالقيمة
والدرجة الوسطى ان يكون الغرض مع ذلك الرغبة في ثواب الله ونعيم الجنة واللذات الموعودة مثل الحور
والقصور وغيرها والدرجة العليا ان لا يكون له رغبة الا في وجه الله ولقائه ولا يلتفت الى سواه وهذا
زهد المحبين ورغبة العاشقين واذا ضربت الثلثة الاولى في الثلثة الوسطى ثم الحاصل في الثلثة الاخيرة
حصل سبعة وعشرون نوعا متفاوت المراتب والدرجات ويندرج تحت كل نوع اشخاص وجزئيات فيه

محصورة والله ولي التوفيق وقد اشار عم الى بعض اثار الزهد ولوازمه بقوله اثبت الله الحكمة في قلبه حتى
يصير قلبه الحيا وضورياتيا ينقطع عن التعلقات الناسوتية لمشاهدة جمال اسرار الغيبية اللاهوتية
وانطق به لسانه حتى يقول الحق ويرشد اليه وينهى عن الباطل ويخوف عليه ويصره عيوب الدنيا
داءها ودواءها اما عيوبها فهي انها دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة وبالفناء موصوفة لا تدوم
احوالها ولا يسلم من الافات نزالها احوالها مختلفه واوضاعها متبدلة ونعمها منصرفة العيش فيها
مذموم والامان فيها معدوم والطالب لها محروم واهلها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم
بحمامها واما داءها فهو الغفلة عن الحضرة الربوبية والاستحقاق للعقوبة الدنيوية والاخروية واما
دواءها فهو تنزيه النفس عن الميل الى زهراتها والرغبة في فنائها والعبرة باحوال الماضين والاتعاظ بالخلع
السابقين حيث كانوا اطول اعمارا واعمر ديارا وابعد اثارا واشد قوة واكثر اعوانا فقد صارت اصواتهم
هامدة ورياحهم راكدة واجسادهم بالية وديارهم خالية واثارهم عافية فاستبدلوا بالقصور المشيدة
والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة والقبور اللاصقة اللاطئة والعيان المؤمن يعلم ان الامراض
الروحانية ليست باهون من الامراض الجسدانية وهو يسعى في دفع هذه الامراض بقدر الامكان وبغفل عن
دفع الاولى ويضعها في زوايا النسيان ومن الله التوفيق والتكلان ولخرجه من الدنيا سالما من الافات
في الدين والنواقص في اليقين الى دار السلام وهي الجنة التي وعد المتقين قوله جعل الخير كله في بيت وجعل
مفتاحه الزهد في الدنيا وحكم المقابلة جعل الشر كله في بيت وجعل مفتاحه الرغبة في الدنيا و
هذا التمثيل لقصد الايضاح والتحقيق دون المبالغة لان كل ما ينبغي ان يتصف به الانسان من العقايد
والاخلاق والاداب والاعمال التي بينها الصادقون ورغبوا فيها فهو الخير والمندرج في ترك الدنيا و
رفض الميل اليها والتعلق بها وكل ما ينبغي ان يتنزه عنها فهو الشر والمندرج في حب الدنيا والرغبة
فيها يحكم به التصريح العقل بعد التامل في ما يصدر عن الانسان فان كل ما يصدر عنه فالغرض منه اما
حب الدنيا كالبخل والحرص والحسد والكبر وترك الزكوة لجمع المال وترك الصلوة لحب الراحة وامثال ذلك
او حب الله وحب الاخرة ورفض الدنيا كاضداد الامور المذكورة ومن ثم قيل القلب بقدر تعلقه بالدنيا
ينقطع تعلقه بالله وباليوم الاخر وبعد تعلقه بالخير ثم قال قال رسول الله صلعم لا يجد الرجل حلاوة الايمان
حتى لا يبالي من اكل الدنيا شبه الايمان بحلو في ميل الطبع واثبت له الحلاوة من باب المكنية والتخيلية
او شبه اثرا من اثار الايمان وهو محبة الرب وقربه حتى لا يبالي من اكل الدنيا اي لا يهتم به ولا يكترث له

ولا

ولا نعماء ولا يرى له قدرا وهذه الخصلة لا تحصل الا بتنزيه القلب عن محبة الدنيا والزهد فيها وقطع التعلق
فيها بالكلية قوله ان من اعوان الاخلاق على الدين الزهد في الدنيا الظهور ان الاشتغال بالدنيا وصرف الفكر
في طرق تحصيلها ووجه ضبطها ودفع موانعها مانع عظيم من تفرغ القلب للامور الدينية وتفكره فيها
وطلب امر الاخرة ولذلك روى ان الدنيا والاخرة ضرتان اذا الميل باحدهما يضر بالاخرى فترك الدنيا
معين تام على طلب الدين قوله ان رجلا سال علي بن الحسين عليهما السلم عن الزهد فقال عشرة اشياء فاعلى
درجة الزهد الورع قال عليه في باب الرضا بالقضاء اعلى درجة الزهد ادنى درجة الورع كما في اللواحق وقد
مر شرحه بعد باب الورع في ذلك الباب فلا نعيده ثم اشار الى ان اكمل افراد الزهد ما ذكر الله بقوله الاولى الزهد
في اية من كتاب الله عز وجل لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم فيه تنفير عن تمني الدنيا والرضا
بحصولها وعن الم بفواتها ودلالة على ان الزهد ليس فقدها بل عدم تعلق القلب بها بحيث لا يفرح بحصولها
ولا يحزن بفواتها وبعبارة اخرى تركها ونحن بوجودها العلم بانها من اعظم اسباب الغفلة ونقل السيد رضي
الدين عن امير المومنين عليه السلم انه قال الزهد بين كلمتين قال الله تعالى لكيلا تاسوا اى تحزنوا على ما فاتكم من عروض
الدنيا ولا تفرحوا بما اتيكم ومن لم ياس على الماضي ولم يفرح بما اتى فقد اخذ الزهد بطرفيه وقيل الزهد تحويل
القلب من الاسباب الى رب الاسباب ومن اتصف بهذين الوصفين فقد حول قلبه اذ الميلان فرع الفرح
والمحبة ومن كلام عم شعر لئن ساءني دهر عزمت تصبرا ٭ فكل بلاء لا يدوم يسير ٭ وان سرني لم ابتهج بسروره ٭
فكل سرور لا يدوم حقير ٭ ومن راى بعين اليقين هذا المعنى فقد جذب اليه اهل السير وقد عرفت ان الزهد شعب
كثيرة فمراده عم ان هذين الوصفين يصيران المتصف بهما متصفا باوصاف اخر قوله كل قلب فيه شك او شرك
فهو ساقط كان المراد ان كل قلب متعلق بالدنيا وان فاته فيه شك في امر الاخرة اذ اليقين يقتضي رفض الدنيا
او شرك بالله لمتابعة الهوى والترديد على سبيل منع الخلو فهو ساقط عن درجة المحبة والسعادة والزهد وبين
ذلك بقوله وانما ارادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للاخرة يعني ان الغرض من الزهد في الدنيا ورفضها
تخليص القلب وتطهيره عن حب الدنيا وعن ميلها اليها وجعله متوجها الى امر الاخرة وما ينفع فيها له اما
بدوام الذكر والطاعة في جميع الجوارح وهي تزيد وتنمو حتى يصير القلب نورانيا يشاهد جلال الله وعظمته و
اسرار الغيبية التي لا يقدر على تحملها ثم يتشرف بمقام الانس بالله ثم بمقام المحبة ثم بمقام الرضا ثم بمقام الفناء
في الله وهو في هذا المقام لا يرى في الوجود الا هو والى هذه المراتب اشار جل شانه بقوله ومن يرد ثواب الاخرة
نزد له في حرثه بخلاف القلب الملوث بشهوات الدنيا فان الذكر والطاعة لو تحققا لا يوثران فيه بل انه يفسد ان

كالبذر في الارض السبخة والطعام في المعدة الممتلية بالاخلاط الفاسدة ولذلك ترى كثيرا من الذاكرين والعابدين
لا يجدون من السعادة الا اسما ولا يعلمون من المعرفة الا رسما وهم من قرب الحق محرومون وعن ساحة ابراره
مطرودون **قوله** علامة الراغب في ثواب الاخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا لكل حق علامة دالة عليه وعلامة
من رغب في ثواب الاخرة الذي اعظمه قرب الحق زهده في زهرة الدنيا لانها ينافيه ومن رغب في شيء ترك ما ينافيه
بالضرورة ويطلب ما يحقق حصوله فمن ادعى الرغبة في ثواب الاخرة وهو راغب في الدنيا فهو كاذب وانما التقييد
لفظ العاجل لان زهرة الدنيا المتعلقة بالاجل والاخرة كقدر ما يحتاج اليه الانسان في تحصيل ما ينفع في الاخرة
لا ينافي الرغبة في ثوابها بل معين لحصوله والمراد بزهرة الدنيا متاعها تشبيها بزهرة النبات لحسنها في اعين الناس
ثم بيّن على الزهد وترك الحرص والاجتهاد والرغبة في الدنيا على وجه المبالغة للتنبيه والتاكيد بالتكرير وعبّر
بقوله اما ان زهد الزاهد في هذه الدنيا الاشارة للتحقير لا ينقصه مما قسم الله له عز وجل فيها وان زهد كيف
وقد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله
بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا فالزهد باعث لوصول القسم والرزق لا مانع له وان حرص الحريص على
عاجل زهرة الدنيا لا يزيده فيها وان حرص لان قسمه من الدنيا ما يحتاج اليه في بقائه والزايد عليه على تقدير
حصوله بالحرص ليس قسما بل العين والحاصل ان وصول القسم وعدم وصوله منوط بالتقدير والمشية فالقدر قسما له
ياتيه وان زهد وما لم يقدر قسما له لا ياتيه وان حرص ولا ينافي هذا قوله تعم ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها
وما له في الاخرة من نصيب اذ لا دلالة فيه على ان جميع ما اتاه قسم ورزق له فالمغبون من حرم حظه من الاخرة
هذا كالنتيجة للسابق وتعريف المبتدا باللام دل على انحصار الغبن فيه لما عرفت من ان قسم كل احد ياتيه زهدا
وحرصا فلا غبن فيه وانما الغبن في فقد النصيب في الاخرة بترك العمل له **قوله** ما اعجب رسول الله صلعم شيء من
الدنيا الا ان يكون خائفا خائفا جوفه كان فوق الخائفين وجوعه مشهور وفي كتب الاحاديث مذكور و
قد روي انه لم يشبع من خبز الحنطة ثلثة ايام متوالية ولا من اللحم قط وانه اهضم اهل الدنيا كشحا واخمصهم بطنا
وانه اذا اشتد جوعه كان يربط حجرا على بطنه ويسميه المشبع وانه كان ياكل على الارض ويجلس جلسة العبد
ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه وانه راى سترا نصبته بعض
ازواجه على باب داره فقال لها غيبيه عني فاني اذا ذكرت الدنيا وزخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه واماتت
ذكرها من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه وما ذلك الا لخسة الدنيا ومتاعها في نظره فليكن لك اسوة
حسنة به صلى الله عليه وآله واعلم ان في الجوع فوايد منها صفاء القلب وتنوره وكثرة الاكل تظلم وتميته ومنها

رقة القلب والالتذاذ بذكر الرب ومناجاته والبطنة تغلظه وتمنع استقرار الذكر ومنها العجز والانكسار
والشبع يوجب العزة والافتخار ومنها القرب من الحق والشبع يوجب البعد عنه قال الصادق عم ان البطن ليطغى
من اكله اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل اذا خف بطنه وابغض ما يكون العبد الى الله عز وجل اذا امتلا
بطنه ومنها تذكر الجايعين وتذكر جوع يوم القيمة فيزداد سعيه له وكثرة الاكل توجب الغفلة عنهما ومنها
التسلط على كسر النفس وكثرة الاكل توجب تسلط النفس ومنها قلة النوم والاقتدار على العبادة والاكول في
غفلة النوم وتضييع العمر ومنها كثرة الحفظ وقلة النسيان والاكول على عكس ذلك ومنها صحة البدن والاكل
الكثير يوجب امراضا شديدة ومنها قلة الاحتياج الى الاموال واسباب الدنيا وصرف العمر في جمعها وحفظها
ومنها الاقتدار على الصدقة والايثار لعدم الحاجة الى الزايد **قوله** خرج النبي صلعم وهو محزون لعل حزنه كان
لضعف المسلمين وقوة المشركين والاهتمام بتهيئة اسباب الجهاد **قوله** الدنيا دار من لا دار له لعل في الاخرة لا من
له دار في الاخرة وهي الجنة لا يسكن قلبه الى الدنيا ولا يتخذها دارا وموضع اقامة لنفسه ويحتمل ان يكون
المراد ان الدنيا دار من ليست له حقيقة الدار لعدم لا في الاخرة وهو ظم لظهور ان بناها على العمل لها وترك
الدنيا ولا في الدنيا لظهور ان الدنيا ليست دار اقامة فمن ليست بدار حقيقة ثم قبح الدنيا والجمع لها بقوله ولها يجمع
من لا عقل له لان العاقل يعلم بنور بصيرته ان الدنيا ومليحها مضرة مؤذية باهلها مضرة بامر الاخرة فلا يسكن
اليها ولا يشتغل بالجمع لها بل يقربها الى الله واما الجاهل فلجمود عقله يغفل عن امر الاخرة ولا يعلم الا ظاهرا
من الحيوة الدنيا وليس له هم الا الجمع لها فانظر ايها الاخ في الله الى همة رسول الله صلعم كيف ترك الدنيا و
رفضها وهي في يده من غير تعب ولا ضرر في شيء من امر آخرته وما له عند الله من المقامات العالية لظهور عيوبها
وكثرة مقابحها ومساويها وليكن لك اسوة حسنة بنبيك الاطهر بل انت اولى بتركها واجدر لانك لا تخلو
من التعب وتحصيلها ومن الحرمان في عدم حصولها ومن الضرر في امر الاخرة والدنيا **قوله** مر رسول الله صلعم
بجدي اسك ملقى على مزبلة ميتا الاسك مقطوع الاذنين او صغيرهما مطلقا او مع لصوقهما بالراس و
قلة اشرافهما والمزبلة بفتح الباء والضم لغة موضع يلقى فيه الزبل بالكسر وهو السرقين ثم استفهم عن قيمته فقال
لاصحابه كم يساوي هذا والغرض من هذا السؤال تقريرهم على انه خبيث لا قيمة له فهم اقروا بذلك فقالوا
لو كان حيا لم يساو درهما فهو على هذه الحالة الكريهة غير مرغوب لاحد فلا قيمة له والغرض من هذا التقرير
تنفيرهم عن الدنيا بتشبيهها به وتفضيلها عليه في الهون والخبث لانه لا ينفع ولا يضر بخلاف الدنيا فانها
يضر كثيرا فقال النبي صلعم والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله من هذا الجدي على اهله ونظيره قول امير المؤمنين عم

والله لدنیاکم هذه اهون فی عینی من عُراق خنزیر فی ید مجزوم العراق عظم العین وعفیت الرآء العظم و لحم
نظیره ما روی مسلم عن جابر بن عبد الله الانصاری ان رسول الله صلعم مر بالسوق فمر بجدی اسك میت
فتناوله فاخذ باذنه ثم قال ایکم یحب ان هذه له بدرهم فقالوا ما نحب لنا بشیء وما نصنع به قال اتحبون انه لکم
قالوا والله لو کان حیا کان عیبا فیه لانه اسك فکیف وهو میت فقال فوالله الدنیا اهون علی الله من هذا
علیکم وروی ان الدنیا یوم القیمة تقول یا رب اجعلنی لادنی اولیائك نصیبا الیوم فیقول الله جل جلاله
اسکتی یا لاشیء انی لم ارضك لهم فی الدنیا کیف ارضاك لهم الیوم قوله لم لطلب احد الحق بباب افضل من الزهد
فی الدنیا للحق ابواب لا یمکن الوصول الیه الا بالدخول فیها منها الطاعات وترك المنهیات علی انواعهما ومنها
للاخلاق الفاضله ومنها ترك الاخلاق الباطله الزهد فی الدنیا اعظم هذه الابواب لانه مفتاح لجمیعها ثم
اشار الی ضده علی وجه یفید ان الزهد یوجب محبة الحق وانه عبارة عن تطهیر القلب من الرغبة فی الدنیا
ومیله الیها لا عن ترکها اذ الدنیا مع تعلق القلب بها فقال وهو ضد لما طلب اعداء الحق وقول السائل ماذا
سوال عما طلب اعداء الحق وقوله علیه السلام من الرغبة فیها بیان للموصول یعنی ان با طلبه اعداء الحق هو الرغبة
فی الدنیا والمیل الیها وهی من اعظم البعد عن الحق والبغض له والمعاندة معه والظم ان قوله الا من صبار کریم
ای خیر شریف النفس استثناء من الرغبة فیها ای الا ان یکون الرغبة فیها من صبار کریم یطلبها من طرق الحلال
ویصبر عن الحرام واخراج الحقوق المالیه واغاثة الفقراء وذوی الحاجات فان الرغبة فی هذه الدنیا من الصبار
ثم حث علی الزهد والصبر علیه ونفر عن الدنیا بقوله فانما هی ای الدنیا ایام قلایل وهی ایام العمر
فیقضی حثیثا وینتهی سریعا الی الاخرة والصبر علی المشاق المنقضیة سهل علی النفوس العاقله سیما اذا
کان مستلزم للراحة الدائمة ثم اشار الی بعض اثار الزهد واشرف مقاماته بقوله اذا تخلی المومن من الدنیا
سما آه ای اذا تخلی المومن من الدنیا بان قطع تعلقه بها واخرج حبها عن قلبه ارتفع من حضیض النقص الی
اوج الکمال ومن مقام الکثرة الی ساحة القدس والجلال وجد فی قلبه حلاوة حب الله وکان عند اهل
الدنیا الراغبین فیها کانه قد خولط واختل عقله وانما خالط القوم ودخل فی قلوبهم حلاوة حب الله فلم
تشتغلوا بغیره وفیه اشارة الی اعلی درجات الزاهد وهو ان یفرغ قلبه عن غیر الله تم حتی الخوف من النار
والطمع لسکره بحلاوة المحبة والقرب منه فلا یری لغیره وجود افضلا عن ان یشتغل به وهو مقام الفناء فی
الله وانما قلنا هذا اعلی درجات الزاهد لان ادنی درجاته ان یترك الدنیا ویصبر علی الترك مع المیل الیها
واوسطها ان یترك المیل الیها ایضا وهو بعد فی مقام الکثرة واذا دام علیه وصار ذلك ملکة له وطهر ظاهره

وباطنه

وباطنه عن جمیع المقابح لان کلها ناشیة من حب الدنیا یرتقی من هذا المقام الی مقام التوحید المطلق وعالم
القدس فیتجلی فیه انوار الحق واسراره ویشاهد بنور البصیرة جماله وکماله وعظمته وقدرته ویستغرق
فی بحر محبته ویغفل عن نفسه فضلا عن غیره بل وق حلاوة حبه ویصح الطواره واوضاعه و
اقواله وافعاله وحرکاتهم وسکناتهم فیظنون انه خولط واختل عقل حیث لم یجد واعقله کعقلهم
وفعله کفعلهم ولذلك نسب کفرة القریش الجنون الی النبی المبارك صلعم ویقرب منه قوله ان القلب اذ لما
صافت به الارض حتی یسمو القلب من عالم القدس النورانی وعالم الاعلی الروحانی وسکونه الی هذا العالم
الجسمانی واستقراره فی عالم البدن الانسانی انما هو بقدر تعلقه به وغفوله عن ذلك العالم الاصلی فاذا
صفا عن الخباثات النفسانیه والرذایل الشیطانیه والقیودات الدنیویه والتعلقات البشریه والطبیعیه
واتصف بالکمالات الروحانیه والصفات الشریفة الربانیة تذکر مکانه الاصلی وقطع یده عن الاسباب و
تعلق برب الارباب فیکشف عنه الحجاب فضاقت به الارض فیضطرب ویستوحش منها ولا یستقر حتی یسمو
ویرتفع من هذا العالم الی العالم الاعلی ویتشرف بقرب المولی وان شئت زیادة توضیح فیقول لما کانت الارض
اعظم اجزاء الانسان وکانت قواه الظاهرة والباطنة مایلة الیها بالطبع لکمال النسبة بینهما کانت الدواعی
الی زهراتها الحاضرة والبواعث الی لذاتها الظاهرة فربما یشتغل بها ویکتسب الاخلاق والاعمال الفاسدة لتحصیل
المقاصد حتی یصیر النفس تابعة لها راضیة باثرها مشعوفة بحلها متکدرة بالشهوات منغمر فی اللذات محب
الاستقرار فی الارض وترکن الیها واما اذا امتنعت تلك القوی عن مقتضاها وصرفتها عن هواها وردو ضنها
بمقامع الشریعة وادبتها باداب الطریقه حتی غلبت علیها وصفت عن کدوراتها وطهرت عن خبائث لذاتها
وتخلصت من قیود ذاتها وتحلت بالاخلاق الفاضله والاعمال الصالحة والاداب الرفیعة والاطوار المرضیه
ضاقت بها الارض حتی تسمو الی عالم النور الروحانیه فتشاهد عالم الاعلی بالعیان وتنظر الی الحق بعین العرفان
ویزداد لها نور الایمان والایقان فتعاف جملة الدنیا والاستقرار فی الارض مدتها فی هذه الدنیا وهی فی
عالم الاعلی وفیه ترغیب العقلاء فی ترك الدنیا وتحریك لهم الی ترك الطبایع ورسوم العادات وحجر لقویهم
عن الفضول والمنهیات لتصفو بذلك عن الرذایل الناسوتیه وتتصل بالحق وتشاهد الاسرار اللاهوتیه
وهو غایة مقصد الانسان ونهایة مطلب اهل العرفان قوله وان لذلك شعبا کثیرة وللعاصی شعبا شعب الزهد
اضداد شعب المعصیة اعنی التواضع وهو ضد الکبر والقنوع وهو ضد الحرص والرضا بما اتاه الله وهو
ضد الحسد والمذکورات من باب التمثیل والا جنود العقل کلها شعب الزهد وجنود الجهل کلها شعب المعصیة

والحرص وهو معصية آدم قال الله تعالى وعصى ادم ربه فغوى قال بن تنزه الانبياء عن الذنوب ان النهي عن تناول
الشجرة نهي تنزيه لا تحريم فيكون التناول ترك اولى وافضل واورد عليهم بان اطلاق اسم العاصي على آدم
بهذا الاعتبار يوجب ان يوصف الانبياء عليهم السلم بانهم عصاة اذ لا يكاد انفكاكهم من ارتكاب مثل هذا المعنى
واجيب بان اسم العاصي على ادم بهذا المعنى مجاز والمجاز لا يقاس عليه ولا يتعدى عن موضعه وعلى تقدير
جواز القياس عليه بطلان التالي ممنوع اذ لا محذور في اطلاق اسم العاصي عليهم بهذا الاعتبار فدخل ذلك
اي الحرص او اخذ ما لا اخلاص وذلك ان اكثر ما يطلب ابن آدم انما قال الاكثر لان قدر الكفاف لا بد منه
وتحصيله عبادة لاحتياج القوام البدن وفعل الطاعات عليه فتشعب ذلك اي من ذلك المذكور وهو
الكبر والحرص والحسد وتخصيص الاشارة بالحسد بعيد بحسب المعنى وان كان قريبا بحسب اللفظ فصرن
سبع خصال اي فصارت شعب المعاصي المذكورة سبع خصال وهي حب النساء الى آخره فاجتمعن اي سبع
خصال او هي جميع المعاصي المذكورة وهي الكبر والحرص والحسد كلهن في حب الدنيا والظرفية باعتبار الاكثر
فحب الدنيا الذي في حب الدنيا فقال الانبياء والعلماء المراد بهم الاوصياء او الائمة بعد معرفة ذلك وهو ان
المعاصي والخصال الذميمة كلها في حب الدنيا حب الدنيا راس كل خطيئة هذا الكلام على سبيل الحقيقة
دون المجاز والمبالغة لان كل خطيئة تابعة لحب الدنيا منبعثة منها لان الدنيا طريق للهوى وسبيل
الى الشهوات الحاضرة الخالية واللذات العاجلة الاعتبارية التي منها الكبر والحرص والحسد وحب النساء
وغيرها من الخصال المذكوره وغير المذكورة من متعلقات الهوى والمنى رسما وعادة وهذه الامور لا تحصل
الا باستعمال القوة الشهوية الخاليه والقوة الغضبيه الدافعة للموانع منها ويتولد منهما مفاسد كثيرة غير
محصورة ومن ههنا علم ان كل خطيئة تنبعث من حب الدنيا وتتفاوت باعتبار التفاوت في حبها
فمن ترك حبها صار خالصا لمولاه ومن احبها صار عبدا للدنيا ثم اشار الى ان مطلق الدنيا ليست بمذمومة
بقوله والدنيا دنياآن دنيا بلاغ وهو قدر الكفاف من طريق الحلال وهذا القدر لا بد لكل احد حتى الانبيا
والاوصياء الذين غاية همتهم ترك الدنيا والتوجه الى المولى وهو المعين للبقا والعبادة ودنيا ملعونة
وهي الزايدة على قدر الحاجة والحاصلة من طرق الحرام او الداعية للنفس الى الطغيان والقلب الى العصيان
واهلها الى الخذلان ويتعلق اللعن بها باعتبار تعلقه باهلها او باعتبار انها بعيدة عن الخير قوله ان في
طلب الدنيا اضرارا بالاخرة لان توجه الظاهر والباطن اليها وصرف الفكر فيها وفي كيفية تحصيلها وحفظها
ولارسال القوة الشهوية والغضبية الى الجلب والدفع ينافي طلب الاخرة والتوجه اليها ويمنعهم منه ان

المذموم

٩٧

المذموم من الدنيا ما يضر بامر الاخرة واما منها ما لا يضر به كقدر الحاجة في البقاء والعيش فليس بمذموم بل
ممدوح قوله اكثروا ذكر الموت فانه لم يكثر انسان ذكر الموت الا زهد في الدنيا لان اكثار ذكر الموت وما يلحق الانسان
من بعده مع قلب حاضر من اشد الجواذب عن الدنيا الى الله وفيه تنفير عن محبة الدنيا والاشتغال بالعمل لها وخوف
وانما قلنا مع قلب حاضر لان اكثر اهل الدنيا يذكرون الموت ويمشون خلف الجنائز ويشاهدون مساكن
الموتى ولا تأثر قلوبهم لاشتغالها بامور الدنيا وتكدرها بفكر بها حتى صارت مظلمة لا يستقر فيها نور
وحقيقة الموت وما بعده وهكذا حال جميع العبادات فانها لم يقترن بحضور القلب لا يحصل منها الا
المقصد وهو قرب الحق ومشاهدة جلاله والوصول الى حقيقة كمال الانسان قوله قال ابو جعفر عم ملك
ينادي في كل يوم ابن آدم لد للموت واجمع للفناء وابن للخراب في نهج البلاغة قال امير المؤمنين عم ان لله ملكا
ينادي في كل يوم لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب قال شارحه ليست اللام فيها للغرض وانما
هي للعاقبة نحو قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قوله قال علي بن الحسين عليهما
السلام ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة رحل عن البلد وارتحل شخص وسار والمراد بادبار الدنيا انقضائها و
انصرافها ففيه اشارة الى نقض الاحوال الدنيوية الحاضرة بالنسبة الى كل احد من صحة وشباب وجاه
ومال وكل ما هو سبب لصلاح حاله في الدنيا فان كل ذلك اجزاء الدنيا الدنيه من الانسان و
لما كانت هذه الامور دائما في التغير والنقص المفضي المفارق الانسان لها وبعدها عنه حسن اطلاق
اسم الادبار على نقصها وبعدها وتشبيهها بالحيوان في الادبار مكنيه واثبات الارتحال لها تخييليه ونسبة
الادبار اليها ترشيح واشار الى ان الاخرة على عكس ذلك بقوله وان الاخرة قد ارتحلت مقبلة الاخرة عبارة
عن دار جامعة لاحوال يعود اليها الناس بعد الموت من طاعة ومعصية وسعادة وشقاوة وغيرها
ولما كان بعض العمر شيا فشيا باعثا للوصول الى تلك الدار والورود على ما فيها من خير او شر كان كل احد
متوجها اليها واعتبر توجهها اليه ايضا فشبهها بحيوان حامل الاثاث تلك الاحوال مقبلا اليه فمن قرب
ملاقيا ان فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والى مضمون الفقرتين اشار امير المؤمنين
عليه السلم بقوله كل ماض فكان لم وكل آت فكان قد اي كان لم يكن وكان قد اتى حذف الفعلان
لظهورهما ولكل واحدة منهما بنون استعار لفظ البنين للخلق بالنسبة الى الدنيا والاخرة ولفظ الاب
لهما ووجه الاستعارة ان الابن لما كان من شانه الميل الى الاب بحسب الطبع او بحسب توقع النفع ومن شان
ابيه ايصال المتوقع وكان الخلق منهم من يميل الى الدنيا المتوقع النفع وهي يوصله اليه ومنهم من يميل الى الاخرة

لذلك شبه الخالق بالابن والدنيا والاخرة بالاب واستعار لفظ الابن لهم ولفظ الاب لهما للمناسبة
المذكورة ولما كان غرضه حث الخلق على الاخرة والميل اليها والاعراض عن الدنيا قال فكونوا من ابناء الاخرة
ولا تكونوا من ابناء الدنيا لان منافع الدنيا خيالية باطلة وسموم قاتلة ومنافع الاخرة حقايق دايمة و
فوايد باقية ابدا فينبغي ان يكونوا ملحقين اليها وراغبين فيها وعاملين لها واشار الى ان المقصد ليس مجرد رفض
الدنيا وترك العمل لها بل هو مع ازالة حبها عن القلب بقوله وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الاخرة لان
الزهد هو رفض الدنيا ظاهرا او باطنا ولا يتحقق الرغبة في الاخرة الا به واشار الى بعض آثار الزهد وعلاماته
بقوله الا ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا الدنيا تقريضا
البساط فعال بمعنى مفعول كالكتاب بمعنى المكتوب والفراش بمعنى المفروش والطيب اللذيذ او العطر والتقريض
بمعنى التقطيع وازالة الاتصال من قرضت الثوب اذا قطعته بالمقراض او بمعنى المجاوزة من قرضت الوادي اذا
جزته او بمعنى العدول من قرضت المكان اذا عدلت عنه وبعض احوال الزهد اشار اليه امير المومنين عليه السلم
في وصف عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلم بقوله ولقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن وكان ادامه الجوع
وسراجه بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها وفاكهته وريحانه ما تنبت الارض للبهايم ولم يكن
له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يذله دابته رجلاه وخادمه يداه قوله وكان
ادامه الجوع وجهه قيام بدنه بالجوع كقيامه بالادام وقوله ظلاله الى آخره استتاره من البرد كاستتاره بالظلال
الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات اي نسيها ومنع نفسه منها ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات جمع
المحرمة كالغرفات جمع الغرفة وذلك لان الاشتياق الى الشيء يستلزم التوسل بسببه والاشفاق من الشيء
يستلزم التحرز من سببه ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصايب لان المصايب الدنيوية كلها راجعة الى
فوات الدنيا ومن زهد فيها سهل فواتها عنده ولا يحزن بها الا ان لله عبادا كمن راى اهل الجنة في الجنة
خالدين وكمن راى اهل النار في النار معذبين اشار به الى العارف وان كان في الدنيا بجسده فهو في
مشاهدة بعين بصيرته لاحوال الجنة وسعادتها واحوال النار وشقاوتها كالذين شاهدوا الجنة بعين حسهم
وتنعموا فيها وكالذين شاهدوا النار وعذبوا فيها كما مر في حديث حارثة وهي مرتبة عين اليقين ويجب في هذه
المرتبة كمال شدة شوقهم الى الجنة وشدة خوفهم من النار واشار الى بعض احوال هولاء بقوله شرورهم
مامونة لان علمهم بقبح عاقبة الشر منعهم عن القصد له والتوجه اليه ولان مبدا الشر محبة الدنيا وهم بمعزل
عنها وقلوبهم محزونة من احتمال تقصيرهم فيما مضى او فيما ياتي وعدم علمهم بعاقبة امورهم وبما يفعل بهم في
الدنيا والاخرة وخوفهم من الم الفراق والعقبات المستقبلة ولا يسكن حزنهم ولا يطمئن قلوبهم حتى يخرجوا

من الدنيا

من الدنيا انفسهم عفيفة لاعتدال قوتهم الشهوية ووقوفها على الوسط بين رذيلتي الخمود والفجور فلا يخرجون عن الحق و
لا يميلون الى الفجور وحوايجهم خفيفة لاقتصارهم في الدنيا على القدر الضروري منها صبروا اياما قليلة فعقبتهم
راحة طويلة اراد بايام قليلة مدة عمرهم وهم صبروا فيها على المكاره والشدايد وترك الدنيا واحتمال اذى الخلق والقيام
بالتكاليف وفي ذكر قلة مدة الصبر واستعقابه للراحة الطويلة ترغيب في الصبر لان تحمل مشقة كثيرة في مدة قليلة لنفع
جزيل وراحة طويلة ابدية سهلة وتلك الدرجة الراجحة هي السعادة في الجنة كما قال الله جل وعز وجزاهم بما صبروا جنة و
حريرا اما الليل فصافون اقدامهم يجري دموعهم على خدودهم وهم يجارون الى ربهم يسعون في فكاك رقابهم جار
كمنع رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث وفيها اشارة الى كمالهم في القوة العملية بارتكاب العبادات والتضرع و
الاستغاثة الى الله والخوف منه والترغب بما عنده من الكرامة والعفو عن التقصير وذكر الليل لان العبادة فيه
اشق واقرب الى القربة والقلب فيها افرغ واما النهار فحلماء علماء ابرار اتقياء كانهم القداح قد براهم الخوف من
العبادة واما النهار عطف على الليل وكلاهما يجوز فيه الرفع على الابتداء والنصب على الظرف والحلم فضيلة تحت
ملكة الشجاعة وهي الوسط بين رذيلتي المهانة والافراط في الغضب والعلم اشارة الى كمالهم في القوة النظرية بالعلم النظري
والشرعي وهو معرفة الصانع وصفاته واحكامه الشرعية والبر بالفتح والبار الصادق او التقي وهو خلاف الفاجر
وجمع الاول ابرار وجمع الثاني بررة مثل كافر وكفرة وفاسق وفسقة والمعنى انهم خايفون من الله متقون وتاركون
جميع القبايح البدنية والنفسانية واشار الى ثمرة خوفهم بقوله كانهم القداح وهي بالكسر جمع القدح بالكسر
وهو السهم قبل ان يراش ويركب عليه نصله واشار الى وجه الشبه بقوله قد براهم الخوف من العبادة وبراهم
بفتح البا وتخفيف الرا مثل هداهم من البري وهو النحت يعني قد براهم الخوف كبري القداح في النحافة
والدقة وانما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النفس المدبرة للبدن بسبب الخوف عن النظر في صلاح البدن وقوى
القوة الشهوية والغاذية عن اداء بدل ما يتحلل ينظر اليهم الناظر من اهل الدنيا الذي طوره غير طورهم فيقول مرضى
اي هم مرضى لنظره الى نحافة اجسادهم وما بالقوم من مرض او خولطوا اي اختلت عقولهم نظرا الى تكلمهم بكلام خارج
عن ذكر فقد خالط القوم امر عظيم وهو الخوف من ذكر النار وما فيها وفيه اشارة الى ما يعرض لبعض العارفين عند
ذكر النار وما فيها واتصال نفسه بالملاء الاعلى واشتغاله عن تدبير البدن وضبط حركاته وسكناته على نحو حركات
اهل الدنيا وسكناتهم من نحول جسمه وتغير هيئته وتكلمه بكلام خارج عن طور كلامهم مستبشع عندهم فينسبه الناظر
منهم تارة الى المرض الجسماني وتارة الى المرض الروحاني وهو اختلاط العقل واختلاله بالجنون فقال عم واما المرض
فمنتف واما المخالطة فمتحققة لكن لا بالجنون ونقصان العقل كما توهم بل بالخوف والذكر والاتصال وهي دوا

٩٨

للنفس فيتها من جميع الامراض المهلكة قوله انه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه لعل المراد بالخالص
الايمان الحقيقي واليقين بالله واضافة الصافي اليه اما بيانية او لامية بان يراد بالصافي القرب منه تم وجب
لقائه ولقاء الاخرة وهذا وجه يشغل قلبه الشريف عما سواه واما وجه حزنه فلعل فان الانسان وان علي مقامات السير
ووصل الى الحق وقرب منه لكنه ما دام في هذه الدار لا يخلو من بعد في الجملة وانما يحصل القرب التام والوصول الكامل
بعد المفارقة منها فالعارف في هذه الدار دائما في شغل عما ذكر وحزن لفقد هذا الكمال الذي لا يأتي الا بالموت ولذلك قال
علي عم حين ضرب فزت برب الكعبة ثم اشار الى ذم الدنيا وترك محبتها على وجه يشعر بتحقيرها بقوله يا جابر ما الدنيا
وما عسى ان تكون الدنيا هل هي الا طعام اكلته او ثوب لبسته او امراة اصبتها للتنبيه على ان جل منافع الدنيا هذه الامور
وهي منصرمة منقضية لا بقاء لها والعاقل لا يحب ولا يركن الى ما هو في معرض الفنا والزوال سريعا ثم اشار الى ان المؤمنين
السابقين لم يركنوا الى الدنيا ولم يطمئنوا ببقائهم فيها خوفا من امر الاخرة وقدومهم اليها بقوله يا جابر ان المؤمنين لم
يطمئنوا الى الدنيا ببقائهم فيها ولم يامنوا قدومهم الاخرة بل تركوا الدنيا وخافوا قدومهم الاخرة والمراد بالمؤمنين
المؤمنون الكاملون وهم الكرماء والمتورعون في مكاسبهم الملازمون فيها الاعمال الجميلة الصالحة والاخلاق
الفضيلة الكاملة واداء الحقوق النفسيه والبدنيه البالغون بذلك الى اعلى مراتب المحبة واقصى مدارج اليقين ثم
في الحث على الزهد في الدنيا بقوله يا جابر الاخرة دار القرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن اهل الدنيا اهل غفلة التنبيه
على ان لا ينبغي ايثار الفاني على الباقي ولكن اهل الدنيا لما كانوا جاهلين بقبائح الدنيا غافلين عن امور الاخرة اختاروا
الزائل ترجيحا للشاهد على الغائب وهو محل التعجب ولذلك قال امير المؤمنين عم عجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء
ثم اشار الى ان كمال الايمان والزهد في الدنيا يتحققان بالفقه والفكرة والعبرة بقوله وكان المؤمنين هم الفقهاء اهل فكرة
وعبرة لم يصمهم عن ذكر الله جل اسمه ما سمعوا باذانهم من اخبار سطوة ايدي السابقين والقاصين وكثرة ظلمهم و
شدة تمكنهم من الدنيا ولم يعمهم عن ذكر الله ما راوا في اهل الدنيا من الزينة باعينهم ففازوا والترك الدنيا بثواب الاخرة
كما فازوا بذلك العلم اذ يتعقبهم يعرفون الخير والشر ويميزون بين الحق والباطل وبين الباقي والزائل ويتفكرهم
يتفكرون في احوال ما بعد الموت الى ان يدخل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي اهوال ما يرد عليه الانسان بعده
من المقامات وصعوبة التخلص منها وبالعبرة يعتبرون بانفسهم في كيفيته وصول الرزق اليهم حين كونهم اجنة في بطون
امهاتهم من غير اختيار ولا علم لهم وباحوال الماضين وما كانوا فيه من نعيم الدنيا ولذاتها والمباهاة بكثرة الاموال
والاعوان ثم المفارقة لذلك كله بالموت او الاخذ وبقاء الحسرة والندامة والاعمال وعلائق الدنيا حائلة بينهم وبين
الرحمة وحضرة جلال الله وذلك يبعثهم على الزهد في الدنيا والاقبال ظاهرا وباطنا الى الله تعالى والسعي الى الاخرة رحم الله

ففر

٩٩ تفقه وتفكر واعتبر فابصر ثم اشار الى جملة من حالات الزاهدين وصفات المتقين بقوله يا جابر ان اهل
التقوى ايسر اهل الدنيا مؤنة اي ثقلا لانهم لا يخلون من الدنيا الا القدر الضروري في التعيش والبقاء
واكثرهم لك معونة لانهم مستعدون لاعانة المحتاجين في امور الدنيا والذين سلوا الام لانما اشار اليه بقوله
تذكر اي حاجتك فيعينونك فيها وان نسيت ذكروك وارشدوك اليها والى الطريق قضائها ثم يعينونك مع الحاجة
الى الاعانة قوالون بامر الله لان شانهم ارشادهم وهدايتهم للخلق الى ما فيه صلاحهم وزجرهم عما فيه فسادهم
قوامون على امر الله يحفظونه من الزيادة والنقصان ويمنعون عنه تصرف اهل الجهل والطغيان فهو بعنايتهم
ينتظم ويقوم وبحمايتهم يستقيم ويدوم قطعوا محبتهم بمحبة ربهم اي قطعوا محبتهم عن جميع الاشياء و
اختاروا محبة ربهم او تركوا ما يحبونه وعملوا بما يحبه ربهم ووحشوا الدنيا لطاعة مليكهم اي انقطعوا عن
الدنيا وفروا منها ولم يستانسوا بها لان يطيعوا مالكهم فيما اراد منهم من ترك الدنيا والاهم منه ومن ترك
جميع الشرور وفعل جميع الخيرات بقلب فارغ من غيره ونظروا الى الله عز وجل والى محبته بقلوبهم متعلق
نظروا وانما اخرها مع ان النظر مسند اليها في الحقيقة اما للاهتمام بالمقدم او لقصد الحصر اي نظروا ببصيرة قلوبهم
الى الله والى محبته لا الى غيرها والاشارة والاضراب بقوله وعلموا ان ذلك اي ذلك المذكور وهو الله ومحبته
للتعظيم هو المنظور اليه لعظيم شانه اي هو الذي ينبغي ان ينظر اليه لا الى غيره لعظمة شانه وحقارة ما سواه
ثم خاطب جابرا وكل من يصلح للخطاب وزهده في الدنيا بتمثيل بليغ يتضح حال الدنيا وصاحبها فقال
فانزل الدنيا كمنزل نزلته في سفرك ثم ارتحلت عنه او كمال وجدته في منامك مثل مال وجاه وامراة جميلة
فاستيقظت وليس معك منه شيء شبه الدنيا بذلك المنزل في قلة زمان الكون فيه وشبه متاعها بذلك
الكمال في عدم الاعتناء به وعدم كونه كمالا في الحقيقة لسرعة زواله بنفسه او بالموت الشبيه بالاستيقاظ في ان لا
يكون معك منه شيء كما لا يكون مع المستيقظ من ذلك الكمال شيء ويظهر منه سر قول امير المؤمنين عليه السلام
الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا والعاقل اللبيب اذا نظر الى الدنيا بعين البصيرة ووجدها متصفة بالصفات
المذكورة زال عنها حبها قال الشاعر موافقا لهذا التمثيل نزلنا ههنا ثم ارتحلنا كذا الدنيا نزول وارتحال اردنا
ان نقيم بها ولكن مقيم المرء في الدنيا محال وقال بعض اكابر الشعر والله لو كانت الدنيا باجمعها تبقى علينا ويأتي
رزقها رغدا ما كان من حق حر ان يذل لها فكيف وهي متاع يضمحل غدا ثم اشار الى تمثيل آخر ابلغ واظهر بقوله
اني انما ضربت لك هذا مثلا لانها عند اهل اللب والعلم بالله كفيء الظلال في سرعة الزوال او في انه ليس بشيء
حقيقة او في الاستظلال به قليلا ثم الارتحال عنه او في انه يرى ساكنا وهو يزول بالتدريج آنا فآنا والدنيا كذلك

والظلال جمع الظل وهو والفئ بمعنى واحد عند كثير من الناس قال ابن قتيبه وليس كذلك بل الظل يكون غدوة
وعشيه والفئ لا يكون الا بعد الزوال فلا يقال لما قبل الزوال فئ وانما سمى بعد الزوال فئا لانه ظل فاء من
جانب الغرب الى جانب المشرق والفئ الرجوع وقال ابن السكيت الظل من الطلوع الى الزوال والفئ من الزوال
الى الغروب وقال ثعلب الظل للشجرة وغيرها بالغداة والفئ بالعشاء وقال روبة بن العجاج كل ما كانت عليه الشمس
فزالت عنه فهو ظل وفئ وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل ومن هنا قيل الشمس تنسخ الظل والفئ ينسخ الشمس قوله يا
جابر فاحفظ ما استرعاك الله عز وجل من دينه وحكمته وهي العلم بالشرايع والمراد بحفظه حفظه عن الضياع
والعمل به وتعليمه لمن هو اهل له ولا تسالن عما لك عنده من الحقوق مثل الرزق وغيره لانه لا يتركه بل العبد
عليه وما ورد من الحث على الدعا لطلب الرزق فهو لكون الدعا عبادة او للتوسعة او لغير ذلك مما يجئ تفصيله في
كتاب الدعا ان شا الله تعالى الا ماله عند نفسك من الطاعة والتسليم والزهد في الدنيا فانك يحتاج الى السوال
عنه وطلب المدد والاعانة والتوفيق منه نعم والاستثنا من الموصول وظاهره الانقطاع لان الحقيق متعلق ان
لا يصدق احدهما على الاخر ويمكن ارجاعه الى الاتصال لان ماله عند نفسك فهو لك في الحقيقه ويمتنع ارجاعه
اليك لانه اجل من ان يحتاج الى شئ ويعود اليه فوايد من العباد والله اعلم فان لم تكن الدنيا على غير ما وصفت لك
فتحول الى دار المستعتب هذا من الغرايب وحقيقته غير حلو سالنا ولكن نقول على سبيل الاحتمال لا ريب في ان من
الدنيا بالاوصاف المذكورة والناس فيه ثلثه اقسام لان من اعتقد باتصافها بها وجب عليها الزهد فيها بمقتضى علمه
ومن اعتقد بعدم الاتصاف او لم يعتقد بالاتصاف ولا بعدمه فليتحول اليها ليعلم شدايدها ونقلبها بها
على اهلها او اتصافها بما ذكر بالتجربة والامتحان والشرط المذكور شامل للاخيرين والمستعتب بالكسر من يطلب الرضا
باذاله ما عوتب عليه وخوطب بالسخط وانما قال فتحول الى دار المستعتب ولم يقل فتحول اليها للاشعار بان كل
اهل الدنيا والمايل اليها مستعتب يوم القيمه نادم على ما كان عليه وطالب للعفو والرضا لكن ذلك كما ورد ما
بعد الموت من مستعتب فلعمري لرب حريص على امر قد شقى به حين اتاه ولرب كاره لامر قد سعد به حين اتاه كما
قال جل شانه وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم اذ ما من شئ الا وله جهات متعددة
فربما يدرك احد حسن جهة فيطلبه وهو غافل من قبح جهات اخر او عن قبح تلك الجهة وربما يدرك قبح جهة فيكرهه
وهو غافل عن حسن جهات اخر او عن حسن عاقبة تلك الجهة وذلك قول الله عز وجل وليمحص الله الذين امنوا ويمحق
الكافرين اى كون مكروه الدنيا سعادة ومرغوبها شقاوة او حصول السعادة بالمكروهات وحصول الشقاوة
بالمرغوبات معلول هذا القول الكريم فان تمحيص المؤمن انما يكون بورود مكاره النفوس وما تثقل عليها ليخرج من

بوتر

بوتر الامتحان خالصا صافيا سعيدا وترك المحص في الحريص يوجب محقه وفساده وامتداده في الغي والطغيان
فالتمحيص للمؤمن لطف واحسان وتركه في الحريص محق وخذلان قوله قال ابو ذر ره جزى الله الدنيا عني مذمة
بعد رغيفين من الشعير اه اشار الى ان غير ما ذكره من الدنيا عنده مذموم واحال ذمه الى الله ثم بالغ عنه بالدلالة
على كمال ذمه لان كل فعل من الفاعل القوى قوى بالغ حد الكمال واما ما ذكره فغير مذموم لان كل شخص
يحتاج في بقائه الى الغذاء واللباس ليكون بدلا لما يتحلل ويحفظ عن البرد والحر وما ذكره وارتضاه لنفسه
هو اقل المراتب فيهما وبالجملة حث به على ترك الدنيا الا قدر الضرورة منها قوله يا مبتغى العلم كان شيئا من الدنيا
لم يكن شيئا خاطب طالب العلم وعلمه ما هو خير له وهو الزهد في الدنيا ورغبة فيه بقوله الا من رحم الله الظم
ان الاحرف تنبيه وما نافيه والضمير البارز راجع الى شيئا والجملة بيان لما قبلها يعني ان شيئا من الدنيا ليس شيئا
يعتد به ويركن اليه العاقل لانه اما خير او شر وخيره لا ينفع لانه في معرض الفناء والزوال وشره يضر الا
من رحم الله وهو الذى عصمه من الشر وفيه زجر عن التعرض لشئ منهما وانما قال من الدنيا ولم يقل في الدنيا ١٠٠
شئ يعتد به اذا كان متعلقا بالاخرة فخيره يطلب وشره يترك ولما كان سبب الغفلة في الاكثر هو الاشتغال
بالاهل والمال وصرف العمر في رعايتهما وحفظهما نهى عن ذلك بقوله يا مبتغى العلم لا يشغلك اهل ولا مال
عن نفسك اى عن تحصيل ما ينفعك في يوم لا ينفع مال ولا بنون كما قال جل شانه يا ايها الذين امنوا لا تلهكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون ثم رغب في تركهما وحكم بانه سهل لقلة ما فيها
بقوله انت يوم تفارقهم كضيف بت فيهم ثم غدوت عنهم الى غيرهم التشبيه بالضيف في قلة الاقامة وقرب الرحيل
وفيه مع ما يليه تنبيه على سرعة الانتقال والنزول في الاخرة ومشاهدة اهوالها وكرامتها وتحريص على تحمل
المشاق فيها وتحصيل زاد الاخرة يا مبتغى العلم قدم لمقامك بين يدى الله عز وجل اه اى قدم العمل والعمل بتوفق
على العلم ولذلك خاطب مبتغيه بذلك وفي قوله كما تدين تدان تنبيه على وجوب حسن المعاملة مع الرب او كان
حسن جزائه بقدر حسن المعاملة معه وقبحه بقدر قبحها ويؤيده ما روى وكما تزرع تحصد لفظ الزرع مستعار
لما يفعله الانسان من خير او شر ولفظ الحصد لما يثمر ذلك الفعل من ثواب او عقاب ووجه الاستعارة ظاهر
قوله قال رسول الله صلعم ما لي في الدنيا وما انا والدنيا اه ومن طريق العامة روي عن ابن مسعود ان رسول الله صلعم
نام على حصير فقام وقد اثر في جسده فقالوا امرتنا ان نبسط لك ونعمل فقال ما لي وللدنيا وما انا والدنيا الا
كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وهذا من التشبيه التمثيلي ووجه التشبيه سرعة الرحيل وقلة المكث وعدم
الرضى به فقد اشار عليه السلم الى انه على بصيرة من نفسه ويقين من سرعة النزول في الاخرة ومشتاق الى لقاء الله

الا ما ينفع خيره وتضييع شره ح

وحسن ثوابه والكرامة الابدية المعدة للزاهدين لا الى الدنيا وزهراتها والضايف الحاد والقيلولة النوم قبل الزوال
قوله مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز آه هذا تشبيه تمثيلي في غاية الحسن واللطف ووجه التشبيه ان الدودة
تفعل فعلا فيه هلاكها ونفع غيرها وهي لا تعلم وكذلك الحريص على الدنيا قوله كان فيما وعظ به لقمن ابنه يا بني
ان الناس قد جمعوا قبلك لاولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له فيه تزهيد في صرف العمر في الفاني
للفاني كما ان في قوله وانما انت عبد مستاجر الخ ترغيب في صرفه في الباقي للباقي والتشبيه بالمستاجر تمثيل المعقول
بالمحسوس فكما ان الاجير لا يستحق الاجرة بدون العمل كذلك انت لا تستحق الثواب بدون العمل ويقرب منه
ما روى عن امير المؤمنين عم انه قال الناس في الدنيا عاملان عامل في الدنيا قد شغلته دنياه عن اخرته يخشى
على من يخلف الفقر ويامنه على نفسه فيفني عمره في منفعة غيره وعامل عمل في الدنيا لما بعدها فجاءه الذي له
من الدنيا بغير عمل فاحرز الحظين معا وملك الدارين جميعا فاصبح وجيها عند الله لا يسال الله حاجة فيمنعه
اشار الى ان الحرص في الدنيا مهلك بقوله ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة آه هذا ايضا تشبيه تمثيلي وفيه تزهيد
في تناول زهرات الدنيا ومطعوماتها الشهية وكثرة الاكل منها فان ذلك موجب لقوة النفس الامارة وطغيانها
وسبب لهلاكها ثم امر بعدم الركون الى الدنيا والاستقرار فيها للجمع والادخار بقوله ولكن اجعل الدنيا بمنزلة
قنطرة على نهر آه هذا ايضا تمثيل ووجهه ظاهر لان كل عاقل يعلم ان الدنيا محل العبور لا محل النزول كالقنطرة فانظر
هل ترى فيها من السابقين احدا ثم امر برفض كل ما لا يحتاج اليه بقوله لما خربها ولا تعمرها فانك لم تؤمر بعمارتها
ولعل المراد باخرابها ترك ما لا يحتاج اليه من المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والمناكح والاقتصار على
القدر الضروري في كل منها اذ لا بد للسالك من زاد للدنيا وزاد للاخرة فزاد الدنيا القدر الضروري مما ذكر وكلما
كان اقل فهو احسن وافضل وزاد الاخرة العلم والعمل وتهذيب الظاهر والباطن وهو كلما كان اتم واكثر كان
احسن واجدر وفي قوله عم واعلم انك ستسال غدا آه ترغيب في صرف قوة الشباب والعمر في طلب الدين
والعمل به واكتساب المال من طرق الحلال وانفاقه في الوجوه المشروعة وارشاد الى التاهب والاستعداد
للجواب ومراقبة النفس ومحاسبتها في كل آن لئلا يقع في هاوية النقصان والخذلان ولا تاس على ما فاتك من
الدنيا آه وفيه ترغيب في تطهير القلب عن حب الدنيا الا في الوجوه المشروعة لا تحزن على ما فاتك من قليل
الدنيا وكثيرها فان قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه والعاقل لا يتاسف بفوات قليل لا ابقاء له وكثيرها لا يؤمن
بلاؤه والعاقل لا يتاسف ايضا بفوات ما يوقعه في الضرر والبلية قوله جد حذرك الجد نقيضه كاد
ولعل المراد بجده امر الآخرة بتطهير الظاهر والباطن وجد في امرك لعل المراد به تحليه الظاهر والباطن بالاعمال

الصالحة

الصالحة والاخلاق المرضية الفاضلة واكشف الغطاء عن وجهك اي عن وجه قلبك وغطاؤه ما يحجبه عن
مشاهدة المعبود وملاحظة المنعم ويمنعه عن الوصول اليه والتقرب منه من مفاسد العقايد ومقابح الاعمال والاخلاق
وكشفه رفع الموجب لمشاهدة جلاله وكماله والاتصال به اتصالا روحانيا وتعرض لمعروف ربك
وهو ما اراده منك او ما اخره في الاخرة او ما يعرضه على اهل العرفان وجدد التوبة في قلبك اشارة الى ان التوبة امر قلبي
وهي الندامة عما مضى والعزم على عدم الاتيان بمثله والى رجحان تجديد التوبة بعد التوبة لان السالك لا بد ان يكون
في ندامة بعد ندامة دائما واكمش في فراغك اي عجل واسرع او تشمر وجد في فراغك عما يوجب العجز والخذلان
لما يوجب العزة والاحسان قبل ان يقصد قصدك اي نحوك يقال قصدت قصده اي نحوه ويقضى قضاؤك
اي موتك او نسخها عنك ويحال بينك وبين ما تريد من التوبة والطاعات والاخلاق النافعة بعد الموت او الرجعة
الى الدنيا وتمنيها بعده لتحصيل ما ينفع في الاخرة عند مشاهدة كرامة الاولياء وشقاوة الاشقياء او تاخير الاجل
عند الاحتضار فتقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين والعاقل ينبغي ان يتصور
ان طلب الرجعة رجع وسعى في طلب الخيرات في كل زمان بقدر الامكان ويحفظ نفسه عن الغفلة في المبادرة ١٠١
والله هو المستعان قوله يا موسى لا تركن الى الدنيا ركون الظالمين اريد بالظالمين اهل الدنيا مثل سلاطين الجور و
اتباعهم ومن يحذو حذوهم في الركون اليها وركون من اتخذها ابا وانما شبه الدنيا بالاب والام واهلها بالاولاد
في الركون اليها والانس بها يا موسى لو وكلتك الى نفسك لتنظر لها اراد بالنظر لها نظر ميل وارادة واما النظر اليها
نظر تفكر وعبرة فهو يوجب الاعراض عنها يا موسى نافس في الخير اهله نافست في الشيء منافسة ونفاسا اذا رغبت
فيه على وجه المباراة والمغالبة واترك من الدنيا ما بك من الغنى عنه اما الاعنى عنه من الضروريات اللايقة شرعا
وعقلا فلا ينبغي تركه ولا تغبط احدا برضا الناس عنه حتى تعلم ان الله راض عنه دل على عدم جواز الغبطة في
امر الدنيا الغير الضروري وعلى جوازها في امر الدين والغبطة ان تتمنى حال المغبوط من غير ان تريد زوالها قوله
انما مثل الدنيا كمثل الحية ما الين مسها وفي جوفها السم الناقع اي القاتل وهو من صيغ التعجب وفيه اشارة الى وجه
التشبيه وهو اما متعدد او مركب من متعدد وعلى التقديرين في المشبه به حسي وفي المشبه عقلي والغرض
من هذا التشبيه اما بيان حال المشبه وصفته او تقبيحه في نظر السامع لينفر طبعه عنها وهما انما تقتضيان ان يكون
المشبه به اعرف واشهر في وجه التشبيه من المشبه ولا ينافي ذلك ان يكون الامر بالعكس في الاتمية فعلى هذا يمكن
ان يكون تاثير سم الدنيا اقوى واتم لان تاثيره في النفس الناطقة ويوجب الهلاك الابدي وسم الدنيا كناية عن
جمع زهراتها الفانية والالتذاذ بها ومسها عبارة عما يترتب عليه في المال يحذرها الرجل العاقل لعلمه بان القرب

سهاونا ولها يوجب هلاكه فيكون انسه وسروره بالحذر عنها والفرار منها والاتصال بالمولى ويهوى اليها الصبى

الجاهل المطلق على طالب الدنيا لفظ الصبى على سبيل الاستعارة لعدم علمه بما يضره وينفعه اذ ليس له بصيرة باطنة

ليدرك بها والركون الهاجن لو منعه مانع لعارضه اشد المعارضة وقاتله اقبح المقاتلة ومما يعجبه الحرص فى

جمع المال وهو مشعوف بذلك فيأتيه الموت ويفسد عليه وهو فى الاخرة من الخاسرين قوله كتب ابن المؤمنين

عم الى بعض اصحابه يعظ اوصيك ونفسى بتقوى الله الوعظ الامر بالطاعة وعليه قوله تعم قل انما اعظكم

بواحدة اى آمركم وقيل الوعظ تذكير مشتمل على زجر وتخويف وحمل على طاعة الله بلفظ يرق له القلب والاسم

الموعظة والوصية بالشئ الامر به وعليه قوله تعم يوصيكم الله فى اولادكم اى يامركم وقوله من لا تحل معصيته

بدل او وصف للجلالة قال من اتقى الظلم انه علة لقوله اوصيك يعنى امرك بالتقوى فان من اتقى الله واجتنب

عن معصيته وتنزه عما يشغل عنه عز بعزة ربانية لا ذل معها وقوى بقوة روحانية لا ضعف فيها وشبع بحكمه

الحكمة لا جهل معها وروى بزلال اسرار غيبيه والطاف لاهوتية لا يحتاج معها الى غيرها ولذلك رفع

عقله عن اهل الدنيا حيث ان عقولهم عكفت كالذباب على ميتة الدنيا وعقله سائر فى الملاء الاعلى فبدنه مع

اهل الدنيا لكونه من جنس ابدانهم فى الصورة الجسدانية وقلبه وعقله معاين للاخرة لتجرده عن العلائق الجسمانية

فاطفاء بالضوء قلبه ما ابصرت عيناه من حب الدنيا والاطفاء اخماد النار حتى لا يبقى منها شئ وضوء القلب عبارة

عن صورة العلمية المائزة بين الحق والباطل والحسن والقبح وفى عد حب الدنيا مبصرا اما مجاز وتشبيه بالنار فى

الاحتراق والاهلاك استعارة مكنية ونسبة الاطفاء اليه تخييلية فقد تحرام بها القذر الوسخ وهو مصدر

قذر الشئ فهو قذر من باب تعب اذا لم يكن نظيفا وقذرته من باب تعب ايضا واستقذرته وتقذرته كرهته لوسخه

واقذرته بالالف وجدته كذلك وكثيرا ما يطلق على النجس وهو المراد هنا وجانب شبهاتها وهى المشتبهات بالحرام

مع عدم العلم بانها حرام كاموال الظلمة الاخذين لاموال الناس ظلما واضر والله بالحلال الصافى وهو الحلال الخالص

من الحرام قطعا الا ما لا بد منه وهو اقل المعيشة الذى لا يمكن الوجود والبقاء والطاعة بدونه من كسرة يشد بها

صلبه الكسرة بالكسر القطعة من الشئ المكسور ومنه الكسرة من الخبز المتخذ من دقيق الحنطة والشعير او غيرهما والجمع

كسر مثل سدرة وسدر وثوب يوارى به عورته من اغلظ ما يجد واخشنه خص العورة بالذكر لانها اهم بالمواراة

والا فلا بد من ثوب يوارى به سائر البدن عند الاحتياج اليه لحفظ الحر والبرد ولم يكن له فيما لا بد منه

ثقة ولا رجاء نفى الثقة والاعتماد فيما لا بد منه عند كونه حاصلا ونفى الرجاء عند عدم كونه حاصلا فوقعت

ثقته عند الحصول ورجاؤه عند عدمه على خالق الاشياء هذا غاية الزهد والتوكل حيث قطع تعلقه بالوسائط

والاسباب

والاسباب وخص تعلقه برب الارباب فجد واجتهد اى فجد فى السير اليه والعمل له واجتهد فى تهذيب الظاهر

والباطن مما يمنع القرب منه واتعب بدنه باتيان العبادات والرياضات حتى بدت الاضلاع لشدة هزاله بكثرة التعب

وقلة الغذاء وغارت العينان لكثرة السهر وقلة النوم فابدله الله من ذلك قوة فى بدنه يحمل بها الاعمال الشاقة

مع ضعف البنية وشدة فى عقله يدرك بها الاسرار اللاهوتية ويحمل الانوار الملكوتية وما ذخر له فى الاخرة

من الاجر الجميل والثواب الجزيل والمقامات العالية والدرجات الرفيعة اكثر مما اتاه فى الدنيا فارفض الدنيا فان حب

الدنيا وهو ميل النفس اليها بحيث يفرح بحصولها ويحزن بفواتها يعمى ويصم ويبكم ويذل الرقاب المراد بالعمى

البصيرة فان حب الدنيا حاجز بينها وبين الحق واسراره مانع من ادراكهما ويحتمل عمى البصر فان حبها مانع من

ادراك البصر تقلبها على اهلها وادراك نوائبها الدالة على هوانها كما انه مانع من سماع نداء الداعى الى فراقها و

ايات الحق على زوالها وفنائها ومن التكلم بالاوامر والنواهى وتقبيح المنكرات لان كل ذلك مناف لما ارتكبه

من الميل الى الدنيا وحب الشهوات وهو مع ذلك موجب لذل الرقاب اذ فى جمعها وتحصيلها وضبطها وحفظها و

من اهل الجود بذلة ظاهرة لاولى الالباب فتدارك ما بقى من عمرك واصرفه فى عبادة ربك وتدارك ما فات و

انصرف عن حب الدنيا والميل الى المشتهيات ولا تقل غدا بعد غد فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الامانى و

التسويف آه هذا قول اهل الامانى والامال ومناطه حب الدنيا فان حبها يبعثه على صرف العمر فى تحصيلها

وجمعها وضبطها وصرف الفكر فى كيفية تحصيل ما يامل ويرجو منها وتدبير ازالة المانع منه وهو بذلك يغفل

عن امر الاخرة وما ينفعه فيها ولو خطر بباله يسوف ويقول افعله غدا وبعد غد وبعد تعمير هذه العمارة وانقضاء

هذه التجارة واحصاء هذه الزراعة وهكذا يعد اشغاله المتولدة بعضها عقيب بعض الى ان ياتيه الموت بغتة

وهو فى خسران مبين وفيه ردع عن تسويف التوبة والعبادات والقيام على الامانى وحب الشهوات فان كل ذلك

مع قطع النظر عن كونه مانعا بالفعل قد لا يحصل له لاحتمال ان الموت بغتة ويخرج الامر من يده ووصوله الى الغد

ليس باختياره على ان الرجوع من الذنوب فى الغد ليس باسهل من اليوم بل هو اصعب لان المعصية باستمرارها

تشتد وتقوى حتى يصير ملكة فان الكهل اشد واصعب فاذا عجز عن ازالة الاضعف فهو عن ازالة الاصعب

اعجز فانقطع الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا آه النظم اى فانقطع امر معطوف على فارفض الدنيا والانابة

الرجوع الى الله تعم ومن تعليلية او عزم عطف على قلب وهو عقد الضمير على فعل والانحو الانقطاع قوله

مثل الدنيا كمثل ماء البحر آه هذا التمثيل فى غاية الحسن والوجه هو ازدياد الحرص فى الجمع والشرب المفضى الى الهلاك

بالاخرة ومن البين ان طالب الدنيا اذا توجه الى امر واحد منها يتولد منه امور كثيرة وتشتبك فيه اشغال

١٠٢

باب

غير محصورة بعضها عقب بعض وصرف العمر فيها والحرص في تحصيلها يوجب هلاكه قوله وعزتي وعظمتي وعلوي
وارتفاع مكاني العزة القوة والشدة والغلبة وقيل عزته عبارة عن كونه منزها عن سمات الامكان وذل
النقصان ورجوع كل شيء اليه وخضوعهم بين يديه والعظمة في صفات الاجسام كبر الطول والعرض
والعمق وفي وصفه تعالى عبارة عن تجاوز قدره عن حدود العقول والاوهام حتى لا يتصور الاحاطة بكنه
حقيقته وصفاته عند ذوي الافهام وعلوه علو عقلي على الاطلاق بمعنى انه لا رتبة فوق رتبته وذلك
لانه اعلى مراتب الكمال العقلي وهو مرتبة العلية ولما كانت ذاته المقدسة مبدا لكل موجود حسي وعقلي
لاجرم كانت مرتبته اعلى المراتب العقلية مطلقا وله العلو المطلق وفي الوجود العاري عن الاضافة الى شيء
وعن المكان ان يكون فوقه ما هو اعلى منه وارتفاع مكانه كناية على عدم امكان الاشارة اليه بالعقول والحواس
لا يؤثر عبد هواي على هوى نفسه المراد بهوى النفس ميلها الى ما هو مقتضى طباعها من اللذات الحاضرة الدنيوية
والخروج عن الحدود الشرعية وبهواه تعالى اعراضها عن هذا الميل ورجوعها الى ما يوجب القرب الى الحضرة
الاحدية الا كففت عليه ضيعته وضمنت السموات والارض رزقه يجوز في ضمنت تشديد الميم وتخفيفها
والسموات منصوبة على الاول ومرفوعة على الثاني وضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالصنعة و
التجارة والزراعة وغير ذلك ولعل المراد بها المعيشة ويؤيده ما روي من طرق العامة المؤمن اخو المؤمن عليه
ضيعته قال ابن الاثير اي يجمع عليه معيشته ويضمها اليه وكنت له من وراء تجارة كل تاجر الوراء فعال ولامه همزة
عند سيبويه وابي علي الفارسي وياء عند العامة وهو من ظروف المكان بمعنى قدام وخلف والتجارة مصدر
بمعنى البيع والشرى للنفع وقد يراد بها ما يستاجر فيه من الامتعة ونحوها على تسمية المفعول باسم المصدر ولعل
ان كل ما جرى في الدنيا للآخرة يجد نفع تجارته فيها من الجنة ونعيمها وحورها وقصورها والله سبحانه بذلته
المقدسة والتجليات اللائقة وراء هذا الحد العبد الذي آثر هواه على هوى نفسه وفيه دلالة على ان للزائد هذين
في الجنة نعمة روحانية ايضا ويحتمل احتمالا بعيدا ان يكون كنت له كلاما تاما والاعلى انه تعالى هو الغاية له
ويكون ما بعده حالا لفاعل كنت والاعلى انه تعالى هو الرقيب على عمل كل عامل والمراد يجعل غناه في نفسه و
همه في آخرته كما في الخبر الآخر جعله غنيا في نفسه بايصال رزقه اليه عن غير همّ وجعل همته وهي الارادة والعزم
القوي في امر آخرته وهما اعظم المراتب الانسانية اذ الانسان بذلك المعنى لا يبالي بهذه الادنية ويتلطم سبل من

باب القناعة

حضيض النقص الى اوج الكمال ويخرج من مذلة البعد الى مقام الوصال قوله اياك ان تطمح بصرك الى من هو فوقك
طمح بصره اليه كمنع ارتفع لينظر اليه والمح بصره رفعه وهو تحذير من النظر الى المحقوق فانه يوجب ميل النفس الى الدنيا

وترك

وترك القناعة والصبر والشكر وعدم الرضا بالقضاء الله وتقديره بخلاف النظر الى الادون وهذا النظر
الى اهل الدنيا واما بالنظر الى اهل الآخرة فالامر بالعكس ثم رغب في القناعة وعدم النظر الى اهل الدنيا
وما في ايديهم من زهراتها بقوله فان دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله صم فانما كان قوته
الشعير اي غالبا وحلواه التمر ووقوده السعف اذا وجده الوقود بالفتح الحطب والسعف بالتحريك اغصان
النخل ما دامت بالخوص وهو ورقه فان زال الخوص عنها قيل جريد والضمير في وجده راجع الى كل واحد من
الامور المذكورة يعني ان دخلك من ذلك شيء من الشيطان بانك لم تقنع وتحمل على نفسك المشقة وابتلاك على
في نعم جزيلة وراحة طويلة وطلب سعة المعيشة من اي طريق يمكن فادفعه بذكر ضيق عيش رسول الله
صم مع ان الدنيا وما فيها خلقت له وما كان ذلك الا لحقارة الدنيا عنده وطلب رضاء الله تعالى وتأس به
يخرج الموجود والصبر على المفقود واستيقن ان الرزق مع الحيوة ويحال على الحكيم القادر العدل ان يقطع
الرزق مع بقاء الحيوة قوله قال رسول الله صم من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله اي من استغنى عن السؤال
اغناه الله عنه باعطاء ما يحتاج اليه ويفهم منه ان من سأل الناس وكله الله اليهم حيث صرف وجهه عنه
عنه واعتمد بهم ويدل ذلك قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل
على الله فهو حسبه والتفصيل ان ما تعلق به قلب احد من مهمات الدنيا اما ان يكون قد قسم له او لم يقسم فان
قسم فالله تعالى يكفيه مؤنته ويوصلها اليه قطعا اما بغير كلفة ومشقة او بتهيئة اسبابه او بتوفيقه اليها
وان لم يقسم كفاه عن مؤنة الاهتمام به واغنى قلبه عن التعلق به فهو الكافي لمن استكفاه اما بغناء يده او بغنى
قلبه ومنه يظهر سر الكلية في قوله ومن استغنى اغناه الله ونقل عن بعض المتوكلين انه قال كنت في بعض البوادي
وحدي فجعت ولا زاد معي فرفعت حاجتي الى مولاي فهتف بي هاتف اتريد غذاء ام غناء فقلت بل غناء
فزال جوعي ووجدت قوة وغناء عن الطعام نحوا من عشرين يوما قوله من رضي من الله باليسير من المعاش رضي
الله منه باليسير من العمل لان من رضي بما على الله باليسير رضي الله بما عليه باليسير كما تقتضيه حسن المعاملة
وايضا النعمة توجب شكرا اداء العمل منه فكلما كانت النعمة اقل كان العمل ايضا اقل وفيه ترغيب في الرضا بالقليل
من الرزق لانه يستلزم خفة المؤنة وزوال المشقة من العمل وايضا من رضي بالقليل من المعاش فقد زهد في
الدنيا وطهر ظاهره وباطنه من الاعمال والاخلاق القبيحة التي تبعتها الدنيا وهو من المجاهدات التي يحتاج اليها
السالك المبتدي وجعلها وراء ظهره فلم يبق عليه الا عمل شيء قليل وهذا يسير بالنسبة الى تلك المجاهدات
وهذا الاحتمال ذكره بعض علماء العامة في شرح ما ورد عن النبي صم اخلص قلبك يكفيك القليل من العمل

قوله كركيف شئت هذا مثل قوله تعالى اعملوا ما شئتم وفيه وعد بالجزاء ووعيد على الترك كما ان في قوله كما
تدين تدان اشارة الى ان جزاء الخير خير وجزاء الشر شر وترغيب في حسن المعاملة معه تعم ثم ذكر للرضا باليسير
ثلثة اوجه للترغيب فيه فقال ومن رضي باليسير من الحلال خفت مؤنته وزكت مكسبه وخرج من حد
الفجور الوجه الاول خفة المؤنة اعني الثقل والمشقة فان المشقة في طلب اليسير وحفظه يسير خفيف
والثاني زكاء مكسبه فان المكسب المشروع لليسير كثير والمكسب المشروع زكي والثالث الخروج من حد
الفجور لما عرفت من زكاء مكسبه مع تنزهه عن الحقوق المالية والميل الى الدنيا المستلزمة للفجور بخلاف
طالب الكثير فان المكسب المشروع للكثير قليل جدا مع ما يلزمه من حقوق المالية التي قلما يقوم بها طالبه والركون
الى الدنيا المستلزمة لجميع الفجور والمفاسد قوله قال كان امير المؤمنين عم يقول ابن آدم ان كنت تريد من الدنيا
ما يكفيك آه اي ان كنت تريد من الدنيا ما يغنيك عن غيره فان ايسر ما فيها يغنيك وهو القدر الضروري الذي
يتوقف عليه حيوتك وقوتك على الطاعة وهذا القدر يأتيك قطعا وتحصيله بين وان كنت تريد ما
لا يغنيك فان كل ما فيها لا يغنيك فانك حريص في جمع الدنيا وما لا يحتاج اليه ومراتب الحرص غير محصورة
فلو فرض ان جمع لك الدنيا وما فيها لطلب الزائد عليها ومثل هذا الحديث قول امير المؤمنين عم كل مقتصر عليه
كاف يعني كاف في مطلوب المقتصر من بقائه وقوته على الطاعة كقليل القوة وغير ذلك قوله من اراد ان يكون
اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يد غيره لان من اتصف بهذه الفضيلة يصرف الله تعم وجه
قلبه عن جميع ما سواه اليه ويفيض بركات نور لا ل فيضه عليه ويسد باب حاجاته الى غيره ولانها اعظم
ومن المحرك الى تلك الفضيلة هو التفكر في ان الله تعم كريم لا يعتريه الامطال وخزائنه واسعة لا تنفد وقد رغب
في السؤال عنه ووعد في الاجابة فلا يخلف وعده بخلاف غيره فان مثل السائل في الاحتياج والفقر وبخيل
في وقت ما وحصول الضجر وكل ذلك يبعثه على رد السائل وان اعطاه اعطاه قليلا وذمه طويلا وعلمه
ومنه كثيرا والموت خير منه ولذلك قال امير المؤمنين عم المنية ولا الدنية روي نصبهما ورفعهما فالنصب بتقدير
الفعل اي احتمل المنية وهي الموت ولا يحتمل الدنية وهي السؤال والرفع بتقدير الخبر اي المنية مقترنة والدنية غير
مقترنة قوله من قنع بما رزقه الله فهو اغنى الناس لان الغني من لا يحتاج الى غيره والقانع اولى بذلك من غيره
لان غيره كثيرا ما يضطر للحاجة الى التوسل بالغير بخلاف القانع فان قناعته بادنى ما يكفيه دافعة للاضطرار
ومما يبعث على تلك الفضيلة هو العلم بان غير القانع يطلب الدنيا لثلثه اشياء الغني والعز والراحة والعلم بان
كلها للقانع لا لمن تركها عز ومن قنع بما لا بد استغنى ومن قل سعيه استراح قوله

الاكل

باب الكفاف

ان كان ما يكفيك يغنيك فادنى ما فيها يغنيك وان كان ما يكفيك لا يغنيك فكل ما فيها لا يغنيك ومفهوم
الشرطيتين ظاهر اما الاولى فلان ادنى ما في الدنيا يكفيه في قوام امره والمفروض ان ما يكفيه يغنيه فادنى
ما فيها يغنيه واما الثانية فلانه اذا كان ما يكفيه لا يغنيه كان ذلك لكمال الحرص ومراتب الحرص غير محصورة
فكل ما في الدنيا لو حصل له لا يغنيه بل لو حصلت له الدنيا مرة طلبها مرتين وهكذا قوله قال الله عز وجل
ان من اغبط اوليائي عندي وجد الفضل انه جمع بين الدين والدنيا واخرج حبها من قلبه فاكرمه الله بعزيز
وفضله بخيره وهذه الامور من اعظم اسباب الغبطة رجلا خفيف الحال بالحاء المهملة اي ضيق الحال و
قليل المعيشة من خفت الارض اذا يبس نباتها او بالخاء المعجمة اي قليل المال والحظ من الدنيا ولله در من
قال اخص الناس بالايمان عبد خفيف الحال مسكنه القفار له في الليل حظ من صلوة ومن صوم اذا
طلع النهار وقوة النفس يأتي من كفاف وكان له على ذلك اصطبار وفيه عفة وبه خمول اليه بالاصابع
لا يشار وقل الباكيات عليه لما قضى نحبا وليس له يسار فذاك قد نجا من كل شر ولم تمسسه يوم البعث نار
١٠٤ ذا حظ من صلوة احسن عبادة ربه بالغيب اي بالغيب عن الرب او عن الخلق والمراد باحسان العبادة اتيانها
في اوقاتها بشرائطها واركانها مع نية خالصة وقلب حاضر عالم بان الرب يشاهده بل يشاهد الرب وكان
غامضا في الناس اي مغمورا غير مشهور جعل رزقه كفافا فصبر عليه الكفاف بالفتح ما لا يحتاج معه ولا
يفضل عن الحاجة فهو متوسط بين الفقر والغنا وخير الامور اوسطها وانما سمي بذلك لانه يكف عن الناس
ويغني عنهم قوله قال رسول الله صلعم اللهم ارزق محمدا وآل محمد العفاف والكفاف العفاف بالفتح عفة البطن
والفرج عن الطغيان او العفة عن السؤال عن الانسان او الجميع وارزق من ابغض محمدا وآل محمد المال والولد
لما كان شيء من المال ضروريا في البقاء والعبادة وهو الكفاف الواقع بين الطرفين طرف الفقر الذي فيه رائحة
الكفر والعصيان وطرف الغنى الذي فيه شائبة التكبر والطغيان طلبه لنفسه ولمحبيه وطلب لمن ابغضهم طرف
الغنى والكثرة لان مفاسد الكثرة اعظم وفتنته اشد والحم من مفاسد الفقر وفتنته كما قال عز وجل انما
اموالكم واولادكم فتنة وقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال امير المؤمنين عليه السلم المال مادة
الشهوات وبالجملة لما كان حصول الكفاف مانعا من دواعي طرفي التفريط والافراط وكان العبد معه مستقيم
الاحوال على سواء الصراط طلبه لنفسه ولمحبيه ومضمون الحديث متفق عليه بين الخاصة والعامة فنعم
عن النبي صلعم انه قال اللهم اجعل رزق محمد قوتا والمراد بالقوت الكفاف وعنه ايضا اللهم اجعل رزق محمد كفافا
وعنه ايضا اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا قال عياض لا اختلاف في فضيلة ذلك لقلة الحساب عليه وانما

اختلف ايهما افضل الفقر او الغنى واحتج كل لمذهبه واحتج من فضل الفقر بدخول الفقراء الجنة قبل الاغنياء وقال
القرطبي القوت ما يقوت الابدان ويكف عن الحاجة وهذا الحديث حجة لمن قال ان الكفاف افضل لانه صلعم انما
يدعو بالارجح وايضا فان الكفاف حالة متوسطة بين الفقر والغنى وخير الامور اوسطها وايضا فانه حالة يسلم
معها من آفات الفقر وآفات الغنى وقال الابي في كتاب اكمال الاكمال في المسألة خلاف والتحصيل فيها اربعة
اقوال قيل الغنى افضل وقيل الفقر افضل وقيل الكفاف افضل وقيل الوقف وقال ابن رشد والذي اقول به ان
الغنى افضل من الفقر والفقر افضل من الكفاف واطال الاحتجاج عليه في جامع المقدمات والمراد بالرزق المذكور
ما ينتفع به صاحبه في نفسه وفي اهل بيته فليس المراد به الكسب لانه كسب من خسر ومن غيرها فوق القوت انتهى
كلامه واعلم ان الاحاديث مختلفة وفي بعضها الاستعاذة من الفقر ويمكن ان يقال المراد بطلب الغنى طلب
الكفاف لان الكفاف فقر عند اهل الدنيا وان كان غنى عندهم عليهم السلام وبالاستعاذة من الفقر الاستعاذة
مما دون الكفاف وهو الفقر عندهم واقوى افراده عند اهل الدنيا وعلى هذا لا تنافي بين الاخبار والله اعلم
قوله فقال اما في ضر وعينا فصبوح الحي واما في انسا فغبوقهم الصبوح بالفتح شرب الغداة والغبوق بالفتح
شرب العشاء فاصلهما الشرب ثم استعمل في المأكل والحي قبيلة من العرب قوله وذلك اقرب لرضى
نفسه رزقه وتضييقه اقرب لرضى لان قلبه يفرغ عن غيره ثم من علائق المال ويتوجه اليه بالفرغ و
الابتهال ويطلب ما عنده من الفضل والكمال ولقد سمعت بعض صلحاء اهل الدنيا قال ما صليت بفراغ
البال مذ اشتغلت بالدنيا وتحصيل المال بخلاف توسيع الرزق فانه يبعد من الله لانه يشغل القلب عنه
الى الدنيا وجمع زهراتها وحفظها وترك الحقوق وقوله ان وسعت بالتخفيف او التشديد يقال وسع الله عليه
رزقه توسعا من باب نفع وسعة توسيعا اي بسطه وكثره واوسع بالالف مثلهما قوله اذا هم احدكم بخير فلا
يؤخره فان العبد ربما صلى الصلوة او صام اليوم فيقال له اعمل ما شئت بعدها فقد غفر لك من الله للعبد
نفحات في بعض الاوقات والعبد مع الله مقام في بعض الساعات وللعبادة كمال في بعض الآنات موجب لرفع
الدرجات فلعل زمان قصد الخير والعبادة احد هذه الاوقات التي يحصل للعابد فيها مزيد قرب واختصاص
من لا يضر معها شيء من موجبات البعد ولا يدفع شرف القرب ومثل هذا الحديث رواه العامة قال القرطبي
الامر في قوله اعمل ما شئت امر اكرام كما في قوله تعالى ادخلوها بسلام آمنين واخبار الرجل بانه قد غفر له
ما تقدم من ذنبه ومحفوظ في الآتي وقال الابي يريد بامر الاكرام ليس انه اباحة لانه يفعل ما يشاء قوله
افتتحوا نهاركم بخير واملوا على حفظتكم في اوله خيرا وفي آخره خيرا يغفر لكم ما بين ذلك ان شاء الله اذا كان

عمل

عمل او لكل يوم وآخره خير لا سيما ان لا يكون وسطه خيرا لان المداومة على الخير يورث ملكة مانعة
من الشرور ومن ثم قيل الخير يسري بعضه الى بعض كالشر ولو فرض وقوع الشر في وسطه فهو مغفور له
كما قال عز وجل ان الحسنات يذهبن السيئات لان الله تعالى يستحيي من العبد ان يقبل اول عمله وآخره
ويرد وسطه او يعذب به وايضا يبعد من كرمه ان يرضى بالعبد اولا وآخرا ويعذب بما دونه في الاوسط
وايضا بر اعمال العبد بالنسبة اليه تعالى كخطاب احد مع بني نوعه وقد صرحوا بان الخطاب لا بد ان يكون
اوله حسنا وآخره حسنا لان اوله ما يقرع السمع وآخره آخر ما يقرع السمع فيستحسنه السمع ويجعل
حسنا وكل الاعمال قوله اذا هممت بخير فبادر فانك لا تدري ما يحدث هذا كلام جامع لوجوه المبادرة
الى الخيرات منها الرجوع الى الحالة المنافية للتكليف كالهرم المستلزم لضعف العقل والبدن ونقصانهما
ومنها المرض المانع من الاتيان بها ومنها مفاجاة الموت ومنها وسوسة الشيطان وانه ان العقد بها
ومنها طريان السهو والنسيان ومنها تزلزل النفس بخوف الفقر ومنها فوات المال ونظير هذا الحديث
ما نقل عن امير المؤمنين عم انها ذاهبت رياحك فاغتنمها فان لكل خافق سكون ولا تغفل عن
الاحسان فيها فلا تدري السكون متى يكون وفيه ترغيب بليغ في المبادرة الى الخيرات قوله ان الله يحب من الخير ما
يعجل دل على طلب التعجيل ايضا قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم اي على سبب مغفرة وهو الخيرات ومدحهم
في قوله اولئك يسارعون في الخيرات ورغب فيه امير المؤمنين عم بقوله لا خير في الدنيا الا لرجلين رجل
اذنب ذنبا فهو يتداركه ورجل يسارع في الخيرات قوله ولا يستقل ما يتقرب به الى الله عز وجل ولو شق
تمرة اي نصفها فان نصفها قد يحفظ النفس عن الجوع المهلك ولان الانصاف الحاصلة من المتعدد
قد يبلغ قوة الآخذ وفيه حث على التصدق وعدم تركه لقلته ويحتمل ان يراد به ولو كان يسيرا من اي نوع
كان من انواع [illegible] وقوله صلعم لا تحقرن شيئا من المعروف وقول امير المؤمنين عم افعلوا الخير ولا تحقروا
شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير فسر الخير في كلامه عم بالاحسان الى الضعفاء والانعام عليهم ويمكن
حمله على كل ما يقرب العبد الى الله تعالى قوله فيقول الله تعالى قد غفرت لك ولا اكتب عليك شيئا
ابدا [illegible] غفران ذنوبه اما من باب التفضل او مستند الى ذلك العمل لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات
فدل على التكفير والمحو بعد الاثبات واما قوله ولا اكتب فيحتمل ان يكون المراد انه لا يكتب الذنوب التي يفعلها
بعد في مدة عمره اما تفضلا واما لاجل ذلك العمل بان يكون لذلك العمل مدخل في محو ما بعده من الذنوب
كما ان له مدخلا في محو ما قبله ويحتمل ان يكون المراد انه محفوظ في الآتي من فعل الذنوب ففيه اخبار

بانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه ومحفوظ فيما ياتى وبسعة رحمته وسلامته من خطر وبعث على الخوف والرجاء

والاعمال الصالحة كلها فان كل عمل يصلح ان يكون كذلك ثم قوله لا وعزتى وجلالى لا اغفر له

بعدها ابدا لعل المراد به انه اذا وقع القسم وكله الى نفسه فيسلط عليه شيطانه ويفتح له باب المعاصى

فيخوض فى الشرور كلها حتى يخرج من الدنيا بلا ايمان فيستحق بذلك الشقاوة الابدية او المراد انه لا يغفر ذنوبه

ابدا بل يواخذه بها وهذا لا يدل على عقوبته ابدا فلا يرد انه اذا خرج مع الايمان كيف يستحق العقوبة ابدا قوله

اذا هم احدكم بخير او صلة فان عن يمينه وشماله شيطانين فليبادر لا يكفاه عن ذلك النفوس البشرية نافرة عن

العبادات لما فيها من المشقة الثقيلة عليها ومن صلة الارحام والمبرات لما فيها من صرف المال المحبوب لها

فاذا هم احدكم بشئ من ذلك مما يوجب وصوله الى مقام الزلفى وتشرفه بالسعادة العظمى فليبادر الى امضائه

ليعجل اكتنائه فان الشيطان ابدا فى مكمن ينتهض الفرصة لنفثه فى نفسه الامارة بالسوء ويجرى الحيلة مرة

بعد اخرى فى منعها عن الارادات الصحيحة الموجبة لسعادتها وامرها بالقبائح الموبقة لشقاوتها ويحتال عليها

حيلة من جميع الجهات ليسد عليها طرق الوصول الى الخيرات وهى مع ذلك قابلة لتلك الوساوس ومائلة بالطبع

الى هذه الخصائص فربما يتمكن منها الشيطان غاية التمكن حتى يصرفها عن تلك الارادة ويكفها عن هذه السعادة

وهذه الحالة مجربة مشاهدة فى اكثر الناس قوله فان الشيطان فيه نظرة فى المصباح نظرة فى الامر تدبرت و انتظرت

الدين بالالف اخرته والنظرة مثل كلمة بالكسر اسم منه وفى التنزيل فنظرة الى ميسرة اى فتاخير قوله ان الله ثقل

الخير على اهل الدنيا كثقله فى موازينهم يوم القيمة وان الله خفف الشر على اهل الدنيا كخفته فى موازينهم يوم

القيمة المراد باهل الدنيا كل من هو فيها لا من هو طالب لها ومائل الى زهراتها فقط ولكون الخير ثقيلا والشر

خفيفا عليهم قل صدور الخير وكثر صدور الشر منهم وكان المراد بثقل الخير فى الميزان ثقل قدرا واعتبارا و عظمة

بالذات والمضاعفة يوجب عظمة صاحبه وعلو قدره بخلاف الشر اذ لخفته وحقارته يوجب خفة

صاحبه وتحقيره قوله طوبى لمن طاب خلقه اى الجنة او طيب العيش فى الدنيا والآخرة لمن طاب و حسن خلقه

باتصافه بالاخلاق الحسنة وطهرت سجيته اى طبيعته عن الاخلاق القبيحة وصلحت سريرته اى قلبه

بالعقايد الصالحة والنية الخالصة والمعارف الالهية وحسنت علانيته بالاعمال الصحيحة والافعال الحسنة

وانفق الفضل من ماله باخراج الحقوق الواجبة والمندوبة او الاعم منهما ومما فضل من الكفاف وامسك

الفضل من قوله بحفظ لسانه عما لا يعنيه من فضول الكلام وانصف الناس من نفسه ان كان فيما على نفسه

فيما كان بينه وبين الناس ورضى لهم ما رضى لنفسه وكره لهم ما كره لنفسه وفى المصباح نصفت المال بين

الرجلين

الرجلين انصفه من باب قتل قسمته نصفين وانصفت الرجل انصافا عاملته بالعدل والقسط والاسم النصفة

بفتحتين لانك اعطيته من الحق ما يستحقه لنفسك قوله من يضمن لى اربعة باربعة ابيات فى الجنة جمع بيت وهو

المسكن كالبيوت والضمان الالتزام يقال ضمنت المال وبه ضمانا فانا ضامن وضمين التزمته ويتعدى بالتضعيف

يقال ضمنته المال تضمينا اى الزمته اياه والمعنى من يلتزم لى اربعة من الاعمال بسبب اربعة ابيات التزمها

له فى الجنة ثم اشار الى الاعمال الاربعة على سبيل الاستيناف بقوله انفق ولا تخف فقرا فانه لما رغب فى

الاربعة بذكر ثمرتها وهى انها سبب لبناء بيت لصاحبها فى الجنة صار محلا للسؤال فكان السائل قال ما هى

حتى افعلها فقال انفق فضل مالك فى ذوى الحاجات ولا تخف فقرا فان الانفاق سبب للخلف والزيادة و ايضا

الفضل لا دخل له فى الغناء فلا يوجب فوته فقرا وافش السلام فى العالم افشاء السلام وهو الابتداء به على جميع

الانام الا ما اخرجه الدليل سبب للالفة والالتيام وموجب لحسن المعاشرة وتكميل النظام مع انه عبادة

نفسه مطلوب فى دين الاسلام واترك المراء اى الجدال والمنازعة وان كنت محقا وان كان فى المسائل العلمية

بل هى احق بترك المجادلة الا بالتى هى احسن كما قال تعالى وجادلهم بالتى هى احسن والنفس فيها مكايد عظيمة ولا

تركها بالكلية الا من شرفه الله تعالى بالنفس القدسية والكمالات العلمية والعملية فيمكن له التخلص من الاخلاق

الرذيلة التى تحصل من المجادلة مثل التكبر والرياء والغضب والحسد والبغض والعجب وغيرها مما لا يخفى على

المراء والمراء لها ولهذا وردت الاخبار بالنهى عنها مطلقا وغاية الاكثر وانصف الناس من نفسك وهو التزام

العدل فى المخالطة والمعاملة حتى يحكم بنفسه على نفسه وهو من اخص الصفات العدلية والفضائل

البشرية وبه يتم نظام العالم ويرتفع الجور فى بنى آدم قوله سيد الاعمال ثلثة اى افضل الاعمال واشرفها ثلثة

انصاف الناس من نفسك حتى لا ترضى بشئ لنفسك الا رضيت لهم مثله من انصف به لا يريد للناس الا

خيرا او يطلبه لهم بقدر الامكان ويدفع عنهم شرا ويحكم لهم على نفسه لو كان الحق لهم ولا ياخذ منهم من فيه المناخ

الامثل ما يعطيهم ولا ينيلهم من المضار الا مثل ما ينال منهم ومواساتك الاخ فى المال اى تشريكه و تسويته

بمالك آسيته بمالى اى جعلته اسوة اقتدى انا به ويقتدى هو بى وهو شئ من مكارم السخاوة وذكر الله على

كل حال وفى كل مكان سواء كانت الاحوال والامكنة شريفة ام لا ليس اى ذكر الله سبحان الله والحمد لله

ولا اله الا الله فقط وان كان مجموع ذلك من حيث المجموع وكل واحد من اجزائه ذكر ايضا ولكن اذا

ورد عليك شئ امر الله عز وجل به اخذت به واذا ورد عليك شئ نهى الله عز وجل عنه تركته الذكر لله

انواع ذكر باللسان وذكر بالقلب والثانى نوعان احدهما الفكر فى عظمة الله واياته والثانى ذكره عند امره

١٠٦

وبعيه والثالث افضل من الاول والثاني افضل منهما ومن العامة من فضل الاول على الثالث مستدلا بان في
الاول زيادة عمل الجوارح وزيادة العمل يقتضي زيادة الاجر وفيه ان الزيادة ممنوعة وعلى تقدير التسليم وقلت
الضابطة كلية لظهور ان الذكر القلبي اشرف الاذكار واعرقها ومن ثم روى نية المومن خير من عمله واختلفوا
في ان الذكر القلبي هل يعرفه الملائكة وتكتبه ام لا فقيل بالاول لان الله تعالى يجعل له علامة يعرفه الملائكة
بها وقيل بالثاني لانهم لا يطلعون عليها قوله ثلثة هم اقرب الخلق الى الله عز وجل يوم القيمة حتى يفرغ من
الحساب ليس حتى هنا للانقطاع قربهم بعد الحساب بل للمبالغة في دوام قربهم لانهم اذا كان عند الحساب الخلايق
في ظل قربه واحسانه وصنيا فراكرامه وانعامه كان بعده في ذلك بطريق اولى رجل لم تدعه قدرة في حال
غضبه الى ان يحيف على من تحت يده ظاهره عدم الجور والتعدي في التاديب ويمكن ان يراد به العفو في حقه
والعقوبات ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع احدهما على الاخر بشعيرة اي مشى بينهما في اداء رسالة او قصد
اصلاح او مصاحبة وقوله بشعيرة مبالغة في ترك الميل بالكلية واقل الميل لمن يقول ما يوافق طبع احدهما
ويخالف طبع الاخر ورجل قال بالحق فيما له وعليه هذا هو المراد في هذا الباب لانه الانصاف والعدل في
القول وهو ان يرضى لغيره ما يرضى لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه قوله فذكر ثلثة اشياء اولها انصاف الناس
من نفسك هذا اشد لانه اشق على النفس ولعل الاخرين المواساة وذكر الله في كل حال كما يظهر من الاخبار الا
او عدم الميل وعدم الحيف بقرينة السابق قوله اذا هجمت على طاعة او معصية اي دخلت فيهما او وردت عليها
مع القدرة على امضاء هوا النفس كما يشعر به لفظ الهجوم قوله ما ابتلى المومن بشئ اشد عليه من خصال ثلث
يحرمها اي يمتنع منها ويتركها ولا يتصف بشئ منها تقول حرمته حرامًا من باب شرف وعلم اذا امتنعت فعله
وفيه ترغيب للمومن في الاتصاف بها وفي قوله ولكن ذكر الله عندما احل له وذكر الله عندما حرم عليه
حث على ذكره تعالى في جميع الاحوال لان القلب يميل مرة الى الحق ومرة الى الباطل وتارة الى الخير وتارة الى الشر
والجوارح تابعة له في جميع ذلك فلا بد للمومن من ان يكون ذاكرا لله تعالى في جميع حركاته وسكناته وتقلب
قلبه ونظره ناظرا الى جميع احواله القلبية والبدنية فان كان خيرا استكمل بحصول التذكر والايقان ومال
اليه بنور القوة والايمان وان كان شرا يدعه من خوف العقوبة والخذلان كما روى اذا عرض لك امر
فتدبر عاقبته فان كان خيرا فامضه وان كان شرا فانته قوله فاخذ بغرز راحلته الغرز بالفتح والكون
ركاب الراحلة من جلد واذا كان من خشب او حديد فركاب قوله العدل احلى من الماء يصيبه الظمآن
العدل ملكة للنفس تمنعها من الباطل ويحفظها في جميع حركاتها وسكناتها الظاهرة والباطنة من الميل الى الجور

وهو

١٠٧

وهو في المذاق العادل بل الناس كلهم احلى من الماء البارد في مذاق العطشان ويتضمن هذا التشبيه الملائم سبيل
الطبع والالتذاذ الباطل ويحفظها في جميع حركاتها وسكناتها والوجه في الماء احلى والطهر وفي العدل
اتم واكمل كما يشعر به اسم التفضيل ما اوسع العدل كانه يعجب في سعته باعتبار تعلقه بكل امر من الامور
الظاهرة والباطنة غير مختص ببعض دون بعض كالعقايد والاقوال والامثال او في شرفه وسعة نفعه لانه
اذا وقع العدل في الناس تنزل السماء رزقها وتخرج الارض بركتها ويتم نظام العالم وذلك اذا عدل فيه
اي في العدل اذ لو جار فيه بتعلقه بافعال بعض الجوارح والاعضاء دون بعض لم يتحقق سعته باحد المعنيين
المذكورين وان قل اي العدل ووجه قلته انه يتوقف على كمال النفس الناطقة بالعلم والحكمة وكمال القوة
الغضبية بالشجاعة وكمال القوة الشهوية بالعفة وبالجملة على استقامة القوى الظاهرة والباطنة حتى يكون
جميع الافعال والاعمال على وفق العقل والشرع ومن البين ان الاتصاف بهذه الخصال على وجه الكمال لكونه
في غاية الصعوبة والاشكال ليس الا واحدا بعد واحد هذا الذي ذكرنا في شرح هذا الحديث من باب الاحتمال والله
اعلم بحقيقة الحال قوله من انصف الناس من نفسه رضي به حكما لغيره الظاهر ان رضى على صيغة المجهول اي رضى
الله تعالى او كل عاقل ان يكون هو حاكما لغيره يحكم بين الخلق لان بناء الحكم على الانصاف والعدل وفيه حث
على الاتصاف به لانه سلسلة المدنية والرياسة المدنية متوقفة عليه ومفهومه ان غير المنصف لا
يصلح للحكومة قوله الا اني ساجمع لك الكلام في اربع كلمات دل على ان هذه الكلمات جامعة لكل دال على الخيرات
وهو كذلك لان العارف بالله والسائر الى الله مقصده امور اربعة الاول هو الله تعالى وحده لا شريك له وفي الكلمة
الاولى اشارة اليه والثاني تحصيل المثوبات الاخروية عند كمال الحاجة اليها والكلمة الثانية ايماء اليه والثالث
اصلاح حاله في الدنيا وتقويم شانه وقت السير بتحصيل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي بعون الله وتوفيقه
والكلمة الثالثة رمز عليه والرابع العدل بين رفقائه والانصاف فيما بينهم ليتمكن لهم السير الى الله وتكميل نظامهم
وله مدخل عظيم في بقاء النوع والوصول الى المقصد والكلمة الرابعة اشارة اليه واذا تاملت في هذه الكلمات
وجدت الحكمة العملية والنظرية مندرجة فيها وقد قسم ارسطاطاليس العدل على ثلثة اقسام الاول رعاية حقوق
المشاركة والثالث رعاية حقوق الاسلاف والكلمة الاولى في هذا الحديث اشارة الى الاول والكلمة
الاخيرة الى الاخير قوله اتقوا الله واعدلوا اي اطيعوا الله في اوامره ونواهيه واعدلوا فيما بينكم ولا تجوروا
فانكم تعيبون على قوم لا يعدلون بين الناس ينبغي ان تعدلوا حتى لا يعيب عليكم غيركم ولئلا يتوجه
عليكم اللوم والانكار في قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون قوله العدل احلى من الشهد والين من الزبد واطيب

ربحا من المسك رغب في العدل التابع للاعتدال في القوى الانسانيه تشبيه اولا بالشهد وهو العسل في
الحلاوة وميل الطبع وثانيا في الزبد في اللينة والزبد مثال فقل ما استخرج بالمخض من لبن البقر والغنم
وثالثا بالمسك في الريح المرغوب فيه وهذه المعاني وان كانت في المشبه عقلية خفية عند الجاهلين
لكنها كحسيه جلية عند العارفين **قوله** في ظل عرش الله يوم لا ظل الا ظله ضمير الا ظله يحتمل ان يعود الى
الله وان يعود الى العرش فعلى الاول يحتمل ان يكون لله سبحانه يوم القيمة ظلال غير ظل العرش ولكن ظل
العرش اعظمها واشرفها يخص الله سبحانه به من يشاء من عباده ومن جملتهم صاحب هذه الخصال الملك
وعلى الاخير لا ظل هناك الا ظل العرش وهو ساقي ظاهرا عن ابي عبد الله عم قال قال رسول الله صم
ارض القيمة نار ما خلا ظل المؤمنين فان صدقه تظله ومن طريق العامة المرئ في ظل صدقته حتى يقضى
الله بين الخلايق فانه يدل على ان في القيمة ظلالا غير ظل العرش ومن ثم قيل ان في القيمة ظلالا يحجب
الاعمال يقي اصحابها عن حر الشمس والنار وانفاس الخلايق ولكن ظل العرش احسنها واعظمها ويمكن الجواب
بانه يحتمل انه ليس هناك الا ظل العرش يستظل بها من يشاء من عباده المؤمنين ولكن لما كان ظل العرش لا
ينال الا بالاعمال وكانت الاعمال تختلف يحصل لكل عامل يخصه من ظل العرش بحسب عمله واضاف
الظل الى الاعمال باعتبار ان الاعمال سبب لاستقرار العامل فيه ثم الكون في ظل العرش كما ذكرناه آنفا
يحتمل حمله على الحقيقه بان يظلهم الله تعم من حر الشمس ووهج الموقف وانفاس الخلايق ويحتمل ان يكون
كناية عن حفظهم من المكاره وجعلهم في كنف حمايته ورعايته ويحتمل ان يكون الظل كناية عن الراحة والنعم
ومنه قولهم عيش ظليل ورجل لم يقدم رجلا ولم يؤخر رجلا حتى يعلم ان ذلك لله رضى يعني انه يراقب
نفسه في جميع الحركات الظاهرة والباطنة ويجعلها موافقة للقوانين الشرعية فانه لا يبقى بينها عيبا الا بدله
عيب فيكون دايما مشغولا بعيب نفسه وتطهيرها عنه فيكون فارغا عن عيب الناس كما اشار اليه بقوله **قوله**
وكفى بالمرء شغلا بنفسه عن الناس لان النفس ما دامت في الدنيا محتاجة الى المعالجة والمداواة انا فانا
فذلك المؤمن حقا اريد انه المؤمن الكامل الذي تكاملت اخلاقه الفاضله وتمت اوصافه الكامله فمن
وجد فيه الامران علم انه في غاية الكمال من الايمان **قوله** ما تداري اشار آه تداروا تدافعوا في الخصومة
والخدعه ولو يل منه اي جعلت الغلبه والنصرة له عليه يقال ادالنا الله على عدونا اي نصرنا عليه وجعل
الغلبه لنا وفي الفايق ادال الله زيدا من عمرو نزع الله الدولة من عمرو وآتاها زيدا **قوله** شرف المؤمن قيام الليل

باب الاستغناء عن الناس

وعزه استغناه عن الناس الشرف علو القدر ورفعته والعز والعزة بالكسر بمعنى وهو القوة في الدين او الغلبه

على الامثال في اليقين والعزيز من لا يعاد له شيء او لا يكون له نظير والحمل للمبالغه اذ قيام الليل سبب للشرف
والرفعة والاستغناء عن الناس سبب للعزة والمنعة لان من استغنى عن الناس ظاهرا بترك السؤال
وباطنا بقطع الطمع عنهم صار عزيزا عند الخالق والخلق ومن سالهم وطمع فيما في ايديهم ورفع حاجته اليهم
فقد ذل ولذا قال امير المؤمنين عم رضي بالذل من كشف ضره وذلك لان من كشف القناع عن وجه ضره
وسؤاله علم انه يرى بعين الحقارة فقد رضي بالذل والالم يكشفه اختيارا **قوله** واذا اراد احدكم الا يسال
ربه شيئا الا اعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء الا عند الله الظاهر ان قوله ولا يكون عطف
اخبار على انشاء ويمكن ان يكون الواو للحال واليأس القنوط وقد يئس من الشيء ييأس من باب علم وفيه لغة
اخرى يئس ييئس بالكسر فيهما وهو شاذ ورجل يؤوس قال المبرد ومنهم من يبدل في المستقبل من الياء
الثانيه الفا ويقول يائس ويأيس واشار الى بيان الشرطيه والتنبيه عليه بقوله فاذا علم الله عز وجل
ذلك من قلبه لم يسال الله شيئا الا اعطاه اذ العبد اذا انقطع عن الخلق الى الله واتصل به اتصالا روحانيا
واقرب منه قربا معنويا اذا ناداه لباه واذا ساله اعطاه بل صار ارادته كارادته وقدرته كقدرته كما دل عليه
عليه بعض الروايات **قوله** رايت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في ايدي الناس قطع الطمع خير كثير متضمن
لغيره من الخيرات كلها لان الاتصاف به يوجب الانقطاع عن الخلق والاتصال بالحق وهو في نفسه خير
وكل خير غيره اما موقوف عليه له او لازم غير منفك عنه **قوله** طلب الحوائج الى الناس استلاب للعز مذهبة
للحياء اما انه سبب لسلب العز فلانه يجلب الذل والاحتقار كما قال امير المؤمنين عم ازرى بنفسه من استشعر
الطمع اي احتقر نفسه من جعل الطمع شعارا له واما انه آلة لذهاب الحياء فلانه فتح باب اللوم وهتك
حجاب الحياء المانع من ارتكاب ما يلام به والناس عما في ايدي الناس اي نزع القلب عنه وقطع الطمع
والرجاء منه عز للمؤمن في دينه وسبب لرفعته وعلو منزلته عند الله وعند المؤمنين والملائكة المقربين
والطمع هو الفقر الحاضر لان الله تعم يكله الى نفسه ويحيله الى غيره وهو فقر حاضر ومن العجب ان الطامع
يطلب اليسر بالعسر ويغفل ان الشيء ليس يحصل لضده **قوله** وانا اضن بك ان تطلب مثل هذا ضن بالشيء
ضنا من باب علم بخل ومن باب ضرب لغة ولكن عول على مالي عولت به وعليه استعنت اي استعن بمالي
قوله او ما سمعت قول حاتم لم يذكره للاستشهاد بل للشهرة والدلالة على ان ذلك مما يدعو به العاقل وان
لم يكن من اهل الدين اذا ما عزمت الياس آه العزم العقد المؤكد المعرى عن التردد والعشيرة بمعنى وجدته
والضمير راجع الى الياس وحمل الغنى عليه للمبالغة واذا ظرف لا لغيه واللام في الفقر يفيد الحصر كالسابق

قوله لجمع لك في قلبك الافتقار الى الناس والاستغناء عنهم اى ليجتمع في قلبك امران بالنسبة الى الناس الاول
اعتقادى بانك مفتقر اليهم لان الانسان مدنى بالطبع يعاون بعضهم بعضا في تحصيل المقاصد الثاني
اعتقادك بانك مستغن عنهم غير محتاج الى السوال عنهم لانه تعالى يكفل ارزاق العباد وامرهم بالسوال عنه وهو
مسبب الاسباب ان شاء هيا اسباب مقاصدهم وفايدة الاول حسن المصاحبة والمخالطة معهم بلين الكلام وحسن الخبر
والطلاقة ونحوها لان ذلك له مدخل عظيم في تحصيل المقاصد وتكميل النظام وفايدة الثاني حفظ العرض

باب صلة الرحم

وصونه عن النقص وحفظ العز بترك السوال والطمع فيما في ايديهم قوله واتقوا الله الذى تساءلون به و
الارحام ان الله كان عليكم رقيبا اى حفيظا مطلعا قال القاضي اى يسال بعضكم بعضا فيقول اسالك
بالله واصله تتساءلون فادغمت الثانيه في السين وقراء عاصم وحمزة والكسائى بطرحها انتهى والظاهر
ان ضمير به راجع الى الله وعوده الى التقوى بعيد وان الارحام بالجر عطفا على الضمير المجرور وقد قراء به
حمزه واستدل به الكوفيون على جواز العطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار ومنعه المصريون
لانه من قبيل العطف على بعض الكلمة واجابوا عن الاية بان الارحام مرفوعة كما في بعض القراءة على انه مبتدا له
محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اى مما يتقى او يتساءل به او منصوب معطوف على محل الجار والمجرور
كما في قولك مررت بزيد وعمروا وعلى الله اى اتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها على ان الواو يحتمل ان في جواز العطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار
يكون للقسم او بمعنى مع والجواب ان الكل خلاف الظاهر اما الاول فلان الاصل عدم الحذف واما الثاني
فلان العطف على المحل نادر في كلام الفصحاء والمثال المذكور مصنوع ومع ندرته لا يجوز الا مع تعذر
العطف على اللفظ ودليل التعذر غير تام لان امتناع العطف على بعض الكلمة اذا كان ذلك البعض
كلمة ممنوع وقد اتفقوا على جواز العطف على الظاهر المجرور بدون اعادة الجار مع قيام الدليل المذكور عليه
ايضا وتاثير الفرق بشدة الاتصال في الضمير دون الظاهر في جواز العطف وعدمه ممنوع واثباته مشكل
جدا واما الثالث فلبعد المنافرة ولعدم فهم المسالة في الارحام ح واما الاخير فلان الاصل في
الواو هو العطف لا يعدل عنه الا بالدليل على ان الارحام ح غير مندرجة تحت الامر بالتقوى ظاهر
وهو خلاف ما نطق قوله ثم ان الله عز وجل بصلتها ومعنى المعية في تعلق السوال غير ظاهر كما لا يخفى
ان قلت السوال يتعدى بنفسه وبعن كما يقال سالته الشيء وسالته عن الشيء فما الوجه في تعلقه هنا بالباء
قلت الباء هنا بمعنى عن كما في قوله تعالى سال سائل بعذاب اى عن عذاب كما صرح به الجوهري على ان الظاهر
من كلام الاخفش حيث قال خرجنا نسال عن فلان وبفلان جواز الاستعمال بالباء ايضا حقيقة و

خبر

وفيه دلالة على تاكيد صلة الارحام لانه سبحانه خصها بالذكر وقرنها باسمه وندب حفظها وضبطها اليه
جل شانه دون الملكين وهو دل على عظم شانها ورفعة مكانها واليه يشير قوله ثم الا ترى انه جعلها منه
تحقيق الرحم بني شي ينبغي الاشارة اليه وهو تحقيق معنى الرحم فنقول قيل الرحم والقرابة نسبة واتصال بين المنتسبين
يجمعها رحم واحدة وهذا يشبه ان يكون دوريا وقيل الرحم عبارة عن قرابة الرجل من جهة طرفيه اباءه وان علوا
وابناءه وان سفلوا وما يتصل بالطرفين من الاعمام والعمات والاخوة والاخوات واولادهم وقيل الرحم التى
تحت صلتها كل رحم بين اثنين لو كان ذكرا لم يتناكحا فعلى هذا لا يدخل اولاد الاعمام واولاد الاخوال وقيل
هي عام في كل رحم من ذوى الارحام المعروفين بالنسب محرمات او غير محرمات وان بعد وهذا الاقرب
الى الصواب ويدل عليه ما رواه عن على بن ابرهيم في تفسير قوله ثم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم انها نزلت في بني امية وما صدر منهم بالنسبة الى الائمة اهل البيت عليهم السلم ويؤيده روايات
اخر والظاهر انه لا خلاف في ان صلة الرحم واجبة في الجملة وان لها درجات متفاوتة بعضها فوق بعض و
١٠٩ ادناها الكلام والسلام وترك المهاجرة ويختلف ذلك ايضا باختلاف القدرة عليها والحاجة اليها فمن
الصلة ما يجب ومنها ما يستحب ومن وصل بعض الصلة ولم يبلغ اقصاها ومن قصر عما ينبغي او قصر عما يقدر
عليه هل هو واصل او قاطع فيه تامل والاقرب عدم القطع لصدق الصلة في الجملة قوله وشيمة له اي شيء
وشام دادل وهي اسم من شتمه شتما من باب ضرب ورفض الله كناية عن سلب الرحمة والمضرة والزال العقوبة
عاجلا واجلا ويصل وما عطف عليه خبر بمعنى الامر والظهير الناصر والمعين وهو رب العالمين وصالح و
المومنين وجميع المقربين فاى وذى لقطع اهل البيت ولغايتهم لك ان وصلتهم بعد نصرة هؤلاء قوله يكون
الرجل يصل رحمه فيكون قد بقى من عمره ثلث سنين فيصيرها الله ثلثين سنة هذا صريح في ان العمر يزيد وينقص
وان صلة الرحم يوجب زيادته وينبغى ان يراعى الاقرب فالاقرب مع التزام وعدم القدرة على الجميع و
اتساع القدرة فالاولى ان يبر الجميع ولو بالتفاوت وقوله يفعل الله ما يشاء اشارة الى المحو والاثبات
قوله صلة الارحام تزكى الاعمال تزكى مضارع من باب الافعال والتفعيل اى تجعلها نامية او طاهرة من
النقص او من الرد وان كان مما ينقص ما تنمى الاموال مثله قول امير المومنين ثم صلة الرحم مثراة في المال
قال بعض الشارحين له وذلك من وجهين احدهما ان العناية الالهيه قسمت لكل حي قسطا من الرزق
يناله مدة الحيوة واذا اعدت شخصا من الناس للقيام بامر جماعة وكفلتهم بامدادهم ومعونتهم وجب في
العناية افاضة ارزاقهم على يده وما يقوم بامدادهم على حسب استعداده لذلك سواء كانوا ذوى الارحام او

مرحومين في نظره حتى لو نوى قطع احد منهم فربما نقص ماله بحسب رزق ذلك المقطوع وذلك معنى كونها
مثراة للمال الثاني انها من الاخلاق الحميدة التي يمتال بها طباع الخلق فواصل رحمه مرحوم في نظر الكل فيكون
ذلك سببا لامداده ومعونته من ذوي الامداد والمعونات كالملوك وتدفع البلوى البلاء والبلية والبلوى
يعني وهو ما يبتلى به الانسان ويمتحن به من النوائب والمصائب والمكاره الثقيلة على النفس وتيسير الحساب
اي حساب الاموال او الاعمال ايضا وتنسي في الاجل مثله في نهج البلاغة عن علي عليه السلام وفي كتب
العامة ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب ان ينسأ في اجله فليصل رحمه وفي طريق اخر من سره ان ينسأ الله في اثره
فليصل رحمه قال الشارح النسخ النسأ التاخير في ذلك من وجهين احدهما انها توجب تعاطف ذوي الارحام
وتوازرهم وتعاضدهم لواصلهم فيكون عن اذى الاعداء ابعد وفي ذلك مظنة تاخيره وطول عمره الثاني
ان مواصلة ذوي الارحام توجب همم سعادة واصلهم وامداده بالدعاء وقد يكون دعاؤهم لرد وتعلق
هممهم سعادته من شرايط بقائه وانساء اجله اقول يمكن ان يكون للصلة بالخاصية تاثير في تاخير الاجل
وان يكون تاخير الاجل عناية من الله تعالى للواصل ليصل فيضه وبره الى عباد الله فيستريحوا بطول حياته و
قال عياض الاثر الاجل سمي بذلك لانه تابع للحيوة والمراد بنسأ الاجل يعني تاخيره هو بقاء الذكر الجميل
بعده فكانه لم يمت والا فالاجل لا يزيد ولا ينقص وقال بعضهم يمكن حمله على ظاهره ولان الاجل يزيد
وينقص اذ قد يكون في ام الكتاب انه ان وصل رحمه فاجله كذا وان لم يصل فاجله كذا وقال المازري و
قيل معنى الزيادة في عمره انه بالبركة فيه بتوفيقه الى اعمال الطاعة وعمارة اوقاته بما ينفعه في الاخرة و
التوجيه ببقاء ذكره بعد الموت ضعيف وقال الطيبي بل التوجيه به اظهر فان اثر الشيء هو حصول ما يدل
على وجوده فمعنى يوخر في اثره يوخر ذكره الجميل بعد موته قال الله تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم ومنه
قول الخليل عم واجعل لي لسان صدق في الاخرين قوله ولو كان منه على مسيرة سنة فينبغي الارتحال الزيارتهم
او ارسال الكتاب والهدايا اليهم وفي بعض النسخ ولو كانت منه بالتانيث وكلاهما جائز لان الرحم يذكر و
يونث قوله صلة الارحام تحسن الخلق آه ذكر للصلة خمسة اوصاف الاول انها تحسن الخلق وهو ملكة
تصدر منها الافعال بسهولة مثل الصدق واللطف والالفة وحسن الصحبة والعشرة والملاطفة والبشاشة
ونحوها وذلك لان الصلة من حسن الخلق وسبب لزيادته ورسوخه وكماله الثاني انها تسمح الكف اي
توجب جوده وبذله بالنسبة الى عموم الخلق لان الجود يصير عادة ويتكامل بالتدريج حتى يزيل مادة البخل
والثالث انها تطيب النفس اي تبسطها وتشرحها حتى تطهرها من خوف الفقر للبر والانفاق ومن سائر الجنايات

مثل

مثل القطيعة كما مر قوله ان الرحم معلقة بالعرش يقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني فيه اخبار عن تاكد
صلة الرحم وانه سبحانه نزلها منزلة من استجار به فاجاره وجار الله غير مخذول والقول محمول على الظاهر
اذ لا يبعد من قدرة الله ان يجعلها ناطقة كما ورد امثال ذلك في بعض الاعمال التي يقول انا عملك والمراد بصلة
الله تعالى من وصلها رحمته لهم وعطفه بنعمته عليهم او صلته لهم باهل ملكوته والرفيق الاعلى او قربهم وشرح
صدورهم لمعرفته او جميع انواع الاكرام والافضال فان صلة الرحم تجلب خير الدنيا والاخرة وقيل
المشهور من تفاسير الرحم انها قرابة الرجل من جهة طرفيه وهي امر معنوي والمعاني لا يتكلم ولا يقوم
فكلام الرحم وقيامها وقطعها وصلتها وتعلقها استعارة لتعظيم حقها وصلة واصلها واثم قاطعها ولذلك سمي
قطعها عقوقا واصل العق الشق فكانه قطع ذلك السبب الذي يصلهم وقيل يحتمل ان الذي تعلق بالعرش ملك
من ملائكة الله ويتكلم بذلك عنها من امر الله سبحانه فاقام الله ذلك الملك نيابة عنها ويكتب ثواب واصلها
واثم قاطعها وكل الحفظة بكتب الاعمال وفيه ان جميع ذلك خلاف الظاهر والحمل على الظاهر غير بعيد بالنظر
الى القدرة القاهرة واراد بقوله وهي رحم آل محمد اذ رحمهم عليهم السلام متصل بجميع الامة لا بالاتصال النبي
بل بالاتصال المعنوي وقرابة اولى النعمة والايمان وبالجملة كونهم عليهم السلام اصلا للايمان صار ذلك
باعثا للقرابة المؤمنين معهم كما ان اصل الدين سبب لاخوة المؤمنين فالمراد برحمهم عليهم السلام رحم الايمان
فالرحم رحمان خاصة وهي رحم قرابة وعامة وهي رحم الايمان والظاهر ان قوله تعالى ان يوصل بدل من ضمير
به وان قوله عم ورحم كل ذي رحم عطف على رحم آل محمد للدلالة على التعميم قوله وصلة الرحم منساة مجول
في الاجل ومحبة في الاهل اي آلة لتاخير اجل الواصل وسبب لزيادة عمره ومحبة اهله لان الانسان مجبول
يحب من احسن اليه ومن ثم قيل الانسان عبيد الاحسان قوله صلة الرحم وحسن الجوار آه قيل حسن الجوار فضيلة
تتشعب الى فضيلتين لان حفظه يكون بالكف عن اذاه وذلك فضيلة تحت العدل ويكون الاحسان اليه
ومصادقته ومسامحته وموانسته وتلك الامور تحت الفقه قوله ان اعجل الخير ثوابا صلة الرحم لان كثيرا
من ثوابها يصل الى الواصل في الدنيا مثل زيادة العمر والرزق ومحبة الاهل ونحوها قوله ما نعلم شيئا يزيد في
العمر الا صلة الرحم دل على ان غيرها ليس سببا لزيادة العمر والا لكان هو عليه السلام عالما به ولعل المراد انها
اكمل افراد ما يوجب زيادة العمر مثل الصدقة وحسن الجوار وغيرهما ويمكن او راح غيرها فيه يوجد فيه
ما مر من حديث ابي الحسن الرضا عليه السلام دلالة واضحة على ان المراد بالنسأ في الاجل زيادة العمر لا ما ذهب
اليه بعضهم ايضا من البركة في العمر بمعنى توفيقه للطاعة والعبادة كما ذكرناه سابقا وما ذهبوا اليه وان كان

١١٠

البعض الغافلة من بقاء ذكر الجميل بعد موته ولا ما ذهب اليه البعض

حينئذ يوجب الصلة لكنه غير مراد من المقام في الاجل قوله نزل بالزبدة الزبدة بالتحريك قرية معروفة قرب
المدينة بها قبر ابي ذر الغفاري فاتاه رجل من محارب هي قبيلة اني تحملت في قومي حمالة هي بالفتح ما
تحمله الانسان عن غيره من دية او غرامة مثل ان يقع الحرب بين الفريقين سفك فيها الدماء فيدخل بينهم
رجل فيتحمل ديات القتلى ليصلح ذات البين واني سالت في طوائف منهم المواسات والمعونة في اداء
الحمالة وتحمل الاثم فسبقت الى السنتهم بالنكد اي بالشدة والغلظة والعسر قال فقص راحلته اي استحثها
واستخرج اقصى ما عندها من السير واصل النص بالصاد المهملة اقصى الشيء وغايته ثم سمي به ضرب من السير
سريع فادلفت كانها ظليم الظليم ذكر النعام وادلفت من باب الافعال او التفعل والاخير اشهر من
الدليف وهو المشي مع تقارب الخطو والاسراع وكانه الوخدان قال الثعالبي في سر الادب الوخدان نوع
من سير الابل وهو ان ترمي بقوائمها كمشي النعام قد لف بعض اصحابه في طلبها اي في طلب راحلته و اثرها
وفي بعض النسخ فادلفت فلايا بلاي ما لحقت اللاي كالسعي الجهد والمشقة اي بجهد جهيد وجهد بعد جهد
ومشقة بعد مشقة ما لحقت الراحلة وصل امرأ عشيرته فانهم اولى ببره وذات يده آه الاظهر انه خبر
بمعنى الامر وكذا ما عطف عليه اي امر عشيرته وقومه فانهم اولى ببره اي بافاضة خيره عليهم واحسانه
اليهم واعطاء ما في يدها اياهم وكذا العكس ان احتاج الى احسانهم ثم بعث راحلته وقال حل حل بفتح الحاء
المهملة وسكون اللام زجر للناقة اذا حثثتها للسير قال ابن عباس ان حل لتوطئ الناس وتؤذي وتشغل
عن ذكر الله تعالى يعني ان كلمة حل وزجرك بها ناقتك عند الافاضة من عرفات توطئ الناس وتؤذيهم
وتشغل قلبك عن ذكر الله فسر على هينتك قوله لن يرغب المرء عن عشيرته وان كان ذا مال وولد المراد به
النهي المؤيد والمنع المؤكد يعني لا يعرض المرء عن عشيرته وعونهم باليد واللسان وان كان ذا مال وولد فانه
محتاج الى العشيرة من جهات شتى وماله وولده لا يغنيانه عنهم فكيف اذا لم يكن له مال وولد فان احتياجه
اليهم حينئذ اشد واكمل وفيه ترغيب في صلة العشيرة على كل حال وعن مودتهم وكرامتهم الاضافة الى الفاعل
او المفعول والاول انسب بقوله ودفاعهم بايديهم والسنتهم لان الاضافة فيهما الى الفاعل هم اشد الناس
حيطة اي حفظا ورعاية لمن وراءه اي في غيبته واعطفهم عليه في الغيبة والحضور والمهم لشعثه
الشعث محركة انتشار الامور وتفرقها واللم الاصلاح تقول لم شعثه لما من باب قتل اذا اصلح من
حاله ما تشعث وتفرق اذا اصابته مصيبة او نزل به بعض مكاره الامور قيده بهذا الشرط لان الاحتياج
اليهم ح اظهر ويناسب هذا ما روي عن امير المؤمنين عليه السلام قال واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي

بر

بر تطير واصلك الذي اليه تصير ويدك التي بها تصول امر باكرامهم ورغبه فيه بذكر المنافع الدنيوية
وهي انه تقوى بهم حيث انهم يصيرون اعوانا له وبهم يتحقق كماله وقوته ومن يقبض يده عن عشيرته
فانما يقبض عنهم يدا واحدة ويقبض عنه منهم ايدي كثيرة لانهم مهجورون ولا يعاونونه فيما نزل به
من المصائب الدنيا ونوائب الدهر وغلبة الاعادي وقد مر شرحه مفصلا في آخر باب المداراة ومن
يلن حاشيته يعرف صديقه منه المودة يعني لين الجانب وحسن الصحبة مع العشيرة وغيرهم موجب
لمعرفتهم المودة منهم ومن البين ان ذلك موجب لمودتهم له فلين الجانب مظهر للمودة من الجانبين وبها
يتم النظام في الدارين ومن بسط يده بالمعروف تخصيصه بالمندوب محتمل وتعميمه اولى اذا وجده يخلف
الله ما انفق في دنياه سواء انفق على ذوي الارحام او على غيرهم ويضاعف له في آخرته حتى ان الرجل ليتصدق
بالتمرة او بشق التمرة فيربيها الله تعالى فيلقاها يوم القيمة وهو مثل احد ولعظم منه هذا اذا اكتسب المال
من حله وانفقه في حله لوجه الله تعالى كما دلت عليه الروايات وتشهد عليه التجربة ولسان الصدق للرجل يجعله
الله في الناس خير من المال ياكله ويورثه يعني مدح الناس له بالجميل وذكرهم له بالخير ودعاؤهم له بالعفو والمغفرة
خير من المال ياكله ويورثه اوليس في الاكل مدح وكمال مع انقطاع نفعه والتوريث انما هو بغير الحساد مع
ان الوارث ان صرفه في وجوه البركات الثواب له لا للمورث لا يزدادن احدكم كبرا وعظما في نفسه ونايا عن
عشيرته ان كان موسرا في المال لما كان اعظم اسباب كبر الرجل وعظمته وبعده عن العشيرة هو يسره وكونه
ذا مال قيد النهي من تلك الامور به وليس المراد جواز هذه الامور مع العسر بل تعلق النهي بها مع العسر اولى ولا
يزدادن احدكم في اخيه زهدا ولا منه بعدا اذا لم ير منه مروة وكان معوزا في المال المروة كمال الرجولية
بالاحسان ونحوه والمعوز بكسر الواو المفتقر الذي لا شيء له من اعوز الرجل اعوازا افتقر وبعضها المعقبر من اعوزه
الدهر افقره واحوجه وفيه مبالغة في النهي عن الاعراض من الاخ والبعد منه فانه اذا قبح ذلك مع عدم مروة
الاخ فقد قبح مع مروته بطريق اولى لا يغفل احدكم عن القرابة بها الخصاصة ان يسدها بما لا ينفعه ان امسكه
بالمنع ولا يضره ان استهلكه بالاعطاء وغيره وفيه ترغيب للمرء في صرف فضل ماله في الاقرباء لان الفضل لا ينفعه
حفظه ولا يضره دفعه قوله فلا يزال وذلك اي في نمو اموالهم وزيادتها ونموهم بزيادة اعمارهم وتكثر اعدادهم
قوله ان القوم ليكونون فجرة ولا يكونون بررة الى آخره اشارة الى ان الفوائد الدنيوية للصلة تصل الى المؤمن و
الفاسق والكافر وان المؤمن الصالح اولى بذلك قوله صلوا ارحامكم ولو بالتسليم دل على انه ينبغي المبادرة بالتسليم
على ذوي الارحام وان ظن انهم لا يردون عليه والقول بانه لا يسلم عليهم ح لانه يدخلهم في حرام كما ذهب اليه بعض

الظاهر ان بها الخصاصة مبتدا وخبر والجملة حال عن القرابة وان يسدها بدل منها او متعلق بلا يغفل بتقدير كي اي لا يغفل احدكم عن القرابة ليسدها بما لا ينفعه ان امسكه بالمنع ولا يضره ان استهلكه

العامة ليس نعي لامكان توبتهم وردهم فلا يترك تلك الخصلة العظيمة والفضيلة الشريفة بمجرد الظن قوله حتى
وقعت الضوضا بينهم الضوضو اصوات الناس ضوضوا اى ضجوا قوله ما بكر بك بكر الى الشى بكورا من باب
قعد اسرع اى وقت كان وبكرت عجلت وبكر تبكيرا مثله وفى بعض النسخ ما يكربك من الاكراب وهو الاسرع قوله
انك ان وصلته وقطعك وصلكما الله لان وصلتك اياه قد يرق قلبه ويجعله محبا لك وما لا اليك مثل
القطيعة سوقوا الله كما يدل عليه قول امير المؤمنين عم وخذ على عدوك بالفضل فانه احد الظفرين يريد ان
الظفر على العدو اما بالسيان واما بالافضال قوله انى احب ان يعلم الله انى قد اذللت رقبتى فى رحمى اى
ان يطابق علمه بالمعلوم او احب ان يعلم الاذلال بعد الكون كما علم قبله او احب ان يجزينى بالاذلال فالعلم
واراد الجزاء كناية لان الجزاء تابع للعلم قوله تعالى قرابتك اراد ان الاية شاملة لقرابة المؤمنين لا انها مختصة
بها للدلالة الخبر السابق والخبر الاتى على انها شاملة لقرابة محمد صلعم ايضا قوله فلا تكونن ممن يقول للشى انه
شى واحد يعنى ان الاية شاملة لارحام المؤمنين وان نزلت فى رحم آل محمد صلعم فلا تقولن باختصاصها بها قوله
فان الرحم لها لسان يوم القيمة ذلق اى فصيح وبليغ وذلق بضم الدال واللام او فتحها او سكونها مع فتح الذال
وفيه دلالة واضحة على ان قول الرحم محمول على الحقيقة وقد مر الخلاف فيه قوله فتهوى الى اسفل قعر فى النار
الاضافة فى اسفل قعر بيانية وهو يدل على ان قاطع الرحم وان فعل جملة من الاعمال الصالحة يدخل النار
لا يكفر بالذنوب فلا بد من التاويل ولعل المراد بالدخول الدخول مع عدم الدوام او المراد بالقاطع القاطع المستحل
قوله وتقى مصارع السوء وصدقة الليل تطفى غضب الرب اى الصلة تقى صاحبها من الوقوع فى المكاره والذنوب
وسوء الحساب كما علم ذلك صريحا من الروايات السابقة وانما خص صدقة الليل بما ذكر مع ان سائر العبادات
كذلك لكونها ابعد من الرياء واقرب الى الاخلاص فكان اولى بالتقرب منه تعم ولطفا غضبه قوله فقال الاحسان

باب البر بالوالدين

ان يحسن صحبتهما بالتلطف وحسن العشرة والطلاقة والبشاشة والتواضع والترحم وغيرها مما يوجب سرورهما
وانبساطهما والحاق الاجداد والجدات بهما محتمل وصرح به عياض من العامة وقال بعضهم انهم لحقوا بهما
لانهم ليسوا باباء وامهات حقيقة وان لا تكلفهما ان يسالاك شيئا مما يحتاجون اليه بل تبادر الى قضاء حوائجهما
قبل المسئلة لان من تمام البر وان كانا مستغنيين قادرين على القيام بحاجاتهما اليس يقول الله عز وجل لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون البر شامل لبر الوالدين وبهذا الاعتبار وقع الاستشهاد به فلا تقل لهما اف
ولا تنهرهما الاف فى الاصل وسخ الاظفار استعمل فيما يستقذر ثم فى الضجر وهو نكرة ان نون ومعرفة ان
لم ينون ومعنى النكرة لا تقل لهما قولا قبيحا ومعنى المعرفة لا تقل لهما القول القبيح وقيل معناه الاحضار

اخذ

اخذ من الاف وهو القليل كذا قال محيى الدين والنهر الزجر وفعله من باب نفع اذا عرفت هذا فمعنى الاية
فى ان هذا القول لمنهى عنه وانما الكلام فى انه عقوق ام لا قال الصدوق فى باب الجماعة وفضلها
عمر بن يزيد ابا عبد الله عليه السلام عن امام لا باس به فى جميع اموره عارف غير انه يسمع ابويه الكلام الغليظ
الذى يغيظهما اقرا خلفه قال لا تقرا خلفه ما لم يكن عاقا قاطعا ويفهم منه ان مثل ذلك القول ليس عقوقا
وان العقوق الذى عد من الكباير هو الذى يورث القطع بينهما او من احدهما وان ما يوجب غيظهما اذا
لا يبلغ حد العقوق ولا يوجب الفسق الرافع للعدالة ولا ترفع صوتك فوق اصواتهما للتواضع والتعظيم
وهكذا ينبغى بالنسبة الى كل ذى تعظيم او معزز من عند الله تعم كما قال الله تعم يا ايها الذين امنوا لا
ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول الاية ولا يدك فوق ايديهما عند الاعطاء
لما فيه من الدلالة على التحقير والاهانة وقيل المراد باليد القدرة كما فى قوله تعم يد الله فوق ايديهم
ولا تقدم قدامهما فى المشى والمجالس لانه مناف للتعظيم وخلاف الاداب الا ان يريد ذلك على
احتمال والتفصيل ان رفع الصوت واليد والتقدم ان اوجب اذيهما وضجرهما فهو حرام والا فلا يبعد
بان يكون من الاداب المستحبة والاحتياط واضح قوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان دل على ان التلفظ بما
يوجب الشرك والكفر عند التقية مع استقرار القلب على الايمان لا يضر بل يوجب ثوابا لان التقية
وان الايمان امر قلبى كما هو الحق والمشهور وبالوالدين احسانا قال الطبرسى والوالدين منصوب بفعل مقدر
يفسره الفعل المذكور والكلام يفيد الحصر والتاكيد ان قدر المحذوف بعده والتاكيد فقط ان قدر قبله
وبرهما حيين وميتين برهما حيين عبارة عن الاحسان اليهما والطاعة لهما والرفق بهما والتحرى لمحابهما
والتوقى عن مكارههما وبرهما ميتين عبارة عن طلب المغفرة لهما وقضاء الصوم والصلوة والديون
وفعل الخيرات لهما وغيرها مما يوجب وصول النفع والثواب اليهما ويفهم منه ان العقوق كما يكون فى حال
حيوتهما كذلك يكون بعد موتهما ايضا وسيصرح به وان امراك ان تخرج من اهلك ومالك فافعل فان ذلك
ذلك من الايمان ان من كمال الايمان والظاهر ان طاعتهما فيما امرا به لازمة اذا لم يكن معصية سواء كان
مباحا او مندوبا او واجبا اذا علم ان تركه يوجب اذيهما وضجرهما لظواهر الايات والروايات واليه
ميل اكثر العامة وقال بعضهم اذا امرا بالمباح صار مندوبا واذا امرا بالمندوب صار موكدا ويفهم منه
ان احدهما لو كره زوجته وامره بطلاقها كان عليه ان يطلقها كما طلق اسمعيل امراته بامر ابيه عليهما السلم
ويؤيده ما فى الترمذى عن ابن عمر قال كانت لى زوجة احبها وكان ابى يكرهها فامرنى بطلاقها فابيت فذكر

١١٣

ذلك لرسول الله صلعم فقال يا عبد الله طلقها قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح قوله مثل الكبه آه الكبه بالفتح
الجماعة من الناس والبر قد يراد به كمال الايمان قال الله تعالى ولكن البر من اتقى وقد يراد به العفة ويقابله
الفجور وقد يراد به الاحسان والطاعة للوالدين والرفق بهما وطلب ما يوجب سرورهما وترك ما يوجب حزنهما
وهو اهل العفة ومراده هنا قوله الاعمال افضل قال الصلوة آه اريد بالاعمال الاعمال البدنية فلا يرد ان معرفة
الله ومعرفة رسوله افضل كما دل عليه بعض الروايات وصرح به الاصحاب ثم الاعمال المذكورة المتقدم منها
افضل من المتأخر بدليل خارج قوله اى لا يسميه باسمه لما فيه من التحقير وترك التعظيم والتوقير غير قابل
بالاب فيقول يا ابه او اخبرني ابي او باللقب والكنية وغير ذلك من الالفاظ الدالة على التوقير قوله
ولا يمشي بين يديه ولا يجلس قبله في المجالس او عند ارادتهما الجلوس لما فيهما من التحقير وخلاف الاداب
ولا يستسب اى لا يعرضه للسب ولا يجر السب اليه وذلك بان يسب ابا زيد فيسب زيد اباه مجازات وحكم
الام في الجميع حكم الاب ويدل على ذلك ايضا قوله تعم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله
عدوا بغير علم ولا ريب في ان ذلك فسق من وجوه احدها انه سب اباه زيد وثانيها انه صار سببا لسب ابيه
وثالثها انه صار سببا لفعل زيد والبادي اظلم وهل صدر منه كبيرة باعتبار سب ابيه ام لا محل تأمل
الاول لان سب الاجنبي كبيرة وسب الاب اقبح منه فيكون كبيرة ولا دلالة على ذلك في الاخبار ولو
سلم فلا نسلم انه سب الاب لانه لم يقصد من ذلك سبه وليس فعله السب كفعل المسبب وقوله لا
لا يدل عليه نعم يدل على تحريم ايجاد السبب ولا يمكن ان يستدل به على تحريم بيع العنب لمن يعصره خمرا
وبيع الحرير لمن لا يحل له لبسه كما زعم لانه قياس ونحن لا نقول به قوله في قول الله عز وجل وبالوالدين احسانا
اى في تفسيره للترغيب في بر الوالدين وصلتهما وتعظيمهما واخر كلامه الى والدى العلم والحكمة قال الراوي
فظننا انها الاية اى التي فسرها عم الترغيب في بر الوالدين هي الاية التي في بني اسرائيل وقضى ربك ان لا تعبدوا
الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل
لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا فلما كان بعد سالته
وقلت هل الاية التي ذكرتها في بر الوالدين هي التي في بني اسرائيل فقال عم هي التي في لقمن ووصينا الانسان
بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الى المصير وان جاهداك
على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي ثم الي
مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون انما قال عم هي التي في لقمن لان مراده بالوالدين والدي العلم والحكمة ولا يمكن

تأويل

١١٣ تأويل الوالدين في اية بني اسرائيل بهما كما لا يخفى بخلاف اية لقمن فانه يمكن تأويل اخرها بهما وفيه مناقشة
اما اولا فلان قوله تعم او لا وبالوالدين احسانا غير مذكور في اية لقمن واما ثانيا فلان اية لقمن ليست
على الوجه المذكور وليس فيها ايضا لفظ حسنا ويمكن دفع الكل بان المقصود هو الاشارة اليهما بالنقل بالمعنى
او بان ذلك من تغيير الراوي وتصرفه ودفع الاول بان قوله وبالوالدين احسانا متعلق بقال وانا
عند لا بقول الله فيكون كلامه عم ودفع الاخير بانه يمكن ان يكون لفظ حسنا في اصل القران وان
جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما فقال ان ذلك اعظم ان يامر بصلتهما وحقهما و
على كل حال الظاهر ان ضمير قال راجع الى ابي عبد الله عم وذلك اشارة الى قوله تعم وان جاهداك واعظم
فعل ماض يقول اعظمته وعظمته بالتشديد اذا جعلته عظيما وان يامر مفعوله بتأويل المصدر
والمراد بالامر بالصلة هو الامر السابق على هذا القول واللاحق له اعني قوله اشكر لي ولوالديك وقوله
وصاحبهما واتبع فافاد عم بعد قراءة قوله تعم وان جاهداك ان هذا القول اعظم الامر بصلة الوالدين
وحقهما على كل حال حيث يفيد انه يجب صلتهما وطاعتهما مع الزجر والمنع منهما فكيف بدونه وان
جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما فقال لا بل يامر بصلتهما وان جاهداه على الشرك
ما زاد حقهما الا عظما ثم قرأ هذا القول وهو قوله تعم وان جاهداك وافاد بقوله لا انه ليس المراد منه
ظاهره وهو مجاهدة الوالدين على الترك ونهي الولد عن اطاعتهما عليه بل يامر الولد بصلة الوالدين
ان منعه المانعان عنها وما زاد هذا القول حقهما الا عظما وفخامة وهذا الحديث بعد مبهم وهم
عليهم السلام قد يتكلمون بكلام مبهم للتقية او لغرض اخر وتوضيحه ان صدر الاية في الحث على صلة
الابوين حقيقة وهو قوله تعم ان اشكر لي ولوالديك الى اخره في الحث على صلة الوالدين مجازا وهو العالم
الرباني المعلم للعلم والحكمة وضمير التثنية في جاهداك ولا تطعهما راجع الى ابي بكر وعمر والمراد بالشرك
بالرب بترك امره بمتابعة ذلك العالم الرباني يدل على ذلك ما رواه المص في باب نكت التنزيل عن
الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن بسطام بن مرة عن اسحق بن حسان عن الهيثم بن واقد عن علي بن
الحسين العبدي عن سعد الاسكاف عن الاصبغ بن نباتة انه سال امير المومنين عم عن قوله تعالى
ان اشكر لي ولوالديك الى المصير فقال الوالدان اللذان اوجب الله تعم الشكر لهما اللذان ولدا العلم
وورثا الحكم وامر الناس بطاعتهما ثم قال الله تعم الى المصير فمصير العباد الى الله تعم والدليل على ذلك الوالدان
ثم عطف القول على ابن حنتمه وصاحبها فقول حنتمة بالحاء المهملة اسم ام الخاص والعام وان جاهداك

على ان تشرك بى بقوله فى الوصية وبعدها من امرت بطاعته فلا تطعهما ولا تسمع قولهما ثم عطف
القول على الوالدين فقال وصاحبهما فى الدنيا معروفا يقول عرف الناس فضلهما وادع الى سبيلهما
وذلك قوله واتبع سبيل من اناب الى ثم الى مرجعكم فقال الى الله ثم الينا فاتقوا الله ولا تعصوا الوالدين
فان رضاهما رضاء الله وسخطهما سخط الله ويمكن جعل آخر الآية ايضا لبر الوالدين المعروفين وارجاع
الضمير فى لا تطعهما وجاهداك اليهما وقال عليه السلم ان ذلك لعظم الامر بصلتهما وحقهما على كل
حال اى على حال الشرك وعدمه فقال الراوى وان جاهداك الى قوله فلا تطعهما دل على عدم اطاعتهما
فى حال الشرك فكيف يدل على الامر بصلتهما وحقهما على كل حال فقال عم لا اى ليس الامر كما زعمت من
النهى عن اطاعتهما فى حال الشرك بل يامر بصلتهما واحسانهما ومصاحبتهما وان جاهداه على الشرك ثم المنهى عنه
اطاعتهما فى الترك قوله يصلى عنهما ويتصدق عنهما ويحج عنهما ويصوم عنهما دل على ان ثواب هذه الاعمال
وغيرها يصل الى الميت وهو مذهب علمائنا واما العامة فقد اتفقوا على ان ثواب الصدقة يصل اليه
واختلفوا فى عمل الابدان فقيل يصل قياسا على الصدقة وقيل لا يصل لقوله تعم وان ليس للانسان الا
ما سعى الا الحج لان فيه شائبة عمل البدل وانفاق المال فغلب المال قوله فقال يا رسول الله من ابر قال
قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال اباك ذكر الاب فى مرتبة الرابعة يعرف ان
الام ثلثة ارباع البر هذا اذا لم يخرج تكرار البر بالام مخرج التاكيد والمبالغة والا فالمقصود تفضيل الام
بالبر ولعل وجه ذلك كثرة ما تلقى من الم الحمل والمشقة الوضع ومقاساة الرضاع والتربية وشدة المحبة
واختلف العامة فى ذلك فشهور مالك ان الام والاب سواء فى ذلك وقال بعضهم تفضيل الام
مجمع عليه وقال بعضهم للام ثلثا البر مستندا بما رواه مسلم قال قال رجل يا رسول الله من احق الناس بحسن
الصحبة قال امك ثم امك ثم ابوك وقال بعضهم لها ثلثة ارباع البر مستندا بما رواه مسلم ايضا قال قال
رجل يا رسول الله من احق بحسن الصحبة قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال
ابوك قوله فانك ان تقتل تكن حيا عند الله وترزق وان تمت فقد وقع اجرك على الله كما قال عز وجل
ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله
الآية وقال ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله قوله
فقال رسول الله صلعم فقر مع والديك فوالذى دل على ان اجر القيام على الوالدين طلبا لرضاهما ازيد
على اجر الجهاد ولطلاق الوالدين على عدم الاستفسار والتفصيل شمل الكافرين ثم ان توقف الجهاد

على

على انهما مشروط بعدم تعينه عليه وبفهم منه انه لا يجوز السفر بدون اذنهما مطلقا الا ان يكون واجبا عليه
عينا وهل يلحق الاجداد والجدات بالوالدين فى هذا الحكم ام لا لم نعثر فى الآن على نص صحيح ولا قول صريح من
اصحابنا وذهب المالك الى لحوقهم حيث قال الجدان كالابوين لا يخرج الى الجهاد بدون اذنهما قوله
واعتنى رايت فى الاسلام فصار سببا لهدايتك تلك الآية المذكورة الدالة على ان الهداية موهبة كما
دل عليه ايضا كثير من الروايات الاشعار بانها اثرت فى نفسه حتى صارت سببا لهدايته فلذلك قال
عليه السلام لقد هداك الله ثم قال اللهم اهده ثلثا اى زد هدايته او ثبته عليها وتحريمه قوله الا اكل فى
الآنية اهل الكتاب معهم لا يدل على طهارتهم وطهارة طعامهم مع مباشرتهم له بالرطوبة ولا عدم سراية
النجاسة لامكان ان ياكل فى آنيتهم طعاما طاهرا مع عدم مباشرتهم لما ياكله برطوبة وان كان خلاف الظاهر
فلا ينافى ما هو المشهور فتوى ورواية من نجاستهم ونجاسة ما باشروه برطوبة والغلى سيتى حسن
سره وختامه وفعل من باب دعى قوله قال فقال برهما كان بر المسلمين ممن تولى الانادل على ان بر الوالدين الكافرين
واجب وان المقام معهما افضل من الجهاد كالمقام مع المسلمين وان الجهاد اذا لم يتعين عليه يتوقف على
اذنهما وهو ايضا مذهب جماعة من العامة وقال الشافعى له الغزو دون اذنهما قوله والوفاء بالعهد والوفاء
ملكة نشاء من لزوم العهد والميثاق كما ينبغى والبقاء عليه وهو فضيلة مقابلة للغدر وداخلة تحت العفة
وقد شبهه امير المومنين عم بالجنة فى انه وقاية فى الآخرة من النار وفى الدنيا من العار قوله فلك حالة جنة
دل على ان التقرب بالام اولى بالبر من التقرب الاب قوله ان العبد ليكون بارا بوالديه فى حيوتهما الى آخر
هذا بالوالدين غير مختص بحال الحيوة وكذا العقوق بل البر والعقوق بعد الموت اكد لشدة احتياجهما فعلى
يمكن ان يكون بارا فى حال الحيوة ويصير عاقا بعد الموت وبالعكس كما يمكن ان يكون بارا فى حال الحيوة فى
وقت ويصير عاقا فى وقت آخر وبالعكس وكذا بعد الموت قوله قال قال رسول الله صلعم من اصبح لا يهتم بامور
المسلمين اى لا يعزم على القيام بها ولا يقوم بها مع القدرة فليس بمسلم اى ليس بكامل فى الاسلام ولا
يعبؤ باسلامه والمراد بامورهم اعم من الامور الدنيوية والاخروية ولو لم يقدر عليهما فالعزم حسنة
ثواب بر وكمال له قوله قال قال رسول الله صلعم انسك الناس نسكا انصحهم جيبا رجل ناصح الجيب اى
ناصح الصدر والقلب امين لا غش فيه واسلمهم قلبا من الحقد والحسد والعداوة لجميع المسلمين فكل
من كان نصحهم لهم احسن واقوم وكان قلبه لهم اصفى واسلم كان انسك الناس واعبدهم واكثرهم
طاعة واجمدهم وفيه اشارة الى نوع واحد من العدالة وهو رعاية رجل حقوق ما بينه وبين الخلق من

١١٤

باب اجلال الكبير

النصح والمعاملات والمعاوضات والامانات وحسن الخلق والشفقه والارشاد وغيرها والنوع الآخر رعايته حقوق ما بينه وبين الرب من معرفته وتعظيمه وغير ذلك والاول افضل لانه اشق واحسن من عند الله ثم وان كان الناس افضل باعتبار آخر **قوله** من اصبح لا يهتم بامور المسلمين فليس منهم اى لا يعزم دفع الاذى والكرب عنهم ولا يقصد اغاثتهم فى امر الدنيا والاخرة وقضاء حوائجهم وايصال الخير اليهم وارشادهم الى مصالحهم ومن سمع رجلا ينادى بالمسلمين للاستغاثة لدفع المكاره والمصايب ورفع الشرور والنوايب والاستعانة فى امر من الامور **قوله** الخلق عيال الله اه عيال الرجل من يجب عليه مؤنته ونفقته وتدبير اموره ورعاية مصالحهم واستعمال لفظ العيال للخلق بالنسبة الى الخالق الرازق المقدر لاقواتهم والمدبر لاحوالهم فى معاشهم ومعادهم فاحب الخلق الى الله تعالى وارفعهم منزلة واشرفهم مرتبة واعلاهم درجة من نفع عيال الله بنعمة يسد بها خلتهم ويرفع بها جوعتهم او باغاثة يدفع بها بليتهم او بارشاد مريد هدايتهم او بغير ذلك من منافع الدين والدنيا ومنافع الدين اشرف قدرا وابقى والدوام نفعا واولى فى سيما اذا خلص نفعهم وطلب به رضاء المولى كما روى ان لله عبادا خلقهم لمنافع الناس اولئك الآمنون من عذاب الله **قوله** من رد عن قوم عادية ماء او نار وجبت له الجنة ما ليت فى كثير من النسخ والعادية المتجاوز عن الحد والتا للمبالغة وعدوانهما يشمل الغرق والحرق وتخريب البناء والاموال وغير ذلك من انواع الضرر **قوله** وقولوا للناس حسنا يشمل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتعليم المسائل والارشاد الى منافع الدنيا والاخره وكل ذلك يندرج فى قوله ولا تقولوا الا خيرا حتى تعلموا ما هو ولما كان بادرة اللسان كثيرة نهى عن القول من غير تفكر وامر باحضار القلب وهو التفاته الى معرفة حقيقة الشى او لا ثم التكلم بما هو الحق الخالص **قوله** قال نافعا والتا للمبالغة لكونه نافعا فى الدين والدنيا على وجه الكمال **قوله** من اجلال الله اجلال ذى الشيبة المسلم اى تعظيمه وتوقيره وتواضعه واحترامه ورعاية الادب معه والاعراض عن مساوى الاخلاق والادب ان صدرت منه وعدم معارضته بمثلها لكبر سنه وضعف قوته وقرب رجوعه الى المولى الحق وشدة تاثره من الواردات وكل هذا يقتضى اجلاله خصوصا اذا كان اكثر تجربة وافضل علما واكبر حزنا واقدم ايمانا واحسن عبادة وانور قلبا **قوله** ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا الكبير سنا او شانا مستحق للتوقير والتعظيم والصغير لقرب عهده بالحق وضعف عقله وقلة تجربته لعواقب الامور وشدة تاثره بادنى ناير اهل للرحمة والعفو عنه والستر عليه والرفق به ولين القول معه وعدم النظر اليه بالهيبة ونحوها خصوصا اذا كان يتيما فليكن بالنسبة الى الكبير ابنا وبالنسبة الى الصغير ابا ويمكن ان يراد بهما كبير الشيعة وصغيرهم

ايضا

باب اخوة المؤمنين بعضهم لبعض

ايضا لان الاختصاص والنسبة كافية فى الاضافة **قوله** انما المؤمنون اخوة بنو اب وام اى مثل الاخوة النسبية فى لزوم التعاطف والتوادد والتراحم والمراد بالاب مادتهم وهى الطينة الجنانية وبالام روحهم المربية لهم كما سيجى واطلاق الاب والام عليهما مجازا وحملهما على آدم وحوا بعيد لاشتراك جميع الناس فى ذلك ثم رغب فى رعاية الاخوة بقوله واذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون ضرب العرق ضربا وضربانا تحرك بقوة وهذا كناية عن الالم المخصوص او مطلقا وفيه تنبيه على ان المؤمنين لما كانوا من اصل واحد وبمنزلة شخص واحد لزم ان يتالم الجميع بتالم واحد منهم كما تتالم ساير اعضاء الجسد بتالم بعضها وسهرها خبر يجب المعنى ايضا اوامر وعلى الاول دل على ان من لم يتصف بذلك ليس بمؤمن لفقده ما هو من اخص صفات المؤمن **قوله** قال تنفست بين يدى ابى جعفر عم التنفس لانضمام والانقباض فهو خلاف البسط ويحصل كثيرا لما يخطر بالبال مما يكرهه الطبع وقد يحصل لا عن سبب كما لم وان كان لا يخلو فى الواقع عن سبب اشار اليه عم بقوله يا جابر ان الله خلق المؤمنين من طينة الجنان واجرى فيهم من ريح روحه الريح هى التى تهب وقد يجى بمعنى النفخ والروح بضم الذى يقوم الجسد ويكون بها الحيوة وهى النفس الناطقة المستعدة للبيان وفهم الخطاب ولا تفنى بفناء الجسد والجمع الارواح ولعل المراد بالاب تلك الطينة لانها مادة وجودهم كالاسباب ولام تلك الروح الفايضة منه تعم عليهم لانها بمثابة الام فى التربية والتدبير لايصال اللبن الذى ذكره عم لحزن سببه غير معلوم تحقق ان يكون كل مؤمن محزونا دائما اذ الاخ مؤمن من اصابته حزن قطعا لانا نقول يجوز ان يتفاوت ذلك بسبب تفاوت القرب والاتصال فى الشدة والضعف **قوله** المؤمن اخو المؤمن عينه اى نفسه وذلك من باب المبالغة لما ذكر فى الطينة او فى الصفات او عينه الباصرة يجب عليه حفظها كحفظها او حافظه او طليعته يتعرف الامور النافعة له ويوصل خيرها اليه ودليله لله المنافع والمضار والخيرات الدينية والاخروية لا يخونه فى عهده وامانته المالية والسرية ولا يظلمه فى نفسه وماله واهله وساير حقوقه ولا يغشه فى النصيحة والمشورة والارشاد الى مصالحه ولا يعده عدة فيخلفه لان خلف الوعد مذموم عقلا وشرعا ولا فيه رذالة وخساسة وحقارة وخفة وايذاء للمؤمن وتكذيبه والنفى بمعنى النهى وفى الاول اشارة الى ان لو لم يتصف بالاخوة والايمان **قوله** المؤمن اخو المؤمن كالجسد الواحد ان اشتكى شيئا منه وجد الم ذلك فى ساير جسده هذا تقريب للفهم حيث شبههم بالجسد الواحد لاتحادهم فى المادة والروح واتفاقهم فى صفة الايمان وتناسبهم فى التوحيد والعرفان فكان كل واحد منهم نفس صاحبه معنى فان تفرقت بهم الصور والابدان فيقتضى هذا النوع من الاتحاد والتناسب الايمانى

تالم كل بتالم الاخر ويفرح بفرحه وفيه ترغيب فى التناصر والتعاون والتراحم والتعاطف فى الواجبات
والمندوبات والمباحات والضروريات وقضاء الحاجات ودفع البليات ثم رغب فى رعاية المومن و
الفرح بفرحه والتالم بحزنه والتجنب عن اذيته بقوله وان روح المومن لاشد اتصالا بروح الله اى
بذاته المقدسة من اتصال شعاع الشمس بها المراد بالاتصال الاتصال المعنوى وشبهه بالاتصال
الحسى الجسمانى لايضاح المقصود وتقريبه الى الفهم ووجه الاشدية ان المومن مرآة الحق يرى
فيها صفاته ولو ظهر ذلك الاتصال ليرى كانه هو ولا يفرق بينهما الا العارفون الذين يعلمون بنور
البصيرة والعرفان ان هذا خلق متصف بصفات الخالق واما الجاهلون فيزعمون انه هو بخلاف اتصال
الشعاع بالشمس فانه يفرق بينهما العالم والجاهل قوله هو عينيه ومرآته ودليله اما انه مرآته فلان فى
كل واحد صفات الاخر مثل الايمان واركانه ولواحقه واثاره والاخلاق والاداب فكان كل واحد
مظهر لصفات الاخر ومرآة له واما انه دليله فلانه يهديه الى ما ينفعه فى الدنيا والاخرة من امور
الدين ويزجره عن المنهيات ويرغبه فى الخيرات وينبهه عن الغفلات ويظهر عليه قبح اللذات والشهوات
قوله ولم لا تحبه وهو اخوك وشريكك فى دينك وعونك على عدوك ورزقه على غيرك رغب فى
المحبة بذكر الفوايد والبواعث ورفع المانع اما الباعث فلانه يعود الى المحبة ولتا المانع فانما هو تكفل مؤنته و رزقه
وليس ذلك الا على الله عز وجل وقوله فى دينك متعلق باخوك وشريكك على سبيل التنازع والظاهر
ان المراد بالعدو الانسان المخالف له ويحتمل الاعم منه ومن الشيطان والنفس الامارة قوله واجرعهم صورهم
من ريح الجنة الريح بمعنى الرائحة عرض يدرك بحاسه الشم ورايحة الجنة التى جرت فى ابدانهم جامعة لهم
وبها يعودون اليها ويستطيبون حتى يجد طيبهم مشام العارفين كما قال يعقوب عم انى لاجد ريح يوسف
قوله يفيد بعضهم بعضا الحديث كما يفيد الخادم المخدوم والظاهر ان الحديث مفعول يفيد ففيه اشارة
الى بعض انواع الاكرام وهو تعليم الحديث ونشر علم الدين قوله فتكنفوا اى اتخذوا الكنف والبسوه وفى بعض
النسخ فتكنفوا بتقديم الكاف على النون اى اختاروا الكنف وهو الجانب وقولهم تحضرنى معناه عندى
وحضرة الرجل قربه قوله ولا تخذله اى لا يترك اغاثته ونصرته فى الحق او لا يتكبر عليه ولا يستصغره
قوله اما احدهما فهو الذى تظهر لك من صاحبك آه لم يذكر الوجه الاخر هنا وتوضيح الوجه المذكور
ان الايمان امر قلبى كامر والامر القلبى لا يعلم ثبوته وتحققه الا بدليل وهو القول والعمل المخبران عنه
فاذا شهدا عليه حكمنا ظاهر بثبوته واجرينا عليه احكام الايمان والولاية والاخوة ونتوقع الاجر بذلك

باب ان يوجب الحزن لاخيه الايمان ويغضه

مع احتمال عدم ثبوته عند الله تم لان المطالب بقطعية غير محتمل التخلف وان شهدا بعدمه بان يكونا
منافقين وحكمنا بعدمه ظاهرا الا ان يدعى انه صدرها من باب التقيه مع امكانها فى شانه فانا نحكم
بثبوته ايضا وقوله فان كان ليس مما يمكن ان يكون التقية فى مثله لم يقبل منه اشارة الى انه لا يقبل منه
دعوى التقية اذا لم يكن المقام مقتضيه لها وقوله وتفسير ما سبق آه اشارة الى الموضع يقبل منه دعوى التقية
فيه ويحكم له بالايمان والولاية والاخوة وظاهر حكمهم بالاضافة او التنوين وافراده مع كونه صفة
لقوم باعتبار انه مسند الى الظاهر وقوله مما لا يؤدى الى الفساد فى الدين اشارة الى انه لا يقبل منه التقية
فيما لا تقيه فيه كقتل المومن وانكار الحق قلبا اذ لا تقية فى العقايد والقتل قوله لم تتواخوا على هذا الامر و
لكن تعارفتم عليه لعل المراد ان المواخاة على هذا الامر والاخوة فى الدين كانت ثابتة بينكم فى عالم الارواح
ولم تقع فى هذا اليوم وهذه الدار وانما الواقع فى هذه الدار هو التعارف على هذا الامر الكاشف عن الاخوة
فى ذلك العالم ويؤيده قوله ص الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تخالف منها اختلف قيل
معناه ان الارواح خلقت مجتمعة على قسمين مؤتلفة ومختلفة كالجنود التى تقابل بعضها بعضا ثم فرقت
فى الاجساد فاذا كان الايتلاف والمواخات اولا كان التعارف والتالف بعد الاستقرار فى البدن
واذا كان التناكر والتخالف هناك كان التنافر والتناكر هنا قوله من حق المومن على اخيه المومن ان يشبع
جوعته اشبعته اطعمته حتى شبع وجاع الرجل جوعا اشتهى الطعام واشتاق اليه والجوع بالضم
والجوعة بالفتح اسم منه ونسبة الاشباع الى الجوعة وتعليقه بها مجاز او باعتبار تضمين معنى الدفع
ونحوه ويوارى عورته العورة كل ما يستحيى منه اذا ظهر وهى من الرجل القبل والدبر ومن المرأة جميع
الجسد الا ما استثنى والامة كالحرة الا الراس ويحتمل ان يراد بها العيوب والتعميم اظهر ويفرج عنه
كربته الكربة اسم من كربه الامر فهو مكروب اى اهمه واحزنه واقلقه وشق عليه ويقضى دينه فى حيوته
وبعد موته وقد نقل انه كان بين رجلين صداقة وكان على كل واحد دين فقضى كل واحد دين الاخر
من غير علم لاحدهما بقضاء الاخر فاذا مات خلفه فى اهله وولده خلفت فلانا على اهله صرت خلفته
وخلفته جئت بعده والمقصود انه ينبغى ان يقوم مقامه فى مهمات اهله وولده فيأتيهم ويسالهم عن
حوائجهم من اللباس والطعام والشراب وغيرها ثم يهتم بقضائها وهكذا يفعل فى كل صباح ومساء
ولا يتغير فى رعايتهم بطول الزمان وكثرة الحاجات واعلم ان الله تعالى خلق الانسان وجعله
مدنيا بالطبع يحتاج الى التعاون والمعاشرة مع الغير فالزم عليه حقوقا بعضها من الواجبات

باب فى ان الاخوة التى تقع على الدين وانا هو المتعارف

باب حق المومن على اخيه واداء حقه

العينيه وبعضها من الكفاية وبعضها من السنن اللازمة وبعضها من الآداب وتفصيلها يعلم من احاديث
هذا الباب وغيرها من الاحاديث المتفرقة قوله ما حق المسلم على المسلم قال له سبع حقوق واجبات
ما فيهن حق الا وهو عليه واجب ان ضيع منها خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من نصيب
قال في المصباح الولاية بالفتح والكسر النصرة ومعنى انه يعلم ان المؤمن لا يخرج من اصل الايمان والولاية
لا يسلب عنه النصيب حقيقة الا بالكفر وان ترك الاخلاق المذكورة لا يوجب الكفر بالاجماع والروايات
والتماليت بواجبة هل هي من الآداب المطلوبة المرغبة فيها فينبغي ارتكاب التأويل وصرف الكلام عن
ظاهره فنقول لعل المراد بالوجوب التأكد والمبالغة او وجوب الاقرار بان تلك الامور من حقوق الاخوة
وبالولاية الولاية الكاملة برعاية تلك الحقوق وبالنصيب النصيب الكامل الذي يخلص اولياء الله نعم
قلت له جعلت فداك وما هي حتى اعلمها واعملها قال يا معلى اني عليك شفيق اخاف ان تضيع ولا
تحفظ وتعلم ولا تعمل دل على ان الجاهل بها معذور في تركها الا ان يقال ليس بمعذور ولكن عذر العالم
اضعف من عذره ولومه اشد قال قلت له لا قوة الا بالله اي لا قوة لنا في اداء الحقوق او مطلقا
الا بالله ونصرته ولنا المستعان في ادائها بالله نعم والمستعين بغيره لم يصلها منها وقال ايسر حق منها
ان تحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك هذا النوع من الاتحاد والتناسب يتوقف على ان يطلع
عن افق خاطرك انوار الاسرار الالهية وتغلق عليه ابواب الوساوس الشيطانية فانه اذا حصلت لك تلك
المعارف وزالت عنك تلك الوساوس لاحظت قرب المؤمن من الحق ووحدة بينك وبينه لغاية الاتحاد
وتناسبا في الصفات حتى كانه وانت سواء في المعنى وكنفس واحدة وهذا النوع من الاتحاد والتناسب والقرب
ستقضي الحق المذكور والحق الثاني ان تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع امره اي تجتنب ما يوجب سخطه
وتتبع ما يوجب رضاه وتطيع امره ان كان موافقا للشرع والا فانصحه برفق حتى يرجع والحق الثالث ان
تعينه بنفسك بان تفكر في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره او بان يقوم مقامه في قضاء حوائجه وسلخ
فيه انقاذه من يد ظالم وقد روي عن الرضا عليه السلام قال افضل ما يقدمه العالم من محبينا وموالينا
امامه ليوم فقره وفاقته وذله ومسكنته ان يغيث في الدنيا مسكينا من محبينا من يد ناصب عدو
لله ولرسوله فيقوم من قبره والملائكة صفوف من شفير قبره الى موضع محله من جنان الله فيحملونه على
اجنحتهم ويقولون طوباك يا دافع الكلاب عن الابرار ويا ايها المتعصب للائمة الاخيار و
ما لك بان تعينه بالمواساة والايثار وقضاء الدين قبل السؤال وبعده والاول افضل لما لا ثاني

من نفس

من نفس الاخوة ولسانك بان تعينه بطلب الحاجة والدعاء ودفع الغيبة عنه وذكر محاسنه وتعليمه
امور الدين ونحو ذلك ويدك ورجلك بان تستعملهما في طلب كل خير ودفع كل شر يتوقفان عليهما والرابع
ان تكون عينه ودليله ومرآته فتنظر الى مقاصده كما ينظر هو وتدله عليها ان غفل عنها او تقبل عليه بصفاء
الظاهر والباطن حتى يرى فيك صورته كالمرآة والحق الخامس لا تشبع ويجوع ولا تروى ويظمأ ولا تلبس ويعرى
بل عليك تشركه في الطعام والشراب واللباس والحق السادس ان يكون لك خادم اي الخادم يطلق على الذكر
والانثى والخادمة بالهاء في المؤنث قليل والجمع خدم وخدام والحق السابع ان تبر قسمه الظاهر ان قسمه بفتحتين
وهو اسم من الاقسام وان المراد ببر قسمه قبوله واصل البر الاحسان ثم استعمل في القبول يقال بر الله عمله
اذا قبله كانه احسن الى عمله بان قبله ولم يرده وكذا في الفائق وقبول قسمه وان لم يكن واجبا شرعا لكنه مؤكدا
لئلا ينكسر قلبه ولا يضيع حقه واحتمال ارادة احسان القسم بالكسر وهو الحصة والنصيب بعيد والله اعلم
ثم اشار الى ما تقتضيه كمال الاخوة بقوله واذا علمت ان له حاجة تبادره قضاءها ولا تلجئه الى ان يسألكها
لان الالجاء الى السؤال يوجب الاهانة والمذلة ويدل على نقص في الاخوة والمحبة وحق الاخوة ان تقضي
حاجته المعلومة لك وان تمشي اليه وتسأل عن حاجته وتتولى قضاء جميع ما يحتاج اليه لنفسه ولعياله
حتى الحطب والخبز والملح وقد كان سيد العابدين عليه السلام يحمل على ظهره في جوف الليل قوت الفقراء الشعير ويوصل
اليهم قوله وذكر الله على كل حال اي اصل الذكر مبدأ لجميع الخيرات ثم الخيرات مبدأ لرسوخه وثبوته في القلب
حتى لا ينفصل طرفة عين الى ان يبلغ مقام المحبة ثم مقام الرضا ثم مقام الفناء في الله بحيث لا يرى في الوجود الا اياه
وهذا غير متعلق بالسؤال لان السؤال عن حق المسلم على اخيه ولعل الغرض من ذكره هو التنبيه بان المهم للمؤمن
في الدنيا امران احدهما استقامة حاله مع المؤمنين وهي تحصل برعاية الاولين والثاني استقامة حاله
مع رب العالمين وهي تحصل بالذكر قوله ما عبد الله بشيء افضل من اداء حق المؤمن يعني اداء حق المؤمن افضل
من اداء جميع العبادات والائمة عليهم السلام افضل المؤمنين ورؤساؤهم فاداء حقوقهم افضل من جميع العبادات
قال امير المؤمنين عليه السلام فضل حرمة المسلم على الحرم كلها يريد ان الله تعالى جعل الحرمة المسلم فوق كل حرمة و
قال النبي وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها يعني ان الله تعالى ربطها بهما فاوجب على
المخلصين المعترفين بالوحدانية المحافظة على حقوق المسلمين ومراعاة مواضعها وقرن بتوحيده حتى جعل
فضلها كفضل التوحيد قوله واذا اصبحت فقل اي قل بلسان حالك وعن ذات بطنك وعما الظاهر هو وعيالك الباء حتى
الى غير ذلك من ضروريات قال احتاج الى شيء فبادر الى قضائه ولا تمله خيرا ولا يملك الظاهر انه من امليته

بمعنى تركته والحزن والاملاء فزو كذا شق وبهلت داول ودرادكشيدل مدة ولامه يا. واما الاملاء

بمعنى ملو لكردن فمصدر والله اعلم وكن له ظهيرا اى معينا ناصرا فى جميع الامور فانه لك ظهيرا وبذلك يتم نظام

اموركم فى الدنيا والاخرة اذا غاب بالسفر او الاعم فاحفظه فى غيبته فى نفسه بالذكر الجميل والدعاء

وترك الغيبة وزجر الغير عنها وفى ماله واهله وبرعايتهم وقضاء حاجتهم وتكفل امورهم فان كان

عليك غاضبا فلا تفارقه حتى تسال سميحته اى جوده بالعفو عن التقصير ومساهلته بالتجاوز لئلا يستقر

فى قلبه فيوجب التنافر والتباغض وفى بعض النسخ سخيمته بالخاء المعجم قبل الياء اى حتى تسال عن سبب

سخيمته وهى الحقد والغضب فاذا ظهر لك فتداركه حتى يزول السخيمة عنه فيخلص لك المودة فان اسمر

فاعتذر اليه حتى يقبل منك وان يحل له فاعنه اى وان احتال لدفع البلاء عن نفسه بحيلة نافعة فاعنه فى

امضائه واذا قال انت عدوى كفر احدهما لان المومن عدو للكافر دون المومن فالمخاطب ان كان مومنا

فالقائل كافر وان كان كافرا فالقائل مومن وايضا هذا القول اما صادق او كاذب وعلى التقديرين يلزم

كفر احدهما فليتامل فاذا اتهمه انماث الايمان فى قلبه آه انهمر من باب الانفعال او الافتعال اى من انحل

التهمة على المومن ذاب الايمان فى قلبه والتهمة دروغ بستن بركسى ثم بالغ فى مواخاة المومن ووجوبه

ورعاية حقوقه ورغب فيها بقوله ان المومن ليزهر نوره لاهل السماء آه اى ليزهر ايمانه واعماله الصالحة و

اخلاقه الفاضلة او نفسه الناطقة الكاملة بهما او نور الهى يغشاه بسبب صفاء ذاته وحسن صفاته وقال

ان المومن ولى الله يعينه ويصنع له الولى فعيل بمعنى فاعل اى المومن محب الله وناصره وقايم بامره وفى المصباح

الولى فعيل بمعنى مفعول فى حق المطيع فيقال المومن ولى الله والمراد باعانته لله تعالى اعانة دينه ونصر اوليائه

والحماية لهم والذب عنهم وبصنعه العمل باوامره ونواهيه واداب والتسليم والرضا بحكمه قاصدا بذلك وجهه

تم قوله ويشميه اذا عطس تشميت العاطس الدعاء له وبالشين المعجمة مثله وكلاهما مروى وقال ابو عبيد الشين

المعجمة اعلا وافشى وقال ثعلب المهملة هى الاصل اخذا من السمت وهو القصد والهدى والاستقامة وكل

داع بخير فهو مسمت اى داع بعوده والبقاء الى سمته وقيل اشتقاق المهملة من السمت وهو الهيئة الحسنة اى

جعلك الله على هيئة حسنة لان هيئته تنزعج للعطاس واشتقاق المعجمة من الشوامت كانه دعاء له بالثبات

على طاعة الله او يبعده عما يشمت به عليه قوله فقال يا ابان اما تعلم ان الله عز وجل قد ذكر المؤثرين على

انفسهم آه الايثار الاختيار مصدر آثر على افعل وهو اشد من السخاوة والاقتصاد لان السخى يبذل ما زاد

عن قدر حاجته والمؤثر يبذل ما يحتاج اليه وقد دل بعض الايات والروايات على الايثار وبعضها على الاقتصاد

مثل

١١٨ مثل قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط الاية ومثل ما روى خير الصدقة

ما كان عن ظهر غنى قيل معناه ما كان بعد كفاية النفس والعيال وغناهما عنه ولعل الوجه فيه ان

البذل يتفاوت بتفاوت الازمان والمقامات واحوال الطرفين وطيب النفوس فقد يكون الاقتصاد

ارجح من الايثار كما فى عامة المومنين وقد يكون الامر بالعكس كما فى الصديقين وامر النبى صلعم تعليم للمومنين

قوله قال رسول الله صلعم ست خصال من كن فيه كان بين يدى الله عز وجل وعن يمين الله هذا مثل لقصد

الايضاح او اليد مجاز عن الرحمة من باب الارسال او المكنة والقدرة واليمين الجانب الاشرف

والاقوى ولعل كونه عن يمينه كناية عن كرامته وعظمته وعلو منزلته ورفعته باعتبار ان من عظمت

منزلته ورفعته باعتبار ان من عظمت منزلته يتواضع يمين الملك وكل ما جاء فى القران من اضافة اليد

واليمين الى الله تعالى فهو على سبيل التمثيل او المجاز او الاستعارة او الكناية لانه تعالى منزه عن ظاهرهما

قوله يثبه همته كان المراد بالبث التهيج والاثارة وبالهم العزم والارادة والحزن اى هيج واثاره عزمه وارادته

خير المومن او حزنه فى امره واراده بقوله ثلث لكم ما ذكره قبل وبقوله ثلث لنا ما يذكر بعد وهى معرفة

فضلهم على غيرهم بالعلم والعمل وقرب النبى ووطاء عقبهم واقتفاء اثرهم فى العلم والعمل والتمسك بدين

الحق وانتظار غاقبتهم فى الدنيا بظهور القايم عم وفى الاخرة بالكرامة والشفاعة ثم اشار الى بعض فضايلهم

للترغيب فى تحصيلها والحث على محبة اهلها وحفظ حقوقهم بقوله فمن كان هكذا اى متصلا بالخصال

المذكورة كان بين يدى الله عز وجل وهو سبحانه ناظر اليهم بنور رحمته واحسانه فيستضئ بنورهم

من هو اسفل منهم من المومنين الذين لم يتصفوا بتلك الخصال وحرموا عن نيل هذا الكمال كما يستضئ

بنور الشمس كل من هو اسفل منها وهذا النور كما يكون لهم فى الاخرة يكون لهم فى الدنيا ايضا كما ترى ان المومن

ليزهر نوره لاهل السماء كما تزهر نجوم السماء لاهل الارض الا ان هذه الابصار قاصرة عن ادراكه

واما الذين عن يمين الله دل على انهم غير من كانوا بين يدى الله عز وجل وكان المراد بهم الائمة عليهم

فلو انهم يراهم من دونهم لم يهنئهم العيش مما يرون من فضلهم لانهم يهيتون من ملاحظة فضلهم

وكمالهم ويتحيرون من مشاهدة حسنهم وجمالهم وبين سبب عدم رؤيتهم بانهم محجوبون بنور الله

والنور الساطع والضوء اللامع اذا بلغا حد الكمال يمنعان من المشاهدة كما يشهد له النظر الى الشمس مع

ان نورهم اشد من نورها بل لا نسبة بينهما قوله ولا يتجهم بعضكم لبعض تجهمه وتجهم له استقبله

بوجه كريه عبوس قوله فقال ابو جعفر عم فلا شئ اذا اى لا اعتناء به وبدينه ولعل المراد ان حق الاخرة

كما هو غير متحقق فيهم لانه منتف منهم بالمرة وكان السائل حمله على الثانى لانه الموجب للهلاك والعقوبة لا على الاول الموجب لرفع الكمال وقوله قسم ان القوم لم يعطوا الحلم بهم اى عقولهم اشارة الى عدم هلاكهم بذلك العدم كمال عقولهم اذ التكليف متفاوة باعتبار تفاوة العقول وجعله رمزا الى خطاء السائل فى ذلك الحمل بعيد قوله ويكون ذليله وقميصه الذى يلبسه اى يكون دليله الى منافعه الدنيوية والاخروية التى اعظمها العلم بامور الدين ومكارم الاخلاق ومحاسن الاداب ويكون قميصه اى بطانته وصاحب سره واهل معاشرته وخاصته ويمكن ان يعتبر تشبيهه بالقميص فى دفع المكاره عنه كما ان القميص يدفع الحر والبرد وضمير دنيى فى قوله وشى فى حوائجه بالليل والنهار راجع الى الجارية فلا يلزم زيادة الحق على السبعة بواحد قوله والتعاقد على التعاطف التعاهد والتعاطف باهم بكرم مهربانى كردن وفى بعض النسخ التعاون بدل التعاقد وهو الموافق لما فى الباب الاتى من رواية ابى المعزعن ابى عبدالله ع والمواساة لاهل الحاجة مواساته باعطاء النصف وقد يراد بها التشريك مطلقا فى النصف او اقل او اكثر وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما امركم الله عزوجل رحماء بينكم فيه التفات من الغيبة الى الخطاب وايماء الى ان الاية امر فى المعنى بتلك الخصال لكونها فى مقام المدح المستلزم للامر بها والى ان الامر بها غير مختص بالصحابة وان نزلت الاية فى شانهم بل يجرى فى الامة الى يوم القيمة والظاهر ان متراحمين خبر ثان لتكونوا ومغتمين اه خبر ثالث مع احتمال نصبهما على الحال والظاهر ان ضمير من امرهم راجع الى المسلمين وان المراد بذلك الامر الغائب اى الغايب هو التعاطف والمساواة والتراحم وغيرها من حقوقهم وقد كانت رعاية ذلك وصف الاصحاب فانهم كانوا لا يرى منهم مومن مومنا الا سلم وصافحه وعانقه وراعى حقوقه وان الاغتمام بفواتها توبة وندامة توجب التدارك والتلافى فى مستقبل الاوقات وذكر التعاطف لا يخلو من شائبة التكرار الا ان يراد به هنا ايقاعه وفى الاول العزم به والتاكيد المشعر بالاهتمام به محتمل والله اعلم قوله سمعت ابا عبدالله ع يقول لاصحابه اتقوا الله وكونوا اخوة بررة آه شبه المؤمنين بالاخوة فى الخصال المذكورة على الاطلاق من غير تفاوت بين الفقير والغنى والقوى والضعيف والكبير والصغير والشريف والوضيع ومراعاة هذه الخصال لا يمكن الا ممن امتحن الله قلبه للايمان والتقوى واخلصه من الكبر والغش والحقد ونحوها من الاخلاق الذميمة فتوثر عند ذلك مرضات الله تعالى على متابعة الهوى والتواصل من الوصل وهو ضد القطع والتدابر وكثيرا ما يجعل كناية عن الاحسان الى الاخوة فى الدين والافضال على الاقربين والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لاحوالهم والامر بتذكر امرهم عليهم السلام بعد الامر بملاقات

الوصول

باب التراحم والتعاطف

باب زيارة الاخوان

المؤمن اشارة الى انه الغرض الاهم منها والمراد بامرهم تقديمهم وخلافتهم وفضلهم على جميع الامة او الاهتمام منه ومن نشر احاديثهم وعلومهم قوله من زار اخاه لله لا لغيره كالالفة بسبب حسن الصورة او الصوت او الكلام او بسبب قرب الجوار او السعى فى الحوائج او نيل الجاه او المال او غير ذلك مما لا يتعلق بامر دينى فان هذه الامور قد تتحقق فى غير من احبه الله بل فى غير المؤمن فلا يكون شيئا للوعد المذكور وانما السبب لها ان يكون الزيارة لله وهى على وجهين الاول ان يزوره من اجل انه عبد احبه الله وخالص من خلص عباده وهذه الزيارة ناشية من خالص حب الله والثانى ان يزوره من اجل ذلك مع باعث دينى كزيارة المتعلم للعالم لملاحظة حق التعلم والارشاد وبالعكس لملاحظة حق التعليم والاسترشاد وزيارة الصالح والعابد والزاهد مثلا للصلاح والعبادة والزهد فان الزيارة لاجل هذه الامور ايضا زيارة لله لا لغيره وكل الله سبعين الف ملك الظاهر ارادة هذا العدد والمبالغة فى الكثرة محتملة ينادونه الا طبت وطابت لك الجنة اى انشرح صدرك بازالة الخبائث وصفة ذلك من ادناس الذنوب وحلت لك الجنة وكذلك نعيمها قوله واوصيهم بتقوى الله العظيم

٢١٩ وان يعود غنيهم على فقيرهم آه الوصية بالشىء الامر بان يفعله والتقوى الحذر عن سخط الله والمتقى من يجعل بينه وبين الله تعالى وقاية تقيه منه وهو ينشا من مشاهدة عظمته ولذلك وصفه بها والعود الفضل والاسم العائدة والصلة مواد لعطف والمنفعة وهذا اعود اى انفع واللقيا بكسر اللام او ضمها وشد اليا والاصل لقوى مصدر لقيته كرضيه اذا راه ووصف العدل ومخالفته مذموم وقد ورد الايات والروايات على وجه ذمه هو الاعتقاد بالحق والتكلم بالصواب والعلم بالدين وترك العمل به والعمل بخلافه قوله حتى دفع الى باب عليه رجل آه قال فى النهاية دفعت الى كذا بالبناء للمفعول وقول الملك له ما حاجتك الى الدار دل على ان الثواب الموعود ليس لاهل الخاصة قال الغزالى ليس ابضا لزايرين لاجل القرابة ولا من اجل مكافات الاحسان لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مثل هذه الرواية الا ان الملك قال الك حاجة قال لا قال الك قرابة قال المكافات احسان اليك قال لا فبشره بالجنة كما نقل هنا فليس اياه زاد انائى زار الملك زيارة اياه فى الله وطلبا للقربة ورضاه كان هو الملك حقيقة بتلك الزيارة والمنعم بالذات من تلك الوصلة فلذلك نسب زيارته اياه الى نفسه بارتب ذاته المقدسة للتنبيه على انه المنعم بالذات من كل وصل وفصل وانه الغاية لكل طالب والمرجع لكل سالك والمراد بزيارة العبد له عرض نفسه عليه والقيام بين يديه والانابة والرجوع اليه بقلب خالص وعزم صادق ولست ارضى لك ثوابا دون الجنة لعل المراد ان شيئا من خيرات الدنيا ونعيمها لا يصلح ان يكون ثوابا لهذا العمل لانقطاعه وانما ثوابه الجنة لدوامها ودوام نعيمها قوله من زار اخاه

في خاب للصراشعا، وجزاه الله فهو زوره ترغيب في الزيارة وان كانت المسافة بعيدة والزور بالفتح الزاير
وهو في الاصل مصدر وضع موضع الاسم كصوم ونوم بمعنى صايم ونايم وقد يكون الزور جمع الزاير
كركب وراكب وحمله هنا على المفرد بمنع حمله على الجمع وحق على الله ان يكرم زوره الكرم من صفاته وكل
صفة له في غاية الكمال فكرمه في غاية الكمال واما المانع من قبل العبد فاذا زال العبد من نفسه ذلك المانع
بتوفيقه رأى من آثار كرمه ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولذلك حذف متعلق الكرم لقصور العبارة
عن بيانه **قوله** لا يأتيه خداعا ولا استبدالا اي لا يريد مخادعة المزور ولا يطلب بدل الزيارة زيارة
المزور له والظاهر ان قوله فان كان المكان بعيدا جزاؤه محذوف وهو يشعر هذا العدد الكثير من الملئكة
او بطلب زيارته **قوله** من زار اخاه في الله ولله الاخ في الله من تمسك بدين الحق وعمل به واتصف بالطاعة
والصلاح ولله اشارة الى ان الكرامة المذكورة تترتب على زيارته اذا كانت طلبا لوجه الله ومرضاته لا
لامر آخر خطوا بين قباطي من نور في بعض النسخ خطر بالراي يتبختر في مشيه ويتمايل كمشيه المعجب المتكبر
والقباطي جمع القبطيه وهي ثياب من ثياب مصر بيضا وكانها منسوبة الى قبط من اهل مصر شبه بها النور
لقصد الايضاح **قوله** فتسح جناحا في الارض وجناحا في السماء يحيط بجناحيه وليكون وطاء له اذا
مشى وقيل كناية عن التعظيم والتواضع له **قوله** ايما ثلثة مؤمنين اجتمعوا عند اخ لهم يامنون بوايقه ولا
يخافون غوايله البوايق جمع البايقه وهي النازلة اي الداهيه والشر الشديد وباقتهم الدايقه تبوقهم بوقا
اذا اصابتهم ونزلت بهم والغوايل جمع الغايله وهي الخديعة والفساد والشر والخصلة المهلكة والغيبة ينبغي
انه ينبغي ترك زيارة من لا يؤمن بوايقه وغوايله بالنسبة الى الزاير وغيره من المؤمنين ومن ثم قيل لا يجوز
لاحد زيارة السلطان الجاير وامراء الا الضرورة كدفع الضرر عنه او عن احد من المسلمين وقد روى لبعض الخلق
الى الله عالم زار سلطانا وان العلماء امناء ما لم يزوروا سلطانا جايرا فاذا زاروهم خانوا في الدين ولزم
الفرار منهم ومن طريق العامه في جهنم واديا لا يدخل فيه الا عالم زار سلطانا جايرا **قوله** قال امير المؤمنين ع
لقاء الاخوان مغنم جسيم وان قلوا المغنم الغنيمه وهي الفايدة وفيه اشارة الى ان الاخوان في الدين الذين يقومون
بامر الله ويعملون له وهم اخوان الثقة قليلون ولو وجدوا فلابد من لقائهم وزيارتهم وتعظيمهم ورعاية
حقوقهم سرا وجهارا فان فيه منافع جزيلة وفوايد جميلة لا يعلم قدرها الا الله عز وجل **قوله** قال كنت
زميل ابي جعفر عم وكنت ابدا بالركوب ثم يركب هو الزميل كامير العديل الذي حمله مع حملك على البعير وقد زاملك اذا
عادلك والزميل ايضا الرديف والرفيق في السفر الذي يعينك على امورك ولعل تاخره عم في الركوب تواضع

باب المصافحة

منه

منه لصاحبه وراحة للركوب بعدم المبادرة الى الركوب ومنه يفهم وجه تاخره في النزول وقد رغب في
المصافحة بعد فعلها بقوله انا علمت ما في المصافحة الى آخره وهي اخذ اليد باليد والاولى الصاق صفح
الكف بالكف والغمز يسيرا واقبال الوجه بالوجه والاولى بعد ذلك اثبات الاصابع في الاصابع وفضلها
كثير وثوابها جزيل من ذلك سقوط الذنوب عنهما ونظر الله عليهما بعين الرحمة والشفقة والاحسان حتى
يفترقا وقد يتركها المبتلى بالوسواس تحرزا من نجاسة اخيه المؤمن التي توهمها ولم يعلم ان المؤمن طاهر مطهر
وطيب مبارك وان ما توهم خصلة شنيعة يوجب ترك السنة واذى المؤمن ومتابعة الشيطان و
هذا الجاهل يسميه احتياطا ولا يعلم ان هذا الاحتياط بدعة مخالفة للشريعة **قوله** ادخل الله يده بين يديهما
أه اي يد وليه الغايب عن الابصار او اليد مجاز عن الرحمة او النعمة والاحسان وتمثيل لقربها من المتصافحين
حتى كانها بينهما او لانها والوجه في الجزء الاخير مستعار للجود **قوله** قال قال ابو جعفر عم انتم شيعتنا الا ترى
انك تفرط في امرنا انه لا يقدر على صفة الله أه لا ريب في ان احدا لا يقدر على ان يصف الله تعالى كما هو اهله
وان بالغ وانتقل من وصف الى ما هو اعلى منه في نظره حتى انتهى الى غاية قدرته منه اذ لا يصل عقل البشر الى
كنه صفاته كما لا يصل الى كنه ذاته وانما غاية كمال البشر ان يدعي انه موجود عالم قادر مثلا واما العلم بحقيقة
وجوده وعلمه وقدرته مما لا سبيل له اليه ولا يمكن وقوفه عليه وكذلك لا يمكن ادراك ذات الرسول والائمه
والمؤمنين وصفاتهم وكمالاتهم وفضايلهم لكمال قربهم بالحق وعلو مرتبتهم وبعد منزلتهم من منتهى العقول
الا ترى انك لا تقدر على ان تصف نفسك فكيف تقدر على ان تصف ذات الله وصفاته ونفوس اولياء الله
وكمالاتهم **قوله** فحططنا الرحل الرحل كل شيء يعد للرحيل من وعاء المتاع والمركب للبعير وحلس ورسن و
جمعه ارحل ورحال مثل افلس وسهام **قوله** اذا لقي احدكم اخاه فليسلم وليصافحه دل على انه ينبغي التسليم
والمصافحة لكل مؤمن عند كل لقاء وما اشتهر بين العوام من انهم لا يسلمون الا في اول مرة لمن هو معروف
عندهم حتى انه لو سلم احد مادر امرتين او على غير المعروف ذموه فهو من سنن الجهلة **قوله** واذا تفرقتم فتفرقوا
بالاستغفار بان يقول غفر الله لي ولك او يقول غفر الله لك او يقول اللهم اغفر للمؤمنين **قوله** فقال يا اخ
يا اسحق ان كانت للحفظ لا اسمع فان عالم الشريعة ويرى فعوم الاية بحاله لان الله تم رقيب **قوله** ما صافح
رسول الله صلى الله عليه وآله رجلا فنزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده منه فيه اجلال فعل النبي صلى الله عليه وآله والحث على الاقتداء
به ولا خلاف بين الخاصة والعامة جواز الاقتداء بفعله وانما اختلفوا في حكمه هل هو واجب او مندوب
او مباح فقال مالك وبعض اصحابه واكثر الشافعيه واجب وقال بعضهم مندوب وقالت طايفة مباح

١٢٠

باب المعانقة

والحق ان افعاله اما جبلية كالقيام والقعود والاكل والشرب فهو مباح لنا ومنه واما غيرها فان دل على اختصاصه دليل كوجوب الوتر والتهجد فالاشتراك بناء على الاختصاص والا فان علمت صفته فالظاهر ثبوت الرجحان المطلق **قوله** وكيف يوصف عبد احتجب الله عز وجل بسبع لعل المراد انه لا يمكن ان يوصف عبد اتخذه الله عز وجل حجابا في سبع سموات وسبع ارضين وحجة اليه تستفيض منه ووجه الى الممكنات يفيض عليها واتخذه حجابا لها بسبع صفات الذات لكونه مظهرها ولكثافها او هي حجب نورانية لو كشف وصف منها لاضاء بانوار الهداية كل ملتبس مضار وحجابا لكثافها حجابا نورانيا مثلها لو زال عنه الحجاب سبع سموات وسبع ارضين على ان يكون الحمزة للسلب فقد ترفع قدره عن الجرداة الملكوتية والملائكة اللاهوتية وتنزه قلبه من العوائق البشرية والعلائق الناسوتية ويمكن ان يكون اشارة الى ما وصل اليه من حجب المعراج هذا الذي ذكر من باب الاحتمال والله اعلم بحقيقة الحال وفوض اليه لعل المراد فوض اليه كثيرا من الاحكام وبيان كيفيتها وحدودها كما دل عليه بعض الروايات وهذا التفويض غير التفويض الذي ذهب اليه الفرقة المفوضة الغالية وهو ان الله تعالى خلق محمدا وعليا وقيل سائر الائمة ايضا وفوض اليهم خلق السموات والارض وما بينهما وتقدير الرزق والاجال والاحياء والاماتة ويتمسكون بظاهر بعض الاخبار وهو عند غيرهم ماول بان لسببية كما في الحديث القدسي لولاك لما خلقت الافلاك لان الله تعالى لما خلق الاشياء لاجلهم صح نسبة الخلق اليهم تجوزا والله اعلم **قوله** تصافحوا فانها تذهب بالسخيمة اي بحقد صاحبه المصافح له او مطلقا والسخيمة الحقد والضغينة والموجدة في النفس **قوله** اما تعلم ان المسلمين اذا التقيا آه دل على ان الحياء لا يمنع المصافحة ما فعل احدهما كان في غاية التعظيم ورعاية الادب ظاهرا **قوله** مصافحة المؤمن افضل من مصافحة الملائكة اي مصافحة المؤمنين افضل من مصافحة الملكين او مصافحة المؤمن مع المؤمن افضل من مصافحته مع الملك ولعل السر فيه ان مصافحة المؤمن متوقفة على مجاهدات النفسانية والملائكة منزهة عنها **قوله** ايما مؤمن خرج الى اخيه يزوره عارفا بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة آه قد عرفت حق المؤمن آنفا والمراد بمعرفته معرفته مع اداءه وبالزيارة الزيارة خالصا لله لا لغرض آخر ومحو السيئة محوها من الاحباط والتفضل اذ من اجل ان الخطوة كما هي سبب لحسنة كذلك سبب لمحو سيئته والمعانقة جعل الرجل يده على عنق صاحبه وضمه الى نفسه وفضلها كثير عندنا وعند جماعة من العامة وابو حنيفة كرهها ومالك رآها بدعة وانكر سفيان قول مالك واحتج بمعانقته صلى الله عليه وسلم جعفرا حين قدم من الحبشة فقال مالك هو خاص بجعفر فقال سفيان ما يخص جعفرا يعمنا فسكت مالك قال الابي سكوته يدل على ظهور حجة سفيان حتى

بقوم

باب التقبيل

باب تذاكر الاخوان

١٢١

يقوم دليل على التخصيص وقال القرطبي هذا الخلاف انما هو في معانقة الكبير واما معانقة الصغير فلا اعلم خلافا في جوازها ويدل على ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم عانق الحسن رضي الله عنه ولعل المراد بقوله عليه السلام فاذا انصرف شيعته ملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه عدد النفس والخطا والكلام عند العود مع احتمال التعميم بالذهاب والعود جميعا **قوله** فتنفس ابو عبد الله عليه السلام الصعداء ثم بكى حتى اخضلت دموعه لحيته آه الصعداء المد ونفس كتبدل والاخضال تركرد كذا في كنز اللغة **قوله** ان لكم لنورا تعرفون به في الدنيا هو نور المعرفة واليقين والايمان والاخلاق والاعمال والعارفون به الملائكة واهل السموات واهل الصلاح من بني نوعه يعرفونه بسيماه وفيه دلالة على ان القبلة على الجبهة وفي خبر علي بن جعفر على انها على الخد وكلاهما جايز والجمع احسن وقال النيشابوري في عصر الصحابة لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه وقبل والمصافحة جائزة بالاتفاق واما المعانقة والتقبيل فكرهها ابو حنيفة وان كان التقبيل من اليد **قوله** ومن اريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم اريد به الوحي وسيصرح به في الجزء الثاني ويحتمل ارادة الاعم منه وممن يتقرب منه **قوله** اما انها لا تصلح الا لنبي او وصي ظاهره عدم الجواز قبل اليد لغيرهما **قوله** فقلت جعلت فداك رجلاك فقال اقسمت اقسمت اقسمت ثلاثا وبقي شيء وبقي شيء لعل المعنى اقسمت ان لا افعل وليبق شيء مما يجوز انما يقبل وانما منع منه واتى بالامر في صورة الخبر تقية من بعض الحاضرين وصرفا لوهمه الى ارادة الانكار وذلك لان تقبيل اليد والرأس كان شايعا عند العرب فلم يكن فيه تقية واما تقبيل الرجل فكان مختصا بالسلطان مع احتمال ارادة المنع والانكار في نفس الامر والاشارة الى عدم جواز ذلك كاحتمال ان يكون اقسمت على صيغة الخطاب من القسم بالكسر وهو الحظ والنصيب اي اخذت حظك ونصيبك وما بعده على الاحتمالين المذكورين ونقل عن خليل الفضلاء ان معناه اقسمت لك ان تقبل الاعضاء الثلثة وقبلت اثنين منها وبقي شيء وهو الرجل فقبلها الثالث بسمك فقبلها **قوله** من قبل الرحم ذا قرابة اي لاجل الرحم او لصلتها والتقبيل هنا وان كان عاما لكونه ينبغي ان يراد به تقبيل غير اليد والرجل لما مر **قوله** شيعتنا الرحماء بينهم الذين اذا خلوا ذكروا الله الرحماء جمع الرحيم كالكرماء جمع كريم يعني ان شيعتنا هم الذين يتراحمون يرحم بعضهم بعضا والحصر مستفاد من تعريف الجزءين باللام للمبالغة والاشعار بان من لم يتصف منهم بهذه الصفة كانه ليس بشيعة وربما يدل عليه لفظ الشيعة ايضا لانها من المشايعة وهي المتابعة فمن لم يتحقق معنى المتابعة لهم في الاعمال والصفات لم يتحقق معنى التشيع حقيقة والموصول خبر بعد خبر للاشارة الى وصف آخر

لهم وهو ذكر الله تعالى بالقلب واللسان في حال خلوتهم ثم اشار بقوله انا اذا ذكرنا ذكر الله الى ان ذكرهم عليهم
السلام ذكر الله عز وجل حقيقة لان ذكرهم عبارة عن ذكر شرف ذواتهم وصفاتهم وكمالاتهم التي افضل
نعمائه تعالى عليهم ونقل احاديثهم المرغبة في الرجوع اليه جل شانه فهو عين ذكره تعالى او مجازا باعتبار ان ذكرهم
مستلزم لذكره تعالى او باعتبار كمال الاتصال بينهم وبينه تعالى حتى كان ذكرهم ذكره ويعرف من هذه الوجوه
بالمقايسة ان ذكرهم عدوهم ذكر الشيطان قوله تزاوروا فان في زيارتكم احياء لقلوبكم وذكرا لاحاديثنا لان
زيارة المؤمنين بعضهم بعضا لوجه الله تعالى يوجب سرور القلب وقربه من الحق وكل ما يوجب ذلك فهو
سبب لحيوته وفيه ترغيب في ذكر احاديثهم والتفاوض فيها عند التلاقي والمراد بها احاديثهم مطلقا سواء
تعلقت بالاعمال او الاخلاق وان كان قوله واحاديثنا تعطف بعضكم على بعض باحاديث الاخلاق انسب
والزعيم الكفيل قوله قال قلت لابي عبد الله عليه السلام اني مررت بقاص يقص وهو يقول هذا المجلس الذي لا يشقى
جليسه القص البيان والاخبار والقصص بالفتح الاسم وبالكسر جمع قصة والقاص الذي ياتي بالقصة و
يخبر بها وهي تطلق على الوعظ والخطبة واحوال الامم السابقة سواء كان لها حقيقة ام لا ويحتمل ارادة
كل واحد من هذه المعاني اما الاخير فظاهر واما الاولان فالمراد الوعظ المحرك الى اتباع الفرق الضالة
والاقوال والاعمال الباطلة والخطبة المشتملة على اوصاف المتخلفين للخلافة وقوله هذا مبتدا وما بعده
خبر ويحتمل ان يكون هذا المجلس مبتدا والموصول مع صلته خبرا فقال ابو عبد الله عليه السلام هيهات هيهات
اخطات استاههم الحفرة الخطا والخطاء والخطاة بفتح الخاء في الجميع وسكون الطاء او فتحها مع القصر
او المد ضد الصواب والاخطاء عند ابي عبيد الذهاب الى خلاف الصواب مع قصد الصواب مطلقا
عمدا او غير عمد والاستاه بفتح الهمزة والهاء اخيرا جمع الاست بالكسر وهي حلقة الدبر والعجز او اصل
الاست سته بالتحريك وقد يسكن التاء وحذف الهاء وعوضت منها الهمزة وهذا مثل يضرب لمن يعدل عن
الحق او اخطا في القول او جلس مجلسا لا ينبغي له الجلوس فيه ولا يبعد ان يشبه افواههم بالاستاه
والمواضع الباطلة من الاقوال بالحفرة تقبيحا لحالهم وتكرير هيهات اي بعد هذا القول عن الصواب غاية
في البعد عن الحق قوله لوددت اني معكم في بعض تلك المواطن اما والله اني لاحب ريحكم وارواحكم الموتين اما والله
ريح الطيب من المسك الاذفر يشمها المجردون ويدركها العارفون سيما اذا كان في بعض تلك المواطن التي
افضلها مدارس العلوم الشرعية ومواضع نشر فضائل الائمة الطاهرة المرضية فانظر ايها الطالب الى
كثرة فضلها وغزارة شرفها حتى ان الامام عليه السلام تمنى ان يكون جليسك فيها بل هو عليه السلام والملائكة المقربون جلساؤك

فيها

١٢٢ فيها ولو كشف الغطاء لرأيت منزلا شريفا وامرا غريبا ولما كان مجرد التحدث والتقول بالحق غير نافع الا
اذا تبعه العمل حث عليه بقوله فاعينوا بورع واجتهاد اي فاعينوا بعضكم بعضا او
فاعينوني لانه عليه السلام زعيم بنجاتهم فطلب منهم الورع عن المنهيات والاجتهاد في الطاعات ليكون له الخروج
من عهدة الضمان اسهل وايضا طلب منهم ذلك لئلا يخجل عند الله لانه عليه السلام امير من الله عليهم وفساد الرعية بسوء
الاعمال والطغيان يوجب خجالة الامير عند السلطان قوله فمن ابتلى من المؤمنين بهم فاذا خاضوا في ذلك
اي دخلوا فيه فليقم ولا يكن شرك الشيطان ولا جليسه الشرك اما بفتح الشين وكسر الراء مصدر شركه
في الامر يشركه من باب علم شركا وشركة وزان كلمة وكلم بفتح الاول وكسر الثاني اذا صار له
شريكا او بفتحتين وهو حبالة الصيد وما ينصب للطير او بكسر الاول وسكون الثاني وهو النصيب والشرك اسم
وظاهر هذا الخبر ونحوه وظاهر قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزء بها
فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم
جميعا دال على وجوب قيام المؤمن ومفارقته عن اعداء الدين وعلى خوف الغضب واللعن بترك العقود معهم
بل دل ظاهر الاية على انهم مثلهم في الفسق والنفاق والكفر ولا ريب فيه مع اعتقاد جواز ذلك واما مع عدمه
فظاهر بعض الروايات ان العذاب بالهلاك يحيط بهم اذا نزل ولكن قد يعفو في الاخرة بفضل الله تعالى
ثم اشار الى حكم عند عدم قدرته على المفارقة بالكلية للتقية او غيرها بقوله فان لم يستطع فلينكر بقلبه و
ليقم ولو حلب شاة او فواق ناقة اي ولو كان قيامه بقدر زمان حلب شاة او بقدر زمان فواق
ناقة والفواق بفتح الفاء وضمها الزمان الذي بين الحلبتين من الناقة لانها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها
الفصيل لتدر ثم تحلب وكذلك يفعل بالبقرة ايضا قوله ليس شيء انكى لابليس وجنوده نكى العدو وفيهم من
باب رمى نكاية بالكسر قتل وجرح حتى وهنوا ونكأ القرحة نكأ مهموزا من باب منع قشرها وهو كناية
عن الايلام الشديد فلا تبقى في وجه ابليس مضغة لحم الا تخدد المضغة القطعة والتخدد الهزال والنقص و
التشنج وذلك من شدة غمه والمه فيقع خاسئا حسيرا مدحورا الخاسئ البعيد من الناس او من نيل المقصد من
خسأ الكلب اذا بعد وفي القاموس الخاسئ من الكلاب والخنازير المبعد لا يترك ان يدنو من الناس و
الحسير اما من حسر البعير وهو حسير من باب ضرب اذا اعيا او من حسر على الشيء حسرة وهو حسير من باب علم
اذا لهف وتاسف ومن حسر البصر حسورا وهو حسير من باب نصر اذا كل وانقطع والمدحور المطرود من
الدحر او الدحور وهو الطرد والابعاد والدفع وفي كثير اللغة حسير كثير سه وما نله سه ومدحور دو ذكره

باب ادخال السرور على المؤمن

قوله قال رسول الله صم من سر مومنا فقد سرني ومن سرني فقد سر الله سرور المؤمن يتحقق بفعل موجباته
مثل اداء دينه او تكفل مؤنته او ستر عورته او رفع جوعته او تنفيس كربته او قضاء حاجته واجابة مسئلته
والسرور من السر وهو الغم والجمع لما اثبت والمؤمن اذا مسته فاقة او عرضته حاجة او لحقته شدة فاذا
سددت فاقته وقضيت حاجته ودفعت شدته فقد جمعت عليه ما اثبت من امره وضممت ما تفرق من سره
ففرح بعد همه واستبشر بعد غمه ويسمى ذلك الفرح سرورا قوله ان مما ناجى الله عز وجل به عبده موسى ع قال
ان لي عبادا ابيحهم جنتي واحكمهم فيها الظ ان ابيحهم من الاباحة بالباء الموحدة اي جعلت الجنة مباحة لهم
واذنت لهم في التبوء حيث يشاؤن وقد اخبر الله عز وجل عنهم بقوله وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده و
اورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ويحتمل ان يكون من الاباحة بالثاء المثلثة
الفوقانية يقال اباحه الله لعلاك اي هياه وقدره ويسره له والمتاح المقدر والمراد بتحكيمهم فيها جعل
الحكم لهم فيفعلون ويدخلون فيها من شاؤا وحيث شاؤا ولهوا به ولهم به كوحل ولعا بجركه وولوعا
بالفتح واستخف ويجمعه ذهب ولكن ما نار هيديه ولا تؤذنه هيدى امر من نهيد بن تقول هادة الشيء بهيده
هيدا وهادا اذا ازعجه وحركه وافزعه وكربه واخطره ولعل المراد تخويفه لكفره وعدم اذيه بالاحراق لادخاله
السرور على المؤمن ويفهم منه ان ادخال السرور يورث وان لم ينفع لوجه الله تعم قوله ولو بتمرة ترغيب في الا نفاق
والطعام الجائع وان كان يسيرا فان الله تعم كريم يجعل الجزا كثيرا ويعطي للقليل جزيلا قوله اذا بعث الله المؤمن
من قبره خرج معه مثال يتقدمه قال الشيخ في الاربعين المثال الصورة ويتقدم على وزن يكرم اي يهو بقدمه
من الاقدام في الحرب وهو الشجاعة وعدم الخوف ويجوز ان يقرأ على وزن ينصر وماضيه قدم كنصر اي
يتقدمه كما قال الله تعم يقدم قومه يوم القيمة ولفظ لما مع ما كيد نعم الخارج خرجت معي اي نعم الخارج انت
وخرجت معي نعم الخارج او بدل عنه او حال يتقدم قد فيقول انا السرور الذي كنت ادخلته على اخيك المؤمن
في الدنيا ظاهره ان السرور يصير مثالا ويتمثل كما صرح به الشيخ على تجسم الاعمال في النشأة الاخروية وقد
ورد في بعض الاخبار تجسم الاعتقادات ايضا فالاعمال الصالحة والاعتقادات الصحيحة تظهر صورا نورانية مستحسنة
موجبة لصاحبها كمال السرور والابتهاج والاعمال السيئة والاعتقادات الباطلة تظهر صورا ظلمانية مستقبحة
توجب غاية الحزن والتألم كما قال جماعة من المفسرين عند قوله تعم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويرشد اليه قوله تعم يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا
اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن جعل التقدير ليروا جزاء اعمالهم ولم يرجع

مجبر

قلت

ضميره الى العمل فقد ابعد واما قلنا ظاهره ذلك لانه يحتمل ان يخلق الله مثالا لاجل السرور والحال في قوله انا
السرور للمبالغة في السببية ويؤيده بعض الروايات في هذا الباب كرواية الحكيم بن مسكين عن ابي عبد الله ع
وقول امير المؤمنين ع ما من احد اودع قلبا سرورا الا وخلق له من ذلك لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليه
كالماء في انحداره حتى يطرده عنه قال بعض المحققين معناه خلق الله تعم بدل ذلك السرور وعوضه ملكا
ذا لطف وبعث ذلك الملك اللطيف كل بلية على عبده ليخلصه منها قوله كان النجاشي وهو رجل من الدهاقين
النجاشي بفتح النون وكسرها وتشديد الياء وتخفيفها افصح وهو ابو النابع لاحمد بن علي بن احمد بن العباس صاحب
كتاب الرجال والدهقان معرب يطلق على رئيس القرية وعلى التاجر وعلى من له مال وعقار وداله مكسورة
وفي لغة تضم والجمع دهاقين ودهقن الرجل وتدهقن كثر ماله كذا في المصباح قوله فما ثواب من ادخل عليه
السرور فقلت جعلت فداك عشر حسنات لعل الغرض من السؤال اعداد المخاطب للحق والاخبار بما لا يعلم
واستعلام مبلغه من العلم فاجاب بان له عشر حسنات وكانه استند بقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
فصدقه ع بقوله اي والله ثم قال والف الف حسنة لان الله تعم يزيد لمن يشاء ولديه مزيد قوله سره الله
عز وجل اي بالكرامة التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قوله وتنفيس كربته اي
كشفها وازالتها والكرب بالفتح والكربة بالضم الحزن ياخذ بالنفس وجمع الكربة كرب مثل غرفة وغرف قوله
واجرته على يدية اخوانك عليه علية الناس وعليهم حلتهم قوله لنا والله رب مبتدأ وخبر وجملة بعده
صفة لرب والقسم تاكيد لمضمون الصفة قدم على رب لئلا يفصل بينه وبين صفته ولا اشترك صفة
ثانية او حال من فاعل نعبده ولعل نفي الشرك كناية عن قضائهم حوائج الفقراء وهو ايضا مراد بالعبادة بقرينة
المقام ففيه دلالة على ان كلما خالف ارادة الله تعم فهو شرك به قوله لقضاء حاجة امرئ مؤمن احب الي
من عشرين حجة كل حجة ينفق فيها صاحبها مائة الف اي مائة الف دينار او مائة الف درهم ولعل المراد الانفاق
في قضاء حوائج نفسه او الحج بها لا في قضاء حوائج الرفقاء المؤمنين وغيرهم والا لزم تفضيل الشيء على نفسه قوله
وسببها له اي جعلها سببا لغفران ذنوبه ورفع درجته والسبب ما يتوصل به الى امر من الامور قال بعض الاكابر
ان الحاجة اذا عرضت للرجل عندي ابادر الى قضائها خوفا من ان يستغني عني قوله سلط الله عليه شجاعا
ينهش ابهامه في قبره الى يوم القيمة مغفورا له او معذبا الشجاع كغراب وكتاب الحية او الذكر منها او ضرب
منها او ضرب صغير وقد يوصف بالاقرع وهو المتمعط شعر راسه لكثرة السم والنهش بالسين المهملة
والشين المعجمة اخذ اللحم بمقدم الاسنان ولسعه ونتفه وفعل الاول من باب منع وعلم وفعل الثاني من باب منع

باب قضاء الحاجة المؤمن

١٢٢

وناهر كثير من ارباب اللغة ان المهملة والمعجمة تكونان لكل ذي ناب مثل الكلب والذئب والحية وغيرها وهو
منقول عن الاصمعي وقال بعضهم المعجمة للحية والمهملة للكلب والذئب والسبع وقال ثعلب المهملة تكون
باطراف الاسنان والمعجمة بالاسنان وبالاضراس وهكذا حكى الثاني بحسب الظن والمراد بالابهام اما
ابهام الرجل او ابهام اليد وبالشجاع المعنى الحقيقي مع احتمال ان يراد به المعنى المجازي لان كل صفة ذميمة
كالشجاع في النهش بعد فراق الدنيا وصيرورة الابهام ترابا لا ينافي عن قبول النهش لان تراب الابهام
كالابهام في قبوله ولعل الله تعالى يخلق فيه ما يجد به الالم والله يعلم قوله ورفع له ست الاف درجة يحتمل
ان يراد بتلك الدرجات درجات القرب منه تعالى وان يراد بها درجات الجنة لان في الجنة درجات بعضها
فوق بعض كما قال الله تعالى غرف من فوقها غرف مبنية قال القرطبي اهل السفل من الجنة ينظرون الى من فوقهم
على تفاوت كما ينظر من بالارض دراري السماء عظام نجومها فيقولون هذا فلان كما يقال هذا المشتري و
هذه الزهرة ويدل على ما ذكرنا عن النبي صلعم قال ان اهل الجنة ليتراءون الغرف كما تراءون الكواكب في السماء
قوله ثم قال والله لرسول الله صلعم اسر بقضاء حاجة المؤمن اذا وصلت اليه من صاحب الحاجة لعل و
التفضيل ان سرور صاحب الحاجة لقضاء حاجته وسروره صلعم لسروره ورضاه بها ولقضاء حاجته صلعم لان
صاحب الحاجة عيال له وليمسك القاضي بآدابه قوله ولئن اعول اهل البيت من المسلمين عالهم يعولهم اعول
قاتهم وانفق عليهم وقام بحوائجهم قوله قال عذره الطالب كان اسوخا الاعذر تريماضيع عذرا من
باب ضرب رفعت عنه اللوم فهو معذور اي غير ملوم والاسم العذر وتضم الذال للاتباع وتسكن قوله
مشي الرجل في حاجة اخيه المؤمن يكتب له عشر حسنات له الاجر الموعود في الباب السابق لقضاء الحاجة
وفي هذا الباب للسعي اليها سواء قضاها ام لا والاعتكاف اما واجب بالالتزام او يؤول الى واجب وقضاء
حاجة المؤمن سنة مؤكدة فقوله ولفضل من اعتكاف شهر دل على ان السنة افضل من الفرض وهو غير عزيز
قوله ان لله عبادا في الارض يسعون في حوائج الناس هم الامنون يوم القيمة يمكن ان يكون هذا الاجر مترتبا
على السعي كما هو الظاهر او عليه وعلى قضاء الحاجة جميعا على احتمال وان كان للسعي وحده اجر والحصر المستفاد
من اللام مع تاكيده بضمير الفصل على سبيل المبالغة او اضافي بالنسبة الى من تركها او الى بعض الاعمال او تفريح
القلب كشف الغم عنه واد خال السرور فيه قوله اظله الله بخمسة وسبعين الف ملك اي يجعلهم طائرين
فوق رأسه حتى يظلوه لو كان لهم ظل او يجعله في ظلهم اي في كنفهم وحمايتهم لان الظل يكنى به عن
الكنف والناحية ويحتمل الظاهر قوله فاذا فرغ من حاجته كتب الله عز وجل له بها اجر حاج ومعتمر على ان

الاجر

الاجر المذكور قبله للمشي في قضاء الحاجة واجر الحاج والمعتمر لقضاء الحاجة ويحتمل ان يكون للمشي ايضا
كما سيجيء قوله ويزيد بعد ذلك عشر حسنات اي لكل خطوة او للجميع ويؤيد الاول قوله تعالى من
جاء بالحسنة فله عشر امثالها والحاجات في قوله وشفع في عشر حاجات اهم من الحاجات الدنيوية والاخروية
كالسؤال عن التجاوز من الذنوب والجرائم يقال شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع والمشفع بالكسر
من يقبل الشفاعة وبالفتح من يقبل شفاعته قوله كتب الله عز وجل له الف الف حسنة الروايات مختلفة
في الاجر ففي هذه الرواية هذا العدد وفي بعض ما تقدم عشر حسنات وفي بعضها لكل خطوة حسنة وفي بعض
ما ياتي حجة وعمرة واعتكاف شهرين في المسجد الحرام وفي بعضه خير من اعتكاف شهر ولعل الاختلاف
باعتبار حال الساعي وفضله واهتمامه به او باعتبار حال المحتاج وصلاحه او شدة احتياجه او باعتبار
ان هذا الاحسان من باب التفضل والله تعالى يزيد لمن يشاء قوله كفى بالمرء اعتمادا على اخيه ان ينزل به حاجته
لا ريب في ان المحتاج حريص في قضاء حاجته وانه يحتال ويتفكر فيه وفي سببه ولذا اذا راى ان الخلق بعد
فيه يقصد من له كمال اعتماد عليه فيما بينهم وفيه ترغيب بليغ على قضاء حاجة الراجع لئلا يفسد ظنه و
على نفسه تلك الفضيلة وقال افلاطون اذا بلغ المستور الى كشف حاله لك فاحذر ردّه فانه قد اطلعك
سره مع بادية قوله فتكارى اليه تعذر الكراء عليه الكراء بالكسر والمد الاجر المستاجر عليه وهو مصدر في الاصل من
كاريته من باب قاتل والكري كالغني المكاري وهو الذي يكري الدواب قوله فقال اما انك ان تعين اخاك
المسلم احب اليّ من طواف اسبوع بالبيت مبتدءا بمبتدء اما حال من فاعل قال اي قال عم ذلك مبتدءا
قبل ان اساله عن اجر من قضى حاجة اخيه او قبل ان يتكلم بكلام آخر وذلك لشدة الاهتمام به او عن فاعل
تعين اي تعين مبتدءا قبل السؤال او عن الطواف فيدل على ان الطواف الاول افضل وان قضاء الحاجة
افضل منه او تميز عن نسبة احب الى الاعانة اي الاعانة احب من حيث الابتداء يعني قبل الشروع في الطواف
لا بعده واعلم ان ظاهر الاخبار المعتبرة دل على جواز القطع بل على رجحانه مطلقا والبناء من موضع القطع
فرضا كان او نفلا جاوز النصف اولا والتفصيل حسن وهو رجحان القطع والبناء مطلقا في النفل
ورجحان البقاء على الطواف مع جواز القطع والبناء ان جاوز النصف في الفرض لما رواه الشيخ عن
احدهما عم ان الرجل يقطع الطواف لحاجة او حاجة غيره فان كان نافلة بنى على الشوط والشوطين
وان كان طواف فريضته لم يبن الظاهر انه لم يبن على ما ذكر وما رواه الشيخ في الصحيح عن صفوان عن
يحيى الازرق والظاهر انه يحيى بن عبد الرحمن الازرق الثقة قال سالت ابا الحسن عم عن الرجل يسعى بين الصفا

والمروة فيسعى ثلثة اشواط اواربعة اشواط فيلقاه الصديق فيدعوه الى الحاجة او الى الطعام قال ان اجاب فلا باس ولكن يقضى حق الله احب الى من يقضى حاجة صاحبه والتعليل يفيد تعدية الحكم الى الطواف بل هو فيه اولى **قوله** لما انزلوا عليك كان خيرا لى من اعتكاف شهر اهذا من المواضع التى جوز العلماء خروج المعتكف فيها من معتكفه الا انه لا يجلس عند الخروج ولا يمشى تحت الظلال اختيارا على المشهور او لا يجلس تحت على قول ولا ريب فى ان قضاء حاجة المؤمن من المرغبات الكفائية وقد ظهر للحسين ان اخيه الحسن عليهما السلم لسعى فيه فآثره لاخيه تكريما وتعظيما له **قوله** قال الله عز وجل الخلق عيالى فاحبهم الى الطفهم بهم واسعاهم فى حوائجهم كما ان احب الخلق الى الرجل الطفهم بعياله واسعاهم فى قضاء حوائجهم فى حضوره وغيبته وهو يكافيه يوما ما خصوصا اذا كان كريما ذا ثروة واستعار لفظ العيال للخلق بالنسبة اليه عز وجل ووجه المشابهة كما ذكرنا سابقا ان عيال الرجل من جمعهم لنفقتهم ويصلح حالهم كذلك الخلق انما خلقهم الله تعالى وجمعهم تحت عنايته ليصلح احوالهم فى معاشهم ومعادهم والتدبير فى اقواتهم وارزاقهم **قوله** ان عابدا فى بنى اسرائيل كان اذا بلغ الغاية فى العبادة صار مشاء فى حوائج الناس وذلك لانه لا يصل الى هذا المطلب العظيم الا من تنزهت نفسه بالعبادات والرياضات عن الصفات الرذيلة فانه يعرف حينئذ ان قضاء الحوائج وفعل الخير افضل العبادات ويتمكن من حمل نفسه عليه والاشتغال به وقوله غانما بما يصلحهم من الغاية اى الارادة والاهتمام **قوله** من اغاث اخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده آه الاغاثة النصرة والاعانة واللهفان المكروب يقال لهف من باب منع لهفا فهو لهفان ولهف فهو ملهوف واللهثان العطشان لو لهث الكلب من باب منع ايضا لهثا فهو لهثان اذا خرج لسانه من شدة العطش والحر والجهد بالفتح والضم المشقة وقيل بالضم الطاقة وبالفتح المشقة والكربة الشدة والمشقة للنفس عند طريان الحاجة ونحوها والتنفيس اعم من ازالتها كلها او بعضها والثواب الموعود حاصل فى كليهما وفى احاديث هذا الباب والابواب السابقة دلالة واضحة على ان من سعى حاجة المؤمن حتى قضاها كان له من الاجر لسعيه كرتبه ما ذكر فى هذا الباب وللسعى فى حاجته ما ذكر فى باب قبله ولقضاء حاجته وادخال السرور عليه ما ذكر فى بابيهما **قوله** واحدة فى الدنيا يحتمل ان يراد بالوحدة الشخصية والنوعية فيشمل كرب الدنيا كلها **قوله** وهو ثلج الفؤاد آه ثلجت نفسى كنصر ثلوجا وثلجا اطمانت اليه وسكنت ووثقت به والرحيق الخمر اطيبها او افضلها او الخالص او الصافى والمراد به خمر الجنة والمختوم المصول الذى لم يبتذل الاجل ختامه **قوله** ومن ستر على مؤمن عورة من طرق العامة من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والاخرة وليس من لوازم ذلك عدم النهى بل يغير ويستر

ثم

فمن وجد مؤمنا يشتغل بحرام يمنعه عنه ولا يذيع ذلك ويمكن تخصيص العورة بالعيوب والزلات التى لا توجب هتك الشريعة والا فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب وسيجئ فى باب المعيرين زيادة توضيح لمثل هذا ان شاء الله تعالى **قوله** من اشبع مؤمنا وجبت له الجنة وهو موجب لكونه سببا لحيوة المؤمن وسد مجاعته وموجبا للتودد والتالف المطلوبين فى نظام الاسلام والمسلمين من آداب الصالحين وخلق النبيين ولكن ينبغى ان لا يكون معه تكليف وتصنع ممن شقت عليه الزيادة على القدر المعتاد كما دلت عليه الروايات ولا فرق فى ذلك بين البادى والحاضر خلافا لبعض العامة فانه يخص ذلك بالطعام اهل البادى لا لان فى الحضر مرتفقا وسوقا ولما يخفى ضعفه ولما اشار الى منافع لطعام المؤمن اشار الى مضار لطعام الكافر بقوله ومن اشبع كافرا كان حقا على الله ان يملأ جوفه من الزقوم مؤمنا كان او كافرا الزقوم شجرة تخرج فى اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين منتهاها قعر جهنم واغصانها ترتفع فى دركاتها ولها ثمرة فى غاية القبح وظاهره عدم جواز الطعام الكافر مطلقا حربيا كان او ذميا قريبا كان او بعيدا غنيا كان او فقيرا مشرفا بالموت ولكن عموم بعض الاخبار مثل افضل الصدقة ابراد كبد حرى وصريح خبر مصادف عن ابى عبد الله عم فى سقيه نصرانيا غلبه العطش والطعام الاسير الكافر واخبار بر الوالدين وصلة الارحام مطلقا وان كانوا كافرين وجواز الوقف على الذمى يدل على جواز الطعام الكافر فى الجملة سيما اذا كان ذميا خصوصا اذا كان ذا رحم وما يحتمل من ان اطعامهم اعانة لهم على المعصية لانه موجب لقوتهم المقتضية لطغيانهم فيها يمكن دفعه بمثل ما ذكره الشهيد الثانى فى الوقف من ان الغرض من اطعامهم ليس هو معصيتهم وطغيانهم فيها بل من حيث الحاجة وانهم عباد الله ومن جملة بنى آدم ومن جهة انه يمكن ان يتولد منهم المسلمون نعم اطعامهم بقصد الاعانة على المعصية او لحبهم او لكفرهم لا يجوز قطعا ويمكن حمل هذا الخبر عليه والله يعلم **قوله** لان اطعم رجلا من المسلمين احب الى من اطعم افقا من الناس آه الطعام عام فى كل ما يقتات به من الحنطة والشعير والارز والتمر والزبيب واللبن ونحوها ولعل المراد بالرجل من المسلمين المؤمن وبالافق من الناس المخالفون وفيه دلالة على جواز اطعامهم والافق بضمتين اسم جمع وليس منحصرا فى عدد معين ولهذا فسره عم هنا بمائة الف او يزيدون وفسره ابوه عم فى خبر عبيد الله الوصافى عنه بعشرة الاف **قوله** من اطعم ثلثة نفر من المسلمين اطعمه الله من ثلث جنان فى ملكوت السموات الفردوس وجنة عدن وطوبى وشجرة تخرج فى جنة عدن غرسها ربنا بيده فى ملكوت السموات صفة لجنان او متعلقا باطعم والملكوت فعلوت من الملك بالكسر وخص الله تعالى

باب اطعام المؤمن

باب تفريج كرب المؤمن

وقد يطلق على المجردة والاضافة على الاول بيانية وعلى الثاني بتقدير في والفردوس من البستان الذي فيه
الكرم والاشجار وضروب من النبت قال الفرا هو عربي واشتقاقه من الفردسة وهي السعة وقيل منقول
الى العربية واصله رومي وقيل سريانية ثم سمي به جنة الفردوس والعدن الاقامة يقال عدن بالمكان
يعدن عدنا وعدونا من باب ضرب وقعد اذا اقام فيه ولزم ولم يبرح ومنه جنة عدن اي جنة اقامة
وطوبى اسم للجنة مؤنث لطيب من الطيب واصلها طيبى ضمت الطاء وابدلت الياء بالواو وقد تطلق على
الخير وعلى شجرة في الجنة وشجرة عطف على ثلث جنان واشارة الى نعمة اخرى بعد ثلثه واليد بمعنى
القدرة مجازا والغرس ترشيح والقول بان كل شيء بقدرته فلا وجه لذكرها لا وجه له لان التاكيد و
البيان شايع وليس لذكرها وجه وجيه وهو التنبيه على ان غرسها ليس كغرس اشجار جنات الدنيا عن
وسايط واستعمال الات بل هو بمجرد ايجادها بقوله كن ويحتمل ان يكون الكلام من باب التمثيل تشبيها
لفعل الغايب بالحاضر لقصد الايضاح قوله الا كان افضل من عتق نسمة لكنه الزيادة غير معلومة لنا
والنسمة محركة نفس الريح ثم سمي بها الانسان والمملوك ذكرا او انثى ولعل السر في كون اطعامها افضل ان للطعام
احياءها وليس عتق نسمة من باب الاحياء فالفضل بينهما ظاهر قوله من اطعم مؤمنا حتى يشبعه لم يدر احد
خلق الله ما له من الاجر لعل المراد بهذا المؤمن من بلغ جوعه حدا يوجب هلاكه فان اطعامه حينئذ احياء لنفسه
وقد قال الله تعالى ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا وح فلا بعد في ترتب هذا الاجر العظيم عليه والتعميم
ممكن وعدم علم الملك والرسل بما له من الاجر اما لعظمة الاجر او لان تعيين قدره انما هو في علم الله
ولم يظهره عليهم والاول اظهر لان المقصود من الحديث افادة عظمته قوله اطعام المسلم السغبان سغب سغبا
وسغبا بالتسكين والتحريك وسغابة بالفتح وسغوبة بالضم ومسغبة من باب فرح ونصر جاع فهو ساغب
وسغبان اي جايع وقيل لا يكون السغب الا ان يكون الجوع مع تعب واشار بالاية الشريفة الى ان الاطعام
من المنجيات التي رغب الله تعالى فيها والمسغبة والمقربة والمتربة مصادر على وزن مفعلة من سغب اذا جاع
وقرب في النسب وترب اذا افتقر والصق بالتراب ووصف اليوم بذي مسغبة مجازا باعتبار صاحبه مثل نهاره
صايم قوله اعطاه الله بكل شربة سبعين الف حسنة الظاهر انه اذا شرب ثلث مرات كما هو المندوب يستحق
الساقي ذلك الاجر ثلث مرات لصدق الشربة على كل واحدة منها قوله اما والله لا ينفع احدا حتى يجهدهم
ظاهرا على ان النفع تابع للجهد او مستلزم لها ومنه يعلم وجه ما سبق من ان من اشبع كافرا كان حقا على الله
ان يملأ جوفه من الزقوم قوله اذا دخلوا عليك دخلوا برزق من الله عز وجل كثير ووصف الرزق بالكثير لدفع توهم

تخصيص

تخصيصه بقدر ما اكلوا فيدل على ان الانفاق موجب لزيادة الرزق كما يدل عليه روايات كثيرة قوله
قال اكلة ياكلها اخي المسلم عندي احب الي من ان اعتق رقبة الاكلة بالفتح المرة وبالضم اللقمة والقرصة
وارادة اللقمة انسب بما مر من ان اطعام المسلم احب الي من ان اعتق افقا من الناس ولا اختلاف لما
ذكرناه انفا قوله اوتد لو ترود لو تر ادلوه ارسلته وكذا ادليته اذليه فدلو تحتمل فتح التاء وضمها ولعله على
تقدير الضم تدليونه قوله وان يهون عليه من سكرات الموت اي من شدته وهمه وغشيته قوله ثوبا
من عري العري بالضم خلاف اللبس يعني برهنه شدك وفعله من باب رضي والمعيشة مكسب الانسان
الذي يعيش به وهي من عاش من باب سار وصار ذا حيوة فالميم زايدة ووزنها مفعلة وقيل من معش فالميم
اصلية ووزنها فعيلة قوله ما دام عليه سلك اي على ذلك الثوب وان خرج عن حد اللبس والانتفاع
١٢٦ قوله من كسا مؤمنا من فقر لم يزل في ستر من الله يستره من الذنوب او من العقوبة او من النوايب او من
الجميع ويفهم منه ان كساء المؤمن الغني يوجب هذه الكرامة فكيف الفقير قوله من اخذ من وجه اخيه
المؤمن قذاة القذى ما يقع في العين من تراب او تبن او وسخ او غير ذلك والمراد به كل ما يودي المؤمن
او يخرج قلبه او يكسر قدره وان قل شبهه بقذى العين قوله من قال لاخيه مرحبا كتب الله له مرحبا
الى يوم القيمة فكانه قال له مرحبا الى يوم القيمة فيكتب له ذلك ويعطي اجره او يقال له مرحبا الى يوم القيمة
مقابلة لقوله والرحب بالضم السعة وبالفتح الواسع ومرحبا منصوب بفعل لازم الحذف سماعا اي اتيت
رحبا وسعة او مكانا واسعا وفيه تسلية له واظهار للسرور بملاقاته ومجيئه قوله من اتاه اخوه المسلم
فاكرمه بان اكرمه بنوع من انواع الاكرام واحسن اليه بنحو من انحاء الاحسان بان بسط له رداءه او تبسم
في وجهه او قال له مرحبا او اظهر سرورا وبشاشة او احضر طعاما او اعطاه شيئا يفرح به قلبه او نحو ذلك
قوله ما في امتي عبد الطف اخاه في الله بشيء من لطف الا اخدمه الله من خدم الجنة المراد بالعبد المؤمن و
الظرف اعني في الله متعلق بالطف اي برا وحال عن اخاه او وصف له واللطف الرفق والاحسان و
ايصال المنافع والبر والاخدام اعطاء الخادم قوله لم يزل في ظل الله الممدود عليه الرحمة اي لم يزل في رحمته
او جوده على سبيل التشبيه والاستعارة حيث انه يستريح بهما من الاذى والعذاب والتالم الجسماني والروحاني
كما يستريح الملتجي بالظل من حر الشمس او في حسنه ولطافة الظل عليهم من باب الارسال او الاستعارة على
نحو ما ذكر ووصفه بالممدود للاشعار بثباته واتساعه قوله وذلك ان الله عز وجل يقول في كتابه
ويؤثرون على انفسهم اي يختارون غيرهم من المحتاجين على انفسهم ويقدمونه ولو كان بهم خصاصة

باب من كسا مؤمنا

باب في اطعام المؤمن واكرامه

اى حاجة وفقر عظيم ومن يوق شح نفسه بوقاية الله وتوفيقه ويحفظها عن البخل والحرص فاولئك هم المفلحون
اى الفائزون والتاكيدات ظاهرة للمتدبر والمشهور ان الاية نزلت فى الانصار وايثارهم المهاجرين على
انفسهم فى اموالهم وقيل روى من طريق العامة انها نزلت فى امير المؤمنين عم ولزمع بقية اهل بيته لم
يطعموا شيئا منه ثلثة ايام فاقترض دينارا ثم راى المقداد فتفرس فى وجهه انه جايع فاعطاه الدينار فنزلت
الاية مع المائدة من السماء والحكاية طويلة وعلى التقديرين يجرى الحكم فى غير من نزلت فيه ممن يفعل مثل
فعله او ما يقرب منه ومما يناسب المقام ما روى عن امير المؤمنين عليه السلام من انه بات به ضيف وكان
عنده طعام قليل فاطفا المصباح عند احضاره واراه انه ياكل معه وفيه غاية بر الضيف والايثار و
حسن السياسة فى الامور اذ لو لم يطفاه لراى الضيف انه لا ياكل وانه اثره فربما امتنع من الاكل او اكل قليلا
قوله فتطاول الجنة مكافاة له اى امتدت وارتفعت لارادة مكافاته والطعامه فى الدنيا عيالة قوله
فتخرج منها وصفاء ووصايف قال صاحب المصباح الوصيف الغلام دون المراهق والوصيفة الجارية
كذلك والجمع وصفاء ووصايف مثل كريم وكرماء وكرايم ولعل طيران العقول وتحيرها بسبب مشاهدة الجنة
ونعيمها وما فيها من الحور والقصور والامتناع من الاكل لكثرة الهم والخوف بسبب مشاهدة جهنم واهوالها
وزفيرها والهم المفرط قد يمنع من الاكل كما يقع فى الدنيا ايضا قوله يجب للمؤمن على المؤمن ان يستر عليه سبعين
كبيرة هى افعال قبيحة شرعا وقبحها عظيم والمراد بسترها عدم اذاعتها وهذا لا ينافى وجوب الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر لان الامر بالرجوع عنها لا يستلزم الاذاعة ولا يتوقف عليها وبينهما منه جواذ
الافتاء اذا بحا وذكر السبعين مع امكان ارادة المبالغة فى الستر ويحتمل ان يراد بالكبيرة اشياء ذلك
المؤمن وفعل ما يوذيه من الامور العظام وفيه ح ترغيب فى الصفح عن الموذى والله يعلم قوله فالحسن من
الى مؤمن ولا اغاثة الاخمش وجه ابليس وفرح قلبه خمش وجهه من باب ضرب خدشه ولطمه وضربه
وجرحه ظاهره بشره وقطع عضو منه وفرح قلبه اذا غمه وافرحه اذا اثقله وحقيقته ازال عنه الفرح
باب التحفة
كاشكيته ويجوز ان يقرا بالقاف من قرحه من باب منع اى جرحه قوله محمد بن يحيى عن سلمة بن الخطاب
عن ابرهيم بن محمد الثقفى آه الحديث ضعيف من وجوه شتى اذ فى السند رفع ورجاله كلهم غير محمد بن يحيى
العطار مجهول وابو المعتمر اسمه غير معلوم وليس هو حامد بن عمير ابو المعتمر الهمدانى الكوفى لانه من
اصحاب الصادق عم والظاهر ان الا فى قوله اعطاه الله زايدة وقد صرح صاحب القاموس بجواز زيادتها
فى الكلام وحملها على الاستثناء بتقدير المستثنى منه بعيد جدا ويدخل فى خدمة المسلم خدمته بنفسه

وخدمة

باب نصيحة المؤمن
وخدمة واقامته المسلمين فى امور الدنيا والدين قوله يجب للمؤمن على المؤمن ان يناصحه نصحه ولكنه نصحا
ونصاحة ونصاحية وهو ناصح ونصيح ونصاح والاسم النصيحة وهى فعل او كلام يراد بهما الخير للمنصوح
واشتقاقهما من نصحت العسل اذا صفيته لان الناصح يصفى فعله وقوله من الغش او من نصحت الثوب اذا
خطته لان الناصح يلم خلل اخيه كما يلم الخياط خرق الثوب والمراد بنصيحة المؤمن للمؤمن ارشاده الى
مصالح دينه ودنياه وعونه عليها وتعليمه اذا كان جاهلا وتنبيهه اذا كان غافلا والذب عنه وعن اعراضه
اذا كان ضعيفا وتوقيره فى صغره وكبره وترك حسده وغشه ودفع الضرر عنه وجلب النفع اليه و
بالجملة كلما يريد لنفسه يريد لاخيه المؤمن ولو لم يسمع نصيحته سلك به طريق الرفق حتى يقبلها ولو كانت
متعلقة بامر الدين سلك به طريق الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على الوجه المشروع ويمكن ارادة النصيحة للرسول
١٢٧ والائمة عليهم السلم ايضا لانهم افضل المؤمنين والمراد بالنصيحة لهم القول فى شانهم ما يليق بهم والانقياد
لهم فى اوامرهم ونواهيهم وادابهم والاطاعة لهم فى جميع ذلك وحفظ شرايعهم واجراء احكامهم على الامة
وفى الحقيقة النصيحة للاخ المؤمن نصيحة لهم قوله يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له فى المشهد والمغيب اى فى
وقت حضوره بنحو ما مر وفى غيبته بالاعلام ولو بالكتابة والرسالة او بحفظ عرضه والزجر عن غيبته
ودفع العادى عنه وطلب الصالح له قوله عليكم بالنصح لله فى خلقه من تلقاء يعمل افضل منه النصح
يتعدى الى المنصوح بنفسه فيقال نصحه وباللام فيقال نصحت له والاول افصح ولا يتعدى اليه بفى وعلى هذا
فظاهر الكلام انه تعالى منصوحا اى يجب عليكم النصيحة لله فيما بين خلقه ومعنى النصيحة لله هو الايمان
به والاقرار بوحدانيته وبما يجب له ويمتنع عليه والتزام تكاليفه والعمل بها على الوجه المطلوب من اخلاص
باب الاصلاح بين الناس
النية وغيره ويحتمل ان يكون المراد عليكم بنصيحة خلق الله لوجه الله تعالى وتقربا اليه لا للريا والسمعة ونحوها
وهذا بعنوان الباب انسب قوله صدقة يحبها الله اصلاح بين الناس اذا تفاسدوا وتقارب بينهم اذا تباعدوا
فيه حث بليغ للمؤمن على شئ كثير من منافع الدنيا والاخرة منها ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر بوعظ
بليغ نافع ومنها ان يصلح بين الناس اذا وقعت المنازعة بينهم بان يستر سرائر الصاحب ويميز بين الظالم والمظلوم
وينصح الظالم بنصايح بليغة زاجرة له عن الظلم ومنها ان يصل الرحم وان تحاسدوا وافترقوا وتباعدوا ومنها ان
يامر بصلة الارحام اذا وقع التفارق والتباغض بينهم بموعظة حسنة ومنها ان يامر المؤمنين بالتواصل
والتعاون اذا وقع التدابر والتقاطع بينهم ومنها الاصلاح بين القبيلتين اذا وقع التقابل بينهم ومنها الاصلاح
بين المرء وزوجه قوله لان اصلح بين اثنين من شيعتنا منازعة فافقدهما من مالى الطهار الادنى بالاقتدار

لا مفضل خاصة مع احتمال شموله للكل من عنده ما الاثم قوله عن ابى حنيفه سابق الحاج اسمه سعيد بن بيان
الهمدانى ثقه النجاشى وهو ممن روى عن ابى عبد الله عم وورد ذمه فى بعض الروايات والسابق بالباء
الموحدة والختن بالتحريك زوج بنت الرجل وزوج اخته او كل من كان من قبل المرأة كالاب والاخ ونحوه
قوله المصلح ليس بكاذب كما اذا بلغ زيدا وتقول قد سمعت من عمرو وقال فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما
سمعته منه وهذا وان كان كذبا فى اللغة لانه خلاف الواقع وليس فيه تورية الا انه لما كان القصد منه
الاصلاح كان جائزا بل قد يكون واجبا فهو ليس بكذب شرعا والحاصل ان هذا الكلام صلح لا صدق
ولا كذب اصطلاحا وسيجى ان الكلام ثلثه صدق وكذب واصلاح بين الناس والقسم الاخير
وان كان كذبا فى اللغة لكنه ليس بكذب اصطلاحا لان المراد بالكذب فى الشرع ما لا يطابق الواقع ويذم
قايله وهذا لا يذم قايله شرعا فالاولى ان لا يسمى كذبا ولا يطلق الكاذب على المصلح لئلا يتوهم انه مذموم
باب فى احياء المؤمن
قوله من اخرجها من ضلال الى هدى فكانما احياها آه الحيوة الحقيقه عند اهل العرفان هى حيوة النفس
الانسانيه والمراد باحيائها جعلها متصفه بهذه الصفات والاحياء فى الاية وان لم يكن مختصا به لكنه فرد
من افراده تاويلا بل هو من اعظم افراده كما يرشد اليه الحديث الاتى قوله من حرق او غرق آه ذكر من جملة الا
المزيلة للحيوة هذين الامرين على سبيل التمثيل والضلال يشمل الكفر والجهل بالولاية وغيرها من القوانين
الشرعيه والاحكام النبويه قوله وما عليك ان تخلى بين الناس وبين ربهم فمن اراد الله ان يخرجه من ظلمة
باب فى الدعاء للاهل الى الايمان
الى نور اخرجه آه المراد بالظلمة الكفر والضلالة وبالنور الايمان والهداية على سبيل التشبيه والاستعارة ولما
كان الناس فى ذلك العصر معاندين للحق واهله حتى كانوا يقتلونهم لو عرفوا حالهم امرهم اولا الى ترك
دعائهم الى الحق لما فيه من صلاح الفرقة الناجية وصلاح ائمتهم وعلله بان من اراد الله تعم ان يخرجه باللطف
والتوفيق والهداية من الباطل الى الحق اخرجه سواء دعاه اهل الحق ام لا واشار ثانيا الى جواز دعاء من كان قابلا
للخير ومستعد القبول وظن منه ذلك لان فيه امرا بالمعروف مع انتفاء الظن بالضرر وامكان قبوله قوله فقال
نعم ان الله عز وجل يقول فى كتابه يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة دل على
وجوب وقاية الاهل من موجبات النار كما يجب وقاية النفس منها والوقود بالفتح الحطب وفيه اشارة الى القسمين من الحكمة
باب فى ترك دعاء الناس
السياسة البدنيه والسياسة المنزليه وخص الخطاب بالمؤمنين لانهم المنتفعون به قوله اياكم والناس ان الله
عز وجل اذا اراد بعبد خيرا نكت فى قلبه نكته دل على ترك دعوة المخالف والكافر الى الايمان واركانه ولوازمه
والجهاد معهم لان للجهاد شروطا منها قيام الامام او نايبه به وهى مفقودة فى عصرهم وعصرنا هذا الى قيام الصاحب ع

وهذا

١٢٨
وهذا بالنظر الى الشديد المتصلب المنكر للحق او مع قيام التقيه ظ واما المستعد لقبوله مع عدم التقيه فالامر
باظهار الحق عليه راجح كما دل عليه بعض الروايات واوله تعالى اخر العبد اشاره من باب اللطف به والتفضل
عليه فانه عز وجل قد يتفضل عليه ويخرجه من الشقاوة الى السعادة او لعلمه تعم بميله الى الحق واستعداده لقبول
الخير وعلى التقديرين نكت فى قلبه نكتة نورانيه تؤثر فيه فيضطرب من الباطل ويجول ويطلب الحق حتى يستقر
عليه ثم قال للاشارة الى اول مراتب الدعوة واظهار الحق حيث يجوز لو انكم اذا كلمكم الغافلين عن الائمة الطاهرة
او الاثم قلتم ذهبنا حيث ذهب الله اى اخترنا طريقا اختاره الله تعم للوصول اليه والتقرب منه اختار الله
محمدا فاخترناه وقلنا بنبوته واخترنا آل محمد صلى الله عليه وعليهم وفضلناهم على غيرهم ثم اذا قالوا لم اخترتم
ذكرتم البراهين من غير مجادلة وهذا القدر كاف فى دعائهم لان القلوب القابلة المشروحة تقبل ان شاء الله
قوله يا ثابت ما لكم وللناس كفوا عن الناس ولا تدعوا الى امركم آه نهيهم عن مخاصمة الناس فى امر الدين وامر
بكف الناس عن الوقوع فيهم ومناظرتهم وعن دعائهم الى امر الامامة لكون ذلك اصلح للفرقة الناجية
ثم اشار الى ان المجادلة لا يترتب عليها اثر مؤكدا بالقسم وقال لو ان اهل السموات واهل الارضين اجتمعوا
وتظاهروا على ان يهدوا عبدا يريد الله ضلالته اى عذابه وسلوكه فى الاخرة طريق جهنم بسبب كفره وعصيانه
او يعلم ضلالته عن طريق الخير وارادوا ان يوصلوه الى طريق الحق طوعا او كرها ما استطاعوا ان يهدوه لان
ان مراد الله تعم ومعلومه واقعان لا مرد لهما وكذا لو اجتمعوا ان يضلوا عبدا عن طريق الحق يريد الله هدايته
اى اثابته بالجنة او سلوكه فى الاخرة طريقها بسبب الايمان والطاعة او يعلم هدايته وسلوكه طريق الحق
ما استطاعوا ان يضلوه لما مر ثم امر بالكف عن الناس حتى عن الاقارب ودعائهم الى الحق على سبيل التاكيد
دفعا للحمية العصبية وعلل بان الله اذا اراد بعبد خيرا لطفا وتفضلا او بواسطة رجوعه اليه واستعداده
لقبوله طيب روحه عن العقايد الخبيثة وطهره عن الجهل المركب فلا يسمع بعد ذلك معروفا الا عرفه واقر به
ولا منكرا الا انكره وعدل عنه ثم يقذف الله فى قلبه لحسن استعداده كلمة يجمع بها امره وهى امامة امير المؤمنين
واولاده الطاهرين لانهم كلمات الله العليا وآياته الكبرى ويحتمل ان يراد بها ملك موكل بالقلب لتسديده
وان اردت زيادة التوضيح لهذا الحديث وغيره من احاديث هذا الباب فارجع الى ما ذكرنا فى باب الهداية من آخر
كتاب التوحيد قوله يدعو الناس هذا الامر فقال يا فضيل آه كان الفضيل توهم بملاحظة كثرة شيعتهم
انه يجوز لهم دعوة الخلق علانية الى خلافتهم عم وانه يجوز لهم الجهاد لامامته على رؤس الاشهاد فمنعه
لانه لم يكن ذلك الزمان زمانا لظهور دولة الحق واخبره بان الهداية موهبية يدخل فى هذا الامر بدون الدعوة

الظاهرة المنيرة للفتن الموجبة لاستيصال الشيعة من شاء الله كما هو المشاهد فى هذا العصر والمعلوم فى غيره
من الاعصار واعلم ان الانسان مركب من امرين احدهما مايرى وهو هذا البدن والثانى ما لا يرى و
يقال له الروح والنفس الناطقة والقلب وهو حقيقة الانسان عند استكماله وليس من هذا العالم الجسمانى
بل نزل من العالم الروحانى وتعلق بهذا البدن تعلق تصرف وتدبير والبدن وقواه والاكبر وحواسه خدمة
له يحصل له بسببها معرفة صنع الله تعالى وآثاره فى عالم المحسوسات وقرب الحق وصفات الملك اذا طاب
وقهر على خدمته واستعملها فيما هو مطلوب لربه واما اذا خبث بغلبة الخدمة عليه تعد عن ربه وانصف
بصفات الشياطين وانكر المعروف واهله واقر بالمنكر واهله والله سبحانه رقيب شاهد عليه يلقى اليه
المعروف وتوكل عليه ملكا ينبح فيه الخير ويامره به فاذا مال اليه ميلا ما وخطر فيه قوله وعلم الله منه
ذلك طيبه من الرذايل وايده بالنصر والتوفيق وان ادبر ذلك الخير فيأخذ الملك بامر الله يده وعنقه وبصرفه
عن مسالك الباطل الى منبع الخير ومن ولاية الكاذبين الى ولاية الصادقين فيصير قلبه بعد ما كان مغلوبا
ويتوجه الى المعروف ويعرض عن المنكر ويثبت فيه كلمة الحق والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم قوله
اجعلوا امركم لله ولا تجعلوه للناس وما كان للناس فلا يصعد الى السماء اى اجعلوا ايها الفرقة الناجية
امركم فى القول والفعل والعقد خالصا لله ولا تجعلوه للناس طلبا للرياء والسمعة فانه ما كان لله فى الدنيا
فهو لله فى الآخرة ويصعد اليه وما كان للناس فلا يصعد الى السماء كما يصعد اليها ما كان لله ولا تخاصموا
بدينكم الناس فان المخاصمة ممرضة للقلب فان كل واحد من المتخاصمين يلقى شبهة على صاحبه و الشبهة
مرض القلب وهلاكه ولانكم لا تقدرون على هدايتهم ان اراد الله ثم ضلالتهم كيف ان الله عز وجل قال لنبيه
انك لا تهدى من احببت اى لا توصلوا الى المطلوب ولا تعينه باللطف والتوفيق ولكن الله يهدى من يشاء
فاذا لم يكن النبى قادرا على هدايتهم فانتم اولى بعدم القدرة عليها وقال ايضا لنبيه افانت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين انكر الله تعالى اكراه نبيه واجباره اياهم على الايمان تحقيقا لمعنى التكليف والثواب والجزاء وتنبيها
على عدم قدرته عليهم فانتم اولى بذلك فلا تتعرضوا لهم ذروا الناس واتركوهم بحالهم ولا تقصدوا
مخالطتهم فى دينهم فان الناس اخذوا دينهم عن الناس بما تقتضيه ارادتهم الفاسدة وانكم اخذتم دينكم
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن على عليه السلام ولا سواء بينهما وبينهم ولا بينكم وبينهم لانكم حزب الله وهم حزب الشيطان
فليس فى تركهم مضرة لكم ولا فى مخالطتهم منفعة لكم ثم اشار الى ان من كتب ايمانه فى علم التقدير وكان
مؤمنا فى علم الله فهو يؤمن دعى ام لم يدع بقوله انى سمعت ابى يقول ان الله عز وجل اذا كتب على عبد

ان

١٢٩

ان يدخل فى هذا الامر كان اسرع اليه من الطير الى وكره وهو بفتح الواو وسكون الكاف عش الطاير و
موضعه الذى يبنيه من دقاق العيدان ونحوها للفرخ قوله ان الله عز وجل خلق قوما للحق فاذا مر بهم
الباب من الحق قبلته قلوبهم آه قبول الحق والباطل وانكارهما ليسا باعتبار انه خلقهم على ذلك بل باعتبار
انهم كانوا كذلك فخلقهم لذلك كما اشرنا اليه سابقا فلا يلزم الجبر فتامل قوله ان الله عز وجل اذا اراد بعبد
خيرا نكت فى قلبه نكتة من نور آه يعنى اذا اراد الله بعبد خيرا لصفاء قلبه وميله اليها وعلم منه ذلك نكت
فى قلبه نكتة من نور العلم والايمان او اللطف والتوفيق والفيض وهى هدايته الخاصة فاضاءت لاجل
تلك النكتة النورانية سمعه وقلبه وساير اعضائه فيهتدى كل عضو الى ما هو مطلوب منه ويتوجه اليه
ويعرض عن غيره حتى يكون حرصه على الايمان والولاية اشد من حرصكم عليهما اكثر زيادة حرص الجوعان
فى الطعام على حرص الشبعان واذا اراد بعبد سوء لميله الى الباطل وابطاله لاستعداده الفطرى نكت فى
قلبه نكتة سوداء هى نكتة الجهل والكفر والخذلان الذى هو سلب اللطف والتوفيق فاظلم لها سمعه و قلبه
وساير اعضائه فيهتدى فلا يسمع للحق ولا يعقل الخير وهو الختم المانع من ادراك الخير ثم تلا هذه
الآية استشهادا لما ذكر فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام اى فمن يرد الله ان يهديه الى
طريق الجنة فى الآخرة والى الخيرات فى الدنيا لميلها اليها فيشرح صدره للاسلام ويوسعه لقبول الحقايق
ومعارفه حتى يتاكد عزمه عليها ويقوى الداعى على التمسك بها وذلك لطف من الله تعالى عليه ومن يرد
ان يضله عن طريق الجنة الى طريق النار وعن سبيل الخيرات الى الشرور لابطاله استعداده الفطرى
بسلب لطفه عنه يجعل صدره ضيقا حرجا لانقباضه بقبض الكفر والعصيان وتقييد بقيد الظلمة
والطغيان فهو فى قبول الايمان ولوازمه كانما يصعد فى السماء فيمتنع دخول الايمان فى قلبه كما
يمتنع الصعود فى السماء قوله اذا اراد الله بعبد خيرا نكت فى قلبه نكتة بيضاء وفتح مسامع قلبه آه اذا
اراد الله بعبد خيرا وهو الاحسان اليه فى الآخرة بدخول الجنة وفى الدنيا بالهدايات الخاصة مثل
اللطف والتوفيق ونحوهما بسبب ميله الى الخيرات واختياره سبيلها نكت فى قلبه نكتة بيضاء نورانية
من هداياته الخاصة وفتح مسامع قلبه وابواب الحق فيدخل فيه الانوار الربانية والمعارف الايمانية
ووكل به ملكا يسدده بالهام الحق ونفخ الصواب فيستضئ جميع جوارحه ويهتدى كل الى العلم
وذلك المسدد يدعى لمة الملك واذا اراد بعبد سوء وهو تعذيبه بالنار وسلب اللطف والتوفيق
عنه بسبب ميله الى الشرور وسلوك سبيلها نكت فى قلبه نكتة سوداء ظلمانية وسلب اللطف عنه

باب ان الله يعطي الدين مراجعة

وسدّ مسامع قلبه التي بها يسمع كلمات الحق وهو الختم ووكل به شيطانا يضله عن سبيل الحق ويلبس عليه الباطل
وتركه معه وخلى بينه وبين اضلاله وهذا الاضلال يسمى لمة الشيطان وقد نقلنا سابقا من طريق العامة
ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد
بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ من الشيطان الرجيم قوله ان الله
يعطي الدنيا من يحب ويبغض ولا يعطي هذا الامر الا من صفوته من خلقه المحبوب يجعل الدنيا وسيلة الى الاخرة
ويتزود منها لها والمبغوض قلبه متعلق بالدنيا معرض للاخرة وما له في الاخرة من خلاق ومفعول يحب ويبغض
محذوف عايد الى الموصول وفاعلهما عايد الى الله او بالعكس ومعنى محبة الله للعبد كشف الحجاب عن قلبه وتمكينه
على ان يطأ بساط قربه وعلامة محبته له توفيقه للتجافي عن دار الغرور والترقي الى عالم النور والانس بالله والوحشة
مما سواه قال بعض العارفين اذا اردت ان تعرف مقامك فانظر فيما اقامك ومعنى بغضه له وعلامته ضد ذلك
ومعنى محبة العبد له راجع الى دوام الذكر والطاعة والانقياد له وبغضه له ضد ذلك كما صرح به بعض علمائنا
وعلماء العامة وصفوة الشيء بالفتح لا غير خالصه والصفوة بالحاء مثله الا انه يجوز في الصاد الحركات الثلث

باب سلامة الدين

قوله ولا يعطي دينه الا من يحب اريد بالدين الايمان الذي لا يتحقق الا بالولاية وهذا الحديث ونظيره في
اللفظ جزو في المعنى امر بطلب الدين وحث على الغبطة باهله لا باهل الدنيا قوله في قول الله عز وجل فوقيه
الله سيئات ما مكروا اي شدايد مكرهم وخدعهم والضمير في وقيه راجع الى مؤمن آل فرعون وفي تفسير النيسابوري
الاصح انه كان قبطيا ابن عم لفرعون واسمه سمعان او حبيب او حزبيل وقيل كان اسرائيليا وقيل الضمير راجع
الى موسى عم ويرده قوله عم اما لقد سطوا عليه وقتلوه لانهم لم يقتلوا موسى عم كما يرده قول من قال من المفسرين
انهم لم يقتلوا مؤمن آل فرعون وانه هرب منهم الى الجبل فلم يقدروا عليه والقسط بالفتح والكسر والقسوط
بالضم الجور يقال قسط قسطا وقسوطا من باب ضرب جار وعدل عن الحق قوله اعلموا ان القرآن هدى الليل
والنهار ترغيب في تلاوته فيهما واقتباس العلوم والاحكام والاخلاق منه لانه يهدي الى جميع المقاصد
ونور الليل المظلم على ما كان من جهد وفاقة يمكن ان يراد بالليل المظلم القلب الجاهل او المتكدر بظلمة الجهد و
الفاقة لان القرآن نوره والناظر اليه المتدبر بما فيه من الاسرار والاخلاق والنصايح والمواعظ يعلم
كيفية التخلص منها فاذا حضرت بلية يمكن دفعها بالاموال فاجعلوا اموالكم دون انفسكم وفداء لها لئلا
يفوت عنكم النفس والمال جميعا واذا نزلت بكم نازلة توجب فساد الدين لو اخترتم حيوة النفس فاجعلوا
انفسكم دون دينكم وفداء له واختاروا البقاء على الدين والاعتقاد به واذا اوجب ذلك القتل وفي جعل المال

فداء

فداء النفس وجعل النفس فداء للدين ايماء الى ترجيح طلب الدين على طلب المال كيف لا والمال ينفع في الدنيا
والدين ينفع في الاخرة والفضل بينهما كالفضل بين الدنيا والاخرة ثم اشار الى ان الهلاك منحصر في هلاك
الدين ترغيبا في تحصيله والثبات عليه بقوله واعلموا ان الهالك من هلك دينه اشار بقوله بالمرة وعدم
رعاية ما فيه من الاوامر والنواهي وغيرها والحريب من حرب دينه في المصباح حرب حربا من باب تعب
اخذ جميع ماله فهو حريب وحرب البناء للمفعول كذلك فهو محروب وفي القاموس حربه حربا
كطلبه طلبا سلب ماله فهو محروب وحريب والجمع حربى وحرباء وحريبته ماله الذي سلبه او ماله
الذي يعيش به الا وانه لا فقر بعد الجنة ولا غنى بعد النار اي لا فقر بعد فعل ما يوجب الجنة فان فاعله
غني ولا غنى بعد ما يوجب النار فان فاعله فقير ونظيره ما روي عنه عم قال الفقر والغنى بعد
العرض وامثاله من الروايات كثيرة ثم اشار الى دوام عذاب النار تحذيرا بقوله لا يفك اسيرها ولا ١٢٠
يبرأ ضريرها اسيرها اسير الشهوات كما روى حفت النار بالشهوات او الداخل فيها المقيد بسلاسلها
وضريرها من يحجب بصيرته وسلك سبيلها ولا يرى سبيل النجاة منها قوله سلامة الدين وصحة
البدن خير من المال اما سلامة الدين فظاهرة لان زواله وفساده يوجب المشقة الاخروية الابدية
وعدم المال يوجب المشقة الدنيوية الزايلة واما صحة البدن فلانها تنفع بدون المال والمال لا ينفع
بدونها وايضا الغرض من المال حفظ البدن وتدبير صحته وغاية الشيء خير منه ويمكن ان يراد بصحة البدن
صحته عن امراض الاعمال القبيحة وفيه ترغيب للمؤمن المسكين في الرضا عن الله بهاتين النعمتين والحمد له عليهما
واشار بقوله والمال زينة من زينة الدنيا حسنة الى وجه التفضيل والى ان المراد بالمال المال الصالح
وهو وان كان زينة كما قال الله عز وجل المال والبنون زينة الحيوة الدنيا لكنه يزول سريعا والزايل لا اعتبار
به قوله نعير زمانا لا نحج غير شهور ما مكث فدخل عليه بعض معارفه معارف الرجل اصحابه او واحد
فقال ابو عبد الله عم ما اراد لبعض معارفه ما فعل فلان ولم تقاعد عن الحج فقال بعض اصحاب يونس فجعل
بعض المعارف يفصح الكلام اي يعتذر فيه وفي اداء المقصد صريحا من فصح في الامر تفصيحا اذا وهن فيه وقصر
يظن انما يعني الميسرة والدنيا يعني تقاعده عن الحج لفقدهما فقال ابو عبد الله عم كيف دينه فقال كما تحب فقال
هو والله الغني تعريف الخبر باللام المفيد للحصر وتأكيده بالقسم للتنبيه على ان الغني هو الغني الاخروي الحاصل
بسلامة الدين واستقامته لا ما هو المعروف عند ابناء الدنيا ورب فقير عندهم غني عند الله والعكس
وقد روي عنه عم انه قال الفقر الموت الاحمر فقيل له الفقر من الدينار والدرهم فقال لا ولكن من الدين قوله

باب التقية

بما صبروا على التقيه آه لعل احد الاجرين السلامة فى الدنيا والاخر الثواب فى الاخرة او احدهما للعمل بالتقيه
ظاهرا والاخر للاعتقاد بالحق باطنا وتفسير الحسنة هنا بالتقيه والسيئة بالاذاعة اى اذاعة الحديث
وغيره من الحقوق اذا ظن لحوق الضرر باهل الحق لا ينافى تفسيرها بالعفو والاخذ لان ايات القران
يتضمن معانى كثيرة لا تحصى ولا يعلمها الا اهل العصمة عليهم السلام قوله ان تسعة اعشار الدين فى التقية
لقلة الحق واهله وكثرة الباطل واهله حتى ان الحق عشر والباطل تسعة اعشار ولا بد لاهل الحق من
الاشارة مع اهل الباطل فيها حال ظهور دولتهم ليسلموا لا تحصى من بطشهم ولعل المراد بقوله ولا دين لمن
لا تقيه له نفى الكمال لدلالة بعض الروايات على ان المواخذ بترك التقية لا يخرج من الايمان وان ثوابه
انقص من ثواب العامل بها او وجوب التقيه والاثم بتركها لا ينافى اصل الايمان وانما ينافى كماله قوله
والتقية فى كل شئ الا فى النبيذ ومسح الخفين الى ان التقية غير مختصة بالاحكام والاعمال الدينية
بل يكون فى الافعال العرفية ايضا مثل المخالطة بهم وعيادة مرضاهم ونحوهما واما عدم التقية فى شرب
النبيذ ومسح الخفين فقال الشهيد فى الذكرى لعدم وقوع الانكار فيهما من العامة غالبا لان اكثرهم
يحرمون المسكر ولا ينكرون خلع الخف وغسل الرجلين بل الغسل اولى منه واذا قدر خوف ضرر نادرا
جازت التقيه وقال الشيخ لا تقية فيهما لاجل مشقة يسيرة لا تبلغ الى الخوف على النفس والمال وان بلغت
احدهما جازت ويقرب منه قول من قال لا يبتغى الاتقاء فيهما وان حصل ضرر عظيم ما لم يؤد الى الهلاك
وقيل عدم الاتقاء مختص بالمعصوم عليه السلام باعتبار ان الاتقاء لا ينفعه لكون الحكم فيهما معروفا من مذهبه قوله
التقيه من دين الله قلت من دين الله قال اى والله من دين الله اى من دين الله الذى امر عباده بالتمسك به
لان اكثر الخلق فى كل عصر لما كانوا من اهل البدع قرر الله التقيه فى الافعال والاقوال والسكوت عن الحق
لخلص عباده حفظا لنفوسهم ودمائهم واعراضهم واموالهم وسبى ذراريهم وابقاء لدينه الحق ولولا التقيه
بطل دينه بالكلية وانقرض اهله لاستيلاء اهل الجور فالتقيه فايدتها يوجب بقاء دين الحق وحفظ اهله
فى مطويه بالعرض واهلها يقولون ما لا يعتقدون فيسبون مثلا امير المومنين عليه السلام ويعتقدون
خلافه ويغسلون ارجلهم ويعتقدون ان حكمها هو المسح ولا تقية فى العقايد الحقه باعتقاد خلافها
لان العقايد من الاسرار التى لا يعلمها الا علام الغيوب واستشهد لجواز وقوع التقيه بالاية فقال
ولقد قال يوسف ايتها العير انكم لسارقون والله ما كانوا سرقوا شيئا نسب القول الى يوسف باعتبار
انه امر به والفعل ينسب الى الامر كما ينسب الى الفاعل والعير بالكسر القافلة مؤنثه وهذا القول مع انهم لم يسرقوا

السقاية

السقاية ليس بكذب لانه صدر لمصلحة يعلمها هو وقد قيل ان المصلحة هى حبس اخيه عنده بامر الله ثم لغرض من
الاغراض الصحيحة ويحتمل ان يكون الطلاق السارق عليهم من باب التشبيه فى مجرد اذهاب مال الغير او فى مجرد
الصورة ثم بعد ظهور السقاية عندهم كصورة السارق وحاله ولذا قالوا ان سرق فقد سرق اخ له من
قبل مع ما فيه من تنبيههم بعد علمهم بالقصة على ان ما زعموه من سرقة يوسف مثل هذه فكما لم يكن هذه
سرقة عندهم وفى الواقع فكذلك ما زعموه او من باب التورية والمعاريض والمقصود انكم لسارقون يوسف من
ابيه كما قيل وان كان بعيدا لفظا ومعنى ولعل الاستشهاد وبهذه الاية على التقيه هو ان التقية وهى القول
خلاف الواقع لغرض من الاغراض الصحيحة جائزة كما فى هذه الاية ولقد قال ابرهيم انى سقيم والله ما كان سقيما
هذا القول مع عدم سقمه ليس بكذب لانه اراد من باب التورية سقمه بحزن القلب وهم من عناد القوم
وعبادتهم للاصنام او مما علمه بالنظر الى النجوم من قتل الحسين عليه السلام كما روى او اراد انه سيصير سقيما كما قيل
ولعل الاستشهاد به على التقيه انه كان مبغضا ومخالفا لهم وكارها للخروج معهم ولم يظهر ذلك عليهم خوفا
وتقية وتمسك فى مفارقتهم بما ذكر والله يعلم قوله لا والله ما على وجه الارض شئ احب الى من التقيه
لان بالتقيه يعبد الرحمن ويبقى على وجه الارض اهل الايمان يا حبيب انه من كانت تقية رفعه الله
فى الدنيا بعلمه وبقائه وبقاء اهله وعشيرته وامامه ومجاهدته مع اعداء الحق وغلبته عليهم وعدم
ذله بالضرب والقتل والنهب والسبى لان التقيه باب من ابواب المجاهدة وجنة فى دفع شرهم وفى الاخرة
بالاجر الجميل والثواب الجزيل لابقاء نفسه ودينه وغيرهما تلك الحيلة يا حبيب ان الناس انما هم فى هدنة
فلو قد كان ذلك كان هذا لعل المراد بالناس الفرقة الناجية والهدنة بالضم الاسم من هدن اذا صلح
وبالفارسية آشتى والمقصود ان الفرقة الناجية فى عصر سبق لهم الهدنة والمماشاة والتقيه مع اهل زمانهم فمتى
كانت هدنة كانت لهم تقيه واذا زالت الهدنة بخروج القائم عليه السلام وظهور دولة الحق زالت التقيه قوله لا تكلموا
بالسنتكم ولا يحلوكم فى السر والعلانيه اى لا تدعوكم فالاكل مستعار للايذاء وسابوكم وحسبوكم يقال تخلواها
اذا سابه وحصمه قوله لا يستوى الحسنة ولا السيئة فى اللفظ اخبار بعدم المساواة بينهما وفى المعنى امر بتقديم
الحسنة على السيئة وفسرهما بالتقية والاذاعة لانهما من اعظم افرادهما قال التى هى احسن التقيه والسيئة هذا
التفسير اما الاذاعة او الضرر الحاصل على تقدير ترك التقيه وتفسيرهما بالتقية بناء على ان التقية من افرادها
فلا ينافى تفسيرها سابقا بالعفو عن مواخذة المسئ قوله او افتيك بفتيا افتاه فى الامر ابانه له والفتيا والفتوى
ونفع ما افتى به التقيه قلت ما حدثهما ودع الاخر فقال قد اصبت الاخذ بالاحدث متعين لان الاول كان

نقية فالاحدث رافع لها وحكم بحسب الواقع وان كان حكما فى الواقع فالاحدث نقية والعمل بها عند الحاجة
متعين وبالجملة الاحدث اصلح للمخاطب فالاخذ به متعين ما امر وابى الله الا ان نعبد سرا الى الله
فى دولة الباطل ان نعبد الان نعبد سرا والعبادة فى السر هى الاعتقاد بالحق قلبا واما الظلم فهو يخالفه
كثيرا بالتقية وهى وان كانت عبادة لكنها عبادة بالعرض كما مر قوله ما بلغت تقية احد تقية اصحاب الكهف
اى ما بلغت فى الامم السابقة او فى هذه الامة ايض لان اعظم التقية فى هذه الامة مع اهل الاسلام
فى كثير من الاحكام ولا تبلغ التقية منهم الى الحد اظهار الشرك والزنا بربح الزنار وزان النفاح وهو ما
على وسط النصارى والمجوس وتربوا الشد والزنار على وسطهم قوله انما قال انكم ستدعون الى سبى
فيه علم منه بالمغيبات فانه اخبر بما سيقع وقد وقع لان بنى امية لعنهم الله امروا الناس بسبه عم وكتبوا
الى عمالهم فى البلاد ان يامروهم بذلك وقد شاع ذلك حتى انهم سبوه فى روس المنابر روى مسلم باسناده
عن ابى حازم عن سهل بن سعد قال استعمل على المدينة رجل من آل مروان فدعا سهل بن سعد فامره ان
يشتم عليا قال فابى سهل قال فقال له اما اذا ابيت فقل لعن الله ابا تراب فقال سهل ما كان لعلى عم اسم
احب اليه من ابى تراب وانه كان ليفرح اذا دعى به وعن عامر بن سعد بن ابى وقاص عن ابيه قال امر
معوية بن ابى سفيان سعدا فقال ما منعك ان تسب ابا تراب فقرا عليه آية المباهلة وحديث انت منى
بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى وحديث الراية ثم ستدعون الى البراءة منى وانى لعلى دين محمد
ولم يقل ولا تبروا انى اخبر عم بان دينه دين محمد صم فلا ينبغى البراءة منه باطنا ولم ينهاهم عن البراءة منه ظاهرا
عند الحاجة لحفظ النفس فكما يجوز السب عند الضرورة كذلك يجوز البراءة عندها قوله وما له الا
ما مضى عليه عمار بن ياسر حيث اكرهه اهل مكة وقلبه مطمئن بالايمان نقلوا ان قريشا اكرهوا و
ابويه ياسرا وسمية على الارتداد فلم يقبل ابواه فقتلوهما واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل
يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملى ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه
فاتى رسول الله صم عمارا وهو يبكى فجعل رسول الله صم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا فعد لهم
بما قلت والتقية عندنا واجبة والمخالفون قالوا تركها افضل اعزازا للدين قوله اياكم ان تعملوا عملا نعير
فان ولد السوء يعير والده بعمله العمل يشمل الدينى والعرفى وترك التقية فى الاول يوجب القتل ونحوه غالبا
وفى الثانى يوجب التعيير واللوم وفيه دلالة على ان المعلم الربانى والد روحانى للمتعلم وان السيئ للفعل
بمنزلة فاعله ولذا ينبغى رعاية حقوق المخالفين وحسن صحبتهم تقية اذا كان تركها موجبا لتعييرهم للمعلم

الزيان

الربانى بانه معلم سوء وذلك نقص لهم بحسب العرف ولعل قوله ولا تسبقوكم الى شئ من الخير يعنى النهى
اى لا يغلبوكم على فعل شئ من الخير فانكم اولى بالخير منهم لانكم اهل الخير وهو ينفعكم والخباء الاخفاء و
الستر يقول لخبات الشئ خباء من باب منع اخفيته وسترته والمراد به هنا التقية لان فيها اخفاء
الحق واستاره قوله سالت ابا الحسن عم عن القيام للولاة آه اى القيام لولاة الجور تواضعا لهم ويفهم جواز
القيام للصلحاء وعدم جوازه للاشقياء الا للتقية قوله التقية فى كل ضرورة وان لم يكن من الامور التى فيه
وان كانت من اهل الايمان قوله فاذا بلغ الدم فليس تقية فلا يجوز لاحد قتل المعصوم الدم تقية لحفظ
نفسه من القتل قوله كلما تقارب هذا الامر كان اشد للتقية لعل المراد ان التقية فى اخر الزمان قريبا من
ظهور القائم عم اشد لكثرة الفسوق والظلم فيه وقلة اهل الصلاح وضعفهم عن اجراء الاحكام وعلى ذلك روايات
اخر قوله خالطوهم بالبرانية وخالفوهم بالجوانية اذا كانت الامرة صبيانية البرانية العلانية من البر وهو
الصحراء والالف والنون من زيادات النسب والجوانية السر من الجو وهو داخل البيت ونحوه والامرة بالكسر
الامارة ولعل المراد بكونها صبيانية مثل صاحبها الى اللغو والباطل والفتنة كاسراء الجور وفيه حث على
التقية والاخذ بها الى زمان ظهور القائم عم قوله اما الذى برئ فرجل فقيه فى دينه واما الذى لم يبرأ
فرجل تعجل الى الجنة فى وصف العامل بالتقية بانه فقيه فى دينه دلالة واضحة على انه افضل واجره اكمل
لان الفقهاء ورثة الانبياء فتفضله على غيره كتفضل الانبياء ويؤيده ما رواه ابو عبيدة عن ابى جعفر عليه السلم
قال قال ما تقول لو اقتنا رجلا من يتولانا ابتى من التقية قال قلت له انت اعلم جعلت فداك قال ان
اخذ به فهو خير له واعظم اجرا واما التارك للتقية فهو يدخل الجنة وان كان آثما لهذا الخبر ولما روى
انه ان اخذ بها اوجر وان تركها اثم ولا منافاة بين الاثم ودخول الجنة على انه يمكن ان يراد بالاثم قلة
الاجر بالنسبة الى الاخذ بها وفى الرواية التى نقلناها اشعار به والله يعلم قوله احذروا عواقب العثرات
العثرات الزلات ومنها ترك التقية والامر بالحذر من عاقبته التى هى المواخذة به امر بالاخذ بها
لان ترك سبب المواخذة سبب لعدم المواخذة وهو مطلوب شرعا وعقلا قوله وان العبد ليقع اليه
الحديث من حديثنا فيدين الله عز وجل به فيكون له ذلا فى الدنيا وينزع الله عز وجل ذلك النور منه ذلا بالقتل
والضرب ونحوهما والمراد بذلك النور النور الذى نشأ من كتمان الحديث والعمل بالتقية ولا ينافى ذلك ثبوت
نور الايمان وغيره له وهو يدخل بذلك الجنة ويفهم منه انه اقل اجرا من العامل بالتقية كما مر قوله وددت
والله انى افتديت خصلتين فى الشيعة لنا ببعض لحم ساعدى النزق وقلة الكتمان افتدى به اعطاه شيئا فانقذه

وذلك الشي المعطى الغدا او برق كسيح وضرب طاش وخفت وكتم السر والحديث اذا اخفاهما ولما كانت
التقية شديدة في عصرهم عليهم السلم امروا شيعتهم بكتمان اسرارهم وامامتهم واحاديثهم واحكامهم المختصة
بمذهبهم عن المخالفين وغيرهم ممن لا يعرفونه ليحفظوا من بطشهم وقد بالغ عم في ذلك ورغب فيه حتى انه
عد ضررهم اشد من قطع لحم الساعد مع انه يعمل غالبا قوله الصبر والكتمان اى الصبر عن اذى الاعداء او
الاعم منه وكتمان الدين عن غير اهله وفيه ترغيب في الاخذ بهما لانه سبب عظيم لحفظ الدين واهله
قوله يا سليمان انكم على دين من كتمه اعزه الله ومن اذاعه اذله الله تنكير دين للتعظيم لانه عظيم في الواقع وعند
اهله او للتحقير باعتبار انه حقير عند الناس والمراد ان من كتمه وصانه من غير اهله ومن لا يعرف حاله
اعزه الله تعم في الدنيا والاخرة ومن اذاعه وافشاه اذله تعالى فيهما بالاخذ والعقوبة وهو اما دعاء
او خبر واما من عرف حاله وامانته وحفظه للسر فلا يجب الكتمان منه كما يدل عليه ما يجيء من خبر
عبد الاعلى عن ابي عبد الله عم ويدل عليه ايضا قول امير المؤمنين عم والطمانينة الى كل احد قبل الاختبار
عجز اراد عم النهي عن طمانينة الشخص الى الآخر والاعتماد عليه قبل الاختبار ولظهار السر عنده لان الاخلاق
الذميمة من الحسد والكفر واعتقاد خلاف الحق وغيرها غالبة في اكثر الناس ونقل عنه عم * لا تودع السر الا عند
ذي كرم * والسر عند كرام الناس مكتوم * والسر عندي في بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والباب مختوم *
قوله ليعود شديدكم ضعيفكم بالاغاثة والاعانة ودفع الظلم وليعد غنيكم على فقيركم عاد بمعروفه من باب نصر
قال الفضل والاسم العائدة وهي المعروف والصلة والعطف والمنفعة ولا تبثوا سرنا وهو الاحكام المخالفة
لمذهب العامة ونحوها ولا تذيعوا امرنا وهو امر الامامة والخلافة وغيرها من صفات كمالهم واثار جلالهم
واذاعتها كانت موجبة لاذيتهم وقتلهم وقتل شيعتهم اذ كانوا في زمان شديد وكان الناس يفتشون احوالهم
ويقتلون اشياعهم واتباعهم ومن دان بسيرتهم بل كثيرا ما كانوا بصفة المنافقين يظهرون الانقياد
والتسليم ويخفون خباثة قلوبهم ويمشون مع اهل الحق ظاهرا ليأخذوا منهم الاسرار وينقلوها الى الاشرار
كما سيظهر ذلك لمن نظر في كتب السير والاخبار فلذلك بالغوا عليهم السلم في كتمان السر والايمان عن اهل
البغي والعدوان واما اظهاره عند الامناء واهل التسليم فامر مطلوب لئلا يندرس الدين بمرور الازمنة
والايام ويبقى آثاره الى ظهور الامام عم قوله والا فقفوا عنده ثم ردوه الينا اى لا تنكروه ولا تردوه لعله
صدر منا ونزل من الله على نبيه فيخرجكم انكاره الى الكفر هذا اذا لم يعلم اصول مذهبهم عليهم السلام ولم يعلم
وجه صحته ولا وجه فساده كما يرشد اليه قول ابي عبد الله عم انما الامور ثلثة امر بين رشده فيتبع وامر بين غيه

فيجتنب

فيجتنب وامر مشكل يرد علمه الى الله والى رسوله صلعم ومن ادرك قائمنا فخرج معه فقتل عدونا كان له مثل
اجر عشرين شهيدا دل على ان ضرر المخالفين من هذه الامة وانهم اعظم من ضرر المنكرين لمحمد صلعم وانهم
الاشرى ان ضرر العدو الداخل اعظم من الضرر العدو الخارجي قوله من احتمال الامر باستره وصيانته
من غير اهله وهو الذي علم انكاره او جهل حاله مع احتمال عدم قبوله لهذا الامر وبهذا الخبر يجمع بين الروايات
المختلفة فما دل على الكتمان يحمل على الكتمان من غير اهله وما دل على الاعلان يحمل على الاعلان باهله
ثم اشار الى ان الكتمان انما هو مطلوب في الامور المنكرة عند اهل الخلاف دون المعروف فقال يقول حدثوهم
بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون وذلك ان الامور الدينية والاحكام الشرعية بعضها مشترك بين
الفريقين وبعضها مختص بالفرقة الناجية وهم يعرفونها دون غيرهم فامرهم بتحديث الاول ليستتر علم الذي من
واستار الثاني تحفظا عن ضرر المعاندين ثم اشار عم الى شرف نسب النبي والعلم المختص به فيما يقول انا
يقول وانا امرء من قريش قد ولدني رسول الله صلعم وعلمت كتاب الله قد ذكرنا في باب تاريخ مولد النبي صلعم ان
قريشا من ابن نضر ووجه التسمية ان سائر العرب ليسوا اكفوا القريش وفيه دلالة على ان ابن بنت الرجل ابن
له حقيقة كما في قوله صلى الله عليه وآله عن الحسنين عليهما السلام هذان ابناي اماما ان لان الاصل
الاطلاق الحقيقة وهو مذهب بعض اصحابنا وقال بعض الاصحاب انه ابن مجازا لان الاستعمال اللغة والولد
عن الكاظم عم وهو عم علم جميع ما في كتاب الله تعم بتأييد رباني والهام لدني وتعليم ابوي واعلام نبوي
وفيه تبيان كل شيء تبيان بالكسر والفتح شاذ مصدر الثلاثي المجرد يعني واضح كردن وبيدا واشكار كردن
كما بدو الخلق وامر السماء وامر الارض وامر الاولين وامر الآخرين وامر ما كان وامر ما يكون البدو
بالفتح والسكون الابتدا يعني آغاز كردن واول آفريدن واول كارى كردن وهو وما عطف عليه بدل
او بيان لكل شيء او مبتداء آخر بترك العاطف اى فيه ابتداء كل خلق وكيفية ايجاده من الملائكة المقربين
والمجردات الروحانيين والسموات والارضين والجن والناس اجمعين وكل ما كان وما يكون الى
يوم الدين من الحوادث اليومية والوقايع الجزئية والآثار العلوية والسفلية وكل ما يجري في هذا العالم كاني
انظر الى ذلك نصب عيني تاكيد لقوله وعلمت كتاب الله وتعبير له بتشبيه الادراك العقلي بالادراك
الحسي لزيادة الايضاح وفيه تنبيه على وجوب رجوع الخلق اليه في جميع الامور وقد مر مثل ذلك في اخر
باب الرد الى الكتاب والسنة قوله ما زال سرنا مكتوما حتى صار في ولد كيسان فحدثوا به في الطريق و
قرى السواد كناية عن تشهيره بين الخلايق وكيسان لقب مختار بن ابي عبيد المنسوب اليه الكيسانية

قوله وجعل ظلمة تعوده الى النار اذاعة امرهم وعدم كتمانه من الخصال الذميمه وكل خصلة ذميمة ظلمة تظلم بها مرآة القلب وتظهر هذه الظلمة فى الآخرة لان الآخرة محل بروز السراير وتة ونصاحبها الى النار كما ان خصال الخير نور تعود صاحبه الى الجنة قوله يا معلى ان التقية من دينى ودين آبائى وهى ما يقى صاحبه عن اللائمة والعقوبة من دين الله الى يوم القيمة ومن صفات اهل الايمان ان يعلم حقيقتها وحقيقته او موارد الحاجة اليها فيقول ويعمل عند الحاجة بخلاف ما يعتقد حفظا لنفسه وماله وغيره من المومنين عن الضرر قوله احسنت اما سمعت قول الشاعر آه احسنت للتوبيخ والتقريع كما دل عليه ما بعده قوله لو اعطيناكم كلما تريدون كان شرا لكم واخذ برقبه صاحب هذا الامر الظاهر ان اخذ بصيغة المجهول عطف على كان ويحتمل ان يقرأ آخذ على صيغة التفضيل عطفا على شرا اى اشد مواخذة قوله قال ابو جعفر عم ولاية الله اسرها الى جبرئيل الظاهر انه من كلام ابى الحسن الرضا نقلا عنه عليهما السلام ويحتمل ان يكون من المصنف نقلا لحديث آخر بحذف الاسناد والموصول فى قوله واسرها الى من شاء الله او لاده الطاهرين واهل السر من المومنين وقوله ثم انتم تذيعون ذلك اخبار لفظا ومعنى والغرض منه ذمهم للاذاعه وحمله على الانكار بعيد والاستفهام فى قوله من الذى امسك حرفا سمعه للانكار اى لم يوجد احد امسك كلاما سمعه وفيه تنبيه على ان الناس كلهم من اهل الاذاعة وانه لابد من اخفاء السر عنهم قوله ينبغى للمسلم ان يكون مالكا لنفسه فيبعثها الى ما ينبغى ويمنعها عما لا ينبغى ومنه اظهار السر مقبلا على شانه فيتفكر فيما ينفعه وما يضره ليمكن له طلب الاول وترك الثانى وفيهما اشارة الى رعاية السياسة البدنيه والحكم المتعلقه بنفس كل احد عارفا باهل زمانه فيعرف حال كل شخص بحسن فراسته ويعلم وصف كل احد بنور درايته ويميز بين اهل الديانة واهل الخيانة ويعرف بين صاحب السر والكتمان والايمان وبين اهل الاذاعة والغدر والعدوان فاتقوا الله ولا تذيعوا حديثنا اى لا تذيعوا حديثنا احد ينافى الولاية والامور المختصة بين من يتصور منهم الضرر اما الاذاعة للامور المشتركة او المختصة بين من يقبلها ويكتمها من غير اهلها فقد مر انه لا منع فيها فلولا ان الله يدفع عن اوليائه وينتقم لاوليائه من اعدائه كان جواب لولا محذوف بقرينة المقام والدفع على غير ترتيب اللف بقوله اما رايت ما صنع الله بآل برمك وما انتقم الله لابى الحسن عم دعا ابو الحسن الرضا عليه السلام على ال عداوتهم وشدة عتوهم فاجاب الله تعالى دعاءه وانتقم منهم كما هو المشهور وقد كانوا بنو الاشعث اشعث بن قيس الكندى ساكن الكوفة ارتد بعد النبى صلعم فى ردة اهل ياسر وزوجه

ابوبكر اخته ام فروة وكانت عوراء فولدت له محمد وكان من اصحاب على عليه السلم ثم صار خارجيا بعد شديد العداوة لاهل البيت عليهم السلم على خطر عظيم من سلطان عصرهم فدفع الله عنهم شرهم ولا لابى الحسن عم كما هو المعروف فى السير وانتم بالعراق ترون اعمال هذه الفراعنه وما امهل الله لهم العراق بالكسر يذكر ويونث وهو اقليم محدود من عبادان الى موصل طولا ومن القادسية الى حلوان عرضا ووجه التسميه مذكور فى القاموس وغيره والعراقان البصرة والكوفة والفراعنة جمع الفرعون وهو كل متمرد عات والفرعنه الدهاء والنكر وفى المصباح هو فعلون اعجمى والمراد باعمالهم قتلهم العلماء والصلحاء واهل الدين والايمان ونهبهم اموال الناس وغير ذلك من اعمالهم القبيحه وافعالهم الشنيعه وما مصدريه والامهال التاخير ولما كان مقتضى ذلك التقية منهم وعدم الاغترار بالدنيا مثلهم اشار عم اليهما بقوله فعليكم بتقوى الله ولا تغرنكم الدنيا اى لا تغلبنكم الدنيا بزهراتها عن مقامكم على الورع والاقتصاد ولا يزلنكم بثمراتها من ثباتكم على التقوى والاجتهاد لان الدنيا لها زينة معجبة وباطنها سموم مهلكه ومن التقوى التقية من اهل الفساد واخفاء الحق من اهل الشر ادولما كان ضعفاء العقول قد يغترون بامهال الله تعالى اهل المعصية وعدم مواخذتهم بها عاجلة ويميلون اليها مثلهم نهى عم عن ذلك بقوله ولا تغتروا بمن امهل الله له فكان الامر قد وصل اليكم اى لا تغتروا بمن امهل الله له فى البقاء على المعصية والركون الى الدنيا ولم يواخذهم بها عاجلة فكان امر الاخرة وعقوبتهم فيها او امر اهلاكهم او امر الصاحب وظهوره واستيلائه على الظلمة او الجميع قد وصل اليكم وليس بينه وبينكم زمان يعتد به قوله طوبى لعبد نومة عرفه الله ولم يعرفه الناس نومة كهمزة الخامل الى الجنة او طيب لو الحسنى او الخير لعبد خامل الذكر عرفه الله فى مقام طاعته وعبوديته ولم يعرفه الناس فى مشهدهم وفيه ترغيب فى ذكر الله تعالى فى جميع الاحوال والفرار من الناس ليتخلص من اذيتهم ولا يكتب السرور منهم اولئك مصابيح الهدى لشروق نور المعارف الالهيه على مرآت سرهم وهو ثمرة الاستعداد بالخوف والعزلة وثمرة الاهتداء واستعار لفظ المصباح لنور معرفتهم لاشتراكهما فى كون كل منهما سببا للهدى استعارة لفظ المحسوس للمعقول والهداية على درجات منها معرفة طريق الخير والشر اليه يرشد قوله تعالى وهديناه النجدين ومنها هداية الخاص وهى تحصيل بالمجاهدات الحسنة واليها يرشد قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومنها هداية اخص الخاص وهى من عند الله تعالى ولا يدخل فى العبد فيها وهى للانبياء والاوصياء والاولياء واليها يرشد قوله تعالى ان هدى الله هو الهدى

١٣٤

وينابيع العلم يخرج منهم العلم الى اراضى القلوب القابلة لبذر المعرفة والحكمة وزرع الاخلاق الفاضلة و
الاعمال الصالحة والينابيع جمع الينبوع وهو العين الذى يخرج منه الماء ففيه استعاره مكنية وتخييلية و
تشبيه العلم بالماء فى الاحياء واثبات الينابيع له تنجلى عنهم كل فتنة مظلمة الفتنه بلاء وفساد واذى
ومحنة وآشوب وعذاب ومحنه ووصفها بالمظلمة لانها تسود وجه القلب وتظلم طريق الحق وتمنع
مشاهدته كالظلمة والانجلاء والتجلى واشدة غم وامر وما اشتد آن والمراد ذهاب الفتنة وبعدها عنهم
ليسوا بالمذابيع البذر المذابيع جمع المذياع بالكسر وهو من لا يكتم سره والبذر بضمتين جمع البذور كصبور
صبور او جمع بذير كالنذر جمع النذير وهو النمام ومن لا يستطيع كتمان سره فيفشيه وينادى به بين الناس
يقال بذرت الكلام بين الناس كما تبذر الحبوب وتفرق فى الارض ولا بالجفاة المرائين الجفاة جمع
الجافى وهو غليظ القلب والطبع والبعيد عن الصلة والبر والخير والمرائين جمع المرائى وهو من يقصد
باعماله من الفعل والقول والمناظره اراءة الناس لاظهار كماله واشتهار حاله قوله هو نومة لكل عبد
لا يؤبه له اى لا يبالى به يقال ما وبهت له من باب علم وفى لغة من باب وعد اى ما باليت وما التفت
لا اهتمت بشانه يعرف الناس ولا يعرفه الناس اى يعرف احوال الناس وقبح اعمالهم وسوء افعالهم وفساد
ضمايرهم وخبث عقايدهم بصفاء طبيعته ونور سريرته وضياء قريحته فيعتزل عنهم ولا يعرفه الناس لذلك
يعرفه الله منه برضوان الظاهر ان منه متعلق برضوان والضمير عايد الى الله والتقديم للحصر وقوله برضوان
حال عن ضمير يعرفه اى يعرفه الله حال كونه متلبسا برضوان عظيم من الله والرضا والرضوان ضد السخط
وفتح لهم باب كل رحمة اى باب كل اسباب الرحمة والاحسان من الاعمال وغيرها ولا تكونوا عجلا العجل
بضم العين وتشديد الجيم المفتوحة جمع عاجل كطلب جمع طالب وجهل جمع جاهل من عجل فلان الى الامر من
باب علم سبق اليه واسرع فهو عاجل وعجل بكسر الجيم وضمها وعجلان وفيه ترغيب فى التدبر فى الامور
والعواقب المبتغون للبذر المذاييع البذر والمذابيع برى كالكرما والكرام جمع كريم قوله كفوا السنتكم
والزموا بيوتكم فانه لا يصيبكم امر تخصون به ابدا امر بكف اللسان عما لا ينبغى وعن اظهار السر عند غير
اهله وبلزوم البيت والاعتزال عن الناس وترك مخالطتهم وبين فايدتهما بانه لا يصيبكم مكروه تخصون
به ابدا الاجل دينكم لان المكروه لاجل الدين انما يكون مع مخالطة المخالفين وافشاء السر عندهم ولا تزال
الزيدية لكم وقاء ابدا وذلك لان الزيدية لا يجوزون التقيه ويوجبون الخروج بالسيف ويدعون الخلافة فى
اهل عصرهم فالمخالفون يتعرضون لهم لا لكم اذا اتقيتم وبالجملة هم يظهرون ما تريدون اظهاره فلا يتعرض لكم الا

الطهاره

الطهاره حتى تلقوا ايديكم الى التهلكة قوله فان كان فى يدك شئ فان استطعت ان لا تعلم هذه فافعل
هذه غاية المبالغة فى كتمان سرك من اقرب الناس اليك فانه وان كان من خواصك ليس باحفظ لسرك
منك فقال احفظ لسانك تعز فان اكثر المذلة والخذلان ينشا من ارسال اللسان واظهار ما فى الجنان
ولذلك قال امير المومنين عم حفظ ما فى الوعاء بشد الوكاء وهذا مثل والمراد منه هنا ان ما فى القلب
ان اريد ان لا يطلع غيره مما سوى الله المطلع على خفيات الصدور وجب ان يحفظ اللسان فانه آلة
تلف الانسان ومظهر مكنون الجنان ولا تمكن الناس من قياد رقبتك فتذل هذا كناية عن الحبس والاذلال
والاخذ الشديد ونحوها وكل ذلك مترتب على افشاء السر وترك التقيه والقياد حبل يشد على عنق
البهيمه وتقاد به قوله ان امرنا مستور مقنع بالميثاق فمن هتك علينا اذله الله اى اخذ الله عهد اعلى المعرض
بامرنا على استتاره وكتمانه على المنكرين لم فمن هتك علينا بالاظهار ورفع الحجاب عنه اذله الله لنقض عهده
المتضمن للاضرار علينا والجملة لما دعائيه او اخباريه قوله قام رجل يقال له همام همام ككتاف وهو همام
بن سريح بن يزيد بن مره بن عمرو بن جابر بن عوف الاصهب وكان من شيعة على عم واوليائه وكان عابدا
ناسكا مجتهدا فى الدين والاخلاق والاعمال قال السيد رضى الدين رضى الله عنه روى انه قال يا امير المومنين
صف لى المتقين حتى كانى انظر اليه فتثاقل عن جوابه ثم قال يا همام اتق الله واحسن فان الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون فلم يقنع همام بذلك القول حتى عزم عليه وقال بعض الاعلام تثاقله عن جوابه لما
راى من استعداد نفسه لاثر الموعظة وخوفه عليه ان يخرج به خوف الله الى انزعاج نفسه وضعفها
وامره بتقوى الله اى فى نفسها ان يصيبها فادح بسبب سواله وامره بالاحسان اليها بترك تكليفها فوق
طاقتها ولذلك قال عم حين صعق همام اما والله ولقد كنت اخافها عليها فقال المؤمن هو الكيس الفطن
تعريف الخبر باللام وتوسيط الضمير لقصد الحصر والتاكيد والكيس وزان فلس جودة القريحة وقال ابن
الانبارى العقل ويقال انه مخفف كيس مثل هين وهين والاول اصح لانه مصدر فيقال كاس كيسا من باب
باع واما المثقل وهو المراد هنا فاسم فاعل والجمع اكياس مثل جيد واجياد والفطنه ذكاء النفس وحل
فطن باحواله وامور الدين عالم بوجوهها حاذق وانما قدمهما لانهما مبدأ المحاربة مع نفس الامارة
والشيطان للغلبة عليهما بشره فى وجهه وحزنه فى قلبه اذ لا يطمئن من اضطرابه لما فات ووقوع التقصير فيه
ولا يكن من روعته لما هو آت وبوضع التقصير فيه حتى يرفع الحجاب ويدخل الجنة لان الانسان و
ان بلغ حد الكمال لا يامن من النقص والوقوع فى الخسران واما بشره وهو بالكسر طلاقة الوجه والبشاشة

باب الذين وعلاماته وصفاته

والمهاد المسرود فلا بد من حسن العشرة وكمال المرافقة بالاخوان المؤمنين بخلاف العبوس فانه من علامات
الغلظ والتجبر وامارات اهل النار اوسع شئ صدرا واذل شئ نفسا سعة الصدر وانفراجه عبارة عن
انكشافه لقبول ما في السموات والارضين وعالم الملك والملكوت من الاسرار اللاهوتية والاثار الربوبية
وتجليات انوار الحق وذل النفس اشارة الى الاخذ بزمامها والمنع عن مرامها كيلا يتجاوز عن الحدود الشرعية
والاداب العرفية الموافقة للقوانين النبوية او الى مذلتها وهو تواضعه فالاول على الاول من الذل بالكسر
بمعنى السهولة والانقياد يقال ذلت الدابة ذلا بالكسر اي اسهلت وانقادت فهي ذلول وعلى الثاني من الذل
بالضم بمعنى الهون والضعف يقال ذل ذلا بالضم ومذلة اذا ضعف وهان زاجرا عن كل فان خاض من كل
حسن اي زاجر نفسه او غيره او الاعم وكذا حاض والحض الحث والتحريض وذلك لعلمه بان نفع الاول
زايل لا يبقى ونفع الثاني باق لا يفنى وفيه اعلام بصرف همته الى مولاه واعراضه بالكلية عما سواه طلبا
لرضاه لا حقود ولا حسود ولا وثاب ولا عياب ولا مغتاب الحقد امساك العداوة والبغض في
القلب والتربص لفرصتها والحقود الكثير الحقد ولا للمبالغة في النفي لا النفي للمبالغة كما قيل في قوله تعالى
وما انا بظلام للعبيد ونحوه وقد صرح به التفتازاني في شرح التلخيص فلا يلزم ثبوت اصل الفعل وكذا
في البواقي والحسد كراهة الرجل نعمة الغير وفضيلته وتمني زوالهما عنه مطلقا او منه اليه وهو من توابع الجهل
بالحكم الالهية وعدم الرضا بالقسمة الربانية والوثب والوثوب بر جستن والعامة يستعمله بمعنى المبادرة
والمسارعة الى الامر والاخذ وهو من لوازم الحمق وخفة العقل والسب القطع والطعن والفحش والشتم و
هو من توابع الانحراف عن الاعتدال في القوة الغضبية والعيب النقص والنسبة اليه ايضا فهو لازم و
متعد يقال عاب المتاع عيبا فهو عايب وعابه صاحبه فهو معيب ومعيوب والفاعل من هذا عائب
وعياب للمبالغة والاغتياب ذكر الغايب بما يكرهه وهو فيه وان لم يكن فيه فهو البهتان وهما من توابع
الطغيان في القوة الشهوية والقوة الغضبية وخفة العقل اذ الشهوية اذا لم تنل من احد ما ارادت منه
حركت القوة الغضبية الى الانتقام منه وهما من افراده والعقل لخفته لا يعلم ان الوبال عايد اليه
يكره الرفعة ولا يحب السمعة الشناء ممدود لشتى شناه كمنعه وسمعه شنا وتثليث ابغضه والسمعة بالضم او
الفتح او التحريك كارى كه براى شنيدن مردم كنند وآن مانند ريا است اى يكره رفعة القدر وهى بالكسر
مصدر رفع ككرم اى شرف وعلا قدره فهو رفيع والشناء ان يعمل ليرى ويسمع فيتوه بذكره واما
اذا عمل فمدحه الناس واحبوه واثنوه من غير ان يقصد بعمله ذلك فقد اعطاه الله اجره مرتين طويل الغم

بعيد

بعيد الحلم كثير الصمت طول غمه بسبب تذكر اهوال القيمة وعدم علمه بما آل الحال وبعدهم اى حزنه الذى يدبه
ويقلقه بسبب تصور التقصير في العبودية ويمكن ان يراد بالهم القصد والعزم وطول قصده بسبب تعلقه
بالاخرة لا بالدنيا وكثرة صمته بسبب علمه ان الاقوال اكثرها فاسدة متعلقة بما لا يعني وان الكلام
الشرعي المجرد لذكر الله ويمنع استكماله بالمعارف والحكمة وان الصمت يلحقه بها وقور ذكور صبور
شكور اى وقور في الامور العظام الموجبة لاضطراب القلوب وذكور لله نعم وما ينفعه في الاخرة
وصبور في نكبات الدنيا لثبات قلبه وعلو همته عن احوالها وشكور في الضراء والسراء مغموم بفكره مسرور
بفقره لان فكره في المبدا والمعاد وما يرد على الانسان بعد الموت وعدم علمه بما يفعل به يورث الغم وعلمه
بمنافع ومضار الغنى وصعوبة نجاة الاغنياء الا من رحم الله يوجب السرور سهل الخليقة لين العريكة
رضين للوفاء قليل الاذى سهل كعذب وكتف هموار وخوش ونرم والخليقة كالطبيعة والعريكة يقال
لانت عريكته اذا انكسرت نخوته وتكبره عند معاملات الناس وهو من اجزاء التواضع والرضين بالصاد ١٣٦
المهملة المحكم الثابت والحق بحاجة صاحبه وفعله مثل كرم يقال رضنه وارضنه اى احكمه واحكم وفي الاول
اشارة الى سهولة طبيعته في قبول الحق والاقبال اليه وفي الثاني الى لين عريكته وعدم نخوته مع الخلق وفي
الثالث الى الثبات على العهد والوفاء به وفي الرابع الى عدم وصول اذيته وضرره الى الخلق لا متافك ولا متهتك
الهتك والتافك للمطاوعة تقول افكه من باب ضرب وعلم فائتفك وتافك اى لا يبالي ما ذهب اليه من
من الافك وهو الكذب وهتك الستر وغيره من باب ضرب خرقه او جذبه حتى نزعه من مكانه او شقه
حتى يظهر ما وراءه فانتهك وتهتك ورجل منهتك ومتهتك لا يبالي ان يهتك ستره وذلك من خفة العقل
وسفاهة الراى كما هو شان الاجلاف والسقاط الذين لا يبالون بنسبة القبايح اليهم ولا بفعلهم لها
ان ضحك لم يخرق وان غضب لم ينزق الخرق بالفتح والسكون الشق وفعله من باب نصر وضرب وبالضم
والسكون وبالتحريك الحمق وفعله من باب علم وكرم والنزق الخفة والطيش عند الغضب وفعله من باب
علم وضرب يعني ان ضحك لم يشق فاه ولم يفتحه كثيرا حتى يبلغ القهقهة كما هو شان الكرماء او لم يحمق ولم يضحك
كضحك الاحمق الاخرق وان غضب على احد لم يخرجه الغضب الى حد الخفة والطيش كما هو حال الجهلاء
ضحكه تبسم واستفهامه تعلم ومراجعته تفهم يعني ضحكه تبسم غير مشتمل على الصوة لشرف ذاته وغلبة ذكر
الموت وما بعده على قلبه كما نقل من صفاته صلى الله عليه وآله انه كان اكثر ضحكه التبسم وقد يفتر احيانا ولم يكن من اهل
القهقهة واستفهامه من الشئ تعلم له لا تعنت ومراجعته الى الشئ ومذاكرته فيه تفهيم له ولا ثاته ولوازمه و

والفهم ملكة سرعة الانتقال من الملزومات الى اللوازم من غير مكث كثير علم عظيم حلم كثير الرحمة الاول اشارة
الى صرف همته الكلية في تحصيل كمالات العقلية والنقلية من المعارف اليقينيه والشرايع النبويه واجالة الفكر
النظري بها والثاني اشارة الى كمال مبالغته في تعديل قوته الغضبيه التي من شانها الاخذ والبطش والطغيان
والترفع والتسلط والغلبة على الاقران حتى حصلت لها بذلك ملكة الحلم المقتضية للصفح والستر والعفو
والاناة والحنان والاستكانة والثالث اشارة الى بعض لوازم الاول وملزوم الثاني فان العلم ينفي قساوة
الطغيان وشناعة العدوان وسوء عاقبتهما يستلزم الرحمة بعباد الله اى الشفقة والرافة بهم ورقة القلب
والتعطف عليهم وهي تستلزم الحلم والصفح عن زلاتهم لا بخيل ولا عجل ولا ضجر ولا بطر لعلمه بان
البخل وهو منع الواجبات المالية ومنع المستحق والسائل مما فضل عنده من اخس الاخلاق المهلكة وفعل
من باب علم وكرم وان العجل وهو السرعة الى الامر من غير تفكر فيه وتدبر في عاقبته يوجب الندامة والخزي
وفعله من باب علم وان الضجر من الحق وهو التبرم والقلق والاغتمام منه يوجب البعد والانحراف الى ضده
وفعله من باب علم وان البطر وهو بالتحريك النشاط والاشر والدهش عن الحق والحيرة فيه والطغيان
بالنعمة وكراهة الشيء من غير ان يستحق الكراهة والتكبر عند الحق وعدم قبوله يوجب كفران النعمة وسخط
الرب والبعد منه وفعله من باب علم ولا يحيف في حكم ولا يجور في علم لان الحيف في الحكم بالميل الى الباطل
في فتواه والجور في العلم بترك العمل بمقتضاه من توابع النقص في القوة النظرية والعملية وقوته النظرية في اقصى
مراتب الاعتدال وقوته العملية في اعلى مراتب الكمال نفسه اصلب من الصلد ومكادحته احلى من الشهد الصلد
وبكسر الجر الصلب الاملس والكدح العمل والسعي فيه والشهد بالفتح ويضم العسل وصف نفسه بانها اصلب من
الصلد لانه لا يد للشيطان عليها ولا يسفد سهام وسوسته فيها ووصف عمله ومبالغته في الخيرات بانه
احلى من العسل في مذاقه وميل طبعه اللطيف اليه لا جشع ولا هلع ولا عنف ولا صلف ولا متكلف ولا
لا متعمق الجشع بفتح الجيم وكسر الشين الحريص الشديد في حرصه وهو الذي ياخذ نصيبه ويطمع في نصيب غيره
وفعله من باب علم والهلع بفتح الهاء وكسر اللام والهلوع من يجزع في المصائب ويفزع من الشر والنوايب جزعا
شديدا وفزعا عظيما ويطلق على الحريص والشحيح ايضا وفعله من باب علم والعنف كتف والعنيف من
لا رفق له في القول والفعل وفعله من باب كرم ويتعدى بالباء او على والصلف ككتف من يتكلم
بما يكره صاحبه ويمدح نفسه ولا خير عنده ويجاوز قدره ويدعي فوق ذلك تكبرا وكثرة القول
بما لا يفعل وفعله من باب علم والمتكلف المتعرض لما لا يعنيه والمتعمق المبالغ في الامور المتشدد فيها

والمتخلع

١٢٧

والمتخلع في الكلام الغالي فيه جميل المنازعة كريم المراجعة اذ مراجعته من ضر وريات الدنيا الى الله و
طلب رضاه ومنازعته مع بني نوعه اما في امور الدنيا على وجه لا يوذيهم او في ترويج مكارم الاخلاق و
محامد الافعال ومحاسن الامور التي تفاضلت فيها الامثال بالحكمة والموعظة الحسنة عدل ان غضب
رفيق ان طلب اشارة الى انه عدل في القوة الغضبية فلا يكون مفرطا ولا مقصرا بحيث يبطل حدا من حدود الله
ولا مفرطا يتجاوز بها عن الحد بحيث يكون ظالما لنفسه ولغيره وبالجملة مالك لزمام تلك القوة يصرفها
فيما ينبغي ويمنعها عما لا ينبغي والى انه رفيق ان طلب حقه من الغير فلا يعنف به ولا يشدد عليه او ان طلب
الغير منه حقه فلا يماطله ولا يماكسه وطلب على الاول معلوم وعلى الثاني مجهول لا يتهور ولا يتهتك و
لا يتجبر التهور الوقوع في الامر بقلة مبالاة يعني بي باكانه كارى كردن والتهتك خرق الستر يعني پرده دريدن
ويرده برداشتن والتجبر التكبر خالص الود وثيق العهد وفي العقد الود بالحركات الثلث الحب والعهد
والذمة والامانة وغيرها محكم لا يعتريه النقص وعهده مقرون بالوفاء لا يعترضه الغدر وصول حليم
اى وصول بنفسه الى المؤمنين غير معتزل عنهم او وصول بنعمته الى الاقربين وذوي القربى والمساكين
وحليم ذو اناة وتثبت في الامور كما هو من شعار العقلاء ودثار الكرماء خمول ليس من ابناء الدنيا المشهورين
بنعيمها قليل الفضول راض عن الله عز وجل مخالف لهواه اى ليس في فعله وقوله فضول كثيرة فربما يفعل
قليلا من المباحات ويتقول بها لحسن المعاشرة وراض عن الله عز وجل بما اعطاه من نعمه ورزقه ومخالف
لهواه بقهره نفسه الامارة وتطويعها بالحيلة وحسن السياسة للنفس المطمئنة فنجى عن الهوى وخلص عن
الردى ولم يتجاوز في الماكول والملبوس والمنكوح ونحوها عن الحدود الشرعيه لا يغلظ على من يوذيه ولا
يخوض فيما لا يعنيه غلظ الرجل اشتد فهو غليظ وفعله كضرب وكرم واغلظ له في القول اى اغلظ خشن عليه
وعنفه وغلظ عليه في اليمين تغليظا شدد عليه والخوض الدخول في الامر اى لا يغلظ على من يوذيه في العلم
والعمل والدنيا ولا يشدد عليه ولا يعنفه ولا يدخل فيما لا يعنيه اذ همته متعلقه بالاخرة والملاء الاعلى
وما لا يعنيه يضاد ذلك ويمنعه الى الوصول الى مقصده فلذلك يرفضه بالكلية ناصر للدين محام عن المؤمنين
كهف المسلمين اى ناصر للدين يروجه بين المؤمنين ويدفع عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل
الجاهلين وكيد الكاذبين ومحام عن المؤمنين يحفظهم من شر المعاندين ويجيرهم من ظلم الظالمين وجور
الماكرين وكهف المسلمين لانهم يلجاؤن اليه في المكاره والنوايب والطلاق الكهف عليه وهو بيت منقور
في الجبل على سبيل الاستعارة لا يخرق الثناء سمعه اى لا يشقه ولا يدخل فيه لانه يتابى من استماعه ويستكرهه

لعلمه بان الشماته والرضا به يوجب اهتزاز النفس والاعتراف بكمالها والاول لا لعجزه وجهله عن حد التقصير
والعجب بكمالها وكل ذلك مهلك ولم يرض امير المومنين عم بالثناء عليه مع كمال تقدسه فقال حين مدحه
قوم في وجهه اللهم انك اعلم بي من نفسي منهم اللهم اجعلنا خيراً مما يظنون واغفر لنا ما لا يعلمون
ولا يحكي الطمع قلبه اي لا يقتل او لا يخرج الطمع في الدنيا او فيما ايدي الناس قلبه لسد باب الطمع فلا يدخل
فيه حتى يميته او يخرجه ولا يصرف اللعب حكمه اذ ليس له لعب معروف ولا ميل الى الدنيا حتى يصرف حكمه
وقضاءه عن اصلاح نفسه ودينه ودين اخوانه المومنين ولا يطلع الجاهل علمه اي لا يعلم الجاهل علمه فقال
الجاهل على افعاله اذا علمه او لا يعلم الجاهل علمه ولا يبلغ مبلغه من طلع الجبل كمنع ونصر وعلم اذا علاه و ذلك
لانه حكيم يضع علمه وحكمته في موضعه ويمنعه عن غير اهله قوال عمال عالم حازم اي كثير القول في امور الدين
وهداية الخلق وكثير العمل لما بعد الموت لان مخالفة القول للعمل عند الخلق قبيح وعند الله اقبح ولذلك
عاب بقوله يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون و
عالم بالكتاب والسنة واحوال المبداء والمعاد وحازم ضابط لامره متقن له آخذ فيه بالثقة لا يرتكب ما
يضره في الدنيا والاخرة فهو كامل في قوته النظرية والعقلية والعملية لا بحاش ولا بطياش الفحش القول
السيئ وعدوان الجواب وما يشتد قبحه من الذنوب وكل ما نهى الله عز وجل عنه والطيش النزق و الخفة
وذهاب العقل والطياش من لا يقصد وجهاً واحداً وذلك ينشاء بتجاوز القوة الغضبية عن حد الاعتدال
والمبالغة في النفي كما مر ولو اريد نفي المبالغة فللاشارة الى ان الانسان ليس بمعصوم الا من عصمه الله تعالى
وصول في غير عنف بذول في غير سرف اي وصول بالمومنين في غير ان يعنف عليهم ويوذيهم بالقول و الفعل
والعنف مثلثه العين ضد الرفق وجواد في اقتصاد وهو من كمال العقل والسرف بفتحتين ضد القصد وهو
اسم من اسرف اسرافا اذا جاوز القصد بالتبذير او الانفاق في غير طاعة الله لا بختال ولا بغدار الغدر
من نقض عهده ولا يفي به والختال من يخادع صاحبه وفي بعض النسخ ولا بختار بالراء وهو الغدار و الخداع
ولا يقتفي اثراً ولا يحيف بشراً اي لا يتبع اثر الجهلة لانهم في واد وهو في واد آخر ونقل اجبادهم لانه لغو ولا
يجوز بشر ولا يظلمهم لقيامه على العدل رفيق بالخلق ساع في الارض عون للضعيف غوث للملهوف
رفقه بالخلق من توابع سكون قوته الغضبية والشهوية ووقوفهما على العدل وسعيه في الارض لقضاء
حوائج المومنين وعونه للضعيف وغوثه للملهوف الحزين في دفع الضرر عنهما وتحصيل النفع لهما من لوازم الكمال
في قوته العملية لا يهتك ستراً ولا يكشف سراً اي لا يهتك الستر عن غيره وعما ستر نفسه والتاكيد محتمل

ولا يكشف

ولا يكشف سر غيره او ستر نفسه اذ الاول اثم لعلمه بان كشفه ليس من صفات العقلاء ومن صفات الكرماء وبان اذا
لم يحفظ سره غيره اولى بان لا يهبط كثير البلوى قليل الشكوى البلوى والبلية اسمان من بلاه الله بخير
او شر اذا اختبره وامتحنه بهما لانهما شاقان على النفوس بدل الرضا بهما والصبر عليهما وترك الشكاية
على الخلوص في مقام العبودية كما هو شأن الانبياء والاوصياء ومن تبعهم ان راى خيراً ذكره وان راى
شراً ستره يستر العيب ويحفظ الغيب لعلمه بان ذكر خير الغير مطلقا وان لم يصل اليه وستر شره وان وصل
اليه وستر عيبه وحفظ غيبه من صفات الكرام وخلاف ذلك من نعوت اللئام ويقيل العثرة ويغفر
الزلة وهما متقاربان ويمكن تخصيص الزلة بالمنطق والعثرة بغيره من الافعال او تخصيص العثرة بنقض
العهد والوعد وحمل الزلة على غيره والاقالة في الاصل فسخ البيع تقول اقلته البيع واقلته اذا فسخته والمراد
هنا التجاوز عن التقصير على سبيل التشبيه والاستعارة لا يطلع على نصح فيذره ولا يدع جنح حيف فيصلحه
اي لا يترك النصح في موضع ينبغي النصح فيه ولا يدع الميل الى الجور بل يصلحه كما هو شأن الامر بالمعروف
والناهي عن المنكر امين رصين تقي نقي ذكي رضي اي امين لا يضيع ما استحفظه الخلق والخالق من دينه ١٣٨
وكتابه وحدوده رصين لكونه محكما ثابتا في امره ودينه تقي بالفضائل نقي عن الرذائل ذكي لكمال قوته
العقلية بحيث يدرك المطالب العلية من المبادي الخفية بسهولة لكثرة مزاولتها رضي عن الله بما قسم
له او مرضي عند الخالق والخلائق يقبل العذر ويجمل الذكر قبول عذر الاخوان وان ضعف من صفات
السمحاء وارباب الايمان واجمال ذكرهم وتحسينه وتكثيره من سمات الصلحاء واصحاب العرفان ويحسن بالناس
الظن ويتهم على العيب نفسه حسن الظن بالمومنين امر مطلوب كما نطق به القران الكريم واساءة الظن
بهم من وسوسة الشيطان الرجيم والامر بالحزم منهم كما في بعض الروايات لا ينافيه لان بناء الحزم
على التجويز والامكان والغيب على ما صرح به يطلق على ما جاء به النبي صلى و على الايمان وعلى الاخرة و
ثوابها وعقابها وعلى قبول الاعمال واتهام النفس راجع الى الخوف من تقصيرها وهو محرك لها الى رعاية
الحقوق على وجه الكمال والى رد ما تحكم به النفس باستعانة الوهم من حسن العقايد والاعمال وكونها
مقبولة واقعة على الوجه المطلوب لله تعالى وهذا الوهم مبدأ للعجب بالعبادة وعدم التقصير فيها وهو
من المهلكات يحب في الله بفقه وعلم ويقطع في الله بحزم وعزم الفقه هو البصيرة القلبية كما صرح به كثير
من اهل العرفان والعلم هو معرفة الشرايع وبينهما عموم مطلق والحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة
والاتقان والعزم عقد الضمير على الفعل والاجتهاد والجد في الامر وفيه اشارة الى ان حبه وصله

في الله ويبغضه ويقطعه في الله لا في امر آخر من الاغراض الدنياوية والهواجس النفسانية والاان ذلك
لا يتحقق الا في العالم البصير في طلب اليقين وفي الحازم العازم في امر الدين لا يخرق بر فرح ولا بطير
مرح في المصباح الفرح يستعمل في معان احدها الاشر والبطر وعليه قوله تعالى ان الله لا يحب
الفرحين والثاني الرضى وعليه قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون والثالث السرور وعليه قوله
تعالى فرحين بما آتيهم الله من فضله ويق فرح بشجاعته وبنعمة الله وبمصيبة عدوه فهذا الفرح الذي
القلب مثل ما يشتهر والمرح مثل الفرح وزنا ومعنى وقيل اشد من الفرح وفي القاموس الفرح محركه
السرور والبطر والمرح الاشر والبطر والاختيال والنشاط والتبختر وفي كنز اللغة فرح شادشدن
وبافراط شادى نمودن كما قال الله تعالى ان الله لا يحب الفرحين ومرح از حد در كذشتن بشادى مذكر
للعالم معلم للجاهل يذكر العالم ويخرجه عن الغفلة ويعلم الجاهل ويهديه للطريق الحق وهو ما يعلم
له من امر المعاش والمعاد فهو لنوريته ذاته وفعلية صفاته يحتاج اليه الخلايق كلهم لا يتوقع له بايقه
ولا يخاف له غائلة اى لا يتوقع ولا يخاف لاجل وجوده وفي المصباح البايقة النازلة وهي الداهية
والشر الشديد وباقت الداهية اذا نزلت والجمع البوايق والغائلة الفساد والشر وغائلة العبد اباقه
وفجوره ونحو ذلك والجمع الغوائل وقال الكسائي الغوائل الدواهي والغول من السعالى والجمع غيلان
واغوال وكل ما اغتال الانسان فاهلكه فهو غول لكل سعي اخلص عنده من سعيه وكل نفسي
اصلح عنده من نفسه وهو تواضع لله واعتراف بالتقصير ودليل على تمام عقله وقد مر في صدر الكتاب
انه لا يتم عقل امرى حتى يرى الناس كلهم خيرا منه وانه شرهم في نفسه عالم بعيبه شاغل بغمه لا
يثق بغير ربه اما علمه بعيبه فلرجوعه الى نفسه وتفتيشه لاحوالها المذمومة وليس حاله كحال الجاهل
الذي يحب نفسه فيغفل عن عيبه كما قيل حبك الشي يعمي ويصم ولو قلع عن نفسه علاقة المحبة يرى
عيبه كما يرى عيب غيره واما شغله بغمه فلعلمه بما يستقبله من المقامات الهائلة وصعاب الامور
وعدم علمه بما يفعل به فيه ويورث ذلك غمه باصلاح ماله وشغله بتحسين حاله ولما عدم وثوقه
بغير ربه فلعلمه بان كل شي فقير لديه محتاج اليه متضرع بين يديه وان الوثوق بغيره في الامر الحقير
الخطير كالوثوق في الدلالة على الطريق بالاصم الابكم الضرير او كالوثوق في قضاء الحوايج وكشف المضيق
بالسائل المستعير او لانه لا يرى في الوجود الا اياه فسد عنه طريق الوثوق بما سواه قريب وحيد
جريد اى قريب بالخلق وحيد منفرد عنهم جريد خال عن الرذائل او عن الميل الى اخلاقهم وصنايعهم و

هذا

١٢٩

هذا من اعجب صفات العارف وكالجمع بين الضدين حيث انه مع اتصافه بكونه مع الكثرة متصف بكونه
مع الوحدة الآن الاول باعتبار كونه من العالم الجسماني والثاني باعتبار كونه من العالم الروحاني
فهو بالاعتبار الاول ظفر بالمخالطة ومحل كالشمس في كاسبته وبالاعتبار الثاني صفا فكره في امور
دينه وآخرته وجزو نفسه عن الاتصاف باخلاقهم ومداهنته وفي بعض النسخ حزين بدل جريد يجري في
الله ويجاهد في الله ليتبع رضاه اشار الى ان حبه لاخوانه المؤمنين وقرباته للحق في الله وجهاده بماله
ونفسه في العلم والعمل وتهذيب نفسه في الله لمجرد ان يتبع رضاه ويطاء بساط قربه ويتشرف باكرامه
الذي لاوليائه واشار في السابق الى ان حبه في الله مقرون بالفقه والعلم على ان تكرير بعض الصفات
في المواعظ قد يقصد للتاكيد والمبالغة في رعايته ولا ينتقم لنفسه بنفسه ولا يوالي في سخط ربه
اى لا ينتقم من المتعدي لنفسه بنفسه بل يكله الى ربه او يعفو ولا يوالي احدا فيما فيه سخط ربه وعقوبته
لما فيه من العلم والحلم والصبر والكرم وفي قوله لنفسه اشارة الى انه ينتقم لربه لما فيه من القوة على القيام
بالحق وهذا هو الخلق الحسن المحمود لانه لو ترك القيام في حق الله تعم كان فيه مهانة ولو انتقم لنفسه
لم يكن فيه صبر وكان هذا الخلق بطشا فاستغنى عنه الطرفان المذمومان وبقي الوسط وخير الامور اوسطها
وفي قوله بنفسه اشارة الى انه ينتقم له ربه عاجلا وآجلا مجالس لاهل الفقر مصادق لاهل الصدق مجالسته
لاهل الفقر الصابرين والتحمل ومجالسته لاهل الصدق الكاملين في القول والعمل من دلائل عقله
وكمال فضله حيث انه مع صفاء ذاته وحسن صفاته طلب البركة والفيض بصحبة الفقراء الصابرين و
مصادقة ارباب الصدق واليقين موازر لاهل الحق الموازر الوزير اى يحمل ثقلهم ويعينهم برايه وعونه للغريب
اب لليتيم وبعل للارملة لعلمه بانهم هؤلاء عاجزون عن تحصيل مطالبهم وترتيب مقاصدهم وما يهمهم
فقام بلطفه الطبيعي ورفقه الجبلي على قضاء حوايجهم والغريب من خرج عن وطنه وبعد عن اقربائه
ومسكنه واليتيم من لا اب له والموسول كلهم غرباء وايتام في هذا الاوان عند غيبة صاحب الزمان
عليه السلام فاقامتهم مثل اعانة الغريب واليتيم في استحقاق الاجر من الله الملك الديان حفي لاهل
المسكنة حفي مهربان ونيك پرسنده مرجو لكل كريهة مامول لكل شدة لكونه معروفا بدفع
المكاره والشدايد ومشهورا به لجريانه على يديه كثيرا وتكرره منه فيتعلق رجاء الخلق واملهم به عند نزول
المكاره والشدايد عليهم وهذه الخصلة من علامات تشبثه بالايمان لانه متى قوي الايمان في القلب
ظهرت آثاره في الجوارح فيتوجه الى دفع المكاره والشدايد عن اهلها لكمال الشفقة عليهم هشاش بشاش

السمل عمر كمامه كمنه ١٢٠٠

ولا بعباس ولا بجساس الهشاش من الهش وهو الارتياح والرخو واللين والتبسم والخفة والنشاط و الفرح
عند السوال عنه وسهولة السائل فيما طلب منه والبشاش من البش وهو طلاقة الوجه واللطاف في
المسئلة والاقبال على اخيك والضحك اليه والانس به وفرح الصديق بالصديق والعباس من العبس
هو الكلوح يعني ترش روى شدك والجساس من الجس وهو تفحص الاخبار كالتجسس ومنه الجاسوس
صليب كظام بسام الصليب كامير الشديد اى شديد في الامور التي ينبغي لحفظها لكونه شجاعا و كظام
يكظم غيظه كثيرا من الذى له الانتقام منه بسام يكثر التبسم في وجه احد دقيق النظر عظيم الحذر اى دقيق
النظر في الامور خيرها وشرها بدايتها ونهايتها عظيم الحذر مما ينبغي الحذر منه لما فيه من الحدة في القوة
النظرية والجودة في القوة العملية لا يبخل وان بخل عليه صبر النظم ان لا يبخل بالنوال والجيم من البخل و هو
الهمار العيب ونحوه والطعن وضرب الرجل بمقدم الرجل ليسقط كما يفعل المصارع والرى بالشيء و عقل
فاستحيى وقنع فاستغنى اى ادرك الخير والشر والطاعة والمعصية فترك الشر والمعصية استحياء اى من
الله ثم وقنع بما رزقه الله ثم فاستغنى عن الخلق او عن الطلب حياؤه يعلو شهوته ووده يعلو حسده
وعفوه يعلو حقده اى حياؤه من الله او من الخلق ليغلب شهوته ويمنعه من متابعتها ووده الخلق
يغلب حسده عليهم لان بناء الحسد على البغض والعداوة وعفوه المسى يغلب حقده لان الحقد متولد
من احتقان الغضب واذا وقع العفو زال الغضب فزول الحقد والحاصل انه ترك الشهوة والتفريط و الافراط
احض من الصدق والجواز ان يصدق الانسان فيما لا ينبغي من القول ولا يلبس الا الاقتصاد اى لباس
المتوسط في جميع الاحوال وشعاره الاقتصاد في جميع الاعمال فلا يلبس مثلا ما اختص باهل الخنث والتبذير
ولا ياكل ما يدخل في اهل الاسراف والتقتير ويمكن ان يكون المراد باللباس المعنى المعروف مشيه التواضع
لكونه على السكون ووقار دون تبختر واختيال كما هو مشي المتكبرين وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله ولا
تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا الاية ويمكن ان يراد بمشي التواضع المشي
الطاعة دون المعصية وقد روى ان الله تعالى فرض على الرجلين ان تنقلهما في طاعته وان لا تمشي بهما مشيه
عاص خضع لربه بطاعته اشارة الى انه راض نفسه بطاعة ربه وعبادته وهي غاية الخضوع والتذلل راض
عنه في كل حالاته اى في حال الشدة والرخاء وحال العسرة والنعمة وحال السقم والبلاء وذلك من علامات
المحبة ضرورة ان المحب راض بجميع ما يرد الوصول وسبب تام للاستشراق لوامع الانوار وظهور بروق الاسرار
وعدم الغش في اعماله اشارة الى مراعاته جميع الامور المعتبرة فيها وعدم اخراج ما هو داخل فيها وعدم

ادخال ما هو خارج عنها وعدم الخديعة اشارة الى التوافق بين ظاهره وباطنه وعدم قصده اظهار العبادة
وابطان خلافها كما هو شان المنافقين المخادعين الذين ليت صلواتهم وسائر عباداتهم الا مكا وتصدية
نظره عبرة وسكوته فكرة وكلامه حكمة العبرة بتذكر فتن والفكرة بسيان انديشه كردن والحكمة تطلق على
معان محصولها العلم بالامور النافعة في الدين والعمل في جميع المبالغة في التسبيب فان النظر الى الدنيا ونعيمها
ونضرتها وتقلبها على والى احوال الماضين وانقطاعهم عما كان في ايديهم وانتقالهم من دار الغرور الى حفرة
القبور واشتغال كل واحد بعمله مثلا سبب للعبرة والسكوت عما لا يعني سبب للفكرة في الامور النافعة
والاسرار اللامعة من افق الغيب فان معهودات الفاسدة المستفادة من الكلمات الباطلة اذا وردت على
القلب تمنعه من الفكر في الحقائق والكلام سبب لظهور الحكمة وانتشارها في قلوب المستعدين لها وفيه
اشارة انه ساكت عن اللغو متكلم بالحق وذلك لاستقامة لسانه التابعة لاستقامة قلبه وكماله في القوة
العقلية مناصحا متباذلا لاخوانه متواخيا النظائر خال عن ضمير نظره وفيه اشارة الى السياسة المنزلية والمدنية
كما ان في السابق اشارة الى سياسة البدنية ففيهما اشارة الى انه حكيم بجميع اقسام الحكمة العملية ناصح في السر
والعلانية اشارة الى حكيم يعرف مواد النصح وكيفيته فينصح في السر ان اقتضته المصلحة وينصح في العلانية
ان اقتضته الحكمة ويحتمل ان يراد بالسر والعلانية القلب واللسان فيكون اشارة الى انه نصحه خالص عن غير شوب الخديعة
لا يهجر لخاه ولا يغتابه ولا يمكر به هجر المومن واغتيابه بما يكرهه او بشينه او بعيبه في الدين والمكر به بارادة
ايصال المكروه اليه من حيث لا يعلم منشاه من الغيظ والغضب والحسد وميل الطبع الى قطع رحم الاخوة
وشيء من ذلك ليس من صفات المومن ولا يأسف على ما فاته ولا يحزن على ما اصابه ولا يرجو ما لا يجوز
له الرجاء الاسف محركا اشد الحزن وفعله من باب علم اى لا يحزن على ما فاته من امور الدنيا او الام ولا على ما
اصابه من الفقر ونوائب الدهر وغيرهما مما يشتغل على النفس ولا يرجو ما لا يجوز له رجاؤه واما لعدم كونه
لا يقابه او لعدم امكان حصوله لان هذه الخصال ليست من صفات اهل الكمال ولا يفشل في الشدة
ولا يبطر في الرخاء الفشل والفشل بالتسكين والتحريك الضعف والجبن وفعله من باب علم اى لا يضعف
ولا يجبن على الشدة ولا يضطرب منها لكونه شجاعا بما يقدم عليها ويتقبلها بقبول حسن ولا يبطر اى
لا يطغى ولا يتكبر بالرخاء وكثرة النعم بل يشكر عليه فمقامه في الحالين مقام الصبر والشكر وهذا
غاية كمال النفس في السكون والتفويض يمزج الحلم بالعلم والعقل بالصبر العقل بالاشياء وصفاتها
من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها وقوة للانسان بها تميز الحسن والقبح او هيئة محمودة له في حركاته وكلامه

والحق انه روحانى تدرك بها النفس العلوم الضرورية والنظرية وابتدآء وجوده عند جنان الولد ثم لا يزال
ينمو الى ان يكمل عند البلوغ والمقصود من هذا الكلام انه عالم حليم وعاقل صبور وانما ذكر هذين الخلقين
اعنى الحلم والصبر لانهما يستلزمان سائر الاخلاق النفسانية بل جميع الاعمال الصالحة البدنية ايضا
اما الحلم فلانه من اعتدال القوة الغضبية واعتدالها يستلزم الاعتدال فى القوة الشهوية لان القوة
الغضبية معينة للشهوية فى جلب المنافع ودفع المضار فاذا اعتدلت تلك اعتدلت هذه واعتدالهما
تابع لكمال القوة العقلية واستيلائها على الظاهر والباطن فيضع كل عضو فيما يليق به واما الصبر فلانه نوقف
الاخلاق مثل الورع والتقوى والعفو وحسن الخلق وكظم الغيظ وغيرها والاعمال مثل الصوم والصلوة
والحج ونحوها وترك المناهى عليه لظهور من ان يحتاج الى البيان بعيد كسله دايما نشاطه الكسل محركه
التثاقل عن الشىء والفتور وفعله كفرح والنشاط بالفتح وبكسر طيب النفس للعمل وغيره وفيه تنبيه على
نشاطه فى طاعة الله وسلوك سبيله ومنشاء ذلك قوة اعتقاده بما وعد الله للعاملين والتصديق بشرف
غايته العبادة قريبا امله قليلا زلله اى ليس له طول الامل لاكثاره ذكر الموت والوصول الى الله بعد
حتى انه يترقبه آنا فآنا وليس له ذلك ولو وقع لضرورة او سهوا او من باب ترك الاولى وقع قليلا نادرا
متوقعا لاجله خاشعا قلبه اذ الخشوع قلبه خشعت جوارحه والخشوع ثمرة الفكر فى جلال المعبود
وملاحظة عظمته التى هى روح العبادة وانتظار الاجل من اشد الجواذب عن الدنيا الى الله تعالى والشوق
الى لقائه والحزن من الم فراقه حتى يبلغ ذلك الى غاية لا يستقر روحه فى جسده لولا الاجل الذى كتب
له وهذا الشوق الى والبلغ حد الكمال يستلزم دوام ذكره لربه وقناعة نفسه بقليل من الدنيا وهو قدر
الضرورة كما قال ذاكرا ربه قانعة نفسه ويدل على ذلك نص للفرق بين الحاضرة والغايبة والتصديق
بعدم المساواة بين الذاكر والغافل وبين القانع والحريص فى الاخرة منفيا جهله سهلا امره لا تصاف
نفسه بالعلوم وظهور آثار الحكمة فيه وعدم تكلفه لاحد وعدم تكلف احد له لان المؤمن خفيف المؤنة
حزينا لدينه ميتة شهوته حزنه ثمرة الخوف من الله والتقصير فى رعاية حقوقه ولفظ الموت مستعار
لخمود الشهوة عما حرم عليه وما لا يليق به وهو العفة كظوما غيظه صافيا خلقه كظم الغيظ اى
رده وحبسه من فضايل القوة الغضبية واعظم الخصايل البشرية وصفاء الخلق اعنى خلوصه من الغش
والامتزاج بضده من اعظم صفات الايمان واعظم سمات الايقان آمنا منه جاره ضعيفا كبره
اى من جاره من ضرره وشره وبوايقه وغوايله لكونه انسانا صالحا حافظا لوصية الله ووصية رسوله

في الجار

فى الجار وضعف كبره وسلبه عن نفسه لعلمه بان الكبر صفة اهل الجور وخلق اهل النار وان التواضع والتذلل
من وصف الصالحين وحال اهل الجنة وشان المؤمنين كما قال الله تعالى قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون
وقال تعالى اهؤلاء من الله عليهم من بيننا قانعا بالذى قد رله متيناً صبره محكما امره كثيرا ذكره قناعته بما قدر
له تابع لعلمه بان فيها راحة الدارين وانقياده لحكم الله تعالى فى تقدير المعاش وتقسيم الارزاق وصرف نفسه
عن الهوى وكسر حرصه فى الدنيا ومتانة الصبر وقوته على اثقال النفس من الاعمال والتروك والمصائب
والنوايب لتوطينه عليها حتى صار الصبر ملكة له بحيث لا يضعفه شىء من المكاره واحكام امره لقوة رايه وكمال
عقله وشدة عزمه لان خفيف الراى وسخيف العقل وضعيف العزم امره مضطرب وكثرت ذكره بالقلب و
اللسان وساير الاركان لتوجهه بالكلية الى مولاه وتطهير قلبه عن نقش ما سواه يخالط الناس ليعلم ويصمت ليسلم
ويسال ليفهم ويبحث ليغنم اى يخالط الناس ليعلم القوانين الشرعية والآداب النبوية او ليعلم احوالهم وخيرهم
وشرهم للعبرة ويبحث عن الحق او الاهم منه ليسلم من شرهم ويسال العالم ليفهم ما لم يعلم امتثالا لقوله تعالى
فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ويتجر فى الدنيا بالعلم والعمل والجهاد بالنفس والمال ليغنم فى الاخرة كما
قال تعالى يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات
تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وبالجملة فيه اشارة الى ما
يحتاج اليه السالك وهو العلم والعمل والتعلم والسكوت فى مواضع الضرر لا ينصت للخير ليفخر به ولا يتكلم و
على من سواه اى لا يصمت للخير والحديث لقصد الافتخار على الناس بل ليعلم ويعمل فيكون بالعلم والعمل
لا يتكلم به ليتجبر ويتكبر على من سواه كما هو شان علماء السوء بل لينتشر العلم بين اهله وفى بعض النسخ لا ينصت
للخبر ليفجر به بالجيم ولعل المراد بالفجور الفخر والافتخار مع عدم كونه اهلا له نفسه منه فى عناء والناس منه فى
راحة هذا تقول انه اتعب نفسه لآخرته للقيام بالطاعات والانتهاض لوظايف العبادات فاراح الناس من نفسه
اى من شر نفسه ومكايدها لان مبداء الشرور طغيان النفس ومحبة الدنيا وهو بمعزل عنهما ويحتمل ان
يراد بالفقرة الاولى ان نفسه الامارة منه فى عناء وتعب بمنعها عن هواها وزجرها عن رذايلها وبغاو
لها وقهره عليها ومراقبتها اياها والناس منه فى راحة من شر نفسه ومنافسته ومنازعته فى امر الدنيا ولعل الاول
اولى لان التاسيس خير من التاكيد ان بغى عليه صبر حتى يكون الله الذى ينتصر له اى ان ظلم لم ينتقم هو بنفسه من
الظالم بل يكل امره الى الله لينتصر منه والانتصار والاستنادان كثيرا ويباردانى وذلك منه نظر

ثمرة الصبر والوعد الصادق قال الله تعالى ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله الآية
بعده ممن تباعد منه بغض ونزاهة ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ليس تباعده بكبر ولا عظمة ولا دنوه بخديعة
ولا خلابة خلبه كنصره خلبا وخلابا وخلابة بكسرهما خدعه وفي كنز اللغة خلابه فريفتن بزبان وبريدن
يعني بعده ممن تباعد منه بغض لما انهمكوا فيه من الدنيا والاعمال القبيحة ونزاهة عن التلوث بها وبمشاهدة
لا عن كبر وتعظيم عليه كما هو شأن المتكبرين المتباعدين من الصلحاء وغيرهم ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة
منه لهم لا مكر بهم ولا خديعة كما هو حال خبيث الاخلاق بل يقتدي بمن كان من قبله من اهل الخير كالانبياء
والاوصياء وغيرهم ممن عرف بالخير واشتهر به فصوا اماما لمن بعده من اهل البر البر الصلة والجنة والخير و
الاتساع في الاحسان والصدق والطاعة وقد يطلق على العفة وبهذا الاعتبار يقابله الفجور ويمكن ان يراد
بالبر هنا ما دل عليه القرآن الكريم ولكن البر من آمن بالله الى قوله اولئك هم المتقون ولكن البر من اتقى فان
المراد في هاتين الآيتين كمال الايمان والتقوى والاعمال الجميلة والاخلاق الحسنة قال فصاح همام صيحة
ثم وقع مغشيا عليه في نهج البلاغة فصعق صعقة كانت فيها نفسه يعني غشي عليه ومات رحمه الله قال
بعض الافاضل لم يكن غلب على ظنه عم الا الصعقة من الوجد الشديد فاما ان فيها موته فلم يكن مظنونا له فلا
تحم حول ما قيل انه كيف جاز منه عم ان يجيبه مع غلبة ظنه بهلاكه وهو كالطبيب انما يعطي كلا من المرضى
بحسب احتمال طبيعته من الدواء والحق انه عم كان عالما بما يرد عليه وربما يشعر به ما نقلناه في اول الباب
عن بعض الاعلام كما يشعر به ما نقله الراوي بقوله فقال امير المؤمنين عم اما والله لقد كنت اخافها عليه وعدم
جواز اجابته بعد مبالغته في السؤال وعزمه عليه مع غلبة ظنه بهلاكه ممنوع لجواز ان علمه عم بانه يحصل
موته بسماع هذه الموعظة البليغة فما فعله الا بامر ربه او بان فيه حكمة وان لم يعلمها وخفاء الحكمة لا يقتضي
نفيها او قال هكذا تصنع المواعظ البالغة باهلها وكان همام لاستعداد نفسه القدسية لاشراق لوامع
الانوار الالهية من اهلها فلذلك فعلت به ما فعلت فقال له قائل فما بالك يا امير المؤمنين فقال ان لكل
اجل لن يعدوه وسببا لا يتجاوزه فمهلا لا تعد فانما نفث على لسانك شيطان اعلم ان هذه الصفات اذا
اجتمعت في مؤمن تنور قلبه وتزيد رقته ويجلو رينه وتزيل قسوته وترفع الحجاب بينه وبين ربه وتفتح باب
المكاشفة فيلوح فيه جمال الحق وانوار الربوبية وعالم الملك وآثار القهر والجبروت كما ينتقش الصور في المرآة
الصافية المجلوة وهذا على سبيل التشبيه والا فقد ترتفع الامثال والاشباح من البين ويتصل هو بالحق اتصالا
معنويا فيكون الحق سمعه وبصره ويده ولسانه كما ورد في الحديث وهذه الحالة هي الفناء في الله والمعرفة

حيثها

حيثها المستعدون المجتهدون الواصلون دون الشاكين ولذا انكرها كثير منهم ولما كان همام مستعدا
مجتهدا واصلا لاحت في قلبه حقيقة هذه الحالة عند سماع هذه الموعظة البالغة التي هي معارج الحق ومدارج
النور ولم يقدر ان يملك نفسه فصاح ووقع مغشيا عليه وسؤال ذلك القائل وسؤاله انما نشأ من سوء
فهمه وضعف عقله وقلة علمه بان القلوب تتفاوت في تحمل الامور العظام والاهوال الجسام ومشاهدة
العجايب وملاحظة الغرايب بحسب كثرة الممارسة وقلتها وقوة نور اليقين والتأيد بالتمكين وضعفه كما
لا يخفى على الاعلام وظاهر ان امير المؤمنين عم كان غريقا في بحر المكاشفة واليقين بل كان قلبه نورا من نور
رب العالمين فكيف يدهش من مشاهدة نوره وانما لم يجب عم بهذا الجواب لاستلزامه تفضيل نفسه او لقصور
فهم السائل بل اجاب بما هو اقرب الى فهم السائل من الجواب المقنع له وهو ان بقاءه لعدم حضور اجله المحكوم
به في القضاء الالهي وبالجملة سبب عدم تأثير هذه الموعظة فيه عم بالموت امران احدهما عدم حضور اجله
١٤٢ وثانيهما الفرق بين همام وبينه عم واجاب عم بالاول دون الثاني قوله علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن محبوب
عن جميل بن صالح عن عبد الله بن غالب هو عبد الله بن غالب الاسدي الشاعر الثقة الراوي عن ابي جعفر عم
وابي عبد الله وابي الحسن عليهم السلم وهذا الحديث من غير تغير في المتن الا في البر والدعاء مروي في باب بعد
باب نسبة الاسلام عن محمد بن يحيى عن خالد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح عن عبد الملك
بن غالب عن ابي عبد الله عم ومر شرحه فلا نعيد والظاهر ان عبد الملك سهو من الناسخ وهو غير مذكور في
ما رأينا من كتب الرجال قوله ابو علي الاشعري عن محمد بن عبد الجبار عن ابن فضال عن منصور بن يونس عن
ابي حمزة عن علي بن الحسين عليهما السلام قال المؤمن آه هذا الحديث مع تغيير يسير في المتن مروي في باب الحلم
عن محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن علي بن النعمان عن ابن مسكان عن ابي حمزة قال المؤمن آه ولعل المقول كلام
المعصوم وهو علي بن الحسين عليهما السلم لا كلام ابي حمزة وقد ذكرنا شرحه ثمة فلا نعيده قوله المؤمن له قوة
في دين اي له قوة تظهر وعلانية فيه فيعلمه ويعمل به ويقاوم الوسواس ولا يدخل فيه خداع الناس وحزم
في لين اي له ضبط وتيقظ في اموره الدينية والدنيوية ممزوجا بلين الطبع وعدم الفظاظة والخشونة مع
معامليه وهو فضيلة العدل في المعاملة مع الخلق وقد يكون عن تواضع وقد يكون عن مهانة وضعف النفس
والاول هو المطلوب وهو المقارن للحزم في الامور ومصالح النفس والثاني رذيلة لا يمكن معه الحزم لانفعال
المهين عن كل حادث وبيان الظرفية على ما استفدناه من كلام بعض الافاضل انه اوجز الاول ان
الظرفية مجازية بتشبيه ملابسة الحزم للين الطبع في الاجتماع معه بملابسة المظروف للظرف فيكون

لفظ فى استعارة تبعية الثانى ان تعتبر تشبيه الهيئة المنتزعة من الحزم واللين ومصاحبة احدهما الآخر
بالهيئة المنتزعة من المظروف والظرف ومصاحبتهما فيكون الكلام استعارة تمثيلية لكنه لم يصرح
من الالفاظ التى هى بازاء المشبه به الا بكلمة فى فان مدلولها هو العمدة فى تلك الهيئة وما عداه تبع له ملحوظه
معه فى ضمن الفاظ منوية فلا يكون لفظ فى استعارة بل هى بمعناها الحقيقى الثالث ان تشبه اللين بما يكون محلا
وظرفا للشئ على طريقة الاستعارة بالكناية ويكون كلمة فى قرينة وتخييلا وايمان فى اليقين الايمان وهو التصديق
قابل للشدة والضعف فتارة يكون عن تقليد وتارة يكون عن دليل مع العلم بانه لا يكون مع غيره وهو علم اليقين
والشاكون لا يقفون عند هذه المرتبة بل يطلبون عين اليقين بالمشاهدة بعد طرح الحجاب الدنيا والاعراض عنها
والمعنى فى كل امر عام يمكن حمله على احد هذين المعنيين وحرصا فى فقه الحرص فى امور الدين مطلوب و
اعظمها الفقه والعلم تميل القلب اليه وطلب زيادته من صفة اهل الايمان وكمال حقيقة الانسان ولذلك
قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل رب زدنى علما ونشاطا فى هدى اى نشاط وسرور فى سلوك سبيل الله وهو ناشئ
من قوة الاعتقاد وفيما وعد الله لمن سلك سبيله والتصديق بشرف غايته وهى الفلاح فى الآخرة وبرا فى
استقامة اى خير وطاعة فى استقامة بان لا يتركه او لا يمزجه بشرور معصيته وعلما فى حلم فلا يجهل
شيئا من امور الدين ولا يطيش على احد من الناس وكيسا فى رفق الكيس الفطنة والظرافة والغلبة والرفق خلاف
العنف والخرق وسخاء فى حق وهو صرف المال فى وجوه البر على قدر يجوز شرعا وقصدا فى غنى وهو
الاعتدال فى طلب الدنيا وطلب فضولها وتحملا فى فاقة بترك الشكاية الى الخلق والطلب منهم والغنى والتجاهل
عنهم وينشاس القناعة والرضا بالقضاء وعلو الهمة ويعين عليه ملاحظة قرب الاجل وما اعد للصابرين
وعفوا فى قدرة العفو مع القدرة ممدوح واما بدونها فلا يمدح بل لا يتحقق وطاعة لله فى نصيحة لله و
لرسوله وللمؤمنين وقد مر معنى النصيحة لهم وانتهاء فى شهوة الى امر مشروع لاعتداله فى القوة الشهوية وورعا فى
رغبة اى ورعا عن المحارم مع الرغبة فيها وميل النفس اليها او مع الرغبة عنها وعدم الميل اليها وكلاهما من صفات
المؤمن الا ان الاول اشق والثانى اكمل لقمع الشهوة وكسر النفس الامارة حتى زالت عنها الارادة والميل
وحرصا فى جهاد مع الكفار او مع النفس الامارة او الاعم منهما ومن الاجتهاد فى الخيرات كلها لان كلها
من صفات اهل الايمان وصلوة فى شغل الشغل بالضم ويضمتين ضد الفراغ والجمع اشغال وشغول و
القيام الى الصلوة فى اوقاتها مع وجود الاشغال من اعظم صفات المؤمن قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وصبرا فى شدة من الفاقة والمصيبة وغيرهما مما يثقل

على

١٤٣

على النفس ويشق عليها ومشاق العبادة وتصورا لاجر المعد للصابرين وفى الهزاهز وقورا عطف على قوله
له قوة فى دين اى المؤمن فى الهزاهز وقور وقورا ذو زين لا يحركه الفتن ولا يضطرب والهزاهز تحريك البلايا
والحروب الناس وهزهزه ذلله وحركه ويطلق على الفتن التى يهتز فيها الناس ويضطرب بها القلوب
والوقور مبالغة فى الوقار وهو ملكة تحت الشجاعة وفى المكاره صبورا لثبات نفسه وعلو همته عن الجزع
وهذا كالتاكيد لما مر او تعميم بعد تخصيص ان اريد بالشدة الفقر والفاقة وفى الرخاء شكورا لمحبة المنعم
فيزداد شكره فى الرخاء وان قل لا يغتاب ولا يتكبر ولا يقطع الرحم لكونه مشفقا على ذوى الارحام و
الارحام لين وليس بواهن ولا فظ ولا غليظ لقيام قوته الغضبية على حد الاعتدال بحكم العقل فخرج عن
حد التفريط الموجب للوهن وعن حد الافراط الموجب لفظ القلب وغلظته الجبر بالتعدى والضرب
والشتم وامثالها والفظ الغليظ الجانب السيئ الخلق القاسى الخشن الكلام فظ يفظ من باب علم فظاظة اذا
غلظ حتى يهاب غيره فى غير موضعه والغليظ خلاف الرقيق وفعله من باب كرم ولا يسبقه بصره ولا
يفضحه بطنه ولا يغلبه فرجه ولا يحسد الناس النفس الناطقة اذا غلبت على القوة الشهوية واطعتها
خطتها وزجرتها عن غيرها انقادت لها جميع الجوارح ولا يتجاوز عن القدر اللائق بها شرعا وعقلا فمنع
البصر والبطن والفرج والنفس الامارة عما حرم الله على كل واحد منها لا يرغب فى عز الدنيا لان
مبدا الرغبة فيه محبة الدنيا وهو معزل عنها للناس قد اقبلوا عليه ولهم قد شغلهم الناس يشغل
الدنيا وهم امر الآخرة والنجاة من اهوالها والتوصل بما يوجب قرب الحق من الاعمال الصالحة والاخلاق
الفاضلة والغرض الفرق بينه وبين اهل الدنيا اذا اهل الدنيا لا يرون لهم كمالا الا فى اللذات الحاضرة
والمقتنيات الظاهرة ويكيع عن الخنا والجهل الخنا الفحش والمراد بالجهل نفسه او آثاره والكيع والكيعوعة
الجبن يقول كعت عنه اكيع واكاع كيعا وكيعوعة اذا هبته وجبنت عنه قوله فان لم تكن فيه لم يكمل
ايمانه دل على ان الايمان نفس التصديق وان الخصال الاعمال توجب كماله الحاضرون الصلوة لعل
المراد حضور صلوة الجماعة مع احتمال ان يراد محافظة اوقات الصلوة مطلقا المطهرون للاطهار
الاطهار جمع الطهر بالكسر وهو الثوب الخلق والكساء البالى والمراد تطهيرها بالماء من الدنس
والنجاسة او تقصيرها كما فى بعض الروايات لان تطويلها كثيرا مذموم بل هو عند العرب علامة على التكبر
والخيلاء وان تكلموا صدقوا كانه تاكيد لقوله ان حدثوا لم يكذبوا مع احتمال ان يراد بالتحديث نقل
الاحاديث والاخبار وبالتكلم غيره ورهبان بالليل اسد بالنهار الاسد بالضم والسكون جمع

اسد بالحزين والرهبان جمع راهب من الرهبة وهي الخوف وهو من ترك الدنيا وما دونها وزهد فيها واعتزل
عن اهلها واشتغل بالعبادة لاستيلاء الخوف على سره ولا يؤذون جارا ولا يتاذى بهم جار لعل المراد
بالاول عدم ايذائهم بلا واسطة وبالثاني عدم ايذائهم بواسطة بان لا يتسببوا للايذاء والمراد بالاول
عدم الايذاء مطلقا وبالثاني عدم توقع الجار ايذائهم لكونهم معروفين بالخير والصلاح فيامن الجار من
ايذائهم وخطاهم الى بيوت الارامل لقصد ايصال النفع اليها والتفقد لاحوالها ليعرف حاجاتها فيكفيها
بقدر الامكان جعل الله واياكم من المتقين ضم الكلام بالدعاء لنفسه وللسامعين ان يجعلهم الله من
المتقين الذين يسلكون سبيله الموصل الى منازل الابرار ودرجات الجنة ومقاماتها للتنبيه على
ان الامتثال باعمال الخير والاجتناب عن اعمال الشر لا يمكن الا بتوفيق الله وهو الموفق والمعين قوله
من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن هذا خبر لفظا وامر معنى بالاتصاف بهذين الخصلتين وكذا
الخبران الاتيان وامثالها قوله شيعتنا الشاحبون الذابلون الناحلون تعريف الخبر باللام للحصر و
الشاحب المتغير اللون من هزال او جوع وفعله من باب منع ونصر وكرم والذابل من قل ماؤه ونداوته
وذهبت نضارته من ذبل النبات كنصر وكرم ذبلا وذبولا وذوى اي يبس من الحر والناحل المهزول
من نحل جسمه كمنع ونصر وعلم وكرم نحولا ذاب من مرض او سفر ونحوهما الذين اذا جنهم الليل اي سترهم
استقبلوه بحزن في تفكرهم الاخرة واهوالها واستقبال الليل كناية عن قطعه بالعبادة امتثالا لقوله تعالى
ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وانما خص الليل بالذكر لانها محل الخلوة مع الله والفراغ
من الناس والمغفرة والخلوص في العبادة كما قيل اذا كثرت الذنوب منك فداوها برفع يديك في الليل و
الليل المظلم قوله شيعتنا اهل الهدى واهل التقى واهل الخير واهل الايمان واهل الفتح والظفر اي اهل
لفتح ابواب السر والسرور والاسرار واهل الظفر بالمقصد ففي الاول اشارة الى كمالهم في القوة النظرية
وفي الثاني اشارة الى كمالهم في القوة العملية حتى بلغوا الى غايتهما وهو فتح ابواب الاسرار والفوز بمعرفة
الحق وفيه حث لهم على تحصيل هذه الخصال لعلى الهداية وسلوك سبيل الحق لا يمكن بدونها اي التقوى
الاجتناب عن المنهيات ثم الخير وهو القيام على الطاعات ثم الايمان الكامل الذي يتوقف عليهما
فلذلك اخره عنهما ثم الفتح والظفر بالمعنى المذكور وانما اخرهما لتوقفهما على الامور المذكورة ويمكن
ان يكون الفتح والظفر اشارة الى المجاهدات النفسانية وغلبة جنود العقل على جنود الشيطانية
فانه اذا تقابل الجنودان فثبات العقل وقراره بلزم مع العدو هو الاجتهاد وغلبته عليه هو الفتح والظفر

قوله

قوله واياك والسفلة فانما شيعة علي كل من عف بطنه وفرجه واشتد جهاده وعمل لخالقه ورجا
ثوابه وخاف عقابه فاذا رايت اولئك فاولئك شيعة جعفر اي شيعتي ففيه التفات على قول
من جوزه ابتداء والمراد بالسفلة التابعون للقوة الشهوية والغضبية التاركون لما تقتضيه القوة
العقلية وهو الصفات المذكورة وانما سموا سفلة لاستقرارهم كسائر الحيوانات في السافل
وعدم ارتقائهم الى الدرجة الانسانية وعفة البطن والفرج عما لا يجوز تناوله اشارة الى كسر القوة
الشهوية وضبطها عن التجاوز الى حد الافراط فانه يدعو الى الشرور والمفاسد التي لا تحصى واشتداد
الجهاد اشارة الى السعي في طلب زيادة العلم والمبالغة في تنزيه الظاهر والباطن عن الاعمال والاخلاق
القبيحة والعمل الخالص للخالق موقوف عليهما فلذلك ذكره بعدهما ثم الخوف والرجاء انما يعتبران
بعد العمل لانهما بدونه من اثار الحماقة كما مر ولذا اخرهما والخوف بعد العمل منشاؤه جواز التقصير وامكان
عدم قبوله قوله ان شيعة علي عليه السلام كانوا خمص البطون ذبل الشفاة شيعة الرجل بالكسر اتباعه و ١٤٤
انصاره ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وقد غلب هذا الاسم على كل من
يتولى عليا واهل بيته حتى صار اسما لهم خاصا والخمص بالفتح والسكون الاعم وكرسنة شدت يقال
خمص البطن مثلثة الميم خمصا اذا خلا وجاع والخمص والخامص والخميص مرد لاعم وكرسنه والذبل
كذلك خشك شدن لب وبدن ومانند آن والذبل والذابل مرد خشك لب وبدن وهاهنا اما جمع مصدر ان
والحمل للمبالغة اوصفتان والافراد لاسنادهما الى الظاهر واما قرائة خمص بضمتين جمع خميص كرغف جمع
رغيف وقرائة ذبل بالضم وفتح الباء المشددة جمع ذابل كطلب جمع طالب فبعيد والشفاة جمع شفة بالفتح
وقد يكسر وشفتا الانسان طبقتا فمه وذلك منهم لما علموا من ان في البطنة زوال الفطنة وفوات الرقة
وحدوث القسوة والكسل من العمل وصرف العمر في تحصيل الزائد ويمكن ان يكون كناية عن كثرة صيامهم
قوله انما المؤمن الذي اذا غضب لم يخرجه غضبه من حق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل اي اذا غضب
على احد اي يتجاوز عما يجوز له من حقه واذا رضي عن احد لم يدخله رضاه في باطل بالحماية عنه او اعطاء
ما لا يستحق او منع الغير عما يستحقه عليه كما يفعل قضاة السوء وحكام الجور والمؤمن لا يأثم بشيء من ذلك
مع قيام الداعي وهو الغضب والرضا لكون على فضيلة العدل في الكل على سواء قوله قال المسلم من سلم
المسلمون من لسانه ويده اي من شره وانما خص اليد واللسان بالذكر لانهما اظهر الجوارح في الكسب و
ليس المقصود حصر المسلم على الموصوف بالصفة المذكورة ونفي الاسلام عن غيره لان المعنى على الفضل والكمال

لا على الحصر المؤمن من ائتمنه المسلمون على اموالهم وانفسهم لانه عرف بالامانة والديانة والصلاح وكمال
الايمان بالتجربة واشتهر بها حتى صار امينا عندهم في اموالهم وانفسهم لو يدفعه دفعة تعنته كان
المراد يدفعه عن خير ويرده الى شر يوجب عنته وهو الفساد والاثم والمشقة والشدة والعناء والهلاك
والوهي والانكسار والخطاء وعنت اذا وقع في هذه الامور واعنته غيره وعنته تعنيتا شدد عليه و
الزمه ما يصعب عليه وفي الكنز الدفع باز داشتن ودور كردن وچيزي را فرا كسي دادن ورانده باز داشتن
وبدر آوردن وفي المصباح الدفع التنحية والدفعة بالفتح المرة وبالضم اسم لما يدفع بمرة قوله المؤمن
هين لين كالجمل الالف ان قيد انقاد وان انيخ على صخرة استناخ هان الشيء هونا بالفتح من باب
قال وهو هين بالتخفيف والتثقيل على فيعل وعينه واو وجمعه هينون كذلك والهون السهل والكثير
والوقار وفي الفائق قال ابن الاعرابي العرب تمدح بالتخفيف وتذم بالتشديد وقيل هما واحد اقول
كانه اراد ان المخفف من الهون بالضم يقال هان الشيء يهون هونا بالضم وهوانا اي ذل وحقر وفي التنزيل
ايمسكه على هون ولان الشيء يلين لينا وليانا بالفتح وتليين فهو لين والجمع لينون بالتخفيف والتشديد
فيهما وهما بمعنى واحد او المخفف للمدح والمثقل للذم كما مر والمقصود بيان حسن اخلاقهم وانهم سهل
الانقياد لحكم الله تعالى فيما امروا به قد سمحوا بانفسهم لرضا الله وقضائه وتلقوا بقبول ما اجرى عليهم
وتنزهوا عن مخالفة ما اراد منهم كجمل آلف اي اليف ذلول غير وحشي صعب ان قيد انقاد لصاحبه
من غير اباء للقيد وان انيخ وابرك على صخرة استناخ وبرك والمنقول من طريق العامة وكتب اللغة
مثل الصحاح والنهاية كالجمل الانف بالنون من انف البعير وهو انف اي اشتكى انفه من البرة وهي
حلقة من صفر تجعل في لحم انف البعير فصار لذلك الوجع الذي به ذلولا منقادا قوله ومن علامات
المؤمن العلم بالله ومن يحب ويكره اي من علاماته معرفة الله تع ومعرفة من يحبه ومن يكرهه فان
من عرف الله تع آمن به ومن عرف من يحبه مثل النبي والائمة عليهم السلام واتباعهم تابعهم ومن عرف
من يكرهه الله تع اعتزل عنه وهذه المعارف اصل جميع الخيرات واعظم علامات المؤمن قوله وبهذا
الاسناد قال قال رسول الله صلعم المؤمن كمثل شجرة لا يتحات ورقها في شتاء ولا صيف قالوا يا رسول
الله وما هي قال النخلة نظير ذلك ورد من طرق العامة ففي مسلم عن عبد الله بن عمر قال قال رسول
الله صم ان من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم حدثوني ما هي فوقع الناس في شجر
البوادي قال عبد الله ووقع في نفسي انها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال فقال

هي

هي النخلة وانما شبه المؤمن بالنخلة لكثرة خيرها ودوام ظلها وطيب ثمرها ووجوده على الدوام فانه من
حين يطلع لا يزال يؤكل حتى ييبس وبعد ان ييبس ومنها منافع كثيرة جذوعها وخشبها في البنايات
والالات وجرايدها حطب وعصي ومخاصر وحصر وليفها حبال وحطب وحشو الوسائد
وغير ذلك من وجوه نفعها وجمال نباتها وحسن هيأتها كما ان المؤمن خير كله من كثرة طاعته وكرم
اخلاقه هذا هو الصحيح في وجه التشبيه وقيل وجه التشبيه انه اذا قطع رأسها ماتت بخلاف غيرها
من الشجر وقيل انها لا تحمل حتى تلقح ولذلك سماها في الحديث عمة فقال اكرموا عمتكم النخلة وقيل لان
احوالها من حين تطلع الى تمام ثمرها سبعة كاحوال المؤمن من التوبة الى قرب الحق سبعة التوبة ثم
الاجتهاد ثم الخوف ثم الرجاء ثم الارادة ثم المحبة ثم الرضاء وثمر النخل طلع ثم اغريض ثم بلح ثم بسر ثم
زهو ثم رطب ثم تمر قوله ولا يغل وان تغل عليه صبر النغل بالنون والجيم الطعن والشق ونغل الناس
شادهم وتناغلوا تنازعوا يعني ان طعنه احد وسفه عليه صبر ولم يقابله بمثله قوله المؤمن من طاب
مكسبه اه ذكر فيه من خصال المؤمن سبعة اوصاف الاول طيب كسبه او محل كسبه وهو يشمل طيب
مكسبه للدنيا والاخرة بان يطلب المعيشة من طريق يجوز شرعا وعقلا ولا يطلب زائدا على الكفاف و
لا يفني عمره فيما لا يحتاج اليه ويجعل اعماله موافقة للقوانين الشرعية ويصونها عن العلائق البشرية
والشواغل القلبية خالصا لله الثاني حسن الخليقة والطبيعة بالتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل مثل
الحقد والحسد والغضب وغيرها الثالث صحة السريرة اي القلب باتصافه بصحة العقائد وتفطنه في جميع
الحالات ومراقبته في جميع الحركات والسكنات الرابع انفاق الفضل من المال وهو ينشأ من تصور فضل
الانفاق والتصديق بان امساك الفضل لا ينفع وانفاقه لا يضره الخامس امساك الفضل من الكلام
وهو ما لا ينفع في الآخرة سواء اضر ام لا فيشمل المباح واكثر كلام الناس في المجالس من هذا القبيل
السادس كفاية الناس من شره ولا يتم ذلك الا بالعدالة التابعة للاعتدال في القوة العقلية والشهوية
والغضبية السابع انصاف الناس من نفسه بان يحب للناس ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه
ولا يتصف بالانصاف الا من يلحق في قلبه الاسرار الالهية وانغلقت عنه ابواب الوساوس الشيطانية
فانه لا يرجح نفسه على غيره اذا كان الحق مع ذلك الغير بل هو حاكم له على نفسه قوله والمهاجر من هجر
السيئات اي المهاجر الذي مدحه الله تع هو هذا يعني انه الفرد الكامل منه والا فالمهاجر يطلق ايضا
على من هاجر من مكة الى المدينة قبل الفتح وعلى من هاجر من البدو الى المدينة وعلى من هاجر من بلاد الكفر

عند خوف الجور والفساد وعدم التمكن من اظهار شعاير الاسلام كما قيل في قوله تعالى يا عبادي الذين امنوا
ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون قوله اما شيعة علي عليه السلم العلماء الحلماء الذبل الشفاه تعرف الرهبانية
على وجوههم العلماء اشارة الى كمال قوتهم النظرية بالعلم النظري وهو معرفة الصانع وصفاته ودينه وغير
ذلك والحلماء اشارة الى كمالهم في القوة العملية والراهب من انقطع للعبادة ومصدره الرهبة والرهبانية قوله
لقد عهدت اقواما على عهد خليلي العهد ديدن وياد داشتن ومنهم سلمان وابي ذر وعمار وابن التيهان
بتشديد الياء وسكونها وذو الشهادتين وهؤلاء الثلثة قتلوا في صفين وغيرهم من اخوانهم الذين تعاقدوا
على المنية في صفين فقاتلوا حتى قتلوا شعثا غبرا خمصا بين اعينهم كركب المعزى كان الاخير جمع الخميص
وهو الجايع والاولين مؤنث الاشعث والاغبر كحمراء واحمر والتانيث بتاويل الجماعة الاشعث المنتشر
امره والمتغير لونه والمتلبد شعره لقلة تعهده بالدهن والمنتشر ثوبه من غير استحداد ولا تنظف والا
غبر المتلطخ بالغبار والركب جمع الركبة كالغرف جمع الغرفة والمعزى اسم جنس لا واحد له من لفظه وهي ذوات
الشعر من الغنم الواحدة شاة وبفتح العين وتسكن والمعزى الفها للالحاق لا للتانيث ولهذا تنون في
النكرة والذكر ماعز والانثى ماعزة والمقصود من هذا التشبيه هو وصفهم بكثرة السجود لانه يحصل بها
في الجبهة خشونة لكثرة وضعها على الارض يراوحون بين اقدامهم وجباههم اي اذا اتعب اقدامهم
بطول القيام يراوحون بينها وبين الجباه فيضعون الجباه على التراب تواضعا لله وتذللا له قوله
لقد رايتهم مع هذا وهم خايفون مشفقون اي وهم خايفون من رد اعمالهم مشفقون من عذاب النار
وخوفهم من ذلك يعود الى الخوف مما يحكم به الاوهام ومن حسن العبادة وكمالها ووقوعها على الوجه
المطلوب الموصل الى الله تعالى فطامح انقياد النفس الامارة بالسوء لها وهذا الوهم والانقياد يبدآن
للتعجب بالعبادة والتقاصر عن الازدياد والخوف من ذلك باعث على العمل والسعي فيه وفي تجريده وكاسر
للعجب ومبادئه والعجب من المهلكات قوله حتى صارت الشمس على قدر رمح في بعض النسخ على قدر رمح القيد
القدر يخالفون بين جباههم وركبهم اي يضعون جباههم على التراب خلف وضع ركبهم عليه يعني
يأتون باحدهما عقب الاخر كان زفير النار في اذانهم اشارة الى سبب تعبهم بالطاعات واحيائهم الليالي
بالعبادة وهو كون علمهم باحوال الجنة والنار في مرتبة عين اليقين واذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد
الشجر اي مالوا وتحركوا واضطربوا وفيه تلميح الى قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
كانما القوم باتوا غافلين اللام للعهد والمراد انهم مادوا واضطربوا عند ذكره تعالى خشية منه كانهم باتوا

غافلين

غافلين عنه تاركين لعبادته لعدم اعتدادهم بها نظرا الى كمال عظمته تعم والغرض من هذا الحديث هو الحث على
الاقتداء بهم فما رئي ضاحكا حتى قبض صلوات الله عليه لاستيلاء الخوف على قلبه الظلم والخوف الشديد
يوجب الحزن الدايم قوله اذا اردت ان تعرف اصحابي فانظر من اشتد ورعه وخاف خالقه ورجا ثوابه
اشار به الى ان اصحابه من اشتد ورعه وسعيه في العمل واتصف بالخوف والرجاء المستلزمين للزهد في الدنيا و
الاقبال الى الاخرة وقد دلت عليه روايات اخر وكان المراد بهم الخلص من الشيعة وهم الذين دلت الروايات
على انهم لا يدخلون النار قوله شيعتنا المتباذلون في ولايتنا آه ذكر من الشيعة سبع خصال الاولى التباذل
اي بذل بعضهم بعضا فضل ماله ولفظة في اما للسببية او لاحد المعاني الثلثة المذكورة قبل ذلك الثانية
التحابب اي حب بعضهم بعضا ولا يتحقق ذلك الا بتحقق اثاره الثالثة التزاور اي زيارة بعضهم بعضا لقصد
احياء امر الائمة عليهم السلم وذكر شرفهم وفضلهم الرابعة رفض الظلم عند سورة الغضب وهو مسبب عن
كمال الاعتدال والقوة الغضبية الخامسة عدم الاسراف اي عدم التجاوز عن القصد ورفض الميل الى
الباطل وترك التعصب والحمية عند الرضا عن احد وهو من توابع العدل السادسة كونهم بركة على الجار
لايصال النفع اليه ودفع الضرر عنه السابعة كونهم سلما لمن خالطوه وهو بكسر السين وفتحها الصلح يذكر
ويؤنث قوله عن عيسى النهربيري هكذا بالباء الموحدة قبل الياء الاولى في بعض النسخ وفي بعضها النهري
وفي بعضها الجريري وهو الموافق لما ذكره الشيخ في الاربعين وقال في حاشيته الجريري بضم الجيم منسوب
الى جرير بن عباد بالضم والتخفيف وفي كتاب الرجال عيسى بن اعين الجريري الاسدي مولى كوفي ثقة
روى عن ابي عبد الله عم من عرف الله وعظمته في بعض النسخ وعظمه من التعظيم عطفا على عرف والمراد
بمعرفته معرفة صفاته الجلالية والجمالية بقدر طاقة الانسان واما معرفة حقيقة ذاته وصفاته فمما لا
سبيل اليه لمن اتصف بصفة الامكان منع فاه من الكلام وبطنه من الطعام لعلمه بان حفظ اللسان
عن الفضول باب النجاة وحفظ البطن عن الطعام مفتاح الخيرات لان الفضول من الكلام يسود لوح
النفس ويفسد العمل والاكثار من الطعام يوجب زوال الرقة وحدوث القسوة والكسل وعنى نفسه
بالصيام والقيام اي جعلها صافية خالصة وجعلها مندرسة ضعيفة ذليلة لان الصيام والقيام
بوظايف الطاعات يكرهه شهوة النفس وفي بعض النسخ عنا نفسه بالعين المهملة والنون المشددة
اي اتعب والعنا بالفتح والمد التعب قالوا بابائنا وامهاتنا يا رسول الله هؤلاء اولياء الله اي نفديك
بابائنا وامهاتنا فالباء للتعدية بحذف الفعل وهي في الحقيقة للعوض نحو خذ هذا بهذا وقولهم هؤلاء

اولياء الله استفهام ويحتمل ان يكون خبرا قصد به لازم الحكم وهو علمهم بذلك فقال ان اولياء الله
سكتوا فكان سكوتهم ذكرا لاشتغال قلوبهم الطاهرة بذكر الله نعم وذكر علمه وقدرته وحكمته وبدايع
اثاره الغريبة وافعاله العجيبة وحمل الذكر على السكوت للمبالغة في السببية وللاشعار بكونه لازما
له غير منفك عنه وكذا في القراين الاتية وهذا اشارة لقولهم هولاء اولياء الله يعني اولياء الله صنف اخر
صفاتهم فوق الصفات الثلثة المذكورة او تصديق له ووصف الاولياء بصفات اخرى زيادة على
الصفات المذكورة واما التاكيد على الاول ظاهر لكون المخاطب مترددا او حاكما واما على الثاني مع ان
المخاطب قايل بالحكم المذكور مصدق له فلصدوره عنه صح عن كمال الرغبة ووفور النشاط
في وصف اولياء الله باعظم الصفات فكان مظنة التاكيد كما ذكره الشيخ في الاربعين وصاحب الكشاف
عند قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون
ونظروا فكان نظرهم عبرة نظروا الى الاشياء كلها وعبروا من اخسها الى احسنها مثلا نظروا الى الدنيا
والاخرة فراوا بعين البصيرة ان الدنيا دار الغرور والاخرة دار القرار فطلبوا الاخرة واشتغلوا
باصلاحها وتركوا الدنيا باسرها ونظروا الى احوال الصالحين واحوال الفاسقين وعرفوا التفاوت بينهما
فطلبوا الاسوة بالصالحين ونطقوا فكان نطقهم حكمة وهي ما ينفع في الاخرة من العلوم والمعارف والعقايد
الصحيحة والاخلاق الحسنة والاعمال الصالحة وهداية الخلق اليها وحثهم عليها وذلك لكمالهم اعتدالهم
في القوة العملية ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة لان قصدهم رفع الحوايج عن الناس وطلب المنافع
لهم ورفع المضار عنهم مع ان وجودهم سبب لسعة ارزاقهم ورفع البلاء عنهم لولا الاجال التي قد كتبت
عليهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم خوفا من العذاب وشوقا الى الثواب اراد ان غلبة الشوق الى ثواب الله
والخوف من عقابه على نفوسهم القدسية الى غاية ان ارواحهم لا يستقر في اجسادهم من ذلك لولا الاجال
التي قد كتبت عليهم وهذا الخوف والشوق يستلزمان دوام الجد في العمل والاعراض عن الدنيا ومبدؤهما
تصور عظمة الخالق ويجب قوة ذلك التصور يكون قوة الخوف والرجاء وهما بابان عظيمان للخير وينبغي ان
نعلم ان جوهر البسيط الانساني اذا صفا عن الكدورات الجسمانية وخلا عن اللذات الطبيعية اتصل
بعالم القدس وشاهد بنور البصيرة جمال الحق واستغرق في تجلياته وقطع عنه علايق الكثرة وهذه
المرتبة هي مرتبة حق اليقين وليست عند صاحب هذه المرتبة زيادة فرق بين تعلق جوهره ببدنه
وتجرده عنه لان استعمال القوى البدنية لا يمنعه من النظر الى الكمال الحقيقي الا ان ذلك النظر بعد تجرده

التام

التام ومفارقته بالكلية عن ذلك التعلق اصفى واتم اذ هو ما دام التعلق لا يخلو عن خوف فوات تلك
المرتبة بمقتضيات التعلق والشهود التام والامن من الخوف انما يحصلان بعد التجرد التام وزوال التعلق
بالكلية فلذلك صار جهما ترقب رفع هذا الحجاب وكشف هذا النقاب خوفا من العذاب واشد فوات
هذه المرتبة وشوقا الى الثواب واعظمه شهود جمال الحق قوله انا اخبركم عن اخ لي كان من اعظم الناس في
عيني اريد بالاخ ابوذر الغفاري على احتمال وبالاعظم الاعظم قدرا ومنزلة وكان راس ما عظم به
عيني صغر الدنيا في عينه الراس الاصل والصغر وزان قفل الذل والهوان وهو خبر كان وفاعل عظم ضمير
الاخ وضميره عايد الى الموصول والباء للسببية كان خارجا من سلطان بطنه اي لم يكن لبطنه سلطنة
وغلبة عليه حيث لمات قوته الشهوية وذكر لهذا علة متين فقال فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر اذا
وجد اي فلا يشتهي ما لا يجد من نعم الدنيا ولا يشتاق اليها ولا يكثر اذا وجد شيئا منها وذلك لانه
ترك الدنيا لهوانها والدرجة العليا والغاية القصوى من ترك الدنيا قطع المالوفات وترك المستحسنات
وعدم صرف الهمة الى تحصيل ما لم يجد من المشتهيات واكثار ما وجد من الزهرات كان خارجا من سلطان
فرجه اي لم يكن لفرجه عليه سلطنة اصلا او فيما لا يجوز استعماله فيه وذكر لهذا ايضا علة متين فقال
فلا يستخف له عقله ولا رايه استخفه خلاف استثقله ومعناه طلب منه الخفة يعني فلا يطلب لاجل
فرجه وقضاء شهوته الخفة من عقله ورايه وتدبيره في اطاعتهما له والحاصل انه لا يجعل عقله وتدبيره
خفيفين سريعين مطيعين له في قضاء حوايج الفرج بل عقله رزين ورايه متين لا يحركهما عواصف اللذات
وارجاع الضمير في له الى الاخ ورفع عقله وما عطف عليه بعيد كان خارجا من سلطان الجهالة لكونه
كاملا في القوة العقلية فلا سلطنة للجهل عليه وذكر لهذا علامة فقال فلا يمد يده الا على ثقة لمنفعة
لان العاقل العالم الكامل لا يتناول شيئا الا على ثقة ويقين بكونه منفعة لكونه عارفا بحقايق الاشياء
ومباديها وما لها ومنافعها ومضارها بخلاف الجاهل فان اكثر ما يتناول مضر في الدنيا والاخرة كان
لا يتشهى ولا يتسخط ولا يتبرم اي كان لا يحب الدنيا ولا يرغب فيها ولا يتسخط بنصيبه منها وان
قل ولا يستقل من تسخط عطاء اذا استقله ولا يغضب لاجلها ولا يضجر ولا يغتم لفواتها كان
اكثر دهره صمّاتا اي كثير السكوت الا عن الخير والمراد بالدهر هنا مدة العمر فاذا قال بذّ القايلين اي فاذا
تكلم بالحق غلب على القايلين وسبقهم لكمال عقله وكثرة علمه وصيرورة المعارف ملكة في جوهر نفسه
كان لا يدخل في مراء ولا يشارك في دعوى ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضيا في المصباح ما دليته لما دنته

ممارأة ومرا جادلته ويقال ماريته ايضا اذا طعنت فى قوله تزييفا للقول وتصغيرا للقائل ولا يكون المراء
الا اعتراضا بخلاف الجدال فانه يكون ابتداء واعتراضا واولى بحجة احتج بها واشبهها فوصل بها الى
دعواه يعنى كان لا يتعرض للمجادل وتزييف قوله ولا يتصدى للمدعى وابطال دعواه ولا يتمسك بحجته
فى اثبات مدعاه حتى يرى قاضيا بالحق قاطعا للنزاع وهذا من كمال النفس ورزانة العقل والتكلم فى
هذه الامور قبل وجدان الحاكم العادل المميز بين الحق والباطل من ادب السفهاء وسنن الجهلاء وكان لا
يغفل عن اخوانه ولا يخص نفسه بشئ دونهم هذا من كمال شفقته ورقة قلبه ولينة طبعه حيث انه
لا يغفل عن تفقد احوال اخوانه المومنين فى جميع الحالات ولا يخص نفسه دونهم بشئ من الخيرات بل يريد
لهم ما يريد لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ووجه تخصيص كان هنا بالعطف خفى فلينامل كان
ضعيفا مستضعفا منشأ الاول كثرة الصيام والقيام بالصلوة وساير العبادات والسهر وخشونة المطعم
والملبس وهجر الملاذ والشهوات الدنيوية حتى صار ضعيفا فى بدنه ومنشأ الثانى تواضعه للمومنين وعدم
مجادلته وتغلبه عليهم حتى استضعفوه وعدوه ضعيفا وان كان قويا فى نفس الامر كما اشار اليه بقوله
فاذا جاء الجد كان ليثا عاديا الجد الاجتهاد وفى الامر والمراد به هنا المحاربة والمجاهدة والسبع العادى
الظالم الذى يفترس الناس يعنى ان كان وقت المجاهدة مع اعداء الدين فهو بمنزلة الاسد فى الهيبة
والقوة والصولة وهذا مقتبس من قوله تعالى فى وصف امير المومنين عم والائمة من اولاده الطاهرين
عليهم السلم اذلة على المومنين اعزة على الكافرين وقرئ غاديا بالغين المعجمة ايضا وانما وصف الاسد
لان الاسد اذا غدى كان جايعا فصولته اشد كان لا يلوم احدا فيما يقع العذر فى مثله حتى يرى
اعتذارا اى كان من عادته الحسنة ان لا يسرع بملامة احد اذا قصر فى حقه لامكان ان يكون له عذر
وليس المقصد اللوم بعد الاعتذار نظيره قولك لا اطلب رزقى حتى يأتينى لانك لم تقصد الطلب بعد اتيانه
كان يفعل ما يقول ويفعل ما لا يقول اى كان يفعل كل ما يقوله ويامر به غيره ويفعل ما لا يقوله
وفيه مبالغة لكمال عنايته بالتقرب الى الله تعالى وتلميح الى تثبته بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم
تقولون ما لا تفعلون كان اذا ابتزه امران لا يدرى ايهما افضل نظر الى اقربهما الى الهوى فخالفه الابتزاز
والابتزاز القهر والغلبة واخذ الشئ بجفاء وقهر وانما خالف ما يهويه النفس وتميل اليه وهو لا
الاسهل الا الطلب الانفل الاشق عليها كان لا يشكو وجعا الا عند من يرجو عنده البرء وهو الله
اوغيره ايضا وذلك لقوة صبره واحاطة علمه بان الشكاية عند غيره شكاية من الله تعالى وهذا الدين داب

العارفين

العارفين واما عند من يرجو البرء عنده فليس شكاية بل طلب لعلاجه وهو ممدوح عقلا وشرعا
هذا حال الشكاية عن الوجع حال وجوده واما الشكاية عنه بعد الصحة فقيل يجوز لانها نوع من الشكر
هذا ان اذا قال مثلا كان بى وجع كذا فمن الله على بالصحة اما لو قال مثلا كان بى وجع ولم يكن باحد
فالظاهر انه شكاية من الله ولا يستشير الا من يرجو عنده النصيحة لانه ينور بصيرته وكمال فطنته يعرف
احوال الناس ويميز بين الناصح والغاش فلا يستشير فى امر من اموره الا من يعلم اذ يظن انه يجتهد ويريد
الى مصالحه كان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى اى من الوجع فلا تكرار والتشكى شكوه وكلار كردن
ولا يشتهى ولا ينتقم تشهى آرزو كردن انتقام كينه كشيدن از كسى وفيه اشارة الى اعتدال القوة
الشهوية والغضبية وجعله اياهما تحت حكم العقل ولا يغفل عن العدو الداخل والخارج اما
الداخل فكافراط وتفريط القوتين المذكورتين والاخلاق الذميمة واهواء النفس الامارة بالسوء واما الخارج
فكاتباع الشياطين من الجن والانس وافعال الجوارح الخارجة عن القوانين الشرعية وفيه اشارة الى كمال
فى القوة العقلية قول شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه لخفاء صوته الدال على لين طبعه فان الصوت الشديد ١٤٨
دال على غلظته ولذلك يكون مذموما كما قال عز وجل ان انكر الاصوات لصوت الحمير وفى بعض النسخ
من لا يعلو ولا شحناؤه بدنه الشحناء العداوة والبغضاء يعنى انهما تحت يده وقدرته يدفعهما باللطف
والرفق ولا يمتدح بنا معلنا امتداح ستودن من المدح وهو ثناء احد بما فيه من الصفات الجميلة خلقية كانت
او اختيارية والظاهر ان الباء فى بنا للتعدية ولعل وجه ذلك ان اعلان مدحهم مضر لهم وللمادح ولا يجالس لنا
عائبا للبلاء بما ناله ولا يشارك فى الاثم والعقوبة وقد امر الله تعالى بالاعراض عنه ونهى عن مجالسته
بقوله واذا رايت الذين يخوضون فى اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وقوله قد نزل عليكم
فى الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزئ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره
انكم اذا مثلهم والايات الائمة عليهم السلم ولا يخاصم لنا قاليا اى مبغضا معاندا الا ان مخاصمة الائمة
الا الضرورة زيادة العداوة والبغض ان لقى مومنا اكرمه لايمانه باعثا من الاكرام والاعظام وان
لقى جاهلا هجره لجهله وهو انه والتحرز من اثر جهله وينفذ فى الجاهل والعاصى والعالم الذى لا يعمل
لعلمه بل الهجر عنه اولى لان له قوة راى يغلب بها على صاحبه بالحيل والتدوير قلت جعلت فداك فكيف
اصنع بهولاء المتشيعة اى الذين يدعون التشيع وليس لهم معناه وعلاماته فقال فيهم التمييز وفيهم
التبديل وفيهم التمحيص ياتى عليهم سنون تفنيهم وطاعون تقتلهم واختلاف بينهم ذكر عم امورا

امور توجب خروجهم من الفرقة الناجية واهلاكهم بالاعمال والاحلاء في الشيعة في الدنيا والاخرة احدها
التميز بين الثابت الراسخ وغيره يقال ميزته ميزا من باب باع بمعنى عزلته وفصلته عن غيره والتثقيل مبالغة
وذلك يكون في المشتبهات نحو ليميز الله الخبيث من الطيب وفي المختلطات نحو وامتازوا اليوم ايها المجرمون
وتميز الشئ انفصل من غيره وثانيها التبديل اى تبديل حالهم بحال الحسن او تبديلهم بقوم آخرين لا يكونوا
امثالهم والله يعلم وثالثها التمحيص وهو الابتلاء والاختبار والتخليص يقول محصت الذهب بالنار
اذا خلصته مما يشوبه وذلك التميز والاختبار يخرج خلق كثير كما يدل عليه ما روى عن ابن يعقوب قال
سمعت اباعبدالله عم يقول ويل لطغات العرب من امر قد اقترب قلت جعلت فداك كم مع القائم من
العرب قال نفر يسير قلت والله يصف هذا الامر منهم لكثير قال لابد للناس من ان يمحصوا ويميزوا و
يغربلوا ويخرج في الغربال خلق كثير ورابعها السنون وهي الجدب والقحط قال الله تعالى ولقد اخذنا
آل فرعون بالسنين والواحد السنة وهي محذوفة اللام وفيه لغتان احديهما جعل اللام هاء والاصل
سنهة ويجمع على سنهات مثل سجدة وسجدات ويصغر على سنيهة واصابتها السنهة اى الجدب
والثانية جعلها واو والاصل سنوة ويجمع على سنوات مثل شهوة وشهوات ويصغر على سنية وارض
سنواء اصابتها السنوة ويجمع في اللغتين كجمع المذكر السالم ايضا فيقال سنون وسنين ويحذف النون
للاضافة وفي لغة تثبت الياء في الاحوال كلها ويجعل النون حرف اعراب تنون في التنكير ولا تحذف
مع الاضافة كانها من اصول الكلمة وعلى هذه اللغة قوله صلعم اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف
وخامسها الطاعون وهو الموت من الوباء والجوع الطواعين وطعن الانسان بالبناء للمفعول اصابه
الطاعون فهو مطعون وسادسها الخلاف في بدءهم اى اختلاف بينهم بالتدابر والتقاطع والتنازع
او غيرها يبددهم ويفرقهم تفريقا شديدا يقول بددت الشئ بددا من باب قتل اذا فرقته والتثقيل مبالغة
وتكثير شيعتنا من لا يهر هرير الكلب ولا يطمع طمع الغراب الهرير صوت الكلب وهو دون النباح وهو
مصدر هر يهر من باب ضرب ويريد به نظر الكلاة بعضهم الى بعض ومنه ليلة الهرير وهي وقعة كانت
بين علي عليه السلم ومعوية بظاهر الكوفة وفيه اشارة الى ان الشيعة من كسر قوة الشهوية والغضبية فان
افراط القوة الغضبية في رجل يجعله شبيها بالكلاب وافراط القوة الشهوية يجعلها شبيها بالغراب ولا
يسال عدونا وان مات جوعا كان من باب المبالغة او مع امكان سوال غير العدو والا فالظاهر ان السوال
مطلقا عند ظن الموت من الجوع واجب ثم المراد بالسوال السوال بلا عوض واما مع كالاقتراض فالظاهر انه

جايز

١٤٩

جايز قلت جعلت فداك فاين اطلب هولاء القلة وجود من اتصف بالصفات المذكورة قال في اطراف الارض
لانهم يستوحشون من الناس لما رأوا منهم ما يوجب تنفر القلوب عنهم اولئك الخفيض عيشهم العيش
زندكاني والخفض الراحة ووجه كون عيشهم خفيضا انهم تركوا الدنيا ولم يحملوا على انفسهم ثقل
ملاذها وتزهوا قلوبهم عن لوث همومها وغمومها المنتقلة ديارهم لانهم سائحون في الارض وليس
لهم مسكن معين لان طالب الفيض المستعد لقبوله لا بد له من رفع الموانع واعظمها صحبة الناس
الذين طبايعهم معوجة وقلوبهم منكوسة وعقولهم ضعيفة وشهواتهم قوية ورفع هذا المانع لا
يمكن الا بالفرار من ديارهم ورفض الميل الى اطوارهم ان شهدوا لم يعرفوا العدم شهرتهم وخمول ذكرهم
بين الناس وان غابوا لم يفتقدوا اى لم يطلبوا الاستنكاف الناس عن صحبتهم وعدم اعتنائهم بشانهم
وقد عن النبي صلعم انه قال ان الله يحب من خلقه الاصفياء الاخفياء الشعثة رؤسهم المغبرة وجوههم
الخمصة بطونهم الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم وان خطبوا المتنعمات لم ينكحوا وان غابوا
لم يفتقدوا وان طلعوا لم يفرح بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لم يشهدوا ومن الموت لا
يجزعون لان اولياء الله يحبون الموت ويتمنون لرفع الحجاب والتخلص من الم الفراق فكيف يجزعون
منه وفي القبور يتزاورون اى يزور بعضهم بعضا في البرزخ الى يوم يبعثون وهم احياء مرزوقون
او يزورهم احياءهم امواتهم في المقابر والاموات لا يؤذون الزائر ولا يغتابون الغائب ويعطون
الحاضر بلسان الحال بل بلسان المقال وان لجاء اليهم ذو حاجة منهم رحموه لكراهة قلوبهم وطهارة
قلوبهم ورقة صدورهم والخالطة عليهم بان قضاء حوائج المضطر الملتجى من صفات الكرام ورده مع الامكان
من سمات اللئام لم تختلف قلوبهم وان اختلفت بهم الديار اى قلوبهم متوافقة غير مختلفة وان كانت
ديارهم مختلفة متباعدة لان مقصدهم واحد وطريقتهم واحدة بخلاف غيرهم فان قلوبهم مختلفة فانهم
تابعون للنفس الامارة بالسوء واهواءها وطرقها مختلفة اذ قلب كل واحد غير مختلفة ولا متغير من حال
الى حال وان اختلفت دياره ومنازله لانسه بالله وعدم تعلقه بغيره فلا يستوحش بالوحدة والغربة
واختلاف الديار لان مقصوده وانيسه واحد حاضر معه في الديار كلها بخلاف غيره لان قلبه لما كان
متعلقا بغيره تعالى يانس به اذا وجده ويستوحش اذا فقده هذا من باب الاحتمال والله يعلم قوله من عامل
الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم آه دخل في المعاملة البيع والشراء والخلطة وغيرها وفي التحديث نقل
الروايات وغيرها وفي الوعد وعد الاعطاء وغيره وحرمة غيبته اعظم والغش والظاهر المفهوم وهو

جوان غيبته غيره غير مراد و زجره بالنهى عن المنكر امر آخر غير الغيبة والمروة اداب نفسانية تحمل مراعاتها
الانسان عند الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات يقال مروة الانسان فهو مرى مثل قرب فهو
قريب اى ذو مروة قال الجوهرى وقد تشدد فيقال مرّوة والعدل ملكة تحصل بتعديل القوى كلها وافنائها
على قانون الشرع والعقل وتوجب صدور الافعال الجميلة بسهولة قصد و تلك الافعال ابدا دليل على
وجوده وظهوره والمراد بوجوب الاخوة وجوب رعاية حقوقها التى مر بعضها **قوله** ثلث خصال من كن
فيه استكمل خصال الايمان لان هذه الثلث امهات يتولد منها خصال الايمان كلها اذ هى اذا تحققت
تحقق العدل والعدل ملزوم لجميع الخصال **قوله** وقلة المراقبة للنساء او قال قلة المواتاة للنساء من امره
چيز بر چشم داشتن ولعل المراد بها النظر الى النساء الاجنبيات وادبارهن ويمكن ان يراد بها محافظته
كما روى شاوروهن وخالفوهن وبذل المعروف اى الخير وهو الاحسان بالفضل من المال الى الغير وحسن
الخلق وسعة الخلق واتباع العلم لعل المراد بحسن الخلق حسن الهيئة وهو كون كل عضو على حد يليق به
به فان ذلك دليل على استقامة المزاج ولين الطبع وصحة الافعال غالبا الا انه ليس من صنع العبد ولا يوجد
فى غير اهل الدين كما قال عز وجل فى وصف المنافقين واذا رايتهم تعجبك اجسامهم ويمكن ان يراد به حسن
الاعمال الظم بالاعمال الفاضلة فانه من علامات اهل الدين وبسعة الخلق تعمقه بالنسبة الى الناس كلهم
من غير فرق بين القريب والبعيد والشريف والوضيع او صفحه عن الزلات كلها صغارها وكبارها وباتباع
العلم تعلمه او العلم به او الاهم ولو ان راكبا مجدا سار فى ظلها مائة عام ما خرج منه كان هذه الشجرة هى التى
فى رواية مسلم عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلعم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة
لا يقطعها وفى اخرى يسير الراكب فى ظلها مائة سنة قال عياض معنى ظلها كنفها وهو ما يستره اغصانها وقد
يكون ظلها نعيمها وراحتها من قولهم عيش ظليل واحتج الى تاويل الظل بما ذكره لان الظل فى العرف ما يقى
حر الشمس ولا شمس فى الجنة ولا برد وانما نور يتلالا لا انتهى وقال المازرى المضمر بفتح الضاد وشد الميم وروى
بعضهم بكسر الميم الثانية صفة للراكب المضمر فرسه **قوله** ويصلون والناس نيام غافلون نام ينام من باب علم نوما
ومناما فهو نائم والجمع نائمون ونوم ونيام ايضا والنوم غشية ثقيلة تهجم على القلب فتقطعه عن المعرفة بالاشيا
ولهذا قيل هو اخ الموت ويقال ايضا نام عن حاجته اذا لم يهتم بها وقوله غافلون فاعلون خبر بعد خبر للدلالة
على التعميم او تفسير للنيام وتنبيه على ان المراد بالنوم الغفلة لما ذكر فى السبب لعدم الادراك كما قال النبى صلعم
الناس نيام اذا ماتوا انتبهوا **قوله** وقار بلا مهابة الوقار الرزانة والعظمة والمهابة بزرگى كردن وخشم آورى

داشتن

داشتن وترسيدن وهى صفة تحصل بفساد القوة الغضبية وتجاوزها عن حدها واما المهابة من الاولياء فهى
من قبله تعالى لا للفساد فى تلك القوة وسماح بلا طلب مكافاة اى مكافاة عوض او ثناء او شكر والسماحة
على هذا الوجه هى السعادة والجود حقيقة وهى فى البشر قليلة وتشاغل بغير متاع الدنيا اى تشاغل بالله و
بما يقرب منه لا بمتاع الدنيا وزهراتها **قوله** والينكم كنفا الكنف الجانب ولين الجانب سبب لميل الخلق اليه
كما قال عز وجل ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك **قوله** ان من اخلاق المومن الانفاق على
قدر الاقتار والتوسع على قدر التوسع كما نطقت به الاية الكريمة فالمومن لا يمنع اهله من الانفاق ما يقدر
عليه ولا يرتكب منه ما لا يقدر عليه وابتداءه اياهم بالسلام عليهم لما فيه من التواضع والتعظيم وجلب
المودة والمحبة والاجر العظيم **قوله** المومن اصلب من الجبل الجبل يستقل عليه والمومن لا يستقل من دينه شى
اى الجبل ينقص ويوخذ منه بالفاس والمعول ونحوهما والمومن لا ينقص شى من دينه بمعول الشبهات نظيره
ما روى عنه صلعم المومن كالجبل لا تحركه العواصف اى هو كالجبل لا تحركه ريح الهوى ولا شهوة الدنيا **قوله**
150 المومن حسن المعونة خفيف المونة المعونة يارى دادن والمونة رنج كشيدن وكران بار بودن وذلك لانه رفيق
زاهد فيرفقه بخلق الله حسنت معونته وبزهده فى الدنيا خفت مونته جيد التدبير لمعيشته المعيشة مكسب
الانسان الذى يعيش به وذلك باختياره طريقا مشروعا غير مذموم عقلا وشرعا وعرفا مقتصرا على قدر
الكفاف لا يلسع من جحر مرتين اللسع كزيدن مار وكژدم والجحر بتقديم الجيم المضمومة على الحاء المهملة الساكنة
نقبه الحية واليربوع او الضب وهو استعارة هنا اى لا يخدع المومن من جهة واحد مرتين فانه بالاولى يعتبر
يعتبر ومثله رواه مسلم عن النبى صلعم قال الخطابى يروى بضم العين وسكونها فالضم على وجه الخبر ومعناه
ان المومن هو الكيس الحازم الذى لا يوتى من جهة الغفلة فيخدع مرة بعد مرة وهو لا يفطن لذلك ولا يشعر
به والمراد به الخداع فى امر الدين لا امر الدنيا واما الكسر فعلى وجه النهى اى لا تخدعن المومن ولا يوتين من
ناحية الغفلة فيقع فى مكروه او شر وهو لا يشعر به وليكن فطنا حذرا وهذا التاويل يصلح ان يكون لامر الدين
والدنيا معا وذكر عياض هذين الوجهين ونحو الخبر ان سبب قوله صلعم هذا ان ابا عزة الشاعر الجمحى بن
عمير كان اسر يوم بدر فسال النبى صلعم ان يمن عليه ففعل وعاهده ان لا يحرض عليه ولا يهجوه فلما لحق
باهله عاد الى ما كان عليه ثم اسر يوم احد فساله ايضا ان يمن عليه فقال صلعم هذا الكلام البليغ الحاج
الذى لم يسبق اليه وفيه تنبيه عظيم على انه اذا راى الاذى من جهة لا يعود اليها ثانيه وقال الابى رحمه
الخطابى النهى بعد ذكر الوجهين وكانه لم يبلغه راى الخطابى سبب قوله صلعم هذا الكلام ولو بلغه لم يحمله على النهى

باب قلة عدد المؤمنين

واجاب الطيبي بانه وان بلغ السب فلا يبعد النبي بل هو اولى من الجز وذلك لانه لما دعته نفسه مع الركية الكريمة الى الحلم والصلح جرد من نفسه مؤمنا حازما فطنا ونهاه ان يتخدع لهذا المتمرد الخاين وكان مقام الغضب لله ثم قال الا الانتقام من اعداء الله لان الانتقام منهم مطلوب والتجريد احد القاب البديع ومحسناته وبيانه انه اولى انه اذا احمل على الجز يفوت دلالة الحديث على طلبه الانتقام **قوله** وامر بالعرف العرف الجود وكل ما يبذل ويعطى فالصبر في الباساء والضراء كالفقر والفاقه والمرض والصعوبة والقحط وامثالها وهما اسمان من ذلك الباسا ما يتعلق بالمال كالفقر والتلف وغيرهما والضراء ما يتعلق بالبدن كالمرض والعمى ونحوهما **قوله** المؤمنة اعز من المؤمن والمؤمن اعز من الكبريت الاحمر اى المؤمنة اقل وجودا من المؤمن لان المراة الصالحة الكاملة في غاية الندرة لضعف عقولهن وشدة ميلهن الى الدنيا وزينتها وكمال بعدهن عن احكام الله تعالى والمراد بالمؤمن المؤمن الكامل وهو الذى تثبت بالمنجيات وتحرز عن المهلكات بتهذيب الظاهر والباطن عن الرذايل وتحليتهما بالفضايل وشاهد جمال الاسرار بعين اليقين بكشف الحجاب ورفع النقاب فاطمان لها قلبه واستراح بها روحه ولاريب في ان مثله نادر فمن راى منكم الكبريت الاحمر فيه مبالغة في قلة وجوده لا في نفيه مع احتماله والكبريت فعليت معروف **قوله** الناس كلهم بهايم في عدم العقل وادراك الحق لان المطاعم الحاضرة والمناكح الدايرة واللذات الظاهرة اعمت بصاير قلوبهم عن ادراك الايمان ونيل العرفان ومشاهدة الايقان واعلام من الكمالات النفسانية والحقيقة الانسانية والمقامات الروحانية فصاروا ياكلون ويشربون وينكحون غاية همهم بطونهم ونهاية قصدهم فروجهم وهم عن مال احوالهم غافلون وعن قبح اعمالهم جاهلون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون **قوله** المؤمن عزيز في بعض النسخ غريب الغريب من سكن في منزل غيره وبعد عن الاهل والاوطان والمؤمن كذلك لانه بعد عن اهل الايمان وسكن في منزل اهل الكفر والعصيان **قوله** اما والله لو انى اجد منكم ثلثة مؤمنين يكتمون حديثى ما استحللت ان اكتم حديثا دل على ان المؤمن الكامل الذى يستحق ان يكون صاحب السر قليل وان التقية واخفاء علومهم واسرارهم من المتشيعين اكثر من ان يخفى **قوله** يخف عليك ان تبلغ معنا الم ينبع ينبع بفتح اليا وسكون النون وضم البا الموحدة قرية بها حصن على سبع مراحل من المدينة من جهة البحر بين مكة والمدينة قلت البغل اذين والابل اى اكبر وافضل فهو لذوى الشرف سهولة احد روا جمل وانما فعل ذلك تواضعا له عم ورعاية للادب واختاره الحمار تواضعا وهضما للنفس مع الركوب والنزول فقال يا سدير انزل بنا نصلى ثم قال هذه ارض سبخة لا يجوز الصلوة فيها الامر بالنزول اولا ثم الاعراض عنه للتنبيه على انه لا يجوز الصلوة في السبخة وهو محمول على الكراهة ونظر الى غلام يرعى جداء

قال

151

قال بعض اهل اللغة الجدى الذكر من اولاد المعز والانثى عناق وقيده بعضهم بكونه في السنة الاولى والجمع اجد وجداء مثل دلو وادل ودلاء والجدى بالكسر لغة رديئة فقال والله يا سدير لو كان لى شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعنى القعود يظهر منه ان الصاحبة مع كثرة المنتسبين اليه من الشيعة لم يكون له شيعة في الواقع بهذا العدد الا لما وسعه القعود لعدم الفرق بينه وبينه عليهما السلم **قوله** يا سماعة امنوا على فرشهم واخافونى شكاية من الفرقة المتشيعة حيث اذاعوا الاسرار واخافوه من الامراء الاشرار واشارة الى قلة وجود عبد خالص لله بقوله اما والله لقد كانت الدنيا وما فيها الا واحد يعبد الله ولو كان معه غيره من اهل الايمان لاضافه الله عز وجل اليه لان الغرض ذكر اهل الايمان التارك للشرك فلو كان معه غيره لذكره حيث يقول ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين الامة الجماعة من الناس واتباع الانبياء عليهم السلم والجمع امم مثل غرفة وغرف ويطلق على عالم دهره المنفرد بعلمه الجامع للخير المقتدى لغيره كما في المصباح وكنز اللغة وغيرهما وهذا هو المراد هنا والقنوت الدعاء والعبادة والحنيف المسلم لانه مايل الى الدين المستقيم والناسك ايضا فغبر بذلك ما شاء الله غبر غبورا من باب قعد مضى وقد يستعمل فيما بقى ايضا فيكون من الاضداد وقال الزبيدى غبر غبورا مكث وفي لغة بالمهملة للماضى وبالمعجمة للباقى اما والله ان المؤمن لقليل وان اهل الكفر كثير المراد بالمؤمن المؤمن الكامل وباهل الكفر من سواهم وان ادعوا الايمان ظاهرا فان غير المؤمن الكامل لا يخلو من كفر ما لانه بين وجوه ايمانهم مع الكفر بان الله تعالى صيرهم امنا المؤمنين الكاملين واما كثرتهم فهو لغرورهم بالدنيا وعدم علمهم بان الدنيا تخدع اكثر من فيها والغرض من هذا الحديث بيان قلة اهل الايمان والحمل على الصبر عليها وعدم الاستيحاش من الوحدة كما يرشد اليه قول امير المؤمنين عم ايها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة اهله فان الناس على مايدة شبعها قصير وجوعها طويل قال بعض الافاضل لما كانت العادة ان يستوحش الناس من الوحدة وقلة الرفيق في طريق طويل صعب نهى عليه السلم عن الاستيحاش في تلك الطريق وكنى به عما عساه يعرض لبعضهم من الوسوسة بانهم ليسوا على حق لقلتهم وكثرة مخالفيهم لان قلة العدد في الطريق مظنة للهلاك والسلامة مع الكثرة فنبههم على انهم في طريق الهدى وان كانوا قليلين ثم نبه على قلة عدد اهل طريق الهدى وهى اجتماع الناس على الدنيا فقال ان الناس الى الاخرة واستعار للدنيا الملذية وملاحظة تشبيهها في كونها مجمع اللذات وكنى عن قصر مدتها بقصر شبعها وعن استعقاب الانهماك فيها للعذاب الطويل في الاخرة بطول جوعها ولفظ الجوع مستعار للحاجة

باب ان الرضا بموهبة الايمان والصبر على كل شيء بعده

الطويلة بعد الموت الى المطاعم الحقيقية الباقية من الكمالات النفسانية وهو سبب الغفلة في الدنيا فلذلك

نسب الجوع اليها وفي قوله عم صبرتم وانسا المؤمنين يشون اليهم ما في صدورهم فيستريحون الى ذلك ويسكنون

اليه دلالة على ان القلب يضيق بحفظ السر واذا اظهره استراح منه فلذلك جعل بعض الناس حصون

اهل الايمان الناقص ليظهر المؤمن الكامل سره لهم ويفرح من ضيق صدره قوله الا احدثك ما يعجب

من ذلك المهاجرون والانصار ذهبوا الا واشار بيده ثلثه وجه زيادة التعجب ان ذهابهم مع سابقتهم

وخروجهم من الدين مع ادراكهم صحبة النبي صم وقرب العهد به وبالوحي اعجب من خروج من فقد جميع

ذلك ولعل المراد بالثلثه سلمان وابوذر والمقداد روى الكشي عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن ابي

بكر الحضرمي قال قال ابو جعفر عليه السلم ارتد الناس الا ثلثة نفر سلمان وابوذر والمقداد فقلت عمار

قال كان حاص حيصه ثم رجع ثم ان اردت الذي لم يشك فالمقداد وروى ايضا عن ابي الحسن موسى عم

قال اذا كان يوم القيمة نادى مناد اين حواري محمد بن عبد الله رسول الله الذي لم ينقضوا العهد

ومضوا عليه فيقوم سلمان والمقداد وابوذر الحديث ايهات ايهات في بعض النسخ هيهات هيهات

وهي كلمة تبعيد والتاء مفتوحة وناس يكسرونها وقد تبدل الهاء همزة فيقال ايهات وربما قالوا

ايهان بالنون كالتثنية قوله ما يضر رجلا اذا كان على ذي الرأي ما قال الناس له ولو قالوا مجنون

ما قال فاعل ما يضر ولعل المراد ذي الرأي الامام عم او الاعم منه ومن اهل العلم والصلاح مطلقا

ويكون الرجل عليه متابعته والاعراض عن غيره وفيه دلالة على ان الجنون اعظم ما يقال في مقام الذم

والتحقير وهو كذلك اذ بالعقل يمتاز الانسان عن غيره من الحيوانات والجنون يوجب زواله فيوجب

دخوله بالحيوانات بل كونه اخس منها لانه فاقد لكماله وما يضره ولو كان على راس جبل يعبد الله حتى

الموت اي ما يضره اذا كان على الرأي ما قال الناس له وان كان على راس جبل لان له مع وحدته ظاهرا

انسا بالله باطنا ولا يضره شيء مع الانس به كما لا ينفعه شيء مع البعد عنه وفيه شيء لان عدم الضرر

وهو فيما بين الناس اخفى من عدمه وهو على راس جبل فكيف يصح العكس ويمكن ان يقال معنى قوله

وما يضره انه ما يضره شيء سواء كان قول الناس ام غيره مثل الوحشة ونحوها ووجه عدم الضرر في

الثاني اخفى اذ في عدم الضرر بالوحشة ح كمال الخفاء والمراد انه لا يضره قول الناس بانه مجنون

الجنون ح لظهوره فعدمه اخفى قوله قال الله تبارك وتعالى لو لم يكن في الارض الا مؤمن واحد لاستغنيت

به عن جميع خلقي اي اكتفيت بعبادته عن عباده ثم وفيه اشارة الى كمال فضيلة الايمان وتمام نعمته

لمن يؤمن بالله ان لا يحتقر تلك النعمة ولا يهمل اداء شكرها الذي من جملته اداء وظايف الطاعات

وان لا يجزع على فقد غيرها وان يصبر على نوائب الدنيا وان لا يؤذي احدا من المؤمنين لان المؤمن

حبيب الله ومن اذاه فقد اذى الله وتجعله من ايمانه انسا لا يحتاج الى احد لان الايمان بالله

التفكر فيه والالتفات الى فضله والشوق الى قربه والوثوق بلطفه والعزلة عن شرار خلقه والانس

به فلا يعرضه وحشة فلا يحتاج الى صحبة احد لدفع الوحشة قوله ما يبالي من عرفه الله هذا الامر ان

يكون على قلة جبل آه لان من عرفه الله تم امر الامامة والدين ووفقه للايمان به فقد اعطاه نعمة عظيمة

مستعقبة لنعم اخروية ابدية واكرمه بفخر فلا يبالي على فوات خسايس الدنيا الفانية التي توجب

الغرور والبعد عن مولاه والحرمان في عقباه قوله ما ينبغي للمؤمن ان يستوحش الى اخيه فمن دونه اي ما

ينبغي له ان يستوحش من الله ومن الايمان به الى اخيه فكيف من دونه اذ للمؤمن انس بالايمان وقرب

الحق من غير الوحشة فلو اشتغل الانس وتحققت الوحشة انتفى الايمان والقرب ولعل قوله المؤمن

عزيز في دينه استيناف لبيان السبب للحكم المذكور لان العزيز عند الله له انس به غير مستوحش

عنه والعزيز هو الخطير الذي يقل وجود مثله ويشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه والمؤمن

كذلك لانه بعظمة صفاته يقل وجود مثله ويشتد حاجة الخلق اليه في امور الدين وتعليمها فيصعب

الوصول الى مرتبته لانه لا يتحقق الا برياضات بدنية ومجاهدات نفسانية لا يلقاها الا الصابرون

قوله في مرضة مرضها لم يبق منه الا راسه اي مرض بها والتاء للنوع وان المراد انه جف جميع اعضائه

وهزلت حتى كانه لم يبق منه شيء الا راسه فانه لقلة لحم لا يعتريه الهزال الكثير او المراد انه لم يبق قوة

الحركة في شيء من اعضائه الا في راسه فقال يا فضيل اني كثيرا ما اقول ما على رجل عرفه الله هذا الامر

اي ما وحشته عرفه الله هذا الامر اي ما وحشته عليه او ما ضرر عليه من قول الناس له بانه مجنون

ونحوه يا فضيل بن يسار المؤمن لو اصبح له ما بين المشرق والمغرب كان ذلك خيرا له ولو اصبح مقطعا كل

اعضائه كان ذلك خيرا له لان الله تعالى عالم بسرائر العباد واحوالهم ويفعل ما هو الاصلح بحال

واحد منهم فمنهم من يصلحه الغنى ويفسده الفقر ويشقيه ويورده في المهالك فيغنيه ومنهم على عكس

ذلك فيفقره وهكذا في الاحوال المتقابلة مثل الصحة والسقم ونحوهما واكد ذلك بقوله يا فضيل بن يسار

ان الله لا يفعل بالمؤمن الا ما هو خير له وفيه حث على الصبر في جميع الاحوال بعد الايمان ونوع من

الشكر لما الصابر ثم حذر الاغنياء عن العز ورغب الفقراء في الصبر بقوله يا فضيل بن يسار لو عدلت

١٥٢

الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى عدوه منها شربة ماء اى ليس لجملة الدنيا وما ينتفع به منها قدر
وزن كقدر جناح بعوضة عندكم ولهذا اقطعها الاعداء واولاها الاشقياء ومنع بها المجاهدين ولو
كان لها قدر عنده لم يعطهم منها شربة ماء الا ترى الجنة لما جعل لها قدرا عنده كيف ولاها الاولياء
وحرمها الاشقياء فلم يعطهم منها طعاما ولا شربة ماء فينادون من عطشهم وجوعهم اهل الجنة بان
افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين ويدل على هوان الدنيا وقدر
روايات غير محصورة وايات غير معدودة ومنها قوله تعـ ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون وفيه تنفير عن الدنيا وتحذير عن الركون
اليها فلا ينبغى للمؤمن ان يشغل قلبه بها ويحزن بفواتها ولا للغنى ان يفتخر بها لاتصالها الفراعنة و
الجبابرة ثم رغب فى الايمان والصبر على تقويم اركانه بذكر ثمرته وذم متاع الدنيا والميل اليه بذكر غايته
فقال يا فضيل بن يسار انه من كان همه هما واحدا كفاه الله همه ومن كان همه فى كل واد لم يبال الله
باى واد هلك الهم القصد والعزم والحزن ولعل المراد بالهم الواحد هم الاخرة والدين وبكفايته عز وجل
اعانته ونصرته عليه والمراد بمقابله هم الدنيا واهواء النفس الامارة بالسوء وبعدم مبالاته صرف لطفه
وتوفيقه عنه وتركه مع نفسه والمراد بكل واد كل واد من اودية جهنم او كل واد من اودية الدنيا او كل
شعبة من شعب النفس وهواها وهى كثيرة منها حب المال والجاه والشرف والعلو ولين المطاعم والمشارب
والملابس والمناكح الى غير ذلك من متعلقات الهوى ومقتضيات الطبع فمن ارسل نفسه الى هواها ولم يصرفها
عن مقتضاها الى دين الحق والايمان واركانه لم يبال الله به وبما ذهب من دينه ولم يمدده بنصره وتوفيقه
ولم يكن له عنده قدر يحفظه بتاييده ولا وزن يحرسه بتسديده ولم يبال به فى اى واد هلك والى
اى طريق سلك ويمكن ان يراد بالهم الواحد القصد الى الله والتوكل عليه فى جميع الامور فانه تعالى يكفيه
هم الدنيا والاخرة بخلاف من كان قصده الدنيا وسلب عن نفسه علاقة التوكل فانه تعالى لم يبال باى واد
هلك ويؤيده ما روى من جعل الهم هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والاخرة قوله قال الله عز وجل ما
ترددت فى شئ انا فاعله كترددى فى موت عبدى المؤمن انى لاحب لقاءه ويكره الموت فاصرفه عنه
هذا الحديث من الاحاديث المشهورة بين الخاصة والعامة ومن المعلوم عند الموحد انه لم يرد التردد
المعهود من الخلق فى الامور التى يقصدونها فيترددون فى امضائها اما لجهلهم بعواقبها او لقلة
التمكن منها لمانع ونحوه ولهذا قال انا فاعله اى لا محالة انا افعله لحتم القضاء بفعله ولنقل العبد من دار

الغرور

الغرور الى دار السرور التى هى غاية ماموله ونهاية مقصوده فلا بد فيه من تاويل وفيه وجوه عند الخاصة
والعامة اما وجوهه عند الخاصة فثلثة ذكرها الشيخ فى الاربعين الاول ان فى الكلام اضمارا
والتقدير لو جاز على التردد ما ترددت فى شئ كترددى فى وفاة المؤمن الثانى انه لما جرت العادة
بان يتردد الشخص فى مساءة من يحترمه ويوقره كالصديق وان لا يتردد فى مساءة من ليس له عنده قدر ولا
حرمة كالعدو بل يوقعها من غير تردد وتامل صح ان يعبر عن توقير الشخص واحترامه بالتردد وعن اذلاله
واحتقاره بعدمه فالمعنى ليس لشئ من مخلوقاتى عندى قدر وحرمة كقدر عبدى المؤمن وحرمته
فالكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية الثالث انه ورد من طرق العامة والخاصة انه الله سبحانه يظهر
للعبد المؤمن عند الاحتضار من اللطف والكرامة والبشارة بالجنة ما يزيل عنه كراهة الموت ويوجب
رغبته فى الانتقال الى دار القرار فيقل تاذيه به ويصير راضيا بنزوله وراغبا فى حصوله فاشبهت هذه
المعاملة معاملة من يريد ان يولم حبيبه الما يتعقبه نفع عظيم فهو يتردد فى انه كيف يوصل ذلك
الالم اليه على وجه يقل تاذيه فلا يزال يظهر له ما يرغبه فيما يتعقبه من اللذة الجسمية والراحة العظيمة
الى ان يتلقاه بالقبول ويعده من الغنائم المؤدية الى ادراك المامول فيكون الكلام من الاستعارة
التمثيلية واما وجوهه عند العامة فايضا ثلثة الاول ان معناه ما تردد عبدى المؤمن فى شئ انا
فاعله كتردده فى قبض روحه فانه متردد بين ارادته للبقاء وارادتى للموت فانا الطفه وابشره حتى اصرفه
عن كراهة الموت فاضاف سبحانه تردد نفس وليه الى ذاته المقدسة كرامة وتعظيما له كما يقول غدا
يوم القيمة لبعض من يعاتبه من المؤمنين فى تقصيره عن تعهد ولى من اوليائه عبدى مرضت فلم تعد
فيقول كيف تمرض وانت رب العالمين فيقول مرض عبدى فلان فلم تعده ولو عدته لوجدتنى
عنده كما اضاف مرض وليه وسقمه الى عزيز ذاته المقدسة عن نعوت خلقه اعظاما لقدر عبده
وتنويها بكرامة منزلته اضاف التردد الى ذاته المقدسة لذلك الثانى ان ترددت فى اللغة بمعنى رددت
مثل قولهم فكرت وتفكرت ودبرت وتدبرت فكانه يقول ما رددت ملائكتى ورسلى فى امر حكمت بفعله
مثل ما رددتهم عند قبض روح عبدى المؤمن فانى رددتهم فى اعلامه بقبضى له وتبشيره بلقائى وبما
اعددت له عندى كما ردد ملك الموت عم الى موسى وابرهيم عليهما السلم فى القضيتين المشهورتين الى
ان اختارا الموت فقبضهما كك خواص المؤمن من الاولياء يرددهم اليهم رفقا وكرامة ليميلوا الى الموت
ويحبوا لقاء المولى الثالث ان معناه ما رددت الاعلال والامراض والبر واللطف والرفق حتى يرى

بالبر عطى وكرمى فيميل الى لقائى لقاءه او بالبلاء والعلل فيتبرم بالدنيا ولا يكره الخروج منها والله اعلم
بحقيقة كلامه ومادل هذا الحديث من ان المؤمن يكره الموت لا ينافى ما دل عليه الروايات المتكثرة
من ان المؤمن يحب لقاء الله ولا يكرهه اما لما ذكره الشهيد فى الذكرى من ان حب لقاء الله غير مقيد
بوقت فيحمل على حال الاحتضار ومعاينة ما يحب فانه ليس شىء احب اليه من الموت ولقاء الله او لانه
يكره الموت من حيث التألم به لا للقاء الله وهما متغايران وكراهة احد المتغايرين لا يوجب كراهة الاخر
او لان حب لقاء الله يوجب حب كثرة العمل النافع ووقت لقائه وهو يستلزم كراهة الموت القاطع
له واللازم لا ينافى الملزوم وجعلت له من ايمانه انسا لا يستوحش الى احد انسه بالله وبالايمان به
من اجل الايمان ولوازمه موجب لعدم الوحشة بالكلية اذ تحقق احد الضدين يوجب رفع الاخر
واذا كان كذلك فلا يستوحش منه الى احد اذ ليس له طبع مستوحش قوله ان المؤمن ليسكن الى المؤمن كما
يسكن الظمآن الى الماء البارد كما ان للظمآن اضطرابا فى فراق الماء وكمال ميل الى طلبه وسكونا واستقرارا
عند وجدانه وانتفاعا به فى حيوة روحه كذلك للمؤمن بالنسبة الى المؤمن وفيه تنبيه للمعقول بالمحسوس
لزيادة الايضاح وهذا السكون ينشأ من امرين احدهما الاتحاد فى الجنسية للتناسب فى الطبيعة والروح
كما مر والمتجانسان يميل احدهما الى الاخر وكلما كان التناسب والتجانس اكمل كان الميل اعظم كما نقل
الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وثانيهما المحبة لان المؤمن لكمال
صورته الظاهرة والباطنة بالعلم والايمان والاخلاق والاعمال محبوب للقلوب وتلك الصورة قد
تدرك بالبصر والبصيرة وقد يكون سبب المحبة والسكون باذن الله تعالى ولسبب العلاقة فى الواقع وان
وان لم يعلم تفصيلها قوله ان الله ليدفع بالمؤمن الواحد عن القرية الفناء اى عن اهل القرية بحذف المضاف
او المراد بالقرية اهلها مجازا وذلك الدفع اما بدعائه او ببركة وجوده فيهم او لئلا يلحق الفناء به لان الفناء
قد يلحق البرى بشوم المجرى قوله لا يصيب قرية عذاب وفيها سبعة من المؤمنين اى لا يصيب غالبا او
والمفهوم غير معتبر وعلى تقدير اعتباره لا ينافى منطوق السابق الى امكان حمله على جواز الاصابة وهو لا
ينافى عدمها على ان الايمان والمعصية مراتبهما متفاوتة فقد يدفع بمؤمن واحد فى معصية وقد يدفع بسبعة
فى معصية اخرى اشد ولا يدفع بواحد واثنين فيها قوله قيل له فى العذاب اذا نزل بقوم يصيب المؤمنين
قال نعم ولكن يخلصون بعده اى يخلصون بعده من العذاب الاخروى لايمانهم الموجب للنجات منهم
واما العذاب الدنيوى فانما لحقهم بالعرض من اجل مجاورتهم الفاسقين ولا ينافى ذلك ما مر لان البرى

الفاجر

والفاجر اذا اختلطا فقد يصل خير البر الى الفاجر وشر الفاجر الى البر هذا فى الدنيا واما فى الاخرة فكل يعامل بعمله
قوله مؤمن صدق بعهد الله ووفى بشرطه لعل المراد بالعهد العهد الربوبية والايمان بالله وبرسوله و
بما جاء به وبالوفاء بالشرط الاتيان بالمامورات والانتهاء عن المنهيات وهذا المؤمن هو الناظر بعين بصيرته
الى مبادى جميع حركاته وسكناته ومآلها والشاهد لاحوال نفسه فى الفعل والترك فيعلم كل ما له فيقدم
عليه وكل ما عليه فيبعد عنه وبالجملة هو الحارس الناظر الى اصلاح احواله ظاهرا وباطنا فذلك
الذى لا يصيبه اهوال الدنيا ولا اهوال الاخرة اما الاخرة فلحسن استعداده لها وهو يقتضى الفراغ و
الامن من اهوالها واما الدنيا فلعل ما هو لها الهموم من فوات نعيمها لان الدنيا ونعيمها لم يخطر بباله فكيف
الهموم من فواتها والمراد اتم منها ومن عقوباتها ومكارهها ومصائبها لانها عنده نعم من غير اهوال الاهوال
مكروهة او لانها لا تصيبه لاجل المعصية فلا ينافى اصابتها لرفع الدرجة وذلك ممن يشفع ولا يشفع له
لانه من المقربين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فلا يحتاج الى ان يشفع له وله درجة الشفاعة
لغيره من اهل العصيان ومؤمن كخامة الزرع يعوج احيانا ويقوم احيانا شبه المؤمن بالخامة وهى الغصنه
اللينة من الزرع والفها منقلبة عن الواو واشار الى وجه التشبيه بقوله يعوج احيانا ويقوم احيانا
والمراد باعوجاجه ميله الى الباطل هو متاع الدنيا او المعصية وهوى النفس وردها وبقيامه ميله
الى الحق وهو الاخرة والطاعة ومخالفة النفس فى هواها وذلك تصيبه اهوال الدنيا ومكارهها مثل الامراض
وسكرات الموت لتخفيف ذنوبه واهوال الاخرة مثل المناقشة فى الحساب وغيرها ويندرج فيها اهوال البرزخ
ولكن يحبو بالشفاعة له ويثبت له درجة الشفاعة لغيره الا ان يشاء الله بمجرد التفضل دون الاستحقاق
قوله ما كفته الريح انكفا اى قلبته وامالته وهو اشارة الى وجه تشبيه بخامة والتشبيه تمثيل لامالة
اهواء نفسه وريح مخاطراته اياه من حال الى حال فتارة يعوج واخرى يقوم ويعتدل قوله فقال يا امير المؤمنين
اخبرنا عن الاخوان اراد بالاخوان المؤمنين كما قال عز وجل انما المؤمنون اخوة فقال الاخوان صنفان
اخوان الثقة واخوان المكاشرة الثقة مصدر بمعنى الامانة والاعتماد والمراد باخوان الثقة اهل الامانة
والاعتماد فى الدين وارباب الثبوت والقوة فى اليقين وهم المؤمنون المتصفون بالفضائل المقدسون عن
الرذائل والمكاشرة المضاحكة من الكشر وهو ظهور الاسنان للضحك وكاشره اذا ضحك فى وجهه وباسطه
والاسم الكشرة كالعشرة والمراد باخوان المكاشرة اهل الحق والباطل الذين جمعوا بين شىء من الفضائل
والرذائل يعملون تارة بمقتضى الايمان واخرى بحكم النفس والشيطان ثم اشار الى شىء من احوال الفريقين

وكيفيه المعاشرة معهما بقوله فاخوان الثقة الكف والجناح والاهل والمال الكف الراحة مع الاصابع سمي
بذلك لانها تكف الاذى عن صاحبها وعن غيره والجناح للطير معروف ويطلق على العضد والابط
والجانب والعصا اليد والاهل اهل البيت ويطلق على الاقرباء والاتباع ايضا والحمل في الاكثر من باب المبالغة
او بتقدير مضاف اى اهل الكف فاذا كنت من اخيك على حد الثقة اى الاعتماد والديانة والرسوخ في
الدين فابذل له مالك وبدنك بذل المال للاخ عند حاجته سال اولم يسال ناظر الى الكف والمال وبذل
البدن بالسعي في حاجته ناظر الى الجناح والاهل وصاف من صافاه وعاد من عاداه واكتم سره وعيبه
واظهر منه الحسن لمرعة بالتزام الصداقة على الجميع انواعها الاول ان يكون صديقا له والثانى ان يكون صديقا
لصديقه والثالث ان يكون عدوا لعدوه فان الصداقة لصديقه والعداوة لعدوه صداقة له كما يرشد اليه
ايضا ما روى عنه عم اصدقاؤك ثلثه واعداؤك ثلثة فاصدقاؤك صديقك وصديق صديقك و
عدو عدوك واعداؤك عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك والحسن بالتحريك او بالضم والتسكين
واعلم ايها السائل انهم اقل من الكبريت الاحمر يعنى ان اخوان الثقة في غاية القلة ونهاية الندرة لان جواهر
ذواتهم نفيسة وكل نفيس نادر الوجود واما اخوان المكاشرة فهى في غاية الكثرة لان اكثر الناس سنخ اللذات
الجسمانية والمشتهيات النفسانية والوساوس الشيطانية ولكن لابد من الاخلاص وحسن المعاشرة معهم
لاجل الضرورة واستكمال النظام والقطع منهم يوجب بنده كما اشار اليه بقوله واما اخوان المكاشرة فانك
تصيب لذتك منهم لعل المراد باللذة اللذة الدنيوية مثل حسن المعاشرة وتحصيل المنافع الدنيا ونحوها فلا
تقطعن ذلك منهم لعل ذلك اشارة الى اصابة اللذة منهم وفيه ترغيب في حسن المعاشرة معهم لان اعتزالك
عمن يريدك ويعينك نقص حظ كما ان ميلك الى من لا يريدك ولا يعينك ذل نفس كما يرشد اليه ما روى
عنه عم زهدك في راغب فيك نقصان حظ ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس وذلك لان الراغب في
يبذل مال الجاه ويعينه في حاجاته وله منه نصيب وحظ اذا لم يزهد فيه وان زهد فيه فلا يبذل
ولا يعين فيكون ناقص الحظ والراغب في الشخص المعرض عنه المستكره لصحبته يصير عنده حقيرا ذليلا
اما بالذات او بحسب افعال المذلة في اعتقاده ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم اى لا تطلبن سوى
ما اصبت منهم من اللذة الدنيوية من ضميرهم شيئا لتعلق ضميرهم بالعقايد الفاسدة والخاطرات الكاسدة
والاهواء الباطلة وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان بمنزلة التاكيد لما ذكره اولا
من قوله فانك تصيب الى آخره وفيه ترغيب في التانيس بالجهال واستجلاب طباعهم الى الحق لئلا يزيد

تقادم

تقادم ولا ينقطع نظام لحوالهم قوله اخذ الله ميثاق المؤمن على ان لا تصدق مقالته الا يرى ان جميع
الانبياء والاوصياء كانوا كذلك والمراد عدم تصديق اكثر الخلق اذ بعضهم قد يصدقه وما من مسلم
صادق الا وله مصدق ولا ينتصف من عدوه اى لا ينتقم وما من مؤمن يشفى نفسه الا بفضيحتها انتفاء
يشفيه من باب ضرب فاشتفى هو وهو من الشفاء بمعنى البرء من الامراض ويستعمل في شفاء القلب من
الامراض النفسية والمكاره القلبية كما يستعمل في شفاء الجسم من الامراض البدنية وكون شفاء نفسه من
غيظ العدو مع عدم القدرة عليه يوجب الفضيحة والذلة وزيادة الاهانة والاذى لان كل مؤمن ملجم
تعليل لجميع ما ذكر قوله ان الله اخذ ميثاق المؤمن على بلايا اربع ايسرها عليه مؤمن يقول بقوله يحسده او منافق
يقفو اثره او شيطان يغويه اى يريد ان يغويه ويضله عن سبيل الحق بالوسوسة والخاطرات كما حكى
عنه الكتاب الكريم لاقعدن لهم صراطك المستقيم وهو كناية عن جذبهم من طريق الحق الى الطريق
الباطل او كافر يرى جهاده لازما فيجاهده ويضره من كل وجه يمكنه فما بقاء المؤمن من بعد هذا
ولهذا قل اهل الايمان والمقصود من الحديث ان المؤمن لا يكون الا ومعه هذه البلايا كلها او بعضها فلا ينافي
الترديد الدال على منع الخلو وايسرها صفة لبلايا الاربع وضعف اشعار بان للمؤمن بلايا اخر اشد منها او في بعض النسخ
اشدها ايسرها فيفيد ان هذه الاربع اشد بلاياه وقوله مؤمن خبر مبتدا محذوف اى هي مؤمن وربما
يزعم ان ايسرها مبتدا ومؤمن خبره وان اشدها اولى من ايسرها لانه ينافي قوله عم فيما بعد ومؤمن يحسده
وهو اشدهن عليه ومؤمنا يحسده وهو اشدهم عليه وفيه ان ايسرها او اشدها صفة لما تقدم فلا يتم
ما ذكر وكون هذه الاربع ايسر من غيرها لا ينافي ان يكون بعضها اشد من بعض ولو جعل مبتدا لكان زعم
لزم ان لا يكون المؤمن الحاسد اشد من المنافق وملعنه وهو مناف لما يأتي فليتامل قوله ما افلت آه
المؤمن من واحدة من ثلث ولربما اجتمعت الثلثة عليه اما بعض من يكون معه في الدار يغلق عليه بابه يؤذيه
او جار يؤذيه او من في طريقه الى حوائجه يؤذيه ولو ان مؤمنا على قلة جبل لبعث الله
عز وجل اليه شيطانا يؤذيه ويجعل الله له من ايمانه انسا لا يستوحش معه الى احد
افلت افلاتا اذا تخلص واقلته اذا خلصه لازما ومتعدا وهنا لازم ومن لطف الله بعباده انه اذا احب
عبدا صب عليه البلاء صبا ومن حكمته ان يسلط عليه بعضا من شرار خلقه يؤذيه ويتفاوت ذلك
بحسب تفاوت الدرجات والمقامات كما يرشد اليه البلاء للانبياء ثم الاوصياء والاولياء من لدن آدم عم
الى الآن وقولهم ما اوذى احد في الله ما اوذيت وقد ذكروا لذلك وجوها من الحكم منها انه لتكفير
ذنوبه ومنها انه لاختبار صبره وادراجه في الصابرين ومنها انه لتزهيده في الدنيا وتبريدها في قلبه
لئلا يفتتن بها ولا يطمئن اليها فلا يشق عليه الخروج منها ومنها الاستعانة على النفس في الصفات المذمومة والقطع عنها ولدوام العلاقه

الجسمانيه لينقطع علاقته بدنياه ويرجع بكله الى مولاه ويالف الاقبال عليه فى السرا والضرا ويستديم المثول بين يديه فى الضرآ والى الترقى بذلك الى اعلى درجة الاحباب والاوليآ ومنها التنفير بذلك عن مصاحبتهم وابعاده منهم بواسطة اذيتهم ليونسه بحضرة ربوبيته وينقطع اليه من بريته ومنها الاكرامه برفع الدرجة التى لا يصل الانسان فقط بكسبه لانه ممنوع من ايلام نفسه شرعا وطبعا فاذا اسلط عليه فى ذلك غيره ادرك ما لا يصل اليه بفعله كدرجة الشهادة لا يبلغها المومن فقط بقتل نفسه وانما يبلغها بقتل العدوله فى الله فيكرم الله عليه بدرجة الشهادة على يد غيره ومنها التشديد عقوبة العدو فى الاخرة فانه يوجب سرور المومنين والغرض من هذا الحديث وامثاله حث المومن على الاستعداد لتحمل انواع النوائب والاذى بالصبر والرضا بالقضآ وبالله الاستعانة والتوفيق قوله مومن يحسده وهو اشدهن لان صدور الشر من القريب المجانس اشد واعظم من صدوره من البعيد المخالف لتوقع الخير من الاول دون الثانى قوله الصبر فان الله يجعل لك فرجا دلت الفاء على ان الفرج مترتب على الصبر كما اشتهر الصبر مفتاح الفرج وكما قيل من صبر ظفره فا نظفر ثم قال تسلية له فى تحمل المشاق والبليات رجا لما بعد الدنيا من الخيرات اما علمت ان الدنيا سجن المومن وقد ورد من طرق الخاصة والعامة ان الدنيا سجن المومن وجنة الكافر يعنى ان المومن فى الدنيا ممنوع من الشهوات المحرمة ومكلف بالاعمال والاخلاق الشاقة وممتحن بالبلايا والرياضات الناصبة فاذا مات استراح من جميع ذلك وانقلب الى ما اعد الله له من النعيم المقيم واما الكافر فانما له الدنيا حب واذا مات انقلب الى ما اعد الله له من العذاب الجحيم فالدنيا جنة له واذ كان ذو امشقة منها قيل ان يهوديا رث الهيئة والحالة راى فيها وعليه لباس حسن فقال السلم تروون عن نبيكم ان الدنيا سجن المومن وجنة الكافر فاين ذلك من حالى وحالك فاجابه بانه اذا مت وسرت الى ما اعد الله لك من العذاب علمت ان الدنيا كانت جنة لك واذا مت انا وسرت الى ما اعد الله لى من النعيم علمت ان الدنيا كانت سجنا لى قوله المومن مكفر وفى رواية اخرى وذلك ان معروفه يصعد الى الله فلا ينتشر فى الناس والكافر مشكور الرواية الاخرى تفسير الاولى ولعل مبناء هذا التفسير على ان المومن يخفى معروفه من الناس ولا يظهر رياء وسمعة فيصعد الى الله فلا ينتشر فيهم والا فالصعود الى الله مع الاعلان به لا يستلزم عدم نشره فيهم وعلى هذا فكون الكافر مشكورا معناه ان معروفه لكونه واقعا اعلانا لوجه ينتشر فى الناس ولا يصعد الى الله وللاولى تفسير آخر اذ بعنوان الباب ولعل المص اعتبار ذكره فيه وهو ان المومن مكفر اى مرزء فى نفسه وماله ومصاب بمصيبته لتكفير خطاياه وذنوبه بخلاف الكافر قوله وكان اذا اتاه الله بعولك من باب قال الهلكه واغتاله

مثله

مثله على عزه وهى بالكسر الغفلة والخفيه والاسم الغيله بالكسر قوله اذا مات المومن خلى على جيرانه عدد ربيعة ومضر هما فى النسب اخوان ابنا نزار بن معد بن عدنان ومضر جد السابع عشر للنبى صلى الله عليه وسلم وقبيلتاهما كانتا مشهورتين فى كثرة العدد وقساوت القلوب وغلظ الافئدة ومعاندتهما للنبى صلى الله عليه وسلم وكفرهما اشهر من كفر ابليس قوله ما كان ولا يكون وليس بكاين مومن الا وله جار يوذيه ليس المراد بالجار المعروف فقط بل كل من يجاوره ويقاربه رآه ولم يره فليس احد يخلو من جار واقله الشيطان فالحصر كلى قوله ان اشد الناس بلاء الانبيآء ثم الذين يلونهم ثم الامثل فالامثل البلاء ما يختبر به ويمتحن به من خير او شر واكثر ما ياتى مطلقا فى الشر واذا اريد به الخير ياتى مقيدا كما قال تعالى بلاء حسنا واصله المحنة والله يبتلى عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره وبما يكره ليمتحن صبره يقال بلاه بخير او شر يبلوه بلاء وابلاه ابلاء وابتلاه ابتلاء بمعنى امتحنه والاسم البلاء مثل سلام والبلوى والبلية مثله والمراد بالامثل فالامثل الاشرف فالاشرف والاعلى فالاعلى فى المرتبة والمنزلة يقال هذا امثل من هذا اى افضل واشرف وادنى الى الخير واماثل الناس خيارهم وفى هذا الحديث وغيره من الاحاديث المتكثرة من طرق الخاصة والعامة دلالة واضحة على ان الانبيآء فى الامراض الحسية والبلايا الجسمية كغيرهم بل هم اولى بها من الغير تعظيما لاجرهم الذى يوجب التفاضل فى الدرجات ولا يقدح ذلك فى رتبتهم بل هو تثبيت لامرهم وانهم بشر اذ لو لم يصبهم ما اصاب البشر مع ما يظهر من ايديهم من خرق العادة لقيل فيهم ما قالت النصارى فى نبيهم واستثنى بعض من ذلك ما هو نقص كالجنون والجذام والبرص وحمل استعاذة النبى صلى الله عليه وسلم منها على انها تعليم للخلق وقال يحيى لدين الانبيآء عليهم السلم منزهون عن النقص فى الخلق والخلق سالمون من المعايب ولا التفت ما نسب بعض الى بعضهم من العاهات فان الله تعالى رفعهم عن كل ما هو عيب ونقص يغض العيون وينفر القلوب وقال الابى فى كتاب كمال الاكمال ان الانبيآء فى الامراض سواء والانبياء منزهون عن المعايب ويحيى هذا الابتلاء بتنبيه الغافلين وتذكير الصالحين وتنويه الذاكرين ولهو فوائد اخر محمودة ذكرنا بعضها فى باب ان المومنين صنفان والبلاء الانبيآء والمقربين تحفة لهم لرفع الدرجات التى لا يمكن الوصول اليها بشئ من العمل الا بالبلية كما ان بعض الدرجات لا يمكن الوصول اليها الا بالشهاده فمن الله سبحانه على من احب من عباده بهما تعظيما وتكريما له قوله ويبتلى المومن بعد على قدر ايمانه وحسن عمله فمن صح ايمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه لانه كلما ازداد ايمان الرجل زاد قربه ورد رجته وكلما ازداد درجته ازداد استحقاقه لعطاياه ولعظم عطاياه البلية لانها توجب رفع الذنوب والخطايا وسلب الميل الى الدنيا والتضرع بين

قله عطيت لا برهم الا الصبر عبد احاصب على البلا الدهسا قوله الجزع
ومصيبت على الكبر والكفر فلولا ان العصمه يخشى ويرونى
الاجر ولا تنقض وعيد بابلى البلاء والاجر لابال فان الا البلاء دار

هدى المولى والوصول الى الدرجة العليا والاختصاص باعلى مقام الشرف والزلفى والنجاة من اهوال
العقبى حتى توصله الى اعلى درجات المحبين واقصى مراتب المقربين نعم ما قيل فيه البليت من احبيت بانحز
البلا فيه وخصصت بالبلوى رجا لا اختتم فيه احبت بلواهم وطول حنينهم فيه وتطلب ضرهم لكى تحسن له
ومن يخف ايمانه يخف الشى يخفا بالضم وخفافه بالفتح من باب قرب قربا وقرابة اى رق ونقص قوما
احب الله قوما الا ابتلاهم بانواع المبتلاء الدنيويه من العلل والامراض والاوجاع والفقر والخوف و
المصايب فى النفس والاهل والمال لينفرهم عن الدنيا ويعدهم للاقبال اليه والتضرع بين يديه حتى يبلغ
كمال المحبة وينال ما عنده من الاجر الجميل والثواب الجزيل قوله ما ينزل من السماء تحفة الى الارض الا صرفها
عنهم ولا بلية الا صرفها اليهم المراد بالتحفة التحفة الدنيوية التى تتم بها عيش الدنيا وزينتها وهى التى تنفر منها
الاولياء والصلحاء فرار الجبان من الاسد وبالبلية البلية الدنيوية وهى التى يستقبلها الصلحاء والعرفاء
بالقبول ويلقونها بالرحب والقبول علما بان التحفة باب الغفلة واسبابا للعقوبة وذرايع الى الجناية
ووسايل الى رضوانه قوله غته بالبلاء غتا اى عصره بسبب البلاء عصرا شديدا حتى يجد منه المشقة الشديدة
كما يجدها من يغمس فى الماء قهرا وعسرا فيغمه غما متتابعا على ان يكون الباء بمعنى فى او كذه يقال غته بالامر
اى كده والكد بجانبه كوفتن وثاوايكم باسد برلتصحيح به وهى لانهم كانوا خائفين من حليف من
الاعداء والخوف منهم من اعظم البلاء قوله وثجه بالبلاء ثجا اى اسال دم قلبه بالبلاء وهو كناية عن احده
بالشدايد يقول ثججت الماء من باب قتل اذا صببته واسلته والثج ايضا اسالة دم الهدى فاذا دعاه اى لنفع
البلاء او لغيره من المطالب ايضا قال لبيك عبدى لئن عجلت لك ما سالت انى كانت فى التعجيل مصلحة لى
على ذلك لقادر ولئن ادخرت لك ان لم تكن فى التعجيل مصلحة فما ادخرت لك من اجر الدعا سوى اجر البلاء
خير لك مما سالت لانه ينفع فى الاخرة وكل ما ينفع فى الاخرة خير مما ينفع فى الدنيا لان الدنيا وما ينفع منها
داثرة زائلة وفيه تعظيم لامر الابتلاء وتفخيم لشان الداعى والدعا حيث يقول الله تعم لبيك اى اقيم
بخدمتك اقامة بعد اقامة والزم على طاعتك لزوما بعد لزوم واصل لبيك لبين لك حذفت اللام
ثم النون للاضافة قوله ان عظيم البلاء يكافى به عظيم الجزاء الكف النظير ومنه كافاه اذا ساواه وكل
شى ساوى شيئا حتى صار مثله فهو مكافى له والمكافاة بين الناس من هذا ومعناه ان عظيم البلاء يساوى
عظيم الجزاء فاذا احب الله عبدا ابتلاه بعظيم البلاء اى اذا اراد الله ان يوصل الخير الى عبد وان يرحم ويزيد فى
فيه ويدخله الجنة ويرفع درجته فيها وهو نقى عن الذنوب ابتلاه ببلاء عظيم اما بامراض جسمانية او بمكاره

دوحانيه

روحانيه فمن رضى فله عند الله الرضا ومن سخط البلاء فله السخط اى فمن رضى عن الله بما قضى عليه من البلاء
وصبر وشكر فله رضاه تعم ورضوانه وكرامته واحسانه عند اللقاء فى دار البقاء ومن سخط البلاء وكره القضاء
ولم يرض بحكم الله فيه واجراء البلاء عليه جرى عليه حكم الله وسخط فلقاه وهو محروم عما اعد الله للصابرين
الشاكرين من اهل البلاء وانما لم ينسب السخط اليه تعم كما نسب اليه الرضا للتنبيه على ان السخط ليس من صفاته
تعالى ومراد له حقيقة بل انما هو جزاء العمل العبد وفيه تنبيه على ان الاجر للبلاء انما يكون لمن رضى وصبر
وتحريض للعبد على الصبر والرضا الموجبين للاكرام والاصطفاء قوله انما المومن بمنزلة كفة الميزان الخ
انه تشبيه تمثيلى متضمن لتشبيه الايمان بالجنس المرغوب الموزون وقوله كلما زيد فى ايمانه زيد فى بلائه اشارة
الى ان وجه التشبيه والى ان الايمان والبلاء متساويان قوله المومن لا يمضى عليه اربعون ليلة الا عرض له
امر يحزنه يذكر به حزن حزنا من باب علم والاسم الحزن بالضم فهو حزين ويتعدى فى لغة قريش بالحركة
يقال احزنني الامر يحزنني من باب قتل قال ثعلب والازهرى وفى لغة تميم بالالف ومنع ابو زيد استعمال
الماضى من الثلاثى فقال لا يقال حزنه وانما استعمل المضارع من الثلاثى فقال يحزنه وضعفه ويوجب حزن
المومن فى تلك المدة من لطف الله تعم عليه لتنفيره عن الدنيا وتنبيهه عن الغفلة وتذكيره للاخرة واصلاحه
لنفسه واقباله الى الله ويبعث من ذلك التفكر فيما فات من عمره فى الجهالات وما فرط منه من الهفوات
الموجبة لدوام الحسرات والقلب بذلك يرق ويصفو ويتدارك ما فات ويستعد لما هو آت وقد روى ان الله
تعالى اوحى الى داود عم طهر قلبك بالهموم والاحزان على ما يفوت منى وقال بعض السلف القلب الذى لا
حزن فيه كالبيت الخراب قوله ان المعجزه يعول ان المومن لا يبتلى بالجذام ولا بالبرص ولا بكذا وكذا فقال ان
كان لغافلا عن صاحب يس انه كان مكتفا ان فى ان كان مخففة بدليل دخول اللام على خبر كان والانفعال
صاحب يس هو مومن آل فرعون لما سياتى فى هذا الباب من رواية يونس بن عمار عن ابى عبد الله عليه السلام
قال لقد كان مومن آل فرعون مكنع الاصابع فكان يقول هكذا ويمد يديه ويقول يا قوم اتبعوا المرسلين و
هذا ينافى ما صرح به علماء التفسير من انه غيره وصرح به السيوطى فى العرايس ايضا قال كان مومن آل فرعون
اسمه حزبيل من اصحاب فرعون وكان نجارا وهو الذى نجر التابوت لام موسى حين قذفته فى البحر و
قيل انه كان خازنا لفرعون قد خزن له مائة سنة وكان مومنا مخلصا يكتم ايمانه فاخذ يوم ذبح السحرة
وقتل صلبا وهو الذى ذكره تعم فى قوله وقال رجل مومن من آل فرعون يكتم ايمانه الاية وروى عبد الرحمن
بن ابى ليلى عن ابيه ان رسول الله صلعم قال سباق الامم ثلثه لم يكفروا بالله طرفة عين على بن ابى طالب صلوات الله

١٥٧

عليه وصاحب ياسين ومؤمن آل فرعون فهم الصديقون حبيب النجار مؤمن آل ياسين وحزبيل مؤمن آل
فرعون وعلي بن ابي طالب صلوات الله عليه افضلهم ويخالف الواقع ايضا لان صاحب ياسين كان في
امة عيسى ع فلا يكون هو مؤمن آل فرعون موسى ع الا ان نقول المراد بفرعون في رواية يونس فرعون عيسى ع
وهو كان يكنع الاصابع والكنع من تشنج لشايعه حتى رجعت عن كفه وظهرت رواجبه اي اصول الاصابع
او بواطن مفاصلها ثم قال ان المؤمن يبتلى بكل بلية ويموت بكل ميتة الا انه لا يقتل نفسه بالكسر للميتة
الحال والهيئة وفيه دلالة على ان الموت بكل وجه من الوجوه يجامع الايمان ولا ينافيه الا الموت
على الوجه الخاص وهو قتل نفسه فانه ينافي الايمان ولا يجامعه فيفهم منه كفر من قتل نفسه باي وجه كان سواء
قتلها بالسيف والسكين او نحوهما او شرب السم ونحوه او بترك الاكل او مداواة جراحتها او مرض علم نفعها
اما لو احرق العدو السفينة فالقى حال السفينة نفسه الى البحر فمات فالظاهر انه داخل في هذا الحكم خلافا
لبعض العامة فانه اخرجه من الموت من الموت الى الموت وهو ضعيف لا مستند له ويمكن حمل كفره على ما اذا
استحل قتل نفسه او على انه ليس بمؤمن كامل يستحق الجنة ابتداء والله اعلم قوله ان المؤمن من الله لبافضل مكان
هو مكان غاية القرب ونهاية العز ولو رايته لرايت مقاما رفيعا ومكانا عليا ثم ينزع نفسه عضوا عضوا حسه
النزع القلع والتفريق تقول نزعت عن موضعه نزعا من باب ضرب اذا قلعته وانتزعته مثله والنفس اسم
لجملة البدن وللروح ايضا وهو يحمد الله على ذلك لان كل شيء من الحبيب حبيب وللعلم بان صلاح او ان فيه
رفيع الدرجة وتمام التطهير من الذنوب كما قال امير المؤمنين ع ان الله تعالى في السراء نعم الفضل وفي الضراء نعم
التطهير قوله ان في الجنة منزلة لا يبلغها عبد الا بالابتلاء في جسده في الجنة منازل ودرجات بعضها يبلغها
العبد بكسبه وسعيه وبعضها لرفعته وعلوه خارج عن قدرة البشر وبلوغه اليه بالكسب وانما يبلغه بالابتلاء
في الجسد فيمن الله تعالى على من احب من عباده بالابتلاء ولذلك يكون الابتلاء عند المحبين احلى من الشهد قوله
وكان سقاما مسقام الكبريا ردخ شود لو يعلم المؤمن ماله من الاجر في المصائب في لفظة لو والموصول
المشعر بالابهام دلالة واضحة على ان الاجر المصاب في العظمة والفخامة على حد لا يصل اليه عقول البشر
لتمنى انه قرض بالمقاريض قرضت الشيء قرضا من باب ضرب قطعته بالمقراض وجمع المقراض بالمقاريض وفيه
تبشير للمؤمن بالصبر على الامراض والبلايا بما له من الاجر العظيم الذي لا يبلغ الى كنهه عقول العارفين ولا
يقدر على وصفه فحول الواصفين قوله ان اهل الحق لم يزالوا منذ كانوا في شدة يعني ان اهل الحق والايمان من
اول زمانهم الى هذا كانوا في شدة كما يشهد له التطرف حال الانبيا والاوصيا والتفكر في القرآن العزيز

والتامل

١٥٨

والتامل في السنة والسير وفيه حث للمؤمن على الصبر بالشدائد والبلاء تاسيا بهؤلاء الكبراء الذين صبروا
الله على قضائه وشكروا الله على بلائه ثم حث على الصبر مبالغة بقوله ان ذلك الى مدة قليلة او عافية طويلة
فان زمان البلاء والصبر مدة العمر وهي قليلة فانية وزمان العافية مدة الآخرة وهي طويلة باقية ومن
البين ان العاقل يرجح العافية الباقية على العافية الفانية قوله ان الله عز وجل ليتعاهد المؤمن بالبلاء
كما يتعاهد الرجل اهله بالهدية من الغيبة شبه تعاهده وحفظه للمؤمن بالبلاء وارساله اليه تبعا هد
الرجل الغائب وحفظه لاهله بالهدية وارسالها اليه وفيه تشبيه البلاء بالهدية والغرض هو النفع وهو
وان كان في المشبه ادوم واوفر لكنه في المشبه به اجلى واظهر ويحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض الحمى
المنع اي يمنعه عن الدنيا ويزوي عنه فضولها ويقطع عنه اسبابها ويبعد عنه المهلكات من لذاتها
كيلا يتدنس بها ولا يركن قلبه اليها ولا ينفق نفسه عليها كما يمنع الطبيب المريض عن تناول ما يضره
من الاطعمة والاشربة شفقة عليه ومحبة له فينبغي للمؤمن الذي حماه الله تعالى عنها ان يعد ذلك من
اجل نعماء الله ويفرح بذلك ويشكره به ويفرغ قلبه عنها الى ذكره ويصبر ويسعى في طريق محبته حتى يدخل
في اعلى منازل المقربين واقصى درجات المحبين قوله لم يؤمن الله المؤمن من هزاهز الدنيا ولكنه امنه من
العمى والشقاء في الآخرة هزه اي حركه والهزاهز الفتن يهتز فيها الناس احسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون والعمى عمى القلب الموجب للجهل بالله والتنفر عن الحق والبعد عن الايمان
وكل ذلك يوجب الشقاء في الآخرة قوله فوالذي بعثك بالحق ما رزئت شيئا قط الرزء النقص والمصيبة
واصلها الهمز والاسم الرزء مثل قفل ورزاته اي اذا اصبته بمصيبة فرزئ بالهمزة وقد يأتي بغير
الهمز وهو من التخفيف الشاذ فنهض رسول الله ص ولم ياكل من طعامه شيئا بغضه ص وعدم اكله
من طعامه مع كونه من اهل الايمان ظاهر كما يشعر به الحديث دليل على من لم يرزأ ولم يصب في نفسه وماله
واهله بشيء من النقص والمصائب فهو مبغوض ممقوت ومن بغضه اياه ومقته له انه زوى عنه مصائب
الدنيا كلها وذلك لامرين احدهما الاستدراج ليتمادى في بغيه وطغيانه ويغتر به ولم يمتحنه وسلامة
ماله فيزيد في غيه وعصيانه كما قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قيل في تفسيره كلما احدثوا
معصية جددنا لهم نعمة والآخر انه لم يصبه بمصيبة لئلا يكفر عنه شيئا من معاصيه وذنوبه حتى يأتي
في الآخرة بجميعها فيكب في النار بسببها ويضد هذا قوله المؤمن الخالص المتقي فانه تم شانه بخصه بالبلاء
في الدنيا اما تكفيرا لذنوبها او رفعا لدرجته التي لا يصل اليها الا بالبلاء او لغير ذلك قال من يرد الله به

حاجة اى فى اعلاء دينه والابتلاء بتكاليفه ولفظ الحاجة مستعار فى حقه تعالى باعتبار طلبه للعبادة
بالاوامر وغيرها كطلب ذى الحاجة ما يحتاج اليه او سلب الحاجة كناية عن سلب اللطف به وترك
الاقبال اليه لان اللطف والاقبال من لوازم الحاجة فنفى الملزوم واراد نفى اللازم قوله لا حاجة
لله فيمن ليس له فى ماله وبدنه نصيب ضمير له راجع الى من او الى الله قوله ولا يبتليه بذهاب عقله لان
فائدة الابتلاء التصبر والتذكر والرضا ونحوها ولا يتصور شىء من ذلك بذهاب العقل وفساد القلب
فلا ينافى ذهاب العقل لا لغرض الابتلاء على ان الموضوع هو المؤمن والمجنون ليس بمؤمن قوله انه
ليكون للعبد منزلة عند الله فما ينالها الا باحدى خصلتين المراد بالعبد العبد المحبوب لله تعالى
فاذا احبه ابتلاه باحدى الخصلتين ليشرف بتلك المنزلة التى لا مدخل لكسبه فيها قوله قال الله عز وجل
لولا ان يجد عبدى المؤمن فى قلبه لعصبت راس الكافر بعصابة حديد لا يصدع راسه ابدا الوجد
الحزن والعصابة بالكسر العمامة وكل ما يعصب به الراس يقال عصبت راسه بعصابة تعصيبا وعصبته
بها عصبا اى شددته بها والصداع وجع الراس يقال منه صُدّع تصديعا بالبناء للمفعول ولعل المراد
ان نزول البلية فى الدنيا على الكافر لئلا يحزن المؤمنون بصحته وفراغ خاطره دائما ولولا ذلك لم
ينزل عليه البلية ما دام فى الدنيا قوله مثل المؤمن كمثل خامة الزرع تكفئها الرياح كذا وكذا وكذلك المؤمن
تكفئه الاوجاع والامراض مر شرحه فى باب ان المؤمنين صنفان مثل المنافق كمثل الارزة المستقيمة التى
لا يصيبها شىء حتى يأتيه الموت فيقصفه قصفا الإرزبة بكسر الهمزة مع التثقيل والجمع اوارزب وفى لغة
مِرزبة بميم مكسورة مع التخفيف والعامة تثقل مع الميم قال ابن السكيت والجمع مرازب بالتخفيف ايضا
وهى عصية من حديد يكسر بها الحجر والمدر والقصف الكسر تقول قصفت العود قصفا فانقصف
مثل كسرته فانكسر وزنا ومعنا وربما استعمل لازما ايضا فقيل قصفته فقصف والمقصود من هذا التمثيل
ان المنافق يؤخذ نعمته اخذا شديدا وهو اشد انواع الاخذ ومثل هذه الرواية رواها مسلم عن النبى
صلى الله عليه وآله قال مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تكفئها الرياح تصرعها مرة وتعدلها حتى
يأتيه اجله ومثل المنافق مثل الأرزة المجذية التى لا تصيبها شىء حتى يكون انجعافها مرة واحدة و
فى رواية اخرى مثل الكافر قال عياض الخامة هى الزرع اول ما ينبت ومعنى تكفئها بضم التاء تميلها الريح
وتلقها بالارض كالمصروع ثم تقيمه يقوم على سوقه ومعنى المجذية الثابتة يقال اجذى يجذى والانجعاف
الانقطاع يقال جعفت الرجل صرعته وقال محى الدين الارزة بفتح الهمزة وسكون الراء شجر معروف بالشام

ويسمى

ويسمى بالعراق الصنوبر والصنوبر انما هو ثمرة وسمى الشجر باسم ثمره وحكى الجوهرى فى راء الارزة الفتح
وقال بعضهم هى الآرزة بالمد وكسر الراء على وزن فاعلة وانكره ابو عبيد وقال اهل اللغة الآرزة
بالمد الثابتة وهذا المعنى صحيح ههنا فانكار ابى عبيد انكار الرواية لا انكار اللغة وقال شبه المؤمن
بالخامة التى تميلها الريح لانه يرزأ فى نعمته واهله وماله وشبه الكافر بالارزة لانه لا يرزأ فى
شىء حتى يموت وان رزىء لم يؤجر حتى يلقى الله تعالى بذنوب جمة قوله قال قال النبى صلعم لاصحابه
هذا الحديث شرحه الشيخ ره فى الاربعين ونحن نذكر شرحه تيمنا ملعون كل مال لا يزكى اى بعيد
عن الخير والبركة يعنى لا خير فيه لصاحبه ولا بركة ويجوز ان يراد ملعون صاحبه على حذف
مضاف اى مطرود مبعد عن رحمة الله تعالى وقس عليه قوله ملعون كل جسد لا يزكى وذكر الزكوة
هنا من باب المشاكلة ويجوز ان يكون استعارة تبعية ووجه ان كلا منهما وان كان نقصا بحسب الظاهر
الا انه موجب لمزيد الخير والبركة فى نفس الامر اقول كل مال يمكن حمله على العموم سواء كانت الزكوة
فيه واجبة ام لا لان فى كل مال حقا للسائل والمحروم ولو فى كل اربعين يوما مرة اقول هذه غاية
المدة المضروبة لحدوث اللحم اما قبلها فلا لحم واما بعدها فيشتد ويضعف اللحم بحسب زيادة
الزمان ونقصانه فقيل يا رسول الله اما زكوة المال فقد عرفناها اقول عرفوها لعلمهم بانها مقدر
معين من مال معين واجبة كانت ام مندوبة وقد يقدره الباذل فى ماله الفاضل على تقديره
فما زكوة الاجساد فقال لهم ان يصاب بآفة اقول زكوة الجسد وان كانت اعم من الآفة لشمولها الاعمال
الصالحة والاخلاق الفاضلة ايضا الا انها غير مرادة هنا قال فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه
لانهم ظنوا ان مراده صلعم بالآفة هنا العاهة والبلية الشديدة التى كثيرا ما يخلو عنها الانسان سنين
عديدة فضلا عن اربعين يوما فلما رآهم قد تغيرت الوانهم قال لهم هل تدرون ما عنيت بقولى اقول
يدل هذا على جواز تأخير البيان الى وقت الحاجة لا يقال ليس فيه تأخير البيان لان الخبر ليس فيه
تكليف بعمل غاية ما فى الباب هناك تكليف باعتقاد فيما يعقل لانا نقول لم نعلم ان احدا فرق فى
تأخير البيان بين المسائل العلمية والعملية وادلتهم فى المسئلة يدل على عدم الفرق وقد اشرنا اليه فى
اصول الفقه قالوا لا يا رسول الله قال بلى الرجل يخدش الخدشة يخدش بالبناء للمفعول وكذا ينكب
والخدشة تفرق اتصال فى الجلد من ظفر ونحوه سواء خرج معه دم اولا وينكب النكبة اقول النكبة
هى ما يصيب الانسان من حوادث الدهر والجمع النكبات مثل السجدة والسجدات ويعثر العثرة المراد

بها عثرة الرجل ويجوز ان يراد بها ما يعم عثرة اللسان ايضا لكنه بعيد اقول العثار والعثرة بالفارسية لبز ردآمدن ولغزيدن الا ان العثرة للمرة والفعل من باب قتل وفي لغة من باب ضرب ويقال للزلة عثرة لانها سقوط في الاثم ويمرض المرضة اقول هي للمرة والفعل من باب علم لازم يقال مرض الانسان مرضا ويتعدى بالالف فيقال امرضه الله والمرض حالة خارجة عن الطبع ضارة بالفعل وقيل المرض كل ما خرج به الانسان عن حد الصحة من علة او نفاق او تقصير في امر ويشاك الشوكة يقال شاكه الشوكة تشوكه شوكة وشيكة اذا دخلت في جسده وانتصاب الشوكة بالمفعولية المطلقة كانتصاب الخدشة والنكبة والعثرة فان قلت تلك مصادر بخلاف الشوكة فانها واحدة الشوك وهو من الشجر معروف فكيف يكون مفعولا مطلقا قلت يجيء المفعول المطلق غير مصدر اذا لابس المصدر بالآلية ونحوها نحو ضربته سوطا وان ابيت فاجعل انتصابها بنزع الخافض اى يشاك بالشوكة وما اشبه هذا يحتمل ان يكون من كلام النبي صلعم وان يكون من كلام الراوي حتى ذكر في حديثه اختلاج العين عد صلعم من جملة الآفات لان اختلاج العين مرض من الامراض وقد ذكره الاطباء وهو حركة سريعة متواترة غير عادية تعرض لجزء من البدن كالجلد ونحوه بسبب رطوبة غليظة لزجة تحلل فتصير ريحا بخاريا غليظا يعسر خروجه من المسام وتزاول الدافعة دفعه فيقع بينهما مدافعة واضطراب اقول فسر النبي صلعم تسلية للمؤمنين الافقر على وجه نعم الآفات المذكورة ودونها وامثال هذه الآفات لا يخلو المؤمن عنها في المذكورة ولو فرض خلوه عنها في المذكورة فهو ملعون لا يبعد انه بعيد عن الرحمة الواسعة الربانية مطلقا بل من هذه الرحمة التي يصل اليه من جهة هذه الافتراء لان الآفة رحمة من الله يرفع بها بعض الذنوب ويكفره ويرفع الدرجة والله اعلم

قوله ان المؤمن الفقير ليكرم على الله حتى لو سأله الجنة بما فيها اعطاه ذلك من غير ان ينتقص من ملكه شيئا وان الكافر ليهون على الله حتى لو سأله الدنيا بما فيها اعطاه ذلك من غير ان ينتقص من ملكه شيئا انتقاص كم كردن وكم شدن فهو متعد ولازم والاول هو المراد هنا يفهم منه ان المؤمن لو سأل تمام الدنيا او بعضها لم يعط لانه يحميه عنها المصلحة عائدة اليه لان الدنيا مبغوضة والمؤمن محبوب والمبغوض لا يناسب المحبوب وانه لا يسأل تمام الجنة لعلمه بان لغيره من المؤمنين نصيبا منها فطلب الاختصاص محال لان الافعال الشرطية تقتضي تحقق الاعطاء على تقدير وقوع السوال ووقوع السوال امر ممكن فيلزم تحقق الاعطاء عند سوال مؤمن ذلك لانا نقول وقوع السوال وان كان ممكنا في نفسه الا انه ممتنع بالغير وهو العلم باستحالة الاختصاص والموقوف على الممتنع بالغير ممتنع بالغير ايضا على ان الشرطية خرجت مخرج وقد تترشح

باقى الحديث في هذا الباب قوله وذلك ان الله عز وجل لم يجعل الدنيا ثوابا للمؤمن ولا عقوبة للكافر ولو جعلها كذلك لما منع المؤمن من الدنيا ولما اختبره بالبلاء ولما سقى الكافر منها شربة من الماء وانما جعل الآخرة كذلك فلذلك يعطي المؤمن فيها ما لا تقر به عينه من الثواب ويعاقب الكافر فيها بانواع من العقاب ولا ينبغي للمؤمن الفقير المحق بالبلاء ان يغتم لانه مشارك للانبياء والاولياء ولا للغني الخالي منه ان يغتر و يفتخر لانه مشارك للكفرة والجهلاء وان البلاء اسرع الى المؤمن التقي من المطر الى قرار الارض شبه البلاء النازل الى المؤمن بالمطر النازل الى الارض للايضاح والوجه متعدد وهو السرعة والاستقرار بعد النزول وكثرة النفع والتسبب للحيوة فان البلاء سبب للحيوة الابدية والمطر سبب للحيوة الارضية قوله فقال لعل لي لقد كان مؤمن آل فرعون يكتع الاصابع فكان يقول هكذا او يمد يده ويقول يا قوم اتبعوا المرسلين المراد بهذا المؤمن صاحب ياسين المذكور سابقا وبفرعون فرعون عيسى عم وهو حاكم الانطاكية لا فرعون موسى عم والفرعون يطلق على كل جبار متكبر ثم شاع اطلاقه على ثلثه فرعون الخليل واسمه سنان و فرعون يوسف واسمه الريان بن الوليد و فرعون موسى واسمه الوليد بن مصعب ويؤيد ما
١٦٠ قلناه قوله يا قوم اتبعوا المرسلين فان مؤمن آل فرعون موسى قال يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد واضافته الى آل فرعون عيسى باعتبار او في الملابسة وهو كونه فيهم واشتغاله بانذارهم او باعتبار كونه منهم في نفس الامر والله اعلم والحج في الدعاء الالحاح الحاح مبالغه كردن وايستادن ودايم بازيدن بجاب قال في المصباح الح السحاب الحاحا ولم مطره ومنه الح الرجل على الشيء اذا اقبل عليه مواظبا

باب فضل فقراء المسلمين

قوله ان فقراء المؤمنين يتقلبون في رياض الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا روى مسلم عن رسول الله صلعم ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيمة الى الجنة باربعين خريفا قال صاحب النهاية الخريف الزمان المعروف من فصول السنة ما بين الصيف والشتاء ويريد به اربعين سنة لان الخريف لا يكون في السنة الا مرة واحدة فاذا انقضى اربعون خريفا فقد مضت اربعون سنة وفيه صاحب العلم باكثر من ذلك كثيرا وفي بعض رواياتنا انه الف عام والله اعلم ثم الظاهر ان التفاوت بهذه المدة اذا كان الاغنياء من اهل الصلاح والسداد والتزموا الحقوق المالية ولم يكتسبوا من وجه الحرام فيكون حبسهم لمجرد خروجهم عن عهدة الحساب والسوال من مكسب المال ومخرجه وحقوقه ورعاية الفقراء والايتام والارامل والارحام والجار وعن التقصير في بعض العبادات لاشتغال قلبه بكسبه وحفظه والا فهم على خطر عظيم ونجاتهم في مشية الله ويفهم منه ان الفقراء افضل من الغنى ومن الكفاف للصابر وما وقع في بعض الروايات من استعاذتهم عليهم السلم

من الفقر يمكن حمله على الاستعاذة من الفقر الذى لا يكون معه صبر ولا ورع يحجزه عما لا يليق باهل الدين
والمروة او من فقر القلب وفقر الاخرة وقد صرح به بعض العلماء ودل عليه بعض الروايات والعامة فى تفضيل الفقر
على الغنى والكفاف اذا الحكى اربعة اقوال ثالثها الكفاف افضل ورابعها الوقف ومعنى الكفاف ان لا
يحتاج ولا يفضل وقال الغنى والفقر افضل من الكفاف ولكل واحد استدلال لا يناسب المقام ذكره ثم قال
ساضرب لك ذلك اى دخول الفقراء فى الجنة قبل الاغنياء انما مثل ذلك مثل سفينتين مر بهما على عاشر
هو من ياخذ عشر المال ويقال له العشار ايضا للمبالغة وفعله من باب قتل فنظر فى احديهما فلم ير فيها
شيئا فقال اسربوها اى ارسلوها من اسربه اذا ارسله وبعثه وهكذا حال الفقراء ونظر فى الاخرى
فاذا هى موقرة بالاسباب والاحمال والموقرة على صيغة الفاعل او المفعول من باب الافعال يقال
اوقرت النخلة اذا كثر حملها فهى موقرة واوقرت بالبناء للمفعول صار عليها حمل ثقيل فقال احبسوها
الى ان يخرج من عهدة ما عليه وهكذا حال الاغنياء **قوله** المصائب منح من الله المنح العطاء منحته منحا
من بابى نفع وضرب اعطيته والاسم المنحة بالكسر وهى فى الاصل الشاة التى يعطيها صاحبها رجلا ليشرب
لبنها ثم يردها اذا انقطع اللبن ثم كثر استعماله حتى اطلق على كل عطاء وفيه تنبيه على انه ينبغى ان يفرح
صاحب المصائب بها كما يفرح صاحب العطية بها حيث عد المصائب عطية لان العطية ما ينتفع به
والمصائب كذلك وان كانت فى المذاق مرة كما ان الدواء النافع للمريض عطية وان كان فى مذاقه مرا والفقر
مخزون عند الله لخواصه واوليائه يوصله اليهم تحفة لهم ويحتمل ان يكون التقدير وجزاء الفقر مخزون وفيه
تنبيه على كمال منزلته ومنزلة اهله **قوله** ولكنه قتله بما نكا من قلبه نكات القرحة انكؤها مهموز
قشرتها ونكات فى العدو نكاء من باب نفع ايضا فى لغة نكيت فيه انكى من باب رمى والاسم النكاية بالكسر
اذا اقتلت واثخنت **قوله** كلما ازداد العبد ايمانا ازداد ضيقا فى معيشته نظيره قول امير المؤمنين ع
وكل الرزق بالحمق ووكل الحرمان بالعقل وقوله ع كم من اديب عالم فطن ع مستكمل العقل
مقل عديم ع وكم من جهول مكثر ماله ع وذلك تقدير العزيز العليم ع ولعل سر ذلك ان الاكثار موجب للتكبر
والخيلاء واحتقار الناس والجفاء والخشونة والقسوة والغفلة بسبب اشتغال المكثرين باموالهم مع كثرة
ما وجب عليهم من الحقوق التى قل من يؤديها وبذلك يتعرضون لسخط الله ويبعدهم عن رحمته فلذلك جعل الله
عز وجل ازدياد الايمان الموجب لازدياد المحبة سببا لضيق معيشة المحبين لطفا واكراما وحفظا لهم عن المفاسد
المذكورة فطيب ايها العاقل اللبيب نفسك بما رضى الله لك من المعاش واكتف بالحلال عن الحرام وبما رزقك الله

غنا

غنا بعطائه فانه خير لك وكاف لسد جوعك ولا تضيع عمرك فى طلب ما زاد عنك **قوله** لولا الحاح المؤمنين
على الله فى طلب الرزق لنقلهم من الحال التى هم فيها الى حال اضيق منها لان الله تعالى يحبهم ويحب تقربهم
منه والدنيا على تفاوت درجاتها مانعة من قربه فيمنعهم منها لئلا تكسر قلوبهم وقد يصرف قلوبهم عن
الثقة بها وميلها الى الثقة به وذلك ايضا من توابع **قوله** ما اعطى عبد من الدنيا الا اعتبارا ولا زوى عنه
الا اختبارا جعل الغنى فيما ليرى ما ذا يفعل فيشكر وجعل الفقير فقيرا ليرى ما ذا يفعل فيصبر والكل ممتحن
بامتحانات اخر ومحنته باختبارات لخفى ولظهر وبالجملة كل ما فى الدنيا فهو لاختبار العبد وحقيقة الاختبار
طلب الخبر ومعرفة ان لا يكون عارفا به ولما كان الله عز وجل عالما بمضمرات القلوب وخفيات الغيوب
كان عالما بالمطيع والعاصى فليس نسبة الاختبار اليه بحقيقته بل مجاز باعتبار ان فعله ذلك مع عباده
ليترتب عليه الجزاء مشابه لفعل المختبر ومانع صاحبه **قوله** ليس لمصاص شيعتنا فى دولة الباطل الا القوت
المصاص خالص كل شىء يقال فلان مصاص قومه اى خالصهم نسبا فيستوى فيه الواحد والاثنان
والجمع والمذكر والمؤنث والقوت ما يؤكل فيمسك الرمق قاله ابن الفارس والازهرى وقيل هو البلغة
يعنى قدر ما يتبلغ به العيش ويسمى ذلك ايضا كفافا لانه قدر يكفه عن الناس ويغنيه عن سوالهم وهذا
بقدر يدفع الفاقة ويوجب الراحة كما قال امير المؤمنين ع ولا مال اذهب للفاقة من الرضا بالقوت والوجه
فيه ان من رضى بالقوت وتوكل على الحى الذى لا يموت لم يفتقر الى غيره لاجل المسكنة وقال ايضا من اقتصر على
بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة وتبوأ خفض الدعة والرغبة فى الزائد مفتاح النصب ومطية التعب
بالغ فى ان نصيبهم القوت بقوله شرقوا ان شئتم او غربوا لن ترزقوا الا القوت وهو كناية عن الجد فى
الطلب والسير فى اطراف الارض فانه تعالى يمنع خلصهم عن الزائد من القوت لطفا بهم وحفظا لهم عن
مفاسد الزائد وينبغى للعاقل الطالب للحق ان يترك طلب الزيادة ويتصور ان كل احد انما ياكل قوته
ويكفيه ذلك فى البقاء والتعيش وان الزيادة وبال عليه **قوله** ما افقر تكم فى الدنيا من هوان بكم آه ويعلم بحكم
المقابلة انه تعالى ما اغنى احدا للتعظيم والتكريم به وبالجملة اعطاء المال وغيره ليس تكريما وتعظيما ومنعه
ليس اهانة وتحقيرا بل كل واحد من المنع والاعطاء اختبار وامتحان ولكن الفقر خير من الغنى مع الصبر على
مشاقه لما فيه من قطع التعلق بغيره تعالى وفيه رد على من زعم من الجهلة من ان الفقراء لو كانوا من خلص الله
واوليائه واهل كرامته لم يبتليهم بالشدايد والمكاره وهل يرى احد يبتلى محبه كما قال فرعون لموسى ع
فلولا القى عليه اسورة من ذهب وقال الكفرة فى حقه او يلقى اليه كنز او يكون له جنة ياكل منها قالوا ذلك لجهلهم

بمساكن الفتنة والاحتياد وموانع والافتار وللفقرآ ان يقولوا لو كان الاغنيآء من خولص الله ولو لما اثر
لم يمتحهم بالمال الذي يذكر الدنيا ويقسو القلب وينسي الآخرة المال اليه الخير لا انه خيرات عجل الله تعالى
لهم كيف وقد قال الله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون
ثم اشار الى انه تعالى شرف الفقرآ بشرف درجة الشفاعة لمن احسن اليهم من الاغنيآء والناس في الحساب بعو
فمن زودكم في دار الدنيا معروفا اي اعطاه فخذوا بيده فادخلوه الجنة فيأخذون بيد من اطعمهم طعام
وسقاهم شراب ماء او البسهم بلباس واعانهم في حاجة ويدخلونه الجنة والناس في الحساب فعلم ان
احتياج الاغنيآء الى الفقرآء اشد من العكس قوله فصير الله في هؤلاء اموالا وفي هؤلاء اموالا
وحاجة فصار الناس اربعة اصناف موسع عليه في الدنيا والآخرة وهو المؤمن الصالح الغني الشاكر ومقتور
عليه فيهما وهو الكافر الفقير والواسع عليه في الدنيا فقط وهو الكافر الغني وموسع عليه في الآخرة فقط
وهو المؤمن الفقير الصابر قوله فجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي مع رسول الله او عنده فجاء رجل معسر درن الثوب
درن بفتح الدال وكسر الراء صفة مشبهة من الدرن بفتحهما وهو الوسخ درن الثوب درنا من باب تعب فهو درن
مثل وسخ وسخا وهو وسخ وزنا ومعنى فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه قال الشيخ ضمير فخذيه يعود الى الموسر
اي جمع الموسر ثيابه وضمها تحت فخذي نفسه لئلا يلاصق ثياب المعسر ويحتمل عوده الى المعسر ومن
على الاول للتبعيض في او زائدة على القول بجواز زيادتها في الاثبات وعلى الثاني لابتداء الغاية والعود الى
الموسر اولى كما يرشد اليه قوله صلى الله عليه وسلم خفت ان يوسخ ثيابك لان ثيابه لو كانت تحت فخذي المعسر لا يمكن ان
يكون قبضها من تحت فخذيه خوفا من ان يوسخها في نفس الامر فلا يكون هذا التفريع في مرتبة الكمال كما يكون التفريع
السابق في مرتبته فقال يا رسول الله ان لي قرينا يزين لي كل قبيح ويقبح لي كل حسن اي ان لي شيطانا
يغويني ويجعل في نظري القبيح حسنا والحسن قبيحا وهذا العمل الشنيع من جملة اغوائه وفي النهاية ما من احد
الا وكل به قرينه اي مصاحبه من الملائكة والشياطين فقرينه من الملائكة يامره بالخير وقرينه من الشياطين
يامره بالشر والمراد بالقرين ههنا هو الثاني وقد جعلت له نصفي مالي مقابلا لكدورة قلبه وزجر النفس عن مثل
هذه الزلة فقال اخاف ان يدخلني ما دخلك من الكبر والغرور والترفع على الناس واحتقارهم وغيرها من
الاخلاق الذميمة اللازمة للمال والغرض من الحديث بيان ما لزم المال من القبائح والمفاسد ولما ذكر للعبد
جمال الفقرآء رده للغرار من مفاسده قوله اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين الشعار ما ولي
من الثياب والشعار العلامة ايضا والفقر من شعار الصالحين وصفاتهم مثل الانبيآء والاولياء والغني من شعار

الظالمين

الظالمين والمتكبرين مثل الفراعنة واشياعهم والامر بترغيبه اشارة الى التلقي بقبوله والرضا به من
صميم القلب لانه يوجب دخول اهله في حزب الصالحين وحسن اولئك رفيقا واذا رايت الغنى مقبلا
فقل ذنب عجلت عقوبته لعل المراد بالذنب الغنى وبالعقوبة البعد عن الحق في الدنيا وهو من اعظم
العقوبات وقد شبه امير المؤمنين عليه السلام اهل الدنيا تارة بالكلاب والذئاب واخرى بالانعام والدواب
في انهم يرعون اياما قليلة في مزرع الدنيا ويتركون عنان الطبيعة في ايدي الهوى ويعرضون من
حقوق المولى فيحشرون يوم القيمة اعمى ويحتمل ان يراد بالذنب غير الغنى وبالعقوبة الغنى قوله طوبى للمساكين
بالصبر وهم الذين يرون ملكوت السموات والارض لعل المراد ان المساكين الزاهدين في الدنيا الراغبين عن
زهراتها الصابرين في البأسآء والضرآء الشاكرين لخالق الارض والسمآء تفتح الله عيون قلوبهم فيرون
ملكوت السموات والارض وينظرون في الظلمات البشرية الى الاسرار الالهية ويشاهدون في الابدان
الناسوتية الاشراقات اللاهوتية وربما يفاوت نور الايمان في قلوبهم وبذلك يتفاوت الدرجة والله يؤيد
بنصره من يشاء قوله واعطوا الله الرضا من قلوبكم يثبكم الله عز وجل على فقركم فان لم تفعلوا فلا ثواب لكم
الفقر نعمة من الله على عبده فاذا رضي به كان رضاه شكرا يستحق به الاجر والثواب وان سخط منه كان
سخطه كفرانا لتلك النعمة فلا يستحق الثواب نعم لو كان عدم الرضا عبارة عن ميل القلب الى الغنى دون السخط
والاعتراض على قسمة الحق فالظاهر ان له ثوابا دون الثواب الرضى ومحصل القول ان للفقير ثلثة احوال احدها
الرضا بالفقر والفرح به وهو شان الاوليآء والاصفياء وثانيها الرضا به دون الفرح وله ايضا ثواب دون
الاول وثالثها عدم الرضا به والكراهة في القسمة وهذا لا ثواب له اصلا قوله فارفع هذا السجف ويكبر
وكتاب الستر قوله وهو مما ابتليت به الاغنيآء بالفقرآء جملة ما في الدنيا خيرها وشرها عسرها ويسرها
منافعها ومضارها جعلت اختبارا وامتحانا للخلق فالله سبحانه كما ابتلى بعضهم بالفقر لاختبار الصبر على
المكاره وغيره كذلك اختبر بعضهم بالغنى امتحانا للشكر وصبره على ما يثقل عليه من رعاية حال الفقرآء الذي
امواله وقوله ولولا الفقرآء لم يستوجب الاغنيآء الجنة اشارة الى كثرة مفاسد الغنى والى ان نجاة الاغنياء
منحصرة في رعاية احوال الفقرآء الذين هم عيال الله وعيال رسوله والتفاتهم الى تدارك ما يحتاجون
اليه ببذل شيء من اموالهم وسد خلتهم ورفع حاجتهم قوله ما يسرني ان الدنيا باسرها لي على ان اكون اكثر المفاسد
على ما يقول كالمنتقل على متاقيل فاحفظوا فيهم يحفظكم الله اي يحفظكم الله في اموالكم وانفسكم فدل
على ان الاغنيآء لو لم يرعوا حال الفقرآء سلبت منهم النعم لانه اذا ظهرت الخيانة من المؤتمن استحق ان يؤخذ

منافع يرشد اليه قول امير المؤمنين ع ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فيقرها في ايديهم
ما بذلوها فاذا منعوها نزعها ثم حولها الى غيرهم اقول فاللايق بحال ذي القدرة ان يشترى درجات
الجنة وصحتها وبقاء ثروته بمواساة ذوى الحاجات ويحتمل ان يكون يحفظكم الله جمله وعنايته قوله
الفقر ازين للمؤمن من العذار على خد الفرس اى في الحسن او الحفظ والمنع لان الفقر يحفظ النفس عن الطغيان
كما ان العذار يمنع الفرس من العصيان والعذار بالكسر من الفرس كالعارض من وجه الانسان ثم سمى
السير الذي على خده من اللجام عذارا باسم موضعه وفي المهذب العذار سر افسار والعذاران دو وال از
دو سوى روى اسب قوله عنى بذلك امة محمد صلى الله عليه وآله اريد بذلك هنا الناس وبالامة الامة المدعوة المستجيبة
جميعا واريد بالامة في قوله ولو فعل ذلك بامة محمد صلى الله عليه وآله غير المستجيبة وبذلك الجعل المذكور واشير
بقوله ولم يناكحوهم ولم يوارثوهم الى ان كونهم امة واحدة كفرة على تقدير الجعل المذكور من جهة انقطاع
النسل ولعدم التناكح والتناسل دون الارتداد والغرض ان منع الكفار من بعض الدنيا لاستبقاء ايمان
المؤمنين لئلا يحزنوا بمشاهدة عدوهم في النعمة والزينة الكاملة فيهلكهم الحزن او ينقطع النسل فيصير
كل الامة كفارا والله اعلم قوله فما اتاك الله خير مما اخذ منك المراد بالموصول الاول اما الفقر او حب الائمة
عليهم السلام والانقطاع اليهم واما الموصول الثاني فالمراد به الغنى ومتاع الدنيا ولكن سل ان يغنيك عن
الحاجة التي تضطره الى لئام خلقه اللئام جمع اللئيم وهو البخيل ومن ليس له مروة وقوة وذلك لان الارذل
حاجته احد وربما يلومه في رفع الحاجة اليه او يمنه بقضائها ومثله الظالم والفاسق المعلن بفسقه
وفي الادعية اللهم لا تجعل للظالم ولا لفاسق على يدا ولا منة وذلك لان القلب مجبول على حب من احسن
اليه وفي حب الظالم مفاسد كثيرة ولذلك قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار قوله
الفقر الموت الاحمر شبه الفقر بالموت في الكرب والشدة ووصفه بالاحمر مبالغة في شدته لان اشد
الموت ما كان بالقتل وسفك الدم فقلت لابي عبد الله ع الفقر من الدينار والدرهم فقال لا ولكن
من الدين نظيره قول امير المؤمنين ع الفقر والغنى بعد العرض على الله والمعنى انهما يتبينان ويظهران
بعد العرض على الله والفراغ من الحساب وهو ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله اتدرون ما المفلس
قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع له فقال المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلوة وصيام
وزكوة ويأتي قد شتم وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته
وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في

النار

النار بل قد يقال ان المفلس حقيقة هو هذا واما من ليس له مال او من قل ماله فالناس يسمونه مفلسا و
ليس هو بمفلس وفقير حقيقة لان هذا الافلاس ينقطع بموته وربما ينقطع بيسار في حيوته بخلاف
ذلك المفلس الفقير فانه هالك دايما ويحتمل ان يراد بقوله ع ولكن من الدين الفقر القلبي وضده الغنى
القلبي فالفقير على هذا من ليس له في الدين معرفة وعلم باحكامه ولا تقوى وورع وغير ذلك من الصفات
الحسنة وهذا ايضا اشد من الفقر المتعارف بل لا نسبة بينهما ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا الا

بيان ان القلب اذنين ينفث فيهما الملك والشيطان

بارك الله في الدنيا بلا دين قوله ما من قلب الا وله اذنان على احدهما ملك مرشد وعلى الاخرى شيطان
مفتن آه الظاهر ان المراد بالقلب النفس الناطقة وهي جوهر روحاني متوسط بين العالمين عالم روحاني صرف
وعالم جسماني فيفعل في ما دونه وينفعل عما فوقه واثبات الاذن له من باب الاستعارة والتشبيه في
ادراك الاقوال وهو بمنزلة مرآة يحاذي عليه اصناف الصور المختلفة اما من طرق الحواس الظاهرة
والباطنة او من عالم الروحاني فهو دايما محل الحوادث الادراكية وموضوع للاحوال النفسانية فدايما
١٦٣ ينتقل من حال الى حال وتلك الاحوال والحوادث المسماة بالخواطر محركات للارادة والاشواق وهي
محركات للعزم والنية وهي محركة للقوة والقدرة وهي محركة للاعضاء فيصدر الفعل خيرا كان او شرا عنها
من هذه المبادي المترتبة وهذا معنى ما روي ابى الله ان يجري الاشياء الا باسبابها ثم تلك الخواطر المحركة
للارادة تنقسم الى قسمين قسم يدعو الى الخيرات وقسم يدعو الى الشرور فهما خاطران مختلفان فافتقر الى
اسمين مختلفين فالخاطر الداعي الى الخير يسمى الهاما والخاطر الداعي الى الشر يسمى وسواسا وهما لما كانا حادثين
والحادث يحتاج الى سبب وجب ان يكون اسبابهما القريبة مختلفة فسبب الالهام يسمى ملكا وسبب الوسواس
يسمى شيطانا والامر الذي به تتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا وهداية والامر الذي به تتهيأ
القلب لقبول وسوسة الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فالملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى للالهام والحث
والشيطان عن خلق شانه ضد ذلك فالشيطان في مقابلة الملك والوسواس في مقابلة الالهام والاغواء
والخذلان في مقابلة التوفيق والهداية فالقلب دايما متجاذب بين الملك والشيطان والشيطان يامره
بالمعاصي والملك يزجره عنها ويامره بالخيرات فان تبع امر الشيطان بامضاء القوة الشهوية والغضبية و
اختيار الاخلاق الذميمة والاعمال القبيحة ظهر تسلطه على الملك وصار القلب ملكه يتصرف فيه ما شاء
كيف شاء وان تبع امر الملك وسلك سبيل الخيرات وترك الهوى والشهوات واتصف بالعلم والطهارة والتقوى والاشتياق
الى الاخرة والزهد في الدنيا ظهر تسلطه على الشيطان وصار القلب ملكا له ومهبطا للالطاف ومعدنا للمعارف والكرامات وموردا

للانوار والاشراقات ويصعد رجاء في زمرة الروحانيين والملائكة المقربين والله يؤيد بنصره من يشاء والله على
كل شيء قدير **قوله** ان للقلب لاذنين فاذا هم العبد بذنب قال له روح الايمان لا تفعل وقال له الشيطان افعل
واذا كان على بطنها نزع منه روح الايمان للنفس طريق الى الخير وطريق الى الشر وللخير مشقة حاضرة
زائلة ولذة غائبة دائمة وللشر لذة حاضرة فانية ومشقة غائبة باقية والنفس بطلب اللذة ويهرب
عن المشقة فهو دائما متردد بين الخير والشر فاذا هم بخير قال له روح الايمان وهو الملك الموكل به افعل
واوحى اليه منافعه وقال له الشيطان لا تفعل فيقع بينهما تدافع فيقول له الشيطان عند ذلك ما هذا
الزهد ولم تمتنع عن هذه اللذة الحاضرة وهل ترى احدا يخالف هواه ويترك نفعه الحاضر ومبتغاه
وهل تريد ان تزيد صلاحك وعلى فلان وفلان وقد فعلوا ما تمتنع منه وان خفت من العقوبة الاجلة
فان باب التوبة والانابة مفتوح والله غفور رحيم الى غير ذلك من البواعث على مطلبه فتميل النفس الى
الشيطان ويصغي الى زخرف القول اقواله وعند ذلك يقوم الملك بالارشاد ويقول لم تتبع ما القى
اليك عدوك وهل هلاك الا من اتبع اللذة الحاضرة ونسي العاقبة وقنع بلذة يسيرة في مدة قليلة وترك
السعادة الابدية واللذة الباقية ولو وقع الناس في المهالك امتنع فيها وترك الذنب اهون من طلب التوبة
اوما ترى ان كثيرا من المذنبين يموتون بلا توبة وللتوبة شرائط قلما تحصل ومغفرة الرب لمن يشاء فلعل
مشيته لا يتعلق بك ورحمته للمحسنين فمالك لا تكون من المحسنين وهكذا يقع بينهما تقاول وتلاوم وكل واحد
فصلا مشبعا من مطالبه ولا تزال النفس يتردد بينهما حتى يستقر على ما شاء الله وعلى ما هو اشد مناسبة
له فان كان الغالب فيها صفات الملكية صار من حزب الله وجرى على جوارحه الطاعة ودخل في زمرة
المقربين وان كان الغالب فيه الصفات الشيطانية ظهر على جوارحه الاعمال الشنيعة كالزنا وغيره فعند
ذلك يفر منه روح الايمان لئلا يشاهد معصية الجبار تعظيما له او ليتباعد عمن يستحق العذاب كما خرج
لوط عن القرية التي امطرت عليها مطر السوء بعد التغلب او لغلبة غيظه على ذلك الحال ثم انه يعود بعد الفراغ
كما دل عليه بعض الروايات الا ان يتقى ايمانه ويقع بينهما تقاول مرة بعد اخرى وقد لا يعود ان كان الذنب موجبا
لزوال الايمان بالكلية وبالجملة الانسان مريض والمعصية بمنزلة المرض والطاعة بمنزلة الدواء والملك
بمنزلة طبيب يدله على الدواء والشيطان بمنزلة عدو يامره بتناول الداء والمريض اذا لم يعمل بما يامره الطبيب
الحاذق المشفق وعمل بما يامره العدو الجاهل ترك الطبيب بحاله ويصرف عنه فنال عنايته وافضاله
اللهم اني اسئلك نصرة الملك وصلاح العمل واطلب منك الهداية والهداية واعوذ بك من اغواء الشيطان

في البداية والنهاية الملك قريب مجيب **قوله** ما من مؤمن الا ولقلبه اذنان في جوفه اذن ينفث فيها الوسواس
الخناس واذن ينفث فيه الملك آه في طريق العامة ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم قال
الازهري معناه انه لا يفارق ابن آدم ما دام حيا كما لا يفارقه دمه وقال هذا على طريق ضرب المثل و
جمهورهم حملوه على ظاهره وقالوا ان الشيطان جعل له هذا القدر من التطرق الى باطن الادمي بلطافة
هيئته يجري في العروق التي هي مجاري الدم الى ان يصل الى قلبه فيوسوس على حسب ضعف ايمان العبد
وقلة ذكره وكثرة غفلته ويبعد عنه ويقل تسلطه وسلوكه الى باطنه بقدر قوته ويقظته ودوام
ذكره واخلاص توحيده ونقل عن ابن عباس انه تعالى جعله بحيث يجري من بني آدم مجرى الدم وصدور
بني آدم مسكن له كما قال من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس
والجنة الشياطين وكما قال النبي ص ان الشيطان ليجثم على قلب بني آدم له خرطوم كخرطوم الكلب اذا ذكر العبد
الله عز وجل خنس اي رجع على عقبيه واذا غفل عن ذكر الله وسوس فاشتق له اسمان من فعليه الوسواس
من وسوسته عند غفلة العبد والخناس من خنوسه عند ذكر العبد قيل والناس عطف على الجنة و
١٦٦ الانسي لا يصل في وسوسته بذاته الى باطن الادمي فكذا الجن في وسوسته واجيب بان الانسي ليس له
ما للجن من اللطافة فعدم وصول الانسي الى الجوف لا يستلزم عدم وصول الجن اليه ثم ان الله بلطفه تعالى
جعل للانسان حفظة من الملائكة واعطاهم قوى الالهام والالمام بهم في بواطن الانسان في مقابلة
لمة الشيطان كما روي ان للملك لمة بابن آدم وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن
وجد ذلك فليحمد الله ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق فمن وجد من ذلك شيئا فليتعوذ بالله
من الشيطان **قوله** ان الله تبارك وتعالى ايد المؤمن بروح تحضره في كل وقت يحسن فيه ويتقي لعل المراد بالروح
هناك الملك كما مر وبالاحسان الاتيان بالطاعات وبالاتقاء الاجتناب عن المنهيات وتغيب عنه في كل
وقت يذنب فيه ويعتدي اي يتجاوز عن حدود الشريعة ويظلم على نفسه او على غيره وهي معه تهتز اي
تتحرك سرورا عند احسانه سروره لمشاهدة طاعة الرب وتعظيمه وصلاح العبد وقربه وتسيخ في الثرى
عند اساءته اي تدخل فيه دخول الرجل في الماء فاذا فرغ عاد وفيه ترغيب في اجتناب الذنوب وتخويف
بفارقة هذه النعمة الجليلة لامكان ان لا تعود لصلاح نفس الامارة فسالك عوده ولعل ما بعد التفاهد
عباد الله تعهدوا باصلاحكم انفسكم بترك الرذائل من الاخلاق والاعمال وتحصيل الفضائل منهما بانكم ان
تعاهدتم بذلك تزدادوا يقينا فان الانسان باصلاح النفس ومحاسبتها وتزكيتها كما ينبغي يترقى من درجة

باب الروح الذي ايد به المؤمن

علم اليقين ويبلغ مرتبة حق اليقين التى يشاهد فيها جمال الاسرار اللاهوتية وكمال الانوار الملكوتية ويحوا
نفسا تميمنا وهى الجنة ودرجاتها العالية والسعادة الباقية وقرب الاخيار فى دار القرار رحم الله امراء
اهم بخير فعله بلا تاخير لئلا يفوته باغواء الشيطان ومكايد النفس وطريان النسيان اوهم بشر فارتدع عنه
تعظيما لله ورجاء فى ثوابه وخوفا من عقابه ثم قال نحن نزيد الروح بالطاعة لله والعمل له اشارة الى ان الروح
لانقيادهم آنا لانهم لا يعصون الله وقتا من الاوقات وفى بعض النسخ بريد بالزاء المعجمة وله وجه ظاهر ان اريد
بالروح نور الايمان والله اعلم قوله ما من شئ افسد للقلب من خطيئة اى قلت كل ما يفسد القلب فهو خطيئة
فما معنى التفضيل واى شئ المفضل عليه قلت لا نسلم ذلك فان كثيرا من المباحات والامراض والالام يفسد
القلب وليس بخطيئة وهى اعم من الخطايا الظاهرة مثل الاعمال القبيحة اذ للظاهر تاثير فى الباطن ومن الخطايا
القلبية كالعقائد الفاسدة والهم بالمعصية وقوله ان القلب ليواقع خطيئته كما يناسب الثانية ظاهرا
يناسب الاولى ايضا كما لا يخفى فلا تزال به حتى تغلب عليه ان لم ترفع بالتوبة الخالصة والاستغفار فتصير
اعلاه اسفله اى تكدره وتسوده لان الاعلى صاف والاسفل ورى من باب التمثيل فاذا صيرت اعلاه
اسفله لزم ما ذكرناه او تصيره مايلا الى الباطل بكله لان اعلاه طرفه المايل الى الحق واسفله طرفه المايل الى الباطل
فاذا جعلت اعلاه اسفله جعلت كله مايلا الى الباطل او جعلته كالكوز المنكوس لا يدخل فيه شئ من الحق
وخروج ما دخل فيه فيصير خاليا من الحق والمعارف مظلما قابلا لجميع المفاسد نعوذ بالله من ذلك قوله فما
اصبرهم على النار فقال ما اصبرهم على فعل ما يعملون انه يصيرهم الى النار هذا التاويل يحتمل امرين احدهما
حذف المضاف اى على سبب النار وهو الفعل المذكور وثانيهما اطلاق المسبب على السبب قوله اما انه ليس من
عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض الا بذنب ان قلت لزم من هذا ان لا تنزل الالام على الانبياء والاوصياء
لعدم تحقق سببها وهو الذنب فيهم واللازم باطل بالاتفاق ولما مر قلت لا نسلم انتفاء السبب فيهم فان الذنوب
متفاوتة بالذات وبالنسبة الى الاشخاص فترك الاولى ذنب بالنسبة اليهم ولذلك قيل حسنات الابرار
سيئات المقربين ويؤيده ما اصاب آدم ويونس وغيرهما بسبب تركهم ما هو اولى بهم ولئن سلم فقد يصاب البرى بذنب
المجرم كما مر على انه يمكن تخصيص ذلك بغيرهم جمعا بينه وبين ما دل على ان الغرض من ابتلائهم رفع درجاتهم
التى لا مدخل لكسب الانسان فيها وما يعفو الله اكثر مما يواخذ به الذنوب كما تدفعها التوبة والالام تدفعها
ايضا وكذا العفو والاصل فيه انه كما لا يرجع اليه سبحانه نفع لطاعة العباد كذلك لا يرجع اليه ضرر
بمعصيتهم وقد وصف نفسه بانه غفور وغفار وانه يغفر الذنوب جميعا الا الشرك وانه لذو مغفرة

باب الذنوب

للناس على ظلمهم واخبر انه يغفر الذنوب مطلقا فلا بد من ان يقع مغفرتها اما بالتوبة او بالالام او بالعفو
ولا قصور فى وصفه بالمغفرة حتى موقف ظهورها منه على الاولين ومن تابا لو تالم خرج من الذنب
فلا بد من وقوع العفو عنه فى غيرهما ليبقى الآية على عمومها وايضا من المعلوم فى وصف الكريم ان يعفو فى
حقه وايضا قد امرنا فى مواضع بالعفو ويبعد ان لا يعفو هو وبالجملة فى الآيات والروايات حث بليغ على
الرجاء للمغفرة نعم وان كثرت الذنوب وحسم مادة الاياس والقنوط من رحمته اذ فيهم جحد لكرمه
وانكار لمغفرته ورحمته وذلك خروج عن التوحيد قوله لا اشد من واضحة وقد علت الاعمال الفاضحة
الابداء الاظهار تقول ابديته اذا اظهرته وتعديته بعن لتضمنه معنى الكشف والوضوح الانجلاء و
الانكشاف يقال وضح من باب وعد اى انجلى وانكشف وفى المصباح الواضحة الاسنان تبدو واعند الضحك
وفيه روع عن الضحك وزجر عن الاعمال القبيحة وحث على محاسبة النفس فان من حاسبها وعرف قبح
افعالها وشناعة اعمالها استولت عليه الخشية والهيبة وانقطعت عنه الراحة واللذة وارتقى وقلبه
عساكر الهموم فاستحق ان يبكى بحاله دون ان يضحك ويؤيده ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا اشارة الى علمه بما فى عالم الغيب من الاحوال البرزخ واهوال القيمة والنار ودركاتها
وشدايدها فان من عرفها حق المعرفة بنور الايمان لا بد ان يبكى على نفسه ولا يامن البيات من عمل السيئات
البيات الاغارة ليلا وهو اسم من بيته تبييتا اذا دبره فى الليل وتبييت العدو وهو ان يقصد فى الليل
من غير ان يعلم فيوخذ بغتة وهو بالفارسية شبيخون كردن وشبكار ساختن وفيه وعيد للمذنب بالمواخذة
قوله نعوذ بالله من سطوات الله سطا عليه وبه يسطو سطوا وسطوة قهره واذله وهو البطش الشديد
قوله قال الذنوب التى تغير النعم البغى على الناس
قال لا اخذ على المعاصى يعنى عاجلا والاخذ عليها اعم من الاهلاك والابتلاء بلية قوله قال الذنوب
كلها شديدة وان كان بعضها اشد من بعض ووجه شدتها انها مخالفة لامر الرب الجليل وموجبة للعذاب
الوبيل واشدها ما نبت عليه اللحم والدم يشمل اكل الحرام والاصرار على معصية من غير تكفيرها بالتوبة
لانه اما مرحوم واما معذب لعل المرحوم من كفرت ذنوبه بالتوبة او البلايا او العفو والمعذب من لم
تكفر ذنوبه باحد هذه الوجوه والجنة لا يدخلها الا طيب اى طاهر خالص من الذنوب وشكل هذا
بما دل على ان العصاة من المؤمنين يدخلون الجنة بالشفاعة او بالعفو ويمكن ان يأول ذلك بانه لا يدخلها
بدون الشفاعة او العفو الا طيب او بانه لا يدخلها ابتداء بلا مجازاة الا طيب او بانه تمحى عنهم الذنوب
فيدخلونها وهم طيبون من الذنوب ويؤيده قوله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل الآية قوله ان العبد

ليذنب الذنب فيزوى عنه الرزق لعل سر ذلك فى ذلك ان الحكمة البالغة اقتضت تطهير المذنب بالطلاق
والبلايا وصرف الرزق عنه من اعظم المصائب لان الفقر من كاسرات الظهر فان قلت قد نرى كثيرا من
الفسقة والكفرة مرزوقين فى سعة قلت هذا ايضا تعذيب واستدراج كما دلت عليه الآيات والروايات ولله ان
يعذب عباده بما يشاء على انه يمكن ان يقال ذلك الصرف والمنع مختص بما اراد الله تعالى انصرافه من الذنوب
واستيفا حظه عن الغفلة من المؤمنين الذين استعد والقبول الخير قوله ملعون ملعون من عبد الدينار
والدرهم اللعن الطرد والابعاد عن الخير والرجل لعين وملعون ولعل المراد بعبادة الدينار والدرهم
حبهما او المحبوب له كما قال سبحانه افرايت من اتخذ الهه هواه ولعل المراد بالحب الحب المانع من اداء الحقوق
المالية وصلة الارحام ورعاية حال الفقراء والارامل والجيران ولا يبعد ان يكون حكم غيرهما كحكمهما
وتخصيصهما بالذكر لان التعلق بهما اعظم واكثر ولا ينافى هذا الخبر الاخبار الدالة على وجوب حفظ المال
وتحريم تضييعه اذ ليس فيها دلالة على جواز المحبة والتعلق به والوثوق والركون اليه كما شكلوا عليه
ابناء الدنيا ملعون ملعون من كمه اعمى كمه بكمه من باب علم عمى والاكمه الذى يولد اعمى وربما يقال للذى يعمى
بعد وكمه ايضا خار حيرة ومنه الكامه الذى يركب فرسه لا يدرى اين يتوجه وفلان يتكمه فى الارض وكمهته
بالتشديد اعماه وحيره ايضا ولعل المراد هنا من حير الاعمى بان يضله عن طريقه ولا يهديه اليها ويمكن ان يراد
بالاعمى اعمى القلب الذى لا يهتدى الى الحق فيكون وعيدا لمن احزجر منه او لم يهده اليه والله يعلم قوله اتقوا
المحقرات من الذنوب قال لها طالبا الا تغفل عنها ولو آخذ بها يقول احدكم اذنب واستغفر فى المصباح الذنب
الاثم والجمع ذنوب واذنب صار ذا ذنب بمعنى تحمل والطالب هذا ايان ومثال المحقرات قال هذا القائل بحقره
ويقول انه سهل يرفعه الاستغفار ولا يدرى ان الذنب من حيث انه معصية الله العظيم عظيم ولا ينبغى للمؤمن
ان يحقر شيئا من ذنوبه وقد لا يغفر الله تعالى لاجل تحقيره اياه كما روى زيد الشحام عن ابى عبد الله عم قال اتقوا
المحقرات من الذنوب فانها لا تغفر قلت وما المحقرات قال الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى لى لو لم يكن لى
غير ذلك ثم اشار الى بيان قوله قال لها طالبا والى بعض ما يصغر الطالب تحذيرا عن الذنوب وهو لئن يكتبها
ويحفظها ليشاهدها فاعلها بعد الخروج من الدنيا بقوله ان الله عز وجل سنكتب ما قدموا من الاعمال طالعا
صالحة كانت ام فاسدة وآثارهم من حسنة اذاعوها وسيئة اظهروها وبقى اثرها بعدهم كتعليم علم او تاسيس ظلم
مثلا وقيل اريد بالآثار آثار اقدام الماشين الى المساجد وقيل اريد بها الاعمال وبما قدموا النيات المقدمة عليها
وعلى التقادير فيه حث بليغ على الخير وزجر عظيم عن الشر فان البيت معلوم والمحو بالاستغفار وغيره غير معلوم

وكل

وكل شئ احصيناه فى امام مبين فيه تنبيه على ان الكتابة مقرونة بالحفظ والاحصاء اذ رب مكتوب غير
محفوظ ولا مضبوط وتعميم بعد تخصيص فكان قبل الكتابة غير مختصة باعمالهم وآثارهم بل هى لكل شئ
حتى انه كتب انهم سيفعلون كذا فاذا فعلوا كتب عليهم فعلوا كذا والامام اللوح المحفوظ قيل سمى بذلك لان
الملائكة يتبعون ما كتب فيه من اجل ورزق واثابة واحياء ووصفه بالمبين لانه مظهر للامور وفارق
بين احوال الخلق وقال عز وجل حكاية لقول لقمن فى نصيحة ابنه يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل
فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير ضمير انها للخصلة من
الاساءة او الاحسان وضمير ان تك راجع اليها والمثقال وزن درهم وثلثه اسباع درهم فكل سبعة مثاقيل
عشرة دراهم ومثقال الشئ ميزانه وهو المراد هنا يعنى ان تلك الخصلة ان تكن فى الصغر كحبة خردل و
تك فى اخفى مكان من المذكور وغيره كفوق السموات وقعر البحار وتحت الارضين يأت بها الله فيحضرها
ليحاسب عليها ان الله لطيف عالم بلطايف الامور واسكنها نافذ قدرته فيها خبير بدقايق الاشياء وجلها
قال بعض المحققين خفاء الشئ اما لغاية صغره واما لاحتجابه واما لكونه فى ظلمة فاشار الى الاول بقوله
مثقال حبة من خردل والى الثانى بقوله فتكن فى صخرة والى الثالث بقوله او فى السموات والى الرابع بقوله
او فى الارض قوله ان الرجل ليذنب الذنب فيذرا عنه الرزق وتلا هذه الآية اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين
ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون اللام فى الذنب للجنس باعتبار تحققه فى ضمن
اى فرد كان وان كان صغيرا بل وان كان لخلاف مروة كما يدل عليه ظاهر الآية وتفسيرها كما ذكر
الطبرسى فى جامع الجوامع انا بلوناهم اى اهل مكة بالجوع والقحط بدعاء الرسول صلعم كما بلونا اصحاب الجنة
وهم اخوة كان لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق
بالباقى وكان يترك للمساكين ما اخطاه المنجل وما فى الاسفل الاكدس وما اخطاه القطاف من
العنب وما بقى من البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع له شئ كثير فلما مات قال بنوه
ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين داخلين
فى وقت الصباح خفية عن المساكين ولا يستثنون اى لم يقولوا ان شاء الله فى يمينهم فاحرف الله
جنتهم وانما سمى ذلك استثناء وهو شرط لان معنى قولك لاخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء
الله واحد وطاف طايف اى هلاك او بلاء وهم نائمون اى فى حال نومهم قوله اذا اذنب الرجل خرج فى
قلبه نكتة سوداء فاذا تاب انمحت وان زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها ابدا النكتة النقطة

وكل نقطة في شيء بخلاف لونه وهي نكتة واعلم ان الله تعالى خلق قلب المؤمن نورانيا قابلا للصفات
النورانية فان اذنب خرج فيه نقطة سوداء فان تاب بان ندم وعزم ان لا يعود زالت تلك النقطة و
عاد محلها الى نورانيته وان زاد في الذنب سواء كان من نوع ذلك الذنب ام من غيره زاد نقطة اخرى سوداء
وهكذا حتى تغلب النقاط السود على جميع قلبه فلا يفلح بعدها ابدا لان القلب ح لا يقبل شيئا من الصفات
النورانية والظاهر انه ان تاب من ذنب ثم عاد لم تبطل التوبة الاولى وانه ان تاب من بعض الذنوب دون بعض
فهي صحيحة على احد القولين فيهما قوله ان العبد يسال الله الحاجة فيكون من شانه قضاؤه الى اجل قريب او الى
وقت بطيء فيذنب العبد ذنبا فيقول الله تعالى للملك لا تقض حاجته واحرمه اياها تعرض لسخطي واستوجب
الحرمان مني هذا صريح في ان للذنوب والاعمال الخارجة عن طور الشريعة تاثيرا في سلب الرحمة ورد الدعاء لان الفيض
الالهي لا بخل ولا منع من قبله وانما ذلك بحسب عدم الاستعداد والظاهر ان المذنب معرض عنه غير متعرض
لرحمته بل مستعد لضد ذلك اعني سخطه وعذابه فيستحق بذلك ان لا ينال رحمته ويحرم من الاجابة
لا يقال هذا ينافي ما في بعض الروايات من ان العاصي اذا دعاه اجابه بسرعة كراهة من سماع صوته لانا
نقول لا منافاة بينهما لان هناك شيئان احدهما المعصية وهي تناسب عدم الاجابة والثاني كراهة
سماع صوته وهي تناسب سرعة الاجابة فربما ينظر الى الاول فلا يجيبه وربما ينظر الى الثاني فيجيبه وليس
في الاخبار ما يدل على ان العاصي يجاب دائما ولو سلم لامكن حمل هذا الخبر على ان المؤمن الصالح اذا اذنب
وتعرض لسخط ربه استوجب الحرمان ولا يقضي الله حاجته تاديبا له لينزجر عما فعل كما هو المعروف
بين المحبين قوله وان الله ليحبس الجعل في جحرها لحبس المطر عن الارض التي هي بمحلها بخطايا من بحضرتها
وقد جعل الله له السبيل في مسلك سوى محلة اهل المعاصي قال عم قال ابو جعفر عم فاعتبروا يا اولي
الابصار الاعتبار الاتعاظ والتفكر في العواقب وقبول الموعظة والنصح وفيه دلالة واضحة على وجوب
المهاجرة عن بلاد المعاصي وسيجيء في باب عقوبات المعاصي العاجلة مثله فان قلت الجعل لا تعلم وجوب
المهاجرة عليها فكيف تعذب على تركها قلت ثم عرفت انها لا تعرف لعل الله تعالى يلهمها ولا استبعاد في
ذلك ويؤيده حكاية نملة سليمان عم واذا تاملت ايها اللبيب معاملة ربك جل وعز مع هذا الحيوان
الضعيف الذي لا يقدر على قطع الفيافي والمنازل البعيدة ازيد من قدرة قطع الطفل اياها حبوا او لا
يقدر على حمل ما يحتاج اليه من الطعام والشراب لاجل معصية بني نوعه علمت انك لو عصيته او
سكنت مع اهل المعصية كانت معاملته معك شديدة ومواخذته اياك عظيمة اذ صورك باحسن صورة

وقدرك

وقدرك باحسن تقدير وسخر لك السموات والارض والشمس والقمر وساير ما يطول الكلام بذكره
فيحصل لك حالة شريفة مانعة عن المعصية والميل الى اهلها قوله ان الرجل يذنب الذنب فيحرم صلوة
الليل هذا التاديب كثيرا ما يقع بالنسبة الى الصالحين وقد كان بعضهم معتادا بقيام الليل مع خشوع
وابتهال وصدرت منه صغيرة يوما فاستغفر واسترجع فلما نام الليلة راى انه مسافر الى بيت الله
الحرام وانقطع عن الرفقاء فاذا رجل قبيح المنظر شديد الابهة ظهر مقابل وجهه فتكلم بلسان الفرس و
قال ما معناه اعطني جميع ما يكون معك او ما لي على حيوتك سبيل فوقع في نفسه انه شيطان فاستفرغ
واستيقظ فاذا الفجر طالع فصلى الصبح بتضرع وخشوع وبكاء فدفع عنه ذلك ولا تنظر ايها الاخ الصالح
الى بعض الظالمين المشتغلين باخذ اموال الناس وسفك دمائهم وهم مع ذلك يصلون صلوة الليل فان
حرمانها للتاديب والتنبيه وهم بما عملوا اخرجوا عن اهلية ذلك الا ترى ان كثيرا ممن خرجوا من الدين
في العبادات اشد من سعي المؤمنين ثم اشار الى ان العمل القبيح مهلك بقوله وان العمل السيئ اسرع في صاحبه
من السكين في اللحم شبه السيئة بالسكين في سرعة النفوذ وقوة التاثير والغرض من هذا التشبيه هو الاهلاك
وهو في المشبه به اوضح وان كان في المشبه اقوى اذ بالمشبه به هلاك الدنيا وبالمشبه هلاك الاخرة
قوله من هم بسيئة فلا يعملها فانه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب تبارك وتعالى في مقام معصيته واشتغاله
بها فيقول وعزتي وجلالي لا اغفر لك بعد ذلك اذا وقع هذا القسم وكله الى نفسه وخلى بينه وبين شيطانه
فيعمل ما يعمل حتى يصير من اخوان الشياطين وهو يخرج من الدنيا بغير ايمان فلا تدركه شفاعة الشافعين
فلا يرد انه اذا خرج هذا مع ايمان كيف لا يغفر له والغفران معد للمؤمنين وفيه تعبير عن السيئة كلها فان
كل سيئة يمكن ان يكون هذه السيئة قوله حق على الله ان لا يعصى في دار الا اضحاها الشمس حتى تطهرها
ضحى الشيء ظهر واضحاه اظهره وهو كناية عن ان المعاصي تخرب الديار قوله ان العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه
مائة عام نظيره ما روي عن امير المؤمنين عم قال لا تتكلوا بشفاعتنا فان شفاعتنا قد لا تلحق باحدكم
الا بعد ثلثمائة سنة وفيه دلالة على ان الذنب يمنع من الدخول في الجنة في تلك المدة ولا دلالة فيه على
انه في تلك المدة في النار او في شدايد القيمة واما من لا ذنب له فلا يحبس في القيمة ويدخل الجنة بغير
حساب قوله ما من عبد الا وفي قلبه نكتة بيضاء فاذا اذنب ذنبا خرج في النكتة نكتة سوداء نظيره
قول امير المؤمنين عم ان الايمان يبدو لمظة في القلب كلما ازداد الايمان ازدادت اللمظة هذا وان
مر شرحه الا انه لا باس ان نفسره ثانيا لزيادة التوضيح والتقرير فنقول قال بعض المحققين اللمظة مثل

النكته او نحوها من البياض ومنه قيل مرتى لمط اذا كان بجحفلته شئ من البياض وتوضيح الكلام ان
باصل الايمان يظهر نكتة ابيض فى قلب من آمن اول مرة ثم اذا اقر باللسان ازدادت تلك النكتة واذا
عمل بالجوارح عملا صالحا ازدادت وهكذا حتى يصير قلبه نورانيا كالنير الاعظم وبعكس ذلك فى العمل
الشئ وتحقيق الكلام فى هذا المقام ان المقصد بالقصد الاول بالاعمال الظاهرة والامر بمحاسنها
والنهى عن مقابحها هو ما تكتسب النفس منها من الاخلاق الفاضلة والصفات الفاسدة فمن عمل صالحا اثر
اثر فى نفسه وبازدياد العمل يزداد الضياء والصفاء حتى يصير كمرآة مجلوة صافيه ومن اذنب ذنبا
ذلك ايضا اورث لها كدورة فان تحقق قبحه وتاب عنه زال الاثر وصارت النفس مصقولة صافية
وان اصر عليه زاد الاثر الميشوم ونشا فى النفس واستعلى عليها وصار من اهل الطبع ولم يرجع الى خير
ابدا اذ دوآء هذا الدآء هو الانكسار وهضم النفس والاعتراف بالتقصير والرجوع الى الله بالتوبة والاستغفار والا
والانقلاع عن المعاصى ولا يحصل شئ من ذلك فى هذا القلب المظلم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم
اشار الى ان ذلك هو الرين المذكور فى الآية الكريمة بقوله وهو قول الله عز وجل كلا بل ران على
قلوبهم بما كانوا يكسبون اى غلب على قلوبهم ما كانوا يكسبون حتى قبلت الطبع والختم على وجه لا
يدخل فيها شئ من الحق والمراد بما كانوا يكسبون الاعمال الظاهرة القبيحة والاخلاق الباطنة الخبيثة
فان ذلك سبب لرين القلب وصداه وموجب لظلمته وعماه فلا يقدر ان ينظر الى وجوه الخيرات ولا
يستطيع ان يشاهد صور المعقولات كما ان المرآة اذا القيت فى مواضع الندا ركبها الصدا واذا ذهب صفاها
وابطل جلاءها فلا ينتقش فيها صور المحسوسات وبالجملة يشبه القلب فى قسوته وغلظته وزوال النور
بما يعلوه من الذنوب والهوى وما يكسوه من الغفلة والردى بالمرآة المنكدرة من الندى وكما ان هذه المرآة
يمكن ازالة ظلمتها بالعمل المعلوم كذلك هذا القلب يمكن تصفيته من ظلمات الذنوب وكدورات الاخلاق بدوام
الذكر والتوبة الخالصة والاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة حتى ينظر الى عالم الغيب بنور الايمان و
يشاهده كمشاهدة العيان الى ان يبلغ الى اعلى درجة الاحسان فيعبد الله كانه يراه ويرى الجنة وما اعد الله
فيها للاولياء ويرى النار وما اعد الله فيها للاعداء **قوله** فقال هؤلاء قوم كانت لهم قرى متصلة الآية هؤلاء
كانوا من اولاد سبا وكانت لهم قرى متصلة متقاربة من مواضع سكناهم باليمن الى الشام ينظر بعضهم الى
بعض لغاية القرب وكمال الاتصال وانهار جارية فيها وفيما بينها واموال ظاهرة لابناء السبيل والمسافرين
فى كل ما يحتاجون اليه بلا تعب فى تحصيله وحمله وكانوا يسيرون فيها ليالى واياما آمنين من غير خوف

والمروا

168 والمروا بان ياكلوا رزق ربهم ويشكروا له بازآء تلك النعمة الجليلة فاعرضوا عن الشكر وكفروا انعم الله عز وجل
وغيروا ما بانفسهم من العافية والخير وقالوا ربنا باعد بين اسفارنا طالبين ان يجعل بينهم وبين الشام
مفاوز وبرارى ليتطاولوا فيها على الفقرآء بركوب الرواحل وتزود الزاد فغير الله ما بهم من نعمة فارسل عليهم
سيل العرم ففرق قراهم وخرب ديارهم واذهب باموالهم الصامت والناطق وابدلهم جناتهم التى كانت
عن يمين بلدهم وشماله وعن يمين مسكن كل رجل وشماله جنتين ذواتى اكل خمط وهو ثمرة بشع او نوع
من شجرة الاراك بر حمال لو كل وذواتى اثل وهو نوع من الشجر شبيه بالطرفا الا انه له وشئ من سدر قليل
وثمرة وهو النبق يطيب اكله وكذا وصفه بالقلة وتسميه البدل جنتين من باب المشاكلة او التهكم
ثم قال جل شانه ذلك الذى فعلناه بهم وقضينا عليهم بما كفروا اى بسبب كفرانهم بتلك النعمة الجليلة وهل
يجازى بذلك الجزاء ومثل ما فعلنا بهم الا الكفور اى المبالغ فى الكفر والاستفهام للتقرير والمفسرون
نقلوا فى العرم اقوالا الاول انه السد الذى يحبس الماء وكان له ثلثة ابواب بعضها فوق بعض فيسقون
من الباب الاعلى ثم من الثانى ثم من الثالث بقدر الاحتياج واضاف السيل الى العرم لانه يجرى من جانبه
السيل الثانى انه اسم الوادى واضاف السيل اليه لانه جار من قبله الثالث ان العرم صفة السيل من
العرام وهو الشدة اى سيل لا يمنع منه الرابع انه الخلد وهو الجرذ الاعمى فنقب السكر من اسفله فاخرج
منه الماء وخرب جناتهم والاضافة لادنى ملابسة **قوله** لولا انها احب الى ما اكره الا تحولت عما
يحبون الى ما يكرهون آه تشهد للقرينة الخبر المشهور وهو كما تدين تدان ثم بشر المذنبين بقوله وقل
لهم ان رحمتى سبقت غضبى آه اذا اشتد سبب الغضب وكان هناك سبب الرحمة ولو كان ضعيفا تعلقت
الرحمة اما انا الله وهو المراد بسبقها او المراد به انه تم خلق الانسان برحمته لا درك هم فى ظلها والغضب انما
نشا من سوء اعمالهم وقبح افعالهم ولذلك لا يتعاظم عنده غفران ذنوبهم ان بعثت عليهم المغفرة فى الجملة
وفيه ترغيب فى التوبة والرجوع عن المعصية ووعد بقبولها ووعيد عن القنوط من رحمته بسبب معصية و
ان عظمت كما فى قوله وقل لهم لا يتعرضوا معاندين لسخطى ولا استخفوا باوليائى فان فيه وعيدا على المعصية
البقاء عليها والاستخفاف بالاولياء شامل للاستهزاء بهم وقتلهم وحبسهم وضربهم وشتمهم وغيرها مما ينافى
تعظيمهم والسطوة القهر والاذلال والبطش الشديد **ولعنق** يبلغ الشابح من الورى وراء الرحل الولاد
اولاده وكل من جاء خلفه ولعل المراد قد يبلغ وذلك اذا رضوا بفعل ابيهم او اقتدوا به والله يعلم ان
احدكم ليكثر به الخوف من السلطان وما ذلك الا بالذنوب فكذا بالنسبة الى السلطان الاعظم وفيه تشبيه

المخفى بالظاهر والجلى للتقرير والايضاح ثم امر بالوقاية عن الذنوب بقدر الاستطاعة ونهى عن الاصرار عليها
والتمادى عليها على تقدير الوقوع وبالجملة يجب حفظ النفس من الذنب ولو صدر وجب التدارك بالتوبة وعدم
الاصرار عليه قوله لا وجع اوجع للقلوب من الذنوب اذ كل وجع يعرض لا يوجب بعد القلب من الله المطلق
لكل سالك الا الذنوب فى العقايد والاعمال وليس كل وجع لا يوجب هلاك القلب ابدا وسواده الا الذنوب
ولا خوف اشد من الموت اى من خوف الموت اذ كل شئ يخاف وقوعه غير متيقن بخلاف الموت ولان
الخوف انما هو من الم والموت الم شديد مع ما يعقبه من الالام التى لا اعلم بالنجاة منها قطعا وكفى بما سلف
تفكرا اى لمن تفكر فيما سلف من احوال القرون وفيمن آمن بالدنيا فعزتهم ووثقوا بها فصرعتهم وعصوا فيها
فاخرجوا من دورهم وحملوا الى قبورهم فانزلوا شر الدار وادخلوا بين القرار والبسوا سرابيل القطران وعذبوا
بمقطعات النيران حصلت له ملكة الصبر على الطاعة وفضيلة التحرز عن المعصية فيتذكر ما كانوا عنه يغفلون
ويحذر عما كانوا يعملون وكفى بالموت واعظا لانه يقرع الاذان بحديث الفناء ويخبر الانسان بعدم البقاء و
يقبح الشغل بالدنيا السريعة الزوال ويمنع معصية المولى لشدة كالها ويتعظ بمواعظها من هو سديد والقى
السمع الى زواجرها وهو شهيد قوله كما احدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون احدث لهم من البلاء ما لم
يكونوا يعرفون يدل عليه ايضا قول امير المؤمنين عم من صارع الحق صرعه ويجوز ان يراد بالحق ذات الله
تعالى والمراد بالمصارعة مخالفة اوامره ونواهيه ان يراد به الصواب اى من عدل عن طريق الصواب صرعه فى
مهاوى البلاء والعتاب قوله اذا عصانى من عرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى لعل المراد به الجاحد من الانسان
والمعاند لكالشيطان قوله مهلا مهلا عباد الله آه المهل بالتسكين والتحريك الرفق والتانى والتاخر اى
رفقا رفقا يا عباد الله عن معاصى الله يعنى تانى فيها ولا تعجل وتاخر عنها ولا تقربها وهو للواحد والاثنين
والجماعة والمؤنث بلفظ واحد وربح وربيع وركع بضم الاول وفتح الثانى مع التشديد جمع راتع وراضع وراكع
كطلب جمع طالب والرض الكسر والدق الجريش وفعله من باب قتل والمراد بالعذاب العذاب الدنيوى واما
العذاب الاخروى فلا دافع له الا التوبة او العفو او الشفاعة قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
سيئاتكم هذا على مذهب من قال بان الذنب بعضها كبائر وبعضها صغائر ظاهر فان الكبائر يكفر الصغائر واما
على مذهب من قال ان الذنوب كلها كبائر فى دواتها وان كان بعضها اكبر من بعض كما هو مذهب الامامية على
ما نقله الشيخ ابو على الطبرسى فى مجمع البيان ففيه خفاء اذ ليس ذنب غير الكبائر حتى يكون اجتنابها كفارة له
واجيب عنه بان من عن له ذنبان احدهما اكبر من الاخر ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فترك الاكبر وفعل

باب الكبائر

الاصغر

الاصغر فانه يكفر عنه الاصغر لما استحقه من الثواب على ترك الاكبر كمن عن له التقبيل والنظر بشهوة فكف
عن التقبيل وارتكب النظر وهذا الجواب مذكور فى كنز العرفان واورده البيضاوى فى تفسيره ونقله الشيخ
فى الاربعين وامر بالتامل فيه وبين وجه التامل فى الحاشية بانه يلزم منه ان كف نفسه عن قتل شخص
وقطع يده مثلا يكون مرتكبا للصغيرة وتكون مكفرة عنه اللهم الا ان يراد بالاصغر ما الاصغر منه
وهو فى هذا المثال اقل ما يصدق عليه الضرب لا قطع اليد ثم قال وفيه ما فيه فليتامل ثم اشار الى
تعريف الكبائر بقوله الكبائر التى اوجب الله عز وجل عليها النار يعنى ان الكبائر ما تعلق به الوعيد بالنار
فى القران الكريم ولا فرادها كثيرة يعرفها من تفكر فى القران وعرف زواجره ونواهيه قوله كم هى وما هى
العطف اما للتفسير او الاول سوال عن عدد الكبائر والثانى عن حدها والواو لا تفيد الترتيب والا
فالسوال عن حد الشئ مقدم على السوال عن عدد افراده فاشار عم الى تعريفها بانها ما تعلق به الوعيد بالنار
والى بعض خواصها بانها مكفرة لما دونها من السيئات والى شرايط التكفير بانه اذا كان مؤمنا والى افرادها
بانها السبع الموجبات للنار والظاهر ان قوله الكبائر فى قوله فكتب الكبائر مفعول كتب كما بعدها اى كتب
لفظ الكبائر فى صدر الكتاب ليعلم ان ما بعدها متعلق ببيانها كما هو المتعارف فى ذكر الشئ مجملا ثم مفصلا
وان قوله والسبع الموجبات عطف على ما وعد الله اى من اجتنب السبع الموجبات للنار كفر عنه سيئاته
من باب عطف الخاص على العام لان الكبائر اكثر منها كما سنشير اليه او من باب عطف المفصل على المجمل
ويحتمل ان يكون عطفا على من اجتنب اى الكبائر السبع الموجبات وهى قتل النفس الحرام سواء كانت نفس
القائل او ولده او غيرهما وقد وقع النهى المشدد عن الكل وعقوق الوالدين وهو ترك ما يجب لهما من البر
وفعل ما يتاذيان به ومخالفتهما فيما ليس بمعصية وفى جواز المخالفة فى الشبهات نظر والاقرب عدم الجواز
واكل الربا من اعظم الكبائر وهى حرام مطلقا بالبيع وغيره نقدا او نسية اقتناء واكلا وغيرهما
من التصرفات وانما خص الاكل بالذكر لانه اعظم ما يكتسب له حقيقة وعادة على الاتساع فى العرف لاطلاق
الاكل على جميع وجوه التصرفات وقيد فى الخبر الاخر تحريم اكله بكون اخذه قبلها وان كانت العين
باقية واما ما لم ياخذه قبلها فلا يجوز اخذها والاحتياط هو الردع بقاء العين والتعرب بعد الهجرة
موضعه من غير عذر يعد ونزكا لمرتد اقول وجوب المهاجرة الى المدينة قبل الفتح لنصرة النبى صلعم وتحريم
التعرب قبله مما اجمع عليه الامة واما التعرب بعده فالظاهر انه حرام ايضا للاستصحاب ولظاهر هذا
الخبر ونحوه ويحتمل العدم لقوة الدين وكثرة الناصر بعده وكذا الحكم فى وجوب المهاجرة بعده وتحريم

169

التعرب بعد الهجرة وقذف المحصنة اى رميها بالزنا وكذا رمي المحصنين بزنا او باللواط والمراد بها العفيفة
سواء كانت ذات بعل ام لا واكل مال اليتيم الاكل يعم جميع وجوه التصرف عرفا اليتيم لغة الانفراد وهو
في الناس من فقد اباه وفي البهايم من فقد امه بشرط الصغر فيهما والزمخشري لا يشترط لوجود الانفراد
في الكبير ايضا الا انه غلب استعماله في الصغير وقال حديث لا يتم بعد البلوغ تعليم شريعة لا تعليم لغة
والمراد هنا الصغير ويمكن ارادة الاعم منه ومن الشيعة له مطلقا لانهم ايتام اهل البيت عليهم السلام
كما دل عليه بعض الروايات والحديث نص في تحريم اكل ماله على كل احد حتى الوصي والولي وجوز
بعض الاصحاب اكل الولي بالمعروف لقوله تعالى فليأكل بالمعروف واجاب المانع بانه امر الولي بان يأكل
من مال نفسه بالمعروف ولا يسرف خوف ان يحتاج فيمد يده الى مال اليتيم او امره بان يختار الاقتصاد في صرفه
لليتيم او بان يأكل على قصد الاداء والكل ضعيف بل غير مناسب لسوق الاية ثم تحريم اكل ماله مقيد كما
بما اذا اكل من غير الحفظ واحده واما اذا خلط ماله مع مال نفسه واكل منه فهو جائز بشرط رعاية الغبطة
في بعض الروايات والفرار من الزحف الزحف المشي يقال زحف اليه زحفا وزحوفا من باب منع اذا مشى
ويطلق على الجيش الكبير تسمية بالمصدر والفرار من العدو بعد الالتقاء بشرط ان لا يزيدوا على الضعف كبيرة
الا في التحرف لقتال او التحيز الى فئة والمراد بالتحرف لقتال الاستعداد له بان يصلح آلات الحرب او يطلب
الطعام او الماء لجوع او عطش او يجتنب عن مواضع الشمس والريح او يطلب مكانا احسن لثبات القدم او نحو
ذلك والمراد بالتحيز الى فئة الرجوع اليهم للاستعانة مع صلاحيتهم لها او عدم البعد المفرط بحيث بعد الرجوع
اليهم فراد قوله الكباير سبع قتل المؤمن متعمدا آه الروايات في عدد الكباير مختلفة ففي رواية عبد العظيم بن
عبد الله الحسني المذكورة في آخر هذا الباب احدى وعشرون وفي رواية ابي بصير عن ابي عبد الله ع سبع
وفي رواية مسعدة بن صدقة عنه ع عشرة وفي هذه الرواية سبعة ولعل السابعة كل ما اوجب الله عليه
النار كالتعميم بعد التخصيص لانه يشمل غير ما ذكر امورا كثيرة مثل عقوق الوالدين والشرك بالله واليأس من
رحمة الله والامن من مكر الله ونحوها وفي الروايتين المذكورتين مثل ما نحن فيه ايضا دلالة على انها كثيرة
جدا وهذا هو الحق ولعل المعينات في الروايات محمولة على انها اكبر من البواقي او على ان الوقوع فيها اكثر فوقع الاهتمام
بذكرها والتحرز عنها مع ان في اكثرها اشارة اجمالية الى غيرها لاشتراكها في العلة وهي الوعيد ومما يؤيده
ما نقل عن ابن عباس ان الكبيرة ما نهى الله سبحانه عنه وقيل له هي سبع قال هي الى السبعين اقرب ويروى
الى السبعمائة وعنه ايضا هي ما اوعد الله بعذاب او قرن بلعنة او غضب وقيل هي ما عليه بعذاب او رتب

عليه

عليه حد وقيل هي كل ذنب يؤذن بقلة اعتناء فاعله بالدين وقيل هي كل ذنب علم انه لا يخلو
عن غرابة كما لا يخفى وقيل يعرف الفرق بان تعرض مفسدة الذنب فان نقصت عن مفسدة اقل الكباير المنصوص
عليها فهي صغيرة وان ساوتها او كانت اعظم فهي كبيرة فالشرك كبيرة بالنص وتلطيخ الكعبة بالقذر
والقاء المصحف فيه مساو له والزنا والقتل كبيرتان بالنص وحبس امراة لمن يزني بها او ليقتلها لم ينص عليه لكن
اعظم مفسدة من اكل مال اليتيم المنصوص عليه والفرار من الزحف كبيرة والدلالة على عورة المسلمين
مع العلم بانهم يستبيحون اموالهم وذراريهم لم ينص عليه ولكنه اعظم من الفرار من الزحف وكذلك لو كذب
على مسلم كذبة يعلم انه يقتل بها وقال جماعة الذنوب كلها كباير لاشتراكها في مخالفة الامر والنهي لكن قد
يطلق الصغير والكبير على الذنب بالاضافة الى ما فوقه وما تحته فالقبلة صغيرة بالنسبة الى الزنا وكبيرة
بالنسبة الى النظر لشهوة قال الشيخ الطبرسي في مجمع البيان بعد نقل هذا القول والى هذا ذهب اصحابنا
رضي الله عنهم فانهم قالوا المعاصي كلها كبيرة لكن بعضها اكبر من بعض وليس في الذنوب صغيرة وانما يكون صغيرا
بالاضافة الى ما هو اكبر ويستحق العقاب عليه قال الشيخ في الاربعين لا يخفى ان كلام الشيخ الطبرسي
مشعر بان القول بان الذنوب كلها كباير متفق عليه بين علماء الامامية وكفى بالشيخ ناقلا اذ لو كانت
خلاف مصدقوها فان القول بما قالت خلاف ولكن صرح بعض افاضل المتأخرين بانهم مختلفون وان بعضهم
قايل ببعض الاقوال السالفة ونسب هذا القول الى رئيس الطايفة الشيخ المفيد وابن البراج وابي الصلاح
والمحقق محمد بن ادريس والشيخ ابي علي الطبرسي رضوان الله عليهم قوله واليأس من روح والامن من مكر الله
اليأس من رحمة الله الواسعة المرجية من الشدايد وانكار لاعظم صفاته تعم وهي الرحمة المبنية عليها افاضة
جميع الخيرات دنيوية كانت ام اخروية ولو عدم التصديق بمغفرة الذنوب وان كثرت واساءة الظن
والامن لمكر الله تعالى وسكون القلب من عقوبته وعدم الخوف من معصيته جرأة عليه وانكار لوعيده و
جلالته واستخفاف لعظمته وعزته فينبغي للعبد ان يكون دايما بين الخوف والرجاء قد روي اكبر الكباير
الشرك بالله لان عقوبته اشد لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك والشرك اقسام
من اتخاذ الشريك له في الالوهية كما في عبدة الاوثان والغلاة ومن تشبيهه بالخلق كما في الصورة والمجسمة
قوله من زنا خرج من الايمان ومن شرب الخمر خرج من الايمان ومن افطر يوما من شهر رمضان متعمدا خرج من
الايمان الروايات الدالة على ان العاصي يخرج من الايمان حين المعصية كثيرة فمنهم من حملها على ظاهرها
ومنهم من حملها على نفي الكمال وزواله من باب نفي الشيء بنفي صفته نحو لا علم الا ما نفع ومنهم من حملها على

المستحل ومنهم من حملها على انه ليس آمنا من عقوبة الله ويرد عليهما انه لا وجه لتخصيص هذه المعاصي بذلك بل
الجميع كذلك ولا للتخصيص بوقت الفعل كما في بعض الروايات وقد يجاب عن الاول بان الحكم غير مختص بهذه المعاصي
لانه نبه بالزنا على جميع ما حرمه الله من الشهوات وبالخمر على جميع ما يشغل عن الله وبالسرقة على الرغبة في
الدنيا واخذ الشيء من غير وجهه ومما يؤيده سياق من رواية محمد بن حكيم قال قلت لابي الحسن عم الكبائر
تخرج من الايمان قال نعم ومادون الكبائر ومنهم من حملها على نفي اسم المدح اي لا يقال له مؤمن بل يقال زان
وشارب وتارك للصوم وسارق ويقرب منه قول المعتزلة ان الفاسق لا يسمى مؤمنا ومنهم من حملها
على زوال النور الباطني من الايمان وهو منقول عن ابن عباس وايده بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من زنى نزع الله
نور الايمان من قلبه فان شاء رده اليه ومنهم من حملها على زوال استحضار الايمان اي لا يزني الزاني وهو
مستحضر الايمان ويقرب منه قول الفخر الرازي لا يزني الزاني وهو عاقل لان المعصية مع استحضار
العقوبة مرجوحة والحكم بالمرجوح خلاف المعقول ومنهم من حملها على نفي الحياء اي لا يزني الزاني و
هو مستحي من الله والحياء خصلة من الايمان وهذا راجع الى التاويل الاول وهو اقرب التاويلات ولو كان
الخبر وان يكون من المتشابهات فترك تاويله الى العالم بها اولى قوله قلت فانه يريد ان يعود اه توهم ان التوبة
ارادة العود الى الفعل بمثله فدفعه عم بانه ليس كذلك وهو لا ينافي ان همّ العود معصية باعتبار ترك
قوله الفواحش الزنا والسرقة الزنا بالكسر والقصر والسرقة مثل كلمة والفعل من باب ضرب والفاحشة كل
ما اشتد قبحه من الكبائر كالزنا بالمحارم او مطلقا وتخصيصهما بالذكر بعد ذكر الكبائر الشاملة لهما
للاهتمام بالزجر عنهما لكونهما اشد قبحا واكثر وقوعا واللمم بفتحتين مقاربة الذنب وقيل هو الصغائر وقيل
هو ان يفعل الصغيرة ثم لا يعاوده كالقبلة والوطي بين الفخذين وغيرهما مما يكفره الصلوة وقيل هو ان لم
بالشيء ولا يفعله قلت بين الضلال والكفر منزلة فقال ما اكثر عرى الايمان كان المراد اثبات المنزلة
بينهما بان الضال من دخل في الاسلام ولم يدخل في الايمان والكافر من لم يدخل في الاسلام وبينهما منزلة
عريضة هي الايمان وله مراتب كما اشار اليه بقوله ما اكثر عرى الايمان من اركان الايمان واثاره التي بها
يكمل الايمان ويستقر على سبيل تشبيهها بعروة الكوز في احتياج حمله الى التمسك بها فالايمان بجميع مراتبه
منزلة بينهما ويحتمل ان يراد بالكفر المعنى الاعم من الخروج من الايمان وترك دعائم شيء من اثاره واطلاقه على هذا
الاعم شايع كما يجيء وحق الايمان الحقيقي وهو المقرون بجميع اثاره منزلة بينهما والله يعلم قوله فان تارك الصلوة
كافر يعني من غير علة تاركها من غير علة مستخفا بها كافر جاحد وغير مستخف بها كافر مخالف لاعظم الاوامر

وللاطلاق

واطلاق الكفر على مخالفة الاوامر والنواهي شايع كما سيجيء والظاهر انه يعني كلام المص قوله ما من عبد الا
وعليه اربعون جنة الجنة بالفتح الساتر وبالضم الترس وقد يراد بها الساتر على سبيل الاستعارة والاولى
بجمع على جنن بكسر الجيم وفتح النون والثانية على جنن بضم وفتح النون وهذه الجنن يحتمل ان تكون اجنحة الملائكة
وان تكون غيرها والاول اظهر ولعل الغرض من الستر ان لا يرى معصيته طائفة من المقربين حتى يمدح لك
الناس بفعله القبيح اي يمدح نفسه عند الناس بفعله القبيح او يريد ان يمدحه الناس به كذلك زين له الشيطان
سوء عمله فراه حسنا وفي كنز اللغة تمدح خويشتن راستودن وستايش خواستن فيقول الملائكة يا رب هذا
عبدك قد بقي مهتوك الستر اه لا يقال قول الملائكة هذا بناء على انهم يرون ستره لانا نقول دلالة قولهم على
الاول على ذلك ممنوع لاحتمال ان يكون طلبا للاصلاح ولو سلم فيحتمل ان يكون طلبهم هتك الستر اولا نظرا
الى عظمة معصية الرب عندهم ثم بدا لهم طلب الستر له نظرا الى شفقتهم على بني آدم ويمكن ان يراد بالملائكة
غير من رفع اجنحتهم فلا منافات بين القولين لاختلاف القائلين لكن يابا قوله ما امركم ان ترفعوا اجنحتكم
عنه الا ان يراد بالخطاب جنس الملائكة قوله الكبائر القنوط من رحمة الله والاياس من روح الله الظاهر
ان القنوط واليأس مترادفان فالجمع بينهما للتاكيد والمبالغة مع احتمال ان يكون النظر في القنوط الى
الرحمة وفي اليأس الى عظمة المعصية وحرمان صاحبها من الرحمة او يكون الروح غير الرحمة كالتنفيس من
الكرب والعقوبة وقد ذكرنا ما يتعلق بهما سابقا ولا باس ان نشير اليه ثانيا مبالغة لترك هذه الخصلة الذميمة
فنقول اليأس وهو ضد الرجاء من الكبائر الموبقة لان فيه جحدا للرحمة والمغفرة وخروجا عن التوحيد
وقد جاء في كثير من الايات الدالة على شمول الرحمة للمذنبين مثل رحمتي وسعت كل شيء ولا تياسوا من روح
الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وتقييد المغفرة بالتوبة في قوله تعالى واني لغفار لمن
تاب لا ينافي ثبوتها بلا توبة ولا يوجب تقييد الايات والروايات المطلقة بها اذ لا مفهوم في الجملة
حتى لا يتحقق بدونها على ان من تاب فقد خرج من الذنوب فلو قصرت المغفرة على التائب تعطل معنى الايات
والروايات وذهبت فائدة الرحمة وسعتها فلا بد من ان لا ييأس العاصي وان يكون بين الخوف والرجاء بل
يكون طمعه بالرجاء اوثق وقلبه بشمول العناية اعلق كما قيل وبالجملة وجب على العاصي ان يتوب ويرجع
وان لم يتب وجب ان لا يقنط لئلا يزيد على كبيرة كبيرة اخرى ❁ اذا كثرت منك الذنوب فداوها ❁ برفع
يد في الليل والليل مظلم ❁ ولا تياس من رحمة الله انما ❁ قنوطك منها من ذنوبك اعظم ❁ فيخرج من الايمان ولا

تخرجه من الاسلام وقد شاع عند اهل البيت عليهم السلم اطلاق الايمان على الايمان الذي لا كرب معه ولا عقوبة
بعد الدنيا وهو الايمان الكامل واطلاق الاسلام على ما دونه وهو يجامع اصل الايمان فهذا العاصي يخرج
من كمال الايمان ولا يخرج من اصله فقد ذكر الرحمة والشفاعة انشاء الله والله اعلم قوله قال قلت لابي جعفر عم
في قول رسول الله صلعم اذا زنى الرجل فارقه روح الايمان قال هو قوله وايدهم بروح منه ذلك الذي
يفارقه اصل الايمان وهو التصديق بالربوبية والرسالة والولاية حق وله حقيقة هي موافقة الظاهر
والباطن في التعلق بما ينبغي والتنزه عما لا ينبغي واليه يشير قوله صلعم فما حقيقة ايمانكم لما قالوا انا قوم
مؤمنون وقوله لحارثة حين ساله عن حاله فقال مؤمن حقا ان لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك
وقوله ان لكل يقين حقيقة وقول امير المؤمنين عم ان على كل حق حقيقة وهذا جار بعمومه فان
كل عبادة مثل الصلوة والصوم والحج وغيرها حق وله حقيقة وكل خلق من الاخلاق الحسنة حق وله
حقيقة هو اولها وهي غايته وهو ظاهرها وهي كماله وبطانته كالتوكل والتقوى مثلا فان التوكل
حق يضرو يعقد الايمان مع التعلق بالاسباب وحقيقته ينتهي اليها الخاص بقطع الاسباب وسكون
قلبه الى مسبب الاسباب والتقوى حق يشمل عوام المؤمنين وهي تقوى الشرك وحقيقتها غاية يبلغها
خواص الاولياء كما قال عز وجل اتقوا الله حق تقاته ثم للحقيقة علامات منها الاعراض عن الدنيا وعدم
الميل الى شهواتها ومتى تلك الحقيقة التي لا كرب معها ولا عقوبة بالايمان وكمال الايمان ونور الايمان
اذ بها يهتدى الطالب الى المطلوب ويعرف بين اهل السموات والارضين وروح الايمان اذ بها حيوة
الايمان وحيوة قلب المؤمن ابدا وقد يطلق روح الايمان على ملك موكل بقلب المؤمن بعينه ويهديه
مقابل شيطان يضله ويغويه وعلى نصرة ذلك الملك ايضا وح لا ريب انه اذا زنى المؤمن فارقه حقيقة
الايمان وكماله ونوره كما دل عليه بعض الروايات وروحه بالمعاني الثلثة ثم اذا تاب عاد اليه وقد يعود
الروح بالمعنيين الاخيرين قبل التوبة ايضا والضمير المجرور في قوله بروح منه راجع الى الله او الى الايمان ومن هذا
الاجمال حقيقة المقال والله اعلم قوله قال يسلب منه روح الايمان ما دام على بطنها فاذا نزل عاد الايمان
الظاهر ان المراد بروح الايمان احد المعنيين الاخيرين المذكورين حيث لم يقيد العود بالتوبة ويمكن ان يراد بها
حقيقته بقرينة قوله عاد الايمان ولعل المراد انه يسلب منه شعبة من شعب الايمان وهي ايمان ايضا فان المؤمن
يعلم ان الزنا يهلك ويزهر نور هذا العلم في قلبه ويبعثه على كف الالة عن الفعل المخصوص وكل واحد منهما اي
العلم والكف ايمان وشعبة من الايمان ايضا فاذا غلبت الشهوة على العقل واخلت ظلمتها القلب زال عنه نور ذلك

العم

العلم واشتغلت الالة بذلك الفعل فاسقطت من الايمان شعبتان واذا انقضت الشهوة عاد العقل الى
ما الكر وعلم وقوع الفساد منها وشرع في اصلاحها بالندامة عن الغفلة صار ذلك الفعل كالعدم وزالت
تلك الظلمة من القلب ويعود نور ذلك العلم فيعود ايمانه ويصير كاملا بعد ما صار ناقصا قال قلت ارايت
ان هم اي اخبرت انه هم ان يزني هل هو مثل ان يزني في العقوبة قال لا اي ليس لهم الزنا مثل فعله قال ارايت
ان هم ان يسرق انقطع يده ليس المقصود منه اثبات الحكم بالقياس بل المقصود منه نفي العقوبة الحكم بالتماثل وان كان
كل مستندا الى نص قوله قال والتعرب والشرك واحد اي واحد في الكبر والاثم لا في الحقيقة والصدق قوله
الذي اذا دعاه ابوه لعن اباه لعله يريد ان لعن الاب عند دعائه وضرب الابن بدونه ذنب من الكبائر والاول
داخل في العقوق والثاني قريب منه قوله وقد خرج من الايمان لاجل ذنب يسير اصابه اليسير في مقابل
الكبير لا في مقابل الحقير فلا ينافي عظم الذنوب المذكوره خلق الله الناس على ثلث طبقات الخلق بمعنى
الايجاد والتقدير ووجه الحصر ان الناس اما كافر او مؤمن والمؤمن اما ان يكون له قوة قدسية مقتضية
للعصمة او لم تكن والاول اصحاب المشامة والاخير اصحاب الميمنة والثاني السابقون ويفهم منه ان
المؤمن من اهل الاسلام داخلون في اصحاب المشامة وقد مر نظير هذا الحديث في كتاب الحجة في باب
ذكر الارواح التي في الائمة عليهم السلم وذكرنا شرحه مفصلا فلا نعيده ولا نتعرض الا لبعض ما ينبغي ان
يعرض قوله لا مخفو لهم مصفوح عن ذنوبهم ذنوبهم عبارة عن خلاف الاولى وهم المؤمنون حقا هم الذين
حققوا ايمانهم بيقين او اتصفوا بمقتضاه من الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة ومنكم من يرد الى
ارذل العمر اي اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة قال في الكشاف ونقله عن علي عم ومتى روح
البدن لم يرو بر بقاؤه على كماله لعروض النقص فيه ايضا فاذا الامسها نقص من الايمان ونقص منه الايمان
يطلق على التصديق وعلى الاخلاق والاعمال وعلى المجموع من حيث هو والاول افضل من الثاني و
الاخير ان افضل منهما وبين الاخيرين تفاوت وتفاضل حتى يبلغ الى غاية الكمال اذا عرفت هذا فنقول
اذا انتفى التصديق سواء كان هو الايمان وحده او هو مع العمل او هو بشرط وجوده تحقق الكفر و
الجحود واذا تحقق التصديق وتحققت المخالفة في العمل تحقق النقص من الايمان والخروج من كماله
فان تاب تاب الله عليه اي قبل توبته ولا تعذيه وصارت التوبة كفارة لذنبه وسببا لاستقامته
فيعود الايمان الى حاله وان لم يتب او عاد بعد التوبة الى المعصية مستمرا عليها ادخله النار ان لم
تدركه الرحمة او الشفاعة ثم بعد الدخول لا يكون مخلدا ان شاء الله قوله اذا زنى الرجل فارقه روح الايمان

من تفسيره في هذا الباب قال فقال هو مثل قول الله عز وجل ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون اى لا تقصدوا
الخبيث من المال وتنفقون حال مقدرة لفاعل تيمموا ويحتمل ان يتعلق منه به ويكون الضمير المجرور للخبيث
والجملة حال منه ولعل وجه المماثلة ان ايمان الزاني ناقص لا انه معدوم بالكلية كما ان الانفاق من المال
الخبيث ناقص لا انه ليس بانفاق اصلا ثم قال غير هذا ابين منه ذلك قول الله عز وجل وايدهم بروح منه
هو الذي فارقه اى المفارق روح الايمان وهو الملك الموكل به لهدايته او قوة الايمان او نوره
او حقيقته على ما مر تفصيله وان الايمان كله آه قوله قال قلت دخلت الكباير في الاستثناء قال نعم
المراد بالاستثناء مغفرة ما دون الشرك لمن يشاء وانما سمي استثناء لانه في قوة لا يغفر الا ما دون الشرك
وهذا السؤال بعد تفسيره ع ما دون الشرك بالكباير فما سواها فيه ثناء من نشاط النفس وانبساطها او
دلالة واضحة على انه جل وعز يغفر بعض الكباير بدون التوبة ولكن قال لمن يشاء لئلا يجترئ العبد بالمعصية
لجواز ان لا يتعلق به المشية قوله قال معرفة الامام واجتناب الكباير فسر الحكمة بهما لانهما من اعظم
افرادها الا الانحصار فيهما ولعل السر فيه ان الحكمة وهي معرفة ما ينبغي معرفته نور القلب يعرف به المشروعات
والمحظورات والمعقولات والمحسوسات واعظم ذلك النور معرفة الامام لانها اصل جميع الخيرات
واعظم ثمراته اجتناب الكباير لكونه اعظم القربات واشتماله على اعظم الواجبات قوله قلت لابي الحسن ع
الكباير تخرج من الايمان قال نعم وما دون الكباير لا يخفى ان ما دون الكباير هو الصغاير ولا يقول احد بان
الصغاير تخرج من الايمان وتزيله بالكلية غاية ما في الباب انها تنقصه ونعم ان الكباير تنقصه ايضا
لا تنفيه بالمرة فهذا الخبر ونحوه يمكن ان يكون تفسيرا للاخبار المجملة الدالة على ان الكباير تخرج من الايمان
قال رسول الله صلعم لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن قد مر كلام الاكابر في تاويله
وتاويل مثله ومنهم من حمل نظيره على النهي دون الخبر تحرزا عما يفيده ظاهره ومن احاط علما بالاخبار يعلم ان
هذا الحمل لا يحسم مادة الاشكال قوله فكلم ابن قيس الماصر فقال انا لا نخرج اهل دعوتنا واهل ملتنا
من الايمان في باب المعاصي والذنوب آه كانه اراد ان المعاصي لا تضر الايمان اصلا كما هو مذهب طايفة
من المبتدعة فاجابه ع بانها تضره قوله فقال من ارتكب كبيرة من الكباير وزعم انها حلال اخرجه ذلك من الاسلام
وعذب اشد العذاب لان المحلل للكبيرة راد على الله والراد عليه كافر خارج من الاسلام فيستحق الخلود
في النار واشد العذاب لان تحليل الحرام بعد العلم به اقبح من تحليله بدون العلم والمعرفة ويفهم منه ان
عذاب المرتد اشد من عذاب غيره وكان عذابه اهون من عذاب الاول لعل المراد ان عذابه اهون بحسب الكم

لعدم

١٧٦

العدم الخلود بحسب الكيف لاعترافه بالمعصية وعدم رده الشريعة المعلومة قوله اكبر الكباير الاشراك بالله
يدخل في المشرك عبدة الاوثان والملاحدة وعبدة النيران والمصورة والمجسمة والغلاة واضرابهم [illegible]
الاياس من روح الله دل على ان الاياس بعد الاشراك اكبر من البواقي وعلى ان ترك الرجا كبيرة كما دل
قوله ثم الامن لمكر الله اى لعقوبته على ان عدم الخوف كبيرة فوجب الجمع بين الخوف والرجاء وقتل النفس التي
حرم الله الا بالحق لا ريب في ان قتل النفس المحترمة كبيرة واما انه سبب للخلود في النار كما دلت عليه الآية
الكريمة فاما ان يراد بالقتل القتل مستحلا او لاجل دينه وايمانه فيكون كافرا خارجا عن الاسلام مستحقا
للنار ابدا ويدل عليه رواية سماعة عن ابي عبد الله عليه السلام قال سالته عن قول الله عز وجل ومن يقتل
مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها قال من قتل مؤمنا على دينه فذلك المتعمد الذي قال الله عز وجل واعد له
عذابا عظيما قال قلت فالرجل يقع بينه وبين الرجل شيء فيضربه بسيفه فيقتله قال ليس ذلك المتعمد الذي
قال الله عز وجل واما ان يراد بالخلود الزمان الطويل دون الابد لان ذا الكبيرة يخرج من النار كما
دلت عليه الاخبار وصرح به بعض الاصحاب واكل مال اليتيم يمكن ان يدخل في الوعيد ايضا اكل
مال الشيعة بغير حق فان الشيعة ايتام آل محمد صلعم كما دل عليه بعض الروايات لان الله عز وجل يقول
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا قيل اى سببا للنار او لكلها كناية عن
دخولها او المراد به اكلها يوم القيمة وظلما حال او تمييز اى ظالمين او من جهة الظلم وهو اما للبيان والكشف
فان اكل اموالهم انما يكون ظلما كما في يقتلون النبيين بغير حق او للتقييد لانه يجوز اكل مالهم بالحق مثل
الاكل اجرة بالمعروف او عوضا عما اقترضه اباهم او اياهم او مستقرضا من مالهم وحكم غير الاكل من
التصرفات حكمه وذكر البطون للتاكيد مثل يطير بجناحيه ونظرت بعيني وسيصلون سعيرا اصلي بالنار
وصليها من باب علم وجد حرها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار سعرا من باب منع اذا اوقدتها
اى يلزمون النار المسعورة الموقدة ويقاسون حرها وشدايدها وقيل فيه افادة لما سبق ليعلم ان
اكل مال اليتيم سبب تام لدخول النار لا انه سبب ناقص صغير بل هو كبير من الكباير واكل الربا لان
الله عز وجل يقول الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس اى المس الجنون
وهو متعلق بلا يقومون او بيقوم او يتخبط اى لا يقومون من القبور الا قياما مثل قيام المتخبط الذي
يتخبطه الشيطان ويجعله مصروعا من الجنون وهذا بناء على زعم العرب ان الشيطان يخبط الانسان
فيصرعه والخبط حركة على غير النحو الطبيعي وعلى غير اتساق كخبط العشواء وحاصله كما صرح به بعض الاصحاب

انهم لا يقومون من قبورهم بسبب الربا ووزره وثقله عليهم فيا مّا مثل قيام صحيح العقل بل مثل قيام المجانين فيسقطون تارة ويمشون على غير الاستقامة اخرى ولا يقدرون على القيام اخرى فكان ما اكلوا من الربا ربى في بطونهم وصار شيئا ثقيلا على ظهورهم فلا يقدرون على القيام والمشي على الاستقامة وقيل لهم يكون علامة لهم يوم القيمة يعرفون بها كما ان لبعض المعاصي علامة يعرف صاحبه بها وكذا الطاغوت والسحر الظاهر تعلّمه وتعليمه والعمل به كبيرة وجوز بعضهم ليبطل على مدعيه وليفرق بينه وبين المعجزة والزنا لا يبعد الحاق اللواط والمساحقة به واليمين الغموس الفاجرة هي اليمين الكاذبة على ما مضى وليس فيها كفارة لشدة الذنب فيها فكأن يغموس في الذنب لحلفه كاذبا على علم منه والغلول هي لغة الخيانة وعرفا الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة وكل من خان في شيء خفية فقد غلّ يقال غلّ غلولا من باب قعد واغلّ اغلالا في المغنم وقال ابن السكيت لم يسمع في المغنم الا غلّ ثلاثيا وهو متعد في الاصل لكن أميت مفعوله فلم ينطق به وقال تغطوية سمي غلولا لان الايدي منها مغلولة محبوسة كانها مجعول فيها غل وهو في القسم طوق من حديد يجمع ايدي الاسير الى عنقه ولا يبعد الحاق الغصب والسرقة به لا سيما اذا كان كبيرة مع الشركة فيها او لى منه بذلك مع عدم الشركة ومنع الزكوة المفروضة اما غير المفروضة فلا عقوبة في تركه وانما الغبن فيه هو الحرمان من ثوابه لان الله عز وجل يقول والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون الكنز لغة جمع المال وادخاره وعرفا المال المذخور المحفوظ تحت الارض او فوقها وبعض الاصحاب خصه بالاول لكن قال لعل المراد به هنا حفظه مطلقا وعدم انفاقه مكون ولا ينفقونها بيانا للفقص وقوله فبشرهم خبر الموصول والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ويوم يحمى منصوب على الظرف بعامل محذوف على انه صفة لعذاب اي بعذاب اليم كائن يوم يحمى والضماير المؤنثة اما راجعة الى الكنوز المفهومة من سياق الكلام او الى كل واحد من الذهب والفضة والتانيث باعتبار الفضة او باعتبار الكثرة او الى فضة لقربها وفهم حكم الذهب بالطريق الاولى وقال بعض الاصحاب اختار هذه الاعضاء لان الجبهة كناية عن الاعضاء المقاديم المواجهة والجنوب كناية عن الاعضاء الايمان والشمايل والظهور كناية عن الاعضاء المتاخرة فاستوعب الكي البدن كله وفيه اقوال أخر ولعل الاستشهاد بالاية باعتبار ان المراد بالكنز عدم الانفاق منع الزكوة فلو ان فيها اشارة اجمالية الى وجوب الزكوة في الذهب والفضة وتفصيل شرايط الوجوب والنصاب وقدر المخرج مذكور في محله وشهادة الزور وهي الشهادة بغير علم عمدا سواء طابقت الواقع ام لا وتعبيرها

بالشهادات

بالشهادة بالكذب ليس شيء لانه تفسير بالاخص ولو استندت الشهادة الى شبهة كرؤيتهم اياه وقد ظهرت فيه اثار الموت وعلاماته فظنوا انه مات فشهدوا بموته فالظاهر انها ليست شهادة زور تعد من الكباير وان كانت فسقا لان العلم معتبر في اداء الشهادة ثم ان شهادة الزور لما كانت مفضية الى اتلاف النفس والمال وتحريم الحلال وعكسه واجراء الحدود كانت مفسدة عظيمة حتى جعل انه ليس بعد الشرك اعظم منها ثم الظاهر من الحديث انها كبيرة وان كان المشهود به يسيرا وقال بعض العامة هي كبيرة قطعا اذا تلف به خطير وضبطه بنصاب السرقة فان نقص عنه احتمل ان يكون كبيرة وان لا يكون والاول اظهر سدا للباب المفسدة كما ان شرب قطرة من الخمر كبيرة لا جل ذلك قوله اتقوا المحقرات من الذنوب فانها لا تغفر اي لا تغفر لاجل تحقيرها وقال الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم يا محمد لا تستصغرن سيئة تعمل بها فانك تراها حيث تسوءك قلت وما المحقرات قال الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى لي لو لم يكن لي غير ذلك الذنب فقد عدّه محقرا ولم يحصل له خوف منه والواجب عليه استشعار الخوف منه وعدم تحقيره له وان كان صغيرا في نفسه لانه عظيم في مخالفة الرب تبارك وتعالى قوله لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب الظاهر من القلة القلة بحسب العدد سواء كان في نفسه كبيرا او صغيرا او يحتمل ان يراد بها القلة بحسب الكيف والمقدار فيختص بالاخير والمقصود ان العمل الصادر من العبد ان كان طاعة وخيرا فليعد نفسه مقصرا في الكم والكيف وان كان كثيرا بالنسبة اليه وسعه لان ذلك ادخل في تعظيم الرب وابعد من العجب والاعتماد على عمله واقرب الى البقاء عليه والسعي فيه ومقام العبودية المبنية على التذلل والاعتراف بالتقصير وان كان ذنبا فليعده كثيرا عظيما وان كان قليلا حقيرا في نفسه لانه بالنظر الى مخالفة الرب عظيم كثيرا وتقليله موجب لعدم المبالاة به والاعتناء بشأنه وسبب للولوغ فيه والاتيان به مرة بعد اخرى حتى يجتمع عليه ذنوب كثيرة ويبلغ حد الكبيرة وخافوا الله في السر حتى تعطوا انفسكم النصف الخوف من الله مطلوب في السر والعلانية الا انه في السر اعظم وافضل اذ لا زاجر له سوى ذكره عز وجل فلذلك خصه بالذكر مع ان حصول الخوف في السر مستلزم لحصوله في العلانية والنصف والنصفة بفتحتين اسم من الانصاف وهو لزوم العدل في المعاملات مع الرب وغيره قوله نزل بارض قرعاء هي ارض لا شجر فيها ولا نبات ومنه الرجل الاقرع الذي لم يبق على راسه شعر اما اصالة او لذهابه من آفة وفعله من باب علم فان لكل شيء طالبا اي لكل شيء من الطاعات والذنوب طالب يطلب حفظه وضبطه صغيرا كان او كبيرا ليجزي صاحبها وان طالبها

باب استصغار الذنب

١٧٤

باب الاصرار على الذنب

يكتب ما قدموا واثارهم اى طالب الذنوب يكتب ما قدموا منها واثارهم التى بقيت بعدهم من البدع مثل الزنا
بالحلل وما سبيل ظلم وكل شئ من الاعمال وغيرها احصيناه فى امام مبين اى فى اللوح المحفوظ او فى القرآن
او فى دفتر الاعمال وقد مر توضيحه وفيه حث بليغ على ترك الذنوب كلها وفعل الخيرات لان الانسان
اذا علم واستيقن بان عليه حافظا رقيبا يكتب كل ما عمل ليحاسبه ويجزيه ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا
يجود عمله ويحاسب نفسه قبل ان يحاسب قوله لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار ظاهره ان الكبيرة
تصير صغيرة او تزول بالكلية مع الاستغفار والصغيرة تصير كبيرة مع الاصرار وهو مع ذلك يستلزم الجرأة
على الكبيرة فالباء لذلك الحق العلماء بالكبائر الاصرار على الصغائر واستدلوا بهذا الحديث ونحوه
انه عم دعا الى الاستغفار عن كبائر الذنوب وصغائرها وبين ان الصغيرة مع الاصرار لا تبقى صغيرة على
حالها لان الاصرار بها معصية اخرى تنضم الى الاولى فاذا دام على الاصرار تتضمن الاشتهار والاحتمال
وقد قيل فى تفسير قوله تعم يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء يعذب من يشاء على الصغيرة للاصرار بها
ويغفر لمن يشاء الكبيرة لاستعظامه اياها وخوفه من الله وقوله ولا كبيرة مع الاستغفار ومعناه
ان الكبيرة لا تبقى كبيرة بل تذوب وتصغر بامر الله تعم اذا قارنها الاستغفار وهو طلب المغفرة من العقاب
وذلك لان الاستغفار يقتضى التوبة مع طلب المغفرة اذ المستغفر يشاهد قبح فعله وشناعته وذنبه واستحقاقه
للعقوبة فيندم بقلبه والندم توبة ثم يسأل بصدق النية المغفرة منه مستعظما فتصغر بذلك كبيرته
عند الله تعم بل ربما تزول عن اصلها ويوافق الفقرتين قول بعض العارفين متى عظمت المعصية فى قلب
العاصى صغرت عند الله تعم ومتى صغرت فى قلبه عظمت عنده تعم قوله الاصرار هو ان تذنب الذنب فلا
يستغفر الله ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الاصرار دل على ان الاصرار يتحقق بالذنب مع عدم الاستغفار
والتوبة سواء اذنب ذنبا آخر من نوع ذلك الذنب او من غير نوعه او عزم على ذنب آخر ام لا اما تحققه من غير
الاخير فظاهر واما فى الاخير فلان التوبة واجبة فى كل ان فتركها ذنب مضاف الى الذنب الاول
فيتحقق الاصرار وقسم الشهيد فى قواعده الاصرار الى فعلى وحكمى وقال الفعلى هو الدوام على نوع واحد منها
الصغائر بلا توبة او الاكثار من جنس الصغائر بلا توبة والحكمى هو العزم على تلك الصغيرة بعد الفراغ
اما لو فعل الصغيرة ولم يخطر بباله بعدها توبة ولا عزم على فعلها فالظاهر انه غير مصر وقال الشيخ البهائى
تخصيصه الاصرار الحكمى بالعزم على تلك الصغيرة بعد الفراغ منها يعطى ان يكون كان عازما على صغيرة اخرى
بعد الفراغ مما هو فيه لا يكون مصرا والظاهر انه مصر ايضا وتقييده بعد الفراغ منها يقتضى بظاهره ان من

كان

١٧٥

باب فى اصول الكفر واركانه

كان عازما مدة سنة على لبس الحرير مثلا لكن لم يلبسه اصلا لعدم تمكنه لا يكون فى تلك المدة مصرا وهو محل
نظر وقال بعض العامة الاصرار هو ادامة الفعل والعزم على ادامته او ادامة يجمع معها الطلاق ووصف المعظم عليه
وقال بعضهم هو تكرار الصغيرة تكرارا يشعر بقلة المبالاة اشعار الكبيرة بذلك او فعل صغائر من انواع
مختلفة بحيث يشعر بذلك قوله لا والله لا يقبل الله شيئا من طاعته على الاصرار على شئ من معاصيه لعل
السر فيه ان سبب قبول الطاعة هو دلالتها على تعظيم الرب والاصرار على المعصية وان كانت صغيرة يستلزم
تحقيره وان لم يقصده العاصى والتحقير ينافى التعظيم او ان قبول الطاعة عبارة عن تقريب المطيع الى ذاته
المقدسة والاصرار على المعصية يوجب تبعيده عنه ويحتمل عدم القبول على وجه الكمال قوله اصول
الكفر ثلثة الحرص والاستكبار والحسد اصل الشئ اساسه وما يستند اليه وجود ذلك الشئ والحرص على
الدنيا وجمع زهراتها جدا وتناولها من كل وجه والاستكبار عن الخلق وطلب العظمة عليهم وعن الخالق
فى الاوامر والنواهى وترك التسليم والحسد على الخلق فى نعماء الله الفائضة عليهم ظاهرة وباطنة اصول
الكفر بجميع انواعه اذ بها تضعف القوة العقلية وينطمس نورها وتقوى القوة الشهوية والغضبية وساير
القوى الحيوانية وتستولى على القلب والباطن فتنمو اخلاق ذميمة وتصدر افعال قبيحة بعضها كفر بالرب
وبعضها كفر بالحق مع العلم بانه حق وبعضها كفر بالنعم لاستحقارها وترك الشكر عليها وبعضها كفر العصيان
بترك الاوامر وفعل النواهى بخلاف الزهد فى الدنيا والتذلل والخشوع لدى الحق والرضا بقسمة الرب
فانها اصول الايمان اذ منها يتولد جميع الخيرات ويرتقى الانسان الى ارفع الدرجات ثم اشار الى تفصيل بعض
ما نشأ من هذه الخصال الذميمة بقوله اما الحرص الى آخره والغرض من هذا التفصيل بيان ان اول المخالفة و
المعصية الصادرة من هذا النوع وسببه سبب هذه الخصال الشنيعة ثم تشادت وتنشأ منها المخالفات
والمعاصى الكثيرة التى بعضها كفر وبعضها وسيلة الى الكفر وبعضها ذنوب صغيرة وبعضها ذنوب كبيرة
فيها شائبة من الكفر فتلك الخصال هى امهات المعاصى يتولد منها الى يوم القيمة وقد كان اباء ابليس لعنه الله
من السجود عن حسد واستكبار وانما خص الاستكبار بالذكر لانه تمسك به حيث قال انا خير منه خلقتنى
من نار وخلقته من طين او لان الاستكبار اقبح من الحسد لان المتكبر يدعى مشاركة البارى فى اخص
صفاته والقاتل من ابنى آدم قابيل والمقتول هابيل وكان قابيل اكبر سنا منه وتقربا قربانا فتقبل من هابيل
ولم يتقبل منه لخبث نيته وخساسة قربانه فحسد على اخيه فقتله قوله اركان الكفر اربعة الرغبة والرهبة
والسخط والغضب لعل المراد بالرغبة الرغبة فى الدنيا والحرص عليها وسعة الامل وطلب الكثير منها او بالرهبة

الخوف من فواتها والهم من زوالها وهو يوجب صرف العمر في حفظها والمنع من اداء حقوقها او الخوف
من اجراء الاحكام والحدود وهو الحس الموجب لفوات كثير من الحقوق الشرعية وبالسخط سال الفعل
عدم الرضاء بقضاء الله وانقباض النفس في حكمه وبالغضب ثوران النفس نحو الانتقام عند مشاهدة
ما لا يلائمها من المكاره والالام وانما شبه هذه الامور الاربعة التي هي مواد الكفر واسباب ستر الحق
بالاركان لابتناء الكفر عليها بل لتركبه منها اذ الكفر عبارة عن جحد الحق او جحد شيء مما قرره و هذه
الامور اما نفسه او اعظم سبب من اسبابه واشمله قوله ان اول ما عصى الله عز وجل به حب الدنيا و حب
وحب الطعام وحب النوم وحب الراحة وحب النساء هذه الامور معاصي قلبية تسود لوح القلب
وتسد عنه طريق الحق وتعزل القوة العاقلة عن التصرف فيه وهي مبادى الطغيان في القوة الشهوية الحالية
المناقح الحاصرة الراكزة الطالبة للفوائد الظاهرة الباطلة ويجاوزها عن الحد اللائق بها عقلا و نقلا
وتنهض النفس الامارة الى تحصيل مقتضاها وتستعين بالقوة الغضبية في رفع الموانع وتحرك الظاهر
والباطن الى نحو المطلوب وتحصيله باي وجه كان من الظلم والمكر والمخالفة والمعصية التي لا تعد ولا تحصى
من هذه المبادي ومنها او الى المعاصي وامهات القبائح قوله هي ادنى منازل الكفر وليس بكافر هي ادنى منازل
الكفر بحيث لو تجاوز بها اجل ذلك دخل في الكفر ولعل المراد بالكفر هنا انكار الرب او الاعم منه ومن انكار
الحق مطلقا بدليل قوله وليس بكافر لانه ليس بكافر بالمعنى المذكور والا فهو كافر بمعنى كونه تاركا للحق
ويجي في باب وجوه الكفر اطلاق الكافر عليه قوله علامة الشقاء جمود العين وقسوة القلب وشدة الحرص
في طلب الدنيا والاصرار على الذنب الشقاء بالمد بحيث شدة شقي يشقى شقاء ضد سعد فهو شقي والشقوة
بالكسر والشقاوة بالفتح اسم منه واشقاه الله بالالف وجمود العين كناية عن بخلها بالدموع من جمد الماء
جمدا وجمودا من باب نصر خلاف ذاب وهو من توابع قسوة القلب وهي غلظته وشدته والسعادة و الشقاوة
وقرب الحق والبعد منه واستحقاق الجنة والنار وان كانت امورا معنوية لا يعلمها الا الله عز وجل لكن لها
علامات تدل او فيه تحريص على ترك تلك الخصال والامراض المهلكة وطلب اضدادها بالمعالجات النافعة مثلا يتامل
في سبب الاصرار على الذنب بانه اما لعدم الايقان باليوم الآخر او للغفلة عنه بسبب غلبة الشهوة و استيلاء
شوق اللذات الحاضرة على النفس بحيث يتعسر عليها الانصراف عنها او لكون امور الآخرة غائبة ولذات الدنيا
حاضرة والنفس الى اللذات الحاضرة اميل منها الى اللذات الغائبة كما قيل كلما بعد عن العين بعد عن القلب او
لكونه قاصدا للتوبة ولكن يؤخرها الى غد بعد غد او لاعتماده على عفو الله ثم يشتغل بالمعالجة اما علاج

الاول

الاول فان يعلم ان الانبياء والرسل قد اخبروا باليوم الآخر وهم اولى بالاتباع من اتباع اهواء النفس و
لو لم يحصل اليقين بقولهم فالاحتياط يقتضي ان لا يترك متابعتهم كما يترك قول الطبيب بان اكل
هذا الطعام يضر مع انه لا يحصل العلم بقوله واما علاج الثاني فان يعلم ان الصبر على الشهوة اسهل
من الصبر على النار واما علاج الثالث فان يعلم ان امور الآخرة آتية قطعا وعقوبتها باقية ابدا واما
علاج الرابع فان يعلم ان الايمان يضعف بالمعاصي فلعل ايمانه بسبب نقصانه يزول عند الكرب او
ولو بقي امكن ان يعاقب بل العقوبة مظنونة لاخبار الصادقين بها فكيف يعمل عمل اهل النار وهو يتوقع و
يستيقن انه من اهل الجنة قوله الذي يمنع رفده ويضرب عبده ويتزود وحده الرفد بالكسر العطاء والصلة و
هو اسم من رفده رفدا من باب ضرب اعطاه او اعانه بعطاء او قول او غير ذلك ومنه الرفادة لاطعام
الحاج ولعل المراد بضرب العبد ضربه من غير ذنب او زائدا على القدر المشروع او مطلقا وكان مضمون الحديث
محمول على المبالغة وعلى ان المؤمن ينبغي ان يكون في نظره كل واحد من المعاصي وخلاف الادب اعظم من
الاخرى حتى اذا راى عاصيا يظن انه من حيث هو عاص شر خلق الله واذا راى عاصيا آخر يظن فيه ايضا
ذلك ففيه مبالغة في شرارتهم وخبثهم وليس القصد فيه معنى التفضيل حقيقة كما في قولك هذه الطائفة
كل واحد منهم شر من الآخر فانك قصدت المبالغة في شرهم دون التفضيل وفي قوله فظنوا دون اعلو
ايماء اليهم والله اعلم والنحش بدونا شركه والعنان للمبالغة في اللعن وهو من الله الطرد والابعاد البعد من
الرحمة ومن الخلق السب والدعاء على احد قوله الفاحش المتفحش البذي الفحش القول السيء والكلام الرديء
وكل شيء جاوز الحد فهو فاحش ومنه غبن فاحش اذا جاوزت الزيادة ما يعتاد مثله والتفحش تكلف مع
زيادة تكلف وتصنع ومن طرق العامة ان بعض الفاحش المتفحش قال الزمخشري في الفائق الفاحش ذو الفحش
في كلامه والمتفحش الذي يتكلف ذلك ولا يبعد ان يراد بالمتفحش الذي يقبل الفحش من غيره فالفاحش
المتفحش الذي لا يبالي ما قال ولا ما قيل له والبذي على فعيل قد يطلق على السفيه وهو الذي لا رزانة له
وعلى الفاحش في المنطق وان كان كلامه صدقا كما صرح به في المصباح البخيل المختال الحقود الحسود الذي شق
عليه بذل المال اوصاف مرتبة له باعتبار كل وصف اسم ذكره الثعالبي في سر الادب الاول البخيل اذا كان
ضد الكريم ثم الجز اذا كان ضيق النفس شديد البخل ثم شحيح اذا كان مع بخله حريصا ثم فاحش اذا كان شديدا
في بخله ثم جلز اذا كان في نهاية البخل والمختال المتكبر المعجب بنفسه والحقد والحسد يعني اضمار العداوة ان
المؤمن وتمني زوال نعمته ومع كونهما من اعظم القبائح يستلزمان مفاسد كثيرة غير محصورة القاسي القلب البعيد

فان يعلم ان وجود الله غاية لبس منو ما بعد يديه وارادته فتكون الانا اعز الخوف فلا هو بعض عنها فعلا ان عوفقلب الاعتبار الوسيلة الى المصلحة انا ما علاج المساجد هو الاعتبار على الفتوح

من كل خير يرجى غير المامون من كل شر يبقى القلب اذ لقى وغلظ بطل استعداده للخيرات واستعد
للشرور ووصف الخير يرجى اما للتوضيح او للتقييد لان بعض الخير لا يرجى منه قوله اذا اراد الله عز وجل
هلاك عبد نزع منه الحيا الخ الحيا خلق يمنع من القبايح والتقصير فى حقوق الخلق والخالق وهو المحقق
تحقق الامانة الدينيه والدنيوية فى الحقوق كلها والتحرز من اللوم فى تركها ويحقق لين الطبع ورقة القلب
فيصدر من الاعضاء الظاهرة والباطنة ما هو مطلوب منها فهو لا يتم كمال الايمان لان الايمان الكامل
متوقف على استقامة جميع الاعضاء وقيامها بوظايفها واذا انتفى الحيا انتفى جميع هذه الامور وتحققت اضدادها
فتحقق الخيانة فى الحقوق كلها وشدة الطبع وغلظة القلب ونقص الايمان لانه يصبح على الاعضاء
قبول وضايفها اذا عرفت هذا فنقول اذا اراد الله عز وجل هلاك عبد وعقوبته لا بطاله الاستعداد
الفطرى بسوء معاملته نزع منه الحيا بسلب لطفه وتوفيقه عنه فاذا نزع منه الحيا لم تلقه الا خاينا
فى حقوق الغير ونحوها او فى حق نفسه اذ فى كل خيانة خيانة والخيانة رذيلة تحت الفجور وجارية
فى جميع الاعضاء فان للقلب خيانة وهى التفكر فى الامور الباطلة ولليد خيانة وهى تناول ما لا يجوز
مثلا وللرجل خيانة وللعين خيانة وهكذا فى الجميع فاذا كان خاينا مخونا نزعت منه الامانة لانها ضد
الخيانة وتحقق الشى سبب لذهاب ضده فاذا نزعت منه الامانة لم تلقه الا فظا غليظا لان الامانة
لازمة للرفق واللينة وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم فاذا انتفت الرفق تحققت الغلظة فاذا كان
فظا غليظا نزعت منه ربقة الايمان لانتفاء مقوماته ولعل المراد زوال كماله واللعن فى قوله
فاذا نزعت منه ربقة الايمان لم تلقه الا شيطانا ملعونا لا يدل على زوال ايمانه بالكل حتى يكون كافرا
كما ان لعن المتغوط فى ظل النزال فى الخبر الآتى لا يدل على ذلك قوله ثلث ملعونات كان لعنها كناية
عن ذمها وقبحها او مجاز بجعل بسبب اللعن ملعونا مطرودا ملعون من فعلهن دل على انه يجوز لنا لعنه
المتغوط فى ظل النزال هو الظل الذى يستظل به الناس ويجدونه معيلا ومناخا والمانع الماء المنتاب
الماء مفعول اول للمانع اما مجرور بالاضافة من باب ضارب الرجل او منصوب على المفعولية والمنتاب
اى صاحب نوبة منصوب على انه مفعول ثان من الانتياب افتعال من النوبة وجوز بعضهم ان يكون
اسم مفعول صفة للماء من انتاب فلان القوم اى اتاهم مرة بعد اخرى والماء المنتاب هو الماء الذى يرد عليه مرة
متناوبة ومتبادلة لعدم اختصاصه باحدهم كالماء المملوك المشترك بين جماعة فلعن المانع لاحدهم فى
نوبته والماء المباح الذى ليس ملكا لاحدهم كالغدران فى البوادى فاذا ورد عليه الواردون كانوا فيه سواء

بجرم

بجرم لاحدهم منع الغير فى التصرف فيه على قدر الحاجة لان فى المنع تعريض مسلم التلف فلو منع حتى ماله
فان لم يقو الممنوع على دفع المانع حتى مات عطشا فهو فى حكم من حبس ظلما حتى مات جوعا او عطشا
والنار والطريق المقربة المقربة بفتح الميم وسكون القاف وفتح الراء ونظيره من طريق العامة من غير المقربة
فعليه لعنة الله ومن طريقهم ايضا ثلث لعينات رجل عور طريق المقربة قال الزمخشرى فى الفايق
المقربة المنزل واصلها من القرب وهو السير الى الماء ونقل عن صاحب النهاية ان المقربة طريق صغير
ينفذ الى طريق كبير وجمعها المقارب وهو هنا انسب من الاول وتانيث ضمير الطريق هنا وتذكيره فى الخبر
الآتى باعتبار ان الطريق يذكر ويؤنث قوله البهات الجرى الفحاش البهات الذى يبهت غيره اى يقذفه
بالباطل ويفترى عليه الكذب والاسم البهتان والجرى بالياء المشددة وبالهمزة ايضا على فعيل وهو المقدام
على القبيح من غير توقف والاسم الجرأة والفحاش ذو الفحش وهو كل ما يشتد قبحه من الاقوال والافعال
وكثيرا ما يراد به الزنا والمانع رفده يفهم منه ومما سبقه ان ترك المندوب وما هو خلاف المروة شر
فالمراد شرار الرجال فاقد الكمال سواء كان فقده موجبا للعقوبة ام لا والملجى عياله الى غيره بترك الانفاق
عليهم وعدم القيام بحوايجهم وقد روى ان الكد للعيال افضل من الزهد فى الدنيا قوله وكل نبى
مجاب قيل يحتمل ان يكون عطفا على فاعل لعنتهم ومجاب ح صفة لنبى ويحتمل ان يكون كل نبى مبتدا
ومجاب خبره والجملة حال الافادة ان دعاؤه عليهم ولعنه اياهم مستجابة قطعا والمكذب بقدر الله
كالمفوضة حيث قالوا ليس لله قدر اى تدبير فى افعالنا اصلا بل اقدرنا عليها وفوض امرها وتدبيرها
الينا كذا قال بعض الاصحاب والمستحل من عترتى ما حرم الله العترة نسل الانسان قال الازهرى وروى
ثعلب عن ابن الاعرابى ان العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه ولا تعرف العرب من العترة
غير ذلك واللعن يشمل قاتلهم ومؤذيهم ومصادبهم ومانع حقوقهم واخذ اموالهم والمستاثر بالفى
المستحل له فى بعض النسخ والمستحل له بالعطف للتفسير او التغاير والفى يطلق على الغنيمة وهو ما اخذ
من اموال الكفار بحرب وغلبة كما صرح به المصنف فى آخر كتاب الحجة فى باب الفى والانفال وخمسه لله
ولمن سماه فى كتابه الكريم والباقى للمجاهدين على نحو ما ذكر فى موضعه ويطلق ايضا على الانفال كما
يشعر به اللغة وصرح ابن الاثير ودلت عليه رواياتنا الكثيرة واشرنا الى بعضها فى ذلك الباب وهو ح
ما اخذ بغير قتال فهو للرسول صلى الله عليه وسلم خاصة ولمن بعده من الائمة عليهم السلم قوله يا عبادى اياكم والربا
من الربا وهو من تسويلات الشيطان والنفس الامارة الطالبة للدنيا باى وجه كان فى تحصل اللذات

١٧٧

باب الربا

ان الناس اذا عظموا احدا ومالوا اليه توقيره لامر يقتضيه كالعلم والعبادة وساير الخيرات بذلوا له انفسهم
واموالهم طوعا ورغبة فيتمسك بالخيرات رياء وسمعة ويطلب بها صرف القلوب اليه وقيامهم بوظايف
الخدمة بين يديه ويجعلها وسيلة لاغتنامهم اياه بالنفس والمال ذريعة لكفايتهم مهماته في جميع الاحوال
وللرياء طرق واسعة ومسالك كثيرة لا يتحرز منها الا العارفون المالكون لزمام انفسهم المراقبة والمحاسبة
فانه قد يتعلق بالعبادات كتحسين القراءة وتطويل القنوت والركوع وتكثير الصوم والصلوة والسجود مثلا
لاظهار انه عابد مبالغ في العبادة وقد يتعلق بتغيير الصورة كاصفرار الوجه لاظهار السهر وقلة النوم
وتضعيف البدن لاظهار المجاهدة وقلة الاكل واخفاء الصوت لاظهار الرزانة والوقار وقد يتعلق
باللسان كالتكلم بالمقامات العالية لاظهار انه عالم ماهر وتحريك اللسان عند لقاء الناس لاظهار ان
قلبه حاضر ذاكر وقد يتعلق باللباس كلبس الصوف والخشن والمرقع لاظهار الزهد في الدنيا فانه من عمل
لغير الله وكله الله الى من عمل له اي من عمل عملا ينبغي ان يكون لله خالصا او من عمل لغير الله خالصا
او بالشركة وكله الله الى ذلك الغير يوم القيمة ويقول خذ اجرك منه او وكل ذلك العمل الى الغير ولا
يقبله اصلا وقد روي عن النبي صلعم انه قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك
الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين
كنتم تراؤون في الدنيا هل تجدون عندكم ثواب اعمالكم قوله اجعلوا امركم هذا لله اي اجعلوا امركم
هذا لله خالصا ولا تجعلوه للناس بالانفراد والاشتراك فان ما كان لله خالصا فهو لله ويصعد
اليه وعليه اجره وما كان للناس ولو بالشركة فلا يصعد الى الله لانه لا يصعد اليه الا العمل الخالص
قوله قال من عبد اسر خيرا فذهب الايام ابدا حتى يظهر الله له خيرا من عمل لله خالصا واخفاه خوفا من
الرياء وطلبا لرضاه ثم اظهره الله واظهر حاله يوما ما لعباده وصرف قلوبهم اليه ليمدحوه ويوقروه و
يعظموه فيحصل له مع ثناء الله ثم ثناء الناس وبحكم المقابلة لو اظهره طلبا لرضاهم صرف الله عنه قلوبهم
وجعلها مبغضة له والظاهر ان اظهار الخير الخفي كلي بدليل قوله ما من عبد ولا يستلزم ذلك اظهاره لجميع الخلق
لجواز اظهاره للخواص من الملائكة والناس فلا ينافي ما روي طوبى لعبد يعرف الناس ولا يعرفه الناس
ويفهم من هذا الحديث ونحوه ان اسرار الخير احسن من اظهاره ولكل فائدة اما فائدة الاسرار فالتحرز من
الرياء واما فائدة الاظهار فترغيب الناس في الاقتداء به وتحريكهم الى فعل الخير ولذلك اثنى الله عليهما
بقوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفي هذا المقام تفصيل

مذكور

مذكور في محله وما من عبد يسر شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله له شرا فيه وعيد لمن عمل رياء او عمل شرا
واخفاه خوفا من لوم الناس وذمهم فانه تعالى يرتب على الخفاء نقيض مقصوده فيظهره على عباده ويظهر
سوء حاله ليذموه ويعاندوه ويحقروه قوله ما عمل احد عملا الا رداه الله به التردية ردا بر كسى افكندن
شبه العمل بالرداء في الاحاطة والشمول ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا اي ان كان عمله خيرا فكان جزاؤه
خيرا وان كان عمله شرا فكان جزاؤه شرا وجاء الخبر الاخير برفع الاخيرين اي ان كان عمله خيرا
فجزاؤه خير وان كان عمله شرا فجزاؤه شر قوله اني لا اتعشى مع ابن عبد الله عم العشاء بالكسر والمد اول
ظلام الليل وبالفتح والمد الطعام الذي يتعشى به وقت العشاء وتعشيت انا اكلت العشاء ثم تلا هذه
الآية بل الانسان على نفسه بصيرة قال القاضي اي حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على
المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء القول التوجيه الاول لاكثر المفسرين والثاني نقله النيشابوري
عن الاخفش فانه جعل الانسان بصيرة كما يقال فلان كرم وذلك لانه يعلم بالضرورة متى رجع الى عقله ان
طاعة خالقه واجبة وعصيانه منكر فهو حجة على نفسه بعقله السليم ونقل عن ابي عبيدة ان التاء للمبالغة
كعلامة ولو القى معاذيره قال القاضي ولو جاء بكل ما يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة
على غير قياس فان قياسه معاذر وقال النيشابوري هذا تاكيد اي ولو جاء بكل معذرة يحتاج بها عن نفسه
فانها لا تنفعه لانها تخفي شيئا من افعاله فان نفسه واعضاءه تشهد عليه ثم قال قال الواحدي والزمخشري
المعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير للمنكر ولو كان جمعا لكان معاذر بغير ياء ونقل عن الضحاك والسدي ان
المعاذير جمع المعذار وهو الستر والمعنى انه وان اسبل الستور ان يخفي شيئا من عمله قال الزمخشري هذا ان صح
النقل فالسبب في التسمية ان الستر يمنع رؤية المحتجب كما يمنع المعذرة عقوبة المذنب ما احسن ما يصنع
الانسان ان يتقرب الى الله بخلاف ما يعلم الله لاهل الرياء ظاهر وباطن ظاهره مع الله للتقرب منه وباطنه
مع الخلق لطلب المنزلة والتعظيم والتوقير منه والله سبحانه يعلم ان باطنه مخالف لظاهره وان العمل الموجب
للتقرب منه هو العمل الخالص لا دون المشترك بينه وبين غيره فالتقرب بهذا العمل المشترك الى الله تعالى تقرب انه
بخلاف ما يعلم الله انه موجب للتقرب وهو سفه واستهزاء وقوله ما يصنع للتقريع والتوبيخ والتنبيه على
مع كونه غير نافع مضر والله اعلم قوله اجعلوها في سجين انه ليس اياي اراد بسجين موضع فيه كتاب الفجار و
دواوينهم وقيل واد في جهنم قال الله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين قوله ينشط اذا راى الناس سواء كان
النشاط في اصل العمل وباعثا للشروع فيه ام بعد الشروع فيه وسببا لتجويده ويجب ان يحمله في جميع انواعه سواء

كان من امور الدين كفعل الطاعات وترك المنهيات فانه قد يترك الزنا وشرب الخمر ليمدحه الناس بالصلاح
ام من امور الدنيا كالتشبع بالمال والتحلي باللباس لثناء الناس عليه واليه اشار النبي صلى الله عليه وآله بقوله ان لكل حق حقيقة
وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب ان يحمد على شيء من عمل لله قوله قال الله عز وجل انا خير شريك آه
اطلق الشريك على ذاته المقدسة بزعم من اشرك معه غيره فاطلق الخير عليها باعتبار انه يترك نصيبه مع شريكه
ولا يساهم كسائر الشركاء وانما يقبل ما كان له خالصا من الرياء والعجب والاول كما قال في حديث انا اغنى
الشركاء عن الشرك من عمل عملا ثم اشرك فيه غيري فانا منه بريء وهو للذي اشرك بي دوني قوله من طلب
الناس ما يحب الله وبارز الله بما كرهه لقي الله وهو ماقت له المبارزة باكسى جنك كردن ونبرد جستن والمبارز
المحارب الذي لا يبالي باقدام صاحبه ومن اسباب المقت والعقوبة والخزي في الدنيا والآخرة اظهار الطاعة
لخلق الله طلبا للرفعة والمنزلة عندهم والاقدام بمعصية الله قوله ما يصنع احدكم ان يظهر حسنا ويسر سيئا آه
لعل المراد بالحسن الاعمال والعبادات الظاهرة وبالسيء قصد الرياء ونية التقرب بها عند الناس ولو رجع هذا
الى نفسه وعقله علم ان ذلك العمل ليس بعمل حسن يترتب عليه الثواب والتقرب الى الله بل علم ان معصية لان
الانسان عالم بحال نفسه من الخير والشر فيجب عليه الاجتناب من الشر ومناصرة والسبب لذلك القصد
فساد القلب وميله الى الدنيا وطلب العزة من اهلها واواه عن الفساد ومال الى الحق وقصد التقرب اليه
والسعادة الابدية قويت العلانية وصحت الجوارح والاعضاء الظاهرة وصدرت منها الاعمال الصالحة
كما روي ان في الجسد مضغة اذا اصلحت صلح لها ساير الجسد الا وهي القلب قوله من اراد الله عز وجل بالقليل من
عمله اظهر الله له اكثر مما اراد اي اكثر مما اراد الله عز وجل به من العمل ولعل المراد بالطهارة اظهاره على الخلق كما
دل عليه بعض الروايات ليعرفوه بالتقوى والصلاح فيجمع له خير الدنيا والآخرة ويمكن ان يراد به الطهارة
له يوم فقره وفاقته كما دل عليه قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وارادة الاعم اولى ومن اراد الناس
بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله ابى الله عز وجل الا ان يقلله في عين من سمعه كان تقليله في
اعينهم كناية عن تحقيرهم وبغضهم له كما دل عليه ما روي ان رجلا من بني اسرائيل قال لاعبدن الله عبادة
اذكر بها فمكث مدة مبالغا في الطاعات وجعل لا يمر بملاء من الناس الا قالوا متصنع مرائي فاقبل على نفسه
وقال قد اتعبت نفسك وضيعت عمرك في لا شيء فينبغي ان تعمل لله سبحانه فغير نيته واخلص عمله لله فجعل
لا يمر بملاء من الناس الا قالوا ورع تقي قوله سياتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه
علانيتهم طمعا في الدنيا هكذا حال المرائي فانه يحسن علانيته مع الخلق ويفسد سريرته بقصد الرياء وطلب المنزلة
عندهم

عندهم وسبب ذلك حب الدنيا وشهواتها ونسيان الآخرة وعقباتها وهو راس كل خطيئة ومنبع كل
ذنب وهو الذي يحول بين القلب وبين تفكره في امر العاقبة ويبعثه على تحصيل الدنيا باي وجه كان واي
طريق يمكن حتى انه يجعل العبادة التي يجب ان يكون لله خالصة وسيلة الى المنافع الموهومة الزائلة
لا يريد وان به ما عند ربهم من الثواب الجزيل والاجر الجميل وضميره راجع الى حسن العلانية او الى العمل
المعلوم من سياق الكلام يكون دينهم رياء لطلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس والرغبة في نعيم الدنيا
لا يخالطهم خوف من الله ولو كان لهم خوف لزهدوا في الدنيا واقبلوا الى الآخرة واخلصوا سرايرهم يعمهم
الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجاب لهم دل على ان المرائي وغيره من اهل العصيان مستحقون
للعقوبة وعلى ان من شرائط استجابة الدعاء الصلاح والخوف والرجوع عن المخالفة بالتوبة والاستغفار
والانابة وذلك لان الاستجابة حق لهم على الله والخوف والصلاح وخلوص العبادة حق لله عليهم
فاذا ضيعوا حقه تعالى فله ان يمنع حقهم وذلك عدل وليس بظلم كما تدين تدان قوله يا ابا حفص ما تصنع ان انت
١٧٩ ان يعتذر الى الناس بخلاف ما يعلم آه ذكر هذا الحديث سندا ومتنا قبيل ذلك من غير تفاوت الا في قوله
ان يعتذر والى الناس الا اعتذار اظهار العذر وطلب قبوله ولعل المراد به هو الحث على التسوية بين السريرة
والعلانية بحيث لا يفعل سرا ما لو ظهر لاحتاج الى العذر ومن البين ان الخير لا يحتاج الى العذر
وانما المحتاج اليه هو الشر ففيه ردع عن تعلق السر بالشر مخالفا للظاهر وهذا كما قيل لبعضهم عليك
بعمل العلانية قال وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع الله الناس عليك لم تستحي منه وهذا ماخوذ من كلام
امير المؤمنين عليه السلام على ما ذكره صاحب العدة رحمه الله حيث يقول عليه السلام اياك وما تعتذر منه فانه لا يعتذر من
خير واياك وكل عمل في السر تستحي منه في العلانية واياك وكل عمل اذا ذكر لصاحبه انكره قوله الابقاء على
العمل اشد من العمل آه كما يتحقق الرياء في اول العبادة ووسطها كذلك يتحقق بعد الفراغ منها الى آخر العمر فيجعل ما
فعل لله خالصا في حكم ما فعل لغيره فيبطلها كالاولين عند علمائنا بل يوجب الاستحقاق للعقوبة ايضا
عند الجميع وانما كان الابقاء اشد لانه يحتاج الى مراقبة النفس ومحافظة العمل من المفسد في زمان اطول
من زمان الاولين وقال الغزالي لا يبطلها لان ما وقع صحيحا فهو صحيح لا ينتقل من الصحة الى الفساد ثم
الرياء بعده حرام يوجب استحقاق العقوبة قوله قال امير المؤمنين عليه السلام ليخشوا الله خشية ليست بتعذير
في الصباح عذر في الامر تعذيرا اذا قصر ولم يجتهد اي اخشوا الله خشية ليست متلبسة بتقصير وهي
الخشية المستلزمة للتوافق بين السر والعلانية وترك محارم الله الظاهرة والباطنة ولزوم حدوده الجارية

الى الزهد الحقيقي وقال الفاضل الامين الاسترابادي على ما نقل عنه ان افعل الحد فعلا من باب الخوف والخشية
ولم يرض بخشيته خشية تعذيب وخشية كراهة وان رضي بخشيته خشية رضا وخشية محبة
قوله قال سالته عن الرجل يعمل الشي من الخير فيراه انسان فيسره ذلك قال لا باس ما من احد الا وهو يحب ان
يظهر الله له في الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك نظيره من طريق العامة عن ابي ذر قال الرسول الله صلى الله عليه
رايت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المومن يعني البشرى المعجلة له
في الدنيا والبشرى الاخرى قوله سبحانه بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار وهذا ينافي ما روي في
طريقنا ما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب ان يحمد على شي من عمل الله وما روي من طريقهم عن سعيد بن
جبير قال جاء رجل الى النبي صم فقال اني اتصدق واصل الرحم ولا اصنع ذلك الا لله فيذكر مني واحمد عليه
فيسرني ذلك واعجب به فسكت رسول الله صم ولم يقل شيئا فنزل قوله تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم
اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وطريق الجمع ما ذكره صاحب
العدة رحمه الله وهو ان كان سروره باعتبار انه تعالى اظهر جميله عليهم او باعتبار انه استدل باظهاره جميله
في الدنيا على اظهاره جميله في الاخرة على رؤس الاشهاد او باعتبار ان المرائي قد يميل قلبه بذلك الى طاعة
الله تعالى او باعتبار انه يسلب ذلك اعتقادهم بصفة ذميمة لم يلتبس ذلك السرور رياء وسمعة وان كان سروره
باعتبار رفع المنزلة وتوقع التعظيم والتوقير والمدح بانه عابد زاهد وتزكيتهم له الى غير ذلك من الدواعي
النفسانية والملبسات الشيطانية فهو رياء ناقل للعمل من كفة الحسنات الى كفة السيات والله هو المستعان
قوله عن ابي الحسن عم انه ذكر رجلا فقال انه يحب الرياسة فقال ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرق رعاءها
باضر في دين المسلم من الرياسة في بعض النسخ عن ابي الحسن الرضا عم والرياسة الشرف والعلو على الناس
الرجل راس مهموز بفتحتين رياسة شرف وعلا قدره وهو رئيس والجمع روسا مثل شريف وشرفا و
الضاري السبع الذي اعتاد بالصيد واهلاكه والرعاء بالكسر والمد جمع راع اسم فاعل وبالضم اسم جمع
صرح بالاول صاحب المصباح وبالثاني القاضي وفيه تبعيد للمسلم من طلب الرياسة لانها مهلك
دينه وتفسده وسبب ذلك ان الرياسة متوقفة على العلم بالامور الشرعية والاخلاق النفسانيه
وتهذيب الظاهر والباطن من الاعمال والاخلاق الباطلة وتحليتهما بالاعمال والاخلاق الفاضلة
وتطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة وتعديل القوة الشهوية والغضبية ورعاية العدل في جميع الامور
وهذه الامور لا توجد الا في المعصوم ومن وفقه الله تعالى من اوليائه وقد سال بعض موالي علي بن

الحسين:

الحسين ابا عبد الله عم ان يكلم بعض الولاة على ان يوليه في بعض البلاد واقسم بايمان مغلظة انه يعدل
ولا يظلم ولا يجور فرفع ابو عبد الله راسه الى السماء فقال تناول السماء ايسر عليك من ذلك وروى
مسلم باسناده عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله الا تستعملني فقال فضرب بيده على منكبي ثم قال
يا ابا ذر انك ضعيف وانها امانة وانها يوم القيمة خزي وندامة الا من اخذها بحقها وادى الذي عليه
فيه قوله من طلب الرياسة هلك طالب الرياسة قصدا ولا تقوم على الخلق واستيلاؤه عليهم بحكم
النفس الامارة وقضاء القوة الشهوية والغضبية وعلم ان ذلك لا يتيسر له الا بالرياسة المقتضية لتوجه
الخلق اليه واحتياجهم لديه فلذلك طلبها مع علمه بان فيها هلاكه لكونها حق للعالم الرباني ضرورة احتياجه الى
التصرف والتدبير في امر الخلق واقامة المعدلة بينهم قبل تحقق العلم والمعرفة والوقوف على مراتب حالاتهم
وقدر حقوقهم وحقوق الله تعالى من الاوامر والنواهي وغيرها عال قوله عن عبد الله بن مسكان قال سمعت
ابا عبد الله عم يقول اياكم وهولاء الذين يتراسون فيه تحذير عن متابعتهم والرجوع اليهم كما في اياك
والاسد والاتيان بصيغة التفاعل ليدل على انهم اظهروا ان الاصل الفعل وهو الرياسة حاصل لهم
وهو منتف منهم كما في تجاهل وتغافل ورواية عبد الله بن مسكان هذا الحديث عن ابي عبد الله عم دل
على ان ما ذكره بعض اصحاب الرجال من ان عبد الله بن مسكان لم يرو عن ابي عبد الله عم وما ذكره بعضهم
من انه لم يرو عنه الا حديثا واحدا وهو من ادراك المشعر فقد ادرك الحج خطا ثم عليل التحديد بقوله
فوالله ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك واهلك نظيره ما رواه المص في كتاب الروضة باسناده
عن جويرية بن مسهر قال اشتددت خلف امير المومنين عليه السلم فقال لي يا جويرية انه لم يهلك
هولاء الحمقى الا بخفق النعال خلفهم لخفق صوت النعل انه لهلاكه فلانه يورث الفخر والعجب والتكبر و
غيرها من المهلكات ولنا هلاكه فلان الرئيس المقدم والامير المعظم اذا ضل عن العدول وعدل عن طريق
الحق تبعه كافة العوام خوفا من بطشه وطمعا في جاهه وماله فضلوا بمتابعته واضلهم عن السبيل
الرشد بسيرته القبيحة هذا اذا كان الرئيس جاهلا ظاهرا وكذا اذا كان عالما غير عادل فانه كثيرا ما تعتري
شبهة وتعرضه زلة فيعزل بها عوام المومنين فانهم يقلدونه في نظم احواله ويعتمدون عليه في اقواله
وافعاله بل ربما يقولون في انفسهم اذا فعل هو هذا فنحن اولى به منه ومن ثم قال النبي صم اخاف على
امتي زلة العالم قوله ويحك يا ابا الربيع لا تطلبن الرياسة ولا تك ذنبا الذئب معروف وهو يهمز ولا
يهمز ويقع على الذكر والانثى وربما دخلت الهاء في الانثى فقيل ذئبة وفي بعض النسخ ذنبا بالنون بعد الذال

فصل لا ابعاد الفقراء من يجعل العلوم الشرعية وسيلة لاكل اموال الناس

وهو واحد الاذناب بمعنى الاتباع نهاه ان يكون رئيسا وتابعا للرئيس فان لكل واحد مفاسد غير
محصورة وقوله ولا تاكل بنا الناس فيفقرك الله تاكيد لما فى الاصل يقال فقر زيد من باب علم اذا قل ماله
ويتعدى بالهمزة فيقال افقره الله فافتقر نهاه ان يجعل العلوم الشرعية التى اخذها منهم عليهم السلام آلة لاكل
اموال الناس كما هو شان قضاة الجور واوعده بان الله تعالى يفقره اما فى الدنيا بتفويت المال ونقص الحسن
او فى الآخرة بسلب الرحمة ثم نهاه عن نسبة الباطل اليهم بقوله ولا تقل فينا ما لا نقول فى انفسنا لعل
المراد لا تقل فى ذاتنا وصفتنا او لا تقل فى اقوالنا وافعالنا والاول اظهر والثانى انسب والتعميم والله اعلم
قوله ان شراركم من احب ان يوطأ عقبه كناية عن حب الرياسة وهو اشد الفسوق واعظمها اذ كل فسق
غيره يعود ضرره الى الفاسق وهذا الضرر يعود ضرره الى تخريب البدن والى الفاسق والخلق اجمعين انه لابد ان
كذب او عاجز الراى الراى العقل والتدبير ورجل ذو راى اى له بصيرة وحذق بالامور ولعل المراد بعاجز
الراى الجاهل المدعى للعلم المتكفل للحكومة بين الخلق الذى ضعف عقله ونقص علمه واتبع هواه فلا يهتدى
الى نصح الخلق ومصالحهم كما سبق وبالكذاب السلطان المدعى للخلافة وامارة الخلق كذبا وكل سلطان
زمان القايم عم كذاب فاجر لابد للخلق منه فى ضبط نظام احوالهم فى الجملة كما اشار اليه امير المؤمنين عم
بقوله وانه لابد للناس من امير برا وفاجر وحيث لم يكن امير قاهر بعده الى عهد القايم عم بر امن جميع الوجوه
كان كل امير بعده فاجرا كذابا قوله ويل للذين يختلون الدنيا بالدين اى يطلبون الدنيا بعمل الآخرة يقال
ختله يختله اذا خدعه اى يفترون اى يظنون الامن ولا يخافون من الذنب يقول اغتررت براذا
ظننت الامن ولم تحفظ ام على يجترؤن اجتراء عليه بالهم اسرع بالهجوم عليه من غير توقف والاسم
الجراة وهو جرئ بالهمزة ايضا على فعيل فبى حلفت لاتيحن اى لاقدرن من الاتاحة وهى التقدير لهم
فتنة تترك الحليم منهم حيرانا الحلم الاناة والحليم من لا تستخفه شئ من مكاره النفوس ولا يستفزه
الغضب والفتنة المحنة والابتلاء واصلها من قولهم فتنت الذهب والفضة اذا احترقته بالنار لتبين
الجيد من الردى وهى قد يكون فى حال الحيوة الدنيا وفسرها السهروردى بانها الابتلاء مع ذهاب الصبر والرضا او
الوقوع فى الآفات والمهلكات والاصرار على الفساد وترك اتباع طريق الهدى وقد يكون فى الممات وفسرها
بعضهم بانها ما يرد فى حال الاحتضار من سوء الخاتمة الذى يضطرب منه قلوب العارفين وبعضهم بانها
ما يرد فى البرزخ وما بعده من الشدايد والعذاب وسوء المعاملة والمضايق فى الحساب وغيرها قوله ان اشد
الناس حسرة يوم القيمة من وصف عدلا ثم عمل بغيره شمل الوعيد من وصف اشياء ما ذا لا اعتراف بحقيته و خالفه

باب من وصف عدلا وعمل بغيره

دن

ومن وصف حقيقة العدل ومنافعه وجار ومن وصف اعمالا واخلاقا حسنة وعمل بغيرها ومن وصف
اعمالا واخلاقا قبيحة وعمل بها ومن وعظ الناس ولم يتعظ وهو بالقول مدل واتق وبالعمل مقل فاسق
ومن امر بالمعروف وتركه ونهى عن المنكر وفعله ودل على ذم هولاء ايضا قوله تعالى اتامرون الناس بالبر و
تنسون انفسكم وقوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وما روى عن النبى صم قال مررت ليلة اسرى
بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نامر بالخير ولا ناتيه وننهى عن الشر وناتيه وما رواه
العامة انه يؤتى برجل يوم القيمة فيلقى فى النار فتندلق اقتاب بطنه اى تخرج امعاؤه فيدور كما يدور الحمار بالرحى
ويقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وانما كانت حسرته اشد لوقوعه فى الهلكة مع العلم وهو
اشد من الوقوع فيها بدونه ولمشاهدته نجاة الغير بقوله وعدم نجاته به قوله اياكم والمراء والخصومة المراء بالكسر
مرادف المجادلة تارة واخص منها اخرى تقول ماريته اماريه مماراة ومراء اذا جادلته وتقول ايضا ماريته
اذا طعنت فى قوله تزييفا للقول وتصغيرا للقائل فلا يكون المراء الا اعتراضا بخلاف الجدال فانه يكون ابتداء و
اعتراضا والجدال اخص من الخصومة يقال جدل الرجل من باب علم فهو جدل اذا اشتدت خصومته وجادل
مجادلة وجدالا اذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب والخصومة لا يعتبر فيها الشدة ولا الشغل
وقال الغزالى يندرج فى المراء كل ما يخالف قول صاحبه مثل ان تقول هذا حلو فيقول الحلو او يقول من كذا
الى كذا فرسخ فيقول ليس بفرسخ او يقول شاء فيقول انت احمق او انت كاذب ويندرج فى الخصومة كل ما
يوجب تاذى خاطر الآخر وتزداد القول بينهما واذا اجتمعا يمكن التخصيص المراء بالامور الدينية والخصومة
بغيرها او بالعكس وينبغى لمن يخاصم ان لا يبالغ فيهما وقد قيل لبعض الاشراف عم نلت هذا السودد فقال لم
يخاصمنى احد الا وقد ابقيت بينى وبينه موضعا للصلح ثم اشار الى بعض آثارهما المذمومة مبالغة فى التنفير
عنهما بقوله فانهما يمرضان القلوب على الاخوان وينبت عليهما النفاق لا ريب فى انهما يوجبان تغير قلب كل
واحد وعداوته وبغضه وغيظه على الآخر ويورثان التفاوت بين ظاهر كل واحد منهما وباطنه بالنسبة
الى صاحبه وهذا نفاق يقتضى زوال الالفة وارتفاع الوحدة وتبدد النظام وانقطاع الالتيام قوله
وترك المراء وان كان محقا لان مفاسد المراء لا يتخلف عنه وان كان صاحبه محقا على ان المحق المجادل
كثيرا ما لا يكتفى بسلوك سبيل الدفع ولا يقتصر على سلوك سبيل الحق بل يتجاوز عنه فيقع فى الاثم ولذلك قال
قال امير المومنين عم من بالغ فى الخصومة اثم والمراء قبيح سيما من اهل الدين والورع وان كان لابد فلابد من
ان يصدق ولا يوذى ولا يتكلم الا بقدر الضرورة قوله من نصب الله غرضا للخصومات اوشك ان يكثر الاشتغال

باب المراء والخصومة ومعاداة الرجال

١٨١

الخصومة مع الخلق خصومة مع الخالق والنصب الاقامة والغرض بالعين المعجمة الهدف وبالمهملة واوشك
من افعال المقاربة بمعنى القرب والدنو وقال الفارابي الايشاك الاسراع والانفال التحول من حال الى حال
كالتحول من الخير الى الشر ومن حسن الافعال الى قبح الاعمال المقتضية لفساد النظام وزوال الالفة والالتيام
قوله اتى تشحنا الرجال وعداوتهم الشحناء العداوة والبغضاء وشحنت عليه شحنا من باب علم حقدت واظهرت
العداوة ومن باب منع لغة قوله اياك وملاحاة الرجال ملاحاة بكديكر را دشنام دادن وبا يكديكر نزاع
كردن وفى المثل من لاحاك فقد عاداك قوله اياكم والمشارة مشارة باكسى بدى كردن وبا همديكر خصومت
كردن واصلها مشاررة ادغمت احدى الرائين فى الاخرى ولما حذر منها اشار الى بعض غوايلها ومفاسدها
للمبالغة فى التحذير بقوله فانها تورث المعرة المعرة بضم العين وفتحها الحرب والمعرة المساءة والمكروه والاثم
وعره بالشر يعره من باب قتل لطخه وتظهر المعورة اسم فاعل من اعور الشئ اذا صار ذا عورة وهى العيب والقبح
وكل شئ يستره الانسان انفة او حياء فهو عورة والمراد بها هنا القبيح من الاخلاق والافعال وغيرها
فان الخصومة سبب لاظهار الخصم قبح خصمه لبعض منه وليضع قدره بين الناس كما هو غالب عادات اهل
الدنيا الا من عصمه بالتقوى وقليل ما هم قوله اياكم والخصومة فانها تشغل القلوب لهاى تشغل القلوب من
ذكر الله وتورث النفاق والضغاين للخلق وكل ذلك من المهلكات الدينيه والدنيويه ويدخل فيها خصومة
بين يدى الحكام فى الاموال وغيرها وان احتاج اليها وجب ان لا يغلظ القول ولا يكذب ولا يزيد على
قدر الحاجة ولا يقصد ايذاء صاحبه قوله على بن ابرهيم عن ابيه عن ابن ابى عمير عن آه مر هذا متنا وسندا
قبيل ذلك والظاهر انه تكرار من الناسخ قوله ما عرفوا الله الى اياك ومشارة الناس فانها تكشف العورة وتدفن
بالغرا الغر بالغين المعجمة جمع الاغر من الغره وهى البياض فى جبهة الفرس فوق الدرهم وكل شئ ترفع قيمته كما
يقال هذا غرة ماله والمراد بها هنا محاسن الامور والاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة على سبيل التشبيه
والاستعارة فقد حذر من الخصومة فانها سبب لاظهار المخاصم عورة خصمه اى معايبه ومقابحه
وذهابه بمحاسن امره واخفائه فضايل اعماله واخلاقه ويحتمل ان يقراء الغر بالعين المهملة والزاى المعجمة
ويؤيد الاول ما روى من طرق العامة اياك ومشارة الناس فانها تظهر العرة وتدفن الغره قالوا العرة القبح
من الاخلاق والافعال والغرة العمل الصالح شبهة بغرة الفرس قوله خاعهد الحجرئيل فى شئ ما عهد الى
فى معاداة الرجال لما كانت المعادات منافية للمصالح الكلية والمقاصد المهمة المطلوبة للحكيم جل شانه
وهى النظام الكلى واجتماع النفوس على طريقة واحدة هى سلوك سبيل الله بسائر وجوه الاوامر والنواهى

والادب

هو

والادب الذى لا يتم بدون التعاون والتعاضد والتالف بين ابناء النوع كرر جبرئيل عم العهد فيها
وبالغ فى الحث على تركها من بين ساير المعاصى وهى وان كانت ايضا قبيحة لكن قبحها لكونها مستلزمة لمفاسد
جزئية اقل من قبح المعاداة المستلزمة لمفاسد كلية قوله الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل
غضب خشم كرفتن ومبدؤه قوة للانسان بها يرتكب الاهوال العظام ويتحرك نحو الانتقام ولزمها حالات
ثلثه لانه ان لم يستعملها فيما هو محمود عقلا وشرعا مثل دفع الضرر عن نفسه على وجه سائغ والجهاد مع
اعداء الدين والبطش عليهم واقامة الحدود على الوجه المعتبر والامر بالمعروف والنهى عن المنكر حصلت
له ملكة الجبن وهو مذموم عقلا وذم من الرذائل النفسانيه وان استعملها فيما هو محمود ولم يتجاوز عن حكم
العقل والشرع حصلت له ملكة الشجاعة التى هى من الفضائل النفسانيه التى وقع الحث عليها فى كتب العلماء
وزبر الحكماء وان افرط فيها بالاقدام على ما ليس بجميل واستعملها فيما هو مذموم مثل الضرب والبطش و
الشتم والنهب والقتل والقذف وامثال ذلك مما لا يجوزه العقل والشرع حصلت له ملكة
التهور المعدودة من الرذائل النفسانيه ايضا وتلك الملكة وما يتولد منها من الافعال الشنيعة والاقوال
القبيحة والاخلاق الذميمة والحركات الخارجة من القوانين العقليه والنقليه لظلمة الظاهر والباطن
وتختلط بالاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة والعقائد الكاملة التى هى انوار الايمان وحقائق العرفان
فيفسد الايمان سواء كان الايمان عين تلك العقائد ام هى مع الاعمال كما يفسد الخل العسل اذ المركب مما
ذكر ليس بايمان كما ان المركب من الخل والعسل ليس بعسل بل قد يزيله بالكلية كالخل الكثير للعسل القليل وفيه
تشبيه المعقول بالمحسوس لزيادة الايضاح والتقرير قوله ان الرجل ليغضب فما يرضى ابدا حتى يدخل النار
الرضى خشنود شدن وفيه اشارة الى بعض مفاسد الغضب والاستمرار عليه وتنبيه على انه ينبغى ان لا
يغضب وعلى انه لو غضب ينبغى ان لا يستمر عليه بل يزيله بالرضى عن المغضوب اذ لو استمر عليه اشتد غضبه
آنا فآنا وشيئا فشيئا وصدر منه قبايح متكثرة بعضها فوق بعض وهكذا حتى يدخل النار واعلم ان علاج الغضب
امران علمى وعملى اما العلمى فبان يتفكر فى الايات والروايات التى وردت فى ذم الغضب ومدح العفو والحلم
الذى هو ضده ويتفكر فى توقف عفو الله عن ذنبه ورفع غضبه عنه وكذلك كل صفة ذميمة تعالج
بمثل ذلك وبالصبر على تحمل ضدها حتى تصير بالتكلف ملكة مثلا علاج التكبر التواضع والصبر عليه وعلاج
البخل اعطاء المال بالتكلف حتى يصير صفة راسخة وعلى هذا القياس واما العملى فامران اشار الى الاول
بقوله فايما رجل ما رايه غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك الضمير اما للرجل او للغضب وهو من

باب الغضب

١٨٢

وهو من فار الماء فورًا اتبع وجرى اى من فارت القدر فورا وفى المصباح قولهم الشفعه على الفور
من هذا اى على الوقت الحاضر الذى لا تاخير فيه ثم استعمل فى الحالة التى لا بطوء فيها يقال جاء فلان فى
حاجته ثم رجع من فوره اى من حركته التى وصل فيها ولم يكن بعدها وحقيقته ان يصل ما بعد المجى
بما قبله من غير لبث فانه يذهب عنه رجز الشيطان الرجز العذاب والخبيث والرجس المنتن والمراد هنا
نزغات الشيطان ووساوسه فان الخبيث نفخ فى الانسان نفخ الكبر والعجب والغضب والاول
يوجب ان تغير بادنى شئ لا يلايم طبعه والثالث ينهض للانتقام فيحركه الى ما يليق بدون العقول
وما ذكره من ذهاب رجز الشيطان ووساوسه وصولته بالجلوس عند ظهور الغضب مجرب كما ان
من جلس عند حملة الكلب وجده ساكتا لا يحوم حوله وفيه سر لا يعلم الا الله والراسخون فى العلم
وربما يقال الترغيب هو الاشعار بانه من تراب وعبد ذليل لا يليق به الغضب او التوسل بسكون الارض وثبوتها
والحق بعض الافاضل الاضطجاع والقيام اذا كان جالسا والوضوء بالماء البارد وشربه والجلوس فى وهاد
الارض واشار الى الثانى بقوله وايما رجل غضب على ذى رحم وان بعد فليدن منه فليمسه فان الرحم اذا مست
هذا اذا مسته لاجل كسر سورة الغضب وضع وصدعه لا لاجل امضائه فان المس على هذا الوجه لا يكسره ولذلك
قل ما يخلو ويضربه او يقتله مع تحقق المس هنا والظاهر ان مس المغضوب للمغضوب ايضا يدفع الغضب كما دل
عليه بعض الروايات قوله الغضب مفتاح كل شر اذ يتولد منه الحقد والحسد والشماتة والتحقير والاقوال الفاحشة
وهتك الاستار والسخرية والطرد والضرب والقتل والنهب ومنع الحقوق الى غير ذلك مما لا يحصى حتى وفيه
على تعالجه بحكمة نظرية وعملية قوله فعلمنى جوامع الكلام اى علمنى كلاما قليل الالفاظ كثير المعانى كذا
فى المصباح قوله ويقذف المحصنة القذف الرمى بالزنا والمحصنة بالكسر وبالفتح ايضا على غير قياس وهى العفيفة
يقال احصنت المراة اذا عفت واحصنت نفسها بعقلها التام قوله من كف غضبه ستر الله عورته اى عيوبه
او ذنوبه فى القيمة فيكون كفارة عنها واختلفوا فى ان من كف نفسه عن الغضب ومن لا تغضب اصلا لكونه
حليما بحسب الخلقة ايهما افضل فقيل الثانى وقيل الاول لان الاجر على قدر المشقة وفيه جهاد النفس وهو
افضل من جهاد العدو وغضب النبى صلى الله عليه وآله مشهور الا ان غضبه لم يكن من مس الشيطان ورجزه وانما كان
من بواعث الدين قوله على عظة اتعظ بها العظة مصدر وغير مصدر والمراد هنا غير المصدر ويقال لها
بالفارسية پند والاتعاظ قبول العظة وكف النفس عن المخالفة قوله يا موسى امسك غضبك عمن ملكتك
عليه اكف عنك غضبى المراد بالموصول اما العبيد والاماء او الرعية او الاعم وهو اولى وغضب الخلق نوران

النفس

النفس وحركتها بسبب تصور الموذى والضار الى الانتقام والمدافعة وا لغضب الخالق عقابه التابع لعلمه
ومخالفة اوامره ونواهيه وغيرهما وفيه اشارة الى نوع من معالجة الغضب وهو ان يذكر الانسان عند
غضبه على الغير غضبه تعالى عليه فان ذلك يبعثه على الرضا والعفو طلبا لرضاه تعالى وعفوه لنفسه و
المراد بكره تعالى له فى غضبه كما فى الخبر الاخر عدم المعاقبه والعذاب بزلاته ومعاصيه جزاء بما صنع
فى اخيه من العفو عنه قوله وارض بى منتصرا فان انتصارى لك خير من انتصارك لنفسك لما كان
الغرض من امضاء الغضب غالبا هو الانتصار اى الانتقام من الظالم رغب فى تركه بانه تعالى منتقم من الظالم
لك وعلله بان انتقامه خير من انتقامك لان انتقامه على قدر الظلم وانتقامك قد يتعدى وايضا
انتقامك قد يودى الى المفاسد الكلية والجزئية بانهاض الخصم للمعادات بخلاف انتقامه تعالى قوله ورداؤه
وان ظلمت بمظلمة فارض بانتصارى لك لعل المراد بالزيادة وقوع هذه العبارة فقط بدل قوله فى الرواية السابقة
وارض بى منتصرا كما فى الرواية الاتية قوله ما كانت لكم من جراحة او قتل او ضرب ليس فيه اثر الاثر
بالتحريك العلامة وبالضم وبالضمتين اثر الجراح يبقى بعد البرء وليس فيه اثر صفة لضرب ويريد بضرب ليس فيه
جراحة لا اثر قيمه فاشار الى جميع اقسام الضرب وضمن الوفاء بجميعها فى ماله قوله ان هذا الغضب جمرة من الشيطان
توقد فى قلب ابن آدم وان احدكم اذا غضب احمرت عيناه اه الجمرة القطعة الملتهبة من النار شبه بها الغضب فى
الاحراق والاهلاك ونسبها الى الشيطان لان نفخ بنفخاته ووساوسه تحدث وتشتد وتوقد فى قلب
ابن آدم وتلتهب التهابا عظيما ويغلى بها دم القلب غليانا شديدا كغلى الحميم فيحدث منه دخان بتحليل الرطوبات
وينتشر فى العروق ويرتفع الى اعالى البدن والوجه كما يرتفع الماء والدخان فى القدر فلذلك تحمر العين والوجه
والبشرة وتنتفخ الاوداج والعروق وح يتسلط عليه الشيطان كمال التسلط ويدخل فيه ويحمله على ما يريد
فيصدر منه افعال شبيهة بافعال المجانين ولزوم الارض يشمل الجلوس والاضطجاع والسجود قوله الغضب فمحقه
لقلب الحكيم فمحقه بكسر الميم اسم آلة للمحق وهو الابطال وذلك لان توقد نار الغضب وانبعاث دخانه
فى ساحة القلب وغليان الرطوبات القلبيه يوجب محق نور القلب ويصيره مظلما بحيث لا يدرك شيئا
من الحق وعند ذلك يستولى عليه الشيطان ويحمله على ان يفعل ما يفعل وانما خص قلب الحكيم بالذكر لان
الحق الذى هو آلة النور انما يتعلق بقلب له نور وقلب غير الحكيم مظلم ليس له نور او لان قلب غير الحكيم يعلم
بالاولوية واذا عرفت ان الغضب يمحق قلب الحكيم يعنى عقله ظهر لك حقيقة قوله ومن لم يملك غضبه لم
يملك عقله وذلك لان من لم يملك غضبه ولم يمنعه من الانبعاث عند وجود سببه بطل نور عقله

وحكم وصار ماسورا في يد النفس الامارة واذا بطل حكمه صدرت عنه افعال وحركات غريبة مثل المجانين
قوله من كف نفسه عن اعراض الناس اقال الله نفسه يوم القيمة والغرض منه هو الترغيب في ترك الغيبة
والبهتان ومواجهتهم بما يكرهونه وكشف عيوبهم واذيهم بان الله تعالى يقيل عيوبه ويستر ذنوبه ولا يكشفها يوم
القيمة قوله ان الرجل لياتي باي بادرة فيكفر البادرة الخطاء وما يبدر من الحدة في الغضب من قول او فعل وان الحسد

باب الحسد

لياكل الايمان كما تاكل النار الحطب تقول حسده على النعمة ما لا كان او حالا كالعلم او غيره وحسده
النعمة حسدا بفتح السين او كسرها على قلة يتعدى الى الثاني بنفسه وبالحرف اذا كرهها عنده وتمنيت زوالها
عنه سواء قصدت انتقالها اليك ام لا وهو من طغيان القوة الشهوية المقتضية لحب الدنيا وحب الجاه والرياسة
وحب الفخر وحب التعزز ومن طغيان القوة الغضبية المقتضية لالتذاذ النفس بضرار ترد على عباد الله و
العداوة لهم ومن نقصان القوة العقلية حيث لا يعلم ان ذلك لا ينفعه بل يضره ويوجب عقوبته ولا
لا يضر المحسود بل يوجب علو درجته لكونه مظلوما وانه مضاد لحكمة الله تعالى وارادته وفضله وقضائه
ومضاد لحق قسمته لكل ما يليق به ومفاسده كثيرة منها انه يفسد الايمان ويفنيه كما تفسد النار الحطب
وتفنيه وذلك لان الحسد مع كونه في نفسه صفة منافية للايمان مضرة بالنفس والجسد اما بالنفس فلانه
يصرف فكرها الى الاهتمام بامر المحسود وحتى لا يفرغ للتصرف فيما يعود نفعه اليها مختفيا من الملكات
الخيرية والصور العقلية المنقوشة فيها واذا دام الحسد واشتغال الفكر في امر المحسود وطال الحزن والهم
اضمحل نور العقايد وانقطع والوقت عن تحصيل الحسنات بالكلية واما بالجسد فلانه يعرض له عند عروض
هذه الامراض للنفس طول السهر وسوء الاغتذاء ورداءة اللون وسوء السحنة وفساد المزاج فتنقطع عنه القوة
للاعمال واذا افسد الجسد والنفس واعمالها فسد الايمان على اي معنى كان وشبه كل واحد من الحسد والنار
بالشخص الآكل في الافساد والازالة مكنية واثبات الاكل لهما تخييلية وتشبيه اكل الحسد باكل النار
في الافناء تشبيه معقول بمحسوس لزيادة الايضاح او تشبيه افساد الحسد الايمان وافساد النار الحطب
بافساد الآكل الطعام واستعارة الاكل لها تبعية وتشبيه الاول بالثاني لقصد الايضاح قوله لقول الله
ولا يحسد بعضكم بعضا لان الحسد اعظم الادواء واعضلها واقبح المعاصي واكبرها وسبب الخراب العالم
وبطلان نظامه لتعلقه بارباب الفضايل واصحاب الشرف والاموال الذين تم بوجودهم عمارة الارض
وكثيرا ما يسعى الحاسد ازالة المحسود عن مرتبته وسعى الحيلة في زوال نعمته بظلم او سعاية الى الظالم الى
غير ذلك من اسباب البغي ولذلك قال صلعم اذا حسدتم فلا تبغوا قال ذلك لعلمه بان الحسد يتعقبه البغي

شوم

شوم يضر الحاسد والمحسود والدين والدنيا جميعا الا ترى ان ابليس اللعين لما حسد آدم كفر واستحق
عذاب الابد وبطلت رفاهة عيش آدم ودخلت البلية في ذريته وان ارباب الطغيان في صدر الاسلام
لما حسدوا الامام العالم العادل ازالوه عن مرتبته فبطل بذلك نظام الدنيا والدين واختلطت البلية
بالخلق اجمعين وبالجملة كل بلية في العالم فهي من الحسد بواسطة او بغيرها وقال بعض الافاضل اذا كان
لظالم او فاسق مال يصرفه في غير وجهه ويجعله آلة للظلم والفسق يجوز الحسد عليه وتمنى زوال
ماله وهو في الحقيقة تمنى زوال الظلم والفسق ويصدقه انه لو زال ذلك التمني بتوبتهما وقال بعضهم كراهة
نعمة احد بالطبع بحيث لا يقدر دفعها عن نفسه ليست بحسد لان دفعها خارج عن التكليف ولكن
عليه امران احدهما عدم اظهارها بالقول والفعل وثانيهما انكار تلك الكراهية وارادة زوالها ولو انتفى
احدهما تحقق الحسد ان عيسى بن مريم عم كان من شرايعه السيح في البلاد فساح في الارض سيحا

١٨٤

اذا سار وذهب فيها ومنه المسيح بن مريم عم فدخله العجب بنفسه فقال هذا عيسى روح الله يمشي على
الماء وانا امشي على الماء فما فضله على هذا عجب كما قال هو فدخلني من ذلك عجب وقال قم فدخله العجب
بنفسه وشبهه بالغبطة من وجه حيث تمنى منزلته روح الله وليس له ان يتمنى هذا كما يرشد اليهما قوله عم
لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت وبالحسد من وجه آخر
اما لانه تمنى زيادة فضل روح الله عليه وانزله منزلة نفسه او لان كل واحد من الحاسد والمعجب يضع
نفسه في غير موضعه وبهذا الاعتبار ذكره في هذا الباب فلا يرد ان العجب غير الحسد فلا يناسب ذكره في هذا
الباب فرمس في الماء اي غمس فيه على صيغة المجهول فيهما من رمست الميت اذا دفنته في التراب وان قلت
هذا دال على المواخذة بالافعال القلبية وسيجي في باب من يهم بالحسنة والسيئة انه لا مواخذة بها
قلت هذا من الافعال القلبية والثانية بدليل قوله نعم هذا عيسى روح الله الى آخره ولو اريد به العزم
القول القلبي لا يمكن ان يقع الافعال القلبية التي لا مواخذة بها هي التي ليست من العقايد مثل قصد شرب الخمر
ونحوه واما العقايد ففيها مواخذة قطعا وهذا منها ثم قال ما قلت يا قصير الظلم ان قصيرا كان قصد
وصفا له لا اسما له ففيه دلالة على جواز ان يخاطب الرجل ببعض اوصافه الظاهر المشتهر به لا على
الاستهزاء قوله قال قال رسول الله صلعم كاد الفقر ان يكون كفرا من طريق العامة عنه صلعم قال لولا رحمة
ربي لكاد الفقر ان يكون كفرا لعل المراد به الفقر القاطع لعنان الاصطبار وقد وقع الاستعاذة منه
واما الفقر الممدوح فهو الفقر المقرون بالصبر وقال الغزالي سبب ذلك ان الفقير اذا نظر الى شدة

افادة لطيفة

حاجته وحاجة عياله وراى نعمة جزيلة مع الظلمة والفسقة وغيرهم ربما يقول ما هذا الانصاف من الله وما هذه القسمة التى لم تقع على العدل فان لم يعلم شدة حاجتى ففى علمه نقص وان علم ومنع على القدرة على الاعطاء ففى جوده نقص وان منع لثواب الاخرة فان قدر على اعطاء الثواب بدون هذه المشقة الشديدة فلم منع وان لم يقدر ففى قدرته نقص ومع هذا يضعف اعتقاده بكونه عدلا جوادا رحيما كريما مالكا لخزاين السموات والارض وح يتسلط عليه الشيطان ويذكر له شبهات حتى يسب الفلك والدهر وغيرهما وكل ذلك كفر او قريب وانما يتخلص من هذه الامور من امتحن الله قلبه بالايمان ورضى عن الله بالمنع والاعطاء وعلم ان كل ما فعله بالنسبة اليه فهو خير له وقليل ما هم وكاد الحسد ان يغلب القدر فيه مبالغة فى تاثير الحسد فى فساد النظام المقدر للعالم فانه كثيرا ما يبعث صاحبه على قتل النفوس ونهب الاموال وسبى الاولاد وازالة النعم حتى كانه غير راضى بقضاء الله وقدره ويطلب الغلبة عليهما وهو حد الشرك بالله قوله ان المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط وهو بحسب اللفظ اخبار بان الحاسد منافق لان ظاهره الايمان وباطنه النفاق مع المؤمنين وبحسب المعنى امر بطلب الغبطة وترك الحسد وذلك لان الحسد وهو تمنى زوال النعمة حرام واما الغبطة وهو تمنى مثلها فان كانت فى امور الدنيا فمباحة وان كانت فى امور الدين فمطلوبة لان الغابط يتمنى فوق مرتبته والافضل من نعمته فهو ساخط بالنعمة وغير راض بالقسمة كالحاسد والا فما الفرق قلنا نقول الفرق ان الحاسد غير راض بالقسمة حيث تمنى ان يكون قسمته ونصيبه للغير ونصيب الغير له فهو راد للقسمة قطعا واما المغتبط فقد رضى ان يكون نصيب الغير له ورضى ايضا بنصيبه الا انه لما جوز ان يكون له ايضا مثل نصيب ذلك الغير وكان ذلك ممكنا على نفسه ولم يعلم امتناعه بحسب التقدير الازلى ولم يدل عدم حصوله على امتناعه لجواز ان يكون حصوله مشروطا بشرط كالتمنى وبحوه تمناه وهذا شان من وحد درجة من الكمال ان شاء الله نعم ويطلب منه التوفيق لما فوقها

باب العصبية

قوله من تعصب او تعصب له فقد خلع ربق الايمان من عنقه الربق بالكسر جمع الربقة وهى فى الاصل عروة فى حبل تجعل فى عنق البهيمة او يدها تمسكها والمراد بها ما يشد المسلم به نفسه من عرى الاسلام اى حدوده واحكامه واوامره ونواهيه والتعصب المحاماة والمدافعة واعانة القوم والعصبة وذوى القرابة على الظلم وهو من الحمية الجاهلية التى تحدث من طغيان النفس الامارة ونفثات الشيطان فيها بان تقاعدت انفه وغار عليك وعلى قومك فيقدم ح على ما يوجب خروجه من الايمان وخلع ربقته من عنقه وهذا من المتعصب له فلا بد من تقييده بما اذا كان هو الباعث عليه والراضى به والا فلا اثم عليه قوله من كان

١٨٥

فى قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيمة مع اعراب الجاهلية لتشبههم فى العصبية والحمية والخروج من طاعة الله تعالى ومحاسن الاخلاق ومحامد الاعمال ومن تشبه بقوم فهو منهم من تعصب عصبه الله بعصابة من نار العصب الشد ومنه عصابة الراس بالكسر وهى ما يشد به من عمامة وغيرها قوله لم تدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبد المطلب الحمية الانفة والعار والغيرة وهى من اسباب الحماية اى المنع والدفع ومن لوازم الغضب والفخر والعجب والكبر لانها تنشا من تصور المؤذى مع الترفع على فاعله واعتقاد الشرف عليه ولما ذم الحمية اشار الى الحمية المحمودة وهى الحمية فى الدين التى هى من مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال التى تتفاضل فيها اهل المجد والشرف والسلام مقصور الجلدة الرقيقة التى يكون فيها الولد من المواشى قوله فاستخرج ما فى نفسه اى اظهر ما فى نفس ابليس بالحمية والغضب فقال خلقتنى من نار وخلقته من طين فاخذته الحمية والفخر وتكبر على آدم بان اصله من نار واصل آدم من طين والنار اشرف من الطين فصار بذلك امام المتعصبين ومقتدى المتكبرين فابعده الله من رحمته وقال فاخرج انك من الصاغرين واذا كان حاله مع كثرة عبادته حتى قيل انه عبد الله ستة الاف سنة لا يدرى امن سنى الدنيا او من سنى الاخرة وحتى ظن الملائكة انه منهم كذلك لاجل تكبر وعصبية واحدة على شخص واحد فى ساعة واحدة فما ظنك ايها المتعصب المتكبر على كثيرين من ذرية آدم وكيف انت ان يكون مع قصر مدة عبادتك وكثرة معصيتك مثله والله المستعان قوله قال سالت ابا عبد الله عم عن ادنى الالحاد قال الكبر ادناه لما كان السائل طالبا استحسن التاكيد فى جوابه والالحاد الميل عن الحق والمراد به اما نفى الصانع او اثبات الشريك له او الاعم منهما والكبر العظمة وهى هيئة نفسانية تنشا من تصور الانسان نفسه اعظم من غيره واعلى مرتبة منه وهى رذيلة تحت الفجور مقابل التواضع وانما كان ادنى الالحاد ولان المتكبر يلزمه انكار الرب واثبات الشريك له من حيث لا يعلم وذلك لان الكبر من الصفات المخصوصة بالرب باعتبار انه فوق الكل وانه على كمال الذات فى الوجود والصفات والافعال وجميع ذلك له تعالى لا لغيره بالضرورة فاذن ليس المستحق للكبر الا هو واما غيره فهو ذليل فقير عاجز مضطر من جهات شتى فاذا تكبر لزمه القول بنفيه تعالى لان الصانع الذى له شريك ليس بصانع فيلزم الالحاد بالمعنى الاول ولما لم يكن من باب الالحاد صريحا حكم بانه ادناه وقريب واعلم ان الكبر من المهلكات ومنشاه الجهل وازالته وهى فرض العين تحتاج الى المعالجة علمية وعملية اما العلمى فهو ان تعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك فى ازالته فانه اذا عرف نفسه حق المعرفة عرف انه اذل الاشياء وان عليه التواضع والذلة والمسكنة واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبرياء الا به وان كل من سواه

عاجز مضطر عبد مملوك لا يقدر على شيء ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا
فتنقطع عنه مواد البطر والكبرياء وبواعث الفخر والخيلاء واما العمل فهو الاشتغال بانواع العبادات و
الطاعات والمداومة لذكر الله والابتهال اليه والتضرع بين يديه وتفويض الامر اليه وحسن المكالمة والمجا
والمعاشرة مع الفقراء وغيرهم قوله الكبر قد يكون في شرار الناس من كل جنس اي من كل صنف من
اصناف الناس وان كان دنيا كما يشعر به تكبر سوداء او من كل جنس من اجناس السبب كالعلم والعبادة
والزهد والمال والجاه والنسب والصورة والشهرة ونحوها والاول اظهر والكبر رداء الله في الخبر الاخر
العز رداء الله والكبر ازاره وروي من طرق العامة قال الاتي الازار الثوب الذي يشد على الوسط
والرداء الذي يمد على الكتفين وقال محيي الدين وهما لباس واللباس من خواص الاجسام وهو مجاز
فهما استعارة للصفة التي هي العزة والعظمة ووجه الاستعارة ان هذين الثوبين لما كانا مختصين بالناس
ولا يستغني عنهما ولا يقبلان الشركة وهما جمال عبر عن العز بالرداء وعن الكبر بالازار على وجه الاستعارة
المعروفة عند العرب كما يقال فلان شعاره الزهد كما يقولون فلان غمر الرداء واسع العطية فاستعاروا لفظ
الرداء للعطية انتهى اقول يجوز ان يكون من باب التشبيه البليغ بحذف الاداة والوجه الاختصاص لان العزة
والكبر مختصان به سبحانه كما ان الرداء والازار مختصان بصاحبهما او الاحاطة لوجودها في العزة والكبر
تخييلا وفي الرداء والكبر بالازار وجه علت والازار تحقيقا بل التشبيه اولى لان المشبه ينبغي ان لا يكون
مذكورا وهو هنا مذكور والمقصود من هذا التشبيه هو الايضاح لانه اخرج المعقول الى المحسوس تقريبا
للافهام فان قلت هل في تشبيه العز بالرداء والكبر بالازار وجه قلت نعم لان العزة امر اضافي كما قيل هي الامتناع
من ان ينال وقيل هي الصفة التي تقتضي عدم وجود مثل الموصوف بها وقيل هي الغلبة على الغير والامر الاضافي
امر ظاهر والرداء من الاثواب الظاهرة فبينهما مناسبة من جهة الظهور والكبر بمعنى العظمة وهي صفة حقيقية
اذ العظيم قد يتعاظم في نفسه من غير ملاحظة الغير فهي اخفى من العزة والازار ثوب خفي لانه قد يستر بغيره
فبينهما مناسبة من هذه الجهة وفي الحديث الاول شبه الكبر بالرداء ولعل وجهه ظاهر لان الكبر كثيرا
ما يفتقر الى ملاحظة متكبر عليه فهو بهذا الاعتبار امر اضافي ظاهر يناسب الرداء فمن نازع الله عز وجل
رداءه لم يزده الله الا سفالا وقد عرفت ان الكبر والعظمة والرفعة على الخلق من الصفات المختصة بالله سبحانه
فمن نازعه فيها لم يزده الله الا سفالا الا في اعين العارفين ونظر الصالحين او في القيمة كما يجيء ان المتكبرين
يجعلون في صورة الذر يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب فلا يرد ان كثيرا من المتكبرين ليسوا من اهل

السفال

الكبر

السفال قال بعض المحققين الانسان مركب من جوهرين احدهما اعظم من الاخر وهو الروح التي من امر الرب
وبينها وبين الرب قرب تام لولا عنان العبودية لقال كل احد انا ربكم الاعلى فكل احد يحب الربوبية و
لكن يدفعها عن نفسه بالاقرار بالعبودية ويطلب باعتبار الجوهر الاخر المركوز فيه القوة الشهوية والغضبية
اثار الربوبية وخواصها وهي ان يكون فوق كل شيء واعلى رتبة منه ويغفل عن ان هذا في الحقيقة دعوى
الربوبية وكذلك كل صفة من الصفات الرذيلة تتولد من ادعاء اثار الربوبية كالغضب والحسد والحقد
والرياء والعجب فان الغضب من جهة الاستيلاء اللازم للربوبية والحسد انه يكره ان يكون احد افضل منه في
الدين والدنيا وهو ايضا من لوازمها والحقد يتولد من احتقان الغضب في الباطن والرياء من جهة انه يريد ثناء
الخلق والعجب من جهة انه يرى ذاته كاملة وكل ذلك من اثار الربوبية وقس عليه ساير الرذائل فانك ان
فتشتها وجدتها مبنية على ادعاء الربوبية والترفع قوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر هذا
الحديث مذكور في صحيح مسلم باسناده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال الخطابي المراد بالكبر الكبر عن
الايمان لقوله ص ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان فقابل الايمان بالكفر ويحتمل ان يريد
انه ينزع الكبر عن داخل الجنة لقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اقول التاويل الاول موافق لما
في الخبر الاتي من ان المراد بالكبر الجحود واما التاويل الاخر فلا يخفى بعده لان المقصود ذم المتكبر وتحذيره
لا تبشيره برفع الاثم والعقاب عنه ويمكن ان يراد به المستحل او يخص عدم الدخول ببعض الاوقات وهو
وهو ان لا يدخلها ابتداء بل بعد المجازات وقيل انما صار الكبر حجابا عن الجنة لانه يحول بين العبد وبين
الاخلاق التي هي ابواب الجنة فان الكبر يغلق تلك الابواب كلها لان المتكبر لا يقدر ان يحب للمؤمن ما
يحب لنفسه ولا يتمكن من ترك الرذائل كالحقد والحسد والتقدم في الطرق والمجالس وطرد الفقراء
عن المجالسة والمواكلة والعنف والغلظة والغيبة والتطاول وعدم الرفق بذوي الحاجات وفعل اضدادها
من الفضائل كالتواضع وكظم الغيظ وقبول الحق وسماعه والرفق في القول وغيرها وما من خلق فاضل
الا وهو عاجز عنه خوفا من ان تفوته عزه فلذلك لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من
كبر قوله انما اعني الجحود وانما هو الجحود اي المراد بالكبر انكار الحق وانكار امره وحكمه مثل كبر ابليس فانه لما
كان مقرونا بالجحود والاباء عن طاعة الله والاستصغار لامره كما دل عليه قوله انا خير منه خلقتني
من صلصال كان لا محالة مستلزما للكفر والكفر يوجب الحرمان من الجنة ابدا هذا احد التاويلات
للروايات الدالة على ان من في قلبه كبر لا يدخل الجنة والمقصود ان هذا الوعيد مختص بكبر الجحود لان غيره

يتعلق بالوعيد مطلقا قوله الكبر ان تغمض الناس وتسفه الحق غمصه كضربه وسمعه غمصا احتقره و
استصغره وعابه ولم يره شيئا وسفه سفها من باب علم وسفه سفاهة من باب شرف اذا نقص عقله و
سفه تسفيها اذا نسبه الى السفه والمراد هنا لازمه وهو الجهل بالحق وطعن اهله قوله ان اعظم الكبر غمص الخلق
وسفه الحق قد عرفت ان الكبر عظمة مخصوصة وهي هيئة نفسانية تنشأ من تصور الانسان انه اعلى من غيره
وهذه الهيئة بعد رسوخها ان كملت واشتدت حتى حملت صاحبها على تحقير الخلق بان لا يراه شيئا و
جهل الحق بان لا يقبله من صميم القلب وللطعن على من قبله ورواه حقا فصل نوع آخر من الكبر اعظم من
الاول وهي الهيئة المذكورة المجردة عن التحقير والجهل المذكورين ومنه يظهر حقيقته قوله اعظم الكبر
غمص الخلق وسفه الحق ونقل عن الزمخشري ان سفه الحق اسم مضاف الى الحق وان فيه وجهين احدهما
ان يكون على وجه حذف الجار والايصال كان الاصل سفه على الحق والثاني ان يضمن معنى فعل متعد كجهل
والمعنى الاستخفاف به وان لا يراه على ما هو عليه من الرجحان فمن فعل ذلك فقد نازع الله عز وجل
رداءه ان قلت الغمص والسفه بالتفسير المذكور ليسا من صفات الله تع ورداءه فما معنى هذا القول قلت
الغمص والسفه اثر من اثار الكبر ولازم من لوازمه فما على ذلك نازع الله عز وجل من حيث الملزوم
على انه لا يبعد ان يراد بهما الملزوم مجازا وهو الكبر البالغ الى هذه المرتبة المقتضية لهذا الفعل الشنيع
قوله فتنفس فاحرق جهنم لعل المراد بتنفسه خروج لهب منه وباحراق جهنم تخييها اشد ما كان لها من
السخونة واحداث حرارة زايدة فيها قوله ان المتكبرين يجعلون في صورة الذر اه عوملوا بهذا الاثر مقابل
لتكبرهم وترفعهم فعوملوا بمقابل مقصودهم ونقيض مطلوبهم قوله قال قلت لابي عبد الله عم اني اكل
الطعام الطيب واشم الريح الطيبة واركب الدابة الفارهة اي المنشطة الحادة في الحقيقة القوية و
الغلام فترى في هذا شيئا من التجبر فلا افعله آه كان السائل توهم او شك في ان محبة هذه الامور تجبر
وتكبر فاجاب عم بانها ليست تجبرا وتكبرا وانهما انكار الحق وتحقير الناس كيف وقد نقل في باب التجمل
الله جميل يحب الجمال يعني انه تعالى جميل الفعال يحب منكم التجمل والتزين والطهارة وعدم التاجر الى الفقر
ثم ان الامور المذكورة ونحوها وان لم يكن في ذواتها تجبرا الا انها في اكثر الناس مفضية اليه فلذلك الطرق
ولم يجبه بانها تجبر او لا وانى بجواب على وجه كلي يشعر بانها من حيث هي ليست تجبرا ولو منعها فرد من هذا
الكلي فانما هي مذمومة لاجل ذلك لا لذاتها قوله ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم
ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك جبار ومقل مختال معنى لا يكلمهم انه لا يكلمهم كلام رضى بل كلام سخط

مثل اخسئوا فيها ولا تكلمون وقيل لا يكلمهم بلا واسطة وقيل هو كناية عن الاعراض والغضب فان من غضب
على احد قطع كلامه ومعنى لا ينظر اليهم انه لا ينظر اليهم نظر الكرامة والعطف والبر والرحمة والاحسان
لضعفهم وحقارتهم عنده وقلة قدرهم لديه وليس المراد نفي الرؤية لانه تع يراهم كما يرى غيرهم ولا نفي تقليب
الحدقة اليهم لانه من صفات الاجسام وفي قوله يوم القيمة اشعار بان المعاصي المذكورة بل غيرها ايضا لا تمنع
من ايصال الخير والنعمة اليهم في الدنيا لان افضاله فيها يعم الابرار والفجار تاكيد الحجة عليهم ومعنى قوله لهم
ولا يزكيهم انه لا يطهرهم من ذنوبهم او لا يقبل عملهم او لا يثني عليهم ومن لا يثني الله سبحانه عليه يعذبه
وتخصيص الثلثة بالذكر ليس لاجل ان غيرهم معذور بل لاجل ان عقوبتهم اعظم واشد لان المعصية مع
وجود الصارف منها اقبح واشنع والصارف للشيخ عن الزنا انكسار قوته وانطفاء شهوته وطول العداوة
ومدته وقرب الانتقال الى الله فلا بد من ان يتدارك ما فات ويستعد لما هو آت فاذا اشتغل بالزنا دل
ذلك على انه غير معتقد بالدين ومستخف بنهي رب العالمين فلذلك استحق العذاب ويمكن ان يستدل بهذا على
ان الشيخ في جميع المعاصي اشد عقوبة من الشاب وعلى ان الشاب بالعفة امدح من الشيخ والصارف للملك من
كونه جبارا مشاهدة كمال نعمته تع عليه حيث سلطه على عباده وبلاده وجعلهم تحت يده وقدرته فان مقتضى
ذلك ان يشكر منعمه ويعدل بين خلق الله ويرتدع عن الظلم والفساد ويشاهد ضعفه بين يدي الملك المنان
فاذا قابل كل ذلك بالكفران استحق عذاب النيران والصارف للمقل الفقير عن الاختيال والاستكبار
فقره لان الاختيال والاستكبار فقره لان الاختيال انما هو بالدنيا وليست عنده فاختياله عناد ومن
عاند ربه العظيم يصير محروما من رحمته وله عذاب اليم ولا يبعد ان يكون المدح في اضداد هذه الانواع
متفاوتا فالشاب بالعفة امدح من الشيخ كما ذكرنا ودل عليه ايضا بعض الآثار والتواضع من الغني امدح منه
من الفقير كما دل عليه بعض الاخبار واما العدل من غير الملك ففي كونه امدح منه من الملك محل نظر قوله
لما قدم عليه الشيخ يعقوب عم دخله عز الملك فلم ينزل اليه آه الملك بضم الميم وسكون اللام السلطنة
وبفتح الميم وكسر اللام السلطان وبكسر الميم وسكون اللام ما يملك واضافة العز اليه لامية ولم يكن ما اخذه
تكبرا وتحقيرا للشيخ فانه كان منزها عنه بل كان حفظ العزة عند عامة الناس اذ كان نزول الملك عندهم
لعزه موجبا للذل وهذا شبيه بالتكبر من جهة وبالعجب من جهة اخرى فانظر الى ما ورد على الرجل الصالح
من خروج نور النبوة من يده لاجل صدور امر شبيه بالتكبر منه وحرمان عقبه من تلك الفضيلة والكرامة و
احذر عن التكبر فانه يخرج نور الايمان من قلبك وربما تسري شوم ذلك وذله في عقبك قوله وما من عبد

الا وفي راسه حكمة وملك يمسكها فاذا تكبر قال له اتضع وضعك الله اي حكمت عليه بكذا اذا منعته من خلافه
فلم يقدر على الخروج من ذلك ومنه الحكمة وزان قصبة للدابة سميت بذلك لانها تذللها لراكبها حتى تمنعها
الجماح ونحوه ومنه ايضا اشتقاق الحكمة لانها تمنع صاحبها من اخلاق الارذال ولعل المراد بالحكمة هنا هيئة
الحالة المقتضية لسلوك سبيل الهداية على سبيل الاستعارة وبامساك الملك اياه ارشاده الى ذلك السبيل او
عن العدول عنه واذا تواضع رفعها الله عز وجل اما لم يقل واذا تواضع قال له ارفع رفعك الله على وفق قوله
فيما سبق فاذا تكبر قال له اتضع وضعك الله للتنبيه على ان الرفع مترتب على التكبر ما لم يدع الملك عليه بالوضع
وهو الذي سبقت رحمته غضبه ثم قال له انتعش نعشك الله نعشه الله كمنعه وانعشه الله اقامه و
رفعه ونعشه فانتعش اي رفعه فارتفع وقوله نعشك الله اما اخبار بما وقع من الرفع او دعاء له على سبيل
التاكيد او دعاء له بالثبات والاستمرار فلا يزال اصغر الناس في نفسه وارفع الناس في اعين الناس لانهم
يعظم في اعين الناس ويجري ذكره بالصلاح والخير على السنتهم قيل روي عنه صلعم ان الله اذا احب عبدا دعا
جبرئيل فيقول اني احب فلانا فاحبه قال فيحبه جبرئيل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه
فيحبونه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض قوله ما من احد يتيه الا من ذلة يجدها في نفسه تاه فلان
يتيه اذا تكبر ولعل من للابتداء فيفيد ان التكبر لا ينفك من الذلة حتى كانه نشا منها وفي بعض النسخ ينبه
بالنون بعد الياء قبل الباء الموحدة وله ايضا وجه يقال نبه بالضم نباهة شرف فهو نبيه يعني ان الشرف
والنباهة من ذلة التواضع قوله ما من رجل تكبر او تجبر الا لذلة وجدها في نفسه اي الذلة في الدنيا والآخرة
سبب التكبر لان العزيز عند الله لا يتكبر او غايته وعاقبته فاللام مثلها في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا في كونها للعاقبة قوله ان الله عز وجل علم ان الذنب خير للمؤمن من العجب قيل حقيقة
العجب استعظام العمل الصالح واستكثاره والابتهاج له والادلال به وان يرى نفسه خارجا عن حد
التقصير واما السرور به مع التواضع لله تعالى والشكر له على التوفيق لذلك وطلب الاستزادة منه فهو حسن
ممدوح وتوضيحه ما ذكره الشيخ في الاربعين بقوله لا ريب ان من عمل اعمالا صالحة من صيام الايام وقيام
الليالي وامثال ذلك يحصل لنفسه ابتهاج فان كان من حيث كونها عطية من الله ونعمة منه تعالى عليه
وكان مع ذلك خائفا من نقصها مشفقا من زوالها طالبا من الله الازدياد منها لم يكن ذلك الابتهاج عجبا وان
كان من حيث كونها صفة وقائمة به ومضافة اليه فاستعظمها وركن اليها وراى نفسه خارجا عن حد
التقصير بها وصار كانه يمن على الله سبحانه بسببها فذلك هو العجب المهلك وهو من اعظم الذنوب وقيل العجب

هيئة

باب العجب

۲۸۲

هيئة نفسانية تنشا من تصور الكمال في النفس والفرح به والركون اليه من حيث انه قائم به وصفة له مع
الغفلة عن قياس النفس الى الغير بكونها افضل منه وبهذا القيد يفصل عن الكبر اذ لا بد في الكبر ان يرى
الانسان لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبته فوق مرتبة الغير وهذا التعريف اعم من المذكور
اذ الكمال اعم من ان يكون كمالا في نفس الامر او لم يكن كسوء العمل اذا رآه حسنا فانه يعجب به فالاول اعم من ان يكون
بفعله كالاعمال الصالحة او لا كالصورة الحسنة والنسب الرفيع وقيل العجب ان يرى الانسان نفسه بعين
الاستحسان لافعاله او لما يصدر عنها من عادة او عبادة او كثرة وزيادة في امر وذلك مذموم لانه
حجاب للقلب عن رؤية منته فان اعجب بنفسه في صورة او عادة انا ذكرا وان كان في عبادة ففيه عمى
عن رؤية توفيق الله واصل ذلك من الشرك الخفي والشرك الجلي لا يغفر والخفي منه لا يهمل بل يواخذ الله به
صاحبه ولولا ذلك لما ابتلى مؤمنا بذنب ابدا فجعل الذنب له قدرا عن عجبه بنفسه ليبقى له فضيلة الايمان و
ثواب الاعمال واستحقاق الاحسان ولو لم يذنب لدخل فيه العجب وافسد قلبه وحجبه عن تدبر ومنته و
منعه عن رؤية توفيقه ومعونته وصده عن الوصول الى حقيقة توحيده ولحبط عمله الذي صدر منه
في مدة طويلة بخلاف الذنب فانه لا يبطل العبادة السالفة وفيه متابعة للهوى وفي العجب شركه
بالمولى ويفهم منه ان ارتكاب اقل القبيحين اولى من الاخر وان ذنب المؤمن مصلحة له وان يغفر له قطعا قوله
من دخله العجب هلك قيل العجب يدخل الانسان بالعبادة وترك الذنوب والصورة والنسب والافعال
العادية مثل الاحسان الى الغير ونحوه وهو من اعظم المهلكات واشد الحجب بين القلب والرب والشرك
بالله وسلب الاحسان والافضال والاعانة والتوفيق عنه تعالى وادعاء الاستقلال لنفسه و يبطل
بر الاعمال والاحسان واجرها كما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وليس المن بالعطاء والاذى
الفقير باظهار الفضل والتعيير عليه الا من عجبه بعطيته وعماه عن منة ربه وتوفيقه قوله العجب درجات
منها ان يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا فيعجبه ويحسب انه يحسن صنعا اكثر الجهلة على هذه الصفة فانهم
يفعلون اعمالا قبيحة عقلا ونقلا ويعتادون عليها حتى تصير تلك الاعمال بتسويل انفسهم وتزيين قرينهم
من صفات الكمال عندهم فيذكرونها ويتفاخرون بها ويقولون انا فعلنا كذا وكذا اعجابا بشانهم و
اظهارا لكمالهم ومنها ان يؤمن العبد بربه فيمن على الله عز وجل ولله عليه فيه المن كما قال الله تعالى يمنون
عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين قوله ان الرجل
ليذنب الذنب فيندم عليه ندامته مقام عجز وتقصير وهو مقام عال للسالكين ويعمل العمل فيسره ذلك

۱۸۸

المراد بالسرور بالعمل هنا الادلال به واستعظامه واخراجه نفسه عن حد التقصير واما السرور مع التواضع
لله والشكر له على التوفيق لذلك العمل فليس عجبا كما مر فيتراخى عن حاله تلك اى تصير حاله بسبب هذا السرور في العجب
ادون من حاله وقت الندامة ويفهم منه ان العجب يبطل الاعمال السابقة ايضا ولان يكون على حاله تلك خير له
مما دخل فيه نظيره قول امير المومنين عم سيئة تسوءك خير من حسنة تعجبك والظاهر ان الفاء للتفريع وخبر ان
يكون اى كونه على تلك الحالة اعنى حالة الندامة خير له مما دخل فيه من الحسنة مع العجب بها لان هذا الحالة تلك
الحالة اليم و قوله فقال مثلى يسال عن صلوته وانا عبد منذ كذا وكذا اه عظم العابد نفسه بكثرة العبادة
طول زمانها وكثرة البكاء ودوام الخشوع فاخرج نفسه عن مقام العبودية المبنيه على المذلة والاعتراف
بالتقصير والعجز عن الاتيان بحق العبادة وادخلها فى مهاوى العجب ومهالك الكبر فلذلك حكم العالم بان اضداد
الامور المذكورة الباعثة للمذلة فى ما بعدها افضل له منها ويعلم منه ان العلم افضل من العبادة اذ به يحصل الاهتداء
الى المقابح والمحاسن والادلال ما زيلك بعملك جود والمدل المنبسط المسرور الذى لا خوف له من التقصير في العمل
ونقصانه ولا تذلل له فى مقام العبودية كما هو شان المعجب بنفسه قوله الرجل يعمل العمل وهو خايف مشفق ثم
يعمل شيئا من البر فيدخله شبه العجب به فهو فى حالته الاولى وهو خايف احسن حالا منه في حال عجبه يمكن ان
يراد بالعمل العمل البر وبالخوف الخوف بالتقصير او من عدم القبول والاولى ان يراد به العمل الشر او اللغو والخوف
الخوف من العقوبة لان التفضيل فى الاول ظاهر ليس ليانه كثير فايدة قوله اذا قبل ابليس وعليه برنس اه البرنس بضم
الباء والنون وسكون الراء قلنسوة طويلة او كل ثوب راسه منه ملتزق به دراعة كان او جبة او ممطر
او غيره فلما قرب الله دارك لعله كناية عن حيرته او بعد منزلته عن المومن به اختطف قلوب بنى ادم اختطفا
ربود ن يقال خطفه من باب علم وضرب واختطفه اذا استلبه واخذه بسرعة ومن طريق العامة ان الشيطان
ليجثم على قلب ابن آدم له خرطوم كخرطوم الكلب اذا ذكر العبد الله عز وجل خنس واذا اغفل عن ذكر الله وسوس و
استحواذ الشيطان على العبد غلبته عليه واستماله الى ما يريده منه وانذار الصديقين ان لا يعجبوا باعمالهم
اى لا يبتهجوا بها ولا يتكلوا عليها ولا يعتقدوا انهم بسببها خرجوا عن حد التقصير فانه ليس عبد الا نصبه اى
اقيمه و نصله من باب ضرب للحساب الا هلك اذ كل عبد مقصر فى اداء حقوق نعم وكل عمل ناقص في جنب
عظمته ولا قدر له فى مقابل نعمته فاذا وقع التقابل بين الاعمال والنعماء بقى اكثر النعماء لا مقابل لها من الاعمال
فعلم ان احسانه نعم الى العباد واثابته انما هو بالتفضل لا بالعمل فينبغي ان لا يعجبوا به مع كماله فى النقص فحاصل
التعليل الردع عن العجب بالعمل لعدم الاعتداد به وعدم دخوله تحت الحساب وعدم الوزن له فى مقابلة احسانه

تعالى

تعالى قوله راس كل خطيئة حب الدنيا لان كل خصال الشر مطوية فى حب الدنيا وكل ذمايم القوة
الشهوية والغضبية مندرجة فى الميل اليها ولذا قال الله عز وجل من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى
حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له فى الآخرة من نصيب ولا يمكن التخلص من حبها الا بالعلم
بمقابحها ومنافع الآخرة وتصفيه النفس وتعديل القوتين قوله ما ذئبان ضاريان فى غنم قد فارقها
رعاؤها احدهما فى اولها والآخر فى اخرها بافسد فيها من حب المال والشرف فى دين المسلم شبه حب
المال والشرف بالذئب الضاري المهلك المعتاد باكل اللحوم فى الافساد والاهلاك لقصد الايضاح لان
حبهما يشغل القلب عن ذكر الله وما يوجب القرب منه ويقيده بلذة الاقبال الى الخلق والقبالهم اليه وفي سعته
على ملازمة الفساق من اهل الدنيا وامراء الجور والمدارة معهم ومخالفة ظاهره لباطنه ولذلك قال النبى
حب الجاه والمال ينبتان فى القلب النفاق كما ينبت الماء البقل ويتولد منه جميع الاخلاق الذميمة كالحقد
والحسد والعداوة والرياء والكبر والعجب ونحوها قوله ان الشيطان يدير ابن آدم فى كل شيء من احوال المبدأ
١٨٩ والمعاد والايمان والطاعة والمعصية والاخلاق فاذا اعياه جثم اى لزم مكانه ولم يبرح عند المال
فاخذ برقبته فالمال مصيدة عظمى ومكيدة كبرى للشيطان فى صيد الخلق وجذبهم الى الباطل واضلالهم
عن طريق الحق وحملهم على الجمع من طريق الحلال والحرام بالحيلة والخدعه والظلم وبعثهم على الاعمال اولا خلاف
الخارجة عن قوانين العقلية والشرعية قوله من لم يتعز بعزاء الله غرى يعرى من باب علم صبر على ما نابه وعزيته
تعزية قلت له احسن الله عزاك اى رزقك الصبر الحسن والعزاء مثل سلام اسم من ذلك وتعزى هو تصبر
وشعاره ان يقول انا لله وانا اليه راجعون كما امر الله تعالى ومعنى قوله لم يتعز الله اى تعزية الله فاقام الاسم مقام
المصدر تقطعت نفسه حسرات على الدنيا لعل المراد بالنفس الروح الانسانى اعنى النفس الناطقة المدبرة
للروح الحيوانى الذى به يتحقق الموت اذا افسد وهى باقية ابدا اما مسرورة بما حصلت من اسباب السعادة او متحسر
بما حصلت من اسباب الشقاوة فلها بذاتها جنة وجحيم جنتها كما لاتها وجحيمها رذايلها من حب الدنيا وما
يتولد منه وباعتبار البدن جنة وجحيم تعود الى احديهما بعد الحشر اذا عرفت فنقول من احب الدنيا ولم يصبر
على ما نابه فيها وترك ما يتوقع منها فهو فى حسرة دايما اما على الاول فظاهر واما على الثانى فلانه اذا لم
يحصل له فهو فى حسرة لفوات محبوبه وان حصل له فهو فى حسرة على فواته واخذه منه قهرا ومن اتبع بصره
ما فى ايدى الناس كثر همه ولم يشف غيظه فيه حث على النظر الى من دونه فانه يوجب الرضا بقسمته ومعرفة
قدر نعمه والشكر له به ومنع من النظر الى من فوقه من اهل الدنيا وما هم فيه من النعماء فان من نظر اليهم زاغ قلبه و

وكثرهم وزاد غمه ولم يشف غيظه بل يوجب زيادة غيظه لكثرة حظهم وقلة حظه ويعينه على تمنى مثل
حالهم وهو لا يعلم حقيقة حالهم كما قال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا
يلقيها الا الصابرون فلما خسف الله به وبداره الارض اصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان
الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون والنفاق
الخسف باهل الاموال والتجبر عن هذه الامة لا يوجب انتفاء عقوبتهم في الاخرة فينبغي للمؤمن ان لا ينظر
الى احوالهم ولا يتمنى مثل احوالهم ومن لم ير ان لله عليه نعمة الا في مطعم او مشرب او ملبس فقد قصر علمه ودنا
عذابه لان نعم الله عليه غير المذكورات التي وجدها او فقدها كثيرة جليلة باطنة وظاهرة فيجب ان ينظر
اليها ويرضى عن ربه ويشكر له وان لا يغفل عنها ولا ينساها فان نسيها فقد كفر وقصر في شكرها الذي من اعظم
اعماله واستحق بذلك نزول العذاب قوله ان الدينار والدرهم اهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكم حبهما
وصرف العمر في تحصيلهما وتحصيل ما يتوقف عليهما من امتعة الدنيا ومشتهياتها ولذاتها وفي حفظ جميع
ذلك من المهلكات العظيمة التي اهلكت كثيرا من السابقين لان صرف قلوبهم وجوارحهم عن التفكر في امر الاخرة
والاعمال النافعة فيها وبعثهم على الاخلاق والاعمال الرذيلة كالظلم والحسد والحقد والعداوة والفخر والكبر
والعجب والبخل ومنع الحقوق الى غير ذلك مما لا يحصى واذا اخذا منهم فقرا بالموت واعطيا غيرهم بقوا
مغمومين اما اولا فللفراق عن محبوبهم واما ثانيا فلمصاحبة رذايل الاخلاق والاعمال التي بمنزلة الحيات
تؤذيهم وتنهشهم ابدا واما ثالثا فلفوات الاخلاق والاعمال النافعة الموجبة للسعادة ابدا وذلك بانهم
استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وفعلهما بكم كفعلهما بهم لان افعالهما متشابهة واثارهما متقاربة وقيل
اول درهم ودينار ضرب اخذه ابليس ووضعه على عينيه وقبله وقال من احبك فهو عبدي قوله مثل الحريص
على الدنيا مثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج حتى يموت غما شبه حال الحريص
بحال الدودة في انه يفعل على نفسه ما يوجب هلاكه من الاغشية والاغطية المانعة من الخروج من سجن
الشقاوة الى جنة السعادة ومناط الجمع بين احوال الدنيا واضرابها عن امر الاخرة فيشغل قلبه بها ويسعى
في تحصيلها حتى يموت غما بفوات الدنيا والاخرة قوله اغنى الغنى من لم يكن للحرص اسيرا الحرص طرف الافراط
في القوة الشهوية الطالبة لشهوات الدنيا واذا وقع الافراط فيها طلبت ما يضر بالدين ولا يليق باهله وهو مع
كونه رذيلة سبب لرذيلة اخرى هي الافراط في القوة الغضبية لان الحريص اذا منع مما اراده تشبث لدفع المانع بالغضب
واذا الغضب افرط واذا افرط صدر منه ما لا يمكن وصفه فهو دائما يولم ويتالم فلا يكون غنيا الا ان الغنى من رفع

باله ولم تتفرق حاله والاسير للحرص عبد له يستعمله في امور تحصيلها الم وهم وفوتها حزن وغم بخلاف
الحر وهو غير الحريص فانه فارغ عن جميع ذلك فهو اغنى من الحريص واتم الغنا ما ينفع ولغير الحريص ما ينفعه
في الدنيا والاخرة بخلاف الحريص فهو اغنى منه قوله لا تشعروا قلوبكم الاشتغال بما قد فات فتشغلوا
اذهانكم عن الاستعداد لما لم يات اشعاريهم دوه ل الذا اخبق وحامه الدروى بوشا يبدل اى لا
تدخلوا الاشتغال بما قد فات من الدنيا في قلوبكم او لا تجعلوه شعار قلوبكم فان اشتغال القلب بالفائت
من امور الدنيا يوجب دوام تفكره فيها وفي تداركها وصرف العمر في تحصيلها وهو يوجب اشتغاله عن
الاستعداد لامر الاخرة وما ينفع فيها الا ان الدنيا ضد الاخرة والاشتغال باحد الضدين يمنع من الاشتغال
بالاخرة قوله عن الزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن الحرث بن شهاب بن
بن زهرة بن الكلاب وهو يدل عن الزهري وفي بعض النسخ عن الزهري عن محمد بن مسلم والظاهر ان لفظة عن
زايدة من قلم الناسخ ويؤيد ان هذا الحديث ذكرمنا وسندا في باب ذم الدنيا والزهد فيها وليس فيه هذه
اللفظة والزهري على تقديره وجودها مشترك بين ستة رجال اكثرها ضعيف وهم ابرهيم بن سعد بن سعد وعثمان
ابرهيم بن عبد الرحمن ومسور بن مخرمة ومحمد بن قيس وعبد الله بن ايوب ومطلب بن زياد والاخير لم
يبق شئ وهو ان في باب الذم محمد بن مسلم بن شهاب وهذا مع كونه غير مذكور في كتاب الرجال على الظني
غير موافق لما في هذا السند ولعله نسبه الى جده السابق والله اعلم ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة
رسول الله صلعم افضل من بغض الدنيا دل على ان المعرفة افضل لانها اصل لجميع الاعمال والاصل افضل من
الفرع ويدخل في معرفة الرسول معرفة الامام واريد ببغض الدنيا تحقيرها او كراهتها والاعراض عن متاعها
وزينتها فان لذلك شعبا كثيرة المعاصي شعبا لظاهر تعليل لكون بغض الدنيا بعد المعرفة افضل الاعمال
لاشتماله على محاسن كثيرة مثل التواضع المقابل للكبر والقنوع المقابل للحرص وقس على هذا وبحكم المقابلة
حب الدنيا اقبح الاعمال لاشتماله على رذايل كثيرة وهي الكبر الى آخر ما ذكر ولذلك قال امير المؤمنين عم
والله لدنياكم اهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم العراق بضم العين جمع عرق بفتح العين وسكون
الراء وهو عظم اكل لحمه تقول عرقت عرقا من باب قتل اذا اكلت ما عليه من اللحم وفي الفائق انه العظم
عليه اللحم وهذا جمع غريب لان فعلا لا يجمع على فعال وقال ابن فارس لم يسمع للعرق جمع فلذلك ان
اكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به اليه ذمهم في طلب غير المحتاج اليه لانه يوجب ضياع العمر فيما لا يعني
ويهيج قوتي الشهوة والغضب وافسادهما في تلك البدن بل في نظام العالم واستيلائهما على العقل وعلى عزله

فى التدبير وتولد رذايل غير محصورة موجبة للشقاوة الابدية والغفلة عن الحق ومايقرب منه مثل العلوم
الكاملة والاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة الموجبة للسعادة الابدية التى هى مشاهدة جلال
الله والقرب واما طلب المحتاج اليه وهو القدر الضرورى من الطعام واللباس والمسكن ونحوها فليس
بمذموم بل ممدوح لانه لايمكن بدونه تكميل النفس بالعلم والعمل حيث حسد اخاه فقتله قيل لما حسد اخاه فى
قبول قربانه وقيل فى حب النساء وقيل فى حب الدنيا لانه يكون له نسل يعرفون اولاده فى رد قربانه فصرت
سبع خصال فاجتمعن كلهن فى حب الدنيا يمكن ان يكون المراد بها الكبر والحرص وحب النساء وحب
الرياسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة وهما شعبة واحدة بقرينة عدم ذكر
الحب فى المعطوف كما ذكر فى السوابق واما الحسد فقد اكتفى عنه بذكر شعبه وانواعه اذ الجنس لم يوجد
الا فى ضمن انواعه والله اعلم والدنيا دنياآن دنيا بلاغ ودنيا ملعونة المراد بالاولى قدر الكفاف وتحصيله
من طريق مشروع ممدوح وبالثانية الزايد عليه وهو الذى ينبغى التحرز عنه ولاوجه لتخصيصه بالحرام
بل ينبغى منع النفس عن كثير من المباح ايضا لان فى تسميتها به وتحريك القوة الشهوية اليه مضرت كثيرة
قوله وجعلها ملعونة اللعن الطرد والابعاد والسب وكان المراد بلعنها لعن اهلها او كراهتها واجراء الكلام
على قانون العرب والعرب تقول لكل شئ ضار ملعون والشجرة الملعونة عندهم هى كل من ذاقها
كرهها ولعنها وكذلك حال الدنيا فان كل من ذاق شهواتها لعنها اذا احس بضررها ملعون ما فيها الا
ما كان فيها لى اى كل ما فى الدنيا من الخلق والعمل كائنا ما كان ملعون الا ما كان لله تعالى وهو المؤمن
ومعرفة الله ومعرفة رسله واوليائه والعلم باحكامه وشرايعه والعمل بطاعته وترك معصيته و
تحصيل الكفاف ورعاية عباده لقصد قربته الى غير ذلك من القربات التى تبقى بعد الدنيا وتنفع فى الاخرة
وينبغى ان يعلم ان ما يقع فى الدنيا من الاعمال اربعة اقسام الاول ما يكون ظاهره وباطنه لله كالطاعات
والخيرات الخالصة الثانى ما يكون ظاهره وباطنه للدنيا كالمعاصى والمباحات ايضا لانها مبدأ البطر
والغفلة الا ما شذ الثالث ما يكون ظاهره لله وباطنه للدنيا كاعمال المرائى وطاعاته الرابع عكس الثالث
كطلب الكفاف لقصد حفظ بقاء البدن والقوة على العبادة وتكميل النفس بالعلم والعمل يا موسى ان عبادى
الصالحين زهدوا فى الدنيا بقدر علمهم لعلمهم بانها سجن المؤمنين ومحل الصالحين وفى حلالها حساب
وفى حرامها عقاب وخيرها مقترن بشرها وحيوتها بموتها وحلوها بمرها وخيرها قليل وشرها
كثير ومتاعها سراب وعامرها خراب فلذا صرفوا قلوبهم عنها وزهدوا فيها ولم يركنوا اليها

وسائر

وسائر الخلق رغبوا اليها بقدر جهلهم فكل ما كان جهله اتم واكثر كانت رغبته فيها اشد واوفر وما
من احد غبطها فقرت عينه فيها كيف يسر ويفرح من غبطها وعلق قلبه بنعيمها وهو يعلم ان اولها
العناء واوسطها البلاء واخرها الفناء وانها تختلس وتسوق بالفناء سكانها وتحدو بالموت جيرانها
ولم يحقرها احد الا انتفع بها لانها توصل اليه ما عندها من حظه المقدر ونصيبه المقرر قوله اما
انهم لم يموتوا الا بسخطه السخط بالتحريك وبالضم والسكون ضد الرضا ولو ماتوا متفرقين لتداعوا
قال الشيخ فى الاربعين الظاهر ان التفاعل هنا بمعنى تفعل كتوانى ويمكن ابقاؤه على الاصل المشاركة
بتكلف فنودى من الجو ان نادهم الجو بالفتح والتشديد ما بين السماء والارض والشرف المكان العالى
والموضع المرتفع فعال ويحكم ويح اسم فعل بمعنى الترحم كما ان ويل كلمة العذاب وبعض اللغويين يستعمل
كلا منهما مكان الاخرى ما كانت اعمالكم قال عبادة الطاغوت اصله طغيوت من الطغيان وهو
تجاوز الحد فى تقدير فعلوت بفتح العين قدمت الياء على خلاف القياس وقيل طغيوت فى تقدير
فلعوت ثم قلبت الياء الفا فصار طاغوت وهو يذكر ويونث ويطلق على الكاهن والشيطان والصنم
وعلى كل رئيس فى الضلالة وعلى كل ما يصد عن عبادة الله تعالى وعلى كل ما عبد من دون الله
وعلى المفرد والجمع قال الشيخ ره لعلك تظن ان ما تضمنه هذا الحديث من ان الطاعة لاهل المعاصى عبادة
لهم جار على ضرب من التجوز لا الحقيقة وليس كذلك بل هو حقيقة فان العبادة ليست الا الخضوع والتذلل و
الطاعة والانقياد ولهذا جعل سبحانه اتباع الهوى والانقياد عبادة للهوى فقال تعالى افرايت من
اتخذ الهه هواه وجعل طاعة الشيطان عبادة له فقال الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان
وذكر بعض الروايات الدالة عليه ثم قال واذا كان اتباع الغير والانقياد اليه عبادة له فاكثر الخلق عند
التحقيق مقيمون على عبادة اهواء نفوسهم الخسيسة الدنية وشهواتهم البهيمية والسبعية على كثرة انواعها
واختلاف اجناسها وهى اصنامهم التى هم عليها عاكفون والانداد التى هم لها من دون الله عابدون وهذا
هو الشرك الخفى نسأل الله سبحانه ان يعصمنا عنه ويطهر نفوسنا منه بمنه وكرمه وحب الدنيا هو
منبع جميع الرذايل من الاعمال والاخلاق وهو نار فى جوهر النفس يحرق جميع الخيرات ويظهر اثرها كما
هو بعد الفراق من الدنيا مع خوف قليل وامل بعيد طول الامل من اشد الخصال المذمومة فانه
يورث القساوة ويعمى البصيرة وينسى الآخرة ويزيد الشوق الى الدنيا والفرح بحصولها وغفلة فى باطل
لهو ولعب عطف على خوف وعطفه على عبادة الطاغوت بعيد واللهو بازى كردن وزن وفرزند

١٩١

وجزى كر ان عمل خير باز دارد وا للعب بفتح اللام وكسر العين بازى كردن وبفتحها بازى ويمكن تخصيص الاول بالطبل والقمار ونحوهما وتخصيص الثانى بغير ذلك والغفلة سببهما وهما سببان لثباتها ورسوخها في جوهر النفس قال الشيخ فى الاما للظرفية المجازية كما فى نحو النجاة فى الصدق او بمعنى مع كما فى قوله تعالى ادخلوا فى امم او للسببية كقوله تعالى فذلك الذى لمتننى فيه قال كحب الصبى لامه اذا اقبلت علينا فرحنا وسررنا واذا ادبرت علينا بكينا وحزنا قال الشيخ الشرطيتان واقعتان موضع الحال اى المفسرة كحب الصبى لامه قال الطاعة لاهل المعاصى سمى الطاعة لهم والانقياد لحكمهم والاتباع لاوامرهم ونهيهم عبادة لانه ظهر له بعد الموت ان طاعة اهل المعاصى عبادة لهم حقيقة قال الشيخ ما ذكره هذا الرجل المكلم لعيسى على نبينا وعليه السلام فى وصف اصحاب تلك القرية وما كانوا عليه من الخوف القليل والامل البعيد والغفلة واللهو واللعب والفرح باقبال الدنيا والحزن بادبارها هو بعينه حالنا وحال اهل زماننا بل اكثرهم حالا من ذلك لخوف القليل ايضا نعوذ بالله من الغفلة وسوء المنقلب قال كيف كانت عاقبة امركم قال بتنا ليلة فى عافية واصبحنا فى الهاوية فقال وما الهاوية فقال سجين قال وما السجين قال جبال من جمر توقد علينا الى يوم القيمة قال الشيخ ما تضمنه هذا الحديث من كون اهل تلك القرية فى جبال من جمر يوقد عليهم الى يوم القيمة صريح فى وقوع العذاب فى مدة البرزخ اعنى ما بين الموت الى البعث وقد انعقد عليه الاجماع ونطقت به الاخبار ودل عليه القران العزيز وقال به اكثر الملل وان وقع الاختلاف فى تفاصيله والذى يجب علينا هو التصديق المجمل بعذاب واقع بعد الموت وقبل الحشر فى الجملة واما كيفياته وتفاصيله فلم نكلف بمعرفتها على التفصيل واكثرها مما لا تصل عقولنا فينبغى ترك البحث والفحص عن تلك التفاصيل وصرف الوقت فيما هو اهم اعنى فيما يصرف ذلك العذاب ويرفعه عنا كيف ما كان وعلى اى نوع حصل وهو المواظبة على الطاعات واجتناب المنهيات لئلا يكون حالنا فى الفحص عن ذلك والاشتغال به عن الفكر فيما يدفعه ويخلصنا منه كحال شخص اخذه السلطان وحبسه ليقطع فى غدية وجدع انفه فترك الفكر فى الحيل المؤدية الى خلاصه وبقى طول ليله متفكرا فى انه هل يقطع بالسكين او بالسيف وهل القاطع زيد او عمرو قيل لنا كذبتم دل على انهم لو ردوا لعادوا كما نطقت به الاية وانى كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل العذاب عمنى معهم قال الشيخ هذا الخبر يشعر بانه ينبغى المهاجرة عن اهل المعاصى وان المقيم معهم شريك لهم فى العذاب ومحترق بنارهم وان لم يشاركهم فى افعالهم واقوالهم فانا معلق بشعرة على شفير جهنم قال الشيخ هذا كناية عن انه مشرف على الوقوع فيها ولا يبعد ان يراد معناه الصريح ايضا والشعر خادم النبى وخادمه لا ادرى اكبكب فيها

ع

١٩٢

على صيغة المبنى للمفعول اى اطرح فيها على وجهى اكل الخبز اليابس بالملح الجريش اى الذى لم يسحق دقة يقول جرشت الشئ اذا لم يسحق دقة فهو جريش قوله ما فتح الله على عبد بابا من امر الدنيا الا فتح الله عليه من الحرص مثله دل على ان لاهل الدنيا لا يشبعون منها بل لو اعطى كل واحد مثل الدنيا مرة طلبها مرتين لان طلبها على قدر الحرص دون الحاجة ومراتب الحرص غير محصورة قوله قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للاخرة وانتم لا ترزقون فيها الا بالعمل قال الشيخ نعم لاهل الدنيا وما من دابة الا على الله رزقها ولاهل الاخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فطلب العمل للدنيا مع انها تنال بدونه وترك العمل للاخرة مع انها لا تنال الا به دل على نقص الايمان وانه بمجرد القول باللسان قال بعض العارفين لرجل كيف طلبك للدنيا قال شديد فقال فهل ادركت ما تريد قال لا فقال فهذه التى تطلبها شديدا لم تدرك منها ما تريد فكيف بالتى لم تطلبها ولكم علماء سوء الاجر تاخذون والعمل تضيعون خاطب علماء الذين بالنداء وذمهم بترك العمل بعلومهم وبوقع الاجر انكارا لذلك وحثهم على العمل بقوله يوشك رب العمل ان يقبل عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه اشارة الى ما يرد عليه بعد الموت من الصور الحسنة والقبيحة من جهة الاعمال فهو اما فى راحة روحانية او فى عقوبة نفسانية الى يوم البعث ثم يرجع الى جنة عالية او فى نار حامية ويوشك ان يخرجوا من ضيق الدنيا الى ظلمة القبر فيجد واما كانوا فيه من خير او شر حاضرا وفيه ترغيب فى ترك الدنيا لقلة مدتها وسرعة زوالها وشدتها وتحريص على العمل لما بعدها والاعمال الصالحة انوار تدفع ظلمات القبر والقيمة كيف يكون من اهل العلم من مسيرة الى آخرته وهو مقبل على دنياه وما يضره احب اليه مما ينفعه ما يضره هو الدنيا واعمالها المطلوب منها متاعها وما ينفعه هو الاخرة واعمالها المستلزمة لرفع درجاتها ومن يراد ان الثانى واقبل الى الاول واحب الدنيا والاستكثار منها ومحبة اهلها الجاه والمال فليس بعالم وانما العالم من عرف الله وعظمته وعزه وقهره وغلبته ودينه وكتابه وسنته وبعثه ذلك على الورع والتقوى والزهد فى الدنيا ودوام الخشية والخشية والعمل لله وهو الذى وصفه الله ثم بقوله انما يخشى الله من عباده العلماء قوله ابعد ما يكون العبد من الله عز وجل اذا لم يهمه الا بطنه وفرجه للبطن والفرج نصيب عقلا وشرعا وهو ما يحتاج اليه فى قوام البدن واكتساب العلم والعمل وبقاء النوع ودفع الشهوة المضرة واما الزائد عليه فمن طغيان القوة الشهوية واعظم المهلكات وجواذب النفس عن سبيل الخيرات الى الشهوات والشبهات وابلغ اسباب البعد من الله تعالى ومن دار القرار واكمل اسباب القرب من الفراعنة والدخول فى النار ولذلك

حذر منه من صرف الهمة الى تحصيل مقاصدها لكثرة مفاسدها ويدخل فى هم البطن البطنه والاكل والشرب من الحرام وصرف الجوارح فى تحصيل مقاصده وفى هم الفرج الزنا وما شابهه والنظر واللمس واستماع الحركات اليه وجميع مقدماته المعينة عليه **قوله** من اصبح وامسى والدنيا اكبر همه جعل الله الفقر بين عينيه فهو فقير فى الاخرة لتقصيره فيما ينفعه فيها وفى الدنيا لانه يطلبها شديدا والغنى من لا يحتاج الى الطلب ولان مطلوبه كثيرا ما يفوت عنه والفقر عبارة عن فوات المطلوب وايضا يجعل عن نفسه وعياله خوفا من فوات الدنيا وهو فقر حاضر وشتت امره فى الاخرة لكونه فاتت المقصود منها وفى الدنيا لتفرق قلبه فى طرق تحصيلها ضبطها و لعدم علمه بما هو المقدر منها ولم ينل من الدنيا الا ما قسم له قال الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا وما جعله الحكيم قسما لكل احد وهو ما ياكله ويحتاج اليه ما دام العمر باقيه قطعا وان لم يبالغ فى تحصيل ورفض الكد فى طلب الدنيا وانما يحصل ويتركه فليس قسما له بل لغيره وهو حمالة الحطب ومن اصبح وامسى والاخرة اكبر همه جعل الغنى فى قلبه فيصرف قلبه الى الله معرضا عما عداه ويعطف فكره الى الجائز غافلا عما سواه ويثق بوصول رزقه معتمدا على وعد مولاه ولا يحتاج فى شئ من اموره الى الانام ولا يطلب قضاء حوايجه من الخواص والعوام والغنا عبارة عن هذه الامور وجمع له امره فى الاخرة لكونه عاملا لها الخروج عنها فصلا عما فيها يعتريه المفتونون بها وبالجملة تفرق القلب فى الدنيا وتزلزله انما هو لطلب الرزق و عدم العلم بموضعه وهو بجانب رفع عنه ذلك التفرق والتزلزل وامر الدنيا بحذريته فيأتيه رزقه من حيث لا يحتسب بل زائد عليه كما قيل اترك الدنيا كلها وخذها كلها فان تركها فى اخذها واخذها فى تركها **قوله** من كثر اشتباكه بالدنيا كان اشد لحسرته عند فراقها اشتباك بهم در رفتن اى اشتبكت النجوم اذا كثرت و انضمت وكل متداخلين مشتبكان ومنه تشبيك الاصابع لدخول بعضها فى بعض وفيه ترغيب فى رفض الدنيا وترك محبتها لئلا يشتد الحزن والحسرة فى مفارقتها فان من احب شيئا يحزن ويحسر من مفارقته وكلما ازداد المحبوب زاد الحزن والحسرة كما اشار اليه ايضا مولانا امير المؤمنين عم بقوله كلما عظم قدر الشئ المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده وذلك لشدة المحبة ومن ثم قيل ومن اكبر المصالح ترك محبوب لا بد من مفارقته تركا باستراح النفس واستغفالها لا يقدحه مفارقته دفعة مع تمكن محبته من جوهرها فيبقى كمن نقل من معشوقه الى موضع ظلمانى شديد الظلمة **قوله** من تعلق قلبه بالدنيا تعلق قلبه بثلث خصال هم لا يغنى وامل لا يدرك ورجاء لا ينال لا يغنى بالعين اى لا ينفع او بالقاف اى لا يزول لبقائه بعد الموت ولعل المراد ان المقدر من الدنيا لكل احد يأتيه والهم بالغ فى طلبه وغير المقدر لا يأتيه وان طلبه فتعلق

القلب

القلب به تعلق بهم لا ينفع او لا يزول وبأمل ورجاء لا يدرك ولا ينال فيا طالب الرزق مجتهدا اقصر عنك فان الرزق مقسوم فلا تحرص على ما لست تدركه ان الحريص على الامال محروم او المراد ان من تعلق قلبه بالدنيا ودخل حبها فيه يهتم بفراقها ويأمل ان يكون هو معها ويرجى ان يكون معه ومن البين ان الدنيا فانية فلا يدرك امله ورجاه ويبقى مع همه لا يفنى ولا يزول والله اعلم **قوله** ما اقبح بالمؤمن ان يكون له رغبة تذله رغبة ارادة واشتياق وهى من الله عزة ومن غيره ذلة فقوله تذله صفة مخصصة والذلة لازمة سواء حصل له المرغوب ام لم يحصل وعدم الحصول اكثر فيكون مع ذلة وذلة وقارة بين الانام فاقد المرام ومبغوضا لرب العالمين فاكتسب خسران الدنيا والاخرة وذلك هو الخسران المبين **قوله** رايت الخير كله قد اجتمع فى قطع الطمع عما فى ايدى الناس طمع امية واشتياق بجيزى وهو يورث الذل والاستخفاف والحسد والحقد والعداوة والغيبة والوقيعة وظهور الفضائح والظلم الكثير والمداهنة والنفاق والرياء والصبر على باطل الخلق والاعانة عليه وعدم التوكل على الله والوثوق به والتضرع اليه والرضا بقسمة والتسليم لامره الى غير ذلك من المفاسد وقطع الطمع يورث اضداد هذه الامور التى كلها خيرات **قوله** قال قلت له الذى يثبت الايمان فى العبد قال الورع والذى يخرجه منه قال الطمع الورع وهو لزوم الاعمال الجميلة المسعدة فى الدنيا والاخرة يقوى نور الايمان ويزيد العقايد ويثبتها فى القلب لما مر مرارا ان بين الظاهر والباطن تناسبا بها تصل اثر كل منهما الى الاخر والطمع يخرجه من الايمان لما عرفت من كثرت مفاسده والمفاسد يبطل الايمان و يضعفه وهو المراد باخراجه منه وفيه دلالة على ان الايمان نفس الاعتقاد **قوله** من قسم له الخرق حجب عنه الايمان الخرق بالتحريك درشتى كردن وهو مصدر خرق من باب علم اذا عمل شيئا فلم يرفق فيه والاسم الخرق بالضم والسكون وقد روى ان الرفق يمن والخرق شوم ومن شومه انه يحجب عن صاحبه الايمان ويوجب فساد امره فى الدين لان الايمان لا يستقر الا فى قلب سليم عنه وعن اقرانه التى يشبك بعضها فى بعض كما لا يخفى على ذوى البصاير الثاقبة ومن شومه انه يوجب تنفر الطبايع عمن اتصف به وفساد امره فى الدنيا ثم الخرق شوم ان لم يقع فى موضعه والا فهو يمن كما يرشد اليه قول امير المؤمنين عم وارفق ما كان الرفق ارفق اى اصلح واعتزم بالشدة حين لا يعنى عنك اى الرفق او الا الشدة وفيه تنبيه على سلوك سبيل الرفق بقدر الامكان **قوله** لو كان الخرق خلقا يرى ما كان شئ مما خلق الله اقبح منه فيه تنفير عن الخلق المتنفر الطبع عن الصورة القبيحة وسرها المتصف به بعد الموت وهى رفيقه ابدا وتفتضح بها عند الابرار **قوله** سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل سوء الخلق وصف للنفس يوجب فسادها وانقباضها وتغيرها

باب الطمع

١٩٣

باب الخرق

باب سوء الخلق

على اهل الخلطة والمعاشرة وايذائهم بسبب ضعيف او بلا سبب ورفض حقوق المعاشرة وعدم احتمال ما لا يوافق طبعه منهم وقيل هو كما يكون مع الخلق يكون مع الخالق ايضا بعدم تحمل ما لا يوافق طبعه من النوائب والاعتراض عليه وبغاسده وافاته في الدنيا والدين كثيرة منها انه يفسد العمل بحيث لا يترتب عليه ثمرته المطلوبة منه كما يفسد الخل العسل وفيه تشبيه معقول بمحسوس للايضاح واذا افسد العمل افسد الايمان ايضا كما صرح به في الخبر الاتي

قوله قال النبي صلى الله عليه وسلم ابى الله عز وجل لصاحب الخلق السيء بالتوبة قيل وكيف ذلك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تاب من ذنب وقع في ذنب اعظم منه الاباء بالتوبة عدم قبول الاباء بوقوعها والاباء بعدم قبولها والسائل سال عن حاله وسببه ان باب التوبة مفتوح للمذنبين والله عز وجل يقبل التوبة من عباده والجواب ان الخلق السيء يمنع صاحبه من التوبة ومن البقاء عليها ولو تاب حتى اذا تاب من ذنب وقع عقيبه بلا مهلة في ذنب اعظم منه لان نقض التوبة ذنب مقرون بذنب آخر وهو اعظم من الاول او لان ذلك الخلق اذا لم يعالج يعظم ويشتد قوته انا فانا والمؤثر وعظمته مستلزمة لقوة الاثر وعظمته فالذنب الآخر اعظم من الاول وانما يحصل تخلصه هذه الذنوب بالتوبة من هذا الخلق ورفعه بمعالجات علمية وعملية كما هو المقرر في علاج جميع الصفات

قوله من ساء خلقه عذب نفسه لان نفسه منه في تعب كالناس ولانهم قد لا يحتملون منه فيؤذونه كما يؤذيهم ولما كان هو الباعث لذلك كان عذب نفسه قوله ان السفه خلق لئيم يستطيل على من دونه ويخضع لمن فوقه السفه قد يقابل الحكمة الحاصلة بالاعتدال في القوة العقلية وهو وصف للنفس على التبذير والاستهزاء والاستخفاف والجزع والتملق والطيران السرور وعند تالم الغير والحركات المنتظمة والاقوال والافعال التي لا تشابه اقوال العقلاء وافعالهم ومنشاؤه الجهل وضعف الراي ونقصان العقل وقد يقابل الحكم الحاصل بالاعتدال في القوة الشهوية وهو وصف للنفس على البطش والضرب والشتم والخشونة والتسلط والغلبة والترفع ومنشاؤه الفساد في تلك القوة وميلها الى طرف الافراط ولا يبعد ان ينشا من فساد القوة الشهوية ايضا وهو خلق لئيم يستطيل يقهر على من دونه ويخضع لمن فوقه طلبا لرضاه وطمعا في ماله وجاهه والاستطالة من فساد القوة العقلية والغضبية والخضوع من فساد القوة العقلية والشهوية والظم جرلئيم بالاضافة اذ رفعه بالوصف يوجب ارتكاب نوع تجوز في وصف الخلق باللئيم والاستطالة قوله لا تسفهوا فان ائمتكم ليسوا بسفها نقل من المبرد وثعلب ان سفه بالكسر متعد وبالضم لازم فان كسرت الفاء هنا كان المفعول محذوفا اي لا تسفهوا انفسكم والخطاب للشيعة كلهم والغرض من التعليل هو الترغيب

في الاسوة

باب السفه

في الاسوة او الغرض انكم ان سفهتم نسب من خالفكم السفه الى ائمتكم كما ينسب الفعل الى المؤدب وائمتكم ليسوا بسفهاء فينبغي ان لا تسفهوا لئلا ينسب ذلك الى ائمتكم قوله وقال ابو عبد الله عليه السلام الظاهر انه رواية اخرى بحذف الاسناد من كافا السفيه بالسفه فقد رضي بما اتى اليه حيث احتذى مثاله حيث للتعليل للرضا بما اتى السفيه اليه والاحتذاء الاقتداء وفيه زجر عن مكافاة السفيه بالسفه وترغيب في تركها كما هو شان الكرام قال الله تعالى في وصفهم واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال الله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما

قوله عن ابي الحسن موسى عليه السلام في رجلين يتسابان فقال البادي منهما اظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يتعد المظلوم مثله ما رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يتعد المظلوم يعني اثم سباب المتسابين على البادي اما اثم ابتدائه فلان السب حرام وفسق لحديث سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر واما اثم سب الراد فلان البادي هو الحامل له على الرد وان كان منتصرا فلا اثم على المنتصر لقوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه الآية لكن الصادر منه هو سب مترتب عليه الاثم الا ان الشرع اسقط عنه المؤاخذة وجعلها على البادي للعلة المتقدمة وانما اسقطها عنه ما لم يتعد اي يتجاوز فانه ان تعدى كان هو البادي في القدر الزائد والتعدي في الرد قد يكون بالتكرار مثل ان يقول البادي يا كلب فيرد عليه مرتين وقد يكون بالافحش كما لو قال له يا سنور فيقول في الرد يا كلب وانما كان هذا تعديا لان الرد بمنزلة القصاص والقصاص انما يكون بالمثل ثم الراد اسقط حقه على البادي حق الله تعالى لقدومه على ذلك ولا يبعد تحمل البادي اثم الراد بما اذا لم يكن الرد كذبا او الاول قذفا فانه اذا كان الرد كذبا مثل ان يقول البادي يا سارق وهو صادق فيقول الراد بل انت صادق وهو كاذب او يكون الاول قذفا مثل ان يقول البادي يا زاني فيقول الراد بل انت الزاني فالظاهر ان اثم الرد على الراد وبالجملة انما يكون الانتصار اذا كان السب مما تعارف السب به عند التاديب كالاحمق والجاهل والظالم وامثالها فامثال هذه اذا رد بها لا اثم على الراد ويعود اثمه على البادي والله اعلم قوله ان ابغض خلق الله عبد اتقى الناس لسانه ذكر هذا الحديث في باب من يتقى شره انسب ولعل ذكره في هذا الباب باعتبار انه مبدا السفه قوله من علامات شرك الشيطان الشرك والشركة مثال السمك والكلمة دام صياد ومثال الكلم والكلمة انباز كردن كسى را در كاري وهما مصدران في الاصل من باب علم اذا صرت له شريكا فيه واقتصر الشيخ في الاربعين على ذكر المصدر وقال هو بمعنى اسم المفعول واسم الفاعل اي مشاركا فيه مع الشيطان او مشاركا فيه الشيطان والفاحش من بالغ في الفحش وبعثه به وهو القول السيء قوله واذا رايتم الرجل لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فانه لغية او شرك شيطان لغية

بكسر الغين المعجمة وتشديد الياء المفتوحة ولد الزنا واللغي كالغني الذي الساقط من الاصبار كذا قال الجوهري
وغيره ولم يذكره الشيخ وانما ذكر احتمالين آخرين فقال يحتمل ان يكون بضم اللام واسكان الغين المعجمة وفتح الياء
المثناة من تحت اى ملغى والظم ان المراد به المخلوق من الزنا ويحتمل ان يكون بالعين المهملة المفتوحة
او الساكنة والنون اى من دابه ان يلعن الناس او يلعنوه وقال في كتاب ادب الكاتب فعلة بضم الفاء واسكان
العين من صفات المفعول وفتح العين من صفات الفاعل يق رجل همزة للذي يهمز به وهمزة لمن يهمز
بالناس وكذلك لعنة ولعنة انتهى كلامه قوله ان الله حرم الجنة على كل فحاش بذي قليل الحياء
البذي بشد الياء وزان القوي من البذاء بالفتح والمد بمعنى الفحش في القول يق فلان بذي اللسان اى
فحاش والمراد بقلة الحياء اما المعنى الظاهري او عدمه كما يقال فلان قليل الخير اى عديمه ولعله صح الاراد
ان الجنة محرمة عليهم زمانا طويلا لا محرمة تحريما مؤبدا او المراد جنة خاصة معدة لغير الفحاش والا
فظاهره مشكل فان العصاة من هذه الامة مآلهم الى الجنة وان طال مكثهم في النار كذا قاله الشيخ ره قيل يا
رسول الله وفي الناس شرك شيطان فقال رسول الله صلعم اما تقرا قول الله عز وجل وشاركهم في الاموال
والاولاد وقال الشيخ قال المفسرون ان مشاركة الشيطان لهم في الاموال حملهم على تحصيلها وجمعها من
الحرام وصرفها فيما لا يجوز وبعثهم على الخروج في انفاقها عن حد الاعتدال اما بالاسراف والتبذير او
البخل والتقتير وامثال ذلك واما المشاركة لهم في الاولاد فحثهم على التوصل اليها بالاسباب المحرمة
مثل الزنا ونحوه او حملهم على تسميتهم اياهم بعبد العزى وعبد اللات او تضليل الاولاد بالحمل على الاديان
الزايغة والافعال القبيحة هذا كلام المفسرين وقد روى الشيخ الجليل ثقة الاسلام ابو جعفر محمد بن الحسن
الطوسي قدس الله سره حديثا يتضمن معنى آخر للمشاركة في الاولاد روي في باب الاستخارة للنكاح من تهذيب
الاحكام عن ابي بصير عن ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلم انه قال اذا تزوج احدكم كيف يصنع
قال قلت له ما ادري جعلت فداك قال فاذا هم بذلك فليصل ركعتين ويحمد الله ويقول اللهم اني اريد ان
اتزوج فاقدر لي من النساء اعفهن فرجا واحفظهن لي في نفسها وفي مالي واوسعهن رزقا واعظمهن بركة
واقدر لي منها ولدا طيبا تجعله خلفا صالحا في حيوتي وبعد موتي فاذا دخلت عليه فليضع يده على
ناصيتها ويقول اللهم على كتابك تزوجتها وفي امانتك اخذتها وبكلماتك استحللت فرجها فان قضيت
في رحمها شيئا فاجعله مسلما سويا ولا تجعله شرك الشيطان قلت وكيف يكون شرك شيطان فقال لي
ان الرجل اذا دنا من المراة وجلس مجلسه حضره الشيطان فان هو ذكر اسم الله تنحى الشيطان عنه وان فعل

ولم

ولم يسم ادخل الشيطان ذكره فكان العمل منهما جميعا والنطفة واحدة قلت فبأي شيء يعرف هذا قال بحبنا
وبغضنا وهذا الحديث يعضد ما قاله المتكلمون من ان الشيطان اجسام شفافة تقدر على الولوج في
بواطن الحيوانات ويمكنها التشكل باي شكل شاءت ويضعف ما قال بعض الفلاسفة من انها النفوس
الارضية المدبرة للعناصر او النفوس الناطقة الشريرة التي فارقت ابدانها وحصل لها نوع تعلق والفة
بالنفوس الشريرة المتعلقة بالابدان فتمدها وتعينها على الشر والفساد انتهى كلامه اعلى الله مقامه
قوله وسال رجل فقيها اهل في الناس من لا يبالي ما قيل له يريد انه لا يوجد ذلك فان طبع الانسان مجبول
على ان يبالي ما قيل له ويتكرهه فاجاب الفقيه بان من شتم مثلا رجلا يقدر على شتمه وهو يعلم انه لو
يترك فهو من لا يبالي ما قيل له وان كان يتكرهه في الواقع قوله فيما يمشي معه في الحذائين الحذاء مثل
كتاب النعل والحذاء بالتشديد صانعها والحذائين جمع الحذاء فقال اما علمت ان لكل امة نكاحا تح
آه دل على امور الاول ان مثل ذلك القول المستند الى الجهل لا يغدر لا يقال انه لم يغدر لعلمه بان
لكل امة نكاحا وعقدا كما يرشد اليه الاستفهام للتقرير والتوبيخ في قوله عم اما علمت ان لكل امة نكاحا
لانا نقول علمه بذلك لا يخرجه عن الجهل لانه توهم ان النكاح المبيح للوطي هو النكاح الشرعي المستند
الى نبي من الانبياء وان نكاح المشرك لا يبيح الثاني انه لا يجوز ان يقال ذلك لاحد من افراد الانسان الا مع
القطع بانه متولد من الزنا لاحتمال ان يكون تولده من نكاح بل لا يجوز ذلك القول مع القطع ايضا الثالث
انه لا يجوز مصاحبة الفاسق وان كان قريبا او صديقا لوجوب البغض لله وانما فارقه الى آخر العمر لانه
كان فاسقا في مدة عمره اذ هذا الذنب لكونه من حق الادمي لا يرتفع الا بالحد بعد طلبها او العفو وشيء منهما
لم يكن مقدورا قوله ان الفحش لو كان مثالا لكان مثال سوء اي لو كان متشخصا متمثلا في هذه النشاة واما في
النشاة الاخرى فالظم انه مثال قبيح يرى ويتاذى به صاحبه والفرق ان هذه النشاة دار التكليف ودار الكمون
والنشاة الآخرة دار الجزاء ودار البروز فيظهر فيها صور الاخلاق والاعمال ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا
قوله فقال يا رب ابعيد انا منك فلا تسمعني ام قريب انت مني فلا تجيبني الظم ان مراده بالبعد البعد المعنوي
دون المكاني لانه تجويز ذلك كفر فكان اولى بالحرج واللوم واثبات البعد الى نفسه والقرب اليه عز وجل
للتنبيه على ان البعد اذا تحقق كان من جانب العبد والقرب ان كان تحقق كان من فضله عز وجل لان العبد
وان بلغ في اخلاص العبودية لا يصلح ان يعد نفسه قريبا منه وقوله فلا تجيبني معناه فلا تحسبني بسبب من
الاسباب والجواب ظاهر الانطباق على الشق الثاني مع امكان انطباقه على الاول ايضا قال فاتاه آت في

منامه فقال انك تدعوا الله عز وجل منذ ثلث سنين بلسان بذى وقلب عات غير تقى ونيه غير خالصة
البذى الفاحش وعات اسم فاعل من عتى عتوا اذا استكبر وجاوز الحد والتقوى التنزه عن رذايل الاعمال
والاخلاق وعما يشغل القلب عن الحق والنية الصادقة توجه القلب الى الله تعالى وحده وانبعاث النفس نحو
الطاعة غير ملحوظ فيه سوى وجه الله ويفهم منه ان الفسق يمنع الاجابة ولا ينافيه ما روى ان الفاسق اسرع
اجابة لكراهة استماع صوته لان سرعة اجابة دعائه ليست كلية على ان سرعة الاجابة يمكن ان يكون لمن كان
مبغوضا بذاته واما من كان محبوبا بذاته ومبغوضا بفعله فربما تعلق الاجابة نظرا الى الاول وربما امتنع
نظرا الى الثانى وقد يكون البطوء نظرا الى الثانى لا لكراهة استماع صوته بل لغرض آخر كتنبيهه بالفاسق كما فى
هذا الرجل والله اعلم قوله ان من شرار عباد الله من تكره مجالسته لفحشه هو الذى عرف بالفحش من القول و
اشتهر به لما يجرى من لسانه من انواع البذاء ويتكرر منه فيكره الناس مجالسته خوفا من فحشه لعدم
منه ومثله من لزم مجالسته لفحشه ومن لزم اكرامه لاتقاء شره قوله البذاء من الجفاء من اما تبعيضية
ابتدائية اى البذاء ناش من الجفاء والجفاء فى الاصل البعد ثم اطلق على الغلظة والفظاظة والاعراض عن
الحق وطرده قوله ان الفحش والبذاء والسلاطة من النفاق السلاطة دراز زبان شدن وهى مصدر سلط
بالضم يقال امراة سليطة اى صخابة ورجل سليط حديد اللسان شديد الكلام وهذه الصفات متقاربة وانما
كانت من النفاق لان النفاق مرض قلبى يغريه على المؤمنين ويبعثه على ايذائهم وايضا اصحاب هذه الصفات
يتلونون الوانا ويتغيرون فى اقوالهم وافعالهم من حال الى حال بحسب اغراضهم الفاسدة ويتشعب اقوالهم وافعالهم
بحسب تشعب اغراضهم ويوذون المؤمنين كالمنافق اذ المنافق لا يلزم خلقا واحدا بل تارة يكون صادقا
وتارة يكون كاذبا وتارة يكون وفيا وتارة يكون غادرا ومع الظالمين ظالم ومع العادلين عادل قوله ان الله
يبغض الفاحش البذى والسايل الملحف الملحف السائل فى المسئلة الحافا اذا الح فيها ولزمها وكرر السؤال من الخلق بدلا
عن السؤال من الرب فيبغضه الله تعالى لدناءة همه ونقصان عقيدته حتى اعرض عن الغنى الكريم وسال الفقير
اللئيم وانشد بعضهم شعر الله يغضب ان تركت سؤاله شعر وبنو آدم حين يسال يغضب شعر وترى فى عرف الناس ان
عبد الانسان اذا سال غير مولاه يمقته مولاه لجرأته اليه على سؤال غيره ولهذا المعنى او لغيره ورد فى المسئلة
وتحريمها وكراهتها ما ورد من الاخبار الدالة على ذم السائل ولو مرة واحدة فكيف بالسائل اذا كان ملحفا فى السؤال
مبرما فى الطلب جاعلا له حرفة فانه اشد مقتا واعظم بغضا لقوة حرصه وعماه عن ربه حتى اشتغل
عن مسئلة كريم يحب الملحين فى الدعاء والحف بسؤال لئيم يكلح وجهه عند السؤال ويبخل بالبذل والعطاء

وفيه

وفيه ذل لنفسه وعار لمولاه قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعايشة يا عايشة ان الفحش لو كان ممثلا لكان
مثال سوء روى المصنف فى باب التسليم على اهل الملل باسناده عن زرارة عن ابى جعفر عليه السلام قال
دخل يهودى على رسول الله صلى الله عليه وآله وعايشة عنده فقال السام عليكم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليكم ثم دخل آخر فقال مثل ذلك فرد عليه كما رد على صاحبه ثم دخل آخر فقال مثل ذلك فرد
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رد على صاحبيه فغضبت عايشة فقالت عليكم السام والغضب واللعنة يا معشر اليهود
يا اخوة القردة والخنازير فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة ان الفحش لو كان ممثلا لكان مثال سوء ان
الرفق لم يوضع على شىء قط الا زانه ولم يرفع عنه قط الا شانه قالت يا رسول الله اما سمعت الى قوله
عليكم فقال بلى اما سمعت ما رددت عليهم قلت عليكم فاذا سلم عليكم مسلم فقولوا سلام عليكم فاذا سلم
عليكم كافر فقولوا عليك اقول فيه دلالة على كمال خلقه صلى الله عليه وسلم وامره بترك الجفاء فى الكلام بالنسبة
الى الناس وبالتثبت والرفق وعدم الاستعجال باللعن والطعن وغيرهما وقد كان صلى الله عليه وسلم يتالف الكفار
بالاموال الطايلة فكيف بالكلام الحسن قوله اياك ان تكون فحاشا او صخابا او لعانا الصخب محركة الصياح و
الصوت فقال ان كان خالك لقد اربيت عليه اى ان كان جمال خالك لقد اربيت اى زدت عليه والارباء
افزون شدن وافزون كردن قوله بينا هو ذات يوم بين ظهرانيهم لا يبين معناه الا باضافته الى شيئين
والقه للاشباع وعامله الفعل الواقع بعده اذ المفاجاة وذات الشىء نفسه اى ساعات رجل بين ساعات
يوم من الايام هو عند عايشة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس اخو العشيرة اى هو والمراد بالعشيرة القبيلة و
تقول اخو العشيرة ويعنى قومه ونظير هذا الحديث رواه مخالفونا عن عروة بن الزبير قال حدثتنى عايشة
ان رجلا استاذن على النبى صلى الله عليه وسلم ائذنوا له فلبئس ابن العشيرة فلما دخل عليه الان له القول قالت عايشة فقلت
يا رسول الله قلت له الذى قلت ثم النت له القول قال يا عايشة ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيمة
من ودعه الناس او تركه اتقاء فحشه قال عياض قوله لبئس ذم له فى الغيبة والرجل هو عيينة بن حصين
الفزارى ولم يكن اسلم حينئذ ففيه انه لا غيبة فى فاسق ومبتدع وان كان قد اسلم فيكون عليه السلام اراد ان
يبين حاله وفى ذلك الذم يعنى لبئس علم من اعلام النبوة فانه ارتد وجىء به الى ابى بكر وله مع عمر خبر وفيه
ايضا ان المداراة مع الفسقة والكفرة مباحة وتستحب فى بعض الاحوال بخلاف المداهنة المحرمة والفرق
بينهما ان المداراة بذل الدنيا لصلاح الدين والدنيا والمداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا والنبى صلى الله عليه وسلم بذل له
من دنياه حسن العشرة وطلاقة الوجه ولم يرد انه مدحه حتى يكون خلاف قوله لعايشة ولا من ذى الوجهين

النخب محركة شدة الصوت
ق

١٩٦ باب من يتقى شره

وهو منزه عن ذلك وحديثه هذا اصل في جواز المداراة وغيبة اهل الفسق والبدع وقال القرطبي قبل السلم هو
قبل الفتح وقيل بعده ولكن الحديث دل على انه شر الناس منزلة عند الله صلعم ولا يكون كذلك حتى يختم له بالكفر و
الله سبحانه اعلم بما ختم له وكان من المؤلفة وجفاة الاعراب وقال النخعي دخل على النبي صلعم بغير اذن فقال له
النبي صلعم واين الاذن فقال ما استاذنت على احد من مضر فقالت عايشة من هذا يا رسول الله قال هذا
احمق مطاع وهو على ما ترى سيد قومه وخرج مع عمر وهو انه كان له ابن اخ يجالس عمر فقال لابن اخيه الا
تدخلني على هذا فقال ما استاذنت على احد اخاف ان تكلم بما لا ينبغي فقال لا افعل فادخله فقال يا
ابن الخطاب ما تقسم بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر غضبا شديدا حتى هم ان يوقع به فقال ابن اخيه ان
تعالى يقول خذ العفو وهذا من الجاهلين فخلا عنه ومعنى اتقاء فحشه لاجل اتقاء قبح كلامه لانه من جهال
العرب وسفهائها وشياطينها وكان يسمى الاحمق المطاع وقال الابي هذا منه صلعم تعليم لغيره لانه ارفع من ان
يتقي فحش كلامه قوله قال رسول الله صلعم ان اعجل الشر عقوبة البغي بغى في مشيته اختال وبغى على الناس
ظلم واعتدى وعدل عن الحق واستطال وكذب وافترى وهو باغ والجمع بغاة وبغى سعى في الفساد ومنه
الفرقة الباغية لانها عدلت عن القصد وبغت المراة تبغي بغاء بالكسر والمد فجرت وزنت فهي بغي والجمع بغايا
وهو وصف مختص بالمراة فلا يقال للرجل بغي قال الازهري وقال بعضهم البغي طلب تجاوز الاقتصاد وهو على
ضربين محمود وهو تجاوز العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع ومذموم وهو تجاوز الحق الى الباطل او
تجاوزه الى الشبه كما ورد الحق بين والباطل بين وبين ذلك امور مشتبهات ومن رتع حول الحمى اوشك ان يقع
فيه والثاني هو المعروف عند الاطلاق بين ارباب الاحاديث ومما يدل على تعجيل عقوبته ما روي عن ابي
عبد الله عم قال ما من ذنب اجدر ان يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الاخرة من البغي
وقطيعة الرحم ان الباطل كان زهوقا وما روي عن امير المومنين عم من سل سيف البغي قتل به وسر ذلك ان
الناس لا يتركونه بل يبالغون بمثل ما ناله منهم او باشد وتلك عقوبة حاضرة جلبها الى نفسه من وجوه منكرة
قوله يقول ابليس نحوه العوا بينهم الحسد والبغي فانهما يعدلان عند الله الشرك في الاخراج من الدين و العقوبة
والتاثير في فساد نظام الخلق قال الله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا والحسد حمل اكثر المشركين على انكار
الحق والرسول وترك التوحيد قوله وان عناق بنت ادم الظاهر انها كانت على الحقيقة ويمكن ان يكون اطلاقه عليها
من باب الاستعارة تشبيها لها بعناق الارض وهي دابة خبيثة نحو الكلب تصيد الوحوش والحيوانات ولا
تاكل الا اللحم فاول قتيل قتله الله عناق قتلها لبغيها على المومنين وفيه وعيد للباغي بتعجيل عقوبته وكان

مجيها

باب البغي

مجيها لحربيا في جريب في المعزب الجريب بالفتح ستون ذراعا في ستين قال قدامة الاشل اذا ضرب في مثله
فهو الجريب والاشل طول ستين ذراعا والذراع ست قبضات والقبضة اربع اصابع قال وعشر هذا
الجريب يسمى قفيزا وعشر هذا القفيز عشير كمخالب المخلب كمنبر حديدة يحصد بها الزرع وظفر مثل البغل
النسر طاير معروف له قوة في الصيد ويقال لا مخلب له وانما له ظفر كظفر الدجاجة وقد قتل الله الجبابرة
اي الذي جبروا خلق الله على ما ارادت نفوسهم الخبيثة من الاوامر والنواهي وبغوا عليهم ولم يرفقوا بهم
وقتلهم وهم على احسن الاحوال والشوكة والقدرة لفسادهم وبغيهم على عباد الله في القران والاخبار مذكور
وفي السير والاثار مسطور وفيه زجر لمن يدعي القوة والاقتدار عن البغي لان الله تعالى اشد قوة منه منتصر
منه لعباده وهو القوي العزيز قوله عجبا للمتكبر الفخور الذي كان بالامس نطفة ثم هو غدا جيفة وفي
الخبر الاتي عن ابي جعفر عم عجبا للمختال الفخور وانما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو فيما بين ذلك لا
يدري ما يصنع به وقال امير المومنين عم ما لابن ادم والفخر اوله نطفة واخره جيفة لا يرزق نفسه ولا
يدفع حتفه وفي طريق العامة عن رسول الله صلعم قال قال الله تعالى خلقكم من التراب ومصيركم الى التراب خلقتكم
فلا تتكبروا على عبادي في حسب ولا مال فتكونوا على اهون من الذر وانما تجزون يوم القيمة باعمالكم لا
باحسابكم وان المتكبرين في الدنيا اجعلهم يوم القيمة مثل الذر يطاهم الناس ومعنى الجميع ان في الانسان
كثيرا من صفات النقصان فلا يليق بشخص ان يفتخر على غيره من الاخوان وفيه اشعار بان وقع هذا المرض
المهلك واقع تحت اختيار العبد وعلاجه مركب من اجزاء علميه وعمليه اما العلميه فبان يعرف الله وتوحده
في ذاته وصفاته وافعاله وان يعلم ان كل موجود سواه مقهور مغلوب عاجز لا وجود له الا بفيض جوده
ورحمته وان الانسان مخلوق من اكثف الاشياء واخسها وهو التراب ثم النطفة النجسة القذرة ثم العلقة
ثم المضغة ثم العظام ثم الجنين الذي غذاه دم الحيض ثم يصير في القبر جيفة منتنة يهرب منه اقرب الناس
اليه وهو فيما بين ذلك ينقلب من طور الى طور ومن حال الى حال من مرض الى صحة ومن صحة الى مرض الى
غير ذلك من الاحوال المتبادلة وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا وان
يعلم انه يبقى في البرزخ وحيدا فريدا منقطعا لا يدري ما يفعل به وانه يقوم من مرقده عند قيام الساعة
بين يدي العليم الخبير الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة فينبئه بما عمل من صغير وكبير وانه لا يدري ما ال
امره هناك هل هو الى الجنة او الى النار وان يعلم ان استكمال كل شيء سواء طبيعيا او اراديا لا يتحقق الا
بالانكسار والضعف فان العناصر ما لم تنكسر سورة كيفياتها الصرفة لم تقبل صورة كاملة حيوانية او انسانية

١٩٧

باب الفخر والكبر

والبذر ما لم يقع في التراب ولم يقرب من العفن والفساد لم يقبل صورة نباتية ولم يخرج منه سنبلة ذات
حبات وثمرة وماء الظهر ما لم يصر منيا منتنا لا يقبل صورة انسانية قابلة للخلافة الربانية فمن حصل له
هذه العلوم والمعارف وامثالها وصارت ملكة له امكنه التحرز من التكبر والفخر واما العملية فهي المداومة
على التواضع لكل عالم وجاهل وصغير وكبير والمواظبة على الانكسار والعجز والاقتداء بطريقة المتواضعين
من الانبياء والمرسلين والاهتداء بسنة الائمة الطاهرين وغيرهم من الاخيار الصالحين فان من تتبع
سيرتهم وحسن معاشرتهم مع الخلايق وجد انهم كانوا متواضعين والمواظبة على الانكسار والعجز و
الاقتداء بطريقتهم في جميع الاحوال ثم الذي يبعث المتكبر على التكبر امور الاول النسب فان كان افتخاره به
باعتبار ان اباه كان حاكما فليعلم ان كل حاكم غير معصوم فهو طاغوت كما ورد به الخبر وكل طاغوت من اهل
النار فوجب البراءة منه فكيف يفتخر به وان كان باعتبار انه كان ذا مال فليعلم ان المال ليس من الكمالات
التي يقع بها الافتخار بل ورد ذمه في كثير من الاخبار وعلى تقدير ان يكون كمالا كان ذلك الكمال لابيه
والعاقل لا يفتخر بكمال غيره وان كان باعتبار انه كان خيرا او فاضلا عالما فليعلم ان ذلك الكمال كان لابيه
وهو برئ منه ويتوجه اليه ما قيل پسر کو ندارد نشان از پدر تو بیگانه خوانش مخوانش پسر على انه لو
حضر ابوه وقال له الشرف الذي تدعيه وتفتخر به كان لي فما لك من شرف تفتخر به فهو يعجز عن الجواب و
يسود وجهه ويحق ان يق له ان افتخرت بآباء مضوا سلفا فلقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا ثم لما كان
نظره الى الاصل كان اصله القريب اولى بالنظر اليه وهو النطفة القذرة النجسة المنتنة وقد اشار سبحانه
الى اصل الانسان ونسبه بقوله ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن كان هذا اصله ونسبه لا
يليق به التكبر والافتخار الثاني الحسن والجمال وهو صفاء ظاهر البدن بالتناسب في الصور والاشكال
فان افتخر به فليعلم انه قد يزول بادنى الامراض والاسقام وما هو في عرضة الزوال ليس بكمال يفتخر به و
لينظر ايضا الى الاصل ما خلق منه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة والى ما يصير اليه في القبر من جيفة منتنة
والى ما في بطنه من الخبائث المكدرة للطبع مثل الاقذار التي في جميع اعضائه والرجيع الذي في امعائه
والبول الذي في مثانته والمخاط الذي في انفه والوسخ الذي في اذنيه والدم الذي في عروقه والصديد الذي
تحت بشرته الى غير ذلك من المقابح والفضايح فاذا عرف هذا لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن الثالث
القوة والشجاعة فمن افتخر بها فليعلم ان الذي خلقه هو اشد منه قوة وان الاسد والفيل اقوى منه وان
ادنى العلل والامراض يجعله اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وان البعوضة لو دخلت في انفه اهلكته

ولم

ولم يقدر على دفعها فاذا عرف هذه الامور حق المعرفة علم انه لا يليق به الافتخار بالقوة الرابع الغنى والثروة
الخامس كثرة الاتباع والانصار والعشيرة وقرب السلاطين والاقتدار من جهتهم والكبر والفخر بهذين
السببين اقبح لانه بامر خارج من ذات الانسان وصفاته فمن تكبر وافتخر فليعلم انه لو تلف ماله او غصب
او نهب او تغير عليه السلطان وعزله لبقي ذليلا عاجزا وان الفرقة اليهودية والفرنكية واضرابهم اكثر منه
اموالا واوجاها فاذا علم هذا علم ان التكبر بهما في غاية الجهل وقد حكي ان من رؤساء اليونان افتخر على عبد
حكيم فقال العبد سبب افتخارك علي ان كانت هذه الاثواب الفاخرة التي لبستها فالحسن والزينة فيها لا
فيك وان كان هذا الفرس الذي انت عليه فالفراهة والكمال فيه لا فيك وان كان فضل آبائك فالفضل
ان كان كان فيهم لا فيك فلو اخذ كل ذي فضل فضله بقيت لا شئ وبلا فضل فبأي شئ تفتخر علي
السادس العلم وهذا السبب اعظم الاسباب واقواها فانه كمال نفساني له قدر عظيم عند الله تعالى وعند الخلق
وصاحبه معظم عند جميع المخلوقات كما دل عليه صريح الروايات ولهذا قيل اذا زل العالم ذل بذله العالم
فاذا تكبر العالم او افتخر فليعلم ان خطر اهل العلم اكثر من خطر اهل الجهل وان الله تعالى يحتمل من الجاهل ما لا
من العالم وان العصيان مع العلم افحش من العصيان مع الجهل وان عذاب العالم اشد من عذاب الجاهل
وانه تعالى شبه العالم الغير العامل تارة بالحمار وتارة بالكلب وان الجاهل اقرب الى السلامة من العالم
لكثرة آفاته وان الشياطين اكثرهم على العالم وان سوء العاقبة وحسنها امر لا يعلمه الا الله سبحانه فلعل
الجاهل يكون احسن عاقبة من العالم وان العالم ينبغي ان يكون مستغرقا في شهود الحق لا يلاحظ غيره وفضله
عن ان يتكبر ويفتخر عليه وان الكبرياء رداء الله ومختص به وان المتكبر ممقوت عند الله تعالى ومعذب في الآخرة
كما قال تعالى اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وان الكلب والخنزير احسن حالا من اهل جهنم فاذا علم هذه الامور
بعين اليقين وتأمل فيها تأملا صادقا انيقا ونظر اليها نظرا دقيقا امكنه التخلص من رذيلة الافتخار والنجاة
من معصية الاستكبار السابع العبادة والورع والزهادة وهي ايضا فتنة عظيمة وعلاجها صعب لكن
من كان ذا نفس لطيف وطبع شريف وذهنه ذكي وعقله نقي امكنه ان يعالجها بحسن التدبير ولطف التصور
بان يتصور انه لا ينبغي له الفخر والتكبر على من تقدمه في العلم لما فيه من فضيلة العلم الذي قال الله تعالى
في تعظيمه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يبلغ جميع
العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العالم ولا على من تأخر عنه في العلم اذ لعل قليل عمله يكون مقبولا و
كثير عمله يكون مردودا ولا على الجاهل والفاسق اذ قد يكون لهما خصلة خفية وصفة قلبية موجبة

لمحبة الرب ورحمته ولو فرض خلوها عن جميع ذلك بالفعل فلعل الاحوال الغافية تنعكس وقد وقع
امثال ذلك كثيرا ولو فرض عدم ذلك فليتصور ان تكبره في نفسه شرك فيحبط عمله فيصير هو في الآخرة
مثلهم بل اقبح منهم والله هو المستعان وانما بسطنا الكلام لان في احاديث هذا الباب اشارة اجمالية
الى ما ذكرنا ليظهر لمن تامل فيها تاملا دقيقا قوله آفة الحسب الافتخار والعجب الحسب بفتحتين مصدر حسب وزان
شرف شرفا وكرم كرما ومعناه بالفارسية شهردك وكثيرا ما يطلق على ما يعد الرجل من مآثر آبائه ومفاخرهم
ومناقبهم مثل الشجاعة والجود والشرف والمجد والحماية ونحوها وقيل الحسب والكرم يكونان في الرجل وان
لم يكن له آبائهم شرف والشرف والمجد لا يكونان الا بالآباء ويشهد له قول الشاعر ومن كان ذا نسب
كريم ولم يكن له حسب كان اللئيم المذمما ولعل المراد ان الحسب يستتبع آفة الافتخار ويوجبها لان آفة
الافتخار بالحسب تضييعه وان كان محتملا قوله وان في الحسب الضخم من قومي في المصباح ضخم الشيء بالضم ضخما
مثال عنب وضخامة عظم فهو ضخم والجمع ضخام مثل سهم وسهام افتخر الرجل الحسب الاجمال وهو من صفات
الكرام ولم يجعل ان الله سبحانه جعل النسب سببا للتعارف والتواصل وان اشتهر بعض الانساب دون بعض
لا تقتضي كرامة المشهور عند الله تعالى وان كمال الرجل بحسب الايمان والتقوى كما قال الله عز وجل ان اكرمكم
عند الله اتقاكم وان العبد الحبشي المتقي افضل واكرم من الحر القرشي العز المتقي قوله قال النبي رسول الله صلعم رجل
فقال ان فلان بن فلان حتى عد تسعة فقال له رسول الله صلعم اما انك عاشرهم في النار تكبر هذا الرجل
وتفاخر بسمو النسب وعلو الحسب فرد عليه النبي صلعم بانه وآبائه كلهم في النار وكان ذلك باعتبار ان آبائه كانوا
ايضا موصوفين بوصف التكبر او باعتبار ان كلهم كانوا كفارا وباعتبار ان هذا الرجل كان متكبرا وآباؤه
كانوا كفارا وهو الاظهر قوله فيما ناجى الله به موسى عم يا موسى لا تطول في الدنيا املك فيقسو قلبك والقاسي
القلب مني بعيد طول الامل والرجاء في امور الدنيا سيما ما يستبعد حصوله وصرف الفكر فيها يوجب قساوة
القلب اي غلظته وصلابته حتى يصير كالحجر ويورث موته وكدورته حتى يصير كالمرآة المظلمة فلا يستقر
فيه بعد ذلك روح التفكر فيما ينبغي ان يعتقد او يفعل او يترك ثم يزداد هذا المرض بوسوسة الخبيث فيتبع الهوى
ويشتغل عن العمل وذكر الله تعالى ويضل عن سبيل الحق كما قال من ركب مطية الامال سلك اودية الضلال ومن
اطال الامل اساء العمل فلذلك كان قاسي القلب بعيدا من الله ولعل هذا كان تعليما للامة والا فكليم الله
كان ارفع من ان يتدنس قلبه بطول الامل قوله لو خلق الله العبد في اصل الخلقة كافرا آه كافرا حال عن العبد ولا
يلزم ان يكون كفره مخلوقا لله تعالى نعم يلزم اتصافه بالكفر حين خلقه وهو كذلك كما دلت عليه الروايات المتكثرة

وهذا

باب القسوة

١٩٩

وهذا موافق لما هو المشهور من ان السعيد سعيد في بطن امه والشقي شقي في بطن امه فمن كان شقيا
في العلم الازلي يكون شقيا في العالم الظلي وهو عالم الارواح وفي عالم الارحام حين تعلقها بالابدان
وهكذا في كل موطن الى يوم الفصل وهو في هذا الموطن اعني موطن الغربة والمصيبة ودار التكليف والبلية
وان صدرت منه الخيرات في الجملة لم يمت حتى يحل بينه وبين الشر يميل اليه ويحبه ويعانقه ويعود
خاتمته اليه وان كان سعيدا كان الامر بالعكس فيرجع كل الى ما سبق له في العلم الازلي لوجوب
المطابقة بين العلم والمعلوم وقل حياؤه اريد بظاهره او ذهابه بالكلية وكشف الله ستره اي رفع
ستره الحاجز عن مشاهدة اعماله القبيحة فيراه المقربون على احسن احواله او ستره الحاجز بينه وبين القبائح
وهو الحياء فيكون تفسيرا لما قبله ثم ركب المحارم فلم ينزع منها ثم ركب معاصي الله وابغض طاعته لعل
المراد بالمحارم الصغائر وبالمعاصي الكبائر لان الصغائر قنطرة الكبائر او المراد بها الذنوب مطلقا وبالمعاصي ذنوب
جبها واستحلالها بقرينة قوله وابغض طاعته لان بغض الطاعة يستلزم حب المعصية او المراد بها
بالنسبة الى الخالق فاسئلوا الله العافية واطلبوها منه في بعض النسخ العافية بالقاف وفيه تنبيه على ان
النفس الامارة بالسوء لا تنزجر عن امثال هذه الحركات الشنيعة الا بعصمة الله تعالى والاستعاذة منه قوله
قال قال امير المؤمنين عم لمتان لمة من الشيطان ولمة من الملك اي للناس لمتان واللمة بفتح اللام وشد
الميم للمرة من الالمام في القلب والمراد ان لكل من الشيطان والملك الماما بالقلب وقربا منه والقاء اليه
فلمة الملك الرقة والفهم لمة الملك القاء الخير والتصديق بالحق الى القلب وثمرته رقة القلب وصفاؤه
وانعطافه الى الخير وفهم الحقائق والاذعان بالحق فمن وجد ذلك في نفسه فليحمد الله لتزداد ولمة
الشيطان الشهوة والقسوة لمة الشيطان القاء الشر والتكذيب بالحق الى القلب وتزيين الباطل وثمرته
السهو عن الحق والغفلة عن ذكر الله وقساوة القلب وغلظته بحيث ينأى عن استماع النصائح وقبول
لمة الملك ومن وجد في قلبه ذلك فليتعوذ بالله من الشيطان فان الاستعاذة تدفعه ان شاء الله قوله
الظلم ثلثة الظلم وضع الشيء في غير موضعه وفي المثل من استرعى الذئب فقد ظلم فالمشرك ظالم لانه جعل
غير الله تعالى شريكا له ووضع العبادة في غير محلها والعاصي ظالم لانه وضع المعصية موضع الطاعة فاما الظلم
الذي لا يغفر فظلم الله فالشرك كما قال عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ولعل الشرك بالعبادة داخل
فيه وان كان دون الشرك بانكار التوحيد قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا واما الظلم الذي يغفر فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله بفعل المعصية

باب الظلم

وترك الطاعة وهذا يغفر له بالتوبة قطعا على شرائطها وبدونها لمن يشاء واما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة
بين العباد كما ذكر المداينة على سبيل التمثيل لان الظاهر ان حقوق الخلق كلها كذلك قوله في قول الله
عز وجل ان ربك لبالمرصاد في المصباح الرصد الطريق والجمع الارصاد مثل اسباب وسبب ورصدته رصدا
من باب قتل قعدت له على الطريق والفاعل راصد والرصدي نسبة الى الرصد وهو الذي يقعد على
الطريق ينتظر الناس ليأخذ شيئا من اموالهم ظلما وعدوانا وقعد فلان بالمرصاد وزان جعفر وبالمرصاد
بالكسر وبالمرصد ايضا اي بطريق الارتقاب والانتظار ان ربك لبالمرصاد اي مراقبك فلا يخفى عليه
شيء من افعالك ولا تفوته قوله قنطرة على الصراط القنطرة ما يبنى على الماء للعبور عليه فنعكة والجسر اعم
لانه يكون بناء وغير بناء لا يجوزها عبد بمظلمة هي بفتح الميم وكسر اللام اسم لما يطلب عند الظالم كالظلامة
بالضم قوله عن شيخ من النخع بفتحتين قبيلة من اليمن من مذحج قوله ما من مظلمة اشد من مظلمة لا يجد صاحبها
عونا الا الله قال امير المؤمنين عليه السلام ظلم الضعيف افحش الظلم وقال ايضا يوم المظلوم على الظالم اشد من يوم الظالم
على المظلوم وقال ايضا من ظلم عباد الله كان الله خصمه اي في الدنيا والآخرة ويوم الظالم الدنيا فقط وهي
ينقطع ويوم المظلوم الدنيا والآخرة والمنتقم هو الله تعالى والله عزيز ذو انتقام وروى عن النبي صلى الله عليه وآله قال
قال الله عز وجل اشتد غضبي على من ظلم احدا لا يجد ناصرا غيري وروى ايضا عنه صلى الله عليه وآله ان العبد اذا ظلم فلم ينتصر
ولم يكن له من ينصره ورفع طرفه الى السماء فدعا الله تعالى قال جل جلاله لبيك عبدي انصرك عاجلا وآجلا
اشتد غضبي على من ظلم احدا لا يجد ناصرا غيري وقد حكي ان ظالما ظلم على ضعيف اعواما فقال المظلوم للظالم
يوما ان ظلمك علي قد طاب باربعة اشياء ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والديان يحكم بيننا
قوله من خاف القصاص كف عن ظلم الناس لان من خاف القصاص وهو قتل القاتل وجرح الجارح وقطع
القاطع وبالجملة المعاملة بالمثل تحرز من ظلم الناس الموجب للقصاص وهذا بحسب الحقيقة تحذير عن الظلم
للتحرز من المعاملة بمثله قوله من اصبح لا ينوي ظلم احد غفر الله له ما اذنب ذلك اليوم ما لم يسفك دما
او يأكل مال يتيم دل على ان من دخل في الصبح عازما لظلم احد وما لم يسفك دما حراما او لم يأكل مال يتيم
غفر له ذنوب ذلك اليوم كائنا ما كان وعلى ان من انتفى عنه هذه الامور بان نوى او سفك او اكل لم يغفر له
فكان الامور المذكورة كفارة لذنوب يومه ويفهم من ظاهر الخبر ان ذنوبه تغفر مطلقا سواء كانت من حقوق الله
تعالى ام من حقوق الناس مثل الضرب والشتم والغيبة ونحوها وهذا ينافي رواية النخعي المذكورة وغيرها
من الروايات الدالة على المؤاخذة بحقوق الناس ويمكن ان تخصيص الذنوب هنا بالذنوب التي بينه وبين الله تعالى

جمعا بين الروايات واما تخصيص عموم الروايات بهذا الخبر والقول بان الله تعالى لا يؤاخذ العبد بظلم الناس
بعدما اصبح عازما لظلمهم وان يرضي المظلوم بوجه آخر فبعيد قوله من اصبح لا يهم بظلم احد غفر الله
له ما اجترم اي ما اكتسب من الجرم والاثم في ذلك اليوم بقرينة السابق او مطلقا على احتمال وفيما بينه و
بين الله عز وجل او فيما بينه وبين الخلق ايضا على احتمال بعيد وعدم قصد ظلم احد اولا لا ينافي قصد ظلمه
ثانيا قوله من ظلم مظلمة اخذ بها في نفسه او في ماله او في ولده نظيره ما سيأتي من رواية [illegible] الشحام عن ابي عبد
الله عليه السلام وفيه تنبيه للظالم المغرور بعدم المؤاخذة بالفعل بانها لا محالة تكون ولو في ولده الذي هو بمنزلة
نفسه ويحكم المقابلة خير صلاح الاب قد يصل الى ولده وقد ذكرناه شرحا وبيانا قوله تعالى حكاية ان
ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ولا ينافي الاول قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى لخروجه بهذا
النص وغيره من عموم الآية كخروج مؤاخذة العاقلة في الخطاء والاب هو الذي ادخل على نفسه وولده هذه
الخصلة للسراية الى الاعقاب وهو الذي ظلمهم ايضا وما الله بظلام للعبيد قوله اتقوا الظلم فانه ظلمات يوم
القيامة ظلمات جمع ظلمة وهي خلاف النور وحملها على الظلم باعتبار كثرته معنى او للمبالغة وفيه تحذير من
الظلم على النفس وعلى الغير والمراد بالظلمة اما الحقيقة لما قيل من ان الصفات النفسانية التي هي ثمرات الاعمال
الموجبة للسعادة والشقاوة انوار وظلمات مصاحبة للنفس وهي تنكشف لها في القيامة التي هي محل بروز الاسرار
وظهور الخفيات فتحيط بالظالم على قدر مراتب ظلمه ظلمات متراكمة حتى يكون المؤمنون في نور يسعى
بين ايديهم وبايمانهم او المراد بها الشدائد والاهوال كما قيل في قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
قوله ان الله عز وجل يقول وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا
قولا سديدا لعله امر للاوصياء بالخشية والعدل في اموال اليتامى وعدم ظلمهم فيها خوفا من ان يرجع
ظلمهم الى اولادهم وامر لهم بالقول السديد للايتام بان يكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب
ويدعوهم يا بني ويا ولدي ولا يقولوا ما يؤذيهم وللمفسرين فيه اقوال قوله ان الله عز وجل اوحى الى
نبي من انبيائه في مملكة جبار من الجبابرة ان ائت هذا الجبار فقل له اني لم استعملك على سفك الدماء يجب على
الحاكم امران احدهما ان يلاحظ نفسه مع مالك الملوك ويعلم ان المالك لا غيره وان كل من سواه عبد له
متقلد بربقة العبودية لئلا يغتر فضلا عما له من نعم الله تعالى عليه من الامارة وغيرها ولا يطول ويتجبر
بل يزيده ذلك قربا وعبادة وتواضعا وثانيهما ان ينظر الى من دونه ويعلم انهم ودائع الله عز وجل في ارضه
وذرية ابيه آدم عليه السلام وقد سلطه عليهم لاغاثتهم واعانتهم وحفظ صورتهم وستر عوراتهم ليزداد عليهم شفقة

ورافة سواء كانوا مؤمنين ام كافرين معاهدين وانت تعلم ان كل واحد من الامرين امر صعب الا في
الامر حفظه الله تعم بلطفه وعنايته ولذلك ورد روايات كثيرة على ذم الرياسة فاني ان ادع ظلامة منهم
بالضم اسم لما تطلب عند الظالم كالمظلمة بفتح الميم وكسر اللام **قوله** اكل جذوة من النار يوم القيمة الجذوة
الجمرة الملتهبة وتضم الجيم وتفتح وتجمع جذى مثل مدى وقرى وتكسر الجيم فتكسر في الجمع ايضا مثل جزية وجزى
قوله العامل بالظلم اه اى العامل بالظلم على نفسه او على غيره والمعين له على الظلم او مطلقا على احتمال العموم
بعض الروايات والراضي به مظلوم كان او غيره شركاء في الاثم واذا كان الميل الى القليل الى من وجد منه ظلم
ماحرما موجبا للدخول في النار لقوله تعم ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فكيف حال الظالم و
حال من اعانه وحال من رضى به قال في الكشاف النهى متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم
ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزى بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم
بما فيه تعظيم لهم وذكر الفقيه في باب جمل من مناهي النبي صم انه قال من مدح سلطانا جائرا او تخفف وتضعضع
له طمعا فيه كان قرينه في النار وقال عليه السلم من ولى جائرا على جوره كان قرين هامان في جهنم وان شئت زيادة
المعرفة باحوالهم فارجع الى ما ذكره المفسرون والله هو المستعان **قوله** ان العبد ليكون مظلوما فما يزال يدعو
حتى يكون ظالما كان المراد من يدعو لظالم يكون ظالما لانه رضى بظلمه قيل قال رسول الله صم من دعا لظالم
بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه **قوله** من عذر ظالما بظلمه سلط الله عليه من يظلمه عذره فيما صنع
عذرا من باب ضرب رفعت عنه اللوم فهو معذور اى غير ملوم والاسم العذر وضمها لذال للاتباع وتسكن والجمع
اعذار والمعذرة بمعنى العذر واعذرته بالالف لغة وان دعا لم يستجب له اه اى ان دعا الله تعم ان يدفع عنه ظلم
من يظلمه او مطلقا لم يستجب له لانه بسبب عذره ضارا ظالما خرج من استحقاق الاستجابة ودخل في زمرة الظلمة
ولم ياجره الله تعم على ظلامته لانها وقعت مجازاة **قوله** اما انه ما ظفر احد بخير من ظفر بالظلم اما ان المظلوم
ياخذ من دين الظالم اكثر مما ياخذ الظالم من مال المظلوم الخبر مضاف الى من وفيه تنبيه على ان المظلومية و
افضل الخيرات وبين ذلك بان المظلوم ياخذ يوم القيمة من حسنات الظالم عوضا مما اخذ الظالم من ماله
ما ياخذه المظلوم اكثر منفعة واعظم مقدارا لان منفعته وهي الفوز بالسعادة الاخروية الابدية بخلاف ذلك
المال فان نفعه قليل في زمان يسير وفيه تحذير للظالم من سوء عاقبة الظلم وتسلية للمظلوم بان الظالم يسعى في
مضرة نفسه ونفع المظلوم كما اشار اليه ايضا امير المؤمنين عم بقوله لا يكبرن اى لا يعظمن عليك ظلم من ظلمك
فانه يسعى في مضرته ونفعك **قوله** وليس يحصد احد من المر حلوا ولا من الحلو مرا هذا تمثيل والمقصود ان عامل

باب اتباع الهوى

الشر لا يجد خيرا وثوابا وعامل الخير لا يجد شرا وعقابا وفيه تقبيح للشر وتبعيد عنه وتحسين الخير وترغيب
فيه **قوله** احذروا اهواءكم كما تحذرون اعداءكم هويه من باب علم اذا احببته وعلقت به قلبك ثم اطلق على
ميل النفس وانحرافها نحو الشيء ثم استعمل في ميل مذموم فيقال اتبع هواه وهو من اهل الاهواء والهوى
وهو ميل النفس الى مشتهياتها والوغول فيها وصرف الفكر في تحصيلها يوجب الغفلة عن ذكر الله تعم
والاعراض عن امر الاخرة وموت القلب وفساد الدين والبعد من الله والعاقل يحذر منه كما يحذر من
الاعداء لقصد الفرار من الضرر بل ضرره اعظم واعظم والحذر منه اولى واهم كما اشار اليه بقوله فليس
شيء اعدى للرجال من اتباع اهوائهم لان ضرر العدو على فرض تحققه راجع الى الدنيا الفانية وضرر
الهوى مع تيقنه راجع الى الاخرة الباقية والفرق بينهما كالفرق بين الدنيا والاخرة وقد رغب الله عز وجل
في ترك الهوى ورتب عليه دخول الجنة فقال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي المأوى وحث امير المؤمنين عليه السلم عليه بقوله الهوى شريك العمى يريد ان الهوى مثل العمى ملقي القلب
صاحبه في جب الهوى فهو شريك له في الاهلاك وفي تركه مراتب كثيرة لا يقدر عليها الا العالم الماهر
العارف بمكايد النفس او التابع له اذ النفس مكارة قد تلبس الباطل بلباس الحق فيظن الجاهل انه حق ثم اشار
الى ان صرف اللسان فيما لا يعنى وما قيل في الناس والقطع به عليهم مشارك للهوى في الاضرار والافساد بقوله
وحصايد السنتهم حصد الزرع حصدا من باب ضرب وقتل وهو محصود وحصيد وحصد محركة
والحصيدة موضع الحصاد والحصايد جمع حصيد والمراد بها ما تقتطعونه من الكلام الذي لا خير فيه
تشبيها له بما يحصد من الزرع وتشبيها للسان بحد المنجل يحصد به وهذا الخطاب اعظم وقعا في القلوب و
اتم منعا للسان من التسرع في الكلام فليتق الله عبد عند ارادة نطقه وليتامل في خيره وشره **قوله** قال رسول
الله صم يقول الله عز وجل وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني اقسم عز وجل
تاكيدا لتحقيق مضمون الخطاب المبين وتثبيتا لمفهومه في قلوب السامعين اولا بعزته وهي القوة والغلبة
وخلاف الذلة وعدم المثل والنظير وثانيا بجلاله وهو التنزه من النقايص والعظمة في القدرة التي تصغر
لديها قدرة كل ذي قدرة وثالثا بعظمته وهي تنصرف الى عظمة الشان والقدر التي تذل عنده شان كل
شان ورابعا بكبريائه وهي العظمة التي تتعالى من وقوف الافهام عليها وبلوغ الاوهام اليها وخامسا بنوره
وهو هدايته التي بها يهتدى اهل السموات والارضين اليه والى مصالحهم ومراشدهم كما يهتدى بالنور
وسادسها بعلوه وهو كونه فوق الممكنات بالعلية والايجاد اى تعاليه عن الاتصاف بصفات المخلوقين

كما يقول لمن لا يعتد به من خرق الجاهلين وشابعا بارتفاع مكانه وهو ارتفاع مرتبته من ان يناله وصف الواصفين
او يبلغه نعت الناعتين لا يوثر عبد هواه على هواى ان كان هو العبد فى الفعل كان هواه تعمق فى الترك وبالعكس
وقد يكون متعلقهما معلين الا شتت عليه امره اى فرقت عليه حاله كما تشاهد من اهل الاهواء ان احوالهم
متفرقة وقلوبهم متشتته وهم فى سبيل الضلالة يهيمون وفى طرق الغواية يتيهون ولبست عليه دنياه اى
خلطتها واشكلتها عليه حتى يكون مضطربا فى المعيشة متحيرا فى طريقها تقول لبست الامر لبسا من باب ضرب
اذا خلطته وفى التنزيل ولبسنا عليهم ما يلبسون والتشديد مبالغة فى الامر لبس بالضم ولبسة اى
اشكال والتبس الامر اشكل وشغلت قلبه بها يهود ايما فى ذكرها وفكر لطرق تحصيلها فلم يفرغ لذكر
الآخرة ولذلك قال الله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ولم اوت منها الا ما قدرت له كما
تشهد عليه التجربة فلك تجد الخلائق كلهم الا من عصمه الله من اهل الاهواء مشغولين بالدنيا ولا
تجد وفيها كما يطلبونها لا يوثر عبد هواى على هواه الا استحفظته ملائكتى اى طلبت منهم ان يحفظوه
من الضياع والفساد والانحراف عن طريق السداد وكفلت السموات والارضين رزقه اى جعلتها متحمله
لرزقه فيأتيه رزقه بوعد العليم القادر الكريم بلا تعب من حيث لا يحتسب فلا بد لك ايها الاخ فى الله اذا
ورد عليك امران فى احدهما رضاك وفى الاخر رضاه تعم ان تختار ما فيه رضاه فان فعلت ذلك فالله
كفيلك وولى امورك فى الدنيا والآخرة نعم من كان لله كان الله له وكنت له من وراء تجارة كل تاجر كل
احد فى الدنيا تاجر يطلب نفعا فى تجارته والله عز وجل هو النفع والمقصد لهذا العبد من وراء تجارته
واتته الدنيا وهى راغمة اى اتته على كره منه اواتته وهى ذليلة عنده من رغم انفه من باب قتل وعلم
اذا ذل كانه لصق بالرغام وهو بالفتح التراب قوله قال امير المومنين عليه السلم انما اخاف عليكم اثنين اتباع
الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فانه يصد عن الحق واما طول الامل فينسى الآخرة لان اتباع الهوى
وهو ميل النفس الى الشهوات الدنيه وانحرافها عن حدود الشريعة النبوية اشد جاذب للانسان عن
قصد الحق وملاحظة آثاره واقوى صاد له عن سلوك سبيله ومشاهدة مناره وطول الامل وهو
صرف عنان الهمة الى البقاء وزمام العزيمة الى النعماء وعطف القلب الى زخارف الدنيا وتفكر زهراتها و
تكميل اسبابها وتصور مقتنياتها ودوام اشتغاله بكيفيه تحصيلها وكيفية العمل بها بعد حصولها يستلزم
نسيان الآخرة ومثوباتها والغفلة عن ذكر الله وذكر الموت وما بعده من اهوال القيمة ومقاماتها
ووجه الحصر الخوف فيهما انهما اعظم المهلكات حتى كانه لا مهلك سواهما وذلك لان الانسان اما تارك

طريق

٢٠٢ طريق الخير او سالك طريق الشر او واقف بين الطريقين والاول يسمى بالرشد والهداية والثانى يسمى بالهوى
والغواية ومن البين ان الخوف من الثانى اعظم من الخوف من الثالث وقس عليه حال طول الامل وانما اسناد
الخوف منهما الى نفسه القدسية لانه لما كان هو المتولى لاصلاح حال الخلق والراعى لهم فى امور معاشهم
ومعادهم والاولى بهم من انفسهم كان الاهتمام بصلاحهم منوطا بهمته العالية فلا جرم نسب الخوف الى
نفسه قوله انى المرتقى السهل اذا كان منحدرة وعرا المرقى والمرتقى موضع الرقى والصعود من رقيت السلم و
السطح والجبل علوته والمنحدر والحدور وزان رسول المكان الذى ينحدر منه اى ينزل من الانحدار وهو
النزول تقول حدرت الشئ حدرا من باب قعد فانحدر اى انزلته فنزل والوعر الصعب وزنا ومعنى
وهذا الكلام البليغ تمثيل لمتابعة النفس فى اهوائها والترقى من بعض الى بعض وان كانت صغائر وسهوله
ذلك عليها وصعوبة عاقبتها والخروج من عهدتها واولها وآخرها بالآخرة الى الهلاك بعد سهولة الحل
ويسهل عليه الصعود ثم يصعب عليه النزول بل قد يهلك والغرض ايضاح سوء العاقبة قوله لا تدع النفس
وهواها فان هواها فى رداها وترك النفس وما تهوى اذاها وكف النفس عما تهوى دواها النفس ما يلزم
الى هواها وهى منافع حاضرة ولذات ظاهرة تقتضيها القوتان الشهوية والغضبية مثل الشره والحرص
وحب المال والجاه والرياسة والغلبة والنهب والفخر والكبر وغير ذلك من الاخلاق الذميمة والاعمال
القبيحة وهى وان كانت لذات بحسب الظاهر لكنها احيانا موذية وامراض ردية مهلكة بحسب الباطن وبحسب ما اعتبر
للنفس مما هو المقصود منها وهو اتصافها بالصفات الملكية والاخلاق الروحانيه والاعمال الحسنة البدنية
وسيرها الى الحضرة الربوبية ومشاهدتها جمال الاسرار الالهيه ودواء تلك الامراض كف النفس عنها
بالمعالجة المقررة عند اطباء النفوس بان يدفع كل صفة من الصفات الذميمة وكل عمل من الاعمال القبيحة
بتحصيل ضدها ولا يمكن ذلك الا بالعلم المحيط بالمضار والمنافع والصبر على الشدائد وكسر القوتين المذكورتين
واعطاء كل واحد منهما ما هو المحبوب لها عقلا وشرعا فاذا تحققت هذه المعالجة صحت هاتان القوتان و
صحت بصحتهما سائر القوى والاعضاء واشتغل كل شئ بما هو المقصود منه وتمت امارة النفس فى هذا البدن
ووصلت الى سعادتها الابدية وهى التقرب الى الحضرة الربوبية قوله لولا ان المكر والخديعة فى النار لكنت امكر
الناس اى اهل المكر واهل الخديعة على حذف المضاف او اريد بهما الماكر والخادع مجازا او كونهما فى النار
كناية عن كون المتصف بهما فيه والمكر والخديعة متحدان تقول مكر مكرا من باب قتل اذا خدع فهو
ماكر ومكار للمبالغة وامكر بالالف لغة وقد ينسب المكر الى الله تعالى ويراد به المجازاة وهى جزاء المكر

باب المكر والغدر والخديعة

كما يسمى جزاء السيئة سيئة مجازا على سبيل مقابلة اللفظ باللفظ وخدعته خدعا فانخدع والخدع بالكسر
اسم منه والخديعة مثله والفاعل خدوع مثل رسول وخداع وخادع والخدعة بالضم ما يخدع به الانسان
مثل اللعبة لما يلعب به ويمكن الفرق بينهما حيث اجتمعا بان يراد بالمكر احتيال النفس واستعمال الراى فيما
يراد فعله مما لا ينبغى وارادة اظهار غيره وصرف الفكر فى كيفيته ترويجه وبالخديعة ابراز ذلك فى الوجود واجراوه
على من يريد وكونه عم امكر الناس على تقدير جواز المكر وعدم العقوبة به ظاهر لان مناط المكر على استعمال
الفكر فى درك الحيل ومعرفة طرق المكروهات ومعرفة كيفية ايصالها الى الغير على وجه لا يشعر به وهو
عم كان اعلم الناس بجميع الامور **قوله** قال رسول الله صلى الله عليه وآله يجى كل غادر يوم القيمة بامام مايل شدقه حتى
يدخل النار الغدر نقض العهد والبيعة وايقاد نار الحرب وارادة ايصال السوء الى الغير بالحيلة بسبب خفى
وفعله من باب ضرب وقوله بامام متعلق بغادر والشدق بكسر الشين وفتحها جانب الفم ولما كان الغادر
ما ليتشبث بسبب خفى لاخفاء غدره ذكر عم انه يعاقب بضد ها فعل وهو تشهيره بهذه البلية التى
هى على رؤس الاشهاد ليعرفوه بقبح عمله وينبغى ان يعلم ان الغدر قد يلتبس بالكيس عند الجهلة كما اشار اليه
امير المومنين عم بقوله وقد اصبحنا فى زمان اتخذ اكثر اهله الغدر كيسا ونسبهم الى الجهل الى حسن الحيلة قال
بعض الافاضل فى تفسير كلامه وذلك لجهل الفريقين بثمرة الغدر وعدم تميزهم بينه وبين الكيس فانه
لما كان الغدر هو التفطن بوجه الحيلة وايقاعها على المغدور به وكان الكيس هو التفطن بوجه الحيلة و
المصالح فيما ينبغى كانت بينهما مشاركة فى التفطن بالحيلة واستخراجها بالاراء الا ان تفطن الغادر بالحيلة
التى غير موافقة للقوانين الشرعية والمصالح الدينيه والكيس هو التفطن بالحيلة الموافقة لهما ولدقة الفرق
بينهما يلتبس الغادر غدره بالكيس وينسبه الجاهلون الى حسن الحيلة كما نسب ذلك الى معوية وعمرو بن العاص
والمغيرة بن شعبه واضرابهم ولم يعلموا ان حيلة الغادر يخرجه الى رذيلة الفجور وانه لا حسن لحيلة جرت الى
رذيلة بخلاف حيلة الكيس ومصلحته فانه يجر الى العدل **قوله** لكل واحد منهما سالك على حدة وحد
يحد حدة من باب وعد انفرد بنفسه وكل شىء على حدة اى متميز عن غيره ولا يامروا بالغدر عطف على
يغدر واو لا لتاكيد النفى اى لا ينبغى للمسلمين ان يامروا بالغدر لان الغدر عدوان وظلم والامر بهما غير جائز
وان كان المغدور به كافرا او لا يقاتلوا مع الذين غدروا اى لا ينبغى لهم ان يقاتلوا مع المحاربين الذين
غدروا بالمحاربين ونقضوا عهدهم وصلحهم ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم سوا كان المشركون
من اهل هاتين الفرقتين او غيرهم وفيه دلالة على جواز قتالهم فى حال الغيبة ولا يجوز عليهم ما عاهد

عليه الكفار فى بعض النسخ ما عهد معنى لا يجوز لا يفيد ولا ينفع بقول جاز العقد وغيره اذا نفذ ومضى
على الصحة يعنى عهد المشركين وصلحهم معهم على غزو فريقهم غير نافذ ولا ينفع فلهم ان يقاتلوهم حيث
وجدوهم والله اعلم **قوله** ولولا كراهية الغدر كنت من ادهى الناس الدهاء بالمد شدة الارب هنا طلب
الدنيا بالحيلة واستعمال الراى فى غير المشروع مما يوجب الوصول الى المطالب الدنيوية وتحصيلها والقدرة عليها
على هذا التخويف داهيا وداهية للمبالغة وهو مستلزم للغدر بمعنى نقض العهد وترك الوفاء والوصول اليها
بهذا الطريق واشار عم بهذا الكلام الى نفى الدهاء عن نفسه المقدسة بنفى لازمه الذى هو الغدر لان نفى اللازم
يستلزم نفى الملزوم ثم اشار الى ان الغدر مستلزم للفجور بقوله الا ان لكل غدرة فجرة لان الوفاء لما
كان فضيلة تحت العفة كان الغدر الذى هو ضده رذيلة تحت ما يقابل العفة وهو الفجور والظاهران اللام
فى لكل مفتوحه للمبالغة فى التاكيد وغدرة بالتحريك جمع غادر ثم اشار الى ان الفجور مستلزم للكفر ولكل
فجرة كفرة وهو ظاهر مع استحلال الفجور كما فى معوية وعمرو بن العاص واضرابهما من روساء الغادرين الفاجرين
حيث انكروا ما هو ضرورى دين نبيهم صلى الله عليه وآله وغدروا بامام الزمان حتى فعلوا ما فعلوا واما مع عدم الاستحلال
فالظاهر ان المراد بالكفر كفر نعم الله تعالى وشرعها وكفر مخالفته باظهار معصيته والحمل على الاعم محتمل ومنع ان
ان كل غدرة كفرة ثم اشار بقوله وان الغدر والفجور والخيانة فى النار الى سوء عاقبة اهلها تحذيرا لعباد الله
عز وجل منها وتبعيدا لهم عنها والخيانة مصدر خانه اذا تركه وغلبه ما ائتمن عليه من حقوق الحق والخلق
وضدها الامانة كما هو وهى تدخل فى افعال القلب والجوارح كلها **قوله** قال ابو جعفر عم لا تكذب علينا كذبة فتسلب

باب الكذب

الحنيفية الكذب هو الاخبار عن الشىء بخلاف ما هو سواء فيه العمد والخطاء اذ لا واسطة بينه وبين الصدق
والظاهران الاثم تبع الكذب العمدى والكذب عليهم يشمل افتراء الحديث عليهم وصرف حديثهم الى غير مرادهم والجزم به ونسبة
فعل لا ينبغى اليهم ونفى الولاية عنهم ونحو ذلك منه ان الكذب عليهم يوجب سلب الحنيفيه اى الملة المستقيمة و
السنة النبوية ويورث زوال الايمان والخروج من الدين ولعل السر فيه ان استقرار الدين والايمان فى القلب موقوف
على استقامة اللسان فمتى لم يستقم اللسان فى نطقه ونسب الى روساء الدين ما لا يليق بهم علم ان القلب سقيم
ولم يستقم فى مراقبه الدين واهله ولا تطلبن ان يكون راسا فتكون ذنبا مدخول الفاء مسرع على الطلب و
لعل الذنب كناية عن الذل والهوان عند الله تعالى وعند الصالحين من عباده لكثرة مفاسد الرياسة الموجبة
لفساد الدين ولا تستاكل الناس بنا فتفتقر لعل المراد هو النهى عن اكل اموال الناس بسبب العلوم المستفادة
منهم عليهم السلم وجعلها ذريعة الى تحصيل الدنيا كما هو شان قضاة الجور وذلك يوجب الافتقار فى الاخرة

فانك موقوف لامحالة ومسؤل تعليل للنواهي المذكورة وحث على الامتثال فان تذكر الوقوف بين يدي الله تعالى
والسؤال عن الافعال الصادرة من اللسان وغيره محرك الى ترك امثال هذه المناهي فان صدقت صدقناك
اى فان صدقت بحفظ اللسان بل الجوارح كلها عما لا ينبغي لما ذكره بعض الاعلام من ان الصدق يتحقق ايضا
في الجوارح باستعمالها فيما خلقت له صدقناك فتكون مع الصادقين الذين امر الله عز وجل بالكون معهم
وان كذبت كذبناك ونسبناك الى الكذب ونقول انك كاذب فتكون من الخاسرين في يوم ينفع الصادقين
صدقهم وذلك لانهم عليهم السلم شهداء يشهدون للناس وعليهم يوم القيمة كما نطقت به الاية الكريمة
قوله قال كان علي بن الحسين عليهما السلم يقول لولده اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد و
هزل جد في الامر يجد جدا من بابي ضرب وقتل اجتهد فيه والاسم الجد بالكسر ومنه يقال فلان محسن
جدا اى نهاية ومبالغة وجد في الكلام جدا من باب ضرب هزل والاسم منه الجد بالكسر ايضا والاول هو
المراد هنا لان التاسيس خير من التاكيد وهزل في كلامه هزلا من باب ضرب مزح ولعب والفاعل
هازل وهزال مبالغة والظاهر ان كل واحد من الجد والهزل متعلق بالصغير والكبير وتخصيص الاول
بالكبير والثاني بالصغير بعيد والحاصل انه كما لا يجوز الكذب جدا مطلقا كذلك لا يجوز هزلا وهو
اللعب والمزاح وما يوجب الضحك من الكلام كما قال امير المومنين عم واياك ان تذكر من الكلام ما
مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك وقال رسول الله صم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك ويل له ويل له
وروى انه صم يمزح ولا يقول الا حقا ولا يوذي قلبا ولا يفرط فيه فالمزاح على حد الاعتدال مع عدم
الكذب والاذى لا حرج فيه بل هو من خصال الايمان والكذب في الصغير ينبغي ان لا يتساهل فيه
فانه مع كونه قبيحا في نفسه كثيرا ما يؤدي الى ما هو اقبح منه كما اشار اليه عم بقوله فان الرجل اذا كذب في
الصغير اجترى على الكبير اى على الكبير من الكذب ولعله الكذب على الله وعلى رسوله او مطلقا او على
الكبير من الذنوب فان الكذب كثيرا ما يؤدي الى ذنوب غيره كما ان ضده وهو الصدق يؤدي الى البر
والخير والعمل الصالح اما علمتم ان رسول الله صم قال ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقا و
ما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذابا صديق بالكسر والتثقيل كثير الصدق والملازم له والذي
يطابق قوله فعله ويفهم منه ان الصدق يودي الى العمل الصالح والكذاب خلافه وفيه ترغيب في تحري
الصدق دايما وترك التساهل في الكذب حتى يعرف به فانه اذا تساهل في الكذب كثر منه وجر بعضه
الى بعض حتى يعتاد به فيكتبه الله الاول لمبالغة في الصدق قصدا وفعلا ويدخله في زمرة الصديقين ويكتب الثاني

كذابا

كذابا ويدخله في جملة الكاذبين ولعل معنى يكتب على ظاهره فانه يكتب في اللوح المحفوظ او في دفتر الاعمال
او في غيرهما ان فلانا صديق وفلانا كذاب ليعرفهما الناظرون اليه بهذين الوصفين او معناه يحكم لهما
بذلك او يوجب لهما استحقاق الوصف بصفة الصديقين وثوابهم وصفة الكذابين وعقابهم او
معناه انه يلقي ذلك في قلوب المخلوقين ويشهره بين المقربين والا فالقضاء سبق بما كان وما يكون
والله اعلم قوله والكذب شر من الشراب يفيد ان الكذب شر مبدا لجميع الشرور مثل خراب الدين
والدنيا وثوران الفتنة وصب الدماء ونهب الاموال وتهيج العداوة والبغضاء والتفرق بين الاحبة الى
غير ذلك من انواع المفاسد واخفاء الظلم ولذلك اتفق ارباب الملل وغيرهم على تحريمه وادعى المعتزلة
العلم بالضرورة لذاته وهو رذيلة مقابلة للصدق داخلة تحت رذيلة الفجور والصدق تحت حكم
المقابل خير مبدا لجميع الخيرات ومن طريق العامة عن النبي صم قال ان الكذب فجور وان الفجور يهدي
الى النار وان الصدق بر وان البر يهدي الى الجنة والفجور اسم جامع للشر كله والبر اسم جامع للخير
كله واما كونه شرا من الشراب فلعل الوجه فيه ان الشرور التابعة للشراب تصدر بلا شعور بخلاف
الشرور التابعة للكذب قوله ان الكذب هو خراب الايمان الحمل للمبالغة في السببية لان الكذب
يخرب ايمان الكاذب ويذهب بصالح دينه ويورث النفاق ويمنع ان ينتقش في النفس صورة الحق و
الصدق ويسد باب الخير وكل ذلك سبب لزوال الايمان او نقصانه قوله الكذب على الله وعلى
رسوله من الكباير من الكذب على الله عز وجل انكاره وتشبيهه بالخلق ووصفه بصفة المخلوقين واعتقاد
الشريك وزيادة الصفات ونسبة الجهل اليه وتفسير كلامه بالراى الناقص ونسبة عدم النص بالامام
اليه وعلى رسوله انكار رسالته ووضع الحديث عليه وتفسير متشابها كلامه والقطع به ويدخل فيه
الكذب على امير المومنين واولاده الطاهرين عليهم السلم وقد وقع جميع ذلك قوله ان اول من يكذب الكذاب
فكل كذب عليه اربعة شهود اعظمهم هو سبحانه وكفى به شهيدا وفيه تنفير عن الكذب وتقبيح له فليحذر
الكاذب من فضيحة يوم تقام على كذبه شهادة مقبولة ولو لم يشهد عليه لسانه لتشهد جوارحه و
الظاهر ان المراد بالكذب الكذب عن عمد بقرينة اخر الحديث قوله ان الكذاب يهلك بالبينات ويهلك اتباعه
بالشبهات الا ترى ان الكذابين الاولين هلكوا بالبينات الدالة على ان الخلافة لعلي عليه السلام واتباعهم
الى يوم القيمة هلكوا بالشبهات التي دخلت عليهم وكذا كل كذاب واضع للاحاديث وغيره فانهم يقولون
مع ظهور بطلانه عندهم ثم يقول به من تشتبه عليه وهم يظنون انه هين وهو عند الله عظيم قوله

ان آية الكذب بان يخبرك البآء زايدة في الخبر كما في قولك حسبك بزيد اي آية الكذاب في دعوى الدين والايمان
ان يخبرك خبر السمآء والارض والمشرق والمغرب فاذا سالته من حلال الله وحرامه لم يكن عنده شئ
وفيه ذم لمن يصرف عمره في القصص والحكايات والتواريخ وطلب علم النجوم والرياضي والهندسه ونحوها
وترك طلب المعارف الشرعيه والعلوم الدينيه النافعة في الآخرة مثل علم الاحكام والاخلاق وتهذيب
النفس قوله ان الكذبة لتفطر الصايم آه دل على ان الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الائمة عليهم السلم
يفسد الصوم كما هو مذهب جماعة من الاصحاب وهم اختلفوا في انه يجب به القضآء خاصة والمشهور
انه لا يفسد وان تضاعف به العذاب قوله قال امير المومنين صلوات الله عليه لا يجد عبد طعم الايمان
حتى يترك الكذب هزله وجده ان اريد بالايمان الايمان الكامل فالامر واضح لان الصدق من اجزائه
فالكذب ينافيه وان اريد به الاعتقاد الحق فالمراد به التنبيه على استقراره ورسوخه في القلب لان الكذب وهو
من اعظم الرذايل يشعر بعدم ثبوته ورسوخه وعدم استقامة القلب فكان الكاذب ليس بمومن كما اشار
اليه النبي وامير المومنين صلوات الله عليهما بقولهما جانبوا الكذب فانه مجانب للايمان قوله من كثر
كذبه ذهب بهاؤه اي ذهب حسنه وجماله ووقره عند الله ثم وعند الخلق فان الخلق وان لم يكونوا
من اهل الملة يكرهون من الكذب ويتعجبون وينفرون من اهله قوله فانه يكذب حتى يجئ بالصدق فلا
يصدق ومن كان كذلك فلا خير في مواخاته مع انه جذاب لطبع الجليس الى طبعه قوله مما اعان الله به على
الكذابين النسيان ولذلك ياتون كثيرا ما بالاخبار المتضادة والاقوال المختلفة ويفتضحون بذلك عند
العامة والخاصة قوله فتقول قد سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعت منه
هذا الخبر وان كان كذبا لغة وعرفا لا تورية ولا تعريض فيه جايز لقصد الاصلاح بين الناس والظلم لترك الاخلاف في
فيه عند اهل الاسلام ومن طريق العامة ليس بالكاذب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقد اتفقت الامة
على انه لو جاء ظالم لطلب رجلا مختفيا ليقتله ظلما او لطلب وديعة انسان لياخذها غصبا وجب الاخفاء
على من علم ذلك فامثال هذا الكذب ليست بمذمومة في نفس الامر بل اما واجبة او مندوبة لان الكذب انما
يذم ويترك لقبحه ثم فاذا كان فيه حسن انقلب حكمه نعم الاولى ان لا يسمى ذلك كذبا لاشتهاره بكونه مذموما
بل يسمى اصلاحا فهذا قسم ثالث واسطة بين اسمي الصدق والكذب كما نطق به قوله اناقد رويناعن ابي جعفر
في قول يوسف عم ايتها العير انكم لسارقون هذا لم يكن قول يوسف عم وانما كان قول منادي ربما نادى الذي
باموه والعير بالكسر الابل تحمل الميرة ثم غلب على كل قافلة وقال ابرهيم عم بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا

سئلون فقال والله ما فعلوا وما كذب اريد بالكبير الكبير في الخلقة او التعظيم قيل كانت لهم سبعون صنما
وكان ثمة صنم عظيم مستقبل الباب من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل ولعل ارجاع ضمير جمع
المذكر العاقل الى الاصنام من باب التهكم او باعتبار انها يعقلون وينطقون ويجيبون بزعم عبادهم واما ضمير الجمع
في قوله عم والله ما فعلوا فراجع الى الكبير باعتبار ارادة الجنس الشامل للمتعدد ولو فرضا او الى الاصنام
للتنبيه على اشتراك الجميع في عدم صلاحية صدور ذلك الفعل والله اعلم احب الخطر فيما بين الصفين اي الخطران
الرجل وتبختره في المشي كمشي المتكبر المعجب بنفسه ان ابرهيم عم انما قال بل فعله كبيرهم هذا ارادة الاصلاح
ودلالة على انهم لا يفعلون لعل المراد ارادة لصلاح حال قومه برجوعهم عن عبادة الاصنام وجه الدلالة
ان العاقل اذا تفكر في نسبة الكبر اليها وعلم انه لا يصح ذلك الا من ذي شعور عاقل قادر وعلم ان هذه الاوثان
مسلوبة منها وعلم انها لا تقدر على دفع الاستخفاف والضرر عن نفسها علم انها ليست بمستحقة للالوهية والعبادة
ويكون ذلك داعيا الى الرجوع عنها ورفض العبادة لها وللعلمآء وجوه اخر الاول انه من المعاريض التي
يقصد بها الحق والزام الخصم وتبكيته فلم يكن قصده عم ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصده
ان يقرره لنفسه على اسلوب تعريضي وهذا كما قال صاحبك وقد كتبت كتابا بخط حسن وانت مشهور
بحسن الخط انت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط ولا يقدر فقلت بل كتبته انت كان قصدك بهذا
الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته لصاحبك الامي والتعريض مما يجوزه العقلاء
نقلا لمصلحة كجلب نفع او دفع ضر او استهزاء في موضعه او نحوها الثاني انه عم غاظته الاصنام حين رآها
مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اشد لما راى من زيادة تعظيمهم وتوقيرهم له فاسند الفعل اليه لانه
هو السبب في استهانته وكسره لها والفعل كما يستند الى المباشر يستند الى السبب ايضا الثالث ان ذلك حكاية
لما يقودوا اليه مذهبهم كانه قال ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على
امثال هذه الافعال سيما الكبير الذي يستنكف ان تعبد معه هذه الصغار الرابع ما روى عن الكسائي
انه يقف عند قوله بل فعله ثم يبتدئ كبيرهم هذا اي فعله وهذا من باب التورية اذ لا ظاهر وباطن باطنه
ما ذكر وظاهره اسناد الفعل الى الكبير وفهمهم تعلق به ومراده عم هو الباطن الخامس ما روى عن بعضهم
انه كان يقف عند قوله كبيرهم ثم يبتدئ بقوله هذا فاسئلوهم واراد بالكبير نفسه لان الانسان
اكبر من كل صنم وهذا ايضا من باب التورية وانت خبير بانه يصح بدون الوقف ايضا بان يكون هذا
اشارة الى نفسه المقدسة والمغايرة بين المشير والمشار اليه بحسب الاعتبار كاف في الاشارة الثالث

ان في الكلام تقديما وتأخيرا والتقدير بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون فاسئلوهم فيكون اسناد الفعل
الى الكبير مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين لم يكونوا فاعلين والغرض منه تنبيه القوم وتقريعهم
وتوبيخهم لعبادة من لا يسمع ولا ينطق ولا يقدر على ان يحرس عن نفسه شيئا وقال يوسف ع ارادة الاصلاح
كان المراد ارادة الاصلاح بينه وبين اخوته في حبس اخيه بنيامين عنده والزامهم على ذلك بحيث لا يكون
لهم محل منازعة فيه ولم يتيسر له ذلك الا بامرين احدهما نسبة السرقة اليه وثانيهما التمسك بحكم آل يعقوب
في السارق وهو استرقاق السارق سنة وكان حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم ما سرق فلم يتمكن
من اخذ اخيه في دين الملك فكذلك امر فتيانه بان يدسوا الصاع في رحل اخيه وان ينسبوا السرقة اليه و
ان يستفتوا في جزاء السارق منهم فقالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي اخذ السارق نفسه هو
جزاؤه لا غير فلما فتشوا وجد الصاع في رحل اخيه فاخذوا برقبته وحكموا برقيته ولم يبق لاخوته
محل نزاع في حبسه الا ان قالوا على سبيل التضرع او الالتماس خذ احدنا مكانه انا نريك من المحسنين فردهم
بقوله معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون قيل اراد انا اذا اخذنا غيره لظالمون
في مذهبكم لان اخذ غير من وجد الصاع في رحله ظلم عندكم او اراد ان الله امرني واوحى الي ان آخذ
ابن يامين فلو اخذت غيره كنت ظالما بخلاف الوحي وللعلماء ايضا وجوه اخر الاول ان ذلك النداء
لم يكن بامره بل نادوا من عند انفسهم لانهم لما فقدوا الصاع غلب على ظنهم انهم اخذوه الثاني انهم لم ينادوا
انكم سرقتم الصاع فلعل المراد انكم سرقتم يوسف من ابيه يدل عليه ما رواه الصدوق في كتاب العلل باسناده
عن ابي عبد الله ع انه قال في تفسير هذه الاية انهم سرقوا يوسف من ابيه الا ترى انهم حين قالوا ماذا تفقدون
قالوا نفقد صواع الملك ولم يقولوا سرقتم صواع الملك الثالث لعل المراد من قولهم انكم لسارقون الاستفهام
كما في قوله تعالى حكاية هذا ربي وان كان ظاهره الخبر وايد ذلك بان في مصحف ابن مسعود ائنكم بالهمزتين
قوله قال سمعت ابا عبد الله ع يقول كل كذب مسئول عنه صاحبه يوما الا كذبا في ثلثة رجل كايد في
حربه فهو موضوع عنه او رجل اصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح ما بينهما او
رجل وعد اهله شيئا وهو لا يريد ان يتم لهم ظاهره يفيد جواز الكذب في هذه الثلثة من غير تورية ولا ريب في
انها اولى مع الامكان وهي ان تطلق لفظا ظاهرا في معنى وتريد به معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ ولكنه خلاف
ظاهره ومضمون الحديث متفق عليه بين الخاصة والعامة ففي الترمذي عن النبي ص لا يحل الكذب الا في ثلث
يحدث الرجل امراته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب في الاصلاح بين الناس وفي كتاب مسلم قال ابن شهاب

وهو

وهو احد رواته لم اسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب الا في ثلث الحرب والاصلاح بين الناس وحديث
الرجل امراته وحديث المراة زوجها قال عياض لا خلاف في جوازه في الثلث وانما يجوز في صورة ما يجوز
منه فيها فاجاز قوم صريح فيها الكذب وان يقول ما لم يكن لما فيه من المصالح ويندفع فيه الفساد قالوا
وقد يجب لنجاة مسلم من القتل وقال بعضهم لا يجوز فيها التصريح بالكذب وانما يجوز فيها التورية بالمعاريض
وهو شيء يخلص من المكروه والحرام الى الجائز انما القصد الاصلاح بين الناس او لدفع ما يضر او لعز ذلك و
وتاول المروي على ذلك وقال مثل ان يعد زوجته ان يفعل لها ويحسن اليها ونيته ان قدر الله تم او يأتيها في
هذا بلفظ محتمل وكلمة مشتركة يفهم من ذلك ما يطيب قلبها وكذلك في الاصلاح بين الناس ينقل الى هؤلاء عن
هؤلاء الكلام المحتمل والقدر المحتمل وكذلك في الحرب مثل ان يقول لعدوه انحل حزام سرجك ويريد بها معنى
يقول الجيش عدوه مات اميركم ليذعر قلوبهم ويعني النوم او يقول لهم غدا يأتينا مدد وقد اعد قوما من عسكره
ليأتوا في صورة المدد او يعني بالمدد الطعام فهذا نوع من الخدع الجائزة والمعاريض المباحة وقال القرطبي لعل
هذا القائل استند في منع التصريح بقاعدة حرمة الكذب وتاويلها الاحاديث بحملها على المعاريض بما يعضده ٢٠٦
دليل واما الكذب لينفع مظلوما من الظلم عليه فلم يختلف فيه احد من الامم لا عرب ولا عجم ومن الكذب الذي
يجوز بين الزوجين الاخبار بالمحبة والاغتباط وان كان كذبا لما فيه من الاصلاح ودوام الالفة قوله نعم
قد قلت انا علمت ان كل زعم في القرآن كذب في الزعم ثلث لغات فتح الزاي للحجاز وضمها لاسد وكسرها لبعض قيس
اي نعم قد قلت ذلك لا ارتضيته لان الزعم هو الكذب وما كذبت يدل على ذلك ان كل زعم في القرآن كذب
مثل قوله تعالى حكاية او تسقط السماء كما زعمت وقوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا وقد صرح به ارباب
اللغة قال الازهري اكثر ما يكون الزعم فيما يشك فيه ولا يتحقق وقال بعضهم هو كناية عن الكذب وقال المرزوقي
اكثر ما يستعمل فيما كان باطلا او فيه ارتياب وقال ابن القوطية زعم زعما قال خبرا لا يدري احق هو او باطل
قال الخطابي ولهذا قيل زعم مطية الكذب وزعم غير مزعم اي قال غير مقول صالح وادعى ما لا يمكن واذا كان
كذلك لم يصح اسناده الى من علم صدق قوله قطعا قوله قال كان امير المؤمنين ع يقول ايا كم والكذب فان كل راج
طالب وكل خائف هارب حذر من الكذب على الله وعلى رسوله وعلى غيرهما وفي اوعاء الدين مع ترك العمل به
ورغب في الصدق بان الكذب ينافي الايمان وذلك لان الكاذب لم يطلب الثواب وكل من لم يطلب الثواب فهو
ليس براج بحكم المقدمة الاولى ولم يهرب من العقاب وكل من لم يهرب من العقاب فهو ليس بخائف بحكم المقدمة
الثانية ومن انتفى فيه الخوف والرجاء فهو ليس بمؤمن كما هو المقرر عند اهل الايمان ودلت عليه الروايات والله اعلم

باب ذي اللسانين

يعلم حقيقته كلام وليه قوله من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيمة وله لسانان من نار قال الشهيد الثاني
كون ذي اللسانين وذي الوجهين من الكباير للتوعد عليه بخصوصه ويتحقق هذا الوصف بامور منها ان يتردد بين
اثنين سيما المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وذلك عين النفاق ومنها ان ينقل كلام كل واحد الى
الآخر وهو مع ذلك نميمة وزيادة فان النميمة تتحقق بالنقل من احد الجانبين فقط وهو من شر خلق الله كما
روي عن النبي صم تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء
بحديث هؤلاء وفي حديث آخر الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ومنها ان يحسن لكل واحد منهما ما هو
عليه من المعاداة مع صاحبه وان لم ينقل بينهما كلاما ومنها ان يعد كل واحد منهما ان ينصره ويساعده ومنها ان
يثني على كل واحد منهما في معاداته واولى منه ان يثني عليه في وجهه واذا خرج من عنده ذمه والذي ينبغي
ان يسكت او يثني على المحق منهما في حضوره وغيبته وبين يدي عدوه ومنها ان يطري انسانا شاهدا وبالجملة غائبا ان
اعطي حسده وان ابتلي خذله كما سيجيء من الرواية عن ابي جعفر ع ويوافق ما روي عنه ع ايضا قال بئس العبد
همزة لمزة يقبل بوجه ويدبر بآخر واختلاف اللسانين مع اعداء الدين والامراء الظالمين والدخول عليهم ان
كان لضرورة او دفع مضرة او تقية فجائز بقدر الحاجة وان كان لحب الجاه والمال او لغيرهما فهو ذو لسانين
منافق تحت الوعيد قوله قال الله تبارك وتعالى لعيسى يا عيسى ليكن لسانك في السر والعلانية لسانا واحدا اه
امره الله تعالى بثلاثة اشياء هي امهات جميع الخصال الفاضلة والاعمال الصالحة الاول ان يكون لسانه في جميع الاحوال
واحدا لقول الحق ويتكلم به فلا يقول في السر خلاف ما يقول في العلانية كما هو شأن الجهال لان ذلك خدعة ونفاق
وحيلة وتفريق بين العباد واغراء بينهم وقد يجوز ذلك لغرض صحيح من غير مفسدة كما مر في باب من يتقى شره وغيره
الثاني ان يكون قلبه واحدا قابلا للحق وحده غير متلون بالحيل ولا متلوث بالمكر والحيل فان ذلك يميت القلب و
يبعده من الحق ويورثه امراضا مهلكة ويميله الى الجور في الحكم الثالث ان يكون ذهنه واحدا وهو الذكاء والفطنة
ولعل المراد بها هنا الفكر في الامور الحقة النافعة ومباديها وتوحده خلوصه عن التفكر في الباطل والشرور وتحصيل
مباديها وكيفية الوصول اليها وبالجملة امره ان يكون لسانه واحدا وقلبه واحدا وذهنه واحدا ومطلبه واحدا وهو
ولما كان سبب التعدد والاختلاف امرين احدهما تسويل النفس والثاني الامن من المواخذة واللوم لعدم علم الخلق
قال تبارك وتعالى اني احذرك نفسك وكفى بي خبيرا لتحذره من تسويلات النفس وامره بمراقبتها واعلمه بانه تعالى عالم
بالسرائر وكفى به خبيرا فيجزي كل احد بما عمل قوله لا يفترق رجلان على الهجران الا استوجب احدهما البراءة و

باب الهجرة

اللعنة وربما استحق ذلك كلاهما الهجر والهجران خلاف الوصل يقال هجر اخاه من باب قتل هجرا وهجرانا فهو هاجر

والاخ

والاخ مهجور اذا تركه وقطع كلامه والتغاضي بالغين المعجمة التغافل واصل الغض الاغضاء وان يظهر انه
لا يعرف الامر والمغاضة الغلبة يقال غاضه في الخطاب بتشديد الراء اذا غلبه واشتد كثره وفي بعض النسخ بدل
تعاذ فعال من العول وهو الجور والظلم ولما كان الخير في الاجتماع والالفة والمحبة حتى يصير الكل كشخص واحد
وبه يتم نظام الدين والدنيا وكان في الفرقة اضداد ذلك حذرهم من الاصرار على العداوة والعدوان وعن
القطع والهجران بذكر مفاسده وسوء عاقبته واختصاص احدهما بالبراءة واللعنة من اجل انه الباعث او غير قابل
لحذر آخر واستحقاق كليهما باعتبار انهما الباعثان والقاصدان الاستمرار القطع قوله قال رسول الله صم لا هجرة
فوق ثلث المؤمنون متساوون في كونهم عباد الله وملتهم ملة واحدة وتعاونهم في الامور الدينية والدنيوية مطلوب
الشارع فوجب عليهم ان يكونوا اخوة بررة متواصلين متالفين غير متفرقين كما قال عز وجل واعتصموا بحبل الله
جميعا ولا تفرقوا ولو وقع بينهم موجدة او تقصير في حقوق العشرة والصحبة وافضى ذلك الى الهجرة فالواجب عليهم
٢٠٧ ان لا يبقوا عليها فوق ثلث ليال واما الهجر في الثلث فظاهر الحديث بحسب المفهوم انه معفو عنه وسببه ان البشر
لا يخلو من غضب وسوء خلق فوقع في تلك المدة مع احتمال ان يكون حكمها مسكوتا عنه وانما قلنا في حقوق العشرة
لان هجر اهل الاهواء والبدع مطلوب ما لم يظهر منه التوبة والرجوع الى الحق فان ذلك من اقسام الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر قوله كان عند ابي عبد الله ع رجل من اصحابنا يلقب شلقان شلقان لقب عيسى بن ابي منصور و
قد ذكر اصحاب كتب الرجال في مدحه روايات كثيرة والظاهر ان ضمير المنصوب في قوله فهجره راجع الى مرازم
وكان مرازم يقوم بكثير من خدمات ابي عبد الله ع وارجاعه الى ابي عبد الله ع وقراءة نكلم على صيغة المتكلم
مع الغير دون الخطاب محتمل لكنه بعيد قوله ان الشيطان يغري بين المؤمنين اه دل على ان الهجران من اغراء
الشيطان وان الشيطان مع المؤمنين وانه لا يفارقهم حتى يخرجهم عن دينه فانه غاية مناه ونهاية تمناه فاذا

باب قطيعة الرحم

حصل حصلت له الراحة والفوز بالمطلوب وبحكم المقابلة كان المؤلف بين المؤمنين مرحوما فلذلك قال
رحم الله مصدرا بالفاء قوله فاذا التقيا اصطكت ركبتاه وتخلعت اوصاله اي اضطربت ركبتاه او ضربت
احديهما الاخرى عند المشي وتفككت اوصاله وبتر الله الكافر تبورا من باب قعد اهلكه وبتره هو تبورا
تعدى ولا يتعدى قوله الا ان في التباغض الحالقة لا اعني حالقة الشعر ولكن حالقة الدين الحالقة
الآلة القاطعة للشعر كالموسى والمراد بها الخصلة التي من شأنها ان تحلق اي تهلك وتستاصل الدين
كما تستاصل الموسى الشعر في تباغض بعضهم بعضا هلاك دينهم وفساده وحمل هذا على النهي عن الامور
الموجبة للتباغض والتجانب مثل قطع الرحم وغيره ممكن وبغض الفاسق لاجل فسقه خارج عنه بدليل خارج

قوله اتقوا الحالقة فانها تميت الرجال قلت وما الحالقة قال قطيعة الرحم قطع الرحم ضد صلتها وهو ترك الاحسان
الى الاقربين والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لاحوالهم والرحم في الاصل منبت الولد ووعاؤه في البطن
ثم سميت القرابة من جهة الولادة رحما ومنها ذو الرحم خلاف الاجنبي والمراد باماتة الرجال اماتة قلوبهم
ودينهم او افناء حيوتهم وآجالهم او الاعم منهما قوله ووقع الوبا في سنة احدى وثلثين اى في سنة احدى
وثلثين ومائة حذف لفظ مائة لوضوح الامر او سقط من قلم الناسخ الاول والباء في قوله وبعقوقهم
اياك وقطع رحمهم متعلق بقوله تبروا او سببية للتبرير وهو الاهلاك والتقديم لقصد الحصر قوله وان
اعجل الطاعة ثوابا لصلة الرحم الثوب الرجوع والعود والثواب الجزاء واجر المطيع لانه نفع يعود اليه و
هو اسم من الاثابة او التثويب واعظم عوده اليه في الاخرة ووصول الرزق الموعود في الدنيا ونفع الصلة
وهو ما ذكر مع طول العمر وغيره وصوله اعجل من وصول نفع التقوى وغيرها والثروة كثرة المال و
اثر الرجل اثرا استغنى منه والاسم منه الثرآء ولما اشار الى ان نفع صلة الرحم يأتي صاحبها عاجلا اشار
الى ان ضر قطعها ايضا يأتي عاجلا بقوله وان اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من اهلها
اي كل واحدة منهما تذر الديار خالية من اهلها والديار بالكسر البلاد لانها جامعة لاهلها كالدار ومنه
قولهم ديار ربيعة وديار مضر وبعضهم منه سراية شؤمهما ويمكن ان يراد بالديار دور صاحبها وهذا الكلام
في اللفظ خبر وفي المعنى نهي عنهما وتخويف بسوء عاقبتهما في الدنيا مع فخامة امرهما في الاخرة ثم اشار الى
ان قطع الرحم يوجب انقطاع النسل تأكيدا لما سبق بقوله وثقل الرحم وان ثقل الرحم انقطاع النسل فاعل
ثقل ضمير يعود الى قطيعة الرحم والواو اما للحال منهما او للعطف على قوله وان اليمين الكاذبة ان جوز عطف
الفعلية على الاسمية والا فليقدر وان قطيعة الرحم ثقل بقرينة المذكورة لاجل قوله لتذران لان هذا
مختص بالقطيعة ولعل المراد بثقل الرحم نقلها من القرابة الى الغرابة ومن الوصلة الى الغربة ومن التعارف و
المحبة الى التدابر والعداوة وهذه الامور من اسباب نقص العمر وانقطاع النسل كما صرح به على سبيل التاكيد
والمبالغة بقوله وان ثقل الرحم انقطاع النسل من باب حمل المسبب على السبب مبالغة في السببية وفيه ايضا
تحذير عن القطيعة بسوء عاقبتها في الدنيا ايضا قوله جاء رجل فشكا الى ابي عبد الله ع اقاربه فقال له اكظم غيظك
واصل فقال انهم يفعلون ويفعلون فقال اتريد ان تكون مثلهم فلا ينظر الله اليكم امره عليه السلام
بكظم الغيظ وعدم اجراء الغضب وهو من فضائل القوة الغضبية وداخل تحت الشجاعة ثم امره
بالوصل والاحسان اليهم حيث قال واصل فاعتذر السائل بانهم يقطعون ويظلمون ويسيئون حيث

قال

قال انهم يفعلون ويفعلون فكيف يستحقون الوصل والاحسان في مقابلة القطع والعدوان فزجره ع
عن ذلك بقوله اتريد ان تكون مثلهم في القطع والظلم والطغيان فلا ينظر الله اليكم جميعا اى سلب عنكم
رحمته واثابته في الآخرة واحسانه وافضاله في الدنيا واذا وصلت فربما يصير وسيلة لرجوعهم الى
الوصل ولم يرجحوا الحض عدم النظر بهم قوله قال رسول الله صلعم لا تقطع رحمك وان قطعتك فكيف
اذا وصلتك ومقابلة الاساءة بالاكرام من صفات الكرام سيما اذا كان المسيء قريبا وفيه مبالغة في
صلة الرحم وحث عليها فانك اذا قطعتك وقطعتها آل الامر الى القطع بالكلية واوجب ذلك قصر العمر
وضيق الرزق وضنك العيش وتسلط الاعداء بخلاف ما اذا قطعتك ووصلتها فان وصلك يوجب
زوال قطعها بالآخرة ولو فرض بقاؤه على القطع كان الاثم والنكال عليه لا عليك قوله قال امير المؤمنين
عليه السلام اذا قطعوا الارحام جعلت الاموال في ايدي الاشرار الارحام يشمل ارحام رسول الله صلعم
٢٠٨ والناس فقطعوها قد يمكن ان يجعلوا اموالهم في ايدي اعدائهم الذين هم اشرار الناس ولو وصلوها لاكلوا
من فوقهم ومن تحت ارجلهم وكذلك قطع الناس ارحامهم سبب لتسلط الاعداء والاشرار عليهم
وعلى اموالهم قوله ادنى العقوق اف ولو علم الله عز وجل شيئا اهون منه لنهى عنه اذ المقصود نهي الادنى
ليعلم منه نهي الاعلى بالاولوية والاف كلمة تضجر وقد اف تافيفا اذا قال ذلك والمراد بعقوق الوالدين
ترك الادب لهما والايذاء بما يؤذيهما قولا وفعلا ومخالفتهما في اغراضهما الجائزة عقلا ونقلا وقد عد
من الكبائر ودل على حرمته الكتاب والسنة واجمع عليها الخاصة والعامة قوله قال رسول الله صلعم كن بارا و
اقتصر على الجنة وان كنت عاقا فاقتصر على النار اى اكتف بها تقول اقتصرت على كذا اذا اكتفيت به وفي بعض النسخ
اقصر وفيه تعظيم لاجر البر حتى انه يوجب دخول الجنة وبعضهم منه انه يكفر كثيرا من السيئات ويرجح عليها في
ميزان الحسنات قوله العاق لوالديه اى لواحد منهما وذلك ظاهر ان اريد بالعقوق الفرد الكامل منه كالقتل
اذ الظاهر انه يوجب سلب الايمان والا فالحمل على التشديد محتمل والله اعلم قوله فوق كل ذي بر بر البر
الثاني بفتح الباء او بكسرها مع حذف مضاف وهو ذو مع احتمال عدمه قوله من نظر الى ابويه نظر ماقت
وهما ظالمان له لم يقبل الله صلوته فكيف اذا كانا بارين محقين وهما اليه آثمان لانهما حملاه على العقوق
ولعل المراد بعدم قبول الصلوة عدم الثواب عليها كاملا وعدم كونها وسيلة للقرب منه تبارك وتعالى
الا ان يرضيهما لا عدم الخروج من التكليف قوله فان ريح الجنة توجد من مسيرة الف عام آه لا ينافي ما مر
من ان ريح الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام لانه يختلف باختلاف كشف الاغطية فلعل هذا من

كشف عظائين والسابق من كشف عظاه واحد كما هو المصرح به ثم الظم ان الرجل بسبب هذه الذنوب لا يخرج عن الايمان بالكلية فلا بد من التاويل بانه فعل ذلك مستحلا او بانه لا يجد ريحها ابتداء حتى يمضي فيه الوعيد او بغيرها والظم ان خيلا حال عن فاعل جار اى جار ثوبه على الارض متبخترا متكبرا مختالا اى متمايلا فى جانبيه واصله من المخيلة وهى القطعة من السحاب تميل فى جو السماء هكذا وهكذا كذلك المختال يميل تمايلا لعجبه بنفسه وكبره وهى المشية المطيطاء ومنه قوله ثم ذهب الى اهله يتمطى اى تمايل مختالا متكبرا كما قيل واذا لم يقصد بطالة الثوب وجره على الارض الاختيال والتكبر بل جرى فى ذلك على رسم العادة فالظم انه ايضا غير جائز لوجوه اخر منها مخالفة السنة وشعار المؤمنين المتواضعين كما روى عن النبى صم قال ازرة المؤمن الى نصف الساق فان الى فلا ناقوق الكعبين فما زاد على ذلك ففى النار ومنها الاسراف فى الثوب بما لا حاجة فيه ومنها انه لا يسلم الثوب الطويل من جره على النجاسة لكونه بالارض غالبا فيخل امر صلوته ودينه فان تكلف رفع الثوب اذا مشى يحمل كلفه كان غنيا عنهم ثم يغفل فيسترسل ومنها انه يسرع البلى الى الثوب بدوام جره على التراب والارض فيخرقه ويمحقه ان لم يخش قوله ومن العقوق ان ينظر الرجل الى والديه فيحد النظر اليهما يحتمل ان يكون هذا من الادنى ويساوى الاف فى المرتبة وان يكون الاف ادنى بحسب القول وهذا ادنى بحسب الفعل قوله فاكل الى مقتا له حتى فارق الدنيا الظم ان الضمير راجع الى الابن ولعله انكار على الاب بدون رضاه او انه زعم ان الابن فعل ذلك تكبرا او لخبث الا ومن هذا يعلم ان العقوق امره دقيق قوله كفر بالله من تبرا من نسب وان دق اى وان دق ثبوته او خفى لا ريب فى ان الخلق كل رجل بنسبه واجب ولكن الظم ان ترك الواجب ليس بكفر مخرج عن اصل الايمان فلعل ذلك بما اذا كان مستحلا لان مستحل قطع الرحم كافر ومما يدل على هذا التاويل ما سيجئ فى باب الكفر عن الصادق عم قال ان الله عز وجل فرض على العباد فرايض موجبات على العباد فمن ترك فريضة من الموجبات فلم يعمل بها وجحدها كان كافرا وامر رسول الله صم بامور فليس من ترك بعض ما امر الله عز وجل به عباده من الطاعة بكافر ولكنه تارك للفضل منقوص من الخير ويمكن ان يراد بالكفر كفر النعمة لان قطع النسب كفر لنعمة المواصلة او يراد به انه شبيه بالكفر لان هذا الفعل شبه فعل اهل الكفر لانهم كانوا يفعلونه فى الجاهلية ولا فرق فى ذلك بين تبرؤ الوالد من الولد او العكس او تبرء بعض الاقارب من بعض وسيجئ نظير ذلك فى كتاب الديات انشاء الله تعم قوله قال الله عز وجل ليأذن بحرب منى من اذى عبدى المؤمن اه اى ليعلم من اذن بالشئ علمت به والمراد بالعبد

باب الانتفاء

باب من آذى المسلمين واحتقرهم

الموٴمن

المؤمن شيعة على واولاده الطاهرين عليهم السلم كما فى رواية معوية الآتية عن ابى عبد الله عليه السلم وبالاذى الاذى الذى علم لم يجوزه الشارع واما ما جوزه من باب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو خارج عنه بدليل خارج وبالاكرام الاكرام خلقا قولا وفعلا ومنه جلب النفع له ودفع الضرر عنه وبالاستغناء بعبادة مومن واحد مع امام عادل مع انه عز وجل غنى مطلق لا حاجة له الى عبادات احد قبول عبادتهما وجعلها ذخرا لهما وسببا لنظام العالم قوله اذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الصدود لاوليائى فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم آه اى اين المعرضون من الاولياء المعادون لهم او اين المانعون لهم عن حقوقهم او اين المستهزؤون بهم والصد جاء لهذه المعانى كما يظهر من مصباح اللغة ولعل المراد بخلو وجوههم عن اللحم لاجل انه ذاب من الغم وخوف العقوبة او من خدشه بايديهم تحسرا وتاسفا ويؤيده ما رواه العامة عن النبى صم قال مررت ليلة اسرى بى بقوم اظفار من نحاس يخدشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هم الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون فى اعراضهم قوله قال الله تبارك وتعالى من اهان لى وليا فقد ارصد لمحاربتى المراد بالولى المحب وهو الذى ولى حقوقه سبحانه بنفسه ومحبته ظاهرا ووجه قلبه وفؤاده اليه ولجأ فهو فى كنفه وحماه منقطع اليه عما سواه محفوف بالكرامة فى منقلبه ومثواه اى من استحقر واستخف بوليى واعرض عنه ومنع حقه وترك توقيره وتعظيمه فقد هيأ نفسه لمحاربتى وذلك الاهانة تعرض لحرمة الله واستهانة بكرامته ورام خفرة منه وعرض نفسه للهلاك فى الدارين بترك متابعته وانما سماه محاربا لان المحاربة هى سلب الاموال والانفس فكان هذا المهين لولى الله عز وجل يريد ان الله تعم ينتقم لاوليائه ممن عاداهم وقصدهم ومن حارب الله حربه وحطمه ومن خاصمه خصمه وقصمه ومن فوايد هذا الكلام التحذير التام لاذى واحد من المؤمنين صغيرا او كبيرا خشية ان يكون ذلك الولى فيهلك مرديه ويتعرض لحظ ربه يدل عليه ايضا ما رواه الصدوق باسناده عن امير المؤمنين عليه السلم قال ان الله اخفى وليه فى عباده فلا يستصغرن شيئا من عباده فربما يكون وليه وانت لا تعلم ومنها التنبيه على اكرام من اقبل على الله من اهل ولايته ومنها الترغيب فى سلوك طريق ولى الله ومتابعته قوله من حقر مومنا مسكينا او غير مسكين الظم تحقيره او لم يظهره والاظهار اما بقوله كرهه او بالاستهزاء به او بضربه او بشتمه او بفعل يستلزم اهانته او بترك قول او بترك فعل يستلزمها وامثال ذلك قوله قال الله عز وجل قد نابذنى من اذل عبدى المؤمن نابذتم خالفتم ونابذتم الحرب كاشفتم اياها وجاهرتم بها قوله قال رسول الله

٢٠٩

اى ليس من الولى لان الله عليه وعلى كرامته وازيد مانع من زينته وهو مشغول بمولاه فعن نفسه واهله بعار عليه بها فاره وليهان بالوجه وهتاس اوقار عن عشيرة وعدو

قال الله عز وجل من اهان لي وليا فقد ارصدني لمحاربتي لما قدم ذكر اختصاص الاولياء لديه وبين ان بغضهم
معاداة بين يديه اشار اجمالا الى طريق الوصول الى درجة الولاية من بداية السلوك الى النهاية بقوله وما
تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضت عليه اي ما تحبب الي ولا طلب القرب لدي بمثل اداء ما
افترضت عليه وظاهر الموصول هو الفرض بالاصالة وحمله عليه وعلى ما اوجبه المكلف على نفسه بنذر
وشبهه ممكن وهذا صريح في ان المفروضات اعظم ثوابا واتم قربا من المندوبات الا ما خرج بدليل
والسبب في ذلك ان الله عز وجل هو الاعلم بالاسباب التي تقرب العبد الى محبته وكرامته وتبلغه الى
مرتبة رضاه وولايته فجعل اكبر تلك الاسباب واعظمها الفرايض واوعد بالنار على التقصير فيها
والتفريط فيها فيجب على السالك المبادرة الى ادائها والمبالغة في احكامها وعدم الاشتغال عنها بالنوافل
لان النوافل لا تقبل حتى تؤدى فريضة حق الاداء ثم رتب على اداء الفرايض فعل النوافل لتكميل الفرايض
وزيادة التقرب ودوام التحبب وقال وانه ليتقرب الي بالنافلة حتى احبه وذلك لان السالك لو لم
يشتغل بعد اداء الفرايض بالنوافل وضيع باقي اوقاته في المباحات ولذاتها والحظ قلبه بزهرات الدنيا و
شهواتها بعد من المولى بعبادة الهوى ولم تصف الفرايض له في وقت الاداء ونقصت عن حد الكمال
وفاته كمال التقرب والتحبب بخلاف ما اذا اشتغل بالنوافل فانه يوجب كمال الفرايض وزيادة القرب ودوام
التحبب وهكذا حتى يبلغ مرتبة كمال المحبة فلا يحب الا الله والله عز وجل يحبه ومعنى محبة الله تعالى
للعبد كما ذكره شيخ العارفين هو كشف الحجاب عن قلبه وتمكينه من ان يطأ على بساط قربه فان ما
يوصف به سبحانه انما يؤخذ باعتبار الغايات لا باعتبار المبادي وعلامة حبه سبحانه للعبد توفيقه
للتجافي عن دار الغرور والترقي الى عالم النور والانس بالله والوحشة مما سواه وصيرورة جميع الهموم
هما واحدا انتهى وفي قوله الي في الموضعين حيث لم يقل الى جنتي ولا الى ثوابي وكرامتي ولا الى بري به
وصلتي دلالة واضحة على انه ينبغي للسالك العابد ان يقصد بعبادته ذاته عز وجل لا عوضا عليها ولا
جزاء فان العوض والجزاء غيره تعالى ومن كانت عبادته للاعواض لم تصف محبته للمولى الجبار كما قيل لن يصل
العبد الى حقيقة الحرية وقد بقي عليه من غير الله بقية ثم اشار الى شرف منزلة المحبة وبعض آثارها
بقوله فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش
بها ان دعاني اجبته وان سألني اعطيته ليس المراد ما يفيده ظاهر هذه العبارة من الاتحاد لاستحالته
نقلا وعقلا لان هذه الاعضاء مختلفة الحقايق والآثار واستحالة اتحاد شيء من الاشياء معها امر

ضروري

ضروري لا يقبل الانكار فلا بد فيه من تاويل والذي يخطر بالبال على سبيل الاحتمال اني اذا احببته كنت كسمعه
الذي يسمع به وكبصره الى آخره في سرعة الاجابة وقوله دعاني اجبته اشارة الى وجه التشبيه يعني اني اجيبه
سريعا ان دعاني الى مقاصده كما يجيبه سمعه عند ارادته سماع المسموعات وبصره عند ارادته ابصار المبصرات
وهكذا وهذا مثل قول الناس المعروف بينهم فلان عيني ونور بصري ويدي وعضدي وانما يريدون
به التشبيه في معنى من المعاني المناسبة للمقام ويسمون هذا تشبيها بليغا بحذف الاداة مثل زيد اسد ويمكن
ان يكون فيه تنبيه على انه عز وجل هو المطلوب لهذا العبد المحبوب عند سمعه المسموعات وبصره المبصرات و
هكذا يعني متى يسمع المسموعات ويبصرها يرجع الي والمقصد انه يبتدئ بي في سماع المسموعات وينتهي الي فلا يصرف
٢٩٠ شيئا من جوارحه فيما ليس فيه رضاي واليه اشار بعض الاولياء بقوله ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله
وقال الشيخ العارفين في الاربعين في تاويله هذا مبالغة في القرب وبيان لاستيلاء سلطان المحبة على ظاهر
العبد وباطنه وسره وعلانيته فالمراد والله اعلم اني اذا احببت عبدي جذبته الى محل الانس وصرفته
الى عالم القدس وصيرت فكره مستغرقا في اسرار الملكوت وحواسه مقصورة على اجتلاء انوار الجبروت
فتثبت حينئذ في مقام القرب قدمه ويمتزج بالمحبة لحمه ودمه الى ان يغيب عن نفسه ويذهل عن حسه فتتلاشى
الاغيار في نظره حتى اكون بمنزلة سمعه وبصره كما قال من قال شعر جنوني فيك لا يخفى ونار منك لا تخبو
فانت السمع والابصار والاركان والقلب اقول هذا قريب مما نقل عن صاحب الشجرة الالهية انه قال
فيها كما ان النفس في حال التعلق بالبدن تتوهم انها هي البدن او انها فيه وان لم تكن هو ولا فيه فكذلك النفس
الكاملة اذا فارقت البدن وقطعت تعلقها من شدة قوتها ونوريتها وعلاقتها العشقية مع نور الانوار و
الانوار العقلية تتوهم انها هي فتصير الانوار مظاهر النفوس المفارقة كما كانت الابدان ايضا فهذا هو معنى
الاتحاد لا بمعنى صيرورة الشيئين شيئا واحدا فانه باطل وقيل المعنى لا يسمع الا بحق والحق ولا ينظر الا
بحق والحق ولا يبطش الا بادن الحق ولا يمشي الا ما يرضى به الحق وهو الحق الولي والمؤمن حقا الذي راح
عنه كل باطل وفساد واقتام الحق وهو قريب مما ذكرناه ثانيا ثم نبه على جلالة قدره وعلو منزلته عنده و
كمال عطفه ورحمته عليه عند وفاته آخر امره بقوله وما ترددت في شيء انا فاعله كترددي عن موت المؤمن يكره
الموت واكره مساءته قد مر شرحه في آخر باب الرضا بموهبة الايمان فلا نعيده قوله لما اسري بالنبي صلى الله عليه وآله
ما حال المؤمن عندك اي ما قدره ومنزلته واسري بالبناء للفاعل او المفعول من السرى على وزن الهدى وهو السير
في الليل ويكون اوله واوسطه وآخره يقال سريت الليل وسريت بالليل اذا قطعته بالسير واسريت بالالف لغة

لغة مجازية ويستعمل متعديا بالباء مفعول فيقول سريت بزيد واسريت به واذا جعلته سائرا في
الليل وتقييده بالليل في قوله عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى للدلالة
تنكير الليل على تقليل مدة الاسراء مع ان المسافة بين المسجدين مسيرة بعض ليلة كما صرح به الشيخ العارفين وغيره
ثم بعد ما اشار عز وجل الى انه منتقم للمؤمن من اعدائه وناصر له ورؤوف به اشار بقوله وان من عبادي المؤمنين
من لا يصلحه الا الغنى لو صرفته الى غير ذلك لهلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلحه الا الفقر لو صرفته الى غير
ذلك لهلك الى ان كل ما يفعله به من الغنى والفقر وغيرهما فهو خير له واصلح بحاله واحفظ له من الفساد والهلاك
والى ترغيبه في الحمد والشكر في جميع الحالات والاولى ان من عبادي اسم ان بتقدير البعض ومن الموصولة خبرها
دون العكس لعدم الفائدة في الاخبار في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وانما الكلام مؤكد
بالجملة بان لكونه في محل التردد او للانكار لان اكثر الخلق مترددون فيه بل ربما ينكره بعضهم وكون الخطاب للنبي
ظاهرا وعلمه بان افعال الله تعالى مبنية على الحكم والمصالح لا يخرجه عن مقام التاكيد لانه بامثاله عزة كما قيل
في قوله تعالى ولئن اشركت ليحبطن عملك وانما فصل قوله لو صرفته عما قبله لانه كاشف مبين له اذ كون هلاكه
في الفقر مثلا يبين كون صلاحه في الغنى فبينهما كمال الاتصال كما صرح به الشيخ ره قوله اني احب لقاءه فيكره الموت
فاصرفه عنه اي فاصرف الموت عنه بتاخير اجله او اصرف كره الموت عنه باظهار اللطف والكرامة والبشارة بالجنة على
وجه يزيل عنه كراهته ويرغب في الاستعجال الى دار القرار ثم اشار عز وجل الى انه يختار له ما هو اصلح في دينه ودنياه
بقوله وانه ليدعوني في الامر فاستجيب له بما هو خير له اي استجيب له ذلك الامر ان كان خيرا له او استجيب له
بدلا من ذلك الامر بما هو خير له فيكون من باب تلقي السائل بغير ما يطلبه للدلالة على ان ذلك الغير احق بحاله
وانفع له قوله اقرب ما يكون العبد الى الكفر ان يواخي الرجل على الدين فيحصي عليه عثراته وزلاته ليعنفه بها يوما ما
قد يتحقق هذا في كثير من الاخوة والاصدقاء ولذلك قال بعض العارفين لابد من ان تتخذ صديقا معتمدا
موافقا ما مؤانسة ولا يحصل ذلك الا بعد اختبارك اياه قبل الصداقة آونة من الزمان في جميع احواله
مع بني نوعه ومع ذلك لابد بعد الصداقة من ان تخفي كثيرا من اسرارك واحوالك منه فان ليس بمعصوم فلعل
بعد المفارقة ينشر الامر قليل يوجب زوال الصداقة يفضحك بامر يكرهك والمراد باحصاء العثرات والزلات
حفظها وضبطها في الخاطر والدفاتر ليعنفه ويخزيه بها يوما من الايام ويظهر من هذا الحديث وغيره من احاديث
هذا الباب انه كما قرب الى الكفر بمجرد الاحصاء لقصد التعنيف وان لم يقع التعنيف ووجه قربه الى الكفر انه ذلك
منه باعتبار عدم استقرار ايمانه في قلبه ومن لم يستقر ايمانه بعد فهو قريب من الكفر او المراد بالكفر كفر النعمة

فان

باب من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم

فان مراعاة حقوق الاخوة من اجل تعظيم الله عز وجل وقصد ذلك مناف لمراعاتها فهو قريب من الكفر و
تحقق الكفر بوقوع التعنيف وينبغي للمؤمن اذا عرف عثرات اخيه ان ينظر اولا الى عثراته نفسه ثم ينصح
اخاه بالرفق واللطف والشفقة ليترك تلك العثرات ويكمل الاخوة والصداقة ويتم الرفاقة في السير الى الله
تبارك وتعالى ثم لعل المراد بتلك العثرات ما ينافي المروءة والحشمة والعشرة واما ما ينافي الدين من الذنوب فلا يعنفه و
لا يعيره على رؤوس الخلائق ولكن يجب عليه من باب النهي عن المنكر زجره عنها على الشروط والتفاصيل المذكورة
في موضعها قوله يا معشر من اسلم بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تذموا المسلمين دل على ان من ذم المسلمين فهو
مسلم بلسانه وحده غير خالص الايمان ولعل المراد بعدم خلوصه شوبه بما ينافيه او عدم ثبوته واستقراره في
القلب فان الايمان المتزلزل غير خالص ثم اشار الى النهي عن تتبع العورة مع الوعيد الدنيوي مبالغة في الزجر عنه
بقوله ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته العورة
كل امر قبيح يستره الانسان انفة او حياء والمراد بتتبعها تطلبها شيئا بعد شيء في مهلة والفحص عن ظاهرها
وباطنها بنفسه او بغيره والمراد بتتبع الله تعالى عورته ارادة اظهارها على خلقه ومن اراد الله تعالى اظهار عورته
واعلانه بولي من ملائكة او غيرهم فضحه باظهارها ولو في جوف بيته اذ لا مانع لارادته ولا دافع لها قوله
ابعد ما يكون العبد من الله ان يكون الرجل وهو يحفظ زلة ليعيره بها يوما ما اما عيرته كذا او عيرته به كما في الخبر عليه
ونسبته اليه يتعدى بنفسه وبالباء ولعل المراد بزيادة البعد الزيادة في بعض الاحوال في جميعها والا فالزيادة في
حال الكفر والشرك اكثر واظهر فلا ينافي قوله اقرب ما يكون العبد الى الكفر ان يواخي الخ قوله من انب مؤمنا
انبه الله في الدنيا والآخرة التانيب ملامت وسرزنش كردن وتانيبه عز وجل اياه اما على الحقيقة او يراد به
العقوبة على تانيبه ومثله قوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله من اذاع فاحشة كان كمبتديها ومن عير مؤمنا بشيء لم يمت
حتى يركبه الفاحشة كل ما نهى الله عز وجل عنه وربما يختص بما يشتد قبحه من الذنوب وقد يق هذا الوعيد
انما هو في ذي الهيئات الحسنة وفيمن لم يعرف بالاذية ولا بالفساد في الارض واما المولعين الذين ستروا مرة وغير
فلم يكفوا فلا يبعد القول بكشفهم لان الستر عليهم من المعاونة على المعاصي وستر من يندب الى ستره انما
هو في معصية مضت واما معصية هو متلبس بها فلا يبعد القول بوجوب المبادرة الى انكارها والمنع
منها لمن قدر عليه فان لم يقدر رفع الى ولي الامر ما لم يؤد الى مفسدة اشد واما جرح الشاهد والرواة
والامناء على الاوقاف والصدقات واموال الايتام فيجب الجرح عند الحاجة اليه لانه يترتب عليه احكام
شرعية ولو رفع الى الامام ما ندب الستر فيه لم ياثم اذا كانت نية دفع معصية الله تعالى لا كشف ستره و

باب التعيير

٢١١

باب الغيبة

الشاهد انما هو عند طلب ذلك منه او يرى حاكما يحكم بشهادته وقد علم منه ما يبطلها فلا يبعد القول
برفعه والله يعلم قوله من عير مؤمنا بذنب لم يمت حتى يركبه لا ينبغي تعيير المؤمن بشيء ولو كان معصية سيما
على رؤوس الخلايق ولا ينافي وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان المطلوب منهما ان يكون على سبيل
النصح الا اذا علم انه لا ينفعه فينبغي التشدد عليه على النحو المقرر قوله قال رسول الله صلعم الغيبة اسرع في
دين الرجل المسلم من الاكلة في جوفه اي في قلبه او مطلقا والغيبة بالكسر اسم من اغتاب فلان فلانا اذا
ذكره بما يسوؤه ويكرهه من العيوب وكان فيه وان لم يكن فيه فهو تهمة وفي العرف ذكر الانسان المعين او بحكم
في غيبته بما يكره نسبته اليه وهو حاصل فيه ويعد نقصا في العرف بقصد الانتقاص والذم قولا او
اشارة او كناية تعريضا او تصريحا فلا غيبة في غير معين كواحد مبهم من غير محصور بخلاف مبهم من محصور
كواحد من المعينين فانه في حكم المعين كما صرح به شيخ العارفين في الاربعين ولا بذكر عيبه في حضوره وان
كان اثما لايذائه الا بقصد الوعظ والنصيحة والتعريض اولى ان نفع لان التصريح يهتك حجاب الهيبة ولا
بذكر ما ليس فيه فانه بهتان وتهمة ولا بذكر ما لا يكره ولا يعد نقصا ولا بذكر عيبه لا لقصد الانتقاص
كذكره للطبيب لقصد العلاج وللسلطان لقصد الزجر والغيبة حرام للآيات والروايات واجماع الامة
وقد عدت من الكباير والعاقل لم يكن معصوما ينبغي ان يكون له في عيبه لنفسه شغل عن عيب غيره
ولو فرض انه خال من العيوب كلها فينزه نفسه من الغيبة التي هي افحش العيوب ومن اعظم الكباير ولعله
فهم ان ما صدر من اخيه مفسدة جزئية والغيبة مفسدة كلية لان مقصد الشارع اجتماع المؤمنين وايتلافهم
وتعاونهم وتصافي قلوبهم ومحبتهم والغيبة لكونها مثيرة للتضاغن والتباعد والتعاند منافية لذلك
المقصد فهي مفسدة كلية واذا علم ذلك زجر نفسه عنها لان العاقل لا يعيب احدا بمفسدة جزئية مع
تلبسه هو بمفسدة كلية قال الشهيد الثاني والعجب من علماء اهل الزمان ان كثيرا منهم يجتنبون كثيرا من المعاصي
الظاهرة مثل شرب الخمر والزنا وغصب اموال الناس ونحوها وهم مع ذلك يتعاطون الغيبة والسبب فيه
اما الغفلة عن تحريمها وما ورد من الوعيد عليها واما لان مثل ذلك من المعاصي لا يخل عرفا بمراتبهم
ومنازلهم من الرياسات لخفاء هذا النوع من المنكر على من يرد منهم المنزلة عنده من اهل الجهالات ولو
رمقوهم في الشرب او الزنا او غصب المال الغير ما اطاعوه لظهور فحشه عند العامة وسقوط منزلتهم
لديهم ولو استبصروا واعلموا ان لا فرق بين المعصيتين بل لا نسبة بين المعصية المستلزمة للاخلال
بجهة تم وبين ما يتعلق مع ذلك بحق العبد خصوصا باعراضهم بل هي اجل واشرف من اموالهم قوله

فهو

٢١٢

فهو من الذين قال الله عز وجل انما قال من الذين لان آية الكريمة تشمل ايضا من بهت رجلا ومن ذكر عيبه في
حضوره ومن احب شيوعه وان لم يذكره ومن سمعه ورضي به والوعيد بالعذاب الاليم للجميع قال الشهيد ره
ان الله اوحى الى موسى بن عمران ان المغتاب اذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة واذا لم يتب فهو اول من يدخل
النار قوله سألت ابا عبد الله عم عن الغيبة قال هو ان تقول لاخيك في دينه ما لم يفعل وتبث عليه امرا قد ستره
الله عليه لم يقم عليه فيه حد هو راجع الى الغيبة والتذكير باعتبار الاغتياب او باعتبار الجزء وقوله لم
يقم عليه فيه حد صفة بعد صفة للامر او حال بعد حال عنه وفيه دلالة على انه لا حرمة للكافر فلا يحرم
غيبته وحرمة مذمة من دليل خارج وعلى ان الغيبة هي نسبة القبيح الى الغير سواء فعله ام لا فتشمل البهتان
وسواء حضر ام غاب فيراد بالغيبة هنا غير المعنى المصطلح وعلى ان ذكر الامر المكشوف المشهور ليس بغيبة
وسيجيء زيادة البحث فيه وعلى ان ذكر الامر المستور الذي يقام فيه الحد على فاعله مثل الزنا ونحوه ليس بغيبة
والا لبطل الحدود فلو اطلع العدد الذي يثبت بهم الحد او التعزير على فاحشة جاز ذكرها عند الحاكم بصورة
الشهادة في حضور الفاعل وغيبته ولا يجوز التعرض لها في غير ذلك قوله سئل النبي صلعم ما كفارة الاغتياب
قال تستغفر الله لمن اغتبته كلما ذكرته في بعض النسخ كما ذكرته اي بالعيب والاصل يفيد وقوع الاستغفار
في اوقات التذكر كلها قال الشهيد س سره كفارة الغيبة ان يندم ويتوب ويتأسف على فعله ليخرج من حق الله
تعالى ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله اذ المرائي
قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون تائبا فيكون قد قارف معصية اخرى يدل على ذلك ما روي
عن النبي صلعم من كانت لاخيه في قلبه مظلمة في عرض او مال فليستحللها منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار
ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فيزيد على سيئاته ولا منافاة
بين هذه الرواية ورواية الكتاب لانه يمكن حمل الاستغفار على من لم يبلغ غيبته المغتاب او في حكم من لم يبلغه
او لم يقدر على الوصول اليه بموته او غيبته وحمل الاستحلال على من يمكن الوصول اليه مع بلوغه الغيبة و
يستحب للمعتذر اليه قبول العذر والمحالة فان لم يقبل كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له وقد يقابل سيئة
الغيبة في القيمة ولا فرق بين غيبة الصغير والكبير والحي والميت والذكر والانثى وليكن الاستغفار و
الدعاء له على حسب ما يليق بحاله فيدعو للصغير بالهداية وللميت بالرحمة والمغفرة ونحو ذلك ولا يسقط
الحق باباحة الانسان عرضه لانه عفو عما لم يجب كما ان من اباح قذف نفسه لم يسقط حقه من الحد
والظاهر انه يعتبر في هذه الكفارة النية كما في الكفارات قوله من بهت مؤمنا او مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله في

باب الرواية على المؤمن

خبال حتى يخرج مما قال قال وما طينة خبال قال صديد يخرج من فروج المومسات البهت والافتراء والقذف
بهته بهتا من باب نفع قذفه بالباطل وافترى عليه الكذب والاسم البهتان واسم الفاعل البهوت والجمع بهت
مثل رسول ورسل والخبال بفتح الخاء الفساد والصديد الدم المختلط بالقيح وقيل هو القيح الذي كانه الماء
في رقته والدم في شكله والمومسات بضم الميم الاولى وكسر الثانية جمع المومسة وهي الفاجرة ويجمع ايضا على
المواميس والمياميس قوله من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغتبه ومن ذكره من خلفه
بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه دل على جواز ذكر المعايب اذا كانت مشهورة عند من عرفها ومن جملة
ذلك اذا كان معروفا بلقب قبيح كالاعمش والقصير والاعمى والاعور والاعرج ونحوها فيذكر ذلك للتعريف
لا للتنقيص وان امكن تعريفه بغير ذلك اللقب فهو اولى تحرزا من احتمال كسر قلب المؤمن وعلى جواز غيبة
الفاسق المعلن بفسقه بذكر فسقه ذلك لا غيره من معايبه سواء استنكف ذكره لذلك الفسق ام لا ومنهم من منعه
في المستنكف وجوزه في غيره وظاهر هذا الحديث والذي يأتي بعده وظاهر ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من القى
جلباب الحياء فلا غيبة له هو الجواز مطلقا والله اعلم واما الفاسق الغير المعلن فالاظهر انه لا يجوز غيبته
بذكر فسقه الا ان يتعلق بها غرض صحيح ديني بان يرجو ردعه عن المعصية فيلحق بباب النهي عن المنكر ومع
ذلك كله انما يجوز ذلك اذا لم يندم عن المعصية ولم يتب منها والا فلا يجوز قطعا ودل ايضا على ان الاغتياب هو
ذكر الرجل في غيبة بما يسوؤه فلو ذكره في حضوره لا يكون غيبة وان كان حراما لانه لا يجوز ايذاء المؤمن
على اي وجه كان وعلى ان ذكر غير المعروف من المعايب اغتياب وقد استثنوا من ذلك جرح الشاهد والراوي
وتفضيل بعض العلماء والصناع على بعض والتنبيه على الخطاء في المسائل العلمية لقصد ان لا يتبعه احد فيها
وشكاية المتظلم عند الوالي او عند من يقدر على انصافه ويقتصر على مورد الظلم ويقول فلان فعل كذا
ليزجره عنه والنصح للمؤمن المتردد الى الفاسق والمبتدع فيعلمه ليتباعد منه ونصح المستشير الى غير ذلك مما يتعلق
بغرض صحيح شرعي وامثال هذه الامور ان امكن فيها التعريض فلا يبعد القول بتحريم التصريح لانها شرعت للضرورة
والضرورة تتقدر بالحاجة قوله من روى على مؤمن رواية اراد بها بان ينقل عنه كلاما يدل على ضعف عقله وسخافة
رايه وسفاهة طبعه ولعل السر في عدم قبول الشيطان له ان فعله اقبح من فعل الشيطان لان سبب خروج الشيطان
من ولاية الله تعالى هو مخالفة امره مستندا بان اصله اشرف من اصل آدم ع ولم يذكر من فعل آدم ما يسوؤه ويسقطه
عن نظر الملائكة وسبب خروج هذا الرجل من ولايته تعالى وهو مخالفة امره عز وجل من غير ان يسندها
الى شبهة اذ الاصل واحد وذكره من باب المؤمن ما يوذيه ويحقره في اعين السامعين وادعاء الكمال الفعلي لنفسه

ضمنا

٢١٣

باب الشماتة

ضمنا وهذا ادلال وتفاخر وعجب وتكبر فلذلك لا يقبله الشيطان لكونه اقبح افعالا منه لان الشيطان لم
يعتمد على ولايته لان شانه نقض الولاية لا غير شيء فلذلك لا يقبله قوله لا تبد الشماتة لاخيك فيرحمه الله
ويصيرها بك شمت به يشمت اذا فرح بمصيبة نزلت به والاسم الشماتة واشمت الله به العدو ومنه قوله
تعالى ولا تشمت بي الاعداء اي لا تفعل بي ما يحبون ويسرون وابداؤها يكون بالفعل مثل اظهار السرور
والبشاشة والضحك عند المصاب وبالقول مثل الحزن والتحزين وانما نهى عن الابداء لعله لان
الشماتة توجد في قلب العدو فرحا بمقتضى الطبع فنهى عن اظهارها للمصاب لما فيه من الزيادة في مصيبته
وايذائه والتاكيد العداوة عنده واغرائه وشيء من ذلك ينبغي ان لا يكون لان من صفات المؤمنين ان
يكونوا متراحمين متعاطفين متواصلين ولان العاقل العالم باسرار القدر وملاحظته لاسباب المصائب
وانه في معرض ان يصيبه مثلها يتصور شوبها لنفسه ولا يفرح به ولها في غيره ولان الله تعالى قد يرحم المصاب
ويعافيه من المصيبة ويصيرها بالشامت فيعكس امر الشماتة وذلك لان في اظهار الشماتة نوع بغي على المصاب
في امر انزله الله تعالى به وعقوبة البغي عاجلة فيعافيه ارغاما للشامت ويبتليه تعجيلا لعقوبة بغيه وظلمه
ان قوله وقال من شمت بمصيبة نزلت باخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن من تتمة الرواية المذكورة بالاسناد
المذكور واحتمال كونه رواية اخرى بحذف الاسناد بعيد ويفتتن بالبناء للمفعول من الفتنة وهي المحنة والمصيبة
والابتلاء واصلها من قولهم فتنت الذهب والفضة اذا احرقته بالنار ليتبين الجيد من الردي وانما فعل الله

باب السباب

تعالى به ذلك غيرة وانتصارا ودعما له وجزاء لما صنع باخيه بسبب ما انزل الله فيه قوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله سباب
المؤمن كالمشرف على الهلكة سبه يسبه سبا شتمه فهو سباب ومنه قيل للاصبع التي تلي الابهام سبابة لانه
يشار بها عند السب وسابه مسابة وسبابا سب كل واحد صاحبه والهلكة مثال قصبة والهلك
مثال قفل بمعنى الهلاك ولعل المراد بها الكفر والخروج من الدين وبالمشرف عليها من قرب وقوعه فيها بفعل
الكبائر العظيمة والساب شبيه بالمشرف وقريب منه ولو اريد بها العقوبة واستحقاقها لم يتم التشبيه على
الظاهر لان الساب على الاول مشرف عليها وعلى الثاني متصف بها قوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله سباب المؤمن
فسوق الفسوق مصدر فسق يفسق فسوقا من باب قعد وضرب اي خرج عن الطاعة والاسم الفسق ويقال
اصله خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد ومنه فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها وكذلك كل شيء
ما خرج من قشره فقد فسق والسباب بالكسر مصدر ساب كقتال مصدر قاتل وهو اما بمعنى التساب او
على بابه للطرفين والاضافة الى المفعول او الى الفاعل على احتمال وسببه بان يقول مثلا يا شارب الخمر او

يا آكل الربا او يا ملعون او يا خاين او يا حمار او يا كلب او يا خنزير او يا فاسق او يا فاجر او امثال ذلك لخارج
عن ولاية المؤمنين وعن طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة الائمة المعصومين وفاعل لما يوذيهم ومستحق
للتاديب على حسب ما يراه الحاكم وقتاله كفر كان القتال لما كان من اسباب الكفر اطلق عليه الكفر مجازا
او اريد به القتال مستحلا او قتال المؤمن من حيث انه مؤمن اي لاجل ايمانه او اريد بالكفر كفر نعمة التالف ان الله
الف بين المؤمنين او انكار حق الاخوة او من حقها عدم المقاتلة والله اعلم واكل لحمه معصيته المراد بالغيبة كما
عزوجل ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه شبه صاحب الغيبة باكل
اللحم لحم اخيه الميت زيادة في التنفير والزجر عنها والمراد بالمعصية الكبيرة لان الغيبة كبيرة موبقة وحرمة ماله
كحرمة دمه جمع بين المال والدم في الاحترام ولا شك في ان اهراق دمه كبيرة مهلكة فكذا اكل ماله وقيل هذا
الحديث مذكور في كتب العامة وقال ابن الاثير قيل هذا محمول على من سب او قاتل مسلما من غير تاويل وقيل انما
قال على جهة التغليظ الا انه يخرجه الى الفسق والكفر **قوله** ابن محبوب عن عبد الرحمن بن الحجاج اسقط المصنف
قدس سره طريقه الى ابن محبوب بوثوقه انه روى هذا الحديث سابقا في باب السفه عن علي بن ابرهيم عن ابيه
عن ابن محبوب عن عبد الرحمن بن الحجاج عن ابي الحسن موسى عم الى آخر ما ذكره من غير تفاوة الا في قوله ما لم
يتعد بالى المظلوم فان في السابق ما لم يتعد المظلوم وقد مر شرحه مفصلا فلا نعيده ونفهم منه انه
اذا اعتدى وعفى عنه سقط عنه الوزر والتعزير او الحد قبل الثبوة عند الحاكم وبعده والاعتراض للحاكم لانه
حق آدمي يتوقف اقامته على مطالبته ويسقط بعفوه **قوله** ما شهد رجل على رجل بكفر الا باء به احدهما ان شهد
به عند الحاكم او اتى بصيغة الخبر نحو انت كافر او بصيغة النداء نحو يا كافر وباء بمعنى رجع اي رجع بالكفر احدهما
وصار عليه وقوله فاياكم والطعن على المؤمنين اشارة الى ان مطلق الطعن حكمه حكم الكفر في الرجوع الى احدهما
وقطعا قال قبل اذا لم يكن المقول له كافرا فغايته ما في الباب ان القايل ساب كاذب وشي منهما ليس بكفر فالجواب
انهما من اقرب منازل الكفر اذ صاحبهما لا يامن ان ينتقل منهما الى الكفر لعدم استقرار الايمان في قلبه وقد
شاع في الاخبار اطلاق الكفر عليه وباقي التوجيهات السابقة يجري هنا ايضا وقيل ضميره يعود الى السبة
المفهومة من السياق لا الى الكفر يعني تكفيره لاخيه تكفير لنفسه لانه لما كفر مؤمنا فكانه كفر نفسه وفيه
ان التكفير ح غير مختص باحدهما المتعلقة بهما جميعا وقيل الضمير يعود الى الكفر الحقيقي لان القايل ان اعتقد
ما عليه المقول له من الايمان كفر فقد كفر لقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وفيه ان القايل
بكفر اخيه لم يجعل الايمان كفرا بل جعل بدل الايمان كفرا او نحيا وبعيره به بترك الايمان واخذ الكفر بدلا منه

وبينهما

وبينهما بون بعيد **قوله** ان اللعنة اذا خرجت من في صاحبها ترددت فان وجدت مساغا والا رجعت على صاحبها
فيه تفخيم لامر اللعن واثمه وحث على التجنب منه فانه لا يقع قط عبثا بل يرجع اما الى الملعون او الى اللاعن فلعن
المسلم من لعن المسلمين ولا يلعن الا من لعنه الله ثم او المعصوم او من علم قطعا انه محروم من الرحمة الواسعة
لان اللعن الابعاد من الرحمة وليس ذلك من خلق المؤمنين الذين وصفوا بانهم كجسد واحد وانهم متراحمون
بينهم وانهم يحبون لاخيهم ما يحبون لانفسهم ومن دعا على اخيه باللعن فهو في غاية التقاطع والتدابر وهذا
غاية ما يود المسلم للكافر **قوله** ولا يقبل الله من مؤمن عملا وهو مضمر على اخيه المؤمن سوءا دل على ان اضمار
السوء لا يقدح في اصل الايمان نعم يدفع كماله وليس المراد باضماره الخطرات التي تخطر في القلب لان دفعه غير
مقدور بل المراد الظن به وان لم يتكلم ثم هذا ان لم يحصل الظن بوجه شرعي معتبر والا فالظاهر انه خارج عنه
عن هذا الوعيد لترتب كثير من الاحكام الشرعية عليه مثل الحدود والتعزير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ولا ينافي هذا الحديث حديث الحزم مساءة الظن لان معنى هذا هو الامر بالتحفظ والاحتياط دون الظن
بالسوء والله اعلم **قوله** ما من انسان يطعن في عين مؤمن الا مات بشر ميتة وكان قمنا ان لا يرجع الى خير الطعن
القدح والعيب والوقوع في اعراض الناس سوا فعلوا ام لا وفعله من باب قتل ومن باب نفع لغة والميتة
بكسر الميم الحال والهيئة ولعل المراد بها ميتة الكفر نعوذ بالله والقمن بالتحريك الجدير والحقيق ويستعمل
بلفظ واحد مطلقا فيقال هو وهي وهم وهن قمن ان يفعل كذا ويجوز قمن بكسر الميم فيطابق في التذكير
والتانيث والافراد والجمع والمراد بالخير التوبة او الايمان او الاعم **قوله** اذا اتهم المؤمن اخاه انماث الايمان
من قلبه كما ينماث الملح في الماء اتهمته بكذا ظننته به والاسم التهمة وزان رطبة والسكون لغة حكاها
الفارابي واصل التاويل ولعل المراد بها ان يقول ما ليس فيه مما يكسر شانه ويوجب شينه ويحتمل ان يراد
بها سوء الظن به وانماث الملح في الماء ذاب ولما قال من قلبه ولم يقل في قلبه للتنبيه على فساد قلبه حتى ينافي
الايمان ويوجب فساده **قوله** ومن اتهم اخاه في دينه فلا حرمة بينهما الحرمة بالضم اسم من الاحترام لم في سببها
باعتبار انقطاع علاقة الاخوة وزوال الرابطة الدينية ثم بالغ في حفظ حال الاخ في الدين ورعاية جانبه
زايدا غيره بقوله ومن عامل اخاه بمثل ما يعامل به الناس فهو بريء مما ينتحل اي مما ينتسب هو اليه او انتحله
وهو الله تعالى والنبي والائمة صلوات الله عليهم اجمعين **قوله** قال امير المؤمنين عم ضع امر اخيك على
احسنه حتى ياتيك ما يغلبك منه اي احمل امر اخيك قولا كان او فعلا على احسنه وان كان مرجوحا
وكان خلافه راجحا ولا تظنن ظنا من غير تجسس حتى ياتيك اليقين على خلافه فان الظن قد يخطئ والتجسس منهي عنه

باب التهمة وسوء الظن

كما قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ومن ثم قال العلماء افعال المومنين محمولة على الصحة ثم نبه تاكيدا
لما امر من حمل كلامه على الشر ان كان محتملا للخير وان كان بعيدا بقوله ولا تظنن بكلمة خرجت من
اخيك سوا وانت تجد لها في الخير محملا فاذا خرجت منه كلمة ذات وجهين وجب عليك ان تحملها على
الوجه الخير وان كان معنى مجازيا بدون قرينه او كناية او تورية او نحوها ومن هذا القبيل ما سماه علماء العربية
اسلوب الحكيم كما قال الحجاج للقبعثرى متوعدا له بالقيد لاحملنك على الادهم فقال القبعثرى مثل الامير
يحمل على الادهم والاشهب فابرزه عيده في معرض الوعد ثم قال الحجاج للتصريح بمقصوده انه حديد فقال
لان يكون حديدا خير من ان يكون بليدا وبالجملة كما يحرم على المومن سوء القول في اخيه كذلك يحرم عليه
الظن به بان يعتقد القلب عليه ويحكم به من غير يقين واما الخاطر وحديث النفس فمعفو كما مر وما وقع
قلبه من غير يقين فهو من الشيطان يلقى اليه ليغريه على اخيه فوجب ان يكذبه فانه افسق الفاسقين فلا يجوز
تصديقه ومن ثم جاء في الشرع ان من تكلم بكلمة ظاهرها الارتداد ولها معنى صحيح لا يحكم بارتداده وان من علمت
في فيه رائحة الخمر لا يجوز ان يحكم عليه بشربها وان جاء عليها الامكان ان يكون تمضمض بها او مجها او وجر
في حلقه جبرا وذلك امر ممكن **قوله** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى في حاجة لاخيه المومن فلم ينصحه فقد خان الله
ورسوله خيانة بالكسر دغلى ونا راستى كردن والنصح خلاف الغش فاذا لم ينصحه فقد غشه بتضييع حقوقه ورفض
سيرة العدل فيه وقول الصدوق في امره والدفع عن عرضه وحماية حوزته وبذل السعي في حاجته ومن
غشه بشي من ذلك فقد خانه فيما اعتمد عليه وجعله وسيلة اليه وواسطة بينه وبين حاجته ومن خان
مومنا فقد خان الله ورسوله فيما اراد من النصح للمومن وهو نظير النصح ظاهرا او يعمل بخلافه باطنا وهذه
خيانة عظيمة **قوله** من لدن امير المومنين عليه السلام الى اخرهم لعل المراد بهم الائمة عليهم السلام مع احتمال ان يراد
بهم المومنون كلهم الى يوم القيمة **قوله** كان كمن خان الله ورسوله التشبيه باعتبار ان خيانته مستلزمة
لخيانتهما والقاصد للملزوم كالقاصد للازم وان لم يشعر به **قوله** من استشار اخاه فلم يمحضه محض الراى
سلبه الله عز وجل رايه محضه الود والنصيحة اخلصهما كمحضهما والراى العقل والتدبير وما اقتضاه الانسان
وكل ذلك هنا محتمل ولعل السر في سلبه انه نعمة جليلة وترك الشكر عليه بعدم العمل بمقتضاه كفران لتلك النعمة
وكفران موجب لسلبها **قوله** عدة المومن لخاه نذر لا كفارة له اى كالنذر في جعله على نفسه او في لزوم
الوفاء به الا انه لا كفارة له وهو اما للتخفيف او للتغليظ على احتمال وهذا التشبيه وقوله فمن اخلف فبخلف
الله بدا ولمقته تعرض يعني ان مخلف الوعد مخالف لامر الله او لا ومتعرض لمقته وغضبه ولاستشهاده

باب [illegible]

باب خلف الوعد

بالاية

حرام
بالاية وقوله في الحديث الاخر من كان يومن بالله واليوم الاخر فليف اذا وعد يدل على ان خلف الوعد
والوفاء به واجب فينبغي المومن ان لا يعد واذا وعد ان يفي به وقد حث على الوفاء به قوله تعالى واذكر في
الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فان صدق الوعد بالرسالة والنبوة وقدمه
عليهما لشدة الاهتمام به والحث عليه **قوله** ايما مومن كان بينه وبين مومن حجاب ضرب الله بينه وبين الجنة
سبعين الف سور الى السور مسيرة الف عام سيأتي هذا في الحديث الاخر مع زيادة وهي ان غلظ كل سور مسيره
الف عام اقول لا نعلم انها الف عام الدنيا والف عام الاخرة ثم الظاهر منه ارادة هذا العدد ويمكن حمله على المبالغة
في بعده عن الرحمة والجنة او على انه لا يدخلها الا بعد زمان طويل يقطع فيه تلك المسافة البعيدة او على ان
المراد بالجنة جنة معينة يدخل فيها من لم يحجب المومن والله يعلم **قوله** ولم يكترث الكترث بالشى وكترث لشى
اذ جزع يقال ما يكترث اى ما يبالى والغمامة اخص من الغمام وهو السحاب سمي سحابا لانسحابه اى جريه في
الهواء وغماما لانه يغم اى يغطي ويستر نور الشمس والمرعوب من الرعب وهو الخوف تقول رعبته فهو مرعوب
اذا افزعته والسخط من الله التعذيب والعقوبة والمذكور في جميع النسخ راض والوجه غير ظاهر والظاهر راضيا
بالنصب على انه خبر كان ويفهم من هذا الحديث انه لو صدر عن احد مثل هذه البادرة كان عليه ان يبادر الى
الاعتذار لئلا يصيبه مثل ما اصابهم ولئلا يرد على الله وهو ساخط عليه وان الحجب حرام **قوله** لم يزل في لعنة
الله حتى يلقيا الظاهر ان مجرد الملاقات غير كاف في رفع اللعنة والعقوبة بل لا بد من الاعتذار والعفو بعونه
قوله من بخل بمعونة اخيه المسلم والقيام له في حاجته الا ابتلى بمعونة من ياثم عليه ولا يوجر اى لا يوجر بما
وقع عليه من الظلم والبخل بالمعونة مستلزم لتركها او عدمها اى لم يعن اخاه الا ابتلى والظاهر ان عطف القيام
على المعونة للتفسير والتاكيد مع احتمال ان يراد بالمعطوف القيام في حاجة عند غيره والسعي فيها او بالمعطوف عليه
الاعانة في حاجة عنده وربما يشعر به لفظ القيام وفاعل ياثم راجع الى من وتعديته بعلى لتضمين معنى القهر
والظلم ويندرج في معونة من ياثم عليه معونة الاعداء ومعونة الظالم وان كان من اهل الايمان **قوله** من
قصد اليه رجل من اخوانه مستجيرا به في بعض احواله سواء استجاره في دفع الظلم عنه او في قضاء حاجة له عنده
او عند غيره **قوله** من منع مومنا شيئا مما يحتاج اليه آه مفاد احاديث هذا الباب راجع الى ما في الباب السابق الا
انها لما وردت باسم خاص ونهي خاص وضع لها بابا اخر وامثال هذه الاحاديث دلت على العقوبة بسبب خلاف
المروة وترك الاداب والمرغبات وحملها على التغليظ والمنع لاجل الايمان او للاستحقاق كما قيل في نظائرها
ممكن والله اعلم والظاهر ان مرزقه من باب الافعال قال في كنز اللغة ارزاق كرسي جيم شدن **قوله** حتى يسيل

باب من حجب اخاه المومن

باب [illegible] اخوه فلم يعنه

باب من منع مومنا شيئا من عنده او من [illegible] عند غيره

٢١٥

عمر قرا او دمه آه مفاد احاديث هذا الباب راجع الى ما فى الباب السابق الا انها وردت باسم خاص ونهى خاص
وضع لها بابا آخر وامثال هذه الاحاديث دلت على العقوبة بسبب خلاف المروة وترك الاداب والرغبات
وحملها على التغليظ والمنع لاجل الايمان او للاستحقاق كما قيل فى نظايرها ممكن والله اعلم والظلم قوله حتى
يسيل عرقه او دمه آه الترديد من الراوى والقضية منفصلة مانعة الخلو وفى بعض النسخ او دمه ويرجع الوارى ولعل
المراد يوما زمانا مقداره اربعون يوما من ايام الدنيا والموخ المومنون اولى الملكة او هما وفيه دلالة على ان
المومن حق الله عز وجل لكمال القرب او لانه تعم حمله حماله واولى من دخل فى هذا الوعيد الخلفاء الثلثة ومن
تبعهم لانهم منعوا حق اولى المومنين وافضلهم امير المومنين عليه السلم قوله قال الله عز وجل ملكني لعل
عبدى على عبدى يسكنا الدنيا الا وعزتى وجلالى لايكن حانى ابدا الاريب فى انه بمجرد ذلك المنع لا يصير
كافرا خارجا من الايمان من كل وجه فلا بد من التاويل والله ورسوله اعلم به ويمكن ان يأول المنع بالمنع من
اجل الايمان فيصير كافرا او يراد بالجنان الجنان المعين وهو الجنان الذى يدخلها من قضى حوايج المومنين
قوله وان رده من حاجته وهو يقدر على قضاها سلط الله عليه شجاعا ينهشه فى قبره الى يوم القيمة مغفور له
او معذب الشجاع ضرب من الحيات على الاستعارة سمى به لكثرة تمرد القائل ولعل المراد به الحية حقيقة
واستبعاد بعض السفهاء بانه لو كانت لرايناها عند مشاهدة الميت فى القبر واللازم باطل ايضا الميت تتفرق
اجزاؤه فلا يتصور نهشه مدفوع بان هذه الباصرة لا تقدر ان ترى ما فى عالم الاخرة وتفرق الاجزاء لا يمنع
ذلك لان الله تعالى يقدر على جمعها وان لم نبصره وعلى ايصال الالم بكل جزء ويمكن ان يراد بها الصفات الذميمة للنفس
فان كل واحدة منزلة حية تعذبها بعد فراقها من البدن وان لم نجد المها قبله وعلى هذا لا يتوجه الاستبعاد
المذكور ثم بالغ فى تقبيح حاله بقوله فان عذره الطالب كان اسوء حالا منه اى رفع عنه اللوم وقبل عذره مع
عدم العذر لان المفروض انه قادر على قضاء الحاجة ولعل وجه كونه اسوء حالا انه خالف الله فى عذره مع
لا منفعة له فيه بخلاف تارك القضاء فانه خالفه لرفاهة نفسه ومنافعه ومن البين ان المخالفة الاولى
اشد واقبح مع ان فيه الرضا بالمنكر والميل الى من ابغضه الله تعالى وتدقيق اسم كان يعود الى الموصول مثل ضمير
عذره قوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله من نظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها اخافه الله عز وجل يوم لا ظل الا ظله
يدخل فى الوعيد كل ما يخيفه مثل الاشارة بالسيف والسكين ونحوهما ولعل الظل مستعار للجود والرحمة
والحماية والستر والوجه الراحة فان الملتجى فى راحة كالمستظل من حر الشمس قوله ومن روع مؤمنا بسلطان
ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو فى النار ترويع المؤمن وهو تفزيعه وتخويفه حرام ونوع من اذيته المؤدى

ان كان

باب من اخاف مؤمنا

ان كان كافرا فامره ظاهر وان كان مؤمنا ولم يتب ولم يعتذر نقص بذلك ايمانه واستحق الوعيد
المذكور وتدركه الشفاعة بعد العقوبة ان شاء الله قوله من اعان على مؤمن بشطر كلمة الاعانة عليه اعم
من الاعانة على نفسه وماله وعرضه ومن ان يوثر فيه تلك الكلمة او لا قوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله الا انبئكم

باب النميمة

بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبراء المعايب البراء
ككرام جمع البرى والبغى الطلب والنم نقل الحديث لقصد الافساد يقال نم الرجل الحديث نما من باب قتل
وضرب سعى به ليوقع فتنة او وحشة فالرجل نم تسمية بالمصدر ونمام مبالغة والاسم النميمة والنميم ايضا
وهو قول الغير المنقول الى المقول فيه كما يقال فلان تكلم فيك بكذا وكذا او نقله بالقول ام بالكتابة
ام بالاشارة والرمز وكثيرا ما يكون نقل ذلك القول نقصا او عيبا فى المحكى عنه موجبا لكراهة له و
اعراضه عنه فهو راجع الى الغيبة ايضا فالنمام كثيرا ما يجمع بين المعصيتين معصية الغيبة والنميمة و
مفاسدها اكثر من ان تحصى ويجب على المنقول اليه ان لا يصدق الناقل لانه فاسق وان ينهاه لانه
من النصيحة وان يبغضه لانه مبغوض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله سبحانه وان لا يظن بالمنقول عنه
شرا ولا يحمله ذلك على التجسس عليه لانه حرام بنص القرآن ولا يحكي ما نقل اليه لانه يصير مثله نماما
الا ان يتضمن مصلحة شرعية كالاخبار الامام عمن يريد ان يوقع فسادا او كاخبار الرجل عمن يريد ان يقتله
به او باهله او بماله وقد يجب ذلك بحسب المواطن قوله محرمة الجنة على القتاتين المشائين بالنميمة
القتات النمام يقال قت الحديث يقته اذا زوره وهياه وقيل النمام الذى يكون مع القوم يتحدثون فينم
عليهم والقتات الذى يتسمع وهم لا يعلمون ثم ينم والقساس الذى يسأل عن الاخبار ثم ينمها و
الحديث يحتاج الى تاويل لان الفسق لا يوجب الكفر الموجب للخلود فى النار والحرمان من الجنة ابدا
والحمل على المستحل او على ان الجنة حرام عليه ابتداء ولا يدخلها الا بعد انقضاء مدة العقوبة او على ان

باب الاذاعة

المراد بالجنة جنة معينة لا يدخلها القتات ابدا محتمل والله اعلم قوله ان الله عز وجل عير اقواما بالاذاعة
فى قوله عز وجل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به فاياكم والاذاعة قال المفسرون معناه اذا جاءهم
مما يوجب الامن او الخوف اذاعوه وافشوه كما اذا اخبرهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وآله او اخبرهم الرسول
بما اوحى اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوه من غير حزم وكانت اذاعتهم مفسدة وهذا
صريح فى ان اذاعة الخبر اذا كانت مفسدة لا يجوز قوله من اذاع علينا حديثنا فهو بمنزلة من جحدنا
حقنا آه المذيع والجاحد متشاركان فى عدم الايمان وبراءة الامام منهم وفعل ما يوجب لحوق الضرر

٢١٦

بل ضرر الاذاعة اقوى لان ضرر الجحد يعود الى الجاحد وضرر الاذاعة يعود الى المذيع والى المعصوم و
الى المؤمنين واعلم انه عم كان خايفا من اعداء الدين على نفسه المقدسة وعلى شيعتهم وكان في تقية شديدة
منهم فلذلك نهى عن اذاعة خبر الحق امامته وامامة آبائه واولاده الطاهرين وعلى تقدم اعدائهم بل
عن اذاعة اخبارهم في الشرايع والاحكام والحدود ولكون اكثرها مخالفة لاحكام العامة المخترعة بآرائهم
الكاسدة وارائهم الفاسدة ولم يجوزوا الاذاعة الا الى ثقة معتمد في دينه مأمون من الاذاعة و
بالغوا في الزجر عنها تارة بان المذيع كالجاحد وتارة بانه قاتل وتارة بانه ليس بمؤمن وتارة بانه شاك وتارة
بانه عاص وتارة بانه مارق من الدين وخارج عنه لعلهم يحذرون قوله يحشر العبد يوم القيمة وما ندا دما
فيدفع اليه شبه المحجمة او فوق ذلك المحجمة بكسر الاول قارورة الحجام والواو في قوله وما ندا دما للحال
والنداوة البلل اى ما نال وما لم يصبه نداوته وبلله وفي هذا الحديث وما قبله وما بعده دلالة واضحة
على ان ذا السبب يشارك القاتل المباشر في العقوبة وعلى ان القول الباعث للقتل كالقتل ولذلك قال
امير المؤمنين عم رب كلام كالحسام وقال ايضا رب كلام انفذ من السهام قوله ولكنهم سمعوا
فاذاعوها فاخذوا عليها فصار قتلا واعتداء ومعصية اى فصار الاذاعة من حيث انه سبب للقتل
قتلا ومن حيث انه ظلم على المقتول واعانة للقاتل اعتداء ومن حيث انه لا يجوز عند احتمال الضرر
معصية فالمذيع متصف بهذه الثلثه مذيع السر شاك وقايله عند غير اهله كافر لعل المراد ان
مذيع السر عند مجهول الحال شاك بقرينة قوله وقايله اى قايل السر عند غير اهله وهو المذيع
والمخالف كافر واما الاظهار عند المؤمن المعتقد فجايز قوله من استفتح نهاره باذاعة سرنا لعله ذكر
الاستفتاح بذلك على سبيل التمثيل والا فالحكم غير مخصوص قوله قال رسول الله صم من طلب رضاء الناس
بسخط الله جعل الله حامده من الناس ذاما هذا النوع من الانسان كثير منهم من ترك الامام الحق و
اتبع الجاير طلبا لرضاه كاصحاب معوية ويزيد عليهما اللعنه ويدخل في هذا النوع كل من اعان جابرا
في جوره طلبا لرضاه كعسكر السلطان الجاير وعماله والمتكفلين لاعماله والمتكلمين على وفق مقاصده الجائرة
عن القوانين الشرعية ومنهم من استعمل الحمية للحميم بالباطل ومنهم شاهد الزور ومنهم من يرجح جانب احد
المتخاصمين لمجرد صداقته ومنهم من جمع المال من الحرام والشبهة طلبا لرضاء اهله ووارثه ومنهم من يساعد
الرفقاء ويوافقهم في الغيبة وذكر عيوب الناس طلبا للاجتناب عنه بالمرافقة والموافقة فانهم قد يغتابون
احدا فيرى انه لو انكر وقطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم طلبا للاجتناب عنه ويرى ذلك من جملة

انه

انه من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة ومنهم السلطان الذى لا يدفع ظلم عامله عن رعيته او
ظلم الرعايا بعضهم بعضا ولو فتشت احوال الناس وجدت اكثرهم على هذه الخصلة الذميمة الموبقة ثم هو
بعد ما عليه في الاخرة من العقوبة التى لا مفر لهما منها يذمه في الدنيا والاخرة من يحمده في وقت الضرورة
او من يتوقع منه الحمد فيترتب على فعله نقيض مقصوده اما في الدنيا فلان حامده يعلم خيانته وجوره
قطعا فيبغضه باطنا وربما يلومه ظاهرا ولا يثق في امر من اموره واما في الاخرة فان كل واحد منهما يتبرأ
من الاخر كما نطق به القران الكريم قوله قال رسول الله صم من طلب مرضاة الناس بما يسخط الله كان حامده
من الناس ذاما ومن اثر طاعة الله بغضب الناس كفاه الله عداوة كل عدو وحسد كل حاسد وبغي كل
باغ وكان الله عز وجل له ناصرا وظهيرا رغب في ترك تلك الخصلة ومعالجتها فان اختيارها اما للتوقع
لذلك المال والجاه والحمد والثناء من الناس او لدفع الخوف والضرر عن نفسه وشيء من هذه الامور لا يصلح ٢١٧
اذ مع ما فيه من الاعراض عن حمده تعم والتعرض للعقوبة منه لعل الله تعم يصرف قلوب العباد عنه
فيجعل من يتوقع الحمد منه ذاما وعدوا له فيصير خاسر الدنيا والاخرة وفي العكس خاصيتها اذ من اثر طاعة
الله بغضب الناس طلبا لحمده تعم وخوفا من عقوبته كفاه الله عداوة كل عدو وحسد كل حاسد يريد زوال
نعمته ويحتال لازالتها وبغي كل باغ متجاوز عن الحد في ايصال السوء اليه وايقاع المكروه عليه اما بصرف
قلوبهم عما ارادوا او القاء المحبة فيها فيجعلهم محبين حامدين له بعد ما كانوا مبغضين معاندين له او
عليهم ان يتبعوا احكام الغضب ولو اجروا عليه الغضب كان الله عز وجل منتقما له في الاخرة قوله من حاول
امرا بمعصية الله كان افوت لما يرجو او اسرع لمجىء ما يحذر مثله من طلب رضا المخلوق بمعصية الخالق
يفوت رضاه ومدحه ويجد غضبه وذمه بخلاف من حاول رضاه تعم بمعصية الخلق فانه تعم يجعل له
ما اراد وهذا امر شاهد مجرب فان الناس مجبولون على حب الامين المتدين العامل لله القاصد
في جميع حركاته وسكناته وهذا من جوامع الكلام في الزجر عن المنهيات والترغيب في الخيرات قوله لا دين لمن دان
بطاعة من عصى الله ولا دين لمن دان بفرية باطل على الله ولا دين لمن دان بجحود شيء من آيات الله الفرية
دروغ بافتن وهى اخص من العصيان وطاعة العاصى اعم من طاعته في المعصية وغيرها ولعل المراد بآيات الله
الائمة عليهم السلام او الاعم وبالدين الطريقة النبوية ومن البين انه لا دين بهذا المعنى لمن دان بالامور المذكورة
لان هذه الامور ليست من هذه الطريقة واول من دخل في هذا الوعيد اتباع الخلفاء الثلثة ثم اتباع سلاطين
الجور ثم اتباع من دونهم من الفاسقين قوله قال رسول الله صم خمس ان ادركتموهن فتعوذوا بالله منهن لم تظهر الفا

اى الزنا ونقص المكيال والميزان ومنع الزكوة ونقض عهد الله ورسوله والحكم بغير ما انزل الله ويترتب على كل
واحد منها عقوبة تناسبه فان الاول لما كان فيه تضييع آلة النسل ناسبه الطاعون الموجب لانقطاعه
والثانى لما كان القصد فيه زيادة المعيشة ناسبه القحط وشدة المؤنة وجور السلطان باخذ المال وغيره
الثالث لما كان فيه منع ما اعطاه الله بتوسط الملائكة ناسبه منع نزول المطر من السماء والرابع لما كان فيه ترك
العدل والحكم العادل ناسبه تسلط العدو واخذ الاموال والخامس لما كان فيه رفض الشريعة وترك
القوانين العدلية ناسبه وقوع الظلم بينهم وغلبة بعضهم على بعض وفيه تنبيه على ان لهذه الامور تاثيرا
عظيما فى نزول هذه البلايا وورود هذه المصائب لاستعداد اهلها بالانهماك فيها وعدم المبالات بها
لسخط الله وعقوبته واشار بقوله ولولا البهائم لم يمطروا الى ان وجود البهائم رحمة للناس وسبب لوصول
فيض الحق اليهم وذلك لان بقاء البهائم ونشوها بالماء والكلاء وهو متوقف على نزول المطر من السماء فلا
انزل المطر رعاية لحالها وحفظا لنظام احوالها انتفع بنو آدم ايضا كما دلت عليه حكاية النملة واستسقائها
وقولها اللهم لا تواخذنا بذنوب بنى آدم وكان ان عقوبة الله عز وجل قد تعم الابرار لشوم الاشرار كذلك
رحمته قد تعم الاشرار لرعاية الضعفاء والاخيار ولعل المراد بعهد الله وعهد رسوله هو العهد بنصرة
الامام الحق واتباعه فى جميع الامور وظاهر ان ذلك موجب لظهور العدل بينهم وحفظ اموالهم ودمائهم
وقطع ايدى الاعداء عنهم وان نقض ذلك العهد والهجران عن الامام موجب لتسلط سلطان الجور عليهم
واخذ اموالهم وسفك دمائهم كما هو مشاهد الآن فى اقطار الارض واما جعل بأسهم بينهم وهو القوة والشدة
والعذاب فكان المراد به غلبة بعضهم على بعض بالتعدى والطغيان ومعاونة بعضهم لبعض على الظلم والعدوان
والله اعلم واذا جاروا فى الاحكام تعاونوا على الظلم والعدوان لان الرافع للتعاون على الظلم والعدوان
والباعث للتعاون على البر والتقوى والاحسان هو العدل فاذا ارتفع العدل وتحقق ضده وهو الجور
تحقق التعاون على الظلم والعدوان فى النفس والمال والعرض وذلك موجب لتبدد النظام المطلوب عقلا
وشرعا **قوله** واذا قطعوا الارحام جعلت الاموال فى ايدى الاشرار اول الارحام واولها بالوصل رحم
آل محمد الائمة صلى الله عليه وعليهم اجمعين وقطعها يوجب وقوع اموال المؤمنين والابرار فى ايدى
الفجرة والاشرار كما وقع فى الصدر الاول واستمر الى الآن ثم ارحام المؤمنين وقطعها يوجب انقطاع
النسل الموجب لوقوع الاموال فى ايدى الاشرار ويوجب وقوع المخالفة بينهم وعدم معاونة بعضهم بعضا
وذلك يوجب طمع الاشرار فى اموالهم واخذها منهم ظلما واذا لم يامروا بالمعروف الى آخره يحتمل ترتب التسلط

على ترك

على ترك كل واحد من الامرين المذكورين وعلى تركهما جميعا ووجه عدم استجابة دعاء الخيار هو استحكام الغضب
وبلوغه حد الحتم والابرام الا يرى انه لم تقبل شفاعة خليل الرحمن لقوم لوط كما يدل عليه قوله تعالى
يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود **قوله** لا ينبغى للمؤمن ان يجلس مجلسا يعصى
الله فيه ولا يقدر على تغييره المراد بمعصية الله ترك اوامره وفعل نواهيه كبيرة كانت او صغيرة حق الله
كان او حق الناس ومن جملة ذلك اغتياب المؤمن وذكره بما يكرهه فان فعل احد شيئا من ذلك وقدرت على
تغييره ومنعه منه فغيره اشد تغيير حتى يسكت عنه وينزجر منه ولك ثواب المجاهدين وان خفت منه فاقطع
وانتقل بالحكمة من امره الى امر آخر جائز ولو بنحو من التقريب ولا بد ان يكون التغيير بالقلب واللسان وحده
والقلب مائل اليه فان ذلك نفاق وفاحشة اخرى وان لم تقدر عليه فقم ولا تجلس معه فان لم تقدر على
القيام ايضا فاكره بقلبك وامقته فى نفسك وكن كانك على الرضف فان الله تعالى مطلع على سرائر القلوب وانت
عنده من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وان لم تنكر ولم تقم مع القدرة على الانكار والقيام فقد رضيت
٢١٨ بالمعصية فانت وهو سواء فى الاثم كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال المستمع احد المغتابين وعن امير المؤمنين
عليه السلام انه قال السامع للغيبة احد المغتابين **قوله** فاما جلست معه وتركتنا واما جلست معنا وتركته
دل على انه ينبغى عدم الجلوس مع من يجالس اهل المعاصى وان لم يكن هو من اهلها وهو برايه حتى يبلغا
طرفا من الخير فيصير قاحيما الداعيه المخالفة تقول راغمته اذا غاضبته وغرقته فى الجوامع كونه فى طاعة الله
مضيعة لابيه وهدايته لاجل مقارنته المذنب فمن قارب المذنب ولم يكن تلك المقارنة طاعة فهو اولى بالمؤاخذة
ولومه فى الآخرة شديد **قوله** لا تصحبوا اهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم لان من تشبه
بقوم فهو منهم ويفهم منه ان حسن الحال عند الناس مطلوب وربما كان ذلك سببا لحسن حاله عند الله
لان الله تعالى لا يرد شهادة المؤمنين له فما ذهب اليه فرقة من الملامتية باطل وينبغى ان يعلم ان الناس صنفان اهل
الخير والصلاح واما اهل الشر والفساد والواجب على الفرقة الاولى والتعاون والتالف والتودد فيما بينهم
والقيام باحكام الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بالنسبة الى الفرقة الثانية مع وجود الشرائط والاوجب
عليهم المهاجرة عنهم وبما قررنا يظهر وجه الجمع بين الاخبار التى يدل بعضها على مدح الاعتزال وبعضها على
مدح الاجتماع وبعضها على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويبطل قول من رجح الاعتزال مطلقا وقد
بسطنا الكلام فى صدر الكتاب ثم بالغ فى الزجر عن مصاحبة اهل البدع بقوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله المرء على دين
خليله وقرينه اى ظاهرا او باطنا اما ظاهرا فظاهر لانهم عند الناس مثلهم واما باطنا فلان النفس مائلة

الى الشرور فتميل الى طبع الجليس سريعا وتسكن اليه فيستعد بعد ورود ما يصدر عنه من الامور المنكرة ويعكس الامر
اذا كان الجليس زاهدا متورعا عالما متدينا **قوله** قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا رايتم اهل الريب والبدع من بعدى فاظهروا
البراءة منهم واكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم الريب الشك ومن علاماته المساهلة فى الدين
وترك الاوامر وفعل النواهى وعدم الاعتناء بهما والبدعة اسم من الابتداع وهو الاحداث ثم غلب استعمالها
فيما هو زيادة او نقصان فى الدين والمراد بسبهم الاتيان بكلام يوجب الاستخفاف بهم قال الشهيد الثانى
يصح مواجهتهم بما يكون نسبته اليهم حقا لا بالكذب وهل يشترط جعله على طريق النهى فيشترط شروطه
ام يجوز الاستخفاف بهم مطلقا ظاهر النص والفتاوى الثانى والاول احوط ودل على جواز مواجهتهم بذلك
وعلى جواز غيبتهم رواية البرقى عن ابى عبد الله عليه السلام اذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له ولا غيبة ومرفوعة
محمد بن بزيع من تمام العبادة الوقيعة فى اهل الريب انتهى والوقيعة اللوم والذم والعيب تقول وقعت فى فلان
وقوعا ووقيعة اذا عبته وذممته وبفلان اذا لمته والبهت التحير والدهش ولعل المراد به الزامهم بالحجج البالغة
لينقطعوا ويبهتوا كما بهت الذى كفر فى محاجة ابراهيم عليه السلام وكل ذلك كيلا يطمعوا فى الفساد فى الاسلام
ويحذرهم الناس ولا يتعلموا من بدعهم فانك اذا وقعت فيهم واظهرت بدعهم ولمتهم بها يتركون الفساد ويحذر
الناس ولا يتعلمون من بدعهم ولا يكتسبونها خوفا من الله او من الوقيعة واعلم ان الخلاف الحق درجات
منهم الكافر والاعراض عنه وعداوته وبغضه لازمة وان كان اهل الذمة والامان ومنهم المبتدع وهو الذى
يرتكب البدعة ويدعو الناس اليها ومنهم اهل المعصية التى فيها ايذاء الخلق كالظلم والشهادة الزور والحكم
بخلاف الحق والهجو والغيبة ومنهم اهل المعصية التى لا تؤذى الخلق كشرب الخمر وترك الصلوة وهؤلاء
زجرهم عن المعصية فان قبلوا وتابوا والا وجب الوقوع فيهم وتشهيرهم لما ذكر ثم رغب فيما ذكر بقوله يكتب الله
لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات فى الاخرة فيا عجبا من يدعى الفضل حيث يجالس الشاربين
الخمور والشاغلين بالنرد والطنبور والمؤذين للمؤمنين بالغيبة وقول الزور والعاملين بجميع انواع المعصية
والفجور وهو يتكلم على وفق مرادهم ويغمض عن فساده وفسادهم حبا للشهرة والرياسة وطلبا لما فى ايديهم
متاع الدنيا الخسيسة **قوله** لا ينبغى للمسلم ان يواخى الفاجر ولا الاحمق ولا الكذاب الفاجر الفاسق والاحمق
الناقص العقل من الحمق وهو نقصان العقل وفساده وقيل هو من يسبق كلامه فكره ولا يتامل فى نطقه اهو
صواب ام خطأ واليه يرشد قول امير المؤمنين عليه السلام لسان العاقل وراء قلبه وقلب الاحمق وراء لسانه والكذاب
المبالغ فى الكذب المشتهر به وهؤلاء لا ينفعون فى الدين والدنيا فلا خير فى مواخاتهم وصداقتهم **قوله** ينبغى للمسلم
ان

ان يجتنب مواخاة ثلثة الماجن والاحمق والكذاب مجن مجونا من باب قعد صلب وغلظ وهزل وقيل
اى المخش فى منطقه ولا يبالى قولا وفعلا فهو ماجن وقد بالغ فى الزجر عن مواخاة الاحمق بقوله وربما
اراد منفعتك فضرك وذلك لانه لا يعرف موارد الكلام وحقايق الامور واثارها وفوايدها ومفاسدها
ومنافعها ومضارها فربما يقول شيئا مثلا ويعتقد انه نافع وهو ضار واشار الى بعض من صفات الكذاب
الداعية الى ترك مواخاته بقوله واما الكذاب فانه لا يهنيك معه عيش ينقل حديثك وينقل اليك الحديث
وبذلك يقع بينك وبين بنى نوعك باب الفساد الذى لا يمكن سده وشئ كلما افنى احدوثة مطها باخرى اى
مدها والاحدوثة واحد الاحاديث وهى ما يتحدث به حتى انه يحدث بالتصديق فلا تصدق لان
الكذوب قد يصدق الا انه لا يصدق لشهادة حاله على كذب مقاله ويغرى بين الناس بالعداوة
للامتراء عليهم وينقل كلام كل الى الاخرين فينبت السخائم فى الصدور السخيمة والسخم بالضم الحقد وفى
بعض النسخ الشحنا بالشين والحاء المهملة وهو البغض والحقد وفى بعضها الشجنا بالشين والجيم من الشجن
بالتحريك وهو الهم والحزن والكل مناسب والانبات استعارة تبعية وهذه الخصلة هى غمرة مصاحبة
الكذابين وهى خصلة شنيعة ذميمة لكونها منافية للنظام قاطعة للالتيام مؤدية الى شيوع الفساد والغضب
والبغى فى الانام فاتقوا الله وانظروا لانفسكم لما كان الكذب دليلا على نقصه مدلا لعزه وبين قبح
مصاحبته هنا بانه لا بد لكل احد من ان ينظر لنفسه ويعرف حال من يريد مواخاته ومصادقته و
لا يعتمد على علم حاله فى بادى الراى لئلا يتخذ مصاحبا ذليلا مذللا **قوله** اياك ومصاحبة الكذاب فانه
بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويباعد لك القريب السراب كثيرا ما يطلق على الال اللامع فى المفازة
بصورة الماء ويطلق ايضا على كل ما لا حقيقة له وقوله يقرب الى آخره اشارة الى وجه الشبه كما فسرناه
آنفا واياك ومصاحبة الفاسق فانه بايعك باكلة هى بضم الهمزة اللقمة وبفتحها المرة من الاكل ونظيره قول
امير المؤمنين عليه السلام واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه اى باليسير الحقير وذلك لانه سهل عليه خلاف
الديانة فلا يحفظ حق المصادقة چو فاسق ديانت ندارد يقين بتوخود را بلقمه فروشد ببرين واياك ومصاحبة
البخيل فانه يخذلك فى ماله احوج ما يكون اليه خذله وخذل عنه من باب قتل والاسم الخذلان اذا
ترك نصرته واعانته وتاخرت عنه وهجرته والظاهر ان احوج منصوب على الحال من الكاف وما مصدرية
وضمير اليه راجع الى البخيل او الى ماله **قوله** قال الله عز وجل فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا
ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم اى فهل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم
٢١٩

عليه او نوليتم عن الاسلام واعرضتم عنه ان تفسدوا في الارض بالمعاصي وتقطعوا ارحامكم وتظلموا في الولاية
وتقاتلوا الاقارب وفيه توبيخ بعنى ان ضعفكم في الدين وحرصكم على الدنيا يتوقع ذلك منكم اولئك المذكورون
الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فاصمهم عن استماع الحق وقبوله واعمى ابصارهم فلا يهتدون
سبيله وقال الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار لله تعالى عهود عهد اخذه بالعقل على عباده بارائهم اياته في الافاق والانفس
وبما ركز فيه من اقامة الحجج على وجود الصانع وقدرته وتوحيده وعهد اخذه عليهم بان يقروا بربوبيته فاقروا
وقالوا بلى حين قال الست بربكم وعهد اخذه على اهل الكتاب في الكتب المنزلة على انبيائهم بتصديق محمد صلى الله عليه وآله
وعهد اخذه على الامم بان يصدقوا نبيا بعث اليهم بالمعجزات ويتبعوه ولا يخالفوا حكمه وعهد اخذه عليهم
بالولاية للاوصياء وعهد اخذه على العلماء بان يعلموا الجهال ويبينوا ما في الكتاب ولا يكتموه وعهد اخذه
على النبيين بان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وقد وقع النقض في جميع ذلك الا في الاخير و
الضمير في ميثاقه للعهد وقال المفسرون هو اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاستحكام والمراد به ما وثق الله
به وعهده من الايات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول وان يوصل في محل الخفض على انه بدل
الاشتمال من ضميره وقطعهم شامل لقطع رحم آل محمد صلى الله عليه وآله وترك الوصل باوصيائه الطاهرين وقطع رحم
الاقربين وقطع موالاة المؤمنين وقطع ما بين الانبياء والمرسلين من الوصلة والاجتماع على الحق والايمان
ببعض والكفر ببعض والافساد في الارض شامل لكل ما لا يجوز شرعا كالمنع من الايمان والاستهزاء
بالحق واهله والقتل والنهب ونحوها قوله ولا تقاعده كائنا من كان اى سواء كان من اهل ملتك ام
من اهل الخلاف فانه لا بد من القيام وترك مجالسته اذا لم يمكنك نهيه عن المنكر والا وجب نهيه واذا لم
يمكن النهي والقيام للتقية والخوف منه او من غيره وجب انكاره قلبا كما دلت عليه روايات اخر وقد
تقدم تفسير الاية الكريمة في باب ان الايمان مبثوث لجوارح البدن كلها فلا نعيده قال امير المؤمنين عليه السلم
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقوم مكان ريبة اى لا يقوم مقام تهمة وشك ولا يجلس فيه
فانه يتهم بالفسق ظاهرا عند الناس وقد يتلوث به باطنا لا نعلاق قلبه وقبوله الشك والفسق من
الجليس قال في المغرب رابني ريبا شككني والريب الشك والتهمة ومنها الحديث دع ما يريبك فان الكذب
ريبة وان الصدق طمأنينة اي ما يشكك ويحصل فيك الريبة وهي في الاصل قلق النفس واضطرابها
الا ترى كيف قابلها بالطمأنينة وهي السكون وذلك ان النفس لا تستقر متى شكت في امر واذا ايقنته سكنت

ولطالت

ولطالت قوله ثلثه مجالس يمقتها الله فيرسل نقمته اه المراد بالنقمة بفتح النون وكسر القاف او سكونها اما العقوبة
الدنيوية او اللعنة وبالرث البالي الخلق والمهين الضعيف ويمن يصد من يصد عنهم عليهم السلم في ذلك المجلس او
اغتم فيهم عدم مجالسة الصادق عنهم مطلقا ويؤيد الثاني قوله وانت تعلم اى وانت تعلم ان من يصد عناد
وان لم تعلم فلا حرج عليك في مجالسته اذ لا تكليف المهاجرة عنه مع عدم العلم بحاله والموت لله عز وجل حقيقة
سبهم عليهم السلم وانما انتسبهم الى ذاته المقدسة تشريفا وتعظيما لهم وليس المراد سب الله عز وجل
لان احدا لا يسبه كما وقع التصريح به في بعض الروايات وبالايات امير المؤمنين عم وقد وقع التصريح به
في بعض الروايات وربما يؤيده تذكير الضمير في غيره قوله فكن كانك على الرضف حتى تقوم الرضف الحجارة
المحماة الواحدة رضفة مثل تمر وتمرة وفي كنز اللغة رضف سنگ گرم ميسازند وبان شير را داغ ميكنند
وگوشت را بريان ميكنند قوله من قعد في مجلس يسب امام من الائمة تقدر على الانتصاف اه الانتصاف
ان تقيله اذا لم يخف على نفسه او عرضه او ماله او على مؤمن آخر وقد سئل الصادق عم عمن سمع يشتم عليا
عليه السلم ويبرأ منه فقال هو حلال الدم واضافة صالح الى الموصول في قوله وسلبه صالح ما من
به من معرفتنا اما بيانية فيفيد سلب المعرفة واما لامية فيفيد سلب الاعمال الصالحة عنه قوله رايت يحيى
بن ام طويل وقف بالكناسة يحيى بن ام الطويل المطعمي من اصحاب الحسين عم وقال الفضل بن شاذان
لم يكن في زمن علي بن الحسين عليهما السلم في اول امره الا خمسة انفس وذكر من جملتهم يحيى بن ام الطويل وروى
عن الصادق عم قال ارتد الناس بعد قتل الحسين عم الا ثلثه ابو خالد الكابلي ويحيى بن ام الطويل وجبير
بن مطعم ثم ان الناس لحقوا وكثروا وفي رواية اخرى مثله وزاد فيها وجابر بن عبد الله الانصاري
وروى عن ابي جعفر عم ان الحجاج طلبه وقال تلعن ابا تراب وامر بقطع يديه ورجليه وقتله ومن
شك فيما نحن عليه فلا تفاتحوه اى فلا تحاكموه او لا تبتدؤوه بالمجادلة والمناظرة ومن احتاج الى
مسألتكم من اخوانكم فقد خنتموه اذ لا بد من اعطائه قبل الطلب كما دل عليه بعض الروايات وان تستغيثوا
يغاثوا بماء كالمهل في النهاية المهل القيح والصديد الذي يذوب فيسيل من الجسد ومنه قيل للنحاس
المذاب مهل وفي الكشاف المهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه من حرارته
اذا قدم ليشرب وعن النبي صلى الله عليه وآله هو كعكر الزيت اذا قرب اليه سقطت فروة وجهه قوله قال ابو عبد الله عم
الناس ستة اصناف لعل وجه الحصر ان الناس اما مؤمن او كافر او لا هذا ولا ذاك والاخير هم
المستضعفون الذين لا يقرون بالحق ولا ينكرونه والثاني هم اهل النار قطعا والاول اما المؤمن الكامل
السابق بالخيرات لم يصدر منه ذنب اصلا اولا والاول هم آخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما

٢٢٠

اهل الجنة قطعًا والثانى اما ان يتوب عن ذنبه او لا والاول هم اخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحًا
وآخر سيئًا عسى الله ان يتوب عليهم اى تقبل توبتهم والثانى اما تغلب حسناته على سيئاته او لا والاول
هم آخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والاول هم اصحاب الاعراف قال بعض المفسرين
الاعراف سور مضروب بين الجنة والنار وهو السور المذكور فى قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب
قيل اى حاجة الى ضرب هذا السور والجنة فوق السماوات والجحيم فى اسفل السافلين واجيب بان بعد احدهما
عن الآخر لا يمنع ان يكون بينهما سور وحجاب وله اعلى واسفل وعلى اعلاه رجال يعرفون كلا بسيماهم اجلسهم
الله تعالى فى ذلك المكان العالى اظهارا لشرفهم وليكونوا مشرفين مطلعين على احوال الخلايق وهم كما
كانوا فى الدنيا شهداء على اهل الطاعة وعلى اهل الكفر والمعصية كذلك يكونون فى الآخرة شهداء على كل
احد بما يليق به ثم انهم ينقلهم الى الدرجات العلى فى الجنة وعلى اسفله قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم
اوقفهم الله تعالى عليه لانه درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم يأول امرهم الى الجنة بفضل الله قال الله
اكتب اهل الوعيد من اهل الجنة واهل النار بيان لاهل الوعيد واشارة الى صنفين من الاصناف الستة
وفى بعض النسخ الوعد بدون اليا بدل الوعيد وفى بعضها الوعدين على صيغة التثنية قال وحشى هو منهم
قاتل حمزة ثم اسلم وقتل مسيلمة الكذاب كما هو المذكور فى كتب السير على المشهور وادرجه ع فى هذا الصنف و
ادرجه ابوه ع فى الباب الثامن بعد هذا الباب فى صنف المرجون لامر الله ولعل المراد المرجون فى الباب
الثامن المعنى الشامل للصنفين جميعا والارجاء التأخير وسموا بذلك لان حكمهم موخر الى يوم القيمة حتى
ياتى امر الله عليهم قوله الناس على ست فرق يولون كلهم الى ثلث فرق الايمان والكفر والضلال لعل المراد
بالايمان الايمان الكامل الذى لا يشوبه شئ من المعصية والمتصفون به هم السابقون المقربون وبالكفر انكار
الحق والمتصفون به هم المخلدون فى النار والضلال واسطة بينهما والمتصفون به على اربعة اقسام لانهم
ان وقفوا بين الايمان والكفر فهم المستضعفون وان اتصفوا بالايمان والمعصية وتابوا عنها فهم المعترفون
بذنوبهم وان لم يتوبوا فان نقصت المعصية عن الطاعة فهم المرجون لامر الله وان زادة عليها او ساواها
فهم اهل الاعراف وضمير الجمع فى قوله وهم اهل الوعيد راجع الى ست فرق وفى بعض النسخ بدل الوعيد الوعدين
مثل السابق دخلت انا وحمران او انا وبكير على ابى جعفر ع قال قلت له انما نمد المطمار قال وما المطمار قلت
التر التردد اما من زرارة او من راويه والتر بالضم الخيط يقدر به البناء ويمد عليه الرجل صاحبه عند العصب
لا صلت على التر فمن وافقنا من علوى او غيره توليناه ومن خالفنا من علوى او غيره برئنا منه كان مراده
بالموافق مؤمن مستقر ايمانه ليس عليه كبيرة كما هو مذهب الخوارج والكبيرة عندهم كفر فخرج بالاول من

جحد.

جحد الله او رسوله او الجحر م والمستضعف الذى لا يعرف الحق ولا ينكره وبالثانى المؤلفة وهم الذين امنوا
ولم يستقر الايمان فى قلوبهم لقرب عهدهم بالجاهلية وسموا بها لان النبى صلى الله عليه وآله كان يعطيهم الزكوة
والصدقات لتاليف قلوبهم وبالثالث صاحب الكبيرة وهم المرجون لامر الله والذين خلطوا
عملا صالحا واخر سيئا واصحاب الاعراف ودخل هولاء كلهم عنده فى المخالف الذى يجب التبرى منه
فقال لى يا زرارة قول الله اصدق من قولك وهو وعد المستضعفين ومن بعدهم من الاصناف المذكورة
بالجنة فلا يجوز ادخالهم فى المخالف والتبرى منهم كما يتبرى منه وزاد حماد فى الحديث قال اى زاد
حماد فى هذا الحديث عن زرارة قال زرارة فارتفع صوتى ابى جعفر ع وصوتى حتى كاد يسمعه من على باب الدار
دل على سوء ادب زرارة وعزافه والحق انه من افاضل اصحابنا وانه منزه عن مثل ذلك وكان قوله هذا كان قبل
استقراره على المذهب الصحيح او كان قصده معرفة كيفية المناظرة فى هذا المطلب وتحصيل المهارة فيها
لينا ظر مع الخوارج واحزابهم وراى ان المبالغة فيها لا تسوءه ع بل تعجبه والله يعلم وزاد فيه جميل عن زرارة
فلما كثر الكلام بينى وبينه قال لى يا زرارة حقا على الله ان يدخل الضلال الجنة المراد بالضلال المستضعفين و
غيرهم من الاصناف المذكورة فهم ليسوا بكفار لدلالة الروايات الصحيحة والمعتبرة واجماع الفرقة الناجية
على ان الكفار لا يدخلون الجنة قوله قال قلت سنن رسول الله صلى الله عليه وآله كفرائض الله عز وجل اى فى الشرف
والاحترام او فى لزوم الوفاء او فى كفر التارك فقال ان الله عز وجل فرض فرايض موجبات على العباد فمن
ترك فريضة من الموجبات فلم يعمل بها او جحدها كان كافرا الفريضة تشمل الواجبات الاصولية والفرعية
فلا يبعد ان يكون قوله فلم يعمل بها ناظرا الى الثانية وقوله وجحدها ناظرا الى الاولى وح يكون الكفر
اعم من كفر الجحود وكفر ترك ما امر الله تعالى به وان كان تركه مقرونا بالجحود كان كفره ايضا كفر جحود واما من
ترك الاولى من غير جحود ولا اقرار فهو مستضعف وقد مر وسيجيئ ان المستضعف ليس بمؤمن ولا كافر
وانه فى المشية وامر الله بامور كلها حسنة فليس من ترك بعض ما امر الله عز وجل به عباده من الطاعة
بكافر ولكنه تارك الفضل منقوص الخير لعل المراد بتلك الامور الامور المندوبة فيه دلالة بحسب المنطوق
ان ترك بعضها ليس بكفر وهو كذلك وبحسب المفهوم ان ترك جميعها كفر ولعل وجهه انه موجب للاستخفاف
بالدين والاستخفاف به كفر ولو خصت الفريضة بالاصولية امكن ان يراد بتلك الامور الفرعية مطلقا
وان ترك بعضها وهو المندوبات ليس بكفر بشرط عدم الاستخفاف والانكار وفى بعض النسخ وامر رسول
الله صلى الله عليه وآله بامور قوله ان الكفر اقدم من الشرك واخبث واعظم اما انه اقدم فلانه اباء من الطاعة وانكار للحق

وهو مقدم من الشرك الذى هو وضع دين غير دين الحق وسابق عليه والشرك مسبوق لتوقفه على الكفر واول
مراتبه الاباء من الامر بترك الشرك وانكاره وما ذكره عم من كفر ابليس على سبيل التمثيل بالفرد الواضح فانه
ابى اولا من طاعة الرب وانكر امره فكفر ثم دعا الى عبادة غير الله تع فاشرك واما انه اخبث واعظم من
الشرك فلانه سبب له وداع اليه وسبب الخبيث وداعيه اخبث واعظم منه ومن هنا يظهر ان الشرك
يستلزم الكفر دون العكس وان من خالفنا فى امامة على عم فهو كافر من جهة الاباء من طاعة الله وطاعة
رسوله وانكار امرهما بخلافته عم ومشرك من جهة نصب دين غير دين المؤمنين والظاهر انه عز وجل
لم يقل لابليس بخصوصه اسجد لآدم والمراد بقوله عم حين قال الله لما اسجد لادم انه تع امره بالسجود
فى قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم وشمول خطاب الملائكة له اما باعتبار التغليب او لكونه داخلا
فيهم ومعدودا من جملتهم فمن اختار على الله عز وجل وابى الطاعة واقام على الكباير فهو كافر لعل المراد
بالاختيار اختيار مراده على مراد الله تع واختيار امر ابليس على امره تع وبالاباء من الطاعة انكارها و
لا ريب فى انكار الطاعة سواء كانت من الاصول ام من الفروع كفر ولو اريد بالاباء عنها ترك العمل بها فى
ولا يبعد ان يراد بالكفر كفر النعمة او كفر ترك المامور به او كفر الجحود مع الاستخفاف فيرجع الى الاول قوله
عن عبد الله بن بكير عن زرارة عن ابى جعفر عم قال ذكر عنده سالم بن ابى حفصه واصحابه فقال انهم
ينكرون ان من حارب عليا عم مشركين سالم بن ابى حفصه روى عن على بن الحسين وابى جعفر وابى
عبد الله عليهم السلام وكان زيديا بتريا من رؤسائهم لعنه الصادق عم وكذبه وكفره وروى فى ذمه
روايات كثيرة واسم ابى حفصه زياد وعبد الله مشترك بين عبد الله بن بكير بن اعين وعبد الله بن
بكير الارجانى وعبد الله بكير المرادى وعبد الله بن بكير الهجرى والثلثة الاول من اصحاب الصادق عم
والاخير من اصحاب الباقر عم والظاهر ان فاعل قال فى الموضعين راجع الى زرارة وان ذكر مبنى للمفعول الا
انه فى الثانى يحتاج الى تقدير اى فقال قلت انهم ينكرون ويحتمل ان يكون فاعل الاول راجعا الى عبد الله
وفاعل الثانى وذكر الى زرارة الا ان نقله عن زرارة ما يباه فى الجملة فقال ابو جعفر عم فانهم يزعمون انهم
كفار اشار عم الى مذهبهم والى انهم يعتقدون فى المحاربين ما هو اخبث من الشرك وليس فيه تصديق
لقولهم بنفى الشرك وان احتمل بناء على ان الشرك عبارة عن عبادة غير الله وهى لم يتحقق والكفر يتحقق بترك
الطاعة وقد تحقق ولعل المراد هو الاول ويؤيده ما يجئ فى هذا الباب عنه عم من ان الحرورى كافر مشرك
والله يعلم فمن اجترى على الله فابى الطاعة واقام على الكباير فهو كافر يعنى مستخف كافر كان قوله يعنى مستخف

كافر

٢٢٢

كافر ليس من كلام الباقر وان احتمل والغرض منه على التقديرين اما التنبيه على ان اباء الطاعة والقيام
على الكباير كفر ان كان مع الاستخفاف بها والا فلا او التنبيه على ان الاباء لا ينفك عن الاستخفاف
فيكون هذا القول تفسيرا او بيانا للزوم لا تقييدا والله يعلم قوله قال سالت ابا عبد الله عم عن قول الله
عز وجل انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا قال اما آخذ فهو شاكر واما تارك فهو كافر الضمير
راجع الى الانسان واما مع مدخولها حال عنه اى انا هديناه سبيل الخير وهو طريق التوحيد و
الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة وغيرها باعطاء العقل ونصب الدلايل وانزال الكتاب وبعث
الرسل فاما شاكرا بالاهتداء والاخذ فيه واما كفورا بالاعراض عنه فالمراد بالشكر الاقرار بالله وبرسوله
وكتابه وشرايعه واحكامه والعمل بها وبالكفر انكار ذلك وترك العمل والاول كفر جحود وكذا الثانى
مع الاستخفاف وبدونه كفر نعمة ومن لطف الله تع على عباده وتشريفه لهم ان من الله عليهم بالتوفيق لطاعته
والقيام بوظايف خدمته وهى نعمة عظيمة ثم جعلها جزاء وشكر البعض نعمائه الاخرى ومع ذلك يعطيهم
بها اجرا جميلا وثوابا جزيلا فى الاخرة قوله سالت ابا عبد الله عم عن قول الله عز وجل ومن يكفر بالايمان
فقد حبط عمله قال ترك العمل الذى اقر به من ذلك ان يترك الصلوة من غير سقم ولا شغل اشار بذلك
الى ان المراد بالايمان العمل وقد تقرر ان اطلاقه عليه شايع ولعل المراد بالكفر كفر النعمة او كفر ترك الامر و
مخالفته لا كفر الجحود والانكار الا ان يكون ترك العمل مقرونا بالاستخفاف والجحود وزوال الاعتقاد
او يراد ترك العمل بالواجبات المؤكدة والاستمرار عليه من غير علة لا ينفك عنهما ويؤيده ذكر حبط العمل
معه وعدم السقم والشغل والله يعلم قوله ما عهدى بك تخاصم الناس لعل المراد بالعهد هنا الادراك
والمعرفة اى ليس لى معرفة بحالك هل تخاصم الناس فزيد معرفة ما سالت لتخاصمهم قوله عن عبد الرحمن
بن الحجاج عن زرارة قال قلت لابى جعفر عم يدخل النار مؤمن قال لا والله قلت فيدخلها الا كافر قال
لا الا من شاء الله اى لا يدخلها احد غير كافر الا من شاء الله ان يدخلها وهذا واسطة بين المؤمن و
الكافر لما استعرف خلافا لزرارة حيث نفى الواسطة بينهما وكان تمسك بقوله تع هو الذى خلقكم فمنكم كافر
ومنكم مؤمن وبقوله تع فريق فى الجنة وفريق فى السعير وفى دلالتهما على ذلك منع قال فلما رددت عليه
مرارا قال لى اى زرارة انى اقول لا واقول الا من شاء الله وانت تقول لا ولا تقول الا من شاء الله
المفهوم من قوله عم الا من شاء الله ان غير الكافر قد يدخل النار وقد فهم من قوله عم لا والله ان المؤمن لا
يدخل النار فقد فهم منهما ان هذا الغير ليس بمؤمن ولا كافر فهو واسطة بينهما واعلم بان عم بعد قوله لا والله

بالاستثناء ولم يقل الا من شاء الله المفهوم لعدم احتماله ان المؤمن لا يدخل النار قطعا بخلاف قوله في السؤال الثاني
فانه يجوز فيه الاستثناء فان المستثنى منه المقدر في قول زرارة فيدخلها الا كافر وهو احد يصدق بعد استثناء
الكافر على المؤمن وغيره وغيره قد يدخل النار فلذلك استثناه بقوله الا من شاء الله وجوز دخول في
النار بمشية الله تعم واما زرارة فلما خص المستثنى منه بالمؤمن ترك الاستثناء ولم يقل الا ما شاء الله ومما
قررنا ظهر ان مناط الفرق بين القولين هو هذا الاستثناء وتركه فان الاول يوجب ثبوت الواسطة والثاني
عدمه قال حدثني هشام بن الحكم وحماد عن زرارة قال قلت في نفسي شيخ لا علم له بالخصومة قال زرارة
لا يدخلها الا كافر صادق بدون الاستثناء ولا تثبت الحاجة اليه الا بابطال قوله وبيان فساده ولما
تكرر الكلام ولم يبين عم فساده واشار زرارة واضمر بانه شيخ لا علم له بالخصومة والمناظرة اذ لابد في
مقام المناظرة واثبات المدعى من ابطال قول الخصم وبيان فساده فلما علم عم ما اضمره تصدى لبيان فساد قوله
بمقدمة مسلمة عنده وهي ان ضعفاء المسلمين الذين ليس لهم معرفة بالدين وهم مقرون بحكمه بدون بحث بل
وفد برة وان خدمه واهليه المستضعفين غير مؤمنين عنده ولا كافرين لانه لا يجوز قتلهم ولو كانوا كافرين
لجاز وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم وهو الكفر وهو لا يستحقون النار بزعمه فلزم من ذلك ان النار لا يدخلها
الا كافر على الاطلاق ليس بصحيح بل لابد من التقييد بالاستثناء كما ذكره عم وهذا نقله زرارة عنه عم قال
فقال لي يا زرارة ما تقول فيمن اقر لك بالحكم اتقتله اشارة الى القسم الاول ما تقول في خدمكم واهليكم اتقتلهم
اشارة الى القسم الثاني والهمزة للانكار ويحتمل ان يكون ما تقول في خدمكم بيانا لما قبله والغرض على التقدير تقريره
بانه هؤلاء ليسوا بمؤمنين ولا كافرين قال فقلت انا والله الذي لا علم لي بالخصومة قال ذلك اصبر وبر مغلوبا بما
لدبر ومخصوصا بما عنده وهو عليه والظاهر ان يقول لا علم له الا انه عدل عن الغائب الى المتكلم رعاية لجانب المعنى
كما قيل لامير المؤمنين عم انا الذي سمتني امي حيدره وهذا الذي ذكرنا في شرح هذا الحديث من باب الاحتمال والله تعالى
شانه يعلم حقيقة هذا المقال قوله وذلك ان ابليس اول من كفر حيث ترك طاعة ربه عتوا حين امره بالسجود
لآدم ويفهم من آخر الحديث ان الداعي الى عبادة غير الله والعابد له مشركان في الشرك قوله وسئل ما بال الزاني
لا تسميه كافرا وتارك الصلوة قد سميته كافرا وما الحجة في ذلك لما كان الظاهر تساوي الزاني وتارك الصلوة
في الحكم لفعل كل واحد منهما منهيا عنه وهو الزنا وترك الصلوة او لان الاول فعل منهيا عنه والثاني
ترك مامورا به والامر والنهي متقابلان متماثلان سئل عن سبب التفاوة حيث ان الثاني يسمى كافرا دون الاول
فاجاب عم بابداء السبب واظهار الفرق بان الثاني وهو تارك الصلوة مستخف لها وللامر بها دون الاول ووجه

لاجتماع

الاستخفاف بها ان تاركها اما ان يختار السكون والاستراحة التي لا قدر لها عند العقلاء ولا لذة تقابل لذة
فعلها واما ان يختار فعلا آخر من الاعمال الدنيوية لو غيرها وعلى التقادير تركها استخفاف دال على انكارها
او على عدم الاعتناء بها وضمير التانيث في قوله قاصدا اليها راجع الى المرأة او الى اللذة ولعل المراد بالكفر في
قوله واذا وقع الاستخفاف وقع الكفر كفر الجحود لان المستخف بالصلوة جاحد لها لا الكفر للنعمة وهو مقابل
للشكر بناء على ان الصلوة شكر فتركها كفر لان الكفر بهذا المعنى غير مختص بالصلوة لوجوده في الزاني وشارب الخمر
لان تركها طاعة وكل طاعة شكر والمراد بالداعي في قوله لم يدعك اليه داع الداعي المخصوص وهو غلبة الشهوة
فقوله لم يغلبك عليه غالب شهوة عطف تفسير والا فكل فعل اختياري له داع قوله من شك في الله وفي رسول الله
صلى الله عليه وآله ص فهو كافر الظاهر ان الواو بمعنى او للتنويع وان الشك في امامة علي عليه السلام مثل الشك في الرسالة
والشاك فيهما كافر وجب قتله مع القدرة اذا كان ظاهر الاسلام واما الكفار كاليهود والنصارى وغيرهم فلا يجوز
قتلهم من هذا الوجه وان جاز قتلهم من وجه آخر قوله قال قلت فمن شك في كفر الشاك فهو كافر فامسك عني
فرددت عليه ثلث مرات فاستبنت في وجهه الغضب كانه شدد بالامساك سواله عمن شك في علي عم لعلمه عم
بانه يسال عنه بعد هذا السوال فمنعه بالامساك خوفا من افشائه او تقية من بعض الحاضرين قال سالت ابا عبد الله
عم عن قول الله عز وجل ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله فقال ترك العمل الذي اقر به قلت فما موضع ترك
العمل حتى يدعه اجمع كانه طلب معرفة العمل الذي تركه يوجب حبط العمل حتى يجتنب منه وفيه دلالة على ان
الذنب يحبط العمل بل لا خلاف في ان الكفر يحبط ولا في ان احباط الموازنة واقع وانما الخلاف في الاحباط بمعنى
عدم اعتبار الحسنات لاقتراف السيئات فالمعتزلة يثبتونه وجماعة من اهل السنة ينفونه قوله قلت مرجية
وقدرية وحرورية مرجية بالياء والهمزة اسم فاعل من ارجيته او ارجاته بمعنى اخرته وهم فرقة من اهل الاسلام يعتقدون
انه لا تضر مع الايمان معصية كما انه لا ينفع مع الكفر طاعة سموا بذلك لاعتقادهم ان الله تعم ارجأ تعذيبهم على
المعاصي واخره عنهم والقدرية طائفة يقولون بخلق الاعمال وان العباد لا قدرة لهم على اعمالهم والحرورية الخوارج
نسبوا الى حروراء بالمد والقصر اسم قرية لان كان اول مجتمعهم وتحكيمهم بها قال لعن الله تلك الملل الكافرة
المشركة التي لا تعبد الله على شيء وصف الكافرة بالمشركة للتقييد لان الكفر اقدم من الشرك واعم منه كما مر والنفي
يتوجه اليهم باعتبار كفرهم حيث انكروا ما امر الله تعم واوامره وباعتبار شركهم حيث اتخذوا دينا غير دينه فلم يعبدوه
على شيء تعبديه ويستحق اسم العبادة قوله كل شيء يجره الاقرار والتسليم فهو الايمان وكل شيء يجره الانكار و
الجحود فهو الكفر الاقرار والتسليم لله ولرسوله ولاولي الامر ولو انفعاس الاعمال الصالحة والاخلاق الفاسدة

ايمان والانكار والجحود وتوابعهما من الاعمال القبيحة والاخلاق الذميمة كفر قوله قال سمعت ابا جعفر عم يقول

ان عليا عم باب فتحه الله من دخله كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا المراد بالداخل العارف بحقه وبالخارج المنكر

له سواء انكره مطلقا او انكره في مرتبته وهنا قسم ثالث وهو الذي لم يدخل ولم يخرج وسيجئ الاوستضعفا

كما سيجئ قوله فان اطعتموه ذللتم وان عصيتموه كفرتم بالله لعل المراد بالذل الذل عند الله ثم لان مدار طاعته على

المجاهدة في الطاعات والتضرع والخضوع والسجود والركوع وغيرها من العبادات وكل واحد منها لكمنا آية

وهيآت موضوع على المذلة والاستسلام لعزة الله وعظمته وملاحظة كبريائه وجبروته وغير ذلك مما يليق بالتكبير

والتعظيم ويحتمل ان يراد به الذل عند الناس لان طاعته توجب ترك الدنيا وزينتها والرضا بتسوية القسمة بين الشريف

والوضيع وغير ذلك مما يوجب ذلا عند الناس وقد نقل انهم عم قسم بيت المال بين اكابر الصحابة والضعفاء على

السوية فغضب لذلك طلحة والزبير وفعلا ما فعلا قوله ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة الذين

لله فيهم المشية هذا قبل قيام الحجة واما بعده فعدم الدخول فيه كفر لان المتوقف معذور ان لم يصل اليه اثر

عليه السلام امام مفترض الطاعة ولم يبلغه الحجة والا فلا عذر له كما سيجئ في باب المستضعف قوله لو ان العباد

اذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا مثلا من جهل حق علي عم ولم يقم عليه حجة اذا وقف ولم ينكره لم يكفر ودخل

في المستضعف وهو في مشية الله فعسى ان تدركه الرحمة بخلاف الكافر ومن هذا يعلم ان المخالفين كافرون قوله

فمن عرفه كان مؤمنا ومن انكره كان كافرا ومن جهله كان ضالا ومن نصب معه شيئا كان مشركا من انكره فهو

كافر سواء انكره عنادا او انكره مع الجهل بحاله اما من جهله ولم يقر به ولم ينكره فهو ضال ومستضعف والضال

في المشية ومن نصب معه اماما او اخره فهو مشرك لانه وضع دينا غير دين الله فالنسبة اليه عم اما مؤمن او

كافر او مستضعف او مشرك قوله وهو قول من يقول لا رب ولا جنة ولا نار يعني بكر المبدأ والمعاد وهم

صنفين من الزنادقة لعل المراد بهما صنف طلبوا لهذا العالم سببا فاحالوه على الطبع الذي هو صفة جسمانية خالية

عن العلم والادراك وصنف لم يطلبوه له سببا بل اشتغلوا بانفسهم وعاشوا عيش البهائم او صنف انكروا المبدأ

والمعاد جميعا وصنف انكروا المعاد وقالوا بقدم العالم وابديته او صنف قالوا لا حيوة بعد الموت وصنف قالوا

بالتناسخ وهو تعلق الروح بعد الموت ببدن آخر ويقال لهم الدهرية وهم الذين يقولون وما يهلكنا الا الدهر

زعموا ان تولد الاشخاص وتكون الممتزجات وفسادها وحيوتها وموتها مستندة الى الدهر وتأثير الكواكب وحركات

الافلاك وهو دين وضعوه لانفسهم بالاستحسان منهم عدوه حسنا بتسويلات نفوسهم الفاسدة واختراعات

اوهامهم الكاسدة على غير تثبت منهم ولا تحقيق شيء مما يقولون كما قال عز وجل وما لهم بذلك من علم ان هو الا ذلك

على

٢٢٤ على وهم وتخمين قال الله عز وجل انهم الا يظنون ان ذلك كما يقولون وهذا القول في غاية البعد عن منهج الصواب الحيث

لا يلتفت اليه العاقل بالخطاب والجواب قوله وقال ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون

يعني بتوحيد الله سواء اسم بمعنى الاستواء وخبر لان وما بعده فاعله اي مستو عليهم انذارهم وعدمه او خبر

لما بعده والجملة خبر لان اي انذارهم وعدمه سيان عليهم وقوله بتوحيد الله متعلق بكفروا او بلا يؤمنون

او بهما على التنازع ولما فرغ عن الوجه الاول من الجحود اشار الى الوجه الاخر منه بقوله واما الوجه الاخر من

الجحود على معرفة اي على معرفة الحق مثل الرسالة والولاية ونحوها للعناد او الحسد او الاستكبار او لغيرها

فهو ان يجحد الجاحد وهو يعلم انه حق قد استقر عنده استقرارا لا شك فيه وقد قال الله عز وجل وجحدوا

بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا اي انكروا آيات الله وكذبوها والحال ان انفسهم مستيقنة بها انها من اله

وانما انكروها ظلما لانفسهم وعلوا اي ترفعا على الرسول والانقياد له والايمان به قال بعض الاصحاب فيه دلالة

على ان الايمان هو التصديق مع العمل دون التصديق وحده والا لما سلب الايمان عن اهل هذا التصديق بانتفاء

الاقرار باللسان وفيه نظر لان الروايات المتكثرة صريحة في ان الايمان هو التصديق القلبي وقد ذكرنا بعضها

في باب ان السكينة هي الايمان وهو مذهب المحققين من اصحابنا ثم كون التصديق القلبي ايمانا مشروط ايضا

بالاقرار باللسان مع القدرة وهو مذهب طائفة من العامة ايضا قال التفتازاني في شرح العقايد النسفية وفرقة

يعني من اهل السنة والجماعة يقولون الاقرار شرط الصحة وقال العلامة الدواني في شرح العقايد العضدية والتلفظ

بكلمتي الشهادتين مع القدرة شرط فمن اخل به فهو كافر مخلد في النار ولنا ايضا ان نقول كون التصديق ايمانا

مشروط بعدم الانكار فينتفي الايمان بالانكار والله اعلم وقال الله عز وجل وكانوا من قبل يستفتحون على

الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين اي وكان اهل الكتاب من قبل البعثة يطلبون

الغلبة على المشركين ويستنصرون عليهم بخاتم الانبياء ويقولون اللهم انصرنا بنبي اخر الزمان المنعوت في التورية

او يعرفون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقرب زمانهم فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به وجحد

حسدا او خوفا من الرياسة او لغير ذلك فلعنة الله على الكافرين اي عليهم فوضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص

على ان لعنهم بسبب كفرهم وانكارهم للحق والمعروف عندهم والوجه الثالث من الكفر كفر النعم وذلك قوله عم

يحكي قول سليمان هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم

حين عرف سليمان عم نعم الله تعالى في شانه وعلم انها صورة الابتلاء قال هذا من فضل ربي اي الاقتدار على

احضار العرش في مدة يسيرة من مسافة بعيدة وهي مسافة بين السبا والشام بلا حركة جسمانية من فضل ربي

ونعماء ليبلوني أشكر بالاقرار بان ذلك الفضل ومنه لا لي ومنى وبالاتيان بالثناء الجزيل والذكر الجميل ام اكفر
بترك ذلك الاقرار وعدم ذلك الاتيان ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يديم العتيد ويطلب المزيد ويستحق الثواب
ومن كفر بما مر فلا يضر الله شيئا فان ربي غني عن عبادة العابدين وشكر الشاكرين كريم بالافضال والاحسان
وترك مواخذة العبيد بالاساءة والكفران لعله يتوب ويصلح حاله في المستقبل الازمان ومن ههنا ظهر ان ترك
الشكر على النعمة كفر وقال ولئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد الشكر هو الاعتراف بالنعمة
ظاهرة كانت او باطنة جلية كانت او خفية والاقرار بها للمنعم والاتيان بالاعمال الصالحة المطلوبة له
والامتثال باوامره ونواهيه والاجتناب عن معاصيه وكفر النعم ضد للشكر بهذا المعنى وهو سبب لزوال
النعمة وعدم الزيادة وتحقق العقوبة في الدنيا والآخرة ولذلك قال الله عز وجل على سبيل التاكيد من وجوه
شتى ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال فاذكروني اذكركم اي فاذكروني ظاهرا باللسان وباطنا بالجنان
عند الاوامر والنواهي اذكركم في ملأ المقربين بالخير والصلاح او في القيمة اذا بلغت القلوب الحناجر من
شدايدها او في حال الموت او في حال البرزخ او في جميع الاحوال كما دلت عليه صيغة الاستقبال والوجه الرابع
الكفر ترك ما امر الله عز وجل به وهو قول الله عز وجل واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا
تخرجون انفسكم من دياركم قيل اخذ العهد منهم بان لا يقتلوا انفسهم كما يفعله من يصعب عليه الزمان للتخلص
من الصعوبة وكما يفعله بعض اهل الهند للتخلص من عالم الفساد واللحوق بعالم النور وقيل بان لا يفعلوا
ما يوجب قتلهم واخراجهم من ديارهم وقيل بان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من وطنه
وانما جعل قتل الرجل واخراج غيره قتل نفسه واخراجها لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يقتص منه فكانه قتل
نفسه وقيل بان لا يفعلوا ما يصرفهم عن الحيوة الابدية التي هي الحيوة الحقيقية وما يمنعهم من الجنة التي هي دار القرار
فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم وانتم تشهدون اي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها
وهذا تاكيد كقولك اقر فلان على نفسه بكذا شاهدا عليها او اعترفتم على قبوله وشهد بعضكم على بعض بذلك او
وانتم تشهدون عليها وهذا تعبير كيهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق فيكون اسناد الاقرار الى المخاطبين مجازيا
ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم قيل استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان و
بعد الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون الشاهدون
يعني انتم قوم آخرون غير هؤلاء الشاهدين كقولك رجعت بغير الوجه الذي خرجت اي ما انت الذي كنت من قبل
تنزيل تغير الصفة منزلة تغير الذات وتقتلون حال بيان لهذه الجملة وقيل انتم مبتدأ خبره هم وهؤلاء اما منصوب بتقدير

اعني او منادى بحذف حرف النداء عند من جوز حذف حرف النداء في المبهم كسيبويه واتباعه وقيل
انتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى الذين ويقتلون صلته اي ثم انتم الذين يقتلون وهذا عند الكوفيين واما البصريون
فلا يجوزون ان يكون هؤلاء واولاء وهذا بمعنى الموصول وقيل انتم مبتدأ وهؤلاء خبره بحذف المضاف
اي مثل هؤلاء تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان قيل هو حال عن فاعل تخرجون او عن مفعوله او عن
كليهما والتظاهر التعاون من الظهر اي تتعاونون عليهم وقيل ولما كان الاخراج من الديار وقتل البعض
بعضا مما تعظم به الفتنة واحتيج فيه الى زيادة اقتدار عليه بين الله تعالى انهم فعلوه على وجه الاستعانة بمن
يظاهرهم على الظلم والعدوان وفيه دلالة على ان الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه محرمة ولا
هذا يمكن انما الظالم من الظلم فانه كما مكنه فقد زجره بخلاف معين الظالم فانه يدعوه الى الظلم ويحسنه في عينه
وان ياتوكم اسارى تفادوهم قال المفسرون قريظة وهم قبيلة من يهود خيبر كانوا حلفاء الاوس والنضير
وهم قبيلة اخرى منهم كانوا حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار
واخراج اهلها واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم
تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله على ذلك
اذ اتوا ببعض الواجب وتركوا البعض واسارى جمع اسرى كسكارى جمع سكرى واسرى جمع اسير كمرضى جمع مريض
وقيل اسارى ايضا جمع اسير وقيل هو من الجموع التي تركوا مفردها كانه جمع اسران كعجالى وعجلان وهو محرم
عليكم اخراجهم قيل هذا متعلق بتخرجون فريقا من دياركم وما بينهما اعتراض وهو ضمير الشان واخراجهم
مبتدأ ومحرم خبره والجملة خبر له ومفسرة له او هو مبتدأ ابهم ومحرم خبره واخراجهم تفسير له او هو راجع
الى الاخراج المفهوم من تخرجون واخراجهم تاكيد او بيان له افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
المراد بالبعض الاول الفداء وبالبعض الآخر حرمة القتال والاجلاء وقد ذمهم الله تعالى على ذلك وانكر الجمع
بين الامرين واوعد عليه بقوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا قتل قريظة وسبي نسائهم
وذراريهم واجلاء النضير لنقض عهدهم وضرب الجزية على غيرهم والخزي ذل وهوان يستحيى منه يقال
اخزاه الله اي اهانه واوقعه موقعا يستحيى منه وتنكير خزي يدل على فظاعة شانه وانه بلغ مبلغا لا
يعرف كنهه ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب لشدة عصيانهم قيل منكري الصانع كالدهرية يجب ان
يكون اشد فكيف وصف عذاب اليهود بانه اشد واجيب اولا بان كفر العناد اشد فعذابهم اشد وثانيا
بان المراد ان عذابهم اشد من الخزي لا مطلقا وما الله بغافل عما يعملون قيل هذا وعيد شديد للعاصين و

اضافة الكفر الى البراءة

وبشارة عظيمة للمطيعين لان القدرة الكاملة مع عدم الغفلة تقتضى وصول الحقوق الى مستحقيها او الى
الخامس من الكفر كفر البراءة بيانية وذلك قول الله عز وجل يحكى قول ابرهيم صلى الله عليه كفرنا بكم وبدا
بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده يعنى تبرانا منكم كفرهم جحود بالرب وبنبيه
وكفر الخليل بهم بمعنى البراءة وفيه حث لسعاد بان البراءة والعداوة والبغض انما كانت لله بسبب كفرهم و
لو زال السبب زال المسبب ولعل الفرق بين العداوة والبغض ان العداوة يظهر اثرها خارجا وفى البغض او البغض
اشد من العداوة وفى المصباح البغضة بالكسر والبغضاء شدة البغض وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا
مودة بينكم اه دل من يدخل فى الاوثان وفى الخطاب الشيوخ الثلثه وتابعوهم الى يوم القيمة كما نطقت
به الاخبار المعتبرة والايات المذكورة صريحة فى ان الكفر بمعنى البراءة وان كفر البراءة كما يكون بين المومن
والكافر كذلك يكون بين الكافرين قوله بنى الكفر على اربع دعايم المراد هنا تفصيل دعايم الكفر مطلقا او بيان
فروعها وثمراتها الابيان حقيقته لان حقيقته اما الجحود او غيره من الانواع المذكورة الفسق وهو الخروج
من الطاعة ويقال اصله خروج الشئ من الشئ على وجه الفساد والغلو وهو مجاوزة الحد فى الدين وفى التنزيل
ولا تغلوا فى دينكم ويقال اصله الارتفاع ومجاوزة القدر فى كل شئ والشك وهو نقيض اليقين
وفى المصباح قال ائمة اللغة هو خلاف اليقين وهو التردد بين الشيئين سواء استوى طرفاه او رجح احدهما
على الاخر قال تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك قال المفسرون اى غير مستيقن وفعله يستعمل لازما
ومتعديا بالحرف فيق شك الامر شكا اذا التبس وشككت فيه ولعل المراد به الشك فى اصول الدين
وضرورياته وهو اعظم اصول الكفر اذ يبتنى عليه اعظم المفاسد واكثرها والشبهه وهى ترجيح الباطل
بالباطل وتصوير غير الواقع بصورة الواقع وجلها بل كلها يحصل بمزج الباطل بالحق كما مر فى كتاب العلم
ولذلك سميت شبهة لانها تشبه الحق ولما فرغ من دعايم الكفر واصوله وكان لكل واحد منها اربع شعب
وكانت لتلك الشعب ثمرات وآثار مهلكة اشار الى تلك الشعب وثمراتها للتحذير منها والتنفير عنها
بقوله الفسق على اربع شعب على الجفا وهو الغلظة فى الطبع والخرق فى المعاملة والفظاظة فى القلب ورفض
الصلة والبر والرفق ويق هو ماخوذ من جفا السيل وهو ما نفاه السيل والعمى وهو ابطال البصيرة القلبية
وترك التفكر فى الامور النافعة فى الاخرة والغفلة وهى غيبة الشئ عن بال الانسان وعدم تذكره له وقد
استعملت فيمن تركه اهمالا واعراضا كما فى قوله تعالى وهم فى غفلة معرضون ويقال غفلت عن الشئ غفولا من
باب قعد وله ثلثه مصادر غفول وهو اعمها وغفلة وزان تمرة وغفل وزان سبب والعتو وهو مصدر

يجى

٢٢٦

بمعنى التجبر والاستكبار وفعله من باب نصر فمن جفا احتقر الخلق ومقت الفقهاء المراد بالفقيه من له
معرفة دينية وبصيرة قلبية وحذاقة عقلية بها يعرف آفات النفس وامراض القلب ومنافع الدنيا و
الاخرة ومضارها وهو مع ذلك يقظ حذر وجل خايف ورئيس هذه الطايفة المكرمة واوصيا نبينا
صلى الله عليه وآله وعليهم اجمعين واصر على الحنث العظيم وهو الاثم بالاعتقاد والمقت لو بالاثم منهما
ومن عمى نسى الذكر اى ذكر الله وذكر الاخرة او القران الكريم وامير المومنين ع واتبع الظن اى الظن الحاصل
له بالراى والقياس والاستحسان العقلى كما هو شان مخالفينا او بارز خالقه اى حاربه مطلقا وفى اتباع
الظن حيث ارتكب ما نهاه عنه بقوله عز وجل ولا تقف ما ليس لك به علم وبقوله ان يتبعون الا
الظن لا يغنى من الحق شيئا الخ عليه الشيطان لا انه يرى فيما اغواه فطمع فيه وجد فى اضلاله وطلب المغفرة
بلا توبة ولا استكانة ولا غفلة اى طلب المغفرة من الله ثم بلا توبة وندامة بلا فعل ولا استكانة وتوضع
لله عز وجل ولا غفلة من الذنوب واذاعتها الا انه ملتبس بهما والاول استهزاء والثانى نفاق والثالث
اغترار ومن غفل جنى على نفسه وانقلب على ظهره وحسب غيه رشدا اى من غفل عما ذكر جنى على نفسه بما
يهلكه وانقلب من الدين على ظهره ورجع عنه وحسب غيه وضلاله له رشدا وصوابا وذلك لفساد عقله
وكمال جهله وغرته الامانى وهى تعمى عين البصيرة حتى لا ترى عواقب الامور وهى انما تحصل من قصور العقل
فان كماله يقتضى فطام النفس عن الشهوات ونزعها عن الامانى والشبهات وخلو السر عن النظر الى
الزهرات الظاهرة والمقتنيات الدائرة قال بعض الافاضل من المغرورين من ينكر الحشر والنشر ومنهم من
يزعم ان وعيد الانبياء من باب التخويف والاعقاب فى الاخرة ومنهم من يفعل المعاصى ويقول الله غفور
رحيم ومنهم من يزعم ان الدنيا نقد والاخرة نسية والنقد احسن من النسية ومنهم من اغتر بنفسه وبعمله وغفل
عن آفاته ومنهم من اغتر بعلمه وظن انه بلغ حد الكمال وليس مثله احد فكانه لم يسمع ما ورد من ذم العلماء
المغرورين بعلومهم ومنهم من علم وعمل وغفل عن طهارة الباطن عن الاخلاق الرذيلة وظن انه مع عنها
مستحق للثواب الجزيل بسببه ومنهم من اغتر باصل العلم وطلب علوما نافعة فى الدنيا وغفل عن علم الاخرة
ومنهم من اغتر باصل الطهارة والمناسك وتبع وسواس الشيطان وظن انه يحسن شيئا وانه مستحق للاجر ومنهم
من اغتر بالعبادة وظن انه فاق العابدين ومنهم من اغتر بالزهد وظن انه ازهد الناس وانه شفيع للخلق يوم القيمة
ومنهم من اغتر بالمال والمغرورين به كثير ومنهم من اغتر بالاولاد والانصار ومنهم من اغتر بالجاه والرياسة
الى غير ذلك من اسباب الغرة التى لا تحصى كثرة واخذته الحسرة مما لحقه من الفضائح والندامة مما فعل من القبايح

اذا قضى الامر بين الخلايق فى القيمة وامر الدنيا بالموت وانكشف عنه الغطاء المانع من مشاهدة سوء عاقبة
فى القيمة او فى وقت الموت وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب لغفلته من سوء فعاله وشدة نكاله والابهام
ومن عصى عن امر الله اى تركه استكبارا ولم يخضع له شك فى الله او فى امره اذ الموقن مطيع له منقاد لامره
لحكمه ومن شك فيما ذكر تعالى الله تم اى استولى عليه فاذله فى الدنيا والاخرة بسلطانه اى بتمكنه وقدرته
صغر عند الخلايق بجلاله وعظمته فيفعل به نقيض مقصوده وهو التكبر كما اغتر بربه الكريم الذى احسن اليه
وانعم عليه وفرط فى امره اى قصر فيه واجترء عليه وجعل المغرور فى اذله وصغره راجع الى الله عز وجل
ولما فرغ عن شعب الفسق وثمراتها اشار الى شعب الغلو وثمراتها بقوله والغلو على اربع شعب التعمق فى
وطلب اقصى غايته بالراى والقياس او بالجهل وقد شاع اطلاق الراى على الجهل والتنازع فيه اى مخاصمة
بالراى والباطل والزيغ اى الميل عن الدين الحق الى الباطل والشقاق اى المخالفة الشديدة لاهل الحق فمن
فى الراى لم ينب الى الحق ولم يرجع اليه وان ظهر له لان من خاض فى الباطل وتمكن فى قلبه لم يرجع الى الحق
الامن شذ ولم يزدد فى تعمقه الا غرقا فى الغمرات الشديدة والاراء الفاسدة المتراكمة بعضها فوق بعض ولم
تنحسر اى لم تنكشف عنه فتنة مضلة الاغشيته اخرى لان الشرور يجر بعضها الى بعض فيتعسر عليه الخروج
عنها والخلاص منها وانخرق دينه بعترض الفتنة فوقع فى امر مريج مختلطا بالاباطيل المنكثرة المختلفة اوبالحق و
ومن نازع بالراى وخاصم شهر بالعشل من طول اللجاج العشل بالعين المهملة والثاء المثلثة الحمق والعثور كصبور
الاحمق وبالتاء المثناة الفوقانية الغالطة والقطاظ واما الفشل بالفاء والشين وهو الجبن والضعف فيا باه
ظاهر المقام ومن زاغ عن منهج الحق ومال الى الباطل قبحت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة كما هو شان اهل
كذلك زين لهم الشيطان سوء اعمالهم ومن شاق لاهل الدين والامام المبين اعورت عليه طرقه اى صارت اعور
لا فائدة يهتدى سالكها وفى بعض النسخ اوعرت بمعنى صعبت من الوعر وهو ضد السهل وانما جمع الطرق
على كثرة طرق الباطل واعترض عليه امره اى امره معترض عليه مستول كالفرس الحرون يمشى نشاطا فى عرض
الطريق وهو كناية عن عدم استقامته او عن تو تره ونشاطه فى الباطل او معترض عليه مانع له عن قبول الحق
عرض له عارض اى مانع ومنه اعتراضات العلماء لانه يمنع من التمسك بالدليل وتعارض البينات لان كل واحد
تعترض للاخرى وتمنع نفوذها فضاق عليه مخرجه اى خروجه من الباطل لقوة باطله وصيرورته ملكة لازمة
قلبه بر لانه لم يتبع سبيل المومنين متعلق بالثلثه المذكورة او بالامر الاخير والمراد بسبيلهم دين الحق او نزل
وتركها يوجب انتفاء هذه الامور ضرورة ان انتفاء السبب يوجب انتفاء المسبب ولما فرغ عن شعب الغلو وثمراتها

شرع

شرع فى شعب الشك وثمراتها فقال والشك على اربع شعب على المرية لعل المراد بالشك الشك فى اصول الدين او
خلاف اليقين وبالمرية الشك فى فروعه او بمعنى تساوى الطرفين الحق والباطل والاحتمال من شعب الاولين
والهوى لان الشك يوجب متابعة الهوى وميل النفس اليه واما من له اليقين فهو يقطع كل سبب بينه وبين الله
تعالى ويكون الله مراده لا غير ويوثر رضاه على كل شئ سواه فكيف يتبع هواه والتردد بين الحق والباطل لان
الشاك متردد بين النقيضين اللذين احدهما حق والاخر باطل والاستسلام للجهل واهله لان الشاك وقف
على الجهل مستلزم له او لما يوجب هلاك الدنيا والاخرة وهواى الشك وشعبه والزجر عنه قول الله عز وجل
فباى الاء ربك تتمارى اى المماراة مجادلة على مذهب الشك وشعبه والهول من الحق اى الفزع منه والرعب
قوله لدخول الباطل فى قلبه فيظن الباطل حقا والحق باطلا فيشمئز من قبول الحق ويخاف منه فمن هاله
ما بين يديه من الحق والخير نكص على عقبيه اى رجع الى الباطل والشر اذ لا واسطة بينهما فاذا هاله احدهما
رجع الى الاخر ومن امترى فى الدين تردد فى الريب امترا وشك لتاذن وشك برد ولعل المراد بالتردد فى
التحير فيه والقيام عليه لعدم العلم بطريق النجاة منه وسبقه الاولون من المومنين فى المسير الى
وادركه الاخرون اى التابعون للاولين وهو واقف متحير كالضال عن الطريق ووطئته سنابك الشيطان
واستولى عليه جنوده والسنابك جمع السنبك وهو طرف مقدم الحافر ومن استسلم لهلكة الدنيا والاخرة
هلك فيما بينهما فلم يكن له الدنيا خالصة لزوالها مع ما عليه من العقوبات فيها ولم يكن له الاخرة لعدم اتيانه
بما ينفعه فيها قال بعض المحققين فيه اشارة الى ان الطالب للدنيا المستسلم لها هالك وان الطالب للعقبى و
نعيمها ايضا هالك لان الانسان الموقن شان وراء ذلك يليق به وهو نبذ الدنيا والعقبى وراء ظهره والترقى الى
ساحة الوصول امام دهره روى ان الله تم اوحى الى داود عليه السلام يا داود ان احب الاحبار الى من عبدنى
بغير نوال ولكن عبدنى ليعطى الربوبية حقها ومن اظلم ممن عبدنى بالجنة او نار لم اكن اهلا ان اطاع و
خالصة ومن نجا من ذلك فمن فضل اليقين ليس اليقين ان يقول الانسان اتقيت بان الله تم موجود
لم حى قادر الى اخر ما يليق به ومنزه عن جميع ما لا يليق به وان محمدا صم عبده ورسوله وان على بن ابى طالب
واولاده الطاهرين خلفاؤه وانما اليقين كيفية نفسانية تبعث على متابعتهم من جميع الوجوه وتمنع عن
مخالفتهم ولذلك قال صم ولم يخلق الله خلقا اقل من اليقين لان اليقين بالمعنى المذكور لا يكون الا لمن
اصطفاه الله تم من عباده وجعله نورا فى بلاده يهتدون به فى المسير الى الله ولهم تعين فى الجملة يزداد
بحسب الازدياد فى المتابعة الى ان يبلغ حد الكمال وبعد الفراغ عما ذكر اشار الى شعب الشبهة وثمراتها بقوله ٢٢٦

والشبهة على اربع شعب اعجاب بالزينة اى اعجاب المرء بالزينة الدنيوية او العقلية التى اخترعتها
النفس بالرأى والاستحسان مع استعانة الوهم والخيال فاعجبت بها لكونها من عملها او تسويل النفس اى
تزيينها للامور الباطلة بحسب المادة والصورة مع شوب الحق وعدمه فان النفس باستعانة الوهم قد
تزين للامور الباطلة الصرفة كما تزين الباطل الممزوج بالحق وتاول العوج التاول هنا بمعنى التاويل اى
تاويل العوج وتفسيره بوجه يختفى عوجه ويبرز استقامته فيظن انه مستقيم كما فعل اهل الخلاف فى كثير
من احاديثهم الموضوعة ولبس الحق بالباطل واخفاء الواقع بخلاف الواقع كما يلبس طائفة حدوث العالم بقدمه
وطائفة خلافة علي عم بخلافة الثلثة الباطلة وامثال ذلك اكثر من ان يحصى وذلك بان الزينة تصدف
البينة اى تصرف النفس عن البينة الشرعية والعقلية التى يحكم بصحتها النص الصحيح والعقل الصريح وان تسويل
النفس يقحم على الشهوة اى تزيين النفس للباطل يقحم على الشهوة الداثرة الجسمانية واللذة الحاضرة الفانية
ويورث الدخول فيها والعكوف عليها وان العوج يميل بصاحبه الى الباطل ميلا عظيما يتعسر معه الرجوع
الى الحق وانما نقل تاول العوج اما للاقتصار اكتفاء بما سبق او للتنبيه على ان تاول العوج لم عوج وان
اللبس اى لبس الحق بالباطل وان كان واحدا ظلمات بعضها فوق بعض ظلمة الباطل وظلمة القلب وظلمة
الاعمال المترتبة عليه وظلمة يوم القيمة وانت تعلم بعد التامل ان معانى هذا الباب عجيبة انيقة وان
فيها حق التفكر مثمر للعلوم الحجة وانما اقتصرنا على ما ذكرنا تحرزا من الاطناب قال والنفاق على اربع دعائم
قال امير المؤمنين ع وهذا من تتمة الحديث السابق افرده المص عنه والنفاق بالكسر فعل المنافق
القلب واشتقاقه اما من نفقت الدابة نفوقا من باب قعد اذا ماتت لان المنافق بنفاقه بمنزلة الميت
او من نفق البيع نفاقا بالفتح اذا راج لان المنافق يروج ايمانه ظاهرا ويخفى باطله باطنا او من النفق
سرب فى الارض يكون له مخرج من موضع آخر لان المنافق يستر نفاقه كما يستر الساتر فى الارض نفقا اى
وراءه وغيرها او من النافقاء وهى احدى جحرتى اليربوع لان له جحرتين يقال لاحدهما النافقاء وللاخرى
القاصعاء فاذا دخل من احدهما وهو القاصعاء خرج من الاخرى وهى النافقاء وفيه تشبيه له باليربوع
فان اليربوع يخرق الارض من اسفل حتى اذا قارب وجهها ارق التراب فاذا ارتيب دفع التراب براسه وخرج
فظاهر جحره تراب وباطنه حفر وكذا المنافق ظاهره ايمان وباطنه كفر ويخرج من الايمان من غير الوجه الذى
ادخل فيه على الهوى والهوينا الهوى ميل النفس الى مقتضى طباعها وخروجها عن حدود الله عز وجل
وهو اشد جاذب عن قصد الحق واعظم صاد عن سلوك سبيله واقوى باعث على سلوك سبيل النفاق

والهوينا

والهوينا تصغير الهونا تانيث الاهون وهى الفتنة الصغرى التى تجرى الى الكبرى والفتن تترتب كبارها على
صغارها والمؤمن بترك الصغرى فضلا عن الكبرى والحفيظة والطمع الحفيظة الغضب وهو فى الانسان
تغيّر على الغير لقصد الاساءة اليه والطمع توقع الدنيا وما فى ايدى الناس وهما اكثر مصارع النفوس
افعال الشيطان واضر احوال الانسان فالهوى على اربع شعب على البغى وهو التجاوز عن الاقتصاد و
قصد الاستيلاء على الائمة والعباد والتجبر عليهم ومبداه الفساد فى القوة العقلية والغضبية والشهوية
اذ بفساد الاولى لا يعلم ان صلاحه فى متابعتهم وبفساد الثانية يطلب مخالفتهم والتجبر عليهم وبفساد
الثالثة يطلب ما سولت له نفسه من مشتهيات التى يظن انها لا تحصل الا بمخالفتهم والعدوان على الخلائق
فى الانتقام واخذ الحقوق ومبداه ايضا الفساد فى القوى المذكورة والشهوة وهى الميل الى المعاصى وزهرة
الدنيا ومبداه الفساد فى القوة الشهوية والتجاوز عن حد الاعتدال فيها والطغيان وهو مجاوزة الحد
كل شئ جاوز المقدار والحد فى العصيان فهو طاغ وهو كما يكون بالمال يكون بالحب والنسب والعلم وغيرها
ومن طريق العامة للعلم طغيان كطغيان المال قال ابن الاثير اى يحمل صاحبه على الترخص بما اشتبه منه
الى ما لا يحل له ويترفع به على من دونه ولا يعطى حقه بالعمل به كما يفعل رب المال فمن بغى كثرت غوائله
منها الكرب فى النائلة وهى صفة لخصلة مهلكة من غاله يغوله اذا اهلكه والباغى على اهل الحق لا محالة متصف
بصفات كثيرة مهلكة كما ترى فى مخالفينا ونخلى منه ونصر عليه كان فاعل تخلى ونصر على البناء للمفعول
راجع الى من وضمير منه وعليه راجع الى البغى والتخلى التفرغ وفيه اشارة الى ان الباغى بعد تقريره قوانين
البغى ووضعه اياها له ناصر فى حيوته وبعد موته وعليه وزره ومثل وزر ناصره الى يوم القيمة ومن
اعتدى لم يؤمن بوائقه جمع البائقة وهى الداهية اى من اعتدى على الخلق لم يؤمن شروره وخصوماته
ولم يسلم قلبه من الامراض المهلكة النفسانية او من الميل الى ايذاء الغير ولم يملك نفسه عن الشهوات من المعاصى
والمقتنيات التى هى مقتضى طباعها لان زجر النفس عنها موقوف على خصلة ربانية وملكة وهى
غائبة عنها ومن لم تعدل نفسه فى الشهوات خاض فى الخبيثات اى الخصال الذميمة والافعال الرذيلة
التى يعود ضررها اليه والى غيره وذلك ظاهر لان الجور فى الشهوة وترك العدل فيها يوجب الخوض فيها
ذكر ومن طغى ضل على عمد بلا حجة لان منشأ الضلال وهو الطغيان لما كان عمدا كان الضلال على
عمد واما انه بلا حجة فهو ظاهر لان الضال لا حجة له والهوينا على اربع شعب على الغرة اى غفلته
عن دينه وعاقبته امره والامل وهو ميل القلب الى البقاء وحصول المرغوبات ومنشأه الذهول عن امر الاخرة

ولذلك روي ان طول الامل ينسى الاخرة قيل اجتمع ثلثه نفر فسال بعضهم بعضا عن امله فقال احدهم ما يأتي علي
شهر الا ظننت اني فيه اموت فيه وقال الثاني لجهات علي يوم الا ظننت اني اموت فيه وقال الثالث ما امكل
من اجله بيد غيري وهذا هو الذي لا امل له والهيبة وهي قد يكون من الفساد في القوة العقليه والغضبية
والعمليه باضاف النفس والجوارح بما يوجب الخوف والهيبة من الاخلاق الذميمه والاعمال القبيحة المخوفة مثل
التجبر والضرب والقتل ونحوها وقد يكون من الصلاح والتقوى والمراد بها هنا هو الاولى لانها التي تردد
عن الحق لان صاحبها يستنكف عنه حفظا لمقامه واما الثانيه فهي ناشية من الحق وغاية اليه وباعثة على
اتباعه والمماطلة وهي تاخير ما يجب الاقدام عليه وتسويف ما ينبغي الاقبال اليه من الاعمال القلبيه و
البدنيه وذلك لان الهيبه ترد عن الحق والمماطلة تفرط في العمل حتى يقدم عليه الاجل وهو نهاية العمر
ضمير عليه راجع الى العمل والى المماطل المفهوم من المماطلة ولولا الامل علم الانسان حب ما هو فيه ولو
علم الانسان حب ما هو فيه مات خفاتا من الهول والوجل الحب بالتحريك العدو والعدو المفاجأة
نغيم الخاء المعجمة الموت فجاءة والهول الخوف والوجل بالتحريك الفزع وهو من اثار الخوف وتوابعه يعني لولا
الامل علم الانسان قدر ما هو فيه وعظمة عاقبته من الم الفراق والموت وما بعده من العقبات والعقوبات
واهوال القيمة وصار ذلك نصب عينه كانه مشاهد له ولو علم الانسان حب ما هو فيه وقدره مات
فجاءة من الخوف والفزع فيتجه لولا الامل مات الانسان من الخوف والفزع وابتناء الامل على الحكمة
لا تقتضي ان يكون مطلوبا كالمعصية ويفهم منه ان الانسان الا من عصمه الله عز وجل لا يخلو من شعب
النفاق وان المومن الخالص المنزه عنها ليس الا من اخذ بيده العناية الالهية والتوفيقات الربانيه والعزة
تعصب بالمرا عن العمل الظهور ان العمل يتوقف على المعرفة والتذكر والتيقظ وشيء من ذلك لا يتحقق مع
العزة قيل والفرق بين العزة والمماطلة ان مع المماطلة شعورا بالعمل ومعرفة بثبوته وحقيته بخلاف
العزة ولذلك ذكر التفريط مع المماطلة والقصر مع العزة اذا الشايع في التفريط هو التقصير الذي مع العلم
به والحفيظة على اربع شعب على الكبر وهو ترفع الانسان وتعظمه وادعاء الشرف والعلو على غيره وهو
بطر الحق ويويده ما روي من طريق العامة الكبر بطر الحق قال ابن الاثير هو ان يجعل ما جعله الله حقا
من توحيده وعبادته باطلا وقيل هو ان يتجبر عند الحق فلا يراه حقا وقيل هو ان يتكبر عن الحق فلا يقبله
والفخر وهو اظهار الفرح والكمال بالمال والحسب والنسب ونحوها وادعاء العظمة والشرف بذلك واما
ذكر الائه واحسانه عز وجل في نفسه فليس من الفخر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي لا اقول تبجحا

وفخرا

وفخرا ولكن شكرا لله تعالى وتحدثا بنعمته والحمية هي الانفه والعار لانهما من اسباب الحماية
اي المنع والدفع وحامية القوم الذي يحميهم ويذب عنهم والحماة للمبالغة والعصبية العصبه قرابة
الرجل وصاحب العصبية هو الذي يغضب لعصبته ويتعصب لهم وهي والحمية من لوازم الكبر لحصولهما
عن تصور الموذي مع الترفع على فاعله واعتقاد الشرف عليه ومن خطرات الشيطان التي توجد في
النفوس ونزغاته التي يفسد بها الناس ونفثاته التي يلقيها الى اذهانهم بحسن الغلبة والانتقام و
الترفع لغرض الافساد والاضلال فمن استكبر ادبر عن الحق لان الكبر صفة رذيلة توجب اخفاء
الحق والادبار عنه بل اصل الاستكبار ادبار وهو مع ذلك مستلزم لصفات رذيلة اخرى موجبة للادبار
عن الحق ومن فخر فجر اي كذب ومال عن الصدق واذنب ووقع في المعاصي والمحارم اذ الفخر مع
كونه معصيته مستلزم لمعاصي اخر غير محصورة ومن حمي اصر على الذنوب اي من دفع عن قومه حمية
اصر على الذنوب لان الحامية كلما فرغ من ذنب دخل في آخر بل الحمية مرة مورثة لذنوب كثيرة مثل ٢٢٩
الضرب والشتم والقتل ونحوها واما من دفع لا من باب الحمية وتعدى الحق فليس بمذموم بل هو ممدوح
ومن اخذته العصبية جار لان المتعصب جاير عن القصد مايل الى الباطل دايما فبيس الامر امر بين ادبار
وفجور واصرار وجور على الصراط لعل المراد بذلك الامر الحفيظة وفي بعض النسخ فبيس الامر امر
بالحمزة والمراد به صاحب الحفيظة ووجه الذم العام انه بين الامواج الاربعة من المهلكات فانجاة منها
من المحالات والطمع على اربع شعب الفرح وهو السرور بما يحصل من الدنيا والمرح وهو اشد الفرح
واثر من اثاره كالتبختر ونحوه واللجاجة وهو التمادي في تعاطي الفعل المزجور عنه والتكاثر وهو التباهي
بالكثرة في الاموال والاولاد والانصار ونحوها فالفرح مكروه عند الله كما قال ان الله لا يحب الفرحين
والمومن قلبه حزين في امر الآخرة والمرح حيله وهو البطر والكبر والمد العجب والتبختر في المشي وقيل
هو التكبر في كل شيء وقال ابن دريد هو التكبر مع جر الازار وانه من كمال التكبر عند العرب والعجاج وهي
بلاء اي فتنة ومحنه لمن اضطرته اي اللجاجة الى حمل الاثام الناشيه منها لان اللجاجه سبب للغالب
والاثام ولذلك قيل اللجاجة متولدة من الكبر وغيره من الامور الفاسدة ويتولد منها امور فاسدة
اخرى والتكاثر لهو ولعب شبه التقلب في امر الدنيا باللهو واللعب في الاتعاب بلا منفعة وفي المنع
عما يوجب منفعه ابدية من امر الآخرة وشغل للقلب عن الله تعالى وعما اراد من نوع الانسان من الاعمال
الصالحة والاخلاق الفاضلة النافعة في الاخرة واستبدل الذي هو ادنى وهو الدنيا وزهراتها الفانية

بالذي هو خير وهو الآخرة ونعيمها الباقية فذلك النفاق ودعايمه وشعبه اى اصوله وفروعه المنتجة
للبعد من الله ومن دينه فمن تخلص من الجميع فهو مومن كامل ومن اتصف بالجميع فهو منافق كامل ومن اتصف
ببعض دون بعض فهو مذبذب بينهما شبيه بالمنافق الى ان يستقر امره فيما شاء الله تعم واعلم ان احاديث
هذا الباب تدل على ان المومن اقل وجودا من الكبريت الاحمر اذ لا يخلو احد من العلماء والصلحاء عن بعض
الخصال المذكورة فضلا عن غيرهم ويمكن ان يقال هذه الخصال ان كانت لاجل التهاون بالدين وعدم
اعتقاد حقيته كان صاحبها منافقا خارجا عن الايمان مشاركا للمنافق عهد النبي صم فى الاسم والمعنى وان
لم يكن لاجل ذلك بل حصلت بمجرد اقتضاء الطبيعة وهوى النفس الامارة كان مشابها بهم ومشاركا
لهم فى الاسم دون المعنى ولا يكون بذلك خارجا عن الايمان وان خرج من كماله ومما يدل على ذلك ما
ذكره فى آخر الباب ما زاد خشوع الجسد على ما فى القلب فهو عند نفاق قال المازرى من العامة المراد
بالمنافق من غلب عليه خصال النفاق وامرها وجعله طبيعة وعادة له لا من وجدت فيه ندرة وقال
لا بد من هذا التاويل لان تلك الخصال قد يجتمع فى واحد ولا يخرجه من الاسلام كما اجتمعت فى بعض
السلف وبعض العلماء وفى اخوة يوسف فانهم حدثوا فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وائتمنوا فخانوا مع
انهم لم يكونوا منافقين خارجين عن الاسلام لان ذلك كان ندرة منهم ولم يصروا على ما فعلوا وقال
محى الدين البغوى هذه ذنوب لا نكفر بها فحمل على ان من فعلها عادة وتهاونا بالدين يكون منافقا خارجا
عن الاسلام او على ان المراد بالنفاق معناه اللغوى لانه لغة اظهار خلاف ما فى الضمير ومن فيه هذه
الخصال كذلك فان الكاذب يظهر انه صادق ومخلف الوعد يظهر انه يفى بوعده وكذا فى بقيتها
والله قاهر فوق عباده اى غالب على جميع العباد فوقهم بالاستيلاء والقدرة على ايجادهم وافناهم
وافنائهم تعالى ذكره عن النقايص او عن معرفة كنه ذاته وصفاته وجل وجهه اى ذاته وصفاته او رسله
وحججه او دينه بناء على ان وجهه ما يتوجه به اليه واحسن كل شئ خلقه فقدر كل شئ اتقن تقديره او اوجده
احسن ايجاد وتدبير بحيث لا يتصور المزيد عليه ولا يتخيل النقص لديه وانبسطت يداه اى قدرته
نعمته واطلاقهما عليهما اما مجاز مرسل او مكنية ونسبة الانبساط اليهما تخيلية ويمكن ان يكون بسط
كناية عن قبول توبة المذنبين وانما كنى بذلك لان العرب اذا رضى احدهم الشئ بسط يده لاخذه واذا كرهه
قبضها فخوطبوا بامر محسوس يفهمونه ليتمكن المراد فى النفس وانما وجب حملها على ذلك لان اليد التى
هى الجارحة والبسط الحقيقى لها يستحيل كل منهما فى حقه تعم لان ذلك من صفات الاجسام ووسعت

كل

كل شئ رحمة اى وسعت رحمته كل شئ من المومن والكافر والمكلف وغيره فى الدنيا واما فى الآخرة
فهى للمومن خاصة كما قال جل شانه ورحمتى وسعت كل شئ فساكتبها للذين يتقون وظهر امره اى دينه
وشرايعه فى العباد ليقروا له بالعبودية او امره التكوينى الدال على كمال قدرته واشرق نوره اى علمه وهو
نور الله الذى لا يضل من اهتدى به والمراد باشراقه انتشاره فى قلوب العارفين او حجته الدالة على وجوده
وعلو ذاته وصفاته او نبوة محمد صم او نور الولاية المشار اليه بقوله تعم يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم
ويابى الله الا ان يتم نوره وفاضت بركته اى كثرت من فاض الماء يفيض فيضا اذا كثر ومن اسمائه تعالى
الفياض لسعة عطائه وكثرته والبركة العطية لكون عطاياه كلها نامية او زايدة على اصل الاستحقاق
وعلى قدره واستضاءت حكمته اى شريعته او مصلحته او علمه بالاشياء وايجادها على غاية الاحكام او
علم الانسان بالموجودات وفضل الخيرات وهيمن كتابه الهيمنة القيام على الشئ يعنى كتابه الكريم قايم
على ساير الكتب رقيب عليها لانه يشهد لها بالصحة وفلجت حجته اى غلبت حجته الدالة على ربوبيته
وتوحيده وقدرته وحكمته او ظهرت ظهورا تاما حتى فرقت بين الحق والباطل والمراد بالحجة الرسل والاوصياء
عليهم السلم وخلص دينه المراد بالدين الطريقة الالهية والشريعة النبوية وخلوصه خلوصه عن الباطل
ويحتمل ان يراد بالدين الطاعة وفيه ح تنبيه على ان الطاعة المختلطة بغير وجه الله عز وجل ليست بطاعة
واستظهر سلطانه الاستظهار بمعنى الظهور والعلو والغلبة يقال ظهر على الحايط اذا علاه وظهر على العدو
اذا غلبه والسلطان بمعنى الحجة والبرهان والولاية والسلطنة والزيادات للتاكيد والمبالغة والاهتمام
ونعمة تحصل بضرب التلثه فى التلثه وحقت كلمته لعل المراد بكلمته كلامه مطلقا او فى الثواب والعقاب
او فى التوحيد والرسالة او القرآن الكريم واقسطت موازينه الاقساط العدل والمقسط العادل يقال
اقسط يقسط فهو مقسط اذا عدل وقسط يقسط فهو قاسط اذا جار فكان الهمزة فى اقسط للسلب والمراد
بالميزان اما الشرايع الالهية او ميزان الحساب والجزاء وبلغت رسله ما ارسلهم به الى عباده بلا افراط
ولا تفريط لانهم امناؤه فى وحيه فجعل السيئة ذنبا مبعدا عن رحمته والسيئة الخصلة الذميمة من
القول والفعل والعقد والذنب فتنه اى ضلالة عن سبيله وهى اسم لكل ما تفتتن به الناس عن سبيل
الحق والفتنة دنسا اى وسخا تتوسخ به النفس الناطقة كالثوب المتوسخ بالخامس القاذورات و
انواع من النجاسات وهو سبب تام للبعد من الحق والخذلان والتخلق باخلاق المنافق والشيطان و
جعل الحسنى عتبى العتبى الرجوع من الذنب والاساءة والعصيان الى الطاعة والتوبة والاحسان والحسنى

٢٣٠

الفعلة الحسنى وهي الاعمال الحسنة الموافقة للقوانين الشرعية والعقلية او الكلمة الحسنى وهي الشهادتان
وغيرها من الاقوال المطابقة للقواعد الحقة او العبادة الحسنى اعني العبادة الواقعة على التوافق بين الظاهر
والباطن المعراة عن صفة النفاق وحقيقتها ان تعبد الله كانك تراه وقد عبر عنها بالاحسان والاخلاص
اللذين هما شرط في صحة الايمان والعمل جميعا والعتبى توبة اي ندامة عما فعل وعزم على عدم الاتيان بمثله
واما مجرد الندامة بدون ذلك العزم فليس بتوبة والتوبة طهور اي مطهر لبس الذنوب اذ التوبة تغسل
النفس عن الجنابة كما ان الماء تغسل الثوب عن النجاسة فمن تاب لهدي اي فمن تاب من الذنوب التي منها
النفاق اهدى الى الحق ودفع عنه اغلال الذنوب المانعة من الوصول الى رحمته ومن افتتن بالاذناب
والذنوب غوى عن سبيل الحق وضل عنه ما لم يتب الى الله ويعترف عن ذنبه فانه اذا تاب واعترف
اهتدى اذ لاذنب مع التوبة ولا غواية مع الاعتراف ولا يهلك على الله بعد الهداية وتقرير التوبة الا
هالك بلغ الغاية في استحقاق العقوبة وهذا كما تقول لا يعلم الفن من هذا العلم الا عالم اي بلغ الغاية
في العلم الله الله اي اتقوا الله واحذروا الله والتكرير للتاكيد وقد يراد به التعجب فما اوسع ما لديه من التوبة
عن الذنوب والرحمة العباد بعد استحقاقهم للعقوبة والبشرى بالرحمة وقبول التوبة وان بلغت النفس الحلقوم
والحلم العظيم حيث لم يعجل في اخذهم بالمعصية رحمة بهم لعلهم يرجعون عنها بالتوبة والاعتراف بالتقصير
وما انكل ما عنده من الانكال والجحيم النكل بالتحريك منع الرجل وتبعيده عما يريد والنكال بالفتح العقوبة
التي تنكل الناس عن فعل ما جعلت له جزاء والنكل بالكسر والمكول القيد لانه ينكل به اي يمنع وجمعه انكال
ونكول والجحيم من اسماء جهنم واصله ما اشتد لهبه من النيران والبطش الشديد البطش الاخذ القوي
الشديد والوصف للتاكيد وفيه اشارة الى نوع آخر من العقوبة فمن ظفر بطاعته اجتلب كرامته اي تحفه
وهداياه الخاصة لاوليائه والمنزل الرفيع في الدنيا والآخرة لان اصل الطاعة كرامة مستلزمة لكرامة
اخرى غير محصورة كما هو معلوم لارباب الطاعة واصحاب العرفان ومن دخل في معصيته ذاق وبال
الوبال في الاصل الثقل والمكروه ويراد به العذاب في الآخرة والنقمة السخط والغضب والعقوبة ومن اسمائه
المنتقم وهو المبالغ في العقوبة مفتعل من نقم ينقم من باب علم اذا بلغت به الكراهة حد السخط وكما ان رحمته
عظيمة كذلك نقمته شديدة لان كل صفة له عز وجل في على حد الكمال ولذلك ورد اتقوا من غضب الحليم
وعما قليل ليصبحن نادمين ما زائدة للمبالغة في القلة اي عن زمان قليل ليصبحن نادمين مما فعلوا من المعاصي
ولا ينفعهم الندم لانقطاع زمان التكليف والندامة بزمان الموت والقيمة عن محمد بن الفضيل رفعه الى العلويين

عن

من ابي الحسن موسى والرضا عليهما السلام فكتب الي ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم اي يظهرون
الايمان والصلاح ويخفون الكفر والفساد للنجاة من قتلهم وسبي ذراريهم ونهبة اموالهم ودفع ضرر
المؤمنين عن انفسهم والله تعالى خادعهم بادخالهم في المسلمين ظاهرا واجراء احكامهم عليهم وتعذيبهم اشد
من تعذيب الكفار وجعلهم في الدرك الاسفل من النار وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه
شيء بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله واما ان صورة
صنعهم مع الله وصورة صنيعه معهم صورة المتخادعين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين عنها
كالمكره على الفعل يراؤن الناس اظهارا لايمانهم ولا يذكرون الله الا قليلا لان المرائي لا يفعل الا بحضور من
يراه وهو اقل احواله او لان المراد بالذكر الذكر القلبي وهو في المرائي قليل مذبذبين بين ذلك حال من واو يراؤن
مثل ولا يذكرون او من واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر متحيرين فيهما
من ذبذبه تركه حيران مترددا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين لعدم
الاقرار بالجنان وعدم الانكار باللسان ومن يضلل الله بسبب سلب اللطف والتوفيق فلن تجد له سبيلا
الى الحق والايمان ان المنافق ينهى ولا ينتهي ويامر بما لا ياتي به لعل المراد بالمنافق هنا ناقص الايمان
وهو شبيه بالمنافق الحقيقي لما بينهما من الملائمة في عدم الاتيان به وان كان هذا معتقدا للحق وبما يدل
على ما ذكرنا ما مر في باب اصول الكفر واركانه عن يزيد الصائغ قال قلت لابي عبد الله عليه السلام
رجل على هذا الامر ان حدث كذب وان وعد اخلف وان ائتمن خان ما منزلته قال هي ادنى منازل الكفر
وليس بكافر ولا دلالة فيه على ان من شرط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ان ياتي الآمر بذلك المعروف ويكف
الناس عن ذلك المنكر لان الواجب في طرف الامر امران احدهما امر غيره والثاني ان يمتثل في نفسه وكذا
في طرف النهي امران احدهما ان ينهى غيره والثاني ان يكف في نفسه والنفاق والعقوبة من جهة المخالفة وهي
انه لم يمتثل ولم ينته لا للامر والنهي والمراد بالالتفات يمنة ويسرة او الاعم وبالربوض ضم بعضه الى بعض
من غير تخنيع مثل ربوض الغنم وهو كبروك الابل والصوقه بالارض من غير تربص وطلبته من رفض او
الصق بها ولا زيها وزاد فيه اذا ركع ربض ليس هذا من الزيادة وانما ذكره تمهيد لبيان الزيادة والارتباط
واذا سجد نقر اي نقر كنقر الديك يعني سرع في السجود وخففه ولا يمكث فيه الا قدر وضع الديك منقاره
فيما يريد الكلة واذا جلس شغر اي رفع ساقيه عن الارض وقعد على عقبيه من شغر الكلب كمنع رفع احدى رجليه
بال اولم يبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق مثل جذع النخل اراد ان ينتفع به في بعض بنائه هذا

تمثيل حسن كان جذع النخل غير مستقيم لكون ظاهره بحذاء وباطنه معوجا غايرا وصار ذلك سبب العدم الانتفاع
به في بعض الامور المطلوب منه واحراقه بالنار كالمنافق   ما زاد خشوع الجسد على ما في القلب فهو عندنا
نفاق وان كانت المتصف به على هذا الامر   قال سالته عن ادنى ما يكون العبد به مشركا قال فقال من قال
للنواة انها حصاة وللحصاة انها نواة ثم دان به الشرك كما يطلق على من عبد غير الله ثم مثل عبدة الاصنام و
الاوثان وعبدة الشمس والنيران كذلك يطلق على من اطاع غيره سواء عبد ذلك الغير اولم يعبده وسواء كان
ذلك الغير شيطانا او انسانا او نفسا امارة واما طاعة الرسول والائمة الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين فهي
طاعة الله عز وجل كما نطقت به الايات والروايات وبين الشرك بهذا المعنى الشرك بالمعنى الاتم وعلى هذا كل من
انكر من الدين ما هو حق واعتقد فيه ما هو باطل ودان به سواء كان من الضروريات كما يظهر من المثال او من
غيرها كما يظهر من بعض اخبار هذا الباب وغيره وسواء كان من امور الكباير ام من الصغاير فهو مشرك لانه
اطاع نفسه وشيطانه فكانه جعلهما ربا من دون الله   من ابتدع رايا فاحب عليه او ابغض عليه الراى
المبتدع ما ليس له مستند شرعي وصاحبه مشرك لانه اتخذ مع الرب عز وجل ربا آخر وهو نفسه وهواه وان
لم يشعر به سواء كان ذلك الراى متعلقا بالاصول ام بالفروع وسواء احبه على غيره وتابعه ام لم يحبه عليه
احد واما المجتهد المخطى الذي له مستند شرعي في ظنه غير مطابق لحكم الله ثم في نفس الامر فالظاهر انه ليس بمشرك
والله اعلم   نطيع الشيطان من حيث لا نعلم فنشرك الظاهر ان من حيث لا نعلم متعلق بنطيع فيفيد ان الطاعة
الشيطان في العقايد والاعمال مع عدم العلم بانها فاسدة وانها اطاعة له شرك فكيف مع العلم فانها ايضا
شرك بطريق اولى ويحتمل ان يتعلق بقوله فنشرك فيفيد ان اطاعة الشيطان مطلقا شرك وان لم يعلم انها شرك
ولم يقصده لانه تابع لازم لها   شرك طاعة وليس شرك عبادة اى اريد بالشرك شرك طاعة لغير الله ثم
لا شرك عبادة لان من اطاع غير الله سواء كان شيطانا او نفسا داعية الى السوء او انسانا ضالا مضلا فقد اشرك
بالله غيره وان لم يعبده ولم يسجد له فالخلفاء الثلثة مشركون لانهم اطاعوا شياطينهم ونفوسهم الامارة وكذا
اتباعهم الى يوم القيمة وعن قول الله عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف قال ان الاية نزلت في الرجل ثم
يكون في اتباعه آه اى من الناس من يعبد الله على طرف من الدين ومن كان على طرف منه فهو خارج عنه
مشرك بالله غير مؤمن به ولعل المراد به الشك في محمد ص وما جاء به من الولاية لعلي ع وغيرها وفيه اشارة الى
ان الاية نزلت في الثلثة واتباعهم وان نزولها يكون مخصا لهم وانهم مقصودون منه اصالة   ثم قال
الشيء صنع الله او صنعه النبي ص الاصنع خلاف الذي صنع آه فمن لا موه ص بما صنع من نصب علي ع وغيرها

من الاصول

من الاصول والفروع او وجد واعدم الرضا بذلك في قلوبهم فهم مشركون حيث نفى عنهم حقيقة الايمان
به وهو مستلزم لثبوت الشرك لهم ويتم لهم هذه الخصلة حتى يجعلوه حكما فيما تنازعوا فيه من خلافة
علي ع وغيرها ويرضوا بحكمه ولا يجدوا في انفسهم حرجا وشكا فيما حكم به ويسلموا له ولآله صلوات الله
عليهم وبالجملة ثبوت الايمان المنافي للشرك لهم موقوف على الرجوع اليه والرضا بما حكم به والتسليم له
وهو اعلى درجة من الرضا لان اهل الرضا يرون انفسهم ويحكمون عليها بحكمه وان كان بسعا مرا في
مذاقهم واما اهل التسليم لا يرون انفسهم ولا اتباعه بل يجدون حكمه احلى من العسل   فعبدوهم من
حيث لا يشعرون كذلك اكثر هذه الامة اتخذوا جهلة اربابا من دون الله وتبعوا احكامهم المغايرة
لاحكام الله ثم فعبدوهم من حيث لا يشعرون وليس الذم مختصا باهل الكتاب   من اطاع رجلا
في معصيته فقد عبده في معصيته اما وصف لرجل او حال عنه او متعلق باطاع فيفيد على الاولين
ان العاصي معبود لمن اطاعه مطلقا سواء اطاعه في المعصية ام في غيرها كما يدل عليه قوله تعالى ولا
تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وعلى الاخير ان العاصي معبود لمن اطاعه في المعصية سواء فعلها
ايضا او رضي بها او مدحه عليها او دعا له او لم ينكرها مع القدرة على الانكار وسر ذلك ان العبادة ليست
الا الخضوع والتذلل والطاعة والانقياد ولذلك جعل الله سبحانه اتباع الهوى وطاعة الشيطان
عبادة للهوى والشيطان فقال افرايت من اتخذ الهه هواه وقال الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا
الشيطان وصدرت عن اهل العصمة على ذلك روايات كثيرة واذا كانت اتباع الغير عبادة له فاكثر الخلق
مقبولون على عبادة غير الله ثم وهو النفس والشيطان واهل المعصية والكفران وهذا هو الشرك الخفي
نعوذ بالله منه   قال كتبت الى العبد الصالح ع اخبره انى شاك وقد قال ابرهيم ع رب ارنى كيف
تحيى الموتى وانى احب ان تريني شيئا كانه ارادني شاك فيك فاحب ان تريني شيئا يفيد اليقين بك كما
كان ابرهيم ع شاكا في احياء الموتى فاحب ان يريه ربه ما يفيده اليقين به فكتب اليه ان ابرهيم كان
مؤمنا واحب ان يزداد ايمانا وانت شاك والشاك لا خير فيه المراد ان ابرهيم ع لم يسال ربه ليزيل
الشك عن نفسه لانه كان مؤمنا بذات الرب وصفاته وقدرته على احياء الموتى ولم يشك قط بل
ساله ليزداد يقينا بان يرى بالعيان ما علم بالدليل والجنان والحاصل انه كان له علم اليقين فطلب عين
اليقين وانت شاك كما اعترفت به والشاك لا خير فيه لان الخير كله سيما الايمان في ضد الشك وهو
اليقين وكتب ع انما الشك ما لم يات اليقين فاذا جاء اليقين لم يجز الشك كانه تاكيد لقوله ان ابرهيم كان مؤمنا

٢٣٢

غير شاك اذ الشك بالشئ ينافي اليقين فلا يجامعه وقيل انما سال ابرهيم عليه السلام ليعلم قدر منزلته عند الله تعالى لان
الاسعاف بالمطلب الفخم يدل على مكانة السائل وح معنى اولم تؤمن بمنزلتك عندى وقال الصدوق في كتاب
العلل سمعت محمد بن طيفور يقول في قول ابرهيم ع رب ارنى كيف تحيى الموتى الاية ان الله عز وجل امر ابرهيم ان
تزور عبدا من عباده الصالحين فزاره فلما كلمه قال له ان الله تبارك وتعالى في الدنيا عبدا يقال له ابرهيم قد اتخذه
خليلا قال وما علامة ذلك العبد قال يحيى له الموتى فوقع لابرهيم انه هو فساله ان يحيى له الموتى قال اولم
تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى على الخلة ويقال انه اراد ان يكون له ذلك معجزة كما كانت للرسل وقيل كان
له علم اليقين بالاحياء وانما سال ليعلم كيفية الاحياء كما يشعر به كيف قيل وانما سال الله ان يقدره على احياء
الموتى وتادب في السؤال فقال ارنى كيف تحيى الموتى وقال بعض اهل الاشارة ارى من نفسه الشك فما شك
وانما سال ليجاب فيزداد قربا وكتب ان الله عز وجل يقول وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم
لفاسقين قال نزلت في الشكاك العهد يكون بمعنى الوصية كما قيل في قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بنى آدم وبمعنى الولاية
والخلافة ومنه قوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين وبمعنى الامان والذمة وبمعنى الضمان كما قيل في قوله
اوفوا بعهدى اوف بعهدكم واى اوفوا بما ضمنتكم من طاعتى اوف بما ضمنت لكم من ثوابى وجنتى ولعله
ع اشار بذلك الى ان الاكثر نقضوا عهد الله وعهد رسوله في الولاية والخلافة وشكوا فيها وان الاية نزلت
في ذمهم وان كل شاك فاسق قوله كان امير المؤمنين ع كان يقول في خطبته لا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا
فتكفروا الارتياب يجئ بمعنى القلق والاضطراب وبمعنى سوء الظن والتهمة وبمعنى الشك ولعل المراد لا
توقعوا انفسكم في قلق واضطراب بسبب الفكر فيما يعارض الحق ويدفعه من الشبهات والخيالات قوله فانه يؤديكم
الى الشك فيه او لا تتهموا الله في افعاله وصفاته ولا رسوله في تبليغ رسالته ولا خليفته في ولايته ولا
بكمالاته ولا تتصفوا بسوء الظن بهم فانه يؤديكم الى الشك في صدقهم ولا تشكوا فيه فتكفروا فان الشك فيه
كفر بالله العظيم وبما انزل الى رسوله الكريم وقد مر توضيحه في باب استعمال العلم قوله قال فشك في رسول الله
فقال كافر ثم التفت الى زرارة فقال انما يكفر اذا جحد من النبي ان الشك في رسول الله انما يتصف به قبل قيام
الحجة اذ لا شك بعده بالضرورة والشاك قبله كافر اذا جحد وانكر بخلاف ما اذا لم يجحد فانه مستضعف
بيانه واما الشاك في الله فهو كافر لان حجة الله والدليل على وجوده هي الحجة الواضحة اذ كل شئ شاهد عليه
وانما التفت الى زرارة للتنبيه على فساد مذهبه وهو انه لا واسطة بين المؤمن والكافر كما مر ويجئ انشاء الله
والله يعلم قوله قال سالت ابا عبد الله ع عن قول الله عز وجل الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بالشك

اى

٢٣٢ اى الذين امنوا بالله ورسوله واوصياء رسوله ظاهرا ولم يلبسوا ايمانهم بشك في احدهم باطنا اولئك
لهم الامن وهم مهتدون والظلم وضع الشئ في غير محله فالعاصى ظالم لانه وضع المعصية موضع الطاعة
والكافر ظالم لانه وضع الكفر موضع الايمان والشاك ظالم لانه وضع الشك موضع اليقين وبالجملة
كل من عدل عن طريق حق الى طريق باطل فهو ظالم وكان السائل سال عن العام هل هو باق بعمومه او
مختص ببعض افراده فاجاب ع بان المراد به ظلم الشك والكفر قيل فيه دلالة على انهم كانوا يقولون بالعموم
وعلى تاخير البيان الى وقت الحاجة واعترض بانه لا دلالة فيه على شئ منهما اما الاول فلان السائل
حمل الظلم على ظلم المخالفة وشق عليه ذلك لما ترتب عليه من عدم الامن وعدم الاهتداء فسال عن ذلك
فاجاب ع بحمله على ظلم الشك واما الثانى فلان الاية ليس فيها تكليف بعمل وانما فيها تكليف باعتقاد صدق
الخبر بان للمؤمنين الامن والاهتداء فاين الحاجة التى يؤخر البيان اليها واجيب عن الاول بان ظلم
المخالفة يتنوع الى كباير وصغاير لا تحصى وانما شق عليه حمله على ظلم اذ لعم جميع صورها فاخذ
العموم لازم سواء حصل من تعميم الجنس في انواعه او من تعميم النوع في افراده وعن الثانى بان الاية وان
كانت خبرا فهى في معنى النهى عن لبس الايمان بالظلم فهى عملية من هذا الوجه على ان الفرق في تاخير البيان
بين المسائل العلمية والعملية غير ظاهر والدليل في المسئلة مشترك قوله من شك في الله بعد مولده على الفطرة
لم يفئ الى خير ابدا دل على ان المرتد عن فطرة وهو المولود على الاسلام ولا تقبل توبته كما هو المشهور و
قال الشيخ زين الملة والدين لا تقبل توبته ظاهرا وفى قبولها باطنا قول قوى حذرا من تكليف ما لا يطاق
لو كان مكلفا بالاسلام او خروجه عن التكليف ما دام حيا كامل العقل وهو باطل بالاجماع وقال ابن الجنيد
في شرح النافع لو تاب المرتد عن فطرة لم يقبل بالنسبة الى اسقاط الحد وملك المال وبقاء النكاح و ابتداء
النكاح مطلقا ويقبل بالنسبة الى الطهارة وصحة العبادات واسقاط عقوبة الاخرة واستحقاق الثواب و
لا ينافى ذلك وجوب قتله كما لو تاب المحصن بعد قيام البينة قوله لا ينفع مع الشك والجحود عمل لان
الشاك والجاحد كافران والكافر لا ينفعه عمله وقد دلت الروايات على ان عمل الشاك في الامام والجاحد
له كالخوارج واضرابهم لا ينفع وفى وصية المفضل قال سمعت ابا عبد الله ع يقول من شك او ظن فاقام
على احدهما احبط الله عمله اى من شك في الله او في الرسول او في الامام او ظن بطلانهم فاقام على احدهما
احبط الله عمله ولن ينفعه في الاخرة كما قال عز وجل ولئن اشركت ليحبطن عملك وقوله ان حجة هى الحجة
الواضحة اشاره الى ان الموجب لاحباط العمل هو الشك في الامر الجلى واما الامر الخفى مثل بعض الفروع فليس

الامر كذلك والله يعلم قوله فقال يا با محمد ان مثل اهل بيت مثل اهل بيت كانوا في بني اسرائيل كان لا يجتهد
احد منهم اربعين ليلة الا دعا فاجيبه آه المراد بالاجتهاد الاتيان بالطاعات والاجتناب من المنهيات وبعد
الظاهر والباطن لله تم وفيه دلالة على انه من شرايط قبول الدعاء والروايات الدالة عليه كثيرة وسيجئ بعضها
في كتاب الدعاء والغرض من هذا التمثيل ان العبادة مع الشك في اهل البيت غير مقبولة ولا نافعة فكيف انكارهم
وان التمسك بهم يوجب قبولها وان التوبة بعد الشك والانكار مقبولة وان المومن الخالص في حب اهل
البيت عليهم السلم قوله فقلت من لم يعرف هذا الامر فهو كافر فقال ابو الخطاب ليس بكافر حتى يقوم عليه
الحجة فاذا قامت عليه الحجة فلم يعرف فهو كافر فقال له محمد بن مسلم سبحان الله ما له اذا لم يعرف ولم
يجحد يكفر ليس بكافر اذا لم يجحد الفرق بين الاقوال الثلثه انه ذهب صاحب البريد الى ان غير العارف كافر
سوا قامت عليه الحجة لم يقم وسوا جحد ام لم يجحد وعلى هذا لا واسطة بين المومن والكافر وذهب ابو الخطاب
الى انه كافر ان قامت عليه الحجة سوا جحد ام لم يجحد وعلى هذا بينهما واسطة وهي من لم يعرف ولم يجحد وبقي
مستضعفا وضالا والمراد بالضال في هذا الباب هو هذا المعنى وان كان يطلق كثيرا ما على المعنى الاعم منه
وهو من لم يتمسك بالحق وخرج عن سبيله فانه يصدق على جميع ارباب المذاهب الباطلة والظاهر ان
مرادهم بالكافر هنا من يجرى عليه احكام الكفر في الدنيا مثل النجاسة وعدم جواز المباشرة والمناكحة وغيرها
كما هو مذهب بعض العلماء والا فلا خلاف في استحقاق العقوبة وخلود بعضهم في النار قال فلما حججت دخلت
على ابي عبد الله عم فاخبرته بذلك فقال انك وقد حضرت وغابا ولكن موعدكم الليلة جمرة الوسطى بمنى وهي
دل على انه ينبغي للحاكم ان يترك الحكومة والتكلم فيها حتى يحضر الخصوم جميعا ومن ثم قال بعض الاكابر
اذا اتاك الخصم وقد فقئت عينه فلا تحكم له فلعل يأتيك خصمه وقد فقئت عيناه ثم قال انما ابو
في خدمكم ونسائكم واهليكم الى آخره لما اظهروا عنده عم اقوالهم المذكورة استفهم عم ثلث مرات عمن اسلم
واقر بالشهادتين واتى بالصلوة والصوم والحج ونحوها ولم يعرف هذا الامر والامام الحق فاجاب صاحب
البريد في كل مرة بانه كافر ومراده انه لا ينبغي ان يجرى عليه احكام الكفر من النجاسة والقتل وحرمة المناكحة
وغيرها فقال عم نوبخا له وردا لقوله سبحان الله هذا قول الخوارج القائلين بان من فعل كبيرة او صغيرة واصر عليها
كافر خارج عن الاسلام مستحق للقتل ولذلك حكموا بكفر امير المومنين عم في التحكيم لزعمهم ان التحكيم معصية صدرت
منه عم وقد اخطأوا اما اولا فلان التحكيم وقع بغير رضاه عم بسبب غلبة الرجال والعساكر كما هو المسطور
في الكتب المفصلة المعتبرة واما ثانيا فلان تعيين الحاكم وتفويض الحكم الى ابي موسى وقع ايضا بدون رضاه عم كما

هو المسطور فيها ايضا واما ثالثا فلان المقصود في التحكيم هو الرجوع الى حكم الله في كتابه وتعيين الاحق بالخلافة
منه ولا ريب في انه ليس بمعصية واغترار الحاكم من صاحبه وحكمه بخلاف ما في كتاب الله معصية صدرت
من ذلك الحاكم الا انه امر بالحكم الحق وانما لم يقل عم هذا قول الخوارج بعد الجواب عن السؤال الاول بل كرر
السؤال من جنس واحد للتاكيد والتقرير وتوقع رجوع المخاطب عن اعتقاده الباطل بتكرار السؤال والتنبيه
وانما لم يجب بالجواب الحق مع انه من شانه وهو الارشاد اليه بل استعمله بقوله ان شئتم اخبرتكم لعلمه
بانه متعنت ولذلك اسا الادب وقال لا وبجزم بقوله اما انه شر عليكم ان تقولوا الشيء ما لم تسمعوا
منا التنبيه على فساد قوله وعلى ان كل ما يشكل به الناس من امور الدين وجب ان يكون مسموعا من اهل العصمة
عليهم السلم ولو بواسطة ليكون مامونا من الخطاء فقلت ما يمنعني الا انني اخشى ان لا اخل لي مناكحتهم
الخشية توهم ان غير العارف بهذا الامر كافرات لا يجوز نكاحهن وقد مر وسيجئ ان زرارة كان لا
يقول بالواسطة بين المومن والكافر فكان جميع المخالفين من اي فرق الاسلام كانوا ولو من الشيعة غير
الامامية كفارا عنده يجرى عليهم احكام الكفر ظاهرا او باطنا ومنها عدم جواز مناكحتهم قلت ان الامة
ليست بمنزلة الحرة ان رابتني بشيء بعتها واعتزلتها قال فحدثني بما استحللتها او لم تشككر واوهم نعني ان
ان اوهمتني بشيء بيوتي ويخالف ما انا عليه بعتها واعتزلتها بخلاف الحرة فان حرمتها اتم واعظم وفسخ
مفارقتها اشد واعظم ولما لم يكن هذا الجواب مطابقا للسؤال لان السؤال عن سبب التحليل اعاد عم السؤال
بعينه للتنبيه على خطائه في الجواب قلت ارايت قولك ما ابالي ان تفعل قال ذلك على جهتين تقول
لست ابالي ان تاثم من غير ان آمرك اي اجزني عن تغيير قولك ما ابالي ان تفعل فان هذا القول يحتمل وجهين
احدهما انك لا ابالي ان اعصي الله واثم اذ لم تامرني بذلك والوجه الاخر ان يكون ذلك جائزا لي و
لم يذكره لظهوره فقال لي قد كان رسول الله صلعم تزوج اي تزوج عائشة وحفصة وفعلتا بالنفاق و
استبطان الكفر وعدم الاخلاص له صلعم ما فعلتا واذتاه باغاظة وكرهه كما هو المذكور في القران الكريم
وقد كان من امر امراة نوح وامراة لوط ما قد كان انهما قد كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ذم
الله عز وجل المراتين المذكورتين ومثل حالهما بحال امراة نوح وامراة لوط في اتصافهما بالنفاق واستبطان
الكفر وعدم الاخلاص كفرتا وخرجتا عن الدين فلم يغن نوح ولوط عنهما من عذاب الله شيئا من الاغناء
بحق الزوج حتى يقال لهما عند الموت او في القيمة ادخلا النار مع ساير الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة
بينهم وبين الانبياء قال المفسرون فيه اشارة الى ان سبب القرب والرجحان عند الله تعالى ليس الا الصلاح كاينا

من كان وخيانة المرأتين ليست هي الفجور وانما هي نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامرأة
نوح قالت لقومه انه مجنون وامرأة لوط دلت قومه على ضيفانه وليس المراد بالخيانة البغي والزنا اذ ما زنت امرأة
نبي قط وذلك هو المراد بقوله عليه السلام ما ترى من الخيانة في قول الله عز وجل فخانتاهما ما يعني بذلك الا الفاحشة
هي كما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي والمراد بها هنا النفاق والمخالفة والكفر وفيه رد لقول زرارة وهي
مقرة بدينه اذ علاقة الزوجية لا يستلزم ذلك وقوله عليه السلام وقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلانا اشارة الى انه
يجوز للمؤمنة التزويج بالمخالف المظهر للاسلام المبطن للنفاق والكفر وهو مذهب المفيد والمحقق بن سعيد
والمشهور المنع لاخبار كثيرة بعضها مرسل وبعضها ضعيف وهما حملاها على الكراهة جمعا ودعوى الاجماع
على المنع لم تثبت والاحتياط ظاهر ولما استشعر زرارة من الكلام المذكور الرخصة في نكاحهن اراد ان
يعلمها صريحا قال قلت اصلحك الله ما تأمرني انطلق فاتزوج بامرك اي اتزوج من النساء اللواتي لا
يعرفن هذا الامر بامرك واذنك فقال ان كنت فاعلا فعليك بالبلهاء من النساء الابله ضعيف العقل
والانثى بلهاء والجمع بله مثل احمر وحمراء وحمر وفعله من باب تعب قلت وما البلهاء قال ذوات الخدور والعفائف
الخدر بالكسر الستر والجمع خدور ويطلق الخدر على البيت ان كانت فيها امرأة والا فلا واخدرت الجارية
لزمت الخدر واخدرها اهلها اي ستروها وصانوها عن الامتهان والخروج لقضاء حوائجها يتعدى
ولا يتعدى والعفائف جمع العفيفة وهي المرأة الممتنعة عن القبائح حياء من عف عن الشيء يعف من باب ضرب
عفة بالكسر وعفافا بالفتح امتنع عنه وانما امر بتزويجهن لانهن اقرب الى الحق وقبول دين الازواج وابعد
من غلو الخلاف ونصب اهل البيت عليهم السلام فقلت من هي على دين سالم بن ابي حفصة قال لا كان زيديا
تبريا من رؤسائهم لعنه الصادق عليه السلام وكذبه وكفره فقلت من هي على دين ربيعة الرأي فقال لا هو ربيعة بن ابي
عبد الرحمن مدني غالي خبيث وانما منع من تزويجهن لكفرهن وعداوتهن لاهل البيت عليهم السلام ولكن
لهم ولكن العواتق اللواتي لا ينصبن كفرا ولا يعرفن ما تعرفون العواتق جمع العاتق وهي الجارية اول ما ادركت
وهذا يدل على انه لا يجوز للمؤمن ان ينكح الناصبية المعروفة بالنصب لانها كافرة ولا يجوز للمؤمن ان ينكح الكافرة
كما لا يجوز للكافر ان ينكح المؤمنة دواما ومتعة وعليه روايات كثيرة ثم عاد زرارة بعد تلك المقدمات الى ما كان
عليه من ان غير العارفة كافرة ولذلك قال قلت وهل تعدو ان تكون مومنة او كافرة اي لا يتجاوز المرأة
احد هذين الوصفين الايمان والكفر واذا فقدت وصف الايمان فقد اتصفت بالكفر فقال عليه السلام تصوم
وتصلي وتتقي الله ولا تدري ما امركم من الاقرار بالولاية فهي مسلمة فكيف يكون كافرة فقلت قد قال الله عز وجل

هو

هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن لا والله لا يكون احد من الناس ليس بمؤمن ولا كافر استدل على
مذهبه بهذه الآية وليست نصا فيه لان الايمان هو الاقرار والكفر هو الانكار وبينهما واسطة هي عدمهما
ويسمى المتصف بها تارة غير عارف وتارة مستضعفا وتارة ضالا والحكم على الخلق بان بعضهم مؤمن وبعضهم
كافر لا يدل على انحصارهم فيهما الا ان يريد بالكافر غير المؤمن سواء كان منكرا ام غير عارف فتوجه ان اطلاق الكافر
على هذا المعنى غير متعارف وان عدم جواز نكاح الكافرة بهذا المعنى مطلقا ممنوع لجواز نكاح غير العارفة وكانه عليه السلام
لم يتعرض لجوابه لظهوره بل اشار الى ثبوت الواسطة كما نقلها عنه زرارة قال فقال ابو جعفر عليه السلام قول الله اصدق من
قولك يا زرارة ارايت قول الله عز وجل خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ربما اشعر
ان الله عز وجل جعل المعتذرين المتخلفين من غزوة تبوك قسيم المؤمنين قال ولكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا
باموالهم وانفسهم الآية وقال وجاء المعذرون الآية ثم جعل المعذرين على صنفين كافرين وغير كافرين قال سيصيب
الذين كفروا منهم عذاب اليم وضمير منهم راجع الى المعذرين وفيه تنبيه على ان من المعذرين من اعتذر لكسله لا لكفره ٢٣٥
وجعل المعذرين لكسله على صنفين حيث قال وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله
ان يتوب عليهم اي اعترفوا بذنوبهم وندموا من التخلف خلطوا عملا صالحا هو اظهار الاعتراف بالذنب والندم
منه عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم المفهومة من قوله اعترفوا بذنوبهم وقال وآخرون مرجون لامر الله
اما يعذبهم واما يتوب عليهم اي آخرون من المتخلفين وهم الذين لم يعترفوا بذنوبهم ولم يندموا موقوفون وموخرون
لامر الله تعالى في شأنهم اما يعذبهم ان اصروا على الذنب واما يتوب عليهم ان تابوا ومن هذه المقدمات يعلم ان هذين
الصنفين لم يكونوا مؤمنين ولا كافرين والله يعلم ولما لم يفهم زرارة المقصود منه قال فلما قال عسى فقلت ما هم
الا مؤمنين او كافرين واعرض عليه السلام عن بيانه وتوضيحه واشار الى دليل آخر اظهر في المقصود كما يفعل الحكيم وقد صدر
مثله من الخليل لالزام نمرود كما نطق به القرآن الكريم وهو ما نقله زرارة قال فقال ما تقول في قوله عز وجل الا
المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا الى الايمان اي لا
يستطيعون حيلة الى الكفر فيكفروا ولا يهتدون سبيلا الى الايمان فيؤمنوا وقد مر تفسيره بهذا في باب اصناف
الناس ويجيء في اول الباب الآتي وهذا صريح في ان المستضعفين ليسوا مؤمنين ولا كافرين فقلت ما هم
الا مؤمنين او كافرين هذا القول مكابرة وكان مبني ذلك على ما ظهر وهو ان المراد بالكافر غير المؤمن او على تفسير الاية
بوجه آخر وعلى التقديرين بالغ في اساءة الادب ويمكن ان يكون مراده بذلك الاستقصاء في المناظرة ليعلم
وجوه الكلام ويحصل له قوة المجادلة مع الخصم فقال والله ما هم بمؤمنين ولا كافرين قد صرح بعض الاصحاب
ان المستضعفين الذين لا يعرفون الحق ولا ينكرونه والذين لم تحصل لهم المعرفة بالدليل ما هم بمؤمنين ولا كافرين

ثم اقبل علي فقال ما تقول في اصحاب الاعراف آه قد مر تفسيره في باب اصناف الناس فقلت ما هم الا مؤمنين او
كافرين وذلك لانهم ان دخلوا الجنة فهم المؤمنون لان الجنة لا يدخلها الا مؤمن وان دخلوا النار فهم كافرون
لان النار لا يدخلها الا كافر والمقدمتان ممنوعتان لان الجنة قد يدخلها غير مؤمن برحمة الله وفضله
والنار قد يدخلها غير كافر بذنب غير الكفر كما ستعرف فقال والله ما هم بمؤمنين ولا كافرين ولو كانوا مؤمنين
لدخلوا الجنة اي ابتداء او بسبب الايمان كما دخلها المؤمنون كذلك وهذا لا ينافي دخولهم فيها بالرحمة كما
سيأتي ولو كانوا كافرين لدخلوا النار اي ابتداء او بسبب الكفر كما دخلها الكافرون كذلك وهذا لا ينافي دخولهم
فيها بذنوبهم غير الكفر كما سيأتي ولكنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم كان المراد بهما الاقرار والانكار و
باستوائهما عدم رجحان احدهما على الاخر او الاعم منهما ومن الاعمال الصالحة والذنوب فقصرت بهم الاعمال
اي لم تبلغ بهم الاعمال الحسنة الى مقصدهم وهو الجنة وفي المصباح قصرت بنا النفقة اي لم تبلغ بنا الى
مقصدنا فالباء للتعدية وانهم لكما قال الله عز وجل قال بعض المفسرين في الدرجة الادنى من الاعراف قوم تساوت
حسناتهم وسيئاتهم اوقفهم الله ثم عليها لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم تؤول عاقبة امرهم الى الجنة
برحمة من الله وفضل كما قال عز وجل لم يدخلوها وهم يطمعون اي لا يطمعون دخولها من عملهم بل يطمعون من
فضل الله واحسانه ان ينقلهم من ذلك الموضع الى الجنة فقلت امن اهل الجنة هم ام من اهل النار كان غرضه
من هذا السؤال ان تقول لهم المؤمنون ان كانوا من اهل الجنة والكافرون ان كانوا من اهل النار لزعمه ان الجنة
لا يدخلها الا مؤمن والنار لا يدخلها الا كافر فقال اتركهم حيث تركهم الله وهو مقام الرجاء برحمته وفضله
وفيه تنبيه على ان دخول الجنة قد يكون بالرحمة لا بالايمان كما ان دخول النار قد يكون بالذنوب لا بالكفر قلت
افترجيهم اي اتؤخرهم ولا تحكم بكفرهم وايمانهم او افتوقعهم في الرجاء والطمع للمغفرة ولا تحكم بكفرهم
قال نعم ارجيهم كما ارجاهم الله ان شاء ادخلهم الجنة برحمته لا بايمانهم لعدمه وان شاء ساقهم الى النار
بذنوبهم لا بكفرهم لعدمه ايضا ولم يظلمهم اذ لا ظلم في العقوبة مع الاستحقاق بالذنوب فقلت هل يدخل
الجنة الا كافر قال لا فقلت هل يدخل النار الا كافر قال لا الا ان يشاء الله كان غرضه ان يحمله على التقرير
بالمقدمتين ليتفرع عليه عدم الواسطة مع ملاحظة المقدمة المعلومة بادعائه وهي ان الناس اما اهل الجنة فهو
او اهل النار اذ بحكم المقدمة الاولى كل من دخل الجنة فهو مؤمن وبحكم المقدمة الثانية كل من دخل النار
كافر ولا واسطة بحكم المقدمة المعلومة فاجابه بمنع المقدمة الثانية بقوله لا الا ان يشاء الله اشارة
الى انه قد يدخل النار غير كافر فهذا واسطة ويمكن الجواب بمنع المقدمة الاولى ايضا اذ لا يلزم من عدم دخول
الكافر في الجنة ان يكون كل من دخلها مؤمنا لجواز ان يدخلها غير المؤمن كالمستضعف ويمنع المقدمة الاخيرة ايضا

ايض

ايضا لجواز ان لا يدخل بعض الناس في الجنة ولا في النار كما قال قوم اصحاب الاعراف هم الفساق من اهل الصلوة
يسكنهم الله الاعراف بين الجنة والنار وانما خص الاستثناء بالمقدمة الثانية لانه لا يصلح تعلقه بالمقدمة
الاولى نعم لو قال زرارة هل يدخل الجنة غير مؤمن لجاز تعلقه بها ايضا بان زرارة اني اقول ما شاء الله وانت لا
تقول ما شاء الله اشارة الى خطاء زرارة وانه يقول كل من دخل النار فهو كافر بدون الاستثناء وهذا خطاء
لانه قد يدخلها غير كافر ممن شاء الله دخوله فيها اما انك ان كبرت رجعت وتحللت عنك عقدك العقد بالكسر
القلادة وبالضم الرأي ومع الهاء وبدونها ايضا العهد والبيعة المعقودة للولاة ولعل المراد رجعت عن هذا
القول الباطل وتحللت عنك هذه القلادة او هذا الرأي او رجعت عن دين الحق وتحللت عنك العهد والبيعة وفيه
على الاخير ذم عظيم له الا ان في الرواية ضعف بالارسال وبمحمد بن عيسى وهو محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين
وان كان له مدح وتوثيق من بعض الاصحاب لكن جزم ابن طاوس بضعفه في مواضع وضعفه ابو جعفر محمد
بن علي بن الحسين بن بابويه وشيخه محمد بن الحسن بن الوليد والشهيد الثاني وقال اشترك جميع الاخبار القادحة
لزرارة في اسنادها الى محمد بن عيسى وهو قرينة عظيمة على ميل وانحراف منه على زرارة مضافا الى ضعفه
في نفسه وقال مثله ابن طاوس به واعلم ان ما ذكرته في شرح هذا الحديث كله من باب الاحتمال والله تعالى
شانه يعلم حقيقة الحال قال سالت ابا جعفر عن المستضعف كانه سال عن المستضعف الذي استثناه
عز وجل في قوله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض
قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماويهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من
الرجال والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله
عفوا غفورا قال اصحاب التفسير توفاهم اما ماض فيكون اخبارا عن حال قوم انقرضوا وكانوا قوما
من المسلمين بمكة خرجوا في قوم من المشركين في قتال فقتلوا معهم واما مستقبل بحذف احدى التائين
فيكون الوعيد عاما في كل من كان بهذه الصفة وظالمي انفسهم حال من ضمير الموصول والظلم قد يراد به
الشرك والنفاق فالمراد انهم ظالمون انفسهم بنفاقهم وكفرهم وتركهم الهجرة وقد يراد به المعصية فالمراد
الذين اسلموا في دار الكفر وبقوا هناك غير مهاجرين الى دار السلام حين كانت الهجرة فريضة وفي خبران
وجوها الاول قالوا فيم كنتم والعائد محذوف اي قالوا لهم فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امر دينكم والمراد
التوبيخ بانكم لم تكونوا من الدين في شيء والثاني فاولئك ويكون قالوا حالا من الملائكة بتقدير قد والثالث
ان الخبر محذوف وهو هلكوا ونحوه فيم كنتم وهم اجابوا اعتذارا بقولهم كنا مستضعفين في الارض غير
قادرين على شعائر الايمان والمهاجرة ثم الملائكة لم يقبلوا منهم هذا العذر فبكتوهم بقولهم الم تكن ارض الله

واسعة واراد وا انكم كنتم قادرين على المهاجرة ثم استثنى على الموصول المستضعفين في نفس الامر والاستثناء منقطع

لعدم دخول المستثنى في المستثنى منه لان المستثنى منه اهل الوعيد دون المستثنى ومن شرط الاتصال ان يدخل

فيه المستثنى لو لم يخرج وفي ذكر العفو وكلمة الاطماع وهي عسى تنبيه على ان امر الهجرة خطير مضيق لا توسع

فيه حتى ان المضطر من حقه ان يترقب العفو ولا يامن وينبغي ان تعلق قلبه بها ولعل المراد بالولدان الاطفال

والصبيان كما في هذه الرواية وغيرها وانما ذكرهم مع انهم لم يبلغوا حد التكليف اصلا لان السبب في سقوط التكليف

هو العجز وانهم حاصل فيهم نحو استثناوهم بهذا الوجه وقيل المراد بهم العبيد وقيل المراد بهم المراهقون

الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء حتى يتوجه التكليف عليهم فيما بينهم وبين الله وقيل استثناوهم للمبالغة

في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا عليها فلا محيص لهم منها وان

قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقال ارباب التاويل الموصول هم الذين رفضوا الحق واتبعوا

الباطل فظلموا انفسهم فيقول الملائكة فيم كنتم اي في اي شيء غفلة كنتم تضيعون اعماركم وتطلقون سنداكم

استعدادكم الفطرى وفي اي واد من اودية الهوى تهيمون فيقولون كنا مستضعفين عاجزين لان

النفس الامارة وغلبة الهوى فيقول الملائكة الم تكن ارض الله اي ارض القلوب واسعة فتخرجوا لضيق

ما كنتم فيه ثم استثنى ضعفاء العقول الذين رفع عنهم قلم التكليف بالمعارف وهم الذين لا يستطيعون

حيلة في الخروج عن الدنيا لضعف الراى ولا يهتدون سبيلا الى صاحب الولاية وقول الباقر عم

في تفسير المستضعف يمكن تطبيقه على تفسير آية الكريمة وعلى تاويلها فليتامل وانما قال عليه السلم لا يستطيعون الكفر

حيلة وفي الايمان سبيلا للتنبيه على انه لا سبيل الى الكفر ولا دليل عليه ولو فرض شيء يفضي اليه فانما

هو حيلة نفسانية وشبهة شيطانية وقال في الخبر الآخر لا يستطيع حيلة الى الايمان للاشعار بان الحيلة

كافية للخروج من الكفر الى الايمان او لارادة السبيل بها مجازا لاشتراكهما في الافضاء والايصال والاطلاق

الصبيان يشمل صبيان الكفار ايضا الا ان الروايات المتكثرة دلت على انهم مع ابائهم في النار وقال بعض

العلماء لكن لا يؤثر فيهم حرها كما يؤثر في ابائهم وقال يحتمل ايضا انهم يدخلون مداخل ابائهم في النار لتذهب

بحنثهم كما يذهب بحث الحديد ثم يخرجون منها ويدخلون الجنة وايدهم بما هو المشهور من انهم خدم

اهل الجنة وحديث الناجي يدخل الجنة وكل من خالف دخل النار والله يعلم قوله عن سفيان السمط

البجلي هو مجهول وبجيلة قبيلة من اليمن والنسبة اليها بجلي مثل حنفي في النسبة الى بني حنيفة و

مثال ثمرة قبيلة ايضا والنسبة اليها على لفظها قال قلت لابي عبد الله عم ما تقول في المستضعفين فقال

لي شبها بالفزع افتركتم احدا يكون مستضعفا اه المستضعف عند اكثر الاصحاب من لا يعرف الامام

ولا

ولا يكره ولا يوالي احدا بعينه وقال ابن ادريس هو من لا يعرف اختلاف الناس في المذاهب ولا يبغض

اهل الحق على اعتقادهم وهذا اوفق باحاديث هذا الباب واظهر لان العالم بالخلاف والدلايل اذا

توقف لا يقال له مستضعف ولعل فزعه عم باعتبار ان سفيان كان من اهل الاذاعة لهذا الامر فلذلك

قال عليه السلام على سبيل الانكار فتركتم احدا يكون مستضعفا يعني ان المستضعف من لا يكون عالما

بالحق والباطل وما تركتم احدا على هذا الوصف لانشائكم امرنا حتى تحدث النساء والجوارى في

خدورهن والسقايات من طريق المدينة وانما خص العوايق بالذكر وهي الجارية اول ما ادركت لانهن

اذا علمن مع كمال استتارهن فعلم غيرهن بها اولى قوله فقال هم اهل الولاية فقلت اي ولاية فقال اما

انها ليست بالولاية في الدين ولكنها الولاية في المناكحة والموارثة والمخالطة لما كان الظاهر من الولاية هو

الولاية في الدين الشاملة لولاية العادل والجاير سال عمر عنها فاجاب عم بانها ليست ولاية في الدين

لظهور ان اهلها اما مومن او كافر وهو على التقديرين ليس بمستضعف بل المراد بها الولاية في المناكحة

والموارثة والمخالطة وجعل هذه الولاية مقابلا للولاية في الدين لا يرد ان تفسير المستضعف بها

تفسير بالاعم لثبوت الولاية في المناكحة وما عطف عليها في الولاية في الدين ايضا وفي قوله ومنهم المرجون

لامر الله عز وجل اشارة الى انهم قسم من المستضعف ولعل المراد بهم من شهد بالتوحيد والرسالة ولم

يستقر الايمان في قلبه بعد وكان له شك في الرسول وما جاء به ومن لم يصدق ولم ينكر ومن ساوت حسناته

وسيئاته ومن زادة سيئاته على حسناته فان كلهم مرجون لامر الله قوله الذين واسح ولكن الخوارج ضيقوا

على انفسهم من جهلهم لعل المراد بسعته هنا سعته باعتبار ان الذنوب كلها غير الكفر يجامع الايمان و

لا يرفعه خلافا للخوارج فانهم قالوا الذنوب كلها كفر قوله من عرف اختلاف الناس فليس بمستضعف

اذ من عرف اختلاف الناس في مذاهبهم مكلف بالايمان وطلب الحق فلا يكون معذورا ولا مستضعفا

لان المستضعف من ليس له عقل يقتضي تكليفه المعرفة قوله فاقول نحن وهم في منازل الجنة كانه اراد به

التساوى في الدرجة فانكره عم ولظهر التفاوت وفي الحديث الثاني ايضا دلالة على ان ارباب الذنوب من

اهل الايمان ليست درجتهم درجة المستضعفين سواء ليس اليوم مستضعف آه المستضعف من لم

يعرف اختلاف الناس ولم يبلغه الحق ولم ترفع اليه الحجة واما من عرف الاختلاف وبلغه ذلك ولم يوالى

فهو كافر ومن هنا ظهر ان اليوم ليس بمستضعف بشيوع الحق وبلوغه الى الناس فمن قبله فهو مومن

ومن لم يقبله فهو كافر قوله قوم كانوا من المشركين قتلوا حمزة وجعفر واشباههما آه دل على اعتبار ٢٢٧

قتل المؤمن حال الكفر والرجوع منه الى الاسلام بعده وعدم استقرار الايمان فى قلوبهم ويمكن التعميم بحيث
يشمل الاقسام المذكورة آنفا ايضا ولعله ذكر هذا القسم على سبيل التمثيل قوله ولم يؤمنوا فيجب لهم الجنة ولم
يكفروا فيجب لهم النار لعل المراد بالايمان الايمان المقتضى لدخول الجنة كما يشعر به التفريع وهو الايمان الكامل
المستقر الموجب للامن وبالكفر الجحود الموجب لدخول النار وعلى هذا يصدق المرجون على جميع الاقسام
المذكورة سابقا قوله ما تقول فى اصحاب الاعراف فقلت ما هم الا مؤمنون او كافرون آه من هذا الحديث
مع شرحه مفصلا فى باب اصناف الناس وباب الضلال فلا نعيد قوله قال ابو جعفر عم الذين خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا آه مر شرحه ايضا وذكر المص هذا الحديث فى هذا الباب مشعر بان هذا الصنف عنده
ايضا من اصحاب الاعراف وعلى هذا لا يبعد ان يكون المرجون لامر الله منهم والله يعلم قوله قال ان هؤلاء
يقولون ان قتلتنا مؤمنون آه هذا القول بناء على اصلهم بزعمهم الفاسد وهو ان لا يضر مع الايمان و
الشهادة بالتوحيد والرسالة معصية وان كانت قتل نفس معصومة مؤمنة كما لا ينفع مع الكفر طاعة
سموا مرجئة لاعتقادهم ان الله تعالى ارجأ تعذيبهم على المعاصى اى اخره عنهم والمرجئة بالهمزة مثل
المرجعة من ارجأته وبدون الهمزة مثل معطية من ارجيته وكلاهما بمعنى اخرته وذكر الابرار استشهادا
بان الراضى بالقتل حكمه حكم القاتل فى العقوبة فان الراضى فى الشئ كالفاعل له فعلى هذا كل من رضى بقتل
احد من الائمة المعصومين وقتل شيعتهم الى يوم الدين فهو بمنزلة قاتلهم ويدخل النار مع الداخلين قوله
فقال لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة التى لا تعبد الله على شئ اى على شئ من الحق والعبادة او على شئ من
الاشياء التى جاء بها النبى صم والملل جمع الملة وهى الدين ووصفها بالكفر والشرك وعدم العبادة لله
وصف مجازى لان هذه الاوصاف لصاحب الملل حقيقة نسبت الى الملل التى هى سبب لاتصاف صاحبها
بها مبالغة فى السببية كما ان فى لعن تلك الملل مبالغة فى لعن صاحبها ايضا والمراد بلعنها طردها عن طريق الحق
وساحة القبول ونيل الرحمة ودخول الجنة قوله قال اهل الشام شر من اهل الروم واهل المدينة شر من اهل
مكة واهل مكة يكفرون بالله جهرة الخيرية والشرية لهذه الامة باعتبار الايمان ومحبة اهل البيت عليهم السلم
وباعتبار الكفر وعداوتهم فكلما كان الايمان والمحبة افخم كان الخير اعظم وكلما كان الكفر والعداوة اعظم
كان الشر اتم واهل الشام البلدان اشتركوا فى الكفر وعداوة اهل الشام لهم لما كانت اكثر من عداوة اهل الروم
كان شرهم اكثر من شرهم وكذا اهل المدينة بالنسبة الى اهل مكة واهل مكة يكفرون بالله جهرة لانهم كانوا
ينكرون الاوصياء وقد مر ان الفعل المتعلق بهم ينسب الى الله تم مبالغة فى شرهم او لان اهل مكة اذا عصوا

اوعبدوا غير الله او تولوا غير اولياء الله فقد الحدوا واشركوا القولهم تعم ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من
عذاب اليم روى فى الصحيح عن ابى عبد الله عم فى تفسير هذه الآية قال من عبد فيه غير الله او تولى فيه غير
اولياء الله فهو ملحد بظلم وعلى الله ان يذيقه من عذاب اليم ويظهر من هذا الخبر ونحوه ان اهلها غالبا
ملاحدة يكفرون بالله جهرة قوله قال المؤلفة قلوبهم قوم وحدوا الله وخلعوا عبادة من دون الله ولم
تدخل المعرفة قلوبهم ان محمدا رسول الله صم وكان رسول الله يتالفهم ويعرفهم لكيما يعرفوا ويعلمهم العلم
ان محمدا ابدل من المعرفة بحذف مضاف اى لم يدخل معرفة ان محمدا رسول الله فى قلوبهم بالشك فى بعض ما
جاء به كما فى الخبر الآتى والمفهوم من هذا الخبر وما بعده ان المؤلفة مسلمون لهم ضعف فى الاسلام لعدم استقراره
فى قلوبهم ويدخل فيهم المنافقون بدليل الشك فى بعض ما جاء به رسول الله ومن طريق العامة انى اعطى رجالا
حديثى عهد بكفر اتالفهم قال ابن الاثير التالف المداراة والايناس ليثبتوا على الاسلام رغبة فيما يصل
اليهم من المال وقال المفيد المؤلفة قسمان مسلمون ومشركون وقال العلامة فى الارشاد المؤلفة هم الكفار
الذين يستمالون للجهاد وهذا هو المشهور بين الاصحاب وقال فى القواعد المؤلفة قسمان كفار يستمالون
الى الجهاد او الى الاسلام ومسلمون اما من سادتهم لهم نظراء من المشركين اذا اعطوا رغب النظراء فى الاسلام
واما سادات مطاعون ترجى بعطائهم قوة ايمانهم ومساعدة قومهم فى الجهاد واما مسلمون فى الاطراف
اذا اعطوا منعوا الكفار من الدخول واما مسلمون اذا اعطوا اخذوا الزكوة من مانعيها وقيل المؤلفة الكفار
خاصة ونقل الشهيد فى الدروس عن على بن الجنيد انه قال المؤلفة هم المنافقون وفى المؤلفة الاسلام
قولان اقربهما انهم ياخذون من سهم سبيل الله وقال بعض الاصحاب للامام ان يتالف هؤلاء ان شاء
من سهم المؤلفة وان شاء من سهم المصالح ثم الظ ان يعلمهم عطف على يعرفهم وان الضمير فيهما راجع الى المؤلفة
وان قوله لكيما يعرفوا على صيغة المجهول علة لهما والمقصود ان اعطاهم لامرين احدهما تاليف قلوبهم بالمال
ليثبت اسلامهم ويستقر فى قلوبهم وثانيهما ان يعرفهم ويعلمهم باعيانهم للاصحاب حتى يعرفوهم بانهم من الذين
لم يثبت ايمانهم فى قلوبهم وانهم مؤلفة والله اعلم قوله وان رسول الله صم يوم حنين تالف رؤسا العرب و
من قريش وساير مضر آه حنين بضم الحاء وفتح النون واد قبل الطائف قريب من مكة كانت بها وقعة معروفة
للنبى صم وقد غلب بعد ما غلب واخذ اسارى وغنايم كثيرة ومضر بضم الميم وفتح الضاد قبيلة من العرب
معروفة فى الكثرة والغلظة والجعرانة بكسر الجيم والعين وفتح الراء المشددة وقد تسكن العين وتخفف الراء
موضع قريب من مكة وسبب غضب الانصار انه صم اعطاهم ذلك اليوم اقل مما اعطى المؤلفة فحركت قومهم

الشهوة الى الطلب الزايد واستعانة بالقوة الغضبيه فتحركت حتى منهم الغضب والقوة الشهوية اذا عجزت عن مقتضاها
يستعين بالقوة الغضبية لرفع الموانع ولغضبهم على النبي صم وعدم رضاهم بما صنع حط الله تعم نور ايمانهم بسبب
ما قالوا جهالة او ضلالا او طمعا للزيادة من زخارف الدنيا فعوض بذلك ايمانهم وفرض الله تعم لهم سهما في الغنيمة الفي
في القران **قوله** قال المولفة قلوبهم لم يكونوا قط اكثر منهم اليوم المولفة لم يكونوا محصورين في عهد النبي صم بل
يكونون بعده اكثر لان اهل النفاق مع المومنين واهل الانكار والشك فيما جاء به النبي صم من حق الايمة المعصومين
اكثر من ان يحصى ولكل امام قايم مقامه بالحق ان يعطيهم ويالفهم واما في زمان الغيبة فيسقط سهمهم لان
ذلك ولاية مختصة بهم عليهم السلم وقال العلامة في النهاية لو فرضنا الحاجة الى المولفة في يومنا بان
ينزل بالمسلمين نازلة واحتاجوا الى الاستعانة بالكفار فالاقوى عندي جواز صرف السهم اليهم وفيه رد
على بعض العامة حيث قال سهم المولفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط ولذلك لم يعط
ابو بكر منع المولفة لكثرة المسلمين وعدم الحاجة اليهم ولم يعلم ان اعطاءهم ليس للجهاد فقط بل قد يكون لتثبيتهم
على الاسلام او لعزة ذلك **قوله** قال قال ابو عبد الله م ما سحق كم ترى اهل هذه الاية ان اعطوا منها رضوا وان لم
يعطوا منها اذا هم يسخطون قال ثم قال هم اكثر من ثلثي الناس لما قسم رسول الله صم غنايم حنين واستعطف قلوب
المولفة بتوفير الاعطاء عليهم قال بعض من لم يومن بالله وبرسوله حقيقة اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان
لم اعدل فمن يعدل فنزلت ومنهم من يلمزك في الصدقات ان اعطوا الاية اى منهم من يعيبك وينسبك
الى الجور في تقسيمها وقد اشار م الى ان المعترضين على الامام لو ملك الارض وقسم الغنايم ثم على ما فرضه الله
اكثر بكثير من المعترضين على النبي صم **قوله** وما الفهم المومنون بعد رسول الله صم لكنهم يعرفون العل المراد بالمو
الايمة عليهم السلم لان ذلك ولاية مختصة بهم وذلك ظاهر في عصر امير المومنين صم وكذلك في عصر القايم م
واما في عصر ساير الايمة فليس بواضح الا ان يق ذلك حقهم وحصول المانع لا يقدح فيه ولا يبعد ان يراد
بالمومنين المعنى الاعم فيكون حجة للعلامة فيما نقلنا عنه آنفا **قوله** وانما امرت الملئكة بالسجود لادم آه الحصر ممنوع
وانما يتم لو قال الله تعم يا ملائكتي اسجدوا وقال اسجدوا يا ملائكتي وذلك غير معلوم لجواز ان يكون الخطاب اسجدوا
بدون ذكر الملائكة نعم في قوله تعم واذ قلنا للملائكة يجوز لما ذكره م او تغليب والمنافقون هم المقرون بالنبي
ظاهرا والمنكرون له باطنا والضلال هم المقرون به ظاهرا وباطنا الا انهم اخطاوا سبيل الحق ولم يعرفوا الحجة
فضلوا او المراد بهم اهل الكباير الذين استوت حسناتهم وسياتهم او زادت سياتهم اذا عرفت هذا فنقول لما
علم الطيلسان المنافقين غير مومنين حقيقة لعدم اتصافهم بالايمان وهو الاقرار باطنا وان شاركهم في الصورة

الظاهرة

الظاهرة والمخالطة والكون معهم ظاهرا احتج في المسئلة واستفهم عن دخولهم في الخطاب للمومنين وعدمهم
ليجعل ذريعة الى ما هو مقصوده من دخول ابليس في خطاب الملئكة بناء على الصورة الظاهرة حيث كان معهم وفي
زمرتهم او عدم دخوله فيه بناء على ان ابليس لم يكن من الملئكه حقيقه ليعلم عدم ورود الشبهة المذكورة او ورودها فاجاب
عليه السلم بانهم داخلون في خطاب المومنين باعتبار ان المراد بالمومنين المومنون بحسب الظاهر الذين اقروا
بالدعوة الظاهرة سواء اقروا بالدعوة الباطنة ام لا ثم انه لما كان عالما بمقصوده من هذا السوال صرح به
وبين ان ابليس كان داخلا في خطاب الملائكة باعتبار ان المراد بالملائكة من هو بصورتهم فيشمل ابليس لانه كان
معهم وفي صورتهم بحسب الظم ويحتمل ان يكون دخوله فيهم من باب التغليب والله اعلم **قوله** اشكوا في محمد صم
وما جاء به فتكلموا بالاسلام وشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقروا بالقران وهم في ذلك شاكون
في محمد وما جاء به اى شهدوا ان محمدا رسول الله واقروا بالقران ظاهرا باللسان لا باطنا بالجنان بقرينة نسبة
الشك اليهم في موضعين وتكلمهم بالاسلام لان الشاك في شئ غير معتقد به وهذا من اوصاف المنافقين
والمستودعين الذين لم تستقر الايمان في قلوبهم وليسوا شكاكا في الله عز وجل شكاك بضم الشين وشد الكاف
جمع شاك مثل كفار جمع كافر قال الله عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف يعني على شك في محمد وما جاء
به الحرف الطرف والشاك في الدين على طرف منه لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر
قر قال المفسرون نزلت في اعاريب قدموا المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت
امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته وقال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان
الامر بخلافه تشام به وقال ما اصبت الا شرا وانقلب **قوله** فانوا رسول الله صم وقالوا نتظر فان كثرت اموالنا
وعوفينا في انفسنا واولادنا علمنا انه صادق وانه رسول الله وان كان غير ذلك نظرنا جعلوا حصول المعافات
وكثرة الاموال والاولاد دليلا على صدق الرسول وحقية دينه لزعمهم ان كل ما يورث ذلك فهو مبارك
وكل ما هو بخلافه فهو مشوم وكذلك كان شان جهال العرب ولم يعلموا ان نزول البلايا والمصايب على
المومنين من لدن آدم م الى آخر الدنيا كان اكثر من نزولها على غيرهم وان مناه كاصل التكليف على الاختبار و
الامتحان وقد اشار اليه عز وجل بقوله ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات
وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
واولئك هم المهتدون انقلب على شكه الى الشرك اى ينتقل من شكه في رسول الله صم بعد نزول البلايا الى
الشرك بالله بسبب انكار الرسول وما جاء به وليس المراد انه اذا جمع الشك فيه مع الشرك بالله فلا ينافى ما

٢٣٩

ما فهم سابقا من خروجهم من الشرك مع الشك فيه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين اما خسر انه في
الدنيا والاخرة فلورده البلايا عليه وذهب عصمته وحبوط عمله بالارتداد واما ان خسرانه هو الخسران المبين
الظاهر في الخسارة فلانه لا خسران اعظم واظهر منه لان الخسران اما بفوات المرغوبات الدنيوية او بفوات المثوبات
الاخروية وبفواتهما جميعا هذا اظهر وابين من الاولين فمنهم من يعرف عيانا قلبه اه قسم من خرج من الشرك
وشك في محمد صلى الله عليه وآله وما جاء به على ثلثة اقسام فمنهم من يعرف رسول الله صلى الله عليه وآله ويقر به ظاهرا وباطنا ويزول عنه الشك
بمشاهدة الايات والمعجزات والهدايات الخاصة ومنهم من ثبت على شكه فيه ويقيم عليه لعدم انتقاله من الشك
الى الايمان ولا منه الى الشرك ومنهم من ينتقل من الشك الى الشرك بانكار الرسول وتشاؤمه به كما ذكر وهذا السوء
حال الامر الثاني قوله اما ادنى ما يكون العبد مؤمنا ان يعرفه الله تعالى نفسه فيقر له بالطاعة اه تعريف الرب
يتحقق بما اظهر من ايات وجوده وقدرته وعلمه وحكمته وساير صفاته الكمالية والفعلية في الافاق والانفس
وتعريف النبي يتحقق بما خصه من المعجزات البينات والافعال الخارقة للعادة وتعريف الحجة يتحقق بالكرامات
الجلية والنصوص النبوية والعلوم اللدنية والظاهر من الاقرار الاقرار بالجنان او الاعم منه ومن الاقرار باللسان
مع الامكان وفيه دلالة على ان اصل الايمان هو التصديق والاذعان وان لم يكن معه شيء من الاعمال وان
الاعمال مترتبة على الايمان ولا ينافيه ما روى عنه وعن الرضا عليهما السلام ان الايمان المعرفة بالقلب والاقرار
باللسان وعمل بالاركان لجواز ان يكون المراد به الايمان الكامل او التقدير ان الايمان ذلك على حذف المضاف
وقد مرت الاخبار الدالة على ان الايمان هو التصديق وعلى انه بالعمل يكمل ويتم ويرتقى الى الدرجة العليا والكمال
وادنى ما يكون به العبد كافرا من زعم ان شيئا نهى الله عنه ان الله امر به ونصبه دينا يتولى عليه يشمل
الاصول والفروع ومن ذلك ان يتخذ الطاغوت اماما ووليا والله تعالى امره ان يكفر بالطاغوت ويزعم انه يعبد
الذي امره وهو صادق في هذا الزعم لكن اخطأ في ان الذي امره هو الله تعالى وانما امره الشيطان فهو انما
يعبد الشيطان من حيث لا يعلم وادنى ما يكون به العبد ضالا ان لا يعرف حجة الله تبارك وتعالى اه عدم
معرفة الحجة وان كان اعم من الاعتقاد بعدم كونه حجة ومن عدم الاعتقاد مطلقا لكن المراد هنا هو الثاني لان
الاول كفر ومن قدم الطاغوت على الحجة فهو داخل في الاول اذ يصدق عليه انه انكر الحجة في الجملة وفي الكلام
السابق اشعار به فليتأمل فقال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم حذف مفعول
الاطاعة للدلالة على التعميم فوجب اطاعة اولي الامر في جميع الامور كما وجب اطاعة الله واطاعة الرسول
فيها فلا يجوز ان يراد باولي الامر السلطان الجائر اذ لا يجوز اطاعته في اكثر الامور وقد ذكرنا شرحه مفصلا فلا

نعيه

[illegible]

نعيه انى قد تركت فيكم امرين لو كان لهذه الامة متمسك فيهما الذكره والحديث متفق عليه بين الخاصة و
العامة وقد مر شرحه مفصلا فان اللطيف الخبير قد عهد الى انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض اى ان
يفترقا في وجوب التمسك والحجية فلو كان على حجة بعد الثلثة وقد كان القرآن حجة بعد النبي بلا فصل
لزم الافتراق وانه باطل ولا تقدموهم فتضلوا نهى عن التقدم عليهم لعلمه بوقوع ذلك فضلوا واضلوا
قوله قال ان بني امية اطلقوا الناس تعليم الايمان ولم يطلقوا تعليم الشرك لكي اذا حملوهم عليه لم يعرفوه
اطلقوا اي جوزوا ورخصوا والضمير في لم يعرفوه راجع الى الشرك او الى تعليمه والمراد بعدم معرفته انكاره
مجازا او كناية وفيه دلالة على ان سلاطين بني امية لم يؤمنوا وانما تمسكوا بظاهر الايمان لتمشية امور سلطنتهم
والتحرز عن مخالفة رعيتهم قوله قال قلت لابي عبد الله عليه السلام لم يكون الرجل عند الله مؤمنا قد ثبت له الايمان عنده
ثم ينقله الله عز وجل بعد ذلك من الايمان الى الكفر سال عن سبب نقل ثابت الايمان منه الى الكفر الا انه نسب النقل
الى الله عز وجل مجازا باعتبار خذلانه له وسلب لطفه وتوفيقه عنه او عن سبب نقله عز وجل اياه حقيقة
لزعمه ان الكفر والايمان من فعله عز وجل والجواب عن الاول ان الله تعالى عادل ومن عدله انه دعا الناس
الى الايمان لا الى الكفر ولا يدعو احدا الى الكفر به فمن امن بالله ثم ثبت له الايمان عند الله لم ينقله الله
فمن آمن به وثبت ايمانه في علمه لم ينقله من الايمان الى الكفر ولم يسلب عنه لطفه وتوفيقه عند او هو يخرج
من الدنيا مؤمنا وما قد يتفق من نقل المؤمن الى الكفر فانما هو اذا كان الايمان مستودعا غير ثابت وعن
الثاني انه تعالى عادل لا يجوز ولو كان الايمان والكفر والنقل من الاول الى الثاني من فعله تعالى لزم الجور و
الظلم وانما فعله دعاء الناس الى الايمان لا الى الكفر وهدايتهم الى منافع الاول ومضار الثاني فمن امن
وثبت له الايمان واستقر في قلبه لم ينقله الى الكفر ولم يسلب عنه توفيقه قلت له فيكون الرجل كافرا قد
ثبت له الكفر عند الله ثم ينقله الله تعالى بعد ذلك من الكفر الى الايمان قال فقال ان الله عز وجل خلق الناس كلهم
على الفطرة التي فطرهم عليها لا يعرفون ايمانا بشريعة ولا كفرا بجحود ثم بعث الله الرسل يدعو العباد الى الايمان
فمنهم من هدى الله ومنهم من لم يهده الله يحتمل الخبر والاستفهام اما الاول فظاهر واما الثاني فلان السائل
لما علم بالجواب المذكور ان من ثبت ايمانه لم ينقله الله الى الكفر بسلب التوفيق عنه سال عن حال من ثبت كفره
هل ينقله من الكفر الى الايمان بإهداء التوفيق واللطف ام لا وانطباق الجواب على الاول ظاهر لاشعاره
بانه من هداه لعدم ابطاله الفطرة الاصلية بالكلية فلذلك تداركته العناية الالهية واما انطباقه على الثاني
ففيه خفاء اذ لم يصرح عليه السلام بما سأل عنه الا انه اشار الى تقريره قاعدة كلية للتنبيه على ان المقصر الاهم

٢٤٠

هو معرفتها والتصديق بها وهي ان الله تعالى خلق الناس على نحو من الفطرة وهي كونهم قابلين للخير والشر وهداهم اليهما
ببعث الرسل وهم يدعونهم الى الايمان والى سبيل الخير وينهونهم عن سبيل الكفر والشر فمنهم من هداه الله
عز وجل بالهدايات الخاصة لعدم ابطاله الفطرة الاصلية وتفكره في انه من اين جاء ولاي شي جاء والى
اين نزل واي شي يطلب منه واستماعه الى نداء الحق فانه عند ذلك يتلقاه اللطف والتوفيق والرحمة كما قال
عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومنهم من لم يهده الله عز وجل لابطاله فطرته وعدم تفكره
فيما ذكر واعراضه عن سماع نداء الحق فيسلب عنه الرحمة واللطف والتوفيق وهو المراد من عدم هدايته له فقد
اشار ع بتقرير هذه المقدمة الى ان الواجب عليكم ان تعلموا وتصدقوا بان كل من امن به فانما امن
لاجل هدايته الخاصة وكل من لم يؤمن به لم يؤمن به لفقده تلك الهداية والله اعلم قوله قال جعلت فداك يقول
ان الله عز وجل خلق خلقا للايمان لا زوال له وخلق خلقا عاقبتهم الكفر في علمه عز وجل للكفر لا زوال
له وخلق خلقا بين ذلك اه كان اللام للعاقبة اي خلق خلقا عاقبتهم الايمان في العلم الازلي لا زوال
لهم عنه وهم الانبياء والاوصياء والتابعون لهم من المؤمنين الثابتين في الايمان وخلق خلقا عاقبتهم
الكفر في علمه عز وجل اذ لا زوال لهم عنه لاستحالة تخلف علمه عن المعلوم وهم المنكرون لهؤلاء الكرام
وخلق مترددين بين الايمان والكفر مستضعفين في علمه فمن امن منهم كان ايمانهم مستودعا فان شاء
الله ان يتمه لحسن استعدادهم واقبالهم الى الله وتعرضهم لاوامره ونواهيه اتمه بفضله وتوفيقه وجعله
ثابتا مستقرا فيهم وان شاء ان يسلبهم اياه لزوال استعدادهم الفطري وفساد استعدادهم الكسبي وكون
قلوبهم لاهية ونفوسهم ساهية سلبهم وسلط عليهم عدوهم ورفع عنهم توفيقهم ويمهم بالمعاقبة حال
من كفر منهم ويحتمل ان يكون اللام للتعليل والغرض لا انه اذا كانت عاقبتهم في علمه ذلك صح انه خلقهم لذلك
وانه لا زوال لهم لوجوب المطابقة بين العلم والمعلوم ولعل المراد بفلان ابو الخطاب لوقوع التصريح
به في الخبر الاتي قوله قال ان العبد يصبح مؤمنا ويمسي كافرا ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا وقوم يعارون الايمان
ثم يسلبونه ويسمون المعارين ثم قال فلان منهم يريد ان كل واحد من الايمان والكفر قد يكون مستودعا
غير مستقر فيه ولسرعة تجدده وثبات ضده وسر ذلك ان القلب اذا اشتد ضياؤه وكمل صفاؤه استقر الايمان
وكل ما هو حق فيه واذا اشتدت ظلمته وكملت كدورته استقر الكفر وكل ما هو باطل فيه واذا كان بين ذلك
باختلاط الضياء والظلمة فيه كان مترددا بين الاقبال والادبار ومتحيرا بين الايمان والكفر فان غلب الاول
دخل الايمان فيه من غير استقرار وان غلب الثاني دخل الكفر فيه كذلك وربما يصير الغالب مغلوبا فيعود

من الايمان الى الكفر ومن الكفر الى الايمان فلا بد للعبد مراعاة قلبه فان راه مقبلا اليه عز وجل شكر وبذل
جهده وطلب منه الزيادة لئلا يستدبر ولذلك قال العلماء ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة انك انت الوهاب وان راه مدبرا زايغا عن الحق تاب واستدرك ما فرط فان لم يفعل تمام سلط
عليه العدو ورفع عنه التوفيق وهو يموت مدبرا مسلوب الايمان كما قال الله عز وجل فلما زاغوا ازاغ الله
قلوبهم نعوذ بالله من الازاغة قوله قال كنت قاعدا قرابو الحسن موسى ع ومعه بهمة اه البهم بفتح الباء وسكون
الهاء ولد الشاة وهي بعد السخلة وابو الخطاب كوفي غال ملعون قد اعير الايمان فرجع منه الى الكفر فالمراد التولي
وقت الايمان ومنه البري وقت الكفر والنبعة الشجرة التي تتخذ منها القوس ويتخذ من اغصانها السهام
وقد تطلق على اغصانها ايضا قوله قال ان فلانا كان مستودعا ايمانه فلما كذب علينا سلب ايمانه دل على ان
سلب الايمان عن المستودع ليس بظلم لانه مستند الى فعله واتمامه ايضا مستند الى فعله بقرينة المقابلة
وهذا مؤيد لما ذكرناه انفا قوله ومنهم من اعير الايمان عارية فاذا هو دعا والح في الدعاء مات على الايمان هذا تنبيه
للعاملين على دوام الذكر وحسن الخاتمة ومنه خوف اكثر الخائفين حيث علموا صفاء القلب وغفلته وتقلبه
ولم يعلموا ان عاقبة امرهم هي الاستقرار على الايمان او الكفر مع امكان الموت في ساعة الغفلة واغواء الشيطان
وغاية جهده في ازالة الايمان ح وفيه ايضا دلالة على ان الاتمام والسلب مسببان عن فعل الانسان لا انه يصير
بذلك محلا للتوفيق والخذلان كما ذكرنا سابقا قوله ان الحسرة والندامة والويل كله لمن لا ينتفع بما ابصره الحسرة
اسم من حسرت على الشي حسرا من باب تعب وهي التالف والتاسف على فوت امر مرغوب والندامة الحزن
على فعل شي مكروه والويل العذاب وواد في جهنم يعني هذا كله لمن لم ينتفع بما ابصره من العقايد والاحكام والاعمال
والاخلاق والاداب وعدم الانتفاع كناية عن الاعراض وعدم الاعتناء ولم يدر ما الامر الذي هو مقيم
عليه فيه حث على مراقبة النفس في جميع الحالات ومحاسبتها في جميع الحركات والسكنات ليعلم ما ينفعها وما يضرها
فان ذلك يوجب طلب النافع وترك الضار وسلوك الطريق الخير ورفض طريق الشر قلت فبما يعرف الناجي
من هؤلاء جعلت فداك اه سال عن سبب النجاة من العذاب او من لم الفراق او من الكفر ليعرف ويتمسك به متبعه
فاجاب ع بانه الموافقة بين القول والفعل والمراد بالقول القول الحق فمن كان فعله موافقا القول الحق
فانت اي خاتمت له الشهادة بالنجاة لانه حكيم كامل قلبه مستور بنور المعارف والايمان وظاهره مستقيم
بعمل الخير والاحسان لان الاول هو القول الحق دليل على اتصافه بالحكمة العلمية وغلبته على القوة
الشهوية النظرية لان الاستقامة اللسان دليل على استقامة القلب والجنان والثاني وهو موافقة الفعل القول

دالٌ على اتصافه بالحكمة العلمية وغلبته على القوة الشهوية والغضبية وفي بعض النسخ فاثبت على صيغة المونث
المجهول من الاثبات ومن لم يكن فعله موافقا لقوله بان يكون قوله حقا وفعله باطلا كما هو شان اكثر الخلق
فانما ذلك مستودع ايمانه غير ثابت فيه فيحتمل ان يبقى على الحق ويثبت له الايمان ويحصل له النجاة ويحتمل ان
يزول عن الحق ويسلب عنه الايمان ويعود الى الشقاوة ويحق الويل والحسرة والندامة قوله ان القلب ليكون
الساعة من الليل والنهار ما فيه كفر ولا ايمان كالثوب الخلق قال ثم قال لي اما تجد ذلك من نفسك المراد
بالقلب النفس الناطقة التي هي محل للايمان والكفر وحمله على الجسم المعروف كما يشعر به ظاهر هذا التشبيه و
ظاهر التشبيه بالمضغة في الخبر الاتي وهو الجسم الصنوبري المودع في الجانب الايسر من الصدر الذي هو محل
للروح بعيد والمراد بالساعة ساعة الغفلة عن الحق والاشتغال بما سواه اذ ليس في القلب ح بالفعل التصديق
بالحق والانكار له وفيه اشعار بان الكفر وجودي اذ لو كان عبارة عن عدم الايمان كما زعم لما انتفيا معا
وتشبيه القلب بالثوب الخلق في الكثافة والرثاثة او في انه ليس بالملاء بالمرة ولا كاملا في الجلاء تشبيه معقول
بمحسوس لقصد التقبيح والتنفير والاستفهام في اما تجد للتقرير قال ثم يكون النكتة من الله في القلب بما
شاء من ايمان وكفر النكته النقطه وكل نقطه في شي بخلاف لونه فهي نكته والحالة المذكورة مرض القلب
ونكتة الكفر فيه بمنزلة اماتته ونكتة الايمان بمنزلة شفائه كما ان مرض البدن اما ان يزول بالشفاء او
يجر الى الموت ولكن مرض القلب اشد من مرض لتفاوة الاثرين فان المرض البدني سبب للالم الدنيوي
والمرض القلبي سبب للعذاب الاخروي ولا نسبة بينهما ثم ان كون نكته الايمان والكفر من الله سبحانه يحتمل
ان يكون باعتبار انه وكل على القلب ملكا يهديه الى الخير وشيطانا يرشده الى الشر كما مر وبهذا الاعتبار
كانت النكتتان منه تعالى ومشيه للايمان والكفر المشية باعتبار الاقدار عليهما دون المشية على
سبيل الايجاد فانه عز وجل لما جعل فيه آلة الكفر وآلة الايمان فقد شاء منه الكفر والايمان لكن لا
يكون مجبورا وتكون المشية مشية حتم والله اعلم قوله قال ان الله خلق قلوب المومنين مطوية مبهمة
على الايمان خلق قلوبهم مطوية على سبيل التشبيه بما تقبل الطي كالثياب والكتاب والمراد بالمبهمة المغلقة
والمقفلة على سبيل التشبيه بالبيت فلا يعلم ما فيها الا هو من ابهم الباب فهو مبهم اذا اغلقه واقفله
او المعضلة التي لا يعلم خالها ووصفها الا هو من ابهم الامر فهو مبهم اذا لم يجعل عليه دليلا والخالصة
الصحيحة التي ليس فيها شي من العاهات والامراض ومنه فرس بهيم وهو الذي ليس لون واحد لا يخالطه
لون سواه وقوله على الايمان متعلق بمطوية او مبهمة او بهما على سبيل التنازع او حال عن القلوب اي خلقها

كاينة

٢٤٢ كاينة على الايمان وفي ذكر المطوية والمبهمة اشعار بان ايمانها مغفول عنه وهو عبارة عن سهو القلب ولما
كان الخلق تابعا للعلم وكان علم الله عز وجل بالشي قبل خلقه كعلمه به بعده وكان قلب المومن متصفا
بالايمان باختياره اياه صدق انه تعالى خلقه على هذا الوصف فلا يلزم الجبر فاذا اراد استثارة ما فيها بعضها
بالحكمة وزرعها بالعلم الاستثارة ما شين المجمر استخراج العسل من موضعه يق شار العسل شورا من باب
قال واستثاره اذا استخرجه من الوقبة وهي نقرة في صخرة يجتمع فيها الماء والعسل وفيه نوع تخييل وتشبيه
لما في قلوب المومنين بالعسل في الترغيب وميل الطبع اليه والنضح الرش نضحه كمنعه اذا رشه ولما شبه الحكمة
وهي دين الحق المانع للقلب عن الصلابة والغلظة الباعث للرخوة واللينة بالماء لانها تلين القلب وتطهرها
كالماء للارض وشبه العلم بالبذر لانه ينمو ويحصل منه المنافع الكثيرة كالبذر ولا يخفى ما فيه من المكنية
والتخييلية وزارعها والقيم عليها رب العالمين الزرع في الاصل الانبات يق زرع الله الحرث اي انبته وانماه
وهو فعله تعالى دون البشر ولذلك قال افرايتم ما تحرثون انتم تزرعونه ام نحن الزارعون فنسب الحرث اليهم
لكونه فعلا لهم ونسبا الزرع ونسب الزرع الى ذاته المقدسة لكونه فعلا له ثم قيل زرع الله العلم على سبيل
الاستعارة بتشبيه القاء العلوم والاسرار الى القلوب بالزرع في التزيين والحيوة والثمرة فكما ان الزرع
يزين الارض ويوجب حيوتها ويثمر ثمرة توجب حيوة الابدان ونموها وقيامها بافعالها كذلك
الالقاء المذكور يزين القلب ويوجب حيوتها الابدية وثمرته اقوى واتم من ثمرة الزرع لان ثمرة الزرع
هي الحيوة الدنيوية وثمرة الالقاء المذكور هي الحيوة الاخروية الابدية التي لا انقطاع لها والفضل بينهما
كفضل الاخرة على الدنيا والحاصل ان الذي نبت في القلوب النبات الحسن من العقايد الصحيحة والحقايق
الربوبية والاسرار الحكمية لحسن استعدادها وكمال حفظها للقوة الفطرية والذي يقوم بامرها ويدبر
فيها ويراقب جميع احوالها وهو رب العالمين الذي بيده ايجاد العالم على الانواع المختلفة وترتيبه واخراج كل
شي من حد النقص الى حد الكمال وفيه تنبيه على ان القلوب التي بها قوام الحقيقة الانسانية في تصرفها وحركتها
وسكونها بعد ميلها الى جناب الحق وتشوقها الى لقائه في اسر اقدار الله تعالى وقهر قدرته وبيد تقليبه في
المراقبات المتوالية عليها بحيث لا يمهلها طرفة عين ولا تصرف فيها الا هو ومن ثم جا في الادعية يا مقلب
القلوب ثبت قلبي على دينك فلا بد للعبد كما ذكرنا آنفا من مراعاة قلبه فان راه مقبلا على ربه ومعتقدا
لامره ونهيه ومتوجها اليهما استبشر وشكر لعظيم منته وبذل طاقته في طاعته وان رآه مقبلا على غيره
من الهوى النفسانية والوساوس الشيطانية تاب واعتذر واستدرك واستغفر فان لم يفعل فربما سلط

عليه الشيطان ومات من غير ايمان **قوله** ان القلب لترجج فيما بين الصدر والحنجرة حتى يعقد على الايمان فاذا
عقد على الايمان قر وذلك قول الله عز وجل ومن يؤمن بالله يهد قلبه الرج التحريك والتحرك والاهتزاز
والرجرجة الاضطراب والحنجرة موضع الناى من خارج الحلق يعنى ان القلب من علم الله ايمانه يتحرك ويضطرب
فيما بين الصدر والحنجرة طلبا للحق حتى يعقد عليه فاذا انعقد عليه ووجد مطلوبه قر وسقط عنه الاضطراب
كما هو شان كل من وجد مطلوبه واما قلب غيره فهو دائما مضطرب لانه على الباطل وللباطل طرق متكثرة
وشعب متعددة فهو دائما يطير من باطل الى باطل ولعل وجه الاستشهاد بالاية ان من شانه ان يؤمن بالله يهدى الله
قلبه للايمان ويرشده اليه ويوفقه له فيستقر عليه **قوله** ان القلب ليتجلجل فى الجوف يطلب الحق فاذا اصابه
اطمان التجلجل التحرك والتضعضع وهذا مثل السابق ولعل المراد من الاية ان من يرد الله ان يهديه الى الاسلام
لعلمه انه لا يابى اسلامه وحسن رعايته للفطرة الاصلية يشرح صدره للاسلام وقبول احكامه ويصرف زمام قلبه
اليه باللطف والتوفيق فاذا اصابه قر واطمان به ومن يرد ان يضله يسلب اللطف والتوفيق لعلمه بانه لا يؤمن يجعل
صدره ضيقا فى قبول الايمان حرجا فى الاتصاف به كانما يصعد الى السماء وهو كناية عن شدة قلبه وصعوبته
ونهاية بعده وتالمه فى قبول الايمان ولوازمه **قوله** قال قال لنا ذات يوم الذات بمعنى النفس اى قال لنا نفس يوم
يعنى قال لنا يوما من الايام تجد الرجل لا يخطى بلام ولا واو هذا مثل لمن يقدر على الكلام قدرة كاملة
بحيث لا يفوته شئ من الوجوه المحسنة اللفظية خطيبا مسقعا المسقع بكسر الميم وفتح القاف البليغ او العالى
الصوت او من لا ينضطرب فى كلامه ولا يلتبس عليه وجوهه المعتبرة فى تحسينه لفظا ومعنى واسمع
ولقلبه اشد ظلمة من الليل المظلم المراد بالقلب الروح الانسانى وهو من عالم الامر نزل فى هذا العالم بامر ربه
للتجارة والحراثة كما قيل الدنيا مزرعة الاخرة وبذره الايمان وماؤه الحكمة والعلم وثمرته الاعمال والاخلاق
والمقصم من جميع ذلك النعيم الابدى وقرب الحق والمنافق لما كان فاقدا لجميع هذه الامور التى هى اضواء عقلية
وانوار الهية لفقده البصيرة القلبية التى هى مبدا المشاهدات والمكاشفات ومنشا صفاء مرآة القلب و
استضائته بنور تلك الانوار كان قلبه لا محالة مظلما لا يمكنه رؤية جمال المعارف وهذا بخلاف المؤمن العارف
المطيع كما اشار اليه بقوله وتجد الرجل لا يستطيع يعبر عما فى قلبه بلسانه لقصور فى لسانه وتقصير فى بيانه و
قلبه يزهر كما يزهر المصباح باعتبار نور الايمان واركانه وعقايده الحقة واخلاقه الحسنة واعماله الصالحة
وتنزهه عما يوجب ظلمة القلب وغلبته على القوة الشهوية والغضبية المذكورة لصفاء مرآته وهذه الامور توجب
صفاء القلب ونورانيته ومشاهدته ما فى عالم الغيب والشهادة وفيه دلالة واضحة على ان حسن الظاهر

وطلاقة

وطلاقة اللسان وفصاحة البيان بدون تنور القلب وصفائه واستقامته لا عبرة بها والعبرة بصفاء الباطن
ونورانيته وان لم يكن معه صفاء الظاهر وانما الناظر الرقيب لا ينظر الى صوركم وظاهركم وانما ينظر الى سرائركم
اللهم نور قلوبنا بنور الايمان **قوله** عن المفضل عن سعد عن ابى جعفر عم لعل المراد بالمفضل المفضل بن صالح
ابو جميله وبسعد سعد بن طريف بقرينه ان المفضل بن صالح ابى جميله يروى عنه كما صرح به النجاشى قال
ان القلوب اربعة قلب فيه نفاق وايمان وقلب منكوس وقلب مطبوع وقلب ازهر اجرد وجه الحصر ان القلب اما
متصف بالايمان اولا الاول اما متصف بالايمان بجميع ما جاء به النبى صم او ببعضه دون بعض الاول قلب المؤمن
والثانى قلب فيه ايمان ونفاق والثانى اما ان يصرح بالايمان ظاهرا اولا الاول قلب المنافق والثانى قلب المشرك
فقلت ما الازهر قال فيه كهيئة السراج الهيئة الصورة شبه ما فى القلب من نور الايمان والمعارف بنور
السراج لقصد الايضاح والظهور وان كان الوجه فى المشبه اكمل لان بنور القلب يرى ما فى عالم الملك و
الملكوت وبنور السراج يرى بعض ما حوله من المبصرات فاما المطبوع فقلب المنافق الطبع الختم وختم القلب
كناية عن منع الله عز وجل الطافه وتوفيقه المانع من دخول الايمان وغيره من المعارف فيه وانما نسب الطبع
الى قلب المنافق لان عدم دخول الايمان فيه مع تعرضه له بالجهاد به باللسان انما هو لمانع عظيم وهو الطبع
المسبب عن ابطاله لاستعداده الفطرى واما الازهر فقلب المؤمن ان اعطاه شكر وان ابتلاه صبر ذكر
من اوصاف المؤمن وعلاماته امرين الشكر والصبر لانهما يدلان على كمال ايمانه ومعرفته وصفاء باطنه
وظاهره اذ هما تابعان للعلم بالله وبما وعد للشاكرين الصابرين واما المنكوس فقلب المشرك ثم قرا هذه الاية
افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى امن يمشى سويا على صراط مستقيم القلب المنكوس كالكوز المقلوب وانما
نسب النكس الى قلب المشرك مع المشاركة بينه وبين المنافق فى عدم الايمان لان قلب المنافق يمر فيه شئ
من الحق والايمان ولا يعتقد به بخلاف قلب المشرك فانه لا يمر فيه شئ من الحق كالكوز المنكوس ولا يلزم
من ذلك ان يكون عقوبة المنافق اخف من عقوبة المشرك لان انكار الحق مع الشعور به اقبح واشد وقيل
القلب المنكوس القلب الناظر الى الدنيا والمتوجه اليها لان الدنيا تحت الاخرة والاخرة فوقها فالناظر اليها
منكوس براسه والاية من باب التمثيل بالاشياء المحسوسة تقريبا للفهم والاستشهاد باعتبار ان المشرك يمشى
مكبا على وجهه لكون قلبه مكبوبا مقلوبا والمؤمن يمشى سويا لكون قلبه على وجه الفطرة مستقيما عارفا
بالحق كما يرشد اليه قوله تم على صراط مستقيم فاما القلب الذى فيه ايمان ونفاق فهم قوم كانوا بالطائف
فان ادرك احدهم اجله فى نفاقه هلك وان ادركه على ايمانه نجا القلب فيه نفاق وايمان هو قلب من آمن

٢٤٢

ببعض ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجحد بعضه او شك وهذا في الحقيقة انوع من النفاق كما يرشد اليه قوله فان ادرك احدهم
اجله على نفاقه بان لا يرجع عنه ولا يتوب وقوله فهم قوم كانوا بالطائف على سبيل التمثيل والانكار من نصف
مصفاتهم فحكمه حكمهم **قوله** قال القلوب ثلثه هذا الاينافي ما مر ان القلوب اربعة لان قولهم وقلب فيه نكتة سوداء
يشمل القسمين منها وهما قلب فيه نفاق وايمان وقلب المنافق الذي لمن يومن بجنب الباطل لصم والاعتقاد ج
بالكلية بكرد دار كو بختن دركشتي كرفتن وجنك كردن وامثال آن وقلب مفتوح الفتح مقابل القبض والطبع وهو قلب
يقبل الايمان والمعارف والاسرار وكلها انور يستنير القلب في عالم الابدان والارواح كما ان الشمس تنور الارض
في عالم الاجسام والاشباح وقوله لا يطفأ نوره الى يوم القيمة اشارة الى ان القلب المنور بانوار الايمان
والمعارف منور بعد الفراق من البدن في عالم البرزخ وبعده فان هذه الانوار باقيه لا تزول منه ابدا او
رضاؤه دائما وهو مبتهج مسرور بها وكذلك ظلمة القلب بحكم المقابلة معه ابدا وهو مغموم ومحزون بها
دائما **قوله** فلما هم حمران بالقيام قال لابي جعفر عليه السلام اخبرك اطال الله بقاءك لنا وامتعنا بك انا ناتيك مما
نخرج من عندك حتى ترق قلوبنا آه هذا انكار منه على نفسه لما وجد منها في خلوتها خلاف ما نظر منه
بحضرته عليه السلام خوف ان يكون ذلك من انواع النفاق واراد من نفسه ان يكون دائما على تلك الحالة التي يجدها
عند موعظته عليه السلام ولا شغل عنها بشئ فاخبره بحصرا وتصغا بانه يفوه عنه تلك الحالة الشريفة عند المعاشرة
مع اهل الدنيا فاجابه عليه السلام بان القلوب مرة تصعب ومرة تسهل وليست دائما على حالة فواحدة فاذا صعبت اوبرت
واتفكت الى حالة دنيه واذا سهلت اقبلت وانتقلت منها الى حالة شريفة ووجه ذلك ان سنة الله في عالم الانسان
ان يكون فعله متوسطا بين عالم الملئكة وعالم الشياطين فكمل الملئكة في الخير بحيث يفعلون ما يومرون
ويجون الليل والنهار ولا يفترون ومكن الشياطين في الشر بحيث لا يغفلون فجعل عالم الانسان متوسطا
واليه يرشد ما نقل عن ابي ذر قال وعلى العاقل ان يكون له ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه
وساعة يفكر فيها صنع الله وساعة يخلو فيها بحاجته من المطعم والمشرب وفيه رد على من زعم لنفسه دوام
تلك الحال وانه لا يميل معها الى الاهل والمال اللهم الا ان يدعى انه خرج من جبلة البشر وتعالى عن دوام الذكر
وعدم الفترة التي هي من خواص الملئكة والحق ان دوام الاحوال محال عادة وانما الذي يمكن دوامه هو المقام
وهو يحصل للانسان بسعيه وكسبه والحال يحصل بهيئة ربه ولهذا قالوا المقامات مكاسب والاحوال
مواهب وفيه دلالة واضحة على ان مجالسة الصالحين ومصاحبتهم تنسي الدنيا وتذكر الاخرة وتدفع
خطرات النفس ووساوس الشيطان ولذلك كثرة الروايات في الحث عليها سيما ارباب العصمة عليهم السلم

فانهم

فانهم انوار الله في عباده وخزان علمه في بلاده والناصرون لامره والقائمون به والذابون عن دينه قلوب
من توسل بهم ويقومون ظهره ويويدون امره ويجذبون شواغل الدنيا وحب زهراتها عن قلبه ويقلعون
شبهات الباطل عن صدره بالكلمات البالغة الى اعلى مدارج ذهنه والخطابات الواصلة الى اقصى معارج
فهمه فيشرق الانوار الغيبية على ظاهره وباطنه هدانا الله بفيض جودهم الى اعلى معارج اليقين ويوردهم
الى ارفع منازل الامنين ثم قال ابو جعفر عليه السلام ان اصحاب محمد صلى الله عليه وآله قالوا يا رسول الله نخاف علينا النفاق
الى قولهم انما نخاف علينا ان يكون ذلك نفاقا لما كان باطنهم متصفة بصفة شريفة عند حضرته صلى الله عليه وآله وبصفة
دنية عند غيبته توهموا ان يكون ذلك نفاقا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله كلا ان هذه خطوات الشيطان
فيرغبكم في الدنيا ردعا لهم عن ذلك التوهم لان باطنهم موقن متذكر في وقت وغافل في وقت آخر لخطوات
الشيطان وترغيبه في الدنيا كما هو شان الخبيث اللعين حيث انه اذا لم يكن له تصرف في ايمان المومن توسل
بما يوجب نقص ايمانه وينزله عن كماله والمنافق باطنه غير مومن وقلبه غير موقن بل يتصف بصفة الغفلة
دائما وبينهما بون بعيد وينبغي ان يعلم ان قلب المومن في الحقيقة عرش الرحمن يطوف به قوافل واردات الحق والهامات
ويشرق فيه لوامع انواره وطوالع اسراره ولذلك يجب تطهيره عن ادناس التعلقات وارجاس الشهوات و
قد قيل له بابان باب شرقي ايمن مفتوح الى مشرق نور الحق وحظيرة القدس يطلع من ذلك الباب شوارق
الالطاف الربوبية والمواعظ اللاهوتيه وباب غربي ايسر الى مغرب الجسد والاعضاء ومنه يظهر
آثار تلك الشوارق والمواعظ الى الاعضاء فتخضع بالاعمال الصالحة تواضعا ويميل القلب عند ذلك
ويتم النعمة ظاهرة وباطنة وكثيرا ما يتصرف فيه الشيطان ويلقي اليه من اهل الغرب كذبا وزورا ويوحي اليه
زخرف القول غرورا فيميله الى الدنيا ويحدث فيه صدأ او رينا فان استيقظ من نداء المغيب ودعوة
اهل الحق ونصحهم واستغفر ذاك عنه وان استمر يبرئ من ذلك الباب الشرقي الى عالم القدس ويمنع الواردات
اللاهوتيه والانوار الربوبية فيسود لوح القلب ويصدر من الجوارح اعمال قبيحة مظلمة وينعكس ظلمتها
اليه فتطمس نوره بريح الشهوات وتراكم الظلمات ظلمات بعضها فوق بعض فلا يقبل الحق ابدا ثم اشار
الى ان الحالة الاولى حالة حسنة شريفة والدوام عليها يوجب التشبيه بالملئكة والوصول الى مقاما
عالية والى ان الحالة الثانية والتعرض للذنب والاستغفار بعده ايضا لا يخلو من حكمة الهيه ومصلحة
ربانية بقوله والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم انفسكم لصافحتكم الملئكة ومشيتم على الماء هذا
الخطاب حق وصدق لان المانع من ذلك انما هو الكدورات الجسمية والتعلقات البشرية والاوزار

الفانيه والوساوس الشيطانية والميل الى الزهرات الدنيوية واللذات الفانيه فاذا زالت عن العبد تلك الموانع
دايما يصير نورا صرفا وروحا محضا ويتصف بصفاة الملكه ويلحق بالروحانيين ويصافحهم ويكون معهم و
يمشي على الماء مثلهم وان شئت توضيح ذلك فنقول ان للروح الانساني منازل في السير الى الله اولها المحسوسات
وثانيها المتخيلات وثالثها الموهومات ورابعها المعقولات وهو في هذا المنزل يمتاز عن سائر الحيوانات ويرى فيه
ما هو خارج عن عالم الحس والخيال والوهم ويعلم روح الاشياء وحقايقها ولم عرض هو يعني اوله عالم الانسان
وآخره عالم الملكة بل فوقه وهو معراج الانسان واعلى عليين له كما ان الثلثه الاول اسفل السافلين له ومن اعظم
اسباب معراجه قطع التعلق عن الدنيا والاعراض عنها بالكلية ثم الدوام على هذه الحالة فانه يوجب الوصول
الى حالة شريفة هي مرتبة عين اليقين وله في تلك المرتبة صنع على افعال غريبه واثار عجيبه باذن الله تعالى كمصاحبة
الملكه والمشي على الماء والهواء وغيرها ومنه يعلم ان الكرامات غير منكرة من الاولياء كما زعم بعض العلماء نعم هي مستبعد
والاستبعاد لا يقتضي نفيها وسفل القلب اعني الروح عبارة عن انتقاله من المرتبة الاعلى الى المرتبة الادنى
وقد ينتقل الى ادنى جميع المراتب ويستقر فيه وهو اسفل السافلين فيكون بعد الفراق من البدن من الخاسرين
اعاذنا الله منه قوله لولا انكم تذنبون فيستغفرون الله لخلق الله خلقا حتى يذنبوا ثم يستغفروا الله فيغفر لهم لا
طلب غفران الذنوب وسترها والتجاوز عنها وهو سبب للرجوع الى الحق وسلوك سبيله لان الذنوب اغلال
للسايرين اليه وموانع للطالبين له ولذلك قال عز وجل ثم توبوا مع احتمال ان يراد بالتوبة العزم على عدم الاتيان
بالذنوب فيما بقي من عمره بعد الاستغفار عما مضى وفيه تسلية للمؤمنين وبشارة للتائبين واشارة الى ان الحكمة
البالغة تقتضي وجود هذا النوع من الخلق ليكون مظهر الرحمة وان المؤمن لا بد ان يكون دايما بين هذين الوصفين
وان يكون مراقبا لاحواله الماضية والآتية فيتدارك ما فات ويستعد لما هو آت والله هو الموفق للخيرات قوله قال
سالت ابا عبد الله عم عن الوسوسه وان كثرت فقال لا شيء فيها تقول لا اله الا الله الوسوسة حديث النفس
من خلق الله واين هو وكيف هو ومتى هو بخطور ذلك في القلب من غير قصد ولا عقد ولا تكلم به لقصد الترويج
والتشهير ومما يفرق بينهما ان الوسوسة آكد منه ان خطر ببالك النظر الى امراة فهو حديث النفس وان حصلت
الرغبة وحركتك الشهوة فهو الوسوسة ولا شيء فيهما ومن اراد دفع كراهة ذلك وطرد الخبيث عن نفسه فليقل لا اله
الا الله او ليقل امنا بالله وبرسوله ولا حول ولا قوة الا بالله او ليذكر الله وحده امره بالتوحيد لوجوه الاول
ان لا يأتيه الموت وهو على تلك الحال الثاني نفي ما القى في نفسه من ان لله آلها آخر حيث صرح بان لا اله
واحد ليس الا هو الثالث ان تلك الكلمة تطرد الخبيث وتدفعه عن قايلها ولذلك يلقن المحتضر بها الرابع افادها

ان

٢٤٥

او سلسلة الممكنات منتهية اليه فلا يكون له موجد الخامس ان من اتصف بجميع صفات الكمال لا يتصف بالمخلوقية
والاحتياج السادس انه لو كان له آله لزم الدور او التسلسل فوجب حصر الالوهية في واحد ومثل هذا الحديث
روى العامة عن النبي صلعم قال ان الله تجاوز لي عن امتي ما حدثت به انفسهم ما لم يتكلم به او تعمل به قال بعضهم
قال عم هذا بعد نزول النسخ او التخفيف لقوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فقال بعض
الصحابة من يطيق هذا فقال اتريدون ان تقولوا كما قالوا بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فقالوا
فانزل الله التخفيف بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها الاية فقال عم كالمبين والمفصل لمجملها ان الله تجاوز
لي الى آخره فبين لهم ما رفع عنهم مما لا يطيقونه وهو حديث النفوس فاعلمهم ان له سبحانه ان يكلفهم بالعلم اثر
شيء عليهم مخالفته بمقتضى عدله وعدله حسن ثم خفف عنهم برفع ما يعجزون عنه اظهارا لفضله والفضل عليهم
احسن والمراد بحديث النفس المعفو عنه ما لا يدخل تحت كسب العبد من الخواطر اولا والفكر فيما يخطر للنفس
ثانيا فيتأمله ويتحدث هل يعمله ام لا فهذا معفو الى ان تزع في القلب الفعل او الترك فيهم به فان كان خيرا
كتب له حسنة وان كان شرا لم يكتب فاذا قوى الهم صار نية فيعزم القلب وينوى فمن هنا يحقق كسبه فعله
فيقع المواخذة والمحاسبة لقوله تعالى ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم ثم استدرك عم بعد ذكر ما عفي عنه
ما يحاسب عليه فقال ما لم يتكلم به وهو عمل اللسان او تعمل به وهو عمل القلب وكسبه وهو عزمه ونيته وافعال
الجوارح والاركان فهذا ما لم يعف عنه وان جاز العفو عنه بعد اتيانه والمحاسبة عليه فضلا كما روى
ان الله تعالى تقول للحافظين واذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها واحدة او اغفروا ولو
ثم كان الله تجاوز لي يشعر بفضيلته فان الله تعالى خصه في حق امته بهذا العفو دون من قبله من الانبياء
كما خصه بقوله نصرت بالرعب واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي ونصرت بالصبا الى غير ذلك مما اكرمه
انتهى كلامه قوله فقال يا رسول الله هلكت قال ذلك لظنه انه مكلف بالحفظ من الخطرات ورفعها شاق عليه
وذلك اشارة الى خوف الهلاك كما دل عليه ما بعده اي خوفك من الهلاك لاجل تلك الخاطرة محض الايمان
ضرورة ان الكافر لا يخاف من هذه ولا من اعظم منها ولا يخطر بباله ذلك قوله كتب رجل الى ابي جعفر عم يشكو
اليه لمما يخطر على باله آه اللمم بفتحتين مقاربة الذنب وقيل هو الصغاير من الذنوب وهو ايضا طرف من الجنون
يلم به الانسان وانما جعل الوسوسة لمما اي ذنبا صغيرا لزعم انها من الصغاير الذنوب او لانها قد تؤول
الى ذنب والا فهي ليست من الذنوب والهوى السقوط من اعلى الى اسفل وفعله من باب ضرب ومنه قوله
تعالى او تهوى به الريح في مكان سحيق اي بعيد والباء في بهم للتعدية وهم جعلوا التكلم باللمم واظهاره اشد

عليهم من ان يقطم الزج الى مكان عميق او من ان تقطع اعضاؤهم لستقباحاً لشانه واستعظام الامر لا لمجال
في حقه تم وكفرية والاستفهام في قوله اتجدون ذلك على حقيقته او للتعجب او للتقرير ولفظه ذلك في
الموضعين اشارة الى الاستعظام او الخوف المفهومين من سياق الكلام وصريح الايمان خالصه و لو
جعل اشارة الى اللمم لورد ان الايمان يقين واللمم شك او قرب منه فلا يكون اللمم من الايمان فضلا عن ان يكون
من صريحه ويمكن ان يدفع ذلك بان الشيطان اذا يئس من كفر من صح ايمانه ومن الاتيان بره من جهة الاعمال
بالوسوسة ليشغل قلبه بحديث النفس وليؤذيه بذلك فاذا نشأت الوسوسة هو محض الايمان وصريحه فنفع
ان الوسوسة صريح للايمان بخلاف الكافر والشاك وضعيف الايمان فانه يأتيهم من اي وجه اراد و بدل
على هذا التوجيه حديث آخر الباب **قوله** والله ما يخرج من الذنب الا من اقر به اي ما يخرج منه قطعا او احتمالا
الا من اقر به واما غيره ففي مشية الله ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه فلا ينافي الحصر وقال ابو جعفر عليه السلم
كفى بالندم توبة ندم على ما فعل ندماً وندامة فهو نادم واذا اخزل او فعل شيئاً ثم كرهه واعلم ان الله تعالى
خلق القلب قابلا للخاطرات الحسنة والخاطرات القبيحة والاولى من الملك والثانية من الشيطان ثم
الثانية اذا اثرت في القلب حصل شوق الى الذنب وهو يوجب العزم عليه والعزم يوجب تحرك القدرة
والقوة اليه وتحرك القدرة توجب تحرك الاعضاء والجوارح اليه فيصدر منها الذنب واذا اخذت بيده
العناية الازلية واثرت فيه الخاطرات الحسنه وحصل له علم بان الذنوب سموم مهلكة حصل له شوق
الى قرب المبدا والرجوع اليه وزال عنه الشوق الى الذنب فيحصل له ندامة عما كان فيه وهو المسمى بالتوبة
فاذا زال الشوق الى الذنب وحصلت له الندامة زال العزم عليه ومتى زال العزم زال تحرك القوة فيزول
تحرك الاعضاء لان المسببات تزول بزوال اسبابها كما يشعر به قول امير المؤمنين ع في هذا الباب ان الندم
على الذنب يدعو الى تركه بمعنى قوله ثم كفى بالندم توبة انه اذا حصل الندم حصل التوبة والرجوع الى الله
بالاقلاع عن الذنوب والخروج منه لانه اصل له وسبب مؤد اليه ولم يرد ان مجرد التوبة من دون كف
النفس عن الذنوب كاف في الرجوع اليه اذ ليس مجرد ذلك توبة وندامة بل هو شبيه بالاستهزاء نعم الندامة
المفضية الى ترك الذنوب توبة وان لم يستغفر منه عن ابي جعفر ع قال لا والله ما اراد الله من الناس
الا خصلتين ان يقروا له بالنعم فيزيدهم وبالذنوب فيغفرها لهم المراد بالاقرار بالنعم معرفة المنعم و قدر
نعمته وانها منه تفضلا وهي شكر والشكر يوجب الزيادة وبالاقرار بالذنوب الاقرار بها مجملا و مفصلا
وهو ندامة منها والندامة توبة والتوبة توجب غفران الذنوب ولعل الحصر الحقيقي لان كل ما اراد الله من

الناس فهو داخل في الخصلتين **قوله** قال انه ما انه من عبد اذنب فلا يزال منه خايفا ماقتا لنفسه فيرحمه الله فيدخله
الجنة دل على ان دوام الخوف والمقت بمعنى تحققهما كلما خطر الذنب بباله سبب للرحمة لانه بالخوف اعترف
بعظمة الرب وقبح مخالفته وبالمقت اعترف بذنبه وتقصيره وكل واحد سبب تام للرحمة ما خرج
عبد من ذنب باصرار وما خرج عبد من ذنب الا باقرار الاصرار اما فعلي وهو المواظبة على نوع ذلك
الذنب او على نوع آخر او حكمي وهو العزم على فعله ثانيا وان لم يفعل كما صرح به الشهيد في شرح اللمعة و
الغرض الاصلي منه لازمه وهو الوعيد بوخامة العاقبة وشدة العقوبة والا فمضمونه ظاهر وليس المحصور
بالنسبة اليه لانه حقيقي اذ الخروج على سبيل القطع والاستحقاق لا يحصل الا بالاقرار **قوله** من اذنب ذنبا
فعلم ان الله مطلع عليه آه لعل الوجه ان ذلك اقرار بالذنب وبانه معصية للخالق العالم المطلع القادر على
جميع الاشياء واعتراف بالعجز والتقصير وكل ذلك سبب للمغفرة كالتوبة والندامة وترك الذنوب بل لا
ان هذا السبب اعظم من الاول **قوله** قال ان الله يحب العبد ان يطلب في الجرم العظيم ويبغض العبد ان يستخف
بالجرم اليسير يتحقق هذا الطلب بدوام الحسرة والتضرع ومنشأوه العلم بقبح المعصية والمخالفة و
ثمرته تنور القلب ومحبة الرب والمراد بالاستخفاف الجرم اليسير عدم الاعتناء والاصرار عليه و
ذلك استخفاف بالله وبالشريعة وصاحبها فمن اجل ذلك يستحق البغض من الله وسلب رحمته بخلاف
من لجا الى الله وطلب المغفرة في الذنب العظيم فان فيه سعي للادب وتعظيما للرب وتعبير النفس وكل ذلك
موجب لان يحبه الله ويفيض عليه رحمته **قوله** ان الندم على الشر يدعو الى تركه فالنادم الفاعل للشر
ليس بنادم في الحقيقة ولا يبعد ان يستفاد منه ان التوبة في الحقيقة هي التي تدعو الى ترك الذنوب كلها
كما ذهب بعض الاصحاب **قوله** ما من عبد اذنب ذنبا فندم عليه الا غفر الله له قبل ان يستغفر الندامة
فعل القلب والاستغفار فعل اللسان والاول اشرف فلذا له تاثير بدون الثاني ولا تاثير للثاني بدونه
قوله وما من عبد انعم الله عليه نعمة آه ايصال كل مرغوب ودفع كل مكروه نعمة ويفهم منه ان الحمد
القلبي اشرف من الحمد اللساني وان الحمد وغيره من العبادات القلبية والبدنية سبب للمغفرة كما يدل عليه
ايضا قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات **قوله** الستر بالحسنة تعدل سبعين حسنة اي تعدل
حسنة سبعين حسنة دل على ان الحسنة في السر افضل لبعده من الريا والسمعة وقد استثنى الجهاد
الصدقة لدفع التهمة او لاسوة الغير او لنحو ذلك والمذيع بالسيئة مخذول لان في اذاعتها استخفافا اذ العهابر
بالدين واستهانة بالذنب وتجبره واستحسان له وترويج له بين العوام وهتك لما ستره الله عليه بفضله

وكل ذلك مذموم عقلا ونقلا حتى انه يقرب من الكفر والمستتر بالسيئة معفور له لان استنادها
نوع من الاقرار بقبحه وقبح فاعله وتقصيره في تعظيم الرب وقد مر ان المقر معفور له قوله قال ان الله تبارك
وتعالى جعل لآدم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة آه تفصيل المقام ان ما في النفس
ثلثة اقسام الاول الخطرات التي لا تقصد ولا تستقر وقد مر فيما قبل انه لا مواخذة بها ولا خلاف فيه
بين الامة الثاني الهم وهو حديث النفس اختيارا ان تفعل ما يوافقها او يخالفها او ان لا تفعل فان
كان ذلك حسنة كتبت له حسنة واحدة فان فعلها كتبت له عشر حسنات وان كان سيئة لم يكتب
عليه فان فعلها كتبت عليه سيئة واحدة كل ذلك مقتضى احاديث هذا الباب ولا خلاف فيه ايضا
بين الامة الا ان بعض العامه صرح بان هذه الكرامة مختصة بهذه الامة وظاهر هذا الحديث انها
في الامم السابقه ايضا الثالث العزم وهو التصميم وتوطين النفس على الفعل او الترك وقد اختلفوا فيه
فقال كثير من الاصحاب انه لا يواخذ به لظاهر هذه الاحاديث وقال اكثر العامة والمتكلمين والمحدثين
ومنهم القاضي انه يواخذ به لكن بسيئة العزم لا بسيئة المعزوم عليه لانها لا تفعل فان فعلت كتبت له
سيئة ثانيه لقوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم وقوله اجتنبوا
كثيرا من الظن ولكثرة الاخبار الدالة على حرمة الحسد واحتقار الناس وارادة المكروه بهم وحملوا
الاحاديث الدالة على عدم المواخذة على الهم والمنكرون اجابوا عن الآيتين بانهما مخصصتان
باظهار الفاحشة والمظنون كما هو الظاهر من سياقهما وعن الثالث ان العزم المختلف فيه ما له
صورة في الخارج كالزنا وشرب الخمر واما ما لا صورة له في الخارج كالاعتقادات وخبائث النفس مثل
الحسد وغيره فليس من صور محل الخلاف فلا حجة فيه على ما نحن فيه واما احتقار الناس وارادة المكروه
بهم فالظاهر انها حرام يواخذ به ولا نزاع فيه وبدونه لا المسئلة والحق انها محل اشكال ثم الظاهر انه
لا فرق في قوله ومن هم بسيئة لم يعملها لم يكتب عليه بين ان لم يعملها خوفا من الله او خوفا من الناس
وصونا لعرضه ويدل على التعميم ايضا روايات اخرى فقول من قال التعميم لا وجه له لا وجه له وان عشر
امثال الحسنة مضمونة البتة لدلالة نص القرآن عليه وان الله تعالى قد يضاعف لمن يشاء الى سبعمائة
ضعف كما جاء في بعض الاخبار والى ما لا ياخذه حساب كما قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب بقي هنا شيء وهو انه سالني بعض الافاضل عن وجه الجمع بين الاحاديث هذا الباب وبين ما ورد
في باب النية عن الصادق عليه السلام قال انما خلد اهل النار في النار لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو خلدوا فيها

ان يعصوا الله ابدا وانما خلد اهل الجنة في الجنة لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوا الله ابدا
فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته قال على نيته فان مدلول احدهما
على المواخذة بالنية ودل الآخر على عدم المواخذة بها فقلت له لا منافاة بينهما اذ دل احدهما على عدم
المواخذة بنية المعصية اذا لم يفعلها ودل الآخر على المواخذة بنية المعصية اذا فعلها فان المنوي
كالكفر واستمراره مثلا موجود في الخارج فهذه النية ليست داخلة في النية بالسيئة التي لم يعملها ثم
قال كما ان المعصية ليست سببا للخلود على ما يفهم من الحديث المذكور لكونها في زمان محصور منقطع
هو مدة العمر كذلك نيتها لانها تنقطع ايضا عند انقطاع العمر لدلالة الآيات والروايات على ندامة
العاصي عند الموت ومشاهدة احوال الآخرة فينبغي ان يكون نادما بها في النار بقدر كونها في الدنيا الا مخلدا
فقلت له اولا ان هذه النية موجبة للخلود لدلالة الحديث عليه بلا معارض فوجب التسليم والقبول
وثانيا ان صاحبها في هذه الدنيا التي هي دار التكليف لم يفعل شيئا يوجب نجاته من النار وندامته بعد الموت
لا ينفع لانقطاع زمان التكليف وثالثا ان سبب الخلود ليس ذات المعصية ونيتها من حيث هي بل هو المعصية
ونيتها على فرض البقاء ابدا ولا ريب في انها معصية ابدية موجبة للخلود ابدا تامل تعرف قوله فاذا فعلها
كان لسانه قلمه وريقه مداده فاثبتها له اي اثبت له تلك الحسنة مع الزيادة كما دل عليه الاخبار الآتية
ويفهم منه ان الملائكة اجسام لطيفة كما ذهب اليه اكثر المسلمين ثم اذا كان هم الحسنة منشأ يجد ريحه
المقربون كان نتن السيئة عندهم اشد واقبح وريحها الرديم ابين واوضح وفيه حجة للذين عند كشف الغطاء
في تفرقهم من انفسهم قوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله اربع من كن فيه لم يهلك على الله بعدهن الا هالك لان الله
تعالى كثر الحسنات وقلل السيئات حيث كتب بهم الحسنة مع عدم فعلها حسنة ومع فعلها عشر حسنة
ولم يكتب بهم سيئة وكتب مع فعلها بعد مضي سبع ساعات يمكن دفعها بحسنة او استغفار سيئة واحدة
فلم يهلك مع سعة هذه الرحمة الواسعة الا هالك لا خير فيه اصلا مستغرق في المعصية متماد في الغي و
الضلالة قوله وقال صاحب الحسنات لصاحب السيئات وهو صاحب الشمال لا تعجل عسى ان يتبعها
بحسنة يمحوها آه قيل ان يتبعها بحسنة كانت له عشر امثالها فيقول لصاحب اليمين لصاحب الشمال واحدة
بواحدة ويكتب له تسعة وربما يفهم منه ان المحو قبل كتب السيئة لا بعدها والا فلا فائدة في تاخير
الكتابة الا ان يقال الفائدة هي ترك ما هو في معرض الزوال والمحو ثم الظاهر ان الحسنة وان كانت صغيرة
ماحية لسيئة قبلها وان كانت كبيرة ولا بعد فيه نظرا الى الرحمة الواسعة وفي نسبة كتب السيئة الى صاحب

باب التوبة

الشمال وكتب عشر حسنات الى الله تعـ استغفار بان ليثات العشر من باب التفضل قوله اذا تاب العبد توبة نصوحا احبه الله
فستره عليه فى الدنيا والاخرة آه التوبة الرجوع عن الذنب بتجه الى الطاعة فخرج الرجوع عن شرب الخمر مثلا لاضراره
بالبدن وقد يزاد مع العزم على عدم المعاودة اليه وتدارك ما يمكن ان يتدارك وقال الغزالى التوبة تنتظم من
امور ثلثه علم وحال وعمل اما العلم فهو اليقين بان الذنوب سموم مهلكة وحجاب بين العبد ومحبوبه وهذا
اليقين تثمر حالة ثانيه هى التالم بفوات المطلوب والتاسف من فعل الذنوب ويعبر عن هذه الحالة بالندامة وهى
تثمر حالة ثالثه هى ترك الذنوب فى الحال والعزم على عدم العود اليها فى الاستقبال وتدارك ما فات فى الماضى
من حقوق الله تعـ مثل الصلوة والصيام والزكوة ونحوها ومن حقوق الناس مثل رد المال الى صاحبه او
وارثه وطلب الابرآء فى الغيبة وتسليم النفس فى القصاص الى وليه ليقتص منه او ليعفو عنه ولو لم يمكنه ذلك
كان عليه ان يكثر فى العبادة ليبقى له قدر الكفاية فى القيمة بعد اخذ حقوقهم منها وهذه الامور الثلثه مترتبة
فى الحصول ويطلق اسم التوبة تارة على مجموعها وتارة على الندم والعزم واخرى على الندم وحده ويجعل العلم
كالمقدمة والترك كالثمرة فيكون الندم محفوظا بالطرفين الطرف الاول المثمر للندم والطرف الاخر ثمرته
كما قال امير المومنين عم ان الندم على الشر يدعو الى تركه وترتب هذه الامور غير مختصة بالتوبة بل انتظام
الصبر والشكر والتوكل والرضا وغير ذلك من المقامات الدينيه ينتظم من علم وحال وعمل وهذه الامور الثلثة
اذا قيس بعضها الى البعض لاح للناظرين الى الظواهر ان العلوم مطلقا انما تراد للاحوال والاحوال انما تراد
للاعمال واما اهل البصاير واولوا الالباب فالامر عندهم بالعكس فان الاعمال عندهم يراد للاحوال و
الاحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد بغيره كذلك
العير لامحالة افضل منه ثم الرد بكمال الجوارح وبقاع الارض ذنوب اما انسيانهما كما فى الملكين او عدم الشهادة
بها والاول اظهر ويويده ما روى من طرق العامة انه تعـ ينسى ايضا جوارحه وبقاع الارض ذنوبه بل ربما
يقال انه تعـ يمحوها عن لوح نفسه ايضا ليكمل استعداده لافاضة الفيض والرحمة عليه ويرتفع عنه الانفعال
عند لقاء الرب قوله قال سالت ابا عبد الله عم عن قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة
نصوحا قال يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود فيه د لهذا وما بعده على ان التوبة النصوح هى التوبة القوية
الثابته التى تمنع صاحبها من العود الى الذنب بعدها وهذا التفسير يويد ما قيل من انها توبة تنصح صاحبها
فيقلع عن الذنوب ثم لا يعود اليها ابدا او تنصح الناس اى تدعوهم الى ان ياتوا بمثلها لظهور اثارها
الجميلة فى صاحبها وقيل هى توبة خالصة لوجه الله سبحانه من قولهم عسل ناصح اذا كان خالصا من

النصح

النصح بان لا يكون لريا ولا نفاق ولا لخوف النار وقد حكم المحقق فى التجريد بان الندم على الذنوب خوفا من
النار ليس توبة وقيل اسناد النصوح الى التوبة من باب الاسناد المجازى لان النصح صفة التائبين اى توبوا
توبة تنصحون بها انفسكم بان تاتوا بها على اكمل الوجوه وافضل الشرايط حتى تكون قالعة لاثار الذنوب من
القلوب بالكلية وذلك باذابة النفس بالحسرات ومحو ظلمة السيئات بنور الحسنات قوله ان الله احب العباد الى الله
المفتنون التوابون اى المفتونون بالذنوب التوابون منها ولعل المراد بالمفتون التواب من لا يعود الى الذنب
بعد التوبة فيكون تاكيدا لما قبله ويكون احب بالنظر الى من يتوب ثم يعود ثم يتوب وهكذا الا بالنظر الى من لم
يذنب اصلا ويحتمل ان يراد بها كثير التوبة بان يتوب ثم يذنب ثم يتوب وهكذا وهو احب ممن يتوب من الذنوب
كلها توبة واحدة وممن يذنب ذنوبا ثم يتوب منها ثم يذنب ذنوبا ثم يتوب منها قوله ان الله عز وجل اعطى
التائبين ثلث خصال الاولى انه تعـ يحبهم والثانيه ان الملائكة المقربين يطلبون المغفرة لهم والثالثه
٢٤٨ انه عز وجل وعدهم بالامن والرحمة ومعنى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين انه يحب التوابين عن
النجاسات الباطنه وهى الذنوب ويحب المتطهرين من النجاسات الظاهرة بالماء وقيل يحب التوابين من الكبائر و
المتطهرين من الصغاير وقد وصف الله تعـ نفسه فى اخر الاية بقوله وكان الله غفورا رحيما فيغفر الذنوب
ويبدل السيئات حسنات تحريكا لطمع المذنبين التائبين ومن طريق العامة ان الله جعل رحمته مائة جزء
فى الدنيا والبواقى فى الاخرة فاذا كانت رحمة واحدة فى هذه الدار التى هى دار الاكدار يقع بها من التراحم
ما لا يحصى فكيف بالبواقى فى دار القرار قوله اترى العبد المومن يندم على ذنبه ويستغفر منه ويتوب
ثم لا يقبل الله توبته للهمزة للانكار وفيه دلالة على ان التوبة مقرونة بالقبول البته ويدل عليه ايضا
قول امير المومنين عم ما كان الله ليفتح على عبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة ويدل عليه ايضا ظاهر
الايات وقال محيى الدين البغوى التوبة من الكافر مقطوع بقبولها واختلف فى قبولها من العاصى فقيل
وقيل لا ينتهى الى القطع لان الظواهر التى جاءت بقبولها ليست نصا وانما هى نصوص معرضة للتاويل
وقال عياض قبولها ليس بواجب على الله تعـ عقلا وانما علمناه بالشرع والاجماع خلافا للمعتزلة فى ايجابهم
ذلك عقلا على اصلهم فى التحسين والتقبيح ولما استبعد السائل قبول التوبة بعد نقضها مرارا حذره عم
من ذلك بقوله فاياك ان تقنط المومنين من الرحمة الواسعة والقول بانك فعلت ما لا يغفر الله لك لانه
حرام وحكم على الله سبحانه وحجر عليه وجهل باحكام الربوبية وادلال بان له عند الله تعـ منزلة لا للاذلال
المذنب ولذلك قال العلماء ينبغى ان يكون واعظ الناس متوسطا بين الترغيب والترهيب ولو زاد الترهيب

لا على حد يوجب القنوط جاز باعتبار ان اكثر النفوس الى الفساد اميل وحرصها بزيادة الترهيب افضل

قوله قال سمعت ابا جعفر عم يقول ان الله تعالى اشد فرحا بتوبة عبده من رجل اضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها فالله اشد فرحا بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها الفرح السرور ويقارنه الرضا بالمسرور به فالمعنى انه سبحانه يرضى توبة العبد اشد مما يرضى الواجد لراحلته الضالة في ليلة الظلماء ونزاله فعبر عن الرضى بالفرح تاكيدا للمعنى الرضى في نفس السامع ومثل هذا الحديث رواه مسلم بطرق متعددة عن النبي صلعم قال الله اشد فرحا بتوبة عبده من رجل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى ادركه العطش ثم قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده الدوية منسوبة الى الدو بتشديد الواو وهي البرية التي لا نبات فيها

قوله قال سمعته يقول التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ الظاهر ان التشبيه في نفي الذنب لا في التساوي في الدرجة والاستغفار باللسان مع الاصرار على الذنب استهزاء فهو استغفار يحتاج الى استغفار اما انه استهزاء فلانه يظهر ندامته عند الله مع عدمها بقرينة الاقامة على الذنب اذ الندم على الشيء يدعو الى تركه ويظهر ايضا انه خائف من الله مع عدم الخوف منه وبهذين الوجهين يشبه استغفاره بالاستهزاء في انه يشعر ظاهرا بان مقصوده الحاق الهوان والحقارة به سبحانه ولكنه ليس مستهزئا حقيقة اذ ليس قصده ذلك والا لكان كافرا بالله العظيم وليس كل كما امر عن الباقر عليه السلم ان المؤمن كلما عاد بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة ثم الظاهر ان الذنب اعم من ان يكون من نوع واحد او من انواع متعددة فلو فعل ذنبا معينا وندم منه واستغفر منه ولم يعد اليه ثم فعل ذنبا آخر وندم واستغفر وهكذا صدق عليه انه بمنزلة المستهزئ فعلى هذا فيه دلالة على ما ذهب اليه بعض المحققين من ان التوبة انما يتحقق بالندم من جميع الذنوب والاقلاع عنها

قوله فوعزتك وجلالك لئن لم تعصمني لاعصينك فيه الاقرار بالتقصير والاعتراف بالعجز عن مقاومة النفس وهواها ودفع وساوسها وردها وتنبيه للغافلين وتحريص للعاصين على التوسل بذيل الالطاف الالهية والتوفيقات الربانية فان ذلك جالب للهدايات الخاصة الوافية والعنايات التامة الشافية للامراض القلبية والبدنية وليس للمريض في الدين دواء انفع من هذا على اليقين

قوله قال سمعت ابا عبد الله عم يقول ان العبد اذا اذنب ذنبا اجل من غدوة الى الليل اي هذا اذا اذنب غدوة واجل من هذا المقدار من الزمان ان اذنب في غيرها وزمان التاجيل متفاوت بحسب التفاوت

في

في الاشخاص والازمان والذنوب فلا ينافي هذا رواية سبع ساعات ونحوها والظاهر ان الكبيرة داخلة في هذا الذنب وان حقوق الناس خارجة منه وقد يفرق بين التوبة والاستغفار بان التوبة ترفع اثم الذنوب والاستغفار طلب الغفر والستر عن الاغيار كيلا يطلع احد ولا يكون عليه شاهد

قوله وان المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له وان الكافر لينساه من ساعته ذكر المؤمن لطفه تعالى لتخليص المؤمن ونسيان الكافر من سلب لطفه تعالى عنه ليواخذه بالكفر والذنب جميعا وحمل الكفر على كفر النعمة وكفر المخالفة بناء على ان كفر الجحود لا ينفع معه التوبة من الذنب والاستغفار الا مع الكفر بعيد لان الكفر بالمعنيين الاولين يجامع الايمان ايضا

قوله قال كان رسول الله صلعم يتوب الى الله عز وجل في كل يوم سبعين مرة فيه ترغيب في التوبة لانه صلعم اذا تاب مع علو همته وكمال عصمته بهذا العدد في كل يوم كان الاولى بحال الغير ان لا يترك التوبة في شيء من الاوقات قلت كان رسول الله صلعم يقول استغفر الله واتوب اليه قال لا ولكن يقول اتوب الى الله اللهم الظاهر انه عليه السلم لم يقصد نفي الاستغفار عنه صلعم مطلقا لما يجيء في باب الاستغفار من كتاب الدعاء انه صلى الله عليه وآله كان لا يقوم من مجلس وان خف حتى يستغفر الله عز وجل خمسا وعشرين مرة بل قصد بيان الواقع في هذه القضية وكيفية توبته في كل يوم سبعين مرة واقاد انه لم يكن معها استغفار وبالجملة كان صلعم يتوب ويستغفر ولكن لم يكن توبته واستغفاره من الذنوب المنافية للعصمة لانه عندنا وعند كثير من العامة لم يكن مذنبا اصلا بل من امر آخر والله اعلم بحقيقة ذلك الامر وللعلماء فيه كلام مبسوط ومجمل والاحسن ما افاده صاحب الكشف الغمة وتبعه البيضاوي في شرح المصابيح ونقله الشيخ في الاربعين وهو ان الانبياء لما كانت قلوبهم مستغرقة بذكر الله ومشغولة بتوجه الله ومتعلقة بجلال الله ومتوجهة الى كمال الله وكانت اتم القلوب صفاء واكثرها ضياء واعرفها عرفانا واعرفها الذ عانا وكانها ايقانا كانوا اذا انحطوا عن تلك المرتبة العلية ونزلوا عن تلك الدرجة الرفيعة الى الاشتغال بالماكل والمشرب والتناكح والصحبة مع بني نوعه وغير ذلك من المباحات اسرعت كدورة ما اليها لكمال رقتها وفرط نورانيتها فان الشيء كلما كان ارق وانضر كان تاثره بالكدورات ابين واظهر فعدوا ذلك ذنبا وخطيئة فتابوا واستغفروا منه كما روي حسنات الابرار سيئات المقربين واليه يشير قوله صلعم ليران على قلبي واني استغفر بالنهار سبعين مرة وقيل الغرض به تعليم الناس كيفية التوبة والاستغفار من الذنوب وقيل هو محمول على الاعتراف بالعبودية وان البشر مظنة التقصير والعجز على ان دفع ذلك عن توبته ظاهر لان التوبة في اللغة الرجوع الى الحق عز شانه وان لم يكن من ذنب يقال تاب واب واناب اذا رجع الى الحق

قوله فان قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم المراد بالاستغفار

٢٤٩

مع الندم على الذنب كما سياتى ودل عليه ايضا ما مر من الاستغفار مع القيام على الذنب استهزاء قوله فيقول

وهو نادم اى فيقول عقب كل كبيرة او عقب الجميع وانما قيد بالندم لان الاستغفار بدونه لا اثر له بل

بعد استهزاء فيقول ولا خير فيمن يقارف فى يوم اكثر من اربعين كبيرة دلالة على ان المغفرة بالقول المذكور

لا تتعلق بالزايد عن الاربعين ولعل السر فيه ان من زاد عليه لعدم مبالاته بالذنب خارج عن الايمان مع

احتمال ان يكون هذا الكلام فى مقام الوعيد للمبالغة فى الزجر قوله ودواء الذنوب الاستغفار شبه الذنوب

بالداء والمرض المهلك واثبت لها الدواء على سبيل المكنية والتخييلية وحمل الاستغفار على الدواء من باب حمل

المشبه على المشبه به للدلالة على الاتحاد والتعريف للحصر قوله من قال استغفر الله مائة مرة فى كل

يوم غفر الله عز وجل له سبعمائة ذنب الظاهر ان المجموع مترتب على المجموع فلا يدل على ان من استغفر مائة

غفر الله له مائة ذنب ولا على ان من استغفر خمسين مرة غفر الله له ثلثمائة وخمسين ذنبا مع احتماله والذنب

يشمل الصغيرة والكبيرة والملفق منهما وقوله ولا خير فى عبد يذنب فى يوم سبعمائة ذنب اخبار بشدة

غفلته وسوء حاله وخاتمته اذ قد لا يوفق من له هذه الذنوب الكثيرة للاستغفار والتوبة لكمال غفلته

وتوغله فى المعاصى ومخالفته قوله قال ان آدم قال يا رب سلطت على الشيطان واجريته منى مجرى الدم

روى العامة ايضا ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ذهب قوم من منتحلى الظاهر العلم ان المراد به ان

الشيطان لا يفارق ابن آدم ما دام حيا كما لا يفارقه دمه وحكى هذا عن الازهرى وقال هذا على طريق ضرب

المثل والجمهور من علماء الامة اجروا ذلك على ظاهره وقالوا ان الشيطان جعل له هذا القدر من التطرق الى

باطن الآدمى بلطافة هيئته لمحنة الابتلاء ويجرى فى العروق التى هى مجارى الدم من الادمى الى ان يصل

الى قلبه فيوسوسه على حسب ضعف ايمان العبد وقلة ذكره وكثرة غفلته ويبعد عنه ويقل تسلطه وسلوكه

الى باطنه بمقدار قوة ايمانه ويقظته ودوام ذكره واخلاص توحيده ومأثور للمفسرين عن ابن عباس قال

ان الله جعل الشياطين من بنى آدم مجرى الدم وصدور بنى آدم مساكن لهم مؤيد لما ذهب اليه الجمهور وهو

يمول وسوسته لمة الشيطان ومن الطافه ثم انه هيأ دوات الملائكة على ذلك الوصف من اجل الطافتهم و

اعطاهم قوة الحفظ لبنى آدم وقوة الالهام فى بواطنهم والقاء الخير لهم فى مقابلة لمة الشيطان كما روى ان

للملك لمة بابن آدم وللشيطان لمة لمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليحمد الله ولمة

الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق فمن وجد من ذلك شيئا فليستعذ بالله من الشيطان وقالوا انما

ينكر مثل هذا عقول اسراء العادات الذين استولت عليهم المالوفات فما لم يجدوا فى مستقر عاداتهم انكروه

كما

٢٥٠ كما انكر الكفار احياء العظام النخرة واعادة الاجسام البالية والذى يجب هو التسليم بما نطق به الخبر الصريح ولا يأباه

العقل الصحيح قال جعلت لهم التوبة او بسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه قال يا رب حتى النفس بالحركة ما

يخرج من الحلق عند التنفس وبالسكون الروح والمقصد ان باب التوبة مفتوح الى ان تبلغ النفس الحلقوم قوله وعزتى العزة

عزة فاذا بلغت هذه فلا توبة لان وقت المعاينة والتوبة انما تكون فى حال الغيب وانما قال آدم ثم حسبى لعله

بان اكثر اولاده الا من اخذت بيده الشقاوة الابدية تدركهم الرحمة الواسعة وتدخلهم فى باب التوبة ولو كان

شئ انفع لاولاده من هذه النعمة المبسوطة لطلبه ومن طريق العامة ان ابليس بعد ما صار ملعونا وانظر قال

لعزتك لا اخرج من قلب ابن آدم ما دام الروح فى بدنه فقال الله تبارك وتعالى بعزتى لا اسد باب التوبة عليه

ما دام الروح فى بدنه قوله من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته قال الشيخ فى الاربعين المراد بقبول التوبة اسقاط

العقاب المترتب على الذنب الذى تاب منه وسقوط العقاب بالتوبة مما اجمع عليه اهل الاسلام وانما الخلاف

فى انه هل يجب على الله حتى لو عاقب بعد التوبة كان ظالما او هو تفضل يفعله سبحانه كرما منه ورحمة بعباده

المعتزلة على الاول والاشاعرة على الثانى واليه ذهب الشيخ ابو جعفر الطوسى قدس الله روحه فى كتاب

الاقتصاد والعلامة جمال الملة والدين رحمه الله فى بعض كتبه الكلامية وتوقف المحقق الطوسى طاب

ثراه فى التجريد ومختار الشيخ هو الظاهر ودليل الوجوب مدخول لمن تاب قبل ان يعاين قبل الله توبته

اى قبل ان يرى ملك الموت او رسول الله وامير المؤمنين عليهما الصلوة والسلام ويمكن ان يراد بالمعاينة

علم بحلول الموت وقطع الطمع من الحيوة والظاهر ان المرض المهلك ليس من باب المعاينة لان الموت معه ليس

بمحقق قطعا وكان نزولها بالتفصيل المذكور ولم يذكر اولا ما ذكره اخرا للاشارة الى تفصيل مراتب التوبة

بعضها على بعض ووجوبها فورى عند العلماء وفى تسويفها خطر عظيم لامكان ان يأتيه الموت بغتة ولا

يوفق للتوبة ولان ظلمة الذنوب قد تتراكم على قلبه الى ان تصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو بعد ذلك قطعا

قوله اذا بلغت النفوس هذه واهوى بيده الى حلقه لم يكن للعالم توبة وكانت للجاهل توبة لان العالم لما

ترك مقتضى علمه الى هذا الوقت لا عذر له ولا مساهلة معه بخلاف الجاهل فان توبته مقبولة لوقوع

المساهلة معه فى كثير من الامور وقبول توبته فى هذا الوقت من جملتها واليه يشير قوله تعالى انما التوبة على

الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما

وقيل المراد بالعالم العالم بموته وبالجاهل الجاهل بموته قوله فانه حسن الهيئة تعليل لقوله لعل الله ان

يخلصه وتوسط كلام الغير لا ينافى الاتصال والهيئة صورة الشئ وشكله والمراد بحسن هيئته كونه ملتزما

امت ولعد وصفه مستحسنة شرعا وعقلا وسفل الشخ وشهق تنفس ادخل النفس الى باطنه واخرجه و شهق
من باب ضرب وشع شهيقا رد نفسه مع سماع صوته من حلقه قال فتريدون منه ماذا فقد دخل والله الجنة
يعني ماذا تريدون منه اتريدون منه الاعمال والاعمال ساقطة عنه مكفرة بالتوبة ام تريدون منه الاقرار
والايمان وقد اقر وآمن فدخل الجنة قوله قال قلت لها رايت قول الله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش
الا اللمم قال المفسرون الكبائر ما كبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه او ما اوجب
الحد مثل الزنا والسرقة ونحوهما واضافتها الى الاثم اضافة النوع الى الجنس لانه يشمل الكبائر والصغائر والفواحش
ما تزيد قبحه من الكبائر كانها مع كبر مقدار عقابها قبيحة في الصورة كالشرك بالله وحده وذكرها بعد الكبائر صفة
للتنبيه على زيادة قبحها واللمم بفتحتين ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع او الا
بمعنى غير ولما كان سوال السائل عن تفسير اللمم اشار عليه السلام اليه بقوله وهو الذنب يلم به الرجل فيمكث ما شاء الله
ثم يلم به بعد لم قلة بالذنب لذا صله ولعله المراد انه ذنب صغير يفعله الرجل فيمكث ما شاء الله ويترك ثم
يلم به بعد ذلك ويفعله فان الله تعالى يغفر له باجتناب الكبائر ويكفره به كما يكفر الكبائر بالتوبة قوله قال الحنثة
بعد الحنثة اي الذنب بعد الذنب يلم به العبد اي ينزل به بعد فعله مع التوسط الترك كامر والحنث والحنثة
بتخفيف النون وتشديدها كناية عن كل شيء ذكره باسمه قبيح مثل الفرج ونحوه وهي هنا كناية عن الذنب كما
وقع التفسير به ولعل التفسير من المعصوم مع احتمال ان يكون من غيره والله اعلم قوله ومن جاءنا يبدي عورة قد
سترها الله فحوه قد امر تعالى اصحابه الذين من اهل التقرب ان يمنعوا من الدخول عليه من هو من اهل الاذاعة و
الابداء لانه اصلح لهم ولهم ويندرج فيه ابداء احاديثهم لغير اهلها واذاعة اسرارهم الى اهل الجور وللتهادن حرمتهم الذي
ستره الله تعالى وامر باستتاره حفظا لهم ولشيعته من اعدائهم لشدة الخوف والتقية منهم وقد اشار به الى ان
صدور الذنب من المومنين مبني على المصلحة له بقوله ان كنت صادقا فان الله يحبك اه فحبه الله لعبده عبارة عن
ايصال الخير اليه او ارادة ايصاله فاذا علم الله تعالى ان عبدا من عباده يغتر بترك الذنوب ويعجب بكثرة الطاعة و
لزوم الانقياد ويخرج نفسه عن حد التقصير والخوف منه يبتليه ببعض الذنوب وذلك لطف منه في جنب
على عبده لكي يخافه ويرجع اليه ويعترف بتقصيره وهذا من احسن الحالات للانسان ولولا هذه المصلحة لم
يذنب مومن قط ومنه يفهم ان الذنب خير من العجب والله هو المستعان قوله ما من ذنب الا وقد طبع عليه
عبد مومن اه الطبع على الشيء الختم عليه وهو مستلزم بمنع دخول الشيء فيه ولعل المراد ان المومن ممنوع عن
الدخول في الذنب دائما على سبيل الكناية ثم يلم به لمصلحة واما حمله على ان المومن خلق عليه بمعنى انه مقتضى طبعه

وبجنبه

وبجنبه فيما فيه آخر هذا الحديث والحديث الذي بعده فليتامل قوله وربما اللمم من ذلك شيئا الابد ثم
عليه عدم دوامه دليل على انه ليس من طبيعته لان مقتضى الطبيعة لا ينفك عنها وايضا طبيعته الطينية
من طينة الجنة والروحانية المرضية لها من روح الله وليس شيء منهما مقتضيا للذنب والمخالفة وانما هو
لامور خارجة عنهما ولحكمة مقتضية له قيل فيزني قال نعم ولكن لا يولد له من تلك النطفة لعل المراد ان
ان المتولد من تلك النطفة لا يكون ولدا له ولا يلحق به شرعا الا انه لا يتولد منها ولد فانه خلاف الواقع و
هذا احتمال بعيد وهو انه لا يولد للمومن من تلك النطفة لانه ليس بمومن حين يزني فيكون اشارة الى سلب
الايمان عنه حين الزنا قوله ان الذنوب ثلثه وجه الحصر ان الذنب اما التقصير في حق الله او في حق الناس و
الاول اما ان يرفع العبد العقوبة الدنيوية بالتوبة او لا فهذه ثلثه واما الذنب الذي لا عقوبة عليه في
الدنيا ولم يتب منه فالظاهر انه داخل في القسم الثالث وحكمه حكمه وان كان الخوف منه اشد ولكن عرض لي
الاخروية هو انقطاع النفس من الاحياء اما الذنب المغفور فعبد عاقبه الله على ذنبه ولعل ان الحدود على
كلها اي حد كان وان كان لا شترك مغفور واما المعاقب بالامراض فالظاهر انه داخل والعلة مشترك
ان الله تبارك وتعالى اذا ابرز لخلقه اي اظهر امره وحكم لطالب الحقوق منهم اقسم قسما على نفسه فقال وعزتي
وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كف بكف ولو مسحة بكف ولو نطحة ما بين القرناء الى الجماء فيقتص للعباد
بعضهم من بعض اي فيأخذ بعض ثواب ويأخذ بعض عقاب بعض وهذا اذا لم يعف عن صاحبه وقد
روي انه عز وجل يطلب منهم العفو ويعد لمن عفى اجرا جزيلا حتى يعفو الاكثر طلبا لما عنده تم كلامهم
هذا الخبر وظاهر قوله تعالى واذا الوحوش حشرت وظاهر ما في مسلم عن النبي صلعم قال لتؤدن الحقوق الى اهلها
يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء يفيد وقوع حشر الوحوش يوم القيمة والشاة الجلحاء
التي لا قرن لها وكذا الجماء مؤنث الاجم وصرح بعض المفسرين في تفسير الاية بحشر الوحوش وقيل المراد اذا الوحوش حشرت
جمعت من اطراف الارض وقيل اميتت وقال عياض اضطرب العلماء في بعث البهائم واقوى ما تعلق به
من يقول ببعثها قوله تعالى واذا الوحوش حشرت واجاب الاخر بان معنى حشرت ماتت قال والاحاديث
الواردة في بعثها آحاد تفيد الظن والمطلوب في المسألة القطع وحمل بعض القود المذكور في الحديث على انه
ليس حقيقة وانما هو ضرب مثل اعلاما للخلق بانها دار جزاء لا يبقى فيها حق عند احد ثم قال ويصح عندي
ان يخلق الله تعالى هذه الحركة للبهائم ثم يوم القيمة ليشعر اهل المحشر بما هم صائرون اليه من العدل وسمى
ذلك قصاصا لا انه قصاص تكليف ومجازاة ومن توقف في بعثها انما توقف في القطع بذلك كما نقطع ببعث

يبعث المكلفين والاحاديث الواردة ليست نصوصا ولا متواترة وليست المسئلة عملية حتى يكتفى فيها بالظن ولا ظاهر
حشر المخلوقات كلها بمجموع ظواهر الاى والاحاديث وليس من شرط الاعادة المجازاة بعقاب او ثواب للاجماع على
ان اولاد الانبيا عليهم الصلوة والسلم فى الجنة ولا مجازاة على الاطفال واختلف فى اولاد من سواهم اختلافا
كثيرا انتهى وقال القرطبى حمل بعضهم الحديث على ظاهره لانه قال يوتى يوم القيمة بالبهايم فيقال لها كونى ترابا بعد ما
يقاد للجماء من القرناء وح يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا ويدل على انها ضرب مثل ما جاء فى بعض الروايات من
الزيادة فى هذا الحديث يريد الحديث الذى نقله مسلم قال حتى يقاد للجلحاء من القرناء وللحجر لما ركب على الحجر و
للعود لم خدش العود لان الجمادات لا تعقل كلاما فلا ثواب ولا عقاب لها وهو فى التمثيل مثل قوله
تعالى ولو ان قرانا سيرت الآية وقوله تعالى ولو انزلنا هذا القران الاية وقال الآبى المسايل العلمية التى
لا ترجع للذات ولا للصفات يصح التمسك فيها بالاحاد والاستدلال بمجموع ظواهر الاى والاحاديث
يرجع الى التواتر المعنوى والاختلاف ممن سوى اولاد الانبيا عليهم السلم انما هو فى محلهم بعد البعث
لا فى بعثهم كذا اظنه توقف الاشعرى فى بعث المجانين ومن لم يبلغه الدعوة يجوز ان يبعثوا وجوز ان
لا يبعثوا ولم يرد عنه قاطع فى ذلك ثم قال لا معنى لتوقفه لان ظاهر الاى والاحاديث بعث الجميع
والمسئلة علمية لا ترجع للذات ولا للصفات فيصح التمسك فيها بالاحاد كما تقدم او يقال بمجموع الاى والاحاديث
يفيد التواتر المعنوى كما تقدم انتهى واما الذنب الذى الثالث فذنب ستره الله على خلقه ورزقه التوبة منه
فاصبح خايفا من ذنبه راجيا لربه آه لما كانت التوبة ايضا عملا وقبول الاعمال غير متيقن ولذلك لم يحصل
له القطع بالتخلص من العقوبة بعد التوبة كما لم يحصل له القطع بالتخلص منها بالاعمال فلذلك كان التايب
بين الخوف والرجاء وما ورد من ان التايب مغفور وان الله تعالى لا يعذبه فالمراد منه انه تعالى اذا قبل التوبة
عبد لا يعذبه والله اعلم **قوله** قال ان الله اكرم من ذلك من جرى عليه الحد غفر له قطعا وان دفع
قبل لزومه غفر له ايضا ان قبلت توبته ووقعت شرايطها ولكن قبولها غير متيقن ولذلك كان التايب بين
الخوف والرجاء الى ان يعلم مآل حاله **قوله** قال ان الله عز وجل اذا كان من امره ان يكرم عبدا وله ذنب ابتلاه
بالسقم فان لم يفعل به ذلك ابتلاه بالحاجة فان لم يفعل ذلك شدد عليه الموت ليكافيه بذلك الذنب و
فى رواية ان بقى عليه ذنب يكافيه بضغطة القبر وقد يجمع الاثنان والثلثة والاربعة ان عظم الذنب بحيث
لا يكفره احدها وفيه دلالة واضحة على ان المومن لا يعذب فى الاخرة الا ان يبقى قد يبقى ذنب لا يكفره
شئ من الاربعة او تخصيص الذنب بالتقصير فى حق الله تعالى **قوله** ابتلاه بالحزن ليكفرها اما بالسقم او بالحاجة

اونعوت

٢٥٢

او نعوت المال والولد او بغيرها من الاسباب المعلومة وغير المعلومة **قوله** ان المومن ليهول عليه فى
نومه فيغفر له ذنوبه وانه ليمتهن فى بدنه فيغفر له ذنوبه اذا كان الخوف الخيالى والحزن المثالى موجبا لل
مغفرة فكيف المتحقق منهما ومنه يتأكد امر الرجا وفى بعض النسخ ليمهن من امهنته اى اضعفته وفى
كنز اللغة الامهان ضعيف كردن **قوله** ليس من التواء عرق ولا نكبة حجر ولا عثرة قدم ولا خدش عود
الا بذنب نكبته الحجارة نكبا لثمته اى اصابته وادمته وفيه دلالة على ان امثال هذه المصايب انما
تكون من اجل ذنب لتكون كفارة عنه وان الله تعالى يعفو اكثر الذنوب تفضلا بدون ايصال تلك المصايب
او المراد انه بقى على المومن بعد تلك المصايب اكثر الذنوب والله سبحانه يعفو عنه تفضلا **قوله** فقال
انا كما قلت حكم عدل لا اجور وذلك عبدى كانت له عندى سيئة او ذنب آه الترديد من الراوى و
فيه دلالة على ان رفع السيئات والحسنات لا يختص بالابتلاء والاكرام فى حال الحيوة بل يكون بالاعزاز
وعدمه بعد الموت ايضا **قوله** فقال ابو عبد الله عم يا هذا ان للحق دولة وللباطل دولة وكل واحد منهما
فى دولة صاحبه ذليل لان الحق والباطل مثل كفتى ميزان رفع احدهما موجب لوضع الاخرى وبالعكس فاذا
كانت الدولة دولة الباطل كان الباطل رفيعا واهله عزيزا وكان الحق وضيعا واهله ذليلا و
اذا كانت الدولة دولة الحق كان الامر بالعكس ثم انه يصيب المومن فى دولة الباطل مصايب كثيرة
ادناها ما ذكر كل ذلك لظهور الباطل وخفاء الحق وان اصاب المومن فى دولة الباطل رفاهية فى
العيش وسعة فى الرزق وفراغ الخاطر فانما هو غالبا للمماشاة مع اهل الباطل ومجاراتهم معهم ولو
فرض عدم ذلك فلا شبهة فى وقوع التشاجر بينه وبينهم ومن تشبه بقوم فهو منهم فلذلك كانت
سيئة يتخلص منها بالابتلاء قبل الموت ولما كان السايل فى دولة الباطل وانتفت عنه الرفاهية
امره عم بالصبر عن المصايب اللازمة فى دولة الباطل وبشره بما اعد الله للصابرين **قوله** قال الذنوب
التى تغير النعم البغى اى البغى على الامام العارف العادل او على الناس او السعى بالفساد بينهم او تجرد
المراة وكل ذلك يوجب فساد النظام وزوال الرفاهية وتغير النعم وذهاب الراحة ونقل صاحب
العدة عن سيد العابدين عليه السلم انه قال الذنوب التى تغير النعم البغى على الناس والزوال عن العادة
فى الخير واصطناع المعروف وكفران النعم وترك الشكر قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم وقال ايضا الذنوب التى تزيل النعم عصيان العارف والتطاول على الناس والاستهزاء
والسخرية منهم والذنوب التى تورث الندم القتل فانه يورث الندامة فى الدنيا والاخرة كما قال الله تعالى

في قابيل حين قتل اخاه هابيل فاصبح من النادمين والندامة الاخروية ظاهرة لشاهدين الخلود في النار وشدة العقوبة وليت ندامة غيره من العاصي مثل ندامته حتى كان الندامة منحصرة فيه والتي تزيل النعم الظلم الظلم على عباد الله يوجب نزول عقوبته ولزوم نقمته على الظالم ولو بعد حين وقد خرب الله تعالى ديار الظالمين وافنى اولادهم واموالهم كما هو معلوم من احوال فرعون وهامان واحوال بني امية وبني عباس وغيرهم من المشهورين بالظلم وهذه عقوبة دنيوية واما الاخروية فعدة لهم لا يعلمها الا هو والتي تهتك الستور شرب الخمر لان الله تعالى كشف الغطاء من الاعمال القبيحة لشارب الخمر وزيل الحياء عنه فلا يرى قبح شيء من الاشياء ولا يبالي باقبح الاعمال ومن كان بهذه الصفة فهو حري بان يهتك ستره عند المقربين ويظهر عيبه عند الخلايق اجمعين والتي تحبس الرزق الزنا لان قوة الباه من كثرة الرزق ولذلك تضعف بالصوم ونحو ذلك من الرياضات النفسانية فالزاني اذا صرف قوته في غير محله استحق ان يحبس عنه الرزق والتي تعجل الفناء قطيعة الرحم وقد مر تحقيق ذلك في باب صلة الرحم وقطعها والتي ترد الدعاء وتظلم الهواء عقوق الوالدين لعل الهواء الفضاء بين الارض وبين السماء واظلام العقوق له مبالغة في ظلم العقوق وقبحه ولا يبعد ان يجعل كناية عن ان يمنع القلب عن ادراك الحق واما انه يرد الدعاء فلان قبول الدعاء منوط برضاء الله المنوط برضاء الوالدين فاذا تحقق العقوق انتفى ذلك فينتفي القبول ولا ينافي ذلك ما روي من ان الله تعالى يقبل دعاء العدو والفاسق سريعا كراهة سماع صوتهما لان هذا ليس بكلي على انه يمكن تخصيصه بغير العقوق قوله نعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء وتقرب الاجال وتخلي الديار وهي قطيعة الرحم والعقوق وترك البر الظاهر ان النشر على الترتيب اللف ويحتمل تعلق كل احد بكل واحد ولعل المراد بالبر بر الوالدين ويحتمل الاعم قوله قال ابو عبد الله عليه السلام اذا فشا اربعة ظهرت اربعة فيه تنبيه على ان للذنوب والاعمال الخارجة عن اوامر الله تعالى تاثيرا في رفع الرحمة وسر ذلك ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من قبله وانما ذلك بحسب عدم الاستعداد والقابلين الكسبي وقلته وكثرته وظاهر ان المقبلين الى الدنيا وشهواتها المرتكبين لمحارم الله معرضون عنه غير لائذين برحمته بل مستعدون لضد ذلك اعني سخطه وعذابه بحسب استعدادهم بالانهماك في محارمه والجور عن سبيله وحري بمن كان كذلك ان لا تناله البركة ولا تفاض عليه الرحمة واذا الحدود اديل لا اهل الشرك من اهل الاسلام الاخفار نقض العهد والادالة النصرة والغلبة يقال اديل لنا على اعدائنا اي نصرنا عليهم وصارت الغلبة لنا والمقصود ان المشركين يغلبون على اهل الاسلام واذا منعوا

منعوا الزكوة ظهرت الحاجة اي حاجة الفقراء او حاجة الاغنياء ايضا لان الزكوة سبب لبقاء المال ونموه فاذا منعوها تلفت اموالهم قوله قال الله عز وجل ان العبد من عبيدي المؤمنين ليذنب الذنب العظيم مما يستوجب به عقوبتي في الدنيا والاخرة فانظر له فيما فيه صلاحه في آخرته فاعجل له عقوبته في الدنيا لاجازيه بذلك الذنب اي بالابتلاء في الدنيا ليكون كفارة لذنبه وهو مع كونه مستحقا له رفع الله عنه ذلك البلاء تفضلا ونظرا الى بعض نوافله فعفى عن ذنبه في الدنيا والاخرة وقوله فاعجل له العقوبة اشارة الى الارادة بتعجيل العقوبة الدنيوية وتقديرها وقضائها ليكون جزاء لذلك الذنب وكفارة له ثم لم يبعد القضاء حين جعله موقوفا على الامضاء اذ لا يوجد شيء في الخارج بدون الامضاء ثم امسك عن الامضاء وعفى عن ذلك الذنب رحمة وتفضلا ونظرا لبعض نوافله لئلا يرد عليه المشاقة والمكروه وقوله فاصرف ذلك البلاء عنه اشارة الى رفع البلاء الدنيوي اعني العقوبة المقدرة المذكورة وقوله وقد قدرته اشارة الى زيادة الامتنان حيث تفضل عنه البلاء المقدر المقضي الذي هو قريب الوقوع وقوله ثم اكتب له اجر نزول ذلك البلاء اشارة الى آخر فوق المذكور وهو انه اثابه لاجل ذلك البلاء المقدر المقضي مع عدم نزوله ثوابا عظيما كان المراد بنزول البلاء نزوله على سبيل الفرض ولعل المراد بتوفير الاجر اجر ذلك الذنب حيث عفى عنه واجر ذلك البلاء المقدر او اعطاه اجره بعشر امثاله وقوله ولم يشعر به اشارة الى ان له من الله تعالى الطافا خفية مع عدم علمه بها وقوله وانا الله الكريم الرؤف الرحيم اشارة الى ان مبدأ جميع هذه الالطاف هو هذه الاوصاف هذا ويحتمل ان يراد بتعجيل العقوبة الدنيوية وقوعها وامضاؤها وبتقدير عقوبة ذلك الذنب تقدير عقوبته الاخروية مع العفو عنها وعدم امضائها ولكنه بعيد والله يعلم قوله قال سالت ابا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير قال هو اي ابو عبد الله عليه السلام ارايت هذا وليس اردت اراد انما اصاب عليا عليه السلام واشباهه من اهل بيته من ذلك فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوب الى الله في كل يوم سبعين مرة التوبة وهي الرجوع مما يوجب الغفلة من الحق اليه كما يكون من الكفر والمعصية كذلك يكون من الغفلة عن ذكر الحق ولو لحظة اليه فانها اصل من اصول المعاصي ولو فرض عدم الغفلة اصلا وولم اشتغال القلب بالذكر والتفكر فلا ريب في ان مقامات الذكر متفاوتة لاجل الاشتغال بالامور الضرورية الدنيوية مثل المشارب والمناكح وغيرها فالكون في الدرجة التحتانية نقص بالنسبة الى الكون في الدرجة الفوقانية ولا ريب في ان التوبة منه ايضا مطلوبة ولعل توبته صلى الله عليه وسلم كانت من هذا القبيل اذا عرفت هذا فنقول لما اقتصر السائل بذكر بعض الآية وذكر قبحها باثرها اشار السائل بقوله وليس هذا اردت

٢٥٢

اردت اعتذار العدم ذكر بانها الى مراده من السؤال غير متعلق بالباقى وانما هو متعلق بما ذكره وهو ان اصاب

عليا و اهل بيته الطاهرين مصيبات عظيمة وهى ليست بما كسبت ايديهم لانهم معصومون من الذنوب

او نقول المادلت الاية على ان كل معصية بسبب كسب الذنوب ولزم منه انه متى تحقق الكسب تحقق المصيبة مصيبة ظ

لامتناع تخلف المعلول عن علته وحاصل اصل السؤال على هذا الاعزم واشار بقوله ويعفو عن كثير

الى ان كسب الذنوب ليس علة مستقلة للمصيبة وانما هو موجب لاستحقاقها واستحقاقها لا يوجب حصولها

بل الله تعالى يغفر اكثر الذنوب بلا مصيبة قال السائل ما اردت هذا بل اردت ان مصيبة على وعترته الطاهرين

هل هى بسبب ذنوبهم كما تقتضيه منطوق الاية فاجاب عم بان رسول الله صلعم كان يتوب الى الله فى كل

يوم سبعين مرة من غير ذنب وهذا الجواب يحتمل وجهين احدهما ان المصيبة قد تكون من غير ذنب كما ان

التوبة قد يكون من غير ذنب والغرض منهما زيادة الثواب ورفع الدرجات وح حكم الاية جار فى غيرهم عليهم

السلم والخطاب غير شامل لهم كما سيجئ وثانيهما ان المكتسب اعم من الذنب وغيره كما ان التوبة اعم من ذنب

وغيره فان حسنات الابرار سيئات المقربين والفرق بين الجوابين تخصيص الحكم والمكتسب فى الاول وتعميمها

فى الثانى والله اعلم فقال على بن الحسين عليهما السلم ليست هذه الاية فينا ان فينا قول الله عز وجل ما اصاب

من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير مصيبتهم واقعة فى

اهل الارض والخطاب لهم والكتاب اللوح المحفوظ والضمير فى نبرأها اى نخلقها للمصيبة او الارض

او الانفس او المخلوقات وذلك اشارة الى اثباتها وحفظها وهو يسير سهل على الله سبحانه وان كان عسيرا صعبا

على غيره والمقصود ان مصيبتنا قدره الله تعم لنا من غير ذنب ليأجرنا بها ويرفع درجاتنا عنده والله اعلم قوله

ان الله ليدفع بمن يصلى من شيعتنا عمن لا يصلى ولو اجمعوا على ترك الصلوة لهلكوا لعل المراد بالهلاك الهلاك

الدنيوى وهو الاستيصال فيدل على ان وجود الصلحاء سبب لبقاء الاشقياء ولعل الدفع والهلاك غير

مختصين بفعل الواجبات المذكورة وتركها مع احتماله ولعل المراد بقوله عم فوالله ما نزلت الا فيكم ان

تنزيلها فيكم وانكم مقصودون اولا وبالذات فلا ينافى شمول تأويلها للغير قال امير المؤمنين عم ترك

الخطيئة ايسر من طلب التوبة لظهور ان ترك الفعل اسهل من الفعل ولصفاء النفس قبل فعل الخطيئة و

تكدرها بعده والترك مع صفائها واستعدادها له اسهل من الفعل مع تكدرها وزوال استعدادها له و

بالجملة الذنب يسود لوح النفس ويوردها فى مهاوى الهلاك فكانت مخالفة ح اصعب وكم من شهوة

ساعة اورثت حزنا طويلا وهو الحزن بعد الموت بمشاهدة سوء العاقبة ابدا او قبل الموت ايضا فان اللذة

الشهوة

الشهوة كثيرا ما يحزن بعد انقضائها حزنا شديدا لعلمه بقبح متابعتها وظهور اثارها والموت فضح الدنيا فلم يترك لذى لب

فرحا فضح فانفضح اى كشف عن مساويه يعنى ان الموت كشف عن مساوى الدنيا او مساوى اهلها اذ بعد الموت يعلم

ان شهواتها التى دعت اربابها الى الهاوية وغرورها وزهراتها التى حرضت اصحابها على طلبها ميتا وزورا صورتها فى

نظرهم باحسن الصور حتى مالوا اليها بكل الميل والنظر وهى فى نفس الامر كحياة مهلكة وعقارب موذية فلم

يترك الموت لذى لب وعقل يدرك شناعة اواخر الامور فى اوائلها وقباحة نهاية الشهوات فى بدايتها وكمال بوائق

الدنيا وغوائلها فرحا وسرورا يوجب فراغ باله ورفاه حاله لعلمه بان الدنيا قد غرت كثيرا من الاذكياء وانزلتهم

فى منازل الاشقياء فهم بعد الموت هالكون وفى الحسرة والندامة دائمون ويمكن ان يراد ان اصل الموت فضح الدنيا

لكشفه عن عدم وفائها لاهلها بالبقاء او ان الموت الامة الماضية وتركهم الدنيا وزهراتها واشتغالهم باعمالهم

بعد الموت فضح الدنيا بعدم الوفاء لهم وفيه على المقادير فى ذكر الموت فانه يوجب ترك الدنيا والركون اليها قوله

٢٥٤ قال ابو عبد الله عم ان الله اذا اراد بعبد خيرا فاذنب ذنبا اتبعه بنقمة ويذكره الاستغفار اه العبد اذا كان خيرا

صالحا مائلا الى النجاة والسعادة وعلم الله ذلك منه فاذنب ذنبا اتبعه الله تعالى بنقمة ويلهمه انها لاجل

ذلك الذنب ويذكره الاستغفار منه ليستغفر فيغفر له واذا كان شريرا مائلا الى الفساد والشقاوة وعلم الله

منه فاذنب ذنبا فاتبعه الله عز وجل بنعمة لينسيه الاستغفار منه ويتمادى بها فى الغى والضلال وهو

قول الله عز وجل سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واستدراجهم بايصال النعم اليهم عند اشتغالهم بالمعاصى

والاستدراج قيل هو الاخذ على الغرة من حيث لا يعلم وقيل هو ان تتابع على عبده النعم ابلاء فما العجز و العبد مقيم

على الاساءة فيصير محل المعصية فيزداد بتواتر النعم عليه غفلة ومعصية وذهابا الى الدرجة القصوى منها

فيأخذه الله بغتة على شدة حين لا عذر له كما ترى الراقى فى الدرج فيندرج شيئا بعد شئ حتى يصل الى العلو

فيسقط منه وفيه تخويف المنعم عليه بالاغترار والنسيان وحمل ذلك على الالطاف والاحسان وتذكير له باحتمال

ان يكون ذلك استدراجا ليأخذه على الغرة والشدة فوجب ان يستيقظ من سنة غفلته وينظر الى مآل

حاله ويترك انهماكه فى غيه وضلاله ويبتهل الى الله سبحانه ويتضرع بين يدى رحمته لعل الله يرحمه ويجعل

ذلك رحمة ونعمة عليه فان الله سبحانه يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب واليه يرشد قول امير المؤمنين عم

ايها الناس ليركم الله من النعمة وجلين يعنى اذا انعم الله عليكم فى الدنيا ينبغى ان تكونوا خائفين وجلين لاحتمال

ان يكون ذلك استدراجا لكم فى الفتنة وقوله ايضا انه من وسع عليه فى ذات يده فلم ير ذلك استدراجا فقد امن مخوفا

يعنى ان من وسع عليه النعمة فلم ير ان ذلك استدراج فقد امن من الفتنة وغفل عنها فوجب عليه ان يرى

بعين البصيرة مال الحال وان ذلك استدراج وامهال من الملك المتعال كي يرجع عن الضلال وينفق ذلك
المال في وجوه الخير فقال هو العبد يذنب الذنب فيملى له الاملاء الامهال قال الله تعالى واملي لهم ان
كيدي متين واشتقاقه من امليت بمعنى امهلت واخرت واطلت له مدة و زمانا والاملاء اعظم الابتلاء
بسببه يصدر عن المبتلى جرايم غير محصورة ومعاصي غير محدودة قوله قال كم من مغرور بما قد انعم الله عليه
كم للاخبار بكثرة مغرور بالنعمة ومستدرج مستور عليه ومفتون بالمعصية ممدوح بين الناس وهذا
حال اهل الدنيا فان المنعم بالنعم المتواترة غافل عن المبدا والمعاد واحوال النفس ومن اراد الله عز وجل
استدراجه يستر عليه قبايح اعماله حتى يتدرج فيها الى الدرجة العليا فياخذه بغتة من حيث لا يدري اخذا
شديدا والمفتون بالمعصية والدنيا يثني عليه اكثر الناس اما طمعا لما في يده او خوفا منه او ميلا الى
المعصية فلا يحكون بقبحها كما هو المعلوم في عصرنا هذا وفيه تنفير عن الميل اليهم والحاظ طريقهم قوله قال
كان امير المومنين ع يقول انما الدهر ثلثه ايام انت فيما بينهن اليوم الذي اصبحت فيه وهو يومك الذي ينبغي
لك ان تعمل فيه واليوم الذي قبل هذا اليوم وهو يشمل كل يوم قبله وهو المراد بالامس الماضي لا خصوص
يوم واحد قبله واليوم الاتي بعد هذا اليوم كك وهو المراد بالمستقبل مضى امس بما فيه فلا يرجع اليه
ابدا فان كنت عملت فيه لم تحزن لذهابه وفرحت بما استقبلته منه آه يتحقق الفرح والحسرة بالعمل والتفريط
ويتضح حق الوضوح وقت كشف الاستار وهو وقت الموت وما بعده وبالجملة الحسرة هي الحزن بفوت المحبوب
والفرح هو السرور بحصوله واجب الاشياء هو انفعها وانفعها عند الموت هو الطاعات والخيرات لانها
معه دايما وثوابها يعود اليه ابدا فاذا اتى بها فرح ويزداد الفرح عند كشف الغطاء واذا فرط فيها مع
علمه بقدرها ومنافعها اشتدت حسرته لذهاب وقتها وحرمانه عن منافعها وفيه تحريص على محافظتها
واداءها في اوقاتها ورعاية حقوقها وانت في يومك الذي اصبحت فيه من غد في غرة من الابتداء والغد
اول النهار والغرة بالكسر الغفلة اي انت في اليوم الذي اصبحت فيه في غفلة من غد لا تدري تبلغه ام لا
وعلى تقدير البلوغ لا تدري ما حظك فيه فاغتنم الوقت الذي انت فيه كما اشار اليه بقوله وانما هو يومك
الذي اصبحت فيه الضمير راجع الى الدهر او الى اليوم على احتمال وفيه ترغيب في حفظ النفس من الاعمال المفسدة
الفاسدة وحبسها على الاعمال الصالحة كما اشار اليه بقوله وقد ينبغي لك ان عقلت وفكرت فيما فرطت الى
آخره والظ ان مجموع الشرط والجزا وهو فاعل امال يجل فاعل ينبغي يعني ينبغي لك التفكر فيما فرطت في الماضي
بترك الحسنات وفعل السيات مع عدم الوثوق بادراك المستقبل وعدم اليقين بفعل الحسنة وترك السيئة

فيه

فيه على تقدير ادراكها فان هذا يوجب العمل في يومك الذي اصبحت فيه تداركا لما فات وتلافيا لما هو آت
وانت ايها اللبيب اذا اعتبرت وتفكرت فيما ذكر بعين البصيرة وتيقنت انك قد سهوت في صرف ما مضى من
عمرك في قنيات الدنيا وشهوات النفس حفظت ما بقي من عمرك في صرفه في الفاسد المفسد ولا يخفى ان ذلك
يحصل للمستيقظ الناظر الى النفس في جميع حركاتها وسكناتها المتمسك بذيل العناية الازلية وحبل رحمتها
العارف بان عمره في هذا اليوم راس ماله وهو ينقص وينقضي بالتدريج ويجبر فيه ذكر الحق باحياء الطاعات
وانواع العبادات فيحذر له بفوت الربح وراس المال جميعا والله ولي التوفيق قوله ليس منا من لم يحاسب نفسه في
كل يوم فان عمل حسنا استزاد الله وان عمل سيئا استغفر الله وتاب اليه محاسبة النفس ضبط الانسان على
نفسه الاعمال الخيرية والشرية ليحليها بما ينبغي ويخليها عما لا ينبغي وينبغي ان يكون حال العقل مع النفس كحال
الانسان مع الشريك فينبغي ان يتولى حسابها في كل يوم وينظر الى قيامها وقعودها واكلها وشربها
٢٥٥ وحركتها وسكونها في الاعمال الظاهرة والباطنة ويزن جميع ذلك بميزان الشرع ليعلم مداخل الزيادة و
النقصان كما ان التاجر يضبط ذلك بشريكه ويفتش عن حساب الدنيا بالحبة والقيراط ويحفظ مداخل
الزيادة والنقصان ولا بد ان يجعل الانسان ليله ونهاره اربعة اجزاء جزء لمحاسبة النفس وجزء لمناجات
الرب وجزء لتدبير المعاش وجزء للاستراحة والاستمتاع بما ابيح له قوله لا يغرنك الناس من نفسك فان
الامر يصل اليك آه لما كان اكثر الناس في غفلة كما قال امير المومنين ع الناس نيام اذا ماتوا انتبهوا
حذرك اولا عن متابعتهم وتقريرهم اياك وعلل ذلك بان امرك في الغفلة واليقظة انما يصل اليك لا
اليهم فترحم على نفسك ولا تتبعهم في اعمالهم ونهاك ثانيا ان تصرف عمرك في نهارك الذي انت فيه
تعد على العمل فيما صرفوا فيه اعمارهم من المباحات والمحرمات وعلل ذلك بان امرك في الغفلة محفوظ معك من
عليك عملك وسترى ما عملت من خير و شر حاضرا فينبغي ان تقول هذا يوم جديد قد امهلني الله فيه ولو
قصرت فيه لقلت بعد الموت رب ارجعني لعلي اعمل صالحا فاحسب انك رددت فيجتهد فيه واعمل عملا صالحا
وامرك ثالثا بالاحسان الى نفسك بتزكيتها او احسان العبادة بفعلها في اوقاتها مقرونة بآدابها وشرايطها
المعتبرة في صحتها وكمالها وعلل ذلك بانها ادركت من تام الذنب قديم اي يتدارك بها ذلك الذنب وطالب سريع
له ليدفعه مني في ذاتها طاعة توجب اجرا جزيلا ومحبطة لذنب سابق كما قال عز وجل ان الحسنات يذهبن
السيات وانما هي ساعتك التي انت فيها اي ما دنياك الا ساعتك التي انت فيها وتحمل شدايد الصبر فيها
السرور الابد سهل عند من آمن بالله واليوم الاخر وطلب الشهوة فيها يوجب حزنا كما دل عليه قوله ع فيما مر كم

من شهوة ساعة اورثت حزنا طويلا قوله قال ابو عبد الله عم لرجل انك قد جعلت طبيب نفسك وبين لك الداء
وعرفت آية الصحة آه المراد بالداء الداء النفساني والبدني من الامراض القلبية والاعمال الفاسدة البدنية و
بالدواء اضداد ذلك الامراض والاعمال وبآية الصحة الايمان على احتمال فاذا عرفته وعرفت الداء والدواء
فكن طبيب نفسك وعالج كل داء بضده من الدواء كما اشار اليه بقوله فانظر كيف قيامك على نفسك فاذا اقمت
على الداء ولم تعالجه بالدواء فقد قتلت نفسك ومن قتل نفسه فجزاؤه جهنم خالدا فيها قوله قال ابو عبد الله عم
لرجل اجعل قلبك قرينا برا وولدا واصلا واجعل عملك والدا تتبعه آه القرين البار المصاحب الصالح وهو
الذي يهديك الى ما ينفعك ويمنعك عما يضرك والولد الواصل هو الذي لا يفعل ما يؤذيك لم وقد
شبه القلب اعني العقل بهما للتشارك بينه وبينهما في هذا المعنى وشبه العمل الصالح بالوالد لانه موصل
الخير العظيم والنفع الجسيم اليه كالوالد وشبه النفس الامارة بالعدو لانها اعدى عدو للانسان فلا بد
من قتل متمنياتها القاتلة وشهواتها الباطلة لتطيع العقل فيما يامرها به وينهاها عنه وشبه المال بالعارية
في قطع التعلق به او في انه ليس فيه الا المشقة قوله واسع في فكاكها كما تسعى في طلب المعيشة اراد به السعي فيما
يوجب فكاكها وهذا وان كان ينبغي ان يكون ازيد واكمل من السعي في طلب المعيشة لان التفاوت بينهما
بقدر التفاوت بين الدنيا والاخرة الا ان طلب المعيشة في اكثر الناس لما كان ازيد واكمل وقع التشبيه به
في اصل السعي لظهوره او في قدره على سبيل التنزل فكانه قال ينبغي ان لا يكون سعيك في فكاكها اقل من سعيك
في طلب المعيشة كما هو شان اكثر اهل الدنيا ثم علل ذلك ورغب في العمل بقوله فان نفسك رهينة بعملك رهينة
بمعنى فاعل اي ثابتة مقيمة وقيل بمعنى مفعول اي نفسك مقامة في جزاء ما قدم من عملك ولما كان الرهين
يتصور منه الحبس استعير ذلك للمحتبس اي شيء كان قال الله تعالى كل امرئ بما كسب رهين قوله قال ابو عبد الله
عليه السلم كم من طالب للدنيا لم يدركها ومدرك لها قد فارقها يعني ان طالب الدنيا يكون بين حزنين احدهما
عدم النيل بمطالبه والثاني النيل مع فراقها فان الحريص على الدنيا اذا جمعها كان عليه من وراء ذلك فراق ما
جمع ونقض ما ابرم بهادم اللذات ولا حسرة اعظم من ان يضيع احد عمره فيما يتركه لغيره ويكون الحساب والعقاب
عليه ثم نفر عن الدنيا ورغب في الآخرة على وجه آخر بقوله المسجون من سجنته دنياه عن آخرته اي حبسته وهو
الذي اشتغل بزهرات الدنيا عن امر الآخرة وعلق قلبه عليها فيذكر الموت وليس له شيء منها قوله وليس ابن
الاربعين باحق بالحذر من ابن العشرين فان الذي يطلبهما واحد وليس براقد فان وجه لعدم الاحقية وذلك
لان الاحقية اما باعتبار ان طالبها متعدد فيمكن ان يتفاوت الطلب ويتفاوت بتفاوته الحذر بالشدة والضعف و

او باعتبار

٢٥٦

او باعتبار ان طالبهما واحد صالح للرقود والغفلة فيغفل عن الثاني دون الاول او باعتبار ان طلب الموت لاحدهما
اقرب من طلبه للآخر ويمكن ادراجه في الاعتبار الاول وليس شيء من هذه الاعتبارات فانتفت الاحقية
والمراد بترك فضول القواعد عدم التكلم به وعدم استماعه لان ذلك مفسد للسان والسمع والقلب و مانع
عن ادراك الحق واستقراره في القلب ويمكن ان يراد به التسويف والقول بانه سيعمل فيما ياتي من الزمان قوله
قال ابو عبد الله عم خذ لنفسك من نفسك خذ منها في الصحة قبل السقم وفي القوة قبل الضعف وفي الحيوة قبل
الممات لما كان كل من السقم والضعف يكثر الشيء والموت مانعا من الاعمال الحسنة وكانت القدرة في اضدادها
وهي الصحة والقوة والحيوة امر عليه السلم بالمبادرة الى تلك الاعمال في حال الاقتدار عليها فان الفرصة غنيمة و
الاعمال نافعة والندامة غير مفيدة قوله قال ان النهار اذا جاء قال يا ابن آدم آه قال ذلك بلسان الحال او بلسان
المقال قوله قال امير المؤمنين عليه السلم ايها السائل استمع ثم استفهم ثم استيقن ثم استعمل الامور الاربعة
مترتبة فان العمل موقوف على اليقين واليقين موقوف على الفهم والفهم موقوف على الاستماع من اهل العلم
واعلم ان الناس ثلثة زاهد وصابر وراغب وجه الحصر ان الانسان اما ان يخرج حب الدنيا عن قلبه اولا
والثاني اما ان يمنع نفسه عن تحصيلها اولا فالاول زاهد والثاني صابر والثالث راغب فاما الزاهد
فقد خرجت الاحزان والافراح من قلبه اي خرج الحزن بفوات الدنيا والفرح بحصولها من قلبه فلا يفرح
بشيء من الدنيا ولا ياسى على شيء منها والاسى بالفتح والقصر الحزن اسى ياسى من باب علم اسى فهو آس و
المقصد ان قلب الزاهد متعلق بالله وبامر الآخرة لا بالدنيا فلا يفرح بشيء منها ياتيه ولا يحزن على شيء منها
فاته لان الفرح بحصول محبوب والحزن بفواته وشيء من الدنيا ليس بمحبوب عند الزاهد التارك لها بالكلية
فهو مستريح في الدنيا والآخرة اما الدنيا فلخلوه من مشاق الكسب وشدائده وشدائد الصبر واما الآخرة
فلنجاته من الحساب والعقاب ولو اطلعت على قلبه لعجبت من عفته التعجب منشأه من ادراك امر غريب وهو
عفته من الدنيا التي يتمناها امثاله وسبب العفة وهو ملاحظة كاملة بينه وبين الله تعالى ولا يعلم تلك
الملاحظة الا هو والحزم جودة الراي ولا يبالي ما دنى منها عرضه عرض الرجل ما ينبغي ان يصونه من نفسه و
حسبه ويحامي عنه ان ينتقص ويثلب وقيل عرض الرجل نفسه وبدنه لا غير وقد بين ان الراغب في
الدنيا لا يبالي بتوسخ عرضه الظاهري في هذا العالم وذهاب عرضه الباطني في عالم الارواح ولا
باهلاك نفسه بابطال استعدادها للكمال وجعلها مستعدة للعقوبات ولا باذهاب مروته وهي كمال
الرجولية لاخراج طوره عن طور الاحرار ثم شبه الدنيا بالبحر الزاخر والراغب فيها بالغريق المضطرب فيها

حته ولتام

لايضاح المقسم وتصوير المعقول بصورة المحسوس فقال وهم فى غمرة يضطربون غمرة تحتى وينادى وكره
وآن قدرآى كربه شاهد قامت بها وقد يراد بها الشدة واعلم ان المحب للدنيا الذى لايبالى من اين جائر فى
غمرات متعددة وشدايد مختلفة اولها الشدة فى جمعها وحفظها وثانيها الشدة فى مفارقتها عند الموت و
بعده كفراق المحب عن محبوبه وثالثها الشدة بالاخلاق الرذيلة اللازمة لحبها فان كل واحد منها فى الحجبة
جوهر النفس تشينها ورابعها شدة الحرمان عن قرب الحضرت الربوبية وبعده عن مشاهدة جلاله وكماله
وخامسها شدة العقوبة بالنار فهو فى ظلمات الشدايد بعضها فوق بعض قوله فكونوا فيما اخبركم الله
عز وجل كمن عاين كما ان امر من عاين الشئ هو اليقين كذلك امر من سمع اخباره عز وجل هو اليقين به
اذ لاكذب قطعا فى اخباره تم بل هو اولى باليقين لامكان الغلط فى الحس وان لم يقع بخلاف اخباره
عز وجل فانه لايتصور فيه الغلط اصلا قوله ان قدرت ان لاتعرف فافعل ترغيب فى الاعتزال بقدر
الامكان لان التخلص من الافات الدينية والدنيوية فيه وفى الشهرة افات عظيمة لاينجو منها الامن
عصمه الله تم وقوله واذا كنت متعلق بكل واحد من الامرين اعنى عدم لحوق الضرر بذم الناس وعدم
ثنائهم ولما كان المحمود عند الله المواره غير لحوار الناس وهم لايتيقنون بل يذمونه لذلك تسلاه بانه
لايعود اليه ضرر بذلك اصلا ولعل المراد بالعيش الحيوة الدنيوية او الاخروية وبالرجل الاول رجل لم يذنب
اصلا وبالثانى رجل يذنب ويستغفر بتر قوله عن الحكم بن سالم قال دخل قوم فوعظهم الواعظ غير معلوم
ع قال ما منكم من احد الا وقد عاين الجنة وما فيها وعاين النار وما فيها ان كنتم تصدقون بالكتاب لعل
المراد ان فى الكتاب احوال الجنة ودرجاتها وما فيها واحوال النار ودركاتها وما فيها والله سبحانه اصدق
الصادقين فمن صدق بالكتاب كان كمن عاينهما وما فيهما ومن عاينهما يترك المعصية قطعا فمن ادعى
التصديق بالكتاب وعصى ربه فهو كاذب فى دعواه قوله قال سمعت ابا الحسن ع يقول لاتستكثروا كثير
الخيراذا استكثار الخير يوجب العجب والفخر والادلال والاعتماد بخروج النفس عن حد التقصير وكل ذلك
مهلك وايضا من عرف الله وعظمته علم انه لم يعبده حق عبادته وانه مقصر غاية التقصير فكيف يستكثر
عبادته فالعابد وان بالغ فى العبادة ينبغى ان يستقل عبادته ويحكم بتقصيره فيها ويخاف من عدم قبولها
حيث لاعلم له بالرد والقبول ولا تستقلوا قليل الذنوب آه اذ اعتقاد قلة الذنب فى الكم والكيف ذنب والاستمرار
عليه ذنب آخر وهكذا ايضا هو لايبالى بالذنب ومخالفة الحق فياتى بذنب آخر وهكذا حتى يجتمع عليه
ذنوب كثيرة فيخرج عن حد الصغيرة ويدخل فى حد الكبيرة كما روى لاصغيرة مع الاصرار والاصرار كما يتحقق

بتابع

بتابع المعصية يتحقق بترك التوبة ايضا وخافوا الله فى السر يبتغى الخوف من الله فى السر والعلانية وانما
خص السر بالذكر لان الناس يتحولون فى السر ما لا يتحولون فى العلانية وايضا كل خايف فى السر خايف
فى العلانية دون العكس وايضا الخوف فى السر اشد على النفس فانما ذلك لكم ولا تدخلوا فيما الايحل
لكم فانما ذلك عليكم لما كان كل انسان طالبا المنافعه ودافعا المضاره حثهم على الامور المذكورة
والاجتناب عما لايحل بان بين ان منافع الاول له ومضار الثانى عليه وهذا وان كان بينا لكن فيه تنبيه
الغفلة قوله ما احسن الحسنات بعد السيئات وما اقبح السيئات بعد الحسنات اما احسن الاول فلان
فيه ابطالا للباطل ورجوعا منه الى الحق وتطهير النفس واما قبح الثانى فلان فيه ابطالا للحق ورجوعا
منه الى الباطل وتخبيث النفس وهذا كلام موجز يندرج فيه التوبة بعد المعصية والمعصية بعد
التوبة وكل خير بعد شر وكل شر بعد خير سواء كانا متضادين كالاحسان والاساءة ام لا كالصلوة
والشرب ونحوهما قال انكم فى آجال مقبوضة وايام معدودة والموت ياتى بغتة اشار بالوصفين الى
٢٥٧ ان الاجال والايام التى هى مدة العمر كانها قبضت وعدت بتمامها فينبغى لكم ان تفرضوا كل زمان انتم فيه
آخر عمركم والموت ياتى بغتة من غير شعور لكم بزمانه ثم رغب فى حسن الاستعداد لما بعد الموت بقوله من
يزرع خيرا يحصد غبطة آه الغبطة النعم والسرور والكلام تمثيل او تزرع استعارة تبعية بمعنى يعمل
والحصاد ترشيح والتنكير فى غبطة وندامة للتعظيم ولما كان المانع من الخير غالبا هو طلب الدنيا
زجرهم عن الوغول فيه بانه عبث عند العقلاء لان البطئ المقصر فيه لايفوته رزقه المقدر له والحريص
المنهمك فيه لايدرك ما لم يقدر له وبالجملة المقدار لكل احد ياتيه اراد اولم يرد وهذا كلام صحيح لاريب
فيه ولاينافيه وجدان الحريص زيادة لان تلك الزيادة ليست من قوته المقتدر هو اليه فى البقاء بل هو لغيره
والحساب عليه ثم اشار بقوله من اعطى خيرا الى ان العبد ينبغى ان لايتكل على قوته فى طلب الخير ودفع
الشر بل عليه تفويض اموره الى الله فى جميع لاحول ولا قوة الا بالله قوله فقال لا انكم عمرتم الدنيا واخربتم
الآخرة دل على ان تارك الدنيا وطالب الآخرة لايكره الموت ولايرضى بالبقاء فى الدنيا بل يريد فراقها
شوقا الى لقائه عز وجل لولا الاجل المكتوب عليه كما دل عليه ايضا قوله تعم قل يا ايها الذين هادوا ان
زعمتم انكم اولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال اما المحسن منكم فكالغايب يقدم
على اهله اراد ان المحسن آمن يقينا معز قطعا واما المسئ من اهل الايمان فهو بين خوف ورجاء ان
عذب فهو عدل وان رحم فهو فضل اللهم عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك وقوله يرد على

مع لا شديد الرأي او تخفيفها والاول اظهر قال اعرضوا اعمالكم على الكتاب آه يعني ان كنتم بررة عاملة بما
في الكتاب فحالكم عند الله حسن وانتم من اهل هذه الآية ان الابرار لفي نعيم وان كنتم فسقة فجرة فحالكم عند
الله قبيح وانتم من اهل هذه الآية وان الفجار لفي جحيم قال ان رحمة الله قريب من المحسنين دل اقرب الرحمة منهم
على انهم من اهلها قطعا ولا يبعد ان يعمهم منه ان تعلق الرحمة بهم اقرب لان الانسان وان كان محسنا فهو
بعد في حين التقصير يدل على ذلك ما روي انه لا يدخل الجنة احدا الا بالتفضل الطرفي شيء من العلم الطارف
والطريف من المال المستحدث والاسم منه الطرفة وهي ما يستطرف اي يستملح والطرف فلان اذا جاء بطرفة
ولكن ان قدرة على ان تشتري الى من تحبه فافعل الفعل المراد به هو الزجر عن اساءة المحبوب الحقيقي وهو الله عز وجل
بان لا يقابل نعماءه بالكفران ولا يبد لطاعته بالعصيان والتمثيل بالنفس لايضاح ما استبعده السائل و
هذه كلمة وجيزة لان الوفاء بمضمونها متوقف على علم الاخلاق والشرائع كلها مع الاعمال القلبية والبدنية في
طرها قوله اصبروا على طاعة الله وتصبروا عن معاصي الله لما كانت اللذة في فعل المعصية اكمل من اللذة في
ترك الطاعة كان الصبر على المعصية اشق على النفس من الصبر على فعل الطاعة ولذلك قال في الطاعة اصبروا
وفي المعصية تصبروا وهو تكلف الصبر وحمل النفس عليه ثم حرض على الصبر ببيان الثاني فقال فانما الدنيا
ساعة فما مضى فليس تجد له سرورا ولا حزنا اي فليس تجد له سرورا في اللذة الماضية ولا حزنا بفوتها
فالماضي بالنظر الى السلطان والفقير سواء وما لم يات فليس تعرفه لعل المراد به عدم معرفة اتيانه لامكان
نزول الموت قبله او عدم معرفة احواله فيه لامكان التقصير فيه او عروض مانع من العمل فاصبر على تلك
الساعة التي انت فيها بفعل الطاعات وترك المنهيات فكانك قد اغتبطت اغتباط تعني بعجمی شاد شدن
و آرزو بردن بنیکوی حال کسی تا او را مثل آن حال باشد ومن تفكر في هذا الكلام الموجز هونت عليه جميع
المصايب والمشاق والله هو الموفق والمعين قوله وخذ موعظتك من الدهر فان الدهر طويل قصير آه الموعظة
ما يتعظ به ويمنع من الدخول فيما سخط الله عز وجل ولما كان كل ما مضى وانقضى في الدهر حاضرا عنده حتى
كانه وديعة عنده امر باخذ الموعظة منه سريعا من غير تسويف فان الدهر مع طوله نظرا الى ذاته قصير نظرا الى
وجودك وهو الساعة التي انت فيها او نظرا الى انقطاعه فان كل منقطع قصير فهذا الدهر القصير لا يصلح
ترك اتخاذ الموعظة منه وتاخيرها عنه فوجب عليك ان تعمل فيه عملا بحضور القلب وكمال التوجه
حتى كانك ترى ثواب عملك في لوح نفسك فان ذلك اطمع لك في اجرك اذ الطمع بدون ذلك كالزرع بمقطو
والظاهر ان قوله فان ما هو آت علة للقصر وحاصله ان الآتي من الدهر كالماضي منه في عدم قدرتك

على العمل فيهما وانما قدرتك على العمل في زمان وجودك وهو زمان قصير فاغتنموا ما فيه كما ذكر والله اعلم
قوله وقال الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب آه الحلال لغة والحلال ما يجوز التصرف فيه شرعا
من الماكل والمشارب والمناكح والمراكب والملابس وغيرها وطلب الزايد على قدر الكفاف منها ورسوخ محبته
ذلك في القلب يمنع من اللحوق بالمجردين المعرضين عنها الذين لم يكتب في صحايف اعمالهم شيء منها ما يحاسبون
عليه حتى انهم يدخلون الجنة قبل هؤلاء بخمسمائة سنة او ازيد وما ذلك الا لكثرة حساب هؤلاء و
المراد بالروح الراحة ودينه التي طريقته في ترك الدنيا والاسم منه فانه يبعد عن الناس بها من طلب من
الدنيا اشبع بطنه ولا يرضى عنها ما يكفيه وهذه الكلمة وجيزة شاملة لجميع ما ينبغي فعله وما ينبغي
تركه من الاخلاق والاعمال وغيرها قوله ان اسرع الخير ثوابا البر وان اسرع الشر عقوبة البغي لعل
المراد بالبر هنا اللطف بخلق الله والاحسان اليهم وثوابه سريع يصل الى صاحبه في الدنيا ايض ويطلق كثيرا
ايضا على كمال الايمان والطاعة والعفة والتقوى والاعمال الجميلة كلها والبغي الظلم والعدوان على عباد
الله والفساد بينهم ويطلق على الزنا ايض وهذا الكلام لفظه اخبار ومعناه نهي عن ركوب هذه المعاصي وحث
على الانتهاء عنها وكفى بالمرء عيبا ان يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه او يعير الناس بما لا يستطيع تركه
او يؤذي جليسه بما لا يعنيه من البين ان الانسان يحب نفسه وان الحب لا يرى عيب من يحبه فلذلك
لا يبصر الانسان عيب نفسه ولو قلع عنه علاقة المحبة لابصر عيبه كما يبصر عيب غيره فينبغي ان يرجع
الى نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل به وباصلاحه ودفعه ولا يترك نفسه ويذم غيره وان عجز عن
اصلاحه فينبغي ان يعلم ان عجز غيره كعجزه ولو لم يجد في نفسه عيبا فهو من اعظم العيوب لان براءة النفس
من العيب جهل والجهل عيب عظيم وعلى تقدير عدمه فليشكر الله عز وجل على النزاهة ولا يلوث نفسه
بذكر عيب اخيه الذي هو اعظم العيوب والعلم بان تالم غيره بذكره عيب ذلك الغير كتالمه بذكر
ذلك الغير عيبه باب عظيم على ترك عيوب الغير ثم الظاهر ان المراد بما يعمى عنه من نفسه وما لا يستطيع
تركه الامر الاهم سواء كان من جنس ما في الغير ام لم يكن مع احتمال المماثلة وعلى التقديرين لا ينبغي
ان يعيب صاحبه لان عيبه اما ان يكون مثل عيب صاحبه او اكبر منه او اصغر فان كان الاول لا
ينبغي ان يكون له في عيبه لنفسه شغل عن عيب صاحبه وان كان الاخير فهو ممنوع ايض لانه يضيف الى
عيبه الاصغر عيبا اخر اكبر وهو الغيبة والتعيير قوله قال اناسا اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله
بعدما اسلموا فقالوا يا رسول الله ايواخذ الرجل منا بما كان عمل في الجاهلية بعد اسلامه آه الاظهر في

كان حديث عهد بالاسلام لان حب الاسلام ما قبله كان من مظالم الدين التي لا يحتمل ولعل المراد بالاسلام
الحسن ان يكون اعتقادا بالايكون فيه شوب شك ونفاق فقوله وصح يقين ايمانه تفسير له والمراد بالاسلام
السخيف ما كان فيه شك ونفاق والاسلام الحسن يجب جميع ما وقع في ايام الكفر من حق الله وحق البشر الا
ما خرج بدليل مثل مال المسلم الموجود في يده ثم الظاهر ان هذا حال الحربي الذي اسلم واما الذمي فلا يسقط
اسلامه ما وجب من دم او مال او غيره لان حكم الاسلام جار عليه على الظاهر والاسلام السخيف لا يجب
ما قبله لانه ليس باسلام حقيقة فيوخذ بالكفر الاول والآخر وبالعمل فيهما وفيه دلالة على ان الكافر مكلف
بالفروع كما انه مكلف بالاصول ويمكن ان يراد بالاسلام الحسن الاسلام الثابت الذي لا يعقبه
ارتداد وبالاسلام السخيف ما يعقبه ارتداد فاذا ارتد يوخذ بكفره الاول والاخر وهذا التفسير لا يخلو من
مناقشة لان الاسلام قد جب الاول فكيف يوخذ بعد الارتداد بالاول ويحكم بعود الزائل من غير سبب
ويمكن ان يدفع بان السبب هو الارتداد لانه اذا ارتد حبطت عمله ومن جملة عمله اسلامه السابق فاذا
بطل اسلامه السابق بطل جبه واذا بطل جبه يوخذ بالكفر الاول ايضا ضرورة ان المسبب ينتفي بانتفاء
السبب سيبه على انه يمكن ان يقال الذي يجب ما قبله هو الاسلام بشرط الاستمرار فاذا انقطع الاستمرار
بالارتداد علم ان هذا الاسلام لم يجب ما قبله فلا يلزم عود الزائل بل اللازم ظهور عدم زواله بالاسلام قوله
واعلم ان تفسير الاسلام بالطاعة بان يكون مع اعمال صالحة والاسلام السخيف بالمخالفة وجعل
وصح يقين ايمانه وصفا آخر للاسلام غير صحيح لانه يوجب ان يكون جب الاسلام ما قبله موقوفا
على الطاعة والعمل وليس الامر كذلك اذ لا دليل عليه ولم نعرف احدا يقول به من كان مؤمنا فعمل خيرا
في ايمانه ثم اصابته فتنة فكفر ثم تاب بعد كفره كتب له وحوسب بكل شيء كان عمل في ايمانه ولا يبطل به
الكفر اذا تاب بعد كفره الفتنة قد يكون من الشيطان وقد يكون من البشر وقد يكون من الله قال الله تعالى
وفتناك فتونا والمقصود من ذلك اظهار كمال المفتون ان صبر واظهار خبثه ان لم يصبر والفتنة اذا
اشتدت افسدت القلوب واورثتها القسوة والغفلة التي هي سبب الشقاوة فلذلك ذكر الفتنة وفرع الكفر
عليها وثم هنا للتراخي في الرتبة وفي قوله اذا تاب بعد كفره دلالة بحسب مفهوم الشرط ان ثبت انه حجة
على ان الكفر الذي لم يعقبه التوبة يحبط الاعمال الصالحة ويدل عليه ايضا قوله تعالى ولئن اشركت ليحبطن عملك
ثم الظاهر ان المراد بالاحباط على عدم ترتب الثواب الاخروي لان الكافر اذا عمل خيرا جزاه الله عز وجل في الدنيا
ان الله لا يضيع عمل عامل والحاق غير الكفر من المعاصي بالكفر في الاحباط بعيد بل لا يبعد القول بعدم الاحباط

لقوله

لقوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا اللهم اذا غلب المعاصي على الطاعة كما دل
عليه قوله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية وعدم
هذا الجزاء واطلاقه دل على ان توبة المرتد مقبولة وان كان فطريا وقد يخصص بالملي لروايات دلت على
ان توبة الفطري غير مقبولة والله اعلم ان الله عز وجل ضنائن يضن بهم عن البلاء فيحييهم في عافية
ويرزقهم في عافية ويميتهم في عافية ويبعثهم في عافية ويسكنهم الجنة في عافية الضنائن الخصائص
جمع ضنينة فعيلة بمعنى مفعول من الضن وهي ما تختصه وتضن به لمكانه منك وموقعه عندك
ومنه قولهم هو ضنّي من بين اخوتي اي اختص به واضن بمودته واعلم ان الله تعالى حكيم كل فعله
منوط بالحكمة فاذا علم ان بعض عباده لا يحتاج في اصلاحه الى البلاء رزقهم العافية وقد يعطي بعضهم
البلاء لزيادة الاجر ورفع المنزلة واذا علم ان بعضهم يحتاج الى البلاء ابتلاهم به قال رسول الله صلى الله عليه وآله
رفع من امتي اربع خصال آه اي رفع اثم البعض كما في الثلثة الاول ونفى البعض او حكم التكليف كما في الاخير
فان ما لا يطاق والتكليف به اعني الايجاب والندب غير موجودين في هذه الامة ثم انتفاء الاثم في الاولين ٢٥٩
لا ينافي بعض الاحكام لها كالضمان في خطاء الطبيب وقاتل النفس واعادة الصلوة عند نسيان الركن
وسجدة السهو والتدارك ونحو ذلك ويفهم من الرفع انهما يورثان الاثم والعقوبة ولكنه تجاوز
عنهما رحمة وتفضلا وهو غير بعيد والاكراه اعم من ان يكون في اصول الدين او في فروعه واعم من
ان يبلغ الوعيد حد القتل او غيره مما لا يحتمل عادة وهذا العام مخصوص اذ لا اكراه في قتل المؤمن ثم
استشهد لرفع الخصال المذكورة عن الامة بالاية الكريمة فان قلت الاية دلت على المواخذة والاثم بالخطاء
والنسيان والا لما فائدة الدعاء بعدم المواخذة فكيف يكون البلاء على الرفع المذكور قلت اولا قال
بعض المحققين السوال والدعاء قد يكون للواقع والغرض منه بسط الكلام مع المحبوب وعرض الافتقار
لديه كما قال الخليل الرحمن وابنه اسمعيل عليهما السلام ربنا تقبل منا مع انهما لا يفعلان غير المقبول وقلت
ثانيا قد صرح بعض المفسرين بان الاية دلت على ان الخطاء والنسيان سببان للاثم والعقوبة ولا
يمتنع العقلاء المواخذة بهما اذ الذنب كالسم فكما ان السم يودي الى الهلاك وان تناول خطاء فكذلك
الذنب ولكنه عز وجل وعد بالتجاوز عنه رحمة وتفضلا وهو المراد من الرفع فيجوز ان يدعو الانسان
به استدامة لها واعتدادا بها وقال بعضهم معنى الاية ربنا لا تواخذنا بما ادى بنا الى الخطاء او نسيان
من تقصير او قلة مبالاة فان الخطاء والنسيان اغلب ما يكون من عدم الاعتناء بالشيء وهذا وان كان

دافعا للايراد المذكور لان الدعاء بعدم المواخذة بسببها ليس دعاء بعدم المواخذة بما لكنه فيه شيء لا يخفى على
المتامل والاصر الذنب والعقوبة واصله من الضيق والحبس يقال اصره يأصره اذا حبسه وضيق عليه
وقيل المراد به الحمل الثقيل الذي يحبس صاحبه في مكانه والتكاليف الشاقة مثل ما كلف به بنو اسرائيل
من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع
المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن وقوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به تاكيد لما قبله
وطلب للاعفاء من التكليفات الشاقة التي كلفت بها الامم السابقة لا طلب للاعفاء عن تكليف ما لا
يتعلق به قدرة البشر اصلا فلا دلالة فيه على جواز التكليف بما لا يطاق الذي انكره العدلية وجوزه الاشاعرة
باعتبار انه لو لم يجز لم يطلبوا الاعفاء عنه وقوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان غير متغير عن اعتقاد
الحق وفيه دلالة على انه لا اثم على المكره لايقال الاستثناء من قوله تعم ومن كفر بالله من بعد ايمانه ومن شرطية
محذوف الجزاء اي فهو مفتر للكذب بقرينة ما تقدم فالاستثناء دل على ان المكره غير مفتر للكذب لا على انه
غير آثم لانا نقول المستثنى منه في معرض الذم والوعيد وهما منتفيان عن المكره بحكم الاستثناء فلا يكون المكره
من اهل الذم والوعيد فلا يكون آثما وما لا يعلمون كالصلوة مع نجاسة الثوب والبدن او موضع
السجود او في الثوب والمكان المغصوبين او ترك الجهر والاخفات في موضعهما او ترك القصر في السفر
وغير ذلك مما يعذر الجاهل فيه وهذا العام مخصوص اذ الجاهل في كثير من المواضع غير معذور كما ذكروا في
تضاعيف كتب الفروع وما اضطروا اليه سواء كان سبب الاضطرار من قبل الله تع كما في اكل الميتة وشرب
الخمر للمفتقر اليهما وشرب الحرام والتداوي به للمريض او من قبل نفسه او من قبل الغير كمن جرح نفسه او
جرحه غيره في شهر رمضان واضطر الى الافطار والطيرة وهي بكسر الطاء وفتح الياء او سكونها التشأم
بالشيء وهي مصدر يقال تطير طيرة وتخير خيرة ولم يجيء في المصادر هكذا غيرهما والاصل فيها ان العرب
اذا ارادت المضي لمهم مرت بمجاثم الطير واثارتها لتستفيد هل تمضي او ترجع ثم اجروها في السوانح
والبوارح من الطير والظباء وغيرها وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع ونهى عنه واخبر بانه
ليس له تاثير في جلب نفع او دفع ضر والوسوسة في التفكر في الخلق كالتفكر بانه تع كيف خلق الاشياء بلا
مادة ولا مثال او لاي شيء خلق ما يضر ولا ينفع بحسب الظاهر او لاي شيء خلق بعض الاشياء الظاهر في بعضها
عبثا او لاي شيء خلق الانسان من تفاوت او كيف هو الله سبحانه ومن خلقه وقد ورد انه اذا حصل لكم
هذا الوسواس فقولوا لا اله الا الله والحسد ما لم يظهر بلسان او يد الظاهر ان ما لم يظهر متعلق بالحسد فيفهم منه

ان

ان الحسد مع الاظهار يواخذ به ولا ينافي ذلك ما روي ان الحسد ياكل الايمان كما تاكل النار الحطب
لامكان حمله على الحسد مع الاظهار او على الترغيب في مجانبته ليحصل الايمان الكامل وان لم يكن
مواخذا به ويمكن ان يكون متعلقا بالوسوسة ايضا ليفهم ان الوسوسة موضوعة ما لم يظهر وقد
صرح به الشهيد في الدروس كما نقل عنه قوله هل لاحد على ما اعمال ثواب على الله بوجوب الا المومنين
قال الاول على وجوب الثواب للمومنين على الله سبحانه لا لعزهم وذلك لان الله سبحانه وعد
على العمل بشرائطه ثوابا فاذا تحقق العمل مع شرائطه التي من جملتها الايمان لزم الثواب وثبت هذا
معنى الوجوب على الله عز وجل خلافا للاشاعرة فانهم ذهبوا الى انه لا يجب على الله شيء وقالوا
يجوز ان يعاقب المطيع ويثيب العاصي وهذا القول يبطل الوعد والوعيد قوله فقال الزم ما لا
معه شيء كما لا ينفعك مع غيره شيء لعل المراد بالموصول الايمان وبالضرر الضرر الموجب للخلود في
النار وبالنفع النفع الموجب للدخول في الجنة وبالشيء الاول العمل القبيح وبالشيء الثاني العمل الصالح و
على هذا لا ينافي ما ورد من الاخبار من معاقبة المومن بالعمل القبيح واثابة الكافر في الدنيا بالعمل الصالح
وقد مر بعضها ويحتمل ان يراد بالشيء الاول ايضا العمل الصالح ويجعل التنكير للتصغير ويراد بالضرر النقص
لان العمل الصالح الصغير يجعل للمومن كبيرا ومثله يجري في الحديثين بعده وحديث ابن مارد
يويد احتمال الاخير والله اعلم قوله يا ايها الناس دينكم دينكم اي خذوا والزموا واحفظوا دينكم
والتكرير للمبالغة وفي قوله والسيئة فيه تغفر الى آخره اشارة الى ان السيئة من حيث هي سيئة ليست خيرا
من الحسنة من حيث هي حسنة بل الخيرية وعدمها باعتبار المغفرة وعدم القبول هذا آخر ما اردنا شرحه
من كتاب الايمان والكفر ويتلوه كتاب الدعاء ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين يا رب العالمين

كتاب الدعاء

الدعاء بالضم والمد الرغبة الى الله تع ومنه دعوة فلان اي ناديته وهو على اربعة
اقسام الاول ما يتعلق بالتحميد والتمجيد والتسبيح والتهليل الثاني ما يتعلق بطلب خير الدنيا ودفع مكارهها
الثالث ما يتعلق بطلب خير الاخرة والتوفيق لخيراتها والرابع ما يتعلق بالاثنين او الثلثة منها قوله
ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين ذليلين قال هو الدعاء اي
العبادة المذكورة في الاية الدعاء وتذكير الضمير باعتبار الخبر وافضل العبادة الدعاء العل السر في ان افضلية
العمل اما لانه اصل لغيره من الاعمال او لانه اصرح في الدلالة على الافتقار والحاجة الى الله تع والتبري
المرتبة عليه وكل هذه الاسباب للدعاء لان الدعاء وهي الرغبة اليه اصل لجميع العبادات اذ لو لم يتحقق

٢٦٠

باب فضل الدعاء

الرغبة لم يتحقق العبادة وكونه ادل على الافتقار ظاهر وثمرته طلب اللذات او طلب الخيرات ومن الخيرات
سائر العبادات فظهر انه افضل حتى عن تلاوة القران كما دلت عليه روايات أخر وقال النووي وغيره
علماء العامة تلاوة القران افضل منه الا في الاوقات التي خصصها الشارع كبعد صلوة الفجر الى طلوع
الشمس مثلا والظاهر ان القران ما كان من باب الدعاء فهو داخل في حكم الدعاء وما بقي منه فهو في حكم
سائر العبادات والله يعلم قال الاواه الدعاء الاواه المتضرع المتاوه والدعاء بتشديد العين الكثير الدعا وخصه
بالذكر في مقام المدح دل على كمال فضله قوله من ان يسال ويطلب مما عنده متعلق بالفعلين ومن للتبعيض
وانما اتى بها لان جميع ما عنده للجميع ولانه غير محصور فطلبه خارج من الاداب وما احد ابغض عند الله من
عز وجل ممن يستكبر عن عبادته ولا يسال مما عنده لما كان الاستكبار اشد القبائح المتصفة به ابغض الخلائق
وفي العطف اشارة الى ان الاستكبار كناية عن ترك السوال ولا يراد حقيقته اذ لا يستكبر احد من القائلين
بوجوده عز وجل حقيقة قوله يا ميسر ادع ولا تقل ان الامر قد فرغ منه اى لا يقل ان كل كائن مكتوب
في اللوح المحفوظ لا يتغير ولا يتبدل فمن علم الله انه يموت سنة كذا يستحيل ان يموت قبلها او بعدها
لان العلم معرفة المعلوم على ما هو به فلو مات قبلها لم يكن الله علم ذلك الاجل على ما هو به وانقلب العلم
جهلا والجهل على الله محال فاذا كان مضى الاجل لا يزيد ولا ينقص وكذلك الارزاق وسائر المطالب
التي يدعوها الانسان وهذه الشبهات التي ذكرها المبتدعة لعدم فائدة الدعاء واجاب عنها بوجهين احدها
ان الدعاء في نفسه مطلوب لانه عبادة جليلة تودى الى منزلة رفيعة عند الله ثم لا ينال تلك المنزلة
الا بمسئلة ودعاء وتضرع الثاني ان الكاين قد يزيد وينقص ويمحو اذا كان مشروطا بشرط مثلا تقدير عمره
ثلثين سنة ان لم يصل رحمه وستين ان وصلها ويقدر رزقه في يوم كذا درهما ان لم يدع ولم يطلب الزيادة
ويد رهمين ان دعاها وطلبها وهكذا باقي المطالب فح يجوز ان يكون الدعاء من جملة الشرايط للزيادة او لاصل
المطلب وكذا لو قدر نزول بلية عليه يوم كذا ان لم يتضرع اليه في دفعها فلا شبهة في ان حصول النجاة منها
مشروطا بالدعاء وبالجملة لوجود الكاينات وعدمها شروط واسباب والدعاء من جملتها بل اعظمها نعم يرد هذه
الشبهة على من يزعم انه لا فاعل الا الله ولا موثر سواه فانه يفعل بلا شرط ولا سبب ولا غرض وكما يرد على هذه
هذه الشبهة يرد عليهم ان لا فايدة في السعي الجميع الاعمال مثل الصوم والصلوة والحج والزكوة وغيرها لان كل
مقدر كائن قطعا ولا دخل لسعي العباد فيه وهم لجاوا عنها بتكليفات فقال السمعاني معرفة هذا الباب التوقف
لا النظر فيه نظر ضل وحار وهذا لا يزيل الشبهة بل اعتراف بورودها وقال الابي والقضاء وان سبق بكل

كل

كل ما هو كائن لكن استحقاق العبد للثواب وحصول المطالب ليس بلازمة بل موقوف على العمل والدعاء بمعنى
ان الفايز بالمقاصد ميسر للدعاء والعمل والمحروم ميسر لتركهما كما قال عم كل ميسر لما خلق وقال محي الدين
البغوي والكل وان كان مفروغا منه الا ان الله تعالى امر بالصلوة والصوم ووعد بانها تنجي من النار و
الدعاء بالنجات مثلا من جملة تلك العبادات فكما لا يحسن ترك الصلوة اتكالا على ما سبق من القدر فكذلك
لا يترك الدعاء بالمنافات قوله من لم يسال الله عز وجل من فضله افتقر اذ وقوع الاعطاء مع السوال يتحقق
لا بد وان يبنا على وجود شرط او وجود ما هو سبب لصيرورته مصلحة وهو السوال والطلب فترك السوال
يوجب الافتقار قوله وقال ادعوني استجب لكم الدعاء هنا بمعنى السوال كما هو الظاهر خصوصا مع اقترانه بما
لكم فهو دليل على ان المراد بالعبادة في الاية المذكورة الدعاء عبر بها لانه من اعظم انواعها وهذا اولى
مما قاله بعض المفسرين من ان المراد بالدعاء هنا العبادة وبالاستجابة الاثابة حيث قال اعبدوني اثبكم
٢٦١ اذ فيه حمل اللفظ على خلاف ظاهره في الموضعين قوله ولا تتركوا صغيرة لصغرها ان تدعوا بها تحريص على
الدعاء في جميع الاشياء صغيرها وكبيرها حتى شسع النعل وملح الطعام فانه تعالى هو المعطي للجميع قوله انما
يعني لا يمنعك ايمانك بالقضاء والقدر ان تبالغ بالدعاء وتجتهد فيه او كما قال وجه المنع ان الايمان بالقدر
وهو تقدير الاشياء وبالقضاء وهو الحكم بها مظنة لتوهم انهما ان تعلق بوجود المطلوب وجد وان تعلقا
بعدمه عدم فلا فايدة على التقديرين في الدعاء ويدفع ذلك التوهم بانه يجوز المحو والاثبات بعدهما فيحتمل
الانضا على ان تعلقهما بوجود المطلوب وعدمه يجوز ان يكون مشروطا بالدعاء وعدمه فللدعاء فايدة ظاهرة وقوله
او كما قال اشارة الى ما نقله عن زرارة اما عبارته او مثل عبارته في افادة هذا المعنى قوله وافضل العبادة العفاف
كل ما يوجب القرب منه تع فهو عبادة وله مراتب متفاوتة في الفضل وافضله العفاف بالفتح وهو الكف
عن السوال من الناس وكف البطن والفرج وغيرهما من الحرام ومبداه العلم بالمحاسن والمقابح والاعتدال
في القوى العقلية والشهوية والغضبية قوله الدعاء سلاح المومن لانه يدفع المكاره الدنيوية والاخروية و
شر شياطين الجن والانس كما ان السلاح يدفع شر الاعداء وعمود الدين لان فيضان الخيرات الدينية والدنيوية و
لما تيسيه وثباتها وقيامها عليه كقيام السقف بالعمود ونور السموات والارض لعل المراد انه نور لصاحبه
فيهما يعرفه اهلهما به كما تعرف الشمس والقمر وسائر الكواكب بانوارها او المراد انه منورها كما قيل في قوله
الله نور السموات والارض وحمل النور عليه اما من باب التشبيه والوجه في المشبه به حسي وفي المشبه
عقلي او من باب الحقيقة لان الدعاء نور ساطع عند اهل التجريد وضوء لامع عند اصحاب التوحيد قوله

باب الدعاء سلاح المومن

الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح النجاح الظفر بالمقصد والفلاح الفوز والنجاة والبقاء على الخير ولعل
المراد بالاول الظفر بالمطالب الدنيوية وبالثانى الفوز بالسعادة الاخروية والنجاة من العقوبات والبقاء
والبقاء على المثوبات الابدية والاقليد كالاحليل والمقلاد كالمنبر المفتاح الذى شبه المنجل ويجمع الاول على
الاقاليد والثانى على المقاليد والمقاليد وحمل الجمع على المفرد وهو الدعاء باعتبار ان المراد له الجنس الشامل
والمتعدد وفائدة الجمع هى التنبيه على ان الدعاء مفتاح لجميع المطالب والمقاصد وخير الدعاء ما صدر عن صدر
نقى وقلب تقى خيريته باعتبار انه اقرب الى الاخلاص والاجابة والكل من حيث التوليد والطاعة وفيه اشارة
الى بعض من شرايط الدعاء والصدر النقى ما استخرج خبيثه فطهر من الرذايل والقلب النقى ما له وقاية من الميل
الى المعصية والافات وفى المناجاة سبب النجاة من مكاره الدنيا وشدايد الاخرة وبالاخلاص فى
الدعاء وهو تجريده عن شوايب النقص والرياء يكون الخلاص اى النجاة عن المشقة والبلاء والوصول الى الله تعالى
او الى المطلوب قال فى النهاية خلص فلان الى فلان وصل اليه وخلص ايضا سلم ونجا وفيه اشارة الى بعض من شرايط
الدعاء فاذا اشتد الفزع فالى الله المفزع الفزع الخوف والمفزع هنا الاستغاثة يقال فزع منه اذا خاف واليه
اذا استغاث يعنى اذا اشتد الخوف من الاعداء ومن الفقر والبلاء ونحوها فالى الله الاستغاثة والاستعانة
لدفع ذلك وتقديم الظرف للحصر والجزء بمعنى الامر قوله الا ادلكم على سلاح ينجيكم من اعدائكم ويدر ارزاقكم
آه الادرار الاكثار ويفهم منه ان الدعاء وان لم يشمل على طلب دفع العدو ووصول الرزق وكثرته سبب
لهما وتخصيصه بالمشتمل عليها احتمال بعيد قوله ان الدعاء انفذ من السنان اشار الى ان نفوذ الدعاء فى الاعداء
اشد من النفوذ السنان فيهم ولعل السر فيه ان الداعى الراجى من الله تعالى والملتجى اليه فى دفع الاعداء يظهر
ضعفه وعجزه ويسلب عن نفسه الحول والقوة ويتمسك بحول الله وقوته والمتمسك بالسيف والسنان معتمد
بحوله او قوته وسلاحه ومن البين ان الاول اقوى من الثانى فى دفعهم قوله ان الدعاء يرد القضاء ينقضه كما ينقض
السلك وقد ابرم ابراما البلاء فى قوله يرد متعلق بالدعاء والابرام الاحكام وقد مر ان البداء يجرى فى مرتبه القضاء
وان الامضاء بعدها لا اراد له فالدعاء قد ينقض القضاء ويمنع من الامضاء والمستتر فى ينقض راجع الى ما الموصول فى كما وفيه تشبيه معقول بمحسوس لقصد الايضاح وفى بعض النسخ يرده بالياء المثناة التحتانيه
ينقضه ح خبر بعد خبر او حال من فاعل يرد او استيناف والظاهر انه تصحيف قوله ان الدعاء يرد ما قد قدر وما لم
يقدر اشارة الى ان الدعاء يرد البلاء الذى قدر وقوعه والذى لم يقدر بعد فان تقدير وقوعه فى الاستقبال
ممكن يدفع بالدعاء فقوله حتى لا يكون المقدر او غير المقدر وان شئت زيادة توضيح فقول المجاد تعالى

باب ان الدعاء يرد البلاء والقضاء

للتى

لشيء متوقف على علمه بذلك الشيء ومشيته وارادته وهى العزيمة على ما شاء وتقديره وقضائه وامضائه وفى
مرتبة المشية الى الامضاء يجرى البداء فيمكن الدفع بالدعاء وان اردت تحقيق ذلك فارجع الى باب البداء من كتاب
التوحيد قوله ان الدعاء والبلاء ليتوافقان الى يوم القيمة فى عدة الداعى ليتوافقان ومن طرق العامة ان الدعاء
ليلقى البلاء فيعتلجان فى الهواء قال الزمخشرى يعتلجان اى يصطرعان فيتدافعان قوله فان الدعاء يرد القضاء
وقد ابرم ابراما وضم اصابعه لعل المراد بالقضاء المبرم هو الحكم بالتمام اجزاء المقضى وانضمام بعضها ببعض
كما يرشد اليه ضم الاصابع والامضاء الذى لا يرده الدعاء هو الحكم بوصول المقضى الى اهله كما يرشد اليه حديث
اسحق بن عمار الآتى عن ابى عبد الله عم قوله ان الله عز وجل ليدفع بالدعاء الامر الذى علم انه يدعى له فيستجيب
آه لعل الغرض فى توجيه ذلك الامر وهو البلاء الى العبد مع العلم بانه يدفعه بالدعاء هو تحريك العبد اليه فى
جميع الاوقات فانه يجوز فى كل وقت ان يكون البلاء متوجها اليه ويبعثه ذلك على الدعاء دائما وقوله
يجتثه من جذ يد الارض اى من وجهها فى بعض النسخ بالنون من الاجتنان وهو الاستتار وفى بعضها بالثاء
المثلثة من الجث وهو القطع وانتزاع الشجر من اصله قوله فانه شفاء من كل داء من الادواء الجسمانية والروحانية
ولبعضها ادعية مأثورة والحمل للمبالغة قوله الدعاء كهف الاجابة كما ان السحاب كهف المطر الكهف كالبيت المنقور
فى الجبل والمراد به هنا المحل ويستفاد منه مع ملاحظة التشبيه ان الاجابة فى الدعاء لا فى غيره ففيه ترغيب
فيه قوله ما ابرز عبد يده الى العزيز الجبار الا استحى الله ان يردها صفرا الصفر الخالى من الشئ خوفا من
الذم واذا انقبض النفس من القبيح فى الله تعالى يراد به الترك اللازم للانقباض قوله وشيكا الوشيك السريع والقريب قوله من تقدم
فى الدعاء استجيب له اذا نزل به البلاء ترغيب فى الدعاء فى جميع الاوقات لانه مع كونه عبادة ينفع صاحبه اذا
دعا عند نزول البلاء ويوجب كشفه سريعا للعلة المذكورة قوله الدعاء بعد ما ينزل البلاء لا ينتفع به يعنى من
لم يتعود بالدعاء قبله لما مر آنفا قوله ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه يعنى ان يعلم ان مقام
الدعاء من اشرف مقام العارفين فلا بد للناسك السالك العارف ان يتفكر فى عجايب الملك والملكوت ويعرج
الى عالم العز والجبروت حتى ينتهى الى سرادقات جلاله وينظر بعين بصيرته الى قدرته وكماله ويعتقد بين يديه
بقلبه وبدنه فى مقام التناجى والدعاء ثم يفتح لسانه بالذكر والثناء مع حضور البال على وجه الخضوع والابتهال
ليكون دعاؤه مقرونا بالاجابة فلو تحرك لسانه بقلب ساه كان حريا بعدم الاستجابة لوجوه الاول ان
الدعاء من افضل الاعمال وانما الاعمال بالنيات ولا يتصور النية مع سهو القلب الثانى ان دعاءه حينئذ شبيه
بالاستهزاء وهو يوجب البعد عن الرحمة فكيف يكون موجبا للاجابة الثالث ان اللسان ترجمان القلب

262 باب ان الدعاء شفاء من كل داء

باب ان من دعا استجيب له

باب الهام الدعاء

والترحال اذا قال الشيا لم يخطر ببال الاصل لظهر منه الخيانة واستحق به الطرد والمنع عن الحضور الرابع ان القلب
اذا اعرض عنه حول شانه واشتغل بغيره فقد اتخذ الها غيره كما قال عز شانه افرايت من اتخذ الهه هواه
تحقق بان يكلم الى ذلك الغير الخامس ان العاشق اذا اعرض عن المعشوق مع كمال الطاف المعشوق واكرامه
فالمعشوق اولى بان يعرض عنه قوله اللهم حوالينا ولا علينا اى انزل الغيث في جوانبنا ولا ينزل علينا قالوا
و للعطف وفي رواية الناس حوله وحواليه اي مطيفين به من جوانبه يريد انزل الغيث في مواضع النبات
لا في موضع الابنيه وليسلم في ذلك نية اه اراد بالنية تمام القصد والكمال الاهتمام دون الاخلاص
لا نزهه متنزه عن عدمه قوله ما لم يستعجل اى ما لم يفرغ عن الدعاء او لم يستعجل ولم يقم بحاجته ويؤيده
الخبر الآتي من ان العبد اذا عجل فقام لحاجته يقول الله تبارك وتعالى اما يعلم العبد اني انا الله اقضي الحوائج
ومحصل القول انه لا بد للداعي من ان يعزم المسئلة ويعظم الرغبة اليه سبحانه ولا يتراخى ويحسن الظن
بالله تعالى في الاجابة فان الله سبحانه لا يتعاظمه شئ اعطاه ولكن قد يوخر الاجابة اما لحب صوته وتضرعه
او لغير ذلك فوجب للداعي ان لا يياس للاجابة قوله والله لا يلح عبد مومن على الله عز وجل آه معنى
الالحاح ان يشتد ويثلث ولا يتراخى ولا يتوانى وقد يفسر الالحاح بالعزم وهو حسن الظن بالله سبحانه
في الاجابة واحاديث هذا الباب يويد الاول قوله واحب ذلك لنفسه اي احب الحاح الناس لنفسه دون غيره
والالحاح اليه هو الملازمة بين يديه وقرع باب رحمته في الدعاء والسوال اليه في جميع الاحوال من الحث
الناقة اذا قامت ولم تبرح وانما احب الله تعالى الملحين من عباده للدوام ملازمتهم بابه والتزام اعتزامهم
وفاقتهم بعز جنابه ونشر المحلم ومهماتهم لديه ورفع حوائجهم وضرورياتهم اليه ورجوعهم اليه في جميع
الحاجات وتودهم بكرمه في جميع الحالات سواء كانوا في ضيق ومحنة او في سعة ونعمة لا تقطعهم المحن عن
الرجوع اليه ولا تشغلهم النعم عن الاقبال عليه ولا يمنعهم الشواغل عن العكوف بين يديه وفيه اعتراف
بحقيقه التوحيد والمجد والكرم واقرار بانه مالك العز والجود والنعم ولذلك ورد ان الدعاء مخ العبادة
وافضلها واشرف الطاعات واكملها ولذلك قال سبحانه في الترغيب اليه ادعوني استجب لكم وفي المدح عليه
يدعوننا رغبا ورهبا وفي الذم على تركه ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال

باب اخفاء الدعاء

عليه السلام الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل قوله وفي رواية اخرى دعوة تخفيها افضل عند الله من سبعين
دعوة تظهرها الفرق بين الروايتين ان الاولى تفيد المساواة بين الواحدة المخفية والسبعين والثانية تفيد
الزيادة عليها ثم الحكم بالمساواة والزيادة انما هو اذا كانت الظاهرة عرية عن الريا والسمعة والا فلا نسبة بينهما

قوله

باب الاوقات والحالات التي يرجى فيها الاجابة

قوله فان القلب لا يرق حتى يخلص اى يخلص من غيره تعالى ويفرغ عن الشواغل ويصل اليه وقد مر قوله اخرهم الى السحر
في بعض الروايات الى سحر ليلة الجمعة قال القاضي آخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا الوقت
الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او الى ان يعلم انه هل عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة قوله
فدونك دونك اى فهو دونك وقريب منك يقال هذا دونه اى قريب منه ودونك اغراء والتكرير للمبالغة
فقد قصد قصدك اى اعتدل وقصدك اياه واستقام وفيه حث على طلب الحاجة منه قوله ان الله
عز وجل يحب من عباده المومنين كل دعاء محبته تعالى ارادة احسانه واكرامه وافضاله او نفس هذه الافعال
ومن دلائل محبته له توفيقه للدعاء والعبادة وهدايته اليهما ومن هذا الوجه ما يذكر ان رجلا كانت جارية
فافتقدها في بعض اجزاء الليل فلم يجدها فطلبها فوجدها في بعض زوايا القصر ساجدة تقول اللهم بحبك
لي فقال لها بعد ذلك لم قلت بحبك لي ولم تقول بحبي لك وكيف عرفت انه يحبك قالت لولا محبته لي لما ايقظني
للعبادة وانامك ونادى في لها قوله وهي السدس الاول من اول النصف اى من اول النصف الاخر ومن ابتدائه
او بيانية السدس وتعيين النصف متوقف على تحقيق ان ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس من الليل او من
النهار والظاهر هو الثاني وقيل بالاول قوله الرغبة ان يستقبل ببطن كفيك الى السماء الرغبة الارادة يقال
رغب فيه واليه كسمع رغبه اذا اراده والراغب الطالب للشئ منه تعالى يناسب حاله ان يبسط كفيه الى السماء
ليوضع مطلوبه فيهما والرهبة ان يجعل ظهر كفيه الى السماء الرهبة الخوف والفزع والخائف يناسب حاله ان
يجعل ظهر كفيه الى السماء وبطنهما الى الارض للاشعار بانه القى نفسه على الارض تذللا او بانه مع الخوف من التقصير
كيف يتوقع احد شئ منه نعم وقوله وتبتل اليه تبتيلا الظاهر انه كلام الصادق عليه السلام وان ضمير قوله راجع الى الله نعم
وان المقصود بيان المراد من هذه الكلمة الواقعة في القران الكريم قال الدعاء باصبع واحدة تشير بها
التبتل الانقطاع والمتبتل المنقطع اليه تعالى المعرض عما سواه يناسب حاله ذلك للاشعار بانه ليس له الا هو
ولا مرجع الا اياه وفي خبر آتي تحرك السبابة اليسرى الى السماء يا الثاني ويضعها قيل لعل السر فيه هو الاشارة
الى ان الروح يحن اليك المتعلق الجسماني يحن الى السفل ولا يمكنني الانقطاع اليك الا بعد بابك والتضرع
تشير باصبعك وتحركها الظاهر انهما من اليدين وانهما سبابتان وكونهما من يد واحدة بعيد وفي خبر آتي
تحرك السبابة اليمنى يمينا وشمالا قيل لعل السر فيه هو الاشعار بانه لا ادري انا من اصحاب اليمين ام من اصحاب
الشمال والابتهال ترفع اليدين وتمدهما وذلك عند الدمعة ثم ادع في ق الابتهال الاجتهاد والاخلاص و
في بره الابتهال ان تمد يديك جميعا واصله التضرع والمبالغة في السوال وقيل الابتهال حين يرى اسباب البكا

٢٦٣

باب تحريك السبابة في الدعاء

فيرفع يديه الى السماء حتى يجاوز راسه لان البكاء علامة الاجابة الدعاء فكانه وصل الى المطلوب لطاف الله تعالى
فيمد يديه حتى باخذه والظاهر ان قوله ثم ادع مترتب على الابتهال وترتيبه على الجميع اقرب قوله فما استكانوا لربهم
وما يتضرعون قيل استكان من باب الافتعال واصله افتعل من السكون فالمد اشباع حصل بالاشباع وقيل
من باب الاستفعال واصله استفعل من كان فالمد قياس ووجه بانه يقال استكان اذا ذل وخضع اى صار
له كون خلاف كونه الاول كما يقال استحال اذا تغير من حال الى حال الا ان استحال عام في كل حال واستكان
خاص فقال الاستكانة هو الخضوع تذكير الضمير باعتبار الخبر والتضرع هو الرفع اليدين والتضرع بهما
الاشارة بالاصبعين وتحريكهما كما مر او الاعم منهما فيشمل الابتهال ايضا قوله وهكذا الرهبة اه اى وهكذا
ذكر الرهبة وفسر عليه البواقي واعلم ان تفسير الالفاظ المذكورة موافق لما مر في الرواية السابقة الا التبتل
والتبتل ويمكن ان يكون هذا اشارة الى فرد آخر لها كما يمكن تخصيص السابق بما ذكرها هنا فليتامل قوله يا عبد الله
بيمينك اه بناء السؤال على ان اليمين اشرف من اليسار فينبغي رفع اليمين الى الله تعالى وبناء الجواب على ان
اليسار قد يضيف رفعها الثلا يبطل حقها وقد ورد استحباب رفعها دون اليمين في بعض الادعية المخصوصة
قوله اما التعوذ فتستقبل القبلة بباطن كفيك كانك تشير الى انك استقبلت الى القبلة الحقيقية التي يتوجه اليها
اليها وجوه الممكنات كلها وجعلت يدك ترسا لدفع المكاره وانما يفعل ذلك في مقام الالتجاء دون اليمين في
بعض الادعية المخصوصة الجهر كما ترى ان العاجز المضطر قد يجعل يده ترسا لدفع السيف والسنان وقوله
فيما بعد وتقضي بكفيك معناه تقضي بباطن كفيك الى القبلة قوله ما من شيء الا وله كيل ووزن الا الدموع
فان القطرة تطفي بحارا من نار ولذلك قيل يحو المبتنات من العثرات الموبقات من العبرات والكيل و
الوزن اما مصدران يقال كال الطعام يكيله كيلا ووزنه يزنه وزنا اذا قاسه بالمكيال والميزان او اسم
لما يكال به الطعام وللعبادة وجهان الاول ان كل عبادة يحسب كيلها ووزنها ويجزى على وجه الاستحقاق
بمثلها كيلا بكيل ووزنا بوزن وان وقعت الزيادة فهي تفضل الا الدمع فانه وان كان خفيفا قليلا يستحق
صاحبه اجرا جزيلا لا يعلم قدره الا الله عز وجل الثاني ان الدمع لكونه عظيما لا يحيط به الكيل والوزن
ولا يمكن ان يقدر بهما فلذلك يوجب اجرا جزيلا فاذا اغرورقت العين بمائها اى دمعت كثيرا كانها
غرقت في دمعها لم يرهق وجهها قتر ولا ذلة في ق رهقه كفرح غشيه ولحقه او دنا منه سواء اخذه
او لم ياخذه والقتر محركة والقترة بالفتح الغبرة والذلة بالكسر الهوان والحقارة والصعوبة ولو ان باكيا
بكى في امة لرحموا اى بكى فيما بينهم او في رفع العقوبة عنهم فعلى الاول رفع الله عنهم العقوبة الدنيوية وعلى

الاجر رفع عنهم الدنيوية والاخروية قوله يا موسى اما الزاهدون في الدنيا اه الزهد في الدنيا من لا يحبها وهو
من يرضى بالكفاف ويترك الزائد من حلالها ولا يلتفت الى حرامها وان اردت زيادة توضيح فارجع الى ما ذكرنا
من باب الزهد من كتاب الايمان والكفر والرفيع الاعلى مسكن الانبياء والاولياء من اهل عليين وهم الرفيق
الاعلى وحسن اولئك رفيقا والتفتيش الطلب والفحص عن احوال الناس من كبير ما فعلوا وصغيره وكان المراد
بعدم تفتيش اهل الورع دخولهم في الجنة بغير حساب والتناع فيه محتمل قوله فاذا رقت فابك وادع ربك
امر بصرف قلبه الى الله ثم والى امر الآخرة وذكر ما بعد الموت فان ذكر الميت كثيرا ما يفضي الى ذلك وفيه دلالة
على جواز استعمال الحيل المشروعة لترقيق القلب والقدرة على البكاء قوله ان لم تك بكاء فتباك الظاهر ان لم تك
خطاب وبكاء بتشديد الكاف للمبالغة وهو من يقدر على البكاء بسهولة ويحتمل الغيبة وتخفيف الكاف
وضم الباء وكان تامة والتباكي اظهار البكاء مع عدمه وفيه تشبيه بالباكي وهو مطلوب مع انه قد يفضي
الى البكاء ولو قليلا قوله ان خفت امرا يكون او حاجة تريدها اى ان خفت امرا مكروها يوجد او حاجة
حاجة تريدها فابدا بالله ثم قبل الدعاء فمجده واثن عليه كما هو اهله بحسب الطاقة والقدرة لا بحسب الواقع
لان تمجيده وثناءه كما هو اهله بحسب الواقع خارج عن طوق البشر والتمجيد التعظيم بالرفعة والعلو والكرم و
الشرف وحسن الفعال والثناء الوصف بالمدح والذكر الجميل وهما متغايران بحسب المفهوم ومتقاربان
الصدق اقرب ما يكون العبد من الرب عز وجل وهو ساجد باك غاية القرب منه بغاية التذلل والتواضع
له وهي في تلك الحالة بوضع مكارم الاعضاء له على التراب وقد دل عليه القرآن الكريم ايضا قوله فبخ بخ وهي
كلمة يقال عند المدح والرضا بالشيء وتكريره للمبالغة وهي مبنية على السكون فان وصلت جررت ونونت فقلت
بخ بخ وربما شددت وبخبخت الرجل اذا قلت له ذلك ومعناه تعظيم الامر وتفخيمه قوله اياكم اذا اراد احدكم
ان يسال ربه اه اى بعدوا انفسكم حين اراد احدكم ان يسال ربه من ان يساله حتى يبدا بالثناء وعلى الله فالمحذر
منه محذوف لدلالة سياق الكلام عليه واذا طرف للتحذير قوله ان المدحة قبل المسالة المدحة بالكسر
ما يمدح به مما يليق بذاته وصفاته الذاتية والفعلية والمسالة والسؤال بمعنى يقول يا من هو اقرب الي من حبل
الوريد تمثيل لغاية قربه وفي نهاية الوريد هو العرق الذي في صفحة العنق ينتفخ عند الغضب وهما وريدان
يا فعالا لما يريد المبالغ لقوة الفاعل وكمال قدرته وكثرة الفعل واشتماله على كمال الصنع والحكمة وسرعة
ترتبه على الارادة ونصب المنادى لكونه شبه مضاف يا من يحول بين المرء وقلبه فتوفقه لعدم الميل الى
الشهوات البدنية ومقتضيات القوى الجسمانية وذلك لطف من الله ثم لمن يشاء من عباده واليه يشير قوله

تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه والمعنى لولا ان رأى برهان ربه لهم بها لصرح بالرضاء
ويمكن ان يكون اشارة الى كمال قربه ومبالغة فيه لافادته انه اقرب الى المرء من القلب وهو النفس الناطقة مع كمال
اتصالها وقربها منه اوالى علمه بمقاصد القلب فيوفقه لما يشاء منها ويمنعه عما يشاء وهو قريب من الاول
يا من هو بالمنظر الاعلى المنظر والمنظرة ما نظرت اليه وهو سبحانه منظور جميع الممكنات اذ نظر جميعها في ذواتها
ولوازمها واثارها وخواصها في سلسلة الاسباب والعلل والامكان اليه جل شانه وهو اعلى من الجميع ويمكن
ان يكون كناية عن احاطة علمه بجميع الكائنات جليها وخفيها كبيرها وصغيرها واستيلائه على الجميع لان كونه
بالمنظر الاعلى يستلزم ذلك يا من ليس كمثله شيء والمقصود نفي مثله لانفي مثل مثله المستلزم لثبوت مثله فالكاف
زايدة كذا قيل وقيل غير زايدة والمقصود نفي المثل بالبرهان بيانه ان ذاته تم مسلم الثبوت لا ينكره احد فلو ثبت
له مثل لزم ثبوت مثل المثل ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم وهو المطلوب قوله يا اجود من اعطى وجه التفضيل
لعظمة جوده وسرعة وصوله ووقوعه في موقعه وعدم توقع العوض في مقابله وعدم خوف الفقر والحاجة
الى الالة في تحققه وانما لم يحصر الجود فيه مع انه اكمل في المدح واقوى في الثناء لان عدمه انسب بالمقام وادل
على كمال انقطاع السائل اليه عز وجل واعراضه عما سواه وقس عليه ما بعده يا احد في بعض الادعيه
يا واحد يا احد والفرق بينهما على ما ذكره صاحب العدة ان الواحد لا نظير له في الذات والاحد من لا نظير له
في الصفات يا صمد الصمد السيد الذي يقصد اليه في الامور ويرجع اليه في الحوائج والنوازل من صمد اذا قصد
من لم يلد لتنزهه عن الشهوة والافتقار الى الصاحبة والولد والمجانسة لشيء والولد يجانس الوالد وفيه رد
على من اثبت له ولدا كاليهود والنصارى ولم يولد اذ لم يسبقه احد ولا يفتقر وجوده الى شيء ولم يكن له
كفوا احد اي لم يكن احد مماثلا له قدم الخبر لرعاية الفواصل وللاهتمام بنفي المماثل من جميع الجهات يا من يفعل
ما يشاء بمجرد المشية والارادة بلا الة ولا روية ولا تعب ويحكم ما يريد الحكم القضاء بالعدل اي يحكم بلا مانع
بالعدل اي يحكم بلا مانع بالعدل بين العباد ما يشاء من الفقر والغناء والصحة والسقم وغيرها ويقضي ما احب
اي يقضي بلا مانع بوجود ما احب وجوده مما فيه صلاح يا سميع يا بصير السميع السامع والبصير المبصر فعيل
من ابنية المبالغة وهو سبحانه يسمع المسموعات ويبصر المبصرات اي يعلمها بلا الة ولا جارحة فهما نوعان
من العلم وفي ذكر هذه الاوصاف قبل السؤال اشعار بانه مبدء الحاجات كلها واستعطاف في حصولها اللهم
اوسع علي من رزقك الحلال هو ما كان مكسبه طيبا وطريقه مشروعا واختلفوا في ان الحرام رزق ام لا فعلى
الاول هو رزق فالحلال على الاول تقييد وعلى الثاني تاكيد ما اكف به وجهي عن سؤال الناس اذ فيه ذل حاضر و

خسران

وخسران لازم واودي به عن امانتي اي اقوى به اداء امانتي يقال ادى يؤدي كاودى يودى اذا قوى وعن بعض على
وقراءة اودي بتشديد الدال من التادية وجعله من ذلك احتمال بعيد والمراد بالامانة العبادة او القوة
عليها واداوها موقوف على الرزق وفي الخبر لولا الخبز ما صلينا ولا صمنا اعجل العبد ربه حيث ساله قبل
ان يحمده ويثني عليه وفيه دلالة على ان الحمد والثناء والصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة غير كافيين عنهما للسؤال
قوله ثم يذكر ذنوبك وتقر بها وتستغفر منها كان الاستعاذة كناية عن التوبة وفيه دلالة على ان الدعاء
محجوب بدون شرطه كما لا تصح صلوة بغير طهور ومن جملة شرايط التوبة عن الذنوب كلها والعزم على عدم
العود اليها وهذا الشرط لمن له صلاح ولله تعالى فيه عناية حيث يمنع اجابة دعائه تاديبا له حتى يخلص له
النية ويطهر نفسه عن الذنوب المكدرة لصفاء قلبه ويدخل نفسه في خلص عباده والا فيحتمل ان دعاء
العدو قد يكون اسرع اجابة من دعاء الحبيب حبا لسماع صوته وبغضا لسماع صوت العدو وقال بعض العامة
ومن شرايط قبول ان لا يشتغل به في وقت مستحق لغيره كما لو اشتغل به في وقت حان فريضة فلا يقبل من
غاصب لانه في كل ان مكلف بالاشتغال بالرد وقال بعضهم الصواب خلاف ما ذكروانه يصح من المشتغل
في وقت عبادة اخرى ويأثم بالترك او بتاخير تلك العبادة قوله ومن رهط اربعين رجلا اجتمعوا فدعوا الله
عز وجل في امر الا استجاب لهم في ما الرهط وهم عشيرة الرجل واهله من الرجال ما دون العشرة وقيل الى
الاربعين ولا يكون فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه ويجمع على ارهط وارهاط واراهط جمع الجمع وفي
ق الرهط ويحرك قوم الرجل وقبيلته من ثلثة او سبعة الى عشرة او ما دون العشرة او ما فيهم امرأة
وفيه فضيلة للاجتماع للدعاء والظاهر انه لا بد من دعاء كل واحد سواء كان الدعاء واحدا او متعددا
فاذا اجتمعوا في طلب الرزق مثلا ودعى كل واحد دعاء ماثورا غير ما دعى به الاخر من الادعية الماثورة
فيه تحقق الاجتماع ويترتب عليه الاستجابة ويحتمل ان يتحقق الاجتماع اذا دعى واحد وامن الباقون كما
يدل عليه خبر اخر ثم الظاهر انه يعتبر في الدعاء الاربعة عشر مرات ودعاء الواحد اربعين مرة ان يكون ذلك
في مجلس واحد لان ذلك قائم مقام اجتماع الاربعين قوله ثم دعا وامنوا امن فلان تامينا اذا قال
امين وهو اسم مبني على الفتح ممدود ومقصور والمد اكثر وقد تشدد المد ويمال ايضا ومعناه اللهم استجب لي
وقيل معناه كذلك فليكن او ما فعل بمعنى الدعاء وعن الواحدي انه اسم من اسمائه تعالى قوله حب الصوت واسماع
الحبيب الحبيب اشد البكاء وفعله كمنع وينبغي ان يعلم ان لاجابة الدعاء شروطا متكثرة معلومة لمن
تتبع الاحاديث والكتب المدونة لبيان فوايد الدعاء وشرايطه والشروط المذكورة في هذا الحديث خمسة الاول

باب الاجتماع في الدعاء
تحقيق آمين
باب من ابطأ عليه الاجابة
شرايط الدعاء

يكون دعاؤه في الرخاء مثل دعائه في الشدة لئلا يقول الملك في حال الشدة ان ذا الصوت لا يعرف فينبغي ان لا يمل
من الدعاء ولا يتركه في جميع الحالات الثاني ان يكون صابرا فيه لو تأخر الاجابة ملحا عليه ولا يقول دعوت
مرات فلم يستجب لي فيقطع ويتحسر منه الثالث ان يكون دعاؤه وطلبه متعلقا بامر حلال الرابع ان لا يكون
الداعي قاطع الرحم ويندرج فيه قاطع حقوق المسلمين الخامس ان يجتنب من مكاشفة الناس ويجادلهم
بما لا يناسبه واذا اجمعت هذه الشرايط وغيرها من الشرايط المعتبرة فيه استجاب الله وقبله البتة وما لم
يقبل من الدعاء فانما هو لعدم شرط من شرايطه ثم الاستجابة باحد امور اربعة الاول اعطاء مطلوبه بعينه الثاني
انجاز مطلوبه وتاخيره زمانا لاحبا لسماع صوته الثالث قبول دعائه وجعله كفارة لذنوبه الرابع قبوله وجعله
ذخيرة له للآخرة وهذان الاخيران اذا علم الله سبحانه بانه لا مصلحة له في انجاز مطلوبه في الدنيا فمن دعا
ولم يصل الى مطلوبه وترك الدعاء ايسا من حصوله كانه ظن ان استجابة الدعاء وفوايده منحصرة في الاول
وهذا جهل منه وقنوط من روح الله ثم وتكذيب لوعده نعوذ بالله من هذه الرذايل النفسانية والخصايل
الشيطانية قوله فيقول الله عز وجل اخروا اجابته شوقا الى صوته ودعائه قيل الشوق انما يتعلق بشيء ادرك
من وجه ولم يدرك من وجه آخر فان غير المدرك لا يشم والمدرك من جميع الوجوه لا يتصور الشوق اليه فان
من غاب عنه محبوبه وبقي عنده خياله يشتاق الى ان يراه ولا لو رآه لم يتصور ان يشتاق اليه الا ان يراه
وجهه دون وجه كان يرى وجهه دون شعره ويراه في ظلمة فانه يشتاق الى استكمال رؤيته باشراق الضوء
عليه ففي كل مشتاق جهتان جهة ادراك وجهة جهل فالشوق نقص وهو ممتنع عليه سبحانه واجيب
بان الشوق يستلزم المحبة واذا نسب اليه سبحانه يراد به ذلك اللازم فيتمنى المومن انه لم يستجب له دعوة في
الدنيا ان قلت عدم ظفر المتمني بما تمناه الم ولا الم في الجنة قلت لا نسلم ان ذلك الم ولو سلم فقد وقع هذا الالم
في يوم القيمة على انه الم لمن لم ينل ثواب ذلك ولعل تمنيه ذلك لينال ثوابه ايضا قوله قال لا يزال الدعاء محجوبا
حتى يصلي على محمد وآل محمد النبي عند نا عترته الطاهرة واهل العصمة عليهم السلام ولا وجه لتخصيص الشهيد
بامير المومنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وللعامة اختلافات فيه فقيل آل الرجل امته وقيل عشيرته
وقيل من حرم عليه اخذ الزكوة من بني هاشم وبني العبد المطلب والسر في حجب الدعاء بدون الصلوة ان الآل الاول
ان نبينا وآله عليهم السلام وسايط بينه سبحانه وبين عباده في قضاء حوايجهم ونيل مطالبهم وهم ابواب معرفته
عز وجل فلا بد من التوسل بهم في عرض الدعاء عليه وقبوله لديه وذلك كما اذا اراد احد من الرعية الطهارة حاجته
على السلطان يتوسل بمن يعظمه السلطان ولا يرده قوله وقد اشار اليه فخر السالكين ابن طاوس رضي ره في بعض

باب الصلوة على محمد وآله

حقوق الآل

حجب الدعاء بدون الصلوة

الوجه

المواضع الثاني ان العبد اذا ضم الصلوة مع الدعاء وعرض المجموع على الله سبحانه والصلوة غير محجوبة فالدعاء
ايضا غير محجوب لان الله تعالى كريم يستحي ان يقبل جزء المعروض ويرد جزء آخر وقد جعل ذلك خصلة بين عباده
ايضا فانه قرر على من اشترى امتعة مختلفة وكان بعضها معيبا ان يرد الجميع او يقبل الجميع ولم يجوز قبول الصحيح
ورد المعيب وقد صرح ذلك بعض المتاخرين واشار الصادق عم في الخبر الآتي قوله رفرف الدعاء على راسه رفرف
الطاير اذا حرك جناحيه حول الشيء يريد ان يقع عليه قوله اذا تكفى مونة الدنيا والآخرة اذن جواب وجزاء
والمونة ما يحتاج اليه والصعوبة ايضا اي اذا كان الامر كذلك كما ذكرت يكفيك الله مونتك في الدنيا والآخرة
بحذف الفاعل واقيم المفعول الاول مقامه قوله ما معنى اجعل صلوتي كلها لك فقال يبدء بين يدي كل
حاجة آه تذكير الضمير هنا باعتبار المعنى وهو الدعاء وتانيثه سابقا باعتبار اللفظ ولعل المراد بكل الصلوة
الصلوة الكاملة في الفضل والاجر وهي الواقعة قبل السوال وبنصفها ما دونها في القدر في الفضل وهي
الواقعة في وسط السوال وبثلثها ما انحط منها بهذه النسبة وهي الواقعة بعد الفراغ من السوال وبالجملة
ففيه اشارة الى تفاوت مراتب الصلوة في الفضل والكمال والاجر والله اعلم قوله قال رسول الله صم لا تجعلوني
كقدح الراكب مثله في كتب العامة ايضا وفي تفسيره والفايق اراد لا تؤخروني في الذكر لان الراكب يؤخر القدح
الى ان يرفع كل شيء بسبب ما فيه من الماء وربما يحتاج اليه فيستعمل ويشرب ثم يعلقه في آخر رحله عند
عن ترحاله ويجعله من خلفه قوله قال اذا ذكر النبي صم فاكثروا الصلوة عليه فانه من صلى على النبي صلوة واحدة صلى
الله عليه الف صلوة في الف صف من الملئكة صلوته ثم الف صلوة في الف صف من الملئكة يحتمل وجهين
الاول انه صلى عليه حقيقة بكلامه يسمعه الف صف من الملئكة فيصلون الملئكة ايضا بصلوته جل جلاله
الثاني انه صلت عليه الف صف من الملئكة بامره جل جلاله لهم بالصلوة عليه ونسبة الصلوة الى الله سبحانه
باعتبار انه آمر ويحتمل ان يراد من قوله صلى الله عليه رحمة وضعف اجره من قبيل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
وهذه الوجوه تجري في قوله ثم فان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم واعلم ان الصلوة على النبي صم لا في الصلوة
ولا عند الذكر مستحب عند اهل الاسلام ولم يعرف احد يقول بوجوبه الا الكرخي فانه اوجبها في العمر مرة كما
في الشهادتين واما في الصلوة فاجمع علماؤنا على وجوبها في التشهد بن معا وحكي الكلام وقال الشافعي مستحب
في الاول واجبة في الثاني وقال ابو حنيفه ومالك مستحب فيهما واما عند ذكره صم فظاهر هذا الخبر وظاهر خبر
عبد الله بن عبد الله الدهقان عن ابي الحسن الرضا عم وظاهر قوله صم من ذكرت عنده ولم يصل علي دخل النار و
من ذكرت عنده فنسي الصلوة علي خطئ به طريق الجنة انها تجب كلما ذكره وكلما سمع وهو مختار ابن بابويه رة وصاحب

٢٦٦

وجوب الصلوة واستحبابها

كثر العرفان من اصحابنا والطحاوى من العامة وقال الزمخشرى وهو الذى يقتضيه الاحتياط ومنهم من اوجبها
فى العمر مرة ومنهم من اوجبها فى كل مجلس وقال الفاضل الاردبيلى ولا شك ان الاحتياط الكشاف احوط ثم قال
ويمكن اختيار الوجوب فى مجلس مرة ان صلى اخرا وان صلى ثم ذكر يجب ايضا كما فى تعدد الكفارة بتعدد الموجب اذا
تخلل والاولى القول بهذه الفاضل عرية عن المستند فالقول به مستبعد فالاولى اما الوجوب عند كل ذكر
كما ذهب اليه طائفة من الافاضل واما الاستحباب مطلقا كما ذهب اليه اخرون مستدلين بالاصل والشهرة
مستندين الى عدم تعليمه للمؤذنين وتركهم ذلك مع عدم وقوع نكيرهم كما يفعلونه الان ولو كان لنقل وفيه نظر
لان عدم التعليم ممنوع وكذا عدم التنكير وعدم النقل وسيجى فى باب الاذان والاقامة ما دل على زيادة
قال قال ابو جعفر عم اذا اذنت فافصح بالالف والهاء وصل على النبى كلما ذكرته او ذكره ذاكر فى اذان او غيره على ان عدم
النقل ليس دليلا على عدمه واصالة البراءة لا يصح التمسك بها بعد ورود القران والاخبار ثم الظاهر من بعض
الاخبار المذكورة حيث رتب الامر بالصلوة على الذكر بالفاء التعقيبية هو فورية وجوبها فلو اهمل الفور اثم على تقدير الوجوب
ولم يسقط وكذا الظاهر هو الامر بها على كل احد فى جميع الاحوال ولو كان مشتغلا بالصلوة فلو ترك الاشتغال بالتى
واشتغل بالقراءة او بغيرها من الاذكار الواجبة امكن القول ببطلانها على تقدير الوجوب بناء على ان الامر بالشئ
نهى عن ضده الخاص والنهى عن العبادة يدل على الفساد والراجح عدم البطلان لان كون الامر بالشئ نهيا عن ضده
ممنوع وقد حققناه فى الاصول ولو سلم فلو تكرر الذكر تكرارا كثيرا بحيث يخرج الاشتغال بالصلوة عليهم عن
كونه مصليا لا يبعد القول بسقوط التكليف بها لان الفعلين اذا تضيقا ولم يمكن الجمع بينهما علمنا ان احدهما
ليس بواجب قطعا ولما كان مشتغلا بالصلوة وجب اتمامها والاستمرار بها كان ما ينافيها غير مأمور به فليتأمل
قوله يا رب صل على محمد وآل محمد مائة مرة قضيت له مائة حاجة ثلثون للدنيا ظاهره ان قضاء الحاجات مترتب
على القول المذكور وان لم يطلبها وان مائة مرة بيان لمرتبة التكرار يعنى يكرر ذلك القول مائة مرة ويحتمل
بعيدا ان يكون مجموع يا رب صل على محمد وآل محمد مائة مرة مقول القول كما فى سبحان الله عدد خلقه قوله
مولى لآل طلحة نقل عن الشهيد الثانى ان المولى اذا اطلق فى كتب الرجال فالمراد به غير العربى الصريح ومتى وجد
منسوبا فبعد النسبة من صلى على محمد وآل محمد عشرا صلى الله عليه وملائكته مائة مرة يدل عليه ايضا قوله تعالى
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ولا ينافى ذلك ما سبق من ان من صلى عليه صلوة صلى الله عليه الف صلوة لان
الزيادة من باب التفضل ويحتمل ان يكون باعتبار تفاوت مراتب المصلين اما تسمع قول الله عز وجل هو الذى
يصلى عليكم وملائكته الاستشهاد انما هو لاثبات صلوته تعالى وصلوة ملائكته علينا رفعا للاستبعاد ذلك

لا لبيان العدد المذكور اذ لا دلالة فيه على ذلك العدد من الصلوة من الله سبحانه رحمة ومن الملائكة دعاء ففيه دلالة
على جواز استعمال المشترك فى كلا المعنيين على سبيل الحقيقة فهو حجة على ما انكره والجواب انه يمكن ان يكون ذلك
من باب عموم المجاز ولا نزاع فى جوازه على انا لا نسلم ان الملائكة عطف على المرفوع المستكن فى يصلى لجواز ان يكون
مبتدأ خبره محذوف وهو يصلون بقرينة المذكور ويكون من باب عطف الجملة على الجملة قوله ما فى الميزان اثقل

تحقيق ثقل الميزان وخفته

من الصلوة على محمد وآل محمد وان الرجل لتوضع اعماله فى الميزان فتميل به آه الباء للمصاحبة اى فتميل الاعمال مع الميزان
الى الرفع لخفتها قال الشيخ فى الاربعين ثقل الميزان كناية عن كثرة الحسنات ورجحانها على السيئات وقد اختلف اهل
الاسلام فى ان وزن الاعمال الوارد فى الكتاب والسنة هل هو كناية عن العدل والانصاف والتسوية او المراد
الوزن الحقيقى بعضهم من الاول لان الاعراض لا يعقل وزنها وجمهورهم على الثانى والموصوف بالخفة والثقل فى الحديث
والموصوف صحائف الاعمال او الاعمال نفسها بعد تجسيمها فى تلك النشأة ثم قال الحق ان الموزون نفس الاعمال
لا صحائفها وان الغرض فى هذا المقام تحقيق فى الآخرة ويبين ذلك بوجه طويل ومن اراد الاطلاع عليه فليرجع اليه
قوله لقد كلف الله عز وجل هذا شططا الشطط الجور والظلم والبعد عن الحق وذلك لكثرة افعال الصلوة و
مقدماتها وشرائطها فلو كلفوا بها عند كل ذكر لوقعوا فى شدة وضيق وعطلت امورهم بخلاف الصلوة على النبى و
آله عليهم السلام قوله اذا صلى احدكم ولم يذكر النبى وآله فى صلوته سلك بصلوته غير سبيل الجنة يعنى لا ترفع
صلوته الى بل ترد عليه وربما يستدل به على وجوب الصلوة على النبى وآله فى التشهد اذ لا يجب الصلوة عليه الا
فيه اتفاقا قوله فابعده الله ثم اى عن رحمته او من شفاعتى وقال رسول الله صم ومن ذكرت عنده فنسى الصلوة على
خطئ به طريق الجنة خطى بتشديد الطاء المهموز اللام مبنى للمفعول والباء للتعدية والضمير المجرور راجع الى من وطريق
الجنة مفعول ثان ولعل خطأ الله به طريق الجنة فحذف الفاعل واقيم الظرف مقامه يعنى جعله الله مخطئا الطريق
الجنة غير مصيب اياه ثم النسيان ان كان كناية عن الترك وقد فسر به فى قوله تعالى فى آدم عم فنسى ولم نجد له عزما
فالامر ظاهر وان حمل على معناه الحقيقى فلعل ذلك لعدم الاهتمام به فليتأمل قوله سمع ابى رجلا متعلقا بالبيت وهو

وجوب ذكر اهل البيت معه فى الصلوة عليه

يقول اللهم صل على محمد فقال له ابى عم لا تبترها لا تظلمنا حقنا قل اللهم صل على محمد واهل بيته البتر بتقديم
الباء الموحدة على التاء المثناة الفوقانية بمعنى القطع قبل الاتمام تقول بترت الشئ ابتره كنصر بترا اى قطعته
قبل اتمامه وقد ابتره اى صيره ابتر وضمير المؤنث يرجع الى الصلوة وحقنا مفعول فيه اى لا تظلمنا فى حقنا
والظلم وضع الشئ فى غير موضعه ومن هذا الخبر يستفاد وجوب ذكر اهل بيته معه عليهم السلم فى الصلوة لان النهى عن
البتر وعده ظلما ولا شك فى ان الظلم على اهل البيت حرام والاحتياط تام وينبغى ان يعلم انه لا نزاع فى جواز ذكر

الا آل في الصلوة بتعا له صلى الله عليه وآله واما النزاع في جواز ذلك انفرادا او اصالة فالذي عليه اصحابنا الجواز لقوله تعالى مخاطب المؤمنين كافة هو الذي يصلي عليكم وملائكته فاذا جاز الصلوة على احاد المؤمنين فكيف لا يجوز على اشرف الامر ولخصهم برحم وقوله تعالى والذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ولا شك انهم لصيبوا اباعا انهم للمصايب وصبروا اجمل صبر وقوله تعالى وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم وقوله صلى الله عليه وآله اللهم صل على آل ابي اوفى والد ابي اوفى حين اوفى ابو اوفى زكوة فاذا جاز صلوته على امته فكيف لا يجوز صلوة امته على آله عليهم السلم ولان صلوة الله بمعنى الرحمة ويجوز الرحمة عليهم اجماعا مرادفها كما تقرر في الاصول وقال المخالف ان افرادهم مكروه ومنهم صاحب الكشاف قال النص القرآن والاخبار وان دل على جواز ذلك لكنه مكروه لان ذلك صار شعار الذكر رسول الله ولانه ايهام بالرفض ولا يخفى سماجة هذا القول لانه لا معنى للحكم بالكراهة بعد شهادة القرآن والاخبار كما اعترف به وحديث الشعار والاختصاص مصادرة لان ذلك شعار لهم عندهم بسبب منعهم لغيره والمجوز ولتخيره لا يسلم اختصاصه وترك ما اقتضاه الدليل لاجل ان طايفة من محبي آل الرسول عملوا به تعصب وعناد ولا يليق ارتكابه بالعاقل اللبيب والا لزمهم ترك العبادات لئلا يتهموا بالرفض ولهم امثال ذلك كثيرة منا ورد في تسنيم القبور حيث قالوا المستحب هو التسطيح ولكن هو شعار الرفضة فالتسنيم خير منه وكذلك في التختم باليمين وغير ذلك والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل قوله ما من مجلس يجتمع فيه ابرار وفجار آه المجلس يصدق حتى من الواحد والحكم المذكور مشترك بينه وبين الجماعة ويندرج في الذكر ذكر الحلال والحرام والقرآن والسنة وآثار الصالحين واخبار الائمة الطاهرين وتنزيههم عن النقايص واعلم ان ذكره تعالى هو المقصد من خلق الانسان ومن وضع جميع التكاليف فان المقصد من الصلوة ذكر الحق وتعظيمه ومن الصوم كسر الشهوات وتصفية القلب من آثارها ليصلح استقرار الذكر فيه اذ القلب مملوا بالشهوات لا يتاثر بالذكر ولا يبلغ مقام القرب ومن الحج ذكره وذكر احوال القيمة وقس على ذلك وللذكر درجات الاولى ان يكون باللسان مع غفلة القلب عنه وهذا ايضا وان كان لا يخلو من فايدة والثانية ان يكون بالقلب مع عدم استقراره فيه ولا يتوجه اليه الا بالتكليف ولا جهاد والثالثة ان يكون بالقلب ويستقر فيه بحيث لا يتوجه القلب الى غيره الا بالتكليف والرابعة ان يكون بالقلب مع استقراره فيه واستيلائه عليه بحيث لا يشتغل عنه اصلا وهذه مرتبة المحبة والذكر في هذه المرتبة قد يبلغ مقام الفناء في الله بحيث يغفل عن نفسه ومن غيرها حتى من الذكر فلا يجد في كل قلبه الا المذكور قوله من اراد ان يكتال بالمكيال الاوفى آه المكيال والكيل بمعنى واكتلت عليه اخذت منه يقال كال المعطي واكتال الاخذ وكيل الطعام على ما لم يسم فاعله وان شئت ضممت الكاف والطعام مكيل ومكيول مثل مخيط ومخيوط والمعنى من اراد ان ياخذ الثواب من الله سبحانه على

الوجه

باب ما يجوز ذكر الله ... على كل حال

باب درجات الذكر

268

على الوجه الاكمل من غير نقص فليقل ذلك فهو كناية عن كثرة الثواب وعظمته ويحتمل ان يكون تمثيلا لان الثواب لا يكال بمكيال وان احتمل ذلك كما انه يوزن بميزان قوله يا رب اقريب انت مني فاناجيك ام بعيد فاناديك سبحانه عز وجل بحال من وقع في مهلكة فاحتاج الى الاستغاثة من القريب او البعيد مناجيا او مناديا لاجل التوسل والتضرع مع علمه بانه تعالى اقرب من كل قريب بالعلم والقدرة او لاظهار قربه على العباد ودفع توهم البعد عنهم كما قال رب ارني انظر اليك ليجاب لن تراني ليعلم اصحابه انه تعالى لا يرى ابدا فاوحى الله عز وجل اليه يا موسى انا جليس من ذكرني هذا ايضا استعارة تمثيلية تشبيها الغايب بالحاضر للايضاح او كناية عن الحضور اللايق به وفيه بعث النفوس على العبادة وحفظ النفس عن القبايح وضبط الاصوات وعدم رفعها كثيرا قوله لا باس بذكر الله وانت تبول فان ذكر الله حسن على كل حال دل على استحباب الذكر في حال الجنابة والخلاء وفي حال الطهارة وعدمها وفي وقت الخلوة وعدمها فيمكن ان يستفاد منه جواز تلاوة القرآن للجنب والحايض وسيجيء الكلام فيه في كتاب الطهارة ان شاء الله ثم فلا قام من ذكر الله ثم في تلك الحالات الا الشرافة الذكر وخروج الحال فظهر التفريع قوله يا موسى لا تفرح بكثرة المال ولا تدع ذكري على كل حال نهي عن الفرح بكثرة المال وترك الذكر في شيء من الاحوال ورتب على كل منهما ما ترتب عليه من الفساد ترغيبا في قبوله قوله اجعل لسانك من وراء قلبك تسلم يعني تامل وتفكر اولا فتكلم بما ادركه عقلك وراه خيرا لك وفارغا عن المفسدة وخاتمة العاقبة بعد فانك ان فعلت هكذا تسلم من الندامة عاجلا وآجلا ولا تجعل قلبك وراء لسانك كما هو شأن الجهال واهل النفاق فيتكلمون بما لا يعنيهم ويما يوردهم في معرض الهلاك والندامة وهذه الكلمة الشريفة الموجزة مشتملة على مصالح الدنيا والآخرة ولا تتبع الخطيئة في معدنها فتندم عند مشاهدة سوء عاقبتها في يوم لا ينفع فيه الندامة وكان المراد بمعدن الخطيئة هو الظلمة والفجرة او السفاهة والجهالة او كل ما يتولد منه الخطايا والشرور كرذايل النفس واهوائها وبالجملة نهي عن اتباع الخطيئة بالحذر من الاصول المتولدة هي منها قوله قال الله عز وجل اذكرني في ملاء اذكرك في ملاء خير من ملائك اراد بالملاء الاول الملاء من الناس وبالاخير الملاء من الملائكة كما ياتي تفسيره في الجزء الآخر والمعنى انوه باسمه فيهم وآمر ملكا ينادي بذكره في ملائكة السموات وفيه دلالة على تفضيل الملائكة على بني آدم في الجملة وهو كذلك واما الانبياء والاوصياء عليهم السلم فالظاهر انهما افضل من الملائكة لدلالة روايات متكثرة على ذلك وقد وجد مثل هذا في كتب العامة ففي مسلم ان ذكرني عبدي في ملاء ذكرته في ملاء هم خير منهم قال القرطبي يعني بهم الملائكة عليهم السلم وفيه تفضيل الملائكة على بني آدم وهو احد القولين انتهى وقال عياض اضطرب العلماء ايما افضل الملائكة او الانبياء على جميعهم السلم واستدل الاول

فيجوز تلاوة القرآن للجنب

تفضيل الملائكة على آدم

بهذا الحديث واجاب الاخرون تارة بان المعنى ذكره بذكر خير من ذكره وهو بعيد من اللفظ واخرى بان هذا الحديث
خبر واحد ورد بلفظ العموم وخبر الواحد لا يفيد القطع وفي التمسك بالعام خلاف ثم الخلاف في تفضيل الملائكة
والانبياء لا يجري في نبينا صلعم لانه خارج من هذا الخلاف للاجماع على انه افضل الخلق كلهم قوله ثم قال الله عز وجل

باب ذكر الله عز وجل كثيرا

يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا قال القرطبي في تفسير هذه الاية هذا السياق يدل على
وجوب الذكر الكثير لانه لم يكتف بحتى اكده بالمصدر ولم يكتف بالمصدر حتى وصفه بالكثير وهذا السياق
لا يكون في المندوب فظهر ان الذكر الكثير واجب ولم يقل احد بوجوب اللساني دائما فيرجع الى ذكر القلب وذكر
الله تعالى دائما في القلب يرجع اما الى الايمان بوجوده وصفات كماله وهو يجب ان يدوم في القلب ذكرا او حالا
الغفلة لانه لا ينفك عنه الا بنقيضه وهو الكفر واما ان يرجع الى ذكر الله تعالى عند الاخذ في العمل فانه يجب ان
لا يقدم احد على فعل او قول حتى يعرف حكم الله فيه ولا ينفك المكلف من فعل او قول دائما فيجب ذكر الله دائما
قوله وكنت ارى لسانه لا تزال رطبا بقول لا اله الا الله اللسان يلزق في قول هذه الكلمة الشريفة بالحنك اربع
مرات وكان بعضنا فامرنا بالذكر فيه فضل الاجتماع للذكر والدعاء والتلاوة وهذا متفق عليه بين الخاصة و
العامة ومن طرقهم عن النبي صلعم قال لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت
عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده قال بعضهم المراد بالسكينة الوقار والطمانينة وقال بعضهم المراد بها الرحمة
ورد بذكر الرحمة قبلها كما يضيء الكوكب الدري في بر الكوكب الدري الشديد الانارة كانه نسب الى الدر تشبيها
بصفائه وقال الفراء الكوكب الدري هو العظيم المقدار وقيل هو احد الكواكب الخمسة السيارة وخير لكم من الدينار
والدرهم وهو ظاهر لان نفعهما منقطع ونفع الذكر دائم او المراد خير لكم من انفاقهما في سبيل الله فقد اعطي خير الدنيا
والاخرة اما خير الاخرة فظاهر واما خير الدنيا فلان من كان لله كان الله له فهو مشغول بالذكر والله سبحانه مهيئ
للاسباب بهما له وقال في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر قال لا تستكثر ما عملت من خير لله كانه اشارة الى ان المعنى
من منه بكذا او ان تستكثر بدل منه وان ما صدر من الخير لله سواء كان عبادة له او الاحسان الى عباده يجب
ان لا يستكثر لان استكثاره يوجب اخراج النفس عن حد التقصير وعجبها واحباط اجرها قوله من اكثر ذكر
الله عز وجل اظله الله في جنته اي اظله فيها بظل قبابها وبيوتها واشجارها او اظله فيها بظل رحمته الفائضة
عليه انا فانا على ما ذكر كما قال ولدينا مزيد قوله يموت المؤمن بكل ميتة الا الصاعقة الميتة بالكسر حالة الموت

باب الصاعقة لا تصيب ذاكرا

ونوعه والصاعقة النار التي يرسلها الله تعالى مع الرعد الشديد قوله ان الله عز وجل يقول من شغل بذكري عن
مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي من سالني دل على ان من شغل بذكره تعالى خالصا من غير ان يجعله وسيلة للسؤال

عن

٢٦٩

باب ذكر الله عز وجل الستر

عن حاجته وقضاها فقضى الله تعالى حاجته ووجه التفضيل ح ظاهر ويمكن التعميم بحيث يشمل ايضا من اراد
السؤال ونسيه قوله قال الله تعالى من ذكرني في سر اذكره علانية لعل المراد به اظهار حاله الشريف في المخلوقين من
الملائكة والناس اجمعين قيل الذكر ما به ذكر باللسان وذكر بالقلب وهذا نوعان احدهما الفكر في عظمة الله
سبحانه وتعالى وجلاله وملكوته واياته ارضه وسمائه والثاني ذكره عند امره ونهيه فيمتثل الامر ويجتنب النهي
ويقف عندما اشكل وارفع الثلثة المذكورة الفكر لدلالة الاحاديث الواردة على الذكر الخفي واضعفها الذكر
باللسان ولكن له فضل كثير على ما جاء في الاثار وقيل الخلاف انما هو في الذكر بالقلب بالتهليل والتسبيح ونحوهما
وفي الذكر باللسان به لا في الذكر الخفي الذي هو الفكر وفي الذكر باللسان فان الفكر لا يقاربه ذكر اللسان فكيف
تفاضل معه ثم هذا الخلاف اذا كان القلب في ذكر اللسان حاضرا واما اذا كان لاهيا فذكر اللسان لغو لا ذكر في
مع ذكر القلب قال لان عمل السر افضل ومن فضل ذكر اللسان قال لان فيه زيادة عمل الجوارح على عمل ذكر القلب
وزيادة العمل تقتضي زيادة الاجر اقول وما ذكر من انه لا بد من حضور القلب كانه اراد به النية فان خلو الذكر عن
النية فهو لغو ثم ان صحبته النية من الشروع الى التمام فهو الغاية والمطلوب وان صحبته في الشروع وعرضت في الاثناء
فالظاهر انه اذا كان اصل العمل لله تعالى وعلى ذلك عقد فلا يضره ما يعرض من الخطرات التي تقع في القلب ولا يملك
لذلك اعتبروا النية الحكمية في الوضوء والصلوة ونحوهما دون الفعلية ثم اختلفوا في ان ذكر القلب هل
تكتبه الملائكة ويعلم فقيل نعم لان الله تعالى يجعل عليه علامة وقيل لا انهم لا يطلعون عليه اقول في باب
الصالحين ما يشعر بالثاني قوله قال الله عز وجل لعيسى يا عيسى اذكرني في نفسك اذكرك في نفسي قيل النفس
تطلق على الدم وعلى نفس الحيوان وعلى الذات وعلى الغيب ومنه قوله تعالى ولا اعلم ما في نفسك اي في غيبك و
الاولان يستحيلان في حقه تعالى دون الاخيرين اذا عرفت هذا فنقول المراد بالذكر النفساني في قوله تعالى اذكرني
في نفسك ذكر لا يعرفه غير الذاكر وفي قوله اذكرك في نفسي جزاء ذلك الذكر يعني اجازيك وارحمك لاجل الذكر
سمي جزاء الذكر ذكرا وليس المراد به الذكر المقابل للنسيان لان الذكر بهذا المعنى ثابت له تعالى سواء ذكره العبد ام
لا او المراد اذكرك من حيث لا يطلع احد فان العبد اذا ذكره تعالى بحيث لا يطلع عليه احد اثابه تعالى ثوابا
لا يطلع عليه احد كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فاخبر سبحانه بانه انفرد بعلم ما يجازي
به عباده الصالحين والله اعلم اذكرني في ملائك اشارة الى الذكر الجلي ويندرج فيه فعل الطاعات ظاهرا
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ايضا لان كل واحد منها من افراد الذكر اذكرك في ملاء خير من ملاء
الادميين اي اظهر ذكرك اياي للملائكة والروحانيين ليثنوا عليك او اظهر ثواب ذكرك لهم او اظهر فضلك

وشرفك على الاطلاق لهم واعلم ان سر ورى ان تبصبص الى التبصيص التملق من خوف او طمع وكن فى ذلك حيا

ولا تكن ميتا اى كن حاضر القلب ولا تكن ساهيا غافلا فان القلب الساهى الغافل عن ذكر الله تعم وعن ادراك

الحق ميت والقلب الغافل الذاكر حى وقوله تعم افمن كان ميتا فاحييناه وانك لا تسمع الموتى اشارة الى

باب ذكر الله عز وجل فى الغافلين

هذين القلبين قوله الذاكر لله عز وجل فى الغافلين كالمقاتل فى المحاربين تشبيه هيئة بهيئة او مفرد بمفرد والوجه

ظاهر ويندرج فى الذاكر فيهم الذاكر سرا او علانية وتعليما وتفهيما وامرا ونهيا ويجرى مثل ذلك فيما بعده

قوله تقول فى صلوتك بعد الرفع من الركوع سمع الله لمن حمده فيشملك هذا الدعاء لانك حمدته قال الشهيد الثانى

والشيخ فى الاربعين ضمن سمع معنى استجاب فلذلك عدى باللام كما ضمن معنى الاصغاء فعدى بالى فى قوله

باب التحميد والتمجيد

تعالى لا يسمعون الى الملاء الاعلى قوله عن حميد بن زياد عن الحسين بن محمد هكذا فى النسخ التى رايناها والظم

ان محمد بن سماعة الحسن بكثرة الان حميد بن زياد يروى عنه وهو يروى عن احمد الميثمى وكان رسول الله

صم اذا اصبح قال الحمد لله رب العالمين كثيرا ثلثمائة وستين مرة فاذا امسى قال مثل ذلك هذا مفصل و

السابق عليه وهو انه صم كان يقول فى كل يوم الحمد لله رب العالمين كثيرا ثلثمائة وستين مرة مجمل والمجمل

يحمل على المفصل مع احتمال حمل السابق على انه صم كان يقول العدد المذكور فى كل يوم وحمل هذا على انه كان

يقول فى بعض الايام مرتين مرة فى الصباح ومرة فى المساء وفى لفظة اذا اشعار بذلك لانها للاهمال والمعهلة فى

حكم الجزئيه قوله من قال اربع مرات اذا اصبح الحمد لله رب العالمين فقد ادى شكر يومه على النعم الواصلة اليه

فى ذلك اليوم واحمد شكر بل راسه لانه من اظهر افراده اذ فى الاصل الاعتقاد وفى دلالته ودلالة اعمال

الاركان على النعم خفاء قوله كل دعاء لا يكون قبله تحميد فهو ابتر اى اقطع من البتر وهو القطع والمراد

به النقص والقطع من القبول او الصعود انما التحميد ثم الثناء مر الفرق بينهما او فيه حذف وهو ثم الدعاء

ولو كان الدعاء بدل الثناء لم يحتج اليه قلت ما ادرى ما يجزى من التحميد والتمجيد مر الفرق بينهما ايض قال

قوله يقول اللهم انت الاول حصر الاولية المطلقة فيه دل على وجوبه بالذات وقدمه ولذلك فرع عليه

فليس قبلك شئ اذ لو كان قبله شئ واتصف بالحدوث لم تكن له اولية مطلقة هذا خلف وانت الآخر لعل

المراد بالآخر الآخر بحسب الغايات وحصر الآخرية المطلقة بحسبها دل على انه منتهى كل غاية ومرجع كل

حاجة ولذلك فرع عليه قوله فليس بعدك شئ اذ كل من بعده شئ فى سلسلة رفع المقامات والحاجات ليس هو

منتهيها او بالجملة اشار بالفقرة الاولى الى انه الاول باعتبار ابتداء الوجودات وبالفقرة الثانية الى انه الآخر

باعتبار انتهاء الغايات فدايرة الامكان تبتدى منه فى الوجود وتنتهى اليه فى الحاجة وانت الظاهر اى الغالب

القادر

القادر على جميع الاشياء وحصر الغلبة المطلقة فيه دل على ان احدا غيره ليست له تلك الصفة فلذلك فرع

عليه قوله فليس فوقك شئ يغلبك ويقدر عليك اذ لو كان فوقه غيره شئ يكون له تلك الصفة والاول

اظهر والثانى انسب بالقرائن السابقة وانت العزيز الحكيم هما من اسمائه تعم والعزيز هو الغالب القوى

الذى لا يغلب والرفيع المنيع الذى لا يعادله شئ ولا يماثله احد والعزة فى الاصل القوة والشدة والغلبة و

يقال عز يعز بالكسر اذا صار عزيزا وبالفتح اذا اشتد والحكيم هو الذى يقضى بالحق والذى يحكم الاشياء

ويتقنها باكمل التدبير واحسن التقدير والتصوير والذى لا يفعل القبيح ولا يخل بالاصلح والذى يضع

الاشياء فى مواضعها والذى يعلم الاشياء كما هى واعلم ان هذا الدعاء تضمن ما تضمن قوله تعم هو الاول

٢٧٠

والآخر والظاهر والباطن واختلف عبارات المفسرين فيه فقيل انه الاول بلا بداية والآخر بلا نهاية

والظاهر بلا اقتراب والباطن بلا احتجاب وقيل الاول بالابتداء والآخر بالانتهاء والظاهر بالآيات

عن الادراكات وقيل الاول القديم والآخر الباقى وقيل الظاهر الغالب والباطن اللطيف الرفيق بالخلق

وقوله تعم فاصبحوا ظاهرين اى غالبين قاهرين وقيل ظاهر لقوم فوجدوه وباطن عن قوم فجحدوه قال المازرى

واحتج المعتزلة لمذهبهم ان الاجسام تفنى لان معنى الآخر الباقى بعد فناء خلقه ومذهب اهل السنة

خلافه وان المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم وقد مر فى صدر هذا تفسير شئ من هذه الكلمات

قوله الحمد لله الذى علا فقهر اى فوق الممكنات بالشرف والرتبة والعلية والقدرة والقوة فقهرهم بالاعياد

والامانة وغلبهم بالاعدام والابقاء فلا يملكون المنع والدفع ولا الضر والنفع وقد يكون علوه تعم عبارة

عن تنزهه عن صفات المصنوعين وسمات المخلوقين وعن الاشباه والاضداد والامثال والانداد و

الحمد لله الذى ملك فقدر اى ملك رقاب الاكاسرة واعناق القياصرة وزمام المخلوقات وعنان

المصنوعات فقدر على امضاء ما اراد واجراء ما شاء عليهم من الاحياء والاماتة والابقاء والازالة

والصحة والسقم وغيرها من الامور المعلومة لنا وغير المعلومة والحمد لله الذى بطن فخبر من الخبر

وهو العلم اى دخل علمه فى بواطن الاشياء فعلم بواطنها كما علم ظواهرها او بطن من الابصار والاوهام

واحتجب من العقول والافهام فلا يدركه بصر ووهم ولا يحيط به عقل وفهم وهو يدركها كما قال تعم

لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير والاول انسب كما لا يخفى والحمد لله

الذى يحيى الموتى فى القبر والحشر او الاعم الشامل لاحياء المواد الحيوانية بافاضة الارواح واحياء

القلوب الميتة بافاضة المعارف وهو على كل شئ من الممكنات قدير فلا يستطيع شئ منها ان يتجاوز

بيان معنى استغفار رسول الله صلعم

عن تقديره وتدبيره وارادته وقضائه على نحو ما اراد قوله ان رسول الله صم كان لا يقوم من مجلس وان خف حتى
يستغفر الله عز وجل خمسا وعشرين مرة قبل دعاؤه واستعاذته واستغفاره صم مع معافاته وعصمته انما هو لتعلم
الخلق والمبالغ فى العبودية والخوف وقيل قد كان يحصل له فترات وغفلاة من الذكر الذى شانه الدوام عليه
فى
فعد ذلك ذنبا واستغفر عنه وقيل كان استغفارا لامته بسبب ما اطلع عليه من احوالهم وقيل سببه بالنظر
مصالح امته وامورهم ومحاربة العدو ومداراتهم وتاليف المؤلفة ونحو ذلك من معاشرة الازواج والاكل
والشرب والنوم وذلك مما يحجبه ويحجزه عن عظيم مقامه فرآه ذنبا بالنسبة الى ذلك المقام العلى وهو حضوره فى
حضرة القدس ومشاهدته ومراقبته وفراغه مع الله عما سواه فيستغفر لذلك وان كانت تلك الامور من اعظم
الطاعات وقيل سببه تغشى السكينة قلبه لقوله تعالى فانزل الله سكينته على رسوله فالاستغفار لاظهار العبودية
والافتقار والشكر لما اولاه وقيل سببه حالات حسنة وافتقار فالاستغفار شكرها قال المحاسبى خوف
المقربين خوف لجلال واعظام وقيل سببه شئ يعترى القلوب الصافية مما يحدث فى النفس من الملامة و
المقام
الحديث والغفلة فيشوشها وقيل انه صم كان يترقى فى كل يوم الى مقام اعلى من الذى قبله فيجعل الكون فى
الذى انتقل عنه كالذنب بالنسبة الى المقام الذى ترقى اليه وان كان من المقامات العالية قوله ومن حمد الله مائة

باب التسبيح والتهليل والتكبير

مرة كان افضل من حملان مائة فرس فى سبيل الله آه الحملان بالضم مصدر وفعل من باب ضرب والسروج جمع سرج
كالفلوس جمع فلس واللجم والركب بضمتين جمعا جمع اللجام بالكسر والركاب وفى قوله ثم من زاد تنبيه على ان ما زاد
على هذا العدد يكون له الاجر بحساب ذلك وانه ليس من العبادات التى نهى عن الشرع الزيادة فى عددها وقوله
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ظاهر فى تفضيل الغنى على الفقير لانه لما استويا فى عمل الذكر واختص الاغنياء
بيان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
العبادات المالية بما عجز الفقراء عنه قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فالاشارة بذلك الى الفضل الذى اختص
به وانما طال النظر فى ذلك لانه لا امكان ان يجعل سبق الفقراء بالذكر المذكور وتقدمهم على الاغنياء فضيلة اختص
بها دون الاغنياء وجعل ذلك اشارة اليها فيفيد تفضيل الفقير على الغنى لكنه عدول عن الظاهر ولا يمكن ترجيح
هذا بقوله كان افضل الناس عملا ذلك اليوم الا من زاد بناء على حمل الناس على العموم وحمل الزيادة على الزيادة
فى الذكر فى لتصف بالزيادة المالية داخل فى المفضل عليه وغير خارج بالاستثناء لانا نمنع عموم الناس لاستلزامه
تفضيل الشئ على نفسه بل المراد به من لم يات فى الذكر المذكور ونمنع ايضا تخصيص الزيادة بالزيادة الذكر لجواز
ان يكون المراد بها الزيادة المطلقة الشاملة للزيادة فى الذكر وفى غيره من الاعمال التى يشمل الحقوق المالية وبعض

تحقيق افضلية الفقر والغنى

الافاضل فى تحقيق افضلية الفقر والغنى كلام لا باس ان نورده فى هذا المقام فانه يقع محل النزاع وهو ان الفقر والغنى

ثلثة

ثلثة الاول الغنى والفقير اللذان يفعل كل منهما الواجب عليه فقط الثانية ان يفعل كل منهما ما هو مقدوره
كان يصبر الفقير ويؤثر على غيره ويحج الغنى ويعتق ويتصدق الثالثة الفقر والغنا وصفان كليان من حيث
كون كل منهما قابلا لامر اما الغنى فقابل لتحصيل القرب بالمالية واما الفقر فقابل للصبر وكل واحد من هذه
راجح
الثلثة يصح ان يكون محلا للخلاف اما الاولى فلانه يمكن ان يقال فيها اهل فضل القربات المالية الواجبة
من صبر الفقراء وصبره ارجح واما الثانية وهى الاتية بهذا الحديث فكذلك بنحو ما تقدم واما الثالثة فكذلك
فانه يصح ان يقال اهل قابلية فعل الخيرات والقربات المالية راجح من قابلية تحصيل الصبر والسلامة من عهدة
الغنى وتكاليفه والعكس فتامل وتبع بحسب ما ظهر لك من الروايات وغيرها قوله قال امير المؤمنين عم التسبيح نصف
الميزان والحمد لله يملأ الميزان اما بنفسه او مع التسبيح فهو على الاول ضعف التسبيح وعلى الاخير مثله والله
اكبر يملأ ما بين السماء والارض قال بعض الافاضل ان التسبيح والتحميد والتكبير وغيرها من الاعمال تجسم فى
الاخرة وبوزن بعيار فقيل هو كناية عن تكثير العدد اى حمدا لو كان يقدر جسما لملأ ويوزن بميزان لملأ وقيل
٢٧١
هو لتكثير اجوره وقيل هو على التعظيم والتفخيم لشانه وقد جاء من طرق العامة ان الميزان له كفتان كل
كفة طباق السموات والارض وجاء ايضا ان الحمد لله يملأه وقيل القول الاول وهو انه لتكثير العدد لظهر
المغروس
لحى سبحان الله عدد خلقه وظاهره انه لتكثير العدد قوله مر رسول الله صم برجل يغرس غرسا الغرس
والجمع اغراس وغراس وغرس الشجر واغرسه اثبته فى الارض فقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب
والله اكبر آه فى طريق العامة عن النبى صم قال لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب
الى مما طلعت عليه الشمس يريد ان هذا الذكر احب الى من ان يكون لى الدنيا فانفقها فى سبيل الله والا فالدنيا
من حيث هى لا تعدل عند الله تعالى ولا عند اوليائه جناح بعوضة قوله هو المؤمن يدعو لاخيه بظهر الغيب
فيقول له الملك آمين آه اى فى حال الغيب وخص لدعاء بظهر الغيب لانه ابعد من الرياء واقرب الى الاخلاص
والاخ شامل للواحد والجماعة من المؤمنين احياء كانوا ام امواتا والظاهر من الملك هو الموكل بكتب اعماله
وحفظه من الشياطين كما دل عليه الخبر الاتى وقيل المراد به ملئكة السماء وقيل اذا قال الموكل به ذلك قاله من
فوقه حتى ينتهى الى ملئكة السماء وقيل المراد به الملئكة المستغفرون لمن فى الارض كما جعل الله سبحانه ملئكة تصلى
على من يصلى على النبى صم وملائكة تدعو لمن ينتظر الصلوة كذلك جعل ملئكة يؤمنون على دعاء المؤمنين وما
منهم الا وله مقام معلوم وقوله وله مثلاه الظاهر انه خبر ويحتمل الدعاء ولا ينافى ذلك ما يجى من انه
ينادى من العرش ولك مائة الف ضعف لان الضعف بمقتضى دعائه والزائد تفضل منه تعالى لمن يشاء اوله

الضعف اقل المراتب ومائة الف ضعف اكثرها وبينهما مراتب متفاوتة بحسب تفاوت مراتب الداعي والمدعو له

يحتمل ان يكون علة الضعف ان الدعاء للغير يتضمن عملين صالحين احدهما الدعاء والتضرع الى الله تعالى والثاني

دعاؤه لاخيه ومحبته له وطلب الخير له ولذلك كان هذا الدعاء مستجابا يوجر عليه مرتين ثم بعض السلف كان

اذا اراد ان يدعو لنفسه يدعو لاخيه المسلم بتلك الدعوة طمعا لحصول المطلوب مع زيادة لما راى انها

مستجابة ويدل عليه فعل عبد الله بن جندب كما يجيء وكان بعضهم يقول هذا خلاف الاولى والاولى

ان يدعو لنفسه ولغيره ثم الدعاء على الغير ليس مثل الدعاء له في تامين الملائكة وطلب المثلين عليه والمعروف في

آمين المد وتخفيف الميم وحكى ثعلب فيه القصر وانكره غيره وقال انما جاء مقصورا في الضرورة وحكى بعضهم

فيه المد وشد الميم وقيل هي لغة شاذة وخطئ قائلها ومعناها اللهم استجب وقد وقع الحث على ختم الدعاء بعد

الدعاء من طرق العامة ايضا روى عن ابي زهير النميري وكان من الصحابة فاذا دعى احدنا قال اختمه بآمين فان آمين

مثل الطابع على الصحيفة قال ابو زهير الا اخبركم عن ذلك خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات مرة فاذا رجل قد الح

في المسألة فقال النبي صلى الله عليه وآله قد اوجب ان اختمه فقال رجل من القوم باي شيء يختمه فقال بآمين فانه ان ختم بآمين

قد اوجب واختلفوا في انها هي دعاء ام لا فقيل بالثاني لانها اسم للدعاء وهو اللهم استجب والاسم مغاير

لمسماه وقيل بالاول وهو الحق لانها اسم فعل واسماء الافعال اسماء لمعاني الافعال لا لالفاظها كما حققه

الشيخ الرضي ومن ادلته ان العرب يقول صه مثلا ويريد معنى اسكت ولا يخطر بباله لفظ اسكت بل قد لا

يكون مسموعة له اصلا **قوله** فيسحب اي يجر يسحبه كمنعه جره على وجه الارض ومنه سحب ذيله فانسحب **قوله**

فلما صدر الناس اصل الصدر الانصراف يقال صدر الناس اذا انصرفوا واصدرته اذا صرفته **قوله** كف ايها

الستر على ذنوبه وعورته يحوز في الستر كسر التاء وفتحها والتشديد للمبالغة والتكثير والعورة العيب واربع على

نفسك ربع كمنع وقف وتحبس ومنه قولهم اربع عليك او على نفسك يعني قف على نفسك واقتصر عليها **قوله**

ثلثة دعوتهم مستجابة الحاج فانظروا كيف تخلفونه في اهله وماله وداره وعقاره وفيه ترغيب في حسن مراعاة

احواله **قوله** حتى ينظر الله اليها اريد به نظر العناية وارادة القبول **قوله** من قدم اربعين من المؤمنين يجوز تخفيف

الدال وتشديدها والثاني اظهر لان للاجتماع مدخلا عظيما في استجابة الدعاء **قوله** اربعة لا ترد لهم دعوة

حتى تفتح لهم ابواب السماء او تصير على العرش حتى غاية لعدم الرد لا للرد ولفظة او بمعنى الى ان او للعطف على

يفتح والفتح اما كناية عن قبول الدعاء وصعوده الى السماء او محمول على الحقيقة **قوله** ومن غزى في سبيل الله

عطف على قوله قد اجيبت دعوتكما **قوله** ثم قال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما

الارواح

باب من لا يستجاب دعوته

تحقيق لفظة آمين

الاسراف صرف المال زائدا على القدر الجائز شرعا وعقلا والقتر والقتور التضييق يقال قتر على عياله قترا وقتورا

من باب قعد وضرب ضيق في النفقة واقتر اقتارا وقتر تقتيرا مثله والقوام بالفتح والكسر العدل والاعتدال **قوله** وهو لها

ظالم لسبب الدعاء عليها لان دعائه عليها مع قدرته على التخلص بوجه اخر ظلم **قوله** ادع عليه اذا اقبل واذا ادبر

الظهر من الاستدبار ضد الاقبال وارادة الغيبة احتمال بعيد **قوله** نوه باسمي نوه باسمه تنويها رفع ذكره اللهم

اضربه بسهم عاجل اي ببلية عاجلة سماها سهما على سبيل الاستعارة وقرب اجله الاجل محركة غاية الوقت

في الموت وحلول مدة العمر واقطع اثره الاثر بالتحريك الخبر وايضا اثر القدم في الارض وفيه دعاء عليه بالموت الى

من مات لم يبق له خبر في الاحياء ولا يرى لاقدامه اثر في الارض او دعاء عليه بالزمانة فان من زمن انقطع

وانقطع اثره **قوله** فان رايت ان تدعو الله عز وجل الجزاء محذوف اي دعونا عليه فقال هذا ضعف بك حثه على

الدعاء عليه على وجه المبالغة ولعل هذا اشارة الى فعل فلان به وحمل ضعف عليه من باب حمل السبب على المسبب

قل اللهم انك تكفي من كل شيء ولا يكفي منك شيء اي تغنيني من كل شيء ولا تغنيني منك شيء وفيه توسل تام اليه

عز وجل في الكفاية عن المهمات ودفع البلايا فلذلك قال فاكفني امر فلان طلب قيامه عز وجل مقامه في دفع عدوه

وفي النهاية كفاية الامر اذا قام مقامه فيه بم شئت وكيف شئت ومن حيث شئت حيث يلك آخره وانى

شئت ثم اشارة الى شئت الاحد وكيف الى الكيفية وحيث الى مكانة وانى الى زمانه فهو هنا بمعنى متى الزمان

لا بمعنى ولا بمعنى اين لئلا يلزم التكرار **قوله** لما قتل داود بن علي المعلى بن خنيس معلى مولى ابي عبد الله وفي مدحه

ذمه اختلاف بين اصحاب الرجال روى عن ابن ابي نجران عن حماد بن ناب عن المسمعي قال لما اخذ داود

بن علي المعلى بن خنيس حبسه فاراد قتله فقال له معلى اخرجني الى الناس فان لي دينا كثيرا ومالا حتى اشهد

بذلك فاخرجه الى السوق فلما اجتمع الناس قال ايها الناس انا معلى بن خنيس فمن عرفني فقد عرفني اشهدوا

ان ما تركت من مال عين او دين او امة او عبيد او دار او قليل او كثير فهو لجعفر بن محمد عليهما السلام قال فشد

عليه صاحب شرطة داود فقتله قال فلما بلغ ذلك ابا عبد الله عليه السلام خرج يجر ذيله حتى دخل على داود بن علي

واسمعيل ابنه خلفه فقال يا داود قتلت مولاي واخذت مالي فقال ما انا قتلته ولا اخذت مالك

فقال والله لادعون على من قتل مولاي واخذ مالي فقال ما قتلته ولكن قتله صاحب شرطتي فقال

فقال بأذنك او بغير اذنك فقال بغير اذني فقال يا اسمعيل شانك به فخرج اسمعيل والسيف معه حتى قتله

في مجلسه اللهم اني اسألك بقوتك القوية القوة والقدرة متقاربان وفي وصف القوة بالقوية اشارة الى

كمالها واستيلائها على جميع الممكنات وعدم تطرق العجز اليها وبجلالك الشديد اي القوي الغالب المرتفع العالي

باب الدعاء على العدو

على كل شيء والجلال العظمة ومن اسمائه تعالى الجليل في النهاية هو الموصوف بنعوت الجلال والحاوي لجميعها
وهو راجع الى كمال الصفات كما ان الكبرياء راجع الى كمال الذات والعظيم الى كمال الذات والصفات وهذا الدعاء
مذكور في كتاب الرجال الفاضل الاسترابادي وفيه وعالك الشديد وفي النهاية المحال بالكسر الكيد وقيل
المكر وقيل القوة والشدة وميمه اصلية ورجل محل اي ذو كيد بعث الله عز وجل ملكا فضرب راسه بعزبة
من حديد اه في ق الارزبة والمرزبة مشددتان او الاولى فقط عصية من حديد وفي ص الارزبة التي
يكسر بها المدر فان قلتها بالميم خففت وقلت المرزبة وفي الجزري مرزبة بكسر الميم وفتح الزاي والمحدثون يروونها
بتشديد الباء والصواب تخفيفها واما اهل اللغة فلا يعرفونه سوى التخفيف وانما يكون التشديد في ارزبة بالهمز
وهي مطرقة الحديد الكبيرة التي يدق بها النحاس والحديد عند خروجهما من النار والمثانة العضو الذي يجتمع فيه البول
داخل الجوف قوله نزلت في امراء السرايا في ره السرايا جمع السرية وهي طائفة من الجيش يبلغ اقصاه اربعمائة تبعث
الى العدو سموا بذلك لانهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السري النفيس وقيل سموا بذلك لانهم
ينفذون سرا وخفية وليس بالوجه لان لام السر راء وهذه ياء اذا كان ذلك فادعهم الى المباهلة في نهلة
البهلة بضم الباء وفتحها اللعنة والمباهلة الملاعنة وهي ان يجتمع القوم اذا اختلفوا في شيء فيقولوا لعنة الله
على الظالم منا قلت وكيف اصنع سال عن كيفية المباهلة لعلمه بانها على كيفية مخصوصة قال اصلح نفسك
ثلثا اي ثلث ايام قبل المباهلة بالتوبة والاستغفار والدعاء والخضوع لله تعالى واظنه قال وصم اي في الايام
الثلثة واغتسل عند الخروج والظاهر انه عطف على اصلح لا على صم لكون داخلا في المظنون وان كان محتملا
وابرز انت وهو الى الجبان الجبان والجبانة بفتح الجيم وشد الباء الصحراء ويسمى بهما المقابر لانها يكون في الصحراء
تسمية للشيء باسم موضعه فشبك اصابعك من يدك اليمنى في اصابعه من يده اليمنى ثم انصفه الانصاف
العدل وهو يقتضي تقديم نفسه كما قال وابدا بنفسك في الدعاء عليها بالهلاك على تقدير انكارها الحق فان نزل
عليه حسبانا وهو بالضم الصاعقة ويطلق ايضا على العذاب والبلايا او عذابا اليما عطف تفسير وانما لم يكتف بالاول لدلالته
على التعميم ورفع توهم التخصيص بنوع منه قوله الساعة التي يباهل فيها ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه وقت
استجابة الدعاء وينبغي طلب هذا الوقت للمباهلة ان امكن والا فيجوز في غيره وملاعنة سبعين مرة يعني ان لم
يقع الاستجابة في المرة الاولى لاعنه مرة ثانية وهكذا او احتمال كون هذا العدد في مجلس واحد بعيد قوله
حين يكون الشمس اه اي حين يكون الشمس من جانب المشرق الى الصلوة الاولى وهي الظهر مقدارها حين يكون
من جانب المغرب وقت العصر الى الغروب وهو قريب من ثمن الدور ومثله في آخر الليل الى طلوع الفجر فاذا قال

باب المباهلة

باب ما يمجد به الرب تبارك وتعالى

اول

اول ساعات الليل في الثلث الباقي الى ان يسحر الصبح ولم يقل او ما من الثلث الباقي او اول الثلث الباقي ولو قال
ذلك لكان المقدار قريبا من سدس الدور وهو اكثر من ثلث ساعات وفيه دلالة ما على ان ما بين طلوع الصبح الى
طلوع الشمس داخل في النهار بقول اني انا الله رب العالمين الله اشهر اسمائه تعالى واعلاها محلا في الذكر والدعاء
ولذا ابتدا به في القران المجيد وفي فقرات هذا التمجيد وهو اسم للذات الواجب بالذات المستحق لجميع المحامد
والكمالات والرب قيل هو مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ كل شيء الى كماله اللائق به شيئا فشيئا والوصف به
كزيد عدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه فهو رب ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه
لينقل من حد النقص الى حد الكمال والعالم هو كل ما سوى الله تعالى من المجردات والماديات الجسمانيات
وفيه دلالة على افتقار الممكن الى المؤثر في البقاء لان التربية بالمعنى المذكور لا يكون الا في حال البقاء بواسطة
الابقاء اني انا الله العلي العظيم العلي المتنزه عن الصفات الممكن وقد يكون بمعنى العالي فوق خلقه بالغلبة والقدرة
عليهم ومعنى المتعالي عن الاشباه والانداد والعظيم ذو العظمة وهو راجع الى كمال الذات والصفات كما مر
اني انا الله العزيز الحكيم العزيز الغالب الذي لا يغلب ولا يعادله شيء والحكيم الذي يعلم الاشياء كما هي ويحكم
خلقها وسقيها بلطف التدبير وحسن التقدير وقد مر اني انا الله الغفور الرحيم اي كثير المغفرة للسيآت
وعظيم التجاوز عن العقوبات وشديد الرحمة بالتائبين ومفيض الخير الى النادمين اني انا الله الرحمن الرحيم
اي ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلق في الدنيا بايصال الارزاق وتيسير الاسباب ودفع البليات وفضل الخاص
للمؤمنين في الآخرة باعطاء جنات عالية وعيون جارية ونعم باقية وتفضلات زاكية اني انا الله مالك يوم
الدين الدين الجزاء اي مالك الامور كلها والمتصرف فيها يوم الجزاء اذ لا مالك فيه غيره حذف المفعول به
واقيم الظرف مقامه وجعل مفعولا به على سبيل الاتساع والتجوز اني انا الله لم ازل ولا ازال اذ لا ابتداء
لوجوده ولا نهاية له فيكون ازليا وابديا اني انا الله خالق الخير والشر اي مقدرهما او خالق النور والظلمة
او خالق الحيوة والموت او خالق الغنى والفقر والصحة والسقم وغيرها من الصفات المتضادة اني انا الله خالق
الجنة والنار الظاهر ان خالق من حيث هو مضاف صفة لله لا خبر بعد خبر وح وجب ان يكون بمعنى
الماضي ليكون الاضافة معنوية مفيدة للتعريف لا بمعنى الحال او الاستقبال فيفهم منه ان الجنة والنار
مخلوقتان وهذا يجري في سائر الاضافات الواقعة في هذا التمجيد اني انا الله بدئ كل شيء واليه يعود البدي
كالبديع الاول كالبدو والله سبحانه اول كل شيء بالغلبة واليه عوده بعد الفناء وبالحاجة حال البقاء
اني انا الله الواحد الصمد اي المتفرد في الذات والصفات والمقصد للخلايق في الحوائج والمهمات اني انا الله

افتقار الممكن في البقاء
العلي
العظيم
العزيز
الحكيم

علم الغيب والشهادة المراد بهما الاخرة والدنيا او ما غاب عن الحس وما حضر او السر والعلانية او عالم الغيب
المجردات وعالم الجسمانية انى انا الله الملك القدوس اى المتصرف بالامر والنهى فى المخلوقات والمنزه عن
والنقص وصفات الممكنات السلام المؤمن المهيمن من اسمائه تعالى السلام وهو فى الاصل مصدر ووصفه
به للمبالغة ومعناه السلامة عما يلحق الخلق من العيب والحاجة والفناء وقيل الجنة دار السلام لان اهلها
سالمون من الافات او لانها داره عز وجل ومن اسمائه المؤمن لانه الذى يصدق عباده وعده فهو من
التصديق او يؤمنهم فى القيمة عذابه فهو من الامان والامن ضد الخوف ومن اسمائه المهيمن قيل هو الرقيب
لكل شئ وقيل هو الشاهد على الخلق وقيل المؤتمن وقيل القائم بامور الخلق وتدبيرهم وقيل اصله مؤيمن
ابدلت الهاء من الهمزة وهو مفيعل من الامانة العزيز الجبار المتكبر العزيز المنيع الذى لا يغلبه شئ وقيل هو
على الخلق او لا يعادله شئ او لا مثل له ولا نظير والجبار من ابنية المبالغة ومعناه الذى يقهر العباد على ما
اراد من امر ونهى وغيرهما من الامور التى ليس لهم فيها اختيار ولا قدرة على تغيرها وقيل هو العالى فوق خلقه
وقيل هو الذى يجبر مفاقر الخلق وكسرهم ويكفيهم اسباب الرزق ويصلح احوالهم والمتكبر العظيم من الكبر
هو العظمة وهى عبارة عن كمال الذات والصفات وقيل هو المتعالى عن صفات خلقه وقيل المتكبر على
عتاة خلقه انى انا الله الخالق البارئ المصور لى الاسماء الحسنى هى التى لا نقص فيها او لانها قال الشيخ
فى المفتاح قد يظن ان الثلثة مترادفة لانها بمعنى الايجاد والانشاء فذكرها للتاكيد وليس كذلك بل هى
متخالفة الا ترى ان البيان يحتاج الى تقدير فى الطول والعرض والى ايجاد بوضع الاحجار والاخشاب
على نهج خاص والى تزيين وتنقش وتصوير فهذه امور ثلثه مترتبة يصدر عنه جل شانه فى ايجاد الخلق
من كتم العدم فله سبحانه باعتبار كل منها اسم على ذلك الترتيب انى انا الله الكبير فى العدة الكبير السيد
يقال كبير القوم سيدهم وفى تعبير الكبير العظيم فهو والمتكبر متقاربان لان فى المتكبر دلالة على الزيادة
قوله ما من شئ اعظم ثوابا من شهادة ان لا اله الا الله عز وجل لانها كلمة الاخلاص والتوحيد ونفى الشرك — باب من قال لا اله الا الله
والانداد ويوصفه بالصفات اللايقة به سبحانه وتحكم باحتياج كل موجود سواه اليه على انها اصل جميع العبادات
اذ لا اعتداد بها ولا يترتب الثواب عليها الا بعد قول هذه الكلمة الشريفة من طرق العامة عنه صلعم افضل ما
قلته وقاله النبيون من قبلى لا اله الا الله قال بعض العامة قيل انه اسم الله الاعظم وهى كلمة الاخلاص
الظاهر انه لا يشترط فى دخل الاسلام التلفظ بلفظة اشهد ان لا اله الا الله فلو قال الله واحد او قال
لا شريك له كفى واما كون التلفظ بذلك شرطا فى حصول الثواب المذكور فمحتمل لا بعد له شئ فى كمال الذات و

الصفات

والصفات ولا شريكه فى الامور اى فى صفات الافعال احدث الموجودات قوله غرست له شجرة فى الجنة من
ياقوتة حمراء من ياقوتة او ابتدائية وفى بعض الروايات ان ارض الجنة بيضاء فاغرسوها بالتسبيح والتهليل و
التحميد ونحوها منبتها اى مسك ابيض وصف لارض الجنة فى طيبها او ريحها الحلى من العسل واشد بياضا
من الثلج واطيب ريحا من المسك اى ثمرها الحلى الى اخره او وصف للشجرة باعتبار ثمرها فيها امثال ثدى
الابكار اى فى الشجرة اثمار مشبهة بثدى الابكار فى الهيئة والمقدار وكان المراد بها الرمان والثدى
بالفتح يذكر ويؤنث والتذكير اكثر وقيل يؤنث والتذكير مجاز وقوله تعلو عن سبعين حلة من حلل الجنة
ترشح ووصف الثدى بالنور والضيا والحلة بالرقة والصفاء للترغيب والتنشيط والحمل على الثدى
وقال خير العبادة قول لا اله الا الله والاستغفار يحتمل ان يكون المراد مجموع التوحيد والاستغفار من حيث المجموع
خير العبادة لكن فيه شئ لانك قد عرفت ان التوحيد وحده خير العبادة فما الفايدة فى ضم الاستغفار معه والحكم
على المجموع بالخيرية ويمكن الجواب بان الخيرية يقبل التشكيك فهذا الفرد منها اكمل من السابق ويحتمل ان يكون المراد
ان كل واحد منهما خير العبادة اما الاول فلما عرفت مما ذكرناه واما الثانى فلان الاستغفار فى نفسه عبادة لكونه
غاية الخشوع والتذلل والرجوع اليه سبحانه ومع ذلك سبب لمحو الذنوب الصغيرة والكبيرة جميعا الذى
يوجب طهارة النفس وحصول القرب اليه سبحانه لان المعصية مانع منه واما غيره من العبادات و
باب من قال لا اله الا الله والله اكبر — ان كان مكفرا للذنوب لكن ليس بهذه المثابة قوله ثمن الجنة لا اله الا الله والله اكبر اى اكبر من كل شئ
او اكبر من ان يوصف والبائع هو الله سبحانه والمشترى هو العبد والثمن هو هذه الكلمة الشريفة مع
شرايطها ومن شرايطها الاقرار بالرسالة والولاية لاهلها قوله طوبى لمن قال آه طوبى اسم شجرة فى الجنة
وهى من الطيب قلبت الياء واوا للضمة قبلها ويقال طوباك وطوبى لك والمقصود ان الجنة لمن قال ذلك وتتمته
للمحل اسم الحال او طيب العيش لم و نكرير وحده للمبالغة والتاكيد منفردا فى الذات والصفات لا نظير له
ولا مثل وكان لم يزل ولم يكن معه شئ وفى تعبير هو منصوب عند اهل البصرة على الحال والمصدر وعند اهل
باب من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له عشر — الكوفة على الظرف كانك قلت اوحدته برؤيتى ايجادا اى لم اذ غيره قوله من قال عشر مرات قبل ان تطلع الشمس
وقبل غروبها آه من طريق العامة عنه صلعم لمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شئ قدير عشر مرات كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسمعيل قال الابى فيه دلالة على
ان العرب تسترق واعلم انه اذا رتب الثواب على عدد معين فالظاهر انه لا يترتب على اقل او اكثر وبه صرح
ابن طاوس ره وغيره وقد يشكل بانه اذا قال ذلك صادق القول عند هذا المقام عشرة اذ رغ فاين انتهى

كان فيه كثر قال شيخى وانه لا يمكن تحصيله فى تسعة او فى احد عشر ثم قيل انه الاولى تمام العدد من غير
فصل بكلام اجنبى فلو فصل كان الاولى اعادته ومع ذلك لابد من توجه النفس اليه وربط القلب به
لان التوجه روح العبادة كانت كفارة لذنوبه ذلك اليوم يحتمل ان يراد باليوم اليوم مع ليلته فتكون
ما قاله قبل طلوع الشمس كفارة لذنوب الليل وما قاله قبل غروبها كفارة لذنوب الليل اليوم ولو
اليوم لبقى ذنوب الليل بلا كفارة ثم الظاهر من الذنوب جميعها صغيرة كانت او كبيرة ولا يبعد تخصيصها
بالصغيرة لان الكبيرة لا يكفرها الا التوبة او فضل الله تعالى ويؤيد هذا التخصيص قوله فى الخبر الاتى ولم
يحط به كبيرة من الذنوب **قوله** لم يلق الله عز وجل بعمل افضل من عمله الا من جاء بمثل عمله فيه اشكال
ظاهر الاستثناء يفيد ان عمل من جاء بمثله عمله افضل من عمله والمثلية يقتضى المساواة وبينهما تنافى
اللهم الا ان يراد بالافضل الفضل ويتعلق القصد بنفى المساواة كما يقال ليس فى البلد افضل من زيد
ويراد نفى المساواة وان زيدا افضل ممن عداه فيكون المقصود لم يلق الله عز وجل عبد بعمل علاه ولو ساواه
لعله فى الفضيلة والكمال الا من جاء بمثل عمله **قوله** كتب الله له الف حسنة اى كتب الملك الا انه بالفعل
الى الامر **قوله** الها واحدا احدا الواحد الفرد الذى لم يزل وحده ولم يكن معه آخر والاحد الفرد الذى
لا يتجزى ولا يقبل الانقسام فالواحد هو المتفرد بالذات فى عدم المثل والاحد هو المنفرد بالمعنى **قوله**
كتب الله له خمسة واربعين الف حسنة ومحى عنه خمسة واربعين الف سيئة ورفع له خمسة واربعين الف
درجة جزاء الشرط وهو قوله من قال والظاهر ان ذلك القول سبب لهذه الامور الثلثة كما يدل عليه الشرطية
فعلى هذا ان لم يكن له سيئة لم يبعد القول بانه يعوض عن محو السيئة حسنة ولم ارى بذلك تصريحا من الاصحاب
وجزم بذلك الخطابى من علماء العامه ولعل المراد بالسيئة الصغيرة لا الاعم منها ومن الكبيرة وان جاز
العفو من الكبيرة ايضا من غير توبة للرواية الآتية وقال بعض العامه محو الكباير مشروطة بالتوبة وفى رواية
اخرى وكن له حرزا فى يومه من الشيطان يعنى انه تعالى يحفظه فى يومه ذلك فلا يقع منه زلة ولا وسوسة
وقد يقال هذا مشروط بالقبول فمن قاله وصدرت منه زلة او وقع عليه ظلم فهو دليل على انه سبحانه لم يقبله
منه **قوله** يا الله يا الله عشر مرات قيل له لبيك ما حاجتك ان كان القايل هو الله سبحانه فقوله ما حاجتك
للاستنطاق وان كان غيره من الملئكة يحتمل ان يكون للاستفهام على حقيقته وان يكون للاستنطاق
ايضا **قوله** من قال فى كل يوم لا اله الا الله حقا حقا اى حق حقا فهو مفعول مطلق منصوب بفعل
مقدر لتاكيد مضمون جملة والتكرير للمبالغة فى التاكيد لا اله الا الله عبودية ورقا العبودية والعبادة

باب من قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله

باب من قال عشر مرات فى كل يوم اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الها واحدا احدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا

باب من قال يا الله عشر مرات

باب من قال لا اله الا الله حقا حقا

الطاعة

الطاعة وفى الكنز الرق الملك والعبد اى اثبت له الالوهية ونفيها عن غيره لاجل انى عبد مطيع له وهو
اهل العبادة والطاعة والاذعان والانقياد دون غيره لا اله الا الله ايمانا وصدقا اى آمنت به ايمانا
وصدقت فيه صدقا والجمع بينهما للاشعار بالتوافق بين اللسان والقلب ويمكن تفسيره بمثل السابق
والله يعلم اقبل الله عليه بوجهه ولم يصرف عنه وجهه حتى يدخل الجنة اى افاض عليه الرحمة والتوكلات
ويديده فى جميع حالاته ولم يكله الى نفسه ولم يصرف عنه شيئا من ذلك حتى يدخل الجنة والحاصل ان
هذا القايل محفوظ بحفظ الله معصوم بعصمة الله حتى يدخل الى الجنة ولا حاجة فيه الى التاويل **قوله**
من قال عشر مرات يا رب آه فى ذكر الرب استعطاف لما فيه من الدلالة على تربيته كل شئ وتكميله و
اخراجه من حد النقص الى الكمال وهو مجرب فى قضاء الحاجات ودفع البليات ولذلك توسل به الانبيا فى
دفع النوازل والبلايا كما نطق به القران الكريم **قوله** من شهد ان لا اله الا الله مخلصا وجبت له الجنة
قيل لما دلت ظاهر الايات والروايات على نفوذ الوعيد فى طائفة من العصاة واقتضى هذا الحديث انهم بعين
فيما التاويل صونا لظاهر الشرع من التناقض فقال بعضهم ان ذلك كان قبل نزول الفرايض واما بعده فالعاصى
بالمشية اقول هذا التاويل وان كان مستبعدا من جهة قوله اذا قدمت الكوفه فار وهذ الحديث لان الغرض
منه الترغيب فى هذه الكلمة الشريفه ولا شبهه فى انه نشا وابعد نزول الفرايض ومن جهة عموم من
لكنه قد مر فى باب بعد باب ان الايمان قبل الاسلام ما يؤيده حيث قال الباقر عم فى حديث طويل ثم بعث
الله عز وجل محمدا صم وهو بمكة عشر سنين فلم يمت بمكة فى تلك العشر سنين يشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله صم الا ادخله الله الجنة باقراره وهو ايمان التصديق ولم يعذب الله احدا ممن مات وهو
متبع لمحمد صم على ذلك الا من اشرك بالرحمن واوله بعضهم بحمله على من مات ولم يعص اقول ويؤيده ان هذه
الحكم اعنى ترتب وجوب دخول الجنة على الشهادة بالتوحيد شروط كما اشار عليه السلم الى بعضها بقوله الا
من كان على هذا الامر وبعضها الشهادة على الرسالة وهى غير مذكورة ويحتمل ان يكون عدم العصيان ايضا من الشروط
واوله البخارى بمن مات وهو تايب يريد ان من كان آخر كلامه هذه الكلمة الشريفة وجبت له الجنة لا
بها مكفرة للذنوب التى صدرت قبلها اقول لا احتياج للحديث الى التاويل لان المؤمن العاصى ان عفى له
يلحق بغير العاصى فيدخل الجنة مثله وان نفذ فيه الوعيد يدخل النار على ما شاء الله ثم لابد له من دخول
الجنة فوجوب دخول الجنة على ظاهره اذ لابد للقايل بالشهادتين من دخولها اما ابتداء او بعد الجزاء
وفى قوله من شهد اشارة الى ان مجرد القول من غير القصد والاعتقاد لا يكفى فى ترتب الجزاء لان الشهادة

باب من قال يا رب يا رب

باب من قال لا اله الا الله مخلصا

باب من قال ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله

معنى الحول

لا يكون الا من صميم القلب والظاهر ان قوله مخلصا حال مؤكدة من فاعل يشهد لان المراد بالاخلاص هنا ان
لا يعتقد له شريكا الا ان لا يقصد بذلك ثوابا لان المقصود من الحديث هو التحريض بذلك القول لاجل هذا
الثواب كما لا يخفى قوله فقال بعد ما دعا ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله اى ما شاء الله كان او ما شاء
ما شاء قيل الحول هنا الحركة يعنى لا حركة ولا قوة الا بمشية الله وقيل الحيلة وقيل القدرة اى لا قدرة على
شئ ولا قوة الا بمعونة الله وتوفيقه وقيل التحول والانتقال يعنى لا تحول لنا عن المعاصى ولا قوة لنا على الطاعة
الا بعون الله وتوفيقه وهذا المعنى رواه المص فى كتاب التوحيد عن الباقر ع ومثله مروى عن الصادق ع فهو
اولى بالارادة وسئل امير المؤمنين عم عن معنى هذه الكلمة فقال انا لا نملك مع الله شيئا ولا نملك الا ما ملكنا
فمتى ملكنا ما هو املك به منا كلفنا ومتى اخذه منا وضع تكليفه عنا ونقل بعض الافاضل عن بعض المحققين من
اهل اللغة انه قال الحال المختص بالانسان من الامور المعتبرة فى نفسه وجسمه وقنيته والحول ما له فى
من القوة فى احد هذه الاصول الثلثه ومنه قيل لا حول ولا قوة الا بالله اقول المعنى الذى ذكره مع ما بدركه
من هذه العبارة فرسان ميدان الفصاحة والبلاغة وهو زايد على منطوقها اللغوى وفى هذه الكلمة الشريفة
تسليم للقضاء والقدر واظهار للفقر الى الله تم بطلب المعونة منه فى جميع الامور وابراز العجز البشرى لسلب
الحركة فى الخيرات والطاعات عنهم واثباتها للملك العلام توقيرا وتعظيما له ودلالة على التوحيد الخفى لانها اذا
الحيلة والحركة والقوة والاستطاعة من غيره سبحانه واثبتها له على الحصر الحقيقى وبينه انها بايجاده واستعانة
وتوفيقه لزمه القول بانه لم يخرج شئ من ملكه وملكوته وانه لا شريك له تحقيقا لمعنى الحصر وفى طرق العامة
رسول الله صلى الله عليه وآله لعبد الله بن قيس يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله قال
لا حول ولا قوة الا بالله وقال المازرى وفى ضبط هذه الكلمة خمس لغات فتح الكلمتين بلا تنوين ورفعهما
منونتين وفتح الاولى ونصب الثانيه ورفعهما منونته والخامس عكس الرابع قال المطرزى الافعال التى اخذت
من اسمائها سبعة بسمل اذا قال بسم الله وسبحل اذا قال سبحان الله وحمدل اذا قال الحمد لله وهلل اذا قال
لا اله الا الله وحوقل اذا قال لا حول ولا قوة الا بالله وحيعل اذا قال حى على الفلاح وجعفل اذا قال جعلت
فداك وعدى على قياس حيعل حيصل اذا قال حى على الصلوة وزاد الثعالبى طلبق اذا قال اطال الله بقاك
ودمعز اذا قال ادام الله عزك ورد ذلك بان قياس حيصل على حيعل غير صحيح لان حيعل اسم لاثنا من
حى على ولو كان كما قال لقيل حيفل بالفاء فى حى على الفلاح ولم يقولوه وهذا الباب مسموع ولو كان على القياس
لقيل جعلف فى جعلت فداك وطبلق فى اطال الله بقاك لان اللام قبل الفاء والقاف وقال المازرى

تقديم

٢٧٦

باب من قال استغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم ذو الجلال والاكرام

باب القول عند الاصباح والامساء

بتقديم القاف هو الذى حكاه الازهرى وذكره الهروى بتقديم اللام والاول هو المشهور فالحاء من الحول
والقاف من القوة واللام من اسم الله تم وعلى الثانى فالحاء واللام من الحول والاول اولى لئلا يفصل بين الحروف
استبسل عبدى اى وكل امره الىّ او وطن نفسه على يقال ابسله واستبسله لعمل وبر اذا وكله اليه ونفسه
اليه له اذا وطنها عليه قوله من قال ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله سبعين مرة اى فى مجلس واحد او فى
يوم بلية على الاحتمال صرف عنه سبعين نوعا من انواع البلاء وان قضيت عليه وابرمت ولكن لم تبلغ مرتبة
الامضاء ايسر ذلك الخنق الخنق بالخاء المعجمة والخناق كغراب داء فى الحلق باحد النفس ويمنعه من الخروج
والدخول الى الرية والقلب ومنشاؤه غلبة الدم او السوداء قلت جعلت فداك وما الخنق الواو فى الحكاية
دون المحكى وعطف الانشاء على الاخبار اذا كان له محل من الاعراب جايز قال لا يقتل بالجنون محقق لا
فى النسخ بالفاء يقال فتله يفتله لواه كفتّله فهو فتيل ومفتول والان لا يفتل بالعين من الاعتلال وفى
بالحاء المهملة المضمومة والباء الموحدة جمع الحبن بالكسر كالحول جمع الحول وهو خراج كالدمل وما يعترى
الجسد فيقيح ويرم والحبن محركة داء فى البطن يعظم منه ويرم كذا فى ق واعلم ان هذا القول يفسر ما اشتمل عليه
الكلام السابق وهو صرف عنه الخنق ويفهم منه الجواب عن السؤال المذكور وهو ان الخنق هو الجبن قوله
استغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم فى العدة المهذبة الحى الفعال المدرك وهو حى بنفسه لا يجوز عليه
الموت والفناء وليس يحتاج الى حيوة بها يحى والقيوم القايم بلا زوال ويقال هو القيوم على كل شئ بالرعاية
من قمت بالشئ اذا توليته بنفسك وتوليت حفظه واصلاحه وتدبيره وفى كتاب اكمال الاكمال القيوم فيعول
من القيام على المبالغه ومنه قوله تم افمن هو قايم على كل نفس قيل قال ابن عباس القيوم الذى لا يزول و
يرجع الى البقاء وقال غيره القائم بكل شئ اى الذى يدبر امر الخلايق ويرجع الى الحفظ والمعنيان ثبوحمان فى
الاثير والحديث ذو الجلال والاكرام وصف له بعظمة الذات وكمال الصفات والاكرام الى جميع الممكنات قوله
وظلالهم بالغدو والاصال الظلال جمع الظل وهو هنا الشخص والاصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب
اى يسجد وينقاد لله تم اشخاصهم فى هذين الوقتين وفسره بالدعاء فيهما وقال بعض المفسرين الظل الفئ والمراد
انها دائما تميل بالمد والتقليص وضمير هى فى قوله وهى فى ساعة اجابة راجع الى القبل والتأنيث باعتبار الخبر
قوله ان ابليس عليه اللعنة اللعاين الله اللعاين بالفتح جمع لعان بالكسر كثمال جمع ثمال والموفق لعنه كمنعه طرده وابعده
فهو لعين وملعون والاسم اللعان يبث جنود الليل كان فيه حذفا وهو وجنود النهار بقرينة السياق
من حيث تغيب الشمس وتطلع حيث المكان كحين للزمان وثلثه آخره وفى بعض النسخ حين بدل حيث فانهما

ساها غفلته وفيهما او لحملات الشيطان وصدمانهم والغفلة محركا اسم من تغفل عنه غفولا اذا تركه وسها عنه

قوله وان فلان بن فلان امامی وولی الظاهر انه كنایة عن الصاحب المستظر والضمیر فی قوله حتی ینتهی الیه راجع الیه وكان

او لا باعتبار انه اعظم مقصد للمؤمنین اذ هو شفاء العیظ صدورهم بالغلبة علی اعدائهم الكافرین وذكره اخیرا

باعتبار مرتبة وجوده والمبالغة فی التوسل بهم والله اعلم قوله علی ذلك احیا وعلیه اموت وعلیه ابعث هذا القول

اما بالنظر الی رسوخ اعتقاده والاعتماد علیه او للطلب من الله تعالی ان یجعله كذلك وابرأ من فلان وفلان و

ویمیهم باسمائهم ولا ینفع التولی بدون البراءة منهم كما دل علیه بعض الاخبار فان مات فی لیلته دخل الجنة ظاهره

انه یدخلها بلا عقوبة وقد یقال ان المذكور اصل الایمان وهو بدون الاعمال لا یوجب دخول الجنة ابتداء الا ان

العاصی فی المشیة فلا بد من حمل الدخول علی الدخول فی الجملة وان كان بعد الجزاء وقد ذكرناه سابقا قوله آمنت بسرهم

وعلانیتهم لعل المراد بالسر الاعتقادیات وبالعلانیة الاقوال او العملیات او الاعم منهما ومن الامور الشرعیة المختصة

والمشتركة بینهم وبین المنكرین لهم وشاهدهم وغائبهم الشاهد الموجود والغائب الماضی او جواد الله تعالی قوله

ابتدی یومی هذا بین یدی نسیانی وعجلتی بسم الله وما شاء الله بدأ به كمنع ابتداء وبدأ الشیء وابداه وابتدأه فعله

ابتداء والعجلة والعجل محركتین السرعة یعنی ابتدی واقدم بین یدی نسیانی عن الخیرات وسرعتی بهما هاتین الكلمتین

الشریفتین وفی الاولی توسل بالذات الواجب وجود لذاته المستجمع لجمیع الكمالات وصفاته وفی الثانیة تفویض الامر الیه

واذعان بانه لا یقع فی ملكه شیء الا بمشیته الا ان مشیته فی فعل العباد غیر حتمیة وتعلقها بالطاعة بالذات و بالمعصیة

بالعرض لا انه اراد انطباق علمه بالمعلوم وهی یستلزم ارادة المعلوم بالعرض فمشیته المتعلقة بالطاعة بالذات من وجه

وبالعرض من وجه آخر ومشیته المتعلقة بالمعصیة بالعرض فقط ومنه یظهر سر ما شاء الله كان وما لم یشأ لم

یكن وقد اشار علیه السلام واوضحناه فی شرح التوحید فاذا فعل ذلك العبد اجزأه مما ینسی فی یومه ای كفاه وقام مقام (سر ما شاء الله كان وما لم یشأ لم یكن)

المنسی وفی النهایة اجزأنی الشیء ای كفانی فضمیر المفعول راجع الی العبد وضمیر الفاعل المستتر الی فعل ذلك قوله استودع

الله العلی الاعلی المنزه عن صفات المخلوقین والاعلی الغالب كقوله تعالی لا تخف انك انت الاعلی الجلیل العظیم الجلال

هو العظمة وهو منصرف الی جلال القدرة والعظیم هو ذو العظمة وهو منصرف الی عظم الشأن وجلالة القدر

نفسی ومن یعنینی امره یعنینی بالنون بینهما یاء مثناة تحتانیة ومعناه یقصدنی ویهمنی ویشغلنی من عناه فلان

اذا قصده واهمه وشغله استودع الله نفسی المرهوب المخوف المتضعضع لعظمته كل شیء المرهوب ومابعده صفة

لله والفصل للاعتراض والفرق بینه وبین المخوف ان الرهبة بملاحظة العظمة موجبة هی والخوف بملاحظتهما مع

ملاحظة التقصیر والتضعضع الخضوع والذل والافتقار والجار متعلق بما بعده من باب التنازع قوله اذا انا الیوم

یوم جدید كونه ذلك القول اما بلسان الحال او المقال وینبغی للمؤمن ان یتمه باذن القلب ویعمل بمقتضاه قوله اذا تغیرت

الشمس باصفرارها وقت العصر وقرباً من الغروب قوله ثلث بها نحا الابیاء انتحی الكتاب كمنع كتبه عن معارضه

كانتسخه واستنسخه وتناسخوه نسخ بعض عن بعض وتناولوه من سبیل الارث والمنقول منه المستحق اللهم

انی اسئلك بالنصرة والتوفیق والهدایة الخاصة ایمانا تباشر به قلبی وهو الایمان المستقر فیه وانما طلبه لان الایمان

المستودع قد یزول بادنی تدلیسات الشیطان ویطیر بادنی نفحاته ویقینا هو العلم بالحق مع العلم بانه لا یكون غیره

وهو مركب من علمین كما صرح به المحقق الطوسی فی اوصاف الاشراف حتی اعلم انه لا یصیبنی الا ما كتبت لی ای ناقضی

قدرا وخط لی فی اللوح المحفوظ من المصائب والنوائب والخیرات الدنیویة والاخرویة وان كان للعبد مدخل فی

بعضها وفیه اقرار بالقضاء والقدر وتفویض الامور الیه عز وجل ورضنی بما قسمت لی الرضا بالقسمة شكر للنعمة و

سبب لحفظ العتید وجلب للمزید وطمأنینة النفس وكل ذلك سبب لتمام الدین ونظام الدنیا حتی لا احب

تعجیل ما اخرت من متاع الدنیا وزهراتها ولا تأخیر ما عجلت من نوائب الازمنة ومصیباتها یا حی یا قیوم

برحمتك استغیث تعلیق الاستغاثة علی هذه الصفات استعطاف وفی حذف المستغاث له دلالة علی التعمیم

ویمكن تخصیصه بالشدائد الحاضرة وتخصیص قوله اصلح لی شأنی كله بالتقصیرات الماضیة والشأن الخطب

والامر والحال وتخصیص قوله ولا تكلنی الی نفسی طرفة عین ابدا بالاحوالات الآتیة قوله الحمد لله الذی اصبحنا

والملك له الاصباح الدخول فی الصبح والواو للحال والملك بالضم معروف والمراد به هنا ما سواه تعالی وقد یطلق

علی السلطان والعظمة والمحمود علیه هو الاصباح المقید او هو القید والاول نعمة لنا والثانی وهو كون الملك له

نعمة صغری وكل واحدة منهما یستحق الحمد علیها واصبحت عبدك وابن عبدك وابن امتك فی قبضتك الظاهر

ان الجملة حال عن فاعل اصبحت وانما عدل عن التكلم الی الغیبة لما فی لفظ العبد من التواضع والتذلل والاستعطاف

ما لی فداء انا والقبضة وضمه اكثر ما قبضت علیه من شیء وجمعته فی كفك وهی كنایة عن تسلط الله تعالی علی العبد و

احاطته باموره وقدرته علی التصرف فیه كیف یشاء بلا مانع ولا دافع من كل داء وسقم یمكن حمل الداء علی

المرض النفسانی والسقم علی المرض الجسمانی قوله اللهم لا تبتلنی به ولا تبتله كانه طلب ان لا یصدر منه المعاصی

فیه ولا ینزل فیه المصائب الیه كما یشعر ما بعده وبالجملة طلب حسن المصاحبة بینهما وعدم كون كل منهما بلیة

للآخر اللهم اصرف عنی الازل واللأواء والملوی الازل بالفتح الضیق والشدة والجدب وبالكسر الكذب والداهیة

واللأواء واللاوی كسعی الابطاء والاحتباس والشدة والملوی اسم لما یبتلی ویختبر به من المحنة والبلیة و

النعم من لوته وابتلیته اختبرته وسوء القضاء السوء بالضم اسم من ساءه سوءا اذا فعل به ما یكره والمراد به الآفات ٢٧٧

والبليآ وغيرهما مما تعلقت به القضآ ومتعلق القضآ قد يدفع بالدعآ كامر وشماتة الاعدآ وهي الفرح والسرور بذل
الغير وهوانه وبليته ومنظر السوء في نفسي ومالي الظ ان المنظر ما نظر اليه وان اضافته بيانية وسوء النفس شامل
للعيوب النفسانيه والجسمانيه والعاهات البدنيه وسوء المال شامل للحرام والحقوق الماليه ويحتمل ان
يكون مصدرا ميميا بمعنى النظر وبالقران بلاغا البلاغ بالفتح الكفاية والاسم من الابلاغ والتبليغ وهي الايصال
وقد يقوم مقامهما ويفيد مفادهما وكان عم يقول اذا امسى اى دخل وقت المسآء اصبحنا لله شاكرين و
امسينا لله حامدين اصبح وامسى هنا اما للاقتران مضمون الجملة بهذين الوقتين او بمعنى صار للافادة
الانتقال من حال الى حال مجردا عن ملاحظة الوقت فهما تامة وقله على الاولين متعلق بما بعده وتقديمه
لقصد الحصر او الاهتمام وعلى الاخير حال كما بعده او متعلق به والتقديم لما ذكر وانما قدم الشكر على الحمد
العرفي منه اعظم من الحمد واللغوى اهم لكونه في مقابل النعم واعم باعتبار صدوره من كل واحد من الموارد
الثلثه والحمد لله كما امسينا لك مسلمين سالمين اشار الى ان هاتين النعمتين يعني الكون من اهل الاسلام او التسليم
والانقياد والكون من اهل السلامة من الافات تقتضيان الحمد لله رعاية لحسن المعاملة واداء لحق النعم
واذا اصبح قال امسينا لله شاكرين واصبحنا لله حامدين اما غير الاسلوب فقال في السابق اولا اصبحنا
وثانيا امسينا هنا اولا امسينا لرعاية تقديم ما هو المقدم بحسب الواقع في الموضعين قوله بسم الله ابتدآء وبالله اى
بذاته استعين والى الله ارجع وفي سبيل الله استقيم وعلى ملة رسول الله صم استقر فالجار في هذه المواضع
متعلق بفعل مقدر وتقديره بعده لقصد الحصر والعطف من باب عطف الجملة على الجملة كما في حمد الله و شكرا
له اللهم اليك اسلمت نفسي اى اسلمتها اليك لا الى غيرك فعليك حفظها واصلاحها واليك فوضت
امرى في بعض نسخ اليه الامر تفويضا ورده اليه وجعله الحاكم فيه ومن فوض امره الى الله هداه الى الخيرات ووقاه
من السيئات وعليك توكلت يا رب العالمين اى اعتمدت في امورى عليك والجاتها اليك اجرى عن القيام
بها وثقتي بكفايتك اياها اللهم احفظني بحفظ الايمان من بين يدى ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي
ومن فوقي ومن تحتي ومن قبلي السالك الى الله خايف من قطع الطريق من الشيطان ومن نفسه الامارة بالسوء
الشيطان ياتيه من الجهات الست بالوسوس والشبهات والنفس تعرض عليه سلوك سبيل المشتهيات فهو
فهو من قرنه الى قدمه مغمور في بحار الظلمات ومحفوف بالادخنه الثايرة من نيران الشهوات ظلمات بعضها
فوق بعض فلم يرَ المتخلص منها مساغا الا بان يلتجأ الى الله سبحانه وطلب منه الحفاظ من جميع تلك الجهات
وما يخاف منه من قبل نفسه ولذلك قال ومن قبلي وانما اخره مع ان الاحتراز عن العدو الداخلي اولى

من

٢٧٨

من الاحتراز من العدو الخارجي لان دفع الخارج اذا كان منه فساد الداخل اهم ولعل السر في تقديم الامام
والخلف وتاخير الفوق والتحت وتوسط اليمين والشمال ان اتيان العدو في الاولين اغلب الا ان القوى
يأتي من الامام والضعيف من الخلف وفي الاخيرين نادر جدا وفي الوسطين غالب بالنسبة الى الاخيرين من
فالاولى في طلب الحفظ ان تقدم الاهم فالاهم وانما اخر من على من في الوسطين طلبا للتجاوز للحفظ منهما
الى الاولين للمبالغة في حفظهما حيث طلبه او لا صريحا وثانيا ضمنا واعوذ بك من سطوات الليل والنهار
هي النوايب النازلة فيهما والاضافة باعتبار الظرفية قيل اللهم رب المشعر الحرام ورب البلد الحرام ورب الحل
والاحرام وفي بعض النسخ والحرام والوجه في تخصيص امثال هذه الاشيآء بالمربوبية مع انه رب
كل شيء المبالغة في تعظيم الخالق باضافة كل عظيم الى ايجاده ولذلك قد يقع رب السموات والارض و
رب النبيين والمرسلين ورب الجبال والبحار ورب المشرق والمغرب ورب العالمين وغير ذلك مما جاء
في القران والحديث ولم يات فيما تحقر وتستقذر كالحشرات والكلاب والقردة الا على وجه العموم اللهم
اني اعوذ بدرعك الحصينه درع الحديد يؤنث وقد يذكر والمراد بها ذمة الاسلام او وقاية الله تعالى او
كلمة التوحيد مع شرايطها واعوذ بجمعك هم الملئكة والرسل والانبيآء والاوصيآء والصلحآء ان تميتني
غرقا آه مفعول مطلق والاصل اماتة غرق حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه
وكذا نظايره والشرق بالتحريك مصدر شرق فلان بالمآء كفرح اذا غص به حتى يموت وفي الكنز شرق كلو
ما ندن چيزى والقود محركة القصاص وموت الصبر هو القتل مع الحبس يقال قتل فلان صبرا اذا حبس على
القتل حتى يقتل والصف الذين وصفهم الله في كتابه صف المجاهدين ولما كان الصف يصدق على الكثير
وصفهم بصيغة الجمع والبنيان مصدر بناه ولذلك لم يجمع والمرصوص الملزق بعضه ببعض والمدغم جزؤه
في جزء بحيث يعسر هدمه شبه الصف به في التلاذق والتلاصق وعدم الفرجة بينهم والولد محركة
وبالضم والكسر والفتح واحد وجمع وقد يجمع على اولاد وولدة وبالكسر وولد بالضم ويقول الحمد لله
عدد ما خلق والحمد لله مثل ما خلق والحمد لله ملأ ما خلق الظاهر انه اذا قال ذلك يثاب مثل ثواب
من حمد تلك العدة وقد صرح به بعض العامة ايضا وقال بعضهم يثاب باكثر من ثواب من حمد زايدا على
مرة واحدة وهو تحكم والحمد لله مداد كلماته آه من طرق العامة سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه
وزنة عرشه ومداد كلماته قال عياض مداد مصدر بمعنى المدد والمدد ما يكثر به الشيء قال والاستعما
هنا مجاز لان كلماته تعم لا تحصر بعدد والمراد المبالغة في الكثرة لانه ذكر او لا ما يحصره العدد الكثير من عدد

الخلق ثم ارتقى الى ما هو اعظم وعبّر عنه بهذا اللفظ الذي لا يحصيه عدد وزنة عرشه التي لا يعلمها الا هو وقيل
مداد كلماته مثلها في العدد وقيل مثلها في انها لا تنفد وقيل مثلها في الكثرة والاظهر ان ذلك كناية عن الكثرة
لا انها مثلها في العدد ولا في الكثرة لان كلماته سبحانه غير متناهية فلا يلحق بها المتناهي في العدد والكثرة
قال القرطبي معنى قوله ورضا نفسه رضاه عمن رضي عنه من النبيين والصديقين والصالحين اللهم اني اعوذ
بك من درك الشقاء هذا ايضا في طرق العامة قال في نهاية الدرك اللحاق والوصول الى الشيء ادركته
ودركا وقال صاحب كتاب كمال الاكمال الدرك بفتح الراء اسم الادراك كاللحق من الالحاق وضبط
بكونها على انه مصدر وقال درك الشقاء في الدنيا التعب وفي الاخرة سوء الخاتمة قال الشيخ في المفتاح
الدرك بالتحريك يطلق على المكان وطبقاته وفي النار دركات والجنة درجات ويطلق ايضا على اقصى
الشيء ومن شماتة الاعداء استعاذ منها برفع ما يفضي اليها واعوذ بك من الفقر والوقر المراد بالفقر الفقر
الذي لا يكون معه صبر ولا ورع حتى يقع فيما لا يليق باهل الدين والمروة او المراد به فقر القلب الذي
الى فقر الآخرة والوقر بالفتح والسكون ثقل السمع كذا في ير وفي ق الوقر ثقل في الاذن او ذهاب السمع كله
وقر كوعد ووجل ومصدره وقرا بالفتح والقياس بالتحريك قوله ما من عبد يقول اذا اصبح قبل طلوع
الشمس الله اكبر كبيرا وسبحان الله بكرة واصيلا والحمد لله رب العالمين كثيرا روى مسلم باسناده
عن ابن عمر قال بينا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال رجل من القوم الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان
الله بكرة واصيلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القائل كلمة كذا وكذا فقال رجل من القوم انا يا رسول
الله قال عجبت لها فتحت لها ابواب السماء قال ابن عمر ما تركتهن منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك قيل
انتصب كبيرا باضمار فعل دل عليه ما قبله اي كبرت كبيرا وذكرت كبيرا وقيل على انه حال موكدة وقيل
على القطع وقيل على التمييز واورد عليهما بان النصب على القطع انما يكون فيما يصح ان يكون صفة ولا يصح
هنا وبان النصب على التمييز هنا لا يصح لان التمييز افعل التفضيل شرطه ان يكون مغايرا للفظه نحو احسن
وكثيرا منصوب على الصفة لمصدر محذوف اي حمدا كثيرا وفي ظم قوله الا ابتدرها ملك دلالة على
الملائكة يتنافسون في دفع اعمال العباد فيهم ان الرافع لاعمالهم غير منحصر في الحفظة فان هؤلاء كلمات
الكنوز الاضافة بيانية وتسميتها بالكنز من باب ادخال الشيء في جنس وجعله احد انواعه على التغليب
فالكنز اذا نوعان المتعارف وهو هو المال الكثير الذي يجعل بعضه فوق بعض ويحفظ وغير المتعارف
وهو هذه الكلمات الجامعة بين التكبير والتسبيح والتحميد والتوحيد والصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم عليهم السلام

وكونها

وكونها كنزا عبارة عن كون اجرها مدخرا لقائلها فقل اللهم اني اعوذ بك من شر ما خلقت وذرأت و
برأت اي خلقت بمعنى الثلثة واحد ويمكن ان يراد بالاول ما ليس فيه روح فانه قد يصدر منه الضرر
والشر وبالثاني الجن والانس وبالثالث سائر الحيوانات في بلادك وعبادك متعلق بقوله اعوذ بك
ويتعلقه بالافعال المذكورة بعيد اللهم اني اسألك بجلالك وجمالك اي بعظمتك وبهائك وحسن فعالك
او بصفاتك الجلالية وهي السلبية وصفاتك الجمالية وهي الثبوتية ومن فجاءة نقمتك الفجاءة بالضم والمد
وقوع الشيء بغتة من غير تقدم سبب وقراه بعضهم بالفتح والسكون من غير مد على المرة والنقمة مثل الكلمة
الرحمة والنعمة العقوبة وشر ما سبق في الليل من البلايا النازلة فيما الطالبة لاهلها او المقدرة النازلة
لا ينبغي الزيادة على المأثور في النهار ولكن قل كما اقول لك يدل على انه لا ينبغي اضافة شيء الى الدعاء المأثور وان كان في الاضافة زيادة
ثناء ولها حسن موقع لان الفضل المرتب عليه لا يدرك بالعقل بل انما السمع فلا يغير ولعل لهذا الترتيب الخاص
٢٧٩ تاثيرا في بعض الامور كما ان لهذا العدد اعني عشر مرات تاثيرا قوله يقول بعد الصبح هو الفجر واول النهار و
الحمد لله رب الصباح الجمع الاصباح كالقفل والاقفال الحمد لرب الصباح اي لمالكه او مربيه المبلغ له الى غايته وكمال المقدر له
الحمد لفالق الاصباح اي لخالقه او شاقه عن ظلمة الليل وسواده من فلقه كضربه اذا خلقه وشقه وفي الكنز
فالق شكافنده وآفريننده والصباح والصبح والاصباح واحد اللهم افتح لي باب الامر الذي فيه اليسر و
اليسر ضد العسر وهو اللين والسهالة والرخاء وطيب العيش والعافية شاملة لعافية الدنيا وهي السلامة
من الآفات وعافية الآخرة وهي النجاة من العقوبات اللهم هيئ لي سبيله اي سبيل ذلك الامر وطريقه الموصل
اليه واصل التهيئة احداث هيئة الشيء وصورته وبصرني مخرجه بفتح الميم او ضمها وعلى التقديرين اما مصدر
بمعنى الخروج او الاخراج او اسم مكان وهو الانسب وانما طلب ذلك لتحصيل بصيرة تامة فيما هو محل
الخروج ذلك الامر من الاسباب والوسائل وغيرها اللهم ان كنت قضيت لاحد من خلقك على مقدرة
بالشر فخذه اي المقدر مثلثة الدال القدرة والقوة وفي الدعاء على دفع القضاء دلالة على البداء وقد مر
ان الدعاء يرد القضاء وان كان مبرما قوله اللهم اني اصبحت في ذمتك وجوارك الذمة بالكسر العهد والامان
والكفالة والضمان والجوار بالكسر الامان واعطاء الذمة وبالفتح معناه بالفارسية همسايكي او كناية عن القرب
واعوذ بك من شر ابليس بر ابليس وجنوده ابلس تحير وتحزن وسكت وتدهش ويئس ومنه سمي ابليس لتحيره
في امره ويأسه من رحمة الله تعالى وكان اسمه عزازيل وقيل ابليس اعجمي ولعل المراد بالموصول العجب والتكبر و
اضلال الخلق قوله ويقرأ آية الكرسي قال الشيخ في المفتاح الى هم فيها خالدون وآخر الحشر من قوله لو انزلنا

هذا القرآن الى آخر السورة وعشر آيات من الصافات ذكرها الشيخ من اولها الى شهاب ثاقب ويحيي الارض بعد موتها
قال في تيسير قيل الموت في كلام العرب يطلق على السكون يقال ماتت الريح اذا سكنت والموت يقع على انواع بحسب
انواع الحيوة فمنها ما هو بازاء القوة النامية الموجودة في الحيوان والنبات كقوله تعالى يحيي الارض بعد موتها
ومنها زوال القوة الحسية كقوله تعالى يا ليتني مت قبل هذا ومنها زوال القوة العاقلة وهي الجهالة كقوله تعالى او من كان
ميتا فاحييناه وانك لا تسمع الموتى ومنها الحزن والخوف المكدر للحيوة كقوله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان
وما هو بميت ومنها المنام كقوله تعالى والتي لم تمت في منامها وقيل المنام الموت الخفيف والموت النوم الثقيل وقد
يستعار الموت للاحوال الشاقة كالفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية وغير ذلك سبقت رحمتك غضبك
لانه تعالى خلق الخلق رحمة منه كما قال ورحمتي وسعت كل شئ غضبه انما نشأ من سوء اعمالهم ولان كل
من كان من اهل الرحمة والغضب يتوجه اليها رحمة انشاء الله تعالى وتب علي في ق تاب العبد الى الله توبة
رجع عن المعصية وهو تائب وتواب وتاب الله عليه وفقه للتوبة او رجع به من التشديد الى التخفيف او رجع
عليه بفضله وقبوله وهو تواب على عباده قوله اللهم لك الحمد لان المحامد كلها لك ومنك احمدك بجميع
محامدك واستعينك في اموري كلها حتى في حمدك وانت ربي وانا عبدك في الاقرار بالربوبية والعبودية
استعطاف لان الرب من شانه التربية والعبد من شانه الحاجة اليها اصبحت على عهدك ووعدك اراد
العهد الماخوذ على العباد بالاقرار بالتوحيد والرسالة والولاية والطاعة والوعد بالثواب والجزاء في دار
البقاء فلذلك قال او من بوعدك اي اصدق بانه حق لا خلف فيه واوفي بعهدك ما استطعت من العهد
الوفاء به كما قال تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم اي بان آتيكم على الوفاء وانما قيد الوفاء بالاستطاعة لان
منازل الوفاء غير محصورة ومراتب الرجال في الاستطاعة غير معدودة فكل يطلب ما هو ميسر له اصبحت على
فطرة الاسلام الاضافة بيانية وهي الاقرار بما جاء به النبي صلعم وهي ما اخذ عليهم من العهد القديم وهم في
ظهور آبائهم بقوله الست بربكم قالوا بلى وهو الاقرار بالتوحيد وكلمة الاخلاص هي كلمة التوحيد او كلمة
الشهادة بالرسالة ايضا وسميتا كلمة مع انهما كلمتان للتنبيه على انه لا يعتبر احدهما بدون الاخرى ولا حظ
الاخلاص الا بهما فهما بمنزلة كلمة واحدة وملة ابرهيم ودين محمد صلعم دينه ما جاء به وهو مشتمل على ملة ابرهيم
وهي الاصول التي لا تتبدل بتبدل الشرايع مثل وجوب وجوده تعالى وتوحيده وصفاته وتنزهه عن صفات
المخلوقين وحشر الخلايق للثواب والعقاب وغيرها وابائي منهم الواو للعطف اي الحق ابائي بهم او للحال
قوله فقل الحمد لله الذي يفعل ما يشاء ولا يفعل ما يشاء غيره اي يفعل كل ما يشاء بلا مانع ولا يفعل غيره كل

ما يشاء

ما يشاء لوجود مانع اذ لا يفعل غيره شانه كل ما يشاء غيره لعدم مصلحة فيه وفاعل لا يفعل على الاول غيره
وعلى الثاني هو الله تعالى قوله عز من حل بين ظهرانيهم في ق هو بين ظهريهم وظهرانيهم ولا يكسر النون وبين اظهرهم
اي وسطهم وفي معظمهم وفي تيسير المراد انه اقام بين القوم مطلقا بركة على اوليائك البركة محركة
النماء والزيادة والشرف والكرامة والخير والسعادة اللهم اختم لي بالامن والايمان كلما طلعت الشمس او غربت
اي اختم لي بالامن من شر الشيطان واذى اهل العدوان وآفات الزمان وبالايمان بك وبرسولك واوصياء
رسولك مع رعاية الشرايط والاركان عند كل طلوع الشمس وغروبها وقد طلب كونه على الوصفين في
جميع اوقات عمره اللهم انك تعلم منقلبهم ومثواهم المثوى المنزل من ثوى بالمكان اذا اقام فيه وقد يكون
بمعنى المصدر ولعل المراد انك تعلم انقلابهم وسكونهم او محلهما وبالجملة تعلم جزئيات امورهم في حال الحركات
والسكنات فاصرفهم الى ما هو خير لهم وقهم عما هو شر لهم واغفر لهم مما صدر منهم من الزلات ويمكن ان
يكون المراد بهما انقلاب قلوبهم وحركتها في طلب الحق وسكونها عند الوصول اليه والله اعلم اللهم احفظ
امام المسلمين بحفظ الايمان الباء للسببية والاضافة الى المفعول اي احفظه بسبب حفظه او حفظه الايمان ٢٨٠
واهله اذ لولا الامام لبطل الايمان والاسلام والائمة من بعده العطف على الولاة للتفسير والتاكيد ولاة
اشترى به ثمنا قليلا اي لا استبدل ذلك بالثمن القليل يعني متاع الدنيا كما استبدله اوهبه وفرقوا الامة واضلوهم
بذلك وفيه استعارة تبعية وترشيح اللهم اهدني فيمن هديت من اوليائك عدي الهداية بفي لتضمينه معنى
الدخول وكونه في بمعنى الى اوسع بعيد والمراد بالهداية الهداية الخاصة كما في قوله تعالى والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وهي كشف السراير على الضماير وايصالها الى حقايق الاشياء كما هي وايصال المستعدين الى
المقامات العالية والدرجات الرفيعة وتلك مرتبة لا ينالها الا الاولياء اللهم تباركت اي تعاليت وتنزهت
عن الاشباه والاضداد والامثال او ثبت على ما لك من صفات الكمال وسمات الجلال من بروك البعير اذا اناخ
في موضع فلزمه وثبت عليه وتعاليت من صفات المخلوقين وافك المفترين والمتعالي من جاعلهما وهو متفاعل
من العلو وقد يكون بمعنى المعالي وهو الذي ليس فوقه شئ في الرتبة والشرف والحكم سبحانك رب البيت في
اضافته الى البيت تعظيم له حيث ان البيت ان اعظم ما ابتلى به خلقه واذل به رقاب الكبراء فضلا من الضعفاء
تقبل مني دعائي الدعاء وغيره من العبادات وان كان في غاية الكمال في ذاته لكنه بالنسبة الى قدسه الحق ناقص محتاج
الى التضرع في قبوله ولذلك قال خليل الرحمن مع كون عمله في نهاية الكمال ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم
ما احسن ما الليني المشهور ان الابتلاء يكون في الخير والشر والانعام والاحسان من غير فرق بين بين فعلهما

يقول يموت الرجل والبليه بالاحسان ومنه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال القتيبي يقال من الخير
ابليته ابليه ابلاء ومن الشر بلوته ابلوه بلاء والمراد بالابلاء هنا هو الابلاء بالخير وما الثانيه اما مصدرية
او موصولة او موصوفة والعايد اليها محذوف وفي هذا التعجب مع التفخيم ما دلالة على تعظيم الابلاء وقس عليه
نظايره فلك الحمد يا الهي لتلك النعماء الجليلة والالاء الجزيلة حمدا كثيرا طيبا طاهرا من النقص والريا مباركا
عليه الظاهر ان ضمير المجرور راجع الى الحمد وان المعنى ادم له الشرف والبركة والتنزه عن النقص ومنه قوله
وبارك على محمد وال محمد اي ادم له ما اعطيته من الشرف والكرامة ملأ السموات وملأ الارض وملأ ما شاء
ربي ورضى الملأ بالكسر والسكون اسم ما ياخذه الاناء اذا امتلاء وبالفتح مصدر ومن طريق العامة
لك الحمد ملأ السموات والارض قال في النهاية هذا تمثيل لان الكلام لا يسع الاماكن والمراد به كثرة العدد
يقول لو قدر ان تكون كلمات الحمد اجساما لبلغت من كثرتها ان تملأ السموات والارض ويجوز ان يكون المراد
به تفخيم شان كلمة الحمد ويجوز ان يريد بها اجرها وثوابها وكما ينبغي لوجه ربي اي لذاته او صفاته والثاني
اليهما في جميع الامور قوله حين تصلي الفجر لعل المراد بعد فريضة الفجر قوله فمن قالها دفع الله عنه مائة نوع
انواع البلاء قد مر قبيل ذلك في رواية علي بن ابي حمزه عن ابي بصير عن ابي عبد الله ع انه من قال ذلك سبع
مرات لم يصبه جذام ولا برص ولا جنون ولا سبعون نوعا من انواع البلاء ومثله في حديث سماعة
عن ابي عبد الله ع وهو المتقدم على هذا الحديث بلا فصل فالنسبة يقتضي ان يكون المدفوع بالسبع مرات
انواع من البلايا او يكون المدفوع بمائة مرة الف نوع من البلايا لير تفع التنافي بين الاخبار والجواب ان انواع
البلايا المدفوعة بمائة مرة اشد واعظم من الانواع المدفوعة بسبع كما يشعر به قولهم ادنى نوع منها البرص
والجذام والشيطان والسلطان وفي السبع قال لم يصبه جنون ولا جذام ولا برص ولا سبعون نوعا
من البلاء حيث يفهم منه ان الجنون والجذام والبرص اعظم نوع من هذه الانواع واذا اختلف البلاء
والضعف بطلت النسبة المذكورة قوله الحمد لله الذي يوصف ولا يوصف اي يصف الاشياء بصفاتها
ولا يوصف بشيء من صفاتها لاستحالة اتصافه بصفات الممكن اذ لا يوصف بصفة اصلا اذ لا صفة له
يوصف بها وكلما يتخيل له من الصفات فهو راجع الى السلب فان قولنا هو عالم قادر مثلا راجع الى انه ليس
بجاهل ولا عاجز كما مر في كتاب التوحيد ويعلم ولا يعلم اي يعلم الاشياء وحقايقها كما هي لاستحالة
الجهل عليه ولا يقدر احد ان يعلم كنه ذاته ولا حقيقة صفاته ومن شر ابي مرة وما ولد ومن شر الرسيس
ابو مرة كنية ابليس والرسيس الكاذب والمفسد قال في النهاية اهل الرس هم الذين يبتدون الكذب

ويوقعونه في افواه الناس وقال الزمخشري هم المفسدون ومن رس بين القوم اذا افسد ويقدر ربك على خلقك
ذكر السؤال ولم يذكر المسؤول للتعميم او للاختصار او للحوالة على علم ربهم او على السائل بان يذكر مقصوده قوله
ان الدعاء قبل طلوع الشمس وقبل غروبها سنة واجبة اي سنة مؤكدة مع طلوع الفجر والمغرب في بعض النسخ
الشمس بدل الفجر وهو الاظهر والظاهر ان مع بمعنى عند ولزم مدخولها تفسير للقبل وتحديد له ويمكن ان يكون
المراد استحباب الدعاء قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وجوبه يعني تاكد استحبابه عند طلوع الفجر والشمس وعند
غروبها والله اعلم يحيي ويميت ويميت ويحيي دل على الاحياء في القبر لان الحيوة الاولى في الدنيا والحيوة الاخرى
الاخرة والموت الاول في الدنيا والموت الثاني لا محالة في القبر ولا يتحقق ذلك الا بعد الحيوة فيه قوله اعوذ
السميع العليم من همزات الشياطين في ق للهمز الغمز والضغط والنخس والدفع والضرب والعض والكسر والهامز
الهمزة العياب فسر النبي ص همز الشيطان بالموتة اي الجنون لانه يحصل من نخسه وغمزه وفي نه في حديث الاستعاذة
من الشيطان اما همزه فالموتة الهمز النخس والغمز وكل شيء دفعته فقد همزته والموتة الجنون والهمز ايضا الغيبه
٢٨١ الوقيعه في الناس وذكر عيوبهم وقد همز يهمز فهو همّاز وهُمَزة للمبالغة ان الله هو السميع العليم فيسمع دعاء
الداعين ويعلم مقاصدهم وعزمهم فيستجيب لهم كما قال ادعوني استجب لكم وفيه حث على حسن الظن بقبول
الدعاء فان نسيت ان تقول في وقته المذكور فضيت متى ما ذكرت كما تقضى الصلوة عند ذكرها اذا نسيتها في
وقتها والتشبيه لتاكيد القضاء عند الذكر لا للوجوب قوله قال انه مفروض محدود اي محدود بوقت
زمان وفي ق الفرض كالضرب التوقيت ومنه فمن فرض فيهن الحج وما اوجبه الله تعالى كالمفروض والقراءة
والسنة وفرض رسول الله صلى الله عليه وآله اي سن والعطية المرسومة وما فرضته على نفسك فوهبته او جدت به
ارادة جزائه قوله ما علمت شيئا موظفا غير تسبيح فاطمة عليها السلام وعشر مرات لعل حصر الموظف فيه من
باب التاكيد والمبالغة فيه والا فالموظف غيره كثيرة قوله هذا من الدعاء المخزون اي المخزون في خزاين الله
المؤمنين التي في ضبط الملائكة المقربين قوله اصبحت وربي محمود اي محمود يحمده الخلايق له او يحمده قوله
وابرهيم الذي وفى قال كلمات بالغ فيهن هي كلمات فرضها على نفسه والتزمها وبالغ في الوفاء بها قال
المفسرون وفى بالصبر على ذبح الولد وعلى نار نمرود حتى قال جبرئيل ع وهو في الهواء بعد الرمي الك
حاجته فقال اما اليك فلا فما عنى بقوله في نوح انه كان عبدا شكورا قال كلمات بالغ فيهن قال القاضي كان
يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء الى ان نجاته ونجاة من معه كان بركة شكره وحث للذرية على
الاقتداء به وقيل الضمير لموسى فلت فما عنى بقوله في يحيى وحنانا من لدنا وزكوة عطف على الحكم في قوله

واتيناه الحكم صبيا والمراد بالزكوة الطهارة النفسانية من الارجاس الشيطانية والاجناس الجسمانية قال تحنن
الله الحنن التعطف والترحم والاشتياق والبركة والصوة وتفسيره م بالمحبة مناسب للجميع وقال بعض
المفسرين المراد به رحمته على والديه او رحمة الله عليه ولا يبعد ارادة الجميع لان الاية الواحدة قد تحتمل وجوها

باب الدعاء عند النوم والانتباه

متعددة قوله الحمد لله الذي علا فقهر اي علا كل شيء في الرتبة والشرف والعلية والحكم وليس فوقه شيء
فقهر جميع ما عداه وغلب على جميع ما سواه فيفعل بهم ما يشاء ويحكم بهم ما يريد والحمد لله الذي بطن فخبر
اي احتجب عن الابصار والاوهام فلا يدركه بصر ولا يحيط به وهم او علم بواطن الاشياء كما علم ظواهرها
يقول بطنت الامر اذا عرفت باطنه فخبر دقايق الاشياء وسرايرها وعلم غوامضها وضمايرها من الخبر وهو
العلم يقال فلان خبير اي عالم بكنه الشيء مطلع على اثاره وحقيقته والحمد لله الذي ملك فقدر اي
ملك رقاب الممكنات وزمامها وقوامها ونظامها فقدر على ايجادها وابقائها واصلاحها وافنائها
والحمد لله الذي يحيي الموتى ويميت الاحياء يجوز ان يراد بالموتى من اتصف بالموة قبل تعلق الوجود والروح
به ومن اتصف به عند انقضاء الاجال في الدنيا ومن اتصف به بعد رد الروح اليه في القبر للسؤال فالاحياء
في ثلثه مواضع في الدنيا وفي القبر وفي البعث واماتة الاحياء في موضعين في الدنيا وفي القبر كما قالوا امتنا اثنتين
فالمراد بالاحياء بعد الموة الذي وجدوه وهو الاحياء في القبر والبعث والله اعلم خرج من الذنوب كهيئة يوم
ولدته امه ظاهر التشبيه يفيد انه يخرج من الكباير ايضا ولا يبعد لان غفران الكباير بلا توبة يجوز عندنا الا
ما اخرجه الدليل قوله وكفرت بالطاغوت الطاغوت الشيطان والاصنام والكاهن وكل ما عبد من دون الله
وكل رئيس في الضلالة لم تزل اقدامهم من اقدام او لا على تخريب الدين قوله اعوذ بك من الاحلام ومن سوء الاحلام
الاحتلام الجماع في النوم والاحلام جمع الحلم بالضم وبضمتين وهي الرؤيا وهذا الدعا امنه ع تم للتعليم او لاظهار
العجز والتواضع والافتقار اليه تعالى قوله تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام هذه الرواية دلت عقيب الذكر على تقديم
التحميد على التسبيح عند النوم وصحيحة محمد بن عذافر الواردة فيه على الاطلاق صريحة في ذلك وكذا رواية ابي بصير
عن الصادق ع وان كانت ضعيفة ولذلك ذهب اكثر الاصحاب الى ان التحميد مقدم على التسبيح مطلقا ونقل
عن الصدوق وابيه وابن الجنيد رضي الله عنهم ان التسبيح مقدم على التحميد لما روى في الفقيه عن امير المؤمنين
عليه السلام عن النبي صلعم انه قال له ولفاطمة عليها السلم في آخر حديث طويل اذا اخذتما مضاجعكما فكبرا اربعا و
ثلثين تكبيرة وسبحا ثلثا وثلثين واحمدا ثلثا وثلثين ولا يخفى ما فيه لان الواو لا يدل على الترتيب كما بين في
موضعه ولو دل لوقع التعارض بينه وبين حديث هشام المذكور هنا فتعين روايتا ابن عذافر وابي بصير المتن

عن

عن المعارض على انه ما في الفقيه يمكن حمله على التقية لانه موافق لمذهب العامة روى مسلم عن علي ع قال ان
فاطمة ع اشتكت ما تلقى من الرحى في يدها وفي غير مسلم انها جرت بالرحى حتى مجلت يدها وقمت البيت حتى
اغبر شعرها وخدمت حتى تغير وجهها فانطلقت الى النبي صلى الله عليه و آله لتطلب خادمة فلم تجده ولقيت عايشة
فاخبرتها فلما جاء النبي صلعم اخبرته عايشة بمجيء فاطمة فجاء النبي صلعم الينا وقد اخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم
فقال النبي صلعم على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدمه على صدري وقال الا اخبركما الا اعلمكما خيرا
مما سألتما اذا اخذتما مضاجعكما ان تكبرا الله اربعا وثلثين وتسبحاه ثلثا وثلثين وتحمداه ثلثا وثلثين فهو
خير لكما من خادم قوله اجعل لي سباحا هو اسم لما يسبح به ويعلم عدده كالمفتاح لما يفتح به والمسند لما يسند
به الخروج اي يمكن عوده لم اختلاف الليل والنهار اي تعاقبهما او اختلاف مقدارهما باعتبار دخول كل
منهما في الاخر في وقتين بل وقت واحد من جهتين قوله واعوذ برحمة الله من شر السامة والهامة في مصباح
الهامة ما له سم يقتل كالحية قال الازهري والجمع الهوام مثل دابة ودواب وقد يطلق الهوام على ما لا يقتل
٢٨٢ كالحشرات ومنه حديث كعب بن عجرة وقد قال ع ايؤذيك هوام راسك والمراد القمل على الاستعارة بجامع
الاذى والسامة من الخشاش ما يسم ولا يقتل السم كالعقرب والزنبور فهي اسم فاعل والجمع سوام مثل دابة
ودواب قال معربه فيقول الصبي الطيب عند ذكر النبي المبارك قوله فيقول استفهام والاخبار بعيد
والطيب اما منصوب على انه مقول القول او مرفوع على انه صفة للصبي والمبارك على الاول صفة على النبي
وعلى الثاني مقول القول قال نعم يا بني الطيب المبارك اي قل الطيب المبارك عند ذكر النبي فقل اللهم صل
محمد الطيب المبارك عبدك ورسولك قوله فقل بسم الله وضعت جنبي الايمن لله قد تواترت الروايات
معنى من طرق الخاصة والعامة على استحباب النوم على الجنب الايمن قال عياض لما في التيامن من البركة
وفي اسمه من الخير وايضا في النوم على الايمن سرعة التيقظ لان القلب في الجانب الايسر فاذا نام كذلك بقي
القلب متعلقا الى جهة الايمن اذا نام على الايسر استغرق النوم ولا ينتبه الا بعد حين ولما الدعا المذكور
فلانه تجديد عهد اذ قد يموت في نومته تلك قوله ورب المستضعفين المروي انهم الائمة عليهم السلم و
التعميم ممكن قوله فاذا سمعت الديك فقل سبوح قدوس كما في بعض الروايات بالضم والفتح اقيس والضم اكثر استعمالا
وهما ابنية المبالغة والمراد بهما المنزه عن العيوب والنقايص ومن طريق العامة عن النبي صلعم قال اذا سمعتم
صياح الديك فاسألوا الله من فضله فانها رات ملكا قال عياض انما امرنا بالدعا حينئذ لتؤمن الملائكة وتستغفر
وتشهد للداعي بالتضرع والاخلاص وقال القرطبي ولرجاء القبول فانظر الى افاق السماء اي ما ظهر من نواحيها

والنظر اما لملاحظة الوقت او لمشاهدة عظمة اثار الرب وقال اللهم لا يواري منك ليل داج الداجي المظلم وفي الفلج
ساج من سجى بمعنى ركد واستقر والمعنى لا يستر عنك ليل مظلم او ليل راكد ظلامه مستقر قد بلغ الغاية في
الظلمة ولا سماء ذات ابراج جمع برج بالبروج الاثني عشر التي تسير فيها السيارات وتكون فيه الثوابت وتتبادل القمر
وبالكواكب العظام وبابواب السماء ولا ارض ذات مهاد الظاهر ان مهادا هنا جمع مهد او مهدة بالضم بمعنى ما اوهها
ما ارتفع من الارض وما انخفض منها في سهولة واستواء والمعنى لا يستر عنك ارض ذات تلال عالية وجبال راسية
او ذات اقطاع مستقيمة ممهدة وامكنة مستوية منبسطة ولا ظلمات بعضها فوق بعض فلا يستر عنك شيء وان دق
واختفى بحجب ظلمات منه كدبيب نملة على سطح صخرة في ليل مظلم مع سحاب متراكم ولا بحر لجي اي بحر عظيم متلاطم
كثير الماء بعيد الغور منسوب الى اللج او اللجة بضم اللام فيهما وشد الجيم وهو معظم الماء ويجوز كسر اللام في نحي
باسناع الجيم تدلج بين يدي المدلج من خلقك ادلج بتخفيف الدال اذا سار في الليل كله او في اوله وآخره وبتشديد ها
اذا سار في آخره ومعناه يتوجه لي من يتوجه اليك ويتقرب الي من يتقرب منك بالفرايض والنوافل نظير
ما روي من تقرب الي شبرا تقربت اليه باعا ثم ان التوجه والتقرب الحسين محالا لان على الله سبحانه لانهما
من خواص الحيوانات فهما كنايتان عن الاثابة والرعاية والهداية والمحافظة والاحسان وانواع الاكرام وقال
الشيخ في المفتاح معناه ان رحمتك وتوفيقك واعانتك لمن توجه اليك وعبدك صادرة عنك قبل توجهه وعبادته
لك اذ لولا رحمتك وتوفيقك وايقاعك ذلك في قلبه لم يخطر ذلك بباله فكانك سرت اليه قبل ان يسير هو اليك
تعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور الخاينة اما مصدر كالكافية والعاقبة او اسم فاعل اي تعلم خيانة الاعين
وهي النظر الى ما لا يجوز والغمز بها او تعلم النظرة الخاينة الصادرة منها وخفايا الصدور ومخاطراتها وضمايرها
غارت النجوم اي اخذت في الهبوط وشرعت في السقوط او غربت وكان المراد بالنجوم النجوم التي طلعت في اول
الليل ونامت العيون كانه تاسف عن الغفلة عن مشاهدة هذا الصنع الغريب والتدبير العجيب وانت الحي
القيوم اي الفعال المدرك للاشياء كما هي والقايم على كل شيء برعايته وحفظه واصلاحه وتدبيره وفيه
حث على ادراك لذة المناجاة وتحصيل اسباب النجاة في هذه الاوقات لا تاخذك سنة ولا نوم قدم السنة وهي
مبادي النوم كما قدمه عز وجل في كتابه الكريم مع ان القياس في النفي الترقي من الاعلى الى الادنى لتقدمها عليه
طبعا فوقع الترتيب في النفي على نحو وقوعه عند عروضه للحيوان قوله اللهم اعني على هول المطلع المطلع بتشديد
الطاء وفتح اللام مكان الاطلاع من مكان عال وموضعه من اشراف الى انحدار وفي نهاية المراد به موقف القيمة او
ما يشرف عليه من امر الاخرة فشبه بالمطلع الذي يشرف عليه من موضع عال قوله وقال يا ابا محمد اما لك ان جربته

وحده سيدنا انا علي قال ابو بصير وابو بصير كنية سماعة بن مهران ويفهم منه ان المداومة على العدد المذكور
اذا واظبها تحصل حالات غريبة وكمالات عجيبة يجدها الذوق ويدركها الشوق ولا يبعد اجراء مثل هذا
الحكم في غيرها من الادعية الماثورة عن اهل العصمة عليهم السلام والله اعلم قوله قال يا سامك احيا وباسمك اموت
قيل معناه بك يكون ذلك فالاسم هو المسمى كقوله تعالى سبح اسم ربك فان المنزه هو المسمى وقيل من اسمائه تعالى
المحيي والمميت ومعنى كل اسم من اسمائه واجب له فهو سبحانه يحيي ويميت ولا يتصف غيره بذلك فكانه قال
باسمك المحيي احيا وباسمك المميت اموت الحمد لله الذي احياني بعد ما اماتني حمده بالاحياء لان الاحياء
نعمة يستحق بها الحمد واليه النشور السابق دليل عليه لان الاحياء بعد موت النوم نشور اصغر يكون الاستدلال
به على النشور الاكبر فلذلك ذكره بعده قوله تشهد انه لا اله الا هو بنصب الاثار الدالة على توحيده في كل
ذرة من ذرات العالم شاهدة عليه او بانزال الآيات الدالة عليه او بقوله في القران الكريم انا الله لا اله
الا انا وآية السجدة ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الخ انما سميت سخرة لدلالتها على تسخير الله تعالى
٢٨٣ للاشياء وتذليلها وآخر السجدة سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك
انه على كل شيء شهيد الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط وكل به شيطانا ان يحفظه
عن مردة الشياطين هذا من جملة تسخير الله تعالى للاشياء وتذليلها واخرجت حيث جعل عدوه وليه حافظا له
شادا او ابوا اي شاء الشيطانان او المردة حفظه او ابوا وكرهوا وضمير الجمع راجع على الاول باعتبار ان
الاثنين اقله ومثل هذه العبارة شايع فيمن فعل فعلا وهو ثقيل عليه وثواب ذلك له هذا الاتيان ثم قوله
والدليل للانسان الآمن انما سعى لان ذلك من اثار سعيه كما ان الخيرات الصادرة من المؤمنين له من اثار ايمانه
وسعيه قوله ما من احد يقرا آخر الكهف قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربي الى آخر السورة وكونه سببا للتيقظ امر مجرب قوله اللهم لا تؤمني مكرك اصل المكر الخداع وهو على الله
محال واذا نسب اليه تعالى يراد به الاستدراج او الجزاء بالعقاب والايقاع بالبلاء والعقوبة بالسيئات ولا تنسني
ذكرك نسيان العبد ذكره تعالى لازم لسلب اللطف والتوفيق والنصرة والاعانة عنه فقصد نفي اللازم نفي
الملزوم من باب الكناية ولا تجعلني من الغافلين من ذكرك وطاعتك بالامداد والتوفيق لها قوله الله اكبر
الله اكبر ثلثا اي قال الله اكبر ثلث مرات بالله اخرج اي اخرج مستعينا بذاته او متبركا باسمه وعلى الله
اتوكل في الخروج والدخول وفي جميع الامور ثلث مرات اي قال الكلمات الثلثة المذكورة ثلث مرات اللهم
افتح لي في وجهي هذا بخير واختم لي بخير اراد ان يكون خير الابتداء متصلا بخير الانتهاء او طلب الخير في الابتداء

باب الدعاء اذا خرج الانسان من منزله

والخير في العود وفيه تبرك بذكر انت آخذ بناصيتها الوصف للتوضيح والتعميم والاشارة الى الترقب
بحصول الوفاية بل الى تحققها ان ربي على صراط مستقيم في ذكر قيامه على الحق وهو الصراط المستقيم توقع
بنصرته على طاعته وتوفيقه له قوله فوافقته بتقديم الفاء على القاف اي صادفته وفاجاته لقاءً فقال اللهم
اي لمشي اذا خرج او لطلب الحاجة مستعيذًا ومتبركًا او متوسلًا بذاته او باسمه اذ لا اسمه من الآثار والحوص
ما لا يحققه العادون ولا يبلغه الواصفون ولا يدركه العارفون آمنت بالله اقرارًا بايمان ثابت والاقرار
من كمال الايمان او جزؤه كما بيناه في موضعه او بايمان الحادث بان الحافظ مطلقًا خصوصًا في السفر او بعد الخروج
من المنزل هو الله تعالى وتوكلت على الله اي فوضت اموري كلها اليه خصوصًا الخروج ومامره وبعده قال
اللهم ان عرضي لك اليوم العرض بالكسر في تبر العرض موضع المدح والذم من الانسان سواء كان في نفسه او
في سلفه او من يلزمه امره وقيل هو جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه ويحامي عنه ان ينتقص ويثلب وقال
ابن قتيبة عرض الرجل نفسه وبدنه لا غير ثم قال يا با حمزة ان تركت الناس لم يتركوك وان رفضتهم لم يرفضوك
المراد بالترك ترك المحاورة معهم والوقيعة فيهم وبالرفض الاعتزال عنهم وعدم المجالسة معهم وليس المقصود من
الشرط هنا ثبوت الجزاء عند ثبوته وانتفاؤه عند انتفائه كيف ترتبه على نقيض الشرط اولى من ترتبه على الشرط
بل المقصود ان الجزاء لازم الوجود في جميع الاوقات لانه اذا ترتب على وجود الشرط وكان ترتبه على نقيضه اولى
يفهم استمرار وجوده سواء وجد الشرط او لم يوجد فيكون متحققا دائما قلت اذا كان الناس كذلك فما اصنع
معهم قال اعطهم من عرضك اليوم فقرك وفاقتك يعني اذا ذموك وعابوك فلا تجازهم فان ذلك يوجب
زيادة خشونتهم وذمهم بل اعطهم من عرضك على سبيل القرض في ذمتهم لتستوفيه منهم يوم حاجتك في
القيمة قوله اعوذ بما عاذت به ملائكة الله اي اعوذ باسمائه الحسنى وفي الفقيه اعوذ بالله مما عاذت منه
ملائكة الله والموصول فيه عبارة عن المعصية والمخالفة واستعاذة الملائكة تدل على اقتدارهم على المخالفة وان لم
يقع كما في الانبياء وحملها على التولع والتذلل ممكن ومن شر الشيطان الشياطين تفسير وتفصيل لقوله ومن شر غيري
لانه مجمل شامل لجميع ما بعده ومن شر من نصب لاولياء الله اي نصب حربًا او عداوة ويندرج في الاولياء الائمة
الشيعة غفر الله له اي ذنوبه كلها كما هو الظ وهو خير لمن قال وتاب عليه اي وفقه للتوبة وعدم العود الى
الذنوب او قبل توبته منها وكفاه الهم هم الدنيا والآخرة او هم ما اراده بخروجه وحجزه عن السوء بعد الخروج
في الحضر والسفر او في عمره وعصمه من الشرك ولعل المراد بالسوء المكاره الزمانية والنوائب اليومية و
بالشر المعاصي والشرور الحيوانية والزلات النفسانية قوله اللهم اوسع علي من فضلك من التعليل او التبذير

والنعم

واتمم علي نعمتك نعم تعم على العباد غير محصورة وكل واحدة منها دنيوية او اخروية وقابلة للزيادة
الى ان يبلغ حد التمام والكمال والله سبحانه يحب ان يساله العبد اتمامها عليه وجبر التضرع والابتهال
واستعملني في طاعتك التوفيق لها والاعانة عليها واجعل رغبتي فيما عندك من السعادة والكرامة والجنة
ونحبها بصرف القلب الى ما يوجب الوصول اليها وتوفني على ملتك بالثبات عليها او حسن العاقبة وهو امر
يخاف من فوته العارفون فضلا عن غيرهم قوله اللهم بك خرجت اي خرجت مستعينًا بك في اموري او
متمسكا بحولك وقوتك لا بحولي وقوتي ولك اسلمت اللام التعليل او للاختصاص والاسلام اما بمعنى
الدخول في الدين وقبوله او بمعنى الاذعان والانقياد وعليك توكلت في اموري كلها فاكفني وتولني حياة
واصرف عني شره وشر ما فيه لعل المراد شره البلايا النازلة فيه من قبل الله تعالى وبشر ما فيه شر المخلوقات و
اذا دخل في منزله قال ذلك تغيرًا على الظاهر بان يقول بك دخلت اي قد دخلت فبارك لي في دخولي قوله
بحولك وقوتك فيه التفات من الغيبة الى الخطاب والوجه فيه كما في اياك نعبد فانني فيه في عافية لك ان
تجعل الظرفية مجازية بتشبيه ملابسة رزقه للعافية في الاجتماع معها بملابسة المظروف الظرف فتكون لفظة
في استعارة تبعية ذلك ان نعتبر تشبيه الهيئة المنتزعة من الرزق والعافية ومصاحبة احدهما الآخر بالهيئة
المنتزعة من المظروف والظرف واصطحابهما فيكون الكلام استعارة تمثيلية تركب كل من طرفيها لكنه لم يصرح
من الالفاظ التي بازاء المشبه به الا بكلمة في فان مدلولها هو العمدة في تلك الهيئة وما عداه تبع له يلاحظ
في ضمن الفاظه منوية فلا يكون لفظة في استعارة بل هي على معناها الحقيقي ذلك ان تشبه العافية بما يكون
محلا وظرفا للشيء على طريقة الاستعارة بالكناية ويكون ذكر كلمه في قرينة وتخييلا قوله لم يزل في حفظ الله
وكلائه بالكسر والمد الحفظ والحراسة وفعله كمنع وقد تخفف همزتها وتقلب ياء قوله فقف على باب داره
تلقاء الوجه الذي يتوجه اليه كما هو المذكور في الفقيه واقرأ فاتحة الكتاب امامك آه قيل البين فيه الحث
كما ذكره بعض بلا الاحوط تركه لشبهه بالسحر كما في قوله تعالى من شر النفاثات في العقد اللهم احفظني و
احفظ ما معي من الآفات والبليات والمكاره الجسمانية والروحانية وسلمني وسلم ما معي الظاهر انه تاكيد
لما قبله وهو كثير في الادعية والقول بان معناه سلمني من المعصية والمخالفة وتخصيص الموصول بالخدم و
العبيد بعيد كتخصيص الحفظ بالحفظ عن المكاره الارضية وتخصيص التسليم بالتسليم عن الآفات السماوية والخفي
وبلغني وبلغ ما معي بلاغا حسنا اي بلغني وما معي الى المقصد والمكان المطلوب تبليغا حسنا بلا نقص ولا تعب والبلاغ
اما بالفتح وهو اسم لما يتبلغ ويتوصل به الى المقصود والمراد به هنا التبليغ باقامة الاسم مقام المصدر كما

فى قولك اعطيته عطآ وبالكسر المبالغة فى التبليغ من بالغ فى الامر مبالغة وبلاغا اذا اجتهد فيه ولم يقصر ويسلم
ولا يسلم ما معه هذا الفعل وما بعده من الافعال اما مجرد معلوم من السلامة او مزيد مجهول من التسليم قوله
اذا خرج من البيت فى سفر او حضر كما فى الخبر الآتى قوله فتلقاه الشياطين لاغوائه ولحراسته فتنصرف وتضرب الملائكه
وجوههما هذه الرواية بعينها فى الفقيه وفيه فتلقاه الشياطين وتضرب الملائكة وجوههما وهو الظهر قوله من قال
هذا القول كان مع محمد وال محمد اذا قام من قبل ان يستفتح الصلوة من متعلق بقال واذا قام ظرف له على الظهور وكان
على احتمال والمراد بالقيام على الاول القيام للصلوة وعلى الثانى القيام للنشور اللهم انى اتوجه اليك اى اقبل
واطلب اليك بمحمد وال محمد الباء للسببية او الاستعانة واقدمهم بين يدى صلواتى الصلوة هدية وتحفة من العبد
الى الله تعالى ولابد فى ايصالها اليه وقبولها من توسطهم عليهم السلام كما يتوسط مقرب السلطان فى ايصال
الهدية اليه واتقرب بهم اليك اى اتقرب بتوسطهم او بتصديقهم ومتابعتهم اليك فاجعلنى بهم اى بسبب تصديقهم
ومتابعتهم او بسبب توجههم واقبالهم الى وجيها اى ذا جاه ومنزلة والوجيه سيد القوم فى الدنيا والاخره اما
فى الدنيا فبالعلم والعمل والتمسك بالسنة النبوية والطريقة العلوية واما فى الاخرة فبالمقامات الرفيعة والدرجات
العلية ومن المقربين منك ومنهم والقرب درجة فوق الدرجات وفيها توجد انواع من التفضلات والتكريمات و
البهايرشد قوله ولدينا مزيد مننت على بمعرفتهم اى بتصديقهم وهذه المنة سبب لقوله انى اتوجه اليك آه
فلذا ترك العطف لما بينهما من كمال الاتصال والاستيناف محتمل فاختم لى بطاعتهم فى الاقوال والاعمال والعقائد
كما قلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ومعرفتهم وولايتهم طلب الختم بهذه الامور والخروج من
الدنيا عليها لان معرفتهم بدونها وهى المعرفة المستودعة الزايلة عند الموت لا تنفع ولذلك تجد العارفين متضرعين
فى طلب حسن العاقبة فانها السعادة الضمير راجع الى الطاعة والمعرفة والولاية وتعريف الخبر للحصر الدال على ان
ما سواها وهو المعرفة الغير الثابتة ليست بسعادة اختم لى بها اى بما ذكر من الامور الثلثة او بالسعادة والمال واحد
وهذا تاكيد للسابق للمبالغة والاهتمام ببقائها وثباتها اللهم اجعلنى مع محمد وال محمد فى كل عافية وبلاء
طلب ذلك لان المعرفة التامة والمتابعة الكاملة والمحبة الصادقة تقتضى المشاركة فى العافية والبلاء والشدة
والرضا واجعلنى مع محمد وال محمد فى كل مثوى ومنقلب اى فى كل مكان اقاموا فيه وكل محل انقلبوا فيه او فى
كل اقامة وسكون وكل انقلاب وحركة وبالجملة طلب ان تكون حركاته وسكونه موافقة لحركاتهم و
سكونهم ولولا ذلك لدخل النقص فى المتابعة ووقع الفراق بين المحب والمحبوب فى الجملة اللهم اجعل محياى
محياهم ومماتى مماتهم المحيا والممات مفعل من الحيات والموت ويقعان على المصدر والزمان والمكان والاول

اظهر

الظهر والمعنى اجعل حيوتى مثل حيوتهم فى التعرض للخيرات والاعمال الصالحات وموتى مثل موتهم فى استحقاق
الغفران والرضوان والدرجات والشفاعات وقيل المحيا الخيرات التى تقع فى حال الحيوة منجزة والممات الخيرات
التى تصل الى الشخص بعد الموت كالتدبير والوصية بشئ وغير ذلك مما ينتفع به الناس قوله اللهم لا تويسنى من روحك
الياس القنوط ايأسته وآيسته قنطته والروح بالفتح الراحة والنسيم الطيبة والراحة والاولان اولى بالاولى
هنا تحرزا عن التكرار والمراد بهما نسيم الجنة والراحة فيها والقنوط منهما ومن الرحمة بسبب المعصية وان كانت
عظيمة بعد الايمان كفر بالله العظيم كما نطق به القرآن الكريم ولا تؤمنى مكرك كالاستدراج ونحوه مثل ان
تكبر قلبه ولا يخاف عقوبته من المعصية ويعتقد انه مغفور قطعا فان ذلك تكذيب للوعيد وليس هذا
من باب حسن الظن بالله فان حسن الظن به ان يعمل ويستغفر ويظن انه مقبول قطعا وقد مر تفصيل ذلك فى شرح
كتاب الكفر والايمان قوله يقول اذا فرغ من الزوال الظاهر انه فريضة الظهر والنافلة محتمل اللهم انى اتقرب اليك

باب الدعا فى ادبار الصلوة

بجودك وكرمك لا بعملى وطاعتى وفيه اعتراف بالتقصير وتوسل باشرف الوسايل للتقرب فان الجود والكرم
285 على الاطلاق تقتضيان اعطاء السايل ما سأله ثم يقول يا اهل التقوى يا اهل المغفرة وهو تعالى اهل لان يتقى
من عقوبته ومخالفته واهل لان يغفر ذنوب عباده قوله الحمد لله الذى يفعل ما يشاء ولا يفعل ما يشاء
غيره وتفسيره بوجهين اعطى خيرا كثيرا فى الدنيا والآخرة والخير كلى شامل لانواع الخيرات المطلوبة فيهما قوله
اللهم بيدك مقادير الليل والنهار اليد كناية عن القدرة والحفظ والامر والمقدار مبلغ الشئ المقدر بتقدير
معين يعنى تقدير الليل والنهار بمقادير مخصوصة مختلفة وتعاقبهما واختلافهما طولا وقصرا وزيادة و
نقصانا وظلمة وضياء انما هو منوط بقدرتك واختيارك ومقادير الدنيا والآخرة بانقطاع الاولى
وتغير احوالها ودوام الثانية وثبات درجاتها ودركاتها ومقدار اجورها وعقوباتها ومقادير الموت والحيوة
بتفاوت الاسباب والاعمال المقدرة على وفق الحكمة ومقادير الشمس والقمر على تفاوت الحركات والانوار و
والزيادة والنقصان والطلوع والغروب والخسوف والكسوف والاقتران والافتراق ومقادير النصر
والخذلان على تفاوت مراتبهما للمؤمنين والكافرين ومقادير الغناء والفقر فى الكمية والكيفية والزيادة
والنقصان لكل ذلك لحكم مقتضيه له وفيه رد على الملاحدة والدهرية والفرق المبتدعة الناسبة لجاد
السفليات واكثر العلويات الى غيره تعالى وعلى كل من نسب الايجاب اليه تعالى اذ الموجب لا يصدر عنه افعال
مختلفة متضادة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا اللهم بارك لى فى دينى اى زدنى فى دينى بالعلم والعمل
بما فيه او اثبت ودم لى ما اعطيتنى فى دينى من التشريف والكرامة بمتابعة رسولك واوليائك واجعل منقلبى

الى خير دايم المنقلب بضم الميم وفتح اللام اسم مكان او مصدر والاجر هو المراد هنا بقرينة تعديته بالى قوله ثم
يرفع يديه ويجعل بطنهما مما يلي السماء الظاهر انه يجعل بطن اليمنى فقط الى السماء كما يشعر به ما بعده غفر له وعفي
عنه فلا يعذبه ابدا وهو خبر بمنزلة الجزاء لقوله من قال بعد كل صلوة ووصل بالاستغفار له حتى يموت ذلك
الداعي جميع الخلايق الا الثقلين الجن والانس لعل على سبيل الاحتمال ضمير المستتر في وصل عايد الى الله تعالى
والمفعول محذوف وجميع الخلايق فاعل الاستغفار والاستثناء من الخلايق يعني وصل الله ثم مغفرته للاثر
النايبه باستغفار جميع الخلايق له بخصوصه فيما بقي من عمره حتى يموت لاهمالهم بحاله الا الثقلين لعدم معرفتهما
له بخصوصه لغرض يتعلق بنظامه او بنظام الكل كالحجب وغيره من المفاسد والله يعلم اللهم اغفر لي مغفرة العزم
عزما الظاهر ان عزما تمييز وهو القطع في الامر والجد فيه والقوة خلاف الوهن ولعل المغفرة لا على جهة
هي المعلقة بشرط او صغر او وقت او بنوع من الذنب وعافني من الامراض الروحانية والجسمانية الدنيوية والاخروية
معافاة لا ابلوى بعدها ابدا في الدنيا والاخرة واهدني هدى لا اضل بعده ابدا طلب الثبوت على الهداية او
الهداية الخاصة التي للاولياء او الايصال الى المطلوب فانه الذي لا يتصور الضلال له بعده ابدا وانفعني يا رب
بما علمتني من الامور الدينية بالعمل به والتعليم والارشاد واجعله لي ولا تجعله علي يعني اجعل ما علمتني بحيث
ما ينفعني بان توفقني للعمل به ولا تجعله بحيث يضرني بترك العمل به فان العالم بلا عمل محجوج بالعلم معاقب في
زيادة ما يعاقب به الجاهل كما دل عليه بعض الاخبار وارزقني كفافا الكفاف بفتح الكاف مقدار الحاجة
من غير زيادة ولا نقصان سمي بذلك لانه يكف عن سوال الناس وعافني من النار ذات السعير اي
ذات اللهب والوصف للتوضيح لا للتقييد لان نار جهنم ذات لهب دايما كما في القران المجيد واهدني لما
اختلف فيه من الحق باذنك اي اهدني الى الحق الذي اختلف فيه من الاصول والفروع فقبله بعض وانكره
بعض وقوله باذنك متعلق بالهداية او بالاختلاف على احتمال لانه لا يقع شيء في الارض ولا في السماء
الا باذن الله ثم كما مر في كتاب التوحيد مشروحا واهدني بعد اذ هديتني بعض الهدى وفتح الدال اللغوي البيان
والدلالة والارشاد يقال هداه الله ثم اذا ارشده وتصرع طريق معرفته وعرفه ما لا يدل في بقائه ووجوده
وكماله في النشاتين واغنني بغناك اي اغنني بغنى من عندك حتى لا احتاج الى غيرك واجعلني من اوليائك المخلصين
بفتح اللام من اخلصه الله اذا جعله خالصا من الرذايل او مميزا عن غيرهم في السعادة من خلص اذا تميز او سالما
من المكاره الاخروية من خلص اذا سلم ونجا او واصلا الى قربه ثم من خلص فلان الى فلان واذا وصل اليه او كرها
من اخلص لله اذا طلب بعمله وجه الله وترك الرياء والسمعة او خلص نفسه من المهلكات والجنايات كما خلصته النار

من الذهب

من الذهب وغيره قوله اللهم لك الحمد حمدا خالدا مع خلودك طلب ان يكون حمده كحمده ثم لانه في الخلود لو ان يكون
اجره خالدا وله الحمد حمدا لا منتهى له دون رضاك رضاه عبارة عن الاحسان والاكرام وفيه رضا لان يكون
ثواب حمده غير متناه لان عدم نهاية الحمد عند احسانه واكرامه بسببه مستلزم لعدم نهايتهما ولك الحمد حمدا
لا امد له دون مشيتك الامد الغاية وفيه طلب لان يكون الحمد بغير غاية عند تعلق مشيته ثم بصدوره
وبالجملة طلب ان يكون تعلق المشية به على هذا الوصف ويمكن ان يكون المراد عدم الغاية من طرف البداية تفضلا
بارادة المشية الازلية وان كان الحمد حادثا كتعلق المشية به ولك الحمد حمدا لا جزاء لقائله الا رضاك طلب
لان يكون الحمد خالصا لله عاريا عن الرياء والسمعة لانه الذي يترتب عليه رضاه ثم اللهم لك الحمد اي الحمد على
الوجه المذكور لك لا لغيرك وفيه اجمال بعد تفصيل وجمع بعد تفريق وهو فن من الصناعة البديعية واليك
المشتكى اي اليك الشكاية من الغربة والفرقة والوحدة والوحشة وغيبة الامام وغيرها من البلايا الواردة في
الدنيا وانت المستعان في الامور والشدايد كلها اللهم لك الحمد كما انت اهله فيه اظهار العجز من حمده هو اهله
وانما غاية كمال العبد وهي التضرع بان يجعل حمده شبيها بحمد هو اهله ويشبه به من باب الفضل الحمد لله بمحامده
كلها على نعمائه كلها حمدا اجمالا بجميع ما يحمد به على جميع ما يحمد عليه للاشعار بان الحمد تفصيلا فيهما محال
وقد ذكرنا سابقا اختلاف الاقوال في كمية ثوابه وقال بعض الافاضل قد يكون التفصيل في الدعاء في بعض المواضع
ابلغ وقعا في النفوس والذ وقد يكون الاجمال والاختصار ابلغ وانفع فلذلك بين الشرع كلا الطريقين حتى ينتهي
الحمد الى حيث ما يحب ربي ويرضى حيث هنا المقام الاعلى من المحبة والرضا بقرينة المقام ويقول بعد الفجر
الحمد لله ملء الميزان من طرق العامة للميزان كفتان كل كفة طباق السموات والارض والحمد يملأه قيل يملأه
لو كانت اجساما وقيل المقصد منه تكثر اجوره وقيل تعظيم شانه وقدره ومنتهى الرضا لكونه في غاية الكمال
للترتب عليها نهاية الرضا وزنة العرش لعل المراد به العرش الجسماني وهو الفلك الاعظم وتقضي لنا حوائجنا
في الدنيا والاخرة حوايج الدنيا ما يحتاج اليه في المعيشة والبقاء وحوايج الاخرة ما ينفع فيها من الخيرات كلها
في يسر منك وعافية الظرف متعلق بتقضي او حال عن ضمير المتكلم ومنك صفة ليسر ويسر مترتب على قضاء
حوايج الدنيا وعافية على قضاء حوايج الاخرة او كل مترتب على كل قوله وافوض امري الى الله قيل التفويض
نوع لطيف من التوكل وهو ان يفعل العبد ما امر الله ثم ويكل اموره الدنيوية والاخروية اليه ولا يبالي بما
وقع عليه من البلايا ان الله بصير بالعباد عالم باحوالهم الظاهرة والباطنة ومنافعهم ومضارهم فلا يخفى
عليه كرب المكروبين فيزيله وان كانت في ازالته مصلحة فوقه الله سيات ما مكروا كل من فوض امره الى الله

٢٨٦

عند مكر الخلايق واراد بهم ايصال السوء اليه وقطع الطمع عن معاونة غيره وعلم انه تعالى عالم باحوالهم واسرارهم
وقاه الله سيئات مكرهم وشدايد قصودهم لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فيه اقرار بتوحيده
المطلق وتنزيهه عن النقص والعجز وبالظلم لنفسه المشعر بان ما لحقه من البليه والغم انما هو من اجل عمله
وكسبه وهذا الاقرار الدال على كمال العبودية والعجز والانقطاع عن الخلق مقتضيه لازالة البلية والغم كما قال
عز شانه فاستجبنا له ونجيناه من الغم الضيق لدى النزول وعدم الالتقام الحوت او غم الخطيئة وهى المهاجرة
من قومه بدون اذنه وتنجيه بان امر الحوت بقذفه الى الساحل بعد اربع ساعات او بعد ثلثه ايام كما قيل و كذلك
اى كما انجيناه ونجى المؤمنين المغمومين اذا دعوا الله بهذا الكلام او مطلقا مخلصين والاية فى سورة
الانبياء وهى مجربة لرفع الغموم حسبنا الله اى محسبنا وكافينا فى قضاء حوايجنا ورفع غمومنا ونعم الوكيل
لمن وكل اليه امره والبحث فى هذا العطف والجواب عنه مشهور وان شئت معرفة ذلك فارجع الى
ما ذكره التفتازانى والشريف فى المطول وحاشيته فانقلبوا بنعمة من الله وفضل اى فرجع المجاهدون من بدر
منقلبين بنعمة عظيمة وعافية امن من الاعداء وبفضل كثير من الله من الغنيمة والثواب الاخروى لم يمسسهم سوء
من الاعداء والاية فى سورة آل عمران وهى مجربة فى دفع شر الاعداء ورفع الهموم ما شاء الله لا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم فى الاول اقرار بان كل شئ وجوده وعدمه وبقاؤه وفناؤه بمشية الله تعالى وفى الثانى
اعتراف بالعجز وان كل ما حصل له من الخير وكل ما دفع عنه من المكر وغيره فهو بحول الله وقوته واقداره
ومعونته ما شاء الله لا ما شاء الناس اى ما شاء الله كان قطعا لما فيه مصلحة لا ما شاء الناس اذ قد لا يكون
فيه مصلحة ما شاء الله وان كره الناس كالامراض والبلايا والفقر وغيرها وفيه اشارة الى الرضا بقضائه حسبى
منذ قط فى قط مشددة مجرورة بمعنى الدهر مخصوصة بالماضى اى فيما مضى من الزمان او فيما انقطع من العمر و
منذ مبنى على الضم ومذ مبنى على السكون ويكسر ميمهما وهما اذا كان يليهما اسم مجرور بمعنى الماضى حرفا جر بمعنى من
والمعنى حسبى الله وكفانى من اول عمرى الى الان ومنه ارجو الكفاية فيما بقى واحصله القايم بامرك والمتكفل
لذلك الطلب فى امثال هذا انما كان المطلوب حاصلا للتاكيد ولاظهار الرضا والشعف والسرور بما واراه ما تحب
وما تقر عينه فى نفسه آه قيل اقر الله عينه من القرار وهو السكون يعنى بلغه امنيته حتى ترضى نفسه وتسكن
عينه فلا تستشرف الى غيره والمشهور انه من القرة كناية عن الفرح والسرور قال الشيخ فى الاربعين قرة العين بردوتها
وانقطاع بكائها ورؤيتها ما كانت متشوقة اليه والقرة بالضم ضد الحر والعرب تزعم ان دمع الباكى من شدة السرور
بارد ودمع الباكى من الحزن حار فقرة العين كناية عن الفرح والسرور والظفر بالمطلوب يقال قرة عينه بالكسر تقر

والفتح

والفتح قرة بالفتح والضم اللهم اغفر لى ما قدمت وما اخرت قيل يحتمل فيما مضى ويحتمل فيما مضى وفيما يأتى و
دعاؤه صلى الله عليه وآله بذلك مع علمه بانه مغفور له ومع انه معصوم من جميع الذنوب على ما هو الحق
اشفاق وتعليم للامة وقيل خوف مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقيل يحتمل انه بحسب
المقامات يرى مقامه فى زمان دون مقامه فى زمان آخر فيستغفر من مقامه الاول وقيل طلب امته
الا انه نسبها الى نفسه للاشعار بان مغفرة ذنوبهم مغفرة له او طلبها لنفسه بناء على ان الكفار كانوا معتقدين
بانه مذنب فى دعوى الرسالة فيحتمل رفع ذلك الاعتقاد منهم بمنزلة المغفرة او بناء على انه على خلاف الاولى وبنا
اللهم انت المقدم والمؤخر على صيغة الفاعل وهذا فى كتب العامه ايضا ومعناه تقدم ما تشاء وتؤخر ما تشاء
على مقتضى الحكمة لان بعض معلولاته مقدم على بعض فى الشرف والرتبة والزمان وغير ذلك وقال ابن الاثير من
اسمائه تعالى المقدم والمؤخر لانه يقدم بعض الاشياء ويؤخر بعضها ويضع كلا فى موضعه فمن استحق التقديم قدمه
ومن استحق التاخير اخره وقال بعضهم انت المقدم بلا بداية وانت المؤخر بلا نهاية وانت المقدم القديم وانت
٢٨٧ المؤخر الباقى وانت الاول بالابتداء والآخر بالانتهاء وقال القرطبى هذان الاسمان من اسمائه تعالى المزاوجة كالقابض
والباسط قال العلماء لا يؤتى بهما الا كذلك فلا تقل انت المقدم وحده كما لا يقال القابض وحده لا اله الا انت
فلا مقدم ولا مؤخر غيرك فهو تاكيد لما قبله بعلمك الغيب اى اسئلك به وما عطف الى آخره مفعول السؤال
والباء للسببية او القسم والغيب بالنصب مفعول العلم وجره بالوصف لا بعيد ولا حاجة الى مفعول ثان كما
قيل اللهم انى اسئلك خشيتك فى السر والعلانية قال المحقق الطوسى فى اوصاف الاشراف الخوف والخشية
الفرق بين الخوف والخشية
ان كانا فى اللغة بمعنى واحد الا ان بين خوف الله وخشيته فى العرف ارباب القلوب فرقا هو ان الخوف تألم
النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات والتقصير فى الطاعات والخشية حالة تحصل عند الشعور
بعظمة الحق وهيبته وخوف الحجب عنه والمراد بالخشية فى السر والعلانية ما اشار اليه شيخ العارفين فى الاربعين
وهو ان يظهر آثارها فى الافعال والصفات من كثرة البكاء ودوام الحزن وملازمة الطاعات وقمع الشهوات حتى
يصير جميعها مكروها لديها كما يصير العسل مكروها عند من عرف ان فيه سما قاتلا مثلا واذا احترقت جميع
الشهوات بنار الخوف ظهر فى القلب الذبول والخشوع والانكسار وزال عنه الكبر والحقد والحسد وصار كل همه
النظر فى خطر العاقبة فلا يفرغ لغيره ولا يصير له شغل الا المراقبه والمحاسبه والمجاهدة والاحتراز من تضييع
الانفاس والاوقات ومواخذة النفس فى الخطوات والخطرات واما الخوف الذى لا يترتب عليه شئ من هذه
الآثار فلا يستحق ان يطلق عليه اسم الخوف وانما هو حديث نفس ولهذا قال بعض العارفين اذا قيل لك هل

يخاف الله فاسكت من الجواب فانك وان قلت نعم كذبت واسئلك كلمة الحق في الغضب والرضا وهي من توابع العدل
وسلامة النفس من الآفات اذ هي اعتصاب مراعات الحق في حال الغضب والرضا وعدم التجاوز عنه الى
الباطل كما هو مقتضى الحمية الجاهلية والقصد في الفقر والغنا القصد الاعتدال والمقتصد المعتدل الذي لا
يميل الى احد طرفي الافراط والتفريط والاسراف والتبذير وهو متفاوت في الفقير والغني فقصد الفقير تقتير
للغني وقصد الغني تبذير للفقير واسئلك نعيما لا ينفد وقرة عين لا ينقطع اما من باب التفضل والتوفيق
لما يوجبهما واسئلك الرضا بالقضاء قد تقرر في الشرع انه لا يقع شيء خيرا كان او شرا الا بقضاء الله تعالى وان فائدة مهمة في الرضاء بالقضاء
الرضاء به واجب لا يقال كل من القضاء بالكفر والرضاء به كذلك القضاء رضاء بالكفر وهو قبيح لانا نقول اذا
عرفت معنى القضاء والرضاء به علمت انه لا نقص فيهما اصلا بل هما عين الحكمة ونفس الكمال وذلك لانه تعالى لما علم في
الاول كفر فلان باختياره قضى به ليطابق علمه بالمعلوم فلا نقص فيه ولا في الرضاء بل النقص في عدمهما
فليتامل وبركة الموت بعد العيش اريد ببركة الموت الفرح والسرور والراحة ومشاهدة السعادة بعده والعيش
الحيوة الطيب وما يكون به الحيوة ويعاش به على الوجه الحلال وبرد العيش بعد الموت العيش البارد عيش لا تعب
ولا مشقة ولا عسر فيه وعيش ثابت مستقر من قولهم برد لي على فلان حق اي ثبت واستقر وكل محبوب عندهم
بارد ولذة النظر الى وجهك اي الى رحمتك او الى انبيائك ورسلك واوصيائهم وهم وجه الله اذ الناس بهم يتوجهون
اليه وقد مر تفسير الوجه بهم في الاصول وشوقا الى رؤيتك ولقائك اي رؤية المقربين منك ولقائهم او رؤية
تفضلاتك والطافك ولقائها او رؤية تجلياتك ولقائها والشوق الى ذلك يبعث على الطاعة والاعمال الصالحة
من غير ضراء مضرة في الدين او الدنيا الضر والضر ضد النفع والضر الحالة التي تضر كالبلية والفاقة ونحوها وهو نقيض
السراء وهما بناءان للمؤنث ولا مذكر لهما ولا فتنة مضلة عن الحق والفتنة بالكسر مصدر بمعنى الاختبار او اسم وهي
البلية والمحنة والعذاب والمال والاولاد وغيرها مما يختبر به وانما قيدها والضراء بالوصف لان المقصود هو الحفظ
منه والا فالانسان ما دام في الدنيا لا يخلو عنهما اللهم زينا بزينة الايمان الظاهر ان الاضافة بيانية وان المراد بالايمان
الايمان الكامل ويحتمل ان يراد بالايمان اصل التصديق وبزينتها الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة التي لها مدخل
في كماله والمقصود طلب التوفيق والنصرة والمعونة منه تعالى واجعلنا هداة مهتدين مهتدين مفعول ثان او صفة للاول
والمقصود هو الجمع بين الهداية والارشاد وقبول الهداية من اهلها اذ لا كمال في احدهما بدون الآخر اللهم اهدنا فيمن
هديت من الانبياء المقربين والرسل المكرمين والعباد الصالحين ولعل التعدية بفي لتضمين معنى الدخول والاندراج
اللهم اني اسئلك عزيمة الرشاد الرشد بالضم والرشاد بالفتح الاهتداء مصدر رشد كنصر وفرح اذا اهتدى الى العلم والعزيمة مصدر
عزم عزما

بمعنى

بمعنى الارادة والجد والقطع يقال عزم على الامر يعزم عزما وعزيمة اذا اراد فعله وقطع عليه ووجد فيه ولما كان
الرشاد بدون العزيمة عليه بمنزلة الامر المستودع طلب العزم عليه ليصير مستقرا بالعاجل والكمال والثبات
في الامر والرشد الامر شامل لكل ما هو حق من احوال المبدا والمعاد والاحكام وغيرها والرشد والرشاد
بمعنى وذكره بعد الامر من باب ذكر الخاص بعد العام للاهتمام لان اصل الجميع ما ذكر وانما طلب الثبات فيهما لانهما
بدونه مستودع لا خير فيه واسئلك شكر نعمتك تفصيلا فيما علمت واجمالا فيما لم اعلم والشكر وان كان فعل
العبد لكن التوفيق والامداد من فضله عز وجل وحسن عافيتك في الدنيا من البليات والمكروهات والشبهات
وفي الآخرة من العقوبات واداء حقك من الواجبات والمندوبات ويندرج فيه حقوق الاخوة والرعية و
الولاية وكل ما يطلق عليه اسم الحق لانه كله حق الله تعالى من حيث انه قرره على عباده واسئلك يا رب قلبا سليما
من الرذائل والآفات والشكوك والشبهات ولسانا صادقا في الشريعة البيضاء منزها عن الكذب والافتراء واستغفرك
٢٨٨ لما تعلم من الذنوب وان لم اعلمها واسئلك خير ما تعلم وان كان شرا عندي كما قلت عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير
لكم واعوذ بك من شر ما تعلم وان كان خيرا عندي بحسب الظن كما قلت عسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم فانك
تعلم ولا اعلم تعليل لما ذكر من المعاملة بما هو الاصلح لما في علمه قوله اللهم اجعل لي فرجا ومخرجا مصدر او مكان
وارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب فالجزء الاول اخرج من النبي وبالجزء الثاني اعطاه السلطنة
الفرق بين الواحد والاحد قوله بالله الواحد الاحد قال صاحب العدة الله اشهر اسمائه تعالى في الذكر والدعاء وتتميز بسائر الاسماء والواحد
هو المتفرد بالذات والاحد هو المتفرد بالمعنى والصمد هو السيد الذي يصمد اليه في الامور ويقصد في الحوائج
والنوازل الذي لم يلد ولم يولد نفى عنه الافتقار والتغير في الاحوال والاتصاف بالشهوات والمشابهة بالحيوانات
واتخاذ الزوجة والاولاد والاحتياج الى الآباء والاجداد كما قالت الفرق الباطلة الملائكة بنات الله ومريم زوجة
الله وعيسى ابن الله وعزير ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن له كفوا احد قال صاحب العدة الواحد
يطلق على من يعقل وعلى غيره والاحد لا يطلق الا على من يعقل انتهى ويمكن ان يراد به هنا معنى الواحد من باب
التغليب او يقال ان نفي المماثلة عن ذوي العقول يستلزم نفيها عن غيرهم بطريق اولى برب الفلق هو الضوء
الصبح وانارته او الصبح نفسه او المراد به جميع الموجودات لانه تعالى فلق اي شق ظلمة العدم بنور الايجاد وقد زال برب
عن العابد ما يخافه قال القاضي لفظ الرب ههنا اوقع من سائر الاسماء لان الاعاذة من المضار تربية وبآية
الكرسي الى آخرها الى هم فيها خالدون كما صرح به الشيخ في المفتاح وظاهر كلامه انه يقول الله لا اله الا هو
وقال بعض الافاضل يقول وبالله لا اله الا هو قوله يا من يفعل ما يشاء لان كل ما يشاء فيه حكمة ومصلحة

ولا عليه قدرة قاهرة ولا يفعل ما يشاء احد غيره فهو تأكيد له تفسير قوله اللهم اذهب عني الهم والحزن والخوف الهم
الهم ما يقدر الانسان على دفعه كالافلاس او ما يحصل بسبب معلوم او ما هو قبل نزول المكروه او ما هو من اجل
الدنيا والحزن ما لا يقدر الانسان على دفعه كذهاب المال بالغصب وموت الولد او ما لا سبب معلوم او ما
هو بعد نزول المكروه او ما هو من اجل الآخرة قوله كنت كثيرا ما اشكو عيني اي اشكو من عيني الى الله وفي
الكنز الاشكال كردن ونالة كردن والمبالغ الكفاية واجعل النور في بصري يمكن ان يكون جعل النور في البصر
كناية عن الهداية الى الصراط المستقيم حتى لا يزيغ عنه ابدا ويجوز ان يراد به التوفيق في رؤية ما يجوز رؤيته والمنع عما
لا يجوز فان ذلك يصلح القلب ويشرح الصدر ويزيد في الفهم ورؤية الحرام بضد ذلك ويحتمل ان يراد به
يراد به القوة البصرية الموجبة للرؤية والمقصود به الدعاء في طلب سلامة العين وحفظها عن زوال النور قوله
سبحان الله العظيم وبحمده قال عياض هذا الكلام على اختصاره جملتان احديهما سبحان الله لان سبحان مصدر
والمصدر يدل على فعله فكانه قال اسبح سبحان الله التسبيح الكثير في الثانية بحمده لانه متعلق بمحذوف تقديره
عليه بحمده قوله اللهم ارزقني من فضلك الواسع الفضل ضد النقص والمراد به هنا العطاء الكامل ووصفه بالواسع
للدلالة على كثرته وشموله للبر والفاجر الحلال الطيب الحلال ضد الحرام وهو شامل للحلال في ظاهر الشريعة
والحلال في نفس الامر وهو قوت النبيين كما سيجيء والمراد هنا هو الاول والنعيم يحتمل والطيب الحلال هو المناسب
وقد يراد به الطعم وهو ح المناسب على الطعم رزقا واسعا حلالا طيبا مفعول به اما مفعول مطلق على احتمال
ما ينتفع به المتغذي وغيره حلالا كان ام حراما وتقييده هنا بالحلال مؤيد له ويمكن ان يكون وصفه بالحلال
للتوضيح والتفسير لا للتقييد جمعا بينه وبين ما روي عن الباقر عم في حديث الى ان قال فان الله قسم الارزاق بين
خلقه حلالا ولم يقسمها حراما فمن اتقى وصبر اتاه رزقه من حله ومن هتك حجاب ستر الله عز وجل واخذه من غير
حله قص به من رزقه الحلال وحوسب عليه يوم القيمة بلاغا كافيا للدنيا والآخرة بان يكف عن الناس ويغني
عنهم في الدنيا ويسبب القوة على العمل وطلب الاجر للآخرة بزيادة حال الفقراء وهذا كالتفسير لقوله واسعا
صبا صبا اي رزقا مصبوبا من صبه صبا فصب اذا اراقه والتكرير للمبالغة في تواتره وادراره هنيئا مريئا الهني
السائغ وايضا ما يأتيك بلا تعب والمري الطعام المنحدر عن المعدة الغير الثقيل عليها وكانه كناية عن ان لا يكون معه
عاهة جسمانية ولا آفة روحانية من غير كد اي من غير تعب ومشقة في تحصيله وهو وصف لرزقا كالموصوفين
او حال عنه ولا من من احد من خلقك بان لا يكون منهم ولا من امدادهم واعانتهم مطلقا او ح منهم على ولو كان
جاريا على ايدي الرزق اسبابا فلكيون بلا منة لان عدمه خير من وجوده معها والاول انسب بقوله الا سعة من فضلك الواسع

الفرق بين الهم والحزن

باب الدعاء للرزق

فيه معنى الرزق

٢٨٩

اي لكن سعته فالاستثناء منقطع ومن يدك الملأ اسل الملأ بالفتح الغني ومنه المليء وهو الغني وفعله
كمنع وكرم واما الملء بالكسر فهو اسم ما يأخذه الاناء اذا امتلأ ويمكن ارادته هنا على سبيل التشبيه للاشعار
بان المطمئنا بيان طرف الطمع والرجاء قوله اللهم انك تكفلت برزقي اي ضمنته في قولك ونحن نرزقكم وقولك وما
من دابة الا على الله رزقها وقولك وفي السماء رزقكم وما توعدون وامثال ذلك يا خير من سئل ويا خير من اعطى
ويا خير من سئل الى تفضيله تم على الغير في هذه الافعال بالنظر الى عادة الناس وصنعتهم والا فهو جنس
اصل تلك الافعال في الحقيقة لغيره ايضا لحثهم على الرجوع اليه بانه اكمل فيها من غيره لان النفس الى الاكمل ارغب
والا فلا نسبة بين الخالق والخلق ولا بين فعله وفعلهم حتى يجري فيه معنى التفضيل قوله ولم يكن له ولي من
الذل اي لم يكن له ناصر ومعين في ايجاد العالم وحفظه وتدبيره لان ذلك من آثار الذل والافتقار وهو سبحانه
منزه عنهما قوله ادع في طلب الرزق في المكتوبة وانت ساجد يا خير المسئولين الخ في هذا الدعاء اهتمام عظيم
حيث خص بالصلوة المكتوبة لانها احق بالاجابة وحال السجود لقولهم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو
ساجد وقوله من فضلك اي من مجرد فضلك من غير ملاحظة استحقاق فاني لست باهل لذلك الا ان الرزق كله
من الله ثم واكد ذلك بقوله فانك ذو الفضل العظيم اي لا لاني استحق ذلك قوله قل في صلوة الليل وانت
ساجدا قال الشيخ صلوة الليل في الاحاديث يطلق على الثمان وعلى الاحدى عشرة بالاضافة الشفع والوتر
وعلى الثلث عشرة باضافة ركعتي الفجر وعلى هذا كل سجدة من سجدات الثلث عشر محل هذا الدعاء وذكره في الثمان
احسن ويسبب لي من قبلك مسبب بالباء الموحدتين من التسبيب وهو الاجراء والارسال وامثالها بالمثناة
التحتانية من التثويب وهو الاعطاء والارسال فهو ايضا مناسب لكنه لم يوجد في النسخ التي رايناها قوله واسبغ
وضوءك الاسباغ الاكمال ولعل المراد به المشتمل على جميع الواجبات واشتماله على المندوبات ايضا محتمل ثم
قل بعد الفراغ من الصلوة يا ماجد هو الواسع الكريم الذي وسع غناه مغافر عباده ووسع رزقه جميع خلقه
يقال رجل ماجد اذا كان كريما سخيا واسع العطاء وقيل هو الكريم العزيز وقيل هو المفضال الكثير الخير
وقيل هو شريف ذاته وحسن فعاله والكل متقارب يا واحد كريم هو الواحد بالوحدة الحقيقية المنافية للشركة
في الذات والصفات والتكثر والتعدد والتركيب الذهني والخارجي وهو الكريم المطلق الجامع لانواع الخير
والشرف والفضائل والجود والاعطاء الذي لا ينفد اتوجه اليك بمحمد نبيك اي اجعله وسيلة بيني وبينك
وشفيعا في انجاز طلبتي ونيل سؤلي وقضاء حاجتي ثم صرف الخطاب الى النبي صلعم واستشفع به وجعله شفيعا
وبعد شفيعا له فقال يا محمد يا رسول الله اني اتوجه بك الى الله ربك وربي ورب كل شيء فيه من ادب حسن

الدعا آما الا يخفى لان من جعل احدا شفيعا في خطاب الى احد لا بد له من الرجوع اليهما في طلب قبول الشفاعة
ان تصلى على محمد واهل بيته متعلق بقوله اتوجه اليك وانما توسل بهم في طلب الصلوة عليهم مع انه تعالى
يصلى عليهم قطعا لاظهار العجز والانكسار والاشعار بان هذا الطلب من حيث انه صدر منه لا يحقق
القبول بدون التوسل بهم وفى بعض النسخ يصلى على الغيبة وهو ح متعلق بقوله يا محمد يا رسول الله انى اتوجه
بك الى الله الا ان في قوله على محمد واهل بيته عدولا عن الخطاب الى الغيبة لقصد التبرك او الاستلذاذ
او الاهتمام هذا غاية الجهد في ربط هذه الفقرة بما قبلها فليتامل واسئلك نفحة كريمة من نفحاتك عطف على قوله
اتوجه اليك والتوسل بهم معتبر هنا ايضا والنفحة بالحاء المهملة هبوب الرياح وريح المسك وهى مستعارة للعطية
والرحمة وفى طرق العامة ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والكريمة الشريفة النفيسة الطيبة الخالية
عن النقص وفتحا يسيرا الابواب الرزق بلا تعب ولا مشقة ورزقا واسعا تغنيني عن الخلق وتقوم بحوائجي كلها
كما وصفه الكشف بقوله لم به شعثى لمه جمعه والشعث محركة انتشار الامر وتفرقه قوله يا رازق المقلين الاقلال
قلة الجدة ورجل مقل واقل فقير وفيه بقية يا راحم المساكين رحمة عامة وتعلقها بالمسكين لزيادة احتياجه اليها
اولى يا ولى المؤمنين الولى الناصر والمحب والمتولى لامور غيره وهو سبحانه وان كان متوليا لامور الخلائق
كلهم لان توليه لامور المؤمنين اكمل ويا ذا القوة المتين صفة للمضاف لا للمضاف اليه وفيه هو سبحانه
اى قوى شديد لا يلحقه في افعاله مشقة ولا كلفة ولا تعب والمتانة الشدة فهو من حيث انه بالغ القوة قوى ونهايتها
ومن حيث انه شديد القوة متين وانما عطف هنا لتحقق شرط صحته وهو تحقق المناسبة والمغايرة بين المعطوف
والمعطوف عليه للاتحاد في المضاف والاختلاف في المضاف اليه فيهما بخلاف السوابق لاتحادهما فيهما فتامل
قوله نظر ابو جعفر عم الى رجل وهو يقول اللهم انى اسئلك من رزقك الحلال فقال ابو جعفر عم سالت قوت النبيين
وسبيله ضيق قل اللهم انى اسئلك رزقا واسعا طيبا من رزقك الحلال والطيب وان
كانا متقاربين بل متساويين في اللغة الا ان المستفاد من هذا الحديث وما بعده ان بينهما فرقا في عرف الائمة
عليهم السلم وكان الفرق هو ان الطيب ما هو طيب في ظاهر الشرع سوآء كان طيبا في الواقع ام لا والحلال ما هو
حلال وطيب في الواقع لم تعرضه النجاسة والخباثة قطعا ولم تتناوله ايدى المتغلبة اصلا في وقت من الاوقات
ولا ريب في انه قوة الانبياء وانه نادر جدا وطريقه ضيق والطالب له طالب لضيق معيشته ولما نادوا في
بعض الادعية من طلبه فالمراد به ما هو بمعنى الطيب وامدد لى في عمرى زيادة عمر المؤمن عطية يتدارك بها ما فات
ويقدم بها على ما هو آت ولا ينافى طلبها ما روى ان المؤمن يحب الموت وان من احب لقاء الله احب الله لقاءه

ومن

الفرق بين الحلال والطيب

وبين كره لقاء الله كره الله لقائه لانه غير مقيد بوقت فيحمل على حال الاحتضار فان المؤمن اذا حضره الموة تبشر برضوان
وكرامة من الله تعالى فليس شئ احب اليه من الموة ومما امامه فاحب الموة واحب لقاء الله واحب الله لقاءه
والكافر اذا حضره الموة تبشر بعذاب الله ونقمه فليس شئ اكره اليه من الموت ومما امامه فكره الموة وكره الله لقائه
واجعلنى ممن ينتصر به لدينك اى اجعلنى ممن تنتقم به من الاعداء لاظهار دينك بالتوفيق والامر والنهى والجهاد
مع امام هاد ولو بالرجعة عند ظهور الصاحب عم ولا تستبدل بى غيرى اى لا تفكنى بالتولى من طاعتك
والمخالفة بمعصيتك ولا تاتى من يطيعك بدلا منى وان كنت مستحقا لذلك ولا تجعلنى مصداقا لقولك وان
تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قوله يا الله يا الله تكرار الجلالة من شان المستصرخين وتكرير
اسم الصريخ للاشعار بشدة الشدة وقوة الحاجة الى الاغاثة والاعانة اسئلك بحق من حقه عليك
عظيم وهو النبى والولى صلوات الله وسلامه عليهما لانهما مظهر وجوده وصفاته وكماله ولولم يكونا
لم يعرف احد بل لم يكن فى الوجود الا هو قوله عن ابى بصير قال قلت لابى عبد الله عم انا قد استبطانا
الرزق الى اخر هذا الحديث في الثانى من الباب باسناد آخر عن يونس عن ابى بصير مع تغيير يسير قوله اللهم
انى اسئلك حسن المعيشة المعيشة الحسنة هى الكفاف وهو ما يكفى للحوائج الضرورية لا يزيد عنها زيادة توجب
الاغترار والعصيان وتورث الافتخار والطغيان كما اشار اليها بقوله معيشة اتقوى بها على جميع حوائجى
بدل عما تقدم والجمع مضاف يفيد العموم وفى ذكر الجميع مبالغة واتوصل بها في الحيوة الى الآخرة طلب ما
زاد عن حوائج الدنيا ليصرفه في وجوه البر تحصيلا لثواب الآخرة ثم نفى الزيادة التابعة واشار الى ان
المطلوب هو التوسط بين الزيادة الموجبة للطغيان والقلة المقتضية للشقاوة والحرمان بقوله من غير ان
تترفنى فيها فاطغى او تقتر بها على فاشقى الترفه بالضم النعمة والطعام الطيب واترفته وترفته تترفيها انعمته
والمترف بضم الميم وفتح الرآء المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها والشقا بالقصر والمد والشدة والعسر
ضد الرضى ولما كانت المعيشة وهى ما يعاش به صادقة على الحرام ايضا احترز عنه بقوله اوسع على من حلال
رزقك تخصيصها بالفرد الحلال ولا دلالة فيه على ان الحرام من رزق الله لان الظاهر ان الاضافة بيانية
وافض على من سيب فضلك نعمة سابغة الافاضة صب الماء وافراغه والسيب العطاء ومصدر ساب الماء
اذا جرى والفضل الجود والاضافة من باب جرد قطيفة ومن للابتداء او التعليل وتسمية النعمة بالمطر
مكنية والافاضة تخييلية وسيب الفضل ترشيح يعنى افرغ على من فضلك الجارى على الخلق نعمة كاملة
وافية للدنيا والآخرة عطاء غير ممنون اى غير محسوب ولا مقطوع كذا في ق او غير ممنون على عن به احد من خلقك

٢٩٠

ثم لا اشتغلن الشغل بالضم وبضمتين ضد الفراغ وفعله كمنع واشغله لغة جيدة او قليلة او رديئة كما في ق
عن شكر نعمتك هذه وغيرها ويندرج في الشكر عليها الاتيان بطاعاته والاجتناب عن منهياته باكثار منها
الباء للسببية واشار بذلك الى ان المطلوب هو الكفاف لا زايد عليه تلهيني بهجته اللهو واللعب والاعجا
وحب الباطل والغفلة عن الحق والهاه بعثه على اللهو واوقعه فيه والبهجة الحسن والنضارة والفرح والسرور
والاضافة الى السبب والضمير للاكثار والجملة صفة له وتفتنني فتنه وافتنه اوقعه في الفتنه والضلالة
عن الحق والخروج عن الطاعة زهرات زهوتها الزهره ويحرك النبات ونوره او الاصفرار منه ومن الدنيا
ومتاعها وحسنها وبهجتها ونضارتها وزينتها والزهوة الكبر والفخر والخيلاء والضمير للاكثار ولا اضافة
الثانيه مثل السابقه والاولى بالعكس ولا باقلال اعلى منها عطف على قوله باكثار ولا زايدة للتاكيد اى
لا تشغلني عن شكر نعمتك باقلال منها يقصر بعملي كدي وعلى صدري همه الضمير المجرور في الموضعين يرجع
الى الاقلال والكد والمشقة والشدة والالحاح في الطلب والهم والحزن هم الامر هما واهمه حزنه
فهو مهموم اى محزون والمستتر في يقصر راجع الى الاقلال وقد طلب الكفاف من غير زيادة ونقصان في هذا
القول وهو لا تشغلني الى آخره المحترز عن الحزن وترك حقوق الله وفي القول السابق وهو من غير ان ترزقني الى
آخره المحترز عن الضيق والشدة وترك حقوق الناس بالطغيان والتكبر ونحوهما فلا تكرار اعطني من ذلك
يا الهي غنى عن شرار خلقك ذلك اشارة الى حلال رزقك او سيب فضلك وشرار جمع شرير كفضال جمع
فضيل وانما طلب الغنى عن الشرار لان الناس يحتاج بعضهم الى بعض في امر المبدا والمعاد والمعاش وليس
لاحد منهم غنى عن الآخر بالكلية فغاية المرام طلب الغنا عن اللئام والشرار دون الاكرام والاخيار
وبلاغا انال به رضوانك نيل الرضوان بالطاعة والطاعة بالقدرة والقدرة بالبلاغ وهو قدر ما يكفي في
التعيش والبقا من غير زيادة ونقصان ولذلك طلبه لتحصيل الغايات المذكورة واعوذ بك من شر الدنيا وما فيها
العطف للتفسير والمراد بشر الدنيا شر متاعها وزينتها الخادعة او شر النوازل والنوايب الكاسرة وشر ما فيها
شر الخلايق الفاسقه لا تجعل على الدنيا سجنا ضنك العيش وتواتر النوايب والبلايا ولا فراقها على حزنا
بالميل اليها والحب لها وكثرة النعماء وانما فصل لانه تاكيد للسابق وهو ما طلبه من الكفاف محترزا عن الاكثار
والاقلال اخرجني من فتنتها هي كل ما يشغل القلب عن ذكر الله مرضيا عني مقبولا فيها عملي حال الانتقال المنزل
الى دار الحيوان في بعض النسخ دار الخلود ومساكن الاخيار هي الجنة او اعلى درجاتها وانما فصله عما قبله لانه تاكيد
لقوله اعوذ بك الى آخره وابدلني بالدنيا الفانيه نعيم الدار الباقيه فرق بدل التي محركة الخلق منه والبدل انه

الخفة

الخفة بدلا منه وعلى هذا فقوله ابدلني من باب الحذف والايصال اى ابدل لي والباء بمعنى من والحروف
الجارة قد يقع بعضها في موقع آخر والمطلوب هو التوفيق لرفض زوايد الدنيا والعمل بما يوجب نعيم الآخرة
اللهم اني اعوذ بك من ازلها وزلزالها الازل بالفتح والسكون الضيق والشدة وبالكسر والسكون الكذب
والداهيه والزلزال التحريك زلزله وزلزاله امثله حركه والزلازل البلايا كذا في ق وسطوات شياطينها
وسلاطينها ونكالها السطو والسطوة الصولة والقهر والبطش والنكال بالفتح العقوبة التي تنكل الناس
اى تنحيهم وتمنعهم عن فعل ما جعلت له جزاء ومن بغى من بغى على مهابغا علا وظلم وعدل عن
الحق واستطال وكذب اللهم من كادني فكده الكيد المكر والخبث والخدعة والحيلة والمراد بكيده الجزاء نعم
من باب المشاكلة ومن ارادني فارده اى من ارادني بالسوء فارده بالدفع او بايصاله اليه والجزاء له على نحو
ما امر وفل عني حد من نصب لي حده الفل بفتح الفا الكسر والثلم وفعله كمد والحد الحدة والسورة ولطف عني
نار من شب لي وقودها الاطفاء للاذهاب اطفات النار اذهبت لهبها والشب الايقاد شب النار اوقدها
فلاقا لاضيا ونورا والوقود بالفتح الحطب والنار ولهبها وبالضم ايقادها والضمير للموصول والنار استعارة
لما له من الصفات الذميمه المهلكة كالحقد والحسد والعداوة والغيظ والغضب والمقاتله واكفني مكر المكرة
طلب كفايته نعم من مكرهم اظهارا للعجز وتفويضا للامر اليه وافقا عني عيون الكفرة فقا العين كمنع قلعها
طلب منه نعم صرف عيونهم عنه واذلالهم على سبيل الكناية واكفني هم من ادخل على همه الهم القصد وفي
على دلالة على الضرر والمطلوب صرف قصده وارادته عنه واحتمال ارادة الحزن والغم من الهم وجعل اضافة
الى الضمير الموصول لادنى ملابسة بعيد وادفع عني شر الحسدة الحاسد يتمنى زوال النعمة عن الغير او الوصول
اليه او مطلقا وهو بتلك الخصلة الذميمة يتفكر في كيفية الازالة ويتدبر في كل سبب من اسبابها و
يتوسل بكل شئ من كل وجه وينبعث من ذلك شرور غير محصورة توجب خراب الديار والاعمار ولا مال
من غير ان يكون للمحسود شعور وبتلك فالالتجاء له لله نعم لدفع شره من اهم الامور واولاها واعصمني من
ذلك بالسكينه اى بما يسكن قلبي من شره ولعل المقصد بالفقرة الاولى سلب ارادة الحاسد عن ايصال المكروه
اليه وبالفقرة الثانيه اعطاء المحسود ما يسكن قلبه وييأس من وصول شر الحاسد اليه والبسني درعك الحصينه
وهي حفظه المانع من وصول الشر اليه وتاثيره فيه من باب الاستعارة واحيني في سترك الواقي من الشرور
والمكاره والستر بالكسر هو الساتر وبالفتح المصدر والاول انسب وفي الاحيا اشارة الى ان الشرور قاتله
مهلكة وفي بعض النسخ واخبني وهو امر من خباه كمنعه اذا ستره واصلح لي حالي بيني وبينك وبين

خلقك وفي هذه العبارة الوجيزة طلب للخيرات الدنيوية والاخروية كلها وصدق قولى طلب الموافقة بين القول
والعمل والفعل اذ الاول بدون الثاني مذموم كما قال عز وجل اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال
لم تقولون ما لا تفعلون وبارك لى في اهلى ومالى اى زدهما لى من البركة وهى النمو والزيادة واثبتهما وادمهما
لى من برك البعير اذا اناخ في موضع ولزمه قوله قال اللهم لحظة من لحظاتك اى انظر لحظة اذا سالك لحظة
وهى النظر بشق العين الذى يلى الصدغ والمراد هنا نظر الرحمة والتوفيق قوله قال توكلت على الحى الذى لا يموت آه
هذا الدعاء كما له مدخل في قضاء الدين له مدخل ايضا في قضاء جميع المهمات لان الوكيل المطلق العالم القادر يفعل
جميع ما فيه صلاح الموكل ورضاه وقد مر شرحه قوله وانا رجل مدين معيل محوج المدين ما له اجل
وما لا اجل له فقرض والمدين بالفتح من عليه الدين وبالضم من ياخذه من اداك اذا اخذ دينا والمعيل بالضم
من كثر عياله من اعول فلان اذا اكثر عياله والمحوج بضم الميم وكسر الواو المحتاج من الحوج وهو الاحتياج
يقال احوج فلان اذا احتاج قوله اللهم اردد الى جميع خلقك مظالمهم التى قبلى صغيرها وكبيرها فى يسر
وعافية المظلمة بفتح اللام ما لاحد على غيره من الحقوق المالية والبدنية وفى للظرفية المجازية او بمعنى مع والتعليل
محتمل لان اليسر والعافية علة غائية للردع الظاهر من طلب رده ثم المظلمة الى المظلوم ان يرضيه من قبله
مع احتمال ان يراد به طلب التوفيق لردها فيما يمكنه وبما يقعد مما لا يمكنه التدارك طلب الارضاء وهو قوله و
ما لم تبلغه قوتى لضعفها او لفوت المظلوم ولم تسعه ذات يدى المراد بالذات هنا النفس كما فى قولهم ذات
ليلة والاضافة بيانية او المراد بها الاحوال كما فى قوله بها فى قولهم ذات بينكم والمراد بها هنا الاموال والامتعة
ولم تقو عليه بدنى لما فيه من الضعف المانع من تحمل مثل الجناية على المظلوم وتقى ونفسى
لما فيهما من الضعف المانع من تسليم البدل الى المظلوم فاده عنى جزيل ما عندك من فضلك خبر لما والضمير له
والفاء لكونه متضمنا لمعنى الشرط ومن فضلك بيان لما عندك او بدل القول من جزيل ما عندك ثم لا تخلف
على منه شيئا يقضيه من حسناتى يوم الجزاء وقد ثبت ان الحسنات الظالم تضاف الى حسنات المظلوم
وقع والاقتصاف سيئات المظلوم الى سيئات الظالم وفى بعض النسخ نقصه بالصاد المعجمة وان الدين كما
شرع شرع لهم كمنع سن والدين والشريعة والشرع ما سن لهم الرسول بامر الله تعم وفرض عليهم الاخذ به و
لفظة ما فى كما موصولة والمقصود ان دينه تعم هو ما جاء بالوحى مماثل لما سنه النبى صم من غير زيادة ونقصان
وليس القصد فيه التشبيه الدال على المغايرة وفى عليه ما بعده ذكر الله محمد واهل بيته بخير الظاهر انه بمعنى
امر عدل عنه الى الخبر للتنبيه على وقوعه قوله يا ابصر الناظرين ويا اسمع السامعين آه اطلاق الناظر والسامع

وللكـ

والكاب والراجع عليه من على غيره انما هو من باب الاشتراك فى اللفظ دون المعنى اذ لا شركة بينه وبين غيره
فى المعنى اصلا فان البصر والسمع فيه سبحانه عبارة عن عدم خفاء المبصرات والمسموعات الجلية والخفية عن
ذاته وفى غيره عبارة عن حضورها عند الاله قوله من اصابه غم او هم او كرب او بلاء او لاواء فليقل آه البلاء
الشر والفتنة فى النفس والولد والمال وغيرها واللاواء الشدة والمحنة والثلثة الاول الحزن فهى متحدة ويمكن
الفرق بان المراد بالغم الحزن بسبب معلوم او للامور الدنيا او لفوات مرغوب والهم الحزن لا بسبب معلوم او
للامور الاخرة او لنزول المكروه والمراد بالكرب بالفتح والكربة الغم الحزن الذى ياخذ النفس لشدته قوله ويلزم
حواجزه بالارض الجؤجؤ كهدهد الصدر والجمع الجآجئ قوله لما طرح اخوة يوسف يوسف فى الجب
الجب البئر او الكثيرة الماء البعيدة القعر فقال قال اللهم انى اسالك بان لك الحمد لا اله الا انت المنان بديع
السموات والارض ذو الجلال والاكرام ان تصلى على محمد وآل محمد وان تجعل لى مما انا فيه من الشدة والضيق
والغم فرجا ومخرجا دل على ان الداعى ينبغى ان يضم الى المطلب الصلوة على النبى صم وآله وان يقدم عليه تحميده تعالى
وتمجيده والثناء عليه لانه ادخل فى حصول المطلب وقوله لك الحمد اشارة الى ان جميع المحامد له لاختصاص جميع افراد
المحمدية والمنان من ابنية المبالغة ومعناه المنعم المعطى مطلقا من غير علة استحقاق من المن بمعنى العطاء لا
من المنة قوله ان الذى دعا به ابو عبد الله صم على داود بن على حين قتل المعلى بن خنيس ذكرنا حكايته فى باب الدعاء
على العدو اللهم انى اسالك بنورك الذى لا يطفى آه اى لا يذهب من طفئت النار بالهمز كسمع اذا ذهب لهبها
ولعل المراد بالنور الرسول او على تعم او قد مر من باب الاستعارة والترشيح وبعزائمك التى لا تخفى العزيمة
القدرة والقوة كما فى النهاية ويطلق ايضا على الجد فى الامر والثبات فيه وعلى الحقوق الواجبة وبعزك الذى
لا ينقضى العز والعزة القوة والشدة والغلبة والعزيز من اسماء الله تعم وهو الغالب القوى الذى لا يغلب
وبنعمتك التى لا تحصى كما قال عز وجل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وبسلطانك الذى كففت به فرعون
عن موسى السلطان قدرة الملك والحجة وانما ذكر الثناء والتمجيد على الله تعم دون المطلب وهو الدعاء على داود
لان المقصود هنا بيان ما ينبغى تقديمه على المطلب قوله يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما قيل هما اسمان بنيا
للمبالغة من رحم والاول ابلغ من الثانى لان زيادة المبانى تدل على زيادة المعانى وتلك الزيادة اما باعتبار
الكمية او باعتبار الكيفية ولذلك قيل رحمن الدنيا لانه يعم الابرار والفجار ورحيم الآخرة لانه يخص الابرار
وكذلك يقال رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام فى ذاتها واما النعم
النعم الدنيوية اقول هذا يشكل بمثل رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما الا ان يحمل الثانى على التجليل بهما

باب الدعاء للدين

الميم وكسر

وللمؤن
باب الدعاء للكرب والهم

٢٩٢

او بما سوى الكفار او يقال لطلقا على معنى واحد قوله اللهم انك لا يكفى منك احد وانت تكفى من كل احد من
خلقك قوله من خلقك بيان لكل احد او بدل من كل احد والظاهر ان من فيه وفى منك للبدل كما فى قوله تعالى
ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة وفى الكنز كفا يكفى بودن والمعنى لا يكفى ولا يجب احد بدلا منك
ويكفى انت ويجب بدلا من كل احد وفيه اشعار بالانقطاع من الغير والالتجاء اليه عز وجل فى
رفع المكاره وطلب المنافع قوله يقول يا كافيا من كل شئ فى قد كافيك من رجل حسبك ونصب المنادى
لكونه شبه مضاف قوله بالله استفتح وبالله استنجح الاستفتاح الاستنصار ومنه قوله تعالى ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح والاستنجاح طلب نجح الحاجة اى الظفر بها والوصول اليها يقال تقول فلان استنجح
الحاجة فانجحها الله اى طلب الظفر بها او تيسرها فاظفره الله وبمحمد وآله اتوجه اى بهم اتوجه اليك واقدمهم
بين يدى الحاجة اللهم ذلل لى صعوبته وسهل لى حزونته الصعوبة العسر والحزونة الغلظة ولعل المراد
بالاولى العسرة والبطش وبالثانية الغلظة فى القول والخشونة فى الطبع بتذليل الاولى وتسهيل الثانية رفعهما
او تبديلهما باليسر واللطف يمحو ما تشاء ويثبت وعندك ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ المكتوب فيه
كل ما هو كاين من المحتوم وغيره فما يمحى ويثبت على وفق الحكمة والمصلحة وفيه اشارة الى المقصود الاكبر الكريم
وتوقع بان يبدل اسباب الخوف والشرور باسباب الامن والسرور وتقول ايضا حسبى الله فى جلب المنافع و
المقاصد ودفع المكاره والمفاسد لا اله الا هو اشار بالتوحيد المطلق الى انه لا رب سواه ولا ملجأ الا اياه
وفيه استعطاف فى تحصيل المطالب عليه توكلت تقديم الظرف للحصر والدلالة على تفويض الامور اليه ولا نظر له
عن غيره وهو رب العرش العظيم هو الفلك الاعظم او العرش المطاف للملائكة او علمه المحيط بجميع الاشياء من باب
التشبيه لاستقرار ها فيه وامتنع بحول الله وقوته من حولهم وقوتهم الامتناع الكف عن الشئ والمتنع القوى
الذى يمنع من يريده بسوء فى الكنز امتناع والبشادل وقوى كشتن والحول القوة والعطف للتفسير او الدفع كما
قيل فيما روى اللهم بك اصول وبك احول وامتنع برب الفلق من شر ما خلق قيل الفلق الصبح وتخصيصه للتنبيه
على ان من قدر ان يزيل عن هذا العالم ظلمة الليل بعمود الصبح قدر ان يزيل عن العايذ ما يخافه بضده قوله كان من
دعاء ابى عبد الله عم فى الامر يحدث من الهم والكرب والشدة والنازلة وغير ذلك وفى لفظه من اشعار بانه كان
له عم ادعية وان هذا من جملتها اللهم صل على محمد وآل محمد افتتح بالصلوة واختتم بها لان الدعاء المحفوف
بها لا يرد واغفر لى ما كان لى من الزلات وارحمنى بترك معاجلتى فيما بقى من الحيوة ورد عنى من النقائص
والمندات وعرسيلى فى سبيل الطاعات وآمن خوفى من المخلوقات وعافنى فى عمرى كله من البلايا وثبت حجتى

وهو

٢٩٢

وهى الدليل والبرهان والمراد بها هنا الاعمال الصالحة والاقوال الصادقة والايمان يعنى ثبتها فى الدنيا وعند
جواب الملكين فى القبر وعند الحساب والميزان واغسل خطاياى بالعفو والغفران وفى بعض النسخ واغفر
وفى الاصل استعارة تبعيه بتشبيه الازالة بالغسل واستعارة الفعل بتبعيته وبيض وجهى يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه قيل بياض الوجه وسواده كناية عن ظهور بهجة السرور وكآبة الحزن فيه وقيل يوسم
اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعى النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد
ذلك واعصمنى فى دينى من الخطاء والزلل فى العقد والقول والعمل وسهل مطلبى فى امر الدين والدنيا و
وسع على فى رزقى طلب الكفاف او ازيد من طرق الحلال ويندرج فيه رزق العيال فانى ضعيف اى
فقير او غير قادر على تحصيله واكتسابه وتجاوز عن سئ ما عندى بحسن ما عندك طلب التجاوز عن السئات
وتبديلها بالحسنات والله سبحانه يبدلها تفضيلا لمن يشاء والسئ اصله سيوء بفتح السين وسكون الياء وكسر
الواو فقلبت الواو ياء وادغمت ولا تفجعنى بنفسى ولا تفجع بى حميما الحميم كامير القريب وقد يكون للجمع
والمؤنث والفجيعة الرزية الموجعة والمصيبة المؤلمة وقد فجعته المصيبة كمنع اوجعته كفجعته تفجيعا
وهب لى يا الهى لحظة من لحظاتك اللحظة النظر بشق العين مما يلى الصدغ من باب الرفق وهى كناية عن اللطف
والرحمة كشف بها اى تزيل بتلك اللحظة وترفع عنى جميع ما به ابتليتنى من النوازل والنوائب وبه متعلق بالفعل
المتاخر وتردّ بها علىّ بتشديد الياء ما هو احسن عاداتك عندى وهو الاحسان والانعام والسلامة من
البلية وهى احسن عاداته وفى التفضيل دلالة على ان ضدها ايضا حسن فقد ضعفت قوتى عن تحمل ما ورد على
من المكاره والنوازل وقلت حيلتى اى قوتى او تدبيرى وتفكرى فى تحصيل ما يرفع تلك المكاره عنى فلم يبق الا
صرف الرجاء الى احد يرفعها وانقطع من خلقك رجائى لعجزهم عن صرف ما ورد علىّ ووجهته الى وعلىّ
بان الرجوع اليهم نقص فى الدين وضعف فى اليقين ولم يبق الا رجاؤك وتوكلى عليك فى دفع النوائب و
تحصيل المطالب وقدرتك على يا رب الواو للحال وفى ذكر الرب استعطاف لان التربية تقتضى توقع رفع
المضار وجلب المنافع منه تعالى ان ترحمنى اى على ان ترحمنى بافاضة الخيرات والمرغوبات وتعافينى من الآفات
والمكروهات كقدرتك على ان تعذبنى بمنع المرغوبات وتبتلينى بالبلايا فلا يعسر عليك التحويل ولا يصعب عليك
التبديل الهى ان ذكر عوايدك يونسنى بك والعوايد جمع العائدة وهى المعروف والصلة والعطف والمنفعة
لانعامك بعوائدك على السؤال منك اذ كان كل ذلك بلا استحقاق منى والغرض منه زيادة بسط الرجاء
فى نيل المقصد ولم اخل من نعمك منذ خلقتنى الظاهر ان المراد بابتداء خلقه ابتداؤه فى العالم الجسمانى وهو عند نزوله

فى الرحم مع احتمال انه اثر فى العالم النورانى وعلى التقديرين نعمائه تم غير محصورة وانت ربى وسيدى الفرق بينهما
انه تم رب من حيث التربية البالغة وسيد من حيث انه مالك على الاطلاق فهما متحدان فى المفهوم متساويان
فى التحقيق هذا فى الواجب واما فى غيره فبينهما عموم من وجه ومفزعى وملجائى المفزع من تغيث غيره وتنصره
الحوادث من فزعه كمنع وفرح اذا اغاثه ونصره والملجأ من يستند اليه غيره ويقصده فى دفع المكاره والحافظ لى
الحفظ الحراسة يقال حفظ ماله اذا حرسه وبقاه من التلف والضياع ووصول يد التغلب اليه وهو سبحانه
حافظ لعبده ولولا حفظه لاهلكته النفس الامارة وشياطين الجن والانس والذئاب عن مهام الحوادث
والنوازل والرحيم بى باعطاء العطايا والنوائل والمتكفل برزقى فيه اعتراف بالنعم وشكر لها وطلب للزيادة الى
الكريم اذا تكفل برزق احد يوتيه على وجه الكمال خصوصا بعد الطلب وفى قضائك وقدرك كل ما اتانى من الامور
الحادثة قال فى النهاية القضاء اصله القطع والفصل يقال قضى يقضى فهو قاض اذا حكم وفصل وقضاء الشئ احكامه و
امضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق وقال الازهرى القضاء فى اللغة على وجوه مرجعها الى انقطاع الشئ و
اتمامه وكلما الحكم عمله او اتم او ختم وادى واوجب او اعلم او انفذ او امضى فقد قضى وقد جاءت هذه المعانى فى
كلها فى الحديث ومنه القضاء المقرون بالقدر والمراد بالقدر التقدير وبالقضاء الخلق كقوله تم فقضاهن سبع
سموات فى يومين اى خلقهن والقضاء والقدر امران متلازمان لا ينفك احدهما عن الاخر لان احدهما بمنزلة
الاساس وهو القدر والاخر بمنزلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما رام هدم البناء ونقضه فليكن بالى
سيدى ومولاى المراد بالمولى هنا الرب او السيد او المالك او المنعم او الناصر فكن بى يا ذو الجلال عند حسن ظنى
بك ورجائى لك لما ابسط الرجاء له واحسن ظنه به فى قبول طلب منه تم ان يحقق رجاءه ويصدق ظنه ومعنى
حسن الظن العبد به ان لا يتكل بعمله وان اجتهد بل يظن انه تم يقبله بفضله فيظن بالغفران حين يستغفر وبالقبول
حين يتوب ويعلم بالكفاية حين يستكفى وبالاجابة حين يدعو ولا يتكل بالعمل ولا يغتر بجودته وقد روى
عن الباقر عم انه قال قال الله تم لا يتكل العاملون على اعمالهم فانهم وان اجتهدوا فيها كانوا مقصرين غير بالغين
كنه عبادتى ولكن برحمتى فليثقوا وبفضلى فليرجوا والى حسن الظن بى فليطمئنوا فان رحمتى عند ذلك تدركهم
فانى انا الله الرحمن الرحيم وبذلك تمم الحديث نقلنا بعض مضمون الحديث وارحم تضرعى وطلب الحاجات
بتضاعفها واستكانتى اى ذلى وخضوعى يقال استكان اذا ذل وخضع اى صار له كون خلاف كونه كما يقال
استحال اذا تغير من حال الى حال الا ان استحال عام فى كل حال واستكان خاص وضعف ركنى اى قوتى او
جوارحى واركان كل شئ جوانبه التى يستند اليها ويقوم بها كاركان البيت او عشيرتى وغيرهم ممن استند اليهم فى امرى

قوله

٢٩٤

قوله اذا حزنه امر حزنه بالحاء المهملة والزاء المعجمة والنون جعله حزينا فهو محزون وبالباء الموحدة نابه
واصابه ويؤيد الاخير ما رواه مسلم فى باب الدعاء وفسره عياض والمازرى بانه بالحاء المهملة والزاء المعجمة والباء
الموحدة بمعنى نابه واصابه فقل فى سجودك يا جبرئيل يا محمد يا جبرئيل يا محمد تكرر ذلك التكرار ان كان عبارة
عن ذكر الشئ مرة بعد اخرى كما هو المعروف فقد حصل بالمذكور فقوله تكرر ذلك بمنزلة قوله تقول ذلك مرتين
وان كان عبارة عن اعادة مجموع الذكرين فلا بد من اعادته ثانيه والتكرار الى انقطاع النفس او الى اى قدر شاء
محتمل قوله بسم الله اتحصن واستظهر وبالله استعين واقصد ومن الله مونتى وحيوتى والى الله تصرفى
ومماتى وفى سبيل الله سلوكى وحركاتى وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله قيامى وثباتى واعلم ان تقدير هذه الامور من
باب الاحتمال وان وجدت ما هو انسب فلك ان تقدره اللهم اليك اسلمت نفسى ووجهت وجهى الوجه كالنفس
الذات والاولى ان يراد به القصد والعمل لان الجمع بينهما يدل على المغايرة والغرض منه اظهار العجز فى حفظها
وتدبيرها وجلب النفع لها ودفع الضر عنها واليك الجأت ظهرى اى اليك اسندت ظهرى لتقويته وهذا كناية
عن طلب القوة منه لان من استند الى شئ غرضه التقوى به واليك فوضت امرى اى رددت امرى كله اليك
لقصد اصلاحه ويكفى همه يقال فوض اليه الامر تفويضا اذا رده اليه وجعله الحاكم فيه والتقديم فى جميع ذلك
للحصر اللهم احفظنى بحفظ الايمان الظاهر ان اضافة الحفظ الى الايمان اضافة المصدر الى المفعول وان الباء
للمصاحبة وان المطلوب حفظ البدن من المكاره وحفظ الايمان من النواقص وبحفظهما تتم نعمة الدنيا والاخرة
ونظامهما من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى ومن تحتى ومن قبلى مبالغة فى حفظه
من جميع الجهات التى يمكن ورود المكاره منها من الخارج وقوله ومن قبلى بكسر القاف وفتح الباء اشارة الى الحفظ
من المكاره والمفاسد النازلة من قبل النفس والقوى البدنية والوجه فى اتيان من فى بعض المواضع وعن فى
بعضها ذكرناه سابقا قوله قال لى رجل اى شئ قلت حين دخلت على ابى جعفر بالربذة وهى بالتحريك قرية معروفة
قرب المدينة بها قبر ابى ذر الغفارى قوله فصار ابو جعفر لا يبصر مولاه لا يبصره الظاهر ان ضمير لا يبصره راجع
الى ابى جعفر المنصور وعوده الى ابى عبد الله وان كان صحيحا لكنه بعيد جدا لقد عنيتك عنا عناه من باب
تعب واعناه وعناه بعينه واتعبه قوله لا قبل لنا به القبل بكسر القاف وفتح الباء الطاقة وفى ق مالى به قبل
اى طاقة قبل يا كائنا قبل كل شئ اشار بذلك الى حدوث الممكنات كلها ردا على من زعم ثبوت قديم غيره
عز وجل والى انه تم قديم ازلى اذ لو كان حادثا لكان قبله شئ موجد له فلا يكون هو قبل كل شئ بعد ويا
مكون كل شئ الا ما اخرجه النص وفيه رد على من نسب تكوين السفليات واكثر العلويات الى غيره ويا

باقٍ بعد كل شيء دائم لا فناء له لا ابتداء وبقائه بعدها وهو وارث كل شيء ويمكن ان يكون اشارة الى انه الباقي في
نظر الى ذاته واما الممكن فهو من حيث ممكن يستوي وجوده وعدمه نظراً الى ذاته فانٍ هالك في ذاته كما قال عز
وجل كل شيء فانٍ وكل شيء هالك الا وجهه وقد صرح به بهمنيار في التحصيل وفيه اشارة الى ابديته
وكان في نهاية ابن الاثير اشارة اليها حيث قال الباقي في اسمائه تعالى هو الذي لا ينتهي تقدير وجوده في
الاستقبال الى آخر ينتهي اليه ويعبر عنه بانه ابدي الوجود قوله يا لتي ان اكتب الى ابي جعفر م هو الجواد محمد بن علي
عليهما السلام فكتب الي اماما سالت له الظاهر انه كتب اليه قبل ان يكتب علي بن مهزيار فهذا من العلامة ثم اعلم
ليس من تتمة الدعاء بل بيان للموصول والظاهر انه لو قال الداعي اكفني ما اهمني من ما انا فيه وجعله جزءاً من
الدعاء كان جائزاً قوله يا من لصابر منكم مصيبة او نزلت به نازلة ان اريد بالمصيبة الخوف كما في الكنز والنازلة
الشديدة كما في ق او المكروه الذي ينزل بالانسان كما في تر فالفرق بينهما واضح وان اريد بهما الامر المكروه فلا فرق
الا باعتبار المفهوم او باعتبار ان يراد باحدهما المكروه النازل من الخلق والمكروه النازل من الخالق او بوجه آخر
من الاعتبارات اواربع ركعات يحتمل الوصل والفصل بتسليمه والثاني اولى لانه الاغلب في المندوبات ثم يقول في
آخرهن يحتمل قبل الركوع من الاخيرة بعد القراءة ويحتمل السجدة الاخيرة يا موضع كل شكوى شكا امره الى الله شكوى
ويقول اذا اخبرنا الصابر من المكروه ليزيله وفي الكنز شكوى كله كردن قوله اللهم اني اسئلك بكل اسم هو لك المراد
بكل اسم الاسماء الحسنى كلها واسمائه الاعظم كلها او الجميع وقد مر في كتاب الحج ان الاسم الاعظم كثير بعضه معلوم
للخواص وبعضه مستاثر عنده تعالى لا يعلمه الا هو والظاهر ان او للتنويع لا للترديد وان تجعل القرآن نور بصري
طلب التوفيق للنظر الى القرآن دائما وللعمل باحكامه والتأديب بآدابه والاعتبار بامثاله وقصصه وتدبره وحسن
تلاوته وربيع قلبي طلب سرور القلب وارتياحه بالفكر في اسرار القرآن ومن طرق العامه اللهم اجعل القرآن
ربيع قلبي قال ابن الاثير جعله ربيعاً له لان الانسان يرتاح قلبه في الربيع من الازمان ويميل اليه قوله ليلة
الاحزاب الاحزاب المتحزبون من الاعراب في قضية الخندق وليلتها هي التي دعا فيها النبي صلى الله عليه وآله تضرعاً وخشوعاً
فاستجاب سبحانه وارسل عليهم ريحاً وجنوداً لم يروها وهزمهم وحده من غير قتال قوله قال الخرج بجانبي خراج
خنازير في عنقها هي قروح تحدث في الرقبة ويهلك غالباً قوله اللهم اني اسئلك بوجهك الكريم الوجه الذات
والكريم في وصفه تعالى هو الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه والجامع لانواع الخير والشرف والفضائل
واسمك العظيم وصف اسمه بالعظيم للكشف والتوضيح لا للتقييد والتخصيص لان كل اسم عظيم وحمله على الاسم
الاعظم بعيد وبعزتك التي لا ترام بتخفيف الميم اي لا تطلب ولا تقصد اذ لا سبيل للعقل اليها من الروم وهو

القصد

القصد والطلب واما بتشديد الميم ليكون مفاعلة من الرمة بالكسر بمعنى البلى والهشيم فهو غير موافق للرواية وان
كان له وجه وبقدرتك التي لا يمتنع منها شيء من الممكنات اذ ليس في وسعه الاباء منها قال الشيخ في المفتاح فيه
اشارة الى عدم صدق الشيء على الممتنعات وكتب الي رقعة بخطه في ق الرقعة بالضم التي تكتب قل يا من علا فقهر
وبطن فخبر آه قد مر شرح هذه الكلمات الشريفة في اول باب الدعاء عند النوم والانتباه فلا نعيده قال يا لا
اله الا الله ارحمني هذه الكلمات الشريفة لدلالتها على التوحيد المطلق كانها صارت علماً لله عز وجل فلذلك
صح دخول حرف النداء عليها فكانه قال يا الله الذي ليس اله سواه ارحمني اللهم ادفع عني بحولك وقوتك الحول
بمعنى القوة فالعطف للتفسير او بمعنى التحويل يعني ادفع عني المكاره بتحويلك اياها وقدرتك على التصرف فيها بالمحو
والاثبات او بمعنى الحذق وهو جودة النظر ان كان بعيداً يعني ادفعها عني بعلمك بها ونظرك اليها وقوتك على
دفعها ومن مجاراة نعمتك الفجاءة بالضم والمد وقوع الشيء بغتة والنقمة ككلمة والنقمة العقاب ومن شر كتاب قد
سبق الاضافة بتقدير في والكتاب اللوح المحفوظ والعارف كما يستعيذ من نزول الشر كذلك يستعيذ من تقديره
في الازل بل هو اولى بالاستعاذة لانه الاصل للاول ثم تقديره قد يكون في معرض البداء ويمكن دفعه بالدعاء قوله
عن عمر بن يزيد يا حي يا قيوم عمر بن يزيد مشترك بين الثابري والكوفي يرويان عن ابي عبد الله م والاول عن
الكاظم عليه السلام ايضاً ولم يعلم ان الدعاء منقول عن المعصوم او لا والله سبحانه حي ازلي فعال مدرك لا يجوز عليه الموت
والفناء وقيوم يقوم بنفسه مطلقاً لا بغيره ويقوم به كل موجود حتى لا يتصور وجود شيء ولا دوامه ولا قوام
احواله الا به قوله فان لهما عندك شاناً من الشان وقدراً من القدر الشان الخطب والامر والحال والقدر المنزلة
والمرتبة وقوله فانه اذا كان يوم القيمة الى آخره دليل لقوله لهما عندك شان وقدر وتنكيرهما للتعظيم قوله
اللهم انك حفظت الغلامين بصلاح ابويهما الغلامان المذكوران في القرآن العزيز في قصة موسى وخضر عليهما السلام
وحفظهما ابنهم من حفظ كنزهما بالاولوية اللهم اني ادرأ بك في نحره فلما استقبله الربيع هو الربيع الحاجب من اصحاب
الصادق عليه السلام بباب ابي الدوانيق اسمه محمد بن علي وكنيته ابو جعفر ولقبه المنصور وهو الثاني من خلفاء
بني عباس وفي المغرب اشتهر بالدوانيقي وبابي الدوانيق لانه لما اراد حفر الخندق بالكوفة قسط على كل واحد
منهم دانق فضة واخذه وصرفه الى الحفر اما والله لقد هممت ان لا اترك نخلة الا عقرتها في ق عقر النخلة قطع
رأسها فيبست فهي عقيرة فغضب لذلك واستشاط استشاط عليه التهب غضباً فقال على رسلك الرسل بالكسر
الرفق والتؤدة والثاني قال الجوهري افعل كذا على رسلك بالكسر اي اتئد فيه قوله علي بن ابراهيم عن ابيه
عن ابن ابي عمير عن محمد بن اعين عن قيس بن سلمة آه قد مر هذا الاسناد والمسند مع الشرح قبيل ذلك الا ان فيما

فرعون الظلم انه فرعون موسى والانسب بما بعده انه فرعون انطاكيه الذي ارسل عيسى ع رسله وفرعون لقب
كل جبار متكبر وان اشتهر في الاول والمؤمن المذكور كان من اهل انطاكيه ولذلك نسب اليه وهم قتلوه بعد
نصحه لهم واظهار ايمانه مكنّع الاصابع كنع كجمع كنوعا انقبض وانضم وكفرح ويبس وتشنج والاكنع الاشل
ومن رجعت اصابعه الى كفه وظهرة رواجبه وقد كنعت اصابعه كنعا اذا تشنجت ويبست وكنّع يده تكنيعا
اشلها اصلوات ساجدا على الله عظيم معنى العظيم في وصفه تعالى انه جاوز قدره عن حدود العقول حتى لا تتصور
الاحاطة بكنه ذاته وحقيقة صفاته فانه قد غاظني وحزنني الغيظ الغضب او الشدة او سورته واوله غاظه
يغيظه فاغتاظ والحزن بالضم خلاف السرور وحزن الامر حزنا واحزنه جعله حزينا وحزنه تحزينا جعل
فيه حزنا فهو محزون ومحزن وحزين وحزنا بكسر الزاء وضمها قوله الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به
وفضلني اي المعافاة والتفضيل من النعم الجليلة التي توجب حمده تعالى والثناء عليه والشكر له من حيث انه تعالى
مفضل من غير استحقاق وليس ذلك من اجل السرور ببلية المخاطب لكونه شماتة ولا لاجل التفاخر عليه لكونه
استكبارا عليه واستحقارا له الظاهر ان النهي في قوله ولا تسمعه للتحريم لان اسماعه يوجب كسر قلبه وزيادة
حزنه قوله تضع يدك على الموضع الذي فيه الوجع اليمنى او اليسرى والاولى اولى فان كان في موضع لم تبلغ
الاولى فضع الاخرى تقول ثلث مرات الله الله ربي حقا اي يقول مجموع الدعاء ثلث مرات على الظاهر
او لفظ الجلالة على احتمال وقوله حقا مفعول مطلق منصوب بفعل مقدر اي حق حقا يعني ثبت ثبوتا
لا ريب فيه وفي ذكر الرب استعطاف لان التربية مقتضية لجلب النفع للمربوب ودفع الضر عنه لا اشرك
به شيئا لا في الربوبية ولا في الالتجاء وفيه زيادة بسط الرجاء اليه لكونه ملجأ لا غيره اللهم انت لها ولكل
عظيمة اي انت معد لدفع هذه البلية ولكل بلية عظيمة وانت عدتي عند شدتي ففرجها عني تفريج البلية
كشفها ورفعها يقال فرج الله الغم بفرجه اذا كشفه كفرجه تفريجا قوله بسم الله وبالله اي باسم الله
استعيذ وبالله استعين واستكفي وفيه ايماء الى التوسل بالاسم والمسمى جميعا كم من نعمة لله كم خبرية للتكثير
ومرفوعة محلا على الابتداء ونعمة مجرور على التمييز ومن زائدة ولله خبر يعني لله تعالى نعم كثيرة غير محصورة
في عرق ساكن وغير ساكن حتى لو تحرك الساكن او سكن المتحرك لاختل نظام البدن وفسدت احواله
وبطلت افعاله وعرضت انواع من الاوجاع والاسقام وانحاء من الامراض والالام وعلى عبد شاكر
وغير شاكر اشار بذلك الى ان حصول تلك النعمة لهم ليس من باب الاستحقاق وليس الغرض منه مجرد
الاخبار بل مد الرجاء الى رفع الاوجاع حيث ان احسانه غير مختص بالاولياء قوله واعوذ بجمع الله وهم الملائكة

باب الدعاء للعلل والامراض

دعاء الكرب

ثم من سبله وهو الاصوب قوله الدعاء للعلل والامراض العطف للتفسير او تخصيص العلة بما في بعض الاعضاء و
المرض بما في جميعها وهي اما الكفارة عن السيئات او للتنبيه عن الغفلات او لرفع الدرجات واحاديث هذا
الباب وغيرها من الايات والروايات دالة على استحباب الدعاء لدفع الامراض والاسقام والظاهر انه لا خلاف
فيه عندنا واليه ميل بعض العامة وقال المازري هو الذي اجمع عليه علماء الفتوى وذهب طائفة من الزهاد
وارباب المعارف الى ان ترك الدعاء استسلاما للقضاء افضل وقال اخرون ان دعا للمسلمين فحسن وان دعا لنفسه
فالاولى تركه وقال اخرون منهم ان وجد في نفسه نشاطا للدعاء استحب والا فلا ودليل العلماء على الاستحباب
من الكتاب والسنة قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دونه اي زعمتموهم الهة والاصنام داخلة من باب التغليب
والزعم بالضم والفتح قريب من الظن وكثيرا ما يقال في حديث لا سند له ولا ثبت فيه وانما يحكى عن الالسن على
سبيل البلاغ قوله فاشتر صاعا من بر الظاهر ان الاشتراء غير لازم اذا كان مالكا بدونه وفي ق الصاع الذي يكال
به ويدور عليه احكام المسلمين اربعة امداد والمد رطل وثلث والرطل وكسر اثنا عشرة اوقيه والاوقية اربعون
درهما والدرهم ستة دوانيق والدانق قيراطان والقيراط طسوجان والطسوج حبتان والحبة سدس ثمن درهم
وهو جزء من ثمانيه واربعين جزءا من درهم وفي الاربعين للشيخ ره المد لا يزيد على مائتين واثنين وتسعين درهما
شرعية وهو على ما حسبناه لا يكاد يزيد على ربع المن التبريزي في زماننا هذا وقل اللهم اني اسئلك باسمك الذي
اذا سالك به المضطر كشفت ما به من ضر اي قل في الليل حال السجود او قبله او بعده والاول الظهر والموصول مع صلته
صفة كاشفة للاسم فهو شامل لجميع اسمائه الحسنى ويحتمل ان يكون للتقييد فالمراد به الاسم الذي له زيادة مناسبة
لدفع العلة وانما لم يصرح بالمعين ليشمل التوسل بالجميع وهو ابلغ في انجاح المقصد ثم الظاهر ان المريض مع القدرة على
الافعال المذكورة ينبغي ان يفعلها بنفسه والا فغيره وان اذا للاستقبال وادخاله على الماضي للدلالة على تحقق
حصول الشرط ووقوعه ويمكن ان يكون بمعنى الماضي للدلالة على ما صدر من الانبياء والصالحين وكشف الله
الضر عنهم مثل ايوب ويونس ع وغيرهما وربما يشعر به ظاهر ما بعده فكانما نشطت من عقال اي خرجت منه
نشط من المكان اذا خرج منه او حللته على ان من زائدة من نشطته اذا حللته حلا رفيقا ولا يرد ما اورده صاحب
النهاية من انه كثيرا ما يجيء في الرواية كانما انشطت من عقال وليس بصحيح يقال نشطت العقدة اذا عقدتها و
انشطتها اذا حللتها قوله ان الله عز وجل لم يسئل بن عبد اله فيه حاجة اي لم يسئل بن عبدا خلقه لعبادته اي باب
الحاجة فيه كناية عن طرحه وعدم الاعتناء به لان عدم حاجتنا في شيء يستلزم طرحنا اياه وعدم الالتفات
اليه واعتنائنا به ولا يرد انه تعالى لا حاجة له الى احد من عباده فقال له لا اي ليس الامر كما زعموه لقد كان موسى بن عمران

دعوت

المقربون والانبياء المرسلون والاوصياء والصالحون والمجاهدون في سبيله وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد من بيان
ذكر الخاص بعد العام لمزيد الاهتمام قوله امر يدك على موضع الوجع ثم قل الخ دل على ان الامرار مقدم على
الدعاء وسابق عليه وان المقارنة غير معتبرة وان في المقدم يكفي مرة ولو باليسرى والاولى ان يكون باليمنى
كالمثلث اللهم امسح عني بالجدل اقطع واكشفه واذله وارفعه ومسح موضع الوجع ثلث مرات المسح كالمنع
والتمسح امرار اليد على الشئ لازالة قوله فاني عبدك واتقلب في قبضتك قبضه بيدك يقبضه تناوله او امسكه
والقبضة بالفتح والضم اكثر ما يقبض عليه وهو المقبوض والمراد تقلبه فيها كونه مقهورا في قدرته وتحت ارادته
في ارادته يفعل به ما يشاء ويحكم فيه ما يريد وفيه وفي ذكر العبد استعطاف وتخضع وترقب للرحمة لان
العبد والذليل لا يتوقع الرحمة الا من المولى والعزيز قوله من شر كل عرق نعار بالعين المهملة من نعر
العرق كمنع اذا فار منه الدم او صوت لخروجه واذا علا به الدم وارتفع وفي بعض النسخ نعار بالغين من نغر
العرق مغر نغورا اذا هاج وورم ومن شر حر النار لعل المراد بالنار الحمى من باب الاستعارة والوجه هو الاعراق
ويمكن ان يراد بها نار جهنم بناء على ان الحمى من فيحها قوله لا يغادر سقما اي لا يترك من المغادرة وهي الترك قوله
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينشر بهذا الدعاء في النشرة بالضم رقية يعالج بها المجنون والمريض وقد نشر عنه وفي
نهاية هي ضرب من الرقية يعالج به من كان يظن به مسا من الجن سميت نشرة لانه ينشر بها عنه اي يكشف
يزال وقال الحسن النشرة من السحر وقد نشرت عنه تنشيرا ويقول ايها الوجع نداء الوجع لتنزيله منزلة من
له صلاحية النداء واجراء احكامه عليه مع امكان خلق الحس فيه وسماعه اياه اسكن بسكينة الله اي
بطمانينته او برحمته من السكون بالتحريك وهو الرحمة وتفسيرها بالطمانينة مذكورة في تراثهم وقرونا
الله الوقار بالفتح الحلم والرزانة وقد وقر يقر وقارا واتحجر بحاجز الله الحاجز المانع والاحتجاز قول المنع
حجزه يحجزه منعه وكفه فانحجز واهدأ بهدأ الله هدأ كمنع هدأ بفتح الهاء وسكون الدال وهدوءا سكن
سكن واهدأه اسكنه اعيذك ايها الانسان هذا اذا كان الداعي غير المريض ظاهر وان كان هو فالنداء
للاختصاص ويحرو بيان المقصد بكاف الخطاب بما اعاذ الله عز وجل به عرشه وملائكته يوم الرجفة والزلازل
ما عبارة عن حفظه تعالى لعرشه وملائكته عن التحرك والاضطراب والقاء الطمانينة عليهم في ذلك اليوم
وهو يوم ذكره الله تعالى في سورة الحاقة قوله وهو عندك في ام الكتاب علي حكيم بدل عن ام الكتاب ولعل
المراد به علي بن ابي طالب صلى الله عليه وسلم اذ قلبه الشريف يتولد منه اسرار الكتاب وانواع الحكمة قوله واعفني من وجعي
عافاه الله واعفاه بمعنى والاسم العافية وهي دفاع الله عن العبد قوله باب الحرز والعوذة العوذة بالضم

الحرز والعوذة

الرقيه والتعويذ والحرز بالكسر العوذة وما يحفظ به الشئ يقول احرزت الشئ احرزه احرازا اذا حفظته وضممته اليك
وصنته عن الاخذ لم تستوحشوا بليل ولا نهار الباء بمعنى في والوحشة ضد الانس والهم والخوف و
الخلوة والاستيحاش وجدان الوحشة وفي الكلام حذف لا يخفى انه من يتوكل على الله فهو حسبه
في امور الدين والدنيا وفيه تصديق بوعده واذعان بان المتوكل في كفايته ان الله بالغ امره اي امره
بالغ نافذ يبلغ اين اراد به بلا مانع ولا دافع وفيه تصديق بانه لا رادّ له قد جعل الله لكل شئ قدرا
من الذوات والصفات والزمان والبقاء وكل ذلك كان مقدرا في علم الازل وقد مر سابقا قوله
اعوذ بجلال الله واعوذ بعظمة الله الجلال راجع الى كمال الصفات والعظمة الى كمال الذات والصفات
وكثيرا ما يطلق الجلال على العظمة والعطف للتفسير ومن شر السامة والهامة والعامة الهامة
كل ذات سم يقتل والجمع الهوام فاما ما يسم ولا يقتل فهو السامة كالعقرب والزنبور وقد يقع الهوام
على ما يدب من الحيوان وان لم يقتل كالحشرات واما العامة فلعل المراد بها البلية التي تعم اكثر الناس
كالطاعون ونحوه والعامة ايضا القيمة والخلايق خلاف الخاصة ومن شر كل دابة صغيرة او كبيرة
في الحجم او في الاضرار وهذا من باب التعميم بعد التخصيص بليل او نهار حال عن شر او عن دابة وتعلقه
باعوذ بعيد ومن شر فساق العرب والعجم ومن شر فسقة الجن والانس يمكن تخصيص الفساق بكفرة وتخصيص
الفسقة بالفسقة من اهل الدين قوله في النبي صلى الله عليه وسلم حسنا وحسينا ام الرقيه العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة
كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات رقاه برقيه فهو راق والظاهر انه لا نزاع في جوازها بين العامة والخاصة
والروايات فيه من الطرفين كثيرة ولكن هذا اذا كان بالقرآن او باسمائه تعالى او بصفاته او باللفظ العربي او غيره
اذا كان معناه واثباتا الا انه حسنا او لا يمكن الوقوف عليه فقال صاحب النهاية لا يجوز استعمال الطا
عندنا انها اوّل للخواص وغيرهم وقال صاحب النهاية الاولى للخواص والاولياء تركها واما العوام ومن لم
يصبر فلهم التداوي والمعالجات والرقية فقال اعيذكما بكلمات الله التامة قيل هي القرآن ووصفه بالتمام
لانه ليس فيه نقص وعيب لا لفظا ولا معنى كما يكون في كلام الناس او لانه تام النفع ينفع المتعوذ به ويحفظ
من الآفات ويكفيه من المكروهات او لانه تام شامل لجميع ما يحتاج اليه الخلق وغيره مما كان وما يكون
وما هو كائن وقيل هي كلمة حق شافية نافعة للمتعوذ ولا يبعد ان يراد بها الانبياء والاوصياء حقيقة او
مجازا باعتبار انهم يفسرون كلمات الله تعالى واسمائه الحسنى فتشمل اسماء الذات والصفات ووصفها بالحسنى
لتنزهها عن النقص وتماميتها في قضاء الحوائج ودفع المكاره كلها عامة لما كان الجمع المضاف في العموم والغا

في العام هو التخصيص لرفع توهم التخصيص بقوله كلهم اجمع لما كان الكل قد يراد به الكل المجموعي ورفع توهم ارادة المجموع
من حيث هو بقوله عامة للتنبيه على ان المراد الكل الافرادي وان العوذة وقعت بكل واحد واحد من اسمائه تم
على سبيل الاستقلال لان الحكم في العام متعلق بكل فرد منه ومن شر كل عين لامة اي ذات لمم واللمم طرف من
الجنون يلم بالانسان اي تقرب منه ويعتريه كذا في النهاية وفي ق العين اللامة المصيبة بسوء وهي كل ما
يخاف من فزع او شر ويمكن ان يستدل به على ان اصابة العين حق ثابت كما هو المعروف بين الناس وانكرها
جماعة وقالوا ان العين لا تاثير لها ويرد عليهم ان ما ليس بمحال ولا يؤدي الى مخالفة دليل هو جائز فاذا اخبر
الشارع بوقوعه وجعل له عوذة وجب اعتقاده وقال بعض المثبتين ان الغائب ينبعث من عينه قوة سمية
تتصل بالمعيون فيهلك او يفسد ولا يستنكر هذا كما لا يستنكر انبعاث ذلك من الافعى والعقرب فيهلك اللديغ
وقال بعضهم تنبعث من العين جواهر لطيفة غير مرئية تتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسده فيضره ومن شر
حاسد اذا حسد اي اذا اظهر حسده وانما قيد به لان الحسد من حيث هو انما يضر الحاسد دون المحسود لاغتمامه
بنعمته وسروره وانما يضر المحسود اظهاره لانه يؤدي الى النهب والقتل والسعاية ونحوها وهي شرور ينبغي له
ولا بد من الاستعاذة منها قوله الحمد لله الذي يصف ولا يوصف اي يصف الاشياء وينعتها بما هو لها من الصفات
والكيفيات وغيرها ولا يوصف هو حيث ما هو لا صفة له ومن ثم قال امير المؤمنين ع كمال توحيده نفي الصفات
عنه ويعلم ولا يعلم اي يعلم الاشياء من جميع الوجوه ولا يعلم هو بوجه لا بكنه ذاته ولا بحقيقة صفاته يعلم
خائنة الاعين اي ما تخونون فيه من مسارقة النظر الى ما لا يحل والخائنة بمعنى الخيانة وهي من المصادر جاءت
على لفظ الفاعل من شر ما برا وذرا اي خلق والظاهر ان العطف للتفسير ويمكن ان يراد بالاول العقول و
بالباقي غيرهم من انواع الحيوانات ولا يخاف صاحبها اذا تكلم بها الضنا ولا غولا في ق الغول بالفتح الصداع
والسكر والمشقة وبالضم الهلكة والداهية والسعلاة والجمع اغوال وغيلان والحية والجمع اغوال وساحرة الجن
والمنية وشيطان ياكل الناس او دابة رآها العرب وعرفوها وقتلها تابط شرا ومن يتلون الوانا من السحرة
والجن او كل ما زال به العقل انتهى اذا عرفت هذا فنقول دل هذا على وجوب الغول واضراره للناس ولعل المراد
نوع من الشياطين كما صرح به المازري او نوع من الجن وقال بعض العامة لا وجود له وما ورد من النفي لا عدوى
ولا غول رد لما زعم بذلك قول العرب بان المرض يتعدى من المريض الى الصحيح وان الغيلان تتراءى للناس في الفلوات
فتتغول تغولا اي تتلون تلونا وتتصور في صور شتى فتضلهم عن الطريق وتهلكهم وقد ذكروا ان النبي
فابطل ص ذلك ويتبين انفا ما حققناه وفيه نظر لانهم ان ارادوا ان الغول غير النوعين المذكورين مما هو امر تخيل

محض

محض لا وجود له كما هو المعروف بين العامة فلا نزاع فيه وان ارادوا هذين النوعين فانكار وجودهما مكابرة وما
تمسكوا به لا يدل على عدم الوجود لان المراد به على ما صرح اكثرهم نفي ما زعم العرب ان الغيلان تتصور بصور
مختلفة وتضلهم عن الطريق وتهلكهم يعني ان الغول لا يستطيع ان يتصور بصور مختلفة وتضل احدا ويشهد
له الحديث الاخر من طرقهم لا غول ولكن الغيلان سحرة الجن اي ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل كذا في
ابن الاثير والمازري ويدل على وجودها حديث اذا تغولت الغيلان فبادروا بالاذان قال ابن الاثير اي
ادفعوا شرها بذكر الله وحديث ابي داود كان لي تمرة في سهوة فكانت الغول تجيء وتاخذ وفي بعض نسخهم تاكل
وقال الطحاوي ويحتمل ان الغول كانت تفعل ذلك ثم رفعها الله سبحانه عن عباده قال بعضهم ولا يبعد هذا
ويكون من خصايص بعثته ص كاستراق السمع قوله ومن نفثهم ونفخهم وهمزهم في كنز اللغة نفث ونفخ
دميدن از دهن وفي ق النفث بالفم وهو شبيه بالنفخ وهو اقل من التفل لان التفل لا يكون الا ومعه
شيء من الريق وفسر النفخ ايضا بالكبر لان المتكبر يتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج ان ينفخ ثم يقول في الثانية اي
في المرة الثانية فتقول مرتين مع تغيير في اول الثانية كما اشار اليه قوله انظر الى بنات النعش الكوكب الثلاثة
في ق بنات نعش الكبرى سبعة كواكب اربعة منها نعش وثلث بنات وكذا الصغرى منصرف نكرة لا معرفة
والسهى كوكب خفي في بنات النعش الصغرى والكوكب الاول منها الذي هو اخرها قايد والثاني الذي الى
جانبه الهاء عناق بالفتح والثالث الحور بالتحريك قوله اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر
ولا فاجر لاحتياج الكل ورجوعهم اليها ونفاذ حكمها عليهم شاؤا او كرهوا وقد مر تفسير تلك الكلمات و
من شر كل دابة هو آخذ بناصيتها كناية عن كمال اقتداره عليها والوصف للتاييد والتعميم لا للتقييد و
التخصيص ان ربي على صراط مستقيم فيعلم الداخل فيه والخارج عنه فيجزي كلا بما لا يليق به او يحب ان يقصد
ذلك الصراط دون غيره قوله في بعض مغازيه هي جمع المغزى وهو موضع الغزو وقد يكون الغزو نفسه
عزمت عليكم بام الكتاب اي اقسمت عليك بام الكتاب وهي القران لاشتماله على جميع ما في اللوح المحفوظ
والكتب السماوية وهنا احتمال اخر ان لا تؤذيني ولعل هذا الخطاب اما ان يؤثر بالخاصية او يلقي معنى
في نفوسها الحيوانية فيزجرون او يسمعون ويفهمون منطوقه الى ان يذهب الليل ويجاء الصبح بما جاء اي
مع ما جاء من طلوع الشمس من طلوع النهار وغيرهما مما يقع فيه او الباء للتحذير والذي نعرف الى ان يؤب الصبح
متى ما آب بدلا لقوله الى ان يذهب الليل اه والظاهر انه من كلام الراوي قوله فقل اعوذ برب دانيال والجب دانيال
اسم اعجمي غير منصرف للعجمة والعلمية والجب بالضم البئر والتي لم تطو ولم يحضرها الناس ومن شر كل اسد

فوق استاسد صار كالاسد وعليه لحترا قوله ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن من فعله وفعل العبد مطلقا
اما الاول فظاهر واما الثاني فلان مشية فعله عبارة عن اقداره عليه وبعبارة اخرى لو لم يشا لم يقدر
لو لم يقدر لم يكن فلو لم يشا لم يكن ولا ظهر لزم علم فعله ان لا اخر كان لو شرا فشا وجوده ليطابق علمه
بالمعلوم وتعلق مشيته بالشر بالعرض لحصول المطابقة وبالخير كذلك وبالذات ليضم فلينا مل يا رب موسى
وعيسى وابرهيم الذي وفى بما راه في المنام من ذبح الولد او بما عهد اليه اله ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط طلب اقباله او لا متضرعا بالربوبية وثانيا متصفا بالالوهية لما في الاول من طلب العفو والرحمة
وفي الثاني من اظهار العجز والعبودية وخص هولاء الاكابر بالذكر لانهما كلما كلمات التربية واظهار العجز
افضل واتم كان الرجاء في حصول المطلب اكمل واعظم وترك الوصل لكمال المناسبة ولما ناداه بالندا البعيد
لبعده المعنوي فناهده خاضرا خاطبه بقوله لا اله الا انت ابتهاجا وتقربا منه بالتوحيد المطلق والفرق
بينه وبين التوحيد السابق كالفرق بين ضمير المخاطب وبين العلم في التعريف ولذلك نزهه ثانيا بقوله
سبحانك ما عبدوك من اياتك الظرف حال عن كاف الخطاب وعدوت بفتح التاء على الظاهر او بضمها على
احتمال والايات هي المعدودة في القران او فيما سبق وبعظمتك وبما سالك به البتول ويا ملك رب الناس
الظروف معطوفة على الظرف السابق والمراد بالموصول صفاته الخاصة او الربوبية فان الانبياء عند البلايا
نادوه بالرب كما نطق به القران الكريم كنت قبل كل شي وانت بعد كل شي بالذات لا بالزمان فمنك
اخذه وابتداؤه واليك عوده وانتهاؤه اسئلك باسمك الذي تمسك به السموات ان تقع على الارض الا باذنك
تمسك بالبناء للفاعل والمفعول وما به الامساك العلي او الرفيع او الحفيظ او القادر وبكل اسمائك التامات
من تفسيرها ان تجير عندك فلانا وتحميه من شر ما ينزل من السماء اه المعتصم هو الاجارة من شر كل ما يضر
معني الشر في عالم الامكان وجبروت الله وقدرة الله وملكوت الله الجبروة فعلوة من الجبر وهو القهر
هو سبحانه جبار اي قهار يقهر على العباد على ما اراد من امر ونهى او جبر الخلق واجبرهم وجبر كثير او قيل
هو العالي فوق خلقه ومنه يقال للنخلة جبارة وهي العظيمة العالية الطويلة التي تفوت يد المتناول و
الملكوت فعلوت من الملك وهو بعد الزيادة صار مختصا بملك الله الشامل للمجردات والماديات كلها
قوله استودع الله المرهوب المخوف رهبه ورهب منه خافه وهو مرهوب باعتبار التعبير في عبادته
المتضعضع لعظمته كل شي تضعضع خضع وذل وافتقر ويعنيني امره بالعين المهملة والياء المثناة
بين النونين عناه الامر يعنوه ويعنيه عناية وعناية اهمه واعتنى به اهتم بشانه قوله اذا وقعت في ورطة او بلية

باب الدعاء عند قراءة القرآن

تمل آه الورطة كل غامض والهلكة وكل امر تعسر النجاة منه قوله ربنا لك الحمد قدم الظرف وليذكر
المحمود به والمحمود عليه للتخصيص والتعميم والاشعار باختصاص جميع المحامد به واستحقاق الحمد من جميع الجهات
انت المتوحد بالقدرة على جميع الممكنات بالايجاد والابقاء والافناء والايتاء وكل فيها احد والسلطان
المبين المتين القوي الشديد والسلطان الحجة وقدرة الملك ويضم لامه والوالي الحاكم يونث ويذكر
وهو على الاولين عطف على القدرة وعلى الاخير على المتوحد انت المتعال بالعز والكبرياء العز القوة
والشدة والغلبة والكبرياء والعظمة والملك وقيل هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها
الا الله سبحانه وتعالى اي المتعالي عن الخلق في الرتبة والحكم او عن صفاتهم او عن توهمات المفترين بما له من
العز والكبرياء وفوق السموات والعرش العظيم بالاستيلاء والقدرة لا بالتمكن والاستقرار ربنا ولك الحمد
الواو للاستيناف انت المكتفي بعلمك المحيط بجميع المعلومات فلا يحتاج في الاحاطة بها الى التعلم من
غيرك والمحتاج اليك كل ذي علم عطف جملة على جملة او مفرد على مفرد وذو علم لا يصدق على الله سبحانه
لان علمه عين ذاته يا منزل الايات والذكر العظيم اريد به القران وبالايات اياته او الرسول ومن قام مقامه
او معجزاته فلك الحمد بما علمتنا من الحكمة وهي العلم بما جاء به الرسول من امر المبدا والمعاد والاحكام و
والقران العظيم المبين اي المظهر للحق او الفارق بينه وبين الباطل والمراد بتعليمه ثم توفيقه للتعلم
او تعليم النبي والوصي لان تعليمهم تعليمه اللهم انت علمتناه قبل رغبتنا في تعلمه التعليم فيما قبل التعلم وبعده
فيه ومن الطاقة تم علينا انك بدات بتعليمنا قبل رغبتنا في التعلم ورغبنا فيه واختصصتنا به قبل رغبتنا
هذا ايضا من لطف الله تعالى حيث خصنا به قبل رغبتنا في نفعه ورغبنا فيه بذكر الثواب والجزاء وايضا
انزل القران ولم يكن لنا علم به فضلا عن تعلمه ونفعه وعن الرغبة فيهما اللهم فاذا كان ذلك اي انزل
القران علينا وتعليمنا اياه واختصاصنا به قبل رغبتنا في تعلمه ونفعه منا منك يمن عليه منا اذا
انعم عليه واصطنع عنده صنيعة وفضلا اي زيادة في الاحسان اذ احسانه تم علينا غير محدودة
اي احسانا كثيرا بالغا حد الكمال قال صاحب العدة الجواد هو المنعم الكثير الانعام والاحسان والفرق
بين الجود والكرم ان الكرم هو الاعطاء مع السوال والجود هو الاعطاء من غير سوال وقيل بالعكس و
لطفا بنا اي رفقا بنا مع استحقاق للاخذ يقال لطف به وله يلطف لطفا اذا رفق به ورحمة لنا الرحمة
تحرك الرقة والمغفرة والتعطف كالرحمة كذا في ق وامتنانا علينا في كنز اللغة امتنان منت نهادن و
نعمت دادن وفيه مبالغة وزيادة في المن فلا تكرار من غير حول لنا الحول الحركة يقال حال الشخص يحول اذا

تحرك اي من غير بعقلنا وحركتنا الى طلب ذلك منك وهو مع ما عطفت عليه حال عن اسم كان لوخبره
ولا حيلتنا هي الحذق وجودة النظر والقوة على التصرف يعني لم يكن ذلك من نظرنا وتصرفات عقولنا في
الاحتيال الى الوصول اليه ولا قوتنا المجزنا عن نشر تلك النعم الجليلة ابتداء فضلا عن طلبها وتحصيلها
اللهم فحبب الينا حسن تلاوته بالترتيل كما امرتنا به وهو جزاء الشرط وحفظ اياته عن التبديل والتحريف و
الزيادة والنقصان وايمانا بمتشابهه وعملا بمحكمه ان كان المطلوب منه العمل او العمل شامل للقلبي ايضا والمحكم
في اللغة المضبوط المتقن وفي الاصطلاح ما اتضح معناه وقيل ما لا يحتمل الا وجها واحدا والمتشابه بخلافه
فهو ما لم يتضح معناه او ما يحتمل وجوها متعددة ولا يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم والمراد بالايمان به
التصديق بانه من عند الله تعالى وبانه يجب رد تاويله الى اهله وبانه لا يجوز تاويله وتعيين المراد منه
بالراي والقياس واما من كفر بالله فمنهم من ادلهم بوابه كما كثير الحالقين ومنهم من يتبعه ابتغاء للفتنه وطلبا
للتشكيك في القران واضلالا للعوام كالزنادقه والقرامطه ومنهم من تبع ظاهره كالمجسمه والمشبهه والمصوره
حيث جمعوا ما في القران مما دل ظاهره على الجسمية والصورة والمشابهة بالخلق واعتقدوا انه جسم ذا
صورة ويشابه بالخلق تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وسببا الى تاويله السبب ما يتوصل به الى
الشيء والمراد به هنا اهل العلم او الطريق الذي سلوه والضمير عائد الى المتشابه او الى القران والاول اظهر
والثاني انسب كما لا يخفى وهدى في تدبيره التدبير النظر في عاقبة الامر والتفكر في صلاحه وفي بعضها
او بمعنى الى والهداية لازم وتعد والفاعل على الثاني هو الله تعالى او الرسول صلى الله عليه وسلم
ومن اخذ منهم وبصيرة بنوره البصر محركة حس العين ومن القلب خاطره ونظره والباء متعلقة به يقال
بصيرة اذا نظر اليه وادركه ويحتمل ان يكون للسببية اي بصيرة في الامور بسبب نوره وعلمه اللهم وكما انزلته
شفاء لاوليائك حيث قبلوه فنجوا من مرض الغواية والجهالة وشقاء على اعدائك حيث انكروه مع اشتماله
على توبيخهم وتعذيبهم بانواع العقوبات وعمى على اهل معصيتك حيث لا ينظرون الى ذوله اياته و
لا يعقلون زواجر بيناته ونورا لاهل طاعتك حيث يهتدون به الى سبيل الطاعات وينظرون به الى وجوه
الخيرات اللهم فاجعله حصنا من عذابك شبهه بالحصن في انه من دخله بالتصديق به والعمل بما فيه كان
امنا وحرزا من غضبك الحرز العوذه والموضع الحصين الذي يحفظ من دخله من المكاره والغضب حالة
للنفس محركة لها نحو الانتقام او انفعال النفس من تلك الحالة بالتحرك اليه واذا نسب اليه تعالى فالمراد به لازمه
وهو العقوبة والانتقام وحاجزا عن معصيتك في زماننا هذا وعصمة من سخطك فيما بقي من عمرنا

ودليلا

ودليلا على طاعتك بالتوفيق للمتابعة وسلوك سبيل الطاعة فلا يرد ان القران دليل على طاعته فلا وجه
لطلب كونه كذلك ونورا يوم نلقاك وهو يوم القيمة او يوم الموت ايضا وسيجيء في فضل القران انه نور يوم
القيمة يقود من صاحبه الى الجنة نستضيء به في خلقك الظاهر انه حال عن فاعل نلقاك وانفصاله عما قبله
وارادة الاستضاءة به في الدنيا احتمال بعيد كما لا يخفى ونجوز به على صراطك وهو الجسر المضروب على جهنم
في غاية الدقة وحمله على دين الحق محتمل ومن جاز عليه جاز على ذلك بسهولة ونهتدي به الى جنتك اي
الى طريقها في الاخرة او في الدنيا ايضا والاولى متوقفة على الثانيه والثانيه مستلزمة للاولى اللهم
انا نعوذ بك من الشقوة في حمله بعدم الرعاية لما بينه والتفكر في معانيه والعمل بما فيه والعمى عن علمه
بالجهل به والاعراض عنه والعمى بالقصر ذهاب بصر العين وبصيرة القلب وعدم ادراكه للحق وبالمد الحجاب
والمراد به هنا الوثبت الحجاب المانع من الادراك والجور عن حكمه بالتجاوز عنه وعدم قبوله والعلو
عن قصده اي التجاوز عن مقصوده وعن استقامة طريقه والاعتماد به واصل القصد استقامة الطريق
والاعتماد والاقتصاد ضد الافراط والتقصير دون حقه وهو استماع ما ينطق به والاصغاء له كما
ينبغي اللهم احمل عنا ثقله الثقل كعنب ضد الخفة ثقل الكرم ثقلا وثقالة فهو ثقيل وثقال كسحاب و
غراب ولما كانت النفس لميلها الى الكسالة والبطالة قد يثقل عليها الطاعات وتحمل ما في القران من التكرار
طلب من الله تعالى رفع ذلك عنها وتوفيقها للسداد والثبات واوجب لنا اجره بحفظه عن النقص وعروض
المفسدات واوزعنا شكره اي الهمنا شكره واولعنا به يقال اوزعه الله بالشيء اذا الهمه واولعه به
واجعلنا نراعيه ونحفظه طلب التوفيق لحفظه بعد طلبه لمراعاته وهي النظر الى مقاصده وما يصير اليه
امره يقول راعيت الامر اذا نظرت الى ما يصير وهذا اولى من تفسير المراعات بالمحافظة لان التاسيس
خير من التاكيد واشفنا من النوم باليسير جعل النوم الكثير مرضا واليسير منه وهو ما وقع في ست
ساعات تقريبا شفاء اذ لا بد من هذا القدر لاستراحة النفس وخروج القوى من التعب والكلال
وايقظنا في ساعة الليل الاضافه اما بتقدير اللام او في او من من رقاد الراقدين الرقاد والرقود
النوم كالرقد او الرقاد مختص بالليل والاول من رقادنا الا انه اضيف الى الراقدين للتنبيه على ان المراد
رقاد الليل لانه وقت استراحة الخلائق ونومهم وانبهنا عند الاحايين التي يستجاب فيها الدعاء
عن سنة الوسنانين الاحايين جمع احيان جمع حين وهو وقت مبهم يصلح لجميع الازمان طال او
قصر والوسنانين جمع الوسنان وهو النائم او الذي ليس يستغرق في نومه والوسن النوم او اوله وقد

٣٠٠

سيّنا
وقد وسن لين بوسن سنة فهي وسن ووسنان والحاتي السنة عوض من الواو المحذوفه اللهم اجعل القلوب
ذكاءً عند عجايبه التي لا تنقضي لذكاءٍ بالفتح والمد شدة قوة النفس المعدة لاكتساب التصورات والتصديقات
النظرية من ذكت النار ذكاءً اذا اشتد لهبها وارتفع اشتعالها وعجايب القران نكاته ولطايفه المندرجة
في الاسلوب والمباني واسراره ودقايقه المندرجة في المقصد والمعاني التي بعضها فوق بعض والمراد بعدم
انقضايها عدم انقطاعها وتواليها حتى اذا بلغت سرا من اسراره وجد فوقه سرا آخر الى ما شاء الله
لذاذة عند ترديده لذة بعد لذاذ او لذاذة وجد لذيذا ولذ هو صار لذيذا ومن اعجاز القران تكراره يوجب
اللذة وزيادة ميل القلب اليه بخلاف غيره وعبرة عند ترجيعه الترجيع التكرير والعبرة بالكسر
الاتعاظ مما تعظ به والاعتبار مما يعتبر منه والتعجب مما يتعجب منه لما فيه من الحسن والغرايب من
منه اذا تعجب وبالفتح الحزن والدمعة ايضا الا ان الدمعة لا يناسب السياق كما لا يخفى ونفعا بينا عند
استفهامه بحصول المطالب الجليلة والمقاصد العظيمة والاسرار الدقيقة ونور القلوب وسيلها
من الدنيا الى الآخرة اللهم انا نعوذ بك من تخلفه في قلوبنا بعدم دخول معانيه فيها او بعدم ثباتها
واستقرارها فيها ومن توسده عند رقادنا الوسادة بالتثليث المتكأ والمخدة توسده جعله وسادة
وهو كناية عن امتهانه وطرحه عند النوم وترك تلاوته والتدبر فيه يقال هو لا يتوسد القران اي لا
ولا يطرحه بل يجله ويعظمه ويقراه ونبذه وراء ظهورنا كناية عن صرف الوجه عنه وعن قرائته والتفكر
والعمل به ونعوذ بك من قساوة قلوبنا لما به وعظتنا وعظه وعظا وعظة وموعظة ذكره ما يلين القلب
من الثواب والعقاب وحسن الطاعة وقبح المعصية وقسا القلب قسوا وقسوة وقساوة صلب وغلظ بحيث
لا يقبل الوعظ ولا يباشره والقساوة من اعظم اسباب الشقاوة اللهم انفعنا بما صرفت فيه من الايات
تصريف الايات تبيينها وهي الايات الدالة على وجوده وقدرته وحكمته وعظمته واستحقاقه للعبادة و
في القران كثيرة وقد قال في مواضع منه بعد ذكر عجايب صنعه ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وذكرنا
بما ضربت فيه من المثلات مثل به كضرب مثلا ومثله كنصر او نصره اذا سود وجهه او قطع انفه او اذنه او
مذاكيره او شيا من اطرافه والاسم منه المثلة بضم الثاء وسكونها واحد المثلات ولعل المراد بها هنا العقوبات
النازلة على الامم السابقة بسبب المخالفات وكفر عنا بتاويله السيآت اذ الكلام تاويلا دبره وقدره
وفسره على الوجه المقصود منه وضاعف لنا به جزاء في الحسنات اي بسبب تلاوته وتدبره والعمل بما فيه
او بسبب حكمه حيث نطق بان من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وابحاع الضعف الى التاويل يخالف سيار الضمائر

في

في الجمل المتعاطفه يوجب خلو المعطوف عن ضمير المعطوف عليه وارفعنا به ثوابا في الدرجات اي درجات الجنة
والكرامة او درجات القرب والسعادة والرفع ضد الخفض والوضع وفي متعلق به على الظرفية وثوابا منصوب
على التمييز والمقصود طلب الرفع في الدرجات من حيث الاجر والمثوبات ولقنا به البشرى بعد الممات لقاه الشي
والقاه اليه ومنه قوله وانك لتلقى القران اي يلقى اليك وحيا من الله تعالى والبشرى بالضم ما يعطيه المبشر
اللهم اجعله لنا زادا تقوينا به في الموقف القوة الممكن من الرزق التي يتوقف عليها الحيوة فانها قد تفوت
والمراد به القوة الروحاني الذي الحيوة الابدية والمعارج النفسانيه والترقي الى الدرجات العاليه وفي بعض
النسخ تقوينا من التقوية وطريقا واضحا نسلك به اليك القران طريق واضح قطعا وانما المقصود طلب التوفيق
لسلوكه وعلما نافعا نشكر به نعماك العلم النافع هو المعمول بمقتضاه والعمل شكرا هو المطلوب هو التوفيق للعمل
به وتخشعا صادقا نسبح به اسماءك طلب ان يجعله سببا للتخشع وهو التخضع والتذلل في القلب او
البدن او الصوت او الجميع وغاية تنزيه اسمائه تعالى عن النقص والمدلولات التي لا تليق بذاته فان اسماءه
تعالى وان كانت تامة لكنها لا تخلو من الدلالة على المعاني والمفهومات والغايات التي يجب تنزيهه
تعالى عنها وقد مر توضيحه ذلك في كتاب التوحيد اللهم فانك اتخذت به علينا حجة القران
حجة على الخلق قاطع لعذرهم من التقصير بعده ونعمه لهم لانهم يدعوهم الى ما هو خير لهم في الدنيا
والآخرة والعصر كالعنب خلاف الطول وفعله ككرم وفي اظهار العجز عن اداء حق شكر تلك النعمة
والبلوغ الى غايته ولكن ينبغي ان يترك الميسور بالمعسور اللهم اجعله لنا وليا يثبتنا من الذلل
ابتسه اثباتا اذا قره فاستقر وعرفه حق المعرفة والذلل جمع الذلول من الذل بالكسر وهو ضد الصعوبة
ولعل المطلوب ان يثبتنا من هذا الصنف لا من ضده وفي بعض النسخ الزلل بالزاء المعجمة ودليلا يهدينا لصالح
العمل ليس المطلوب اصل الدلالة اذ هي ثابتة بل تاثيرها والتوفيق لقبولها وعونا وهاديا يقومنا من الميل
الميل بالتحريك هنا العدول والانحراف من الحق الى الباطل كالميل بالتسكين وعونا تقوينا من الملل
الملل بالتحريك السامه والملال من تحمل الحق والعمل به حتى يبلغ بنا افضل الامل وهو رجاء القرب
والسعادة او العمل الموجب لها اللهم اجعله لنا شافعا يوم اللقاء هو يوم الموت وهو القيامة الصغرى
او يوم الحشر وهو القيمة الكبرى وسلاحا يوم الارتقاء الظاهر ان هذا الدنيا لانها يوم الارتقاء الى
درجات الاعمال والصعود من حضيض النقص الى اوج الكمال واطلاق السلاح وهي آلة الحرب على القران
من باب الاستعارة اذ به يجاهد الانسان شياطين الجن والانس ويدفع عنه مصدماتهم وحملاتهم

٣٠١

وحجيجا يوم القضاء القضاء الحكم والحجة الدليل والبرهان والغلبه يقال حجه وعليه اذا غلبه بالحجة وهو محجوج اى محاج
مغالب بالحجة فعيل بمعنى فاعل وقد ثبت ان لكل احد يوم القيمة حجة نفسه بما يظن انه حجة وان كل خير حجة لصاحبه
وان القران حجيج لاهله ينفعه وينجيه من الشدايد وسيانى توضيح ذلك فى اواخر الكتاب فضل القرآن ان شاء الله تعالى
ونورا يوم الظلماء الظلمة بالضم وضمتين والظلماء بالفتح وسكون اللام والمد ذهاب النور وقد يشبه الخير
بالنور والشر بالظلمة ولما كان يوم القيمة يوم بروز الكاينات وكان الشر فيه اكثر سمى يوم الظلماء ولما كان
الاطلاق يوم الظلماء على اليوم الشديد الذى كثر فيه الشر مطلقا شايعا لغة وعرفا خصه بيوم القيمه وقال يوم
لا ارض ولا سماء لتبدلهما بغيرهما كما نطق به القران الكريم ولا يعلم حقيقته ذلك الغير الا الله والراسخون فى
العلم يوم تجزى كل ساع بما سعى من خير وشر وتضعيف الحسنات والثواب الراجع الى المثوبة من اجل دعاء المؤمنين
والمؤمنات لا جل ايمانهم ايضا من ثمرة سعيه اللهم اجعله لنا ريا يوم الظما الرى بالكسر اسم من روى من الماء
واللبن كرضى ريا بالفتح والظما بالفتح والسكون والمهموز مصدر ظمى كفرح اذا عطش او اشتد عطشه والكسر
اسم منه وفوزا يوم الجزاء من نار حاميه الحاميه هى التى اشتدت حرارتها قيل نار جهنم لشدة حرها من انار
الدنيا سبعين درجة والفوز النجاة فاز منه نجا وفى اكثر النسخ نورا بالنون ولعله تصحيف قليلة البقيا
البقيا بالضم والسكون الرحمة والشفقة اسم من ابقيت عليه ابقاء اذا رحمته واشفقت عليه وبعضهم من غلط
القلة عرفا المبالغة فى شدتها كما يقال قليل الرحم على خلق الله للمبالغة فى انه غضوب ويمكن ان يكون ايماء
الى انها قد ترحم بعضا وتخفف حرارتها وهو من شاء الله ان يكون عقوبته اخف من عقوبة غيره على من بها
اصطلى وبحرها تلظى الجار فى الموضعين متعلق بما بعدها والصلاء بالكسر والمد النار والاصطلاء
افتعال من صلى النار كرضى اذا تدفى بها والتلظى كالتلقى النار غير منصرفة للعلمية والتانيث لانها علم جهنم والتلظى
التلهب والاضطرام اللهم اجعله لنا برهانا على رؤس الملاء اى حجة ودليلا لنا على مطلوبنا من نيل السعادة
والكرامة والثواب والجزاء فى دار البقاء او من ظهور صحة والتصديق به وبك وبرسولك واوليائك فى يوم
الجزاء اللهم ارزقنا منازل الشهداء الذين يشهدون الخلق وعليهم يوم القيمة او استشهدوا فى سبيل الله وعيش
السعداء فى الدنيا او الاخرة والثانى اظهر والنعيم اجد ومرافقة الانبياء فيهما انك سميع الدعاء سميع بك وجارحه
وانه حفى او يجيبه وتقبله يقال اسمع دعائى اى اجب واقبل لان غرض السائل هو الاجابة والقبول قوله اللهم
انى اسالك ولم يسال العباد مثلك لا انتفاء المثل لا لانتفاء السؤال لان كثيرا من العباد سالوا العز وجلا
وفيه اظهار العجز من مسكنه وافتقار اليه بمحل السؤال والقيام بين يديه اسالك بحق محمد نبيك ورسولك الرسول

باب الدعاء لحفظ القرآن

اخص من النبى كما مر فى كتاب الحجة وابرهيم خليلك وصفيك الخليل الصديق من الخلة بالضم وبين الصداقة
والمحبة المختصة التى لا خلل فيها او التى تخللت القلب فصارت خلاله اى فى باطنه وقيل من الخلة بالفتح وهى
الحاجة والفقر لانه رفع حاجته الى الله ثم لا الى غيره والصفى اخص منه لانه الذى يصافى الود ويخلصه مع
صفاء ظاهره وباطنه من النقايص كلها من الصفو نقيض الكدر ومنه صفو الشىء مثلثه وهو ما صفا منه
وموسى كليمك ونجيك فعيل بمعنى فاعل والثانى اخص لان كل مناج مكالم دون العكس وعيسى كلمتك و
روحك سمى عم كلمة الله لانه انتفع به وبكلامه او لانه وجد بكلمة كن من غير اب وروح الله من باب تسمية الشىء
باسم ما يتعلق به ويجاوره اذ الروح بلا رجوة الانفس والاضافة للاختصاص والتشريف كبيت الله او
لانه صدرت منه لا بتوسط ما يجرى مجرى الاصل والمادة او لانه كان يحيى الاموات او القلوب وبهما فسر
قوله تعالى وروح منه وانما توسل لحصول المرام او لا بهولاء الكرام لانهم وسايط لمعرفة الله وحصول
الفيض منه واسالك بصحف ابرهيم وتوراة موسى وزبور داود وانجيل عيسى وقران محمد صلعم قدم محمدا صلعم
فى السؤال الاول لتقدمه بحسب الشرف والرتبة لانه سبب لوجود الموجودات وبروز كمال الممكنات واخره
وقرانه فى هذا السؤال لتاخرهما بحسب الوجود فى الاعيان وللتنبيه على انه ينبغى للطالب من التوسل به اولا
واخرا وبكل وحى اوحيته الوحى الاشارة والرسالة والالهام والكلام الخفى وكل ما القيته الى الغير يقال
وحيت اليه الكلام واوحيته وقضاء امضيته القضاء الحكم والامضاء انفاذه فالامضاء اتمام القضاء
وهو يتعلق بفعله وفعل العبد ايضا وقد مر تحقيقه فى الاصول وحق تضيقه يشمل حقه وحق العباد ومعنى
اغنيته يشمل الغنى المعروف بين الناس والغنى الاخروى وضال هديته بالهداية العامة او الخاصة المفروزة
بالتوفيق لقبول الحق والهداية وهى اشبه وجه اطلاق الضال باعتبار ما كان وسايل اعطيته والمسئول منحته
وفيه بسط رجاء لحصول مسئول وتحقق مامول وباسمك الذى وضعته على الارض فاستقرت فى الهواء
والماء من غير زوال ولا رسوب مع عظمة الحجم وثقالة الجسم ودعمت به السموات اى جعلته دعامة لها
واقمتها به وهى عماد البيت والخشب المنصوب للتعريش فاستقلت اى ارتفعت مع عظمة حجمها واشتراكها
لساير الاجسام فى الجسمية المقتضية للنزول ووضعته على الجبال فرست رسى الشىء يرسو اذا ثبت وفيهم
من عدم تكرار الاسم فى هذه الثلثه انها مستندة الى واحد وباسمك الذى بثثت به الارزاق اى نشرتها فانتشر
الاصناف المرزوقين واشخاصهم على وفق ما يناسبهم يقول بثثت الشىء بالتخفيف فانبث اى نشرته فانتشر
وبثثته بالتشديد للمبالغة واسالك باسمك الذى يحيى به الموتى بعد نشر واجسادهم وتكسر عظامهم وتفرق

٣٠٢

اجزائهم والظاهر ان المراد بالاسم هنا الاسم الاعظم وهو كثير كما ترى في الاصول وان لكل واحد تعلقا خاصا
بشيء واثرا معينا فيه وان المراد بوضعه عليه هو ذلك التعلق ويمكن ان يراد به القادر وهو وان كان واحدا
بالذات لكنه متعدد بالحيثيات فانه باعتبار تعلق قدرته باظلام الليل مغاير له باعتبار تعلقها بانارة
النهار وقس على ذلك والوضع المذكور اشارة الى تلك الحيثية المقتضية للمغايرة والله يعلم واسئلك بمعاقد
العز من عرشك والمعاقد جمع المعقد اسم مكان يعقد به الشيء ولعل المراد بها خصال العرش التي استحق بها
العز او صفات تعم المعقود بها عز عرشه كالقوة والقدرة وحقيقة معناه بعز عرشك وبما عقد به عزه
وهو صفات العرش او صفات تعم ومنتهى الرحمة من كتابك الكتاب رحمة للعباد ومنتهاها اكمالها تماميتها
الشامل للبداية والنهاية اسئلك ان تصلي على محمد وآل محمد اي تعظيمه في الدنيا باعلاء ذكره واظهار دعوته
واعلاء شريعته وفي الآخرة بتشفيعه في امته وتضعيف اجره ومثوبته واعلاء رتبته ودرجته وان ترزقني
حفظ القرآن من ظهر القلب او الاعم منه ومن محافظته بالعمل باحكامه وحسن تلاوته والتأدب بآدابه و
الاعتبار بامثاله وقصصه والتدبر فيه وفي اسراره واصناف العلم المذكور فيه وعلوم القرآن انواع كثيرة
واصناف غير محصورة بعضها متعلق باحوال المبدا والمعاد وبعضها بكيفية خلق آدم واحوال العباد و
بايجاد الارضين والسموات الى غير ذلك مما يعجز عن عده فحول العلماء ويتحير في ادراك مرتبته عقول العقلاء
وان تثبتها في قلبي وسمعي وبصري وان تخالط بها لحمي ودمي وعظامي ومخي اثباتها في هذه الجوارح عبارة
عن جعلها ملكة راسخة فيها ويمكن ان يكون فيها اشارة اجمالية الى اصناف العلم لان بعضها علوم عقلية
وبعضها علوم الهية ومنها ما يحصل من طريق السمع ومنها ما يحصل من طريق البصر ومنها ما يحصل من طرف
الحواس الباطنة وتستعمل بها ليلي ونهاري سؤال عن توفيق العمل بها او في تعليق العمل بالليل والنهار تجوز باعتبار
وقوعه فيهما برحمتك وقدرتك متعلق بقوله ترزقني الى آخره او بقوله تستعمل والاول اشمل والثاني اظهر
وفي الجمع بين الرحمة والقدرة ايماء الى تحقق المطلوب لانهما كالعلة التامة له فانه لا حول ولا قوة الا بك يا حي يا
قيوم علة للسؤال المذكور واستعطاف لحصوله بالانقطاع اليه عز وجل وفي النداء ايضا نوع لحصوله لان
الحي هو الفعال المدرك الذي لا يفوته شيء مما اراده والقيوم هو القائم على كل شيء بالرعاية والحفظ والاصلاح
والتدبر فيه وفي احواله وفي حديث آخر زيادة فاعل قال ابان مع الواو والصادق مع عدمها كما في
بعض النسخ وقوله في حديث آخر زيادة على الاول مبتدا خبر والجملة مقول القول وقوله زيادة على الثاني المبتدأ
مقول القول وقوله في حديث آخر ظرف له او متعلق بزيادة ثم اشار الى الزيادة بقوله واسئلك ان تحيي واسئلك

ولمنافر

واضافة الزيادة اليه محتمل وفي محل الاضافة تأمل وكانه بعد قوله ومنتهى الرحمة من كتابك فليتامل باسمك
الذي دعاك به عبادك الذين استجبت لهم دل على ان التوسل انما لا بالاسم الذي يستجاب به الدعاء ويؤثر في
الاستجابة وان لم يعلم بعينه لكن الظاهر ان تاثيره مع العلم به اقوى واشد نظيره ذلك في المتوسل بالاسم الاعظم
مع العلم وعدمه وانبيائك فغفرت لهم ورحمتهم دلت الآيات الكريمة ان ذلك الاسم هو الرب وبكل اسم
انزلته في كتبك فيه توسل بالاسماء كلها اجمالا وكونه كالتوسل بها تفصيلا ام لا يحتمل كلامهم ما ذكرناه سابقا
وباسمك الذي استقر به عرشك ان اريد به الفلك الاعظم فالمراد باستقراره استقراره في مكانه المقدر له
وهو اعلى الارتفاعات من غير نزول ولا صعود وان اريد به عالم الملك والملكوت فالمراد استقرار كل شيء
في مرتبته وباسمك الواحد الاحد وصفات للاسم او بدلان وهما اسمان يشملهما نفي الابعاض والاجزاء
والفرق بينهما ان الواحد الاحد هو المتفرد بالمعنى كذا في العدة الفرد الوتر المتعال الفرد هو المتفرد بربوبيته
والوتر هو الموجود وحده لا موجود معه والمتعالي المتنزه عن صفات المخلوقين او معناه العالي فوق خلقه
بالقدرة عليهم الذي يملأ الاركان كلها اركان كل شيء جوانبه التي يستند اليها ويقوم بها والمراد هنا
اركان مجموع الكائنات من حيث المجموع واركان كل واحد منها ومعنى يملأها ويغلبها من ملأها اذا غلبه
والملاء بالتحريك الغلبة او يملأها علما وقدرة من ملأ الاناء فاستعمله على سبيل التمثيل الطاهر الطهر المبارك
المقدس الحي القيوم الطاهر المنزه عن الاشياء والانداد والامثال والاضداد والصاحبة والاولاد و
الحدوث والزوال والسكون والانتقال والطول والعرض والرقة والغلظ والحرارة والبرودة وبالجملة هو طاهر
عن معاني المخلوقات متعال عن صفات الممكنات كذا في العدة والمطهر المنزه عن امكان الاتصاف بشيء
من المعاني المذكورة والمبارك بالكسر المثبت المديم لما اعطاه من الوجودات والخيرات والتشريفات الدنيوية
والاخروية من بارك بمعنى اثبت وادام ومنه في الصلاة على النبي وآله وبارك على محمد وآل محمد او زاد البركة
والزيادة للخير والثواب لمن يشاء وبالفتح المقدس وهو المنزه عن العيوب والنقايص ومنه تبارك الله اي
تقدس وتنزه نور السموات والارض في كتاب اكمال الاكمال لشرح مسلم اختلف في النور فقيل جسم وقيل
عرض واذا انحصر النور في انه جوهر او عرض استحال ان يكون فانه تعالى سبحانه نورا لاستحالة ان يكون جوهرا
او عرضا ثم النور لغة اسم لهذه الانوار الفايضة من الشمس والقمر والكوكب والنار على الارض والجدران وغيرها
ويمتنع ان يكون سبحانه نورا بهذا التفسير لاستحالة ان يكون ذاته نفس هذه الاضواء واذا امتنع ان يكون نورا
بكل تفسير من تفاسير النور تعين تاويل قوله نور السموات والارض فقال محيي الدين منورهما اي خالق انوارها

وقيل معناه هادي اهلها وقيل معناه مدبر امرها وقال الاصيلي معناه منورها فانهما بالنجوم والقلوب بالدلائل
والمنور بهذا المعنى صفة فعل لا صفة ذات اقول يمكن ان يكون اطلاق النور عليه سبحانه باعتبار انه
مظهر وجودات الاشياء من بطن العدم الرحمن في الدنيا الكامل باكمال المهيات ولوازمها واثارها واعطاء
الارزاق وما يحتاج اليه في الوجود والبقاء الرحيم في الاخرة للمؤمنين بالتفضل ورفع الدرجات الكبير المتعال
عن صفات المخلوقين او عن الوصول الى كنه ذاته وصفاته عقول العارفين والكبير هو العظيم ذو الكبرياء و
العظمة وهي عبارة عن كمال الذات والوجود وكتابك المنزل بالحق عطف على اسمك وكلماتك التامات من
تغيرها وبعظمتك عظمته عبارة عن تجاوز قدرته عن حدود العقول حتى لا يتصور الاحاطة بكنه ذاته
والعظمة في الاجسام كبر الطول والعرض والعمق والله تعالى جل قدره عن ذلك واركانك لعل المراد بها
صفاته الذاتية ولا يبعد ان يراد بها الانبياء والرسل والاوصياء عليهم السلام والاضافة للتشريف من اراد ان يوفيه
الله عز وجل القران والعلم اي يجعله واعيا حافظا لها بالفهم والعمل يقال وعاه اذا عقله وفهمه وعمل به
فليكتب هذا الدعاء المذكور في اناء نظيف من النجاسة والوسخ بعسل ماذي الماذي العسل الابيض الجديد
او الخالص الجيد قوله اللهم ارحمني بترك معاصيك ابدا باللطف والتوفيق لتركها ما ابقيتني تاكيد لابدا
وما زمانية كما في قوله ما دمت حيا وارحمني من تكلف ما لا يعنيني اي ما لا يهمني يقال عناه الامر يعنيه
عناية وعناية اهمه واعتنى به اهتم وارزقني حسن المنظر فيما يرضيك عني من العلم والعمل وسبيل الخير كله
والمصدر اما مصدر ميمي بمعنى النظر او اسم مكان وهو ما نظرت اليه يقال هو حسن المنظر اي يعجبك اذا نظرت
اليه والظرف على الاول متعلق به وعلى الثاني متعلق بارزقني والزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني بالقراءة
والتفهم والتعلم والتدبر والعمل بما فيه وارزقني ان اتلوه على النحو الذي يرضيك عني وهو التلاوة بالترتيل
واداء الحروف وحفظ الوقوف واظهار الحركات والسكنات مع التدبر في حسن مبانيه ولطف معانيه وصرف
القلب الى اسراره اللهم نور بكتابك بصري طلب التوفيق للنظر اليه او زيادة نور البصر بالنظر اليه واشرح به صدري
شرح كمنع كشف وفتح ووسع والمراد بشرح الصدر كشف الحجب عن وجوه المعقولات والاسرار الالهية او
توسيعه للمناجاة الربانية وازالة الكدورات والرذائل النفسانية وفرج به قلبي تفريج القلب كناية عن توسيعه لقبول
الحق والعلوم الربانية واتصافه بالفضائل النفسانية الباعثة لتحمل المشاق والتكليفات الجسمانية واطلق
لساني طلب التوفيق للتلاوة وقراءته واستعمل به بدني اي بسببه او بما فيه من الاحكام وفيه طلب للتوفيق
للعمل وقوني على ذلك طلب كمال القوة بحيث لا يبقى الكلال والضعف فيهما واعني عليه الاعانة عليه بعد طلب

القوه

باب دعوات مهمة جميع الحوائج
في الدنيا والآخرة

القوة تمسكا بحول الله وقوته لا حول ولا قوة الا بالله قوله اللهم اجعلني اخشاك طلب الخشية يستلزم
طلب كمال العلم والمعرفة كما قال تعالى شانه انما يخشى الله من عباده العلماء ولذلك قال كاني اراك طلب التوفيق من
الوصول الى مقام المشاهدة وهو مقام رفيع لا يبلغه الا اخص الخواص كالانبياء والاوصياء والاولياء وغيرهم
ممن اخذت بايديهم العناية الازلية وهذا المقام ان يبلغ العبد في اعماله وافكاره بحيث يستغرق في بحار الكمال
كانه يرى الله سبحانه كما قال صلى الله عليه وآله جعلت قرة عيني في الصلوة وقال امير المؤمنين عليه السلام ما كنت اعبد ربا لم اره حين
سئل هل رايت الله وليس المراد بهذه الرؤية رؤية البصر التي لا تنكشف عن حقيقتها العبادة وهنا مقاما
اخران احدهما مقام المراقبة وهو ان يخشى الله كان الله سبحانه يراه والاخر وهو ادونهما بل لا نسبة بينه وبينهما
ان لا يبلغ هذين المقامين ولكن ينطبق افعاله واعماله على قوانين الشرع وهو الموفق والمعين واسعدني بتقويك
بتقويك وهي ترك كل ما يوجب ولا تشقني بسخطي لمعاصيك الشقاوة ضد السعادة اشقاه الله جعله شقيا
وحكم بشقاوته والسخط بالفتح والسكون طلب النفس لشئ والتذاذها به نشط كسمع نشطا ونشاطا بالفتح فيهما
٣٠٤ طابت نفسه للعمل وغيره والباء للسببية ولعل المقصود ازالة المسبب وهو الحكم بالشقاوة بازالة سببه والتوفيق
وخر لي في قضائك اي اجعل لي في قضائك للاشياء وحكمك عليها خيرا من خار الله لك في الامر اي جعل
لك فيه الخير وبارك لي في قدرك بارك من البركة بمعنى الزيادة يعني زد لي في تقديرك للامور رزقا وغيره
ما يصلح به امري في الدنيا والاخرة حتى لا احب تاخير ما عجلت ولا تعجيل ما اخرت لكون كل واحد من
المعجل والمؤخر والواقع خيرا وبركة لي في الواقع على ذلك التقدير واجعل غناي في نفسي غناها عبارة
عن رضاها بالمقدر والكفاف ورفض زوايد الدنيا والطمع فيها وفيما بيد اهلها وصرف عنانها الى البر الاخرة
وما يوجب النجاة من اهوالها وهذه النفس غنية في الدنيا والاخرة مطمئنة مندرجة في قوله تعالى يا ايتها
النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ومتعني بسمعي وبصري طلب
التوفيق لاستماع الآيات ومشاهدة الآثار الواضحات الدالة على وجود الصانع وقدرته وحكمته لتستدل
بها على المطالب العالية الموجبة للسعادة الابدية واجعلهما الوارثين مني مثله في الطريق العامة قال
ابن الاثير معناه ابقهما صحيحين سليمين الى ان اموت وقيل اراد بقاءهما وقوتهما عند الكبر وانحلال القوى النفسانية
فيكون السمع والبصر وارثي سائر القوى والباقيين بعدها وانصرني على من ظلمني نصرة الظالم على عدوه وفيه طلب
للاقتدار على الانتقام ممن ظلمه بالمثل او على دفع ظلمه وارني فيه قدرتك يارب تاكيد للسابق او طلب للانتقام
منه سريعا عاجلا واقرر بذلك عيني القرة والقرار مصدران والاول بمعنى البرودة والثاني بمعنى الثبات والسكون

واذا قال من لم يواخذ بالجريرة ولم يهتك الستر وفى هذا الكتاب ولم يهتك الستر عنى لم يحاسبه الله يوم القيمة
ولم يهتك ستره يوم يهتك الستور واذا قال يا عظيم العفو وفى هذا الكتاب يا كريم العفو غفر الله له ذنوبه و
لو كانت خطيئته مثل زبد البحر واذا قال يا حسن التجاوز تجاوز الله عنه حتى السرقة وشرب الخمر واهاويل الدنيا
وغير ذلك من الكبائر واذا قال يا واسع المغفرة فتح الله له سبعين بابا من الرحمة فهو يخوض فى رحمة الله حتى
يخرج من الدنيا واذا قال ويا باسط اليدين بالرحمة وفى العدة بدون الواو بسط الله يده بالرحمة عليه واذا قال
يا صاحب كل نجوى ويا منتهى كل شكوى وفى العدة منتهى بدون حرف الندا اعطاه الله من الاجر كل
مصاب وسالم وكل مريض وضرير وكل مسكين وكل فقير وكل صاحب مصيبة الى يوم القيمة
واذا قال يا كريم الصفح اكرمه الله كرامة الانبياء واذا قال يا عظيم المن اعطاه الله ثم يوم القيمة منيته و
كل الخلايق واذا قال يا مبتدى كل نعمة قبل استحقاقها وفى العدة يا مبتديا بالنعم قبل استحقاقها اعطا
الله من الاجر بعدد من شكر نعماه واذا قال يا ربناه ويا سيداه ومنها يا ربنا ويا سيدنا قال الله تعالى اشهدوا ملائكتى
انى قد غفرت له واعطيته من الاجر بعدد من خلقته فى الجنة والنار والسموات السبع والشمس والقمر والنجوم
وقطر الامطار وانواع الخلق والجبال والحصى والثرى وغير ذلك والعرش والكرسى واذا قال يا مولاه ومنها و
يا مولانا ملا الله قلبه من الايمان واذا قال يا غياثاه ومنها يا غاية رغبتنا اعطاه الله ثم يوم القيمة منيته و
مثل رغبة الخلايق وهذا الثواب بما فى العدة انتهى واذا قال صل على محمد وآل محمد اسئلك ان لا تجعلنى فى
النار ومنها اسئلك بالله ان لا تشوه خلقى بدون المصلية والواو وقال استعتقنى عبدى من النار واشهدوا
ملائكتى انى قد اعتقته من النار واعتقت ابويه واخوته واهله وولده وجيرانه وشفعته فى الف رجل ممن وجب
له النار واجرته من النار ثم قال جبرئيل عم فعلمهن يا محمد المتقين ولا تعلمهن المنافقين فانها دعوة مستجابة
لقائلهن انشا الله قوله اللهم انت ثقتى فى كل كرب الكرب بالفتح الحزن الشديد يلحد بالنفس كالكربة و الثقة
مصدر بمعنى الاسماك يق وثق به كورث ثقة اذا ائتمنه والحمل للمبالغة او المصدر بمعنى المفعول وفيه ايماء
للانقطاع عن الغير ولمدخل تام فى حصول المطالب وانت رجائى فى كل شدة الرجا ضد اليأس و الحمل
كما مر وانت لى فى كل امر نزل بى ثقة وعدة الظرف وهو لى و فى متعلق بثقة والتقديم لرعاية السجع
دون الحصر وفى بعض النسخ ولى بمعنى الناصر وقوله ثقة خبر بعد خبر ونصبه على التميز او الحال بعيد
والعدة بالضم ما اعددته وهيأته ليوم الحاجة وحوادث الدهر كم من كرب كم خبرية للتكثير وضعف عنه
الفواد لكثرته وشدته وتقل فيه الحيلة لعظمته مع ضعف القوة عن استعمال الدفع وتخذل فيه القريب

يقال قرت عينه تقر كمنع وضرب قرة اذا بردت دمعتها او قرارا اذا ثبتت وسكنت عن الاضطراب فى النظر والاسراف
فقوله اقر ان كان من الاول معناه ابرد بذلك دمعة عينى وهو كناية عن الفرح والسرور لان دمعة السرور
باردة وان كان من الثانى معناه ابرد بذلك عينى عن الاستشراق الى غيرك طلبا للغيث لحصول الامنية وما
كنت مشتوقا اليه قوله اللهم امنى عن هول القيمة بالتفضيل والعفو او بالتوفيق للاحتراز عن الزلات الموجبة
للهول فى ذلك اليوم وهو الفزع والخوف والامر الشديد وقد هاله يهوله فهو هايل ومهول واخرجنى من
الدنيا سالما من الذنوب التى بينك وبينى بالعفو او بالتوفيق للتوبة ومن التبعات التى بينى وبينه خلقك بالتحلل
منها اما بالتعويض منك او بالاداء منى او بالتحليل منهم وزوجنى من الحور العين هى نسا اهل الجنة واحد نهن
حورا بالفتح وهى الشديدة بياض العين الشديدة سوادها واكفنى مؤنتى ومؤنة عيالى ومؤنة الناس المؤنة كل
ما يحتاج اليه والمؤنة كثرة النفقة على العيال يقال مانه اذا انفق عليه وقام بكفايته والكفاية قيام شخص مقام اخر
فى قضاء حوايجه وفى ق كفاه الامر اذا قام مقامه فيه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين اى توفقك
للعمل بما عملوا وتقبله بقبول حسن فذكر السبب واراد المسبب وانما حملنا على ذلك لان دخول الجنة بدون
سببه منعدم كما دل عليه بعض الروايات قوله اللهم انى اسئلك من كل خير احاط به علمك سأله كذا او عن
وكذا بمعنى طلبه فمن لما بمعنى عن او بمعنى البا ويحتمل ان يكون لبيان الجنس او للتبعيض لان طلب جميع الخيرات الدنيوية
والاخروية طلب واعوذ بك من كل سوء احاط به علمك السوء بالفتح مصدر سآءه سوءا اذا فعل به ما يكره
وبالضم هو الاسم منه وهو كل آفة ومكروه وفى الفقيه من كل شر اللهم انى اسئلك عافيتك فى
امورى كلها امور الدنيا والآخرة والعافية مصدر عافاه الله عافية اذا دفع عنه المكروه والمراد بالامور اما
الجنس الشامل للمحبوبة والمكروهة او المختص بالمحبوبة فعلى الاول طلب دفع الامور المكروهة عنه وعلى الثانى
طلب دفع الآفات عنه لتحصيل الامور المحبوبة على وجه الكمال واعوذ بك من خزى الدنيا وعذاب الآخرة
اما منهما طلبا للتفضل او من اسبابهما طلبا للتوفيق على ترك تلك الاسباب قوله فكتبهم بخطه بسم الله الرحمن الرحيم
ليست التسمية فى العدة يا من اظهر الجميل من افعال العباد فى الدنيا والآخرة وستر القبيح منها فيهما نقل صاحب العدة
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبى صلعم ان جبرئيل عم نزل عليه بهذا الدعا من السما ونزل عليه ضاحكا
مستبشرا فقال السلام عليك يا محمد قال وعليك السلام يا جبرئيل فقال ان الله عز وجل بعث اليك بهدية قال
وما تلك الهدية يا جبرئيل قال كنز من كنوز الجنة اكرمك الله بها قال وما هى يا جبرئيل قال قل يا من اظهر
الجميل وستر القبيح آه ستره الله ورحمه فى الدنيا وجمله فى الآخرة وستره الله عليه الف ستر فى الدنيا والآخرة

ولا

الظاهر ان يخذل مبنى للمفعول وعن للتعليل وفى الكفعمى مخذول وخوار وبحث شمات ويشمت بى العدو
الشماتة الفرح ببلية العدو وفعلها من باب علم ويعينني فى الامور اعياه اذله واخضعه وفى اماليه للتعليل
او بمعنى الى او بمعنى مع والظرفية المجازية محتملة قوله اللهم انى اسالك بجلالك وجمالك وكرمك الجلال
العظمة والجمال الحسن والمراد به حسن افعاله وكمال اوصافه وقد فسر فى النهاية الجميل فيما روى من ان الله
جميل يحب الجمال بانه حسن الافعال كامل الاوصاف والكرم الجود وفى نهاية الكريم هو الجواد المعطى الذى لا ينفد
عطاؤه وهو الكريم المطلق والكريم الجامع لانواع الخير والشرف والفضائل قوله قلت اما المعادين فقد عرفت
انهم الذين لم يستقر الايمان والدين فى قلوبهم فكانه عارية عندهم يوخذ منهم ويسلب عنهم يوما والمعار
اسم مفعول من استعاره ثوبا فاعاره اياه والعارية مشددة اليا وقد يخفف كانها منسوبة الى العار لان
طلبها عار او عيب قوله اما معنى لا تخرجنى من التقصير لما كان ظاهر هذا الكلام طلب ترك الاجتهاد وهو ليس بمراد سال
عن المراد منه فاشار ع وقال الكل عمل تعمله تريد به الله عز وجل وهو عمل الاخرة واحترز به عن عمل الدنيا فانه
لا ينبغى ان يعد نفسه فى ترك الجد فيه مقصرة فكن فيه مقصرا عند نفسك واعترف بالتقصير فيه وان
بالغت فى تصحيحه واجتهدت فى تكميله فان الناس كلهم فى اعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصرون غير عابدين حق
عبادته الا من عصمه الله من الانبياء والاوصياء عليهم السلام وهم مع ذلك اعترفوا بالتقصير تذللا وانكسارا
واستحقارا بالنظر الى عظمته واحسانه واستحقاقه لما هو اهله قوله يا سيدى تعذبنى وحبك فى قلبى الواو
للحال والاستفهام للانكار وحمله على الحقيقة بعيد والمراد بالتعذيب للاخرة فلا ينافى ورود البلايا فى الدنيا
لرفع الدرجات على ان البلاء لاجله لا يسمى تعذيبا اما وعزتك لئن فعلت لتجمعن بينى وبين قوم طالما
عاديتهم فيك كانه اراد ع ان المعاداة يوجب الافتراق والتعذيب يوجب الاجتماع فهما لا يجتمعان لان
تنافى اللوازم يستلزم تنافى الملزومات واراده ان الجمع يوجب شماتة الاعداء وانت لا ترضى بها بجميله
قوله اللهم انى تعمدت اليك بحاجتى تعمده قصده والبا للمصاحبة وانزلت بك اليوم فقرى ومسكنتى يحتمل
ان يراد بالفقر المعنى المعروف اعنى عدم شئ من متاع الدنيا وان يراد به فقد ما يوجب الثواب الاخروى
واطلاقه على هذا المعنى ايضا متعارف فى الشرع كما روى عن الصادق ع انه قال الفقر الموت الاحمر فقيل له
الفقر من الدينار والدرهم فقال لا ولكن من الدين ويويد الثانى فى التفريع بعده والمسكنة ايضا معنى معروف
يحتمل ان يكون هو المراد ويحتمل غيره وهو الذى اشار اليه امير المؤمنين ع بقوله مسكين ابن آدم مكتوم
الاجل مكنون العلل محفوظ العمل يولمه البقة ويقتله الشرقة وينتنه العرقة فقد فسر عليه السلام

مسكنه

مسكنته بستة اشياء لا يدرك متى يكون وقت موته فانه مكتوم مستور منه ومن غيره لاقتضاء مصلحة عامة
ذلك وعلله وامراضه مكنونة مستورة عنه لا يعلم متى يصير مريضا واعماله محفوظة بالنقير والقطمير
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ويوذيه اقل شئ حتى البق بولمه ويشرق بالماء
بعض ريقه الى الهلاك والشرقة الغصة ويصيره العرقة منتنا باقل عرق يسيل منه وبالجملة مسكنته عبارة عن عجزه فاما
اليوم لمغفرتك ارجائى لعل اراد ان رجاء النجاة او الدرجة الرفيعة للمغفرة ازيد واقوى من رجائهما
للعمل لان الوعد بالمغفرة حق ثابت والتقصير فى العمل متحقق وقبوله غير معلوم ولفظ اليوم فيها لبيان ان
النجح تحقق وفى الصحيفة السجادية بمغفرتك وبحملك بالبا ولمغفرتك ورحمتك اوسع من ذنوبى لان مراتب المغفرة
والرحمة غير محصورة والذنوب محصورة وغير المحصور اوسع من المحصور وهو فى اللفظ اخبار وفى المعنى طلبهما
ورجائهما قوله قضاء كل حاجة هى لى فى ذكر المبتدا وهو هى تكرار لذكر الحاجة مع افادة ثبوتها ولو لم
يذكره فهم الثبوت دون التكرار ولا ريب فى انه ذكر الحاجة مكررا ادخل فى الرجاء واقرب الى القضاء بقدرتك
عليها لامكانها ونفاذ قدرتك فى جميع الممكنات وتيسير ذلك اى القضاء عليك لعدم الاحتياج فيه الى استعمال الروية
والالات بل هو مترتب على مجرد الارادة والفعل المترتب عليه فى غاية السهولة وفقرى اليك هذه الثلثة
وهى كمال قدرته على قضاء الحاجة وتيسيره عليه وصرف وجه الفقر اليه موجبة لقضاء الحاجة ولذلك
توسل بها فانى لم اصب خيرا قط الا منك اه دليل القول فوق قضاء كل حاجة لى لانه اذا كان اصابة الخير و
صرف الشر دائما منه لا من غيره كان قضاء الحاجات متوقعا منه قطعا وليس ارجو لاخرتى ودنياى
سواك المقصود بسط الرجاء اليه وطلب حصول المرجو ولا ليوم فقرى اه اى ليس ارجو ليوم فقرى
سواك ولا زايدة لتاكيد النفى وقوله فى الاخرة بفقرى متعلق بمفرد فى او با فقتى والبا للمصاحبة اى
مع فقرى قوله اللهم ارزقهم صدق الحديث فى الامور الدينية والدنيوية واداء الامانة الالهية والبشرية
والمحافظة على الصلوة الواجبة والمندوبة والمراد بمحافظتها فعلها فى اوقاتها بشرائطها واركانها قوله اللهم من
على بالتوكل عليك المن الانعام يقال من عليه منا اذا انعم واصطنع عنده صنيعة والتوكل على الله فى
الامور الجاؤها اليه والاعتماد عليه وهو نعم الوكيل لانه القيم الكفيل بارزاق العباد ومصالحهم القادر
المستقل بفعل الامر الموكول اليه والتفويض اليك التفويض الرد فوض اليه الامر تفويضا اذا رده اليه وجعله
الحاكم فيه ولعل المعتبر فى مفهومه رد الاختيار اليه وسلبه عن نفسه بالكلية لا فى مفهوم التوكل وهو بهذا الاعتبار
عبارة عن التوكل والرضا بقدرك القدر وقد يكون تقدير الامور ويطلق ايضا على تلك الامور المقدرة كما يشعر به

كلام ابن الاثير واورد عليه ان الكفر والفسق من الامور المقدرة والرضا بهما كفر وفسق والجواب عنه في
شرح كتاب العلم والتسليم لامرك التسليم الانقياد وفسره الصادق عم بالاخبات وهو الخشوع والتواضع
قوله رب لا تكلني الى نفسي طرفة عين ابدا طرف بعينه حرك جفنها والمرة منه طرفة فاحدث ذلك الذنب
كان الخروج من بين قومه بدون اذنه عز وجل حين شاهد انكارهم له وقرب موعد عذابهم قبلت فلم يكن كفرا
اصحابنا انه قال لا ليس هذا كفر جحود وهو ظاهر ولا كفر مخالفة لانه لم يترك ما امر به ولم يفعل ما نهي عنه
وانما فعل ما لم يؤذن به لظنه انه جايز وهو عند الله عظيم ولكن الموت على تلك الحال هلاك الهلاك في اللغة
الموت والضلالة والثاني هو المراد هنا وترك الاولى ضلالة بالنسبة الى الانبياء والاولياء موجب لنقصان
درجتهم قوله وقل اللهم لك الحمد حمدا خالدا مع خلودك اما ان يراد بالحمد ثوابه فطلب بقاء الثواب وخلوده
ببقائه سبحانه وخلوده واما ان يراد به حقيقته الحمد فطلب انه اكثر من الحامدين في ابد الابدين فكانه صدر من
الحامد بهذه العبارة حمدا غير متناه كما يشعر به قوله ولك الحمد حمدا لا منتهى له دون علمك اي عند علمك
الظاهر منه يكثر افراد الحمد وعدم تناهيه كما ان معلوماته سبحانه متناهية وانما قلنا الظاهر ذلك لاحتمال
ان يراد حمدا لا منتهى لثوابه ثم ارتفع وقال لك الحمد حمدا لا امد له دون مشيتك فاحال الامر فيه على المشيه
وليس للحمد وراء ذلك منتهى فاشار بان حمد الله سبحانه اعظم من ان يحصره الحسبان او يكفيه الزمان والمكان
ولم يبتغه احد من الخلق متناهيا بهذه الرتبة استحق صم ان يسمى احمد ولك الحمد حمدا لا اجر لقايله الا رضاك طلب
هذا الفرد من الجزاء لان قليله اعظم من الجميع عند العارفين كما قال عز وجل ورضوان من الله اكبر ولان حصوله مستلزم
لحصول الجميع اللهم لك الحمد كله لان المحامد كلها لك ومنك واليه ولك المن كله المن الاحسان والاعطاء بلا
الجزاء من اسمائه تعم المنان لانه المحسن المعطي بلا سبق استحقاق ولا طلب جزاء واحسان الغير وعطاؤه راجعان
اليه لانه الموفق والمعين له على ذلك ولك الفخر كله الفخر ادعاء العظم والكبر والشرف وكل ذلك له بحسب الذات و
الوجود والصفات على الاطلاق ولك البهاء كله البهاء الحسن ولعل المراد انه حسن الذات والصفات والافعال
كله لك لتنزهك عن الامكان والحدوث والنقص والحاجة الى الغير وكمال افعالك واتقانها على الحكمة و
المصلحة ولك النور كله اي نور الحجب ونور الاجرام النورانيه او نور الهداية اذ بنور هدايته يبصر ذو العاقل و
يرشد ذو الغواية ولو اريد بالنور هو الله سبحانه باعتبار انه الظاهر في نفسه المظهر لغيره لوردان النطاك كله
له ولك العزة كلها العزة القوة والشدة والغلبة وله العزة بهذه المعاني كلها واما العزة لغيره من وجوه كلها
لا مع كونها عين ذل بالنسبة الى عزته التي لا تغلب ولا تضعف ولا تقهر ومنها راجعة اليه لانها منه ولك الجبروة

الجبروة تصلوة من جبر اذا قهره وقهره على العباد بالامر والنهي وعلى الممكنات كلها بما اراد منها المهيات ولوازمها
واثارها او من جبر العظم المكسور او اصلح لاصلاحه الممكنات واخراجها من النقص الى الكمال او من جبره اذا احسن
اليه واغناه بعد فقره لاحسانه الى الممكنات واغنائها بعد فقرها ولك العظمة كلها العظمة بمعنى تجاوز
قدره عن الاحاطة بكنه ذاته وصفاته مختصة به وكل عظمه سواها مع كونها امرا اضافيا له ومنه تعالى
ولك الدنيا كلها ولك الاخرة كلها اذ لا مالك لهما ولا متصرف فيهما ايجادا وابقاء ووسعا واعطاء غيرك
لا شريك لك ولك الليل والنهار كله اذ خلقهما وتعاقبهما واختلافهما في الظلمة والنور والمقدار وتداخل
بعض كل منهما في الاخرة في اوقات مختلفة بل في وقت واحد انما هي بتقديرك وتدبيرك ولك الخلق كله اي
المخلوق كله من المجردات والماديات وايجاده او تقديره لك لا شريك لك فيه وبيدك الخير كله كل ما صدر منه
فهو خير وكل خير من غيره فهو منه وبقوته وتوفيقه واليك يرجع الامر امر العباد كله علانيته وسره لان
عليك بالسر كعلمك بالعلانية فجزيهم بما عملوا ان خيرا فخير وان شرا فشر اللهم لك الحمد حمدا ابدا ابدا طلبا لهذا
الفرد الذي لا انقطاع له ولا لجزائه وهو تاكيد للسابق انت حسن البلاء من البين لنعم لا تفعل عبثا ولا تظلم ٣٠٧
احدا ولا تفعل فعلا تعود الفايدة اليه ومن هذه المقدمات يعلم ان كل ما ابتلى به العباد واختبرهم به
مما هو خير او شر في ظاهر نظرهم فهو في نفس الامر حسن وفيه مصالح جمة لهم في الدنيا والاخرة جليل الثناء
الثناء وصف بمدح الجليل العظيم وعظمته ارتفاعه قدره بحيث لا يصل اليه عقول العقلاء ولا يحيط به
السنة الاذكياء كما قال سيد الانبياء لا احصي ثناء عليك كما اثنيت على نفسك سابغ النعماء سبوغها تمامها
وكمالها واتساعها فانظر كيف بسط حوان النعم والاحسان على بساط الوجود وعالم الامكان عدل القضاء
حكم في التكوين والتكليف والثواب والعقاب وغيرها عدل لا جور فيه اصلا لتنزهه عنه جزيل العطاء
الجزيل الكثير والعطاء وقد يعد ما يعطى كالعطية وقد بلغت كثرته حدا لا يبلغه العد والاحصاء وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها حسن الالاء وهي النعم وقد اشار سابقا الى سبوغها وهنا الى حسنها ونضارتها
فلا حاجة الى تخصيص السابقة بالظاهرة وهذه بالباطنة او بالعكس مع انه لا وجه له اله في الارض واله
في السماء اله فعال بمعنى مالوه اي معبود فيهما مستحق للعبادة من اهلهما وفيه اقوال اخر ذكرناه في شرح
التوحيد اللهم لك الحمد في السبع الشداد الشداد جمع شديدة اي قوية محكمة لا تتغير ولا تتاثر بمرور الدهور
او مرتفعة من شد النهار اذا ارتفع ولك الحمد في الارض المهاد وصف الارض بما هو من صفات جنسها و
للتاكيد في التعميم وحصر الحمد في السماء والحمد في الارض فيه عز وجل لان حمد الملائكة والمؤمنين وثناءهم و

وحمد بعض اهل الارض بعضا لان هذا ليس له حقيقة اذ هو المولى المنعم والمعطى للخيرات والموفق لها ولك
الحمد طاقة العباد اخبر بان الحمد على قدر طاعة العباد مختص به اختصاصا حقيقيا وهو اهل وليعل
الغرض منه شاءه بذلك القدر او طلب ان يكون موازنا له ولك الحمد سعة البلاد اى فى سعة البلاد وهو
مثل ما مر فى اعتبار الوجهين ويحتمل ان يكون من قبيل قولهم لك الحمد ملء الارض ويكون كثيرا بانه لو كان جسما
لكان مكانه سعة البلاد ولك الحمد فى الجبال الاوتاد للارض كيلا تهتز ولا تتحرك والجبال تحمده ولك
شئ الا يسبح بحمده على ان لها اهلا بحمده وبعد التنبيه باختصاص الحمد به تعم فى كل الامكنه نبه باختصاص
الحمد به فى كل الازمنه فقال ولك الحمد فى الليل اذا يغشى كل ما يمكن ادراكه بالبصر او الشمس والنهار ولك
الحمد فى النهار اذا تجلى اى انكشف من ظلمة الليل او سنن ووضح بطلوع الشمس ولك الحمد فى الاخرة والاولى
لان خير الدنيا والاخرة كلها منك والمحامد فيها كلها لك ولك الحمد فى المثانى والقرآن العظيم المثانى سورة
الحمد على الاشهر وهو المروى عن الائمة عليهم السلم وفيه اقوال اخر مذكورة فى ق وفى مجمع البيان وانما
سميت بها لانها تثنى فى الصلوة وقيل لانها نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلوة ومرة بالمدينه
لما حولت القبلة ولم يثبت ذلك والظاهر انها مكية فقط وعلى هذا ذكر القرآن من باب ذكر الكل بعد الجزو
او من باب ذكر الخاص بتاويل ان القرآن يطلق على الكل وعلى كل جزء منه وسبحان الله وبحمده اى انزهه
تنزيها عن جميع النقايص وانا متلبس بحمده على التوفيق للتنزيه او فى جميع الاحوال والارض جميعا اى جميع
اصنافها وهى السبع او جميع ابعاضها قبضته يوم القيمة قبضه بيده يقبضه تناوله بها والقبضة بالفتح
وبضم ما قبضت عليه وهو المقدار المقبوض بالكف والسموات مطويات بيمينه قال المفسرون فيه تنبيه
على عظمته تعالى وكمال قدرته على افناء العالم وتخريبه وانها اهون شئ عليه على سبيل التمثيل والتخييل من غير
اعتبار القبضة حقيقة ومجازا او المعنى ان الارض جميعها تحت قدرته تقلبها كيف يشاء كما ان الذى
يقبضه القابض بكفه يكون تحت قدرته وان طى السموات مقدور له كما ان طى القرطاس ونحوه مقدور لنا وذكر
اليمين للمبالغة فى الاقتدار سبحان الله وتعالى عما يشركون من اعتبار الشريك له او وصفه بما لا يليق به كل شئ
هالك الا وجهه اى ذاته فان الوجوب الذاتى ينافى الهلاك واما الممكن لعدم اقتضاء ذاته الوجود فهو فى
مرتبة ذاته هالك وان اتصف بالوجود ويمكن ان يراد بالوجه ما يتوجه العبد الى الله فانه ثابت باق وكل
ما سواه فهو هالك فان سبحانك ربنا سبحان بمعنى التنزيه اذا اضيف الى المفعول وبمعنى التنزه اذا اضيف
الى الفاعل والاول اولى لانه اكثر والثانى هنا ادب بما عطف عليه وتعاليت عن ادراك الاوهام والعقول

ذاتك

ذاتك وصفاتك وتباركت اى تقدست عن اتصاف المخلوقات بصفاتك وتطهرت عن تشابه ذواتهم بذاتك
او ثبت ذاتا وصفاتا بالبقاء ذاتك ودوام صفاتك من غير تبدل وتغير من بركت بروكا اذا ثبت و
تقدست اى تطهرت من الاتصاف بصفات الممكنات وتنزهت عن التشابه بالمخلوقات وخلقت كل
شئ من المجردات والجسمانيات بقدرتك وفيه رد على من زعم انه لم يخلق الا الواحد او من زعم ان فعله
بالايجاب وقهرت كل شئ بعزتك القهر الغلبه والعزة القوة والشدة وهو سبحانه قاهر غالب على
جميع الممكنات بالايجاد والاعلام والابقاء والافناء ووضع كل شئ وحدوده وتدبير ما اراد من خواصه
واثاره بعزتك التى لا تدفع وغلبته التى لا تمنع وعلوت فوق كل شئ بارتفاعك قدرا ورتبه وجودا
وعلة لا مكانا لانه تعالى ليس بمكانى وفى ذكر الفوق فايدة هى انه تعالى فوق كل شئ بيان ذلك ان فوق
كل شئ اعلاه ومنتهاه كالسطح للبيت فلو حذف لفهم انه علا وتصعد كل شئ ولا يستلزم ذلك البلوغ فوقه
والعلو عليه بخلاف ما اذا ذكر كما يظهر ذلك بالتامل فى قولك علوت سطح البيت وعلوت البيت وغلبت
كل شئ بقدرتك هذا قريب من قوله وقهرت كل شئ بعزتك وتخصيص القهر بالايجاد والابقاء والغلبة بالاعدام
والافناء بعيد والتاكيد محتمل ومثله فى الادعية كثير وابتدعت كل شئ بحكمتك وعلمك الابداع الاختراع
وهو الايجاد بلا مادة ولا مدة ولا مثال ولا تعليم ولا تعلم والعلم اعم من الحكمه لان ادراك الشئ علم به
واذا اعتبر معه ادراك اتقانه واحكامه ومصالحه وحسن عاقبته وغير ذلك مما اعتبر به تمامه وكماله فهو
فهو حكم ومن ثم قيل الحكمة عبارة عن معرفة افضل العلوم والحكيم من يحكم الاشياء ويتقنها وقيل من يحسن دقايق
الصناعات ويتقنها قوله قل اللهم انى اسئلك باسمك العظيم الاعظم الاجل الاكرم المخزون المكنون وصفه بالعظم
نظرا الى ذاته وبالتفضيل نظرا الى غيره وتلك العظمة والزيادة لا يعلم حدها ولا قدرها الا الله ثم الاسم
الاعظم كثير واحد منه لا يعلمه الا هو والبواقى يعلمها الانبياء على التفصيل المذكور فى كتاب التوحيد والظ
ان المراد هنا هو الاول بقرينة وصفه بالمخزون المكنون اذ المتبادر منه انه المخزون عند الله المستور عن
الخلق كلهم ويمكن ان يراد به الثانى او الاعم ويراد بالمخزون المخزون عند اهله وبالمكنون المستور عن غير
اهله النور الحق البرهان المبين وصفه بثلثه اوصاف الاول انه نور لانه مظهر لاثار غريبة وافعال عجيبة
وظهور تلك الاثار والافعال به كظهور المبصرات بالشمس الثانى انه حق ثابت فى الواقع ليس بمجرد الاعتبار
والوهم والخيال وبالجملة تاثيره كتاثير بعض المؤثرات الخيالية والوهمية الثالث انه البرهان المبين اى الحجة
الظاهرة لاهله فيما اراد او ارید اذا تمسك به الا ترى ان آصف سليمان كيف حقق دعواه به والانبياء

كيف الطهر والمجزاة بالتوسل به اقل من طرفة عين الذي هو نور مع نور ونور من نور ونور في نور ونور على
نور ونور فوق كل نور النور معروف وقد مر كثيرا ما يطلق على ما تبين الاشياء وعلى ما يتسبب
للخير على ما يتوسل به الى المطالب الحقة ومن ثم يطلق على الله تعالى في لسان الشرع والسنة الحكماء و
حتى قيل انه نور الانوار لانه يصدر منه الانوار كلها وعلى الاسم الاعظم وعلى غيره من اسمائه تعالى وعلى
ما هي بنادية من الخيرات وعلى نبينا والائمة الطاهرين عليهم السلم وعلى القران الكريم اذا عرفت هذا
فنقول لعل المراد منه في قوله مع نور نبينا والائمة عليهم السلم وفي قوله من نور الله جل شانه وتبارك
لانه ناشئ منه وفي قوله في نور القران الكريم وفي قوله على نور الاثار والخيرات والمطالب الحاصلة
والمبالغة في نورانيته محتمله وفي قوله فوق كل نور سائر الاسماء الحسنى هذا ما خطر بالبال والله اعلم
بحقيقة الحال ونور يضيء به كل ظلمة آه هي معروفة ويمكن ان يراد بها الجور والفتنة او الشر او الشبهة على
سبيل الحقيقة او التشبيه والاستعارة والاضاءة ترشيح ومريد بمعنى مارد وهو العاتي المتمرد الشديد
وعنيد بمعنى عاند وهو المائل عن طريق الحق المخالف الراد له مع العلم والمعرفة به وفعله كنصر وسمع وكرم
ولا تقر به ارض ولا تقوم به سماء القرار السكون والثبات يقال قر بالمكان يقر به بالفتح والكسر قرارا اذا ثبت
وسكن والظاهر ان به متعلق بالفعل المذكور وان الباء للسببية او بمعنى مع وانه يفهم منه بحسب المقام عدم
قرار الارض وعدم قيام السماء عند الدعاء به على زوالها من غير حاجة الى تقديره وقال بعض افاضل الثناء
به متعلق بفعل مقدر لا بالمذكور تقديره لا تقر ارض ولا تقوم سماء اذا دعي به عليهما ولا يخفى بعده
لان حذف الشرط واداته وابقاء جزء منه غير معروف والله يعلم ويأمن به كل خائف آه المراد ان شأنه
ذلك ان اراد العالم به ولكنه قد لا يريد لمصلحة او طلب اجر كما لم يرد بنبينا والائمة عليهم السلام مع
احوالهم وبالجملة العالم به لا يفعل كل ما هو قادر عليه وتتصدع لعظمته البر والبحر كما تصدعا لآصف و
موسى عليهما السلام ويستقل به الفلك حتى يتكلم به الملك فلا يكون للموج عليه سبيل الفلك بالضم السفينة
ويذكر وهو للواحد والجمع والفرق بينهما بالاعتبار كما حقق في موضعه والمراد باستقلاله ارتفاعه من قولهم
استقل الطاير اذا ارتفع او ذهابه من قولهم استقل القوم اذا ذهبوا او ارتحلوا وهو اسمك الاعظم الاعظم
الاجل الاجل الاكبر التكرير للتاكيد في عظمته او للتخصيص بالاعظم المخزون عنده تعالى النور الاكبر من ان
يدرك ذاته ونوره وعظمته او من الانوار كلها الذي سميت به نفسك ليس الغرض من التسمية به ان يدعو
هو نفسه به لانه لا حاجة له الى ذلك كما مر في كتاب التوحيد ولا ان يدعوه الخلق به لخصوصه لانهم لا

يعلمونه

يعلمونه بل لاغراض اخر منها ان يدعوه بها اجمالا كما في هذا الدعاء وغيره ويحصل من الدعاء به كل انواع من المطالب كما
لا يخفى على ذوي البصاير واستويت على عرشك الظاهر ان الباء للتعدية اي جعلته مستوليا على عرشك
يجري حكمه واثره عليه لا للاستعانة ولا للمصاحبة لانه تعالى منزه عنهما ولعل المراد بالعرش عالم الملك وهو
عالم الامكان كله وحمله على الفلك الاعظم محتمل والله اعلم اسالك بك وبهم دل على كمال شرف محمد وآله
الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين حيث قرنهم بذاته تعالى في السؤال بعد سؤاله بالاسم الاعظم قوله
وهو جامع للدنيا والآخرة لاشتماله على مصالحهما ومنافعهما والاحتراز عن مضارهما وما يليق بالواجب
من صفات الكمال ونعوت الجلال يقول بعد الحمد والثناء قد مر انه ينبغي تقديم التحميد والتمجيد على الدعاء
وطلب المقاصد والمطالب وترتيب بعضه وافضله التمجيد المذكور في اول الصحيفة السجادية اللهم انت الله
انت مبتدا او خبر وهو اولى لافادة الحصر فقوله لا اله الا انت على الاول تاسيس وعلى الثاني تاكيد للحصر الحليم
الكريم اي متأن عن عقوبة العاصي غير مستعجل فيها وجواد لا ينفد عطاؤه وهو بيان للمتقين لا الا
اذ لا ابهام فيه بل لان يجعل الثناء بالتوحيد لازما له وانواعه محققا لا شبهه فيه وقس عليه البواقي العزيز الحكيم
اي الغالب القوي الذي لا يغلب والحاكم القاضي بالحق ان الذي يحكم الاشياء ويتقنها والحكيم على الاول بمعنى فاعل
وعلى الثاني بمعنى مفعل الواحد القهار هو الواحد الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه غيره او الذي لا نظير له
ولا مثل ولا يتجزى ولا ينقسم وهو القهار اي الغالب على جميع الخلائق مبالغة من قهره اذا غلبه الملك القادر
لانه مالك رقاب الممكنات ومتوليها يحكم فيها ما يشاء كيف يشاء وخير الخلائق على ما اراد من امر او نهي او جبر
بها بعض حقايق الممكنات بوجوداتها او علا فوقهم بحيث لا تناوله ايدي الافكار والاوهام الرحيم الغفار
لوصول فيض رحمته الى العالمين ووقوع نعم مغفرته الى المذنبين ففيض رحمته معد للعالمين وخوان مغفرته
مبسوط للمذنبين الشديد المحال اي شديد المكايد او الاهلاك او العقوبة على اعدائه ووصفه تعالى بها باعتبار
المتعلق وفي ق المحال ككتاب الكيد وروم الامر بالحيل والتدبير والمكر والقدرة والجدال والعقاب
والعذاب والعداوة والقوة والشدة والاهلاك محله مثلثة الخاء محلا ومحالا كاده الكبير المتعال اي العظيم
المتعالي عن صفات الخلق من الكبر بالكسر وهو العظمة يقال كبر ككرم اي عظم فهو كبير السميع البصير اي
العليم بالمسموعات والمبصرات بذاته لا بتوسط الآلة كالاذان ونحوه فالسمع والبصر فيه عز وجل
نوعان من مطلق العلم والتسمية باعتبار المتعلق المنيع القدير المنيع في حقه تعالى القوي الذي يمنع عن اهل
طاعته ويحوطهم وينصرهم وقيل يمنع من يريد ومن خلقه ما يريد ويعطيه ما يريد والقدير ابلغ من القادر

من المبالغة وينفذ كل ما اراده بحيث لا راد لارادته ولا مضاد لقدرته الغفور الشكور هما من ابنية المبالغة يعني يستر ذنوب العباد وعيوبهم ويتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم ويشكر قليلا من اعمالهم ويجعله كثيرا ويثيبهم لهم الجزاء ويعطيهم جزيلا الحميد المجيد في بعض النسخ الحميد المحمود على كل حال يعني في السراء والضراء والشدة والرخاء والمجد في كلام العرب الشرف الواسع وهو ماجد مفضال كثير الخير شريف والمجيد فعيل منه للمبالغة وقيل هو الكريم الفعال وقيل اذا قارن شرف الذات حسن الفعال سمي مجيدا وفعيل ابلغ من فاعل فكانه يجمع معنى الجليل والوهاب والكريم وانت الله لا اله الا انت الغني الحميد في العدة الغني هو المستغني عن الخلق وعن الاعانة فلا يعرض له الحاجة وبكماله وقدرته عن الالات والادوات وكل ما سواه محتاج في وجوده فهو الغني المطلق و هذه الفقرة مكتوبة في الاصل معلمة بالنسخة الغفور الودود في بعض النسخ الودود وفعول بمعنى مفعول من الود بمعنى المحبة يقال وددت الرجل اوده ودا اذا احببته فالله تعالى مودود اي محبوب في قلوب اوليائه او هو فعول بمعنى فاعل اي انه يحب عباده الصالحين يعني يرضى عنهم الحنان المنان هما من ابنية المبالغة والاول معناه الرحيم لعباده او الذي يقبل من اعرض عنه من الحنان بالفتح والتخفيف وهو الرحمة او من الحنين وهو الشوق الى الشيء والميل اليه والتعطف عليه والثاني معناه المنعم المعطي من المن وهو العطاء لا من المنة او المحسن الى من لا يطلب الجزاء عليه الحليم الديان الحليم ذو الصفح والاناة وهو الذي لا يعجل بجهل الجاهلين ولا عصيان العاصين والديان من الدين بمعنى الجزاء وهو الذي يدين العباد بجزيهم باعمالهم وقيل من الدين بمعنى القهر والديان القهار وهو الذي دان كل شيء على ما اراد اي قهرهم عليه فاطاعوه وكما قالت السموات والارض ائتينا طائعين واعلم ان الدين في اللغة ايضا الغلبة والاستعلاء والملك والحكم والتدبير ويمكن ان يكون الديان منه بهذه المعاني ايضا الجواد الماجد قال صاحب العدة الجواد المنعم المحسن الكثير الانعام والاحسان والفرق بينه وبين الكريم ان الكريم الذي يعطي مع السؤال والجواد الذي يعطي من غير سؤال وقيل بالعكس الواحد الاحد الواحد المنفرد بالذات والاحد المنفرد بالمعنى وبعبارة اخرى الواحد الفرد الذي لم يزل بلا جزء ولا تركيب ولا تعدد ولا تكثير ولا يجمع هذين الوصفين الا الله سبحانه اذ كل موجود سواه وله نظير وشبيه ولو ببعض الوجوه وجزء وتكثر وان كان بسيطا ومن ثم قيل لا وحدة في عالم الامكان الغائب الشاهد اي الغائب عن مدارك العقول والاوهام والشاهد العالم الذي لا يعزب عنه شيء كما صرح به ابن الاثير في نهايته قال فاذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم واذا اضيف الى الامور الباطنة فهو الخبير واذا اضيف الى الامور الظاهرة فهو الشهيد ويمكن ان يراد به الشاهد على الخلق يوم القيمة والحاضر عند كل شيء باثاره وقدرته

وآيات

٣١٠

وآيات عظمته الظاهر الباطن اي الظاهر بالحجج والدلائل والاعلام والباطن المحتجب عن ادراك الحواس والعقول والاوهام فهو ظاهر جلي بوجود ذاته وباطن خفي بكنه ذاته وحقيقة صفاته وقيل المراد بظهوره انه ظهر فوق كل شيء وعلا عليه وبطونه انه داخل كل شيء يعني انه عالم بواطن الاشياء كعلمه بظواهرها بكل شيء عليم ولمن زعم انه لا يعلم الجزئيات ومن زعم انه يعلمها بالاجمال دون التفصيل وتحقيقه في كتاب التوحيد تم نورك فهديت عبادك الى ما فيه صلاحهم ونظامهم في الدنيا والاخرة ولعل المراد بالنور القرآن الكريم وتمامه اشتماله على جميع ما يحتاجون اليه من امر الدين والدنيا وكل ما كان وما يكون وما هو كائن او آيات وجوده وبراهين قدرته او محمد صلعم وتمامه بلوغه غاية الكمال وبسطت يدك فاعطيت كلا ما يليق به ويصلح به امره وبسط اليد كناية عن غاية الجود والكرم يقال فلان طويل اليد اذا كان سمحا جوادا ويمكن ان يراد باليد النعم مجازا او بسطها ظاهر ربنا وجهك اكرم الوجوه اي ذاتك وصفاتك اكرم الذات والصفات واجلها ويمكن ان يراد بالوجه من يتوجه به الى الله وهم النبي والائمة عليهم السلم وجهتك خير الجهات الجهة مثلثة الجانب والناحية كذا في ق والتفضيل فيهما باعتبار تقدير الفعل وفرضه في المفضل عليه وعطيتك افضل العطايا واهناها اهنا اسم تفضيل من هنأ في الطعام فهو هني اي سائغ او آت من غير تعب ولا مشقة اما انها افضل فلانها من جواد عظيم ومنعم كريم عوائد نعمه منشورة للاعداء والجان وموائد كرمه مبسوطة في ساحة الامكان واما انها اهنا فلانها غير مكدرة بالمنة ولا منقصة بالضنة ولا محصلة بالمشقة لحصول اكثرها من غير ان يخطر بالبال وبعضها بمجرد السؤال نطاع ربنا فتشكر اي فتثيب بالطاعة مع انك اهل لها بالذات وهي حق لك فالاثابة تفضل منك لا حق عليك وتعصى ربنا فتغفر لمن شئت مع ان العصيان يقتضي العقوبة والخذلان فالمغفرة ايضا تفضل منك وتجاوز عن حقك وقوله لمن شئت لدفع الاغترار بالاعتداد وللايقاع بين الخوف والرجاء وتجيب المضطرين كما هو المجرب والمذكور في الكتاب المبين وفي الكنز اجابة جواب دادن وتكشف السوء اي ترفعه والسوء بالضم ما يكرهه الطبع ويثقل عليه من النوائب والمصائب والبلايا وغيرها واما السوء بالفتح فمصدر سؤته ساءه سوءا اذا فعل به ما يكره وتقبل التوبة هي الندامة على الذنب والعزم على عدم العود اليه واختلفوا في ان قبولها واجب عليه ام لا والبحث فيه في علم الكلام وتعفو عن الذنب قيل العفو الصفح عن الذنب وترك مجازاة المذنب وقيل العفو محو الذنوب ماخوذ من عفت الريح الاثر اذا درسته ومحته وهو ارفع واعلى من المغفرة لان غفر الذنوب هو سترها وقد يحصل مع بقاء اصلها بخلاف العفو وهو المحو فانه ازالتها اساسا وقلعا

لانها جملة لا يجازى اياديك الايادى جمع اليد بمعنى النعمة والاحسان ولا ريب في انها غير محصورة
ولا في ان اجزاء غير المحصور يعنى الاتيان بالطاعة والحمد والشكر في مقابل كل واحد غير مقدور للعبد على ان
كل واحدة من نعمته لكونها امرا عظيما لا يعلم قدرها الا هو لا يمكن مقابلتها بالجزاء على قدرها ولا تحصى نعمك
كما قال تعم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وان اردت ان تحقق لك ذلك فانظر الى شئ من نعمائه عليك وهو
اصل وجودك واعضائك وجوارحك ومنافعها فانك تجد نفسك عاجزة عن احصائها قال المحقق الطوسي
شرحت خواص ما وجدة من اعضاء الانسان ومنافعها في ازيد من الف ورق وما ذكرت عشرا من اعشارها
ولا يبلغ مدحتك قول قائل المدحة بالكسر ما يمدح به والسر فيه ان المحامد غير محصورة لا يمكن الاحاطة
بها على ان كلا من القول اللفظى والنفسى ممكن له حدود وكيفيات وصور ومفهومات لا يمكن وصفه تعالى
به نعم هو دليل على مدحه له في نفس الامر لا يحيط به السنة المادحين ولا يبلغ اليها عقول الواصفين
اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم بكشف غمهم وظهورهم ولتهم بظهور القايم المنتظر عجل وروحهم
وراحتهم وسرورهم الروح بالفتح الراحة فالعطف للتفسير وحمله على راحة الشيعة والاصحاب اقرباء
ان راحتهم راحتهم عليهم السلم بعيد وقراة الروح بالضم وتفسيره بامر النبوة او حكم الله تعم وامره ابعد و
عطف السرور على ما قبله من باب عطف المسبب على السبب واذقنى طعم فرجهم تشبيه الفرح بالعسل في الميل
الطبع اليه ورغبته فيه مكنية واثبات الطعم له وهو الحلاوة تخييلية والاذاقة ترشيح واهلك اعدائهم
من الجن والانس المطلوب اهلاكهم الان او بسيف صاحب الزمان عم وانصاره من اهل الايمان والاول
اظهر واتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار يمكن ان يراد بالحسنة الاولى
الجهاد مع امام عادل وبالثانيه ثواب المجاهدين وان يراد بالاولى متابعته وبالثانيه مصاحبته وقال
الشيخ ابو الفتوح في تفسيره روى عن امير المومنين على عليه السلام ان الاولى زوجة صالحة والثانيه حور
العين وعذاب النار زوجة سليطة موذية وقال الحسن البصرى الاولى العلم والعبادة والثانيه الجنة
وقال مقاتل الاولى الرزق الواسع والثانيه المغفرة والثواب وقال عطية الاولى العلم والعمل والثانيه
الثواب والمساهلة في الحساب وقيل الاولى التوفيق والعصمة والثانيه النجاة والرحمة وقيل الاولى
الولد الصالح والثانيه صحبة الانبياء والصلحاء وقيل الاولى المال والنعمة والثانيه تمام النعمة وهو النجاة
من العقوبة والدخول في الجنة وقيل الاولى الاخلاص والثانيه الخلاص وقيل الاولى والثانيه كلاهما
حسن العمل فيه انتهى كلامه واعلم ان هذا الكلام الشريف بحر لا ينزف يندرج فيه خيرات الدنيا والاخرة كلها

واجعلنا

واجعلنا بالتوفيق للخيرات والاجتناب عن المنهيات من الذين لا خوف عليهم في الاخرة من نزول
الهوان ووصول الخذلان ولا هم يحزنون فيها من فوات الثواب ولحوق العقاب وهم قوم امنوا بالله
وزهدوا في الدنيا ورغبوا في الاخرة واجعلني من الذين صبروا على تحمل البلايا والمصيبات ومشاق التكليفات
واذى الفاسقين والفاسقات وعلى ربهم يتوكلون في جميع الامور وهم الذين علموا ان الصبر على ما ذكر
سبب للكرامة والثواب وان التوكل موجب للتفرغ للعبادة والتخلص من الاضطراب فصبروا على ذلك
فصاروا من المكرمين وتوكلوا على الله واشتغلوا بالعبادة فصاروا من المقربين الذين يغبط الناظرين
مرتبتهم ويتمنى العارفون منزلتهم وثبتنى بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وهو القول
بالتوحيد والرسالة والولاية وفيه طلب لحسن العاقبة التى يخاف منها العارفون ويضطرب في ابرها
الزاهدون كما في قوله تعالى حكاية عن الصالحين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وفي يتعلق بالثبات
او بثبتنى او بهما على سبيل التنازع وبارك لى في المحيا والممات والموقف البركة الزيادة والدوام والثبات
والسعادة اى اسعدنى في هذه الاوقات او زاد او اثبت وادم لى فيها التشريف والكرامة والموقف موقف
القيمة وحمله على القبر محتمل لانه محل الوقوف الى البعث وسلمنى على الصراط واجرنى عليه سالما من السقوط
بالكسر وسلمه الله منه والصراط جسر ممدود على جهنم والاشقياء يتساقطون منه والسعداء يمرون عليه
على التفاوت في السرعة والبطوء بعد التفاوت في الكمال وارزقنى علما نافعا هو العلم بالدين وبما
هو المطلوب فيه مع العمل بمقتضاه ويقينا صادقا هو الاعتقاد الجازم بما هو حق في الواقع واحترز
بالصدق عن الاعتقاد بالباطل فانه يقين عند الجهلة غير صادق ويحتمل ان يراد باليقين الصادق اليقين
المستقر الراسخ في القلب او اطلاقه على غير الراسخ كاذب وتقى وبرا او ورعا تقى بالتنوين مصدر تقول
تقيت الشئ اتقيه تقى اذا حذرته والمراد به الاحتراز من المعاصى والبر بالكسر الصلة والاتساع بالاحسان
الى الناس والطاعة لله تعم والورع محركة الهدى وحسن الهيئة والكف عن المحرمات والمشتبهات والحلال
الذى يودى الى احدهما واعلى مراتبه الكف عن كل ما يشغل القلب عن الله تعم وخوفا منك قال المحقق
الطوسى في اوصاف الاشراف هو تالم النفس من العقاب بسبب ارتكاب المنهيات والتقصير في الطاعات
كما في اكثر الخلق وقد يحصل بمعرفة عظمة الحق ومشاهدة هيبته كما في الانبياء والاولياء وفرقا يلحقنى
منك زلفا ولا يباعدنى عنك زلفى تحلى القرب والمنزلة كالزلفة بالضم ومنك متعلق بها والا للاخ
الايصال والفرق بالتحريك الفزع الشديد والخوف ولعل المطلوب الخوف المحرك الى فعل الطاعات وترك ٢١١

المنهيات وهو المقرون بالرجاء فانه بدونه سبب للقنوط الموجب للبعد عنه تم واحببنى ولا تبغضنى رحمته
تعالى للعبد الاحسان اليه والاكرام عليه وبغضه له تبعيده عن رحمته وتعذيبه بنقمته وتولنى ولا
تخذلنى تولاه اتخذه وليا وخذله ترك نصرته ووكله الى نفسه واعطنى من جميع خير الدنيا والاخرة ما
علمت منه وما لم اعلم ما مفعول ثان للاعطاء والعايد اليه محذوف وضمير منه راجع الى الخير او الى الجميع و
انما طلب الاعطاء من جميع الخير يعنى من كل نوع منه بعضه لا جميعه لان جميع الجميع كما ذكرناه سابقا
واجرنى من السوء كله بحذافيره كله تاكيد للشمول دفعا لارادة عدمه وبحذافيره تاكيد آخر لدفع استبعاد
الشمول مع كثرة انواع السوء وافراده والحذافير بالفتح جمع الحذفار بالكسر وهو جانب الشئ واعلاه يقال
اعطاه بحذافيره اى باسره او بجوانبه او باعاليه قوله الا تخصنى بدعاء خصه بالشئ فضله ثم قال ابو عبد الله
عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انعم المجيب انت وفى بعض النسخ نعم المجيب ونعم المسؤول
ونعم المسؤول كانه صلى الله عليه وآله قاله للترغيب فى الدعاء بهم وكونه جزء هذا الدعاء بعيد عن سياق الكلام واسلك بنور
وجهك يحتمل ان يراد بالوجه ذاته وفى القاموس الوجه ذات الشئ اى نفس الشئ والاضافة لامية اذ به نعم ظهور الوجود
والموجودات كلها وان يراد به محمد صلى الله عليه وآله وهو نور كما صرح به فى ق ودلت عليه الاخبار او علم فالاضافة
بيانية او لامية ودرعك الحصينة فى ق درع حصين وحصينة محكم ولعل المراد بها والله اعلم دينه
الحكم الذى لا يطرء عليه نسخ وتغير قطعا او صفاته الحكمة التى لا تتصف بالنقص والزوال اصلا
او درع النبى وهى السيف والمغفر والدرع وغيرها من الآت الحروب المحكمة عند اهلها وهو الآن عند
الصاحب ع وبجمعك وادكانك كلها لعل المراد بالجمع الانبياء والملائكة عليهم السلام قال فى المغرب الجمع
الجماعة تسمية بالمصدر يقال رايت جمعا من الناس وبالاركان الاوصياء والاولياء عليهم السلام و
ما بعده من باب ذكر الخاص بعد العام لكمال الاهتمام قوله يا من ارجوه لكل خير من خير الدنيا والآخرة
وينبغى ان يقوم القائل قلبه فى ذلك القول لئلا يكون كاذبا والظاهر ان تمسكه بالاسباب مع اعتقاده
على مسبب الاسباب لا ينافى ذلك ويا من امن سخطه عند كل عثرة لا لاستحقارها ولا للتوهم عدم
علمك بها او بعجزك عن الاخذ بها حاشا بل لحلمك عن الاخذ وصفحك عن الانتقام والعثرة فى الاصل
المرة من العثار فى المشى ثم شاع استعمالها فى عثرة النفس فى الخطايا ووقوعها فيها تشبيها للمعقول
بالمحسوس فى عدم الاستقامة لقصد الايضاح ويا من يعطى بالقليل من العمل الكثير من الثواب كما نطق
به القرآن الكريم وفى ذكر الامن من العثرة واعطاء الكثير بالقليل بسط رجاء بحصول المطلوب

بلى

يا من اعطى من سأله تحننا منه ورحمة التحنن الترحم والتعطف وفى الكنز تحنن مهربانى كردن يا من اعطى من لم يسأله ولم
يعرفه اكثر عطاياه كذلك فانك لو تاملت وجدت اكثرها من غير سؤال ومعرفة وفيه بسط رجاء بما ذكر ونعم ما قيل
ان كريمى كه از خزانه غيب گبر وترسا وظيفه خور دارى دوستان را كجا كنى محروم تو كه با دشمنان نظر دارى و اعطنى
بمسألتى الباء للسببية والمسألة والسؤال واحد فلنز غير مغوصى ما اعطيتنى الفا للتعليل والظاهر ان القصر المقصود
للشأن وان الموصول مبتدأ خبره مقدم للحصر يعنى ان ما اعطيتنى قبل السؤال لا ينقص فيه بحسب الكم والمقدار و الكيف
فذلك يعنى على السؤال وطلب الزيادة ففيه شكر للواصل وطلب لحصول غير الحاصل ووسيلة له كما قال و زدنى
من سعة فضلك فيه ايماء الى ان عطاياه كلها من باب التفضل بدون الاستحقاق وفى ذكر السعة اشارة الى كمال
الرجاء بحصول المطلوب قوله اللهم ارفعنى صاعدا اى طيبا بالرحمة والمغفرة والاحسان وصعوده عبارة عن الصدق
والقبول وعدم الجنة والخسران ولا تطمع فى عدو ولا حاسد لا تصرف قلوبهم ودفع همتهم ولا تطمع من الطمع
يقال طمع فيه طمعا والطمعة غيره واحفظنى قائما وقاعدا اى قائما وطايف الطاعات وقاعدا عنها او المراد بهما
المعنى المعروف ويقظانا وراقدا اى فى حالتى التذكر والغفلة او المراد بهما ايضا المعنى المعروف اللهم اغفر لى ما سلفت
من الذنوب واعصمنى من الاتيان بمثلها فيما بقى من عمرى واهدنى سبيلك الاقوم وهو الدين القويم والصراط
المستقيم اى ثبتنى فيه او وفقنى لرعاية حقوقه كلها بالعمل والعلم وقنى حر جهنم بالتوفيق للتجنب عن مقتضياته
او بالتفضل بعد حفظ اصل الايمان واحطط عنى المغرم والمأثم فى نه المأثم الامر الذى يأثم به الانسان وهو الاثم
نفسه وصفا للمصدر موضع الاسم والمغرم مصدر وضع موضع الاسم ويريد به مغرم الذنوب وقيل المغرم
كالغرم وهو الدين واجعلنى من خيار العالم بالتوفيق للعمل بعلمهم والاقتداء باثرهم والعالم بفتح اللام و الكسر
محتمل قوله ادعوك ما لا طاقة لى به ولا اصبر لى عليه الموصول شامل لفعل الطاعات وترك المنهيات ونزول البليات
فان كل ذلك والصبر عليه ثقيل على النفس الا بلطف الله وتوفيقه قوله فانت من دعاء الالحاح الح
على الشئ اذا لزمه واصر عليه وثبت فيه اللهم رب السموات السبع اى مربيها ومبلغها الى كمالها وما لكها و
حافظها انى اسألك بالذى تقوم به السماء وهو ذاته تعالى او علمه او قدرته والح فى الطلب بالتثبت والتوسل
بالوسائل التى هى مقبولة عنده سبحانه كالائمة عليهم السلام قوله اللهم امله قلبى حبا لك آه حتى لا يكون فيه
موضع لغير هذه الامور وفيه طلب لتنزيه القلب عن غيره تعالى وتفريغه عما سواه اللهم حبب الى لقاءك اى لقاء
رحمتك بالموت او البعث وحب اللقاء من صفة الاولياء كما نطق به القرآن الكريم واجعل لى فى لقائك خير الرحمة
والبركة وهو الفوز الكامل الذى لاوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والحقنى بعد الموت بصالح من مضى

٣١٢

من الانبيآء والرسل والاوصيآء عليهم السلم وغيرهم واجعلني في خال الحيوة مع صالح من نبي وهذه الجملة كالتفسير لما
تقدمها وخذ بي سبيل الصالحين في الكنز اخذ فراكرفتن وشروع كردن ورفتن والاخير هو المراد هنا والبا للتعدية يعني
اذهب بي في سبيلهم وسيرني فيه واعني على نفسي في دفع هواها وترك شهواتها بما تعين به الصالحين على انفسهم
من القدرة والقوة والتوفيق واللطف والنصرة ولا تخزني مع الاشرار هذا غير موجود في بعض النسخ ولا تردني في
شر استنقذتني منه المراد بالشر البلية والكفر والشك بالحق واهله وغيرها مما يفسد نظام الدنيا والدين او كليهما
اسئلك ايمانا لا اجل له دون لقائك اي ايمانا ثابتا مستقرا دائما لا ينقطع قبل الموت ولا بعده والاجل الوقت المضروب
المحدود لشيء في المستقبل يحييني اي تاكيدا للسابق ولذلك ترك العاطف وابرا قلبي من الرياء والسمعة والشك في دينك
الرياء فعل الخير لغير الله سبحانه او كره لغيره والسمعة بالفتح وبعضهم ويحرك ما فعل من الخير وتنوه بذكره ليسمعه الناس
ويحمدوا عليه وبينهما مع تقاربهما في كون الفعل لغيره تفاوت من وجهين احدهما ان المقصد في الرياء رؤية الغير ليعتقد
بفاعله والمقصد في السمعة هو اسماع الغير ليذكروه وينشروه ويحمدوا فاعله عليه وثانيهما ان الرياء مصدر والسمعة اسم
والشك في الدين شامل للشك في اصل الدين والشك في شيء من اجزائه واحكامه وادلته والشك نوع ضعيف او ضعف
وفيه اللهم اعطني نصرا في دينك بالتوفيق لترويجه ونشر احكامه وادابه بين الخلق والعلماء وحفظه عن الزيادة والنقصان
وقوة في عبادتك من الواجبات والمندوبات في آناء الليل وساعات النهار وفهما في خلقك وهو جودة مقبولة
الذهن لاكتساب المطالب بسهولة وسرعة انتقال من المبادي الى المقاصد وكفلين من رحمتك الكفل بالكسر الضعف
وقد يقال الحظ والنصيب والكفلان احدهما في الدنيا بسلوك سبيل الحق وانتظام الاحوال فيها والاخر في الاخرة
بسلوك سبيل الجنة والدخول فيها او كلاهما في الاخرة احدهما للنصرة في الدين والاخر للاجتهاد في العمل او احدهما
التخلص من النار والاخر الدخول في الجنة او احدهما الدخول في الجنة والتنعم بنعيمها والاخر التلذذ باللذات الروحانية
ومشاهدة انوار العظمة الالهية والتشرف بالفيوضات الربانية المعدة لك ولاوليائك الطالبين لوجه الله المعرضين
عما سواه وبيض وجهي بنورك يوم تسود فيه الوجوه وهو النور الطاعة والعبادة او نور من فيضه ثم تنضر
وجوه المؤمنين وتشرق كالشمس المضيئة ففيه طلب للنضرة والحسن والجمال واجعل رغبتي فيما عندك من الفضلات
الجليلة والمثوبات الجزيلة والكرامات الجميلة وعلامة ذلك الاشتغال باعمال العبودية وقطع الطمع عما في ايدي
الناس من الزهرات الدنيوية وتوفني في سبيلك على ملتك وملة رسولك اي توفني وانا على هذا الوصف وسبيل
الله عام يقع على كل عمل خالص يتقرب به الى الله تعالى ويطلق كثيرا على الجهاد حتى كانه مقصور عليه والملة
بالكسر الدين اللهم اني اعوذ بك من الكسل والهرم الكسل التثاقل عن الشيء والفتور فيه والهرم محركا اقصى الكبر وانما

استعاذ

٣١٣ استعاذ من امثال منها لان الاول يوجب ثقل الحق والفتور في اداء والثاني يوجب الخرق واختلال الحواس
والفعل وعدم العلم وتشويش المنظر وكثرة المشقة وهذا منه تعليم للامة والجبن والبخل صفة للنفس
يوجب عدم الاقدام على الشيء والبخل صفة لها توجب منعها من اعطاء ما ينبغي واستعاذ منهما لانهما
من التقصير على القيام بالحقوق وترك الغلظة على اهل المعاصي اذ بشجاعة النفس يقيم الحدود والحقوق وبنصر
المظلوم وبالكرم يودي حقوق المال ويواسي منه ويلم به شعث المساكين ثم استعاذ بربه من امثال هذه
الامور فاعلم براءة ساحة عصمته عنها يشعر بجواز الدعاء فيما علم السلامة منه وذلك لان للدعاء فايدتين
الاولى تحصيل المطلوب والثانية كونه عبادة ولاظهار للعجز والعبودية فان انتفت الاولى بقي الثانية قد عاوده
من هذا القبيل فاعلم براءته ساع مافيه من انه تعليم للامة والغفلة والقسوة الغفلة صفة للقلب توجب ترك
الحق وعدم ذكر الموت ومتابعة والميل الى الباطل وحب الدنيا والقسوة الصلابة والغلظة والقلب القسي القلب الغليظ
الردي الذي يقرب من الشر ويبعد من الخير والفترة والمسكنة الفترة ضد الحدة وهو ضعف القلب من تحصيل العلم
والعمل والقيام بالاحكام والحدود ورعاية الحقوق والمسكنة فقر النفس عن متاع الاخرة او عن متاع الدنيا الذي
يؤدي عدمه الى انكسار الظهر وسؤال المال والفقر الممدوح هو القدر الكفاف واختلف الاخبار في مدح الفقر
وذمه ومحلهما ما ذكرنا في شرح الاصول واعوذ بك يا رب من نفس لا تشبع من متاع الدنيا كلما وجدت
منه شيئا طلب الزيادة تعلقت بامال بعيدة في تحصيلها ومن قلب لا يخشع الخشوع الخضوع والصبر والسكون
والتذلل وهو وصف للقلب ثم يسري اثره في الجوارح فتقوم كل منها على ما هو مطلوب منه ومن دعاء لا يسمع
اي لا يستجاب ولا يعتد به ولا يقبل لفقد شرائط القبول فكانه غير مسموع ومن صلوة لا تنفع لنقص في شيء من
اركانها وشرائطها لا يجيرني منك احد ان اردت الاخذ والعقوبة هذا وان كان خبرا لكن المقصد منه هو الاعتراف
بالتقصير وطلب الاجارة منه ولا اجد من دونك ملتحدا اي ملتجأ واصل الالحاد الميل والملتجى الى احد مايل
اليه وفيه ايضا اعتراف بالتقصير وطلب التجاوز عنه فلا تخذلني بالرد في الالتجاء ولا بترك النصرة في الامور ولا
تردني في الهلكة هي محرك الهلاك والمراد به الهلاك بالمعاصي والذنوب والغرض طلب التوفيق والنصرة في
تركها ولا تردني بعذاب في الاخرة والدنيا من سوء عملي والباء بمعنى في او للسببية بتقدير الاستحقاق اليك رغبت
الظرف متعلق بما بعده والتقديم للحصر الحقيقي وليس المقصد افادة الحكم او لازمه لان المخاطب عالم السر والخفيات
بل المطلوب اظهار التوقع لحصول المرغوب اللهم غارت النجوم في الكنز الغور جريء مومين فزوبردن ومنه
قوله تعالى اصبح ماؤكم غورا وقولهم غارت الشمس اذا غربت والغور ايضا الانخفاض يعني غابت النجوم وانحطت وهبطت

عن ضوء النهار بعدما احدث في الارتفاع والمراد بها النجوم الطالعة عند غروب الشمس والغرض هو الثناء عليه
جل شانه بالتصرف والتدبير فيها والتحسر عن غفلة الناس عنه كما اومأ اليه بقوله وبنات الحول فقطعت
من مشاهدة تلك الغرايب والتفكر في هذه العجايب وانت الحي القيوم اي الفعال المدرك للموجودات والاكرام
القايم بحفظها وتدبيرها حتى لا يتصور وجود شيء ولا بقاؤه ولا زواله الا به قال القاضي القيوم فيعول من
قام بالامر اذا حفظه لا يوارى منك ليل ساج المواراة الستر وساج اسم فاعل من سجى بمعنى ركد واستقر يعني
لا يستر منك ليل راكد ظلامه مستقر قد بلغ غايته كذا في المصباح ويمكن ان يكون سجى بمعنى غطى قال ابن الاثير
في حديثه الليل الساجي لانه يغطي بظلامه وسكونه يعني لا يستر منك شيئا الليل يغطي الاشياء بظلامه ولا سماء
ذات ابراج ولا ارض ذات مهاد في المصباح المهاد جمع مهد اي ذات امكنة مستوية ممهدة انتهى وفيه تامل
ويمكن ان يكون جمع مهدة بالضم كبرام جمع برمة بالضم للقدر والمهدة ما ارتفع من الارض او ما انخفض منها في سهولة
واستواء وانما وصف السماء والارض بما هو من خواص حسنهما للمبالغة والتاكيد في شمولها لجميع افرادهما ولا
بحر لجي في المصباح لجي بضم اللام وقد تكسر وتشديد الجيم المكسورة اي عظيم وفي بحر لجة البحر معظمه ولا ظلمات
بعضها فوق بعض كظلمة بطن الحوت وظلمة جسده وظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة السحاب الساترة لانوار الكواكب
فان هذه الظلمات المتراكمة لا تستر منه ما في بطن الحوت تدلج الرحمة على من تشاء من خلقك في النهاية يقال ادلج بالتخفيف اذا
سار من اول الليل وادلج بالتشديد واذا سار من آخره والاسم منهما الدُّلجة والدَّلجة بالضم والفتح ومنهم من يجعل
الادلاج السير في الليل كله وفي المصباح الادلاج السير في الليل وربما خص بالسير في اوله اقول وربما يخص بالسير
في السحر والمعنى على اي تقدير رحمتك وامانك وتوفيقك ولطفك الى من تشاء من خلقك ولولا ذلك لم يهتد
من احد خيرا والغرض منه اظهار الشكر على تلك النعمة وطلب الزيادة عليها تعلم خائنة الاعين في النهاية يعني الخيانة
وهي من المصادر التي جاءت على لفظ الفاعل كالعافية والمراد بخيانة الاعين غمزها والنظر الى ما لا يجوز النظر اليه
وما تخفي الصدور من المضمرات والخاطرات التي لم يظهر اثرها من الجوارح اشهد بما شهدت به على نفسك لعله التوحيد
في قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم اللهم انت السلام في النهاية قيل معناه سلامته مما يلحق الخلق
من العيب والفناء والسلام السلامة يقال سلم يسلم سلاما وسلامة ومنه قيل للجنة دار السلام لانها دار السلامة
من الآفات ومنك السلام اي السلامة من الآفات والعاهات قوله في صورة دحية الكلبي في النهاية دحية الكلبي هو
دحية بن خليفة احد الصحابة كان جميلا حسن الصورة ويروى بكسر الدال وفتحها وفي كتاب اكمال الاكمال الشرح
كان دحية الكلبي حسن الصورة ولذلك تمثل جبرئيل عليه السلام بصورته وكان من نجباء اصحابه ص وبقي الى خلافة معوية

وارسله

وارسله رسول الله صلى الله عليه وآله الى قيصر سنة ست وآمن قيصر وابت بطارقته ان يؤمنوا فاخبر بذلك رسول
الله صلى الله عليه وآله فقال ثبت الله ملكه وفيه منقبة عظيمة لابي ذر وجواز رؤية الملائكة على صورة
الآدميين ولكنهم لا يعلمون انهم ملائكة لانهم لا يقدرون على رؤيتهم في صورهم الاصلية وكان رسول الله صلعم
يراه في صورة دحية وقد راه ايضا في صورته الاصلية مرارا وفيه ان الله سبحانه يجعل صور الملائكة عليهم السلم
متى شاء في اي صورة وانما كان يريه في صورة الانسان ليوانسه ولا يهوله لعظم خلقه كذا قال المازري اللهم
اني اسالك الامن من الشيطان والنفس والعذاب في الدنيا والآخرة وما يوجبه والايمان بك والتصديق بنبيك
في رسالته وما جاء به والمقصود هو الثبات او الزيادة والعافية من جميع البلاء كالفتنة ومصايب الدهر ونوازلها
والفقر الموجب لشغل القلب وكسر الظهر ونحوها والشكر على العافية في الدين والبدن والغنى عن شرار الناس
التقييد للاحتراز عن خيارهم لان طلب الغنا عنهم غير حسن اذ الانسان مدني بالطبع يحتاج بعضهم الى بعض
يدل على ذلك ما مر في باب فضل الفقراء المسلمين من ان رجلا قال لابي عبد الله ع جعلت فداك ادع الله ان يغنيني
عن خلقه قال ع ان الله قسم رزق من شاء على يدي من شاء ولكن سل الله ان يغنيك عن الحاجة التي تضطرك الى ٢١٤
لئام خلقه قوله وكان ابو جعفر ع يسميه الجامع في النهاية الجامع من الدعاء هو الذي يجمع الاغراض الصالحة
والمقاصد الصحيحة او يجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسالة آمنت بالله آه تاكيد لما سبق لانه يدل على الايمان
ولذا ترك العاطف وان وعد الله حق ولقاءه حق عطف على ان اي اشهد ان ما وعدته من ثواب المؤمن
وعقاب الكافر وغير ذلك من الاخبار حق وصدق والمراد بلقائه الموت والبعث وصدق الله آه عطف على اشهد
والحمد لله رب العالمين حمده بالربوبية لان تعليق الحمد بالوصف يشعر بالعلية او بعظم التبليغ او بالتوفيق للشهادات
والايمان والتصديق او بالجميع او به وبغيره من الآلاء وسبحان الله كلما سبح الله شيء آه دال على انه يسبحه كلما سبح
شيء من الاشياء وان من شيء الا وهو يسبحه فيفيد انه يسبحه في جميع الحالات والاوقات والظاهر انه بوجه بعدد
تسبيح كل شيء وفيه اقوال آخر ذكرناها سابقا وقد ذكر الشيخ في المصباح هذه التسبيحات على الوجه المذكور مع زيادة
في باب التعقيب اللهم اني اسالك مفاتح الخير وخواتيمه المفاتح جمع المفتاح وهو آلة الفتح والخواتيم جمع خاتم
الخاتم بالكسر وهو ما يختم به على الشيء من الطين ونحوه وفيه مكنية تشبيه الخير بالمال المخزون وتخييلية باثبات
المفتاح له وترشيح بذكر الختام ثم المراد بالمفتاح اما معناه المعروف كما هو المشهور بين المتاخرين من اهل العربية
او اسباب الخير على سبيل التشبيه كما هو راي صاحب المفتاح والمطلوب نزول الخير وعدم زواله ويمكن ان
يكون مفاتح الخير كناية عن اوايله وخواتيمه عن اواخره بناء على ان الختام جاء بمعنى الاخر ايضا والمقصود طلب

الخير كله من اوله الى آخره وسوابغه وغوايبه وبركاته طلب بعد طلب الخير ثلثة امور الاول الفوز الكامل من كل
نوع منه يقال هو سابغ اى كامل تام واسع واف الثانى فواضله المقصود منه فان حصول الخير لا يستلزم
حصولها كما ترى فى الغنى البخيل والصحيح الناسك لما يطلب من الاحتياط فاحتج الى السؤال الثالث بركته اى
زيادته وسرايته الى آخر فان الخير قد يسرى الى الخير كما ان الشر الى الشر او ثباته او دوامه بعدم طريان النقص
عليه وما لم علمه علمى وما قصر عن احصائه حفظى على فاعل بلغ وعلمه مفعول ولعل اصله علمك اياه حذف الفاعل
واضيف المصدر الى المفعول وانما لم يقل ويبلغه على التنبيه على ان المطلوب ما هو خير فى علمه تعم وباغه ليعم على
بانه خير على فقط لاحتمال ان لا يكون ذلك خيرا فى الواقع وبالجملة تعميم ما هو خير فى علمه تعم على قسمين قسم
بلغه علم الداعى ايضا وقسم لم يبلغه وهو طلب كل واحد منهما فليتامل اللهم انهج لى اسباب معرفته اى ابن و
اوضح من نهجت الطريق اذا ابنته واوضحته والسبب كل ما يتوصل به الى الشئ ومنه الطريق وافتح لى ابوابه مكنة
وتحليته وترشيح وفى جميع الباب ايماء الى ان المقصود انواع الخير كلها وغشنى بركات رحمتك الغشاء الغطاء
التغشيه التغطيه اى غطنى ببركات رحمتك فيض بركات بنزع الخانق ومن على بعصمة عن الازالة عن دينك
العصمة بالكسر المنع والزوال الذهاب والاستحالة زال عنه وازاله غيره واللام فى الازاله عوض عن المضاف اليه
المفعول وهو ياء المتكلم وفاعله محذوف وهو كل مزيل من المعاصى وطهر قلبى من الشك فيك وفى تدبيرك او
دينك وغيرها من الحقوق ولا تشغل قلبى بدنياى وعاجل معاشى اريد بالاول الحاصل وبالثانى غير الحاصل و
كون العطف للتفسير وارادتهما فى كليهما محتمل وفى الكنز معاشى دنياو زندكانى عن آجل ثواب آخرتى اى العمل
له واشغل قلبى بحفظ ما لا يقبل منى جهله من العقايد الحقه والقصد الى الخيرات والفكر لما بعد الموت والعمل له
وذلل لكل خير لسانى اللسان لمتصرف فى المعدومات والموجودات والمعقولات والمحسوسات ليسهل
الى الخيرات كلها دنيويات او اخرويات فلذلك خصه بالذكر وطلب تذليله دون ساير الجوارح وطهر قلبى من الرياء
ولا تجره فى مفاصلى الرياء يدخل فى القلب اولا وفى ساير الجوارح الاعضاء ثانيا لا رفادها تابع لفساد القلب
وفيه مبالغة فى طلب التوفيق لرفعه عن افعال جميع الجوارح واجعل عملى خالصا لك لا بريد به سواك لا بالاعلان
ولا بالاشتراك اللهم انى اعوذ بك من الشر شر الخلايق والنوايب وانواع الفواحش كلها ظاهرها وباطنها
اى جليها وخفيها او بدنيها وقلبيها والفاحشة كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصى وكل خصلة قبيحة
من الاقوال والافعال وغفلاتها الاضافة لملابسة باعتبار ان الفواحش مسببة عن الغفلات من وجه واسبابها
لها من وجه آخر اللهم انى اعوذ بك من طوارق الجن والانس طوارق جمع طارقة لا طارق لان فاعل الوصف

ح

يجمع على فواعل وكل آت فى الليل بخير او شر طارق سمى به لحاجته الى طرق الباب وهو دق والمراد بها هنا الطارق
بالشر وزوابعهم وبوايقهم ومكايدهم الزوابع بالزاء المعجمة والباء الموحدة والعين المهملة من اشتد غيظه و غضبه
وعربد وساء خلقه ودام على الكلام المؤذى وكثر شتمهم والزوبعة اسم شيطان او رئيس الجن والبايقة الشر والظلم
والخصومة والداهية والهجوم بها على الغير حتى يكسره ويقصمه والمكيدة والكيد والمكر والخديعة والخبث والحرب
والحيلة لايصال المكروه الى الغير من حيث لا يعلم ومشاهد الفسقة من الجن والانس المشاهد جمع المشهد وهو محضرهم
ومن ابتدائية لا لبيان الجنس اذ بعض الفريقين ليس بفاسق وان استزل عن دينى فتفسد على آخرتى الواو للعطف
على طوارق الجن والفاء سببية والدالة على ان ما قبلها سبب لما بعدها وتفسد مبنى للفاعل من الفساد او من الافساد
واخرى على الاول فاعله وعلى الثانى مفعوله وفاعله مستتر راجع الى الزلة وان يكون ذلك منهم ضررا على فى
معاشى اى فى تجوبى والواو للعطف على ان استزل وضمير منهم راجع الى الفسقه او الى الطوارق والمآل واحد
وذلك اشارة الى الزلة لا اليهما لان ذكر ما يتعلق بالجملة الاولى بعد الفراغ منها والاتيان بالاخرى مستبعد بل
غير جائز ثم المراد بالضرر اما الزلة المذكورة او ما يترتب عليها اذ الزلة عن الدين توجب تسلط الفسقه من الجن والانس
على صاحبها وسهولة تاثيرهم وسرعة قبوله منهم بخلاف ما اذا كان قويا ثابتا فى الدين ويتولد منه ضرر كثير
ويعرض بلاء يصيبنى منهم لا قوة لى به اى بدفعه ولا صبر لى على احتماله لا قوة اما استيناف او حال عن ضمير المتكلم
او صفة ثانية لبلاء ولعل النكتة فى ايراد احد الوصفين جملة فعلية والاخرى اسمية هى التنبيه على ان الاصابة
متجددة آنا فآنا والقوة منتفية بالمرة على سبيل الاستمرار ثم الظاهر ان البلاء ايضا ضررها وحملنا الضرر على
المعنى الاول والبلاء على ما يترتب على الزلة كما هو ظاهر العبارة فالفرق واضح والاولى ويمكن ان يراد بالضرر
الضرر الدينى وبالبلاء البلاء الدنيوى فليتامل فلا تبتلنى بالكفى بمقاساته فاساه كابده وتحمل مشقته وفى
مقاساة رنج چيزى كشيدن اسألك اللهم الرفاهية فى معيشتى ما ابقيتنى الرفاهية مخففة رغد الخصب و
لين العيش وسعته وهى الكفاف او فوقه معيشة اقوى بها على طاعتك معيشة بالجر بدل المعيشة وما بعدها
مصدرها او بدل او بيان للرفاهية وفيه اشارة الى بعض فوايد تلك المعيشة وهو صرف القوة الحاصلة بها
فى الطاعة دون المعصية وابلغ بها رضوانك كون الضمير راجع الى المعيشة لا الى الطاعة وان كان البلوغ سببها
لئلا تخلو الجملة الوصفية عن ضمير الموصوف والمراد بدار الحيوان الجنة لاتصاف دار حيوة ابدية ولا ترزقنى رزقا
يطغينى وهو الكثير الشاغل للقلب عنه تعم وعن العمل للآخرة والباعث على الطغيان ويفهم منه ان المراد بالمعيشة
المطلوبة الكفاف ولا تبتلنى بفقر اشقى به وهو الفقر الباعث للكفر والسؤال عن الخلق فى كسر الظهر وزوال الصبر

مصنفا على الظلم ان خال عن فاعل لا ابتلى او عرفته واعطنى حظا وافرا فى آخرتى بالفضل او بالتوفيق للعمل له
ومعاشا واسعا اريد به الكفاف وهو تاكيد لما سبق هنيئا مريئا فى دنياى الهنى الطيب المساغ الذى لا ينغص
والمرى محمود العاقبة الذى لا يضر ولا يوذى كذا ذكره الفاضل الاردبيلى ولا تجعل الدنيا على سجنا كناية
عن طلب رفع الفقر وضنك العيش وسوء الحال واذى الخلايق والم النوايب وشدة المصايب ولا تجعل
فراقها على حزنا كناية عن طلب النصرة على العمل لما بعد الموت وصرف القلب عن الركون الى الدنيا والمحبة لها
فان ترك العمل فيها والميل اليها يستلزمان حزنا طويلا وغما كثيرا عند فراقها ومن كادنى فيها فكده اى اريد
بكيده نعم ويكره صرف الكيد والمكر او جزاء اهلهما والتسمية من باب المشاكلة وافقأ عنى عيون الكفرة فقاء العين
كمنع قلعها واعورها افتح عوو لعله كناية عن صرف همتهم بالنظر اليه لقصد الاضرار والقاء المكروه عليه اللهم
وانزل على منك سكينة احتفظ بها قلبى وجوارحى عن الاضطراب واسكن بها فى سبيل الحزم والرشد والصواب
والسكينة الوقار والتانى فى الحركة والسير ويمكن ان يراد بها الرحمة والبسنى درعك الحصينة اى المحكمة التامة
عن سهام المكاره ولعل المراد بها حفظه تعالى واحفظنى بستر الوقى عن المعاصى والذنوب والستر بالكسر ما
يستر به وبالفتح مصدر وجللنى عافيتك النافعة عافيته ان يسلم من الاسقام والبلايا وهى الصحة ضد المرض
والمراد بها السلامة من الاسقام القلبية والبدنية والامراض الروحانية والجسمانية والوصف اما للتوضيح
بناء على ان عافية الله تعالى كلها نافعة او للتخصيص بالفرد الكامل منها وهو النافع من جميع الوجوه او للتنبيه على
ان المطلوب العافية التى يكون معها الافعال المطلوبة من اهل العافية والصحة وصدق قولى وفعالى الاضافة
فيهما لتقييد العموم والتصديق ضد التكذيب ولما كان بينه وبينهما تلازم صدقهما ملاءة زمانا هنا لم يبعد ان يكون كناية
عن كون جميع اقواله صادقة وموافقة للموازين العقلية وجميع افعاله مطابقة للقوانين الشرعية ويمكن ان يكون
المقصود طلب التوفيق للموافقة بين القول وجميع الفعل باعتبار ان مورد الاول واحد ومورد الثانى متعدد قوله
وامدد لى فى عمرى طلب الزيادة فيه للزيادة فى امور الاخرة وتحصيل خيراتها وقد روى ان الصنيعة عطية المؤمن
بها يتدارك ما فات ويراعى ما هو آت ولا ينافى ذلك ما روى ان المؤمن يحب لقاء الله تعالى ولا يكره الموت
لان ذلك حين الاحتضار ووقت الارتحال واجعلنى ممن تنتصر به لدينك من اعدائك ولو بعد الرجعة فى عهد
الصاحب عم وفى الكنز انتصار داد ستاندن وكينه خواستن وبازداشتن مكر ولا تستبدل بى غيرى اى
لا تجعل سعيى فى المنتصر به ولا تثبت غيرى بدلا عنى والغرض منه طلب التوفيق للثبات على الانتصار وعدم
التولى عنه لئلا يكون مصداقا لقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قوله يا من يذكر

اليير

من العلماء اى يقبله ويضاعف اجره ويعفو عن الكثير من الذنوب بالتوبة وعدمها لمن يشاء وهو الغفور
الرحيم اى الساتر لذنوب عباده وعيوبهم وهو ابلغ من العفو لان العفو لا يستلزم الستر اغفر لى
الذنوب التى ذهبت لذتها وبقيت تبعتها تبعة الشئ بالكسر البناء بما يتبعه ولا يفارقه من تبعت الرجل كفرح
اذا مشيت خلفه ولعل المراد هنا او العقوبة او استحقاقها ووصف الذنوب بما ذكر للتوضيح والاظهار الحسرة
والتاسف والندامة عليها او تذكير الغير وزجره عن الاتيان بمثلها قوله يا نور يا قدوس هو نور لانه ظاهر
بظهور كل شئ والظاهر فى نفسه المظهر لغيره يسمى نورا ولانه به اهتدى اهل السموات والارضين الى
مصالحهم ومراشدهم كما يهتدى بالنور او لانه منور النور فاطلق عليه اسمه كذا فى العدة والنهاية
والقدوس من ابنية المبالغة ومعناه الطاهر من العيوب والنقايص يا اول الاولين ويا آخر الآخرين عند
الذهن اول عند انتقاله من اول الاسباب الى آخرها وآخر عند انتقاله من آخرها الى اولها وبعبارة اخرى اول
عند انتقاله من الاسباب الى المسببات وآخر عند انتقاله من المسببات الى الاسباب فهو اول عند كونه آخر
وبالعكس ولا تفارق بينهما الا بلحاظ العقل ويمكن ان يكون الاولية باعتبار انشاءها وهو الباقى الوارث
بعد فنائها اغفر لى الذنوب التى تغير النعم كالبخس فى المكيال والميزان وقد روى انه يورث تبديل الخصب و
الرخاء والامن بالقحط وشدة المؤنة وجور السلطان ولان الذنوب كلها تغير النعم ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بانفسهم واغفر لى الذنوب التى تحل النقم النقم ككلم وعنب جمع النقمة بالفتح وبالكسر وكفرحة
وهى المكافاة بالعقوبة كالزنا والسرقة وغيرهما مما يوجب الحد واغفر لى الذنوب التى تهتك العصم العصم كعنب
جمع العصمة وهى خصلة مانعة من المعصية شبهها بالساتر بقرينة الهتك والذنوب اذا كثرت وتراكمت
تهتكها وترفعها بالمرة حتى لا يبالى المذنب باى ذنب ورد ولا باى واد هلك وقد يقصد بالهتك من ذنب
واحد كشرب الخمر واغفر لى الذنوب التى تنزل البلاء الذنوب كلها يمكن ان تصير سببا لنزول البلية سيما
اذا بلغت القوة الشهوية والغضبية مرتبة الافراط فيها وذلك ظاهر فى المنهمكين فيها الماخوذين بانواع من البلاء
واغفر لى الذنوب التى تديل الاعداء اى تغلبهم وتنصرهم فلباس الادالة وهى الغلبة وذلك كمخالفة الرعية الحاكم
الحاكم العادل وترك متابعته ومخالفة المؤمنين بعضهم بعضا فانها توجب الوهن فيهم والضعف فى
وعدم قدرتهم على دفع البلاء اعداء وعند ذلك تقوى الاعداء ويكون الغلبة لهم وقد روى عن الباقر عم
انهم لم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط الله عليهم عدوهم واخذوا بعض ما فى ايديهم واغفر لى
الذنوب التى تعجل الفناء كقطيعة الرحم واليمين الكاذبة وقد روى انهما تذران الديار بلاقع من اهلها واغفر لى

الذنوب التي تقطع الرجا كالكفر والقنوط من رحمة الله واليأس من روحه والنفاق وانكار المعلم بأنه حق
واغفر لي الذنوب التي تظلم الهوآء وهي الكبائر المظلمة الموبقة والهوآء بالمد الجو وهو ما بين الارض و
السمآء وقد يطلق على القلب الخالي من الخير وكل خال هوآء ومنه قوله تعالى وافئدتهم هوآء وبالقصر هوى النفس
ومتمنياتها والاول هنا اظهر والثاني اقرب والثالث بعيد واغفر لي الذنوب التي تكشف الغطاء وهي الكبائر
الكثيرة وقد روي ان على كل عبد اربعين جنة من اجنحة الملائكة سترة فاذا فعل اربعين كبيرة ثم اشتغل
بعد ذلك بالقبيح يوحي الله عز وجل اليهم ان ارفعوا اجنحتكم عنه فعند ذلك ينهتك سترة في السمآء و
سترة في الارض فيقول الملائكة يا رب هذا عبدك بقي مهتوك الستر فيوحي الله عز وجل اليهم لو كانت لله
فيه حاجة ما امركم ان ترفعوا اجنحتكم عنه هذا بعض مضمون الحديث المذكور في باب الكبائر واغفر لي الذنوب
التي ترد الدعآء وهي كثيرة اذ كل ذنب يحتمل ان يكون داخلا وكذلك عدد الاستغفار والتوبة من شرائط
قبوله ومن جملة تلك الذنوب ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما هو المروي عن الباقر عليه السلام واغفر لي الذنوب
التي ترد غيث السمآء هذا ايضا كثيرة ومنها منع الزكوة وقد روي عن الباقر عليه السلام انهم لم يمنعوا الزكوة الا منعوا القطر
من السمآء ولولا البهائم لم يمطروا قوله يا عدتي في كربتي العدة بالضم ما اعددته وهيأته لحوادث الدهر
من المال والسلاح وغيرها والكربة بالضم الحزن الشديد ويا صاحبي في شدتي في ذكر الصاحب ايماء الى علمه
بحاله وشدايده مع توقع رفعها منه ويا وليي في نعمتي وفيه ايضا ايماء الى توقع رفع الحزن والشدايد منه لان
ولي كل نعمة ورفيعها نعمه وافضل ويا غياثي في رغبتي فيك لدفع الشدايد والاحزان والغياث بالكسر وزاد ابن دريد
واصله الغوث صارت الواو يآء لكسرة ما قبلها اللهم كيف الاثا دهم الاثر بالتحريك وهو ما بقي من رسم
الشي والمراد به ما اسسه كل شخص وبقي بعده من خير او شر يحتمل ان يراد به الاجل وفي بعض النسخ الاجل وفي
لانه يتبع العمر وعلمت الاخبار اي اخبار من كان ومن يكون ومن هو كائن واخبار اهل الجنة واهل النار والجبال
السمآء والارض واخبار المخلوقات كلها واطلعت على الاسرار اي علمتها بقوله اطلعت على باطن امره وهو افتعلت
اذا علمته فحالت بيننا وبين قلوبنا لعل المراد بقوله بيننا المواد الجسمية والقوى البدنية وبالقلوب العقول المجرد
النورانية المايلة الى الله عز وجل باذنه وبكونه تعالى حايلا بينها انه مانع من استيلاء الاولى على الثانية ولولا
منعه تعالى لاستولت قوى الجسمانية على القوى العقلانية التي من شأنها الرياسة البدنية فيصير الامير مأمورا و
الرئيس مرؤوسا وبطل النظام ومنه يظهر سر قولنا لا حول ولا قوة الا بالله فالسر عندك علانية هذا ناظر الى
قوله اطلعت على الاسرار والقلوب اليك مفضاة اي موصلة اسم مفعول من افضيت الى الشي اذا وصلت اليه وفيه

بتنبيه

٣١٧

تنبيه على ان وصول القلب اليه عز وجل من لطفه وعونه وهذا ناظر الى قوله فحالت آه اذ لو لم يكن حايلا لم
يتحقق الافضاء ان يقول له كن فيكون كما نطق به القرآن الكريم وكلمة كن كناية عن التسخير بمجرد الارادة لان
هناك لفظا وصوتا فقل برحمتك لطاعتك آه القول هنا بمعنى الحكم والقضاء لا بمعنى اللفظ والنطق باللسان
قال في النهاية القول يستعمل في معنى الحكم وارزقني من الدنيا وزهدني فيها طلب الكفاف والزهد فيما زاد او في
محبته او في صرف العمر في تحصيله ولا تزوها وترغبني فيها زويت الشي عنه صرفته ونحيته عنه والواو
للحال من ضمير المتكلم والمقصود صرف هذا القيد يعني ان صرفتها عني لمصلحة فاصرفها عني راغبا فيها وكون
المطلوب عدم صرف الكفاف الذي فيه الرغبة بعيد قوله الحمد لله ولي الحمد واهله ومنتهاه ومحله نعم وصفه
لكل واحد من هذه المفهومات الاربعة مغاير لوصفه بغيره بالاعتبار اذ هو ولي الحمد من حيث كمال ذاته
وصفاته وشرافته وجوده على الاطلاق واهله من حيث بسط عوايد كرمه وموايد نعمه على ساحة الامكان
ومنتهاه من حيث ان الحمد ينتهي اليه ولا يجاوزه اذ ليس فوقه ومحله من حيث اثبات الحمد والمحامد كلها له
اخلص من وحده بنفي الشرك والند والضد والمثل والتركيب والتجزية في الذهن والخارج ونفي الصفات
قال امير المؤمنين عليه السلام من كمال الاخلاص نفي الصفات عنه وقد مر وجهه وتحقيقه في كتاب التوحيد
واهتدى الى السعادة الابدية والمثوبات الالهية من عبده خالصا مخلصا لوجهه الكريم وفاز بالكرامات
الابدية واللذات الروحانية والجذبات الربانية من اطاعه في اوامره ونواهيه ومواعظه ونصايحه بالاذعان
والايمان بها والتسليم والانقياد لها وامن من عذاب الآخرة واهوالها المعتصم به في ق لعتصم بالله امتنع
بلطفه من المعصية اسألك اللهم مسألة من خضع لك برقبته على الخضوع بالرغبة لان اغلب ظهوره
كظهور ضده وهو التكبر بها ورغم لك انفه رغم الله انفه بكسر الغين وفتحها ورغم الانف رغما الزاهم
وفتحها اذا ساخ في الرغام بالفتح وهو التراب ثم استعمل في الذل وارغم الله انفه اذا الصقه بالرغام ثم استعمل
في الاذلال وحمل الرغم هنا على الاصل ظاهر وعلى الذل محتمل وعفر لك وجهه في الصحاح العفر بالتحريك
التراب عفره يعفره عفرا وعفره تعفيرا اي مرغه كاعفره وترددت عبرته في ق العبرة بالفتح الدمعة
قبل ان تفيض او تردد البكآء في الصدر او الحزن بلا بكاء وفضحته عندك خطيئته في ق الخطيئة الذنب
تعمد منه كالخطء بالكسر والخطاء ما لم يتعمد وشانته عندك جريرته اي عابته وقبحته والجريرة ذنب
وجناية جرها الانسان على نفسه وغيره فضعفت عند ذلك قوته لان الخطيئة والجريرة توجبان ضعف
القوة في الدين ووهن الاعتقاد واليقين سيما اذا بلغتا حد الفضيحة وقلت حيلته هي في اللغة الحذق وجودة

النظر والقوة على التصرف يعنى قلت جودة تفكره فى اداء الاعذار وقوة تصرفه فى التخلص عن النكالة و البوار
حيث انه ليس له عذر مقبول ولا مفر معقول وانقطعت عنه اسباب خدايعه جمع خديعه وهى اسم من خدعه
يخدعه خدعا وبكسر خدعه اوادبر مكروها من حيث لا يعلم والمراد باسبابها الطغيان القوة الشهوية و العصبية
وغيرها من القوى النفسانيه والحيوانية الداعية الى الشرور وبانقطاع تلك الاسباب خمودها وذبولها لكبر
السن ونحوه واضمحل عنه كل باطل من الاسباب والمسببات ومقتضيات القوة البهيمية والسبعية التى حكم
ببطلانها الموازين الالهيه والقوانين النبوية والاضمحلال الذهاب والاختلال ومنه اضمحلت السحاب
اذا ذهبت وتفرقت بالريح والجملة ذنوبى الى ذل مقامه بين يديك المقام بالفتح وبالضم اسم مكان وزمان و لعل
اضافة الذل اليه بتقدير فى ثم المقام بين يديه من حيث هو عز لكنه من حيث انه نشا من الذنوب ذل اعظم
وخضوعه لديك عطف على ذل او مقامه والاول اظهر وابتهاله اليك الابتهال التضرع والمبالغة فى السوال
والاجتهاد فى الطلب وشاع استعماله ايضا فى رفع اليدين ومدهما الى السما حتى يحاذى الراس عند ظهور
الدمعة والبكاء كما قال اسئلك اللهم سوال من هو بمنزلته آه الظاهر انه تاكيد لقوله اسئلك اللهم سوال من خضع
لك برقبته كما يشعر به ترك العطف وفايدته التكرير والتقرير ان اريد بالموصول الثانى عين الاول على سبيل الكناية
او دفع احتمال عدم الشمول والعموم ليفيد ان سواله مساو لسوال كل من هو بمنزلته ومتصف بصفته فان جم
استكانته منطق استكان اى ذل وخضع من الكون اى صار له كون خلاف كونه كاستحال اذا تغير من حال
الى حال وقد مر اسئلك اللهم الهدى من الضلالة آه مر فى المواضع الثلثه للبدل الكامل فى قوله ثم ارضيتم
بالحيوة الدنيا من الآخرة والمراد بالهدى الوصول الى سبيل الحق والدخول فيه بقرينة الضلالة التى هى الخروج
منه والدخول فى سبيل الباطل والعمى عدم البصيرة المستلزم للجهالة ولوازمها والغواية بالفتح الضلالة
والخيبة ايضا والرشد خلافها بالمعنيين والفرق بينهما بالمعنى الاخير وبين الضلالة ظاهر وبالمعنى الاول
خفى الا ان يراد بها الضلالة الشديدة فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام للاهتمام قال ابن الاثير فى الغى
الضلال والانهماك فى الباطل واسئلك اللهم اكثر الحمد عند الرخاء هو انه سبحانه يستحق الحمد عند الشدة كما
يستحقه عند الرخاء كما نطقت به الروايات ودلت عليه الصحيفة السجادية وانما خص الرخاء بالذكر لانه اكثر الناس
سبب للبطر والغفلة فطلب كثرة الحمد عنده لهم واجمل الصبر عند المصيبة هو حبس النفس عن الجزع و الشكوى
وعن الانتقام ايضا لو كانت المصيبة واردة من قبل الناس وفيه فوايد كثيرة فى الدنيا ومثوبات جزيلة فى الآخرة
وافضل الشكر عند موضع الشكر موضع النعم قال الغزالى الشكر يشمل الحمد الا ان الحمد اتم منه فالمنعم يحمد الانسان على

صفاته

٣١٨

صفاته الجميلة وعلى معروفه ولا يشكره الا على معروفه دون صفاته والشكر مقابلة النعمة بالقول والفعل و النية
فيثنى على المنعم بلسانه ويذيب نفسه فى طاعته ويعتقد انه موليها والتسليم عند الشبهات عطف على افضل
او على الشكر والتسليم وهو الاذعان والانقياد عند الشبهات والتوقف عند المشكلات الى ان يرفع
الى العالم بوجه المراد امر مطلوب من العباد ولازم على اهل الدين والرشاد لئلا يقعوا على الحرام والفساد
كما دل عليه الخبر ونطق به الاثر والهرب اليك منك اى من عقوبتك والهرب بالتحريك الفرار والتقرب اليك
رب لترضى طلب التقرب تفضلا منه او طلب التوفيق لما يوجبه واللام فى لترضى متعلق بقوله اسئلك
العوة الى آخره وتعليله له لا بقوله اسئلك اللهم اكثر الحمد الى آخره فانه بعيد ولا بالتقرب فقط فانه
تخصيص بلا مخصص والتحرى لكل ما يرضيك آه من القول والفعل والاعتقاد والتحرى والقصد و الطلب
والاجتهاد والعزم كذا فى النهاية وفى ق تحراه تعمده وطلب ما هو احرى بالاستعمال وقوله التماسا لرضاك اى
طلبا له علة للتحرى او للاعطاء او من يعود على ان افضيتنى العود النفع والعطف ومنه العايدة يقال هذا
الشئ اعود عليك من كذا اى انفع وفلان ذو عايدة اوذو منفعة وتعطف والافضا الابعاد يقول القصيه
اذا ابعدته وطردته رب ما اسوء فعلى واقبح عملى تعجب ما جمل فعله سببا وعلله فيها لعظمته وخفاء سببه
وما بمعنى شئ مبتدا وما بعدها خبره او موصولة وما بعدها صلتها والخبر محذوف والمعنى على الاول شئ
عظيم لا يدركه ذاته ولا وصفه ولا سببه اسوء فعلى شئ عظيم او استفهامية وما بعدها خبرها فكانه
للجهل بالنسبة او للحيرة استفهم عنه والاستفهام قد يستفاد منه التعجب نحو وما ادريك ما ليلة القدر و
ما ادريك ما يوم الدين وقد عليه البواقى وانسى قلبى حتى يترك ما ينفعه ويوجب حيوته وفوزه ويرتكب
ما يضره ويوجب موته وعقوبته والحول الملى وافضاحلى فيه يحث من قصر الاجل وطول الامل فى الامور
الدنيوية لا يمكن حصولها فيه وعلى فرض حصولها لا احتياج اليها وما احسن بلاءك عندى البلاء المحن والعطية
والظهر نعماك على النعما بالضم والقصر والنعماء بالمد والفتح اسم لما انعم الله به عليك كالنعمة بالكسر وقل منى الشكر
فيما اوليتنيه من المعروف والنعم وفى الكتاب لا نحشيدك فبطرت بالنعم البطر محركة النشاط والاشر وهو شدة
المرح والطغيان بالنعمة وفعله كفرح وصرت الى الحرب من الخوف والحزن وفى بعض النسخ الى اللهو واللعب و
الانس ايضا ومنه لحب المراة الى حديثه اذا انست به فما اصغر حسناتى واقلها فى كثرة ذنوبى وصف الحسنات
الصغر بحسب المقدار وبالقلة بحسب العدد ولم يقل فى عظمة ذنوبى وكثرتها اقتصارا بالقرينة وفى للظرفية
مجاز للمقايسة كما فى قولك خيره قليل فى شره اى بالقياس اليه وما اكثر ذنوبى واعظمها على قدر صغر خلقى وضعف

وكى ركن كل شخص جوارحه وجوانبه التى يستند اليها ويقوم بها وايض عشيرته الذين يستند اليهم كما يستند
الى الركن من الحايط والاول هنا انسب والثانى محتمل وفيه تعجب فى تعجب من حمل هذا الخلق الصغير الضعيف تلك
الاثقال الكثيرة والاحمال العظيمه الثقيلة التى لا يقدر على حملها الاقوى يا رب وما اطول املى فى قصر اجلى
فى بعد املى فيه ايض مبالغة فى التعجب حيث اراد تحصيل ما يقتضى زمانا طويلا فى زمان قصير وتطوى زمان
قصير بزمان طويل وما اقبح سريرتى فى علانيتى فيه ايض مبالغة فى التعجب حيث انه قرن سريرته مع الخالق ولطح
علانيته مع الخلق وذلك النفاق والمخادعة فصار بذلك مصداقا لقوله تعم يخادعون الله وهو خادعهم
رب لا حجة لى ان احتججت لانها داحضة بعد التعريف والبيان ولا عذر لى ان اعتذرت لانه مقطوع بعد
التوضيح والبيان ولا شكرى عندى ان ابتليت واوليت يجوز بناء الفعلين للفاعل والمفعول وهو الظهر و
الابتلاء كما يكون بالمنح والعطيه كذلك يكون بالمحنة والبلية وهى اولى بالارادة هنا للفرار عن وصمة التكرار
وفيه دلالة على انه تعالى يستحق الشكر فى الحالين ان لم تعنى على شكر ما اوليت بالتوفيق له وصرف القوة اليه و
الفعل ويحتمل الوجهين والعايد الى الموصول محذوف ولم يذكر الابتلاء اما للاختصار او للتغليب اولان
الابتلاء ايض ابلاء رب ما اخف ميزانى غدا لقلة الحسنات وصغرها وكثرة السيات وعظمها ان لم ترجحه
بالتفضل او لمحو بعض السيات واسقاطه او بتثقيل الخفيف وتخفيف الثقيل وهذا ايض تفصيل كيف لى بذنوبى
التى سلفت منى كيف استفهام عن الاحوال وقد يقع التعجب منها وهو المراد هنا اى حال لى بسبب تلك الذنوب
او معها وقد هدت لها اركانى الواو للحال وهدت على البناء للمفعول بمعنى كسرت يقال هذا البناء يهده هدا
كسره وضعضعه وهدته المصيبة ضعفت اركانه اى جوارحه وهذه الجملة الحالية سبب لما ذكر من الحالة
العجيبة وكيف اطلب شهوات الدنيا وابكى على خيبتى فيها المراد بالبكاء معناه حقيقه مع امكان ان يراد به الحزن
كناية ولا ابكى وتشتد حسراتى على عصيانى وتفريطى الظاهر انه تشتد عطف على ابكى وكونه حالا عن فاعله محتمل
وقوله على عصيانى متعلق به وبابكى على سبيل التنازع وفيه تعجب من انعكاس حاله حيث طلب الدنيا وبكى على
عدم نيلها ولم يطلب للاخرة ولم يبك على الاتيان بما يوجب خرابها مع ان الدنيا دار الفرار والاخرة دار القرار
رب دعتنى دواعى الدنيا هى الشهوات الدنياوية والترغيبات الشيطانيه والنفسانيه والقوى الجسمانيه فاجبتها
سريعا من غير ابطاء ولا توان وركنت اليها طائعا من غير كراهة ولا تثاقل ودعتنى دواعى الاخرة اى الاوامر الالهيه
والنبويه والمثوبات الجزيلة الباقية الاخرويه فثبطت عنها اى تعوقتها اشتغلت عنها بغيرها يقال ثبطه عن مراده
تثبيطا اذا عوقه وشغله عنه فتثبط وحطامها الهامد شبه متاع الدنيا بالحطام وهو بالضم ما تكسر من اليبس

ووصف

ووصف الكلام بالهامد وهو النبات البالى اليابس للمبالغة فى ذمه وتكسره وعدم نضارته وخروجه عن حد
الانتفاع به وهشيمها البايد الهشم الكسر والهشيم المكسور فعيل بمعنى مفعول والبايد الهالك من باد يبيد اذا هلك
وفى تشبيه متاع الدنيا به مبالغة فى التنفير عنه لذهاب مائه وعدم روائه وقلة نضرته وزواله وحضرته ويمكن
ان يكون الهشيم بمعنى الهاشم للاشعار بانه مع كونه هالكا فى نفسه كما هو مهلك من تمايل به وركن اليه وشرابها الذاهب
الشراب بالفتح ما يشرب من الماء وغيره من المايعات وفى بعض النسخ سرابها بالسين المهملة وهو ما تراه نصف
النهار كانه ماء وليس بماء شبه به متاع الدنيا فى انه ليس بشى والمبالغة فى التنفير عنه مؤيدة له والذاهب مؤيد
للاول لافادته بحسب الظاهر انه شى لا اعتبار به لانه ذاهب منقطع رب خوفتنى من مخالفتك وعقوبتك وشوقتنى
الى طاعتك ومثوبتك واحتججت على برقى اى بانى عبد مملوك لك يجب على طاعتك كما يجب على العبد طاعة مولاه
وكفلت برزقى كما صرحت به فى مواضع من القران الكريم والكافل الضامن كالكفيل وقد كفل به كضرب و
نصر وكرم وعلم ضمنه فامنت خوفك الخوف يوجب فعل الطاعات وترك المنهيات والامن يوجب عكس ذلك فهو
كناية عن ترك ما ينبغى فعله وفعل ما ينبغى تركه وتثبطت عن تشويقك فاشتغلت بما يوجب سخطك وعقوبتك
ولم اتكل على ضمانك برزقى فاضطربت فى تحصيله واكتسابه من اى وجه كان مشتغلا به عن امر الاخرة وتهاونت
باحتجاجك على بالعبودية وتركت ما وجب على من عبادتك وطاعتك اللهم فاجعل امنى فى هذه الدنيا خوفا
الفاء زايدة او استيناف والجار المجرور متعلق بالامن وفايدته الاحتراز عن الاخرة فان المطلوب فيها هو العكس
اسالك باسمك العظيم الوصف للمدح او التوضيح اذ كل اسمه عظيم ولا يبعد ان يراد به الفرد الكامل وهو الاسم الاعظم
لا ان المطلق ينصرف اليه رضاك عند السخطة طلب تحويل عذابه بالاحسان او ما يرضيه عنه بما يخطر والسخط
كقفل وعنق وجبل خلاف الرضا سخط كفرح غضب والسخط الغضبه والفرجه عند الكربة فى ق الفرجه مثلثه
التفصى من الغم فرج الله الغم يفرجه كشفه كفرجه والنور عند الظلمة لعل المراد بهما العلم والجهل او الطاعة والمعصية
او الهدى والضلالة او الخير والشر كل ذلك على سبيل الاستعارة والبصيرة عند تشبه الفتنة الشبه بالكسر
والتحريك المثل واشباه ذلك امثاله وتشابها واشتبها اشبه كل منهما الاخر حتى التبسا والشبهه بالضم الالتباس
والتشبيه التلبيس يقال شبه عليه الامر تشبيها اذا التبس عليه وامور مشتبهة ملتبسة مشكلة والفتنة معان
منها الضلال ومنها الاضلال ومنها اختلاف الناس فى الاراء ويطلق ايض على المذاهب المختلفة الحاصلة من
الاراء والظاهر ان اضافة التشبيه الى الفتنة اضافة المصدر الى المفعول والمقصود طلب البصيرة القلبية الفارقة
بين الحق والباطل عند تلبيس اهل التشبيه فتنتهم بصورة الحق ويمكن ان يكون الفتنة فاعلا للتشبيه مجازا

للالاتة بينها وبين الفاعل الحقيق فكان الفتنة تلبس نفسها بالحق فالاضافة ح مجاز عقلي رب اجعل جنتي
من خطاى حصينة اى غير متاثرة بتسويلات النفس وتدليسات الشيطان والجنة بالضم الترس ولعل
المراد بها التقوى الواقية المانعة من الخطاء والمعصية وحسناتى مضاعفة زاكية اى طاهرة من الخلل والنقص
او نامية وقد روى ان العمل القليل الخالص قد ينمو بلطف الله تع حتى يصير كجبل احد اعوذ بك من الفتن كلها
ما ظهر منها وما بطن كلها تاكيد للشمول ودفع لتوهم التخصيص الشايع فى العموم والمراد بظاهرها جليها وهو ما
علم انه فتنة بظاهر النظر كالقتال والسبى والنهب والهرج والمرج والعداوة العلانية ونحوها مما علم فساده
نظرا الى ظاهر الشريعة وبباطنها خفيها وهو ما علم انه فتنة بالنظر الدقيق والفكر العميق كبعض شبهات المخالفين
ومعاداة المنافقين ومكايد الماكرين وامثالها ومن رفيع المطعم والمشرب وان كان حلالا لا لان فى حلاله حسابا
وفى حرامه عقابا ولانه يوجب الغفلة والقسوة والدخول فى زمرة المتنعمين والخروج عن زى المساكين و
قد قال النبى صلعم اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين وروى انه لم يشبع من خبز
البر ثلثة ايام والهدى بالضلالة لما الظاهر ان فيه قلبا وفى المصباح او الضلالة بالهدى وهو يؤيده ويمكن
التوجيه بارادة البيع من الاشتراء وان كان بعيدا لكونه مخالفا للسابق واللاحق قوله اللهم انى اسئلك رحمتك
التى لا تنال الا برضاك فى الكنز رحمت مهربانى و دوستى نمودن والوصف لتخصيص الرحمة بما هو الاخروى وهى
التى تنال بها السعادة الابدية والقربات الربانية والدرجات الجنة العالية واما التى تنال بها معرفة طريق الخير
والشر والوصول الى المطالب الدنيوية فهى عامة للمؤمن والكافر والصالح والطالح غير متوقفة على الرضا
وما عطف عليه والخروج عن جميع معاصيك بعدم فعلها اصلا وبالتوبة الخالصة منها بعده وهو الخروج المعطوف
على رضاك وكذا المعطوفات بعده والدخول فى كل ما يرضيك من الاعمال الحسنة الظاهرة والعقائد الصحيحة
الباطنة والنجاة من كل ورطة الورطة كل غامض والهلكة وكل امر يعسر النجاة منه او ورطة القاء فيها والخروج
من كل كبيرة هى كثيرة وتفصيلها فى محلها وعند بعض الاصحاب كل الذنوب كبيرة والصغر بالاضافة و
مصدر بمعنى الخروج اتى بها منى عمدا او زل بها منى خطاء منى فى الموضعين متعلق بما بعده واسناد الاتيان والزلة
الى عمد وخطاء اسناد مجازى ومجاز عقلى كاسناد العمل الى السبب او خطر بها خطرات الشيطان اى اهتز بسببها
وساوس الشيطان من قولهم خطر الرمح يخطر وخطر بسيفه اذا هزه وحركه متعرضا للمبارزة واسناده الى خطرات
الشيطان اسناد الى السبب مجازا وفيه تشبيه ضمنا الشيطان بالمحارب المبارز والمعصية بسيفه الصارم فى
الاهلاك اسئلك خوفا توقفنى به على حدود رضاك لا اتجاوزها الى مواضع سخطك وفيه ايماء الى ان الموقوف

على ما ذكر من لطف الله تع كما ان حصول الخوف بملاحظة التقصير من لطفه وبه الاستعانة والتوفيق و[illegible]
عن كل شهوة خطر بها هواى عطف على توقفنى والشعب كالمنع التفريق يقال شعبت الشئ اذا فرقته و
الشهوة شاملة للحرام والمباح الذى لا يحتاج اليه والخوف سبب لرفض الشهوات الموجبة للبعد من الله
تعالى وعن امر الاخرة واستزل بها رأيى عطف على خطر والرأى نظر القلب والاعتقاد ويمكن ان يراد به
القلب والنفس تسمية للمحل باسم الحال يتجاوز حد حلالك ويدخل فى حرامك والجار متعلق باستزل او خطر
فاعل مجاوز راجع الى كل واحد من الرأى والهوى واسئلك اللهم الاخذ باحسن ما تعلم من انواع الخير و
افراده والمطلوب احسن من كل نوع والخير وترك سيئ كل ما تعلم من انواعه وافراده والمطلوب ترك جميعها
والسيئ الامر القبيح والسيئة الخصلة القبيحة واصلها سيوء وسيوءة قلبت الواو ياء وادغمت واخطى من
حيث لا اعلم او من حيث اعلم لخطى على صيغة المتكلم والظاهر انه عطف على تعلم فيندرج تحت الترك اسئلك ٣٢٠
السعة فى الرزق وهو كل ما يجوز الانتفاع به والمطلوب قدر الكفاف بقرينة قوله والزهد فى الكفاف هو
الكفاف ما يكون بقدر الحاجة ويكف عن السؤال والجار والمجرور فى محل النصب على انه حال عن الزهد لا
متعلق به اوفى للصاحبة ويحقق ح وعلى التقديرين اندفع توهم خلاف المقصود والمخرج بالبيان من كل
شبهة فى الامور الدنيوية او الدينية والمبدأ او المعاد والباء للسببية والبيان الافصاح والايضاح
والشبهة ما امتزج بالحق والباطل والتبس المجموع بصورة الحق ولذلك سمى شبهة لاشتباهه بالحق واما
الباطل الصرف الذى لا يكون معه شئ من الحق فليس بشبهة اذ لا يخفى على العاقل وجه فساده والصواب
فى كل حجة الحجة ان كانت بمقدمات صادقة وصورة صحيحة وشرايط معتبرة كانت حقا وصوابا والحاصل
منها يقينا وصدقا والا كانت شكا وشبهة لا حجة وبرهانا الا عند اصحاب الجهل المركب والمقصود ههنا طلب
التوفيق للاول والتحرز من الثانية والفرار من الجهل المركب والصدق فى جميع المواطن مواطن السر والعلانية
والمحاورة والامور الدنيوية والدينية والمبدأ والمعاد وانصاف الناس من نفسى فيما على ولى الانصاف
العدل تقول انصفهم من نفسه اذا عدلهم وعاملهم بالعدالة فيما عليه من اعطاء حقوقهم كما هى وفيما
له من اخذ حقه كما هو من غير زيادة والتذلل فى اعطاء النصف من جميع مواطن السخط والرضا التذلل اما
من الذل بالكسر وهو ضد الصعوبة ومنه الذلول او من الذل بالضم وهو الهوان ومنه الذليل والنصف و
النصفة محركتين اسم من الانصاف والمطلوب هو التسهيل او التوفيق للمذلة لله فى الاتيان بما تقتضيه العدالة
فى حال السخط على احد والرضا عن رجل بحيث يابى المسخوط من ظلمه وجوره ويأمن المرضى من تعصبه وحميته

وترك قليل البغي وكثيره في القول تبعي والفعل البغي الخروج عن طاعة من يجب طاعته واصله مجاوزة الحد والفعل
شامل للفعل القلبي ايضا وبالجملة كل عضو من الانسان امر بشي ونهي عن شي وكل واحد من ترك الاول وفعل
الثاني بغي وتمام نعمتك في جميع الاشيا التي طلبتها او لم اطلبها وتمامها كمالها وفي بعض النسخ نعم بصيغة الجمع
والشكر لك عليها طلب التوفيق له لان طاعة والطاعة لا تتحقق الا بتوفيق الله تعم ونصرته والشكر مقابلة النعم
بالقول والفعل فيثني على المنعم بلسانه ويتعب نفسه في طاعته ويعتقد انه موليها لكي ترضى وبعد الرضا كي حرف
تعليل دالة على سببية ما قبلها لما بعدها والمضارع بعدها منصوب بها او باضمار ان واللام الداخلة عليها
زايدة للتاكيد لانها بمعناها ورضاه تعالى عن العبد عبارة عن الاحسان اليه ومن البين ان الشكر سبب للاحسان
كما قال عز وجل ولئن شكرتم لازيدنكم ولعل قوله بعد الرضا عطف على ترضى بتقدير فعل مناسب للاشعار بان المطلوب
هو الاحسان بعد الاحسان على سبيل الاستمرار والدوام مزيد واسئلك الخيرة هي بكسر الخا وسكون اليا وفتح
ما فيه الخير اسم من خار الله لك في الامر اي جعل لك فيه خيرا في كل ما يكون فيه الخيرة ما موصوفة او موصولة
وفايدتها الاحتراز عما ليس فيه خيرة اصلا كالكفر والشرك وشرب الخمر والزنا وامثالها والجار والمجرور متعلق
بالسوال وظرف له وفايدة التصريح بان المطلوب هو الخيرة في كل شي ويوجد فيه الخير ويتحقق فيه الخيرة
لا في شي معين ولا في شي ما عسيرا لامور كلها لا بمعسورها ظرف للسوال ايضا او حال عن الخيرة الاولى
والبا بمعنى في او للملابسة لافادة ان المطلوب كون الخيرة في الامور الميسورة التي يسهل حصولها من غير تعب لا في
الامور المعسورة التي لا تحصل الا بمشقة وكلفة يا كريم يا كريم يا كريم كرره للمبالغة والالحاح وذكر هذا
الاسم الشريف لانه انسب بمقام السوال والاجابة الشامل وافتح لي باب الامر الذي فيه العافية والفرج
اي العافية من المكاره الاتية والفرج من المكاره الواقعة والتعميم فيهما ممكن ومن تلك المكاره والذنوب والخطايا
والامراض والبلايا وضيق المعيشة في الدنيا وافتح لي بابه ويسر لي مخرجه تاكيد لما سبق والضمير المجرور فيهما راجع
الى الامر ولعل المراد بيانه ومخرجه واسبابه وشرايطه على سبيل التشبيه اذ الامر الممكن باسبابه وشرايطه يدخل
من حد الكمون الى البروز ويخرج من درجة الخفا الى الظهور ومن قدرته له علي مقدرة القدر القضا والحكم
يقال قدر الله ذلك عليه كنصر وضرب قدرا بالتحريك وقد يسكن وقدره عليه وله تقديرا اذا قضى وحكم والقدرة
مثلثة الدال القوة والقدرة تحفظني بسمعه وبصره ولسانه ويده اخذ هذه الجوارح منه كناية عن افعاله اي عن افعالها
ورفع الاذى والتاثير والضرر المتصورة من قبلها ولم يذكر الرجل لدخولها في قوله وخذه من يمينه وعن يساره
ومن خلفه ومن قدامه وهو كناية عن سد طريق اضراره من جميع الجهات وامنعه يصل الي بسوء هذا ثمرة لا خذه

على الوجه

على الوجه المذكور ويمكن ان يكون المراد منع ارادة الايصال السوء وصرف قلبه منها عز جارك الجار الذي
اجرته من ان يظلمه احد والمستجير الى الله عز وجل عزيز محفوظ في الدنيا من اذى الاشرار وفي الاخرة من عذاب
النار وجل ثناء وجهك الجليل له العظمة والثنا بالفتح وصف بمدح والوجه الذات يعني عظم وصف ذاتك
بصفاتك الذاتية والفعلية بحيث عجز عنه السنة الواصفين وافهام العارفين ولا اله غيرك وانت ربي وانا
عبدك فلا ادفع حتى غيرك ولا التجي الى سواك كما اشار اليه بقوله اللهم انت رجائي في كل كربة وهي الحزن
الشديد الذي ياخذ النفس ويضعف به القلب وانت ثقتي في كل شدة الثقة الايتمان يقال وثقت به
اثق بالكسر فيهما اذا ائتمنه والحمل للمبالغة او المصدر بمعنى المفعول كالشايق وانت لي الظرف متعلق بثقة و
عدة قدم للحصر في كل امر نزل بي من نوازل الدهر نقمه وعدة هي ما اعددته وهيأته ليوم الحاجة و
دفع شدايده فكم من كرب يضعف عنه الفؤاد كم اخبار عن كثرة لا يحصى والفؤاد بالضم والهمزة القلب و
في نسبة الضعف الى القلب الذي هو امير البدن اشعار الى هجومه على جميع الجوارح وتقل فيه الحيلة اي
حذاقة النفس وتصرفها في وجوه الخلاص منه لتحيرها وعدم اهتدايها اليها ويشمت به العدو شمت كفرح لفظا
ومعنى والشماتة من بليته اعظم منها وتعييني فيه الامور عيي بالامر وعي كرضي اذا لم يهتد بوجهه او
عجز منه ولم يطلق على احكامه واعياه هو اذا اعجزه وصيره بحيث لا يهتدي الى وجه مصالح وفي الظرف فيه
المجازية او بمعنى الباء السببية يعني اعجزني بسببه اموري فلم اقدر على احكامها ولم اهتد على وجه مصالحها
وفي بعض النسخ تعيى كرضي واسناد العجز الى الامور اسناد الى ملابس فاعله وهو صاحبها انزلته بك و
اليك راغبا اليك فيه عمن سواك قد فرجته وكفيته في محل الرفع على انه خبر لقوله فكم من كرب وفي نصوص
هذه الجوامع انه شكر لتلك النعم الجزيلة وهي كشف الكروب الكثيرة في الازمنة الماضية جلب للمزيد واستعطاف
وترقب لرفع الكربات الحاضرة لان المعتاد بالاحسان متوقع له في جميع الازمان وفي حصر الرغبة اليه سبحانه
ايما الى بعض شرايطها استجابة الدعا لان الراغب الى غيره ايضا يجعله شريكا له تعم فيكله الله سبحانه اليه
فانت ولي كل نعمة ظاهرة وباطنة جلية وخفية وجودية وعدمية وفيه حصر الشكر فيه عز وجل الاختصاص
النعم به وصاحب كل حاجة لصرف وجوه الحاجات اليك وطالبها في قضائها متضرع بين يديك فمنتهى كل
رغبة او رغبات الراغبين منتهية اليك ومطايا الامال واقعة لديك والغرض من هذا الجز ونحوه اظهار التوقع
لحصول المطلوب لا افادة الحكم ولازمه فلك الحمد كثيرا ولك المن فاضلا عن قدر الحاجة او كثيرا والمن الانعام
واصطناع المعروف ونصب الاسمين على المصدرية اي حمدا كثيرا او منا فاضلا وتقدم الظرف للحصر قوله اللهم

اى اسئلك قول التوابين وعملهم اريد بالقول القول اللفظى والنفسى وهو الملامة من الذنوب والعزم على عدم
العود اليها وبعملهم ما يترتب عليه من تدارك ما مضى والاجتهاد فيما ياتى لا الذنوب السابقة باعتبار ان
التوبة سبب المحبة كما قال عز وجل ان الله يحب التوابين وهذا باب واحد من تدليسات اللعين لاغوا الخلق
القاصرين واما الكاملون فيعلمون ان المحبة بترك الذنوب اشد واقوى وان تركها اهون واسهل من التوبة بعده
لوجوه ذكرناها فى التوبة سبب للمحبة محلها ونور الانبيا وصدقهم اريد بنور الانبيا علمهم او هدايتهم او
بصيرتهم او عملهم كل ذلك من باب الاستعارة وبصدقهم صدقهم قولا وعملا واعتقادا فان الصدق كما
يجرى فى القول باعتبار مطابقته للواقع كذلك يجرى فى العمل والاعتقاد بذلك الاعتبار ونجاة المجاهدين وثوابهم
الموعود فى القران العظيم من جنات وعيون ومقام كريم والمراد بنجاتهم نجاتهم من قيد النفس الامارة بالسوء
ووسوسة الشيطان الرجيم واهوال يوم القيمة والعذاب الاليم وشكر المصطفين ونصيحتهم لله ولعباده والنصح
الخلوص وهو ارادة الخير للمنصوح له ومعنى النصيحة له تعالى صحة الاعتقاد فى وحدانيته وما يجب له ويمتنع عليه
واخلاص النية فى عبادته والتصديق بكتابه والعمل به والحث عليه ومعنى النصيحة لعباده هدايتهم الى منافعهم
وارشادهم الى مصالحهم وجذبهم عن طرف الضلالة الى سبيل الهداية والمراد بالمصطفين الرسل او الائمة وعمل
الذاكرين وتعبيرهم المراد بالذاكر الذكر الذكر باللسان والذاكر بالقلب وهو الذاكر عند الامر فيبتدر وعند النهى فينزجر
وعند المصيبة فيصطبر وبعملهم نفس هذا الاذكار او ما يترتب عليها وباليقين العلم بالحق مع العلم بانه لا
يكون غيره ولذلك قال المحقق الطوسى فى اوصاف الاشراف اليقين مركب من علمين وايمان العلماء وفقههم المراد
بايمانهم الايمان المستفاد من البرهان المفيد لليقين واما ايمان غيرهم فهو ظن او تقليد وهو ناقص متزلزل
وبالفقه العلم بالدين وما اشتمل عليه السنة النبوية والكتاب المبين والعمل به مع بصيرة قلبية داعية الى الآخرة
زاجرة عن الدنيا والركون اليها وتعبد الخاشعين وتواضعهم لله ولرسوله وللائمة المعصومين ولسائر المؤمنين
والتواضع ضد التكبر ومن افراد الامتثال بالاوامر والنواهى والاتعاظ بالمواعظ والنصائح والخشوع السكون
والتذلل وهو وصف يتصف به القلب والبصر واللسان وغيرها من الجوارح وصاحب هذا الوصف متقيد بسائر
اوصاف الكمال غير متجاوز منها الى اضدادها وحكم الفقهاء وسيرتهم اريد بالفقهاء العاملون بالشريعة كما هى وحكمهم
مطابق لحكم الله قطعا وبالسيرة السنة والطريقة والهيئة الحسنة فالمعلم استقامة القلب وربطه بالحق والحكم
به واستقامة الظاهر وخشية المتقين ورغبتهم الخشية الخوف الحاصل من العلم بعظمته تعالى ولذلك قال
الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وهى مقتضية للتقوى من الله وترك محرماته والرغبة اليه فى التوفيق لرضاه

وتصديق

وتصديق المؤمنين وتوكلهم اريد بالمؤمنين الكاملون فى الايمان وهم الذين صدقوا بالله وبرسوله وبما جاء
به الرسول وعملوا الصالحات وتركوا المنهيات وهذبوا الظاهر والباطن وساروا واسرعوا التوكل ورفض الاغيار
الى حضرة القدس وساحة الجبار وبرجاء المحسنين وبرهم رجاء احد بالسعادة الابدية والمثوبات الاخروية و
المقرب بالحضرة الربوبية بسبب الاحسان والبر بنفسه وبغيره والاحسان قد يفسر بما يقتضيه مقام المشاهدة
وهو ان تعبد الله كانك تراه واليه اشار امير المؤمنين عم بقوله لم اعبد ربا لم اره وقد يفسر بما يقتضيه مقام
المراقبة وهو ان تعبده معتقدا بانه يراك وهذا دون الاول وقد يفسر بالاخلاص فى النية فى جميع الاعمال والافعال
العامل به ومن ليس محسنا والاحسان على جميع التفاسير يقتضى تجريد العمل والاتيان بجميع ما له مدخل فى
كماله والاحتراز عن كل ما له تاثير فى نقصانه اللهم انى اسئلك ثواب الشاكرين ومنزلة المقربين ومرافقة
النبيين طلب ذلك من باب التفضل بعد تحقق الاستعداد بعض الايمان والعمل فى الجملة وطلب التوفيق لمثل
اعمالهم الموجبة لهذه الدرجات العلية اللهم انى اسئلك خوف العاملين لك خوفهم خوف التقصير فى العمل
او الخوف عدم قبوله وذلك يوجب الاجتهاد فيه وفى رعاية جهات حسنة وعمل الخائفين منك اى من عقوبتك
بالمخالفة والمطلوب دوام العمل وخلوصه وجودته لضرورة ان عمل الخائف منها متصف بهذه الصفات وخشوع
العابدين لك المراد بالعابدين لمن اشتغل جميع جوارحه واعضائه بما امر به وبما هو مطلوب له تعم ولا ريب فى
ثبوت الخشوع لهم والا لاشتغل بعض جوارحهم بما هو غير مطلوب منه ثم هذا خلف والمطلوب هو العبادة بهذا
الوصف ويقين المتوكلين عليك اليقين سبب للتوكل اذ التوكل وهو تفويض العبد اموره الى الله تعالى والاعتماد فيها
عليه متوقف على اليقين بانه تعالى واحد لا شريك له ولا ضد له ولا ند له وانه عالم بالاشياء كلها وانه قادر على
جميع المقدورات وانه حكيم عادل لا يجور فى حكمه اصلا وان رسوله صلى الله عليه وآله صادق وما جاء به الرسول
حق ومن حصل له اليقين بهذه الامور واستنار قلبه به ولم يعارضه الوهم والجبن حصلت له حالة شريفة روحية هى
وثوقه فى جميع اموره بالله سبحانه وتفويضها اليها وانقطاعه عن غيره من الاسباب والوسائط وهذا معنى
التوكل ثم اذا حصل له معنى التوكل كما هو حقه ورأى بالمعاينة امورا منتظمة على نحو ما اراده حصل له يقين
آخر فوق الاول والفرق بينهما كالفرق بين علم اليقين وعين اليقين والوجه فى توقف التوكل على اليقين
بالامور المذكورة انه لولا اليقين بالاول يجوز ان يكون له مانع فى تحصيل مقاصده فلا يكون مستقلا فيه و
لولا اليقين بالثانى يجوز ان يكون جاهلا ببعض مطالبه ولولا الثالث يجوز ان يكون عاجزا فى تحصيل مقاصده
فلا يكون مستقلا فيه ولولا اليقين بالثانى يجوز ان يكون جاهلا ببعض مطالبه ولولا الثالث يجوز ان يكون

٣٢٢

عاجزا فی تحصیل مقاصده فلا یکون مستقلا فیه ولولا الیقین بالثانی یجوز ان یکون جاهلا ببعض مطالبه
ولولا الثالث یجوز ان یکون عاجزا فی تحصیل بعضها ولولا الرابع یجوز ان یکون غیر محکم فی بعضها وجایرا فی
بعضها ولولا الخامس یجوز ان یکون ما جاء به الرسول من الحث علی التوکل وغیره باطلا وعلی کل واحد
من هذه التقادیر لا یحصل له الوثوق فلا یحصل التوکل وتوکل المؤمنین بک المطلق هو التوکل التام اذ المراد بالمؤمنین
الکاملون فی الایمان والمتصفون بالایقان ولا ریب فی ان توکلهم علی حد الکمال اما غیرهم فلا توکل لهم
اذ هو ناقص اللهم بحاجتی عالم غیر معلم صفة لعالم او خبر بعد خبر ومعلم مفعول من التعلیم وکونه من الاعلام
محتمل والغرض منه ان علمک بالحال کفانی عن السؤال والاشعار بثبوت الحاجة فی نفس الامر ونوع رفعها
بناء علی ان العالم بحاجة احد من جهة التعلیم او الاعلام وقد یتوهم او یظن کذبه فلا یبالغ فی رفعها ولا یقبل علیه
والظرف متعلق بما بعده وتقدیمه لیس للحصر لفساده بل للاهتمام بوقع الحاجة سریعا والاشعار بانها نصب عینه
نصب عینه وطهر قلبه فلا متبادر الذهن الا الیها وانت لها واسع غیر متکلف فی ق الواسع ضد الضیق وفی
الاسماء الحسنی العطاء الذی یسع لما یسال والمحیط بکل شیء الذی وسع رزقه جمیع خلقه او رحمته کل شیء والکلف
التجشم یقول تکلفت الشیء اذا تجشمته علی مشقة وفی الکنز الواسع فراخ وتجشمه واحاطه کننده وتکلف
چیزی کشیدن وازخود چیزی نمودن کرآن نباشد یعنی واسع الحاجات محیط بها جواد قادر علی قضائها من غیر
تعب ومشقة فیه وانت الذی لا یحفیک سائل احفاه الح علیه وبرح به فی الالحاح تبریحا یعنی اجهده واذاه
والمراد ان الالحاح السائل لا یشق علیک ولا یجهدک لانه مطلوب عندک ولا ینقصک نائل وهو العطاء
کالنوال والتنکیر للتکثیر او للتعظیم والنقص لازم ومتعد والمضاف قبل الکاف محذوف یعنی لا ینقص مالک
او خزائنک العطاء الکثیر ولا یبلغ مدحتک قول قائل مریاته فی الدعاء الجامع انت کما تقول وفوق ما یقول
لان کل ما یقول هو ممکن بکیفیه لفظیة ومصور بصورة عقلیة والله سبحانه فوق والیه یشیر قول
سید المرسلین لا احصی ثناء علیک کما اثنیت علی نفسک اللهم اجعل لی فرجا من الضیق وسوء الحال و
قریبا من هذه الساعة واجرا عظیما فی الاخرة وسترا جمیلا من الذنوب حتی لا ارتکبها فیما بعد ولا یطلع
علی ما سبق منها مع العفو عنها اللهم انک تعلم انی علی ظلمی نفسی بترک الطاعات واسرافی علیها بفعل المنهیات
وعلی فی الموضعین دلیل علی الافراط ولا یبعد ان یکون الاول بمعنی مع لم اتخذ لک ضدا ولا ندا الضد
بالکسر منهما النظیر والمثل المخالف الذی لا یغلبه او یرید من احدهما العاقل وبالاخر غیره والمراد بهما ما کان
تتخذونه الهة من دون الله مطلقا ولا صاحبة ولا ولدا کما زعمت النصاری والیهود وطایفة من المشرکین

٣٢٢ فی مریم وعیسی والملائکة وقد توسل بالتوحید المطلق فی قضاء الحاجات ورفع الزلات ناظرا الی قوله تعالی
ان الله لا یغفر ان یشرک به ویغفر ما دون ذلک لمن یشاء یا من لا یغلطه المسائل ای المسائل المختلطة و المطالب
المتداخلة الممتزجة من شخص واحد او من الاشخاص کلهم ولو فی ان واحد والغلطة بحرکات ان تعمی الشیء فلا
تعرف وجه الصواب فیه وفعله کفرح واغلطه غیره او وقعه فی الغلط وغلطه تغلیطا اذا قال له غلطت
کذا فی ق وص یا من لا یشغله شیء عن شیء فی افعاله وغیرها ولا سمع عن سمع ولا بصر عن بصر ای لا یشغله
سمع صوت عن سمع صوت آخر وان تمازجت الاصوات وتداخلت وحصلت من المجموع مرکب کدوی النحل و
ولا ابصار شیء عن ابصار شیء آخر وان تمازجت المبصرات کالصفرة بالحمرة والحمرة بالسواد والسواد بالبیاض
اللبن بالماء ولا یشغله مسموع عن مسموع ولا مبصر عن مبصر علی ان یکون المصدر بمعنی المفعول ولا یبرمه
الحاح الملحین ابرمه اذا امله واضجره والالحاح المبالغة فی السؤال والاصرار علیه اسئلک ان تفرج
عنی المکاره والعموم وحذف المفعول للدلالة علی العموم فی ساعتی هذه ارید بهذه الساعة الساعة
القریبة من وقت السؤال لان المطلوب فی وقت السؤال غیر حاصل من حیث احتسب حصول الفرج فیه
ومن حیث لا احتسب وقد روی ان اکثر حصول مطالب العبد وفرجه من حیث لا یحتسب انک یحیی
الموتی وهی رمیم انک علی کل شیء قدیر کسر الهمزة اظهر وفتحها بتقدیر لام التعلیل جائز وهو مع کونه
تاکیدا بالقدرة القاهرة بمنزلة التعلیل لما سبق ولظهار لتوقع حصول المطالب سخایا من قل شکری علی
علی نعمائه ظاهرا وباطنا فلم یحرمنی منها تفضلا مع تحقق سبب العرفان وعظمت خطیئتی بالمخالفة فی امتثال
الاوامر والنواهی فلم یفضحنی بهتک الاستار خصوصا عند الابرار ورآنی علی المعاصی فلم یجبهنی جبهه
کمنعه ضرب جبهته وردة ولقیه بما یکره واستقبله به وبئس العبد انا وجدتنی فتح التاء فی وجدتنی
اظهر من ضمها والظاهر انه علی التقدیرین استیناف لا محل له من الاعراب فکانه قیل ما سبب هذا الذم
العام فاجاب بانک وجدتنی بهذا الوصف وهو الذم العام او بما یوجبه ولک الفتنی ومعناه
وجدتنی عبدک وابن عبدک ابن امتک بین یدیک فی هذا مع کونه غایة الخضوع والتذلل المطلوب
فی مقام الدعاء استعطاف واسترحام لان هذه الاوصاف تقتضی التعطف والترحم ما شئت صنعت بی
معناه خبر کالمفظ او امر وفیه علی التقدیرین المهد للرضا والتسلیم هدأت الاصوات ای سکنت و سکت
الحرکات لفراغهم من المعاملة والمحاورة واستقرارهم فی بسط الاستراحة وخلا کل حبیب بحبیبه لان
کل شخص مایل الی ما یحبه من نوعه ووصفه کما هو المعروف من افراد الحیوان والانسان وخلوت بک و

المحبوب الى تعريف الخبر باللام نفيد الحصر ولا ريب فى ان المحبوب الحقيقى للمؤمن ليس الا هو فاجعل خلو ى
منك الليلة العتق من النار اى نار جهنم او نار الم الفراق والليلة ظرف للجعل او للخلو وحمل الخلو على
العتق من باب حمل المسبب على السبب للمبالغة فى السببية يا من ليس نعلم فوقه صفة من الصفات مثل
العلم والقدرة والارادة وغيرها من الصفات الذاتيه والفعليه والمقصود نفى ان يكون فوقه عالم اذ لو كان
لكانت له صفة ضرورة ان الموجود لا يخلو منها واذ ليست فليس لان انتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم
وبالجملة لما كان للعلم مراتب وكان المتبادر فى الوهم ان فوق كل ذى علم عليم اشار بما هو فى الواقع ونفى ان يكون
فوقه عالم نفى لازمه وهو الصفة على وجه العموم ويا من ليس لمخلوق دونه منعة فى قوة وفلان فى
عز ومنعة محركة وتسكين اى معه من يمنعه من عشيرته وفى نسخة ليست له منعه وبعضها النول اى قوة
من يريد بسوء وفيها وفى حق وقيل المنعة بالتحريك جمع مانع مثل كافر وكفرة دونه اما صفة لمخلوق او للتوضيح
دون التخصيص او متعلقه بمنعة والمعنى على الاول ليس لمخلوق هو دونه تعالى من يمنع الله او قوة تمنعه
اذا اراده بسوء وعلى الثانى ليس له منعة دون الله ونصرة يمنع من يريد بسوء يا اولا قبل كل شيء نوى المنادى
لانه لم يقصد المعين من حيث هو معين وتوضيحه انه تعالى معلوم من جهة الوجود واثاره وغير معلوم من
جهة حقيقة ذاته وصفاته فقد يقصد من حيث انه غير معلوم ويقول كما فى نحن فيه وقد يقصد من حيث
انه معلوم ويجرى عليه حكم المفرد المعرفة فيقال يا اول ويا آخر وانما قال قبل بدلا عنه او وصفا له لتصحيح
الربط بما بعده ولظهور محل الاعراب والتنبيه على ان اوليته حقيقته لا اول له لا اضافيه ويا آخر بعد
كل شيء اراد بالشيء غيره تعالى كما قال فى قوله والله على كل شيء قدير وهذه العناية معتبرة فى السابق
ايضا وفى ذكر بعد ايماء الى انه تعالى كما هو آخر كل فرد من افراد الاشياء كذلك هو بعد المجموع من حيث المجموع
والاول لا يستلزم الثانى كما ترى فى الجزء الاخير من المركب يا من ليس له عنصر اى علة فاعلية واجزاء مادية
وصورية وفى نسخة العنصر بضم العين وفتح الصاد الاصل وقد تضم الصاد والنون مع الفتح زائدة عند سيبويه
لانه ليس عنده فعلل بالفتح وفيه اشارة الى انه ليس لاوله ابتداء ويا من ليس لآخره فناء وفيه اشارة الى انه
ابدى وفى السابق الى انه ازلى ويا اكمل منعوت لكون نعته فى نهاية الكمال بخلاف نعت غيره وفى نسخة النعت
وصف الشيء بما هو فيه من حسن ولا يقال فى القبيح الا ان يتكلف متكلف فيقول نعت سوء والوصف يقال فى
الحسن والقبح ويا اسمع المعطين كناية عن سرعة اجابته وجه السائل وسماع صوته وان كان خفيا وجزا
المعطاء ويا من نفقته بكل لغة يدعى بها تضمنه كعلمه وعلمه والظاهر ان الباء زائدة للمبالغة فى التقدير وفيه جواد

٣٢٤

الدعاء المخترع ولو فى الصلوة وقد صرح بعض الاصحاب بجوازه فيها ويا من عفوه قديم كعفوه عن آدم وزوجته
وبطشه شديد كبطشه على ابليس والامم الماضيه وفيه توقيف للنفس بين الخوف والرجاء مع بحانة لان وقدم
العفو يقتضى التعويل عليه وملكه مستقيم اى ما ملكه من المخلوقات مستقيم الاحوال والنظام بحيث لا يكون مثال
اتقن مما دبره ولا نظام احسن مما قدره او سلطانه ثابت لا يزول ودايم لا يزال اسئلك باسمك الذى شافهت
به موسى عليه السلام فى مشافهة او فى شفته من شفتيه والبلد والامر ادناه وشفهه كمنعه ضرب شفته وشغله
عليه فى المسئلة وهذا كناية عن نهاية قربه وكلامه بلا واسطة يا الله يا رحمن يا رحيم يحتمل ان يكون هذا هو الاسم المذكور
يا لا اله الا انت اى يا الله لا اله الا انت اللهم انت الصمد اى المقصود لجميع المخلوقات والمرجع فى جميع الحاجات
قوله عليه السلام دعاء وجيز اى سريع واقصر كلام وجيز اى خفيف مقتصد يشتمل على جل المقاصد او كلها وهذا الدعاء
كذلك فقال قل يا من دلنى على نفسه يندرج فيه الدلالة على المبدا وما يجب له وما يمتنع عليه وذلل قلبى بتصديقه
يندرج فيه تصديقه وتصديق رسوله وتصديق جميع ما ثبت انه جاء به رسوله اذ بانتفاء شيء منها لا يتحقق تصديقه
اسئلك الامن فى الدنيا والآخرة من مكارههما والايمان اريد به الايمان الكامل المقرون بامتثال الاوامر والنواهى
والتكرار ولم انفق درهما منه فى طاعة الله لا صرفه كله فى المعصية فصلى دعاء يخلف على ما مضى اى يرد الله على
بسببه مثل ما مضى من الاموال يقال اخلف الله عليه اى رده عليه مثل ما ذهب الا انه نسب الفعل الى السبب مجازا او لو
فاد ضمير يخلف الى الله لزم خلو الجملة الوصفيه من ضمير الموصوف ويغفر لى ما عملت من الماضى فقد طلب دعاء بصير
سببا للرد والمغفرة وعملا اعمله عطف على دعاء واريد به غيره من الاعمال الموجبة للمغفرة بل الرد ايضا قال قل
واى شيء اقول بدار المخاطب الى السؤال عن المقول اما لاظهار الشغف والسرور او لانه سكت عنه لتحصيل الاجر
قال قل كما اقول يا نورى فى كل ظلم اراد بالنور الهادى وبالظلم الجهاله والعدول عن منهج الصواب على سبيل
التشبيه ومن هدايته حصلت المداومة للسائل عما فعل حتى سال عما سال ويا انسى فى كل وحشة فى الكنز انس خوكرفتن
وارام كرفتن وحشت رميد لول ودوري جستن يعنى نكوفتن اليك واستقرارى بين يديك فى الوحشة من النفس والامارة
والشيطان وشرار الناس والفرار منهم انت دليلى اذا انقطعت دلالة الادلاء لعدمهم او لعدم ظهورهم او للعدم
امكان الوصول اليهم لياسهم من قبول الدلالة ولا يضل من هديت ضل عن الطريق جار وضل الشيء ضاع ولعل
المراد بالهداية الهداية الخاصة التى للاولياء بالاطف والتوفيق لسلوك سبيل الخير انعمت على فاسبغت ولعل
المراد باسباغها اتمامها واكمالها بحيث لا يكون فى شيء منها خلل ونقص فى حد ذاتها وبتوفيرها جعلها واسعة
على قدر الحاجة غير ناقصة عنه وباحسان الغذاء جعله من الطيبات كما قال تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم او ما خزل

العطا جعله كثيرا زايدا على قدر الحاجة وعلى هذا ظهر الفرق بين الفقرات والتاكيد محتمل بلا استحقاق لذلك تفعل بي

المجار متعلق بالافعال الاربعة على سبيل التنازع ويفعل على صيغة الخطاب وفي بعض النسخ يفعل بي بالياء التحتانيه والفاء بعدها فلم يمنعه لجرائي عليه الجرأة كالجرعة الشجاعة جزاكرم فهو جرى اى شجاع سارق

وركوبي لما نهيتني عنه ركب الذنب كسمع ركوبا اوفره كارتكبه فاللام زايدة ودخولي فيما حرمت على هذا اعم من ان المذكورة

لشموله ركوب المنهيات وترك الواجبات جميعا ان عدت علي بالفضل معمول لم يمنعك يعني لعمال القبيحة التي

هي اسباب المنع والحرمان لم يمنعك من رجوعك الي بالفضل والاحسان واهداء الايادي الجميلة والعطايا العظيمة

ولم يمنعك يمنعني حملك عني بالباقي وعدم العجلة في المواخذة وعودك علي بالفضل ان عدت في معاصيك

الى هذه النعم الجزيلة والكرامة الجميلة اسباب الحيا والانزجار عنها ونا هنا الا الكمال الوقاحة وفي لفظ فجع

مدخولها ايماء الى الاستقرار والاحاطة فانت العواد بالفضل العواد بالفتح والشد للمبالغة فيا اكرم من اقر له

بذنب اقر على البناء للمفعول من الغايب واكرم من خضع له بذنب في بعض النسخ بذل وهو الادب بقول اخضعت

فالت صانع في كرمك الموصول مع صلة مبتدا وكرمك خبره في بعض النسخ بي بالباء لي واقرارى بذنبي لعزتك

في بعض النسخ وعزتك وخضوعي بذلك الواو في الموضعين لو البلته للقسم افعل بي ما انت اهله من الكرم والفضل و

والاحسان ولا تفعل بي ما انا اهله من البعد عن الرحمة والعقوبة والخذلان ثم بحمد الله وحسن توفيقه كتاب الدعاء

ويتلوه كتاب فضل القرآن من كتاب الكافي تاليف الشيخ الجليل محمد بن يعقوب الكليني غفر الله له في الثاني والعشرين شهر جمادى الثاني

كتاب فضل القرآن العظيم بسم الله الرحمن الرحيم قوله يا سعد تعلموا القرآن هو في اللغة مصدر بمعنى الجمع والقراءة

وفي العرف كلام منزل للاعجاز بسورة منه وسمي قرآنا لانه جمع القصص والامر والنهي والوعد والوعيد والآيات

والسور بعضها الى بعض والغرض من هذا الحديث هو الحث على ممارسته ومدارسته وتعلمه وفهمه وحفظه وتذكر

ما فيه من الامور الغريبة والاسرار العجيبة بقدر الوسع والامكان ثم التوقع لشفاعته في يوم تشفع لمحبيه من اهل

الايمان وقد نقل عن بعض المشايخ انه قال كنت احب قراءة القرآن اكثر منها ثم اني اشتغلت بكتابة الاحاديث والعلم

فقلت قراءتي وتلاوتي فنمت ليلة فرايت قايلا يقول ان كنت تزعم حبي فلم جفوت كتابي اما تدبرت فيه من لذيذ

خطابي فانتبهت فزعا وعدت الى قراءتي فان القرآن ياتي يوم القيمة في احسن صورة نظر اليها الخلق تصويره بالصورة

المذكورة امر حكمي كتصوير الاعمال والاعراض بالاجسام كما نطقت به روايات وروايات العامة وذهب اليه

المحققون من الطرفين فوجب ان لا يستبعد ولا ينكر تعلق القدرة القاهرة به قال صاحب اكمال الاكمال

لشرح مسلم القرآن يصور بصورة ويجي بها يوم القيمة ويراها الناس كما يجعل الاعمال صورا وتوضع في الميزان

ويغ

ويقع فيها الوزن والقدرة صالحة لايجاد كل ممكن والايمان به واجب انتهى كلامه بعبارته وانما كانت صورته احسن

احسن الصور لانه كلام رب العزة وهو احب الخلق اليه فالبسه صورة هي احب الصور واحسنها الدين وليس

الصورة في القيمة تابع للكمال وكل كمال صوري ومعنوي موجود فيه هذا وقيل هذه الصورة هي صورة المسلمين على

تقدير رعايته حق الرعاية والاتيان بجميع ما فيه ولكن لما تيسر لهم ذلك رواهم بصورتهم التي كانت لهم على تقدير الاتيان

والظاهر ان صورة خاتم الانبياء احسن منه لان وجوده تابع لوجوده ولولا وجوده صم لم يوجد احد من الممكنات

فوجوده لحب اليه عز وجل من جميع الممكنات والناس صفوف وكذا الملائكة كما يوى اليه والواو للحال ما تيسر و

عشرون الف صف بيان لصفوف او خبر بعد خبر ثمانون الف صنف امة محمد صم الامة تطلق على شيعته

اتباعه وعلى عموم اهل دعوته فيندرج فيها اهل الكفر واكثر استعمالها في الاحاديث المعنى الاول ولا يبعد ان

يكون المراد هنا هو الثاني وان يكون الف من سائر الامم الكلام في الامة كالسابق فياتي على صف المسلمين اى

هذه الامة على الظلم والتعميم محتمل والمراد بهم بعضهم الواقفون في صفة واحد بقرينة ذكر الشهداء وفي على دلالة

على الاشراف والاستعلاء الموجب لرؤية الجميع في صورة رجل فيسلم فينظرون اليه في التسليم بشارة لان السلام

من الامان دليل واضح على النجاة ثم يقولون لا اله الا الله الحليم الكريم فيه مع قصد التوحيد تعجب صنعه

وتوقع لكرمه وعفوه عن التقصير في العمل بالنسبة الى علمهم راوه كما صرحوا بان هذا الرجل من المسلمين فالواطلع الاثم

راوه في صفهم بعرفه بنعته وصفته جزا يحم والنعت وصف الشي بما فيه من حسن ولا يقال في القبيح والصفة وصف

الشي بما فيه من حسن او قبح فهي اعم من النعت والمراد هنا الاول ولعل المراد انا نعرفه بهذا الوصف وهو كونه من المسلمين

غير انه كان اشد اجتهادا منا في القرآن اى في تعلمه ومدارسته والعمل بما فيه وفيه دلالة على ما ذكرنا من حسن الصورة

تابع لكمال العلم ثم يجاوز حتى ياتي على صف الشهداء الظاهر انهم كل من قتل بين يدي الامام العادل وشموله لكل من له

ثواب الشهداء محتمل نعرفه بسمته وصفته في المغرب السمت الطريق ويستعار لهيئة اهل الخير فوق ما الحسن سمته

فكثر تعجبهم منشاء التعجب مشاهدة امر غريب عظيم القدر فايق في الحسن والبهاء رايق في النور والضياء مع خفاء

سببه وحقيقته ان هذا النبي مرسل اى في ظننا البت كونه في صورة نبي مرسل كما مر فلا يلزم الكذب نعرفه بسمته

وصفته وهي كونه من صنف الانبياء والمرسلين غير انه اعطى فضلا كثيرا امتاز به عن ساير الانبياء ويقولون الحمد

من هذا الذي عن ساير الانبياء امتاز بالحمد والمراد السوال عن اصله ونسبه واسمه فيقولون لهم او ما تعرفونه الاستفهام

التعجب والواو للعطف على محذوف يعني تسئلون عنه وما تعرفونه فيقولون ما نعرفه بخصوصياته الموجبة

لتعينه هذا من لم يغضب الله عليه يعني انما نعرفه بهذا الوجه الذي لا يفيد تعينه وهو انه لم يفعل شيئا يوجب

غضب الله عليه ولو كان ترك الاولى فيقول رسول الله صم هذا حجة الله على خلقه فعلموا ان القران يشبه الطلاق
الحجة عليه لو ليهم صم لمصلحة كان اطلاق الحجة على غيره ايضا شايع ووجه كون القران حجة الله على العباد انه يخبرهم
بكل ما اراد الله تعالى منهم مما له مدخل فى نظام دينهم ودنياهم ويقول لهن تعالى ربنا وتقدس اى تعالى فى الشرف والرتبة
عن وصف الواصفين ونعت الناعتين وتطهر عن النقايص والتشابه بالمخلوقين ثم يجاوز حتى ينتهى الى رب العزة
اى الى عرشه او محل شاء اجابة نظيره قول ابرهيم ع انى ذاهب الى ربى اى يعبد ربى اذ محل عبادته وقول موسى ع انى
عجلت اليك رب لترضى الى محل مناجاتك وهو الطور واشفع تشفع شفع كمنع شفاعة طلب العفو عن ذنب احد
وشفعه تشفيعا قبل شفاعته كيف رايت عبادى فى صونك وحفظك وتلاوتك ومدارستك وامتثال ما
امرته به ونهيت عنه فيقول يا رب منهم من صانى عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وحافظ على بالتلاوة
وضبط الايات والمعانى الظاهرية والباطنية والاوامر والنواهى والمواعظ كلها وتعدية حافظا على التضمين
معنى القيام ونحوه ولم يضيعنى شيئا القيامه على العمل والاجتهاد ودوامه على الامتثال والانقياد ومنهم من
ضيعنى ترك العمل والمتابعة واستخف بحقى بترك الدراية والمحافظة وكذب بالتحريف والتبديل بالانكار و
عزتى وجلالى وارتفاع مكانى اقسم بعزته القاهرة وعظمته الكاملة ومرتبته الفايقة لاثيبن عليك اليوم
احسن الثواب وهو الذى لا نقص فيه والظ ان على التعليل كاللام كما قيل فى قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هديكم
ولاعاقبن عليك اليوم اليم العقاب وصف العقاب بالاليم وهو المولم للمبالغة فى شدته فياتى فى صورة شاحب وكان
متغير الشاحب بالشين المعجمة والحاء المهملة من تغير لونه من جوع او هزال او سفر او غيره فالوصف للتوضيح
هذه الصورة هى التى حدث علامة العصاة وهى موجودة ايض فى هذه الدار الا انها لا تراها الابصار والصورة
السابقة صورته الحقيقة التى ناسبه بذاته وكمالاته وقيل سبب رجوعه الى هذه الصورة سماعه الوعيد الشديد
وهو وان كان على غيره لكنه لا يخ من التاثير فى من اطلع عليه يبصره اهل الجمع على وصف التغير لكونه فى موضع عال
كالشمس المنكسفه وفى بعض النسخ ينكره فياتى الرجل من شيعتنا من بيان للرجل او حال عنه الذى كان يعرفه
اريد بمعرفته معرفة تلاوته وقراته وظاهره وباطنه بالتدبر والتفكر على قدر الامكان كما يشعر به قوله ويجادل
به اهل الخلاف من الكفار واهل الاسلام بالاعجاز وفروع العقايد واصولها التى من جملتها الولاية لاهلها
فيقول القران انا الذى اسهرت ليلك وانصبت عيشك السهر ترك النوم فى الليل سهر كفرح اذ لم ينم ليلا واسهره
غيره والنصب التعب نصب كفرح تعب وانصبه غيره اتعبه والعيش الحيوة وما يعاش به ويكون به الحيوة والظ
ان اسناد الاسهار الى القران وهو السبب له مجاز عقلى كتعلقه بالليل وتعلق الانصاب بالعيش وفى بعض الاذى

انيخ

ايحق ثلث ومتابعة حكمى واجراء امرى سمعت من اعدائى واعدائك الاذى والمكروه من القول ورجمت بالقول فى
الرجم القذف واللعن والشتم والطرد والرمى بالحجارة الامان كل تاجر قد استوفى تجارته يعنى كل عامل ياخذ
اليوم جزاء عمله ونفعه كاملا الا انه شبهه بالتاجر فى انه يشترى بعمله الثواب والعقاب وانا وراءك
اليوم الوراء الخلف والقدام ضد يعنى انا خلفك او قدامك بحفظك من الاهوال والمكاره ونسوقك الى
الجنة فرده مزيد الخير كله المزيد والزيادة بمعنى وفى ذكره ايماء الى طلب الزيادة الموعودة فى قوله تم ولدينا مزيد
مع ما فيه من المبالغة كما فى التاكيد لا يخلى له اليوم خمسة اشياء يحله محله كنصره محلا بالضم اعطاه و الاسم
المحل بالكسر وبضم وهو العطاء العطية واحله منا اعطاه وما الاحضة شئ منه كمحله بالتشديد فيهما
فيجوز فى الفعل المذكور ثلثه اوجه مع المزيد لم دل على ان المزيد غير ما اعطاه سابقا وغير هذه الخمسة ولعل
المراد به النعماء الغير المحصورة فى الجنة او تجليات الحق وانواره كما يكون للانبياء والاوصياء ولمن كان غيرهم له
عطف عليه فى قوله لا يخلى له لا فى قوله مع المزيد لم احتماله فظهر الفرق بالتامل الا انهم شباب لا يهرمون
الشباب الفتيا وايض جمع شاب وهو المراد هنا واحياء لا يموتون لعل المراد بالحيوة الحيوة الطيبة وهى التى
لا تعب ولا مشقة ولا كدورة معها فلا يرد ان اهل النار ايض احياء لا يموتون فان حيوتهم مكدرة شبيهة بالموت
ثم تلا هذه الاية لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وشبه الموت بالمطعوم مكنية والذوق وهو ادراك
طعم الشئ تخييلية وقد يجعل كناية عن العلم كالشم فى قولنا فلان لم يشم هذه المسئلة والضمير للجنة والاستثناء
اما متصل يعنى لا يعقلون فى الجنة الموت الواقع فى احد الازمنة ولا يتعقلون الا الموتة الاولى وهى التى بعد
الحيوة الدنيوية والقبرية او منقطع يعنى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى لو امكن ذوقها ولكنه ممتنع
لان الموتة التى قدر وقوعها ووقعها فى زمان ماض لا يمكن وقوعها ووقعها فى المستقبل فهو من باب التعليق
بالمحال والمقصد على التقديرين نفى الموت منهم وثبوت الحيوة الابدية لهم ورام بعض المفسرين ومنهم القاضى حمل
الاستثناء متصلا فقالوا تارة الضمير للاخرة والموت اول احوالها وقالوا تارة للجنة والمومن يشاهدها بالموت
ويشاهدها عنده فكانه فيها وظنوا ان فيهما تكلف اما فى الاول فلان الظ بل المتعين ان الضمير للجنة واما فى الثانى
فلان مجاز المشارفة والظرفية المجازية خلاف الظ قال قلت جعلت فداك يا ابا جعفر وهل يتكلم القران قوله
جعلت فداك ليس فى بعض النسخ والواو اما زايدة او للعطف على مقدر اى اتقول ذلك وهل يتكلم القران
والظ ان المراد بالتكلم التكلم باللسان وان سعدا لم يشك فيه بعد سماعه من المعصوم ع وانما سال التقرير
وتثبيته ذلك فى الذهن لكونه امرا مستبعدا بين الناس فلذلك قال لا استطيع اتكلم به فى الناس او قال ذلك

تعجبا وفرحا ثم استبعادهم لا وجه له لان من استحضر ان نسبة الكائنات الى قدرة الله تعالى سواء لا يستغرب شيئا من ذلك وقال بعض المعاصرين تكلم القرآن عبارة عن القائه على السمع ما يفهم منه المعنى وهذا هو حقيقة معنى الكلام ولا يشترط صدوره من لسان لحمي وكذا تكلم الصلوة فان من اتى بالصلوة بجميعها وحقيقتها نهته الصلوة عن متابعة اعداء الدين وغاصبي حقوق الائمة الراشدين الذين من عرفهم عرف الله ومن ذكرهم ذكر الله وفيه ان المتكلم بهذا المعنى لا يستبعده احد فقال نعم يا سعد اي نعم القرآن يتكلم فقوله والصلوة تتكلم عطف على الجملة الدالة عليها نعم ولها صورة وخلق تامر وتنهى الظاهر ان لها صورة كصورة الانسان وخلقا كخلقهم الا انها لا ترى في هذه الدار لكونها دار لكون ودار تكليف قال سعد فتغير لذلك لوني لدلالته على انه يفهم من المتكلم ما ذكرنا الا ما ذكره المعاصر والا لما كان للاستبعاد والتغير ولا القول وقلت هذا شيء لا استطيع انكلم به في الناس وجه لان الشيعة كلهم قائلون بتكلم على ما ذكره ذلك المعاصر وكذا العامة الا في الولاية ونحوها فقال ابو جعفر وهل الناس الا شيعتنا الاستفهام للانكار اي ليس الناس الموصوفون بحقيقة الانسانية الا شيعتنا وهم يقبلون منا واما غيرهم فهم نسناس وبهائم في صورة الناس فقطع القول منهم كالطمعة منها فمن لم يعرف الصلوة بالوصف المذكور وهو انها تتكلم ولها صورة وخلق تامر وتنهى فقد انكر حقنا ارده قولنا بانها على ذلك الوصف وانكاره تكلمها بجعلنا والفحشاء والمنكر تكريرهم للتحقير او للتكثير واوليائهم او لهم بهذا الاسم لان كل من سواهم من الخلفاء الاموية والعباسية والجائرين الى يوم القيمة ورجال اتباعهم نشاوا من جودهم ونحن ذكر الله لان الناس بنا يذكرون الله ويعبدونه ونحن اكبر من ان يذكر وصفنا الواصفون ويعرف قدرنا العارفون وقد دلت على انه لا يمكن معرفة وصفهم وحقيقتهم روايات آخر مذكورة في محلها قوله ايها الناس انكم في دار هدنة يصلح ان يكون امرا للاخبار بعده بالمصالحة مع الاشرار ولكن لا تغتروا بآخر باقي ذكره وانتم على ظهر سفر الظهر الصلب والمراد الابل التي يحمل عليها او يركب والاضافة لامية وفيه على الاول مكنية وتخييلية وعلى الثاني استعارة محققة تشبيه الليل والنهار بالظهر واستعارتها وفيه على التقادير مبالغة في شدة السير وسرعته والوغول فيه كما اشار اليه بقوله والسير بكم سريع السير الذهاب والاذهاب يقال سار يسير اذا ذهب وساره غيره اذا اذهبه كساره والفاعل السير الظهر والباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمبالغة ثم اشار الى تحقق ذلك وظهوره لمن له بصيرة بقوله وقد رايتم الليل والنهار وتعاقبهما والشمس والقمر ودورهما يبليان كل جديد كما هو المشاهد في الحيوانات والنباتات وغيرهما من المكونات وحسبك النظر في احوال نفسك من بدو وجودك الى اوان

الشيوخة

الشيوخة ويقربان كل بعيد الا ترى ان كل ما هو في الحال كان بعيدا في زمان نوح مثلا وكل ما يقع في الاستقبال ليصير حالا وما ذلك الا بتعاقب الليل والنهار ودوران الشمس والقمر ويأتيان بكل موعود الا ترى كيف اتيا بغاية اجال ابائك واجدادك وكل من كان في الاعصار السابقة ولا تتفكر في انهما سياتيان بغاية اجلك وبما وعد الله تعالى للمطيعين والعاصين ثم اشار الى ما هو كالنتيجة بهذا الكلام البليغ والمقصود منه بقوله فاعدوا الجهاز لبعد المجاز اي لبعد الطريق وطول السفر المفتقر الى تحمل الزاد الكافي فيه وجهاز المسافر بالكسر والفتح ما يحتاج اليه في سفره والمراد به هنا الطاعات والعبادات المفروضة والمندوبة وما دار الحديث سال عن تفسيرها لكونها مبهمة محتملة لوجوه قال دار بلاغ الى حين انقطاع منها الى الآخرة والبلاغ بالفتح اسم لما يتبلغ ويتوصل به الى الشيء المطلوب وبالكسر مصدر بمعنى الاجتهاد يقال بالغ مبالغة وبلاغا اذا اجتهد واذا التبست عليكم الفتن في الدين بعدي بافتراء المفترين وانتحال المبطلين كقطع الليل المظلم شبه الفتن بها في كونها مظلمة سوداء تعظيما لشانها او في انها سائرة للقصد مانعة من الاهتداء اليه والوجه في المشبه به حسي وفي المشبه عقلي فعليكم بالقرآن اي الزموا احكامه وما نطق به ولا تتعدوه فانه شافع من تمسك به وعمل بما فيه مشفع مقبول الشفاعة والمشفع بشد الفاء المفتوحة من تقبل شفاعته ويكرمها من تقبل الشفاعة وماحل مصدق المحل الجدال والساعي محل به اذا سعى به الى السلطان يعني انه مجادل مخاصم لمن رفضه وترك العمل بما فيه او ساع يسعى به الى الله عز وجل مصدق فيما يقول ومن جعله امامه بان يقربه ويعتقد بحكمه ويعمل بما فيه قاده الى الجنة وانزله في المقام اللائق بحب اجتهاده ومن جعله وراء ظهره بانكاره او ترك العمل بما فيه ساقه الى النار نسبة القود والسوق اليه مجاز كنسبة الفعل الى السبب او حقيقة باعتبار انه يتصور بصورة انسانية في القيمة كما مر وهو الدليل يدل الحائرين في بيداء البطالة والجهالة الى خير سبيل يوصل الى الكرامة والسعادة وهو كتاب رفيع الشان عظيم القدر لا يبلغ كنه حقايقه الا الراسخون في العلم فيه تفصيل وبيان وتحصيل لاشتماله على تفاصيل العلوم والاخلاق والاداب وغيرها وبيان كل ما يتم به نظام الخلق في الدنيا والآخرة وتحصيل الامور يعني تحقيقها واثباتها من حصلت الامر اذا حققته واثبته وهو الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل لا يجد كله والهزل واللعب من واد واحد وهو ضد الجد وله ظهر وبطن من طريق العامة ما نزل من القرآن آية الا لها ظهر وبطن قال ابن الاثير في قيل ظهرها وبطنها معناها وقيل اراد بالظهر ما ظهر تاويله

وعرف معناه وبالبطن ما بطن وقيل قصصه في الظاهر اخبار وفي الباطن عبرة وتنبيه وتحذير وغير ذلك وقيل اراد بالظهر
التلاوة وبالبطن التفهم والتعليم اقول يمكن ان يراد بالظهر ما يدل عليه اللفظ من المفهوم اللغوي وبالبطن ما يندرج
تحت ذلك المفهومات من الحقايق واللطايف والدقايق والاسرار التي بعضها فوق بعض ولا يعرف جميعها الا
الطاهرون الراسخون في العلم ظاهره حكم الحكم بالضم القضاء والحاكم منفذ الحكم والمنع ومنه حكمة اللجام بالتحريك
وهي حديدة في فم الفرس تمنعه من مخالفة راكبه والاحكام والاتقان وفي الكنز استوار كار شدن ومنه الحكيم
لانه يحكم الاشياء ويتقنها فهو فعيل بمعنى مفعل يعني ان ظاهره وهو الفاظه وعباراته واسلوبه وآياته حاكم فاصل
لنا وعلينا او كلام مانع من الجهل والسفه وينهى عنهما او محكم متقن لا اختلاف فيه ولا اضطراب وباطنه علم
بتفاصيل الاشياء من المواعظ والامثال والاحكام والاخلاق واحوال المبدأ والمعاد وغير ذلك مما ينتفع به
الناس ويستقيم به نظامهم في الدنيا والآخرة وظاهره انيق الانيق محرك الفرح والسرور والكلأ انق كفرح والشيء
اعجبه وبه اعجب يعني ان ظاهره حسن معجب لاشتماله على اسلوب عجيب وتركيب غريب ومزايا فاخرة ونكات
زاهرة تتحير في حسنه الفصحاء وتتعجب منه البلغاء وباطنه عميق لا يصل الى قعره عقول العلماء ولا يبلغ الى اصله
فحول الحكماء له نجوم وعلى نجومه نجوم اما مصدر بمعنى الظهور والطلوع يقال نجم الشيء ينجم بالضم نجوما اذا طلع وظهر
او جمع نجم بمعنى الكوكب او الاصل او الوقت المضروب لحصول الشيء والمقصد على التقادير ان معانيه مترتبة غير
محصورة يظهر بعضها من بعض ويطلع بعضها عقيب بعض لا تحصى عجايبه العجب الشيء الذي عظم موقعه عند
الناس ولا تبلى غرايبه لان غرايبه وهي المزايا والاسرار الخارجة عن طوق البشر البعيدة من افهامهم واوهامهم
كلما ادركت مرة بعد اخرى كانت جديدة معجبة للنفس موجبة للنشاط بها والميل اليها مصابيح الهدى الهدى
بضم الهاء وفتح الدال الرشاد والدلالة والمصباح السراج والجمع باعتبار السور والآيات والاضافة لامية
واطلاقها على القرآن من باب الاستعارة ومنار الحكمة اي محل ظهورها والاضافة لامية واصله منور من النور
وهو الظاهر في نفسه المظهر لغيره والحكمة قيل هي عبارة عن معرفة افضل الاشياء بافضل العلوم وشاع
اطلاقها على العلم بالشرايع النبوية ودليل على المعرفة اي معرفة الرب وصفاته الذاتية والفعلية او الاعم الشامل
لمعرفة ما يراد من الانسان وما يتم به نظامهم في الدارين وفي بعض النسخ دليل على المغفرة لمن عرف الصفة هي
اما مصدر يقال وصف الشيء يصفه وصفا وصفة اذا بين حاله وذكر اوصافه او نعت وهو حال الشيء وحليته
وآثاره يعني ان القرآن دليل على المعرفة لمن عرف وصف القرآن للاشياء ونطقه باحوالها التي من جملتها الو[illegible]
اذ لا يتم المعرفة بدون معرفتها او لمن عرف نعته وصفة من الغرايب العجايب والمزايا المندرجة فيه والله اعلم

فصل

فليجل جال بصره اي بصره القلبي ليدرك جوانب الكلام والطرائف وحقايق مدلولاته واسراره وقوله فليجل اما من
الجلاء يقال جلا السيف والمرآة اذا صقلهما او من الاجالة وهي الادارة يقال اجاله وبه اداره وجال اذا دار وفي
جال قلب اصله جائل كما في شاكي السلاح وليبلغ الصفة نظره اما من البلوغ وهو الوصول او من الابلاغ
وهو فعل الايصال فان فعل ذلك نجا من عطب اي من هلاك لتميزه بين الحق والباطل والضلالة والهداية وثبات
في سبيل الرشاد بمتابعة اهل العصمة والولاية وتخلص من نشب النشب بالتحريك علوق العظم ونحوه في الحلق وعدم
نفوذه فيه وهو مهلك غالبا لسده مجرى النفس فهو كناية عن الهلاك ويمكن ان يراد به نشب الضلالة والجهالة
والغواية على تشبيهها بطعام ذا غصة في الاضرار والاهلاك ثم علل ذلك بقوله فان التفكر في الاسرار الالهية
واللطائف القرآنية حيوة قلب البصير اي سبب لحيوته فالحمل للمبالغة وذلك لان التفكر سبب للعلم والعلم سبب للحيوة
كما ان الجهل سبب للموت والعمى يرشد قوله تعالى امن كان ميتا فاحييناه والبصير محركة من العين حسها ومن القلب
نظره وخاطره وادراكه تبصر به ككرم وفرح صار بصيرا اي مبصرا والمراد به هنا العالم او العقل الذكي واضاف
القلب اليه اما للامية او بيانية وفي الجمع بينهما فايدة هي انه لو لم يذكر القلب لتوهم ان المراد بالبصير البصير بالعين ولو لم
يذكر البصير لتوهم ان التفكر سبب لحيوة القلب للجاهل والغبي ايضا وليس كذلك كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور اي
بنور المصباح والمشعل والظرفان متعلقان بيمشي او بالمستنير او بهما على سبيل التنازع او الاول بالاول و
الثاني بالثاني او بالعكس وفيه تشبيه معقول بمحسوس على سبيل التمثيل لقصد الايضاح فعليكم بحسن
التخلص اي بحسن النجاة من الباطل وقلة التربص اي قلة الانتظار والمكث عند الشبهات لان الشبهة
مرض مهلك والفرار من المهلكات واجب وانما التربص الضروري وهو قدر ان يحصل العلم بالحق ويكفي فيه
ادنى تفكر وقد مر شرحه في آخر كتاب العقل قوله ان الله العزيز الجبار اي الذي غلب على جميع الخلايق بالايجاد
والافناء وجبر مفاقر العباد بكفاية اسباب المعاش والارزاق واصلح نقايص حقايق الممكنات بافاضة
الوجود وما يتبعه من الخيرات والكمالات انزل عليكم كتابه وهو الصادق البار لانه صادق في جميع ما نطق
به ومتبع احسانه الى جميع الانام وسايق قايدهم الى دار السلام فيه خبركم حال الموجودين الحاضرين و
الغائبين على سبيل التغليب وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم يعني فيه اخبار كل واحد واحد وبيان احواله
المختصة به والمشتركة بينه وبين جماعة من المصايب والنوايب وما يصدر منه وما يرد عليه وما يتعلق به
ويراد منه على الخصوص او العموم وخبر السماء والارض يعني فيه خبر جوهر السماء وسكانها وحركات الافلاك
ودورانها واحوال الملائكة ومقاماتها وحركات الكواكب ومداراتها ومنافع تلك الحركات وتاثيراتها الى غير

ذلك من الامور الكائنة في العلويات وفيه خبر جوهر الارض وكيفية ايجادها وانهائها وخبر ما في لججها
وارجائها وما في تحتها واهويتها وخبر ما فيها من المعدنيات وما في جوف فلك القمر من البسائط والمركبات
الى غير ذلك من الاحوال المتعلقة بالسفليات ولو اتاكم من يخبركم عن ذلك اي عما في القرآن من العلوم والحقائق
والاسرار والدقائق وما كان وما يكون وما هو كائن لتعجبتم منه لسمو حاله وعلو كماله ونهاية لطافته وغاية
غرابته والحاصل انكم تتعجبون منه لو علمتم ما فيه واحتمال انكم تتعجبون ممن يخبر عما فيه ومن خبره فكيف لا تتعجبون
منه مع انه مخبر عنه ايضا بعيد لان التعجب بعد العلم لا يستلزم التعجب قبله فتامل قوله ثم اسالكم ما فعلتم بكتاب
الله وباهل بيتي هذا خبر وفي الحقيقة امر بمتابعتهما والتمسك بهما لئلا يضلوا وقد روى احمد بن حنبل في مسنده
باسناده عن ابي سعيد الخدري ومسلم في صحيحه باسناده عن زيد بن ارقم عنه صلعم مثله ما ذكرناه في كتاب الحجة
قوله ان هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدجى الاضافة الاولى لامية والثانية ظرفية والدجى بالضم الظلم
واطلاقها على الشبهة والبدعة من باب الاستعارة كاطلاق المنار والمصباح وهما محل النور والضوء على العلم
على ما في القرآن من الآيات التي اعظمها الائمة عليهم السلام فليجل جال الآية وقد تبين تفسيره وقبل ذلك قوله ان القرآن هدى
النهار ونور الليل المظلم على ما كان من جهد وفاقة كان تامه والجهد المشقة والفاقة الفقر والحاجة والظرفان على
متعلق بهدى ونور وعلى في للظرفية كما في قوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة يعني ان القرآن هدى للمؤمنين في
النهار ونور لهم في الليل المظلم في حال شدة ومشقة من البلايا والفتن وتوارد الشبهات اذ يهديهم الى الحق وسلوك سبيله و
حال الفقر والفاقة اذ يحملهم على الصبر الجزيل الاجر او يدفعهما عنهم بالخاصية او ببعض الآيات والسور الموجبة لزيادة
الرزق وفيه حث على التزام قراءته والتذكر فيه بالليل والنهار بذكر فائدتين احداهما الاخروية والاخرى الدنيوية هذا
ما خطر بالبال والله اعلم قوله استشف بالقرآن اي بقراءته مطلقا او على قصد الشفاء واطلاق القرآن يقتضي ان كل آية
وكل سورة شفاء وقد روي الاستشفاء ببعض الآيات وبعض السور في خصوص بعض الامراض والحمد مجرب للحمى
سبعين مرة ان الله عز وجل يقول في وصف القرآن وشفاء لما في الصدور عمومه شامل لجميع الامراض الصدرية
من الاوجاع والاحزان والهموم والجهالات وغيرها ولا وجه لتخصيصها بالجهل قوله لا والله لا يرجع الامر والخلافة
الى آل ابي بكر وعمر ابدا اشار به الى ان امر الامامة والخلافة التي هي الرياسة العظمى انما يرجع الى من علم القرآن
ظاهره وباطنه وعمل به وهو علي عليه السلام واهل العصمة من اولاده لا الى المذكورين ولا اولادهم الجاهلين بالقرآن
النابذين له وراء ظهورهم المعطلين لاحكامه وحدوده التابعين لاهواء نفوسهم الامارة الضالين المضلين
وذلك ظاهر لان خليفة النبي صلعم يجب ان يكون مثله عالما بالقرآن عاملا به ليكون مرجعا للخلائق في جميع ما

بحوث

٣٢٩

ما يحتاجون اليه القرآن هدى من الضلالة من هنا اما للابتداء الغاية او بمعنى في كما في قوله تعالى اذا نودي للصلوة
من يوم الجمعة يعني ان القرآن يهدي من الضلالة او فيها الى الحق ويبين سبيله وتبيان من العمى التبيان الكشف
والايضاح والعمى الضلالة والجهالة يعني ان القرآن يكشف الحق من الجهل ويوضحه واستقالة من العثرة العثرة
والعثار من المشي والسقوط على الوجه واستعيرت هنا للسقوط في الذنوب والمراد بالاستقالة طلب التجاوز
عنها من الاستقالة في البيع وهي طلب فسخه ورفع عقده والمداومة على القرآن سبب للحفظ عنها او دفع ما وقع
منها ونور من الظلمة بدفع ظلمة الشبهة والجهالة عمن يتمسك به وضياء من الاحداث جمع الحدث وهو الامر المنكر
الذي ليس بمعروف في السنة يعني انه ضياء يعرف به المعروف عن المنكر ويفرق بينهما وعصمة من الهلكة
لانه يبين ما يوجب الهلاك والعقاب ويحفظ صاحبه منه ورشد من الغواية الغواية الضلالة والانهماك
في الباطل والرشد خلافها يعني انه يرشد الخلائق الى الحق والصواب وسبيل الهداية ويزجرهم عن الباطل
والغي وسلوك سبيل الغواية وبيان من الفتن يظهر المعتصم به الحق وجهه ويميزه من الفتن وهي كل ما يصرف عنه
وبلاغ من الدنيا الى الآخرة البلاغ الايصال اي موصل من الدنيا بالمنع من الركون اليها والرغبة فيها الى الآخرة
والحث على ما يوجب رفع الدرجة فيها وفيه كمال دينكم اي ما يوجب كماله ومنه ولاية امير المؤمنين عم كما
روي في تفسير قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم انه اكمله بولايته ع وما عدل عن القرآن احد الا الى النار العدول
عنه يشمل انكاره وانكار بعضه كانكار مخالفينا ولايته عليه السلام وترك العمل بما فيه فان كل ذلك ذنب عظيم موجب
الدخول في النار قوله يامر بالجنة ويزجر عن النار اي يامر بما يوجب الدخول في الجنة ويزجر عما يوجب الدخول
في النار وهذا في المعنى امر بالامتثال باوامره ونهيه والمداومة عليه قوله قال رسول الله صلعم اعطيت السور
الطوال مكان التورية واعطيت المئين مكان الانجيل واعطيت المفصل مكان الزبور وفضلت بالمفصل ثمان
وستون سورة الطوال جمع الطولى تانيث الاطول وهي سبع سور البقرة وآل عمران والنساء والمائدة
والانعام والاعراف والانفال مع التوبة لانهما تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن
الرحيم وقيل السابعة سورة يونس وانما سميت هذه السور الطوال لانها اطول سور القرآن والمثاني قيل هي
جمع مثنى كمعنى ومعاني وقال الفراء جمع مثناة وهي ايضا سبع سور سورة يونس وهود ويوسف والرعد و
ابراهيم والحجر والنحل وانما سميت مثاني لانها تتبع الطوال اي تليها فكان الطوال المبادي والمثاني لها
ثواني وقيل المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني ووجه التسمية انه
يثنى فيه الحدود والامثال وقيل هي سورة الحمد وهي المروي عن الائمة عليهم السلام سميت بذلك لانها تثنى

في كل صلوة والمائون كل سورة تكون مائة آية او فويق ذلك او دوينه وهي ايضا سبع سور بني اسرائيل والكهف
ومريم وطه والانبياء والحج والمؤمنون وقيل المائون ما ولي السبع الطوال والمثاني بعدها وهي التي تقصر من المائين
وتزيد من المفصل سميت مثاني لان المائين مبادئها وهي ثانيها والمفصل ما بعد الحواميم الى آخر القران وهو
ثمان وستون سورة طواله سورة محمد صلعم الى النبا ومتوسطاته منه الى الضحى وقصاره منه الى آخر القران وسمي
مفصلا لكثرة الفصول ببسم الله الرحمن الرحيم وفي النهاية السابعة من الطوال هي التوبة ولم يذكر الانفال لانها
ولا انضمامها معها وفي ق المثاني القران او ما ثني منه مرة بعد مرة او الحمد او البقرة براءة او كل سورة دون
الطوال ودون المائين وفوق المفصل او سورة الحج والقصص والنمل والعنكبوت والنور والانفال و
مريم والروم ويس والفرقان والحجر والرعد وسبا والملئكة وابرهيم وص ومحمد صلعم ولقمان والغرف والزخرف
والمؤمن والسجدة والاحقاف والجاثيه والدخان والاحزاب اقول في قول من قال ان المثاني بعد المائين
اقصر منها نظر لانه ان اراد انها اقصر بحسب الآية ورد عليه ان سورة يونس اقل بحسب الآية من بني اسرائيل والكهف
والانبياء والمؤمنون وهود دون النحل اقل بحسبها من المؤمنون وسورة يوسف بحسبها مساو لبني اسرائيل والكهف
والانبياء واقل من المؤمنون وان اريد بها اقل بحسب الكتابة ورد عليه ان سورة الرعد والحجر اكثر بحسب الكتابة
من بني اسرائيل الى آخر المائين وهو المؤمنون وسورة ابرهيم اقل بحسبها من سورة الانبياء والحج والمؤمنون
وهو مهيمن على سائر الكتب اي شاهد عليها ولو لا انها شاهدة لما علم انها كتب سماوية لعدم بلوغها حد
الاعجاز قوله اظمات هواجره واسهرت ليله في دار الدنيا الهواجر جمع الهاجرة وهي نصف النهار عند اشتداد
الحر او من زوال الشمس الى العصر سمي بذلك لان الناس يهاجرون فيه من شدة الحر ويسكنون في بيوتهم
واسناد الاظماء والاسهار الى القران اسناد مجازي لكونه سببا لهما وكذا تعلقهما بالهواجر والليل تعلق
مجازي لكونهما ظرفا لهما وفلان بن فلان لم اظما هواجره ولم اسهر ليله قيل هذا مجاز عقلي بالاتفاق
ولا يصدق عليه تعريفه لانه اسناد الشيء الى غير ما هو له او ايقاعه على غير ما حقه ان يوقع عليه وفيه نفي
الاسناد ونفي التعلق واجيب بان المتصف بالتجوز هو الاسناد والتعلق بحسب الذات مع قطع النظر عن النفي
والاثبات فكما انهما متصفان بالتجوز في حال الاثبات كذلك متصفان به في حال النفي فيقول للمؤمن الذي
عمل به في الليل والنهار اقرا فارق فيه رق كرمى صعد كارتقى وترق والحالة للوقف قال فيقرا او رقا اي يقرا
آية ويصعد درجة فوق الاولى وهكذا حتى يبلغ كل رجل منهم منزلته التي هي له فينزلها الفعلان وهما يبلغ
وينزل للناس البلوغ والنزول او من الابلاغ والانزال وكل رجل على الاول فاعل وعلى الثاني مفعول قوله

ان

ان الدواوين يوم القيمة ثلثة في مصباح اللغة الديوان جريدة الحساب ثم اطلق على موضع الحساب وهو معرب والاصل
دوان فابدل له من احد المضعفين ياء للتخفيف ولهذا يرد في الجمع الى اصله فيقال دواوين وبالتصغير دويوين
لان التصغير وجمع التكسير يردان الاسماء الى اصولها ودونت الديوان اي صنفته وجمعته فيستغرق النعم
عامة الحسنات اي جميعها وفي لفظ الاستغراق ايماء الى انه يبقى بعض النعم لا اكثرها بلا مقابلة من الحسنات
ويطيل ليله بترتيل في ح الترتيل في القراءة الترسل والتبيين بغير بغي وكلام رتل بالتحريك اي مرتل وفي ق
المرتل محركة حسن تناسق الشيء والحسن من الكلام والطيب من كل شيء ورتل الكلام ترتيلا احسن تاليفه و
ترتل فيه ترتلا وفي ي الترتيل التؤدة وتبيين الحروف بحيث يتمكن السامع عدها وقال بعض الاصحاب هو
حفظ الوقوف واداء الحروف اي كمال اكمالها والاطالة كناية عن السهر وترك النوم لان الليل عند الساهر طويل
وتغميض عيناه اذا تهجد التهجد النوم في الليل والاستيقاظ فيه ضد والمراد هنا هو الثاني فارضه كما
ارضاني آه تلاوته وترتيله من جملة الحسنات التي قوبلت بالنعماء لكن شفاعته المقبولة سبب النجاة وعلو
الدرجات ودفع السيئات ولعل بسط اليمين وملأها من الرضوان وملأ الشمال من الرحمة من باب التمثيل لان كل
من اخذ شيئا من غيره اخذه بيمينه وشماله قوله لومات من بين المشرق والمغرب ما استوحشت بعد ان يكون
القران معي اراد ان من كان معه القران بالتلاوة والتدبر في آياته والتفكر فيما فيه من اسراره واحكامه وقصصه و
وحكاياته لا يستوحش من الوحدة ولا يهتم بالانقطاع عن الخلق والظاهر ان المراد بالموت المعنى المعروف
مع احتمال ان يراد به انقطاع الخلق كلهم عنه اذ فيه موت نفوسهم بالضلالة والجهالة وكان اذا قرا
مالك يوم الدين يكررها حتى كاد ان يموت خوفا من ملاحظة عظمة المالك وكمال كبريائه وجبروته و[illegible]
شدايد ذلك اليوم واهواله واحوال الخلائق فيه قوله ثم ينظر اليهم الشهداء حتى انتهى الى آخرهم آه هذا لا
ينافي ما دل عليه الجزء الاول من انهم لا يعرفونه وانهم يقولون هذا من الوجهين الاول انهم لم يعرفوه
في بادي النظر فقالوا ذلك ثم بعد التفكر او الالهام عرفوا وقالوا هو القران ومثل ذلك كثير شايع والثاني
ان القائل الاول بعضهم والقائل الثاني بعض آخر منهم وبالجملة لا منافاة عند مغايرة الوقتين او مغايرة
القائلين قوله ان لاهل القران في اعلى درجة من الآدميين المراد به من تعلمه وحافظه وواظب على تلاوته وعمل بما
فيه فان كل ذلك يصدق عليه انه من اهل القران بل صدقه على العامل اولى من صدقه على القاري لان العمل
هو المقصود بالذات والقراءة تابعة وصدقه على القاري العامل اولى من صدقه على احدهما قوله الحافظ للقران
العامل به مع السفرة الكرام البررة من طريق العامة مثل الماهر بالقران مثل السفرة في ترحم الملك كرم سافرو

والشافر فى الاصل الكاتب سمى به لانه يبين الشئ ويوضحه قوله تعم بايدى سفرة كرام بررة وفى كتاب الكمال
لشرح سلم هم الملئكة سموا بذلك لنزولهم بما يقع به الصلاح بين الناس تشبيها بالسفير وهو الذى يصلح بين
الرجلين وقيل لانهم يسفرون بين الله تعالى وانبيائه عليهم السلام بالوحى وقيل هم الكتبة من الملائكة لانهم ينسخون
الكتب من اللوح المحفوظ وقيل هم الانبياء لانهم سفراء بينه وبين عباده والمراد بكونهم كراما انهم اعزاء على الله
او متعطفون على المؤمنين مستغفرون لهم وبكونهم بررة انهم مطيعون له تعالى فاعلون للخيرات منزهون
عن النقايص والسيئات والظاهر ان المراد بكون الحافظ للقران معهم انه معهم فى درجتهم ومنازلهم فى الاخرة
ورفيق لهم فيها لاتصافه بصفتهم فى حملة كتاب الله عز وجل وقيل المراد به انه عامل بعملهم كما يقال فلان مع
بنى فلان اى فى الراى والمذهب كما قال لوط عم ونجنى ومن معى الاية قوله وكل تاجر من وراء تجارته يطلب ربحها
لنفسه بنفسه فى هذا اليوم وهو يوم حاجته وانا لك اليوم من وراء تجارة كل تاجر اطلب لك كل ربح يطلبه
تاجر من تجارته هذا محض الاحتمال والله اعلم بحقيقة الحال فيوتى بتاج ويوضع على راسه التاج الاكليل وهو
ما يصاغ للملوك ويرصع بالجواهر والجمع تيجان والباء فى الاصل واو ويعطى الامان من العذاب والخذلان بيمينه
والخلد فى الجنان بيساره اى يعطى كتاب الامان والخلد او يعطى الامان والخلد فى ملكه فاستعار اليمين
والشمال لان الاخذ والقبض بهما ويكسى ابواه حلتين انا كانا مؤمنين وقد يخفف العذاب عنهما ان كانا كافرين
كما يشعر به كلام بعض الاكابر ويقول هذا لما علمتماه القران اللام ان ما مصدرية والقران مفعول ثان للتعليم
قال بعض المفسرين اذا قال الولد عند التعليم بسم الله الرحمن الرحيم وكان ابواه معذبين رفع الله عنهما العذاب ببركة
تعلم الولد قوله من قرا القران وهو شاب مؤمن لعل المراد ان يكون القراءة دابه وعادته وان يكون من باب التفهم
والتدبر لا مجرد المرة ولا مجرد التلفظ مع احتماله اختلط القران بلحمه ودمه يعنى يؤثر فى ظاهره وباطنه ويوجب
استقامة اعضائه وقلبه وجوارحه ويستقر فيها المواعظ الربانية والنصايح القرانية استقرارا تاما لعدم
اعوجاجها بالمعاصى المانعة من قبول الحق بعد ومن ثم اشتهر ان التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر وكان القران
حجيزا عنه يوم القيمة اى كان مانعا يمنع عنه فى ذلك اليوم اهواله ومكارهه وحذف المفعول للدلالة على
التعميم قال ومن قرا كثيرا وتعاهده بمشقة من شدة حفظه اعطاه الله عز وجل اجر هذا مرتين هذا الحديث
متفق عليه بين الخاصة والعامة وروى مسلم باسناده عن عايشة قالت قال رسول الله صلعم الماهر بالقران مع السفرة
الكرام البررة والذى يقرا القران ويتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران وفى رواية اخرى والذى يقراه وهو
يشتد عليه له اجران قيل المراد بالتعتع التردد فيه لقلة حفظه والاجران احدهما فى قراءة حروفه والاخر فى
نعمه

نعبه ومشقته وليس المعنى انه اكثر اجرا من الماهر بل الماهر اكثر اجرا لانه مع السفرة عليهم السلام وله اجور كثيرة
وكيف تلحق من لم يعتن بكتاب الله عز اعتنى به حتى مهر فيه وقيل احد الاجرين تعاهد المشقة فى تعلمه والاخر
تعاهدها من شدة حفظه وترجحه على الاول بان به يظهر الفرق بينه وبين من لم يكن له مشقة لا بالاول
اذ لكل قارى اجران احدهما التعلم والحفظ وان لم تكن له فيهما مشقة والاخر لاجل القراءة لو لا ظاهر رواياتهم
ودوايتهم هو الاول قوله ان احق الناس بالتخشع فى السر والعلانية اى فى الباطن بتقويم النفس بالاخلاق
الفاضلة والعقايد الحقة الراسخة وفى الظاهر بتسديد الجوارح والاعمال الفاضلة والاعمال الكاملة
لحامل القران المراد به القارى العامل المتدبر فيه العامل به ويرشد الى ذلك قوله تعم لو انزلنا هذا القران على
جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وان احق الناس
فى السر والعلانية لعل المراد بهما هنا حالة الانفراد والاجتماع بالصلوة والصوم وغيرهما من العبادات لحامل
القران اذ له مزية المراقبة بالعبادات والمحافظة عليها والامر بها والنهى عن تضييعها لما شاهد فيه من الوعد
والوعيد والامر والتهديد ودرجات المطيعين ودركات الفاسقين وعقوبات العاصين يا حامل
القران تواضع به اى بسبب القران وحمله الله تعم ولرسوله وللمؤمنين يرفعك الله فى الدنيا والاخرة فتكون
من المقربين ولا تعزز به عند الخلايق فيذلك الله فيهما فتكون من الهالكين يا حامل القران تزين به اى بالقران
وترتيله وجواهر اسراره وحلل حقايقه ولطايف دقايقه يزينك الله بحلل الجنان وكرم الاحسان او
يمدحك فى اعلا عليين وزمرة المقربين وفى الكنز تزين اوتنسق ويمدح كردن ولا تزين به للناس طلبا
للعزة والتقرب والمدح والاحسان منهم فيشينك الله به اى يعيبك الله به عند الصالحين ويفجعك عند
اكرام للعاملين العاملين لله وفى الكنز شين عيب كردن ومن ختم القران فكانما ادرجت النبوة بين جنبيه
يعنى فى قلبه لان اثار النبوة وهى كل ما اوحى الى النبى صلعم دخل فى قلبه تفصيلا واجمالا او فى التشبيه
لكنه لا يوحى اليه كما اوحى الى النبى صلعم فحصل التمييز والتفارق ثم اشار الى بعض خواص حامل القران وصفاته
التى ينبغى ان يكون عليها بقوله ومن جمع القران قراءة وعلما او عملا به فنوله لا يجهل مع من يجهل عليه بالاذى
والاستهزاء والتكبر والجبر والغلظة فى القول والمعاشرة وترك الحقوق وامثال ذلك بل شانه ملازمته
المداراة عملا بقوله تعم واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والنول بالفتح الحظ والنصيب وما ينبغى ولا
يغضب فيمن يغضب عليه ولا يحد فيمن يحد فى الموضعين بمعنى مع او على ويحد فى بعض النسخ بالحاء
المهملة والدال المشددة من الحدة بالكسر وهى الطيش والنزق والوثوب والخفة عند الغضب وفى بعضها

۱٦٦

بالجيم والدال المخففة من الوجد وهو الغضب يقال وجد عليه يجد وجدة وجدا وموجدة اذا غضب ولعل المراد بقوله
لا تغضب زجر عن اجراء احكامه صونا للكلام عن التكرار والله اعلم **قوله** قال الناس اربعة التانيث باعتبار الجماعة
او المراد اربعة اصناف فقلت جعلت فداك وما هم سال عن صفاتهم وخواصهم التي تميز بها كل صنف عن الآخر فقال
رجل اوتي الايمان ولم يوت القران اريد بالايمان التصديق بالله وبرسوله وبما جاء به الرسول وعدم ايتاء
القران شامل لعدم قدرته على قراءته وعدم قراءته مع القدرة عليها وعدم اتخاذ قراءته دابا وعادة ورجل اوتي القران
ولم يوت الايمان كالمنافق الذي يقرأ القران ورجل اوتي القران واوتي الايمان وهو المؤمن الذي يقرأ القران
ويتخذ القراءة دابا وعادة ورجل لم يوت القران والايمان كالمنافق الذي لا يقرأ القران قال قلت جعلت فداك
فسر لي حالهم سال بعد معرفتهم بالصفات المذكورة عن تفسير حالهم بمثال جزئي طلبا لزيادة الانكشاف فقال
اما الذي اوتي الايمان ولم يوت القران فمثله كمثل التمرة طعمها حلو ولا ريح لها لعل المراد انه لا ريح لها خارج
فايق مشتهى والا فللتمرة ريح في الجملة واما الذي اوتي القران ولم يوت الايمان فمثله كمثل الآس ريحها
طيب وطعمها مر الآس شجر معروف يسمى بالفارسية مورد والواحدة آسة واما من اوتي القران والايمان فمثله
كمثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب الاترج بضم الهمزة والراء بينهما مثناة ساكنة وآخره جيم ثقيلة وقد تخفف
ويزاد قبلها نون ساكنة ويقال بحذف الالف مع الوجهين واما الذي لم يوت الايمان ولا القران فمثله كمثل الحنظل
طعمها مر ولا ريح لها مثل هذا الحديث موجود في كتب العامة روى مسلم باسناده عن انس عن ابي موسى الاشعري
قال قال رسول الله صلعم مثل المؤمن الذي يقرأ القران مثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا
يقرأ القران مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القران كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها
مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القران كمثل الحنظلة ليس فيها ريح وطعمها مر قال صاحب كتاب كمال الاكمال
وجه التشبيه في التمثيل بالاترجة مجموع الامرين طيب المطعم وطيب الرائحة لا احدهما على التفريق كما في بيت
امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي ولما كان طيب المطعم و
طيب الرائحة في النفس المؤمنة عقليان وكانت الامور العقلية لا تبرز عن موصوفها الا بتصويرها بصورة
المحسوس المشاهد شبهه صلعم بالاترجة الموجود فيها ذلك حسا تقريبا للفهم والادراك فطيب الطعم في النفس المؤمنة
الايمان لانه ثابت في النفس هي طيبة باطنا كثبوته في الاترجة وطيب الرائحة فيها يرجع الى قراءة القران لان
القراءة قد يتعدى نفعها الغير فينتفع بها المستمع كما ان طيب رائحة الاترجة تتعدى وينتفع بها المدرج
اي الشام بها ان يقال لم خص التمثيل بما يخرج من الشجر من الثمار ثم خص الاترجة دون غيرها مع وجود الامرين

في غيرها

۲۳۲

في غيرها كالتفاحة فيقال في الجواب عن الاول خص الثمار للشبه الذي بينها وبين الاعمال لان الاعمال ثمار
النفوس ويقال في الجواب عن الثاني اما وجود الامرين في الاترجة اظهر واما لبقائها وعدم سرعة تغيرها
واما لان الجن لا تقرب البيت الذي فيه الاترجة فناسب ان يمثل به القران الذي لا تقربه الشياطين واما لان
غلاف حبها ابيض فيناسب قلب المؤمن واما لانها افضل الثمار كما ان المؤمن افضل الانسان ووجه كونها
افضل الثمار انها جامعة للصفات المطلوبة قبل الاكل وبعده وانها في ذاتها ينقسم على الطبايع اما قبل الاكل
فكبير الجرم وحسن المنظر صفرا فاقع لونها تسر الناظرين وطيب الريح ولين الملمس اشتركت فيه الحواس الاربع البصر و
الذوق والشم واللمس واما بعد الاكل فالالتذاذ بذوقها وطيب النكهة ودباغ المعدة وقوة الهضم واما انقسامها
على الطبايع فقشرها حار يابس ولحمها حار رطب وحامضها بارد يابس وبزرها حار مجفف مع ساير منافعها من المنافع
التي يذكرها الاطباء في المفردات ثم قيل خص صفة الايمان بالطعم وصفة التلاوة بالريح لان الايمان هو الزم
المؤمن من القران اذ يمكن حصول الايمان بدون القراءة وكذلك الطعم الزم للجوهر من الريح فقد يذهب ريح الجوهر
ويبقى طعمه **قوله** قال قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام اي الاعمال افضل قال الحال المرتحل قلت وما الحال المرتحل
قال فتح القران وختمه هذا مجمل فسره بقوله كلما جاء باوله ارتحل في آخره الحال شد اللام النازل من حل المكان و
يراد انزل به والمرتحل بكسر الحاء المنتقل والارتحال الانتقال وكان آخره طرف للانتقال منه الى اوله ولو كانت
في معنى بين لكان اظهر ومثل هذا الحديث موجود في كتب العامة قال ابن الاثير هو الذي يختم القرآن بتلاوته
ثم يفتتح التلاوة من اوله شبهه بالمسافر يبلغ المنزل فيحل فيه ثم يفتتح سيره اي يبتديه ولذلك قراء مكة اذا ختموا
القران بالتلاوة ابتدؤا وقرؤا الفاتحة وخمس آيات من اول سورة البقرة الى قوله هم المفلحون ثم يقطعون القراءة
ويسمون فاعل ذلك الحال المرتحل اي انه ختم القران وابتدأ باوله ولم يفصل بينهما بزمان قال قال رسول الله صلعم
من اعطاه الله القران اي وفقه لتلاوته وترتيله وهذا استشهاد لما ذكره من انه افضل الاعمال او تاكيد له
قوله من قرأ القران فهو غني ولا فقر بعده والا ما به غنى لعل المراد من قرأ القران ووارسه فهو غني عن غيره
لاشتماله على اقسام العلوم واصناف الحقائق كلها وليس بعده فقر يحوجه الى الغير وان لم يقرأه ما به غنى
عن غيره والغير لا يغنيه منه شيئا بل ربما يضله وفي حديث العامة من لم يتغن بالقران فليس منا قال ابن الاثير
اي من لم يستغن بالقران عن غيره ويحتمل ان يراد بالغنى الغنى الاخروي بسبب تلك العبادة وهي القراءة وما يتبعها
من الاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة وما ترتب عليها من المثوبات الجزيلة والفضلات الحميدة ويؤيده
قول امير المؤمنين عم الغنى والفقر يظهران بعد العرض يعني بعد العرض على الله يوم القيمة **قوله** يا معاشر قراء القران

اتقوا الله عز وجل مما حملكم من كتابه امر القاري القران وحامله بالاجتناب عن العقوبة الله ويخطى في شان
القران بالانقياد لاوامره ونواهيه والاتعاظ بنصايحه ومواعظه والتسليم لاحكامه وحدوده والامتثال
بها والقيام على اجرايها على الامة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ورغب فيه بان كل احد مسئول يوم القيمة عما
امر به فالنبي ص مسئول عن تبليغ الرسالة وقد بلغها كما امر والقرا والعلما مسئولون عن حفظه ما الخدم من القران
والسنة قوله فما رايت احدا اشد خوفا على نفسه من موسى بن جعفر ع ولا ارجا الناس منه يعرف خوف احد ورجاوه
من علامتهما وعلامة شدة الخوف التحرز عن كل ما يوثم ويوجب البعد عن الحق بل عن ترك خلاف الاولى
وعلامة شدة الرجا الاتيان بالطاعات والخيرات كلها والاقبال اليها والعكوف عليها مع غاية الخضوع والتضرع
والابتهال كانت قراته حزنا اي موجبة لحزن القلب ورقة وقد يجعل الحزن كناية عن البكا فاذا قرا فكانه
يخاطب انسانا لعل المراد به ان كان يبين الحروف ولا ينثرها نثر الرمل وهو معنى الترتيل كما يجي وفيه اشعار
بانه لم يكن يقرا بالصوت المشتمل على النغمة وان كان جايزا لما يجي قوله حملة القران عرفا اهل الجنة اي روساهم
جمع عريف وهو القيم بامور القبيلة والمجتهدون قواد اهل الجنة القواد بالضم والقادة جمع القايد والمجتهدون
هم الذين علموا الكتاب والسنة النبوية ظاهرهما وباطنهما واستنبطوا ما هو المقصود منهما وامروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر وهم الراسخون في العلم ثم التابعون لهم والرسل سادة اهل الجنة لما اعطاهم الله تعالى من زيادة الفضل
والشرف والكرامة حتى صاروا بذلك العلما سادات اهل الجنة وسلاطينهم وغيرهم من المذكورين امرا و
روسا على تفاوت مراتبهم وتفاضل درجاتهم قوله من شدد عليه القران اي من شدد عليه في تعلمه وتحفظه و
قراته كان له اجران وقد مر تفسيرهما ومن يسر عليه كان مع الاولين اي من يسر عليه في تعلمه وتعليمه وحفظه
وتلاوته كان مع الاولين الذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد سماعهم من غير توان ولا تراخ او مع الانبياء
الاولين ويؤيده قوله ص [illegible] كانبيا بني اسرائيل وفيه دلالة على ان الميسر عليه اكثر اجرا من المشدد عليه
قوله ينبغي للمومن ان لا يموت حتى يتعلم القران او يكون في تعليمه الذي سبق الى الافهام من تعلم القران وتعليمه انما
تحفظه بدوام الدرس والتلاوة وحملها على الحلال فيما بحيث يتناول ضبطه تحفظ تلاوته وفهمها ونفعها
ودرايته ايضا ويدل عليه بعض اخبارنا وكان هذا هو الاغلب عليهم في عهد الرسول ص ويؤيده ما روي من
طرق العامة عن ابن مسعود انه قال كان اقراننا للقران وعلما بربنا كان احدنا يحفظ حتى ايات فيجاوزها حتى
يعلم ما فيها قوله ثم قال ان من الناس ليقرا القران ليقال فلان قاري ومنهم من يقرا اه دل على ان ثواب القران
ليس الا لمن قرا القران خالصا لله تعالى ودل عليه ايضا احاديث انما الاعمال بالنيات ويؤيده ما رواه مسلم في

حديث

حديث طويل رجل تعلم العلم وعمله وقرا القران اتي به يوم القيمة قال فما عملت فيها قال تعلمت القران وعلمته و
وقرات فيك القران قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرات القران ليقال هو قاري ثم امر به فسحب على
وجهه حتى القي في النار قال الابي قراته ليتخلص به من الجهل من وجوه قراته محبة لله تعالى وقال ابن رشد
الوعيد انما هو لمن اصل قراته الريا فاما من كان اصل قراته لله تعالى وعلى ذلك عقد فلا يضره الخطرات التي
تقع بالقلب ولا يملك دفعها وانما هي من الشيطان ليمنعه من العمل فمن وجد شيا من ذلك فلا يكسله عن
التمادي في فعل الخير وليدرا الشيطان عن نفسه ما استطاع ويجدد النية لله تعالى قوله فتفلت مني تفلت
وافلت وانفلت بمعنى قوله ولو لم تنسني لرفعتك الى هذا هذا اشارة الى الدرجة باعتبار المقام والمنزل قوله
ان الاية من القران والسورة لتجي يوم القيمة حتى تصعد الف درجة اه يحتمل ان يحمل هذا على ظاهره من ان
الدرجات منازل بعضها فوق بعض وهذه صفة منازل اهل الجنة كما ورد من طرقنا وطرق العامة وفي
بعض اخبارهم انهم يتراون كالكوكب الدري ويحتمل ان يريد به كثرة النعيم وعظمة اهل الاحسان ورفعة قدر
الجزا ما لم يخطر على قلب بشر وان انواع النعيم يتباعد ما بينهما في الفضل تباعد ما بين السماء والارض قوله ٢٢٢
فرددت عليه ثلثا اعليه فيه حرج قال لا يعني ليس فيه اثم ولا ينافي ذلك فوات اجر عظيم منه قوله ثم اشار
باصبعه ضمير المرفوع والمجرور راجعان الى السورة باعتبار القران ويحتمل عودهما الى ابي عبد الله ع ويؤيده الاول
قوله سابقا واشارة بيدها الى فوقها قوله ايات القران خزاينه اه اذ فيها انواع من جواهر المعاني والاسرار و
الحقايق واصناف من دررها اللطايف والفوايد والدقايق ولذلك كان القران مع قلة لفظه وصغر حجمه مشتملا
على جميع ما كان وما هو كاين وما يكون الى يوم القيمة قوله نوروا بيوتكم بتلاوة القران اه العبادة مثل التلاوة و
والصلوة والدعا ونحوها نور بحسب الحقيقة عند ذوي البصيرة الكاملة وانما اختفى نورانيتها عن الاكثر في
هذه النشاة لمصالح لا يعلمها الا هو فقوله نوروا بيوتكم على حقيقته والظاهر من التلاوة حقيقتها ويمكن
ان يراد بها الصلوة من باب التسمية الشي باسم اشرف اجزايه ليكمل التشابه قوله كما فعلت اليهود والنصارى
صلوا في الكنايس الى اخره ففيه حث على فعل الصلوة في البيوت ولا يبعد حملها على النافلة لان السر
فيها افضل بخلاف المكتوبة فانها في المسجد افضل كما دل على هذا التفصيل بعض الروايات والحث من فعل بعض
الصلوة في البيت وقع من طرق العامة ايضا وروى مسلم باسناده عن ابن عمر عن النبي ص قال اجعلوا من
صلوتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا وعن جابر قال قال رسول الله ص اذا قضى احدكم الصلوة في مسجده
فليجعل لبيته نصيبا من صلوته فان الله جاعل في بيته من صلوته خيرا وقد خص اكثرهم الصلوة بالنافلة لما

روو امن حديث صلوة احدكم في بيته افضل الا المكتوبة وقال بعضهم المراد بها الفرض وانما امر بفعلها في
البيت ليقتدي بهم من لا يخرج من النساء والعبيد والمرضى وقال والمتخلف عن الجماعة للصلوة في جماعة
دونها ليس بمخالف ولا تتخذوها قبورا كما فعلت اليهود والنصارى آه يعني لا تتخذوها مهجورة من التلاوة وهو
من التمثيل البديع لانه شبه النايم بالميت وشبه البيت الذي لا تلاوة فيه بالقبر الذي لا تاتي العبادة من ساكنه
لان العمل انما يكون من الحي ويمكن ان يكون البيت تشبيه بالقبر في معنى الظلمة بل هو الظاهر بالنظر الى قوله ونوروا بيوتكم
الى قوله فيما بعد واضاء قوله قال ان البيت اذا كان فيه المرء المسلم يتلو القرآن ليلا او نهارا يتراياه اهل السماء الى
ينظرون ويرون كذا في بيراو المراد ان بعضهم يرى بعضا كما ترايا اهل الدنيا الكوكب الدري في السماء تشبيه معقول
بمحسوس لقصد الايضاح وتمييز الكوكب الدري الشديد الانارة كانه نسب الى الدر تشبيها بصفائه وقال الفراء
الكوكب الدري عند العرب هو العظيم المقدار وقيل هو احد الكواكب الخمسة السيارة قوله كتب الله له بكل حرف
مائة حسنة آه اريد به حرف التهجي دون الكلمة والآية كما سيجيء قوله فيكتب له مكان كل آية يقراها عشر حسنات
ويمحي عنه عشر سيئات هذا المجموع اكثر من وجه مما ذكر من انه يكتب له بكل حرف عشر حسنات او كانه الكل من
باب التفضل وللتفضل مراتب قوله وان ختم القرآن ليلا صلت عليه الملائكة حتى يصبح آه الظاهر من ختمه ليلا
قراءة كلمة فيه مع احتمال ان يكون اتمامه فيه والظاهر من الملائكة العموم مع احتمال ارادة الموكلين على
بني آدم او الحفظة وذكر الحفظة في آخر الحديث لا يويد الاخير لان الختم في الليل اشق فلا يبعد ان يكون اجره
اكمل قوله فمن لم يقراه هكذا في اكثر النسخ وفي بعضها فمن لم يقدر يقراه وهو بالجواب انسب قوله عن نضر بن سعيد
وهو غير مذكور في رجال الوسيط الاسترابادي وفي بعض النسخ عن النضر بن سويد ويويده ان محمد بن الحسين
بن ابي الخطاب يروي عنه وفي بعضها عن النضر بن شعيب والمويد له انه يروي عن خالد بن ماد وانه في
هذا السند بعينه في فهرست الشيخ واسانيد الفقيه من ختم القرآن بمكة وان كان في غير المسجد من جمعة الى
جمعة بان يبتدا في جمعة ويختم في الجمعة بعدها او اقل من ذلك بان يبتدا في الاربعاء مثلا ويختم في جمعة بعدها
او اكثر بان يبتدا في جمعة ويختم في جمعة ثالثة فقوله وختمه في يوم جمعة تفسير للختم في الجميع كتب له من الاجر
والحسنات من اول جمعة كانت في الدنيا الى آخر جمعة تكون فيها لعل المراد انه كتب له اجر ختم كل جمعة في الدنيا
من اولها الى آخرها ويحتمل اجر كل عبادة وقعت في كل جمعة في الدنيا واشتراك الفروض الثلثة في هذا الاجر
لا يوجب التساوي من جميع الوجوه لجواز التفاوت بينها في الفضل باعتبار قلة الزمان وكثرته وجودة التدبر
والترتيل وعدمها وان ختمه في ساير الايام فكذلك فان ختمه في يوم الاثنين مثلا كتب له من الاجر والحسنات

من اول

من اول يوم اثنين في الدنيا الى آخر يوم اثنين فيها قوله من قرا عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرا خمسين
آية كتب من الذاكرين عدم كتب الاول من الغافلين فضيلة شريفة له ولا يستلزم ذلك كتبه من الذاكرين على انه
لو استلزم لامكن ان يكون المراد الذاكرين في الجملة والمراد بالذاكرين في الثاني الذاكرون كثيرا ومن قرا مائة آية
كتب من القانتين هم المطيعون لله والقايمون بوظايف طاعته من القنوت بمعنى الطاعة والقيام ومن قرا
مائتي آية كتب من الخاشعين هم الذين قاموا بوظايف العبادات القلبية والبدنية مع التذلل وسكون
القلب الى الله عز وجل ومن قرا ثلثمائة آية كتب من الفائزين هم الذين ظفروا بالطاعات والخيرات ونجوا من الهلكات
والعقوبة ومن قرا خمسمائة آية كتب من المجتهدين هم الذين بذلوا الوسع في امر الدين وطلب اليقين واقامة
الشرع وحفظه والاجتهاد من الافتعال وافتعال من الجهد وهو الطاقة ومن قرا الف آية كتب له قنطار من
بر اي من حسنة القنطار خمسة عشر الف مثقال من ذهب المثقال اربعة وعشرون قيراطا القنطار ثلثمائة
الف قيراط وستون الف قيراط لحصل ذلك بضرب خمسة عشر الف في اربعة وعشرين والمقصود من ذكر العدد ان
له حسنات بقدره وسماها قراريط باعتبار ان الاعمال توزن اصغرها مثل جبل احد واكبرها ما بين السماء والارض
هذا التفاوت مع ان القراريط متساوية في الوزن والمقدار اما باعتبار النمو فبعضها ينمو حتى يبلغ وزنه ومقداره
جبل احد وبعضها ينمو حتى يبلغ وزنه ومقداره ما بين السماء والارض على حسب تفاوت الاحوال والاوقات
واما باعتبار ان القيراط المستعمل في بيان كمية الثواب غير ما هو المتعارف عند الناس لغة وعرفا وتساوي
الاوزان والمقدار معتبر في هذا دون الاول وهذان الوجهان ذكرهما صاحب كتاب اكمال الاكمال
لشرح مسلم ثم قال وكان صاحب الصحاح اشار الى وجه الاخير بقوله والقيراط نصف دانق واما القيراط
الذي جاء في الحديث فقد جاء تفسيره في انه مثل جبل احد اقول وبهذا يمكن ان يوجد لبعض قولهم المثقال
اربعة وعشرون قيراطا مع ان المعروف انه عشرون قيراطا واعلم ان القنطار تفسير آخر سيجيء وفيهما عال لعل
ويمكن دفعه كما سنشير اليه قوله وقد روى هذا الحديث اي الحديث الذي يذكره وروى على البناء للمفعول
والظاهر انه كلام المص وفي بعض النسخ قال وقد روى والقايل احد من الرواة ومن استمع حرفا من كتاب الله
من غير قراءة تقييد اذ لو استمع وقرا كان له اجر الاستماع واجر القراءة والتاكيد محتمل ومن قرا نظرا من غير
صلوة آه اي نظر الى القرآن بالعين او المراد بالنظر التدبر والتفكر فيه وفي بعض النسخ من غير صوت ومن تعلم
حرفا ظاهرا آه اما تمييز للتعلم او صفة لحرفا والمراد به على الاول لظاهر القلب وعلى الثاني الحرف الملفوظ
عند القراءة دون المستور والله اعلم قال لا اقول بكل آية ولكن بكل حرف باء او تاء او شبههما لما كان الحرف

الحروف في اللغة تطلق على حرف التهجي وعلى الطرف والطرف تصدق على الجملة والآية ايضا لان كلا منهما في طرف
من الاخرى بين ان المراد هو الاول ومن ختمه كانت له دعوة مستجابة موخرة او معجلة تفضيل للدعوة بكونها
متعلقه بامر الآخرة او بامر الدنيا او للاستجابة بانها متحققه قطعا بالاستقبال او بالفعل قوله ختم القرآن الى حيث
يعلم اى يعلم القارى كلا او بعضا فاذا علم بعضه وقراه ولم يقدر على غيره فله اجر ختم القرآن كلا بدليل تعليل رواية
بشر بن غالب الاسدى المذكورة في هذا الباب وفي بعض النسخ ختم القرآن الى ربي حيث يعلم ولعل المراد ما ذكرنا
وفي بعضها ربي بدل الى ربي والظاهر ان ضمير يعلم ح راجع الى الرب ولعل المراد ان جميع معلوماته عز وجل في القرآن
لانه معلومه شئ وكل شئ في القرآن فمن قراه كلا فقد احاط بجميع معلوماته تفصيلا واجمالا وفيه ترغيب في
ختمه كلا والله اعلم قوله اما علمت ان النظر في المصحف عبادة فالقارى في المصحف له اجران احدهما للنظر فيه
والآخر للقراءة قوله قال سالت ابا عبد الله عم عن قول الله عز وجل ورتل القرآن ترتيلا قال قال امير المؤمنين
عليه السلام بينه تبيانا اشار الى ان الترتيل اداء الحروف عن مخارجها واظهارها متميزة بحيث يفرع السمع
ويمكن عدها ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل هذا القرآن هذا اسرع في قراءته كما يسرع في قراءة
الشعر والهذ سرعة القطع ونصبه على المصدر واعلم انه لا خلاف بين العلماء في ان الهذ المفضي الى الف
الكلمات وعدم اقامه الحروف لا يجوز لانه لحن واما بعد اقامتها فالافضل عند علمائنا وعند اكثر
العامة هو الترسيل والترتيل لانه من تحسين القراءة المامور به في الآية ولانه المستفيض من كلام اهل
البيت عليهم السلم ولانه مظنة التدبر والوقوف على حدوده ورجح بعض العامة الهذ بتكثير الاجر بعدد
الكلمات وقال مالك من الناس اذا هذ خف عليه واذا رتل اخطأ ومنهم من لا يحسن الهذ وكل واسع
ولا يخفى ان من اختار الهذ لا حظ له الا التلاوة واما من وفقه الله تعم لتلاوة وتدبر وتفكر وتفهم لمعانيه
واستنباط لاحكامه فلا مرية ان تلاوته وان قلت افضل من ختمات لا تدبر فيها ولكن اقرعوا به قلوبكم
القاسية الاقراع الاخافة يعني اخيفوا قلوبكم القاسية الغليظة الغافلة بالتدبر فيه والتفكر في اوامره
ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده وما نطق به من اهلاك الامم الماضيه واهلاكهم ومسخهم وغير
ذلك مما يتطاير عند سماعه قلوب اولى الالباب والمراد بالحزن اما ضد السرور بالمخافة ومن السبب اى ذلك
لا يحصل الا بدون الترتيل وفي بعض النسخ اقرعوا بالقاف وفي بعضها افزعوا بالفاء والزاء المعجمة قوله ان القرآن
نزل بالحزن لاشتماله على ما يوجب الحزن من احوال الحشر والنشر والثواب والعقاب واحوال الامم الماضيه
واهلاكهم ومسخهم وغير ذلك مما يتطاير عند سماعه قلوب اولى الالباب والمراد بالحزن اما ضد السرور

رقة

رقة القلب وقوله فاقراه بالحزن معناه اقراه بصوت يوجب الحزن وانما امر بذلك لانه يوجب للنفس خشية
وخشوعا وميل الآخرة وتوثر في نفوس السامعين قوله اقرؤا القرآن بالحان العرب واصواتها اللحن هنا
اللغة يعني اقرؤا القرآن بلغات العرب باداء الحروف واظهارها وحفظ الوقوف ورعاية الحركات و
السكنات وبصوت مناسبة لاصواتهم واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكباير اللحون جمع اللحن كالالحان
والمراد باللحن هنا التطريب في القراءة والخطاب فيها كما نسمع من بعض اقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء
قيل الترجيع ترديد القراءة ومنه ترجيع الاذان وقيل هو تقارب ضروب الحركات في الصوت وقيل هو مد
الصوت في القراءة والنوح والرهبانية مثل ما يفعله بعض المتصوفة ولا يجوز تراقيهم اي لا يجوز القرآن
حناجرهم ولا يصل الى قلوبهم وفي المغرب الترقوة مقدم الحلق في اعلى الصدر وهي عظام وصل بين ثغرة النحر والعاتق
من الجانبين ويقال لها بالفارسية چنبر گردن قلوبهم مقلوبة كالكوز المقلوب لا يستقر فيها شئ وقلوب ٣٣٥
من يعجبه شانهم ايضا مقلوبة واعلم ان القراءة القرآن باخراج الحروف من مواضعها واعتبار صفاتها بدون
تلبسها بصوت حسن حسن ومع تلبسها به احسن لما ستعرفه وستعرف ايضا مفهومه وقراءته بالتغني به حرام
عندنا وعند اكثر العامة وعرف جماعة من اصحابنا بانه الترجيع المطرب فلا يتحقق ماهيته بدون الترجيع
والاطراب ولا يكفي احدهما ورده بعضهم الى العرف فما سماه اهل العرف غناء حرم طرب او لم يطرب
لا يخلو من قوة لان الشايع في مثله مما لم يعلم معناه لغة ولم يظهر مقصوده شرعا هو الرجوع الى العرف
وقال بعض العامة قراءة القرآن بالتغني بالالحان وهي قراءته بطريقة اهل علم الموسيقى في الالحان اي في النغم
والاوزان حسبما رتبوه في صنعة الغناء وسمع مالك فيها قاريا يقرا فاستحسن قراءته وقال انه يقرا من نغمة
كذا وقيل هي قراءته بالتطريب والترجيع وتحسين الصوت ثم قال واختلفوا في قراءته بالالحان فقال الشافعي
مرة لا باس ومرة هو يكره وقال بعض اهل مذهبه مراده انه ان افرط في المد والاشباع للحركات حتى تولد
من الفتحة الف ومن الضمة واو ومن الكسرة ياء او ادغم في غير موضع الادغام كره وان لا جاز وقال بعض
آخر منهم اذا انتهى الى ذلك فهو حرام يفسق فاعله ويعزر ويأثم المستمع وهو مراد الشافعي بالكراهة وكيف يجوز
في كلام الله تعالى ياخذ اهل الالحان في الشد والغزل انتهى كلامه اقول تفسير الغناء بما مر وان لم يثبت من
جهة الشرع لكن الاحتياط والتقوى يوجبان الاحتراز عنه بل عما دون ذلك واما قراءته بالترجيع فظاهر بعض
الروايات الآتية يشعر برجحانها حيث وقع الامر وظاهر هذه الرواية يشعر بانه اعم من الغناء فلا يكون راجحا
على الاطلاق بل هو راجح في فرد حرام في فرد آخر فلا بد للعامل به من التمييز بين الفردين وهو في غاية الاشكال

فالاولى بل الواجب على غير المتميز تركه قوله ان علي بن الحسين ع كان يقرأ القرآن فربما مر به المار فصعق اي غشي عليه
او صاح صيحة شديدة وسر ذلك ان الاصوات الطيبة والالحان الموزونة والنغمات المتناسبة مدخلا عظيما في
نشاط النفس وفرح الروح ولها تأثير عجيب فمنها ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك و
منها ما يبكي ومنها ما يصعق ومنها ما يزعج القلب الى الحق ويحركه من بلد الغربة الى الوطن الاصلي ويختلف
الارتياح بالنسبة الى الاشخاص بحسب القوة الاستعداد وضعفه فلا استحالة عقلا ان يوجب الصعق
وغيرها وقد يقع مثل ذلك عند المصائب الشديدة واية مصيبة اعظم من خروج الروح من موطنها الاصلي
وفراغها من الكرامات الابدية واحتباسها في سجن هذه المواد والبلية من حسن صوته ان الامام لو اظهر من ذلك
اي من حسن صوته لما احتمله الناس من حسنه وفي هذا الخبر دلالة على جواز تحسين الصوت بالقراءة وذلك الاخبار
الآتية على رجحانه وكذا دل عليه ايض ما رواه مسلم عن ابي هريرة انه سمع رسول الله ص يقول ما اذن الله لشيء
كما اذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به قال بعض العامة معنى ما اذن ما استمع والمراد بالنبي الجنس ع
والمضاف مقدر قيل بني اي لصوت نبي والحاصل انه ما استمع الله لصوت كما استمع لصوت نبي والمراد بالاستماع سماع
اجر الثواب القارئ او الرضا به ومعنى قوله يتغنى بالقرآن عند الشافعية والاكثر يحسن الصوت بالقرآن
وعند ابن عباس يستغني به عن الناس وقال مرة يستغني به عن غيره من الكتب وعن سفيان بن عيينة يقول
تغنيت وتغانيت بمعنى استغنيت فعلى ان المراد به تحسين الصوت فهو من الغناء الممدود وكل من رفع صوته
ومده ووالى به فهو عند العرب غناء وعلى انه من الاستغناء فهو من الغنا ضد الفقر فهو مقصور والمراد بتحسين
الصوت تزيينه بالترتيل والجهر والتحزين والترقيق وهو مستحب ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط
فان افرط حتى زاد حرفا او اخفاه حرم انتهى فقد ظهر مما ذكرنا ان اخبار العامة والخاصة متفقة في
الدلالة على رجحان تحسين الصوت بالقرآن وعلى حسن صوت النبي ص ولكن لا بد من ترك الافراط لئلا
يبلغ حد الالحان والغناء ولا يمكن ذلك الا للعارف بوجوه التحسين قلت ولم يكن رسول الله ص يصلي
بالناس ويرفع صوته بالقرآن اي او لم يكن من باب الاستفهام ولعل غرضه من هذا السؤال ان رسول الله
كان احسن صوتا منه ص وكان يقرأ ويرفع صوته بالقراءة ويسمع الصحابة ولم يصعق احد من حسن صوته
فكيف لحسن الصوت نحو هذا التأثير فقال ان رسول الله ص كان يحمل الناس من خلفه ما يطيقون فلم يظهر
من حسن صوته ما يصعقهم ولذلك ايض ما كلم الناس قط الا بقدر عقولهم وهذا الجواب احسن مما قاله
بعض العامة من ان الغشي لضعف العقل عن تحمل ما ورد عليه وعقول الصحابة لما كانت اكمل لم يطرأ

عليهم

عليهم الغشي لان كون عقول كلهم اكمل من عقول غيرهم ممنوع قوله اعرب القرآن فانه عربي اي انا من اعرب
كلامه اذا اظهر اعرابه ولم يلحن فيها ومن اعرب بكلامه اذا افصح به ولم يلحن في حروفه وموادّه وهذا
مثل ما سبق قوله ع اقرأوا القرآن بالحان العرب قوله واذا قرأت التوبة فاسمعها بصوت حزين الحزن
كناية عن البكاء وعلى التقدير الاول يمكن ان يحمل بمعنى الرقة قال في الصحاح فلان يقرأ بالتحزين اذا رقق
صوته فالوصف على سبيل الحقيقة قوله قال رسول الله ص لم يعط امتي اقل من ثلث الجمال وحسن الصوت
والحفظ الجمال بالفتح حسن الخلق والخلق والحفظ قلة الغفلة عن القرآن او عن الحق مطلقا ولعل المراد
ان هذه الخصال الشريفة اقل ما اعطيت الامة المجيبة من الخصال العظيمة التي لا تعد ولا تحصى والله
يعلم قوله من اجمل الجمال الشعر الحسن للمرأة الظاهر فتح الشين والكسر محتمل لما في بعض الروايات من طيب عيش المرأة
شعره الذي يتغنى به والمراد بحسنه اشتماله على المرغبات في امر الآخرة او على مدح لاهل الذكر ونغمة
٢٣٦ الصوت الحسن في القراءة والنغم محركة ويسكن الكلام الخفي الواحدة بها يقال فلان حسن النغمة اذا كان
حسن الصوت في القراءة وحلية القرآن الصوت الحسن روى الصدوق في العيون باسناده عن الرضا
عن علي عليهما السلم عن النبي ص قال حسنوا القرآن باصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا و
استحباب الترجيع بالقرآن يزيد في الخلق ما يشاء قوله كان علي بن الحسين عليهما السلم احسن الناس صوتا بالقرآن وكان السقاؤن
يمرون فيقفون ببابه يسمعون قراءته فيه حث على تحسين الصوت بالقرآن وعلى الاصغاء الى استماع
معنى الترجيع الصوت الحسن فان سماعه يزيد حسنا في العقايد ويوجب الخشوع ورقة القلب وميله الى الآخرة و
الخيرات قوله يكره ان يقرأ قل هو الله احد بنفس واحد لما فيه من ترك التعظيم والتفكر فيما فيه من
الاسرار الغريبة الالهية قوله ورجع بالقرآن صوتك دل على استحباب ترجيع الصوت بالقرآن كما
دل عليه ما رواه مسلم عن عبد الله بن مغفل ان النبي ص قرأ عام الفتح في مسير له سورة الفتح على راحلته
فرجع في قراءته وقال في رواية اخرى على ناقته ثم قال معوية فقرأ ابن مغفل ورجع حكاية لقراءته
ولولا اني اخاف ان يجتمع الناس لحكيت قراءته وقال في الصحاح ترجيع الصوت ترديده في الحلق كقراءة
اصحاب الالحان وقال في المغرب رجعه ردده ومنه الترجيع في الاذان لانه يأتي بالشهادتين خافضا
بهما صوته ثم يرجعهما رافعا بهما صوته وفسره بذلك ايض الطبري من علماء العامة ونقل ذلك عن
البخاري ايض وانه قال في صفته ثلث مرات وقال ابن الاثير في النهاية قيل هو تقارب ضروب الحركات
في الصوت وقد حكى ابن مغفل ترجيعه بمد الصوت في القراءة نحو آآ آآ آآ وقال ابن حجر هو تقارب

ضروب الحركات في القراءة واصله الترديد وترجيع الصوت ترديده في الحلق وقد فسره في حديث ابن مغفل بقوله
آآآ بهمزة مفتوحة بعدها الف ساكنة ثم همزة اخرى وانكر ترجيع القران جماعة من العامة وقالوا ترجيعه
صلعم محمول على اشباع المد او على حصوله بهز الناقة وتحريكها وتريضها ولذلك ورد في حديث آخر انه كان لا
يرجع ووجهه انه لم يكن ح راكبا فلم يحدث في قرائته ترجيع اقول للترجيع مراتب بعضها الغنا كما دل عليه قوله
ع في الحديث السابق سيجيء من بعد اقوام يرجعون القران ترجيع الغناء فمن عرف مراتبه وميز بينها وعرف
مرتبة الغناء فالظاهر انه يجوز له ما دون هذه المرتبة ولكن التمييز بينهما مشكل جدا والترجيع كثيرا ما يبلغ الغنا
كما هو المتعارف من قرائة اهل الحزب ولا سيما عند ارادة انفراغ لما فيها من الخروج عن حد التلاوة فالاحتياط
ترك الا ما علم قطعا انه لا ينضر بالتلاوة قوله ان قوما اذا ذكروا شيئا من القران اي قرأوها او حدثوا به اي تحدثوا به
وبيانه وهو عطف على شيئا وكونه ماضيا مجهولا معطوفا على ذكروا بعيد جدا صعق احدهم اي غشي عليه
حتى يرى ان احدهم يرى مبني للمفعول من اراه اراءة اي يظن او من الرؤية واحدهم من باب وضع الظاهر موضع الضمير
لو قطعت يداه ورجلاه لم يشعر بذلك لزوال العقل والحس فقال سبحان الله استعجاب او استبعاد مما ذكروا
تنزيه لله تعالى من ان يكون ذلك من قبله وهو ادب بقوله ذاك من الشيطان لتصرفه فيه حتى جعله على هذه الحالة او
لاغوائه حتى يتفضح ذلك لاظهاره كماله عند الناس ما بهذا نعتوا اي ما بهذا وصف الذين علم اهلية التلاوة من
القران انما هو اي نعتهم ووصفهم اللين والرقة والدمعة والوجل قال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقال الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان
يبكون ويزيدهم خشوعا وهذه الاوصاف وهي الوجل وزيادة الايمان والخشوع والبكاء والخرور للاذقان
لا تنفك عن اللين والرقة والدمعة والظاهر انه لا منافات بين هذا الخبر وما مر من خبر السكوني الدال على صعق المار
من حسن صوت علي بن الحسين عليهما السلام بالقراءة لجواز ان يكون هذا التاثير لصوت الامام دون غيره ويؤيده ما
مر في ذلك الخبر من ان الامام لو اظهر من ذلك شيئا لما احتمله الناس عن حسنه على انه يمكن ان يكون المراد بهذا الخبر
هو الحث على ضبط النفس حتى لا تبلغ تلك الحالة الموجبة لزوال العقل والحرمان عن سماع الاسرار القرآنية قوله لا يعجبني
ان تقرأه في اقل من شهر والادب ان يجزأه ثلثين جزءا وتقرأ في كل يوم وليلة جزءا واحدا بترتيل وترسل وتفكر
في معانيه الظاهرة والباطنة وتقف عند آية فيها ذكر الجنة وآية فيها ذكر النار وتطلب الاولى وما يوجب الدخول
فيها وتتعوذ من الثانية وما يوجب الوصول اليها مع تضرع وخشوع وبكاء على قدر الامكان قوله قال فهيه قال ها
واشار به ها كلمة تنبيه المخاطب ينبه بها على ما يساق اليه من الكلام كذا في النهاية وكانه ع اشار به الى آخر

ويؤيده

ويؤيده حديث آخر الباب والاشارة الى السكوت محتملة والرخصة ح مستفادة من قوله ثم قال يا ابا محمد ان
لرمضان حقا وحرمة التنكير للتعظيم او للتكثير ولا يشبهه شيء من الشهور لكثرة العبادة المطلوبة فيه ومن
جملتها تلاوة القران فتلاوته في كل ثلث حسن وفي شهر او اقل منه واكثر من ثلث احسن كما اشار اليه بقوله
وكان اصحاب محمد صلعم يقرأ احدهم القران في شهر او اقل لرعاية الترتيل والتفكر فيه كما اشار اليه بقوله ان القران
لا يقرأ هذرمة هي السرعة في الكلام والمشي ويقال للتخليط هذرمة كذا في النهاية ولكن يرتل ترتيلا فيه اداب
التلاوة في الصلوة وغيرها ومثله موجود من طرق العامة ايضا روى مسلم عن حذيفة قال قرأ النبي صلعم في الصلوة
مترسلا واذا مر بآية فيها تسبيح سبح واذا مر بسؤال سأل واذا مر بتعوذ تعوذ قال المازري مذهبنا استحباب هذه الاداب
في غير الصلوة وفي الصلوة للامام والمأموم والفذ قوله عن علي بن المغيرة عن ابي الحسن ع هو ابو الحسن الاول والمراد
بالحال في قوله مذ صرت في هذا الحال التشيع او العمل المذكور وفي هذا الخبر دلالة على جواز الختم واكثر في ليلة
واحدة يا ابا محمد ان كل من قبلك من اصحاب محمد صلعم كان يقرأ القران في شهر واقل وهذا نحو ما تقدم من الارشاد
٣٣٧ الى القصد في التلاوة وفي كتاب اكمال الاكمال السلف في ختم القران عادة مختلفة فبعضهم كان يختم في كل شهر
وبعضهم في كل عشرين وبعضهم في كل عشر واكثرهم في سبعة وكثير منهم في ثلث وبعضهم في يوم وليلة و
بعضهم في كل ليلة وبعضهم في كل يوم وليلة ثلث ختمات وبعضهم ثماني ختمات قوله ان الرجل الاعجمي
من امتي ليقرأ القران بعجمته اي يلحن في الحروف والحركات ولا يخرجها عن مخارجها ولا يراعي صفاتها المميزة
لعدم الاقتدار عليها فترفعه الملائكة على عربيته في الكنز عجم عربي نابودن كلام وكند زبان وفي ق العجم بالضم و
التحريك خلاف العرب ورجل وقوم عجم والاعجم من لا يفصح كالاعجمي وفي ص الاعجم من لا يقدر على الكلام
اصلا والاعجم ايضا الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وفي النسبة يقال لسان اعجمي وكتاب اعجمي ولا تقل رجل اعجمي
فتنسبه الى نفسه الا ان يكون اعجم واعجمي بمعنى مثل دوار ودواري قوله انا نسمع الآيات في القران ليس هي عندنا
كما نسمعها هكذا في النسخ كلها والاصوب ليست ولعل السؤال من آيات مسموعة عنهم ع في قرآن علي ع ليست في
هذا القرآن ولا نحسن ان نقرأها اي آيات القرآن كما بلغنا عنكم من الترتيل والترسل واداء الحروف ودقائق الصفات
وهذا سؤال آخر فهل نأثم بعدم قرائة الآداب التي في قرائتكم اذ ليست في هذا القرآن وبعدم الترتيل في آيات هذا
القرآن اذ لا نقدر عليه فقال لا اقرأوا كما تعلمتم في هذا القرآن باللسان الاعجمي فسيجيئكم من يعلمكم حق التعليم
وهو الصاحب ع والملك في القبر وقد روي ان الشيعة بعد الموت يتكلمون بالعربية وان الملك يعلمهم القرآن
هذا الذي ذكرنا من باب الاحتمال والله يعلم قوله من قرأ قل هو الله احد مرة بورك عليه اي زيد في تشريفه وكرامته و

٢٦٦

واحسانه ولطفه وتوفيقه بى بارك الله فيك ولك وعليك وبارك وفا النعم وبورك من فى النار ومن قراها الف مرة فى يوم او ليلة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة اى يرى فى المنام منزله منها وفى بعض النسخ فى بدل من او يرى آى اى يظهر مقعده له بالكشف فى حال الاحتضار او قبله على احتمال وفى بعض يرى آى الى الشئ اى يظهر حتى رآيته قوله لما امر الله تعم هذه الايات لم يهبط الى الارض تعلقن بالعرش آه اى توسلن بعلم الله تعم بما يقع فى دار الغرور والم السرور او تعلقن بالعرش الجسمانى الذى هو مطاف الملائكة المقربين وقد مر ان القران تصور بمثال الجسد فى الهيكل الانسانى فنسبة التعلق اليه صحيح وهنا شئ لابد فى توضيحه من تقديم مقدمة وهى انه روى ان القران نزل جملة واحدة فى اول ليلة من شهر رمضان وانه نزل الى الارض تدريجا لاجملة واحدة فقال السيد المحقق ابن طاوس انه نزل جملة واحدة من بعض المقامات العالية بامر الله جل شانه الى مقام آخر ثم نزل من هذا المقام تدريجا الى الارض فلا منافاة بين نزوله جملة ونزوله تدريجا اقول سيجئ فى باب النوادر ما يدل على هذا التوجيه وان ذلك المقام هو البيت المعمور اذا عرفت هذا فنقول يحتمل ان يراد بهبوط هذه الايات هبوطها اول مرة وهبوطها فى ضمن الكل وقوله الى الارض باعتبار ان هذا الهبوط آيل الى هبوطها الى الارض بالاخرة وسبب له فى الجملة وح فالظاهر ان يكون تلاوة مجموعها من حيث المجموع وترتب الجزاء المذكور اعنى قوله ثم نظرت اليه آه على تلاوة المجموع لا على تلاوة كل واحدة منها ويحتمل ان يراد بهبوطها هبوطها مرة ثانية الى الارض وظاهر ان هذا الهبوط كان تدريجا او ان هبوط هذه الايات لم يكن دفعة واحدة ولم ينقل ذلك لحدوث وح فالظاهر ان الجزاء المذكور يترتب على تلاوة كل واحدة على حدة اذ الظاهر ح ان زمان تعلق كل واحدة بالعرش غير زمان تعلق الاخرى بها وكذلك الوحى اليها بذلك الجزاء غير الوحى الى الاخرى بها فليتامل قوله من قرا بالمسبحات كلها قبل ان ينام لم يمت حتى يدرك القائم عم آه قيل المسبحات سورة اولها سبح او يسبح او سبح او سبحان واعلم ان ظاهر مدلول الشرط يفيد ان ادراك القائم عليه السلام يتحقق بتحقق القراءة مرة واحدة وكذلك الجواد ولكن الظاهر بحسب المقام حيث ان المقصود الحث على قراءتها والترغيب فى اخذها دابا وعادة هو ان الادراك والجوار يتحققان بالتكرار والعادة والظاهر ان تركها فى بعض الاحيان لا يضر بالتكرار المستلزم للادراك والجوار ثم الظاهر ان المراد بادراك القائم عم ادراكه مع العلم بانه القائم عم والسبب فى ذلك اما الاشتمال المسبحات على ذكر القائم وصفاته واحواله وان لم يعلمها بخصوصها واما بالخاصية وكذا السبب فى غيرها من السور والايات المترتب عليها ثواب وجزاء معين قوله من قرا اربع ايات من اول البقرة واية الكرسى وآيتين بعدها الظاهر ان اية الكرسى من قوله الله الى العلى العظيم والآيتين بعدها من قوله لا اكراه الى هم فيها خالدون وثلث ايات من آخرها الى آخر البقرة روى مسلم اربع روايات عن النبى صلعم انه قال

١٦٧

٢٣٨

من قرا الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة واحدة كفتاه قوله كفتاه قيل معناه اجزتا عنه من قيام الليل او كفتاه ونعتاه من ان يكون ممن ترك القراءة او كفتاه اذى الشيطان وقيل كفتاه اى منعتاه شر الجن والانس ويبعد ان يكون من الكفاية اى كفتاه من ملازمة التلاوة وقيل كفتاه عن الآفات وقيل كفتاه عن الجميع قال ابن حجر المراد بالآيتين قوله تعم امن الرسول الى آخر السورة فآخر الآية الاولى المصير ومن ثم الى آخر السورة آية واحدة واما ما اكتب فليس بآية باتفاق القراء انتهى اقول والمراد بثلث ايات كما فى رواياتنا هذه امن الرسول الى آخر السورة بجعل ما اكتسبت آخر الآية الثانية واتفاق القراء على خلافه لا يقدح لان ذلك من طرق العامة والمراد بها قوله لله ما فى السموات الى آخر السوره قوله قل هو الله احد ثلث القران كان المراد ان له اجرا معدا لا يملكه القارئ من باب الاستحقاق الا انه تعم يضاعف ثوابه من باب التفضل بقدر اجر قارئ ثلث القرآن ثلث وان كان لقارئ الثلث ايضا ثوابا مضاعفا بمقتضى الوعد الصادق وبالجملة ثواب ربع الضعيف مثل اجر الثلث بدون كذا ثوابه ثلث مراة مع مثل اجر ختمه بدونه وان كان ثواب الثلث والختم بالضعيف ويثبت اكثر من اجره باعتبار الاستحقاق بدونه وح لا يرد انه يكون اجره مرة كاجر الختم خلاف الاجماع والمنقول من ان افضل الاعمال احمزها وانه لو كان كذلك لاثر واقرانه على قراءة الثلث والكل طلبا للتسهيل والله يعلم واعلم ان مثل هذا الحديث رواه مسلم عن قتادة ان النبى صم قال ان الله جزا القران ثلثة اجزاء فجعل قل هو الله احد جزاء من اجزاء القران وعن ابى هريرة ان النبى صم قال احشدوا يعنى اجتمعوا فانى ساقرا عليكم ثلث القران فحشد من حشد فقرا قل هو الله احد وهم اختلفوا فى توجيه ذلك فقال بعضهم كان ثلث القران لان ثلثه انباء قصص واحكام وصفات وقل هو الله احد مشتمل على الصفات فهى ثلثه بهذا الاعتبار وقال بعضهم ثواب قراءتها يعدل ثواب ثلث القران دون تضعيف اى تعدل ثواب ثلث وختم ليس فيها قل هو الله احد وقال بعضهم انما قال ذلك لرجل بعينه قصده وقيل ان رددت قراءتها يحصل لمن قراها قدر قراءة ثلث القران ولا يخفى عليك بعد هذين القولين وتنافيهما الحديث احشدوا القراءة صم مرة واحدة وقال بعضهم معنى يعدل ثلث القران ان ما رتب من الثواب على ختمة واحدة ثلثه لها وثلثاه لبقيتها وليس معنا ان من قراها وحدها يكون له مثل ثواب ثلث كل القران ولو كان كذلك لآثر العلماء قراءتها على قراءة السور الطوال فى الصلوة ولم يفعلوا وقد اجمعوا على ان من قراها ثلث مرات لا يساوى فى الاجر من احيى الليل بختم القران وهذا كالثواب المترتب على الصلوة اكثره للنية وباقيه لغيرها من قيام وقعود وغيرها الحديث نية المؤمن خير من عمله وفيه نظر لان الاجماع المذكور غير مسلم بل من كررها ثلثا يكون له ثواب ختمة وعدم

ايثار العلماء قراءتها على قراءة السورة الطوال لان المطلوب الثواب والتدبر والاتعاظ واقتباس الاحكام قوله قل
يا ايها الكافرون ربع القران لعل الوجه فيه ان القران نزل على اربعة ارباع ربع في المؤمنين وربع
في الكافرين وربع في السنن والامثال وربع في الفرايض والاحكام وهذه السورة مشتملة على ربع الكافرين
وساير الوجوه المذكورة في التوحيد جارية هنا ايضا قوله من قرا آية الكرسي الطاهر انهم بها خالدون
وهي تجمع اصول الاسماء والصفات من الالهية والحيوة والوحدانية والعلم والملك والقدرة والارادة
عند منامه حين اخذ مضجعه او اراد النوم لم يخف الفالج ان شاء الله في ذلك اليوم والليلة او مطلقا
اذا اعتاد قراءتها او مطلقا والفالج داء معروف يرخى بعض البدن لانصباب خلط بلغمي تنسد منه
مسالك الروح ومن قراها في دبر كل فريضة لم يضره ذو حمة الحمة بالضم والتخفيف وقد يشدد السم ويطلق
على ابرة العقرب والزنبور وناب الحية للمجاورة لان السم يخرج منها واصلها حمو وحمي بوزن صرد
الهاء فيها عوض من الواو والياء قوله من قرا مائة آية حيث شاء يصلي بها في ليلة في نافلة وكذا ان قرا سورة
مشتملة على مائة آية في فريضة كتب الله بها قنوت ليلة اي عبادتها او صلوتها او قيامها بالطاعة و
قرا مائتين آية حيث شاء على الترتيب او مطلقا اذا كانت كل واحدة تامة لم يحاجه القران يوم القيمة
اي لم يخاصمه فيما ضيعه واعرض عنه ومن قرا خمسمائة آية في صلوة الليل والنهار في فريضة
او نافلة او فيهما كتب الله عز وجل له في اللوح المحفوظ قنطارا من حسنات والقنطار الف ومائتا اوقية
والاوقية اعظم من جبل احد هذا التفسير للقنطار يخالف التفسير المذكور له في باب ثواب قراءة القران
وهو ان القنطار خمسة عشر الف مثقال من ذهب المثقال اربعة وعشرون قيراطا اصغرها مثل جبل
احد واكبرها بين السماء والارض وفسره هنا بالف ومائتين اوقية قال في الصحاح الاوقية في الحديث
اربعون درهما وكذلك كان فيما مضى فاما اليوم فيما يتعارفها الناس ويقدر عليه الاطباء فالاوقية عندهم
وزن عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم وهو استار وثلثا استار فالقنطار بالتفسير المذكور هنا ثمانية
واربعون الف درهم وهو اكثر من القنطار المذكور سابقا اذ كل مثقال درهم وثلثة اسباع درهم ويمكن ان
يقال ليس المراد بالاوقية هنا يعني في تقدير الثواب الاوقية المتعارف عند الناس لغة وعرفا اعني ما قدروها
باربعين درهما بل المراد بها ما هو اعظم من جبل احد وقد اشرنا الى نظير ذلك سابقا فليتامل قوله من مضى
به يوم واحد فصلى فيه خمس صلوات مفروضات ولم يقرا فيها بقل هو الله احد قيل له يا عبد الله لست
من المصلين في هذا اليوم والمقصود نفي الكمال وفيه مبالغة على قراءتها في الصلوة وعلى انه لا ينبغي ان يترك في

الصلوة

الصلوة وعلى انه لا ينبغي ان يترك في الصلوة اليومية كلها وقد وقع النهي في بعض الروايات عن قراءة سورة
واحدة في الركعتين الا سورة التوحيد وفي روايات العامة ايضا دلالة على ذلك روى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله
بعث رجلا على سرية وكان يقرا لاصحابه في صلوتهم فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وآله فقال سلوه لاي شيء صنع ذلك فسالوه فقال لانها صفة الرحمن فانا احب ان اقراها
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اخبروه ان الله يحبه قوله كان يؤمن بالله واليوم الآخر ايمانا كاملا لا يتصف بالنقص فلا
يدع ان يقرا آخر الحشر في دبر الفريضة الظاهر المتبادر هو الترغيب الى قراءتها بعد الفراغ منها وقد ذكر فضل التعقيب
بها في بعض الروايات واحتمال الحث على قراءتها بعد الحمد كما في السابق بعيد قوله فعظموها وبجلوها امر وخبر والتبجيل
التعظيم فالعطف للتفسير والتاكيد ويحتمل ان يكون من الجل بالتحريك وهو الحث والكفاية اي احملوها بالمداومة
عليها كفاية لامور دينكم قوله لقد وافى من الملائكة سبعين الفا اي اتاهم تقول وافيت القوم اذا اتيتهم او اشرف واطلع
عليهم قوله من قرا الهيكم التكاثر عند النوم وقي فتنة القبر هي ما يمتحن به الميت في القبر من ضغطة ومسالة
منكر ونكير وغير ذلك مما يؤذيه قوله ما قرئت الحمد على وجع سبعين مرة الا سكن الظاهر ان قراءة مبني للمفعول والتانيث
باعتبار السورة والحمد شفاء من كل داء ويجيء ان من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شيء وهذا امر متفق عليه بين العامة
والخاصة روى مسلم باسناده عن ابي سعيد الخدري ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله كانوا في سفر فمروا بحي من
احياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فقالوا لهم هل فيكم راق فان سيد الحي لديغ او مصاب فقال
رجل منهم نعم فاتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرا الرجل فاعطي قطيعا من غنم فابى ان يقبلها وقال حتى اذكر ذلك للنبي
فذكر ذلك له فقال يا رسول الله ما رقيت الا بفاتحة الكتاب فتبسم وقال ما ادراك انها رقية ثم قال خذوا
منهم واضربوا لي بسهم معكم وفي بعض رواياتهم حين قال له وما ادراك انها رقية يعني اي شيء منها الا بالهام الله تعالى وهم قد اختلفوا
فقيل ان كلها رقية نظرا الى ظاهر الرواية المذكورة وقيل ان موضع الرقية منها اياك نعبد واياك نستعين قوله ما من
احد في حد الصبي يتعهد في كل ليلة قراءة قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس المعوذتان من القران
لدلالة الروايات من العامة والخاصة عليه اما من طرق الخاصة فلما سيجيء من رواية صابر مولى آل سام
قال امنا ابو عبد الله عليه السلام في صلوة المغرب فقرا المعوذتين ثم قال هما من القران واما من طرق العامة فلما رواه
مسلم عن عقبة بن عامر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله الم تر آيات انزلت الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب
الفلق وقل اعوذ برب الناس ولم يقل احد بخلاف ذلك الا ما نقل عن ابن مسعود ولم يثبت وما نقل عن بعض
ان لفظة قل ليست من السورتين وانما امر ان يقول فقال وقال بعض العامة والاجماع وكتبهما في المصحف يرده

وقيل قوله لم يوسوس معناه انه لم يكن سورة اياتها كلها تعويذا من شر الاشرار غيرهما ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من
شر الجن والانس بغيرهما فلما نزلتا ترك التعوذ بما سواهما ولما سحر استشفى بهما وقيل معناه لم يوسوس في الفضل
ولا يعارض بما نقل في الحمد وآية الكرسي ونحوهما الا انه عام مخصوص كل واحدة ثلث مرات بان يقرأ الاولى
ثلث مرات ثم الثانية كذلك او يقرأهما متواليين ثم يستانف كل مرتين وقل هو الله احد مائتي مرة فمات
لم يقدر بخمسين لعل المراد بعدم القدرة حصول المشقة او المانع او كلال النفس وتضجرها الا صرف الله
عز وجل عنه كل لمم اللمم طرف من الجنون يلم بالانسان اي يقرب منه ويعتريه وايضا صغار الذنوب و
ومقاربة معصيته من غير ايقاع فعل ونوازل الدهر ومخطرات النفس ووسوسة الشيطان او عرض عرض
الصبيان وهي ما يعرضهم فيه من الجن وغيره من الافات والعرض بالتحريك ما يعرض الانسان من مرض ونحوه
والعطاش وفساد المعدة وبدورة الدم ابدا ما تعوهد بهذا حتى يبلغه الشيب العطاش بالضم داء يصيب
الانسان يشرب ولا يروى والمعدة ككلمة وبالكسر موضع الطعام قبل انحداره الى الامعاء وهي للانسان
بمنزلة الكرش للاظلاف والاخفاف والبدورة والبدور كما في بعض النسخ الاسراع والحدة ولعل المراد
غلبته بحيث لا يقدر على معالجته ودفعه فان تعهد نفسه بذلك وتعوهد بان يقرأ هو ان قدر او يقرأ عليه
ان لم يقدر وكون الترديد من الراوي وان ناسبه السابق بعيد كان محفوظا من المكاره المذكورة او مطلقا
الى يوم يقبض الله عز وجل نفسه دل على ان المراد بقوله حتى يبلغه الشيب آخر العمر **قوله** من اشتكى بآية من القرآن آه
يعني من طلب الكفاية من شر اهل المشرق الى المغرب كفي من شرهم اذا كان بيقين وهو اصل لحصول المطالب بالدعاء
والقراءة غير موجود في بعض النسخ **قوله** في العوذة في العوذة قال اخذ كلمة حديد يه العوذ الالتجاء وبالهاء
الرقية والقلة بالضم الحب العظيم او الجرة العظيمة او عامة او من الفخار والكوز الصغير ضد كذا في ق فجعل
فيها ماء ثم يقرأ عليها انا انزلناه في ليلة القدر ثلثين مرة الاولى ان يكون القراءة متوالية من غير نفث ولا
نفخ ولا تفل وثم هنا لمجرد الترتيب من غير اعتبار مهلة ثم يعلق في الكثر التعليق دركو يحتق وبزادم بها ما الاثنا
المتمرج بالباقي ويوثر المجموع تاثيره **قوله** احتجز من الناس كلهم اي امتنع من شرهم من الحجز وهو المنع بسم الله الرحمن
الرحيم وبقل هو الله احد الظاهر وحده التسمية والتعدد محتمل اقراها عن يمينك وشمالك ومن بين يديك
ومن خلفك ومن فوقك ومن تحتك الظ هو الترتيب المذكور مع احتمال تقديم القراءة بين اليدين على اليمين و
اليسار على الخلف ولعل المعتبر في الفوق والتحت رفع الراس وخفضه وفي الجهات الباقية التوجه بالوجه و
مقاديم البدن ابهاما لاحتمال الاكتفاء بالقصد في الجميع ثم لا تفارقها حتى تخرج من عنده نفي او نهي اي لا تفارق

قراءة

قراءة التوحيد وعقد البشرى والتخصيص باحدهما بعيد **قوله** من حرق او غرق او سرق هذه الثلثة بفتح الراء
وقد يسكن في الاولين وتكسر في الاخير مصادر وقد تطلق الاول على النار ايضا الله الذي نزل الكتاب وهو
يتولى الصالحين هذه الآية في سورة الاعراف وصدرها ان وليي الله نزل وفي عدم ذكرها ايماء الى جواز
الاقتصار في التعويذ على ما ذكر والظ ان ذكره اولى وما قدروا الله حق قدره في سورة الزمر ما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون وقد
مر تفسيره والظاهر ان الاثر وهو الامن من الحرق والغرق مترتب على قراءة مجموع الآيتين وترتبه على كل
واحدة منهما ايضا محتمل لقد جاءكم رسول التنكير للتعظيم من انفسكم اي من نوعكم وهو صفة لرسول او متعلق
بجاء عزيز عليه ما عنتم ما مصدرية اي شاق شديد عليه عنتكم ولحوق الاثم والفساد والهلاك و المشقة
والشدة بكم حريص عليكم اي على ايمانكم بالله وصلاحكم وهدايتكم اليه بالمؤمنين منكم رؤوف رحيم ذكر الرحمة
بعد الرأفة وهي اشد الرحمة من باب ذكر العام بعد الخاص فان تولوا عنك واعرضوا عن الايمان بك فقل
حسبي الله اي يكفيني عنكم وينصرني عليكم لا اله الا هو كالدليل على السابق عليه توكلت في جميع الامور فلا
ارجو غيره ولا اطلب النصر الا منه وهو رب العرش العظيم اي الملك العظيم والجسم المحيط والكرسي او على
بطنك آية الكرسي الى العلي العظيم والاولى الى هم فيها خالدون والافضل ان يكون الكتابة بتربة الحسين عليه السلام
لما روي من انه شفاء وتغسلها وتشربها وتجعلها ذخيرة في بطنك الذخيرة ما يبقى ويحفظ من الطعام و
الشراب مثلا لوقت الحاجة اليه والظاهر ان في التعليل والظرفية محتمل ولو ان تصلي في ركعتين يعني بعد الحمد
على الظ وقيل بعد الفراغ من الركعتين او قبله على احتمال يا هادي الضالة يعني الى طريق الصواب وهو طريق
العود الى صاحبها احرسته الملائكة وباعدة عنه الشياطين نظيره في كتب العامة قال ابو عبد الله شارح
مسلم شرط حصول ذلك للحراسة والتباعد القبول ممن قاله ورأى خلاف ذلك فهو دليل على انه سحاق
لم يقبله منه وكذا غيره من الاذكار واذا هو آخذ بخطمه بخطمه بالباء الموحدة في اكثر النسخ وهو من اللابد مقدم
انفها وفمها وفي بعضها بالياء المثناة التحتانية على صيغة المضارع خطمه يخطمه اذا ضرب انفه وخطمه بالخطام
اذا جعله على انفه واذا جرها ليضع عليها الخطام وفي بعضها الحية فقال الشيطان لصاحبه ارغم الله انفك
احرسه الآن حتى يصبح لعل المراد بصاحبه الذي امره بالانطلاق هو الملك ولو اريد به الشيطان لورد
فعل الملك دون الشيطان كما هو ويمكن دفعه بانه لا منافاة بين اثبات الحراسة للملك سابقا وللشيطان
فليتامل فاذا هو باثر شعر الشيطان مجتمعا في الارض دل على ان الشيطان جسم له شعر ويمكن ان يراد

باب النوادر

بالشعر شعرة تلك الرجل الساقط منه لجذب الشيطان واضافته اليه لادنى ملابسة قوله لا يملوا من قراءته اذا
نزلت الانفراه آه دل على ان الجزاء المذكور مترتب على اكثار قراءتها واخذها عادة فاذا اتاه يعني اذا حضره الموت
قوله فلتخذه بضاعة هي بالكسر قطعة من المال تعد للتجارة يعني اتخذ القران راس مال يطلب منه المنافع والارباح
عند الناس واستدر به الملوك آه استدر الشيء اذا استجلبه يعني استجلب بسبب القران المال من الملوك و استعطا
بسببه على الناس لكثرة المال وعزة السلاطين ورجل قراءة القران فحفظ حروفه وكلماته وحركاته وسكناته و
غيرها مما يعد من المحسنات اللفظية والاعتبارات العربية وضيع حدوده بترك ما نطق به من الاوامر والنواهي
والاحكام والاخلاق والمواعظ والامثال والاداب واقامة اقامة القدح القدح بالكسر السهم قبل ان
يراش ويصل وهذا تاكيد لحفظ الحروف وتضييع الحدود جميعا اذ فيه حفظ لبعض الحقوق وترك الاعظم
كما في القدح وكذا ان قراء القدح بالتحريك لانه ينتفع به من بعض الوجوه وضيعه من وجه آخر حيث جعله
وراء ظهره كما ينتفع احد من القدح ويشرب منه ثم يعلقه في آخر رحله عند ترحاله ويجعله خلفه واليه
اشار صلعم بقوله ولا تجعلوني كقدح الراكب قوله ان القران انزل اثلاثا آه الغرض منه هو الاخبار عما في الوقع
مع الحث على الاقرار بالولاية والبراءة من اعدائها والاتعاظ بالعبر والامثال والعمل بالسنن والفرائض
والاحكام وينبغي ان يعلم ان مثل هذا التقسيم وهو تقسيم الكل الى الاجزاء قد يتفاوت بحسب الاعتبار ولا يجب
التساوي في المقدار نعم لا بد من عدم خروج جزء منه فلو دخل جزء في جزء او عد جزئين لقبح فلذلك دخل
الثلث الاول من هذا التقسيم في الربع الاخير من التقسيم الثاني اذ فضل ما بينكم يشمله وجعل هذا الثلث جزئين
في التقسيم الثالث حيث قال ربع فينا وربع في عدونا ومن هذا يتبين انه لا منافاة بين هذا التقسيم والتقسيمين
الباقيين لو انه لا يرد ان القران سبعة عشر الف آية كما سيجيء وايات الفرائض والاحكام خمسمائة فكيف يكون
ثلثه قوله ان اول ما نزل على رسول الله صلعم بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك مثله في رواية العامة وفيه
دلالة على ان البسملة جزء من هذه السورة وتاويل الشاطبي بانه دليل على انه لا بد منها الا على انها جزء من السورة
بعيد جدا وفي بعض رواياتهم ان اول ما نزل اقرأ باسم ربك واستدل بعضهم بذلك على ان البسملة ليست من السورة
لان اقرأ اول سورة نزلت ثم قال فيه دلالة على بطلان مذهب الشافعي وهو ان البسملة آية من كل سورة اقول فيه نظر
من وجهين الاول ان المذكور في الرواية ان اقرأ باسم ربك اول ما نزل وليس فيها انه اول سورة نزلت فيجوز ان
يكون البسملة نزلت بعد ذلك وقد صح عندهم ان النبي صلعم كان اذا نزلت آية يقول اجعلوها في موضع كذا فلو قال
في البسملة اجعلوها في كل سورة فهي جزء منه ومما يدل على ذلك انهم قالوا اول ما نزل اقرأ الى قوله تعالى ما لم يعلم

نزل

ثم نزل يا ايها المزمل ويا ايها المدثر فكما ان بقية السورة نزلت بعد ذلك وهم مع ما نزل اولا وصار جزء
السورة فكذلك نزول البسملة بعده وضمها الى ما نزل اولا لا ينافي ان يكون جزءا من السورة والثاني انه يجوز
ان يكون اقرأ باسم ربك على السورة التي اولها البسملة فلا دلالة في الرواية على ان البسملة ليست جزء من السورة
قطعا واخره اي آخر ما نزل اذا جاء نصر الله اختلف العامة في آخر سورة نزلت كاملة فقيل براءة وقيل اذا
جاء نصر الله وكانوا يسمونها سورة التوديع واختلفوا في وقت نزولها على اقوال اشبهها انها نزلت في حجة
الوداع ثم نزل بعدها اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعدها ثمانين يوما ثم نزل بعدها آية الكلالة يستفتونك
في الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل بعدها لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش بعدها خمسة
وثلثين يوما وقيل سبعة ايام قوله وانما انزل القران في عشرين سنة الغرض منه بيان طول زمان النزول
وتحديد زمانه بحسب الواقع واهل ذكر الاكثر بحسب المتعارف والا فهو انزل في ثلث وعشرين سنة وانزل
القران في ثلث وعشرين من شهر رمضان هذا مع قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر دليل واضح على ان ليلة القدر
ليلة ثلث وعشرين من شهر رمضان ويدل عليه ايضا روايات اخر قوله لا تتفاءل بالقران التفاؤل فيما يهمون
به ويشتهون يقال تفاءلت بالتشديد وتفالت بالتخفيف وتفاءلت بالقلب وقد اولع الناس بترك همزه
تخفيفا وقالوا الفال بوزن المال والفال بالقران مقصود بوجوه الاول ان يقصد مطلبا ويسمع مقارناله آية
يستنبط منها الخير والشر ومن اول حرف منها يفعله اصحاب الحروف الناظرون لخواصها الثاني ان يفتح
المصحف ويستنبط الخير والشر من الاية الاولى في الصفحة اليمنى او من اول حرف منها الثالث ان يفتح ويعد
اسم الله في الصفحة اليمنى ويعد بعده اوراقا من اليسرى ويعد سطورا من اليسرى وينظر الى الاية بعد تلك النظر
اول او لحرف منها ولعل النهي عنه محمول على الكراهة جمعا بينه وبين ما دل على الجواز مع ان الخلف والسلف
عملوا به ولم ينكر عليهم من يعتد به وقد صرح بذلك جماعة من المفسرين منهم صاحب الكشاف في آية الاستقسام
بالازلام ومن المعاصرين من حمل النهي على التحريم وخصه بذكر الامور الغيبية وبيان الاشياء الخفية هذا حال
التفاؤل بالقران واما التفاؤل بديوان الشعراء كما هو المتعارف عند العوام فالظاهر انه حرام وانه من الازلام
والله يعلم قوله لكل شيء ربيع وربيع القران شهر رمضان سمي شهر رمضان ربيع القران وشبهه بربيع الازمنة وهو
اول ما يظهر فيه النور والكماءة التي ان يدرك الثمار والوجه ونشاط القلوب في شهر رمضان وميلها الى تلاوة
القران ومشاهدة اسراره كنشاطها وميلها الى الربيع ومشاهدة ازهاره وانواره واثماره او نمو اجر التلاوة
وثواب القراءة فيه زيادة على غيره من الشهور كنمو النباتات والاشجار والاثمار في الربيع والله يعلم قوله القران

٣٤١

جملة الكتاب القران فى الاصل مصدر بمعنى الجمع يقول قرات الشئ قرانا اذا جمعته ثم نقل الى هذا الكتاب لانه جمع
القصص والامثال والامر والنهى والوعد والوعيد والسور وغيرها من الاسرار التى لا تحصى والفرقان المحكم
الواجب العمل به الفرقان فى الاصل مصدر بمعنى الفصل يقول فرقت بينهما فرقانا وفرقا اذا فصلت بينهما ثم
نقل الى المحكم الواجب العمل على الوجه المطلوب لانه فارق فاصل بين الواجب والحرام وغيرها من الاحكام
وقد يطلق على جملة الكتاب ايضا لانه فاصل بين الحق والباطل والمراد بالمحكم المحكم المتقن الباقى الى آخر
الدهر قوله ان القران واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجى من قبل الرواة لعل المراد ان القران
نزل بلغة واحدة على قراءة واحدة هى لغة قريش وقرائتهم يدل عليه قوله تعم وما ارسلناك من رسول
الا بلسان قومه والنبى صم كان قرشيا وانما جاء اختلاف القرآت واللغات من قبل الرواة كما تعرفه بعيد
ذلك قوله فقال كذبوا اعداء الله التركيب من قبيل واسروا النجوى الذين ظلموا فى ان الظاهر بدل من الضمير او فاعل
والضمير علامة الجمعية ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد لا باس ان نشير الى بعض رواياتهم واقوال
علمائهم فيها وان طالب لايضاح المقام وللاحاطة باطراف الكلام فيقول روى مسلم سبع روايات على ان
القران نزل على سبعة احرف منها ما رواه عن عمر يقول سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرا سورة الفرقان على
غير ما اقرانيها فقال رسول الله صم اقرا فقرا القراءة التى سمعته يقرا فقال هكذا انزلت ثم قال لى اقرا
فقرات فقال هكذا انزلت ان هذا القران انزل على سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه ومنها ما رواه عن ابى بن كعب
قال ان جبرئيل عم اتى النبى صم فقال ان الله تعم يامرك ان يقرا امتك على حرفين فقال اسال الله تعم معافاة
ومغفرته وان امتى لا يطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال ان الله تعم يامرك ان يقرا امتك على ثلثة احرف
فقال اسال الله تعم معافاته ومغفرته وان امتى لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال ان الله تعم يامرك ان
يقرا امتك القران على سبعة احرف فايما حرف قراوا عليه فقد اصابوا قال العامة سبب انزاله عليها التخفيف
والتسهيل على الامة ولذا قال فاقروا ما تيسر منه وقال ان امتى لا يطيق ذلك واختلفوا فقيل ليس المعنى على
الحصر فى السبعة لان بعض الكلمات يقرا على اكثر من سبعة اوجه وانما هو توسعة وتسهيل وقال الاكثر هو
حصر العدد فى السبعة لان الزيادة على السبعة فى بعض الكلمات اما لا يثبت واما ان يكون من قبيل الاختلاف
فى كيفية الاداء كما فى المد والامالة ونحوها واختلفوا ايضا فقالت طائفة منهم المراد بالاحرف السبعة اللغات
لما نقل عن ابن عباس انه قال نزل القران على سبع لغات وهولاء اختلفوا فقال ابو عبيد ليس المراد ان
كل كلمة يقرا على سبع لغات بل اللغات السبعة مفرقة فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة

هوازن

هوازن وبعضه بلغة اليمن وغيرهم وبعض هذه اللغات اسعد بها من بعض واكثر نصيبا وقال ابن حجر المراد ان القران
نزل على سبعة اوجه يجوز ان يقرا بكل وجه منها وليس المراد ان كل كلمة وجملة منه يقرا على سبعة اوجه بل
المراد ان غاية ما انتهى اليه عدد القرات فى الكلمة الواحدة سبعة فيقرا الكلمة بوجه وبوجهين الى سبعة وقيل اللغات
السبعة كلها من مضر وهم سبع قبايل هذيل وكنانة وقيس وضبة وتيم الرباب واسد بن خزيمة وقريش وقال ابو حاتم
السجستانى نزل القران بلغة هذيل وقريش وتيم الرباب والازد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر وقال ابن قتيبة اللغات
السبعة كلها فى بطون قريش واحتج بقوله تعم وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه والنبى صم كان قرشيا وبذلك جزم
ابو على الاهوازى ونقل ابو شامة عن بعض شيوخهم انه نزل القران اولا بلسان قريش ومن جاورهم من الفصحاء ثم اباح
للعرب ان يقراه بلغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم فى الالفاظ والاعراب ولم يكلف احدا منهم
الانتقال من لغته الى لغة اخرى للمشقة ولما كان فيهم من الحمية ولطلب تسهيل فهم المراد مع اتفاق المعنى وعلى هذا
يتنزل اختلافهم فى القراءة وقال ابن حجر وتتمة ذلك ان يقال ان الاباحة المذكورة لم تقع بالتشهى اى لكل احد تغيير
الكلمة بمرادفها فى لغته بل المراعى فى ذلك السماع عن النبى صم ويشير اليه قول كل من عمر وهشام فى الحديث المذكور اقرانى
النبى صم ولكن ثبت عن غير واحد من الصحابة انه كان يقرا بالمرادف ولو لم يكن مسموعا له وقال الطحاوى ان الاحرف
السبعة انما كانت فى اول الامر لاختلاف لغات العرب ومشقة تكلفهم بلغة واحدة فلما كثر الناس والكتب
عادت الى قرآت واحدة وقيل اجمعوا على ان ليس المراد كما تقدم ان كل لفظ منه يقرا على سبعة اوجه اذ هو غير
ممكن بل لا يوجد فى القران كلمة تقرا على سبعة اوجه الا الشئ القليل مثل عبد الطاغوت ولا تقل لهما اف وحاصل
ما ذهب اليه هولاء ان القران نزل على سبع لغات للتوسعة على القارى بان يقراه باى لغة اراد منها على البدل
من صاحبها وذلك للتسهيل اذ لو اخذ وا بان يقراوه على لغة واحدة لشق عليهم فلذلك جوز لهم ان يقراوه باللغات
متعددة وقال بعضهم انكر اكثر اهل العلم ان يكون معنى الاحرف اللغات واختلف هولاء على اقوال فقيل هى
فى المعانى يعنى انه نزل القران على سبعة اصناف من المعانى واحتج بحديث ابن مسعود عن النبى صم قال كان
الكتاب الاول منزلا من باب واحد على حرف واحد ونزل القران على سبعة احرف من سبعة ابواب زاجر
وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال ورد اذ لا نجدم ثبوت هذا الحديث من طريق معتبر وثانيا
بان قوله زاجر وما بعده استيناف كلام آخر له هو يعنى القران زاجر لا تفسير للاحرف او تفسير للابواب لا
للاحرف يعنى ان القران سبعة ابواب من ابواب الكلام وقيل هى فى اختلاف اللفظ واتحاد المعنى مثل اقبل و
واسرع وعجل وهلم ويقال قد جاء هذا مبينا فى قوله تعم كلما اضاء لهم مشوا فيه مضوا فيه مروا فيه وقيل

٣٤٢

هي في الصفة التلاوة الاظهار والادغام والتفخيم والترقيق والمد والامالة لان العرب كانت تختلف لغاتها
في هذه الوجوه فسهل الله سبحانه وتيسر ان يقرا كل بلغته وقيل هي تبديل خواتيم الآي كجعل سميع بصير مكان
١ غفور رحيم وقال محيي الدين هذا القول فاسد لانه استقر الاجماع على منع التغير في القرآن ولو شدد انسان
ما هو مخفف لما دعا الناس الى الانكار فكيف بتبديل كلمات كثيرة وكذا القول الثاني لاجماع المسلمين بامتناع
تبديل آيات الاحكام بآيات الامثال ورجح القول الثالث وقال ابن قتيبة المراد التغاير في سبعة اشياء الاول
ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل ولا يضار كاتب ولا شهيد بنصب الراء ورفعها الثاني ما يتغير
بتغير الفعل مثل بعد بين اسفارنا وباعد بين اسفارنا بصيغة الطلب والفعل الماضي الثالث ما يتغير بنقط بعض
الحروف المهملة مثل ننشرها بالراء والزاي الرابع ما يتبدل بابدال حرف قريب من مخرج الآخر مثل طلح منضود
وطلع منضود الخامس ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءت سكرة الحق بالموت
السادس ما يتغير بزيادة او نقصان مثل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى والذكر والانثى هذا في النقصان
واما في الزيادة فكما في قراءة من قرأ وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين السابع ما يتغير بابدال كلمة
بكلمة كما في العهن المنفوش وفي الصوف المنفوش وقال بعضهم المراد سبعة احرف وجوه القراءة التي اختارها
القراء وهي السبعة المشهورة وقال صاحب المغرب هذا احسن الاقوال فيها وهو ظاهر كلام الباقلاني وقال ابو
شامة ظن قوم ان القراآت السبع الموجودة الآن هي التي اريدت في الحديث وهو خلاف اجماع اهل العلم قاطبة
وانما يظن ذلك بعض اهل الجهل ويقرب منه قول ابن عمار وقال محمد بن ابي صفرة القراءات السبع التي تقرأها الناس
اليوم انما هي حرف واحد من تلك الاحرف السبعة ويقرب منه قول مكي بن ابي طالب حيث قال هذه
القراآت التي تقرأها الناس اليوم وصحت رواياتها عن الائمة جزء من الاحرف السبعة التي نزل بها القرآن ثم قال
واما من ظن ان قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وابي عمرو وهي الاحرف
السبعة التي في الحديث فقد غلط غلطا عظيما ويلزم من هذا ان ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن
غيرهم من الائمة ووافق خط المصحف ان لا يكون قرآنا وهذا غلط عظيم فان الذين صنفوا القراآت من الائمة
المتقدمين كابي عبيد القاسم بن سلام وابي حاتم السجستاني وابي جعفر الطبري واسمعيل بن اسحق القاضي فذكروا
اضعاف هؤلاء قال ابن حجر ذكر ابو عبيد في كتابه خمسة عشر رجلا من كل مصر ثلثة انفس فذكر من مكة ابن كثير
وابن محيصن وحميد الاعرج ومن اهل المدينة ابا جعفر وشيبة ونافعا ومن اهل البصرة ابا عمرو وعيسى بن عمر
وعبدالله بن ابي اسحق ومن اهل الكوفة يحيى بن وثاب وعاصما والاعمش ومن اهل الشام عبدالله بن عامر و

يحيى

يحيى بن الحارث قال وذهب عني اسم الثالث ولم يذكر في الكوفيين حمزة ولا الكسائي قال ان جمهور اهل الكوفة
بعد الثلثة صاروا الى قراءة حمزة ولم يجتمع عليه جماعتهم قال واما الكسائي فكان يتخير القراآت فاخذ
من قراءات الكوفيين بعضا وترك بعضا وذكر ابو حاتم زيادة على عشرين رجلا ولم يذكر فيهم ابن عامر ولا حمزة
ولا الكسائي وذكر الطبري في كتابه اثنين وعشرين رجلا ثم قال مكي وكان الناس على رأس المائتين بالبصرة
على قراءة ابي عمرو يعقوب وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم وبالشام على قراءة ابن عامر وبمكة على قراءة
ابن كثير وبالمدينة على قراءة نافع واستمروا على ذلك فلما كان على رأس الثلثمائة اثبت ابن مجاهد اسم الكسائي
وحذف يعقوب قال والسبب في الاقتصار على السبعة مع ان في ائمة القراءة من هو اجل منهم قدرا واكثر
منهم عددا ان الرواة عن الائمة كانوا كثيرا جدا فلما تقاصرت الهمم اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما
يسهل حفظه وينضبط القراءة به فنظروا الى من اشتهر بالثقة والامانة وطول العمر في ملازمة القراءة
والاتفاق على الاخذ عنه فافردوا من كل مصر اماما واحدا وانما اقتصر على ذلك لان المصاحف التي ارسلها عثمان ٣٤٣
الى هذه الامصار كانت خمسة ويقال انه وجه سبعة هذه الخمسة ومصحفا الى اليمن ومصحفا الى البحرين لكن
لما لم يسمع لهذين المصحفين خبر واراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف واستبدلوا من غير البحرين واليمن
قارئين كمل بهما العدد فصادف ذلك العدد الذي ورد الخبر به وهو ان القرآن انزل على سبعة احرف فوقع ذلك
لمن لم يعرف اصل المسئلة ولم يكن له فطنة فظن ان المراد بالاحرف السبعة القراآت السبع ولا سيما قد كثر استعمالهم
الحرف في موضع القراءة فقالوا قرأ بحرف نافع وبحرف ابن كثير فتأكد الظن بذلك وليس الامر كما ظنه والاصل
المعتمد عليه عند الائمة في ذلك ان الذي يصح سنده في السماع ويستقيم وجهه في العربية ويوافق خط
المصحف وربما زاد بعضهم الاتفاق عليه ويراد بالاتفاق ما اتفق عليه قراء المدينة والكوفة ولا سيما
اذا اتفق نافع وعاصم قال وربما يراد بالاتفاق ما اتفق عليه اهل الحرمين قال واصح القراءة سندا قراءة
نافع وعاصم وافصحها قراءة ابي عمرو والكسائي وقال البغوي المصحف الذي استقر عليه الامر هو آخر العرضات
على رسول الله صلعم فنسخ في المصاحف وجمع الناس عليه واذهب ما سوى ذلك قطعا لمادة الخلاف
فصار ما يخالف خط المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نسخ ورفع فليس لاحد ان يعدو في اللفظ
الى ما هو خارج من الرسم ويقرب قول الباجي حيث قال لا سبيل الى تفسير حرف من تلك الحروف التي
في هذا المصحف لان عثمان والصحابة حرقوا المصاحف الاول ما سوى هذا المصحف ولو كان فيها
من بقية تلك الحروف التي انزل عليها القرآن لم يحرقوا وايضا حرقوه لانها كانت على غير ترتيب هذا المصحف

المتفق على ترتيبه وبالجملة اتفقت العامة على ان القرآن نزل على سبعة احرف وان اختلفوا في تفسيرها
وتعيينها حتى نقل ابن حيان انه بلغ الاختلاف في معنى الاحرف السبعة الى خمسة وثلثين قولا وبالغ الصادق ع
في الرد عليهم وقال انه نزل على حرف واحد والاختلاف انما جاء من قبل الرواة فالتبس ذلك الحرف المنزل بغيره
على الامة لاجل ذلك فيجوز لهم القراءة باحد هذه الحروف حتى يظهر الامر كما دل عليه الحديث الآتي عن سفيان
بن السمط قال سألت ابا عبد الله ع عن تنزيل القرآن قال اقرؤوا كما علمتم ودل عليه ايضا اخبار اخر قوله نزل
القرآن بإياك اعني واسمعي يا جارة لجارة بالتخفيف ضرة المرأة من المجاورة بينهما والمراد انه نزل بعض آيات
القرآن وهو ايضا قرآن على سبيل التعريض وهو توجيه الخطاب الى شخص وارادة غيره لكونه ادخل في النصح
واقرب الى القبول او لغرض آخر ومنه قوله تعالى خطابا بالنبيه ص ولئن اشركت ليحبطن عملك فانه تعريض لغيره
قوله معناه اي معنى نزول القرآن بإياك اعني واسمعي يا جارة ما عاتب الله عز وجل على نبيه ص العتب
الموجدة والملامة كالعتاب والمعاتبة والظاهر انه مبتدأ خبره ما في آخر الحديث وهو قوله عنى بذلك غيره
فهو يعني به ما قد مضى في القرآن اي اوحى فيه مثل قوله ولولا ان ثبتناك حطابا بالنبي ص لقد كدت تركن
اليهم شيئا قليلا الظاهر ان قوله فهو الى آخره كلام الراوي او المص وقع بعد المبتدأ وقيل الخبر تفسير المبتدأ
وتمثيل له وان ضمير هو ويعني راجع الى ابي عبد الله ع وضميره الى الموصول عنى بذلك غيره لتنزهه ص
عن الركون اليهم وذلك اشارة الى الموصول والله يعلم قوله اقرؤوا كما علمتم القرآن نزل على حرف واحد
غير اختلاف فيه ولا يعلمه الا اهل الذكر ع والاختلاف انما جاء من قبل الناس فامرهم بقراءته على وجه
علموه لنا الى ان يخرج الصاحب ع فاذا خرج حمل الناس على ما انزله الله الى رسوله كما يجيء قوله عن احمد بن
محمد بن ابي نصر قال دفع الي ابو الحسن ع مصحفا وقال لا تنظر فيه احمد بن محمد بن ابي نصر معروف بالبزنطي
ثقة جليل القدر وكان له اختصاص بابي الحسن الرضا ع وابي جعفر وكان عظيم المنزلة عندهما وكان
هذا المصحف المدفوع اليه هو الذي جمعه امير المؤمنين ع بعد وفات النبي ص واخرجه وقال هذا هو القرآن
الذي انزله سبحانه ورده قومه ولم يقبلوه وهو موجود عند المعصوم من ذريته كما دل عليه الاخبار في
هذا الخبر دلالة على وجود مصحف غير هذا المشهور بين الناس وعلى وجود التحريف والتغيير والحذف فيما انزل
الله تعالى من القرآن على محمد ص ورفعه لا يضر لاعتضاده باخبار اخر من طرقنا وهي كثيرة مذكورة في كتاب الروضة
وغيره وقد دل الاخبار من طرقهم ايضا على وقوع التغيير لانهم رووا ان القرآن نزل على سبعة احرف وقد فسر كثير
منهم بان المراد بالاحرف لغات العرب وبان العرب كانوا يقرؤونه بلغاتهم الى عهد عثمان فلما ملك عثمان امر

الامة

الامة امر الصحابة بجمع مصحف غير المصاحف التي جمعوها قبل ذلك فلما امتثلوا بامره حرق المصاحف الاول
وقال ابو عبد الله الآبي من علمائهم انما حرقها لانها كانت على غير ترتيب المصحف الذي اتفقوا على ترتيبه او لان
بعض ما فيها لم يكن من القرآن او لانه كان من القرآن ثم نسخ ولم يعلم بعضهم بنسخه فقرأه على ما انزل وحمل عليه قراءة
ابن مسعود والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى والذكر والانثى وامثال ذلك كثير فهي اما ان يكون من القرآن او
لم يكن وعلى التقديرين لزم التحريف وادخال الصحابة ما ليس بقرآن في القرآن مستبعد جدا وثبوت النسخ في امثال ذلك
اما ان يكون باعتقاد بعضهم او باجماعهم او بالنقل والاول ليس بحجة والثاني متحقق قطعا الا ان انكار بعضهم بفعله
ورضى لابن مسعود مشهور والثالث يستبعد وقوعه مع غفلة مشاهير الصحابة عنه وعلى تقدير تحققه فلا
يجري في الجميع لانه لم يدع احد نقل النسخ في جواز القراءة بسبع لغات وليس في المصحف المشهور بين الناس الا بعض هذه
اللغات دون جميعها فليتأمل ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض الا كفر يحتمل وجهين الاول ان يراد بالضرب
المعنى المعروف فان كان من باب الاستخفاف فهو كفر جحود والا فهو كفر النعمة وترك الادب الثاني ان يستعمل
الرأي في المجمل والمأول والمطلق والعام والمجاز والمتشابه وغيرها من المعضلات والجمع بينها باعتبارات خيالية
واختراعات وهمية ويستنبط منها احكاما يعمل بها ويفتي بها من غير ان يكون له مستند صحيح ونقل صريح عن اهل
الذكر عليهم السلام وقد نقل عن الصدوق انه قال في كتاب معاني الاخبار سألت محمد بن الحسن عن معنى هذا الحديث فقال
هو ان تجيب الرجل في تفسير آية بتفسير آية اخرى وقد ذهب ما فيه الا هذه الآية لا اله الا الله نصب ابو نصر للجهاد
سنة وكماله لانها تدل على فناء كل شيء ورجوعه الى الله وحده على غاية الغاية المطلوبة من الانسان وهو الفناء في الله
المتوقف على رفض ما سواه بالمرة ويقوم الظاهر والباطن بكل ما هو مطلوب منهما عن ابان بن ميمون القداح
هكذا في النسخ وهو غير مذكور في كتب الرجال التي رأيناها وكتب في بعض النسخ المعتبرة بدل ابن على الظهر ولعل المراد
بابن تحت ابان بن تغلب بن رباح وكان ثقة جليل القدر عظيم المنزلة قارئا فقيها لغويا وله قراءة مفردة مشهورة عند
القراء وقال له ابو جعفر ع اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فاني احب ان يرى في شيعتي مثلك كذا في كتب
الرجال قال قال لي ابو جعفر ع اقرأ قلت من اي شيء اقرأ قال من السورة التاسعة آه هي سورة التوبة ولعل
امره بالقراءة انه اشتهى ان يسمع من غيره او ليعلمه طريق الاداء او لانه بالغ في قوله التفهيم لانه سمع عن الغير
بالقراءة وتخصيصه ابن القداح يحتمل انه لم يحضره غيره او لم يحضره اعلم منه او احسن صوتا وجودة قراءة منه ثم الظاهر
ان قرأ من اول السورة الى قوله ولا ذلة فلما بلغها قال له حسبك ويمكن ان يحتج به اهل التجويد على جواز الوقف
الكافي من المقاطع والفصل لان الآية لم تنقل وتمامها بما بعدها ويحتمل ان يكون قوله حسبك تنبيها على ما في الآية

والاحسان هو الاتيان بالطاعات والاجتناب عن المنهيات لوان تعبد كانك تراه وان يزاد والمراد بالحسنى
المثوبات الحسنى وبالزيادة والفضلات الزائدة على تلك المثوبات والرهق كغشية رهقه كفرح رهقا
غشيه والقتر والقترة محركتين الغبرة قال قال رسول الله صم انى لاعجب كيف لا اشيب اذا قرات القران لاشتماله
على ما يوجب الحزن والغم من عقوبات يوم القيمة وعقباتها وشدايده واهواله وخاتمة الامم الماضية و
عقوباتهم فى الدنيا بالمخالفة ولذلك قال الله تم لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية
الله وهذا القول لكونه صادقا يفيد تحقق الجزاء قطعا على تقدير تحقق الشرط مع ان الشرط محقق بالنسبة الى
الانسان ولا يتصدع قلبه ومنه يظهر ان قلوبهم اصلب واقسى من الصخرة الصماء كما نطق به القران الكريم
سالته عن قول الله عز وجل بلسان عربى مبين قال يبين الالسن ولا تبينه الالسن قيل المراد ان القران لا
يحتاج الى الاستشهاد باشعار العرب وكلامهم بل الامر بالعكس لانه افصح الكلام وفيه انه سبحانه اخبر بانه بلسان
العرب فلو وقع فيه ما لا يوافق لسانهم بحسب الظاهر وتمسك به المنكرون فى القدح والتكذيب لا بد من الاستشهاد
ولاخراجه عن الكذب والاصوب ان المبين من الابانة بمعنى القطع وان القران يقطع بالفصاحة والبلاغة
البالغة حد الاعجاز السنة الفصحاء والبلغاء عن المعارضة والاتيان بمثله ولا تقطعه السنتهم بالمعارضة
قد جمعته من اللوحين اللوح كل صحيفة عريضة خشبا او كتفا وقد كانوا فى صدر الاسلام يكتبون فيه
لقلة القراطيس ومن اما ابتدائية او بمعنى فى فعلى الاول كان مكتوبا قبل الجمع فيهما وعلى الثانى جمع فيهما وحمل اللوحين
فى الاول على القلبين الطاهرين قلبه وقلب النبى صم وعلى ما نزل له اللوح المحفوظ بعيد جدا وربيعة
الراى فى المغرب هو كان فقيه اهل المدينة اشياخ فيقرأ على قراءة الى ضبطه اى فى بعض النسخ بضم الحمزة وفتح
الباء وشد الياء فقيل انه قال ذلك تقية من ربيعة ان القران الذى جاء به جبرئيل عم الى النبى صم سبعة
عشر الف آية قيل فى كتاب سليم بن قيس الهلالى ان امير المؤمنين عم بعد وفات رسول الله صم لزم بيته و
اقبل على القران يجمعه ويولفه فلم يخرج من بيته حتى جمعه كله وكتب على تنزيله الناسخ والمنسوخ منه والمحكم
والمتشابه والوعد والوعيد وكان ثمانية عشر الف آية انتهى وقال صاحب اكمال الاكمال شارح مسلم نقلا
عن الطبرى الطوسى ان اى القران ستة الاف وخمسمائة منها خمسة الاف فى التوحيد وتقويتها
فى الاحكام والقصص والمواعظ اقول كان الزائد على ذلك مما فى هذا الحديث سقط بالتحريف
واسقاط بعض القران وتحريفه ثبت من طرقنا بالتواتر معنى كما يظهر لمن تامل فى كتب
الاحاديث من اولها الى آخرها تم كتاب فضل القران ويتلوه كتاب العشرة

باب ما يجب من المعاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب العشرة العشرة بالكسر الصحبة والخلطة من المعاشرة وهى المصاحبة والمخالطة
قوله عليكم بالصلوة فى المساجد جماعة وفرادى والمراد بالصلوة الفريضة لان النافلة فى المنزل افضل
وحسن الجوار للناس بان تحفظ الجار غايبا وتكرمه شاهدا وتنصره مظلوما وتستر عيوبه وتحفظ توبته
وتخلص نصيحته وتقبل عثرته ولا تسلمه عند شدايده وبالجملة تفعل ما يرضيه وتترك ما يوذيه واقامة
الشهادة لهم وعليهم وحضور الجنايز ذكر فى هذا الخبر من الحقوق اربعا وبعضها واجب وبعضها مندوب
انه لا بد لكم من الناس اى من مخالطتهم ومعاشرتهم ومعاملتهم ثم اكد ذلك بقوله ان احدا لا يستغنى عن الناس
حيوته وبقائه فى الدنيا ان الناس لا بد لبعضهم من بعض ومن ثم قيل الناس مدنى بالطبع يحتاج بعضهم الى
بعض فى التمدن والتعيش والبقاء اذ لا يقدر احد على اصلاح جميع ما يحتاج اليه من الماكول والمشروب
والملبوس والمسكن وغيرها وفيه دلالة على افضلية الاجتماع والتالف ومن رجح العزلة مطلقا فقد اخطاء
وما دل على رجحانها ينبغى حمله على الاعتزال من شرار الناس واهل البدعة تحرزا عن الدخول معهم فيه و
٣٤٥ صرح بان العزلة افضل بشرط رجاء السلامة بتحصيل منافع الاختلاط كشهود الجمعة والجماعة والجنايز و
عيادة المرضى قوله فقال تؤدون الامانة اليهم وان كانوا كفارا وتقيمون الشهادة لهم وعليهم وتعودون
مرضاهم وتشهدون جنايزهم ذكر هذا الخبر ايضا من الحقوق اربعا وجمع بين الواجب وغيره فان اداء الامانة
واقامة الشهادة واجبان لدلالة القران والسنة عليه وعيادة المرضى مستحبة الا اذا لم يقم بامره احد فيجب
القيام على الكفاية لئلا يموت جوعا وعطشا واصل العيادة لتفقد الاحوال والقيام بها وشهود الجنايز فرض
كفاية الا ان لا يوجد من العدد من يقوم به فيتعين قوله عليكم بالورع فى الدين بفعل الطاعات وترك المنهيات
والتمسك بالاداب الشرعية والاثار النبوية والاجتهاد لله فى العلم والعمل واصلاح النفس وارشاد الخلق
واحبوا للناس ما تحبون لانفسكم هذا هو الانصاف التابع للاستقامة فى القوة العقلية والشهوية والغضبية
ولعل المراد بالناس الفرقة الناجية لان المحبة وهى امر قلبى مطلوبة بالنسبة اليهم وانما المطلوب مع غيرهم
حسن المعاشرة بحسب الظاهر لدفع الضرر وتكميل النظام انما يستحيى الرجل منكم ان يعرف جاره حقه ولا يعرف
حق جاره الحياء حالة نفسانية مانعة من القبايح للفرار من اللوم وفيه ترغيب فى رعاية حقوق الجار سيما اذا
كان احد الجارين مراعيا لها لان معاملة الاحسان بالاحسان احسن واتم ومعاملته بالاساءة اقبح والوم
قوله واوصيكم بتقوى الله والورع والتقوى كف النفس عما يوثم والورع كفها عنه وعما يشغلها عنه تعالى وان
كان حلالا كان يامر باداء الخيط والمخيط الخيط السلك والمخيط كمنبر الابرة صلوا عشايركم عشيرة الرجل

بتوليه الادنون او قبيلته لانه يعاشرهم ويعاشرونه من العشرة وهي الصحبة والخلطة قيل هذا جعفري فليسر
في ذلك هذا بعض فوايد تلك الخصال ولها فوايد كثيرة في الدنيا والاخرة مذكورة في محلها فيكون زينتها آلوا هم اللاوفا

باب حق العشيرة

اوكم بعد الالف يقال آوى منك للامانة اذا كان احسن اداء قوله من خالطت فان استطعت ان يكون يدك العليا
عليهم فافعل بان تكون يدك العليا عليهم خيره وجعلها صفة لليد وعليهم خبره بعيد وهو كناية عن الاحسان
وايصال النفع الديني والدنيوي اليهم بقدر الامكان قوله اصلح الذليل منا اي من زمرتنا وشيعتنا او من مذهبنا
وملتنا من لم يملك نفسه عند غضبه في مبادي الغضب وهو حركة النفس نحو الانتقام بسبب الطغيان
القوة الغضبية داخلة تحت قدرة العبد فلا بد له من الاقدام على دفعها بملاحظة الايات والروايات الدالة
على عدم الغضب وحسن المعافاة ولم يحسن صحبته من صحبه في السفر والحضر ومن حسنها طلاقة الوجه والبشاشة
والسلام والكلام والمصاحبة والمواكلة معه وتحصيل ما يحتاج اليه ودفع ما يغتم منه والانتظار له
اذا نزل والارتحال معه اذا ارتحل ونقل عن بعض المسافرين انه قال ادركنا المطر ليلة في صحراء فدخلني صاحبي
واجلسني الى جنب حائط ثم انحنى علي متكئا بيديه على الحائط يظلني من المطر حتى سكن المطر ومخالقة من خالقه
ومرافقة من رافقه خالقهم عاشرهم بحسن خلق وفي الكنز مخالقة باكسي خوش خلقي نمودن ومرافقه باكسي
همراهي كردن ويارى كردن وكرمي نمودن ومجاورة من جاوره المجاورة بالجيم في النسخ التي رايناها من جاوره
اذا صار جاره واستجاره وفي الكنز مجاورة همسايكي كردن ودر زنهار كسي شدن والمراد بحسن المجاورة على
الاول رعاية حقوق الجار وعلى الثاني اجارته وانقاذه عن المكاره كلها والقراءة بالحاء المهملة محتمل وفي
من مالحه الممالحة المواكلة وفي الكنز باكسي همنمكي كردن قوله في قول الله تعالى حكاية عن اخوة يوسف انا نريك

باب من يجب مصادقته ومصاحبته

من المحسنين قالوا ذلك حين اخذهم لسرقة الصاع وهم توصلوا باحسانه العام وجعلوه شفيعا في اخلا
واخذ احدهم مكانه قوله عظموا اصحابكم ووقروهم التوقير التعظيم فالعطف للتاكيد والمبالغة في الاتيان بجميع
انحائه وتخصيص احدهما بفعل ما يوجب التعظيم والاخر بترك ما يوجب التحقير بعيد ولا يتهجم بعضكم على
بعض اي لا يدخل عليه بغته وغفلة من غير اذن حذرا من الاضافة ورؤية ما يكرهه وقد كان الاستئذان
اداب الانبياء والصالحين قوله لا عليك ان تصحب ذا العقل وان كان سيئ الخلق غير كريم فانك وان لم تحمد كرمه
في بعض النسخ لم تجد ولكن انتفع بعقله في امر المعاش والمعاد واحترس من سيئ اخلاقه ولا تتبعه فيه وفيه ارشاد
الى متابعته في مقتضيات العقل وترك متابعته في مقتضيات الاخلاق الذميمة ولا تدعن صحبة الكريم وان لم
يكن له عقل فان لم تنتفع بعقله فلم تنتفع ولكن انتفع بكرمه بعقلك واكتسب نوالك لنفسك وخصاله كرمه بعقلك

وافرر

وافرر كل الفرار من اللئيم الاحمق لانه ليس كريما لتنتفع بكرمه ولا عاقلا لتنتفع بعقله مع ان في صحبته مفاسد
من وجوه شتى الاول انه يشغلك عن طاعة الله وذكره ومناجاته واستكشاف اسراره في خلق السموات والارض
وما بينهما لان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع صحبته الثاني امكان مسارقة طبعك عن رذايل اخلاقه
وقبايح اعماله الثالث امكان وقوعك في الفتن والخصومات التي لا ينفك عنها غالبا الرابع ربما يؤذيك تارة
بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة وتارة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يشكل عليك الوفاء بها واخرى
بالنميمة والكذب فربما يسمع منك قولا او يرى منك فعلا لا يوافقه فيتخذه ذخيرة عنده لوقت يكون له
فيه فرصة لتداركه الخامس ان رؤية الاحمق والثقيل ثقيله وكذا استماع كلماته الركيكة ومشاهدة اطواره
واخلاقه القبيحة وقد قال بعض الحكماء للاعشى لم اعشت عينك فقال لئلا انظر الى الثقلاء والحكماء وقال
جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر الى الثقلاء وبالجملة مفاسد صحبته اكثر من ان يحصى   اتبع من يبكيك
وهو لك ناصح بزهادته وعبادته وتلاوته وموعظته وحسن افعاله وذكر امثاله والمراد باتباعه التزام
ملازمته ومجالسته ومصاحبته واقتفاء اطواره وآثاره ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش حيث يريد فساد
حالك واشتغال بالك عن امر الآخرة بذكر الهزليات ونقل المضحكات المفسدة للدين   انظروا من تحاورون
امر باعتبار حال المصاحب في الصلاح والفساد والعلم والعمل او لانه التمسك بذيل المصلح والتحرز عن المفسد
وعلل ذلك ترغيبا وترهيبا بقوله فانه ليس احد يموت الا مثل له اصحابه الى الله اي مثل له اصحابه الذين
يسير له معه الى الله بعد الموت ويحشرهم معهم ان كانوا اخيارا اخيارا يبشرهم ويبشرونه فيفرح ويكرم
وان كانوا اشرارا فشرارا يوبخهم ويوبخونه فيتحسر ويندم وليس احد يموت من محبينا ومنكرينا الا يمثل
له عند موته اما المحبون فلتبشيرهم وابشارهم واما المنكرون فلتوبيخهم وانذارهم وهذا كلام الرسول ص
وامير المؤمنين ع و تمثلهما متواتر عندنا معنى   عليك بالتلاد واياك وكل محدث لا عهد له التلاد
التالد من المال القديم الاصلي الذي ولد عندك نقيض الطارف ولعل فيه حث على مصاحبة الامام القديم
وهو من كانت امامته بامر النبي ص دون الحادث بعده عند الناس وعلى مصاحبة من علم صلاحه بالتجربة
مرارا دون غير المجرب وعلى مصاحبة الشيوخ الذين علموا الخير والشر بالتجربة دون الشبان الذين ليس لهم تجربة
وكانت طباعهم مايلة الى الشرور وكن على حذر من اوثق الناس عندك فلا تظهر عليه كل سرك فانه قد
يتغير عليك او لا تاخذ صديقا بدون الاختبار نظرا الى ظاهر الوثوق   احب اخواني من اهدى الي عيوبي
وذلك لان الانسان يحب نفسه فلا يرى عيوبه فاذا اظهرها صديقه بمقتضى الصداقة والنصيحة تركها طلبا

لكا لروذلك من اجل منافع الصداقة واعظمها وفيه حث للصديقين وعلى اظهار كل منهما عيب صاحبه
وعلى عد ذلك الاظهار عطية وهدية لا منقصة موجبة للتفارق والعدوان كما هو شان اكثر ابناء
الزمان لا يكون الصداقة الا بحدودها وهي امور يتحقق بها الصداقة ولا يتخذ صديقا ولا يتحقق
العلم بوجود تلك الحدود وعدمه في احد الا بمجالسة متعددة ومخالطة متكررة ومصاحبة باطنية
معاشرة ظاهرة او بشهادة خالص اشتهاره بالاتصاف بها عند المعتمدين فاولها اى اول الحدود ورجوع
الضمير الى الصداقة بعيد والتذكير هنا باعتبار لفظ الحد والتانيث في الواقع باعتبار ارادة الخصلة منه ان يكون
سريرته وعلانيته لك واحدة لعل المراد ان يكون كل قوله موافقا لضميره والا لكان نفاقا منافيا للصداقة
لا ان لا يكتم سرا من اسراره او كتمان بعض السر من باب الحزم قد يكون مطلوبا كما دل عليه بعض الروايات والثاني
ان يرى زينك زينه وشينك شينه فيريد ويكره لك ما يريد ويكره لنفسه والثالثة ان لا تغيره عليك ولاية
ولا مال بان يكون صداقته بعد وجدان الحكومة كما يكون قبله بلا تفاوت وهي نادرة والرابعة ان لا يمنعك
شيئا ناله مقدرته هي مثلثة الدال القدرة والغنى واليسار وهي ايضا نادرة والخامسة وهي تجمع هذه الخصال
ان لا يسلمك عند النكبات النكبة بالفتح المصيبة وما يصيبه الانسان من الحوادث والاسلام هنا الخذلان
او الالقاء الى الهلكة يقال اسلم فلان فلانا اذا خذله ولم ينصره واذا القاه الى الهلكة ولم يحمه من عدوه وقوله
وهي تجمع هذه الخصال جملة معترضة بين المبتدا والخبر والظاهر انه كلام الصادق ع ويحتمل ان يكون من الراوى وشمولها
الخصال المذكورة يظهر بادنى تامل الماجن الفاجر مجن مجونا صلب وغلظ ومنه الماجن لمن لا يبالي قولا
وفعلا كانه صلب الوجه والفاجر هو المنبعث في المعاصي والمحارم والاحمق والكذاب الاحمق قليل العقل
ضعيف الراي والكذاب كثير الكذب المعروف به وهو الذي صار الكذب مادة له يدل عليه ما رواه ابن
ابي عمير عن عبد الرحمن بن الحجاج قال قلت لابي عبد الله ع الكذاب هو الذي يكذب في الشيء قال لا ما من احد الا
ان يكون ذلك منه ولكن المطبوع على الكذب ومقاربته جمعا وقوة ومدخله ومخرجه فار عليك الحمل في الكذب
من باب حمل المسبب على السبب للمبالغة وفي الكنز جفا ستم كردن وقرار نكردن جيزى برجاى خود ولعل وجه الجفا
انه لما لم يبال بما قال وما فعل وشق ستر الديانة لا يحفظ حق الصداقة فيقول ويفعل ما يؤذيه ويعيبه بالغير
ويهتك عرضه بالمحضر ولذلك قال امير المؤمنين اياك ومصادقة الفاجر يبيعك بالتافه ووجه القسوة اثر
قسي القلب والقساوة مسرية ووجه الغار ظاهر وربما اراد منفعتك فضرك في الدين والدنيا لعدم علمه بان
كلامه حق او باطل وفعله حسن او قبيح فيتكلم بالباطل ويفعل القبيح لقصد المنفعة وهو يضرك ولذلك ورد

النهى

٣٤٦

النهى عن الاستشارة بالاحمق كلما افنا الحدوثة مطرها باخرى مثلها الاحدوثة ما يحدث به والمطر الا سراع
مطرت الطير تمطر مطرا اذا اسرع في هويها والخيل اذا جاءت تسبق بعضها بعضا وفي بعض النسخ مطها
اى مدها حتى انه يحدث بالصدق فما يصدق ولذلك تركوا العمل برواية الكذابين وهنا حكاية مناسبة
وهي ان جماعة دخلوا في بيشة فانفرد واحد في ناحية فنادى السبع السبع فاجتمعوا عليه فوجدوه
كاذبا فتفلوا في وجهه ورجعوا ثم فعل وفعلوا ذلك مرتين وفي المرتبة الرابعة وهي مرتبة صدقه لم
يصدقوه ولم يجتمعوا عليه فافترسه السبع ويعرف بين الناس بالعداوة يعرف بالعين المهملة والقاف من
وفي بعض النسخ مطها اى مدها حتى انه يحدث بالصدق فما يصدق ولذلك تركوا العمل برواية الكذابين
وهنا حكاية مناسبة وهي ان جماعة دخلوا وفي بعض النسخ يعزف من التعزيق وفي بعضها يغرى من الاغراء
فينبت السخائم في الصدور السخيمة الحقد والضغن والغضب ان صاحب الشر يعدي اي يظلم صاحبه
من اعدى عليه اذا ظلمه او يسري شره اليه من اعداه الداء يعديه اعداء اذا اصابه مثل ما يصاب
او صرفه عن الحق وشغله بالباطل من عداه عن الامر بالتخفيف والتشديد اذا صرفه وشغله وقرين السوء يروى
ردى كرضى ردى هلك وارداه اهلكه والاضافة في قرين السوء على الاول لامية وعلى الثاني بيانية فانظر
من تقارن يعني فانظر اولا الى صفات رجل واختبره مرارا فاذا وجدته اهلا للاخوة والصداقة فاتخذه
صديقا لان اخذ الصديق قبل الاختبار يؤدي سريعا الى الفراق ومفاسده كثيرة ان كنت تحب ان تستتب
لك النعمة استتب لك الامر اى تهيا واستقام واستمر فلا تشارك العبد والسفلة في امرك في ص التامل
نقيض العالى والسفالة بالفتح النذالة والسفلة بكسر الفاء السقاط من الناس يقال هو من السفلة ولا تقل
هو سفلة لانها جمع والعامة تقول رجل سفلة من قوم سفل قال ابن السكيت وبعض العرب يخفف فيقول
فلان من سفلة الناس فينقل كسرة الفاء الى السين حب الابرار للابرار ثواب للابرار الظاهر ان المراد بالابرار
المحب والمحبوب كلاهما وعلى هذا يتعدد ثوابهما على قدر تعددهما وحب الفجار للابرار فضيلة للابرار
اذ ليس مما يتوقعه البار ولا من مقتضيات البر والتحديد بل من فضل الله عز وجل حيث جعل قلب الفاجر مائلا
اليه نافعا له في بعض الامور الدنيوية وبعض الابرار للفجار خزى للفجار لم يذكر حب الابرار للفجار للتنبيه على
انه ينبغي ان لا يكون وقد دل على الامرين قول خليل الرحمن بدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة
قال اياك ومصاحبة الكذاب المصاحبة شاملة للمجالسة والمخالطة والمحادثة والمرافقة والكذاب
كما يطلق على من يأتي بخبر لا يطابق الواقع كذلك يطلق على من يرغب في امر لا اصل له ومنه قول العرب كذبته

٣٤٧

نفسه اذا منته الاماني وخيلت اليه من الامال ما لا يكاد يكون وذلك مما يرغب الرجل فيما لا يعني ومعناه
على التعريض له فانه بمنزلة التراب ضميرا المنصوب راجع الى الكذاب او الى الكذب المستفاد منه والسراب الآل
اللامع في المفازة وقت الهاجرة الشبيه بالماء سمي سرابا لانسرابه وجريانه في مراى العين ويطلق لفظه على كل
ما لا حقيقة له واشار الى وجه الشبيه بقوله يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب اذ كل منهما يقرب البعيد
وهو ما ليس بواقع في نفس الامر باخباره واحضاره في مراى العين ويبعد القريب لعدم صفاء اللفظ
وبقاء النطق بروانسرابه وجريانه في مراى العين فالقريب هو الذي قرباه ويمكن ان يراد به في طرف المشبه
الحق لان يقرب الباطل يستلزم تبعيد الحق والله يعلم واياك ومصاحبة الفاسق مفاسد مصاحبته
كثيرة اشار الى بعضها بقوله فانه بايعك باكلة او اقل من ذلك الاكلة بالفتح المرة من الاكل وبالضم اللقمة
والقرص من الخبز وذلك لانه لا انزجار له من القبيح فاذا قصرت فيه بهذا القدر من الطعام بدلك عند الناس
او يذهب الى عدوك فيتكلم فيه بغير الجميل ليجيز بجائزة فيهتك ستر المصاحبة واياك ومصاحبة البخيل
الذي يخل في الفرايض المالية فضلا عن مندوباتها فانه يخذلك في ماله احوج ما تكون اليه احوج خبر
تكون وضمير اليه للبخيل او ما مصدرية زمانية يعني يخذلك في وقت كونك محتاجا اليه اشد احتياج فكيف
في غير هذا الوقت واياك ومصاحبة القاطع لرحمه بترك حقوقها اللازمة فاني وجدته ملعونا في كتاب الله
في ثلثه مواضع واول من دخل فيه بنو امية وبنو عباس حيث قطعوا ارحام النبي صلى الله عليه وآله وهي رحمهم بالقتل والظلم
والتحارب للخلافة قال الله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا من القطع وللمبالغة ارحامكم ان توليتم معترضة وان تفسدوا وما عطف عليه خبر عسى والاستفهام للتقرير والتوبيخ
يعني يتوقع منكم قطعا ان توليتم امور الناس او اعرضتم عن الدين بالفساد في الارض وقطع الارحام لضعفكم في
الدين وحرصكم على الدنيا وميلكم الى الجور ثم اشار الى ثمرة عملهم وصرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة للتنبيه
على بعدهم عن الحق بقوله اولئك الذين الموصوفون بالصفات المذكورة لعنهم الله وبعدهم عن الرحمة الشاملة
لمن يستعد قبولها فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم الظاهرة والباطنة عن ادراكه والاهتداء الى سبيله
وقال ثم في سورة الرعد الذين ينقضون عهد الله الماخوذ عليهم بقوله الست بربكم قالوا بلى او بالعقل الدال
على وجوده وتوحيده وصدق رسوله وما جاء به بعد مشاهدة المعجزات او بارسال الرسل وانزال الكتب الدالة
على امر المبدا والمعاد والحلال والحرام وغيرها مما يتم به نظام الدارين وكمال السعادتين من بعد ميثاقه اي
من بعد احكامه تعالى ذلك والعهد بالايات والكتب او بعد احكامهم اياه بالاقرار والقبول والاذعان

وتعظوه

ويقطعون ما امر الله به ان يوصل كترك صلة الارحام وموالاة اهل الولاية وغيرها مما يوجب الوصل
بينه تعالى وبين العبد ويفسدون في الارض بالظلم والجور وتحريك الفتن هذا في القران موجود وفي
نسخ هذا الكتاب مكتوب مضروبا اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب النار او قبح عاقبة الدنيا
تلك مجالستهم تميت القلب اي تغفله عن امر الاخرة وتميله الى الشهوات وزهرات الدنيا الضعف عقولهم وشدة
ميلهم الى الدنيا فلا يامن الجليس من الاغترار بخدايعهم والانذال جمع النذل وهو الخسيس من الناس المحتقر
في جميع احواله وقد نذل ككرم فهو نذل ونذيل اي خسيس محتقر قال الحسن لابنه يا بني لا تقرب فيكون
ابعد لك ولا تبعد فتهان هذا الكلام من المتشابهات ولعل معناه لا تقرب من الفاجر فيكون اقترابه ابعد
لك من الخير او يكون عدم اقترابه ابعد لك من الشر ولا تبعد من البار فتهان وتخزى في الدنيا والاخرة او معناه لا
تقترب من الناس اقترابا تاما ولا تبعد منهم والمقصود هو الحث على الاعتدال في المخالطة معهم او معناه لا
تقرب من الصديق كثيرا فيكون ابعد لك من زوال المحبة والصداقة ولا تبعد منه كثيرا فتهان كما هو المشهور
۲۴۸ ذرعا تزدد حبا والله اعلم الذكر والانثى مثلها وان ابن آدم يحب مثله اي كل صنف من الذكور وكل صنف
من ابن آدم يحب مثله وهذا كالتاكيد للسابق ولا تشرك الا عند ما عنته آه البر الصلة والاحسان
والطاعة وكل وصف يتصف به البار والباغي الطالب وفيه حث على مصاحبة البار دون الفاجر وفي بعض
النسخ بزك بالزاي المعجمة وهو الشاب والمتاع والمراد به المعاني المذكورة والمال واحد والخلة بالكسر الصداقة
والمحبة والرفق بالكسر الفاد ومن لا يملك لسانه يندم ميدان اللسان في الخير والشر واسع فمن لا يملك لسانه
لا يتفكر في صحة قوله وفساده ولا في عاقبته يتكلم كثيرا بما يعود ضرره اليه او الى احد من المؤمنين فيندم ولات
الندم قال امير المومنين عليه السلام لسان العاقل وراء قلبه وقلب الاحمق وراء لسانه ومن ثم قال بعض الاكابر
لا تكلم بلسانك ما تكون به لسانك المرء على دين خليله وقرينه اي عند الناس او في نفس الامر لانه يعدي
ومصاحبة الاحمق فانك اسر ما تكون من ناحية اقرب ما تكون الى هيانك لان الاحمق شانه ان يصنع شيئا
في غير موضعه فربما يطلب لك شيئا يزعم انه خير وهو شر عليك مجاملة الناس ثلث العقل المجاملة المعاملة
بالجميل ولعل السر في كونه ثلث العقل ان شان العقل تحصيل الحكمة النظرية والحكمة العملية تنقسم الى ما بين الخالق
وبين العبد والى ما بينه وبين المخلوق والمجاملة من هذا القسم التودد الى الناس نصف العقل لان العقل
نصفان نصف عقل المعاد ونصف عقل المعاش وهذا هو كذا في شرح النهج من كف يده عن الناس
بان يترك مجاملتهم ومعاملتهم ومخالطتهم ومودتهم وحسن الاخلاق معهم فانما يكف عنهم يد واحدة ويكف

عنه ايديا كثيرة فانه ان كف يده عن رجل واحد فقط يكف عنه ايدي كثيرة وهي ايدي ذلك الرجل وابنا
وحشمه واحباؤه واولاده وانصاره واقربائه فكيف اذا كف يده عن جماعة لا شئ اقرب الى شئ من يد الى
جسد وان اليد تغل على غلو لا واغلا خان او خاص في الفئ وعلى تقدير الخصوص يراد به هنا مطلق الخيانة
فمقطع وتقطع محسم يحتمل ان يراد بالقطع الاول قطع البعض وبالثاني قطع الكل ان يكون العطف للتفسير والتاكيد
الحسم القطع والكي في قحسم العرق قطعه ثم كواه لئلا يسيل دمه وفي التمثيل دليل على ان المهاجرة عن العرب
وان كانت شاقة باعتبار القرابة النسبية لكن لا بد منها ان كان خايفا ظلما اذا احببت احدا من اخوانك
فاعلمه ذلك اعلام المحبة موجب لثباتها في الطرفين وحصولها للاخوان لم يكن وهو مجرب وقد اخبرني
بعض اخواني بها وبالغ في صدقه فلم انسه منذ اخبرني بها وانا اخبرت بها بعضها الحزم ثم لقيته بعد سنين
كثيرة فاخبرني بانه لم ينس منذ اخبرته فان ابرهيم عليه السلم قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على الخلة وبهذا التقرير يتضح التقريب والذي يدل عليه ما رواه الصدوق في باب
الخامس عشر من كتاب العيون باسناده عن علي بن محمد بن الجهم قال حضرت مجلس المامون وعنده الرضا
علي بن موسى عليهما السلم فقال المامون له عم اخبرني عن قول ابرهيم رب ارني الآية قال الرضا ان الله
تبارك وتعالى كان اوحى الى ابرهيم عم اني متخذ من عبادي خليلا ان سالني احياء الموتى اجبته فوقع في
نفسه عم انه ذلك الخليل فقال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على
الخلة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله السلام تطوع والرد فريضة والبداية بالسلام سنة باجماع
الامة ولا عبرة بقول بعض العامة لانه لا خلاف في انه سنة او فرض كفاية ان اراد به ما هو الظاهر واول
كلامه القرطبي بانه ليس قولا او فرض كفاية مخالف للاجماع على انه سنة لان معناه ان اقامة السنة و
احياءها فرض كفاية ثم الرد فريضته عينية ان كان المسلم عليه واحدا معينا ولو كانوا جماعة فظاهر قوله
قوله اذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها انه وجوب الرد عيني لمبادرة منه لكن الاخبار الواردة
في الباب الثاني من هذا الباب واجماع الامة الا ابو يوسف من علماء العامة فانه قال لا يرد الا الجميع هو انه
كفائي يسقط برد واحد منهم وجوب الرد عن الباقين وهنا زيادة تحقيق سنذكره ان شاء الله تعم ثم ان قوله
عم تطوع والرد فريضة محقق بما اذا كان المسلم والمسلم عليه بالغين مكلفين ولو كانا صبيين مميزين
او لا او كان احدهما صبيا والاخر بالغا فلا تطوع ولا فرض وقيل بوجوب الرد فيما اذا كان المميز والمسلم
عليه مكلفا وهذا على تقدير كون افعال المميز شرعيا ظاهر والاحتياط واضح من بدا بالكلام قبل السلم

فلا

فلا تجيبوه لانه ترك السنة المؤكدة والاستخفاف بها او المؤمن خصوصا اذا كان بالتجبر يقتضي مقابلة
التارك بالاستخفاف اولى الناس بالله وبرسوله صم من بدا بالسلم اي اولى الناس برحمة الله وكرامته
واقربهم برسول الله صم واحبهم واحسنهم مقاما وافضلهم واكثرهم ثوابا من بدا بالسلم لانه البادي
باظهار التودد والتالف وطلب الخير والسلامة المطلوبة شرعا ويفهم منه ان الابتداء بالسلم افضل
من رده مع انه واجب كان سلمان عم في بعض النسخ سلمان ره يقول ان اتبعوا السلام افشوا سلام
الله فان سلام الله لا ينال الظالمين سلام الله هو الرحمة والسلامة من الافات في الدنيا و
المكاره في الاخرة والمراد بافشاء السلام ان تسلم على كل من تلقاه من المسلمين خصوصا الفقراء والمساكين
عرفته او لم تعرفه ولا تخص به جماعة دون آخرين وان كانوا من الظالمين فان السلم لا ينفعهم ولا ينضرك
بل ينفعك اذ تستوجب به كمال نظامك ومغفرة ذنوبك وحسن مقامك بينهم ومما ينبغي الاشارة اليه
هل يجوز لنا ان نقول قال زيد عليه السلام كذا فالذي يقتضيه الدليل جواز ذلك وعليه علماؤنا
واكثر العامة وقال ابو محمد الجويني لا يجوز ذلك لان السلم تحية مختصة بالانبياء كالصلوة فلا يقال
علي عليه السلام كما لا يقال علي صلى الله عليه اقول دعوى الاختصاص لا دليل عليها الا من طرقنا ولا من طرقهم
ولا من طرقهم وقد بسطنا الكلام عليه فيما سبق البخيل من بخل بالسلم اعطاء السلم اسهل من اعطاء
المال فالبخل بالسلام اشد واقبح من البخل بالمال حتى كان البخل منحصر فيه ثم كان صلوات الله
عليه تقول لا تغضبوا ولا تغضبوا نهي عن الغضب والاغضاب مطلقا لان تركهما من اعظم اسباب
حسن النظام او عن الغضب بترك الجواب اذا لم يجهر بالسلم وعن اخفاء الجواب الموجب للاغضاب افشوا
السلام واطيبوا الكلام تاكيد للسابق على الاحتمالين ولذا ترك العاطف والنيام بالفتح والتخفيف جمع نائم
واما بالكسر فهو المعاس والرقاد تدخلوا الجنة بسلام اي متلبسين بسلامة من الافات والمكاره
كلها ثم تلا عليه السلم قول الله تعم السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار من اسمائه تعم السلام لسلامته
من النقص والفناء او لانه مسلم عباده من المهالك او لانه يسلم عليهم في الجنة فهو على الاول من اسمائه
التنزيه كالقدوس وعلى الثاني راجع الى القدرة وعلى الثالث الى الكلام ومن اسمائه المهيمن لانه الرقيب
وفي ذكر هذه الآية ايماء الى انه تعالى يحب سلام العباد بعضهم بعضا ويجزيهم له يوم الجزاء من قال
السلام عليكم فهي عشر حسنات آه قال بعض العامة السلام هنا اسم من اسمائه تعم ومعنى السلام عليكم
الله حفيظ عليكم كما يقال الله معك اي حفيظ عليك والظ ان المراد بالسلم هنا معنى السلامة من الافات

٣٤٩

والنجاة من النار وقد فسر بذلك كثير من الفضلآء ورحمته سبحانه عبارة عن الطافه واحسانه واكرامه
وانعامه والمراد بالبركة هنا اما الزيادة في الخير او الثبات على ذلك من قولهم بركت الابل اذا ثبتت على
الارض او التطهير من المعايب وتضاعيف الحسنات هنا من باب من جآء بالحسنة فله عشر امثالها فكل
كلمة من الكلمات الثلث حسنة يثاب بذلك بثلثين حسنة ثم الظاهر انه يصح التسليم بكل صيغة صحيح متعارفة
في العرف والشرع بالقواعد المقررة في العربية مثل سلام عليك وسلام عليكم بالتنكير والافراد والجمع
وان كان المخاطب واحدا والجمع اولى وافضل كما دل عليه ما بعد هذا الخبر ومثله تعريف السلام في
الصيغتين وتقديمه افضل لتقدمه في القران والاخبار وتاخيره ايضا جائز مثل عليك السلام وقال
بعض العامة يكره ان يقدم لفظ عليكم على لفظ السلام وجاء في رواياتهم النهي عنه وانها تحية الموتى
فقيل معنى كونها تحية الموتى انها من عادة الشعراء في رثائهم الموتى وخطابهم مثل عليك سلام الله
قيس بن عاصم ورحمته ما شاء ان يترحما ولا يعني انها السنة في التحية الموتى فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله
السلام عليكم دار قوم مؤمنين فحياهم بتحية الاحياء وقيل وجه الكراهة ان عادة العرب تقديم اسم
المدعو عليه في الشر كقولهم عليه لعنة الله وغضبه وقوله تعالى وان عليك لعنتي ورد بان الله تعالى
في آية اللعان قدم اللعنة والغضب على الاسم وقيل السلام اسم الله فهو اولى بالتقديم وهذا حسن لو
سلم عن المعارضة فانه قدم عليكم على الاسم الصادر عن الرحمن وهل يتحقق السلام والتحية بمثل السلام
بحذف الخبر كما هو المتعارف بين بعض الناس فالظاهر نعم لانه مندرج تحت القانون ويحتمل العدم لعدم
كونه متعارفا شرعا وعرفا ويتفرع عليه وجوب الرد وعدمه ثلثه ترد عليهم رد الجماعة وان كان
واحدا اي تخاطبهم خطاب الجماعة فيشمل الابتداء والجواب عند العطاس يقول يرحمكم الله وان لم
يكن معه غيره اي بحسب الظاهر فلا ينافي قوله في آخر الحديث فان معه غيره يعني معه غيره من الملئكة والمؤمنين
والمؤمنات بحسب القصد والواقع ثلثه لا يسلمون محمول على الكراهة الماشي مع الجنازة والماشي الى
الجمعة وفي بيت حمام لعل التخصيص في الاولين انه غالبا بناء في التعجيل المطلوب فيهما والمراد انهما لا يبتدان بالسلام
على غيرهما بل يستحب العكس لفضل المشي مع الجنازة والى الجمعة وفي الاخير انه يوجب النظر الى ما يكره والاطلاع
عليه والله اعلم من التواضع ان تسلم على من لقيت وان وقعت الملاقات في اليوم مرارا كما دلت عليه رواية
ابي عبيدة المذكورة في باب المصافحة عن ابي جعفر عليه السلام وتمام التسليم على المسافر المعانقة عند
قدومه وظني انه مروي وقد مر فضل المعانقة وثوابها يكره للرجال ان يقول حياك الله ثم يسكت حتى

منها

٣٥٠

منها بالسلام الحيوة البقاء ضد الموت والحيا بالفتح والقصر الخصب والرخاء والملك والتحية وهي السلام
ومعنى حياك الله ابقاك من الحيوة او رزقك رزقا حسنا او ملكك وفرحك او سلم عليك من الحياء
بالمعاني المذكورة يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير اما بداية الصغير على الكبير
فلان للكبير على الصغير فضلا في السن فحصل له بذلك مزية التقدم بالتحية نعم لو كان للصغير فضايل
نفسانية مثل العلم والادب دون الكبير لا يبعد القول بالعكس لان مراعاة الفضل البدني يقتضي مراعات
الفضايل النفسانية بالطريق الاولى ولان العالم له نسبة مؤكدة الى النبي والائمة المعصومين عليهم
السلام دون الجاهل ومن اعتبر حال بعض الائمة وبعض الانبياء عليهم السلام ان تقدمهم على غيرهم
مع صغر سنهم انما كان لاجل كمالاتهم وحمل الصغير والكبير على الصغير المعنوي والكبير المعنوي مستبعد
واما بداية المار على القاعد فلان القاعد قد يقع في نفسه خوف من القادم فاذا ابتدا القادم بالسلام
امن او لان القاعد لو امر بالبداية على المارين شق عليه لكثرة المارين بخلاف العكس واما بداية
القليل على الكثير فلفضيلة الجماعة وايضا لو بدات الجماعة على الواحد خيف منه الكبر ويحتمل غير ذلك
والله اعلم والراكب يبدا الماشي آه اما بداية الراكب على الماشي فلان الراكب فضلا دنيويا فعدل الشرع
بينهما فجعل للماشي فضيلة ان يبدا بالسلام او لان الماشي قد يخاف من الراكب فاذا سلم الراكب عليه امن
او لانه لو ابتداء الماشي بالسلام على الراكب خيف من الراكب الكبر وهذه التعاليل تجري فيما بعد ايضا واذا
لقي واحد جماعة سلم الواحد على الجماعة وهذا من الاداب سواء كان الواحد افضل واعلم من الجماعة اولا
لما مر ان امير المؤمنين عليه السلام مر بقوم فسلم عليهم نعم لو سلم الجماعة على الواحد اذا كان افضل منهم كان لهم
مع ثواب فضيلة التقدم بالسلام ثواب فضيلة التعظيم للعالم اذا كان قوم في مجلس ثم سبق قوم
فدخلوا فعلى الداخل اخيرا ان يسلم عليهم اي على اهل المجلس جميعا الكائن فيه والسابقين في الدخول
سواء استقر السابقون في القعود ام لا وسواء فصل بينهم وبين الاخرين زمان ام لا اذا مرت الجماعة
بقوم اجزاهم ان يسلم واحد منهم واذا سلم على القوم وهم جماعة اجزاهم ان يرد واحد منهم دل هذا
وما بعده على ان وجوب الرد كفائي اذا رد احد من جماعة كفى وهو مذهب اصحابنا واكثر العامة
ويؤيده انه سلم سلاما واحدا فليس له الا عوض واحد فاذا تحقق خرجوا عن العهدة وعليه يحمل قوله تعالى
واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الا ان يحمل الامر على الندب لعدم وجوب الاحسن وهو
ضعيف لان الجواب غير منحصر في الاحسن بل هو مردد بين المثل والاحسن ثم رد واحد منهم انما يكفي

لو كان داخلا في المجموع المسلم عليهم وكان مكلفا بالجواب فلو لم يكن داخلا وكان داخلا ولم يكن مكلفا لا يسقط
جوابه عن الباقين لانه قد وجب الرد عليهم ولم يات احد بذلك الواجب اذ لا يجب على غير الداخل ولا على غير
البالغ وقال الفاضل الاردبيلي يمكن ان يقال لو سلم على الجماعة يدخل فيهم الغير البالغ وهو مقصود بالسلم
ايضا يكفي رده عن الباقين اذ المسلم كانه ما اوجب الرد بل جاء بكلام يريد عوضه بواجب وغير واجب ويكفي
غير الواجب كان رسول الله صم يسلم على النساء ويردون عليه السلم وكان امير المومنين عليه السلم آه
دل هذا الخبر على جواز السلم على النساء وان كانت شابة وعلى جواز ردهن وسماع صوتهن ويؤيده الاصل
وتكلم فاطمه عم مع سلمان وبلال وغيرهما من الاصحاب وهو الظ من مذهب بعض الاصحاب وظاهر
عبارات اكثر الاصحاب ان صوتهن عورة واستماعه حرام وان سلامهن على الاجنبي حرام وكذا اسلامه
عليهن وان الجواب في الصورتين ليس بمشروع لان الشارع لا يامر برد الجواب عن الحرام وانه ليس ذلك بحمد
شرعا فلا يوجب الاجر والعوض ويدل عليه ما روى امير المؤمنين عم قال لا تبدوا النساء بالسلم وما روي
عن ابي عبد الله عم قال لا تسلم على المرأة ولا يبعد حمل النهي فيهما على الكراهة مطلقا او عند توهم الفتنه او
اذا كانت شابة للجمع بين الاخبار ويؤيده ما في آخر هذا الحديث لان الظ ان امير المومنين عم اراد بما ذكر
نفسه فيؤ واختلف العامه ايض فاجاز مالك والجمهور السلم على المسنة وكرهوا على الشابة خوف الفتنه
من مكالمتها او ردها وقال بعضهم يسلم عليهن ولا يردون لانه اذا سقط عنهن الاذان والاقامة والجهر
بالقراءة سقط عنهن الرد وقال بعضهم لا تسلم الرجال على النساء ولا النساء على الرجال وقال المازري اذا كانت
النساء جماعة يسلم عليهن وان كانت واحدة مسنة لا تشتهى يسلم عليها وتسلم هي وان كانت تشتهى او شابة
لا يسلم عليها ولا تسلم هي ومن سلم منهما لم يستحق جوابا دخل يهوديا على رسول الله صم وعايشة عنده فقال
السام عليك فقال رسول الله صم عليكم آه نظير ذلك في الكتب العامة كثيرة منها ما روي عن عروة عن عايشه
قالت استاذن رهط من اليهود على رسول الله صم فقالوا السام عليكم فقالت عايشه بل عليكم السام واللعنة
فقال رسول الله صم يا عايشه ان الله يحب الرفق في الامر كله قالت الم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت ورددت
عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا قال القرطبي السام الموت ومنه الحديث لكل داء دواء الا السام
فقيل ما السام قال الموت وفيه دلالة على الانتصار للسلطان واهل الفضل ووجوب ذلك على جميع
المسلمين وقال قتاده مرادهم بالسام السامة اي تسامون دينكم مصدر سئمت سامه وسآما مثل رضاعا و
قال المازري في زجره عم لعايشه وقوله ان الله يحب الرفق في الامر كله دلالة على عظم خلقه وكمال حلمه وعلى

الحث

الحث على الحلم والرفق والصبر ما لم يدع حاجة الى المخاشنة والفحش مما يقبح من القول وفيه امر عام بترك
الجفاء في الكلام بالنسبة الى كافة الناس وبالتثبت والرفق وعدم الاستعجال باللعن والطعن وغيرهما
وقد كان صم يتالف الكفار بالاموال الطاهرة فكيف بالكلام الحسن لا تبدوا اهل الكتاب بالتسليم آه
دل على تحريم ابتدائهم بالتسليم ولا ينافي ذلك ما سيجيء في هذا الباب عن عبد الرحمن بن الحجاج قال قلت لابي
الحسن موسى عم ارايت ان احتجت الى متطبب وهو نصراني ان اسلم عليه وادعو له قال نعم ولا ينفعه دعاؤك
لان هذا محمول على حال الضرورة والاحتياج اليه والتحريم على حال الاختيار وكذا لا ينافي ما مر افشوا
سلام الله فان سلام الله لا ينال الظالمين لان هذا عام مخصوص بهذا الحديث وقوله عم فقولوا وعليكم
بالواو وفي الرواية المتقدمة على هذه الرواية فقولوا عليك وفي رد الرسول صم عليكم وفي الرواية المتاخرة عنها
قل عليك ويقول عليكم بدون الواو وروايات العامة ايض مختلفة ففي بعضها بالواو وفي بعضها بدونها
والمعنى بدون الواو ظاهر لان المقصود ان الذي يقولون علينا مردود عليكم واما مع الواو فمشكل لان الواو
تقتضي اثبات ما قالوه على نفسه وتقريره عليها حتى يجمع العطف فيدخل معهم فيما دعوا به ولهذا قال محيي الدين
البغوي نقلا عن بعضهم والمختار في الرد عليكم بدون واو وقال ابن الاثير قال الخطابي عامة المحدثين يروون
وعليكم باثبات واو العطف وكان ابن عيينه يرويه بغير واو وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار
قولهم الذي قالوه نفسه مردودا عليهم خاصة واذا اثبت الواو وقع الاشتراك معهم فيما قالوه لان الواو
تجمع بين الشيئين والمثبتون للواو اختلفوا فقال بعضهم انها للاستيناف لا للعطف فلا تقتضي المشاركة
وقال عياض هذا بعيد والاولى ان يقال الواو على بابها من العطف غير انا نجاب فيهم ولا يجابون فينا
كما دل عليه الحديث ثم قال حذف الواو احسن معنى واثباتها اصح رواية واشهر اقول ما اختاره ليس باولى
لان المفسدة هي قبول المجيب دعاءهم على نفسه وتقريره عليها وقبول المشاركة وهي باقية غير مندفعة بما
ذكره ثم اقول ويمكن ان يقال اذا علم المجيب انهم قالوا السام عليك يجب بعليكم دون الواو كما فعل النبي صم
واذا علم انهم قالوا السلم عليك كما هو المعروف في التحية يجب بقول وعليكم فقبل سلامهم على نفسه بقررها
عليها واتى بلفظ يفيد المشاركة الا ان ذلك لا ينفعهم وفائدته مجرد الرفق وتاليف القلوب وكذا يجوز
ان يجب بعليك دون واو وبذلك يتحقق الجمع بين الروايات ثم ان الامر بردهم على سبيل الرخصة والجواز دون
الوجوب وان احتمل نظرا الى ظاهره كما نقل عن ابن عباس والشعبي وقتاده من علماء العامة واستدلوا بعموم
الاية واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها حيث قال باحسن منها للمسلمين وقوله او ردوها لاهل

الكتاب والحق ان كليهما للمسلمين لعدم وجوب الرد بالاحسن للمسلمين اتفاقا بل الواجب احد الامرين اما الرد
بالاحسن او بالمثل   فادعه ومره ان يكف عن الهنا ويكف عن الهه الظم ان الواو في قولهم ويكف عن الهه
للحال من فاعل يكف او بمعنى الفالا للعطف على يكف لانه لا يخلوا عن مناقشة ورفعها بالتقدير وهو
ومرنا ان يكف آه بعيد فلنا سلم لم ير في البيت الا مشركا غير ابي طالب او المراد لم ير في البيت من الواردين الا
مشركا او المراد بالمشرك المشرك بحسب الواقع او الظاهر وقد كان ابو طالب يخفي ايمانه منهم ويريهم انه مشرك
مثلهم والله اعلم فقال السلام على من اتبع الهدى فيه بيان لكيفية التسليم على اهل الملل الباطلة وانما
لم يسلم على ابي طالب وحده مع انه كان مسلما لئلا يفهموا بذلك اسلامه ثم جلس فخبره ابو طالب بما جاء
داله خبره تخبيرا بمعنى اخبره فقال اوهل لهم في كلمة خير لهم من هذا الهمزة للاستفهام والواو للعطف على
مقدر ولهم متعلق بمحذوف وخير خبر مبتدأ مقدر والتقدير اقالوا هذا وهل لهم رغبة في كلمة هي
خير لهم من هذا الذي طلبوه فوضعوا اصابعهم في اذانهم تحاشيا من هذه استماع الكلمة الشريفة الدالة على
التوحيد المطلق وخرجوا هرابا بضم الهاء وشد الراء المبالغة في الهرب وهم يقولون ما سمعنا بهذا الذي
يقول والواو للحال في الملة الاخرة وهي ملة ابائهم او ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى كانوا
على التثليث ان هذا الا اختلاق اي كذب اختلقه وافتراه   يقول في الرد على اليهودي والنصراني
سلام يحتمل ان يكون سلام بفتح السين ويؤيده قوله تعالى سلام عليكم سأستغفر لك ربي وقل سلام
فسوف تعلمون والوجه في جواز ذلك انه لم يقصد بهذا السلم التحية وانما قصد به المباعدة والمتاركة
ويحتمل ان يكون بكسر السين ويؤيده مذهب بعض العامه من انه ينبغي ان تقول في الرد عليكم السلام
بكسر السين والسلام بالكسر الحجارة   فان صافحك بيده فاغسل يدك وجوبا مع الرطوبة وندبا
مع عدمها والظاهر ان للمؤمن ثواب المصافحة كما ان له ثواب الجماعة لو صلى خلف من لا يعتدى به
امسحها بالتراب او بالحائط بدون الرطوبة تطيبا للقلب واشاعها فالظاهر وجوب الغسل لطاهر تغسل
يده ولا يتوضأ اما غسل اليد وجوبا مع الرطوبة وندبا بدونها فظاهر واما عدم الوضوء فلانه ليس بمبطل
له وكلاقات النجاسات بالبدن   او دهقانا آه الدهقان بكسر الدال وضمها القوي على التصرف مع حدة و
التاجر وزعيم فلاحي العجم ورئيس الاقليم والقرية والعلج بالكسر الرجل من كفار العجم وغيرهم وقوله
اما ان تبدأ به فلا محمول على الكراهة جمعا بينه وبين ما دل على جواز تقديم اسمه كحديث ابن سنان نوفع
فيه وشكاه وقع فلان في فلان سبه وثلبه وذكر عيوبه ولعل الوقوع فيه من باب المهاد الظلم كما تعز

قوله

قوله وشكاه وهو جابر عند الحاكم فقال له ابو عبد الله ع واني لك باخيك كله اي معنى اني للاستبعاد
يعني من اين لك اخوك كل الاخ اي الكامل في الاخوة الممتنعة عما يوجب النقص مهانم الكدر لك يقول اي
الرجال المهذب يعني الرجل المهذب الخالص عن العيب والنقص نادر جدا مستبعد وجوده فلا بد للصديق
من الاغضاء والاغماض عن عيوب صديقه لتلاقي بالصديق قوله لا تفتش الناس فتبقى بلا صديق يعني
ان وجدت صديقا صالحا يعجبك ظاهر حاله فحسبك صداقته ولا تفتش في باطن امره فانك ان فتشت تجده
فاسدا فتتركه وتبقى بلا صديق والبقاء بلا صديق غير مستحسن لان الانسان في السراء والضراء والشدة والرخاء
والتعيش والبقاء محتاج اليه قوله انظر قلبك فاذا انكر صاحبك اي ابغضه وهو لا محالة ابغضك ايضا فان
احدكما قد احدث سببه فان تبغضك لامر ممكن ولكل ممكن سبب فان كان احدث منه سببا لغضبك له
كان احدث منك ايضا سببا لبغضه لك لعدم الفرق وهذا التعليل في غاية اللطف في الدلالة على ان البغض
من الطرفين قوله امتحن قلبك فان كنت توده فانه يودك اريد بالود الحب في الله وهو بين الطرفين ولا يزول
الا لله واما الود المجازي لاغراض الدنيا فهو قد لا يكون من الطرفين وكثيرا ما يزول لعدم حصول
تلك الاغراض قوله صدقت يا ابا بشر سل قلبك عما لك في قلبي من حبك فقد اعلمني قلبي عما لي في قلبك يريد
ان حبك لي مستلزم لحبي لك وبالعكس فاذا سألت قلبك الذي وجد الاول استدل به على وجود الثاني فيخبرك
بكما ان قلبي الواجد للثاني استدل به على وجود الاول فاخبرني به قوله وينصح له اذا غاب بان يمنع عنه المغتاب
ويجلب له ولاهله المنافع ويدفع عنهم المضار ويسمته اذا عطس قال ابن الاثير التسميت بالسين و
الشين المعجمة اعلاهما يقال سمت فلانا وشمت عليه تشميتا فهو مشمت واشتقاقه من الشوامت وهي القوائم كانه
دعاء للعاطس بالثبات على طاعة الله تعالى وقيل معناه ابعدك الله عن الشماتة وجنبك ما يشمت به عليك
واشتقاق المهملة من السمت وهو الهيئة الحسنة اي جعلك الله على سمت حسن لان هيئته تنزعج
للعطاس وقال القرطبي شمت وسمت والمعجمة اعلاه وقال ابن الانباري كل داع بالخير مشمت ومسمت وقال
تغلب والاصل المهملة من السمت وهو القصد وحسن المودة ومنه الحديث دعا لهما وسمت عليهما
يقول الحمد لله رب العالمين لا شريك له الظاهر ان يقول حال عن فاعل عطس وضميره للعاطس فيفيد ان
استحباب التسميت مشروط بقول العاطس ذلك وساقط بدونه ونظيره موجود في كتب العامه قال
القرطبي تسميت العاطس فرض كفاية وشرطه ان يقول العاطس الحمد لله ولا يبعد القول بان التسميت مستحب
مطلقا لظواهر الروايات الاتيه ويتأكد اذا قال العاطس ذلك ويجيبه اذا دعاه الى طعامه وغيره من الامور

المشروعة كالاغاثة والنص ونحوها قوله اذا عطس الرجل فسمتوه ولو من وراء جزيرة دل على تاكد استحبابه والاحوط ان لا يترك وقال عياض اختلف في حكم التسميت فذهب مالك وهو قول جماعة انه فرض كفاية وقال بعض اهل الظاهر انه فرض عين وذهب الاكثر الى انه مستحب عن صفوان بن يحيى قال كنت عند الرضا عليه السلام فعطس فقلت له صلى الله عليك ثم عطس فقلت صلى الله عليك ثم عطس فقلت صلى الله عليك دل على استحباب التسميت في الثالثة كما دل عليه ايض حديث زرارة عن ابي جعفر عم في آخر هذا الباب الا انه دل ايض على عدم بعدها وهو ايض مذهب مالك قال صاحب كتاب اكمال الاكمال ذهب مالك الى انه يسمت ثلثا ثم يمسك ثم قال وان تكرر العطاس سقط التسميت ويقول في الثالثة او الرابعة انك مزكوم وقيل في الثانية ايض لما رواه مسلم ان رجلا عطس عند رسول الله صم فقال له يرحمك الله ثم عطس اخرى فقال له رسول الله صم الرجل مزكوم قال المازري يعني انك لست ممن يسمت بعد هذا لان هذا الذي بك مرض ثم اورد عليه بانه ان كان مريضا كان احق بالدعاء له واجاب بانه يجب ان يدعى له بالعافية لا بدعاء العاطس قوله قلت جعلت فداك اذا عطس مثلك من اهل العصمة عليهم السلام يقول له كما يقول بعضنا لبعض يرحمك الله او كما نقول الترديد من الراوي ولعل بناء السؤال على ان مثلكم مرحومون قطعا فلا فائدة في طلب الرحمة لهم لانه تحصيل الحاصل قال نعم قولوا كما تقولون لغيرنا ثم اشار الى الفائدة لكم لا للسامع البيان وقال الى نقول صلى الله على محمد وآل محمد قلت بلى الاستفهام للتقرير وكذا في قوله ارحم اي ارحم الله محمدا وآل محمد ثم بادر عم الى الجواب والتقرير وقال بلى وقد صلى اي وقد صلى الله عليه ورحمه ففائدة صلواتنا عليه ورحمتنا له لا تعود اليه لحصولها له من الله تعالى على وجه الكمال وانما صلواتنا عليه رحمة لنا وقربة الى الله تعالى واليه صم فكذلك صلواتكم لنا رحمة وقربة لكم وقد صرح بذلك الشهيد الثاني في شرح اللمعة حيث قال وغاية السؤال بها اي بالصلوة عائدة الى المصلي لان الله تعالى قد اعطى نبيه صم وآله من المنزلة والزلفى لديه ما لا تؤثر فيه صلوة مصل كما نطقت به الاخبار وصرح به العلماء الاخيار قوله سمعت الرضا عم يقول التثاوب من الشيطان والعطسة من الله عز وجل روى مسلم باسناده عن النبي صم قال التثاوب من الشيطان وفي رواية اخرى له اذا تثاوب احدكم فليمسك بيده على فمه فان الشيطان يدخل قال عياض التثاوب بشد الهمزة والاسم الثوباء بالمد وقال ابن دريد واصله من ثئب الرجل فهو مثؤوب اذا استرخى وكسل وقيل التثاوب بالهمزة التنفس الذي ينفتح منه الفم وانما نسبه الى الشيطان لانه تكسيل وسببه وقيل اضيف اليه لانه يرضيه وقيل انما ينشأ من امتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس ويورث

الغفلة

الغفلة والكسل وسوء الفهم ولذلك كرهه الله تعالى واحبه الشيطان وضحك منه والعطاس لما كان سببا لخفة الدماغ واستفراغ الفضلات وصفاء الروح وتقوية الحواس كان امره بالعكس ولكونه من الشيطان قيل انه ما تثاوب نبي قط قوله فقال ابو عبد الله عم الا تشمتون الا تشمتون بالتكرير وفي بعض النسخ بدونه وفي بعضها بالمهملة وفي بعضها بالمعجمة والا بالفتح والشد حرف تخصيص وبالتخفيف على ان يكون الهمزة للاستفهام والتوبيخ محتمل قوله عطس رجل عند ابي جعفر عم فقال الحمد لله رب العالمين فلم يسمته ابو جعفر وقال نقصنا حقنا اي نقصه وتنقصه بالتخفيف والتشديد بمعنى ولعل في نقصنا حذف وايصال اي نقص منا او علينا والحاصل لم يعطنا حقنا وهو الصلوة عليهم وطلب الرحمة لهم وفيه دلالة على ان استحقاق التسميت موقوف على تحميد العاطس والصلوة على النبي وآله عليهم السلم فلو لم يات بذلك لم يستحب التسمية ومن طرق العامة ايض دلالة على انه لا يستحب ان لم يات من عطس بالحمد روى مسلم عن انس بن مالك قال عطس عند النبي صم رجلان فسمت احدهما ولم يسمت الاخر فقال الذي لم يسمته عطس فلان فسمته وعطست انا فلم تسمتني قال ان هذا حمد الله وانك لم تحمد الله عز وجل قوله فان رسول الله صم سئل عن آية يقال عند العطسة او تخفى فيه ذكر الله فقال كلما ذكر الله فيه فهو حسن لا خلاف بين الامة ان تحميد العاطس والتسميت له ورده للمسمت مطلوب والظ على التخيير في عبارات جميع ذلك مثل ان يقول العاطس الحمد لله او يضيف اليه رب العالمين او يضيف اليه ايض على كل حال او غير ذلك ومثل ان يقول المسمت هذه العبارة او يرحمك الله او يرحمنا الله واياكم الى غير ذلك من الالفاظ الدالة على ثناء الواجب والدعاء بالخير للعاطس قوله العطاس ينفع البدن كله ما لم يزد على الثلث فاذا زاد على الثلث فهو داء وسقم كالزكام ونحوه وفيه مع حديث آخر الباب دلالة على ترك التسمية في الرابعة وما بعدها وحمله على الرخصة ونفي التاكيد غير مستبعد وفي رواية العامة دلالة على سقوطه في الثانية وافقوا لهم في الثالثة والرابعة كما مر والاولى التسميت في جميع المراتب لظاهر قول الصادق عم فيما مر وان لم يسمته اذا عطس والاولى ايض ان نصف العاطس الى التحميد في الرابعة وما بعدها دعاء العافية قوله العطسة القبيحة هي المشتملة على الصوت المنكر في السمع يعني انها مستهجنة تحت الاكبر لا ان الاكبر مختصة بها وفيه ارشاد للعاطس الى مراعاة الاعتدال فيها قوله ما رايت مجلسا انبل من مجالسه اي افضل والطف واعظم واكبر من النبل وهو الفضل والحاجة والكياد وفعله ككرم وصاحب العطسة يامن الموت سبعة ايام لخروج الريح المنتشر في الاعضاء وحصول خفة البدن وصفاء الروح واستقامة المزاج وميله الى الاعتدال في الجملة قوله تصديق الحديث عند العطاس

باب تعظيم اجلال ذي الشيبة المسلم

لعل السرفيه ان العظمة وحرمة من الله تعالى العبد ويبتعد نزول الرحمة ويجلي يكذب فيه خصوصا عند صدق
الكذب فاذا قارنت الحديث دلت على صدقه قوله ان من اجلال الله تعالى اجلال الشيخ الكبير اي توقيره و تعظيمه
في جميع الاحوال والاوقات بالسلام والكلام والاحترام وحسن المعاشرة والمعاملة والمعاونة والمصادقة
والنصرة والمداراة والمحبة وترك كل ما يؤذيه من المخاصمة والمنافسة والمماراة وغيرها من الامور المنافية لتعظيمه
كل ذلك لكونه اكبر سنا واضعف بدنا واعظم تجربة واكيس حزما واقدم اسلاما واكثر عبادة واقرب خروجا اي
باب اكرام الكريم
الدنيا ورجوعا الى المولى قوله فانه لا يابى الكرامة الا حمار ترغيب في قبول الكرامة والتشريف والتعظيم وتنبيه على
انه لا يردها الا الاحمق الخسيس اللئيم خصوصا اذا كانت من الشريف الكريم ولا يبعد ادراج التحف والهدايا في
هذا النحو من الاكرام لشمول التعليل وعموم الدليل قوله لما قدم عدي بن حاتم الى النبي صلعم الخ عدي بن حاتم الطائي
كان رئيس قبيلة بني طي وكان من مشاهير العرب وكان هو وقومه مشركين يعبدون الاصنام فقاتلهم امير المؤمنين ع
بامر النبي صلعم وغلبهم وكسر اصنامهم واخذ غنائمهم وهرب عدي الى الشام ثم تفكر في ان محمدا اما سلطان او نبي
مرسل وعلى التقديرين لا بد من صحبته فرجع الى المدينة فاكرمه النبي صلعم وادخله بيته كما ذكر فلما راى شمائل من
اخلاق النبوة وآثارها واسرارها اسلم والخصفة بالخاء المعجمة واحدة الخصف بالتحريك فيهما من الخصف بالفتح
والتسكين وهو ضم الشيء الى الشيء ويطلق على الثوب الغليظ جدا وعلى الحصير المنسوج من خوص النخل ولعله المراد
هنا والوسادة بفتح الواو وكسرها المتكأ والمخدة والادم بضمتين جمع اديم كرغف ورغيف وهو الجلد او
باب حق الداخل
احمر او مدبوغ وبالضم والسكون للجمع قوله ان من حق الداخل على اهل البيت ان يمشوا معه هنيهة اذا دخل و
اذا خرج هنية بالتحريك والتخفيف معناها شيء وهنيّة مصغرة هنة واصلها هنيوة اي شيء يسير قلبت الواو
ياء وادغمت ويروى هنيهة بابدال الياء هاء والمراد بالمشي معه عند الخروج المشايعة وعند الدخول الاستقبال
والاعم منه وفي من دلالة على ان حقوق الداخل كثيرة والمذكور بعضها وقال قال رسول الله صلعم اذا دخل احدكم
على اخيه المسلم فهو امير عليه حتى يخرج اي الداخل امير على صاحب البيت حتى يخرج من بيته فينبغي لصاحب البيت
ان يطيعه في مقاصده المشروعة ويسعى في اداء حقوقه وارجاع ضمير هو الى الاخ بناء على ان له ايضا حقا على الداخل بعيد
باب المجالس في الامانة
جدا قوله المجالس بالامانة عن ترك اعادة ما يجري في المجالس من قول او فعل فكان ذلك امانة عند من سمعه او
رآه فيجب عليه حفظه فانه قد يترتب على افشائه مفاسد كثيرة قوله وليس لاحد ان يحدث بحديث يكتمه صاحبه الا
باذنه عموما او خصوصا الشخص ولا بد مع ذلك من كتمانه ان كان في اظهاره سوء عاقبة لا يعلم صاحبه الا ان يكون
فيه ولو ذكره بخير فان اظهارها لا يحتاج الى الاذن الا ان يكون في اظهارها الفقه ضرر ويروى في بعض النسخ نقله بدل

هو

باب في المناجاة

فيها قوله اذا كان القوم ثلثة يتناجى منهم اثنان دون صاحبهما فان ذلك مما يحزنه ويؤذيه وكذلك الجماعة
دون الواحد للاشتراك في العلة ثم حزنه اما لكتمان السر عنه وعدم ايتمانه بحفظه او لتوهمه انهما يقولان فيه
شيئا ما يكرهه او لتخصيصهما البر ومكارم الاخلاق وحسن المبرة ولطف المعاشرة بغيره فيقدر في نفسه انهما
لم يرياه اهلا لان يشركاه في حديثهما وذلك يوحش صدره ويوجب حزنه الى غير ذلك من تسويلات النفس
واحاديث الشيطان ولا يبعد تخصيص ذلك بما اذا لم يحتاجا الى الغير شرعا وعرفا ولم يعلما عدم حزن الخارج
اذ لو اضطر اليه في امر الدين والدنيا او علما انه لا يحزن كما اذا كان الخارج خادما او عبدا لا يتوقع ان يكون من
اهل السر فالظاهر انه لا يكره وفي مفهوم الشرط دلالة على انه اذا كان القوم اربعة او اكثر جاز مناجاة الاثنين
دون صاحبهما لانتفاء العلة وهي الحزن والايذاء لان كل واحد من الصاحبين قد يقدر في نفسه ان محل
الاسرار عنه هو الآخر فلا يدخل في واحد منهما حزن وايذاء مثل ما يدخل في الواحد ثم ان هذا الحكم باق الى
يوم القيمة غير مختص عندنا بالسفر ولا بمكان الخوف ولا بزمان خلافا للعامة فانه قال بعضهم هذا خاص ٣٥٢
بالسفر والمواضع التي لا يامن الرجل فيها صاحبه ويخاف غدره واما في الحضر والعمارة فلا وقال بعضهم كان
ذلك في اول الاسلام حين كان المنافقون يفعلونه بحضرة المؤمنين ليحزنوهم قال الله تعالى انما النجوى من
الشيطان الآية وقال عبد الله بن عمر ومالك على العموم وهو الحق قوله من عرض لاخيه المسلم المتكلم في حديثه
فكانما خدش في وجهه عرض لظهر وبرز وعرضت له الشيء بالتخفيف فيهما اظهرته وابرزته والمعنى على الثاني
وهو الاظهر من ابرز كلاما في كلام اخيه وادخله فيه ومنعه عن اتمامه فكانما خدش في وجه اخيه و
فعل ما يشينه لانه فعل ما يوجب استخفافه واحتقاره وكسر قلبه ووضع قدره وعلى الاول من برز له في حديثه
التزاما بخدش في وجه نفسه لان ذلك موجب لاستخفاف نفسه وكلاهما مذموم شرعا وعقلا
باب الجلوس
قوله قال كان النبي صلعم يجلس لنا اي لث جلسات القرفصاء وهو ان يقيم ساقيه ويستقبلهما بيديه ويشد يديه
في ذراعه فاعله قال غير معلوم يحتمل ان يكون كلام المعصوم والمصنف وغيره وقوله وهو ان يقيم الى آخره وفي
القرفصاء مثلثة القاف والفاء مقصورة والقرفصاء بضم القاف والراء على الاتباع ان يجلس على اليتيه
ويلصق فخذيه على بطنه ويحتبي بيديه يضعهما على ساقيه او يجلس على ركبتيه منكبا ويلصق بطنه على فخذيه
ويتابط كفيه وقيل القرفصة ان يجمع الانسان ويشد يديه ورجليه والقرفصاء ضرب من القعود يمد ويقصر
فاذا قلت قعد فلان القرفصاء فكانك قلت قعد قعودا مخصوصا وهو ان يجلس على اليتيه ويلصق فخذيه
ببطنه ويحتبي بيديه يضعهما على ساقيه كما يحتبي بالثوب تكون يداه مكان الثوب عن ابي عبيد وقال ابو المهدي

هو ان يجلس على ركبتيه منكبا او يلصق بطنه بفخذيه ويتابط كفيه وهو جلسة الاعراب وكان يجثو على ركبتيه
جثا كدعى ورمى جثوا وجثيا بضمهما جلس على ركبتيه فقيه تجريد وكان يثنى رجلا واحده ويبسط عليها الاخرى
وهو التورك ولم يرصه متربعا قط تربع فى مجلسه جلس مربعا وهو ان يقعد على وركيه ويمد ركبته اليمنى
الى جانب يمينه وقدمه اليمنى الى جانب يساره ويمد ركبته اليسرى الى جانب يساره وقدمه اليسرى الى جانب
يمينه قوله عن ابى حمزة الثمالى قال رايت على بن الحسين عليهما السلام قاعدا واضعا احدى رجليه على الفخذ
وهو كالتربع والتورك ونمنا نعنها بوضع الرجل على الفخذ فقلت ان الناس يكرهون هذه الجلسة ويقولون
انها جلسة الرب اراد بالناس اليهود او الاعم ومن العامة القائلين بانه تعالى جسم والغرض من السؤال اما مجرد
حكاية قولهم او الشك فى اصل الكراهة لا فى استنادها الى العلة المذكورة لان ابا حمزة ثابتين دينا ومن اكابر الشيعة
وثقاتهم وقد روى فى زمانه مثل سلمان فى زمانه فلا يشك فى انه ليس للرب جلسة فقال انى انما جلست هذه
الجلسة للملال من جلسات كثيرة والتحول من نوع منها الى آخر سبب للاستراحة والرب لا يمل ابدا لان الملال
تابع لضعف المزاج والقوى الجسمانى وهو على الله سبحانه محال ولا تاخذه سنة ولا نوم السنة النعاس
وقيل فتور يتقدم النوم والهاء فيها عوض عن الواو المحذوفة والنوم حال يعرض للحيوان لاسترخاء اعصاب الدماغ
من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس عن الاحساس ولعل المراد بيان فساد قولهم بان اتصافه تعالى
بالجلوس يستلزم لاتصافه بالملال والسنة والنوم واللازم باطل بالاتفاق فالملزوم مثله قوله من رضى بدون
التشرف من المجلس لم يزل الله تعالى وملائكته يصلون عليه حتى يقوم صدر المجلس واعلاه وان كان للعالم واهل
الكمال لكنه ان جلس دونه تواضعا لله تعالى وللمؤمنين وهضما للنفس وحفظا لها من التفاخر والتجبر استحق الصلوة
والرحمة قوله كان رسول الله صلعم اكثر ما يجلس تجاه القبلة فى حال الانفراد والاجتماع فلا بد من التاسى به وفيه فوايد
جمة لا تخفى على العارف والظاهر ان ما مصدرية قوله فانزل الله تعالى الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تاخذه سنة
ولا نوم هذه الآية الشريفة الى آخرها رد عليهم لدلالتها على انه منزه عن الوسن والنوم والتحيز والحلول والتغير والعقود
والمناسبة بالاشباح وقبول ما تقبله ذوات الامزجة والارواح الى غير ذلك من مسائل التوحيد قوله كان رسول
الله صلعم اذا دخل منزلا قعد فى ادنى المجلس اليه حين يدخل هذا الجلوس مع اشتماله على الهضم والتواضع ابعد من
الاذية والكلفة واقرب من الدعة والالفة والاستراحة من مؤنة الزحام وسهولة المضرب والقعود والقيام
ومراعاة حق الوارد من التوسعة والنفسح والاكرام قوله سوق المسلمين كمسجدهم التشبيه يفيد ان الحكم فى المشبه
كان معروفا مشهورا ويمكن ان يكون المقصود منه افادة الحكم فيها لا الحاق غير المشهور بالمشهور واشار الى وجه الشبه او

لا

الى الحكم بقوله فمن سبق الى مكان فهو احق به الى الليل لانه بسبقه اختص وملك الانتفاع فهو احق به ما دام فيه
ولا يجوز لاحد ان يقيمه ويجلس فيه ولا خلاف فيه عندنا واليه ميل اكثر العامة لما رواه مسلم عن النبى صلعم
لا يقيمن الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه وقال بعضهم النهى للكراهة لانه غير مملوك له قبل الجلوس فكذا بعده ولا
يخفى ضعفه نعم لو قام اعراضا عنه او تواضعا للغير ليجلس فيه جاز ذلك للغير فاذا جلس فيه فهو احق به ما دام
وكان لا يأخذ على بيوت السوق كراء الكراء بالمد والكسر الاجرة والسوق يشترك فيه الناس يجوز للوارد
الجلوس فيه وضرب البيوت من الشعر والكرباس ونحوها للتجارة بشرط ان لا يمنع المارة ولا يضرهم ولا كراء
لها لان السوق ليس ملكا لاحد بخصوصه قوله ينبغى للجلساء فى الصيف ان يكون بين كل اثنين مقدار عظم
الذراع كيلا يشق بعضهم على بعض فى الحر من الحرارة والرائحة الكريهة من العرق وغيره وروى ايضا ان حريم
المؤمن فى الصيف مقدار باع ولعل المراد ان الباع وهو مقدار مد اليدين حريم مجموع الجانبين فيكون فى كل
جانب ذراعان وعلى التقديرين بين الروايتين اختلاف ويمكن الجمع بان ذلك باعتبار ضيق المكان وسعته
قيل الذراع فى صلوة الجماعة والباع فى غيرها وقيل ان هذا الحريم من باب الاستحباب فيتخير قوله الاتكاء فى المسجد
انتظارا للصلوة وغيرها من الطاعات رهبانية العرب وهى بفتح الراء منسوبة الى رهبنة النصارى بزيادة الالف
واصلها الخوف من الرهبة حيث كانوا يترهبون بالتخلى من اشغال الدنيا وترك ملاذها والزهد فيها و
العزلة من اهلها وتعمد مشاقها حتى ان منهم من كان يخصى نفسه ويضع السلسلة فى عنقه ويترك اللحم
ويلبس المسوح وغير ذلك من انواع التعذيب والمشقة فنفاها صلى الله عليه وآله عن هذه الامة والزمهم
لزوم المساجد والانتظار فيها للصلوة وغيرها من العبادات والطاعات ان المؤمن مجلسه مسجده للعبادة
والانتظار لها وصومعته بيته عند الفراغ من العبادة للاستراحة والصومعة بيت النصارى ويطلق
على مقام الخلوة ايضا قوله الاحتباء فى المسجد حيطان العرب الاحتباء هو ان يضم الانسان ساقيه الى بطنه
بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب وشبهه بالحيطان لانه يمنعهم من
السقوط ويصير لهم كالجدار قوله ان كان تغطى عورته فلا باس بان يكون طويلا يبلغ ذيله الارض عند رفع الركبتين
ويفهم منه الباس عند عدم التغطية سواء كان هناك ناظر ام لا قوله الرجل يكون مع القوم فيجرى بينهم كلام
يمزحون ويضحكون فقال لا باس به المزح الدعابة وقد مزح يمزح كمنع يمنع والاسم المزاح بالضم والمزاحة ايضا
واما المزاح بالكسر فهو مصدر مازحه وهما يتمازحان واعلم ان اصل المزاح جائز ومزاح النبى صلعم مع العجوزة وكذا
مزاح الوصى امير المؤمنين معروف والروايات الدالة على جوازه متكثرة مستفيضة فعلى هذا ما ورد فى ذمه

٢٥٥

باب الاتكاء والاحتباء

باب الدعابة والضحك

ماوقل مثل ما نقله السيد الرضي عن امير المؤمنين عم قال ما مزح رجل مزحة الا مج من عقله مجة واستعار
فوله مج من مج فلان الماء من فيه اى رمى به قليلا قليلا اراد ان العقل يامر بالوقار واشتغال الاوقات بالطاعات
والاذكار واذا داعب وخالف فكانه مجه ولتاويل فيه على احد وجهين احدهما انه عليه السلم تكلم بهذا الكلام في
المقام المقتضي للنهي عن المزاح وثانيهما ان المنهي عنه ما يسقط الوقار والمهابة واما ما سلم من هذا وهو الذي
كان النبي ص يفعله وكذلك الوصي عم على الندرة لمصلحة وتطييب نفس المخاطب وموانسته فهو سنة
يعظم الاحتياج اليه وبالجملة الضحك جائز ما لم يؤد الى خلاف الشرع فانه خلاف والى خلاف مروة فانه
مكروه ولكن يكره الاكثار منه لانه يميت القلب وصفة اهل البطالة والمستحسن منه اللائق باهل التبسم وهو
كان اكثر ضحكه صلى الله عليه وآله **قوله** ما من مؤمن الا وفيه دعابة الدعابة بالضم والتخفيف اللعب والمزاح و
رجل دعابة بالفتح والتشديد كثير المزاح واللعب ودعب كمنع ودعيب كمنعه وداعب لاعب مازح قلت
وما الدعابة قال المزاح لما كان الدعابة يطلق ايضا على معان اخر ولو مجازا في بعضها كالاسود والاحمق والضعيف
الذي يهزمنه والنشيط سال عن المراد منه فاجاب عليه السلم بان المراد هو المزاح **قوله** ان الله تعالى يحب المداعب في
الجماعة بلا رفث الرفث الفحش والقول القبيح **قوله** ضحك المؤمن تبسم التبسم اقل الضحك واحسنه ومن خصال
الكرام وهو الذي لم يبلغ حد القهقهة وهي من خصال اللئام **قوله** كثرة الضحك تميت الدين كما تميت الماء
الملح تميث هنا بالثاء المثلثة لا غير **قوله** ان من الجهل الضحك من غير عجب العجب محركة ما يتعجب منه لانسان
لحسنه او قبحه مع عظم موقعه عنده وخفاء سببه عليه ولا خفاء في ان من ضحك بدونه فهو جاهل ضعيف
العقل سخيف الراي وان العاقل يضحك من قليله فكيف مع عدمه وكان يقول لا تبدين عن واضحة وقد عملت
الاعمال الفاضحة الواضحة بديت الشيء اظهرته فهو زائدة او للابدا متضمن للكشف ولا فيه وفيما بعده للنهي والواضحة
الاسنان لانها تصفها بالوضح وهو البياض ولا يامن البيات من عمل السيئات المراد بالبيات هنا نزول العذاب
والبلاء في الليل او مطلقا بغتة من غير علم وشعور به **قوله** اياكم والمزاح فانه يذهب بماء الوجه كان التحذير عن كثرة
المزاح او عن اصله اذا كان قبيحا او مع اللئيم فانه الذي يذهب بماء الوجه ويوجب سقوط العزة والوقار و الهيبة
ونزول الذلة والحقارة والمهانة اذا احببت رجلا فلا تمازحه ولا تماره المماراة والمجادلة وكثرة المزاح
المداعبة تورثان البغضة والعداوة وتوجبان العزلة والمفارقة **قوله** القهقهة من الشيطان التبسم من صفات
اهل النجدة والصالحين واما القهقهة وهي من قهقه الرجل اذا رجع في ضحكه او اشتد ضحكه فهي من صفات الجاهلين
الغافلين وانما نسبها الى الشيطان لانها تنشا من تزيينه وتحسينه للباطل واغفال الخصم عن الحق **قوله** واياكم والمزاح

قوله كثرة الضحك تميت القلب اي تفسده وتهلكه بالجهل والغفلة عن الحق والميل الى الباطل وفي بعض النسخ تميث بالثاء المثلثة اي تذيبه يقال مثت الشيء امو ثه اذا اذبته صح

قلنه يجر الشحناء وهي الحقد والبغض ويورث الضغينة وهي الحقد والعداوة والبغضاء وهو السب الاصغر وكثيرا ما يجر الى السب الاكبر والحاصل ان المزاح مشروع مطلوب الا انه يتفاوت باعتبار الكمية والكيفية والازمنة والمقام والحكم
والعاقل الاديب يعلم كيفية استعماله بحسب تلك الاعتبارات بخلاف غيره ولذلك ورد الامر به تارة والنهي عنه اخرى
قوله اذا قهقهت فقل حين تفرغ اللهم لا تمقتني في المصباح مقته من باب قتل ابغضه اشد البغض من قبيح **قوله** كثرة الضحك
تمج الايمان مجا اي ترميه من الصدر وتنفذ من القلب من مج الشراب من الفم اذا رماه والمقصود انها تنقص الايمان و
تنقضه **قوله** كان يحيى بن زكريا يبكي ولا يضحك اه كثرة بكائه مشهورة وشدة حزنه معروفة وفي كتب السير والتفاسير
مذكورة قيل البكاء لغفران الذنوب فما وجه بكاء المعصوم المنزه عنها واجيب عنه بان العارفين يبكون شوقا الى
المحبوب والمذنبين يبكون خوفا من الذنوب ولذا قال بعض العرفاء البكاء ربحات قراب القلوب عند حرارة
الشوق والعشق على ان بكاء المعصوم يمكن ان يكون لملاحظة شدائد القيمة بالنظر الى ضعفاء الامة **قوله** عن عمر بن عكرمة
عمر بدون الواو وكابنه عكرمة بالكسر مجهول وفي بعض النسخ مع الواو وهو غير ثابت فقال ارحم فقلت ارحمك الله فصرف
وجهه عني طلب منه الرحمة والعفو لجاره على سبيل الشفاعة والندب فاساء الادب بترك المطلوب والاتيان بضده
فلذلك صرف وجهه عنه فقال فكرهت ان ادعه اي اتركه ولم اذكر شيئا من افعال القبيحة فقلت يفعل بي كذا وكذا ويؤذيني
اشارة الى بعض قبائحه المنافية لحق الجوار وفي بعض النسخ كذا او كذا ويفعل بي فقال ارايت اي اخبرني ان كاشفته انتصفت
منه اي ان اظهرت العداوة له استوفيت منه حقك وعدلت في اخذه فقلت بل اربي عليه في الكثرة ربا نوا دادت و
ازيد ذكره يعني بل ازيد في الاحسان اليه والحاصل ان الصادر مني هو الاحسان دون المكاشفة فقال ان ذا ممن يحسد
الناس على ما اتاهم الله من فضله ذا اشارة الى الجار ووجه التفريع ان ايذاء احد لجاره غالبا بسبب ايذاء الجار له او
للحسد وحيث انتفى الاول تحقق الثاني فاذا راى اي دار او الحاسد مطلقا نعمة على احد فكان له اي لذلك الاحد اهل
جعل اي الحاسد بلاءه عليهم اي على ذلك الاحد المحسود ويؤذيهم مبالغة لايذاء المحسود وان لم يكن له اهل جعله اي
بلاءه على خادمه وان لم يكن له خادم اسهر ليله واغاظ نهاره ضمير الجر وراجع الى الاحد المحسود وتعلق الاسهار والاغاظة بالليل
والنهار تعلق مجازي والاصل اسهره في ليله واغاظه في نهاره بالايذاء له وايصال المكاره اليه هذا من باب الاحتمال
والله يعلم وانا اقرب جيرانه مني جوارا من لا ارجو خيره ولا امن شره جوارا منصوب على التميز ويجوز في الجيم الحركات
الثلث والكسر افصح لا ايمان لمن لم يامن جاره بوائقه البوائق جمع البائقة وهي الداهية والغائلة والشر والظلم والتجاوز
والخبر لا دماء ويمكن ان يراد به نفي الايمان الكامل اذ الايمان عند اهل العصمة كما عرفت حق كاله يغير وليس بايمان وانما
اولناه بذلك لما مر في كتاب الكفر والايمان من ان امير المؤمنين عليه السلم قال ادنى ما يكون له العبد مؤمنا ان يعرفه الله

باب حق الجوار

٣٥٦

نفسه فيقر له بالطاعة ويعرّفه نبيّه فيقر له بالطاعة ويعرّفه امامه وحجته في ارضه وشاهده على خلقه فيقر له بالطاعة
فقيل يا امير المؤمنين وان جهل جميع الاشياء الا ما وصفت قال نعم اذا امر اطاع واذا نهي انتهى قوله من لم يامن جاره
بوائقه ان وقعت منه اذية او تسبب فيها فالامر واضح وان لم يقع فعلية اثرهم بها فيعاتبون ما مر في باب من هم بالسيئة
والحسنة ان من هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه شيء اولا عدم الكتابة لا يدل على عدم نقص الايمان به وثانيا ان المراد
بمن لم يامن جاره بوائقه من اوصل بوائقه واذاه الى جاره على ان الهم الذي لا يكتب انما هو الهم الذي لم يقع متعلقه في
الخارج لتاذى جاره بتوقعه ذلك كالمحارب يخيف السبيل ولم يصب ثم اوحي بيده اما الظلم اثرا وحي النبي صلى الله عليه
واله وهذا الخبر على تقدير صحته حجة لمن ذهب الى ان الجار باربعين دارا من كل جانب وسيجيء في الباب الاتي البحث وذكر
الاقوال هنا ان شاء الله تعالى **قوله** وحرمة الجار كحرمة امه فيه مبالغة عظيمة في حرمة الجار لان حرمة الام مفروضة بحرمة
الله تعالى والروايات في احترام الجار متظافرة من طرق الخاصة والعامة قال امير المؤمنين عليه السلام الله الله في
جيرانكم فانه وصية نبيكم وما زال يوصي بهم حتى ظننت انه سيورثهم وفي خبر العامة لا تحقرن جارة جارتها بارسال
هدية ولو كانت حقيرة والفرسن عظم قليل اللحم والترغيبات في الاشفاق على الجار ودفع المضار عنهم كثيرة وفي الفقيه
قال رسول الله صلى الله عليه واله ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه ومثله في كتاب مسلم روي عن ابن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه قال القرطبي لما اكثر جبرئيل عليه السلم
من الوصية عليه غلب على ظنه صلى الله عليه واله ان الله سيحكم بالارث بين الجارين وقيل انما خرج الكلام بذلك مخرج التاكيد والمبالغة
ويرجح الاول قوله ظننت اذ لو غلب على ظنه ذلك لوقع لان ظنونه صلى الله عليه واله صادق واقع متعلقها او ما ذكر ابن الحاجب في باب الاجتهاد
في كتاب الاصول من ان اجتهاده ليس هو بمعصوم فيه لم يزل الشيوخ ينكرونها عليه قديما وحديثا قال وهذا الحديث
يدل على ان الشفعة للجار لانه خرج مخرج احتمال وصاف الاتصال واخص وصاف الارث ظنه وكان يعتبر ذلك بينه
اقول وفيه دلالة على المبالغة في مراعاة اولي الارحام **قوله** حسن الجوار يزيد في الرزق من حسن الجوار ان تعينه في
اموره وتقرضه ان احتاج اليه وتهديه بهدية من الاطعمة والاشربة والفواكه وغيرها وتدفع عنه كربه وظلمه وان
لا ترفع بناء مشرفا على داره ولا تنظر الى حرمه وجواريه ولا تمنع وضع خشبة على جدارك ولا تمنعه الماعون وان تستر
عورته وعيوبه الى غير ذلك من المحاسنات القولية والفعلية ولكن تذكر الشاة التي ذبحها وشويها او اكلت وفلان وفلان
لم تاكله منها شيئا الطاهر ... وفيه تاديب على ترك اضاعة الجار بمعروف
قليلا كان او كثيرا والجار غنيا كان او فقيرا ولو لم يكن عنده الا القليل المحقر فليهد ولا يترك الهدية لاجل احتقاره
المهدى له مامور بقبوله والمكافاة عليه ولو بالشكر لانه وان كان محقرا فهو دليل المحبة وفي كتاب مسلم عن ابي ذر قال

ان

ان خليلي صلى الله عليه واله اوصاني اذا طبخت مرقا فاكثر ماءه ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف قال القرطبي
هذا تنبيه لطيف على تيسير الامر على البخيل اذ الزيادة انما هي شيء لا ثمن له اذ لم يقل اكثر لحمها اذ لا يتيسر ذلك على كل
احد ويجوز بالاكثار غير المفسد **قوله** فاعطاها رسول الله صلى الله عليه واله كربة الكرب بالتحريك اصول السعف الغلاظ امثال
الكتف والواحدة بها ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه الضيف القادم ويقع على الواحد والكثير
والذكر والانثى ويجمع على اضياف وضيوف وضيفان ويقال ضفته وتضيفته اذا نزلت به وضيفته اذا انزلته
والمراد باكرامه تعظيمه ورعاية حقوقه والتكلم معه والاستفسار عن حاله واظهار حسن الخلق معه ولا يقبض وجهه
لديه ولا يشتم ولا يضرب خادمه عنده لئلا يضجر والضيافة ليست بواجبة فالامر للاستحباب المؤكد ولكنها من
اخلاق النبيين وآداب المسلمين واجادة الطعام مستحبة ما لم تبلغ حد التكلف والاسراف لانهما مذمومان اما
الاسراف فظاهر واما التكلف فلما فيه من المشقة ولانه يمنع من الاخلاص والسرور بالضيف وربما يتجر ذلك الى
حد يتاذى الضيف بذلك فهو منهي في اكرامه المامور به بخلاف اجادة الطعام مما يقدر عليه ولم يبلغ حد المشقة
فانها من السنة فقد ذبح ابرهيم عليه السلم لاضيافه عجلا ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او
ليسكت المراد بالخير ما يثاب عليه سواء كان واجبا او مندوبا فالامر لمطلق الطلب الراجح والمراد بالسكوت السكوت
عما لا يثاب عليه فيدخل في المسكوت عنه المباح والحرام والمكروه فالنهي ايضا لمطلق الطلب عن الكف ولذلك قيل
هذا الخطاب من باب التهييج اي من صفة المؤمن الكامل ان يتكلم بما يثاب عليه او يسكت لان من سكت نجا والحق
ان المباح يكتب لما ذكرنا انفا ونقل عن ابن عباس انه لا يكتب اذ لا يجازى عليه والجواب عنه قد ذكرناه انفا
قوله حسن الجوار يعمر الديار وينسئ في الاعمار نسأه كمنعه وانسأه اخره والحديث محمول على ظاهره لان العمر
مما يزيد وينقص واختلف العامة فقال عياض والطيبي المراد تاخير الاجل ببقاء الذكر الجميل بعده فكانه لم يمت
دونه تاخير الاجل لان الاجل لا يزيد ولا ينقص وقال بعضهم معنى الزيادة في العمر البركة فيه بتوفيقه الى الاعمال
الطاعة وعمارة اوقاته بما ينفعه في الاخرة والتوجيه ببقاء ذكره بعد الموت ضعيف ورد بعضهم هذين القولين
بان العمر يزيد وينقص اذ قد يكون سبق في ام الكتاب انه ان فعل كذا او كذا فعمره كذا وان لم يفعل فكذا **قوله** ظلمه و
غشمه الغشم بفتح الغين وسكون الشين المعجمتين الجور والظلم **قوله** ما امن بي من بات شبعان وجاره جائع فيه
حث على تفقد احوال الجار واكرامه واطعامه لما فيه من حسن العشرة وجلب المحبة والالفة ودفع الحاجة المفسدة
عنه اذ قد يكون الجار لضعفه وكثرة عياله وصغار ولده لا يقدر على تحصيل ما يكفيه وقد يكون يتيما وارملة
ثم انه لو لم يقدر على القيام بمطالب الجميع كان عليه تقديم الاقرب فالاقرب ولو كان الابعد ذا رحم فالابعد القول

تقديمه قوله من الفواقر الفواقر الفاقرة الداهية الشديدة الكاسرة يقال فقرته الفاقرة اي كسرت فقار ظهره
باب حد الجوار
قوله علي بن ابرهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن معوية بن عمار عن عمرو بن عكرمة عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل اربعين دارا جيران من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله كان هذا الحديث هو المذكور في
صدر باب السابق وفيه اقتصار في المتن والسند واعلم ان ما دل عليه هذا الحديث والذي بعده من ان الجوار
اربعون دارا من كل جانب مذهب طائفة من اصحابنا وذهب جماعة منهم الشهيد الاول في اللمعة الى انه اربعون
ذراعا وقال الشهيد الثاني الاقوى في الجيران الرجوع الى العرف لان المستند الاول رواية عامية ورووها عائشة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انتقال الجار الى اربعين دارا والثاني وان كان مشهورا مستنده ضعيف وكان من غفل عن هاتين الروايتين
وجعل مستند الاول رواية عائشة والله اعلم قوله وحسن الصحابة لمن صحبت في السفر والحضر بالحلم والرفق والصفح
باب حسن الصحابة
وكظم الغيظ وحسن الخلق وكف الاذى وحفظ السر والدعوة الى الزاد والقيام بالخدمة في الصحة والمرض وقضاء
الحوائج والاقراض عند الحاجة والارشاد الى المصالح والتكلم والمزاح بما يوجب انبساط القلب قوله التواصل
باب المكاتبة
بين الاخوان في الحضر التزاور وفي السفر التكاتب التواصل مطلوب عقلا وشرعا لحسن النظام وتحقق الالتيام
وبه ينتظم امور الدين والدنيا بين الانام وهو يتحقق في الحضر بالتزاور وبسط بساط الوفاق وفي السفر بالمكاتبة
واظهار السلامة والمحبة والاشتياق والتالم بالفراق قوله رد جواب الكتاب واجب كوجوب رد السلام
هذا من باب الحاق النظير بنظيره في الحكم اذ السلام تحية وتحفة من الحاضر والكتاب تحية وتحفة من الغائب
فكما يجب رد السلام بالسلام يجب رد الكتاب بالكتاب وايضا رعاية حقوق الاخوة وكمال المروة وثبات الالفة
مقتضية لرد الكتاب بالكتاب قوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحظاته بين اصحابه فينظر الى ذا وينظر الى ذا بالسوية
باب النوادر
اللحظات النظرات وفي تسوية النظر فوائد منها عدم انكسار قلوب بعضهم ومنها ميل القلوب الى الناظر لحسن خلقه
ولطف سيرته ومنها حصول المحبة وزيادة المودة بين المنظورين لان تخصيص بعضهم بزيادة الالتفات يورث
العداوة بينهم وقال امير المؤمنين عليه السلام لبعض عماله واخفض للرعية جناحك وواس بينهم في اللحظة والنظرة
والاشارة والتحية قوله قال بيده فنزعها من يده في النهاية العرب تجعل القول عبارة عن جميع الافعال وتطلقه على
غير الكلام واللسان فيقول قال بيده اي اخذ وقال برجله اي مشى وقالت له العينان سمعا وطاعة اي اومأت و
قال بالماء على يده اي قلب وقال بثوبه اي رفعه كل ذلك على سبيل المجاز والاتساع قوله اذا كان الرجل حاضرا فكنه
سواء كان المخاطب هو او غيره وان كان غائبا فسمه لان الحاضر يستحق زيادة التعظيم وهي في الكنية عند العرب قوله
صدق الاخاء الاخاء بالكسر والمد مصدر كالمواخاة يقال اخاه مواخاة واخاء اذا اتخذه اخا وصديقا وفي الكنز اخاه

باهم

باهم برادري داشتن والا فانها معرفة حمق الحمق ككتف الاحمق وهو قليل العقل وضعيف الراي والحمق بضمتين جمع
الاحمق وضمير التانيث راجع بقرينة المقام الى المعرفة الحاصلة بمجرد النظر الى شخصه وهذه المعرفة غير مختصة
بالعاقل لثبوتها للاحمق الجاهل وغيره من الحيوانات قوله فقال التعجز لعله لعل المراد به العجز عن الاتيان بالاداب
الشرعية والضعف عن الوفاء بحسن المصاحبة واداء حقوق المعاشرة والمخالطة فقال التحوس ويكث حتى ياتي
ذلك منهما جميعا يتحوس اي يتحبس ويبطي ومنه تحوس المسافر اذا ابطأ واقام مع ارادة السفر وتحوس فلان اذا
تحبس وابطأ في امره وفي بعض النسخ بالشين المعجمة اي يتنحى عن الحركة ويتأنى فيها قوله لا تذهب الحشمة بينك و
بين اخيك ابق منها الحشمة بالكسر وهي الانقباض عن بعض الامور حياء اذا ذهبت ذهب الحياء منهما بالمرة وبطلت العزة و
الحرمة وصدرت منهما الافعال والاقوال الشبيهة بافعال الاراذل واللئام واقوالهم قوله لا تثق باخيك كل الثقة قال
الحكماء وجب اختبار الرجل ثم اختياره للصداقة اذا اختاره قبل الاختبار يجر سريعا الى وحشة الفراق وذل الا
ثم بعد اختياره لا بد من الحزم وعدم الوثوق به كل الوثوق فلا يطلع عليه جميع الاسرار بل يحفظ منها ما يخاف اللوم
وسوء العاقبة من افشائه وانتشاره فان صرعة الاسترسال لن تستقال في ق الصرع ويكسر الطرح على الارض صرعه
والصرعة بالكسر النوع ومنه المثل سوء الاستمساك خير من حسن الصرعة ويروى بالفتح بمعنى المرة وبالضم من يصرعه
الناس وبكثرة من يصرعهم والاسترسال الاستيناس والانبساط والطمانينة فيما يحدث والاستقالة طلب فسخ
البيع وهذا المثل يقال لمن دخل في امر من غير تامل وروية فوقع في محنة وبلية لا طريق الى دفعها واقالتها ولا
علاجها واذ المها قوله لا تدع بسم الله الرحمن الرحيم وان كان بعده شعر سواء كتبته لم قرائته والنهي للتنزيه لا الطلب
الاستحباب قوله عن سيف بن هرون مولى آل جعدة جعدة بالفتح والسكون اسم رجل والجعدة حي وسيف بن
هرون غير مذكور فيما رأيناه من كتب الرجال والمراد بكونه مولاهم انه غير العربي ونشأ فيهم قوله اكتب بسم الله
الرحمن الرحيم من اجود كتابك اي من احسن موضعه وهو الصدر ويحتمل ان يراد بالكتاب المصدر ويجعل الجودة
وصفا للكتب الجملة باتمامها الحروف وترصيعها وغير ذلك مما له مدخل في جودتها ولا تمد الباء حتى ترفع السين كما
هو المعروف في المصاحف وقيل استحباب رفع السين قبل مد الباء مخصوص بخط الكوفي قوله لا تكتب في داخل الكتاب
بسم الله الرحمن الرحيم لفلان بل اكتب الى فلان ولا باس ان تكتب على ظهر الكتاب لفلان ليعرف من غير فتح سيما
اذا كان مختوما والفرق ان المراد من الاول ابلاغ الدعاء والسلام والاحوال وارسالها اليه ومن الثاني هو الاعلام
بان الكتاب لمن ومفاد هذا الحديث وتاليه واحد قوله سألت ابا عبد الله عليه السلام عن الرجل يبدا بالرجل في الكتاب
بان يكتب بعد التسمية الى فلان من فلان قال لا باس بذلك من الفضل يبدأ الرجل باخيه يكرمه قال بعض العامة الاولى

بداية الانسان بنفسه في الدعاء ونحوه في امور الاخرة يرشد اليه قوله تعالى حكاية ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين

يوم يقوم الحساب بخلاف حظوظ الدنيا فان الادب ان يبدا باسم غيره واما الرسائل فقيل بتقديم المكتوب اليه الا

ان يكون الكاتب الامير او الاب لابنه او السيد لعبده وقيل بتقديم نفسه كيف كان ومنه كتبه صلى الله عليه وآله من

محمد بن عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم وقوله عليه السلم في هذا الخبر وفي الذي بعده لا باس تيسير التساوي بين الامرين

والله يعلم قوله ولم يكن فيه استثناء ينبغي لمن قال افعل او سافعل او افعل ونحوها ان يقول ان شاء الله متصلا او منفصلا

اذا ذكر بعد النسيان لان له مدخلا فيها في تيسير المقصد قوله انه كان يترب الكتاب وقال لا باس به يترب اما من

الاتراب او من التتريب قال الجوهري ترب الشيء بالكسر اصابه التراب وتربت الشيء تتريبا فتترب اي تلطخ بالتراب

واتربت الشيء جعلت عليه التراب وفي الحديث اتربوا الكتاب فانه انجح للحاجة وفي مجمع البحار معنى الحديث ليجعلوا عليه

التراب او ليسقطوه على التراب اعتمادا على الله تعالى في ايصاله الى المقصد او ذروا التراب على المكتوب او خاطبوا في

الكتاب خطابا في غاية التواضع للمكتوب اليه قوله يمحوه الرجل بالتفل اذا احتاج الى محوه والتفل بالضم البصاق

قوله محو كتاب الله وذكره بالطهر ما تجدون ان كان محوه مطلوبا بان وقع فيه الغلط او وقع في غير موضعه او وقع في

يوطا ونحو ذلك ونهى ان يحرق كتاب الله ونهى ان يمحى بالاقلام النهي الاول للتحريم والثاني للتنزيه وفي نسخة بالاقدام

والظاهر تحريف قوله في الظهور اي الجلود التي فيها ذكر الله تعالى قال الاعتبار ان كانت غير مذكاة او هي والمدابغة

وجد شيء آخر من اسباب المحو التي ذكرنا بعضها تم كتاب العشرة بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ويتلوه كتاب الطهارة

قد فرغ من تحريره في ليلة الثلثا عاشر شهر شعبان المعظم من شهور سنة سادس عشر وماتين بعد الف على هاجرها الف الف التحية والثناء اللهم اغفر لمؤلفه وكاتبه ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين

والمسلمات يا قاضي الحاجات واقض حوائج المؤمنين على الخصوص عالي حضرت رفيع مرتبت

قدسي طويت كرامي منزلت فرشته خصلت مستغرق الالقاب العالي نفع الله قلبه

بطلوس الزمان ميرزا حسام الدين محمد الاصفهاني حفظه الله سبحانه و

تعالى عن الآفات الارضي والسماوي غفر الله له ولوالديه

في يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم

بمحمد وآله المعصومين والحمد لله رب العالمين

كاتبه رجبعلي الاصفهاني

تم تم